

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_234827

UNIVERSAL
LIBRARY

<p>• فهرسة الجزء السابع من تفسير الخافط ابن كثير •</p>	<p>• فهرسة الجزء السابع من التفسير المسمى فتح البيان في مقاصد القرآن •</p>
<p>صحيفة</p> <p>٢ سورة المؤمنون</p> <p>٣٩ سورة النور</p> <p>١٢٣ سورة الفرقان</p> <p>١٦١ سورة الشعراء</p> <p>٢٠٠ سورة النمل</p> <p>٢٢٩ سورة القصص</p> <p>٢٧٨ سورة العنكبوت</p> <p>٣٠٨ سورة الروم</p>	<p>صحيفة</p> <p>٢ سورة الشعراء</p> <p>٤٨ سورة النمل</p> <p>٩٤ سورة القصص</p> <p>١٤٠ سورة العنكبوت</p> <p>١٧٧ سورة الروم</p> <p>٢٠٧ سورة لقمان</p> <p>٢٢٧ سورة السجدة</p> <p>٢٤٦ سورة الاحزاب</p> <p>٢٢٣ سورة سبأ</p> <p>٢٤٩ سورة فاطر</p>
<p>• (تمت) •</p>	<p>• (تمت) •</p>

(الجزء السابع)

من التفسير المسمى فتح البيان
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق
الهمام المؤيد من مولا القدير الباري أبي الطيب
صديق بن حسن القنوجي البجاري ملك
مدينة بهوبال حالاً بالقطار الهندية
لا زالت كواكب فضله
في الآفاق زاهرة

مضيه

آمين

ويهايته تفسير الامام الحلبي الكبير الحافظ عماد الدين أبي الغداء اسمعيل بن عمر بن
كثير القرشي الدمشقي ، لو سنة سبع مائة وعشرون الموفى سنة سبع مائة وأربعة وسبعين
وهذا التفسير المسمى بالاحاديث والآثار مستند من أصحاب جمع
الكلام على احتاج اليه جرحاً وتعديلاً اهـ من شرف الظنون

• (الطبعة الاولى) •

(بالطبعة الكبرى الميرية بيولا في مصر المحمدية)

سنة ١٣٠١ هجرية

ابن يونس قال قلنا العاشية ام المؤمنين كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن طهرات قد اطلع المؤمنون حتى انتهت الى والذين هم على صلواتهم يحافظون قالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقدرى عن كعب الاحبار ومجاهد ابى العالية وغيرهم لما خلق الله الجنة عدن وغرسها بيده نظر اليها وقال لها تكلمي فنهلت
قد اطلع المؤمنون قال كعب الاحبار لما اعد لهم من الكرامه فيها وقال ابو العالية فانزل الله ذلك في كتابه وقدرى ذلك عن
سعيد الخدرى مرفوعا فقال ابو بكر البرار حدثنا محمد بن المنذر حدثنا المغيرة بن ٣ مسلة حدثنا وهيب عن الجريري عن

وهذا المعنى الذي بالمقام وأوفى للمرام ولذا اقتصر عليه صاحب الكشاف (لعلك باخع)
أى قاتل ومهلك (نفسن) لعل هنالاشفاق أى أشفق عليها بضعف هذا المم والبمع
في الاصل أن يلغى بالذبح الضاع وهو عرق في القذا وقدمضى تحتسوق هذا في سورة
الكهف وقرى باخع نفسك بالاضافة والمعنى لعلك قاتل نفسك (أن لا يكونوا) أى أهل
مكة (مؤمنين) أى لعدم ايمانهم بما جئت به وفي هذا نسلمة لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لانه كان حريصا على ايمان قوم شديد لاسف لما يراه من اعراسهم (ان نشأ نزل
عليهم من السماء آية) مستأنفة مسوقة لتعجيل ما سبق من التسليمه والماء في نزل آية تلجهم
الى الايمان ولكن قد سبق القضاء بان لا تنزل ذلك وتقديم الشارفين على المنعول الصريح
للاهتمام بالمقدم وانتشويق الى المؤخر (فضلت اعناقهم لها خاضعين) أى انهم ساروا
منقادين لها أى فتقل اعناقهم قيل وأصله فظلوا لها خاضعين فاحتمت الاعناق للتعقير
والتصوير لان الاعناق موضع الخضوع وقيل انهم لما وصفت الاعناق بصنات العقلاء
أجريت مجازهم ووصفت بما يوصفون به قال عيسى بن عمرو خاضعين وخاضعة سواء
واختاره البرد والمعنى انهم اذا نزلت رقابهم نزلوا فالأخبار عن الرقاب اخبار عن أصحابها
ويؤيد في كلام العرب أن يترك الخبر عن الاول ويخبر عن الثاني وقال أبو عبيد
والكشاف ان المعنى خاضعين لهم وشبهه الخناس وقال يشاهد اعناقهم كبرأؤهم قال
الخناس وهذا معروف في اللغة يقال جاني عنق من الناس أى رؤسهم منهم وقال أبو زيد
والاخفش اعناقهم جماعاتهم يقال جاني عنق منهم أى جماعة وقال ابن عباس
خاضعين ذليلين (وما يأتينهم من) مزيدة لتأكيده المعنى (ذكر من الرحمن) لا يتداه
الغاية (يحدث) انزاله وكمال من شئ من القرآن بعدنى فهو أحدث من الاول
(الا كما عنه معرضين) أى ان لا يجسد لهم وعظمة وتذكيرا للاحد واما هو تبيض
المفسود وهو الاعراض والتكذيب والاستهزاء والجله حالية والاستهزاء مفرغ من أعم
العام وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة الانبياء (فقد كذبوا) بالذكر الذى يأتينهم
تكذبا صريحا ولم يكنوا بمجرد الاعراض وقيل ان الاعراض بمعنى التكذيب لان من
أعرض عن شئ ولم يقبله فقد كذبه وعلى هذا فيكون ذكر التكذيب للدلالة على صدور
ذلك منهم على وجه التصريح والاول أولى فالاعراض عن الشئ عدم الالتفات اليه ثم

نضرة عن أى سعيد قال
الله الجنة لبنية من ذهب ولبن
فضة وغرسها وقال لها تكلم
فقات قد اطلع المؤمنون فدخات
الملائكة فقالت طوبى لك منزل
المولود ثم قال وحدثنا بشر بن آدم
وحدثنا يونس بن عبيد الله العبير
حدثنا عدي بن الفضل حدثنا
الجريري عن أى نضرة عن أى
سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال خلق الله الجنة لبنية من ذهب
ولبنة من فضة وملاطها المسك
قال البرار رأيت في موضع آخر
في هذا الحديث ما أط الجنة لبنية
ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك
فقال لها تكلمي فقات قد اطلع
المؤمنون فقالت الملائكة طوبى
لك منزل المولود ثم قال البرار لافطم
أحدار فقه الاعلى بن التفضل
وليس هو بالحافظ وهو شيخ متقدم
الموت وقال الحافظ أبو القاسم
الطبراني حدثنا أحمد بن علي
حدثنا هشام بن خالد حدثنا بقية
عن ابن جرير عن عطاء عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما خلق الله الجنة عدن
خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد اطلع المؤمنون بنية عن الحجاز بين ضعيف وقال
الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أى شيبه حدثنا محبوب بن الحارث حدثنا جاد بن عيسى العيسى عن ام يعيل السدي عن أى
صالح عن ابن عباس رفعه لما خلق الله الجنة عدن سيدودلى في اعمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر اليها فقال قد اطلع المؤمنون قال
وعزى وجلالى لا يجاورني فيك بجبل وقال أبو بكر بن أبى الدنيا حدثنا محمد بن المنذر حدثنا محمد بن زياد الكلبى حدثنا يعيش
ابن حسين عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجنة عدن بيده

لينة من درة بيضاء ولمعة من زبرجدة خضراء ملاحظها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انظري قالت قد أفعل المؤمنون فقال الله وعزقي وجلالي لا يجاوزني فيك بحميل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقوله تعالى قد أفعل المؤمنون أي قد فازوا وسعدوا ووصلوا على الفلاح وهم المؤمنون المتصفون بهذه الاوصاف الذين هم في صلاتهم حاشعون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس حاشعون خائفون ساكنون وكذا روى عن مجاهد والحسن وقتادة والزهري ٤ وعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه الخشوع خشوع القلب وكذا قال

ابراهيم الخفي وقال الحسن المصري كان خشوعهم في قلوبهم فغضوا بذلك ابصارهم وخفضوا الجناح وقال محمد بن سيرين كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون ابصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزلت هذه الآية قد أفعل المؤمنون الذين هم في صلاتهم حاشعون خفضوا ابصارهم الى موضع سجودهم قال محمد بن سيرين وكانوا يقولون لا يجاوز بصره مصلاه فان كان قد اعتاد النظر فلا يغمض رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ثم روى ابن جرير عنه وعن عطاء بن أبي رباح أيضا من روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك حتى نزلت هذه الآية والخشوع في الصلاة انما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها وارتها على غيرها وحينئذ تكون راحته وقرعة عين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الامام احمد والنسائي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حبيب الى الطيب والنساء

انتقلوا عن هذا الى ما هو أشد منه وهو التصريح بالكذب ثم اتفقوا عن التكذيب الى ما هو أشد منه وهو الاستهزاء كما يدل عليه قوله (فسم آتيتهم آتيا) وهي ما يستحقونه من العقوبة آجلا وعاجلا وسميت آتيا لكونها مما أتباعه القرآن وقال (ما كانوا به يستهزئون) ولم يقل ما كانوا عنه معرضين أو ما كانوا به يكذبون لان الاستهزاء أشد منهما ومستلزم لهما وفي هذا وعيد شديد وقد مر تفسير مثل هذا في سورة الانعام ثم ذكر سبحانه ما يدل على كمال قدرته من الاور الحسبية التي يحصل بها اللمتأمل فيها والناظر اليها والمستدل بها أعظم دليل وأضع برهان وبين انه أظهر لهم أدلة تحدث في الارض وقتا بعد وقت تدل على توحيدهم ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر فقال (أو لم يروا) الهزيمة للتوبيخ والواو للعطف على مقدر كما في نظائره (الى الارض) أي الى عجائبها وبين بعضها بقوله (كم أتينا فيها) أي كثيرا (من كل زوج كريم) فنبه سبحانه على عظمته وقدرته وان هؤلاء المكذبين المستهزئين لو نظر واقع النظر لعلوا أنه سبحانه الذي يستحق أن يعبد والمراد بالزوج هنا الصنف والنوع وقال الفراء هو اللون وقال الزجاج زوج نوع وكريم محمود والمعنى من كل زوج نافع لا يقدر على انباته الارب العالمين اذ ما من نبت الا وله النفث والكرم في الاصل الحسن الشريف يقال نخلة كريمة أي كثيرة الثمرة ورجل كريم شريف فاضل وكاتب كريم اذا كان مهريا في معانيه والنبات الكريم هو المرص في منافعه قال الشعبي الناس مثل نبات الارض فمن صار منهم الى الجنة فهو كريم ومن صار منهم الى النار فهو لئيم وقائدة الجمع بين كلمتي الكثرة والاحاطة ان كلمة كل تدل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكما تدل على ان هذا المحيط متمكنا من مفرط الكثرة وبه نبه على كمال قدرته قاله الزمخشري واليه أشار في التقرير (ان في ذلك لآية) أي فيما ذكر من الابنات أو في كل واحد من تلك الأزواج دلالة بينة وعلامة واضحة على كمال قدرة الله سبحانه وبديع صنعته واللام زائدة في اسم ان المؤخر وقد ذكرت هذه الآية في هذه السورة ثمان مرات ثم أخبر سبحانه بأن أكثر هؤلاء مستمر على ضلالته مصمم على سجوده وتكذيبه واستهزائه فقال (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي سبق على فيهم انهم سيكونون هكذا فلذلك لانفعهم أمثال هذه الآيات العظام قال سيبويه ان كان هنا صلة أي زائدة (وان ربك له العزيز الرحيم) أي الغالب القاهر لهؤلاء بالانتقام منهم مع

وجعلت قرعة عين في الصلاة وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا مسعر عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد كونه أن محمد بن الحنفية قال دخلت مع أبي على صهر لنا من الانصار فحضرت الصلاة فقال يا جارية اتيني بوضوء لعلني أصلي فأستريح فإنا نكرنا عليه ذلك فقال جمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قم يا بلال فأرحننا الصلاة وقوله والذين هم عن اللغو معرضون أي عن الباطل وهو يشبه الشرك كما قاله بعضهم والمعاصي كما قاله آخرون وما الفائدة فيه من الاقوال والافعال كما قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما قال قتادة انما هم والله من أمر الله ما وقفهم عن ذلك وقوله والذين هم للزكاة فاعلون الاكثرون

على ان المراد بالزكاة ههنا زكاة الاموال مع ان هذه الامة مكية وانما فرضت الزكاة بالمدنية في سنة اثنين من الهجرة والظاهر ان التي فرضت بالمدنية انما هي ذات النصب والمتادير الخاصة والا فالظاهر ان اصل الزكاة كان واجبا بكمية قال تعالى في سورة الانعام وهي مكية ووافق يوم حصاده وقد يحتمل ان يكون المراد بالزكاة ههنا زكاة النفس من الشرك والذنس كقوله قد اطلع من زكاهما وقد خاب من دسها وكقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة على احد القولين في تفسيرهما وقد يحتمل ان يكون كلا الامرين مرادا وهو زكاة النفوس وزكاة الاموال فانه من جملة زكاة النفوس والمؤمن الكامل هو الذي يفعل هذا وهذا والله اعلم وقوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون أي والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام فلا يتبعون فيما ينهاهم الله عنه من زنا ولواط ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم أو ما ملكت أيمانهم من السراري ومن تعاطى ما أحلها الله فلا لوم عليه ولا حرج ولهذا قال فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك أي غير الأزواج والاماء فأولئك هم العادون أي المعتدون وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الاعلى حدثنا سعد بن قتادة ان امرأة اتخذت مملوكها وقالت تأولت آية من كتاب الله أو ما ملكت أيمانهم فأتى بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال له ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تأولت آية من كتاب الله عز وجل على غير وجهها قال فغرب العبد وجزأه وقال أنت بعده حرام على كل مسلم هذا أثر غريب منقطع ذكره ابن جرير

كونه كثير الرحمة ولذلك امهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة أو المعنى انه مستقيم من أعدائه رحيم باوليائه (واذ نادى ربك موسى) مسأنا نفة مسوقة لتقرير ما قبلها من الاعراض والتكذيب والاستمتزاز وشروع في قصص سبع أولها قصة موسى والثانية نوح والثالثة نوح والرابعة هود والخامسة صالح والسادسة لوط والسابعة شعيب والتقدير وائل اذ نادى أو اذ كرا يحمدا والنداء الدعاء أي نادى حين رأى الشجرة والنار وكان النداء بكلام سمعه من كل الجهات من غير واسطة (أن) مفسرة أو مصدرية أي بأن (أنت القوم الظالمين) وليس هذا مطع ما ورد في حيز النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله اني انار بك الى قوله لتريك من آياتنا الكبرى ووصفهم بالظالم لانهم جمعوا بين الكفر الذي ظلوا به أنفسهم وبين المعاصي التي ظلوا بها غيرهم كاستعباد بني اسرائيل وذبح آبائهم وكانوا في ذلك الوقت سقاة ألف وثلاثين ألفا (قوم فرعون) يعني القبط عطف بيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهم ما عبادان تعقبان على مؤدى واحد (الآيتون) أي ألا يخافون عقاب الله سبحانه فيصرفون عن أنفسهم عقوبته بطاعته وقيل المعنى قل لهم ألا تتقون وجاء بالتحسية لانهم غيب وقت الخطاب وقرى بالفوقية أي قل لهم ذلك ومثله قل للذين كفروا استغلبون بالتحسية والفوقية أو انهم زاجر فقد ان لهم ان يتقوا وهي كلمة حث واغراء وقيل يظلمون غير متقين الله وعقابه وعلى هذا حال من الضمير في الظالمين (قال) موسى واعتذر بثلاثة أعذار كل منها مرتب على ما قبله وليس مراده الامتناع من الرسالة بل اظهار العجز عن هذا الامر الثقيل وطب المعونة عليه من الله (رب اني أخاف أن يكذبون) في الرسالة والخوف غم يلحق الانسان لاهمسة - يقع (ويضيق صدرى) بتكذيبهم اياي (ولا يطلق لسانى) أي بتأدية الرسالة لعقدة كانت على لسانه قرئ بضيق وينطلق بالرفع على العطف أو على الاستئناف وينصبهما قال الفراء كلا التراء تبرله وجه قال النحاس الوجه الرفع لان النصب عطف على يكذبون وهذا بعيد (فأرسل) جبريل بالوحي (الى) أخى (هرون) ليكون معي رسولا موازرا مظاهرا معا واولم يذكر الموازنة هنا لانها معلومة من غير هذا الموضع كقوله في طه واجعل لى وزير من أهلى وفي النقص أرسله معي ردا يصدقنى وكان هرون بمصر حين بعث موسى نبيا بالشام وهذا من موسى عليه السلام من باب طلب المعاونة له

في تفسير أول سورة المائدة وهو ههنا أليق وانما حرمها على الرجال معاملة لها بتقيض قصدها والله أعلم وقد استبدل الامام الشافعي رجه الله ومن وافقه على تحريم الاسماء بالمدنية الآية الكريمة والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم قال فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين وقد قال الله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقد استأنسوا بحديث رواه الامام الحسن بن عرفه في جرثه المشهور حيث قال حدثني علي بن ثابت الجزري عن مسلمة بن جعفر عن حسان بن حميد عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكهم ولا يجمعهم مع

العالمين ويدهم النار أول الداخلين إلا ان يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه النا كبريدهم القابل والمفعول هو من الجن والصارب والديه حتى يستغيبنا والموتى جيرانه حتى يلعبونه والنا كبر حطية جاره هذا حديث غريب واسناده فيه من لا يعرف لجهاته والله أعلم وقوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون أي اذا اوتتموا يخونوا بل يؤدونها الى أهلها واذا عاهدوا وعاقدوا أوفوا بذلك لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتقن خان وقوله والذين هم على 6 صلواتهم يحافظون أي يواظبون عليهم في مواقيتها كما قال ابن مسعود سألت

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أي العمل أحب الى الله قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله أخرجاه في الصحيحين وفي مستدرک الحاكم قال الصلاة في أول وقتها وقال ابن مسعود ومسروق في قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون يعني مواقيت الصلاة وكذا قال أبو النخعي وعقلمة بن قيس وسعيد بن جبير وعكرمة وقال قتادة على مواقيتها وركوعها وسجودها وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة واختتمها بالصلاة فدل على أفضليتها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مؤمن كما ولما وصنهم تعالى بالقيام بهذه الصفات الحميدة والافعال الرشيدة قال أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس فانه

والتماس العون في تبليغ الرسالة بارسال أخيه لامن باب الاستعناء من الرسالة ولامن التوقف عن المسارعة بالامثال وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لاعلى التقليل (ولهم على ذنب) هو قتله للقطبي قاله قتادة وسماه ذنبا بحسب زعمهم أو كما سمي جراه البيهية سبئة (فأخاف أن يقتلون) به نصوصا فينبوت المقصود من الرسالة فهذا هو الخائف عليه وليس هذا تعطلا أيضا بل استدفاع البلية المتوقعة وفيه دليل على ان الخوف قد يحصل مع الانبياء فضلا عن النصفاء ثم أجابه سبحانه بما يشتمل على نوع من الردع وطرف من الزجر (قال كلا) أي لا يقتلونك كانه قيل ارتدع عما تنظن (فأذهبا) أي أنت وأخوك (بآياتنا) وفي ضمن هذا الجواب اجابة موسى الى ما طلبه من ضم أخيه اليه كما يدل عليه توجيه الخطاب اليهما وفيه تغليب الحاضر على الغائب لانه اذا ذلك كان بمصر والارسال والخطاب كان في الطور (آنا معكم) وفي هذا تعليل للردع عن الخوف وهو كقوله سبحانه اني معكم أجمع وأرى وأراد بذلك سبحانه تقوية قلوبهما وانه متمول لحفظهما وكلاهما وأجرهما مجرى الجمع فقال معكم ليكون الاثنان أقل الجمع على ما يذهب اليه بعض الأئمة أو لكونه أراد موسى وهرون ومن أرسل اليه ويجوز أن يكون المرادهما مع بني اسرائيل أو تعظيما لهما ولا يخفى ما في المعية من الجازلان المصاحبة من صفات الاجسام فالمراد معية النصرة والمعونة (مستمعون) أي سامعون مائة قولون وما يقال لكم والاستماع في غير هذا الاصغاء للسمع يقال استمع فلان حديثه أي أصغى اليه ولا يجوز حله ههنا على ذلك فحمل على السماع قاله النسفي (فأنتما فرعون فقولا انار رسول رب العالمين) الفاء لترتيب ما بعد دعاه على ما قبلها قال القرطبي فانطلقا الى فرعون فلم يأذن لهما سنة في الدخول عليه ووجد الرسول هنا ولم يثنه كما في قوله انارسولاً لربك لانه مصدر بمعنى رسالة والمصدر يوحد وأما اذا كان بمعنى المرسل فانه يثنى مع المثنى ويجمع مع الجمع قال أبو عبيدة رسول بمعنى رسالة والتقدير على هذا انا ذوو رسالة وقال أبو عبيدة أيضا يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنان والجمع تقول العرب هذا رسولى ووكيلي وهذا ان رسولى ووكيلي وهو لا رسولى ووكيلي ومنه قوله تعالى فانهم عدوتى وقيل ان معناه ان كل واحد منا رسول وقيل انهم الما كما متعاضدين متساعدين في الرسالة كما نبهت على رسول واحد وأن في قوله (ان أرسل معنا بني اسرائيل) مفسرة لتضمن الارسال

أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه فقبراً هم الجنة وفوقه عرش الرحمن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون وقال ابن جرير عن الليث عن مجاهد أولئك هم الوارثون قال ما من عبد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاما المؤمن فمضى منه الذي في الجنة ويهدم منه الذي في النار واما الكافر فهدم بيته الذي في الجنة ويبني بيته الذي في النار وروى عبد

ابن جبير نحو قولك فالؤمنون يرون منازل الكفار لانهم خلقوا للعبادة الله تعالى وحده لا شريك له فلما قام هؤلاء المؤمنون بما
 وجب عليهم من العبادة وترك اولئك ما امروا به مما خلقوا له اخرز هؤلاء نصيب اولئك لو كانوا اطاعوا ربهم عز وجل بل ابلغ
 من هذا ايضا وهو ما ثبت في صحيح مسلم عن ابي بردة عن ابي موسى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحيى ناس يوم القيامة
 من المسلمين بذنوب امثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى وفي افضله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
 كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديا ونصرانيا فبقوله هذا فكاك ٧ من النار فاستخلف عمر بن عبد العزيز ابا يزيد

بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات
 ان اباه حدثه عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بذلك قال خلفه
 قلت وهذه الآية تكفوله تعالى تلك
 الجنة التي نورث من عبادنا من
 كان تقيا وكفوله وتلك الجنة التي
 اورثوها بما كنتم تعملون وقد
 قال مجاهد وسعيد بن جبير الجنة
 بال رومية هي الفردوس وقال
 بعض السلف لا يسمى البستان
 الفردوس الا اذا كان فيه عنب
 فالله أعلم ولقد خلقنا الانسان
 من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة
 في قرار مكين ثم خلقنا النطفة
 علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا
 المضغة عظاما فكسونا العظام
 لحما ثم انشأناه خلقا آخر فسبارك الله
 احسن الخالقين ثم انكم بعد
 ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة
 تبعثون يقول تعالى مخبرا عن
 ابتداء خلق الانسان من سلالة
 من طين وهو آدم عليه السلام
 خلقه الله من صلصال من جم
 مسنون وقال الاعشى عن المنهال
 ابن عمرو عن ابي يحيى عن ابي
 عباس من سلالة من طين قال من

المنهوم من الرسول معنى القول أي خلهم واطلقهم معنا إلى أرض فلسطين ولا
 تستعبدهم وكان قد استعبدهم أربع مائة سنة (قال) فرعون لموسى بعد أن أتياه
 وقال له ما أمرهما الله به (ألم نربك فينا) أي في حجرنا ومنازلنا أراد بذلك المن عليه
 والاحتقار له أي ربنا لك لنا (وليدنا) أي صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامك ولم نقتلك
 فبين قتلنا من الاطفال (ولبت فينا من عمرك سنين) ففي كان هذا الذي تدعيه قيل
 لبت فيهم ثمانى عشرة سنة وقيل ثلاثين سنة وقيل أربعين سنة ثم ووجهه يقتل القبطي
 فقال (وعلت فعلتك التي فعلت) الفعلة بفتح الفاء المرة من الفعل كما قيل ع الفعل للمرة
 والفعله للحالة وقرأ الشعبي بكسر الفاء والفتح أولى لانها المرة الواحدة للذوق والمعنى
 أنه عدد عليه النعم وذكره ذنوبه وأراد بالفعل قتل القبطي ثم قال (وأنت من الكافرين)
 للنعمة حيث قتلت رجلا من أصحابي وقيل من الكافرين بأن فرعون هو وقيل من
 الكافرين بالله في زعمه لانه كان معهم على دينهم (قال) موسى مجيبا لفرعون (فعلتها اذا)
 أي فعلت هذه الفعلة التي ذكرت وهي قتل القبطي (وانا) اذ ذلك (من الضالين)
 أي الجاهلين قاله ابن عباس فنتى عليه الصلاة والسلام عن نفسه الكفر وأخبرانه فعل
 ذلك على الجهل قبل ان يأتيه العلم الذي علمه الله وقيل المعنى من الجاهلين ان تلك الوكزة
 تبلغ القتل وقال أبو عبيدة من الناسين وقيل من الخاطئين قال ابن جرير العرب تضع
 الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال (ففررت منكم) أي خرجت من بينكم الى
 مدين كما في سورة القصص (لما خفتكم) ان تقتلوني وذلك حين قال له مؤمن من آل
 فرعون ان الملائكة يأترون بك ليقتلوك فاخرج الآية (فوهب لي ربي حكما) أي نبوة
 أو علما وفهما وقال الزجاج المراد بالحكم تعليمه التوراة التي فيها حكم الله (وجعلني من
 المرسلين) أي من جملة رسله بذلك ما وجهه فرعون قد خاف نبوته وهو القتل فيخرج
 ووجه الرد أن موهبة الحكم والنبوة كانت بعد تلك الحادثة (وتلك نعمة تمنها على) قيل
 هذا الكلام من موسى على جهة الاقرار بالنعمة كانه قال نعم تلك التريفة نعمة تمن بها
 على ولكن لا يدفع ذلك رسالتي وبهذا قال الفراء وابن جرير وقيل هو من موسى على جهة
 الانكار أي أتمن على بأن ربي تني ولما أوأت قد استعبدت بني اسرائيل وقتلتهم وهم
 قومي قال الزجاج المفسرون أخرجوا هذا على جهة الانكار لأن يكون ما ذكر فرعون

صفوة الماء وقال مجاهد من سلالة أي من متى آدم وقال ابن جرير اسمي آدم طينا لانه مخلوق منه وقال قتادة استحل آدم من
 الطين وهذا أظهر في المعنى وأقرب الى السياق فان آدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الجمال المسنون وتلك
 مخلوق من التراب كما قال تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تتشرون وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد
 حدثنا عوف حدثنا أسامة بن زهير عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع
 الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض جاء منهم الاحمر والابيض والاسود بين ذلك والحيث والطيب وبين ذلك وقدر واه أبو داود

والترمذى من طرف عن عوف الاعرابى به نحوه وقال الترمذى حسن صحيح ثم جعلنا نطفة هذا الضمير عائدا على جنس الانسان كما قال في الآية الاخرى وابدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين أى ضعف كما قال ألم تخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قوارمكين يعنى الرحم معد ذلك مهين له الى قدر معلوم فقد رنا فقم القادرون أى مدة معلومة وأجل معين حتى استجسك وتنقل من حال الى حال وصفة الى صفة ولهذا قال ههنا ثم خلقنا النطفة علقة أى ثم صيرنا النطفة وهى الماء الدافى الذى يخرج من صلب الرجل وهو ظهره وترائب المرأة وهى ٨ عظام صدرها ما بين الترقوة الى السرة فصارت علقة حمراء على شكل العلقة

مستطيلة قال عكرمة وهى دم خلقنا العلقة مضغعة وهى قطعة كالبضعة من اللحم لا شكل فيها ولا تحطيط خلقنا المضغعة عظاما يعنى شكلنا هاذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصها وعروقها وقرأ آخرون خلقنا المضغعة عظاما قال ابن عباس وهو عظم الصلب وفى الصحيح من حديث أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جسد ابن آدم يسلى الأعب الذئب منه خلق ومنه يركب فكسونا العظام لحا أى جعلنا على ذلك ما يستروه ويشدهم ويقويه ثم أنشأناه خلقا آخر أى ثم نقصناه الروح فتحرك وصار خلقا آخر ذا سمع وبصر وادراك وحركة واضطراب فتبارك الله أحسن الخالقين وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا النضر يعنى ابن كثير مولى بنى هاشم حدثنا يزيد بن على عن أبيه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال إذا أمت على النطفة

نعمة على موسى واللفظ لفظ خبر وفيه تكيت للمخاطب على معنى أنك لو كنت لا تقتل أبناء بنى اسرائيل لكنت أى مستغنية عن قذفى فى البحر فكانت تكمن على ما كان بلاؤك سببها وذكروا الأزهري باب سبط منه وقال المبرد يقول التريسة كانت بالسبب الذى ذكرت من التعبد أى تربيتك اياى كانت لاجل التملك والقهر لقومى وقيل ان فى الكلام تقدير الاستفهام أى أولئك نعمة قاله الاخفش وأنكره الخناس قال الفراء ومن قال ان الكلام انكار قال أولئك نعمة أى ليست هذه نعمة حتى عن ما على ومعنى (ان عبدت بنى اسرائيل) ان اتخذتهم عبدا يقال عبدهته وأعبدهته بمعنى كذا قال الفراء ومجمله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من نعمة والخبر باضمار الباء والنصب مجذوفها وعن مجاهد قال عبدت بنى اسرائيل قهرتهم واسلمت عملتهم وفيه أوجه سبعة ذكرها السمين (قال فرعون وما رب العالمين) أى لما سمع قول موسى وهرون ان رسول رب العالمين قال مستفسرا لهما عن ذلك عازما على الاعتراض لما قاله أى أى شىء هو جاء فى الاستفهام بما التى يستفهم بها عن المجهول ويطلب بها تعين الجنس وقيل معناه وما صنعته تقول ما زيد أى طوبى لأم قصير فقيه أم طيب نص عليه صاحب الكشف وغيره فلما قال فرعون ذلك (قال) موسى (رب السموات والارض وما بينهما) أى بين الجنسين فعين له ما أراد بالعلمين وترك جواب ما سأل عنه فرعون لانه سأل عن جنس رب العالمين ولا جنس له فأجابه موسى بما يدل على عظيم القدرة الالهية التى تتضح اكل سامع انه سبحانه الرب ولا رب غيره وفيه ابطال لدعواه انه اله (ان كنتم موقنين) بنى من الاشياء فهذا أولى بالايقان لظهوره وانارة دليله وهو العلم الذى يستفاد بالاستدلال ولذا يقال الله موقن (قال) فرعون (لمن حوله) من اشرف قومه وهم جسمائهم رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة (ألا تستمعون) ما قاله يعنى موسى مجالهم من ضعف المقالة كانه قال أنستمعون وتعجبون يعنى سألته عن حقيقة وهو يذ كرأفعاله أو يزعم انه رب السموات وهى واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية وغير معلوم افتقارها الى مؤثر والعدول عن الجواب المطابق متعين لاستحالة السؤال عن الحقيقة منه وعبث وحق وهذا من اللعين مغالطة لم يجد جوابا عن الحجة التى أوردها عليه موسى فلما سمع موسى ما قاله فرعون وأورد عليه حجة أخرى هى مندرجة تحت الحجة الاولى ولكنها اقرب الى فهم

أربعة أشهر بعث الله اليها ملكا فنفخ فيها الروح فى ظلمات ثلاث فذلك قوله ثم أنشأناه خلقا آخر يعنى السامعين فنحنافيه الروح وروى عن أبى سعيد الخدرى انه نفخ الروح قال ابن عباس ثم أنشأناه خلقا آخر يعنى فنحنافيه الروح وكذا قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العالية والضحك والربيع بن أنس والسدى وابن زيد واختاره ابن جرير وقال العوفى عن ابن عباس ثم أنشأناه خلقا آخر يعنى بنقله من حال الى حال الى ان خرج طفلا ثم نشأ صغيرا ثم صار شابا ثم كهولا ثم شيخا ثم رملا عن قتادة والضحك نحو ذلك ولا منافاة فانه من ابتداء نفخ الروح فيه شرع فى هذه التقلبات والحوال والله أعلم

قال الامام احمد في مسنده حدثنا معاوية حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احداكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون مثل ذلك ثم يكون مضغاً مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات رزقه وأجله وعمله وهل هوشق أو سعيده فالذي لا اله غيره ان احداكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيجتم له بعمل أهل النار فيدخلها وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه (٩) الكتاب فيجتم له بعمل أهل الجنة فيدخلها

آخر جاه من حديث سليمان بن مهران الاعمش وقال ابن أبي عمير حدثنا احمد بن سنان حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن أبي خزيمة قال قال عبد الله يعني ابن مسعود ان النطفة اذا وقعت في الرحم طارت في كل شعر ونظير فتمتكت أربعين يوما ثم تعود في الرحم فتكون علقة وقال الامام احمد أيضاً حدثنا حسين بن الحسن حدثنا أبو لؤينة عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال قال مريهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فقالت قريش يا مريهودي ان هذا ابن عمه انبي فقال لاسألته عن شيء لا يعلمه الانبي قال فجاءه حتى جلس فقال يا محمد مخلق الانسان فقال يا مريهودي من كل مخلوق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فاما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب واما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقال هكذا كان يقول من قبلك وقال الامام احمد حدثنا سليمان بن عمرو عن أبي الطفيل عن حذيفة بن

السامع (قال ربكم ورب آباءكم الاولين) وخص من العام المتقدم أنفسهم وآباءهم لان أقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وهي أظهر دلالة على القادر فأوضح لهم ان فرعون مريب لارب كما يدعيه والمعنى ان هذا الرب الذي أدعوك اليه هو الذي خلق آباءكم الاولين وخلقكم فكيف تعبدون من هو واحد منكم مخلوق تخلقكم وله آباء قد فنوا كما بآبائكم فلم يجبه فرعون عند ذلك بشيء يعتد به بل جاء بما يشكك قومه ويخيل اليهم ان هذا الذي قاله موسى مما لا يقوله العقلاء (قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم الجنون) قاصدا بذلك المغالطة وايضا عهدهم في الخيرة فظهر انه مستخف بما قاله موسى مستهزئ به لاني أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر وأضافه الى مخاطبته ترغيعا عن ان يكون مرسل الى نفسه فأجابه موسى عند ذلك بما هو تكميل لجوابه الاول (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) خصهما الانهما أوضح دلالة وأظهر وذلك انه أراد ان يشرق طلوع الشمس وطلوع النهار وأراد ان المغرب غروب الشمس وزوال النهار ومعلوم ان طلوع الشمس من أحد الخافتين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم لا يكون الا بتقدير قادر حكيم والمعنى ليس ملكه كملك لانك انما تملك بلد واحد الا يجري أمر لك في غيره ويموت في نفسه من لا يتعب أن يموت والذي أرسلني إليك المشرق والمغرب وما بينهما أي فتشاهدون في كل يوم انه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع تنظم به أمور الكائنات ولم يشغل موسى بدفع مانسبه اليه من الجنون بل بين لفرعون شمول ربوبية الله للمشرق والمغرب وما بينهما وان كان ذلك داخل تحت ربوبية سبحانه للسموات والارض وما بينهما مما تقدم ولان فيه نصريحاً بالسادس نادى كات السموات وما فيها وتغيير أحوالها وأوضاعها تارة بالانوار وتارة بالظلمة الى الله وقيل علم موسى ان قصده في السؤال معرفة من سأل عنه فأجاب بما هو الطريق الى معرفة الرب (ان كنتم تعقلون) شيأ من الاشياء أو ان كنتم من أهل العقول أي ان كنتم يافرعون ومن معك من العقلاء عرفت وعرفوا أنه لا جواب لسؤالك الا ما ذكرته لا ينهم أو لاواعا لهم بالرفق حيث قال لهم ان كنتم موقنين ثم لما رأى شدة شكيتهم خاشتهم وأغلظ عليهم في الردوعارضهم بمثل مقالتهم بقوله ان كنتم تعقلون لانه أبلغ وأوفق مما قبله من رد نسبة الجنون اليه ثم ان اللعين لما انقطع عن الحجرجع الى

(٣ - فتح البيان سابع) أسد الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة فيقول يا رب ماذا شق أم سعيدة أم كرام أتى فيقول الله فيكتبان ويكتب عمله وأثره ومصيبته ورقه ثم تطوى الصحيفة فلا يراد على ما فيها ولا ينقص وقدره واسم لم في صحيحه من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو هو ابن دينار نحوه من طريق آخر عن أبي الطفيل عامر بن واثله عن حذيفة بن أسيد بن سريجة الغفاري بنحوه والله أعلم وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا احمد بن عبد بن زيد حدثنا احمد بن زيد بن أسيد بن أسيد الله بن أبي بكر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وكل بالرحم

ملكاً فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله خلقها قال أي رب ذكر أو أنثى شق أو سعيدها الرزق والاجل
قال فذلك يكتب في بطن أمه أخر جاء في الصحيحين من حديث جابر بن زيد به وقوله فتبارك الله أحسن الخالقين يعني حين ذكر
قدرته واطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال وشكل إلى شكل حتى تصورت إلى ماصرت إليه من الإنسان السوي الكامل
الخلق قال فتبارك الله أحسن الخالقين قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا جابر بن سلمة حدثنا
علي بن زيد عن أنس قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي ووافقني في أربع نرات هذه الآية (١٠)

ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من
للين الآية قلت انا فتبارك الله
أحسن الخالقين فنزلت فتبارك
الله أحسن الخالقين وقال أيضاً
حدثنا أي حدثنا آدم بن أبي إياس
حدثنا شيبان عن جابر الجعفي
عن عامر الشعبي عن زيد بن
نابت الانصاري قال أمني على
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الآية ولقد خلقنا الإنسان من
سلالة من طين إلى قوله خلقنا آخر
فقال معاذ فتبارك الله أحسن
الخالقين فضحك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له معاذم
ضحكت يا رسول الله فقال بها
خفت فتبارك الله أحسن الخالقين
وفي اسناده جابر بن زيد الجعفي
ضعيف جداً وفي خبره هذا إنكاره
شديدة وذلك ان هذه السورة مكية
وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي
بالمدينة وكذلك اسلام معاذ بن
جبل إنما كان بالمدينة أيضاً فأنه
أعلم وقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون
يعني بعد هذه النشأة الأولى من
العدم تصيرون إلى الموت ثم انكم
يوم القيامة تبعثون يعني النشأة

الاستعلاء والتغلب والتهديد وهكذا يدين المعاند المحجوج (قال لئن اتخذت الهاغيري
لاجعلنك من المسجونين) أي من أهل السجن واللام للعهد أي عن عرفت حالهم
في سجونهم وكان سجن فرعون أشد من القتل لانه اذا سجن أحد لم يخرج حتى يموت وكان
يطرحه في هوة عميقة في مكان تحت الارض وحده ولذلك جعل أبلغ من لا سجنك
فتوعد موسى بالسجن ولم يقل مادليلك على ان هذا الاله أرسلك لان فيه الاعتراف بان ثم
الهاغيره وفي توعد به بالسجن ضعف لما يروى انه كان يفزع من موسى فزعا شديدا حتى كان
اللعين لا يسك بوله فلما سمع موسى عليه الصلاة والسلام ذلك لاطفه طمعا في اجابته
وارضاء لعنان المناظرة معه مر يد القهره بالحجة المعتبرة في باب النبوة وهي اظهار المعجزة
فعرض له على وجه يلجئه إلى طلب المعجزة (قال أولو جئتكم بشئ يمين) أي أتبعلني من
المسجونين وتفعل ذلك ولو جئتكم بشئ يمين به صدق وتظهر عنده صحة دعواي يعني
المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى
من ظهرت على يده والهمزة هنا للاستفهام والواو للعطف على مقدر كما مر مراراً فلما سمع
فرعون ذلك طلب ما عرضه عليه موسى (قال فأت به ان كنت من الصادقين) في دعواك
وانما أمره بذلك لظنه انه يقدر على معارضته وهذا الشرط جوابه محذوف لانه قد تقدم
ما يدل عليه فعند ذلك أبرم موسى المعجزة (فأتني عصاه فاذا هي ثعبان ممين) أي ظاهر
نعبانيتها ليس يتمويه وتخيل كما يفعل السحرة قبل انها ماصارت حية ارتفعت في السماء
قد رميل ثم انحطت مقبله إلى فرعون فقال بالذي أرسلك الا أخذتها فاخذها موسى
فعدت عصا كما كانت وقد تقدم تفسير هذا وما بعده في سورة الاعراف واشتقاق الثعبان
من نعت الماء في الارض فان نعت أي فجرته فانه فجر وقد عبر سبحانه في موضع آخر مكان
الثعبان بالحية بقوله فاذا هي حية تسعى وفي موضع بالجان فقال كأنها جان والجان هو
المائل إلى الصغر والثعبان هو المائل إلى الكبر والحية جنس يشمل الكبير والصغير (ونزع
يده فاذا هي بيضاء للناظرين) خلاف ما كانت عليه من الادمية فيه دليل على ان بياضها
كان شياً يتجمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضها نورياً قال ابن
عباس يقول وأخرج موسى يده من جيبه فاذا هي بيضاء تلعب للناظرين لمن ينظر اليها
ويراهم من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس يكاد يغشى الابصار ويسد الافق

الآخرة ثم الله ينشئ النشأة الآخرة يعني يوم المعاد وقيام الارواح إلى الاجساد فيحاسب الخلائق ويوفي كل (قال
عامل عمله ان خير غير وان شرف شر (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) لما ذكر تعالى خلق الانسان
عطف به ذكر خلق السموات السبع وكثيرا ما يذكر تعالى خلق السموات والارض مع خلق الانسان كما قال تعالى لخلق السموات
والارض أكبر من خلق الناس وهكذا في أول الم السجدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها صبيحة يوم الجمعة في أولها
خلق السموات والارض ثم بيان خلق الانسان من سلالة من طين وفيها أمر المعاد والجزء وغير ذلك من المقاصد وقوله سبع طرائق

قال مجاهد يعني السموات السبع وهذه كقوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيمن آمن تروا كيف خلق الله سبع سموات طباً قال الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علماً وهكذا قال ههنا ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين أى ويعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وهو سبحانه لا يحب عنه سماه سماه ولا أرضاً ولا جبل الا يعلم ما فى وعره ولا بحر الا يعلم ما فى قعره يعلم عدد ما فى الجبال (١١) والتلال والرمال والبحار والقفار والاشجار وما تسقط من ورقة

الايعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين (وأزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض وانا على ذهاب به لقادرون فانشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها افواكه كثيرة ومنها تاتى كلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونهم اولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاتى كلون وعلها وعلى الفلك تحملون) يذكر تعالى نعمه على عبده التى لا تعد ولا تحصى فى انزاله القطر من السماء بقدر أى بحسب الحاجة لا كثيراً فيفسد الارض والعمران ولا قليلاً فلا يكتفى الزرع والثمار بل بقدر الحاجة اليه من السقى والشرب والانتفاع به حتى ان الاراضى التى تحتاج ماء كثيراً زرعها ولا تحمل دمنها انزال المطر عليها يسوق اليها الماء من بلاد اخرى كما فى أرض مصر ويقال لها الارض الجرذ يسوق الله اليها ماء النيل معه طين أحمر يجتره من بلاد الحبشة فى زمان امطارها فى الماء يحمل طيناً أحمر فيسقى أرض مصر ويقر الطين على أرضهم لزرعوا فيه لان أرضهم ساخ يغلب عليها الرمال فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور وقوله فأسكناه فى الارض أى جعلنا الماء اذ انزل من السحاب يخلد فى الارض وجعلنا فى الارض قابلية ونشربه ويتعدى به ما فيها من الحب والنوى وقوله وانا على ذهابه انقادر ان أى لو شئنا ان لا تطر لفعلنا ولو شئنا أنى اصرفناه عنكم الى السباخ والبرارى والقفار لفعلنا ولو شئنا لفعلنا أجا لا يتنقع به لشرب ولا سقى لفعلنا ولو شئنا لفعلنا لا ينزل فى الارض بل ببحر على وجهها لفعلنا ولو شئنا لفعلنا اذ انزل فيها يغور الى مدى لاتصلون اليه ولا تنتهون به

(قال للملا) مستقرين (حوله ان هذا الساحر عليم) فائق فى علم السحر وكان زمان السحر فلم يذروا قبحه فرعون هذا القول على قوله ثم قال على سبيل التفسير (يريد أن يخبركم من أرضكم بسحره) لئلا يقبلوا قول موسى عليه الصلاة والسلام (فإذا أتوا مروناً أى ماراً بكم فيه وما مشورتكم فى مثله فأظهر لهم الميل الى ما يقولونه تألفنا لهم واستجلبنا لمودتهم لانه قد أشرف ما كان فيه من دعوى الربوبية على الزوال وقارب ما كان يعززه عليهم الاضعلال والافهوا كبرتها وأعظم كبراً من أن يحاط بهم مثل هذه الخاطبة المشعرة بأنه فرد من افرادهم وواحد منهم مع كونه قبل هذا الوقت يدعى انه الههم ويدعون له بذلك ويصدقونه فى دعواه قال أبو السعود بهم ساطان المعجزة وحيه حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبسده فى زعمه والامتنال بأمرهم أو الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعدما كان مستقلاً بالرى والتسديد وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتفسيرهم عن موسى عليه السلام (قالوا أربحه وأخاه) أخر أمرهما من أرجيته اذا أخرته وقيل المعنى احبسهما (وابعث فى المدائن حاشرين) للسحرة وهم الشرط الذين يحشرون الناس أى يجمعونهم (يا تولى بكل سحر عليم) هذاماً أشاروا به عليه وجاءوا بكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليسكنوا بعض قلقه والمراد بالسحار العليم الفائق فى معرفة السحر وصنعة أى يفضل موسى ويفوق ويزيد عليه فى علم السحر (لجمع السحرة لميقات يوم معلوم) هو يوم الزينة كما فى قوله قال موعدهم يوم الزينة وكان يوم عيد لهم أو يوم سوق وبيعاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى من يوم الزينة حيث قال وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت أى حتم من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام والصلاة (وقيل للناس هل أنتم مجتبهون) حناهم على الاجتماع ليشاهدوا ما يكون من موسى والسحرة ولين تكون الغلبة وكان ذلك ثقة من فرعون بالظهور وطلباً أن يكون يجمع من الناس حتى لا يؤمن بموسى أحد منهم فوقع ذلك من موسى الموقع الذى يريد لانه يعلم ان حجة الله هى الغالبة وحجة الكافرين هى الداخضة وفى ظهور حجة الله يجمع من الناس زيادة فى الاستظهار للمحققين والانتقار للمبطلين (اعلنا تنبع السحرة) فى دينهم (ان كانوا

فعلنا ولكن بلطفه وبرحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبا فرائنا لا لا فيسكنه في الارض ويسلكه بنا يسبح في الارض فيفتح
 العيون والاشجار ويسقي به الزروع والثمار وتشرقون منه ودوابكم وأنعامكم وتغتسلون منه وتطهرون منه وتتنظفون فله
 الجد والمنة وقوله فانشأنا لكم بهجنات من نخيل وأعناب يعني فأخرجنا لكم بما أنزلنا من السماء حنات أي بساتين وحدائق
 ذات بهجة أي ذات منظر حسن وقوله من نخيل وأعناب أي فيها نخيل وأعناب وهذا ما كان يألف أهل الحجاز ولا فرق بين الشيء
 وبين نظيره وكذلك في حق كل أهل (١٢) إقليم عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم ما يعجزون عن القيام بشكره وقوله لكم

فيما قوا ككثرة أي من جميع
 الثمار كما قال ينبت لكم به الزرع
 والزيون والنخيل والاعناب ومن
 كل الثمرات وقوله ومنها تأكلون
 كأنه معطوف على شيء مقدر تقديره
 تنظرون إلى حسنه ونفجه ومنه
 تأكلون وقوله وشجرة تخرج من
 طور سيناء يعني الزيتونة والطور
 هو الجبل وقال بعضهم انما يسمى
 طورا إذا كان فيه شجر فان عرى عنها
 سمى جبلا لا طورا فآله أعلم وطور
 سيناء هو طور سينين وهو الجبل
 الذي كلم الله عليه موسى بن عمران
 عليه السلام وما حوله من الجبال
 التي فيها شجر الزيتون وقوله
 تنبت بالدهن قال بعضهم الماء زائدة
 وتقديره تنبت الدهن كما في قول
 العرب أتني فلان بيده أي دما
 هل قول من يضمن الفعل فتقديره
 تخرج بالدهن أو أتني بالدهن ولهذا
 قال وصنع أي آدم قاله قتادة
 للأكلي أي فيها ما ينفع به من
 الدهن والاصطباغ كما قال الامام
 أحمد حدثنا وكيع عن عبد الله بن
 عيسى عن عطاء الشامي عن أبي
 أسيد واسمه مالك بن ربيعة

هم الغالين) لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك أن يتبعوا دينهم حقيقة وإنما
 هو أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلالهم مساق الكفاية جلالهم على
 الاهتمام والجد في المبالغة قاله أبو السعود وقيل أرادوا بالصحرة موسى وهرون على طريقة
 الاستهزاء (فلما جاء الصحرة) أي فعند ذلك طلب الصحرة من فرعون الجوزاء على
 ما سيفعلونه (وقالوا الفرعون أئن لنا لاجر) أي لجزء تجزيه من مال أوجهه وقيل
 أرادوا أن لنا أوابا عظيما ثم قيدوا ذلك بظهور غلبتهم لموسى فقالوا (ان كل نحن الغالين)
 فوافقهم فرعون على ذلك و (قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) أي نعم لكم ذلك الاجر
 والجعل عندى على عابكم الصحر مع زيادة عابيه وهي كونكم من المقربين لدى
 (قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) من السحر فسوف ترون عاقبته وفي آية أخرى قالوا
 اما أن تلقى واما أن تكون نحن الملقين فيحمل ما ههنا على انه قال لهم ألقوا بعد ان قالوا
 هذا القول ولم يكن ذلك من موسى عليه السلام أمر اللهم بفعل السحر والتوبة بل أراد أن
 يقهرهم بالحقه توسلا إلى اظهار الحق ويظهر لهم ان الذي جاء به ليس هو من الجنس الذي
 أرادوا ما رضته به (فألقوا حبالهم وعصيهم) سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا
 وقيل كانت الحبال اثنى وسبعين ألفا وكذا العصي فيضلون انها حيايات نسي (وقالوا)
 عند الالتقاء (بعزة فرعون) أفسعوا بعزته وقوته وهو من أيمان الجاهلية وقولهم هذا
 يحتمل وجهين الاول انه قسم وجوابه ما بعده والثاني أن يتعلق بمعدوف والباء السببية
 والمراد بالعزة العظمة (انال نحن الغالبون) أي تغلب بسبب عزته لفرط اعتقادهم في
 أنسهم بالغلبة واتبانهم باقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر (فأتى موسى عصاه فاذا هي
 تلقف ما يأفكون) قد تقدم تفسيره هذا مستوفي والمعنى انها ابتلع وتلقف ما صدر
 منهم من الافك باخراج الشيء عن صورته الحقيقية قيل ان عصا موسى صارت حية
 وابتلع كل مارموم من حبالهم وعصيهم ثم أخذها موسى فاذا هي كما كانت أول مرة
 (فأتى الصحرة) أي فخرت واوسقطوا (ساجدين) أي لما شاهدوا ذلك علوا أنه صنع
 صنائع حكيم ليس من صنيع البشر ولا من نموه الصحرة فأمنوا بالله وسجدوا له وأجابوا
 دعوة موسى وقبلوا بنبوته وعبر عن الخروا بالاقاء بطريق المشاكلة لانه ذكر مع الاقائات

الساعدي الانصاري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من
 شجرة مباركة وقال عبد بن حميد في مسنده وتفسيره حدثنا عبد الرزاق انام عمر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال أتدوموا الزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة ورواه الترمذي وابن ماجه من غير وجه عن عبد الرزاق قال
 الترمذي ولا يعرف الامن حديثه وكان يضطرب فيه فربما ذكر فيه عمرو بن مالك كرهه وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن
 أحمد بن حنبل حدثنا أبي حدثنا سفيان بن عيينة حدثني الصعب بن حكيم بن شريك بن نميلة عن أبيه عن جده قال ضفت عمر بن

الخطاب رضي الله عنه ليله عاشورا مخاطبته من رأى بعير يارو والطعنات يا وقال هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وقوله وان لكم في الانعام لبعرة نستقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون يذكر تعالى ما جعل خلقه فى الانعام من المنافع وذلك انهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم وبيا كلون من جلانها ويلبسون من أصوافها أو وبرها وأشعارها ويركبون ظهورها ويحملونها الاحمال الثقال الى البلاد النائية عنهم كما قال تعالى وتحمل أنثى الكرم الى بلدكم تكونوا بالغية الابشق النفس ان ربكم لرؤف رحيم (١٣) وقال تعالى أولم يروا ناخذنا لهم مما

عات أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذلناها لهم ثم فنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لازلنا ملائكة ما سمعنا بهذا فى آياتنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فترى بصوابه حتى حين) يخبر تعالى عن نوح عليه السلام حين بعثه الى قومه لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد وانتقامه ممن أشرك به وخالف أمره وكذب رساله فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون أى لتخافون من الله فى اشراككم به فقال الملا وهم السادة والاكابر منهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم يعنون يرفع عليكم ويتعاطم بدعوى النبوة وعو بشر مثلكم فكيف أوحى اليه دونكم ولو شاء الله لازلنا ملائكة أى لو أراد ان يعث نبيا لبعث ملكا من عنده ولم يكن

ولا نهم لسرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقوا وأخذوا فطرحوا على وجوههم وانه تعالى ألقاهم عاصخولهم من التوفيق وقد تقدم بيان معنى ألقى ومن فاعله لوقوع التصريح به قال الشهاب فى فائق استعارة بعبية حسن المشاكلة وليس مجازا مرسل وان أحتمله النظم ووجه الشبه عدم التملك (قالوا) عند سجدتهم بدل اشتغال من ألقى أرحال باضمار قد (أمانا رب العالمين) قال عكرمة ام سوا وسحرة واصبحوا شهداء (رب موسى وهرون) بدل للتوضيح والاشعار بأن سبب ايمانهم ما أجزاه الله تعالى على يده ما لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا الايتاق بالسحر وأضافوه سبحانه اليه ما لانهم القايمان بالدعوة فى تلك الحالة وفيه تكييف لفرعون بأنه ليس برب وان الرب فى الحقيقة هو هذا فلما سمع فرعون ذلك منهم ورأى سجدتهم لله (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم) أى بغير اذن منى قال ذلك لما خاف على قومه ان يتبعوا السحرة ثم قال مغالط السحرة الذين آمنوا وموهما للناس ان فعل موسى سحر من جنس ذلك السحر (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) وانما اعترف له بكونه كبيرهم مع كونه لا يجب الاعتراف بشئ يرتفع به شأن موسى لانه قد علم كل من حضر ان ما جاء به موسى أهدى مما جاء به السحرة فاراد ان يشكك على الناس بأن هذا الذى شاهدتم وان كان قد فاق على ما فعله هؤلاء السحرة فهو فعل كبيرهم ومن هو أستاذهم الذى أخذوا عنه هذه الصناعة فلا تظنوا أنه فعل لا يقدر عليه البشر وانه من فعل الرب الذى يدعو اليه موسى ولا تعقدوا ان السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق يعنى ان غلبته عليكم لم تكن بالجزال الهى بل بما لم يعلمكم من السحر وانتم اضعف عقولكم حسبتم انه عليكم بغير جنس السحر فآمنت ثم توعد اولئك السحرة الذين آمنوا بالله لما قهرتهم حجة الله فقال (فلسوف نعلمون) وبال ما فعلتم وما ينالكم منى أجل التهديد أو لا للتحويل ثم فصله فقال (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى من أجل خلاف ظهر منكم وقيل أى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (ولا صلبنكم أجمعين) كأنه أراد به تهيب العامة لتلا يتبعوه فى الايمان قبل انه فعل بهم ما توعدهم به من التقطيع والتصليب وقيل لم يفعلهم ولم يرد فى القرآن ما يدل على انه فعل بهم ذلك فلما سمعوا ذلك من قوله (قالوا لاضير) أى لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عقاب الدنيا فان ذلك

بشر اما سمعنا بهذا أى ببعثة البشر فى آياتنا الاولين يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم فى الدهور الماضية وقوله ان هو الا رجل به جنة أى مجنون فيما يزعمه من ان الله أرسله اليكم واختصه من بينكم بالوحي فترى بصوابه حتى حين أى انتظر وابه ريب المنون واصبروا عليه مائة حتى تستريحوا منه (قال رب انصرنى بما كذبون فأوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذ اجابه أمرنا وفارا التنوير فاسأل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الامن سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني فى الذين ظلموا انهم مفروقون فاذا استوتبت أنت ومن معك على الفلك نقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين وقيل رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المزلين ان فى ذلك لايات وان

كالمبتلين) يخبر تعالى عن نوح عليه السلام انه دعاربه ليستنصره على قومه فقال تعالى مخبر اعنه في الآية الاخرى فدعاربه اني مغلوب فانتصر وقال ههنا رب انصرني بما كذبون فعند ذلك امره الله تعالى بصنعة السفينة واحكامها واتقانها وان يحمل فيه من كل زوجين اثنين اى ذكر وانثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار وغير ذلك وان يحمل فيها اهل الامن سبق عليه القول منهم اى من سبق عليه القول من الله بالهلاك وهم الذين لم يؤمنوا به من اهل كنهه وزوجته والله اعلم وقوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرورون اى عند معاينة (١٤) انزال المطر العظيم لا تأخذك رافة بقومك وشفقة عليهم وطمع في تأخرهم لعلها

يؤمنون فاني قد قضيت انهم مغرورون على ما هم عليه من الكفر والطغيان وقد تقدمت القصة مبسوطه في سورة هود بما يغنى عن اعادة ذلك ههنا وقوله فاذا استوتبت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين كما قال وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمه بربكم اذا استوتيت عليه وتقولوا سبحان الذى جبر لنا هذا وما كنا له مقرنين واننا الى ربنا لمنقلبون وقد امتثل نوح عليه السلام هذا كما قال تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها فذكرا الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه وقال تعالى وقل رب اتراني منزلا مباركا وانت خير المتراين وقوله ان في ذلك لايات اى ان في هذا الصنيع وهو انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين لايات اى الحجج ودلالات واضحات على صدق الانبياء فيما جاؤا به عن الله تعالى وانه تعالى فاعل لما يشاء قادر على كل شئ علم بكل شئ وقوله وان كالمبتلين اى مخبرين للعباد بارسال المرسلين (ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين

يزول ولا بد من الانقلاب بعده الى ربنا فيعطينا من النعيم الدائم ما لا يحدث ولا يوصف قال الهروى لا ضرر ولا ضرر ولا ضرر بمعنى واحد قال الجوهرى ضاره بضره وضره بضره وضار بضره اى ضره قال الكسائي سمعت بعضهم يقول لا يتبعنى ذلك ولا يضرني قال ابو زيد لا يضرنا الذى تقول وان صنعت بنا واصلبتنا (انا الى ربنا منقلبون) اى راجعون وهو مجازينا لصبرنا على عقوبتك انا وانما نتنا على توحيدك والبراءة من الكفر قاله ابو زيد لتعليل لعدم الضير اى لا ضرر في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم اولا لاضرر علينا فيما نتوعدنا به من القتل اذ لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهلونها وارجاها (انا نطمع) اى نرجو (ان يغفر لنا ربنا خطايانا) اى الكفر والسحر ثم علوا هذا بقولهم (ان كنا) اى بسبب ان كنا (اول المؤمنين) اى انهم اول من آمن من قوم فرعون بعد ظهور الاية اوم من اهل المشهد وقال الفراء اول مؤمنى زمانهم وانكره الزجاج وقال قدرى انه آمن معهم ستمائة الف وسبعون ألفا وهم الذين عناهم فرعون بقوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال ابو زيد كانوا كذلك يومئذ اول من آمن بآياته حين رأوها (واوحينا الى موسى ان أسر بعبادى) امر الله سبحانه موسى ان يخرج بنى اسرائيل ليلالا الى البحر اى الى جهة الشام بالبر وهذا بعد سنين من ايمان الصحرة وسماهم عباده لانهم آمنوا بموسى وبما جاءه وقد تقدم تفسير مثل هذا في سورة الاعراف (انكم متبعون) لتعليل للاصر المتقدم اى يتبعكم فرعون وقومه ليردوكم اى اسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصيحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركوكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حيث تلجون البحر فيدخلون مداخلكم فاطبقه عليهم واغرقهم (فارسل فرعون في المداخن حاشرين) وذلك حين بلغه خروجهم والمراد بالحاشرين الجامعون للبعيش من الامكنة التى فيها اتباع فرعون ثم قال فرعون لقومه بعد اجتماعهم لديه (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) يريد بنى اسرائيل والشرذمة الجمع الحقيق القليل والجمع شرادم قال الجوهرى الشرذمة الطائفة القليلة من الناس والقطعة من الشئ وثوب شرادم اى قطع قال الفراء يقال عصبة قليلة وقلدون وكثيرة وكثيرون قال المبرد الشرذمة القطعة من الناس غير الكثرة وجعلها الشرادم قال الواحدى قال المفسرون وكان الشرذمة الذين قالهم فرعون ستمائة الف

وبه فارسنا فيهم رسولا منهم ان اعبدا الله ما لكم من اله غيره افلاتتقون وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الاخرة وارتفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يا كل من اتا كلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشر مثلكم انكم اذا لحاسرون ابعدمكم انكم اذا تمم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيئاتهم لما توعدون ان هي الاحياء التى انشأنا الموت ونحييا وما نحن بمعوثين ان هو الا رجل اقرى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قلل ليصحن

نادمين فاخذتهم الصيحة بالحق جعلناهم غنما فبعد القوم الظالمين) يخبر تعالى انه انشأ بعد قوم نوح قرناً آخر ين قيل المراد بهم عاد فانهم كانوا مستخلفين بعدهم وقيل المراد بهم اولادهم لقوله فاخذتهم الصيحة بالحق وانه تعالى ارسل فيهم رسولا منهم فداهاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له فكذبوه وخالفوه واولوا عن اتباعه لكونه بشرا مثلهم واستنكفوا عن اتباع رسول بشري وكذبوا بلقاء الله في القامة وانكروا المعاد الجنائي وقالوا ائبدكم انكم اذا متهم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون اى بعيد بعيد ذلك ان هو الا رجل افترى على الله كذبا اى فيما جاءكم به من الرسالة (١٥) والندارة والاخبار بالمعاد وما نحن

له بمؤمنين قال رب انصرنى بما كذبون اى استفتح عليهم الرسول واستنصر ربه عليهم فاجاب دعاه قال عما قليل ليصبحن نادمين اى بخالفتك وعنادك فيما جنتهم به فاخذتهم الصيحة بالحق اى وكانوا يستحقون ذلك من الله بكفرهم وطغيانهم والظواهر انه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصرا العاصف القوى الباردة تدمر كل شئ بامر ربه افاصحو الا يرى الامساكنهم وقوله جعلناهم غنما اى صرعى هلكى كغناء السيل وهو الشئ الخفير التافه الهالك الذى لا ينتفع بشئ منه فبعد القوم الظالمين كقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين اى بكفرهم وعنادهم ومخالفة رسول الله فليحذر السامعون ان يكذبوا رسوله ثم انشأنا من بعدهم قرناً آخرين ما نسبق من امة اجلها وما يستأخرون ثم ارسلنا رسلا نتري كلما جاء امة رسولا كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم اعداء بعضهم بعضا فبعثنا القوم لا يؤمنون يقول تعالى ثم انشأنا من بعدهم قرناً

وبه قال ابن عباس ولا يحصى عدداً أصحاب فرعون وقال ابن مسعود ستمائة ألف راسبعون ألفاً ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقللهم بالنظر الى كثرة جيشه وجلة جيشه ألف ألف وستمائة ألف وأخرج عبد بن جرير وابن المنذر عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ان أصحاب موسى الذين جازوا البحر اثني عشر سبطا فكان في كل طريق اثنا عشر ألفا كلهم ولد يعقوب وأخرج ابن مردويه عنه أيضاً بسند قال السيموطى واه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان فرعون عدواً لله حيث اغرقه الله سبحانه هو وأصحابه في سبعين قائداً مع كل قائده سبعون ألفاً وكان موسى مع سبعين ألفاً حيث عبروا البحر وعنه قال كان طلائع قوم فرعون الذين بعثهم في اثرهم ستمائة ألف ليس فيها أحد الا على بهم وأقول هذه الاقوال والروايات المضطربة قدروى عن كثير من السلف ما يئانها في الاضطراب والاختلاف ولا يصح منها شئ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وانهم لنا الغائطون) يقال غاطنى كذا او غاطنى والغيب الغضب ومنه التغيط والاعتياط اى غاطونا بنحروهم من غير اذن منى (وان الجميع حاذرون) اى خائفون من شرهم وقرئ حذرون قال الفراء الحاذر الذى يحذرك الان والحذر الخلق كذلك اى مجبولاً على الحذر لا تلقاه الاحذروا قال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المتيقظ وبه قال الكسائى والمبرد وذهب أبو عبيدة الى ان معنى حاذرون وحذرون واحسد وهو قول سيدي به اى وانا لجمع من عادتنا الحذروا واستعمال الحزم فى الامور اشارة الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعوا اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شأنهم حنا عليه اى واعتذر بذلك الى اهل المدائن كى لا يظن به ما يكسر سلطانه قاله البيضاوى (فاخر جناهم) اى فرعون وقومه اى خلقنا فيهم داعية الخروج فخرجوا (من جنات وعميون وكوز) اخرجهم الله من ارض مصر ليحقوا موسى وقومه وفيها الجنات والبساتين على جانبي النيل من أسوان الى رشدهى جمع جنه وعين وكثر المراد بالكنوز الخزائن وقيل الدفائن وقيل الانهار وفيه نظر لان العميون المراد بها عند جمهور المفسرين عميون الماء فتدخل تحتها الانهار والمراد بالكنوز الاموال الظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزاً لانه لم يعط حق الله منها وفى الشهاب المراد بها اما الاموال التى تحت الارض وخصه لان ما فوقها انطمس او مطلق المال الذى لم يؤد منه حق الله لانه يقال له كنز والاول اوفق باللغة

تخزين اى ائماً وخالق ما نسبق من امة اجلها وما يستأخرون يعنى بل يؤخذون على حسب ما قدر لهم تعالى فى كتابه المحفوظ وعلمه ليل كونهم امة بعد امة وقران بعد قرن وجيلاً بعد جيل وخلفاء بعد سلف ثم ارسلنا رسلا نتري قال ابن عباس يعنى يتبع بعضهم بعضا وهذا كقوله تعالى ولقد بعثنا فى كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقوله كلما جاء امة رسولا كذبوه يعنى جمهورهم واكثرهم كقوله تعالى يا حسرة على العباد ما يأتينهم من رسول الا كانوا به يستهزئون وقوله فاتبعنا بعضهم بعضاً اى اهلكناهم كقوله وكما اهلكنا من القرون من بعد نوح وقوله وجعلناهم اعداء بعضهم بعضاً اى

أخباراً وأحاديث للناس كقوله جعلناهم أحاديث وعزقناهم كل ممزق (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بالبيناء وساطة بين
الفرعون وملئته فاستكبروا وكانوا فوجاً عالين فقالوا أنؤمن لبشر ينزلنا وقرمها لنا عبادون فكذبوا بما كانوا
والمعجبات والبراهين القاطعات وان فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهم ما والافتقار لاهم ما الكون ما بشرين
كَمَا أَنْكَرَتِ الْأُمَّمُ الْمُنْضِيَةَ بَعْنَةَ (١٦) الرسل من البشر تشابهت قلوبهم فاهلك الله فرعون وملائه وأغرقتهم في يوم

واحد أجمعين وأنزل على موسى
الكتاب وهو التوراة فيها أحكامه
وأوامر ونواهي وذلك بعد ما قسم
الله فرعون والقبط وأخذهم أخذ
عزيم مقتدرو بعد أن أنزل الله
التوراة لم تهلك أمة بعامته بل أمر
المؤمنين بقتال الكافرين كما قال
تعالى واقعدنا موسى الكتاب
من بعد ما أهلكنا القرون الأولى
بصائر للناس وهدي ورحمة لعلمهم
يتذكرون (وجعلنا ابن مريم وأمه
آية وآييناهما إلى ربوة ذات قرار
ومعين) يقول تعالى مخبراً عن عبده
ورسوله عيسى ابن مريم عليهما
السلام انه جعلهما آية للناس أي
حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء
فانه خلق آدم من غير آب ولا أم
وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق
عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية
الناس من ذكر وأنثى وقوله
وآييناهما إلى ربوة ذات قرار
ومعين قال الغضائري عن ابن عباس
الربوة المكان المرتفع من الأرض
وهو أحسن ما يكون فيه النبات
وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد
ابن جبيرة وقتادة قال ابن عباس

والثاني مروى عن السلف فلا وجه للتحكم هنا (ومقام كريم) أي بهي تهييج واختلف
فيه فقيل المنازل الحسان وقيل المنازل قاله ابن عباس وقيل مجالس الرؤساء والأمراء
والوزراء حكاه ابن عيسى وقيل مرابط الخيل والأول أظهر وقال سعيد بن جبيرة سمعت ابن
المقام الكريم القيوم (كذلك) أي آخر جناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفنا أو مقام
كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم أو الأمر كذلك (وأورثنا بني إسرائيل) أي جعلناها
ملكاً لهم بعد اغراق فرعون وقومه قال الحسن لما عبروا النهر رجوعاً وأخذوا
ديارهم وجناتهم وأموالهم وعيونهم وقيل أراد بالورثة هنا ما استعاروا من حلي آل
فرعون باهر الله تعالى وقيل مسألتهم الحسنة والكنوز قلت وكلا الأمرين جعل لهم
والحمد لله (فاتبوعوهم) بقطع الهمزة وقرئ بوصلها وتشد التاء أي لمحقوهم حال كونهم
(مشرقين) أي داخلين في وقت الشروق يقال شرقت الشمس شروقاً إذا طلعت كاصبح
وأمسى أي دخل في هذين الوقتين وقيل داخلين نحو المشرق كأنجدوا أنفسهم وقيل مضيقين
قال الزجاج يقال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت (فلما تراهي الجمعان)
أي تقابل بالبحث يرى كل فريق صاحبه وهو تفاعل من الرؤية وقرئ تراءت الفئتان
والمراد بنو إسرائيل والقبط (قال أصحاب موسى أنا لمدركون) أي سيدركنا جمع
فرعون ولا طاقة لنا بهم وهذه قراءة الجمهور يعني اسم مدرك من أدرك ومنه حتى إذا
أدركه الغرق وقرئ بفتح الدال المشددة وكسر الراء قال الفراء هما بمعنى واحد قال النحاس
ليس كذلك يقول النحويون الخذاق انما يقولون مدركون بالتخفيف لمحقون وبالتشديد
مجتهدون في لحاقهم قال وهذا معنى قول سيويه وقال الزمخشري ان معنى هذه القراءة
انما يتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى مناه أحد قال موسى زجر الهم وردعا (كلا)
يعني انهم لا يدركونكم وذكرهم وعد الله بالهداية والخلص والظفر بقوله (ان معي
ربي) بالنصر (سيدين) أي سيدني على طريق النجاة عن أي موسى عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال ان موسى لما أراد أن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق فقال
لبني إسرائيل ما هذا فقال له علماء بني إسرائيل ان يوسف لما حضره الموت أخذ علينا
موثقاً ان لا يخرج من مصر حتى تنقل تابوته معنا فقال لهم موسى أيكم يدري أين قبره

وقوله ذات قرار يقول ذات خصب ومعين يعني ما تظاهر وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وقتادة وقالوا

مجاهد ربوة مستوية وقال سعيد بن جبيرة ذات قرار ومعين استوى الماء فيها وقال مجاهد وقتادة ومعين الماء الجاري ثم اختلف
المفسرون في مكان هذه الربوة من أي أرض هي فقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ايسر الربا الا بصبر والماء حين يرسل يكون الربا عليها
القرى ولولا الربا غرقت القرى وروى عن وهب بن منبه نحو هذا وهو بعيد جداً وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله
وآييناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين قال هي دمشق قال وروى عن عبد الله بن سلام والحسن بن زيد بن أسلم وطالبن بعد ان ذلك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ذات قرار ومعين قال أنهار دمشق وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد وآيينهما إلى ربوة قال عيسى بن مريم واسم حسين أو إلى غوطة دمشق وما حولها وقال عبد الرزاق عن بشر بن رافع عن أبي عبد الله بن عم أبي هريرة قال سمعت أبا هريرة يقول في قول الله تعالى إلى ربوة ذات قرار ومعين قال هي الرملة من فلسطين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف القرماني حدثنا واد بن الجراح حدثنا عبد الله بن عباد الخواص أبو عتبة (١٧) حدثنا الشيباني عن ابن زعله عن كريب السكولي عن مرة

البهذي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرجل إنك توت بالربوة فغات بالرملة وهذا حديث غريب جدا وأقرب الأقوال في ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله وآيينهما إلى ربوة ذات قرار ومعين قال المعين الماء الجاري وهو النهر الذي قال الله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وكذا قال الضحاك وقادة إلى ربوة ذات قرار ومعين هو بيت المقدس فهذا والله أعلم هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى والقرآن ينسر بعضه بعضا وهذا أولى ما ينسر به ثم الأحاديث الصحيحة ثم الآثار (بأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وإن هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون إنهم يفتنهم به من مال وبين ناسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال والقيام بالصالح من الأعمال

فقالوا ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز لبني إسرائيل فإرسال اليها موسى فقال دليلنا على قبر يوسف فقالت لا والله حتى تعطيني حكمي قال وما حكمك قالت أن أكون معك في الجنة فكأنه نقل عليه ذلك فقبل له أعطها حكمها فأعطها حكمها فأنطلقت بهم إلى بحيرة مستنقعة ماء فقالت لهم انصبوا عنها الماء ففعلوا قالت احضروا حفرة واقفوا حوا قبر يوسف فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار فلما عظم البلاء على بني إسرائيل ورأوا من الجيوش ما لا طاقة لهم به أمر الله سبحانه موسى أن يضرب البحر بعصاه وذلك قوله (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر) وذلك أن الله عز وجل أراد أن تكون الآية متصلة بموسى ومتعلقة بنعل ينفعه والافضرب العصا ليس بشارق البحر ولا معينا على ذلك بذاته إلا بما اقترن به من قدرة الله تعالى واختراعه وبه نجي موسى وبنو إسرائيل وهلاك عدوهم (فانفلق) الفاء فصيحة أي فاضرب فصاروا نشق اثني عشرة فلحقا بعدد الأسباط وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره الجبل العظيم وهو معنى قوله (فكان كل فرق) هو القطعة من البحر وقرئ فلق باللام بدل الراء (كالطود) كالجبل أو عظيمه والجمع أطواد يقال طاد يطود إذا ثبت (العظيم) أي الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الركب ولا لبده قاله ابن عباس وابن مسعود (وأزلنا ثم الآخرين) أي قربناهم إلى البحر قاله ابن عباس قال أبو عبيدة أزلنا جمعنا ومنه قيل لليلة المزلفة ليله جمع و ثم طرف مكان للبعيد وقيل قربنا من التجارة وقرئ أزلنا ثلاثا وقرئ أزلنا أي أزلنا وأهلها من قولهم أزلت الفرس إذا ألقته ولدها ويعني بالآخرين فرعون وقومه وقيل المراد بهم موسى وأصحابه والاولى قيل كان جبريل بنى بني إسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني إسرائيل ليحرقكم أو أهلككم ويقول للقبط ويد اليحرق آخركم أو أهلككم فكان بنو إسرائيل يقولون مارا يئنا أحسن سياسة من هه الرجل وكان القبط يقولون مارا يئنا أحسن داع من هذا (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) بمرورهم في البحر بعد أن جعله الله طرفا يمشون فيها (ثم أغرقتنا الآخرين) يعني فرعون وقومه أغرقهم الله باطباق البحر عليهم بعد أن دخلوا فيه متبعين موسى وقومه وخرج بنو إسرائيل منه وفيه أبطال القول بتأثير الكواكب في الأجل وغيرها من الحوادث فأنهم اجتمعوا في الهلاك مع اختلاف طول العهيم (ان في ذلك) أي فيما صدر بين موسى وفرعون إلى

(٣ - فتح البيان سابع) : فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح فقام الأنبياء عليهم السلام بهذا أتم القيام وجعوا بين كل خمر قول أو عمل ودلالة ونصا فجزاهم الله عن العباد خيرا قال الحسن البصري في قوله يأيتها الرسل كلوا من الطيبات قال أما والله ما أمركم بأصفركم ولا أحرركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكن قال انتهوا إلى الحلال منه وقال سعيد بن جبيرة والضحاك كلوا من الطيبات يعني الحلال وقال أبو اسحق السبيعي عن أي ميسرة عمرو بن شرحبيل كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه وفي الصحيح وما من نبي إلا رمى الغنم قالوا وانت يا رسول الله قال نعم وأنا كنت أراها على قرار بطلاه ل مكة وفي الصحيح ان داود

عليه السلام كان يأكل من كسب يده وفي الصحيحين ان احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود واحب
 القيام الى الله قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يقرأ الا في قول ابن ابي
 حاتم حدثنا ابى حدثنا ابو ايمان الحكم بن نافع حدثنا ابو بكر بن ابي مرجم عن ضمرة بن حبيب ان ام عبد الله بنت شداد بن اوس
 قالت بعثت الى النبي صلى الله عليه وسلم (١) بقدر ح لبن عند فطره وهو صائم وذلك في أول النهار وشدة الحر فرد اليها رسولها ان كانت
 لك الشاة فقالت اشتريتها من مالي فشر ب (١٨) منه فلما كان من الغد اتته ام عبد الله بنت شداد فقالت يا رسول الله بعثت اليك بلبن

مرثية لك من طول النهار وشدة
 الحر فردت الى الرسول فيه فقال
 لها بذلك أمرت الرسل لاتأكل الا
 طيبا ولا تعمل الا صالحا وقد ثبت
 في صحيح مسلم وجامع الترمذى
 ومسند الامام أحمد واللفظ له من
 حديث فضيل بن مرزوق عن
 عدى بن ثابت عن ابى حازم عن ابى
 هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس
 ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان
 الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين
 فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
 واعملوا صالحا انى بما تعملون عليهم
 وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من
 طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل
 يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه
 حرام ومشربه حرام وملبسه حرام
 وغذى بالحرام يعيد به الى السماء
 يارب يارب فانى يستجاب لذلك
 وقال الترمذى حسن غريب
 لا نعرفه الا من حديث فضيل بن
 مرزوق وقوله وان هذه امتكم امة
 واحدة اى دينكم باممهم الانبياء
 دين واحد وملة واحدة وهو الدعوة
 الى عبادة الله وحده لا شريك له

هذه الغاية (الآية) عبرة عظيمة وقدرة باهرة من أدل العلامات على قدرة الله سبحانه وعظيم
 سلطانه لمن بعدهم (وما كان أكرمهم) أى أكثر هؤلاء الذين مع فرعون (مؤمنين) بالله فانه
 لم يؤمن منهم فيما بعد الا القليل كزقيل وابنته وأسيسة امرأة فرعون والعجوز اتي دلت على
 قبر يوسف وليس المراد أكثر من كان مع فرعون عند لحاقه بعوسى فانهم هلكوا جميعا فى
 البحر بل المراد من كان معه من الاصل ومن كان متابعا له ومتسببا اليه هذا غاية ما يمكن
 أن يقال وقال سيبويه وغيره ان كان زائدة وان المراد الاخبار عن المشركين بعد ما سمعوا
 الموعظة (وان ربك له العزيز) أى المنتقم من أعدائه باغراقهم (الرحيم) باوليائه
 بانجائهم (وانل) أى اقصص يا محمد (عليهم) أى على كفار مكة (نبا) خبر (ابراهيم)
 وحديثه (اذ قال) أى وقت قوله (لا يسهو قوم ما) أى أى شئ (تعبدون) وهو يعلم انهم
 يعبدون الاصنام ولكنه أراد الزام الحجية وليبرهم ان ما يعبدونه ليس يستحق العبادة بل
 يعزل عنها بالكلية (قالوا نعبد اصناما) افتخاروا وبهاة بعبادتها (فنظل لها عما كفين)
 أى فنقيم ونقوم على عبادتها مستقرين طول النهار لافى وقت معين يقال ظل يفعل كذا اذا
 فعله نهارا ويات يفعل كذا اذا فعله ليلا لفظا ظهروه انهم يستمرون على عبادتها نهارا ليلا
 والمراد من العكوف لها الاقامة على عبادتها وانما قال لها لافادة ان ذلك العكوف
 لاجلها فلما قالوا هذه المقالة (قال) ابراهيم منها على فساد مذاهبهم (هل يسهو عنكم
 اذ تدعون) قال الاخفش المعنى هل يسهو عن منكم أو هل يسهو عن دعاءكم وقرأتادة هل
 يسهو عنكم بضم الباء أى هل يسهو عنكم أصواتهم وقت دعائكم لهم قال الزجاج شئ منه
 على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال التى كنتم تدعون فيها هل يسهو عنكم
 اذ ادعوتم وهو ابلغ فى التبكيت (أويسهو عنكم) بوجه من وجوه النفع ان عبدة وتروها
 (أويضرون) أى يضر ونكم اذ اتر كنتم عبادتها وهذا الاستفهام للتقرير فانها اذا كانت
 لا تسمع ولا تنفع ولا تضر فلا وجه لعبادتها فاذا قالوا نعم هى كذلك أقروا بان عبادتهم لها
 من باب اللعب والعبث والسفه وعند ذلك تقوم الحجية عليهم فلما أورد عليهم الخليل هذه
 الحجية الباهرة لم يجحدوا الهاجوا بالارجوعهم الى التقليد البحت وهو أنهم (قالوا بل وحدثنا
 آباءنا كذلك يفعلون) هذه العبادة لهذه الاصنام فقد ادناهم مع كونها بهذه الصفة التى
 هى سلب السمع والنفع والضرر عنها وفى أبى السعود هذا الجواب منهم اعتراف بانها يعزل

ولهذا قال وانار بكم فاتقون وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الانبياء وان قوله امة واحدة منصوب على الحال عما

وقوله فقطعوا امرهم بينهم زبرأى الامم الذين بعثت اليهم الانبياء كل حزب بما لديهم فرحون أى يفرحون بما هم فيه من الضلال
 لانهم يحسبون انهم مهتدون ولهذا قال متهدد لهم ومتوعد اذ ذرهم فى غمرتهم أى غيبتهم وضلالهم حتى حين أى حين حينهم
 وهلاكهم كما قال تعالى فهل الكافرين أمهلهم زيدا وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقوله
 أحسبون اننا نمددهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون يعنى أيقظ هؤلاء المغرورون اننا نمددهم من الاموال
 (١) بقدر ح لبن عند فطره كذا بالنسخ التى بايدينا ولعل فيه سقطا والاصل يشر به عند فطره ونحو ذلك فخر وانظر اه

والاولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا كلاليس الامر كما يزعمون في قولهم نحن اكثر اموال اولادنا واما نحن بمعذبين لقد اخطوا في ذلك وخاب رجائهم بل انما فعل بهم ذلك استدراجا وانظارا واملأوا لهذا قال بل لا يشعرون كما قال تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا الآية وقال تعالى انما على لهم ليزدادوا انما وقال تعالى فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملئ لهم الآبة وقال ذرني ومن خلقت وحيدا الى قوله عنيد او قال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا نلني الامن آمن وعمل صالحا الآية (١٩) والآيات في هذا كثيرة قال قتادة في قوله

أيحسبون انما نسئدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون قال مكر والله بالقوم في اموالهم واولادهم يا ابن آدم فلا تعتبر الناس باموالهم واولادهم ولكن اعتبرهم بالايان والعمل الصالح وقال الامام احمد حدثنا محمد حدثنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم وان الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين الا لمن احب فن اعطاه الله الدين فقد احبه والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يا رسول الله قال عشمه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يحو السيئ بالسيئ ولكن يحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يحو الخبيث (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يؤمنون والذين هم برهيم يؤمنون والذين هم برهيم

عما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرء واضطروا الى اظهار ان لا مستند لهم سوى التقليد اى ما علمنا ولا راي بناه منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون فاقتدينا بهم انتهى قال الخازن وفي الآية دليل على ابطال التقليد في الدين وذمه ومدح الاخذ بالاستدلال انتهى وهذا الجواب هو العصى التي يتوكأ عليها كل عاجز ويمس بها كل أعرج ويعتبر بها كل مغرور وينخدع لها كل مخدوع فانك لو سألت الا ت هذه المقلدة للرجال التي طبقت الارض بطولها والعرض وقلت لهم ما الحجة لكم على تقليد فرد من افراد العلماء والاخذ بكل ما يتقوا به في الدين وينتدع من الرأى المخالف للدليل لم يجردوا غير هذا الجواب ولا فاهوا بسواه واخذوا يعدون عليكم من سبقهم الى تقليد هذا من ملانهم واقتدى بقوله وفعله وهم قدموا صدر وهم هيبة وضائق آذانهم عن تصورهم وظنونهم خسر أهل الارض وأعلمهم وأورعهم فلم يسمعوا الناصح نصحا ولا ادع الى الحق دعاء ولو فطنوا لرأوا انفسهم في غرور وعظيم وجهل شنيع وانهم كالبهيمة العمياء وأولئك الاسلاف كالعمى الذين يقودون البهائم العمى كما قال الشاعر

كبهيمة عمياء قاذر ما ماما * أعمى على عوج الطريق الخائر

فعلينا اياها العامل بالكتاب والسنة المبرمان التعصب والتعسف ان تورده عليهم حجج الله وتقييم عليهم برأيه فانه ربما انقاد لك منهم من لم يستحكم داء التقليد في قلبه وأما من قد استحكم في قلبه هذا الداء العضال فلما وردت عليه كل حجة وأقت عليه كل برهان لما أعارك الأذن اصما وعينا عمياء ولكنك قد قدمت بواجب البيان الذي أوجب عليك القرآن والهداية بيد الخلاق العليم انك لاتهدى من أحبيت ولكن الله يهدي من يشاء ولما قال هؤلاء المقلدة هذه المقالة (قال) الخليل عليه السلام (أقرأ أيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون) اى فهل ابصرتم وتفكرتم وتاملتم فعملتم ما كنتم تعبدون من هذه الاصنام التي لاتسمع ولا تنزع ولا تضر حتى تعلموا انكم على ضلالة وجهالة والرؤية هنا مستعملة في معناها الاصلى واليه تنحأ ابو السعود وصنيع الكاذرون يقتضى انها بمعنى اخبروني اى اخبروني عن حال ما كنتم تعبدون هل هو حقيق بالعبادة اولوا وهذا استهزاء بعبدة الاصنام والقضاء السببية فمبدأ ما بعد ها وهو العداوة سبب لطلب الاخبار عن حالهم فهى بمعنى اللام أى اخبروني عن حالها لانها عدوى كما صرح به الرضى في قوله اخرج

لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) يتول تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون أى هم مع احسانهم وایمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجاؤون من مكره بهم كما قال الحسن البصرى ان المؤمن جمع احسانا وشفقة وان المنافق جمع اساءة وأمنا والذين هم بايات ربهم يؤمنون أى يؤمنون باياته الكونية والشريعة كقوله تعالى اخبرنا عن مريم عليها السلام وصدقت بكلمات ربها وكنه أى ايقنت ان ما كان انما هو عن قدر الله وقضائه وما شرعه الله فهو ان كان امر اغما يحبه ويرضاه وان كان نهيا فهو مما يكرهه وبآياه وان كان خيرا فهو

نحو كما قال الله والذين هم برهم لا يشركون أى لا يعبدون معه غيره بل يوحده ويعلمون انه لا اله الا الله أحد احد الم يتصدقوا
ولا ولدوا وانه لا تطيره ولا كفله وقوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون أى يعطون العطاء وهم خائفون
وجلون ان لا يتقبل منهم خوفاً منهم ان يكونوا قد قصروا بالقيام بشروط الاعطاء وهذا من باب الاشفاق والاحتياط كما قال الامام
أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا مالك بن مغول حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة انها قالت يا رسول الله الذين يؤتون
ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذى يسرق ويزنى ويشرب الخمر (٢٠) وهو يخاف الله عز وجل قال لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين

يصلون ويصومون ويتصدقون وهم
يخافون أن لا يتقبل منهم أولئك
يسارعون في الخيرات وهكذا
رواه الترمذى وابن أبى حاتم من
حديث مالك بن مغول به بنحوه قال
الترمذى وروى هذا الحديث من
حديث عبد الرحمن بن سعيد عن
أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم نحو هذا وهكذا
قال ابن عباس ومحمد بن كعب
القرظى والحسن البصرى في تفسير
هذه الآية وقد قرأ آخرون هذه
الآية والذين يأتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة أى يفعلون ما يفعلهون وهم
خائفون وروى هذا من فروعها الى
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها
كذلك قال الامام أحمد حدثنا
عفان حدثنا سفيان بن عيينة
حدثنا اسمعيل المكي حدثنا أبو خلف
مولى بنى جميع انه دخل مع عبيد بن
عمير على عائشة رضيت الله عنها
فصالت مر حيا بأبي عاصم ما ينحك
ان تزورنا أو تلم بنا فقال أخشى
ان أهلك فقالت ما كنت لتفعل قال
جئت لا سألك عن آية من كتاب
الله عز وجل كيف كان رسول الله

منها فانك رجيم ثم اخبرهم بالبراءة من هذه الاصنام التى يعبدونها فقال (فانهم عدولى)
ومعنى كونهم عدواً له مع كونهم جادا انه ان عبدهم كانوا له عدواً يوم القيامة قال القراء
هذا من المقلوب أى فانى عدو لهم لان من عادته عادك واسند العداوة الى نفسه تعريضا
بهم وهو انفع في النصيحة من التصريح بان يقول فانهم عدو لكم والعدو كالصديق يطلق
على الواحد والمثنى والجماعة والمذكور والمؤنث كذا قال القراء قال علي بن سليمان من قال
عدو الله فائت الهاء قال هي بمعنى المعادية ومن قال عدو للمؤنث والجمع جعله بمعنى
النسب وقيل المراد بقوله فانهم عدولى آباؤهم الاقدمون لاجل عبادتهم للاصنام وربان
الكلام منسوق فيما عبدهوا لافى العابدين (الا) أى لكن (رب العالمين) ليس كذلك
بل هو ولي في الدنيا والآخرة لا يزال متفضلا على فيهما قال الزجاج قال التحويون هو
استثناء ليس من الاول واجاز الزجاج ايضا ان يكون من الاول على انهم كانوا يعبدون الله
عز وجل ويعبدون معه الاصنام فأعلمهم انه تبرأ مما يعبدون الا الله فانى عبده قال
الجراني تفديره افرأيت ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون الارب العالمين فانهم
عدولى فجعله من باب التقديم والتأخير وجعل الاعمى دون وسوى كقوله لا يذوقونها
الموت الموتة الاولى اى دون الموتة الاولى وقال الحسن بن الفضل ان المعنى الامن عبد
رب العالمين ثم وصف رب العالمين بقوله (الذى خلقني فهو يهدين) اى يرشدنى الى مصالح
الدين والدنيا وطريق النجاة وقد وصف الخليل ربه بما يستحق العبادة لاجله فان الخلق
والهداية والرزق الذى يدل عليه قوله (والذى هو بطعمنى ويسقنى واذا مرضت فهو
يشفينى) ودفع المرض وجلب نفع الشفاء والامانة والاحياء والمغفرة للذنوب كلها نعم يجب
على المزمع عليه بعضها فضلا عن كلها ان يشكر المنعم بجميع انواع الشكر التى اعلاها
واولاها العبادة ودخول هذه الضمائر في صدور هذه الجمل للدلالة على انه الفاعل لذلك دون
غيره واسند المرض الى نفسه دون غيره من هذه الافعال المذكورة رعاية واستعمال الادب
مع الرب كما قال الخضر فارقت ان اعينها وقال فاراد ربك ان يلعن أشدهما والا فالمرض
والشفاء من الله سبحانه (والذى عيبتنى ثم يحيينى) المراد بالاحياء البعث ولهذا عطف هنا
بتم خلاف ما قبله لاتساع الامر بين الامانة والاحياء لان المراد به الاحياء فى الآخرة
وحذف الياء من هذه الافعال لكونها رؤس الآى وقرئ كلها بابايات الياء وانما قال

صلى الله عليه وسلم يقرؤها قالت آية آية قال الذين يؤتون ما آتوا والذين يأتون ما أتوا فقالت آية ما أحب

عليه
ذلك فقلت والذى نفسى بيده لا حدهم أحب الى من الدنيا جميعا وأول الدنيا ما فيها قالت وما هى فقلت الذين يأتون ما أتوا فقالت
أشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرؤها وكذلك أنزات ولكن الهجاء حرف فيه اسمعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف
والمعنى على القراءة الاولى وهى قراءة الجمهور والسبعة وغيرهم أظهر لانه قال أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون فجعلهم
من السابقين ولو كان المعنى على القراءة الاخرى لا وشك أن لا يكونوا من السابقين بل من المقتصدى بن أو المقصرين والله اعلم

(ولا تكلف نفسا الا وسعها اولد بنا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم في غمر من هذا اولهسم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا متر فيهم بالعذاب اذا هم يجارون لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكسون مستكبرين به سامر اتهجرون) يقول تعالى مخبرا عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا انه لا يكلف نفسا الا وسعها أى الاما تطيق حمله والقيام به وانه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شئ ولهذا قال اولد بنا كتاب ينطق بالحق يعنى كتاب الاعمال وهم لا يظلمون (٢١) أى لا يعضون من الخير شأوا أما السيات

فيعفو ويصفح عن كثير منها العبادة المؤمنين ثم قال منكرا على الكفار والمشركين من قريش بل قلوبهم في غمرة أى في غفلة وضلالة من هذا أى القرآن الذى أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ولهم أعمال أى سيئة من دون ذلك يعنى الشرك وهم لها عاملون قال لابدان يعملوها وكذا روى عن مجاهد والحسن وغير واحد وقال آخرون ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أى قد كتبت عليهم أعمال سيئة لابدان يعملوها قبل موتهم لا محالة لتحق عليهم كلمة العذاب وروى نحو هذا عن مقاتل بن حيان والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ظاهر قوى حسن وقد قدمنا في حديث ابن مسعود فوالذى لا اله غيره ان الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وقوله حتى اذا أخذنا متر فيهم

عليه السلام (والذى اطمع ان يغفر لخطيئتي) هضم النفس وتعليل الامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطاب ان يغفر لهم ما يفرط منهم وتكرير الموصول في المواضع الثلاثة المعطوفة للابان بان كل واحد من تلك الصلوات نعت جليل مستقلة في ايجاب الحكم قبل ان الطمع هنا يعنى اليقين في حقه وبعنى الرجاء في حق سواء وقرئ خطاى اى لانها ليست خطيئة واحدة قال النحاس خطيئة بمعنى خطاى اى كلام العرب قال مجاهد يعنى بخطيئته قوله بل فعلة كبيرهم هذا وقوله انى سقيم وقوله ان سارة أخته زاد الحسن وقوله للكوكب هذاربى وحكى الواحدى عن المفسرين انهم فسر الخطاى بما فسر بها مجاهد قال الزجاج الانبياء بشرو ويحوزان تقع عليهم الخطيئة الامة لا تكون منهم الكبيرة لانهم معصومون (يوم الدين) أى يوم الجزاء بالعباد بأعمالهم ولا يخفى ان تفسير الخطاى بما ذكره مجاهد من معناه ضعيف فان تلك معار يض وهى أيضا انما صدرت عنه بعد هذه المقابلة الجارية بينه وبين قومه وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين أكان ذلك نافعا له قال لا ينفعه انه لم يقل يوم ارب اغفر لى خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من ابراهيم على قوله انه لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال ثم لما فرغ الخليل من الشاع على ربه والاعتراف بنعمه وفنون الطافه الفائضة عليه من حضره الحق من مبدأ خلقه الى يوم بعثه جلد ذلك على مناجاته تعالى فعبه بالدعاء لى بقدي به غيره فى ذلك فقال (رب هب لى حكا) المراد بالحكم الكمال فى العلم والنهم والعمل به تعدبه خلافة الحق ورياسة الخلق وقيل النبوة والرسالة وقيل المعرفة بحمد ودالله وأحكامه (وألحقنى بالصالحين) يعنى بالبين قبلى فى العمل الصالح وقيل بأهل الجنة أى فى درجاتهم قاله ابن عباس والاول أولى ولقد أجابه تعالى حيث قال وانه فى الآخرة لمن الصالحين (واجعل لى لسان صدق فى الآخريين) أى اجعل لى ثناء حسنا وذكرا جيلا وجاها وصيتا وقبولا عاما فى الامم الآخريين الذين يأتون بعدى فى الدنيا يقرى أثره الى يوم القيامة قال القتيبي وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لان القول يكون بها وقد نكثى العرب بها عن الكلمة وقد أعطى الله سبحانه ابراهيم ذلك بقوله وتركنا عليه فى الآخريين وأجاب دعاه فان كل أمة تتسلق به وتعظمه وكل أهل الاديان يتولونه ويشنون عليه خصوصا هذه الامة وخصوصا فى كل تشهد من

بالعذاب اذا هم يجارون يعنى حتى اذا جاء متر فيهم وهم المنعمون فى الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم اذا هم يجارون أى يصرخون ويستغيثون كما قال تعالى ذرني والمكذبين أولى النعمتهم لهم قلسان لانا انكالا وبجيمنا الآتية وقال تعالى وكم أهل كامن قبلهم من قرن فنادوا اولات حين مناص وقوله لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون أى لا يجيركم أحد مما حل بكم سواء جارتكم أو سكتكم لا محسدا ولا مناص ولا وزلزم الامر ووجب العذاب ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكسون أى اذا دعيتم أيستتم وان طلبتم استغتم ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان بشر لى به تؤمنوا

فالحكم لله الغلي الكبير وقوله مستكبرين به سامر اتمجرون في تفسيره قولان احدهما ان مستكبرين حال منهم حين نكوصهم عن الحق وابائهم اياه استكبار عليه واحتقار الله ولا الهه فعلى هذا الضمير في به فيه ثلاثة اقوال أحدها انه الحرم أى مكة ذموا لانهم كانوا يسلمون فيه بالهجر من الكلام والثاني انه ضمير للقرآن كانوا يسلمون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام انه سحرانه شعر انه كهانة الى غير ذلك من الاقوال الباطلة والثالث انه محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يذكرونه في سمرهم بالاقوال الفاسدة ويضربون له الامثال الباطلة (٢٢) من انه شاعرا وكاهن أو ساحر أو كذاب أو مجنون فكل ذلك باطل بل هو

عبد الله ورسوله الذي أظهره الله عليهم وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء وقيل المراد بقوله مستكبرين به أى بالبيت يفخرون به ويعتقدون انهم أولياؤه وليسوا به كما قال النسائي في التفسير من سننه أخبرنا أحمد بن سليمان أخبرنا عبيد الله عن اسراييل عن عبد الاعلى انه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس انه قال انما كره السمر حين نزلت هذه الآية مستكبرين به سامر اتمجرون فقال مستكبرين بالبيت يقولون نحن أهله سامرا قال كانوا يتكبرون ويسلمون فيه ولا يعصرونه ويهجرونه وقد أطنب ابن أبي حاتم ههنا بما هذا حاصله (أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون أم تسألهم خراجا فخراج ربك خير وهو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم

تشهدات الصلوات وقال مكي قيل معنى سؤاله ان يكون من ذرية في آخر الزمان من يقوم بالحق فاجبت دعوته في محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتكون الآية على تقدير مضاف أى صاحب لسان صدق وهو مجاز من اطلاق الجزء على الكل لان الدعوة باللسان ولا وجه لهذا التخصيص والتكلف وقال القشيري أراد الدعاء الحسن الى قيام الساعة ولا وجه لهذا أيضا فان لسان الصدق أعم من ذلك وعن ابن عباس فى الآية قال اجتمع أهل الملل على ابراهيم فامسأمة الاوهى تحبه وتثنى عليه (واجعلنى) وارثا (من ورثة جنة النعيم) أى مندرج فيهم ومن جلتهم أى ممن يعطاها بلا تعب ومشفقة كالارث الحاصل للانسان من غير تعب واطافة الجنة الى النعيم من اضافة المحل للخال فيه ولما طلب عليه السلام بالدعوة الاولى سعادة الدنيا طلب بهذه الدعوة سعادة الآخرة وهى جنة النعيم قيل وجعلها ما يورث تشبيها الغنمة الآخرة بغنمة الدنيا وقد تقدم تفسير معنى الوارثة فى سورة مريم (واغفر لى) كان أبوه قد وعد انه يؤمن به فاستغفر له فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وقد تقدم تفسيره هذا مستوفى فى سورة التوبة وسورة مريم وعن ابن عباس قال امن على بنو به يستحق بها مغفرتك (انه كان من الضالين) أى من المشركين الضالين عن طريق الهداية وكان زائدة على مذهب سيبويه كما تقدم فى غير موضع (ولا تخزنى يوم يعثون) أى لا تفضخنى على رؤس الاشهاد بمعانيبى أو بمعاقبى على ما فرطت أو لا تعذبى يوم القيامة وقال ذلك خلفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا أو المعنى لا تخزنى بتعذيب أى أو يعينه فى جلة الضالين أو بنقص رتبى عن رتبة بعض الوراث والاخرء يطلق على الخزى وهو الهوان وعلى الخزية وهى الحمياء أى الاستحياء أخرج البخارى وغيره من حديث أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال يلقى ابراهيم اياه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم أقفل لك لاتعصنى فيقول أبوه فاليوم لا اعصيك فيقول ابراهيم رب انك وعدتنى ان لا تخزنى يوم يعثون فأى خزى أخرى من أبى الابعد فيقول الله انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقول ماتحت رجلك يا ابراهيم فاذا بذخ متلطف فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار والذبح هو الذكر من الضباع فكانه حوت آزر الى صورة ذبح وقد أخرج النسائي باطول من هذا (يوم لا ينفع) فيه (مال ولا بنون) أحد من الناس والابن هو أخص القرابة وأولاهم بالحماية والدفع والنفع فاذا لم ينفع

وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا يكون ولورجنهم فغيره وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون) يقول تعالى سنكرا على المشركين فى عدم تفهمهم للقرآن العظيم وتدبرهم له واعراضهم عنه مع انهم قد خصوا بهذا الكتاب الذى لم ينزل الله على رسول أكمل منه ولا أشرف لاسما بما آتاهم الذين ما اتوا فى الجاهلية حيث لم يبلغهم كتاب ولا آتاهم نذير فكان اللاتق بهؤلاء ان يقابلوا النعمة التى أسداها الله عليهم بقبولها والقيام بشكرها وتفهمها والاهل بعقضاها آناه الليل وأطراف النهار كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى

عنهم وقال قتادة أفلم يذبروا القول إذا والله يجدون في القرآن زاجرا عن معصية الله لو تذبره القوم وعقلوه ولكنهم أخذوا بما تشابه
 فهل سكو عند ذلك ثم قال منكرا على الكافرين من قريش أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أي أفهم لا يعرفون محمد أو صدقه
 وأماته وصيافته التي نشأ بها فيهم أي أفقدرون على انكار ذلك والمباهة فيه ولهذا قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي
 ملك الحبشة أيها الملك إن الله بعث فينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأماته وهكذا قال المغيرة بن شعبة لنايب كسرى حين بارزهم
 وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب لملك الروم هرقل حين (٢٣) سأله وأصحابه عن صفات النبي صلى الله

عليه وسلم ونسبه وصدقه وأماته
 وكانوا بعد كفتار لم يسلموا ومع هذا لم
 يمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك
 وقوله أم يقولون به جنة يحكي قول
 المشركين عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه تقول القرآن أي
 افتراه من عنده أو أن به جنونا لا يدري
 ما يقول وأخبر عنهم أن قلوبهم
 لا تؤمن به وهم يعلمون بطلان
 ما يقولونه في القرآن فانه قد أتاهم
 من كلام الله ما لا يطاق ولا يدافع
 وقد تحداهم وجميع أهل الأرض
 ان يأبوا بمثله ان استطاعوا ولا
 يستطيعون أبداً وللهذا قال
 بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق
 كارهون يحتمل ان تكون هذه جملة
 حاوية أي في حالة كراهة أكثرهم
 للحق ويحتمل ان تكون خبرية
 مستأنفة والله أعلم وقال قتادة
 ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه
 وسلم لقي رجلا فقال له أسلم فقال
 الرجل انك لتدعوني الى أمرأ ناله
 كاره فقال نبي الله صلى الله عليه
 وسلم وان كنت كارهاً وذكرك لنا انه
 لقي رجلا فقال له أسلم فتصعده ذلك
 وكبر عليه فقال له نبي الله صلى الله

فغيره من القرابة والاعوان بالاولى وقال ابن عطية ان هذا وما بعده من كلام الله وهو
 ضعيف والظاهر انه من كلام ابراهيم (الامن أي الله بقلب سليم) قيل هو استثناء منقطع
 أي لكن من أي الله قال في الكشاف الامال من أي الله فقد مر صافاً محذوفاً قال أبو
 حيان ولا ضرورة تدعو الى ذلك وقيل ان هذا الاستثناء بدل من المفعول المحذوف
 أو مستثنى منه اذ التقدير لا يتفجع مال ولا نون أحد من الناس الامن كانت هذه صفة
 ويحتمل ان يكون بدلا من فاعل يتفجع فيكون مرفوعاً قال أبو البقاء فيكون التقدير
 الامال من أي ونوم فانه يتفجع وهذا الماضي بمعنى المضارع وكذا يقال في قوله وأرأيت
 وبرزت وقيل وككبوا وقالوا واختلف في معنى القلب السليم فقيل السليم من الشرك فأما
 الذنوب فليس يسلم منها أحد قاله أكثر المفسرين وقال سعيد بن المسيب السليم الصحيح
 وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمتناقض مرض قال تعالى في قلوبهم مرض وقيل هو
 القلب الخالي عن البدعة المطمئن الى السنة وقيل السالم من آفة المال والبنين وقال
 الضعفاء السليم الخالص وقال الجنيد رحمه الله السليم في اللغة اللديغ فعناه انه قلب
 كاللديغ من خوف الله تعالى وهذا تحريف وتعكيس لمعنى القرآن قال الرازي أصح
 الاقوال ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاخلق الرذيلة وقال ابن عباس
 بشهادة أن لا اله الا الله وقد صوب الجليل استثناء الجليل اكرامه ثم جعله صفة له في قوله
 وان من شيعته لابراهيم اذ جاء به بقلب سليم قال النسفي وما أحسن ما رتب عليه
 السلام من كلامه مع المشركين حيث سألهم ألا عما يعبدون سؤال مقرر لاستمعتهم ثم
 أقبل على آلهتهم فأبطل أمرها بانها لا تنفع ولا تضر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم
 الاقدمين فأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه
 دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله تعالى فغظم شأنه وعدده نعمه من حين انشائه الى وقت
 وفاته مع ما يرجي في الآخرة من رحمة ثم أتبع ذلك ان دعا بدعوات الخلقين وابتهل اليه
 ابتهاج الادب ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ
 من الندم والخسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتبني الكفرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا
 انتهى (وأرأيت الجنة للمتقين) أي قربت وأذيت لهم ليدخلوها وبجيت يشاهدونها
 من الموقف ويقفون على ما فيهم من فنون المحاسن فيمتدحون بانهم المحشورون اليها

عليه وسلم أرايت لو كنت في طريق وعروعت فلقيت رجلا تعرف وجهه ونسبه فدعاه الى طريق واسع سهلأ كنت تتبعه قال نعم
 قال فوالذي نفس محمد بيده انك لفي أوعر من ذلك الطريق لو قد كنت عليه وانى لدعوك لاسهل من ذلك لو دعيت اليه وذكرك لنا ان
 نبي الله صلى الله عليه وسلم لقي رجلا فقال له أسلم فتصعده ذلك فقال له نبي الله صلى الله عليه وسلم أرايت لو كان لك قتيان أحدهما
 اذا حدثك صدقك واذا اتهمته أدى اليك أهو أحب اليك أم فمالك الذي اذا حدثك كذبك واذا اتهمته خانك قال بل فتأى الذي
 اذا حدثني صدقني واذا اتهمته أدى الى فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم كذا كم أنتم عند ربكم وقوله ولو اتبع الحق أهواءهم

لفسدت السموات والارض ومن فيهن قال مجاهد وأبو صالح والسدي الحق هو الله عز وجل والمراد لو أجابهم الله الى ما في أنفسهم من الهوى وشرع الامور على وفق ذلك لفسدت السموات والارض ومن فيهن أي لفساد أهوائهم واختلافها كما أخبر عنهم في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ثم قال أمهم بقسمون رجعة ربك وقال تعالى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لامسكم خشية الانفاق الآية وقال أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نفسيرا في هذا كله تبين بحج العباد واختلاف آرائهم وأهوائهم وأنه تعالى (٢٤) هو الكامل في جميع صفاته وأقواله وأفعاله وشرعه وقدره وتديره خلقه

تعالى وتقدس فلا اله غيره ولا رب سواه ولهذا قال بل أتيناهم بذكرهم أي القرآن فهم عن ذكرهم معرضون وقوله أم تسألهم خرجا قال الحسن أجزا وقال قتادة جمع لا يخرج ربك خيرا أي أنت لا تسألهم أجرة ولا جعلا ولا شيئا على دعوتك إياهم الى الهدى بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه كما قال قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الاعلى الله وقال قل ما سألتكم عليه من أجر وما أنا من المتكفنين وقال قل لا أسألكم عليه أجر الا المودة في القربى وقال وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وقوله وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا جاد بن سلمة عن علي بن زيد بن جلعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه فيمباري النائم ملكا فعدأ حدهما عند

وقال الزجاج قرب دخولهم اياها ونظرهم اليها (وبرزت الخيم للغاوين) أي جعلت بارزة لهم والمراد بهم المكافرون الضالون عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى والمعنى انها أظهرت بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم موافعوها ولا يجحدون عنها مخرقا وقيل أظهرت قبل ان يدخلوها ليستدحزن الكافرين ويكثر سرور المؤمنين وقري برزت على البناءين (وقيل لهم) على سبيل التوبيخ (أي في أي مكان) كنتم تعبدون من دون الله من الاصنام والانداد وهذا سؤال تبيكت لا يتوقع له جواب (هل ينصرونكم) فيدفعون عنكم العذاب (أو ينتصرون) يدفعه عن أنفسهم وهذا كله توبيخ وتقريع لهم (فككبوا فيها) أي القوا في جهنم على رؤسهم وقيل قلبوا على رؤسهم وقيل ألقى بعضهم على بعض وقيل جمعوا قاله ابن عباس مأخوذ من الككببة وهي الجماعة قاله الهروي وقال النحاس هو مشتق من كوكب الشيء وهو معظمه والجماعة من الخيل كوكب وكببة وقيل دهده هو وهذه المعاني متقاربة والكببة تكرير الكب وهو اللقاء على الوجه جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه اذا ألقى في جهنم ينكب مرة اثره حتى يستقر في قعرها نعوذ بالله منها وأصله كبوايا من الاولى مشددة من حرفين فابدل من الباء الوسطى الكاف وقد رجح الزجاج ان المعنى طرح بعضهم على بعض ورجح ابن قتيبة ان المعنى ألقوا على رؤسهم وقيل أنكسوا وقيل الضمير في ككبوا القريش (هم) أي الآلهة المعبودون والاصنام (والغاوون) أي العابدون لهم وقيل الجن والكافرون وقال ابن عباس مشرك والعرب والآلهة (وجنود ابليس) أي شياطينه الذين يغوون العباد من الانس والجن وقيل ذريته وأبناؤه وقيل كل من يدعو الى عبادة الاصنام (أجمعون) تأكيد للضمير في ككبوا وما عطف عليه (قالوا) أي الغاوون (وهم) أي حال كونهم (فيما يختصمون) مع معبوديهم مستأنفة كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل ومقول القول (تالله ان كنا) أي ان الشأن كوننا (لئى ضلال مبين) واضح ظاهر والمراد بالضلال هنا الخسار والتبarr والحيرة عن الحق ويجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاويل والخصام أو يجري ذلك بين العاصاة والشياطين (اذنسونكم) العامل في الظرف هو كونهم في الضلال وقيل العامل هو الضلال وفيه ضعف وقيل ظرف لمبين وقيل

ما

رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه اضرب مثل هذا ومثل أمته فقال ان

مثل هذا ومثل أمته كمثل قوم سفر انتم والى رأس مفازة فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به فينيهاهم كذلك اذا ناهم رجلا في حلة حبرة فقال أرايتم ان أوردتكم رياضاً معشبة وحياضاروا تتبعوني فقالوا نعم قال فانطلق بهم وأوردتهم رياضاً معشبة وحياضاروا فإكلوا وشربوا وسموا فقال لهم ألم أفكمم على تلك الحال فجعلتم لي ان وردت بكم رياضاً معشبة وحياضاروا ان تتبعوني قالوا بلى قال فان بين ايديكم رياضاً معشبة وحياضاروا هي أروى من هذه فاتبعتوني قال

فقال طائفة صدق والله لتبغنه وقالت طائفة قدر ضينا بهذا نقيم عليه وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا زهير حدثنا
يونس بن محمد حدثنا يعقوب بن عبد الله الأشعري حدثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ممسك بججزكم عن النار وتغلبوني تقاجون فيها تقاحم الفراش
والجنادب فأوشك ان أرسل ججزكم وأنا فرطكم على الحوض فتدرون على معا واشتاتنا أعرنكم بسمياكم وأسمائكم
كما يعرف الرجل الغريب من ابل في ابله فيذهب بكم ذات (٢٥) الشمال فأناشد فيكم رب العالمين

أي رب قومي أي رب أمتي فيقال
يا محمد انك لا تدري ما أحدثوا
بعدك انهم كانوا يشون بعدك
القهقري على أعتابهم فلا عرفن
أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل
شاة لها نغاء ينادي يا محمد يا محمد
فأقول لأملكك من الله شيئا فند
قد بلغت ولا عرفن أحدكم يأتي
يوم القيامة يحمل بعيراه رغاء
ينادي يا محمد يا محمد فأقول لأملكك
شيئا قد بلغت ولا عرفن أحدكم
يأتي يوم القيامة يحمل فرسها
جمعمة فينادي يا محمد يا محمد فأقول
لأملكك شيئا قد بلغت ولا عرفن
أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل
سقاء من آدم ينادي يا محمد يا محمد
فأقول لأملكك شيئا قد بلغت
وقال علي بن المديني هذا حديث
حسن الاسناد الان حفص بن
حميد مجهول لأعلم روى عنه غير
يعقوب بن عبد الله الأشعري
العمي قلت بل قدر روى عنه أيضا
أشعث بن اسحق وقال فيه يحيى
ابن معين صالح ووثقه النسائي
وابن حبان وقوله وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط

ما يدل عليه الكلام كأنه قيل ضلنا وقت تسويتنا لكم في العبادة (رب العالمين) الذي
أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم وقال الكوفيون ان ان في ان كانا فيمة واللام بمعنى
الأي ما كالأفي صلال مبين والاول أولى وهو مذهب البصريين وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة الماضية (وما أضلنا) عن الهدى (الاجرمون) يعني من دعاهم الى
عبادة الاصنام من الجن والانس والشياطين وقيل رؤسأوهم الذين أضلهم وقيل
ابليس وجنوده وابن آدم والاول وهو قائل وهو اول من سن القتل وأنواع المعاصي وقيل
من سن الشرك وقيل الاولون الذين اقتديا بهم (فالتامن شافعين) يشفعون لنا من
العذاب كالللمؤمنين من الملائكة والنبين والمؤمنين (ولا صديق حليم) أي ذى قرابة
والحليم القريب الذي تودّه ويودك وجمع الشفعااء ووجد الصديق لما تقدم غير مره أنه
يطلق على الواحد والاثنين والجماعة والمذكور والمؤنث أولئك الكثرة الشفعااء في العادة وقلة
الصديق لان الصديق الصادق في ودادك الذي يهمله ما همك قليل وسئل حكيم عن
الصديق فقال اسم لامعنى له وقيل اسم بلا مسمى والنبي ههنا يحتمل نفي الصديق من أصله
أونبي صفته فقط أولان الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعااء والحليم مأخوذ
من حامة الرجل أي خاصته وأقربائه ويقال حم الشيء وأحم اذا قرب ومنه الحى لانه
يقرب من الاجل وقال علي بن عيسى انما سمي القريب حميما لانه يحمي لغضب صاحبه
فجعله مأخوذا من الحمية وقيل من الاحتمام بمعنى الاهتمام الذي يهمله ما يملك فانه
الزنجشري (فلو أن لنا كرة) هذا منهم على طريق التمني الدال على كمال التحسر كأنهم
قالوا فليت لنا كرة أي رجعة الى الدنيا وجواب التمني (فمنكون من المؤمنين) أي نصير
من جملتهم حتى تحمل لنا الشفاعة كما حلت لهؤلاء (ان في ذلك) أي ما تقدم ذكره من نبأ
ابراهيم وقصة قوم (لاية) أي عبرة وعلاية وحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها
ويعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتقطن المتأمل فيها الغزارة عمله لما
فيها من الاشارة الى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم
وحسن مخالفتهم وكال اشفاقه عليهم وتصوير الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد
على سبيل الحكاية تعريضهم وايضا ظاهرا لكون ادعى الى الاستماع والقبول والتسوية
في آية يدل على التعظيم والتعظيم (وما كان أكثرهم مؤمنين) أي أكثر هؤلاء الذين يتلو

(٤ - فتح البيان سابع) لنا كبون أي لعادلون حارون معروفون تقول العرب نكب فلان عن الطريق اذا زاغ عنها وقوله
ولورجناهم وكشفنا ما بهم من ضر الجوا في طغيانهم بعمهون يخبر تعالى عن غلظتهم في كفرهم بانفلوا نواح عنهم الضر وأفهمهم
القرآن لما اتقادوا ولا ستمواعلى كفرهم وعنادهم وطغيانهم كما قال تعالى ولوعلم الله فيهم خبير الاممهم ولو أنهم لتولوا وهم
معرضون وقال ولوترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نزولنا تكذبنا بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدلهم ما كانوا يخفون من
قبل ولوردوا العادوا المانها عنه الى قوله بمبعوثين فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون لو كان كيف يكون قال الضحالك عن ابن عباس

كلماته لو فهو ما لا يكون أبداً (ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لهم وما يتضرعون حتى إذا فتحنا عليهم باباً من بعد آذناهم فيه مبلسون وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافتدة قليلاً ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الأرض واليه ترجعون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أنذامتنا وكاترايا وعظاما أننا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآبائناهم منذ ان قبل ان هذا الأساطير الاولين) يقول تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب أي ابتليناهم بالمصائب والشدائد فما استكانوا (٢٦) لهم وما يتضرعون أي فاردتهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والخلافة

بل استمروا على غيرهم وضلالهم ما استكانوا أي ما خشعوا وما يتضرعون أي مادعوا كما قال تعالى فلولا ان جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن حزمة المروزي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبي عن يزيد يعني النخعي عن عكرمة عن ابن عباس انه قال جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلمز يعني الوبر والدم فأرسل الله ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا الآية وهكذا رواه النسائي عن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين عن أبيه وأصله في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش حين استعصوا فأتى اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا عبد الله بن ابراهيم عن عمر بن كيسان حدثني وهب بن عمرو بن كيسان قال حبس وهب بن منبه فقال له رجل

عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبأ ابراهيم وهم قريش ومن دان بدينهم وقيل وما كان أكثر قوم ابراهيم مؤمنين وهو ضعيف لانهم كلهم غير مؤمنين (وان ربك لهُوَ العزيز) القاهر لاعدائه (الرحيم) بأوليائه أو الرحيم للاعداء بتأخير عقوبتهم وترك معاجلتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) أنت الفعل لكونه مسندا الى قوم وهو في معنى الجماعة أو الامة أو القبيلة وفي المصباح القوم يذكرو يؤثون وكذا كل اسم جمع لا واحد له من لفظه فهو رط ونفرو وأوقع التكذيب على المرسلين وهم لم يكذبوا الا الرسول المرسل اليهم لان من كذب رسولا فقد كذب الرسل لان كل رسول يأمر بتصديق غيره من الرسل وقيل كذبوا في الرسالة وكذبوه فيما أخبرهم به من محبي المرسلين بعده أولادهم لطلول لبثه فيهم كأنه رسل (اذ قال لهم أخوهم نوح) أي أخوهم من أيهم لأخوهم في الدين وقيل المراد اخوة المجاسمة وقيل هو من قول العرب يا أخا بني ثعلبة بن قيس من أيهم من أيهم (الأتقون) الله بترك عبادة الاصنام وتجييبون رسوله الذي أرسل اليكم (انني لكم رسول أمين) فيما بلغكم عن الله وقيل أمين فيما بينكم فانهم كانوا قد عرفوا أممته وصدقته (فاتقوا الله) أي اجعلوا طاعة الله وقاية لكم من عذابه (وأطيعوا) فيما أمركم به عن الله من الايمان به وترك الشرك والقيام بفرائض الدين تصديرا لقصص الخس بالحث على التقوى يدل على أن البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفهمين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدينية والاعراض الدنيوية (وما سألكم عليه من أجر) أي ما أطلب منكم أجر على تبليغ الرسالة ولا أطمع في ذلك منكم ومن زائدة في المفعول (ان أجرى) أي ما ثوابي الذي أطلبه وأريده (الاعلى رب العالمين) لا على غيره وكر قوله (فاتقوا الله وأطيعوا) للتأكيدهم والتقرير في النفوس مع كونه علق كل واحد منهم ما بسبب وهو الامانة في الاول وقطع الطمع في الثاني ونظيره قولك ألتقي الله في عقوقى وقدر بيتك صغيرا ألتقي الله في عقوقى وقد علمت كبر او قدم الامر بتقوى الله على الامر بطاعته لان تقوى الله علة طاعته (قالوا أنؤمن لك) الاستفهام للانكار أي كيف تتبعك ونصدق لك ونؤمن بك (و) الحال ان قد (اتبعت الارذلون) جمع أرذل وجميع التكسير أرذل والاثني رذلاء وهم الاقلون جاهوا وما لا الرذالة الخسة والذلة

من الانبياء لأنشدك بيتا من شعرياً بأعبد الله فقال وهب نحن في طرف من عذاب الله والله يقول ولقد استرذلواهم أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لهم وما يتضرعون قال وصام وهب ثلاثاً متواصلة فقبل له ما هذا الصوم يا أبا عبد الله قال أحدث لنا فحدثنا يعني أحدث لنا الحبس فأحدثنا زيادة عبادة وقوله حتى إذا فتحنا عليهم باباً إذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون أي حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة فأخذهم من عذاب الله ما لم يكونوا يحتسبون فعد ذلك ألبسوا من كل خير وأيسوا من كل راحة وانقطعت آمالهم ورجاؤهم ثم ذكر تعالى نعمه على عباده في ان جعل لهم السمع والابصار والافتدة وهي العقول والفهوم

التي يدركون بها الاشياء ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانيته وانه الصاعل المختار لما يشاء وقوله قليلا ما تشكرون أي ما أقل شكركم لله على ما أكرمكم به عليكم كقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر في برئه الخليفة وذريته لهم في سائر أقطار الارض على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ثم يوم القيامة يجمع الاولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم فلا يترك منهم صغيرا ولا كبيرا ولا ذكرا ولا أنثى ولا جليلا ولا حقيرا الا أعاده كما بدأه ولهذا قال وهو الذي يحيي ويميت أي يحيي الرمم ويميت الامم وله اختلاف (٢٧)

والليل والنهار أي وعن أمره تسخير الليل والنهار كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا يتعاقبان لا يفتران ولا يفترقان بزمان غيرهما كقوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار الآية وقوله أفلا تعقلون أي أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم الذي قد قهر كل شيء وعز كل شيء وخضع له كل شيء ثم قال نخبرا عن منكري البعث الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أنذامتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون يعني يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم الى البلى لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الأساطير الاولين يعنون الاعادة محال انما يخبرهم ان تلقاها عن كتب الاولين واختلافهم وهذا الانكار والتكذيب منهم كقوله اخبارا عنهم أنذامتنا كعظاما مخخرة قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وقال تعالى ولم ير الانسان انما خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام

استردلوهم لقله أموالهم وجاههم أو لاتضاع أنسابهم قال مجاهد الارذلون الحوا كون وقال قتادة سئل الناس وأراد لهم وقال ابن عباس يعني القافة وقيل هم الحاصكة والاسا كفة وقيل كانوا من أهل الصناعات الدينية والصناعة لاتذري بالديانة فالغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى ولا يجوز أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأضعفهم نسبا وما زالت أتباع الانبياء كذلك وانما يادروا والاتباع قبل الاغناء لاستيلاء الرياسة على الاغنياء وصعوبة الانفكاك منها والانتفاة عن الانتقاد للغير والفقير خلى من تلك الموانع فهو سريع الاجابة والانتقاد وهذا غالب أحوال أهل الدنيا وهذا من سخافة عقولهم وقصر رأيهم على حطام الدنيا حتى جعلوا اتباع المقلين من الدنيا مانعا من اتباعهم وجعلوا ايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه وقرئ أتباعك الارذلون قال النحاس وهي قراءة حسنة لان هذه الواو تتبعها الاسماء كثيرا وأتباع جمع تابع (قال وما علمي بما كانوا يعملون) كان زائدة والمعنى وما علمي بهم أي لم أكلف العلم بأعمالهم انما كانت أن أدعوهم الى الايمان والاعتبار به لا بالحرف والصنائع والفقرو الغنى وكانهم أشاروا بقولهم واتبعك الارذلون الى أن ايمانهم لم يكن عن نظر صحيح وانما التوقع مال ورفعة فأجابهم بهذا أي لم أفق على باطن أمرهم وانما وقفت على ظواهرهم وقيل المعنى اني لم أعلم ان الله سيهديهم ويضلهم ويوقفهم ويخذلهم ويرشدهم ويغويهم (ان حسابهم الاعلى ربى لو تشعرون) أي ما حسابهم والتفتيش عن ضمائرهم وأعمالهم الاعلى الله لو كنتم من أهل الشعور والفهم ما عبرتوهم بصنائعهم وقرئ يشعرون بالتحسية كأنه ترك الخطاب للكفار والتفت الى الاخبار عنهم قال الزجاج والصناعات لاتصرف في باب الديانات وما أحسن ما قال (وما أناب طراد المؤمنين) هذا جواب من نوح على ما ظهر من كلامهم من طلب الطرد لهم (ان أنا الانذير مبين) أي ما أنا الانذير موضع لما أمرني الله سبحانه ببلاغه اليكم وهذه الجملة كالعلة لما قبلها (قالوا انتم لم تنته يا نوح) أي ان لم تتكلم عبيدنا وسب آهتنا (اتكوزن من المرجومين) بالحجارة وقيل من المشتمين وقيل من المقتولين فعدلوا بعد تلك المحاوراة بينهم وبين نوح الى التبر والتوعد فلما سمع نوح قولهم هذا (قال رب انقضهم كذبون) أي أصروا وسبوا على تكذيبي بعد مادعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يسعوا قولى ولا أجابوا دعائى وانما قال هذا اظهارا

وعى رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الآيات (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل من يده ملكوت كل شيء وهو جبر ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسبحون بل أنبأهم بالحق وانهم لكاذبون) يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد الى انه الله الذي لا اله الا هو ولا تنبغى العبادة الا له وحده لا شريك له ولهذا قال رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين العابدون معه غيره المعترفون له بالربوبية وانه لا شريك له فيها ومع هذا فقد أشركوا به

في الالهية فعبدوا غيره معه مع اعترافهم ان الذين عبدوهم لا يخلقون شيئا ولا يملكون شيئا ولا يستبدون بشئ بل اعترفوا انهم يقر بونهم اليه زاني ما عبدوهم الا ليقربوا الى الله زاني فقال قل لمن الارض ومن فيها أي من مالكتها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمار وسائر صنوف المخلوقات ان كنتم تعلمون سيقولون لله اي فعبتفون لك بان ذلك لله وحده لا شريك له فاذا كان ذلك قل أفلا تذكرون انه لا تنبغى العبادة الا للخالق الرازق لاغيره قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم أي من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات (٢٨) والملائكة الخاضعين له في سائر الاقطار منها والجهات ومن هو رب العرش

العظيم يعني الذي هو سقف المخلوقات كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال شأن الله اعظم من ذلك ان عرشه على سمواته هكذا وأشار يده مثل القبعة وفي الحديث الآخر ما السماوات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي الا حلقة ملقاة بارض فلاة وان الكرسي بما فيه بالنسبة الى العرش كذلك الحلقة في تلك الفلاة ولهذا قال بعض السلف ان مسافة ما بين قطري العرش من جانب الى جانب مسيرة خمسين ألف سنة وارتفاعه عن الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وقال الضحاک عن ابن عباس انما سمى عرشا لارتفاعه وقال الاعش عن كعب الاحبار ان السموات في العرش كالتقديس المعلق بين السماء والارض وقال مجاهد ما السماوات والارض في العرش الا حلقة في أرض فلاة وقال ابن ابي حاتم حدثنا العلامة سالم حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن عمار الذي عن مسلم البطين عن سعد بن جبیر عن ابن عباس قال العرش لا يقدر قدره أحد في رواية الا الله عز وجل وقال بعض السلف العرش من ياقوتة جراء الكلبی

لما يدعوا عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخوفهم له واستخفافهم به (فافتح بيدي وبينهم فتحا) الفتح الحكم أي احكم بيننا حكما يستحقه كل واحد منا أي أنزل العقوبة والهلاك وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح (ونجني ومن معي من المؤمنين) وكانوا ثمانين أربعون من الرجال وأربعون من النساء (فأنجيناه ومن معي من الفلك المشحون) أي السفينة المملوءة من الناس والحيوان والطير والشحن ملء السفينة بالناس والدواب والمتاع قال ابن عباس المشحون الممتلئ وعنه قال أندرون ما المشحون قلنا الا قال هو الموقر وعنه أيضا قال هو المنقل (ثم أغرقنا بعد) أي بعد انجائهم (الباقيين) من قومه (ان في ذلك لآية) أي علامة وعبرة عظيمة (وما كان أكثرهم مؤمنين) افهم انه لو كان نصفهم مؤمنين لما أخذوا (وان ربك له العزيز) أي القاهر لاعدائه والمتسم بما هانته من مجد وأصر (الرحيم) بأوليائه والمنعم باعانه من وحدوا وفر (كذبت عاد المرسلين) أثبت الفعل باعتبار اسناده الى القبيلة لان عاد اسم أبيهم الاعلى وكان من نسل سام بن نوح ومعنى تكذيبهم المرسلين مع كونهم لم يكذبوا الا رسولا واحدا قد تقدم وجهه في قصة نوح قريبا (اذ قال لهم أخوهم) نسا (هود) وكان ناجر ارجيل الصورة يشبه آدم وعاش من العمر أربع مائة وأربع وستين سنة (الأتقون) والكلام فيه كالكلام في قول نوح المتقدم قريبا وكذا في قوله (اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتبنون بكل ريع آية) الربيع المكان المرتفع من الارض جمع ربيعة يقال كم ربيع أرضك أي كم ارتفاعها قال أبو عبيدة الربيع الارتفاع جمع ربيعة وقال قتادة والضحاك والكلبي الربيع الطريق وبه قال مقاتل والسدي وابن عباس واطلاق الربيع على ما ارتفع من الارض معروف عند أهل اللغة وقيل الربيع الجبل واحد ربيعة والجمع أرباع وقال مجاهد هو الضج بين الجبلين وروى عنه انه النسمة الصغيرة وروى عنه أيضا انه المنطرة وقيل بروج الحمام وقال ابن الاعرابي الربيع الصوامة والربيع البرج يكون في الصحراء والربيع التل العالي وفي الربيع لغتان كسر الراء وقصها والاستفهام للتقريب والتوبيخ ومعنى الآية انكم أتبنون بكل مكان مرتفع بناء (تعبنون) بينائه وتعبون بالمارة وتضرون منهم لانكم تشرقون من ذلك البناء المرتفع على الطريق فتؤذون من يمر بكم وتضرون منهم وقال

ولهذا قال ههنا ورب العرش العظيم أي الكبير وقال في آخر السورة رب العرش الكريم أي الحسن البهي فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع والعلو والحسن الباهر ولهذا قال من قال انه من ياقوتة جراء وقال ابن مسعود ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه وقوله سيقولون لله قل أفلا تتقون أي اذا كنتم تعترفون بان رب السموات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره واشرا ككم به قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي العنينا القرشي في كتاب

التفكر والاعتبار خدشنا اسحق بن ابراهيم ان عبدا لله بن جعفر أخبرني عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدث عن امرأة كانت في الجاهلية على رأس جبل معها ابن لها يرعى غنما فقال لها ابنايا امه من خلقك قالت الله قال فن خلقني قال فن خلقني قالت الله قال فن خلق السموات قالت الله قال فن خلق الارض قالت الله قال فن خلق الجبل قالت الله قال فن خلق هذه الغنم قالت الله قال فاني اسمع الله شأنا ثم ألقى نفسه من الجبل فتمقطع قال ابن عمر كان رسول الله كثيرا ما يحدثنا به هذا الحديث قال عبد الله بن دينار كان ابن عمر كثيرا (٢٩) ما يحدثنا به هذا الحديث قلت في اسناده عبد الله بن

جعفر المدني والد الامام علي بن المدني وقد تكلموا فيه فانه أعلم قل من بيده ملكوت كل شيء أي بيده الملك ما من دابة الا هو أخذ بناصيتها أي متصرف فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا والذي نفسي بيده وكان اذا اجتمع في العيين قال لا ومقلب القلوب فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف وهو يجبر ولا يجبر عليه ان كنت تعلمون ان العرب اذا كان السيد فيهم فأجرا أحد الا يتخفر في جواره وليس لمن دونه ان يجبر عليه لئلا يفقدت عليه وله هذا قال الله وهو يجبر ولا يجبر عليه أي وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه الذي له الخلق والامر ولا معقب لحكمه الذي لا يمانع ولا يخالف وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وقال الله لا يستل عما يفعل وهم يسئلون أي لا يستل عما يفعله لعظمته وكبريائه وغلبته وقهره وعزته وحكمته وعدله فالخلق كلهم يسئلون عن أعمالهم كما قال تعالى فوريك لئلا تسألهم أجمعين عما كانوا يعملون وقوله سيقولون لله أي

الكلبي انه عبت العشارين بأموال من يربهم حكاه الماوردي (وتتخذون مصانع) هي الابنية التي يتخذها الناس منازل قال أبو عبيدة كل بناء مصنعة وبه قال الكلبي وغيره وقيل هي الحصون المشيدة قاله مجاهد وغيره وقال الزجاج انها مصانع الماء التي تجعل تحت الارض واحدها مصنعة ومصنع أي حياض وبر كتحجمعون فيها الماء فهي من قبيل الصهاريج قال الجوهرى المصنعة بضم النون الحوض يجمع فيه ماء المطر والمصانع الحصون وقال عبد الرزاق المصانع عند نابغة البين القصور العالية (لعلكم تتخلدون) أي راجين أن تتخلدوا في الدنيا لانكاركم البعث والتوبيخ حينئذ تظاهروا وعاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنياها وقيل ان لعل هنا للاستفهام التوبيخي قاله زيد بن علي وبه قال الكوفيون أي هل تتخلدون تقولهم لعلك تشتمني أي هل تشتمني وقال القراء كي تتخلدون وبه قرأ عبد الله أي لا تتفكرون في الموت وقيل المعنى كانكم باقون تتخلدون فاعل معناها التشبيه ولم أر من نص على انها تكون للتشبيه وقرئ تتخلدون مخنفا ومشددا وحكى الخناس أن في بعض القراءات كانكم تتخلدون وبه قال ابن عباس (واذا بطشتم) بضرب أو قتل (بطشتم جبارين) من غير رافة والبطش السطوة والاخذ بالعنف قال مجاهد وغيره اذا أردت البطش لئلا يتخذ الشرط والجزاء قال الزجاج انما أنكر عليهم ذلك لانه ظلم وأما في الحق فالبطش بالسوط والسيوف جائز قال الكرخي اعلم ان اتخاذ الابنية العالية تدل على حب الدنيا واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء والجارية تدل على حب الفرد بالعلو وهذه صناعات الالهية وهي متممة الحصول للعبادة انتهى ثم لما وصفهم بهذه الاوصاف القبيحة الدالة على الظلم والعمى والقرود والتجبر أمرهم بالتقوى فقال (فاتقوا الله) في ذلك (وأطيعون) فيما أمرتكم به أجل التقوى ثم فصله بقوله (واتقوا الذي أمركم بما تعملون) من أنواع النعم والخير الحاصلة لكم ثم فصل هذا الاجمال بقوله (أمركم بأنعام بنين) الخ باعادة الفعل لزيادة التقرير والتأكيد لان التفصيل بعد الاجمال والتفسير بعد الاجمال أدخل في ذلك (وجنات وعميون) أي بساتين وأنهار وآبار ثم وعظهم وحذرهم فقال (اني أخاف عليكم) ان كفرتم وأصرتم على ما أنتم فيه ولم تشكروا هذه النعم (عذاب يوم عظيم) أي العذاب الذي لا يقبل الكافرون فامشركون لا يفعلون ذلك عن دليل فادهم الى ما هم فيه من الاذق والضلال وانما يفعلون ذلك اتباعا لآبائهم وأسلافهم الخياري الجهال كما قال الله عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم

سيقترفون أن السيد العظيم الذي يجبر ولا يجبر عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له قل فاني تسبحون أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك ثم قال تعالى بل أتيناكم بالحق وهو الاعلام بانها لاله الا الله وأقنا الادلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك وانهم الكاذبون أي في عبادتهم مع الله غيره ولا دليل لهم على ذلك كما قال في آخر السورة ومن يدع مع الله الها آخر لبرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفعل الكافرون فامشركون لا يفعلون ذلك عن دليل فادهم الى ما هم فيه من الاذق والضلال وانما يفعلون ذلك اتباعا لآبائهم وأسلافهم الخياري الجهال كما قال الله عنهم انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم

متتدون (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الاله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) ينزه تعالى نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك والتصرف والعبادة فقال تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من الاله بما خلق ولعل بعضهم على بعض أى لو قدر تعدد الاله لاندرك كل منهم ما خلق فما كان ينتظم الوجود والمشاهدان الوجود منتظم متنسق كل من العالم العلوى والسفلى مرتب بضعه ببعض في غاية الكمال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم لكان كل منهم (٣٠) يطلب قهر الآخر وخلافه فيعملوا بعضهم على بعض والمتكلمون ذكروا

هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التامع وهو انه لو فرض صانعان فصاعدا فأرادوا حدتجربك جسم والآخر أراد سكونه فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين والواجب لا يكون عاجزا ويمتنع اجتماع مراديهما المتضاد وما جاء هذا المحال الامن فرض التعدد فيكون محالا فاما ان حصل مراد أحدهما دون الآخر كان الغالب هو الواجب والآخر المغلوب محالا لانه لا يليق بصنفة الواجب ان يكون متهورا ولهذا قال تعالى ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون أى عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد والشريك علوا كبيرا عالم الغيب والشهادة أى يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه فتعالى عما يشركون أى تقديس وتزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون (قل رب اماترى ما يؤعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين وانا على ان نزيك مانعدهم لقد اردون ادفع بالتي هي أحسن السنة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات

عندنا (أو عظمت أم لم تكن من الواعظين) أصلا أى وعظك وعدمه سواء عندنا لا نبالي بشئ منه ولا نلتفت الى ما نقوله ولا نرعى له والحاصل أنهم أظهر واقعته أكثر منهم بكلامه واستخفافهم بما أورد من المواعظ والوعظ كلام يدين القلب بذكر الوعد والوعيد ولم يقل أم لم تعظ لرؤس الآى وتوانى القوائى وأبدي له الزمخشري معنى فى فقال هو أبلىغ فى قوله اعتدداهم بوعظه من قولك أم لم تعظ وعن الكسائى أو عظت بادغام الظاء فى التاء وهو بعيد لان حرف الظاء حرف اطباق انما يدغم فى ما يقرب منه جدا وقرأ الباقر بن باظهار الظاء (ان هذا) تعديلا لما قبله أى ما هذا الذى جئتنا به ودعوتنا اليه من الدين وقيل المعنى ما هذا الذى نحن عليه (الاخلاق الاولى) أى طبيعتهم وعاداتهم التى كانوا عليها وهذا بناء على ما قال الفراء وغيره ان معنى الخلق العادة قال النخاس الخلق عند الفراء العادة وعن محمد بن يزيد خلقهم مذهبهم وما جرى عليه أمرهم والقولان متقاربان وقال مقاتل قالوا ما هذا الذى تدعونا اليه الا كذب الاولين قال الواحدى هو قول ابن مسعود ومجاهد قال والخلق والاختلاق الكذب ومنه قوله ويخلقون افكا وقرئ خلق بفتح الخاء وسكون اللام وبضمهم ما قال الهروى معناه على الاولى اختلاقهم وكذبهم وعلى الثانية عاداتهم وهذا التفصيل لا بد منه قال ابن الاعرابى الخلق الدين والطبع والمرودة وقرأ أبو قلابه بضم الخاء وسكون اللام وهى تحفيف لقراءة الضم لهما والظاهر أن المراد بالآية هو قول من قال ما هذا الذى نحن عليه الاعادة الاولين وفعلمهم ويؤيده قولهم (وما نحن بمعدين) على ما نفعل من البطش ونحوه مما نحن عليه الآن فى الدنيا من الاعمال ولا بحث ولا حساب (فكذبوه) أى هود أى أصروا على تكذيبه (فأهلكناهم) فى الدنيا بالريح كما صرح به القرآن فى غير هذا الموضع وهى ريح باردة شديدة الصوت لا ماء فيها واسطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت فى عجز السماء (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) تقدم تفسير هذا قريبا فى هذه السورة ثم لما فرغ سبحانه من ذكر قصة هود وقومه ذكر قصة صالح وقومه وكانوا يسكنون الحجر فقال (كذبت ثمود المرسلين) المراد بهم صالح فى التعبير عنه بالجمع ما تقدم ونحوه واسم قبيلة تمت باسم أبيها وهو نوح وجد صالح ولذا قال (اذ قال لهم أخوهم) نسبا (صالح) لاجتماعهم فى الاب

الاعلى الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون) يقول تعالى أمر انبياء محمد صلى الله عليه وسلم ان يدعوهم الى الله والى الله الذى رواد الامام أجدو الترمذى وصححه واذا أردت بقوم قينة فتوفى اليك غير مقتون وقوله تعالى وانا على ان نزيك مانعدهم لقد اردون أى لو شئنا لاريناك ما نحل بهم من النقم والبلاء ونحن ثم قال تعالى مرشد اله الى الترياق النافع فى مخالطة الناس وهو الاحسان الى من يسئ اليه ليستجلب خاطره فتدعو دعوته صدقة وبغضه محبة فقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن السنة وهذا كما قال

في الآية الاخرى اذ دفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا والاية اى وما يلهم هذه الوصية أو هذه الخصلة أو الصفة الا الذين صبروا و اى على اذى الناس فعاملوهم بالجيل مع اسنادهم اليهم التبرج وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اى في الدنيا والاخرة وقوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشيطان امره الله أن يستعين من الشياطين لانهم لا تنفع معهم الحيل ولا ينفادون بالمعروف وقد قدمنا عند الاستعاذة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه (٣١) ونفخه ونفثه وقوله تعالى و اعوذ بك رب ان

الاعلى وعاش صالح من العمر مائتين وعشائين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) قد تقدم نفسه في قصة هود المذكورة قبل هذه القصة (أنت كون فيما ههنا آمين) الاستفهام للانكار التوبيخى اى لا تطنوا ولا ينبغي لكم أن تعتقدوا انكم تتركون في الدنيا متقلبين في هذه النعم التي أعطاكم الله آمين من الموت والعداب باقين في الدنيا ولما أجهم النعم في هذا فسر هاب قوله (في جنات وعميون وزرور ونخل) ذكر النخل مع دخوله تحت الجنات لفضله على سائر الاشجار ولان المراد بها غيرهم من الاشجار وكثيرا ما يدكرون الشئ الواحد بنظير غيره كما يدكرون النعم ولا يقصدون الا الاصل وهكذا يدكرون الجنة ولا يريدون الا غير النخل وهو اسم جمع الواحدة نخلة وكل اسم جمع كذلك يؤنث ويذكروا أما النخيل بالياء فهوثة اتناقا (طلعها هضيم) الطلع أول ما يطلع من الثمر وبعده يسمى خلا ثم بلحاث ثم ثم رطب ثم ثمرا وفي البضاوى هو ما يطلع منها كمنصل السيف في جوفه شماريح القنواته و هذا التشبيه من حيث الهيئة والشكل والهضيم هو النضج الرخص اللين اللطيف أو متسدل متكسر من كثرة الحمل وقيل مالم يخرج من كنفه لدخول بعضه في بعض وحكى الماوردى في معنى هضيم اثني عشر قولاً أحسنها وأوفقها باللغة ما ذكرناه وعن ابن عباس قال هضيم معشب وعنه قال أبيع وبلغ وعنه قال أن رطب واسترخى (وتختون بن الجبال بيونا فارهين) تخت النخيل والبرى نخته ينخته بالكسر براه والحماية البرية والمخت ما ينخبه وكذا يختون بيوتهم من الجبال لماطالت أعمارهم وتهدم بناوهم من المدرفان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم وفي الخطيب وكان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى ألف سنة وكذا كان قوم هود وقري قرهين قال أبو عبيدة وغيره وهم اجمعى واحدهم الفره النشاط وشدة الفرح وفرق بينهما أبو عبيدة وغيره فتالوا فارهين حاذقين بنحتها قاله ابن عباس وقيل متجبرين وفرهين بطرين أشهر من بوبه قال مجاهد بن عبد ابن عباس وغيره وقيل شرهين وقال الضحالك كيبين وقال قتادة معجبين ناعمين آمين وبه قال الحسن وقيل فرحين قاله الاخفش وقال ابن زيد أقوياء (فاتقوا الله وأطيعون) فيما أمرتكم به (ولا تطيعوا أمر المسرفين) أى المشركين وقيل التسعة الذين عقروا الناقة جعل الامر مطاعا على

يحضرون اى فى شئ من أمرى ولهذا أمر يدكر الله فى ابتداء الامور وذلك لطرده الشيطان عند الاكل والجماع والذبح وغير ذلك من الامور ولهذا روى أبو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انى اعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من الهدم ومن الغرق وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن اسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع بسم الله اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون قال فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ان يقولها عند نومه ومن كان منهم صغيرا لا يعقل أن يحفظها كتبها له فعملتها فى عنقه ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث محمد بن اسحق وقال الترمذى حسن غريب (حتى اذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا

انها كلمة هو قال لها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المنكرين فى أمر الله تعالى وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة الى الدنيا ليصلح ما كان أفسده فى مدة حياته ولهذا قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا كما قال تعالى وأنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى أحدكم الموت الى قوله والله خير مما تعملون وقال تعالى وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب الى قوله ما لكم من زوال وقال تعالى يوم يأتى تأويله يقول الذين نسو من قبل قد جاءت رسلنا بالحق فهل لنا من شفاعاء فيشفوا والناؤزددنهم لعل غير الذى كنا نعمل وقال تعالى ولوليتى اذا المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم هم ربنا أبصرنا

وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انما سوفنون وقال تعالى ولو ترى اذوقوا على النار فقلوا ايالتنا ردوا لانكذب بايات ربنا الى قوله وانهم لكانذوبون وقال تعالى وترى الظالمين لمارا والعذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وقال تعالى فالوا ربنا ائمتنا اثنتين واثنتينا اثنتين فاعتزنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل والاية بعدها وقال تعالى وهم بصطرخون فيها ربنا اخر جتنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اولم نعلم ما يتذكر فيه من تذكرة وجاءكم التنذير فذوقوا ما للظالمين من نصير فذكر تعالى انهم يسألون الرجعة فلا فلا يجابون عند الاحتضار ويوم التشور (٣٢) ووقت العرض على الجبار وحين يعرضون على النار وهم في غمرات

عذاب العظيم وقوله ههنا كلالها كلمة هو قائلها كلاحرف ردع وزجر أى لا يجيبه الى ما طلب ولا تقبل منه وقوله تعالى انها كلمة هو قائلها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أى لا بد أن يقولها الاحتمال كل محتضر ظالم ويحتمل ان يكون ذلك علة لقوله كلالا لانها كلمة أى سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه وقول لا عمل معه ولورد لما عمل صالحا ولكان يكذب في مقاتله هذه كما قال تعالى ولوردوا العادوا لما نهم واعنه وانهم لكانذوبون قال قتادة والله ماتنى أن يرجع الى أهل ولا الى عشيرة ولا بان بجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل فرحم الله امرأ عمل فيما يتناه الكافر اذا رأى العذاب الى النار وقال محمد ابن كعب القرظى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون اعلى أعمل صالحا فيما تركت قال فقول الجبار كلالها كلمة هو قائلها وقال عمر بن عبد الله مولى غنبرة اذا قال الكافر رب ارجعون اعلى أعمل صالحا يقول الله تعالى كلالا

المجاز الحكيم في النسبة الايقاعية والمراد الامر ثم وصف هؤلاء المسرفين بقوله (الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون) أى ذلك دأبهم يفسدون الفساد في الارض ولا يصدر منهم الصلاح بطاعة الله البتة (قالوا انما أنت من المسكرين) أى الذين أصيبوا بالسحر قاله مجاهد وقتادة وقيل المسكر هو المعلل بالطعام والشراب قاله الكلابي وغيره فيكون المسكر الذي له سحر وهو الرثة فكانهم قالوا انما أنت بشمر مثلنا تأكل وتشراب قال الفراء أى انك تأكل الطعام والشراب وتسكر به قال المورج المسكر المخلوق بلغه قربة قال ابن عباس مسكرين مخلوقين (ما أنت الا بشر مثلنا) فكيف تدعى انك رسول البينا (فأت بآية ان كنت من الصادقين) في قولك ودعواك (قال) صالح (هذه ناقة) أشار إليها بعدما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقرحها قال أبو موسى الأشعري رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا في ستين ذراعا ثم وصاهم صالح بأمرين الاول (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) أى لها نصيب من الماء ولكم نصيب منه معلوم ليس لكم أن تشربوا في اليوم الذي هو نصيبها ولا هي تشرب في اليوم الذي هو نصيبكم وهذا دليل على جواز المهامياة قال الفراء الشرب الحظ من الماء قال النحاس فاما المصدر فيقال فيه شرب شربا وشربا وأكثرها المضموم والشرب بفتح الشين جمع شارب والمراد هنا الشرب بالكسر وبه قرأ الجمهور فيه ما وقرئ بالضم فيه ما والامر الثاني (ولا تسوها بسوء) أى بعقر أو ضرب أو شئ مما يسوها و جواب النهى (فياخذكم عذاب يوم عظيم) لخلول العذاب فيه ووصف اليوم به أبلغ من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد (فقرعوا) يوم الثلاثاء أى عقروا قدر و ضرب بالسيف في ساقها وكان ابن زناقصيراد سميا ولكنهم راوضون به فأضيف اليهم (فأصبحوا نادمين) على عقروها لما عرفوا أن العذاب نازل وذلك انه أنظرهم ثلاثا فظهرت عليهم العلامة في كل يوم ويندموا حيث لا ينفع الندم لان ذلك لا يجدي عند معاناة العذاب وظهور آثاره ولان مجرد الندم ليس توبة (فأخذهم العذاب) الذي وعدهم به يوم السبت وهو أنهم في اليوم الاول أى الاربعاء قد اصفرت وجوههم ثم اجرت في الخميس ثم اسودت في الجمعة وفي قول مقاتل انه خرج في أبدانهم خراج مثل الحصى فكان في اليوم الاول أجر ثم صار من الغدا أصفر ثم صار في الثالث اسود وكان عقروا الناقة يوم الاربعاء وهلاكهم يوم الاحد انفق في تلك الخراجات

كذب وقال قتادة في قوله تعالى حتى اذا جاء أحدهم الموت قال كان العلامين زياد يقول ليزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره وصاح الموت فاستقال ربه فأقاله ليعمل بطاعة الله تعالى وقال قتادة والله ماتنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظر وأمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولا قوة الا بالله وعن محمد بن كعب القرظى نحوه وقال محمد بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا فضيل يعني ابن عياض عن لست عن طلحة بن مصرف عن أبي حازم عن أبي هريرة قال اذا وضع يعنى الكافر في قبره فبصر مقعده من النار قال فيقول رب ارجعون أو تب وأعمل صالحا قال فيقال قد عرفت ما كنت معمرا قال فيضيق عليه قبره ويلتمنن فهو كالمشوش نام ويفزع

تهوى اليه هوام الارض وحياتها وعقاربها وقال ايضا حدثنا ابي - حدثنا عمر بن علي - حدثني سلمة بن تمام - حدثنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن عائشة رضی الله عنها انها قالت ويل لاهل المعاصي من اهل القبور تدخل عليهم في قبورهم حيات سودا ودهم حية عند رأسه وحية عند رجليه يقرصانه حتى يلتقي في وسطه فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى ومن وراءهم برزخ الى يوم يعثون وقال ابو صالح وغيره في قوله تعالى ومن وراءهم برزخ يعني امامهم وقال مجاهد البرزخ الحاجر ما بين الدنيا والاخرة وقال محمد بن كعب البرزخ ما بين الدنيا والاخرة ليس واعم (٣٣) اهل الدنيا يا كلون ويشربون ولا مع اهل

الاخرة يجازون باعمالهم وقال ابو صخر البرزخ المقابر لاهم في الدنيا ولا هم في الاخرة فهم يقيمون الى يوم يعثون وفي قوله تعالى ومن وراءهم برزخ تهديد لهؤلاء المحترسين من الظلمة بعذاب البرزخ كما قال تعالى ومن وراءهم جهنم وقال تعالى ومن وراءه عذاب غليظ وقوله تعالى الى يوم يعثون أي يستمر به العذاب الى يوم البعث كما جاء في الحديث فلا يزال معدبا فيها اي في الارض (فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلتفح وجوههم النار وهم فيها كالحون) يخبر تعالى انه اذا نفخ في الصور نفخة الثور ووقام الناس من القبور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون أي لا تنفع الانساب يومئذ ولا يرثي والد لولده ولا يولوي عليه قال الله تعالى ولا يسأل حيم حيميا صر ونهم أي لا يسأل القريب عن قريبه وهو يبصره ولو كان عليه من الاوزار

وصاح عليهم جبريل صحيفة فأتوا بالامرين وكان ذلك ضحوة وقد تقدم تفسير قوله (ان في ذلك لاية وما كان أكثرهم مؤمنين) وفيه ايماء بانه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وان قرىسا انما عصوا من مثله ببركة من آمن منهم (وان ربك لهما العزيز الرحيم) تقدم تفسيرها أيضا في هذه السورة (كذبت قوم لوط المرسلين) ذكر سبحانه القصة السادسة من قصص الانبياء مع قومهم وهى قصة لوط وقد تقدم تفسير قوله (اذ قال لهم أخوهم لوط) أي في البلد والسكنى والتجاور في القرية فلا في الدين ولا في النسب لانه ابن أخي ابراهيم وهما من بلاد المشرق من أرض بابل (الاتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين أتأتون) أي أتسكحون (الذکران) جمع الذکر ضد الانثى وهم بنو آدم وكل حيوان (من العالمين) أي من الناس وقد كانوا يفعلون ذلك بالغباء على ما تقدم في الاعراف (وتذرون) تتركون (ما خلق) أي أصلح وأحل وأباح (لكم ربكم) لاجل استمتاعكم به (من أنزوا جكم) المراد بمن جنس الاناث وقال مجاهد تركتم اقبال النساء الى ادبار الرجال وأدبار النساء وعن عكرمة نحوه وفيه دليل على تحريم ادبار الزوجات والمملوكات قال النسفي ومن أجازه فقد أخطأ خطأ عظيما (بل أنتم قوم عادون) أي مجاوزون للعدي في جميع المعاصي ومن جلتها هذه المعصية التي ترتكبونها من الذکران (قالوا ان لم تنته يا لوط) عن الانتكار علينا وتقبیح امرنا (لستكونن من المخرجين) من بلدنا المنففين عنها ولعلمهم كانوا يخرجون من أخر جوهه على أسوء حال (قال انى لعلكم) وهو ما أنتم فيه من اتيان الذکران (من القالين) أي من المبعضين له والقلى البغض الشديد كأنه يقلى القواد يقال قلىته قلبه قلى وقلاء وفيه دليل على عظم المعصية لان قلاءه من حيث الدين ثم رغب عليه السلام عن محاورتهم وطلب من الله عز وجل ان ينجيهم فقال (رب نجني وأهلى مما يعملون) أي من عملهم الخبيث أو من عقوبته التي ستصيدهم فأجاب الله سبحانه دعاه فقال (فنجينا وأهله) أي أهل بيته ومن تابعه على دينه (أجمعين الاعوزا) هي امرأ لوط وكانت راضية بذلك والراضى بالمعصية في حكم العاصي واستنماء الكافرة من الاهل وهم مؤمنون للاشتهار في هذا الاسم وان لم تشاركهم في الايمان (في الغارين) أي من الباقيين في العذاب وقال

(٥ - فتح البيان سابع) ما قد أثقل ظهره وهو أعز الناس عليه كان في الدنيا ما لفت اليه ولا جل عنه وزن جناح بعوضة قال الله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه الآية وقال ابن مسعود اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين ثم نادى مناد الا من كان له مظلة فليجي ياخذ حقه قال فيفرح المرء ان يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وان كان صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله قال الله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون رواه ابن ابي حاتم وقال الامام أحمد حدثنا ابو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الله بن جعفر حدثتنا أم بكر بنت المسور بن محرمة عن عبد الله بن رافع عن

المسور هو ابن مخزومة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها وينشطني ما ينشطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة الانسبي وسبي وصهرى وهذا الحديث له أصل في الصحيحين عن المسور بن مخزومة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني يريني مآزها ويؤذي ما آذاها وقال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا زهير عن عبد الله بن محمد عن حمزة بن أبي سعيد الخدرى عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على هذا المنبر ما بال رجال يقولون ان رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٤) لاتنفع قومى بل والله ان رحمتى موصولة فى الدنيا والآخرة وانى أياها

الناس فرظلكم اذا جنتم قال رجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان فأقول لهم أما النسب فقد عرفت ولكم أهدى مني بعدى وارتدتم القهقري وقد ذكرنا فى مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة عن رضى الله عنه انه لما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضى الله عنهما قال أما والله ما أبى الا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب فانه منقطع يوم القيامة الانسبي وسبي رواه الطبرانى والبخارى والهيثم بن كليب والبيهقى والحافظ الضياء فى الخنارة وذكرانه أصدقها أربعين ألفا اعظاما وكرما رضى الله عنه فقد دروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أبي العباس بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق أبي القاسم بن الجعوى حدثنا سليمان بن عمر بن الاقطع حدثنا ابراهيم بن عبد السلام عن ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد بن جعفر سمعت ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة الانسبي وصهرى وروى

أبو عبيدة من الباقيين فى الهرم أى بقيت حتى هربت قال النخاس يقال للذاهب عابر وللباقي غابر والاعبار بقية الالبان وتقول العرب ماضى وما غبر أى ما بقى قال قتادة هي امرأة لوط غبرت فى عذاب الله (تم دمرنا الاخرين) أى أهلكناهم بالخسف والحصب وقلب قراهم عليهم وجعل عاليها سافلها (وأما مطرنا عليهم) أى على من كان منهم ذلك الوقت خارج القرى لسفر أو غيره (مطرا) يعنى الحجارة وقيل الكبريت والنار (فساء مطر المذرين) المخصوص بالذم محذوف والتقدير مطرهم ولم يردهم ومبايعا منهم بل جنس الكافرين وقد تقدم تفسير قوله (ان فى ذلك الاية وما كان أكثرهم مؤمنا وان ربك لهو العزيز الرحيم) فى هذه السورة (كذب أصحاب الايكة المرسلين) الايكة الشجر المتصف وهى الغيضة وقرى ليكة بلا م واحدة وفتح التاء جعلوه اسما غير معروف بال مضا فالايكة أصحاب وليكة اسم للتربة وأتسكروا الخشمى وهو غير حديد وقيل هما بمعنى واحد اسم للغيضة قال القرطبي فأما ما حكاه أبو عبيد بن ان ليكة اسم القرية التى كانوا فيها وان الايكة اسم البلد كما فى نى لم يثبت ولم يعرف من قاله ولو عرف لكان فيه نظر لان أهل العلم جمعوا على خلافه قال أبو على الفارسي الايكة تعرف بآيكة فاذا حذفت الهمزة تحذفها أثبتت حركاتها على اللام قال الخليل الايكة الغيضة تنبت الصدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر قال مجاهد ليكة هى الايكة وقد وقع لفظ الايكة فى القرآن أربع مرات فى الحجرى ق وما هنا وفى ص والاولان بال والجرو الاخر ان يقرآن بال وبالجرى وحذف الهمزة والقاء حركاتها على اللام وفتح الهاء مع ان الكل مجرد ورات باضافة لفظ أصحاب اليها وقال ابن عباس كانوا أصحاب غيضة من ساحل العراقى مدين (اذ قال لهم شعيب الا اتقون) ولم يقل أخوهم كما قال فى الانبياء قبله لانه لم يكن من أصحاب الايكة فى النسب فلما ذكر مدين قال أخوهم شعيب لانه كان منهم وقدمضى تحقيق نسبة فى الاعراف وبعث الله شعيبا الى أمتين أصحاب الايكة وأهل مدين فأهلك الله أصحاب الايكة بالظلة وأما أهل مدين فصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا أجمعين (الى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) وانما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لانها فهم على تقوى الله وطاعته والاخلاص فى العبادة والامتناع من أخذ الاجر على تبليغ الرسالة (أوفوا الكيل) أى

فيا من طريق عمار بن سيف عن هشام بن عمرو عن أبيه عن عبد الله بن عمرو وهو فوعا سألت ربي عز وجل ان لا أتزوج اتوه الى أحد من أمتى ولا يتزوج الى أحد منهم الا كان معى فى الجنة فاعطانى ذلك ومن حديث عمار بن سيف عن اسمعيل عن عبد الله بن ابن وقوله تعالى فن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون أى من رجحت حسناته على سيئاته ولو بوأحدة فاه ابن عباس فأولئك هم المفلحون أى الذين فازوا فنجوا من النار وادخلوا الجنة وقال ابن عباس أولئك الذين فازوا بما طلبوا ونجوا من شير ما منه هربوا ومن خفت موازينه أى ثقلت سيئاته على حسناته فأولئك الذين خسروا أنفسهم أى خابوا

وهلكوا فإزوا بالصفحة الخامسة قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا اسمعيل بن الحرث حدثنا داود بن المبرج حدثنا صالح المري عن ثابت البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان عن أنس بن مالك يرفعه قال إن الله ملككم ما كلابا بالميزان فيؤتى بآدم فيوقف بين كفتي الميزان فان نقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمعه الخلاق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وان خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلاق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا السناد ضعيف فان داود بن المبرج ضعيف متروك ولهذا قال تعالى في جهنم خالدون أى ما كانوا مقيمون فلا يظعنون تلفيح وجوههم (٣٥) النار كما قال تعالى وتغشى وجوههم النار وقال

تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم الآية وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا محمد بن سليمان الاصبهاني عن ابي سنان فرار بن مرة عن عبد الله ابن أبي الهذيل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان جهنم لما سبق لها أهلها تلقاهم لهن بائع تلغجهن لفة فلم يبق لهن لحم الا سقط على العرقوب وقال ابن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى القزاز حدثنا الخضر بن عني بن يونس القطان حدثنا عمرو بن أبي الحرث ابن الخضر القطان حدثنا سعيد بن سعد المقبري عن أخيه عن أبيه عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى تلفح وجوههم النار قال تلفحهم لفة تسيل لحمهم على أعقابهم وقوله تعالى وهم فيها كالخون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني عابسون وقال الثوري عن ابي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود وهم فيها كالخون قال لم تر الى الرأس المشيط الذي قد بدا

أتمو لمن أرادته وعامل به (ولا تكونوا من الخسرين) أى الناقصين للكيل والوزن يقال أخسرت الكيل والوزن أى نقصته ومنه قوله تعالى واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون قال النسفي الكيل واق وهو ما مور به وظيف وهو منهي عنه وزائده وهو مسكوت عنه فتركه دليل على انه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعل فلا شئ عليه ثم زاد سبحانه في البيان فقال (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أى أعطوا الحق بالميزان السوى وقدم بيان تفسير هذا في سورة سبحان وقرئ القسطاس مضموم القاف ومكسورا وهى الميزان أو القبان فان كان من القسط وهو العدل جعلت العين مكررة فوزنه فعلان والاف هو رباعى (ولا تجسوا الناس أشياءهم) الجنس النقص يقال نجسه حقه اذا نقصه أى لانتقصوا حقوقهم التى لهم وهذا تعميم بعد التخصص وقيل دراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافها وقد تقدم تفسيره في سورة هود وتقدم أيضا تفسير (ولا تعشوا فى الارض ففسدين) فيها وفي غيرها أى لا تتالغوا فيها بالفساد فحوقطع الطريق والغارة واهلاك الزرع وكانوا يفعلون ذلك فهو اعنه يقال عشوا فى الارض اذا فسدوا وبه سمي وعنى بالكسر وعنى بفحش وزن فنى قال الازهرى القراء كلهم متفقون على فتح الماء وقد دل على ان القرآن نزل باللغة الثانية وفي القاموس عنى كسبى ورحى ورضى (واتقوا) الله (الذى خلقكم) أى من نطفة واعداءكم أهون شئ عليه وأشار الى ضعفهم وقوته من كان قبلهم بقوله (والجبل الاولين) الذين أهلوا بالمعاصى كقوم لوط كانوا على خليفة وطبيعة عظيمة قرئ الجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرئ بضمهما وتشديد اللام وقرئ بفتح الجيم مع سكون الباء والجبل الخليفة قاله مجاهد وغيره بمعنى الامم المتقدمة يقال جبل فلان على كذا أى خلق قال الخناس الخلق يقال له جبل بكسر الخرفين الاولين وضمهما مع تشديد اللام فيهما وضم الجيم وسكون الباء وضمه وفتحها قال الهروى الجبله والجبله والجبله والجبل لغات وهو الجمع والعدد الكثير من الناس ومنه قوله تعالى جبلا كثيرا أى خلقا كثيرا (قالوا انما آتت من المسكرين) أى من المخلوقين (وما أنت الا بشر مثلنا) اذ دخل الواو هنا يفيد معنيين كلاهما منافع للرسالة عندهم التسخير والبشرية يعنى ان كلامهم ما كاف فكيف اذا اجتمعوا وترك الواو في قصة عثود ليقيد معنى واحدا وهو كونه مسكرا وقد تقدم تفسيره في هذه السورة (وان نظنك لمن الكاذبين) فيما تدعيه علينا من الرسالة

اسنانه وقلصت شفتاه وقال الامام أحمد رحمه الله أخبرنا علي بن اسحاق أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك رحمه الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالخون قال تشوبه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ ممرته ورواه الترمذى عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك به وقال حسن غريب (لم تكن آياتى تلى عليكم فكنتنمها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنامنهم فان غدنا فانا ظالمون) هذا تقرير من الله وتوبيخ لاهل النار على ما ارتكبوا من الكفر والمأثم والمحارم والعظائم التى أوبقتهم فى ذلك

فقال تعالى ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون اى قد ارسلت اليكم الكتب وانزلت اليكم الشبهكم ولم يبق
لكم حجة كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى كلما
أتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير اى قوله فصحقا لاصحاب السعير ولهذا قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوم غابرين اى
قد قامت علينا الحجة ولكن كنا اشقي من ان تنقاد لها وتبعها فاضلنا عنهم ولم نرزقها ثم قالوا ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اى
اردنا الى الدنيا فان عدنا الى ما سلف منا (٣٦) فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة كما قال فاعتزنا بذنوبنا فهل الى خروج

من سبيل الى قوله فالحكم لله
العلى الكبير اى لا سبيل الى
الخروج لانكم كنتم تشركون بالله
اذا وحده المؤمنون (قال اخسئوا
فيها ولا تتكلمون انه كان فريق من
عبادى يقولون ربنا امانا فاعف
لنا وارحنا وانت خير الراحمين
فاتخذتوهم سخرى حتى اشدوكم
ذكرى وكنتم منهم تضحكون اى
جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم
الفائزون) هذا جواب من الله
تعالى للكفار اذا سألوا الخروج من
النار والرجعة الى هذه الدار
يقول اخسئوا فيها اى امكثوا فيها
صاغرين مهانين اذ لا ولا تكلمون
اى لا تعودوا الى سؤالكم هذا
فانه لا جواب لكم عندى قال
العوفي عن ابن عباس اخسئوا فيها
ولا تكلمون قال هذا قول الرحمن
حين انقطع كلامهم منه وقال
ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبدة
ابن سليمان الروزى حدثنا عبد
الله بن المبارك عن سعيد بن ابي
عروبة عن قتادة عن ابي ايوب عن
عبد الله بن عمرو قال ان اهل جهنم
يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين
عاما ثم يرد عليهم انكم ما كنون

وقيل ما نطق الامن الكاذبين والاول اولى (فاسقط علينا كسفا) كان شعيب عليه
السلام يتوعدهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فقالوا له هذا القول نعتنا واستبعادا وتعجيزا قال
ابو عبيد الكسف جمع كسفة مثل سدر وسدره قال الجوهرى الكسفة القطعة من
الشيء يقال اعطى كسفة من ثوبك والجمع كسف وكسف وقد مضى تحقيق هذا فى سورة
سبحان (من السماء) اى السحاب أو الظلة (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال
ربى أعلم عاتم لون) من الشرك والمعاصى فهو مجازيكم على ذلك ان شاء وفى هذا تهديد
شديد (فكذبوه) فاستمروا على تكذيبه وادسروا على ذلك (فأخذهم عذاب يوم الظلة) هى
السحاب أقامها الله فوق رؤسهم فامطرت عليهم نارا فهل كوا وقد أصابهم الله بما
اقترحوه لانهم ان ارادوا بالكسف القطعة من السحاب فظلموا وان ارادوا بالقطعة
من السماء فقد نزل عليهم العذاب من جهتها قال ابن عباس ارسل الله اليهم همومامن
جهنم فأطاف بهم سبعة أيام حتى انضج بهم الحر فميت بيوتهم وغلث مياههم فى الآبار
والعيون فخرجوا من منازلهم ومخيمهم هاربين والسموم معهم فسلط الله عليهم الشمس من
فوق رؤسهم فغشيتهم حتى تقلقات فيها جاجهم وسلط الله عليهم الرضاء من تحت
أرجلهم حتى تساقط لحوم أرجلهم ثم نشأت لهم ظلة كالسحابة السوداء فلما رأوها
استدروها يستغيثون بظلمها حتى اذا كانوا جاعا طمعت عليهم فهل كوا وانجى الله شعيبا
والذين آمنوا معه وعنه أيضا انه سئل عن قوله فأخذهم عذاب الى آخره فقال فخرجوا
من البيوت هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فاطلمت من الشمس فوجدوا الهابرا
ولذة فنادى بعضهم لبعض حتى اذا اجتمعوا تحتها أسقط الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم
الظلة وعنه قال من حدثت من العلماء عذاب يوم الظلة فكذبه أقول فاقول له رضى
الله عنه فيه احد ثنا به من ذلك مما نقلناه عنه ههنا وقد رواه عنه عبد بن حميد وابن جرير
وابن المنذر وابن ابي حاتم وغيرهم ويمكن ان يقال انه لما كان هو البحر الذى علمه الله تأويل
كآية بدعوة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم كان محتصا بعرفة هذا الحديث دون غيره من أهل
العلم فن حدث بجديت عذاب يوم الظلة على وجه غير هذا الوجه الذى حدثنا به فقد وصانا
بتكذيبه لانه قد علمه ولم يعلمه غيره والله أعلم وأضاف العذاب الى يوم الظلة لا الى الظلة
تنبيه على أن لهم فى ذلك اليوم عذابا غير عذاب يوم الظلة (١) كذا قيل ثم وصف سبحانه

قال هانت دعوتهم والله على مالك ورب مالك ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوم اذنا ربنا هذا
أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما ينس
القوم بعد بكامة واحدة وما هو الا الزفير والشهيق فى نار جهنم قال فشبها أصواتهم بأصوات الحمير أو لها زفير وآخرها شهيق وقال
ابن ابي حاتم أيضا حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو الزعراء قال قال
عبد الله بن مسعود اذا أراد الله تعالى ان لا يخرج منهم أحدا يعنى من جهنم غير وجوههم وألوانهم فيجى الرجل من المؤمنين فيستدفع
(١) قوله غير عذاب يوم الظلة كذبا بالاصل الذى يابى لنا وانظره اه معجمه

فيقول يا رب فيقول الله من عرف احدًا قليخبر به فيجيء الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف احدًا فيناديه الرجل يا فلان انما فلان فيقول ما عرفك قال فعند ذلك يقولون في النار ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فعند ذلك يقول الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فاذا قال ذلك اطبقت عليهم النار فلا يخرج منهم احد ثم قال تعالى مذكر لهم بذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعبادة المؤمنين وأوليائه فقال تعالى انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمننا فاعنزلنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذت عوهم سخرياً أي فسخرتهم منهم فدعاهم اياي ونصرتهم الي حتى انسوكم ذكرى (٣٧) أي جعلكم بغضهم على ان نسيتهم معاملتي

وكنتم منهم نضجاً تكون أي من صنعهم وعبادتهم كما قال تعالى ان الذين أجزموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذامروا بهم يتعاضون أي يلزونهم استهزاء ثم اخبر تعالى عما جازى به اوليائه وعبادة الصالحين فقال تعالى اني جزيتهم اليوم بما صبروا أي على اذا كتم لهم واستهزأ بكم بهم انهم هم الفائزون أي جعلتهم هم الفائزين بالسعادة والسلامة والجنة والنجاة من النار قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا البتة ايوما أو بعض يوم فاسأل العبادين قال ان لبثتم الا قليلاً لو انكم كنتم تعلمون اخسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم اليها لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم يقول تعالى منها لهم على ما أضعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة الله تعالى وعبادته وحده ولو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز اوليائه الممتقون قال كم لبثتم في الارض عدد سنين أي كم كانت اقامتكم في الدنيا قالوا البتة ايوما أو بعض يوم فاسأل العبادين أي

هذا العذاب الذي أصابهم بقوله (انه كان عذاب يوم عظيم) لما فيه من الشدة عليهم التي لا يتبادر قدرها وقد تقدم في قوله (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) في هذه السورة مستوفى فلان نعمه وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة الاعراف وهو دفأ عنى عن الاعادة هنا وفي هذا التكرير لهذه الكلمات في آخر هذه القصص السبع من التوبيخ والتقرير والتأكيدها لا يخفى على من يفهم. واقع الكلام ويعرف أساليبه وقال النسفي قد كرر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر تقرير المعاني في الصدور وليكون أبلغ في الوعظ والزجر ولان كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت جديرة بان تفتح بما افتتحت به صاحبها وان تختتم بما اختتمت به (وانه) الضمير يرجع الى ما نزله عليه من الاخبار أي وان هذه الاخبار أو وان القرآن وان لم يجزله ذكر العلم به وبه قال قتادة (لتنزيل رب العالمين) أي فليس بشعر ولا سحر ولا أساطير ولا غير ذلك مما قالوه فيه (نزل) قرى مخفقا ومشددا (به الروح الامين) هو جبريل كما في قوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك وبه قال قتادة وابن عباس وعنه مرفوعا قال الروح الامين جبريل رأيت له ستمائة جناح من اوله وقد نشرها فيهما مثل ريش الطاووس اخرجته أبو الشيخ وسماه روحا لانه خلق من الروح وسماه أمينا لانه مؤتمن على وحده لا يبدئه (على قلبك) أي انه تلاقى على قلبك حتى تبعه وتفهيمه ولا تنساها ووجه تخصيص القلب انه اول مدرك من الحواس الباطنة قال الكرخي خصه بالذكور لانه لو كان ذلك المنزل محفوظ والرسول متمكن من قلبه لا يجوز عليه التغيير ولان القلب هو الخاطب في الحقيقة لانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه القرآن والحديث والمعقول اما القرآن فقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم ألا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب أخرجاه في الصحيحين واما المعقول فان القلب اذا غشي عليه وقطع سائر الاعضاء لم يحصل له شعور واذا افاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالاعضاء من الافات وبإشارة الحازن ومن الغتول ان موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو القلب فاذا فرح القلب أو حزن يتغير حال سائر الاعضاء فكان القلب

الحاسين قال ان لبثتم الا قليلاً أي مدة يسيرة على كل تقدير ولو انكم كنتم تعلمون أي لما آثرتم الغنى على الباقي ولما تصرفتم لانفسكم هذا التصرف السيئ ولا استحققتهم من الله سبحانه في تلك المدة اليسيرة فلوانكم صبرتم على طاعة الله وعبادته كما فعل المؤمنون لقرتم كما فازوا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن يونس حدثنا الوليد حدثنا صفوان عن أبي يعين بن عبد الكلام انه سمعه يخاطب الناس فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال يا أهل الجنة كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا البتة ايوما أو بعض يوم قال نعم ما تجرتم في يوم أو بعض يوم رحى ورضوانى وحتى امكثوا فيها خالد بن مخلد بن ثم

قال يا اهل النار كم لبثتم في الارض عدس سنين قالوا البتة يوماً أو بعض يوم فيقول بئس ما تجزتم في يوم أو بعض يوم نارى وضطى
 امكنوا فيها خالدن محمد بن وقوله تعالى افسبتم انما خلقناكم عبثاً بل اقصه دولا ارادة منكم ولا
 حكمة لنا وقيل للعبث أى لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لأتواب لها ولا عقاب وانما خلقناكم للعبادة واقامة أو امر الله عز
 وجل وانكم الينا لاترجعون أى لاتعودون فى الدار الآخرة كما قال تعالى أى حسب الانسان أن يترك سدى يعنى ههـ لا وقوله
 فتعالى الله الملك الحق أى تقدس أن يخلق (٣٨) شيئاً عبثاً فانه الملك الحق المنزه عن ذلك لاله الا هو رب العرش الكريم

فذكر العرش لانه ستقف جميع
 الخلوقات ووصفه بانه كريم أى
 حسن المنظر بهى الشكل كما قال
 تعالى وأبشنا فيها من كل زوج
 كريم قال ابن ابي حاتم حدثنا على
 ابن الحسين حدثنا على بن محمد
 الطنفاسى حدثنا اسحق بن سليمان
 شيخ من أهل العراق أنبأنا شعيب
 ابن صفوان عن رجل من آل سعيد
 ابن العاص قال كان آخر خطبة
 خطبها عمر بن عبد العزيز أن حمد
 الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها
 الناس انكم ان تخلقوا عبثاً ولن
 تتركوا سدى وان ليكم معادا ينزل
 الله فيه للحكم بينكم والنصل
 بينكم نخاب وخسر وشقى عبد
 أخرجه الله من رحمة وحرم جنة
 عرضها السموات والارض ألم
 تعلموا انه لا يامن عذاب الله غدا
 الامن حذر هذا اليوم وخافه وباع
 نافدا بياق وقد لا يكثروا خوفاً فاما ان
 أما ترون أنكم فى أسلاب الهالكين
 وستكون بعدكم للباقيين حتى
 تردون الى خير الوارثين ثم انكم
 فى كل يوم تشيعون غاديا وراثمحا الى
 الله عز وجل قد قضى نحبوه وانقضى
 أجله حتى تغيروه فى صدع من

كأليس لها ومنه ان موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فاذا ثبت ذلك
 كان القلب هو الامير المطلق وهو المكاف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم
 انتهى (لتكون من المنذرين) علة للانزال أى أنزله عليك لتنذرهم بما تضمنه من
 التحذيرات والاندارات والعقوبات (بلسان عربى مبين) أى لتكون من المنذرين
 الذين انذروا بهذا اللسان وهم هو دوشعيب وصالح واصمعيلى عليهم الصلاة والسلام
 أو متعلق بنزل أى أنزله بلسان عربى لتنذره وقال أبو البقاء بلسان عربى أى برسالة أو لغة
 وقال أبو السعد عود باللغة العربية وانما جعل الله سبحانه القرآن عربياً بلسان الرسول
 العربى لئلا يقول مشركو العرب لو نزل بالاجمى لستنا نفهم ما تقول به غير لساننا فقطع
 بذلك حججهم وأزاح عاتمهم وودفع معذرتهم قال ابن عباس أى بلسان قرشى ولو كان غير
 عربى ما فهموه وعن بريدة قال بلسان جرهم (وانه) أى ان هذا القرآن باعتبار احكامه
 التى أجمع عليها الشرائع أو ذكره وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أنى
 زيرا والاولين) من الانبياء كالتوراة والانجيل والزبور الكتب الواحد زبور وقد تقدم
 الكلام على تفسير مثل هذا وقيل المراد بكون القرآن فيها انه مذكور فيها هو نفسه
 لا ما شتم عليه من الاحكام وفيه دليل على ان القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية
 كالفارسية وغيرها والاول أولى وقد قيل ان الصحيح من مذهب ابى حنيفة ان القرآن
 هو النظم والمعنى معا قاله الشهاب (أولم يكن لهم آية) الهمزة للانكار والواو للعطف
 على مقدر كما تقدم مرارا والآية العلامة والدلالة أى ألم تكن لهؤلاء أى الكفار مكة
 علامة لله على ان القرآن حق وانه تنزيل رب العالمين وانه فى زبر الاولين (أن يعلمه علموا بنى
 اسرائيل) على العموم أو من آمن منهم كعبد الله بن سلام وأسد واسيد ونعلبة وابن يامين
 فهو لا الخمسة من علماء اليهود وقد حسن اسلامهم فانهم يخبرون بذلك وانما صارت شهادة
 أهل الكتاب حجة على المشركين لانهم كانوا يرجعون اليهم ويصدقونهم قال الزجاج المعنى
 أولم يكن لهم علم علماء بنى اسرائيل ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نبى حق علامة ودلالة
 على نبوته لان العلماء الذين آمنوا من بنى اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره فى كتبهم
 وكذا قال الفراء عن ابن عباس قال كان عبد الله بن سلام من علماء بنى اسرائيل وكان من
 خيارهم فآمن بكتاب محمد فقال لهم الله أولم يكن لهم آية أن يعلمه علموا بنى اسرائيل

الارض فى بطن صدع غير عمود ولا مود قد فارق الاحباب وياشر التراب وواجه الحساب مرتين بعمله غنى (ولو)
 عمّا خلف فقبر الى ما قدم فاتقوا الله عباد الله قبل انقضاء موآثيقه ونزول الموت بكم ثم رفع طرف درائه على وجهه وبكى وأبكى
 من حوله وقال ابن ابي حاتم حدثنا يحيى بن نصر الخولانى حدثنا ابن وهب أخبرنى ابن لهيعة عن أبى هبيرة عن حسن بن عبد الله
 ان رجلا مصابرا به على عبد الله بن مسعود فقرأ فى اذنه هذه الآية افسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لاترجعون فتعالى
 الله الملك الحق حتى ختم السورة فقرأ فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا قرأت
 الله الملك الحق حتى ختم السورة فقرأ فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا قرأت

في اذنه فاخبره فقال له انم اذا قرئت في اذنه احرقت ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال وروى أبو نعيم من طريق خلد بن زارع عن سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن محمد بن ابراهيم بن الحرث عن أبيه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وأمرنا ان نقول اذا نحن أمسينا وأصبحنا أن نسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون قال فقرواها فغضبنا وسألنا وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا اسحق بن وهب العلاف الواسطي حدثنا أبو المسيب سالم بن سلام حدثنا بكر بن حبيش عن نهشل بن سعيد عن الضحاك بن (٢٩) مزاحم عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ألم أمان أمي من الغرق اذ اركبوا والسقينة بسم الله الملك الحق وما قدره الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله محرابها ومرساها ان ربي لغفور رحيم (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يقبل الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) يقول تعالى متوعدا من اشرك به غيره وعبد معه سواه وخبر ان من اشرك بالله لا برهان له أي لا دليل له على قوله فقال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وهذا جله معترضة وجواب الشرط في قوله فانما حسابه عند ربه أي الله بحاسبه على ذلك ثم أخبر انه لا يقبل الكافرون أي لديه يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجاته قال قتادة ذكرنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل ما تعبد قال أعبد الله وكذا وكذا حتى عد أصناما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فايهم اذا أصابك ضرر فدعوته كشدته عندك قال الله عز وجل

(ولو نزلناه) أي هذا القرآن على الصفة التي هو عليها (على بعض) رجل من (الاعجميين) جمع أعجمي قاله صاحب التحرير وأجمع أعجم قاله ابن عطية يقال رجل أعجم وأعجمي اذا كان غير فصيح اللسان وان كان عربيا ورجل أعجمي اذا كان أصله من الأعجم وان كان فصيحيا الا ان الفراء أجاز ان يقال رجل أعجمي بمعنى أعجمي وقرئ على بعض الاعجميين على الاصل وقال الزمخشري الأعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة أو استعجم والاعجمي مثله الا أن فيه زيادة بالنسب نو كيدا (فقراء عليهم) قراءة صحيحة (ما كانوا بمؤمنين) انفة من اتباعه مع انضمام اعجاز القراءة من الرجل الأعجمي للكلام العربي أي القرآن أو المعنى أن الأعجمي لا يتهم بكسابه أصلا ولا باختراعه لتفقد الفصاحة فيه ولكونه ليس لغته وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجميين بلغته الأعجم فقروا عليهم بلغته لم يؤمنوا به وقالوا ما نفقه هذا ولا نفهمه ومثله هذا قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته وهذه الشرطية لا تستلزم الوقوع (كذلك) أي مثل ذلك السلكت (سلكته) أي أدخلنا القرآن (في قلوب الجرمين) أي كفار مكة بقراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى فهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه معجز وقال الحسن وغيره سلكت الشرك والتكذيب في قلوب الجرمين وقال عكرمة سلكت القسوة والاول أولى لان السياق في القرآن وفيه حجة على المعتزلة في خلق افعال العباد خيرها وشراها (لا يؤمنون به) أي بالقرآن (حتى يروا العذاب الاليم) أي الى هذه الغاية وهي مشاهدتهم للعذاب الاليم والمراد معاينة الموت عند الموت ويكون ذلك ايمان يأس فلا ينتفعهم والجله مستأنفة أو حامية (فيأتيهم) أي العذاب (بغتة) أي فجأة وانها للترتيب الربوبي دون الزماني كما في الكشف والمعنى حتى يروا العذاب فاهو أشد من رؤيته وهو لحوقه بهم مفاجأة فاهو أشد منه وهو سؤلهم الا نظار مع القطع بامتناعه كما يأتي (وهم) أي والحال انهم (لا يشعرون) باتيانها وقرأ الحسن فماتتهم بالفوقية أي الساعة وان لم يتقدم لها ذلك لانه قد دل العذاب عليها فبرونه (فتقولوا هل نحن منظرون) أي مؤخرون وممهلون عن الهلاك ولو طرفة عين لنؤمن قالوا هذا تحسر اعلى ما فات من الايمان وطمه في الحال وهو امها لهم بعد مجيئ العذاب وتنبأ للرجعة الى الدنيا لا استدراك ما فرط منهم فيقال لهم لا تاخير ولا امهال وقيل المراد بقولهم هذا الاستحجال للعذاب على طريقة الاستهزاء لقوله (أفبعذا نبأ يستعجلون)

قال قبايحه ملك على ان تعبدوه ولا معه ام حسبت ان تغلب عليه قال أردت شكره بعبادة هؤلاء معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمون ولا تعلمون فقال الرجل بعد ما سلم اقبلت رجلا خصمني هذا مرسل من هذا الوجه وقد روى أبو عيسى الترمذي في جامعه مسندا عن عمران بن الحصين عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وقوله تعالى وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين هذا ارشاد من الله تعالى الى هذا الدعاء فالغفر اذا اطلق معناه محو الذنب وستره عن الناس والرحمة معناها ان يسدده و يوفقه في الاقوال والافعال آخر تفسير سورة المؤمنون

• (تفسير سورة النور وهي مدنية) •

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ولا تشهدا عليه ما طائفة من المؤمنين) يقول تعالى هذه سورة انزلناها فيه تنبيه على الاعتناء بها ولا يفتي باعداها وفرضناها قال مجاهد وقتادة اي بينا الحلال والحرام والامر والنهي والحدود وقال البخاري ومن قرأ فرضناها يقول فرضناها عليكم وعلى من بعدكم وانزلنا فيها آيات بينات اي مفسرات واضحات لعلكم تذكرون (٤٠) ثم قال تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة يعني هذه

ولا يخفى ما في هذا من البعد والمخالفة للمعنى الظاهر فان معنى هل نحن منظرون طلب النظر والامهال واما قوله افعذبنا الخ فالمراد به الرد عليهم والانكار لما وقع منهم من قولهم امطر علينا حجارة من السماء واثبتنا بعذاب اليم وقوله ثم فاثبتنا بعذابنا حيث استعملوا ما فيه ضررهم وحتف انفسهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي يكون حالهم كما ذكر عند نزول العذاب فيستجلبون به وبينهم من التنا في ما لا يخفى على احد او يغفلون عن ذلك مع تحققة وتقرره فيستجلبون وتقديم الظرف لارعاية الفواصل (أفرأيت) الاستنهام للانكار والفاء للعطف على مقدر يناسب المقام ومعنى رأيت اخبرني والخطاب لكل من يصلح له (ان متعناهم سنين) في الدنيا متطاوله وطولنا لهم الاعمار (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب والهلاك (ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون) اي اي شيء او اي اغناء أغنى عنهم كونهم تمتعون ذلك التمتع الطويل المديد والاستنهام للانكار التقريري وما في ما كانوا مصدر به أو وصوله وقيل ما الاولى نافية والثانية مصدر به اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتحفيقه وقرئ يتمتعون من أمتع الله زيدا بكذا وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان يتخى لقاؤه فقال له عطفي فلم يزد على تلاوة هذه الآية فقال ميمون قد وعظت فابلغت وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية الا الهام نذرون) من هزيمة التنا كيداً وما أهلكنا قرية من القرى الا بعد الانذار والاعذار بارسال الرسل اليهم وانزال الكتب (ذكري) بمعنى تذكرة اي يذكرون ذكري قال النحاس وهذا قول صحيح لان معنى الالهام نذرون الالهام ذكرون أو التقدير انذارا ذكري أو ذلك ذكري قال ابن الانباري هي ذكري أو نذركهم ذكري وقيل يذرونهم ذوى تذكرة أو لاجل التذكرة وبه صرح أبو البقاء اي تنذره لاجل تذكيرهم بالعواقب وقد ربح الاخفش انها خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية (وما كنا ظالمين) في تعذيبهم وليس من شأننا الظلم وقد قدمنا الحجة اليهم وأنذرناهم وأعدنا اليهم (وما تنزلت به) أي بالقرآن (الشياطين) وقرئ بالواو والنون اجراءه مجرى جمع السلامة قال النحاس وهذا غلط عند جميع النحويين قال المبرد وهذا غلط من العلماء وبه قال النراء وقال المؤرج ان كان الشيطان من شاط يشيط كان لهذه القراءة وجه وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلنا

الآية الكريمة فيها حكم الزاني في الحد وللعلماء فيه تفصيل ووزاع فان الزاني لا يخلو اما ان يكون بكرا وهو الذي لم يتزوج او محصنا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حرا بالغ عاقل فاما اذا كان بكرا لم يتزوج فان حده مائة جلدة كما في الآية ويزاد على ذلك ان يعرب عاما عن بلده عند جمهور العلماء خلافا لابي حنيفة رحمه الله فان عنده ان التعريب الى راي الامام ان شاء غرب وان شاء لم يعرب ووجه الجمهور في ذلك ما ثبت في الصحيحين من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الاعرابيين اللذين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما يا رسول الله ان ابني هذا كان عسيفيا يعني اجيرا على هذا فزنا به امراته فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة فآلت اهل العلم فاحسبوني ان على ابني جلدة مائة وتعريب عام وان على امراته هذا الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده

لا قضين بينكما بكتاب الله تعالى الوليدة والغنم رد عليك وعلى ابنك مائة جلدة وتعريب عام واغديا انيس لرجل من اسلم الى امراته فان اعترفت فارجمها فعدا اليها فاعترفت فرجمها وفي هذا دلالة على تعريب الزاني مع جلدة مائة اذا كان بكرا لم يتزوج فاما اذا كان محصنا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حرا بالغ عاقل فانه يرحم كما قال الامام مالك حدثني ابن شهاب اخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان ابن عباس اخبره ان عمر قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها وعيناها ورحم

بساتين

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجنا بعده فأخشي ان يطول بالناس زمان ان يقول قائل لا نجد آية الرجم في كتاب الله ففضلوا
 بتلك قرينة فدأ نزلها الله فالرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا أحسن من الرجال والنساء اذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف
 أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك مطولا وهذا قطعة منه فيها مقصودنا ههنا روى الامام أحمد عن هشيم عن الزهري عن
 عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس - حدثني عبد الرزح بن عوف ان عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعته يقول ألا وان أناسا
 يقولون ما الرجم في كتاب الله وانما فيه الجلود وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجنا بعده ولولا ان يقول
 (٤١)

قائل أو يتكلم متكلم ان عمر زاد في
 كتاب الله ما ليس منه لاثبتنا كالمنازل
 وأخرجه النسائي من حديث
 عبيد الله بن عبد الله به وقد روى
 الامام أحمد أيضا عن هشيم عن علي
 ابن زيد عن يوسف بن مهران عن
 ابن عباس قال خطب عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه فذكر الرجم
 فقال ألا نجد من الرجم بدافاته
 حد من حدود الله تعالى الاوان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
 رجم ورجنا بعده ولولا ان يقول
 قائلون ان عمر زاد في كتاب الله ما ليس
 فيه لكتبت في ناحية من المحصف
 وشهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن
 ابن عوف وفلان وفلان ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قد رجم
 ورجنا بعده الا انه سب يكون قوم
 من بعدكم يكذبون بالرجم
 وبالشفاعة وبعباد القبر ويقوم
 يخرجون من النار بعدما تمسحوا
 وروى أحمد أيضا عن يحيى القطان
 عن يحيى الانصاري عن سعيد بن
 المسيب عن عمر بن الخطاب اياكم
 أن تهلكوا عن آية الرجم الحديث
 رواه الترمذي من حديث سعيد

بساتين من وراثة ساقون وهذا لما زعمه الكفرة في القرآن انه من قبيل ما تلقيه
 الشيطان على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين فلا يكون سحرا
 أو كهانة أو شعرا أو أضغاث أحلام كما يقولون (وما ينبغي لهم) ذلك وما يصع منهم ولا
 يصلح أن ينزلوا به (وما يستطيعون) مانسبه الكفار اليهم أصلا ولا يحكمهم (انهم عن السمع)
 للقرآن أو الكلام الملائية (لعزولون) أي لمحجوبون مرجعون بالشبه ثم لما فرغ الله
 سبحانه حقيقة القرآن وأنه منزل من عنده أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بدعاء الله وحده
 فقال (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذنين) ان فعلت ذلك الذي دعوك اليه
 وخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم به ذامع كونه منزها عنه معصوما منه لحت العباد
 على التوحيد ونهيمهم عن شوائب الشرك وكأنه قال أنت أكرم الخلق علي وأعزهم عندي
 ولولا اتخذت معي الها العذبتك فكيف بغيرك من العباد قال في حاشية الجبل الخطاب له
 والمقصود غيره (وأندرعشرك الاقربين) خصهم لان الاهتمام بشأنهم أولى وهدايتهم
 الى الحق أقدم قيل هم قريش وقيل بنو عبد مناف وقيل بنو هاشم وقد ثبت في البخاري
 ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم قريشا وعم وخص فقال يا معشر قريش أتقذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم
 ضرا ولا نفعا يا معشر بني كعب بن لؤي أتقذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا
 ولا نفعا يا معشر بني قصي أتقذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا ولا نفعا
 يا معشر بني عبد مناف أتقذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا ولا نفعا يا معشر
 بني عبد المطلب أتقذوا أنفسكم من النار فاني لأملك لكم ضرا ولا نفعا يا فاطمة بنت
 محمد أتقذني نفسك من النار فاني لأملك لك ضرا ولا نفعا ألا ان لكم رجحا وسابلاها
 يبلاها وفي السباب أحاديث من طريق جماعة من الصحابة فذلك منه صلى الله عليه وآله
 وسلم بيان للعشيرة الاقربين وانذار لهم جهارا (واخفض جناحك) أي جانبك يقال
 خفض جناحه اذا ألانه وفيه استعارة حسنة والمعنى ألن جناحك وتواضع لمن أتبعك
 من المؤمنين) الموحد من غيرك وغيرهم وأظهر لهم المحبة والكرامة وتجاوز عنهم
 (فان عصوك) أي حاللوا أمرك ولم يتبعوك (فقل) لهم (اني بري مما تعملون) أي من
 عملكم أو من الذي تعملونه من عبادة غير الله وهذا يدل على أن المراد بالمؤمنين المشارفون

(٦ - فتح البيان سابع) عن عمرو قال صحيح وقال الحافظ أبو علي الموصلي - حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا
 يزيد بن زريع حدثنا ابن عوف عن محمد بن سيرين قال ابن عمر ثبت عن كثير بن الصلت قال كنا عند مروان وفينا زيد فقال زيد
 ابن ثابت كنا نقرأ الشيخ والشيخه اذ انينا فارجوهما البتة قال مروان ألا كتبتما في المحصف قال ذلك فبينما عمر بن الخطاب
 فقال أنا أشفيكم من ذلك قال قلنا فكيف قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فذكر كذا وكذا وكره الرجم فأتاه فذكر
 ذلك الرجل الرجم فقال يا رسول الله اكتب آية الرجم قال لا أستطيع الا أن هذا أو نحو ذلك وقد روى النسائي من حديث محمد

ابن المشي عن غندر عن شعبة بن قتادة عن يونس بن جبيرة عن كثير بن الصلت عن زيد بن ثابت به وهذه طرق كلها من عدة متعاضدة
 ودلت على ان آية الرجم كانت مكتوبة فسخ تلاوتها وبقى حكمها مع مولاه والله أعلم وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم
 هذه المرأة وفي زوجة الرجل الذي استأجر الاجير لما زنت مع الاجير ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عزا والغامدية وكل هؤلاء
 لم ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جلدهم قبل الرجم وانما وردت الاحاديث الصحيحة المتعاضدة المتعددة الطرق والالفاظ
 بالاقتصار على رجمهم وليس فيما ذكر الجلد (٤٢) ولهذا كان مذهب جمهور العلماء واليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي

رجمهم الله وذهب الامام أحمد
 رجمه الله الى انه يجب ان يجمع على
 الزاني المحصن بين الجلد والآية
 والرجم للسنة كما روى عن أمير
 المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله
 عنه انه لما أتى بسراحة وكانت تد
 زنت وهي محصنة جلدتها يوم
 الخميس ورجها يوم الجمعة فقال
 جلدتها بكتاب الله ورجمها بسنة
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقدرى الامام أحمد وأهل السنن
 الاربعة ومسلم من حديث قتادة
 عن الحسن بن عطاء بن عبد الله
 الرقاشي عن عبادة بن الصامت
 قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم خذوا عني خذوا عني قد جعل
 الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد
 مائة ونعرب عام والثيب بالثيب
 جلد مائة والرجم وقوله تعالى
 ولاتأخذنكم بهما رأفة في دين الله
 أي في حكم الله أي لاتأرقوا بهما في
 شرع الله وليس المنهي عنه الرأفة
 الطبيعية على ترك الحد وانما هي
 الرأفة التي تحمل الحاكم على ترك
 الحد فلا يجوز ذلك قال مجاهد
 ولاتأخذنكم بهما رأفة في دين الله

للايمان المصدقون باللسان لان المؤمنين الخالص لا يعذرون ولا يجادلون ثم بين له ما يعتمد
 عليه عند عصيانهم له فقال (وقول علي العزيز الرحيم) أي قوض جميع أمورك اليه
 فانه القادر على قهر الاعداء وهو الرحيم للاولياء قري فتوكل بالفناء والواو وهم اقراء نان
 سبعين فعلى الاولى يكون ما بعدها كالحزاء مما قبلها مترابطة وعلى الثانية يكون
 ما بعدها او معطوفا على ما قبلها عطفا جلة على جملة من غير ترتيب (الذي يراك حين
 تقوم) الى الصلاة وحده منفردا في قول أكثر المفسرين وقال مجاهد حين تقوم حينما
 كنت (وتقبلك في الساجدين) المصلين أي ويراك ان صليت في الجماعة كما واقفا
 وساجدا كذا قال أكثر المفسرين وعن مقاتل انه سأل أبا حنيفة رجمه الله هل تجدد
 الصلاة بالجماعة في القرآن قال لا يحضرني فتلا هذه الآية وقيل يراك في أصلاب
 الرجال الموحدين من نبي الى نبي من لدن آدم وحواء الى عبد الله وامنة حتى أخرجك في
 هذه الامة فجميع أصوله رجالا ونساء مؤمنون وأورد على هذا آزر أبو ابراهيم فانه كافر
 بمقتضى الآيات وأجاب بعضهم بأنه كان عم ابراهيم لأباه وفيه ضعف بين وأجاب بعضهم
 ان قولهم أصول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخلهم الشرك محله مادام النور المحمدي
 في الذكر وفي الاثني فاذا اتقل منه لمن بعده أمكن ان يعبد غير الله وأزر ما عبد الاصنام
 الابدان تنقل النور منه لابراهيم وأما قيل اتقاله فلم يعبد غير الله قاله الحنفيا و قيل
 المراد بتقوم قيامه الى التهجيد والتقلب تردده في تفحص أحوال المجتمعات في العبادة
 وتقلب بصره فيهم كذا قال مجاهد قال ابن عباس تقبلك أي قيامك وركوعك وسجودك
 وعنه قال يراك وأنت مع الساجدين تقوم وتقدمهم وعنه قال كان النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم اذا قام الى الصلاة يرى من خلفه كإيرى من بين يديه ومنه الحديث في
 الصحابين وغيره ما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل زور
 قبلي ههنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم واني لأراكم من وراء ظهري (انه
 هو السميع) لما تنوله (العليم) به ثم أكد سبحانه معنى قوله وما تنزلت به الشياطين وبينه
 فقال (هل أتيتكم) يا كفار مكة (على من تنزل الشياطين) أي تنزل فحذف إحدى
 التامين وفيه بيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (تنزل
 على كل أفاك أثيم) الافاك الكثير الافك والاثيم كثير الاثم والمراد به كل من كان كاهنا

قال إقامة الحدود اذا رفعت الى السلطان فتمام ولا تعطل وكذا روى عن سعيد بن جبيرة وعطاء بن أبي رباح فان
 وقد جاء في الحديث تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب وفي الحديث الا تخر لحد يقام في الارض خير لاهلها
 من أن يظروا أربعين صباحا وقيل المراد ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فلا تقهوا الحد كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن
 المأثم وليس المراد الضرب المبرح قال عامر الشعبي ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال رجعة في شدة الضرب وقال عطاء ضرب
 ليس بالمبرح وقال سعيد بن أبي عروبة عن حماد بن أبي سليمان يجلد القاذف وعليه ثياب والزاني تخلع ثيابه ثم تلا ولا تأخذكم

بهما رافة في دين الله فقلت هذا في الحكم قال هذا في الحكم والجلد يعني في اقامة الحد وفي شدة الضرب وقال ابن ابي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الاودي حدثنا وكيع عن نافع بن عمر عن ابن ابي مليكة عن عبيد الله بن عبد الله بن عمرو ان جارية لابن عمر زنت فضرب رجلها قال نافع اراه قال وظهرها قال قلت ولا تأخذكم به - مارافة في دين الله قال يابني ورايتني اخذتني بهار افة ان الله لم يامرني ان اقلها ولا ان اجعل جلدها في رأسها وقد ارجعت حين ضربتها وقوله تعالى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر اى فافعلوا ذلك واقبوا الحد ودعوا على من زنى وشددوا عليه الضرب وليكن ليس (٤٣) مبرحاً لتردع هو ومن يصنع مثله بذلك وقد جاء

في المسند عن بعض الصحابة انه قال يا رسول الله اني لاذبح الشاة وانا ارجحها فقال ولك في ذلك اجر وقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين هذا فيه تشكيل للزانيين اذا جلدوا بحضرة الناس فان ذلك يكون ابلغ في زجرهما والمجع في ردعه . ا فان في ذلك تقرعاً وتوبيخاً وفضيحة اذا كان الناس حضوراً قال الحسن البصرى في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين يعني علانية ثم قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الطائفة الرجل فافرقه وقال مجاهد العلانية الرجل الواحد الى الالف وكذا قال عكرمة ولهذا قال اجدان الطائفة تصدق على واحد وقال عطاء بن ابي رباح اثان وبنا قال اسحق بن راهويه وكذا قال سعيد بن جبيرة طائفة من المؤمنين قال الطائفة اربعة نفر فصاعداً وقال الزهري ثلاثة نفر فصاعداً وقال عبد الله بن وهب عن الامام مالك في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال الطائفة اربعة نفر فصاعداً لانه لا يكفي

فان الشياطين كانت تسترق السمع ثم يأتون اليهم فيلقونه اليهم مثل مسليمة من المتنبئة وكس طبع من الكهنة وهو معنى قوله (يلقون السمع) اى ما يسمعون مما يسترقونه فالمعنى حال كون الشياطين يلقين السمع اى ما يسمعون من الملا الاعلى الى الكهان ويجوز ان يكون المعنى ان الشياطين يلقون السمع اى يصغون الى الملا الاعلى ليسترقوا منهم شيئاً ويكون المراد بالسمع على الوجه الاول المسموع وعلى الوجه الثانى نفس حاسة السمع ويجوز ان تكون جملة يلقون السمع راجعة الى كل افاك اثم على انفرادها او مستأنفة ومعنى الالتقاء انهم يسمعون ما تلقيه اليهم الشياطين من الكلمات التى تصدق الواحدة منها وتكذب المائة الكلمة ويلقونهم الى عوام الخلق اخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت سألت انا ناس النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكهان قال انهم ليسوا بشئ قالوا يا رسول الله انهم يحذرون احياناً بشئ يكون حقاً قال تلك الكلمة من الحق يحفظها الحى فمقدوف ما في اذن وليه فيخاطبون فيها اكثر من مائة كذبة وفي لفظ للبخارى فيزيدون معها مائة كذبة (و) جملة (اكثرهم كاذبون) راجعة الى كل افاك اثم اى واكثر هؤلاء الكهنة كاذبون فيما يلقونه من الشياطين لانهم يرضون الى ما يسمعونه كثير من اكاذيبهم المختلفة اى واكثرهم كاذبون فيما يلقونه من السمع اى المسموع من الشياطين الى الناس وهذه الجملة راجعة الى الشياطين اى واكثر الشياطين كاذبون فيما يلقونه الى الكهنة مما يسمعون فانهم يرضون الى ذلك من عند انفسهم كذير من الكذب وكان هذا قبل ان حجت الشياطين عن السماء وقد قيل كيف يصح على الوجه الاول وصف الافا كين بان اكثرهم كاذبون بعد ما وصفوا جميعاً بالافاك واجيب بان المراد بالافاك الذى يكثر الكذب لا الذى لا ينطق الا بالكذب فالمراد بقوله واكثرهم كاذبون انه قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الشياطين والغرض الذى سبق لاجله هذا الكلام رد ما كان يزعمه المشركون من كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جملة من يلقي اليه الشيطان السمع من الكهنة بيان ان اغلب على الكهنة الكذب ولم يظهر من احوال محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا الصدق فكيف يكون كما زعموا ثم ان هؤلاء الكهنة يعظمون الشياطين وهذا النبي المرسل من عند الله برسالتهم الى الناس يذمهم ويلعنهم ويامر باللعن وذنمهم ثم لما كان قد قال قائل من المشركين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم شاعر

شهادة في الزنا الا اربعة شهداء فصاعداً وبه قال الشافعى وقال ربيعة خمسة وقال الحسن البصرى عشرة وقال قتادة امر الله ان يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اى نفر من المسلمين ليكون ذلك موعظة وعبرة ونكالا وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حاتم حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا بقرية قال سمعت نصر بن علقمة يقول في قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قال ليس ذلك للفضيحة انما ذلك لدعى الله تعالى لهما بالتوبة والرجعة (الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك) يحرم ذلك على المؤمنين) هذا خبر من الله تعالى بان الزاني لا يبطأ الا زانية او مشركة اى لا يواطعه على امره من الزنا

الازانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك وكذلك الزانية لا ينكحها الازان أى عاص بزناه أو مشرك لا يعتد تحريمه قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهم ما الزاني لا ينكح الازانية أو مشركة قال ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع لا يرضى بها الازان أو مشرك وهذا السناد عنه صحيح وقد روى عنه من غير وجهه أيضا وقد روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعروة بن الزبير والفضال ومكحول ومقاتل بن حيان وغير واحد نحو ذلك وقوله تعالى وحرم ذلك على المؤمن أي تعاطيه والتزويج بالبغياء (٤٤) أو تزويج العفائف بالرجال التجار وقال أبو داود الطيالسي

حدثنا قيس عن أبي حصين عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وحرم ذلك على المؤمنين قال حرم الله الزنا على المؤمنين وقال قتادة ومقاتل بن حيان حرم الله على المؤمنين نكاح البغايا وتقدم في ذلك فقال وحرم ذلك على المؤمنين وهذه الآية كقوله تعالى محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخذان وقوله لمحصنين غير مسافحين ولا متخذين أخذان الآية ومن ههنا ذهب الامام أحمد ابن حنبل رحمه الله الى انه لا يصح العقد من الرجل العفيف على المرأة البغي مادامت كذلك حتى تستتاب فان تابت صح العقد عليها والافلاو وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتى يتوب توبة صحيحة لقوله تعالى وحرم ذلك على المؤمنين وقال الامام أحمد حدثنا عمار حدثنا معمر بن سليمان قال قال أبي حدثنا الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ما ان رجلا من المسلمين اسأذن رسول الله صلى

بين سبحانه حال الشعراء ومناقاة ما هم عليه لما عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (والشعراء يتبعهم) مشددا ومخففا أي يجارهم وينسلك مسلكهم ويكون من جملتهم (الغاوون) أي الضالون عن الحق والشعراء جميع شاعر والغاوون جمع غاؤ وهم ضلال الجن والانس قاله ابن عباس وقيل الزائلون عن الحق وقيل المشركون وقيل الشياطين وقيل الذين يروون الشعر المشتمل على الهجاء وما لا يجوز وقيل المراد شعراء الكفار خاصة منهم عبد الله بن الزبير السهمي وهبيرة بن أبي وهب الخزومي وسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمعي وأمية بن أبي الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يروون عنهم قولهم فذلك قوله تعالى هذا قال الزجاج اذا مدح أو هجا شاعر بما لا يكون وأحب ذلك قوم زنا بهوه فيهم فهم الغاوون والمعنى لا يتبعهم على كذبهم وباطلهم وتزويق الاعراض والقصد في الانساب والطعن في الاحساب ومدح من لا يستحق المدح وذم من لا يستحق الذم ولا يستحسن ذلك منهم الا الغاوون عن ابن عباس قال تهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدهما من الانصار والآخر من قوم آخرين وكان مع كل واحد منهم ما غواة من قومه وهم السفهاء فأنزل الله هذه الآية ثم بين سبحانه قبائح شعراء الباطل فقال (ألتم ترهم في كل واحد منهم) تقرير لما قبله والخطاب لكل من تتأتى منه الرواية يقال هاهم بهم هياما وهياما اذ ذهب على وجهه والهيام أن يذهب على وجهه من عشق وغيره وهو تمثيل كافي للكشاف والمعنى ألم تر أنهم في كل فن من فنون الكذب يخوضون وفي كل شعب من شعاب الزور يتكلمون فتارة يزفون الاعراض بالهجاء وتارة يأتون من الجحون بكل ما يبعه السبع ويستقبحه العقل وتارة يخوضون في بجزر السفاعة والوقاحة ويذمون الحق ويمدحون الباطل ويرغبون في فعل المحرمات ويدعون الناس الى فعل المنكرات كما تسمعه في أشعارهم من مدح الخمر والزنا واللواط ونحو هذه الرذائل الملعونة كيف وأكثر مقدماتهم خيالات لاحقية لها وأغلب كلماتهم في التشبيب بالحرام والغزل والابتهار والمدح في الانساب والطعن في الاحساب والوعد الكاذب والافتخار بالباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه قاله البيضاوي وغيره وهذا من باب الاستعارة البليغة

الله عليه وسلم في امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح وتشتترط له ان تدنق عليه قال فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ذكره أمرها قال فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الزاني لا ينكح الازانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الازان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين وقال النسائي أخذ بن عمر بن عدي حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي عن القاسم بن محمد عن عبد الله بن عمرو قال كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح فأراد رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها فأنزل الله عز وجل الزاني لا ينكح الازانية أو مشركة والزانية لا ينكحها

والتشبه

الازان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين قال الترمذي حدثنا عبد الله بن حميد حدثنا روح بن عبيد الله بن الاخنس أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلا يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة قال وكانت امرأتين بمكة يقال لهما عناق وكانت صديقه له وانه واعدت من اسارى مكة يحمله قال فمئت حتى انتهيت الى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة معة مرة قال فمئت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط فلما انتهت الى عرفتني فقالت مرثد فقلت مرثد فقالت مرحبا وأهلا علم فبت عندنا ليلة (٤٥) قال نقلت إيعاق حرم الله الزنا فقالت يا أهل

الخيام هذا الرجل يحمل أسرا كم قال فتبعني غماسة فسلكت الخندق فانتهيت الى غار أو كهف فدخلت فيه فجأوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل يولهم على رأسي فاعاهم الله عنى قال ثم رجعوا فرجعت الى صاحبي وحملته وكان رجلا ثقيل حتى انتهيت الى الأخر فنسكت عنه أحبله فجعلت أحمله ويعينى حتى أتيت به المدينة فقأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنسك عناقا أنسك عناقا مرتين فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد على شيا حتى نزلت الزانى لا ينسك الازانية أو مشركه والزانية لا ينسكها الازان أو مشركه وحرم ذلك على المؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا هرثد الزانى لا ينسك الازانية أو مشركه فلا تنسكها ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ورواه أبو داود والنسائي في كتاب النكاح من سننهم ما من حديث عبد الله بن الاخنس به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حذاف حدثنا أبو الحسن

والتتميل الرابع شبه جولا منهم فى أقانين انقول بطريق المدح والذم والتشبيب وأنواع الشعر بهم يام الهام فى كل وجه وطريق والهائم هو الذى يمتبط فى طريقته ولا يقصد موضع عام عيما واليائى العاشق والهيمان العطشان والهيام داء يأخذ الابل من العطش وجمل أهم وناقته هيام والجمع فيه هاهيم قال تعالى فصاربون شرب الهيم قال ابن عباس فى الآية فى كل لغوى يخوضون وقيل يدحون بالباطل ويمجون بالباطل وقيل أنهم يدحون الشئ ثم يدعون لايطلبون الحق والصدق فالواذى مثل لفتون الكلام وطرقه والغوص فى المعانى والقوافى ثم قال سبحانه (وأنتهم يقولون مالا يعلمون) أى يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة فى ذلك أبدأهم اليه الفن الذى سلكوه فقد يحنون بكلامهم على الكرم والخير ولا ينمأونه وقد ينسبون الى أنفسهم من أفعال الثمر ما لا يقدررون على فعله كما تجده فى كثير من أشعارهم من الدعوى الكاذبة والزور الخالص المتضمن لتدق المحصنات وأنهم فعلوا بهم كذا وكذا وذلك كذب محض واقترأ بحت ثم استثنى سبحانه الشعراء المؤمنين الصالحين الذين أغلب أحوالهم تحرى الحق والصدق وكانوا يجيبون شعراء الكفار ويمجون وينافخون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فقال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى دخلوا فى حزب المؤمنين وعملوا بأعمالهم الصالحات (وذكروا الله كثيرا) فى أشعارهم ولم يشغلهم الشعر عن ذكر الله كان رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير رضى الله تعالى عنهم عن عروة قال لما نزلت والشعراء الى قوله مالا ينمأون قال عبد الله بن ربيعة راحة يا رسول الله قد علم الله أنى منهم فانزل الله الا الذين آمنوا الى قوله يتقلبون وروى نحوه هذا من طرق (واتصروا من بعد ما ظلموا) كن يهجمونهم من هجاء أو ينتصر لعالم أو فاضل كما كان يقع من شعراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانهم كانوا يمجون من يمجوه ويحسون عنه ويدبون عن عرضه ويكافون شعراء المشركين وينافخونهم ويدخل فى هذا من اتصروا بشعره لاهل السنة وكافه أهل البدع وزيف ما يقول شعرا وهم من مدح بدعتهم وهجو السنة المطهرة كما يقع ذلك كثيرا من شعراء الرافضة ونحوهم فان الانتصار للحق بالشعر وتزييف الباطل به من أعظم الجهادة وفاعله من المجاهدين فى سبيل الله المنتصرين لدين الله القاعين بما أمر الله بالقيام به واعلم ان الشعر فى نفسه ينقسم الى أقسام فقد يبلغ مالا خير فيه

عبدالوارث عن حبيب المعلم حدثني عمرو بن شعيب عن سعيد المقبرى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسك الزانى الخلود الا منتهه وهكذا أخرجه أبو داود فى سننه عن مسدد وأبي معمر عن عبد الله بن عمرو وكلاهما عن عبد الوارث به وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا عاصم بن محمد عن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أخيه عمر بن محمد عن عبد الله بن يسار مولى ابن عمر قال شهدته سمعنا ما يقول قال عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال والديوث وثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة العاق

لوالديه ومدمن الخمر والمنان بما أعطى ورواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن يزيد بن زريع عن عمر بن محمد العمري عن عبد الله ابن يسار به وقال الامام أحمد ايضا - حدثنا يعقوب - حدثنا أبي - حدثنا الوليد بن كثير عن قطن بن وهب عن عويمر بن الاجزع عن حدثه عن سالم بن عبد الله بن عمر قال حدثني عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثه حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق لوالديه والذي يقر في أهله الخبث وقال أبو داود الطيالسي في مسنده - حدثني شعبة - حدثني رجل من آل سهل بن حنيف عن محمد بن عمار عن عمار بن ياسر (٤٦) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ديوث يستشهد به لما

قبله من الاحاديث وقال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سلام ابن سوار حدثنا كثير بن سليم عن الضحاك بن مزاحم سمعت أنس ابن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد أن يلقى الله وهو طاهر متطهر - فليتزوج الحرائر في اسناده ضعف وقال الامام أبو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري في كتابه الصحاح في اللغة الديوث القترع وهو الذي لا غيره له فأما الحديث الذي رواه الامام أبو عبد الرحمن النسائي في كتاب النكاح من سننه أخبرنا محمد بن اسمعيل بن عتبة عن يزيد ابن هرون عن حماد بن سلمة وغيره عن هرون بن زياد عن عبد الله بن عبيد ابن عمير وعبد الكريم عن عبد الله ابن عبيد بن عمير عن ابن عباس عبد الكريم رفعه الى ابن عباس وهرون لم يرفعه قال الاجازة رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عندى امرأة من أحب الناس الى وهى لا تمتنع بدلامس قال طلقها قال لاصبر لى عنها قال استمتع بها ثم قال انساني هذا الحديث غير

منه الى قسم الحرام وقد يبلغ ما فيه خير منه الى قسم الواجب وقد وردت أحاديث في ذمه ودم الاستكثار منه ووردت أحاديث أخرى في اباحتها وتجويزه والكلام في تحقيق ذلك يطول وأخرج أحمد والبخاري في تاريخه وأبو يعلى وابن مردويه عن كعب بن مالك أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد أنزل في الشعراء ما أنزل فكيف ترى فيه فقال ان المؤمن يجاهد نفسه بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكان ماترومهم به نضح النبل وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد عن أبي سعيد قال بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ عرض شاعر ينشد فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحا خيرا من أن يمتلئ شعرا وأخرج الديلمي مرفوعا عن ابن مسعود الشعراء الذين يموتون في الاسلام يأمرهم الله ان يقولوا شعرا يتغنى به الحور العين لازواجهن في الجنة والذين ماتوا في الشرك يدعون بالويل والشبور في النار وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر لحكمة قال وأناه قرينة بن كعب وعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت فقالوا انا نقول الشعر وقد نزلت هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرأوا فقرأوا والشعراء الى قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقال أنتم هم وذكروا الله كثيرا فقال أنتم هم وانصروا من بعد ما آمنوا وعملوا الصالحات فقال أنتم هم وأخرج ابن سعد وابن أبي شيبة عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحسان بن ثابت اهج المشركين فان جبريل معك وأخرج أحمد وابن سعد عن أبي هريرة قال مر عمر بحسان وهو ينشد في المسجد فلحظ اليه فنظر اليه فقال قد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك فسكت ثم التفت حسان الى أبي هريرة فقال أنشدك بالله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أجب عنى اللهم أيده بروح القدس قال نعم وأخرج ابن أبي شيبة عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر حكمة وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان من الشعر حكمة ومن البيان سحرا وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحا خيرا من أن يمتلئ شعرا وفي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري مرفوعا لأن يمتلئ جوف أحدكم قبحا خيرا من أن يمتلئ شعرا قال في الصحاح ورى القبح جوفه

ثابت وعبد الكريم ليس بالقوى وهرون أثبت منه وقد أرسل الحديث وهو ثقة وحديثه أولى بالصواب يريه

من حديث عبد الكريم قلت وهو ابن أبي المخارق البصرى المؤدب تابعى ضعيف الحديث وقد خالفه هرون بن زياد وهو تابعى ثقة من رجال مسلم فحديثه المرسل أولى كما قال النسائي لكن قدره النسائي في كتاب الطلاق عن ابي بن زاهويه عن النضر بن شميل عن حماد بن سلمة عن هرون بن زياد عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن ابن عباس مسند افذكره هذا الاسناد فرجاله على شرط مسلم الا ان النسائي بعدد روايته قال هذا خطأ والصواب مرسل ورواه غير النضر على الصواب وقد رواه النسائي أيضا وأبو داود عن الحسين

ابن حريث أخبرنا الفضل بن موسى أخبرنا الحسين بن واقد عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وهذا الاسناد جيد وقد اختلف الناس في هذا الحديث ما بين مضعفه له كما تقدم عن النسائي ومنكر كما قال الامام أحمد هو حديث منكر وقال ابن قتيبة انما أراد انها مخفية لا تقع سائلا وحكاها النسائي في سننه عن بعضهم فقيل وخفية تعطى وردها بانها لو كان المراد لقال لا تريد ملتس وقيل المراد ان حجيتها لا تريد لاس لان المراد ان هذا واقع منها وانما تفعل الفاحشة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأذن في مصاحبة من هذه (٤٧) صفته فان زوجها والحالة هذه يكون ديوانا

وقدة تقدم الوعيد على ذلك ولكن لما كانت حجيتها هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها ولو خلا بها أحد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزاهتها فلماذا كرهه سبحانه أبا ح البقاء معها لان محبته لها محقة ووروقع الفاحشة منها متوهم فلا يصار الى الضرر العاجل للتوهم الاجل والله سبحانه وتعالى أعلم قالوا فأما اذا حصلت توبة فانه يحل التزويج كما قال الامام أبو محمد بن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبو سعيد الاثنج حدثنا أبو خالد عن ابن أبي ذئب قال سمعت شعبة مولى ابن عباس رضی الله عنه قال سمعت ابن عباس وسأله رجل فقال انى كنت ألم باهراة آتى منها ما حرم الله عز وجل على فرزق الله عز وجل من ذلك توبة فأردت ان أتزوجها فقال أناس ان الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة فقال ابن عباس ليس هذا فى هذا انكحها فما كان من انم فعلى وقد ادعى طائفة آخرون من العلماء ان هذه الآية منسوخة قال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد الاثنج حدثنا أبو خالد عن يحيى بن سعيد بن المسيب

يربه وربا اذا أكله وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسن الشعر تحسن الكلام وقيح الشعر كقيح الكلام قال القرطبي رواه اسمعيل عن عبد الله بن عوف الشامي وحديثه عن أهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره وأخرج مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال ردف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت قلت نعم قال هيمه فأنشدته بيتا فقال هيمه ثم أنشدته بيتا فقال هيمه حتى أنشدته مائة بيت وقال الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان على أشعر من الثلاثة وعن ابن عباس انه كان ينشد الشعر ويستنشد في المسجد فرى انه دعا عمرو بن أبي ربيعة الخزرجى فاستنشده قصيدة فأنشده اياها وهى قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى البخارى عن أبى بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان من الشعر حكمة وقالت عائشة الشعر كلام فنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح ولا زاد الجبرامى رحمه الله فى بيان حكم الشعر كلام لطيف فى كتابه نسليه الفوائد ان شئت فارجع اليه ثم ختم سبحانه هذه السورة بأية جامعة للوعيد كله فقال (وسيعلم) وفيه تديدشديدوتومويل عظيم وكذا فى اطلاق (الذين ظلموا) وابهام (أى منقلب يتقلبون) بعد الموت وخص بعضهم هذه الآية بالشعراء ولا وجه لذلك فان الاعتبار به موم اللفظ وقد تلاها أبو بكر لعمر حين عهد اليه وكان السلف يتواظفون بها قال ابن عطاء سيعلم المعرض عما الذى فانه دنا والمعنى يتقلبون منقلبا أى منقلب والمراد جهنم وقدم أى تضمنه معنى الاستفهام قال أبو البقاء ولا يعمل فيه سيعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله بل هو معلق عن العمل فيه وهذا الذى قاله مردود بان أيا الواقعة صفة لا تكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة بل هما قسمان كل منهما قسم برأسه وأى تنقسم الى أقسام كثيرة قال النحاس وحقيقة لقول فى ذلك الاستفهام معنى وما قبله معنى آخر فلو عمل فيه ما قبله لا دخل بعض المعانى فى بعض والله أعلم وقال القرطبي معناه أى مصير يصيرون وأى مرجع يرجعون لان مصيرهم الى النار وهو أقيح مصير ومرجعهم الى العذاب وهو أشمر مرجع والفرق بين المنقلب والمرجع ان المنقلب الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها الى حال

قال ذكر عنده الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك قال كان يقال نسختها التى بعدها وأنكحوا الايامى منكم قال كان يقال الايامى من المسامين وهكذا رواه أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب النسخ والمنسوخ له عن سعيد بن المسيب ونص على ذلك أيضا الامام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمعصنة وهى الحررة البالغة العفيفة فاذا كان المقذوف رجلا فكذلك يجلد فاذه

أيضا وليس فيه نزاع بين العلماء فان أقام القاذف بينة على صحة ما قاله ذرى عنه الحد وان هذا قال تعالى ثم لم يأتوا بآية شهداء
 فاحلدهم ثم حثانين جلدة ولا تملوا لهم شهادة أبدا وانك هم الفاسقون فأوجب على القاذف اذا لم يقم البينة على صحة ما قال ثلاثة
 أحكام أحدها ان يجلد ثمانين جلدة الثانية انه ترد شهادته أبدا الثالث ان يكون فاسقا ليس بعدل لا عند الله ولا عند الناس ثم
 قال تعالى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو الآية واختلف العلماء في هذا الاستثناء هل يعود الى الجلة الاخيرة فقط فتفرع
 التوبة الفسق فقط ويبقى مردود الشهادة دائما (٤٨) وان تاب أو يعود الى الجلتين الثانية والثالثة أو اما الجلة فقد ذهب وانقضت

سواء تاب أو أدمر ولا يحكم له بعد ذلك بلا خلاف فذهب الامام مالك وأحمد والشافعي الى انه اذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم النسق ونصر عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين وجماعة من السلف أيضا وقال الامام أبو حنيفة انما يعود الاستثناء الى الجلة الاخيرة فقط فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة أبدا وعن ذهب اليه من السلف القاضي شريح وابراهيم الخمي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن بن زيد ابن جابر وقال الشعبي والضحاك لا تقبل شهادته وان تاب الا ان يعترف على نفسه انه قد قال البهتان فينشد تقبل شهادته والله أعلم (والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود الا أنفُسهم فشهدوا أحدتهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب ان تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولو لا فضل الله عليكم

كان عامه افسار كل مرجع منقلب وليس كل منقلب مرجعا ذكره الماوردي والمعنى عند الحسن وابن عباس ان الظالمين يطمعون في الانقلاب من عذاب الله والانفكاك منه ولا يتقدرون على ذلك وعن فضالة بن عبيد في الآية قال هؤلاء الذين يجربون البيت

* (سورة النمل هي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية) *

قال القرطبي وهي مكية كلها في قول الجميع وبه قال ابن عباس وعن ابن الزبير منه

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(طس) قدم الكلام فوصل في فواتح السور وهذه الحروف ان كانت اسماء للسورة فعملها الرفع على الابتداء وما بعدها خبرها ويجوز ان تكون خبر مبتدأ محذوف أي اسم هذه السورة طس وان كانت مسرودة على غط التعدي فلا محل لها والله أعلم بمراده بذلك

(تلك) إشارة الى نفس السورة لانها قد ذكرت اجمالا بذكر اسمها (آيات القرآن وكتاب من) عطف بزيادة صفة على مفهوم المعطوف عليه وكان مفيدا بهذا الاعتبار والمراد بالكتاب القرآن نفسه أو اللوح المحفوظ أو نفس السورة وقد وصف الآيات بالوصفين الترتيبية الدالة على كونها مقروءة مع الإشارة الى كونها قرآنا غير ما عجزوا الكتابية الدالة على كونها مكتوبة مع الإشارة الى كونها متصرفة بصفة الكتب المنزلة ثم ضم الى الوصفين وصفا ثالثا وهي الابنة لمعانيه لمن يقرأه وهو من أبان معنى بان معناه انضج اعجازها بما اشتمل عليه من البلاغة ومظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها النواب والعقاب أو لسبيل الرشاد والحق والباطل والحلال والحرام وقد وصف القرآنية هنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابة وأخره في سورة الحجر فقال تلك آيات الكتاب وقرآن مبين نظر الى حالته التي قد صار عليها فانه مكتوب والكتابة سبب القراءة والله أعلم وأما تعريف القرآن هنا وتذكير الكتاب وتعريف الكتاب في سورة الحجر وتذكير القرآن فلصلاحيته كل واحد منهما ما للتعريف والتذكير لان القرآن والكتاب اسمان لعمان للمنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم ووصفان له لانه يقرأ ويكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التذكير فهو الوصف (هدى بشري للمؤمنين) أي تلك آيات هادية ومبشرة أو هودى أو يهدى هدى وييسر بشري أو هاد من الضلالة ثم وصف المؤمنين الذين لهم الهدى والبشري فقال

ورحمته والله تواب حكيم) هذه الآية الكريمة فيها فرج للزواج وزيادة مخرج اذا قذف أحدهم زوجته (الذين

وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله عز وجل وهو أن يحضرها الى الامام فيدعي عليها بما رها به فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء ان من الصادقين أي فيما رها به من الزنا والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فاذا قال ذلك بانت منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء وحرمت عليه أبدا ويعطيا مهرها ويتوجه عليها بعد الزنا ولا يدرا عنها العذاب الا ان تلاعن فتشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين أي فيما رها به والخامسة ان غضب

الله عليها ان كان من الصادقين ولهذا قال ويدرأ عنها العذاب يعنى الحدان تشهداً أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فخصها بالغضب كما ان الغالب ان الرجل لا يتخشم فضيحة أهله ورميها بالزنا الا وهو صادق معذور وهى تعلم صدقه فيارماها به ولهذا كانت الخامسة في حقها ان غضب الله عليها والمغضوب عليه هو الذى يعلم الحق ثم يحيد عنه ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه واطفه بهم فيما شرع لهم من الترحيح والخروج من شدة ما يكون بهم من الضيق فقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته اى لخرجتم ولشق عليكم كثير من امورك (٤٩) وان الله تواب على عباده وان كان ذلك

بعدا الحلف والايمان والمغالطة حكيم فيما يشرع به ويأمر به وفيما ينهى عنه وقد وردت الاحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية وذو كرسبب نزولها وفيمن نزلت فيه من الصحابة قال الامام أحمد حدثنا يزيد اخبرنا عماد ابن منصور عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا قال سعد بن عباد وهو سيد الانصار رضى الله عنه أهكذا أنزلت يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألا تسمعون ما يقول سيديكم فقالوا يا رسول الله لانه فانه رجل غيور والله مات زوج امرأه فاجترأ رجل منان يتزوجها من شدة غيرة فقال سعد والله يا رسول الله اتى لاعلم انها الحق وانها من الله ولكنى قد تعجبت انى لو وجدت لكاعا قد تفخذها رجل لم يكن لى ان أهيجه ولا أحركه حتى آتى بأربعة شهداء فوافى الله انى لا آتى بهم حتى يقضى حاجته قال فالبنوا الا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية وهو

(الذين يقيمون الصلاة) أى الخمس ويديون على شرأنطها من الفروض والسنن ويأتون بها على وجهها (ويؤتون الزكاة) أى يؤدون ويعطون زكاة أموالهم اذا وجبت عليهم طيبة بها أنفسهم ولما كانت اقامة الصلاة وابتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد فى أوقاتها متى أتى بها فاعلم انى لو كان الايقان بالآخرة أمرا ثابتا مطلوبا وادامه أى به جلة أهمية فقال (وهم بالآخرة هم يوقنون) يعلمونها بالاستدلال وجعل الخبر مضارعا للدلالة على أن ايقانهم يستمر على سبيل التجدد فى كل وقت وعدم الانقطاع وكررا الضمير للدلالة على الحصر ولما فصل بينه وبين الخبر أى لا يوقن بالآخرة حتى الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق وانهم الاوحدون فيه ثم لما ذكر سبحانه أهل السعادة ذكر بعدهم أهل الشقاوة فقال (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى لا يصدقون بالبعث وهم الكفار (زينالهم أعمالهم) قبل المراد ان الله زين لهم أعمالهم السيئة القبيحة بتوكيب الشهوة فيهم حتى رأوا حاسنة وقيل المراد ان الله زين لهم الاعمال الحسنة وذكر لهم ما فيهم من خيرى الدنيا والآخرة فلم يقبلوا ذلك قال الزجاج معنى الآية انا جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينالهم ما هم فيه بان جعلناهم مشتغى بالطبع محبوبا بالنفس (فهم يعمهون) أى يترددون فيهم بتصهيرين على الاستقرار لا يمتدون الى طريقه ولا يصدقون على حقيقة له عدم ادراكهم قبحها فى الواقع وقيل المعنى يتنادون قاله أبو العالية وقال قتادة يلعبون وعن الحسن تصهرون وقيل يداومون وينهمكون فيها ويستمررون والمعانى متقاربة (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أى أشد قيل فى الدنيا كالقتل والاسر ووجه تخصيصه بعذاب الدنيا قوله بعده (وهم فى الآخرة هم الاخسررون) أى هم أشد الناس خسرا وأوعظهم خيبة فالمنفصل عليه هو أنفسهم من حيث اعتبار اختلاف الزمان والمكان ثم مهد سبحانه مقدمة ناعمة لما سيذكره بعد ذلك من الاخبار العجيبة فقال مخاطبا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) أى يلقي عليك بشدة قتلناه وتأخذ من لدن كثير الحكمة والعلم ووجه الجمع بينهم ما عن العلم داخل فى الحكمة ان العلم الذى يدخل فيها هو العلم العملى وهو الذى يتعلق بكيفية عمل والعلم أعم منه فكانت قبل مصيب فى أفعاله لا يفعل شيئا الا على وفق علمه علم بكل شىء سواء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل أم لا قيل ان

(٧ - فتح البيان سابع) أحد الثلاثة الذين تب عليهم بغا من أرضه عشاء فوجد عند أهل رجل فرأى بعينه وسمع بأذنيه فلم يهيجبه حتى أصبح فعد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى جئت أهلى عشاء فوجدت عند هار جلا فرأيت بعينى وسمعت بأذنى فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الانصار وقالوا قد تبنا بما قال سعد بن عباد الا ان يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية ويصلب شهادته فى الناس فقال هلال والله انى لارجوا ان يجعل الله لى منها محرجا وقال هلال يا رسول الله فانى قد آرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم انى لصادق فوالله ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يريدان يأمر بضر به إذ أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الوحي وكان إذ أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تزبد وجهه يعني فامسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فزلت والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادة إلا أنفسهم فمنهم من شهد أنهم لم يمسكوا بالله شهادات بالله الآية فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا فقال هلال قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليها فإرساوا اليها فجاءت فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما فذكرهما وأخبرهما ان عذاب الآخرة (٥٠) أشد من عذاب الدنيا فقال هلال والله يا رسول الله لقد صدقت عليهما فقالت

كذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عنوا بينهم فقبل لهلال شهيد فشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فلما كانت الخامسة قيل له يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فقال والله لا يعذبني الله عليها كالم يجلدني عليها فشهد في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم قيل للمرأة اشهدى أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة وأوقفها اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وان هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب فتلكت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي فشهدت في الخامسة ان غضب الله عليهما ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان لا يدعى ولدها لأب ولا يرمى ولدها ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد وقضى ان لا قوت لها من أجل انها يفترقان من غير طلاق ولا متوفى

لندن هما بمعنى عند وفي الغات كما تقدم في سورة الكهف وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريدان يسوق بعدهما من الاقاصيص وفيما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه وقد اشتمت هذه السورة على قصص خمسة الاولى هذه وتليها قصة النملة وتليها قصة بلقيس وتليها قصة صالح وتليها قصة لوط (اذ قال موسى لاهله) قال الزجاج أى اذ كرفسته اذ قال لاهله والمراد بياهله امرأته في سيره من مدين الى مصر وكان في ليله مظلمة باردة مشلجة وقد ضل الطريق وأخذ وجهه الطلق والحامل له على هذا السفر ان يجتمع بامه وأخيه بمصر ولم يكن معه اذ ذلك الا زوجته بنت شعيب فكفى عنها بلقظ الاهل الدال على الكثرة للتعظيم وقيل كان معه ولده وخادمه أيضا ومثله قوله امكنوا (انى آنتت نارا) أى أبصرتهم من بعيد (سأتيكم منها يخبر) عن حال الطريق وكان قد ضلها والسين تدل على بعد مسافة النار وتأكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امرأته لما كفى عنها بالاهل وللتعظيم مبالغة في التسلية (أو أتيتكم بشهاب قيس) يتنويهما على ان الثاني بدل من الاول أو صفة له لانه بمعنى مقبوس أى بشعلة نار مقبوسة أى مأخوذة من أصلها وتقرى بالاضافة على أنها اللسان فالمراد تعيين المقصود الذى هو القيس الجامع لمنفعتى الضياع والاصطلاح لان من النار ما ليس بقيس كالجر وكتا الصدتين منه عليه الصلاة والسلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صبغة التبرجى والترديد للايدان بانه ان لم ينظر بهم لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين فانه أبو السعود والمعنى على القراءة تين آتيتكم بشعلة نار مأخوذة من أصلها فى رأس فتسلة أو عود قال الزجاج من نون جعل قيس من صفة شهاب وقال الفراء هذه الاضافة كسجد الجامع وصلاة الاولى اضافة الشئ الى نفسه لاختلاف أسماءه وقال النحاس هي اضافة النوع الى الجنس كما تقول ثوب خز وحاتم حديد وهى بمعنى من أى شهاب من قيس قال ويجوز فى غير القرآن بشهاب قيسا على انه مصدر أو بيان أو حال قال الزجاج كل أى ضدى نور فهو شهاب وقال أبو عبيدة الشهاب النار وقال ثعلب أصل الشهاب عود فى أحد طرفيه جرة والاخر لانه نار فيه والشهاب الشعاع المنضى وقيل للكوكب شهاب (عليكم تصطلون) أى رجاء ان تستدفنوا بها من البرد أو لى تستدفنوا بها يقال صلى بالنار واصطلى بها اذا استدفنوا بها والصلاة النار

عظيمة عنها وقال ان جاءت به أصيب أو شبح خش الساقين فهو لهلال وان جاءت به أوراق جعد اجبالا خدج الساقين الاليتين فهو للذي رميت به فجاءت به أوراق جعد اجبالا خدج الساقين ساخن الاليتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكأن لى ولها شأن قال عكرمة فكان بعد ذلك أميرا على مصر وكان يدعى لاهمه ولا يدعى لأب ورواه أبو داود عن أنس عن الحسن بن علي عن يزيد بن هرون بنه فوهو محتمر اول هذا الحديث شواهد كثيرة فى الصحاح وغيرهما من وجوه كثيرة فمنها ما قال الجعاري حدثني محمد بن بشير حدثنا ابن أبي عدى عن هشام بن حسان حدثني عكرمة عن ابن عباس ان هلال بن أمية قذف امرأته عند

النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن خصماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو حدث في ظهرك فقال يا رسول الله إذا رأيت أحدا على امرأتك رجلًا ينطق بلس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة أو حدث في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق إنى صادق ولنزلن الله ما يرى ظهرى من الحد فتزل جبريل وآنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ أن كان من الصادقين فأنصرف النبي صلى الله عليه وسلم فإرسل اليهما فإفاء هلال فشهدوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهدل مسكيات ثم قامت فشهدت فلما كان في الخامسة وقفوها وقالوا (٥١) انهما موجهة قال ابن عباس فملكات ونكصت حتى

ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبصروها فان جاءت به أكل العينين سابغ الايتين خدج الساقين فهو شريك ابن خصماء فقامت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن انفرد به البخارى من هذا الوجه وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الزبائدى حدثنا يونس بن محمد حدثنا صالح وهو ابن عمر حدثنا عاصم يعنى ابن كليب عن أبيه حدثنى ابن عباس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى امرأته بجرى ففكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يردده حتى أنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى فرغ من الآيتين فإرسل اليهما فدعاهما فقال إن الله تعالى قد أنزل فيك فدعا الرجل فقرا عليه فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين ثم امر به فامسك على فيه فوعظه فقال له كل شىء اهن عليك من

العظيمة واختلاف الالفاظ في هاتين السورتين والقصة واحدة دليل على جواز نقل الحديث بالمعنى وجواز النكاح بغير لفظ التزوج (فلما جاءها) أى النار التي أبصرها (نودى) من جانب الطور (أن بورك من فى النار ومن حولها) أن هى المفسر قلما فى النداء من معنى القول أى قيل له بورك أو هى المصدر به أى بان بورك أى بارك الله أى ناداهم بانا قد سنالك وطهرناك واخترنالك للرسالة وقيل هى الخففة من المثقلة وتقديره بأنه بورك واسمها ضمير الشأن بورك خبرها وجاز ذلك من غير عوض وان منعه الرخصى أى لم يحتج هنا الى فاصل لان قوله بورك دعاء والدعاء يخالف غيره فى أحكام كثيرة وقرى ان بورك النار وحكى الكسافى عن العرب بارك الله وبارك فيك وبارك لك وكذلك حكى هذا الفراء قال ابن جرير قال بورك من فى النار ولم يقل بورك على من فى النار على لغة من يقول بارك الله أى بورك وقدس وطهر من فى النار وهو موسى وليس هو فيها حقيقة بل فى المكان القريب منها وهذا تحية من الله تعالى لموسى وتكريمه له كما حى ابراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحة الله وبركاته عليكم أهل البيت قاله القرطبي وقال السدى كان فى النار ملائكة والنار هنا هى مجرد النور وليكنه ظن موسى انها نار فلما وصل اليها وجدها نورا وعن الحسن وسعيد بن جبيران المراد بمن فى النار هو الله سبحانه أى نوره أو قـدرته وسلطانه وقيل بورك ما فى النار من أمر الله سبحانه الذى جعلها على تلك الصفة قال الواحدى ومذهب المفسرين ان المراد بالنار هنا النور وعن ابن عباس قال يعنى تبارك وتعالى نفسه كان نور رب العالمين فى الشجرة ومن حولها يعنى الملائكة وعنه قال كان الله فى النور نودى من النور ومن حولها قال الملائكة وعنه قال ناداه الله وهو فى النور وعنه قرى بورك النار وفى مصنف أبى بن كعب بورك النار ما النار فى زعمون انها نور رب العالمين وعن ابن عباس بورك قال قدس وقيل المراد بمن غير العقلاء هو النور والامكنة التى حولها وأخرج عبد بن حميد وابن ماجه وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى عن أبى موسى الأشعري قال قام فىنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام يخفص القسط ويرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو رفع لآحرق سموات وجهه كل شىء أدركه بصره ثم قرأ أبو عبدة ان بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله

لعنة الله ثم أرسله فقال لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم دعاه فقرا عليها فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ثم أمر به فامسك على فيها فوعظها وقال ويجحد كل شىء اهن من غضب الله ثم أرسلها فقال غضب الله عليها ان كان من الصادقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والله لا قضين بينكما قضاء فصلا قال فولدت فخا رأيت ولودا بالمدينة أكثر منه فقال ان جاءت به لكذا وكذا فهو كذا وان جاءت به لكذا وكذا فهو كذا فجاءت به يشبه الذى قدفت به وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا عبد الملك بن أبى سليمان قال سمعت سعيد بن جبيرة قال سئلت عن المتلاعنين أى يفرق بينهما فى اماره بن الزبير فادريت ما أقول

فقلت من مكاني الى منزل ابن عمر فقلت يا ابا عبد الرحمن المتلاعنان أيفرق بينهما فقال سبحان الله ان أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان فقال يا رسول الله أرايت الرجل يرى امرأته على فاحشة فان تكلم تكلم بأمر عظيم وان سكت سكت على مثل ذلك فسكت فلم يجبه فلما كان بعد ذلك اتاه فقال الذي سألتك عنه قد ابتمت به فأنزله الله تعالى هذه الآيات في سورة النور والذين يرمون ازواجهن حتى يبلغ أن غضب الله عليهما ان كان من الصادقين فعد بالرجل فوعظهم وذكره واخبره ان عذاب الدنيا هو من عذاب الآخرة فقال والذي بعثك بالحق

(٥٢)

من عذاب الآخرة فقالت المرأة والذي بعثك بالحق انه لكاذب قال فبسد بالرجل فشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ثم ثني بالمرأة فشهدت اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة ان غضب الله عليهما ان كان من الصادقين ثم فرق بينهما رواه النسائي في التفسير من حديث عبد الملك بن ابي سليمان به واخرجه في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن حماد حدثنا ابو عوانة عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كأجلوسا عشية الجمعة في المسجد فقال رجل من الانصار اأحدنا رأى مع امرأته رجلا ان قتلته وان تكلم جلدتموه وان سكت سكت على غيظ والله لان أصبحت صحيحا لاسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسأله فقال يا رسول الله ان احدنا اذا رأى مع امرأته رجلا ان قتلته وان تكلم جلدتموه وان

رب العالمين والحديث أصله مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة وفي التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعين واستعمل من جبال فاران والمراد بعثة موسى من سيناء وبعثة عيسى من ساعين وبعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من فاران وهو اسم مكة ثم نزه سبحانه نفسه من السوء فقال (وسبحان الله رب العالمين) فيه تعجب لموسى من ذلك وهو من جملة مانودي به وانما وقع التعرض للتنزيه في هذا المقام لدفع ما ربه ان يتوهمه موسى بحسب الطبع البشري الجاري على العادة الخلقية ان الكلام الذي يسمعه في ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام الخلق أو المتكلم به في مكان أو وجهة قاله الحفناوي (يا موسى انه) أي الشان (أنا الله العزيز) الغالب القاهر (الحكيم) في أمرى وفعلى وقيل ان موسى قال يا رب من الذي ناداني فأجابه سبحانه بقوله انه أنا الله وهو تعهد لما أراد ان يظهر على يده من المعجزات فأمره سبحانه بان يلقى عصاه ليعرف ما أجراه على يده من المعجزات الخارقة فيأنس بها فقال (وألق) عطف على بورك منتظم معه في سالك تفسير النداء أي نودي ان بورك وأن ألق (عصاك فلما رآها تهتز) جملة حالية من هاء رآها لان الرؤبة بصريه وقوله (كانها جان) يجوز ان تكون حالاً ثانية وان تكون حالاً من ضمير تهتز فتكون حالاً متداخلة قاله السمين قال الزجاج صارت العصا تتحرك كما يتحرك الجان وهو الحية البيضاء وانما شبهها بالجان في خفة حركتها والاختفتها كانت كبيرة جدا وشبهها في موضع آخر بالنعبان لعظمتها وجمع الجان جنان وهي الحية الخفية الصغيرة الجسم وقال الكلبى لا صغيرة ولا كبيرة والثناء فصيحة تنفخ عن جملة قد حدثت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كأنه قيل فألقها فانقلب حية تسعى فابصرها فلما أبصرها تتحرك بسرعة واضطراب (ولى مدبرا) من الخوف (ولم يعقب) أي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كره بعد الفرار يقال عقب فلان اذا رجع وكل راجع معقب وقيل لم يقف ولم يلتفت ولم ينظر والاول أولى لان التعقيب هو الكبر بعد الفرار وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك الامر أريد به كيان نبي عنده قوله (يا موسى لا تخف) من غيرى أي من الحية وضررها ثقة بي أو لا تخف مطلقا (انى لا يخاف لدى المرسلون) أي لا يخاف عندى من المرسلين ليس في جميع الاوقات بل في وقت فلا تخف أنت عندى قيل ونفى الخوف عن المرسلين ليس في جميع الاوقات بل في وقت

سكت سكت على غيظ اللهم احكم قال فنزل آية الاعمان فكان ذلك الرجل اول من اتى به انفر دباخره مسلم فزواه الخطاب من طرق عن سليمان بن مهران الاعمش به وقال الامام احمد ايضا حدثنا ابو كامل حدثنا ابراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن سهل بن سعد قال جاء عويمر الى عاصم بن عدى فقال له سل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت رجلا وجد رجلا مع امرأته فقتله يقتل به ام كيف يصنع فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل قال فليعه عويمر فقال ما صنعت قال ما صنعت انك لم تأتى بخير سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب المسائل فقال عويمر والله لا تبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا سأله فأتاه فوجد قد أنزل عليه فيها قال فدعاها ما ولا عن بينهما قال عويمر ان انطلقت بها يا رسول الله لقد

كذبته عليهم قال فقارقتها قبل ان يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت سنة المتلاعنين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت به اجمع العينين عظيم الاليتين فلا آراه الا قد صدق وان جاءت به اجمير كانه وحرة فلا آراه الا كاذبا فجاءت به على النعت المكرهه واخرجاه في الصبيحين وبقية الجماعة الا الترمذي ورواه البخاري ايضا من طرق عن الزهري به فقال حدثنا سليمان بن داود ابو الربيع حدثنا فليح عن الزهري عن سهل بن سعد ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرايت رجلا رأى مع امرأته رجلا أبقته فقتلوه أم كيف يفعل (٥٣) فانزل الله تعالى فيه ما ذكر في القرآن من التلاعن

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قضى فيك وفي امرأتك قال قتلا عنا وانا شاهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقارقتها فكانت سنة ان يفرق بين المتلاعنين وكانت حاملا فلانكر حملها وكان ابنها يدعى اليها ثم جرت السنة في الميراث ان يرثها وترث منه ما فرض الله لها وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا اسحق بن الصفيح حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس بن أبي اسحق عن أبيه عن زيد بن بتيص عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبي بكرلو رأيت مع ام رومان رجلا ما كنت فاعلا قال كنت والله فاعلا فاعلا قال فانت يا عمر قال كنت والله فاعلا كنت أقول لعن الله الاجمير فانه خبيث قال فسنة والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم ثم قال لانعلم أحدا أسنده الا النضر بن شميل عن يونس بن اسحق ثم رواه من حديث الثوري عن أبي اسحق عن زيد بن بتيص عن امر سلاف الله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا مسلم بن أبي مسلم الحرابي

الخطاب لهم والايحاء والارسال لانهم اذ ذلك مستغرقون في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من شيء وأما في غير هذه الحالة فالمرسلون أخوف الناس منه تعالى أو المعنى لا يكون لهم عندى سوء عاقبة ليخافوا منه ثم استثنى استثناء منقطعاً فقال (الامن ظلم) أى لكن من أذنب في ظلم نفسه بالمعصية (ثم يدل حسنا) أى توبة وقد ما أتاه (بعد سوء) أى بعد عمل سوء (فأنى عفور رحيم) أقبّل التوبة واغفر له وقبّل الاستثناء من مقدر أى لا يخاف لدى المرسلون وانما يخاف غيرهم من ظلم الامن ظلم الخ كذا قال الفراء وقال النحاس الاستثناء من محذوف محال لانه استثناء من شيء لم يذكر وعن الفراء أن الا بمعنى الواو وقيل ان الاستثناء متصل من المذكور لامن المحذوف والمعنى الامن ظلم من المرسلين باتيان الصغائر التي لا يسلم منها أحد واختار هذا النحاس وقال علم من عصاه منهم فاستثناء فقال الامن ظلم وان كنت قد غفرت له كآدم وداود واخوة يوسف وموسى لقتله القبطى ولا مانع من الخوف بعد المغفرة فان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقول وددت انى شجرة تعضد (وأدخل يديك في جيبك) المراد بالجيب هو المعروف أى طوق القميص سمي جيبا لانه يجاب أى يقطع ليدخل فيه الرأس وفي القصص اسلك يديك في جيبك وفى أدخل من المبالغة ما لم يكن فى اسلك ولم يأمره بادخالها فى كفه لانه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كم لها وقيل كان لها كم قصير عن ابن عباس قال كانت على موسى جبة من صوف لا تبلغ من فقيهه فقال له أدخل يديك في جيبك فادخلها (تخرج) خلاف لو نها من الادمه (بيضا من غير سوء) أى من غير برص أو نحو من الآفات فهو احتباس وقيل فى الكلام حذف تقديره أدخل يديك تدخل وأخرجها تخرج ولا حاجة الى هذا الحذف ولا ملجئ اليه قال المفسرون وكانت على موسى مدرعة من صوف لا كم لها ولا زرار فادخل يديه فى جيبه وأخرجها فاذا هى تبرق كالبرق لها شعاع يغشى البصر (فى تسع آيات) قال أبو البقاء هو فى محل نصب على الحال من فاعل تخرج وفيه بعد وقيل متعلق بحذف أى اذهب فى تسع آيات وقيل متعلق بقوله ألقى عصاك وأدخل يديك فى جملته تسع آيات وقيل المعنى فيما آياتان من تسع يعنى العصا واليد فتكون الآيات احدى عشرة آياتان والفاق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم

حدثنا محمد بن الحسين عن هشام عن ابن سيرين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لا أول لعن كان فى الاسلام ان شريك بن ميمون قد فده هلال بن أمية بأمر أنه فرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة شهودوا الاخفى ظهره ك فقال يا رسول الله ان الله يعلم انى لصادق ولينزان الله عليك ما يبرى به ظهرى من الجلد فانزل الله آية اللعان والذين يرمون أزواجهم الى آخر الآية قال فدعاها النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد بالله انك لمن الصادقين فيما رميت به من الزنا فشهد بذلك أربع شهادات ثم قال له فى الخامسة ولعنة الله عليك ان كنت من الكاذبين فيما رميت به من الزنا ففعل ثم دعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قومي فاشهدى بالله انه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا فشهدت بذلك أربع شهادات ثم قال لها فى الخامسة و غضب الله عليك

ان كان من الصادقين؟ يمارك به من الزنا قال فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكنت سكنته حتى ظنوا انه استعترف ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فخصت على القول ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ما وقال انظر وانا فان جاءت به جعد اخش الساقين فهو لشريك بن سهماء وان جاءت به أبيض سبطا قصير العينين فهو لهلال بن أمية فجاءت به جعد اخش الساقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما نزل فيهم ما من كتاب الله لكان لي ولها شأن (ان الذين جاؤا بالافك عصبه منكم لا تحسبوه مشرككم بل هو خيرا لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى (٥٤) كبره منهم له عذاب عظيم) هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم

المؤمنين رضى الله عنها حين رماها أهل الافك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والقرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيسه صلوات الله وسلامه عليه فانزل الله تعالى برأيتهم اصيابة لعرض الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ان الذين جاؤوا بالافك عصبه منكم أي جماعة منكم يعني ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين فانه كان يجده معه ويستوشيه حتى دخل ذلك في اذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزة آخرون منهم وبقي الامر كذلك قريبا من شهر حتى نزل القرآن وبيان ذلك في الاحاديث الصحيحة وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الافك ما قالوا فبرأها الله تعالى وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها وبعضهم

قال الخماس أحسن ما قيل فيه ان هذه الآية يعني البسدا خلة في تسع آيات وكذا قال المهدي والقشيري قال الزجاج والقشيري تقول خرجت في عشرة نفر وانت احدهم أي خرجت عاشر عشرة ففي معنى من لقر بها منها كما تقول خذني عشرا من الابل فيها خلان أي منها وقيل في معنى مع اليد والعصا خرجتان من التسع وكذا فعل ابن عطية (الى فرعون وقومه) قال الفراء في الكلام انما رأى انك مبعوث أو مرسل الى فرعون وقومه وكذا قال الزجاج (انهم كانوا قوما فاسقين) تعليل لما قبله من المقدراى خارجين عن الحد وفي الكفر والعدوان (فلما جاءتهم آياتنا) التي كانت على يد موسى حال كونها (مبصرة) أي مضيئة واضحة اسم فاعل أطلق على النعول نحو موادق أي مدفوق اشعار بانها الفرط انارتها ووضوحها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر كقوله وآتيناهم الناقة مبصرة وقرئ مبصرة بفتح الميم والصاد أي مكانا يكثر فيه التبصر كما يقال الولد مجبنة ومجذلة والاول وأولى ونسب الابصار اليها مجاز لانها يبصر والمعنى اضاءة معنوية في كلها أو حسية أيضا في بعضها وهو اليد فلما جاءتهم آياتنا (قالوا هذا) الذي نشاهده من الخوارق التي أتى بها موسى (سحرميين) واضح ظاهرا سحره (ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم) أي قد كذبوا بها ولم يقرروا حال كون أنفسهم مستيقنة لها انما من عند الله قالوا وللعمال يقال بجد حقه وبجته بمعنى والاستيقان أبلغ من الايقان (ظلمنا) أي للآيات كقوله تعالى بما كانوا آياتنا ينظرون ولقد ظلموا بها أي ظلم حيث حطوها عن رتبتهما العالية وسوها صرا (وعلوا) استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا آياتنا واستكبروا عنها واتصبا بما اعلى العلة أي الحامل لهم على ذلك الظلم والعلو وعلى الحالية من فاعل بجدوا أي بجدوا بها نظالين لها مستكبرين عنها ويجوز أن يكونا نعت مصدر محذوف أي بجدوا بها بجدوا ظلما وعلوا قال أبو عبيدة والباء في بجدوا بها زائدة وقال الزجاج التقدير ووجدوا بها ظلما وعلوا أي وتكبروا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون انما من عند الله (فانظر كيف كان عاقبة المنسدين) أي تفكروا بمحمد في ذلك فان فيه معتبر للمعتبرين وقد كان عاقبة أمرهم الاغراق لهم هنا في البحر على تلك الصفة الهائلة والاحراق عنة وانما لم يذكر تنبيهها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر ولما فرغ سبحانه من قصة موسى شرع في قصة داود وابنه سليمان وهذه النصة

كان أوعى حديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة وبعض وما حدثتهم بصدق بعضا ذكروا ان عائشة رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج لسفرا فخرج بين نسائه فأيتها من خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه قالت عائشة رضى الله عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي وخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد ما نزل الحجاب فانا أحجل في هودجى وأنزل فيه فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته وقفل ودونا من المدينة قافلين آذن ليلا بالرحيل فقمت حين آذن بالرحيل فبشيت حتى جاؤنا الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلي فاست صدرى فاذا عقدي من جزع ظفارا قد انقطع فرجعت

فالتست عقدي نفسي استغائه وأقبل الرهط الذين كانوا يرسلونني فاحتموا هو دجى فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه قالت وكان النساء إذذاك خفا فاليهم بليل ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقمة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة اليهودج حتى رفعوه وجالوه وكنت جارية حديثة السن فبعنوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فبخت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتمت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيقتدونني فيرجعون الي فيبيننا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فبخت وكان صفوان بن العطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراءه (٥٥) الجيش فادخل فاصبح عند منزلي فرأى سواد

انسان نائم فأتاني فعرفني حين رأيت وقد كان قد رأني قبل الخجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فغمسرت وجهي بجلبابي والله ما كلفني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحته فوطئ على يدها فركبته فانا انطلق بقودي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي نولي كبره عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمناها شهرا والناس يفيضون في قول أهل الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يريني في وجهي اني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي أرى منه حين أشتكى انما يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كف تيكم فذلك الذي يريني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نكحت وخرجت معي ام مسطح قبل المتاصع وهو متبرزنا ولا نخرج الاليل الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الاول في التنزه

وما قبلها وما بعد هاهي كالبيان والتقرير لقوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم فقال (واقداً آتينا) أي أعطينا (داود وسليمان) ابنة (علما) التنوين المألوف أي طائفة من العلم واللتعظيم أي علما كثيرا قيل المراد علم الدين والحكم وقيل علم القضاء والسياسة وقيل علم داود تسبيح الطير وعلم سليمان منطق الطير والدواب وكان لداود تسعة عشر ولدا سليمان واحد منهم وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة وعاش سليمان مائة وخمسين سنة وبينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم اثنتي عشرة سنة وسبع مائة سنة كره في التعبير (وقالا) أي كل منهما والواو للعطف على محذوف لان هذا المقام مقام الفاء فالتقدير واقداً آتيناها علما فعلمنا به وقالوا لا شكر الله (الحمد لله) ويؤيده ان الشكر بالاسان انما يحسن اذا كان مسبوقا به هل القلب وهو العزم على فعل الطاعة وترك المعصية (الذي فضانا) بالعلم والنبوة وتسخير الطير والجن والانس والشياطين (على كثير) ممن لم يؤت علما ومنزل علمنا وهذه المقالة على سبيل التحدث والشكر (من عباده المؤمنين) ولم يفضلوا أنفسهم على الكل بوضعهم وظاهر النظم ان التسخير كان لكل من داود وسليمان ومثله في الخازن والخطيب وفي الآية دليل على شرف العلم وارتقاء محله وتقدم جلته وأهله وان نعمة العلم من أجل النعم التي ينعم الله بها على عباده وان من أوتيها فقد أوتي فضلا على كثير من العباد ومنع شرفا جليلا وما سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورثة الانبياء الامداد انهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من أجله وفيه انه يلزمهم هذه النعمة الفاضلة ان يعبدوا الله على ما أوتوا وان يعتقد العالم انه ان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أفض من عمر وعن عمر بن عبد العزيز انه كتب ان الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عابها الا كان حده افضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل فقد قال الله عز وجل واقداً آتينا داود وسليمان علما الى قوله عباده المؤمنين وأي نعمة أفضل مما أعطى داود وسليمان أقول ليس في الآية ما يدل على ما فهمه رحمه الله والذي يدل عليه انهم احبوا الله سبحانه على ما فضلهم به من النعم فمن أين تدل على أن حده افضل من نعمته (ورث سليمان داود) أي ورثه العلم والنبوة والكتب دون باقي اولاده قال قتادة والكلبي كان لداود تسعة عشر ولدا ذكرا فورث سليمان من بينهم نبوة ولو كان المراد

في البرية وكنا تاذي بالكنف ان نتخذها في بيوتنا فانطلقت أنا وام مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد المطلب بن عبد مناف وامها ابنة صخر بن عامر خاله أبي بكر الصديق وابنتها مسطح بن ائانة بن عباد بن عبد المطلب فاقبلت أنا وابنة أبي رهم ام مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها يا بنته اقلت تسعين رجلا شهيدا فقالت أي هتاه لم تسمعي ما قال قلت وماذا قال قالت فاخبريني بقول أهل الافك فازددت مرضا لي مرضى فلما رجعت الي بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أنا ذن لي أن أتى أبوي قالت وأنا حينئذ أريد ان أتيقن الخبر من قبلهما

فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفت أبوي فقلت لامي يا أمته ماذا يتحدث الناس به فقالت أي نبية هوتني عليك فوالله
 ألقها كانت امرأة قط وضئته عند رجل يحبها وله اضراير الأكرن عليها قالت فقلت سبحان الله أرقد تحدث الناس بها قالت
 فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي
 طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحى يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأمأ أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم (٥٦) في نفسه لهم من الود فقال أسامة يا رسول الله اهلك ولا تعلم الا

ورثة المال لم يخص سليمان بالذكور لان جميع اولاده في ذلك سواء وكذا قال جمهور
 المفسرين فهذه الوراثة هي وراثة مجازية كقوله صلى الله عليه وآله وسلم العلماء
 ورثة الانبياء قال قتادة في الآية ورث نبوته ومملكه وعلمه وأعطى ما أعطى داود وزيدله
 تسخير الريح والجن والشياطين وكان اعظم ما كمنه وأقضى منه وكان داودا شد بعدا
 من سليمان شاكر النعم الله تعالى (وقال) سليمان لبني اسرائيل متحد بايمانم الله به عليه
 وشكر النعمه التي خصه بها (يا ايها الناس علمنا) الضمير فيه وفي اوتينا لكل من داود
 وسليمان قال القرطبي تفضل الله علينا زيادة على ما ورثنا من داود من العلم والنبوة
 والخلافة في الارض ان فهمنا (منطق الطير) اي فهم ما يريد كل طائر اذا صوت والمعاني
 التي في نفوسها هي صوت الطير منطوقا لوصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس وقدم
 منطق الطير لانها نعمة خاصة به لا يشاكره فيها غيره قال الفراء منطق الطير كلام الطير
 فجعل كمنطق الرجل ومعنى الآية فهمنا ما يقول الطير ومقتضى هذان كلامهما كان
 يعلم اصوات الطير وما تريده قال الخطيب علمنا اي انا وابي يايسر امر واسهله وفي
 البيضاوى النطق والمنطق في التعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان أو مركبا
 مفيدا كان أو غير مفيد وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه أو التبعية كقولهم
 نطق الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث
 انها تابعة للتخييلات منزلة العبارات سيما فيما يتفاوت باختلاف الاغراض
 بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية
 الغرض الذى صوت لاجله والغرض الذى توخاه به انتهى قال جماعة من المفسرين
 انه علم منطق جميع الحيوانات وانما ذكر الطير لانه كان جندا من جنوده يسير معه
 لتظليله من الشمس فخص بالذكور لكثر مدخله وقال قتادة والشعبي انما علم منطق
 الطير خاصة ولا يعترض ذلك بالنحلة فانها من جنسه الطير وكثيرا ما يخرج لها أجنحة فتطير
 وكذلك كانت هذه النحلة التي سمع سليمان كلامها وفهمه أخرج أحمد في الزهد وابن أبي
 شيبة وابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجي قال خرج سليمان بن داود يستسقى بالناس
 فمر على نحلة مستلقية على فنها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم أنا خلق من
 خلقك ليس بنا عنى عن رزقك فاما ان تستقيمنا واما ان تهلكنا فقال سليمان للناس ارجعوا

خير او اواعلى بن أبي طالب فقال
 يا رسول الله لم يضييق الله عليك
 والنساء سواها كثير وان تسأل
 الجارية تصدق الخبر قالت فدعا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة
 فقال أي بريرة هل رأيت من شئ
 يريك من عائشة فقالت له بريرة
 والذى بعثك بالحق ان رأيت عليها
 أمرا قط أغصه عليها أكثر من انها
 جارية حديثة السن تنام عن عجين
 أهلها فتأق الداجن فتأكله فقام
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من
 بومه فاستعذر من عبد الله بن أبي
 ابن سلول قالت فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر
 يا معشر المسلمين من يعذرنى من
 رجل قد بلغنى عنه أذاه في أهلى
 فوالله ما علمت على أهلى الا خيرا
 ولقد ذكر وار جلا ما علمت عليه
 الا خيرا وما كان يدخل على أهلى
 الا معي فقام سعد بن معاذ الانصارى
 رضى الله عنه فقال أنا أندر لك منه
 يا رسول الله ان كان من الاوس
 ضر بنا عنقه وان كان من اخواننا
 الخزرج أمرتنا فعلننا أمره قالت
 فقام سعد بن عبادة وهو سيد

الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن احتمله الحية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من
 رهطك ما أحييت ان يقتل فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتله فانك منافق
 تجادل عن المنافقين فتناور الحيمان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يرزل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وبكيت يومى ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكحل بنوم
 وأبواي يظن ان البكاء فائق كبدي قالت فينماهما جالسا عندى وأنا أبكي استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست

تبي هي فينا نحن على ذلك اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قبل ما قبل وقد لبث شهر الاوحى اليه في شأني شيء قالت فتشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت آلمت بذنب فاستغفري الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة فخلص دمي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لاني أجب عنى رسول الله فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لاني أجيب (٥٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فقالت وأنا جارية حديث السن لا أقرأ كثيرا من القرآن والله لقد علمت لقد سمعت هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لاتصدقونني ولئن اعترفت بأمر والله يعلم اني منه بريئة لاتصدقني فوالله ما جد لي ولكم مثلا الا كما قال أبو يوسف فصبر جيل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحوت فاضطجعت على فراشي قالت وأنا والله أعلم حينئذ اني بريئة وان الله تعالى مبرئى برائتي ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحى يتلى ولشأنى كان أحقر نفسى من أن يتكلم الله في بأمرى يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها قالت فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتى انه ليتحدز

فقد ستمت بدعوة غيركم وقد ذكر الحازن والنسفي في تفسيرهم ما منطبق بعض الطيور وما تقوله القمري وغيرها وكذا القرطبي بلا استناد صحيح متصل بعد قوله عليه وبارك له فتر كاذره هنا فإنه لا يأتي بكثير فائدة للمنتفعين (وأوتينا من كل شيء) تدعو اليه الحاجة كالعلم والنسوة والحكمة والمال وتسخير الجن والانس والطيور والرياح والوحش والدواب وكل ما بين السماء والارض وجاء سليمان بنون العظمة والمراد نفسه بيانا لحاله من كونه مطاعا لا يخالف لا تكبر او تعظيما لنفسه عن جعفر بن محمد قال أعطى سليمان ملك مشارق الارض ومغاربها فلما سلّم سليمان سبعة سنين وستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم وأعطى كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة حتى اذا أراد الله أن يقبضه أوحى اليه ان يستودع علم الله وحكمته أحاه ولد داود كانوا أربع مائة وعثمان بن رجلا نبيا بلارسلالة قال الذهبي هذا باطل وقدر رويت قصص في عظم ملك سليمان عن القرظي وغيره لا تطيب النفس بدكر شيء منها فالامسالك عن ذكرها أولى (ان هذا) أى ما تقدم ذكره من التعليم والاياء (الاهو النضل المين) أى الظاهر الواضح الذى لا يخفى على أحد والمظهر ان فضيلتنا وانما قال ذلك شكرا لا خيرا (وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطيور) من الاما كن المختلفة في مسيرله والحشر الجمع أى جمع له جنوده من هذه الاجناس وقد طال المنسرون في ذكركم قدر جنوده وبالغ كثير منهم مبالغة تستبعد العقول ولا تصح من جهة العقل ولو صحت لكان في القدرة الرابسة ما هو أعظم من ذلك وأكثر (فهم يوزعون) أى لكل طائفة منهم وزعة تردأ ولهم على آخرهم فيقفون على مراتبهم قيل كان في جنوده وزراء وهم النقباء تردأ اول العسكر على آخره لئلا يتقدموا في السير يقال وزعه يزعه وزعا كفضه فاتزع أى انكف وأوزعه بالشئ أعراهه واستوزعت الله شكره فأوزعنى أى استلهمته فالهمنى والوازع في الحرب الموكل بالصوف يزرع من تتقدم منهم أى يرده وجمعه وزعة وقيل هو من التوزيع بمعنى التفريق يقال القوم أوزاع أى طوائف وقال ابن عباس يوزعون يدفعون وعنه قال لكل صف وزعة تردأ ولاها على آخرها الثلاثة تقدمها في السير كما يصنع المولود وفي الآية دليل على اتحاد الأئمة والحكام وزعة يكفون الناس ويعنعونهم من تطاول بعضهم على بعض اذ لا يمكن الحكام ذلك بانفسهم قال الحسن لا بد للناس من وازع أى سلطان يكفهم (حتى اذا تواتوا) حتى هي

(٨ - فتح البيان سابع)

منه ممثل الجمان من العرف وهو في يوم شات من نقل القول الذى أنزل عليه قالت فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال ابشرى يا عائشة أيما الله عز وجل فقد برئت قالت لى أمى قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أجد الا الله عز وجل هو الذى أنزل برائتي وأنزل الله عز وجل ان الذين جاوا بالافك عصية منكم العشر الآيات كلها فلما أنزل الله هذا في برائتي قال أبو بكر رضى الله عنه وكان ينفق على مطح ابن أمية لقرأته منه وفقره والله لا تنفق عليه شيئا أبدا بعد الذى قاله عائشة فأنزل الله تعالى ولا يتأمل أولوا الفضل منكم والسعة

ان بؤتوا واولى القرى الى قوله ألا تعجبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذنقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن أمرى فقال يا زينب ماذا علمت أو رأيت فقالت يا رسول الله أحسى سمعى وبصرى والله ما علمت الا خبرا قالت عائشة وهى التي كانت تسمي من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقصها الله تعالى بالورع وطهقت أختها حمنة بنت جحش (٥٨) تحارب لها فهلكت فيمن هلك قال ابن شهاب فهذه ما انتهى اليها من أمر

هو لاهط أخرجه البخارى ومسلم في صحيحهما من حديث الزهري وهو كذا رواه ابن اسحق عن الزهري كذلك قال وحديث يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها وحديث عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى عن عمرة عن عائشة بنحو ما تقدم والله أعلم ثم قال البخارى وقال أبو اسامة عن هشام بن عروة قال أخبرني أبي عن عائشة رضى الله عنها قالت لما ذكر من شأنى الذى ذكر وما علمت به قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطيبا فتشهد حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أشيروا على فى أناس أبناو أهلى وأيم الله ما علمت على أهلى من سوء وأبنوهم من والله ما علمت عليه من سوء قط ولا يدخل بيتى قط الا وأنا حاضر ولا غبت فى سفر الا غاب معى فقام سعد بن معاذ الانصارى فقال يا رسول الله انذرنى ان تضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم

التي يتدأ بعدها الكلام وتكون غاية لما قبلها والمعنى فهم يوزعون الى حضوره هذه الغاية وهى اتيانهم (على واد التل) أى فهم يسيرون ممنوعا بعضهم من مفارقة بعض حتى اذا أتوا على مكان فيه غل كثير وعدى بعلى لانهم كانوا محمولين على الریح فهم مستعملون والمعنى أنهم قطعوا الوادى وبلغوا آخره قال كعب وادى التل بالطائف وقال قتادة ومقاتل هو بالشام والتل حيوان معروف شديد الاحساس والشم حتى انه يشم للشئ من بعيد ويتخرقوته ومن شدة ادراكه انه ينفق الحبة فلقمتين خوفا من الانبات وينفق حبة الكسبرة أربع فلق لانها اذا فلقمت فلقمتين نبتت ويا كل فى عامه نصف ما جمع ويستبقى باقيه عدة ووقف القراء جميعهم على وادى التل ليرى ما أتبعه اللرسم حيث لم يحذف لالتقاء الساكنين كقوله الذين جاؤا الضرب بالوادى الكسائى فانه وقف بالياء قال لان الموجب للحدف انما هو التقاء الساكنين بالوصل (قالت غلة) ملكة التل على وجه التصحيف قولامشة لاعلى حروف وأصوات وكانت عرجاء ذات جناحين وهى من الحيوانات التي تدخل الجنة قاله سليمان الجبل قيل وكانت آتى بدليل تأنيث الفعل المستند اليها وبه قال أبو حنيفة ورد هذا أبو حيان فقال لحاق التاء فى قالت لا يدل على أن الغلة مؤنثة بل يصح أن يقال فى المذ كقالت لان غلة وان كانت بالناء فانها لا تميز فيه المذ كمن المؤنث بتد كير الفعل ولا بتأنيثه بل تميز بالاخبار عنه بانذ كز أو آتى ولا يتعلق بمثل هذا كثير فائدة ولا بالتعرض لاسم الغلة ولا بد كقصص الموضوعات والاحاديث المكذوبة وقرئ التل والغلة بزنة رجل وسمرة وقرئ بضمتين فيها ثم قيل غل هذا الوادى صغار وهو التل المعروف أو كبار كالجناح أو كالتاب والاول هو المشهور والجملة جواب اذا كانت المسار آتهم متوجهين الى الوادى فترت ونهت سائر التل مناديه ليا فائله (يا أيها التل) وقد اشتمل هذا القول منها على أحد عشر نوعا من البلاغة أولها النداء بيا وثانيها انها كنت باى وثالثها نهيت بها التنبيه ورابعها سمت بقولها التل وخامسها أمرت بقولها (ادخلوا) وسادسها نصت بقولها (مسا كنكم) جعل خطاب التل كخطاب العقلاء ففهمها لذلك الخطاب والمساكن هى الامكنة التي تسكن التل فيها وقرأ أبى ادخلن مسا كنكن وقرئ مسكنكم وسابعها حذرت بقولها (لا يحطمنكم) أى لا يكسرنكم والحطم الكسر يقال حطمته حطما أى كسرتة كسرا فاحطمته وحطمته

تكسر

كذبت اما والله ان لو كانوا من الاوس ما أحببت ان تضرب

حسان من رهط ذلك الرجل فقال كذبت اما والله ان لو كانوا من الاوس ما أحببت ان تضرب أعناقهم حتى كاد ان يكون بين الاوس والخزرج شر فى المسجد وما علمت فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح فعزت فقالت تعس مسطح فقلت لها أى أم تسمين ابنك فسكت ثم عزت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت لها أى أم تسمين ابنك ثم عزت الثالثة فقالت تعس مسطح فانتهرتا فقالت والله ما أسبه الا فيك فقالت فى أى شأنى قالت فبقرت لى الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم والله فرجعت الى بيتى كأن الذى خرجت له لاجد منه قليلا ولا كثيرا وروعت

وقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلني إلى بيت أبي فارس معي القلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السنبل وأبا بكر فوق البيت يقرأ فقالت أم رومان ما جاء بك يا بنية فأخبرتها وذكرت لها الحديث وأذا هو لم يبلغ منها مثل الذي بلغ مني فقالت يا بنية خفي عليك الشأن فإنه والله لقل ما كانت امرأة قط حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا حسدتها وقيل فيها وأذا هو لم يبلغ منها ما بلغ مني فقالت وقد علم به أبي قالت نعم قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل فقال لامي (٥٩) ما شأنها قالت بلغها الذي ذكر من شأنها

ففاضت عيناه رضى الله عنه فقال أقسمت عينك يا بنية لا أرجعت إلى بيتك فرجعت ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسأل عني خاتمي فقالت يا رسول الله لا والله ما علمت عليها عيبا إلا أنها تزقد حتى تدخل الشاة فتأكل كل خيرها أو عجزها وانتهر بها بعض أصحابه فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسقطوا لها به فتعالت سبحانه الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر وبالغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له فقال سبحانه الله والله ما كشفت كنف أمي قط قالت عائشة رضى الله عنها فقالت شهيدي في سبيل الله قالت وأرجع أبو أي عندي فلم ير إلا حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صلى العصر ثم دخل وقد اكتسفتني أبو أي عن يميني وعن شمالي فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أما بعد فدعا عائشة أن كنت فارقت سوأاً وظلمت فتوبني إلى الله فان الله يقبل التوبة عن عباده قالت وقد جاءت امرأة من الانصار

تكسر والتعظيم التكسير والحطام ما تكسر من اليبس وهذا النهي هو في الظاهر للتمل وفي الحقيقة لسليمان فهو من باب لا أرينك ههنا أو بدل من الأمر أو جواب للأمر وهو ضعيف يدفعه نون التأكيد لانه من ضرورات الشعر وقرئ لا يحط منكم بضم الياء وفتح الحاء وتشديد الطاء وثامنها خصت بقولها (سليمان) وتاسعها عمت بقولها (وجنوده) أرادت جنود سليمان فجاءت بما هو أبلغ وعاشرها أشارت بقولها (وهي) وحادي عشرها عذرت بقولها (لا يشعرون) أي يحطمكم ولا يعلمون بكانكم أي لو شعروا لم يفتعلوا قالت ذلك على وجه العذر واصفة لهم بالعدل كأنها عرفت أن النبي معصوم وجنده محفوظ فلا يقع منهم حطم هذه الحيوانات الاعلى سبيل السهو وهذا تشبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء وحفظ أصحابهم وفيه ان الرفضة الذين ينسبون الظلم وحطم الحقوق إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بيته وعترته هم أقل عقلا وأضعف رأيا من تلك النملة فانها اعتقدت في جنود سليمان العدل وهو لا يعتقد وأب أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم الظلم وشتان بينهما وقيل ان المعنى والتل لا يشعرون ان سليمان يفهم مقالته وهو بعيد جدا (فتبسم) سليمان ابتداء (ضاحكا) انتهاء (من قولها) وقرئ ضحكاً وعلى الاول حال مؤكدة لانه قد فهم الضحك من التبسم وقيل حال مقدرة لان التبسم أول الضحك وقيل لما كان التبسم قديماً يكون للغضب كان الضحك مبدأه وقيل ان الضحك الانبياء هو التبسم لا غير وعلى الثاني مصدر تصوب بفعل محذوف وكل من التبسم والضحك والقهقهة انفتاح في الفم لكن الاول انفتاح بلا صوت أصلاً والثاني مع صوت خفيف والثالث مع صوت قوي وكان ضحك سليمان تجميلاً من قولها وفهمها واهتمها إلى تحذير التمل أو فرحا لظهور عدله (وقال رب أوزعني) قد تقدم بيان معناه قريبا في قوله فهم يوزعون قال في الكشف وحقيقة أوزعني اجعلني أزع شكري نعمت عندى وأكفنه وأرطبه لا ينبت عنى حتى لا أنفد شاكركم اللهم قال الواحدى أوزعنى أى ألهمنى وبه قال قتادة وعن الحسن مثله يقال فلان موزع بكذا أى مولع به قال القرطبي وأصله من وزع فسكانه قال كنى عما يخطب انتهى وقال الزجاج معناه امنعنى أن أكفر نعمتك وهو تفسير باللازم (أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها على) مفعول ثان لاوزعنى أى من النسوة والملوك والعلم (وعلى والذى)

فهي جالسة بالباب فقلت ألا تسهى من هذه المرأة ان تذكرياً فوعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت إلى أبي فقالت له أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإذا أقول فالتفت إلى أمي فقالت أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ماذا أقول فلما لم يجيبها تشهدت فحسدت الله وأثبت عليه بما هو أهله ثم قالت أما بعد فوالله ان قلت لكم انى لم أفعل والله عز وجل يشهد انى لصادق ما ذك بنافعي عندكم لقد تكلمتم به وأثربته فلو بكم وان قلت لكم انى قد فعلت والله يعلم انى لم أفعل لتقولن قد باتت به على نفسها وانى والله ما أجدلى ولكم مثلاً والتست اسم يعقوب فلم أدر عليه إلا أبو يوسف حين قال فصر جيل والله المستعان

على ما تصفون وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من ساعته فسكتنا فرفع عنه واني لا بين السرور في وجهه وهو يسبح جبينه
 ويتول أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك قالت وكنت أشد ما كنت غضبا فقال لي أبو ابي قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه
 ولا أجد له ولا أجد كما ولكن أجد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعته موهبا أنكرتهم ودولوا غيرتوه وكانت عائشة تقول أما زينت بنت
 بحش فعصها الله بدينها فلم تقل الا خيرا وأما اختها جنة بنت بحش فهلكت فين هلك وكان الذي يتكلم به مسطح وحسان بن
 ثابت والمنافق عبد الله بن أبي اسحاق (٦٠) وهو الذي كان يستوشيه ويحجمه وهو الذي تولى كبره منهم هو وجمته

قالت خلف أبو بكر أن لا يرفع
 مسطحا بنا فعدت أبدا فأنزل الله تعالى
 ولا يأتل أولو الفضل منكم الى آخر
 الآية يعني أبا بكر والسعة أن يؤتوا
 أولى القرى والمسكين يعني مسطحا
 الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله
 لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر
 بلى والله ياربنا اننا نحب أن تغفر
 لنا وعادله بما كان يصنع هكذا
 رواه البخاري من هذا الوجه معلقا
 بصيغة الجزم عن أبي أسامة حماد
 ابن أسامة أحد الأئمة الثقات
 وقدره وا بن جرير في نفسه سيره عن
 سفيان بن وكيع عن أبي أسامة
 مطولا به منسلا أو نحوه ورواه ابن
 أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن
 أبي أسامة يعضه وقال الامام أحمد
 حدثنا هشيم أخبرنا عمر بن أبي سلمة
 عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها
 قالت لما نزل عذري من السماء
 جاءني النبي صلى الله عليه وسلم
 فأخبرني بذلك فقلت بحمد الله لا
 يحمده وقال الامام أحمد حدثني
 ابن أبي عدي عن محمد بن اسحق عن
 عبد الله بن أبي بكر عن عمرة أيضا
 عن عائشة قالت لما نزل عذري قام

الدعاء منه بأن يوزعه الله شكر نعمته على والديه كما وزعه شكر نعمته عليه لان الانعام
 عليهما النعام عليه وذلك يستوجب الشكر منه لله سبحانه قال أهل الكتاب وأمه هي
 زوجة أوريا ووزن قوتلا التي امتحن الله بها داود قاله القرطبي والله أعلم بصحته ثم طلب
 أن يضيف الله له الواحق نعمه الى سوابقها ولا سيما النعم الدينية فقال (وأن أعمل صالحا)
 في بقية عمري (ترضاه) مني ثم دعأ أن يجعله الله سبحانه في الآخرة اخلا في زمرة الصالحين
 فان ذلك هو الغاية التي تتعلق بها الطلب فقال (وأدخلني) الجنة (برحمتك في عبادك
 الصالحين) من النبيين أو صلحاء العباد المعنى أدخلني في جنتهم وأثبت اسمي في أسماءهم
 واحشرنني في زمرة تهم الى دار الصالحين وهي الجنة أو في بمعنى مع والصالح الكامل هو
 الذي لا يعصى الله ولا يفعل معصية رايهم بها وهذه درجة عالية اللهم واني أدعوك بما
 دعاك به هذا النبي الكريم فتقبل ذلك مني وتفضل علي به فاني وان كنت مقصرا في
 العمل ففضلك الواسع هو سبب الفوز بالخير ورحمتك أرجى عندي من عملي فهذه الآية
 منادية بأعلى صوت وأوضح بيان بأن دخول الجنة التي هي دار المتقين بالتفضل منك
 لا بالعمل منهم كما قال رسولك الصادق المهدي دوق فيما ثبت عنه في الصحيح سددوا وقاربوا
 واعلموا أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتعدني
 الله برحمته فاذا لم يكن الا بفضلك الواسع فترك طلبه منك عجز والتفريط في التوسل اليك
 بالايصال اليه تضييع ثم شرع سبحانه في ذكر قصة بلقيس وما جرى بينها وبين سليمان
 وذلك بدلالة الهدد فقال (وتفقد الطير) التفقد تطلب ما غاب عنك وتعترف بأحواله
 والطير اسم جنس لكل ما يطير والمعنى انه تطلب ما فقد من الطير وتعترف حال ما غاب
 منها وكانت الطير بحجبه في سفره وتظله بأجنحتها (فقال مالي) وقرئ بسكون الياء (لأرى
 الهدد) أي ما للهدد لا أراه فهذا من الكلام المقلوب الذي تستعمله العرب كثيرا
 وقيل لا حاجة الى ادعاء القلب اذا المعنى صحيح بدونه بل هو استهتام واستخبار عن المانع له
 من رؤية الهدد كانه قال مالي لأراه هل ذلك لسائر برسته عنى أولشى آخر قال الكلبي
 ولم يكن له في مسيره الا ههدوا وحدهم معروف ثم ظهر له انه غائب فقال (أم كان
 من الغائبين) فلم أره لغيبته وأم هي المنقطعة التي بمعنى الاضراب عن ابن عباس انه سئل
 كيف تفقد سليمان الهدد من بين الطير فقال ان سليمان نزل منزلا فلم يدربا بعد الماء

رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم ورواه أهل السنن الاربعة وكان
 وقال الترمذي هذا حديث حسن ووقع عند أبي داود تسميتهم حسان بن ثابت ومسطح بن اثانة وجمته بنت بحش فهذه طرق
 متعددة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها وقد روى من حديث أمها أم رومان رضي الله
 عنها فقال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم أخبرنا حصين عن أبي وائل عن مسروق عن أم رومان قالت بينا أنا عند عائشة اذ دخلت
 عليها امرأة من الانصار فقالت فعل الله بآبائهم ففعلت عائشة ولم قالت انه كان فين حدث الحديث قالت وأي الحديث قالت

كذا وكذا قالت وقد بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت وبلغ أبا بكر قالت نعم فخرت عائشة رضي الله عنها مغشياً عليها فافقت الأرواح عليها حتى بناقض قالت فقامت فدمت فدمتها قالت ففأجاب النبي صلى الله عليه وسلم قال فاشأن هذه فقلت يا رسول الله أخذتها حتى بناقض قال فاعلمه في حديث يتحدث به قالت فاستوت عائشة قاعدة فقالت والله إن حلفت لكم لا تصدقوني ولئن اعتذرت إليكم لا تعذرني فغلبني ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله عذرها فخرج رسول الله (٦١) صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر فدخل

فقال يا عائشة إن الله تعالى قد أنزل عذرك فقالت بحمد الله لا يجحدك فقال لها أبو بكر تقولين هذا الرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت نعم قالت وكان فيمن حدث هذا الحديث رجل يعوله أبو بكر فحلف أن لا يوصله فأرسل الله ولا يأتمل أولو الفضل منكم والسعة إلى آخر الآية فقال أبو بكر لي فوصله نفر دبه البخاري دون مسلم من طريق حصين وقد رواه البخاري عن موسى بن اسمعيل عن أبي عوانة وعن محمد بن سلام عن محمد بن فضيل كلاهما عن حصين وفي لفظ أبي عوانة حدثني أم رومان وهذا صريح في سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخطيب وقد كان مسروق يرسله فيقول سئلت أم رومان ويسوقه فلعل بعضهم كتب سئلت بألف فاعتقد الراوي أنها سئلت فظنه متصلاً قال الخطيب وقد رواه البخاري كذلك ولم تظهر له علته كذا قال والله أعلم فقوله تعالى إن

وكان الهدد هديداً سليمان على الماء فأراد أن يسأله عنه ففقده قال سعيد بن جبيرة لما ذكر ابن عباس رضي الله عنه هذا قيل له كيف ذلك والهدد ينصب له الفخ بليق عليه التراب ويضع له الصبي الحبال فيصيده فقال إذا جاء القضاء ونزل القدر ذهب اللب وعمى البصر فلما تحقق الغيبة قال (لا عذبة عذاباً شديداً) اختلفوا في هذا العذاب الشديد ما هو فقال ابن عباس ومجاهد وابن جرير هو ان ينفر يشه جيعاً وروى نحوه هذا عن جماعة من التابعين وقال يزيد بن رومان هو ان ينفر ريش جناحيه وقيل ان يجسه مع اضداده وقيل ان يمنع من خدمته وقيل القاؤه في الشمس وقيل التفريق بينه وبين الغيبة وقيل الزامه خدمة اقرانه وقيل ايداعه في القفص وقيل طرحه بين يدي النمل ليأكله وفي هذا دليل على أن العقوبة على قدر الذنب لا على قدر الجسد وحل له تعذيب الهدد لما رأى فيه من المصلحة كما حل ذبح البهائم والطيور للاكل وغيره من المنافع واذناضر له الطير يتم التمخير الابا بتأديب والسياسة وعن الحسن قال كان اسم هدهد سليمان غير قال الشوكاني لأدري من أين جاء هذا الحسن رحمه الله وهكذا ما روى عنه أن اسم الخلة حرس وانها من قبيلة يقال لهم بنو الشيبان وانها كانت عرجاء وكانت بقدر الذنب وهو روحه الله أو روح الناس عن نقل الكذب ونحن نعلم انه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك شيء ونعلم انه ليس للحسن اسناد متصل بسليمان أو بأحد من أصحابه فهذا العلم مأخوذ من أهل الكتاب وقد أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم فان ترخص مترخص بالرواية عنهم مثل ما روى حديثاً عن بني اسرائيل ولا حرج فليس ذلك مما يتعلق بتسكير كتاب الله سبحانه بلا شك بل فيما يذكر عنهم من القصص الواقعة لهم وقد كررنا التنبيه على مثل هذا عند عرض ذكر التماسير الغربية (أو الأذبحنة) بتقطع حلقومه (أو ولياً يتبى بساطان مبيى) هو الحجة البينة في غيبته قال ابن عباس السلطان المدين خيراً الحق الصدق البين وعنه قال كل سلطان في القرآن حجة وذو هذه الآية ثم قال وأي سلطان كان لله هدهد يعني أن المراد بالسلطان الحجة لا السلطان الذي هو الملك والخلاف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث فكلمة أو بين الأولين للتخير وفي الثالث للتريد بينه وبينهما قال الرمزخسري فان قلت قد حملت على أحد ثلاثة أشياء فحلفه على فعله لا كلام فيه ولكنه كيف يصح حلقه على فعل الهدد ومن أين درى انه

الذين جاؤا بالآفة أي الكذب والهت والافتراء عصبية أي جماعة منكم لا تحسبوه شر الكرم أي يا آل أبي بكر بل هو خير لكم أي في الدنيا والآخرة لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة وواظها شرف لهم باعتماء الله تعالى بعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حيث أنزل الله برأيتها في القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية ولهذا المادخل عليها ابن عباس رضي الله عنه وعنهما وهي في سبب الموت قال لها أبا بشرى فانك زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحبك ولم يتزوج بكراً غيرك وزل براءة من السماء وقال ابن جرير في نفسه يره حدثني محمد بن عثمان الواسطي حدثنا جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان

عن محمد بن عبد الله بن يحيى قال تفاخرت عائشة وزينب رضي الله عنهما فقالت زينب أنا التي نزل تزويجي من السماء وقالت عائشة أنا التي نزل عذري في كتاب الله حين حملني صفوان بن المعطل على الراحلة فقالت لها زينب يا عائشة ما قلت حين ركبتني قالت قلت حسبي الله ونعم الوكيل قالت قلت كلمة المؤمنين وقوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الآثم أي لكل من تكلم في هذه القضية وورى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب والذي تولى كبره قيل ابتدأ به وقيل الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه (٦٢) ويشيعه له عذاب عظيم أي على ذلك ثم الاكثرون على ان المراد بذلك

انما هو عبد الله بن أبي ابن سلول فجمه الله ولعنه وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث وقال ذلك مجاهد وغير واحد وقيل بل المراد به حسان ابن ثابت وهو قول غريب ولولائه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك لما كان لا يراده كبر فائدة فانه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب وما تروا وحسن محاسنه انه كان يذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجهم وجبريل معك وقال الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال كنت عند عائشة رضي الله عنها فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا يعني يدخل عليك وفي رواية قيل لها أما ذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وكان قد ذهب بصره لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم ثم قالت انه كان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه أنشدها عند ما دخل عليها شعر ايمته فقلت له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا يعني يدخل عليك وفي رواية قيل لها أما ذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وكان قد ذهب بصره لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم ثم قالت انه كان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية

يأتي بسطان قلت لما نظم الثلاثة بأوفي الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكون أحد الامور يعني ان كان الاتيان بسطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية انتهى وأو الثانية ترجع للمعنى الى أنها بمعنى الاوهى قيد في كل من الامر من قبلها فكانه قال لا عذبه الآن يأتي أي ولا ذبحه الآن يأتي بسطان مبين (فكث) بفتح الكاف من باب نصر وقرئ بضم الكاف من باب قرب قال سيبويه مكث بمكث مكوثا كقعد بقعد قعودا أي مكث الهدد بعد فقد سليمان اياه زمانا (غير بعيد) وقيل ان الضمير في مكث لسليمان والمعنى بقي سليمان بعد التفتق والتوعد زمانا غير طويل والاول أولى (فقال أحطت بما لم تحط به) الاحاطة العلم بالشئ من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم واهل في الكلام حذفوا التقدير فكث الهدد غير بعيد فخاف فعوتب على مغيبه فقيل معناه ذلك أحطت بما لم تحط به قال الفراء ويقال أحطت بادغام الطاء في التاء والمعنى علمت ما لم تعلم من الامر وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك وقال ابن عباس اطلعت على ما لم تطلع عليه وقد ألهم الله الهدد هذا الكلام فكافح سليمان به مع ما أوتي من فضل النبوة والعلوم الجملة ابتلاء له في علمه وتنبها على ان أدنى جنده قد أحاط علما بما يحيط به ليكون لطفنا في ترك الإعجاب وانما أخفى الله على سليمان مكانها وكانت المسافة بينهما ما قرئ به مصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه (وجئتك من سبأ) قرئ بالصرف على انه اسم رجل نسب اليه قوم وقرئ بفتح الهمزة وترك الصرف على انه اسم مدينة وأنكر الزجاج أن يكون اسم رجل وقال سبأ اسم مدينة تعرف بأرب العين وقيل هو اسم امرأة سميت بها المدينة قال القرطبي والصحيح انه اسم رجل كما في كتاب الترمذي من حديث فروة بن مسيبك المرادى قال ابن عطية وخفي هذا على الزجاج فخطب خطب عشواء وزعم القراء ان الرواسي سأل أبا عمرو بن العلاء عن سبأ فقال ما أدري ما هو قال النحاس وأبو عمرو أجل من ان يقول هذا قال والقول في سبأ ما جاء التوقيف فيه انه في الاصل اسم رجل فان صرفته فلانه قد صار اسما للعي وان لم تصرفه جعلته اسما للقبيلة مثل عمود الآن الاختيار عند سيبويه بالصرف انتهى وأقول لا شك ان سبأ اسم لمدينة بالعين كانت فيها بليقيس وهو

انه أنشدها عند ما دخل عليها شعر ايمته فقلت له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا يعني يدخل عليك وفي رواية قيل لها أما ذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وكان قد ذهب بصره لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم ثم قالت انه كان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه أنشدها عند ما دخل عليها شعر ايمته فقلت له وسادة فلما خرج قلت لعائشة ما تصنعين بهذا يعني يدخل عليك وفي رواية قيل لها أما ذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وكان قد ذهب بصره لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم ثم قالت انه كان ينافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية

افضل فقالت أما أنت فلست كذلك وفي رواية لكنك لست كذلك وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن قزعة حدثنا سلمة بن علقمة حدثنا اودع عن عامر عن عائشة أنها قالت ما سمعت بشعرا أحسن من شعر حسان ولا تثبت به الأرجوت له الجنة قوله لابي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب هجوت محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذلك الجزء فان أبي والده وعرضي * عرض محمدا مشكم وواف * أنشتمه ولست له بكف * فشر كالحير كالقضاء

لساني صارم لا عيب فيه * ويجرى لا تكدره الدلاء فقيل يا أم المؤمنين أليس هذا لغوا قالت لا إنما اللغو ما قيل عند النساء
 قيل أليس الله يقول والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت أليس قد ذهب بصره وكعب بالسيف تعني
 الضربة التي ضرب بها إياها صفوان بن المعطل السلمي حين بلغه عنه أنه يتكلم في ذلك فعلاه بالسيف وكاد أن يقتله (لولا أنه سمعتموه
 ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا أفك ميين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء قاذم يا أبا القاسم فلو أنك عند الله هم
 الكاذبون) هذا تأديب من الله تعالى للمؤمنين في قضية عائشة رضي (٦٢) الله عنها حين أفاض بعضهم في ذلك

الكلام السيئ وما ذكر من شأن
 الأفك فقال تعالى لولا يعني هلا إذ
 سمعتموه أي ذلك الكلام الذي
 رويت به أم المؤمنين رضي الله عنها
 ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم
 خيرا أي قاسوا ذلك الكلام على
 أنفسهم فان كان لا يليق بهم فأم
 المؤمنة وأولى بالبرائة منه بطريق
 الأولى والأخرى وقد قيل إنها نزلت
 في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري
 وأمر أنه رضي الله عنه كما قال
 الإمام محمد بن إسحاق بن يسار عن
 أبيه عن بعض رجال بني النجار
 أن أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري
 قالت له امرأته أم أيوب يا أبا
 أيوب أما سمعت ما يقول الناس في
 عائشة رضي الله عنها قال نعم وذلك
 الكذب أ كنت فاعله ذلك أيام
 أيوب قالت لا والله ما كنت لأفعله
 قال فعائشة والله خير منك قال
 فلما نزل القرآن ذكر الله عز وجل
 من قال في الناحية ما قال من أهل
 الأفك ان الذين جاؤا بالافك بعصبة
 منكم وذلك حسان وأصحابه الذين
 قالوا ما قالوا ثم قال تعالى لولا إذ
 سمعتموه ظن المؤمنون الآية أي
 كما قال أبو أيوب وصاحبه وقال

أيضا اسم رجل من قحطان وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود ولكن المراد
 هنا ان الهدد جاء الى سليمان بنجر ما عاينه في مدينة سبأ مما وصفه وسيأتي من المأثور
 ما يوضح هذا ويؤيده وعن ابن عباس قال سبأ بارض اليمن يقال لها مأرب بينها وبين
 صنعاء مسيرة ثلاث ليال والمعنى ان الهدد جاء سليمان من هذه المدينة (بنبا يقين) النبأ
 هو الخبر الخطير الشأن وهذا من محاسن الكلام ويسمى البديع وقد حسن وبدع انفظا ومعنى
 ههنا ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبا بنجر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء في صحيح لما في التبا من
 الزيادة التي يطبا بتهما وصف الحال فلما قال الهدد لسليمان ما قال قال له سليمان وما ذلك
 فقال (اني وجدت امرأة تملكهم) وهي بلقيس بنت شراحيل روى ذلك عن الحسن
 وقناة وزهير بن محمد وعن ابن جرير انها بنت ذى شريح وجدها الهدد تملك أهل
 سبا وكان أبوها ملك أرض اليمن ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها
 مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع الى سبا على تأويل القوم وأهل المدينة
 والجملة هذه كالبيان والتفسير للجملة التي قبلها أي ذلك النبأ اليقين هو كون هذه
 المرأة تملك هؤلاء قال ابن عباس اسمها بلقيس بنت ذى شيرة وكانت هلباء شعراء قيل
 كانت من نسل يعرب بن قحطان وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم احدى أبوي بلقيس كان جنيا أخرجه ابن عساكر وابن مردويه وأبو الشيخ وابن
 جرير (وأوتيت من كل شيء) فيه مبالغة والمراد انها أوتيت من كل شيء من الاشياء التي
 تحتاجها الملوك من الآلة والعتدة وكان يخدمها النساء وهذا عام أريد به الخصوص وقيل
 المعنى أوتيت من كل شيء في زمانها شيئا من أسباب الدنيا والمال والعتدة ما يلقى بجبالها
 فحذف شيئا لان الكلام قد دل عليه (ولها عرش عظيم) أي سرير كبير ضخم وقيل المراد
 بالعرش هنا الملك والاولى اقول سليمان أيكم يا بني بعرضها ووصفه بالعظم بالنسبة
 اليها والى أمثالها من ملوك الدنيا لانه كما قيل كان مضربا من الذهب والفضة طوله ثمانون
 ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه في السماء ثلاثون ذراعا مكلا بالدر والياقوت
 الاحمر والزبرجد الاخضر والزمرد وأما وصف عرش الله بالعظيم فهو بالنسبة الى جميع
 الخلقوات من السموات والارض وما بينهما فبينهم ما بين عظيم وفرق بين قال ابن عطية
 واللازم من الآية انها امرأة ملكة على مدائن اليمن ذات ملك عظيم وسرير كبير

محمد بن عمر الواقدي حدثني ابن أبي حبيب عن داود بن الحصين عن أبي سفيان عن أفلح مولى أبي أيوب ان أم أيوب قالت لاني أيوب
 ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة قال بلى وذلك الكذب أفكنت يا أم أيوب قالت لا والله قال فعائشة والله خير منك فلما نزل القرآن
 وذكر أهل الأفك قال الله عز وجل لولا أن سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا أفك ميين يعني أبا أيوب حين
 قال لام أيوب ما قال ويقال إنما قالها أبي بن كعب وقوله تعالى ظن المؤمنون الخ أي ظنوا الخير فان أم المؤمنين أهلها وأولى بهذا
 ما يتعلق بالباطن وقوله وقالوا أي بالسنة هذا أفك ميين أي كذب ظاهر على أم المؤمنين رضي الله عنها فان الذي وقع لم يكن ريبة

وذلك أن محيي أم المؤمنين راكبة جهره على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة والحيش بكاله بشاهدون ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ولو كان هذا الأمر فيه ريب لم يكن هكذا جهره ولا كانوا يقرمان على مثل ذلك على رؤس الأشهاد بل كان هذا يكون لو قدر خبئية مستورا فتنع من أن ما جاء به أهل الأفت مما رواه أم المؤمنين هو الكذب البحت والقول الزور والرعونة الفاحشة الناجرة والصفقة الخاسرة قال الله تعالى لولا أي هلا جاو عليه أي على ما قالوه بأربعة شهداء يشهدون على صحة ما جاؤ به فاذم بأبواب الشهداء فأولئك عند الله هم (٦٤) الكاذبون أي في حكم الله كاذبون فاجرون (ولو لافضل الله عليكم ورحمته في

الدينا والآخره لكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تقونه بأسننتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) يقول تعالى ولو لافضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة أيها الخائضون في شأن عائشة بأن قبلت بتمتكم وانا بتمتكم اليه في الدنيا وعفا عنكم لايمانكم بالنسبة الى الدار الآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه من قضية الافك عذاب عظيم وهذا في عنده ايمان يقبل الله بسببه التوبة كطبع وحسان وحنسة بنت جحش أخت زينب بنت جحش فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي ابن سلول واضرابه فليس أولئك مرادين في هذه الآية لانه ليس عندهم من الايمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه وهكذا شأن ما ردمن الوعيد على فعل معين يكون مطلقا مشروطا بعدم التوبة أريما يقابل من عمل صالح يوازنه أو يرج عليه ثم قال تعالى اذ تلقونه بألسنتكم قال مجاهد وسعيد بن جبيرة أي يرويه بعضكم عن بعض

وكانت كافرة من قوم كفار وعن ابن عباس قال سرير كرم من ذهب وقوائمه من جوهر ولؤلؤ وحسن الصنعة على الثمن عليه سبعة آيات على كل بيت باب مغلق (وجدتها وقوسها يسجدون للشمس من دون الله) أي يعبدونها متجاوزين عبادة الله سبحانه قبل كانوا مجوسا وقيل زنادقة ووجدت بمعنى لقيت وأصبت فتعدى لواحد (وزين لهم الشيطان أعمالهم) التي يعملونها وهي عبادة الشمس وسائر أعمال الكفر (فصدّهم عن السبيل) أي صدّهم الشيطان بسبب ذلك التزيين عن الطريق الواضح وهو الايمان بالله وتوحيده (فهم لا يهتدون) الى ذلك ولا يعبدون الهدى التي الى معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وحرمة السجود للشمس الهامان الله كما ألهمه وغويه من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الراجح العقول يهتدون لها (ألا يسجدوا لله) قال ابن الأنباري الوقف على لا يهتدون غير تام عندهم شدة الألال المعنى وزين لهم الشيطان أن لا يسجدوا وقال النحاس هي ان دخلت عليها لا قال الاخفش أي زين لهم أن لا يسجدوا لله بمعنى لئلا يسجدوا فهو على الوجهين مفعول له وقيل فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله ولا على هذا زائدة كقوله ما منعك أن تسجد وعلى قراءة الجمهور ليس هذه الآية موضع سجدة لان ذلك اخبار عنهم بترك السجود اما بالتزيين أو بالصد أو بجمع الاهتداء وقد رجع كونه على لاصد الزجاج ورجح الفراء كونه على لزين قال زين لهم أعمالهم لئلا يسجدوا وقرى الأبال تخفيف وعلى هذا فهي حرف تنبيه واستفتاح وما بعدها حرف نداء الأيا يسجدوا واسجدوا فعل أمر وتقديره الأيا هو لا يسجدوا قال الزجاج وقراءة التخفيف تقتضى وجوب السجود دون قراءة التشديد ولقراءة التخفيف وجه حسن لأن فيها انقطاع الخبر عن أمر سبائهم الرجوع بعد ذلك الى ذكرهم والقراءة بالتشديد خبر يتبع بهضه بعض الانقطاع في وسطه وكذا قال النحاس وعلى هذه تكون جملة الأيا يسجدوا معترضة من كلام الهدهد آمن وكلام سليمان آمن وكلام الله سبحانه وقرأ ابن مسعود هـ لا تسجدوا بالفوقية وقرأ أبي الأنسجودوا بالبناء وفيه مناسبة لما قبله وهي الرد على من يعبد الشمس وغيره من دون الله (الذي يخرج الخبء في السموات والارض) يقال خبأت الشيء أخبأه خبا والخب ما خبأت أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيه - ماله لا يستحق العبادة الا من هو قادر على من فيه ما عالم

بجميع

صحیح

يقول هذا سمعته من فلان وقال فلان كذا وكذا وقرأ آخرون اذ تلقونه بألسنتكم وفي صحيح البخارى عن عائشة انها كانت تقرؤها كذلك وتقول هو من ولق اللسان يعنى الكذب الذى يستمر صاحبه عليه تقول العرب ولق فلان فى السير اذا استمر فيه والقراءة الاولى أشهر وعليها الجمهور ولكن الثانية مرسوية عن أم المؤمنين عائشة قال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن نافع عن ابن عمر عن ابن ابي مليكة هي أعلم به من غيرها وقوله تعالى وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أي تقولون ما لا تعلمون ثم قال تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم أي تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين

وتحسبون ذلك يسيراً ولولم تكن زوجة النبي صلى الله عليه وسلم لما كان هيناً فكيف وهي زوجة النبي الامي خاتم الانبياء وسيد المرسلين فعظيم عند الله ان يقال في زوجة نبيه ورسوله ما قيل فان الله سبحانه وتعالى يغار بهذا وهو سبحانه وتعالى لا يقدر على زوجة نبي من الانبياء ذلك حاشا وكلا ولم لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الانبياء وزوجة سيد ولد آدم على الاطلاق في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم وفي الصحيحين ان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يدرى ما تبلغه يهوى به في النار اربعة مائة بين السماء والارض وفي رواية (٦٥) لا يلقى لها بالاً (ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا

ان تكلم بهذا سبحانه هذا جهتان عظيم يعظكم الله ان تعودوا والمثله ابدان كنتم مؤمنين وبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) هذا تأديب آخر بعد الاول الامر بظن الخبر أي اذا ذكر ما لا يلقى من القول في شأن الخيرة فالولي ينبغي الظن بهم خيراً وان لا يشعر نفسه سوى ذلك ثم ان علق بنفسه شيء من ذلك وسوسة أو خيالاً فلا ينبغي ان يتكلم به فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى تجاوز لامتي عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل اخرجاه في الصحيحين وقال الله تعالى ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان تكلم بهذا أي ما ينبغي لنا ان نتقوه بهذا الكلام ولان ذكره لا حد سبحانه هذا جهتان عظيم أي سبحانه الله ان يقال هذا الكلام على زوجة رسوله وحليلة خليفته قال تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله أبدأ أي فيها كم الله متوعد ان يقع منكم ما يشبه هذا أبدأ أي فيما يستقبل ولهذا قال ان كنتم مؤمنين أي ان كنتم تؤمنون بالله وشرعه وعظمه ون رسوله صلى الله عليه وسلم

بجميع المعلومات وفي اخراج الخب دليل على القدرة قال الزجاج جاء في التفسير ان الخب ههنا بمعنى القطر من السماء والنسبات من الارض وقيل خب الارض كنوزها ونباتها وقال قتادة الخب السر قال النحاس أي ما غاب فيها وقرئ الخب بفتح الباء من غير همز وقرئ الخب بالالف قال أبو حاتم وهذا لا يجوز في العربية ورد عليه بان سبويه حكى عن العرب ان الف تبدل من الهمز اذا كان قبلها ساكن وقرئ من السموات قال الفراء من وفي تعاقبان عن ابن عباس قال يعلم كل خبيثة في السماء والارض (ويعلم ما تحفون وما تعلمون) قرئ بالتخمية في الفعلين وبالفوقية للخطاب اما الاولى فلنكون الضمائر المتقدمة ضمائر غيبة وأما الثانية فلنكون القراء فيها الامر بالسجود والخطاب لهم بذلك فهذا من ذلك الخطاب والمعنى ان الله سبحانه يخرج ما في هذا العالم الانساني من الخفي بعلمه كما يخرج ما خفي في السماء والارض وفيه دليل على اثبات العلم والاعلان ذكره لتوسيع دائرة العلم للتبسيه على نساويهما بالنسبة الى علمه تعالى ثم بعد ما وصف الرب سبحانه بما تقدم مما يدل على عظيم قدرته وجليل سلطانه وسعة علمه ووجوب توحيده وتخصيصه بالعبادة قال (الله لا اله الا هو الرب العرش العظيم) بالجر نعتا للعرش وبالرفع نعتا للرب وخص العرش بالذكر لانه أعظم المخلوقات كما ثبت ذلك في المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما عرش بلقيس فتعظيمه بالاضافة الى عروش أبناء جنسها من الملوك وهذا بالنسبة الى جميع الموجودات من السماء والارض وبينهما عون عظيم كما تقدم والى هنا كلام الهدد لكنه من قوله الذي يخرج الى هنا ليس داخل تحت قوله أحطت بما لم تحط به يعني ليس بمعلم الهدد دون سليمان بل سليمان يعلمه أيضاً على وجه أتم وأكمل من علم الهدد وانما ذكر الهدد بياناً لما هو عليه معتقده واظهار التصلبه في الدين فلما فرغ الهدد من كلامه (قال) له سليمان (سننظر) فيما أخبرتنا به من هذه القصة وتعرف والنظر هو التأمل والتصفح وفيه ارشاد الى البحث عن الاخبار والكشف عن الحقائق وعدم قبول خبر المخبرين تقليد الهام واعتمادا عليهم اذا تمكن من ذلك بوجه من الوجوه (أصدقت) فيما قلت والهزة استفهامية (أم كنت من الكاذبين) أم هي المتصلة وهذا القول أبلغ من قوله أم كذبت فيه منع انه اخصر وأشهر لان المعنى من الذين اتصفوا بالكذب وصار خلقا لهم فهو يفيد انه كاذب لا محالة على أم وجهه ومن كان كذلك

(٩ - فتح البيان سابع) فاما من كان متصفا بالكفر فله حكم آخر ثم قال تعالى وبين الله لكم الآيات أي يوضح لكم الاحكام الشرعية والاحكام القدريه والله عليم حكيم أي عليم بما يصلح عباره حكيم في شرعه وقدره ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) هذا تأديب ثالث من سمع شيئا من الكلام السيء فقام بذمته شيء منه وتكلم به فلا يكفر منه ولا يشبهه ويربعه فقد قال تعالى ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم أي يختارون ظهور الكلام عنهم بما يفتضح لهم عذاب أليم في الدنيا أي بالخمد وفي الآخرة بالعذاب الليم والله يعلم وأنتم لا تعلمون أي

فردوا الامور اليه ترشده واوقال الامام اجد حد ثنا محمد بن بكر حد ثنا ميمون بن أبي محمد المراني حد ثنا محمد بن عباد الخزرجي عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عورتهم فانه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم بأبيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم) يقول الله تعالى ولو لا فضل (٦٦) الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم أي لو لا هذا الكان أمر آخر ولكنه

تعالى رؤوف بعباده رحيم بهم
فتاب على من تاب اليه من هذه
وطهر من طهر منهم بالحد الذي أقيم
عليهم ثم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تتبعوا خطوات الشيطان يعني
طرائقه ومسالكه وما أمر به ومن
يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر
بالفحشاء والمنكر هذا تنفير وتحذير
من الله بافصح عبارة وأبلغها
وأوجزها وأحسنها قال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس خطوات
الشيطان عمله وقال عكرمة زغاته
وقال قتادة كل معصية فهي من
خطوات الشيطان وقال أبو مجاز
البدور في المعاصي من خطوات
الشيطان وقال مسروق سألت
رجل ابن مسعود فقال اني حرمت
ان آكل طعاما وسماء فقال هذا من
زغات الشيطان كفر عن يمينك
وكل وقال الشعبي في رجل نذر
ذبح ولده هذا من زغات الشيطان
وأقناه ان يذبح كبشا وقال ابن
أبي حاتم حد ثنا أبي حد ثنا حسان
ابن عبد الله المصري حد ثنا السري
ابن يحيى عن سليمان التيمي عن أبي
رافع قال غضبت على امرأتى

لا يوثق به وقال البيضاوي التغيير للمبالغة والمحافظة على القواصل ثم بين سليمان هذا
النظر الذي وعده فقال (ان ذهب بكاتبى هذا فاقله اليهم) أي الى أهل سبا قال الزجاج في
ألقه خمسة أوجه قرئ بها وخص الهدد بارساله بالكاتب لانه الخبير بالقصة ولكونه رأى
منه من مخايل الفهم والعلم ما يتتقى كونه أهلا للرسالة (ثم قول) أي تبع وانصرف (عنهم)
وقف قريبا منهم وانما أمر به ذلك ليكون النبي بعد دفع الكتاب من أحسن الآداب التي
يتأدب بها رسل الملوك والمراد النبي الى مكان يسمع فيه حديثهم حتى يخبر سليمان بما سمع
وقيل معنى التولى الرجوع اليه والاول أولى لقوله (فانظر ما ذا يرجعون) أي تأمل
وتفكر فيما يرجع بعضهم الى بعض من القول وما يترجعونه بينهم من الكلام قال ابن
عباس يقول كن قريبا منهم فانظر ما الذي يردونه من الجواب (قالت) بلقيس (يا أيها الملأ)
في الكلام حذف والتقدير فذهب الهدد فإلقاه اليهم فسمعها تقول يا أيها الملأ (انني ألقى
الى كتاب كريم) والملأ هم الاشراف وهو الملأ لانهم يملئون العيون وفاعل ألقى محذوف
قيل لجهلها به ان لم تكن شاهدته وقيل لاحتقاره ان كانت رآته والكريم المكرم
المعظم ووصفت الكتاب بالكريم لكونه من عند عظيم في نفسها فوظفتمته اجلالا
لسليمان وقيل لاشتماله على كلام حسن وقيل لكونه مصدرا بالبسملة وقيل لغرابته
شأنه وقيل لكونه وصل اليها محتوما بخاتم سليمان وكرامة الكتاب ختمه كما روى ذلك
مرفوعا قال ابن المقفع من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخفبه ثم بينت ما تضمنه
هذا الكتاب فقالت (انه من) عبد الله (سليمان) بن داود الى بلقيس ملكة سبا (وانه بسم
الله الرحمن الرحيم) أي وان ما شتمت عليه الكتاب من الكلام ونضمنه من القول مفتتح
بالتسمية وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم قال ابن عباس انطلق بالكتاب حتى اذا
توسط عرشها التي الكتاب اليها فقرأ عليها فاذا فيه انه من سليمان الخ وأخرج ابن أبي
حاتم عن ميمون بن مهران ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى
نزلت هذه الآية فكان يكتب بالبسملة وبعدها السلام على من اتبع الهدى (ان لاتعلوا)
أي اما بعد فلا تتكبروا (على) كما تنعله جبارة الملوك وان هي المفسرة وقيل مصدرية
ولانهاية وقيل نائمة ومحل الجمل الرفع على انه ابدل من كتاب وأخبر مبتدأ محذوف أي
هو ان لاتعلوا وقرئ لاتعلوا بالغين من الغلو وهو تجاوز الحد في التكبر (واتنوفى مسلمين)

فقات هي يوم يهودية ويوم نصرانية وكل مملوك لها حر ان لم تطلق امرأتك فأنت عبد الله بن عمر فقال انما هذه من
زغات الشيطان وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة وهي يومئذ أفضقه امرأة بالمدينة وابنة عاصم بن عمرو قالت مثل ذلك ثم قال تعالى
ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا أي لولا ان يرزق من يشاء التوبة والرجوع اليه يوزكى النفوس من شركها
وغيرها ودينها وما فيها من أخلاق رديئة كل بحسبه لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرا ولكن الله يزكى من يشاء أي من خلقه
ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والنفي وقوله والله سميع أي سميع لاقوال عباده عليهم بن يصدق منهم الهدى والضلال

ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليغفوا وليصفوا ولا يحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم) يقول تعالى ولا يأتل من الائمة وهي الخلفاى لا يحلف أولوا الفضل منكم أى الطول والصدقة والاحسان والسعة أى الجدة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله أى لا تحلفوا وأن لا تصلوا قراياتكم المساكين والمهاجرين وهذا في غاية الترفق والعتف على صله الارحام ولهذا قال تعالى وليغفوا وليصفوا أى عما تقدم منهم من الاساءة والاذى وهذا من حلمه تعالى وكرمه وطفه بخلقه مع ظلمهم لانفسهم (٦٧) وهذه الآية نزلت في الصديق حين

حلف أن لا ينفع مسطح بن اثانة بنافعة أبدأ بعد ما قال في عائشة ما قال كما تقدم في الحديث فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة وطابت النفوس المؤمنة واستقرت وثاب الله على من كان تمكلم من المؤمنين في ذلك وأقيم الحد على من أقيم عليه شرع تبارك وتعالى وله الفضل والمنة بعطف الصديق على قريبه ونسيبه وهو مسطح بن اثانة فانه كان ابن حالة الصديق وكان مسكينا لا مال له الا ما ينفق عليه أبو بكر رضى الله عنه وكان من المهاجرين في سبيل الله وقد ذاق زلقة تاب الله عنه منها وضرب الحد عليها وكان الصديق رضى الله عنه معروفا بالمعروف له الفضل والأيادي على الاقارب والاجانب فلما نزلت هذه الآية الى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم الآية فان الجزاء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب اليك يغفر الله لك وكان صفح يصنع عنك فعند ذلك قال الصديق بل والله انما نحب ان تغفر لنا يا ربنا ثم رجع الى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال والله لا نزعها منه أبدا في مقابلة ما كان

أى طاعة من منة ادين للدين مؤمنين بما حثت به قيل لم يزد سليمان على ما نص الله في كتابه وكذلك الانبياء كانوا يكتبون جلا لا يظلمون ولا يكثرون قيل لطفه به سليمان بالمسك أى جعل عليه قطعة منه كالشمع ثم ختمه بختمه (قالت يا أيها الملا أقفوني في أمرى) أى اشيروا على وينوالى الصواب في هذا الامر وأجيبوني بما يقتضيه الحزم وعبرت عن المشورة بالتورى لكون ذلك حلالا لما أشكل من الامر عليها وفي الكلام حذف والتقدير فلما قرأت بلقيس الكتاب جعلت اشراف قومها وكانوا ثلثمائة واثني عشر لكل واحد منهم اتباع كثيرة وقالت لهم يا أيها الملا انى ألقى الى يا أيها الملا أقفوني وكررت لمزيد العناية بما قالته لهم ثم زادت في التأدب واستجلاب خواطرهم ايمعصوها النصح ويشيروا عليها بالصواب فقالت (ما كنت قاطعة أمر حتى تشهدون) أى عادتي وشأني معكم انى ما كنت مبرمة وقاضية وفاصلة أمر من الامور حتى تحضروا عندي ويشيروا على فلما قالت لهم ذلك (قالوا) مجيبين لها (نحن أولو قوة) في العدد والعدة (وأولو بأس شديد) عند الحرب واللقاء ولنا من الشجاعة والنجدة ما نمنع به أنفسنا وبلداننا ومملكتنا حتى أشاروا عليها بالقتال ثم فوضوا الامر اليها العليم بصحة رأيها وقوة عقلها فقالوا (والامر) موكول (اليك) أى الى رأيك ونظرك (فانظري) أى تأملى (ماذا أمر بن) ايانابه فحين سامعون لامر بك مطيعون له فلما سمعت تفويضهم الامر اليها لم ترض بالحرب بل مالت للصلح وبينت السبب في رغبتهافيه (وقالت ان الملوكة اذا دخلوا قرية) من القرى (أفسدوها) أى خربوا مبانها وغيرها وغابوا مغانها وانفقوا أموالها وفرقوا شمل أهلها قال ابن عباس اذا أخذ زها عنوة وقهر آخر بوها وعن الزجاج مثله (وجعلوا أعرز أهلها اذلة) أى أهانوا اشرفها وخطوا مرآتهم فصاروا عند ذلك اذلة وانما يفعلون ذلك لاجل ان يتم لهم الملك وتستحكم لهم الوطأة وتقرر لهم في قلوبهم المهابة والمقصود من قولها هذا تحذير قومها من مسر سليمان اليهم ودخوله بلادهم (وكذلك) أى مثل ذلك الفعل (يفعلون) أرادت ان هذه عاداتهم المستمرة التى لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت قال ابن الاسبارى الوقف على قوله اذلة وقف تام فقال الله عز وجل تحقيا وقصدي بقولها وكذلك يفعلون وقيل هذه الجملة من تمام كلامها فيكون من جملة مقول قولها اذلة كدت به ما قبله وعلى الاول مستأنفة لا عمل لها من الاعراب قال النسبي واحتج السامعي في الارض

قال والله لا أنفعه لنافعة أبدا فلماذا كان الصديق هو الصديق (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين) هذا وعبد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات خرج مخرج المؤمنات فأماهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ولا سيما التى كانت بسبب النزول وهى عائشة بنت الصديق رضى الله عنها وقد أجمع العلماء رجمهم الله قاطبة على ان من سبها بعد هذا ورمها بما رماها به بعد هذا الذى ذكر في هذه الآية فانه كافر لانه معاند للقرآن

وفي قيمة أمهات المؤمنين قولان أحدهما أنهم كهي والله اعلم وقوله تعالى لعنوا في الدنيا والآخرة الآية كقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقد ذهب بعضهم الى انها خاصة بعائشة رضی الله عنها فقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الانصاري حدثنا عبد الله بن حراش عن العوام عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس في الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات قال نزلت في عائشة خاصة وكذا قال سعيد بن جبیر ومقاتل بن حیان وقد ذكره ابن جرير عن عائشة فقال حدثنا احمد بن عبد الصبي حدثنا ابو هروانة عن عمر بن ابي سلمة عن انس عن عائشة رضی (٦٨) الله عنها قالت رميت بما رميت به وانا غافلة فبلغني بعد ذلك قالت فبينما رسول

الله صلى الله عليه وسلم جالس عندي اذا وحى اليه قالت وكان اذا وحى اليه اخذه كهيئة السبات وانه اوحى اليه وهو جالس عندي ثم استوى جالساً يسمع على وجهه وقال يا عائشة ابشري قالت فقلت بحمد الله لا بحمدك فقرا ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات حتى بلغ اولئك برؤنهما يقولون لهم غفيرة ورزق كريم هكذا اورده وليس فيه ان الحكم خاص بها وان فيه انها سبب التزول دون غيرها وان كان الحكم بعها كغيرها والله مراد ابن عباس ومن قال كقوله والله اعلم وقال الضحاك وابو الجوزاء وسلمة بن شبيب المراد بهما الزوج النبي خاصة دون غيرهن من النساء وقال العوفي عن ابن عباس في الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية يعني ازواج النبي صلى الله عليه وسلم رماهن اهل النفاق فلو جب الله لهم اللعنة والغضب باؤا بسخط من الله فكان ذلك في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد ذلك والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة

بالفساد بهذه الآية ومن استباح حراما فقد كفر واذا احتج به بالقرآن على وجه التحريف فقد جمع بين كفرين انتهى ثم اقدمت لهم هذه المقدمة ويقت لهم ما في دخول الملوك الى ارضهم من المنسدة اوضحت لهم وجه الرأي عندها وصرحت لهم بصوابه فقالت (واني مرسله اليهم) أي اني اجرب هذا الرجل بارسال رسلي اليه (بهديته) مشتقة على نفائس الاموال فان كان ملكا رضىنا به ذلك وكشينا امره وان كان نبيا لم يرضه ذلك لان غاية مطلبه ومنتهى اربه هو الدعاء الى الدين فلا يخيننا منه الا اجابته ومتابعته والتدين بدينه وسواك طريقته ولهذا قالت (فناظرة يرجع المرسلون) بالهدية من قبول أو ورد فعامله بما يقتضيه ذلك وذلك ان بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الامور وجر بها وقد طول المنسرون في ذكر هذه الهدية قال ابن عباس أرسلت بلبنة من ذهب فلما قدموا اذا حيطان المدينة من ذهب فذلك قوله اتعدون بحال الآية وقال ثابت البناني أهدت له صفائح الذهب في أوعية الديباج وقال مجاهد أهدت جوارى لباسهن لباس الغلمان وعلمنا بالباسهم لباس الجوارى وقال عكرمة أهدت ما أتى فرس على كل فرس غلام وجارية وعلى كل فرس لون ليس على الآخر وقال سعيد بن جبیر كانت الهدية جواهر وقيل غير ذلك مما لا فائدة في التطويل بذكره (فلما جاءه) رسولها المرسل بالهدية وهو منذر بن عمرو والمراد بهذا المضمرا الجنس فلا ينافي كونهم جماعة كما يدل عليه قولها يرجع المرسلون وقرئ فلما جاءوا أي الرسل (سليمان قال اتعدون بحال) مسانفة والاستفهام للانكار أي قال منكرا لامدادهم له بالمال مع علو سلطانه وكثرة ماله (رفقا آتاني الله) من النبوة والعلم والملك العظيم والاموال الكثيرة (خير مما آتاكم) من المال الذي هذه الهدية من جلته وهذا تعليل للنفي ثم انه أضرب عن الانكار المتقدم فقال تو بضعاهم بفرحهم بهذه الهدية فرح فخر وخيلاء (بل أنتم هم الذين تفرحون) وأما أنا فلا أفرح بهم ولست في الدنيا من حاجتي لان الله سبحانه قد أعطاني منها ما لم يعطه أحد من العالمين ومع ذلك أكرمني بالنبوة والمراد به هذا الاضراب من سليمان بيان السبب الحامل لهم على الهدية مع الازواجهم والحط عليهم ثم قال سليمان للرسول (ارجع اليهم) أي الى بلقيس وقومها بما أتيت به من الهدية وخاطب المفرد ههنا بعد خطابه للجماعة فيما قبل املان الذي يرجع هو الرسول فقط وأخص أمير الرسل

بالخطاب شهداء الى قوله فان الله غفور رحيم فانزل الله الجلود والتوبة فالتوبة تقبل والشهادة ترد وقال ابن جرير حدثنا القاسم بن الخطيب حدثنا الحسين حدثنا هشيم أخبرنا العوام بن حوشب عن شيخ من بني أسد عن ابن عباس قال فسر سورة النور فلما أتى على هذه الآية ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية قال في شأن عائشة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبهمة وليست لهم توبة ثم قرأ الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحو الآية يقال جعل لهؤلاء توبة ولم يجعل لمن قذف أو نكح توبة قال فهم بعض القوم ان يقوم اليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به سورة النور فقوله وهي مبهمة أي

عامة في تحريم قذف كل محصنة ولعنته في الدنيا والآخرة وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا في عائشة ومن صنع مثل هذا أيضا اليوم في المسلمات فله ما قال الله تعالى ولكن عائشة كانت اما في ذلك وقد اختار ابن جرير عموها وهو الصحيح وبعضه مذ العموم ما رواه ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن عبد الرحمن بن ابي بن وهب حدثني عمي حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن ابي الغيث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الابلا حتى واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي (٦٩) يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات

المؤمنات اخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال به وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عمرو بن خالد الخزاز الحاراني حدثني ابي ح حدثنا ابو شعيب الحاراني حدثنا جدي احمد بن ابي شعيب حدثني موسى بن اعمين عن ابيث عن ابي اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة وقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج ح حدثنا ابو يحيى الرازي عن عمرو بن ابي قيس عن مطرف عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال انهم يعني المشركين اذا رأوا أنه لا يدخل الجنة الا اهل الصلاة قالوا تعالوا حتى نجهد في جحودن فيضتم على افواههم وتشهد ايديهم وارجلهم ولا يكفون الله حدثنا وروى ابن ابي حاتم وابن جرير ايضا حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحرث عن دراج عن ابي الهيثم عن ابي

بالخطاب هنا وخطبهم معه فيما سبق افتنانا في الكلام وقرئ ارجعوا وقيل ان الضمير يرجع الى الهدى واللام في (فلما أتيتهم) جواب قسم محذوف أي والله ان لم يأتوني مسلمين لتأتيتهم قال النحاس وسمعت ابن كيسان يقول هي لام تو كيد ولام أمر ولام خفض وهذا قول الخذاق من التحوين لانهم يردون الشيء الى أصله وهذا لا يتبع الا لمن درب في العربية (بجنود لا قبل) أي لا طاقة (الهم بها) وحقيقة القبل المقابلة والمقاومة أي لا يقدر ان يقابلهم (ولنخرجنهم منها) أي من بلادهم وأرضهم التي هم فيها وهي سبأ حال كونهم (أدلة) بعد ان كانوا أعرنة (وهم صاغرون) هي حال ثانية مؤكدة للاولى لان الصغار هو الذلة وقيل ان المراد بالصغار هنا الاسر والاسر تهيبا وقيل ان الصغار الاهانة التي تسبب عنها الذلة ولما رجع الرسول الى بلقيس بالهدية تجهزت لله مسير الى سليمان استظر ما يامر هابه وأخذ برجريل سليمان بذلك (قال) سليمان لكل من هو عنده في قبضته من الجن والانس وغيرهما (يا أيها الملا أيكم يا تيني بعرشها) أي عرش بلقيس الذي تقدم وصفه بالعظم وكان سليمان اذ ذلك في بيت المقدس وعرشها في سبأ ببلدة باليمن وبينها وبين القدس مسيرة شهرين (قبل أن يأتوني مسلمين) أي قبل أن تأتيني هي وقومها منقادين طائعين قيل انما أراد سليمان أخذ عرشها قبل أن يصلوا اليه ويسلموا لانهم حينئذ حريون واذا أسلمت وأسلم قومها لم يحل أخذ أموالهم بغير رضائهم لان الاسلام يعصم مالهم قال ابن عطية وظاهر الروايات ان هذه المقالة من سليمان بعد مجي هديتها وردها يهاها وبعثها الهدى بالكتاب وعلى هذا جمهور المتأولين وقيل استدعى العرش قبل وصولها اليها القدرة التي هي من عند الله ويجعله دليلا على نبوته وقيل أراد أن يختبر عقلها ولهذا قال نكر والها عرشها كما سياتي وقيل أراد أن يختبر صدق الهدى في وصفه للعرش بالعظم والقول الاول هو الذي عليه الاكثر (قال عفرت من الجن) وقرئ عفر به بفتح التحتية بعدها تاء تانث منقلبة هاء ورويت هذه عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقرأ أبو حيان بفتح العين وهو شاذ والعفريت المارد الغليظ الشديد القوى قال النحاس يقال للشديد اذا كان معه خبت ودماها عفر وعفر به وعفريت وقال قتادة هو الداهية وقيل هو رئيس الجن وقال ابن عطية وقرأت فرقة عفر بكسر العين جمع على عفار قال وهب احمد كوزي وقال السهيلي ذكوان وقيل هو صخر المارد قاله ابن عباس

حدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فيجعد ويخاضع فيقال له هو لاجير انك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال اهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصهمهم الله فتشهد عليهم ايديهم والسنتهم ثم يدخلهم النار وقال ابن ابي حاتم ايضا حدثنا ابو شيبة ابن ابيهم بن عبد الله بن ابي شيبة الكوفي حدثنا منجاب بن الحرث التميمي حدثنا ابو عامر الاسدي حدثنا سفيان بن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو والنقيمي عن الشعبي عن انس بن مالك قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذ ثم قال اتدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مجادلة العبد ربه يوم

القيامة يقول يا رب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول لا اجيز على الا شاهد امني من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا
وبالكرام عليك شهودا فيجتم على فيه ويقال لا ركانه انطى فستق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد السكن وسحقا
فعمسكن كنت اناضل وقد رواه مسلم والنسائي جميعا عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبيه عن عبد الله الاشجعي عن سفيان الثوري
به ثم قال النسائي لأعلم احدا روى هذا الحديث عن سفيان الثوري غير الاشجعي وهو حديث غريب والله أعلم هكذا قال وقال
قتادة ابن آدم والله ان عليك لشهودا غير (٧٠) مائة من يدك فراقهم وانق الله في شرك وعلايتك فانه لا يخفى عليه

خافية الظلمة عنده ضوءه والسر
عنده علانية فمن استطاع أن يموت
وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة
الا بالله وقوله تعالى يومئذ يوفيهم
الله دينهم الحق قال ابن عباس
دينهم أي حسابهم وكل ما في
القرآن دينهم أي حسابهم وكذا
قال غير واحد ثم ان قراءة الجمهور
ينصب الحق على انه صفة لدينهم
وقرأ بجاهد بالرفع على انه نعت
الجلالة وقرأها بعض السلف في
مصحف أبي بن كعب يومئذ يوفيهم الله
الحق دينهم وقوله ويعلمون ان الله
هو الحق المبين أي وعده ووعده
وحسابه هو عدل الذي لا جور
فيه (الخبثيات للخبثيين والخبثيون
للخبثيات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات) أولئك مبرؤن
مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم
قال ابن عباس الخبثيات من القول
للخبثيين من الرجال والخبثيون
من الرجال للخبثيات من القول
والطيبات من القول للطيبين من
الرجال والطيبون من الرجال
للطيبات من القول قال ونزلت في
عائشة وأهل الافك وهكذا روى

وقيل اسمه دعوان وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان مسخر السليمان
(انا آتيتك به) أي أنا سأتى بالعرش اليك مضارع أو اسم فاعل (قبل أن تقوم من مقامك)
أي مجلسك الذي تجلس فيه للعكومة بين الناس وهو من الغدات إلى نصف النهار (واني
عليه) أي على جملة (القرى آمين) على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أرى بدأ سرع
من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) المنزل على الانبياء قبل سليمان كالنوراة التي
أنزلت على موسى قال أكثر المفسرين اسمه آصف بن برخيا بالمد وبالقصم وهو من بني
اسرائيل وكان وزير السليمان وصده يقاله وقيل كاتبه وكان من أولياء الله تظهر الخوارق
على يديه كثير او قيل كان يعلم اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به أعطى واذا دعي به أجاب
قال ابن عطية وقالت فرقة هو سليمان نفسه ويكون الخطاب على هذا العضرت كان
سليمان استبطأ ما قاله العسرت فقال له هذه المقالة تحقير له وقيل هو جبريل وقيل ملك
آخر وقيل الخضر وقد قيل غير ذلك مما لا أصل له والاول أولى (انا آتيتك به) أي بالعرش
وقال مجاهد في قراءة ابن مسعود أنا أنظر في كتاب ربي الخ ثم آتيتك به (قبل ان يرتد اليك
طرفك) اذا نظرت به الى شيء ما والمراد بالطرف تحريك الاجفان وفحصها للنظر وارتداده
انضمامها ولو لكونه أمر طبيعيا غير منوط بالاصدأ اثر الارتداد على الرد وفي القاموس
ان الطرف كما يطلق على نظر العين يطلق على العيز بنفسها وقيل هو بمعنى المطرف أي
الشيء الذي ينظره وقيل هو نيس الجفن عبره عن سرعة الامر كما تقول لصاحبك افع
ذلك في لحظة فانه مجاهد وقال سعيد بن جبيرة انه قال سليمان انظر الى السماء فاطرف
حتى جاء به فوضعه بين يديه والمعنى حتى يعود اليك طرفك بعد دمه الى السماء والاول
أولى هذه الاقوال ثم الثالث قال ابن عباس لم يجز عرش صاحبة سما بين الارض والسماء
ولكن انشقت به الارض فجري تحت الارض حتى ظهر بين يدي سليمان وقال مجاهد لما
تكلم ذلك العالم بكلام دخل العرش في نفق تحت الارض حتى خرج اليهم (فلما رآه
استقر اعنده) قيل في الآية حذف والتقدير فاذن له سليمان فدعا الله فأتى به فلما رأى
سليمان العرش حاضر لديه (قال هذا) أي - صور العرش وثبونه من غير تحريك وتناقل
(من فضل ربي) واحسانه اي (ليساوي) أي ليختبرني وقيل ليمتدني وهو مجاز والاصل
في الابتلاء الاختبار (أشكر) الله بذلك وأعتزف بانه من فضله من غير حول مني ولا قوة

عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة والشعبي والحسن بن أبي الحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك وأقوم
واختاره ابن جرير ووجهه بان الكلام القبيح أولى باهل القبيح من الناس والكلام الطيب أولى بالطيبين من الناس ما نسبته أهل
النفاق الى عائشة من كلامهم أولى به وهي أولى بالبراءة والبراءة منهم ولهذا قال تعالى أولئك مبرؤن مما يقولون وقال عبد الرحمن
ابن زيد بن أسلم الخبيثات من النساء للخبثيين من الرجال والخبثيون من الرجال للخبثيات من النساء والطيبات من النساء للطيبين
من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء وهذا أيضا يرجع الى ما قاله أولئك باللائم أي ما حكان الله لي يجعل عائشة

زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهي طيبة لانه أطيب من كل طيب من البشر ولو كانت خبيثة لما صحت له لا شرعا ولا قدرا
ولهذا قال تعالى أولئك مبرؤن مما يقولون أي هم بعداء عما يقوله أهل الألفك والعدوان لهم مغفرة أي بسبب ما قبل فيهم من
الكذب ورزق كريم أي عند الله في جنات النعيم وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة قال ابن أبي
حاتم حدثنا محمد بن مسلم حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن الحكم بن أسناده الى يحيى بن الجزار
قال جاء أسير بن جابر الى عبد الله فقال لقد سمعت الوليد بن عقبة (٧١) تكلم اليوم بكلام أعجبني فقال عبد الله ان

الرجل المؤمن يكون في قلبه
الكلمة الطيبة تتجلى في صدره
ما يستقر حتى يلفظها فيسهلها
الرجل عنده يتلها فيضها اليه وان
الرجل الفاجر يكون في قلبه الكلمة
الطيبة تتجلى في صدره ما تستقر
حتى يلفظها فيسهلها الرجل الذي
عنده يتلها فيضها اليها ثم قرأ عبد
الله الخبيثات للغيثيين والخبيثون
للبيثيات والطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات الآية ويشبه
هذا ما رواه الامام أحمد في المسند
من فروع مثل الذي يسمع الحكمة
ثم لا يحدث الا بشر ما سمع كل رجل
جاء الى صاحب غنم فقال اجزلى شاة
فقال اذهب فخذ باذن ابها شئت
فذهب فاخذ باذن كلب انعم وفي
الحديث الاخر الحكمة ضالة
المؤمن حيث وجدها اخذها (يا أيها
الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير
بيوتكم حتى تستأذنا وتعلموا
على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم
تذكرون فان لم تجدوا فيها أحد افلا
تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل
لكم ارجعوا فارجعوا هو أركي
لكم والله بما تعملون علم ليس عليكم

وأقوم بحقه (أم كفر) بترك الشكر وعدم القيام به أو بان أثبت لنفسى فعلا وتصرفا
في ذلك وقال الاخفش المعنى لينظر أشكر أم أ كفر (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) لانه
استحق بالشكر تمام النعمة ودوامها فان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة
المفقودة والمعنى انه لا يرجع نفع ذلك وثوابه الا الى الشاكر (ومن كفر) النعمة بترك
الشكر (فان ربى غنى) عن شكره (كريم) في ترك المعالجة بالعتوبة بنزع نعمه عنه
وسلبه ما أعطاه منها (قال نكروا لها عرشها) قيل انما أعيد ذكر القول لكون المتعلق
مختلفا لكونه أولاء لثناء على الله وثانيه متعلقا بشأن عرشها والتذكير التغيير وجعل الشيء
بحيث لا يعرف ضد التعريف ومنه نقل الى مصطلح أهل العربية يقول غير واسيرها الى
حال تنكروه اذ ارأته قيل جعل أسنله أعلاه وأعلاه أسفله وقيل غير زيادة ونقصان قاله
ابن عباس قال القراء وغيره انما أمر بتكفيره لان الشياطين قالوا له ان في عقلها شيئا فاراد
ان يعقنها وقيل خافت الجن ان يتزوج به سليمان فيولده ولد منها فيبقون مسخرين
لا سليمان أبدأ فقالوا لسليمان انها ضعيفة العقل ورجلها كرجل الجاروقيل أراد
سليمان ان يظهر لها أن الجن مسخرون له (تنظر) أي نعلم قرئ بالجزم على انه جواب الامر
وبه قرأ الجمهور وقرئ بالرفع على الاستئناف قال ابن عباس لنظر الى عقلها فوجدت
ثابتة العقل (أتهدى) الى معرفته أو الى الايمان بالله (أم تكون من الذين لا يمتدون)
الى ذلك (فلما جاءت) بلقيس الى سليمان (قيل) لها والقاتل هو سليمان أو غيره بامر
(أهكذا عرشك) الذي تركته في قصرك وأغلقت عليه الابواب وجعلت عليه حرسا
والهمزة للاستفهام ولم يقل هذا عرشك لثلاثا يكون ذلك تقييها لها فلا يتم الاختيار لعقلها
(قالت كأنه هو) أي فاجبت أحسن جواب فلم نقل هو هو ولا ليس به وذلك من راحة
عقلها حيث لم تقع في التمثل للامر من قال مجاهد جعلت تعرف وشكر وتعجب من
ضوره عند سليمان فقالت كأنه هو وقال مقاتل عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا
عليها ولو قيل لها أهذا عرشك لقاتلتم وقال عكرمة كانت حكيمة قالت ان قلت هو
خشيت ان اكذب وان قلت لا خشيت ان أكذب فقالت كأنه هو (وأوتينا العلم من
قبلها وكلمنا سليمان) قيل هو من كلام بلقيس أي وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان من قبل هذه

جناح ان تدخلوا بيوتنا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين
وذلك في الاستئذان أمرهم أن لا يدخلوا بيوتنا غير بيوتهم حتى يستأذنا أو أي يستأذنا قبل الدخول ويدخلوا بعده وينبغي أن
يستأذن ثلاث مرات فان أذن له والا انصرف كما ثبت في الصحيح ان أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثا فلم يؤذن له انصرف ثم قال
عمر ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن اذنوا له فطلبوه فوجدوه قد ذهب فلما جاء به بذلك قال ما أرجعك قال اني استأذنت
ثلاثا فلم يؤذن لي واني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليصرف فقال عمر لنا تبنى على

هذابينة والواوجعتك ضربا فذهب الى ملا من الانصار فدكر له - ثم ما قال عمر فقالوا لا يشهدك الا اصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدري فاخبر عمر بذلك فقال اهلاني عنه الصفيق بالاسواق وقال الامام احدثنا عبد الرزاق اخبرنا عمر عن ثابت عن انس وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم استأذن على سعد بن عباد فقال السلام عليكم ورحمة الله والسلام ورجة الله ولم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم حتى سلم ثلاثا ورد عليه سعد ثلاثا ولم يسمعه فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه سعد فقال يا رسول الله بأبي أنت وامي ما سلمت تسليمه (٧٢) الاوهى بأذني ولقد رددت عليك ولم اسمعك وارت ان استكثر من سلامك ومن

البركة ثم ادخله البيت فقرب اليه زبيبا فاق كل نبي الله فلما فرغ قال اكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وافطر عندكم الصائمون وقدرى ابوداود والنسائي من حديث ابي عمرو الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن قيس بن سعد هو ابن عباد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد سعد ردا خفيا قال قيس فقلت ألا تأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعه يكثر علينا من السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم ورحمة الله فرد سعد ردا خفيا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم ورحمة الله فقال الله ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه سعد فقال يا رسول الله اني كنت اسمع تسليمك وأرد عليك ردا خفيا لتيكثر علينا من السلام قال فانصرف معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر له سعد بغسل فاغتسل ثم ناوله خبيصة مصبوغة بزعفران أو ورس

الآية في العرش وكنتم قادي لأمره وقيل هو من قول سليمان اي وأبنا العلم بقدره الله من قبل باقديس وقيل العلم بالسلامها ومجيبها اطاعة من قبل مجيبها وقيل هو من كلام قوم سليمان والقول الثاني أرجح من سائر الأقوال وبه قال مجاهد وعن زهير بن محمد نحوه (وصدها ما كانت تعب من دون الله) من جملة كلام سليمان او كلامها على الاحتمالين السابقين وذكر أبو السعود احتمالا آخر وهو أنه من كلام الله سبحانه بيان لما كان يجمعها من اظهار ما دعته من الاسلام أي منعها من اظهار الايمان ما كانت تعبده وهو الشمس قال النحاس اي صدها عبادتها عن التقدم الى الاسلام وقيل منعها الله عما كانت تعبده من دونه وقيل منعها سليمان عما كانت تعبده والاولى والجملة مستأنفة للبيان (انها كانت من قوم كافرين) تعليل للجملة الاولى اي سبب تأخرها عن عبادة الله ومنع ما كانت تعبده عن ذلك انها كانت من قوم متصفين بالكفر راغبين فيه ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بينهم بل حتى دخلت تحت ملك سليمان (قيل لها ادخلي الصرح) قال ابو عبيدة الصرح القصر وقال الزجاج الصرح الصحن يقال هذه صرحه الدار وقاعتها وقال ابن قتيبة الصرح بلاط اتخذها من قوارير وجعل تحتها ماء وسمك وأصله من التصريح وهو الكشف وكذب صراح اي ظاهره كشوف ولوم صراح وحكي ابو عبيد في الغريب ان الصرح كل بناء عال مرتفع (فلمارتها) اي الصرح بين يديها (حسبته لجة) هي معظم الماء وقال ابن عباس البحر (ولذلك) (كشفت عن ساقها) لتخوض الماء خوفا عليها ان تبل فاذا غي احسن النساء ساقا سليمة مما قالت الجن فيها غير انما كانت كثيرة الشعر فلما فعلت ذلك وبلغت الى هذا الحد (قال) لها سليمان بعد ان صرف بصره عنها (انه صرح حمرد) اي مسقف بسطح (من قوارير) من اراد مجاوزته لا يحتاج الى تشهير ثيابه والمرد المحكول المملس ومنه الامر دلاسة وجهه وتعد الرجل اذا لم يخرج لحيته قال القراء ومنه الشجرة المرءاء التي لا ورق لها والترديد في البناء التلميس والتسوية والمرد ايضا المطول ومنه قيل للحصن مارد وقوارير جمع قارورة اي زجاج وتطلق القارورة على المرءاء لان الولد والمني يقر في رجاها كما يقر الشئ في الاناء او تشبها بانبة الزجاج اضعفها قال الازهرى والعرب تكني عن المرءاء بالقارورة والقوصرة قال آزاد البلجراي رحمه الله

فاشتمل بها ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وهو يقول اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عباد قال ثم اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطعام فلما أراد الانصراف قرب اليه سعد جارا قد وطى عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فايت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف قال فانصرف وقد روى هذا من وجوه آخر فهو حديث جيد قوي والله اعلم ثم ليعلم انه ينبغي للمستأذن على أهل المنزل أن لا يقف تلقاه الباب بوجهه ولكن ليكن الباب عن يمينه أو يساره لما

رواه أبو داود وحديثنا مؤمل بن الفضل الحراني في آخرين قالوا حدثنا بقية حدثنا محمد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن بشر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستوراً فترد به أبو داود وقال أبو داود أيضاً حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جريح بن حنيفة قال أبو داود حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حفص عن الأعمش عن طلحة عن هزيل قال جاء رجل قال عثمان سعد فوقف على باب النبي صلى الله عليه وسلم يستأذن فقام على (٧٣) الباب قال عثمان مستقبل الباب فقال

له النبي صلى الله عليه وسلم هكذا عندك وهكذا فأنما الاستئذان من النظر وقدر واه أبو داود الطيالسي عن سفيان الثوري عن الأعمش عن طلحة بن مصرف عن رجل عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود من حديثه وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن امرأ طلع عليك بغير إذن فخذ نفسه بحصاة ففقت عينه ما كان عليك من جناح وأخرج الجماعة من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في دين كان على أبي فذقت الباب فقال من ذافقت أنا قال أنا أنا كانه كرهه وإنما كره ذلك لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتى يفتح باسمه أو كنيته التي هو مشهور بها والأفضل أحد يعبر عن نفسه بآنا فلا يحصل بها المقصود من الاستئذان الذي هو الاستئناس بالمأمور به في الآية وقال العوفي عن ابن عباس الاستئناس الاستئذان وكذا قال غير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار

كم من قلوب رفاق أترعيسهم * يا حادي العيس رقباً القوارير
والمراد بها نيات الزجاج فلما سمعت بلقيس ذلك أذغت واستسلمت و (قالت رب اني ظلمت نفسي) أي بما كنت عليه من عبادة غيرك وهو الشمس وقيل بالظن الذي توهمته في سليمان لأنها توهمت أنه أراد تغريقها في اللجة والاول أولى (وأسلمت مع سليمان) متابعة له داخله في دينه وهو الاسلام (لتهرب العالمين) التفتت من الخطاب الى الغيبة قيسل لاطهار معرفتها بالله والاولى انها التفتت لما في هذا الاسم الشريف من الدلالة على جميع الاسماء ولكنها علمت اللذات وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وغيرهم عن ابن عباس في أثر طويل ان سليمان تزوجها بعد ذلك قال أبو بكر بن أبي شيبة ما أحسنه من حديث قال ابن كثير في تفسيره بعد حكاية هذا القول بل هو منكر جحد اولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم والأقرب في مثل هذه السياقات انها متفاعة عن أهل الكتاب مما يوجد في صحفهم كروايات كعب ووهب ساعهما الله فيما نقلنا الى هذه الامة من بني اسرائيل من الاوابد والغرائب والعجائب مما كان ومالم يكن ومما حرف وبدل ونسخ انتهى وكلامه هذا هو شعبة مما قد كررناه في هذا التفسير ونهنا عليه في عدة مواضع وكنت أظن انه لم ينه على ذلك غيري فالجده الله على هذه الموافقة لمثل هذا الحافظ المنصف وقيل انتهى أمرها الى قولها أسلمت ولا علم لاحد ورائ ذلك لانه لم يذكري في الكتاب ولا في خبر صحيح وأخرج البزار في تاريخه والعقيلي عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول من صنع له الحمامات سليمان وروى عنه مرفوعاً من طريق أخرى رواها الطبراني وابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب بلفظ أول من دخل الحمام سليمان فلما وجد حمره قال أوه من عذاب الله روى ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وانقضى ملك بلقيس بانقضاء ملك سليمان فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه (ولقد أرسلنا الى عوداً صالحاً) اللام هي الموطن للقسمة وهذه القصة من جملة بيان قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وعود هو أبو القبيلة التي منها صالح فهو جده والمراد به هنا نفس القبيلة وتسمى عاد الثانية واما عاد الاولى فهم قوم هود وتقدم ان بينهما مائة سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (ان اعبدوا الله) ان هي المنسرة أو المصدرية أي بان اعبدوا الله ووحده (فأذاهم)

(١٥ - فتح البيان سابع) حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسألوا عن خطاياهم من الكتاب حتى تستأذنوا وتسألوا وهكذا رواه هشيم عن أبي بشر وهو جعفر بن اياس عن سعيد بن جعفر بن جندب عن ابن عباس بن عثمة وزاد وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا وتسألوا وكان يقرأ على قراءة أبي بن كعب رضي الله عنه وهذا غير جندب عن ابن عباس وقال هشيم أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال في مصحف ابن مسعود حتى تسألوا على أهلها وتستأذنوا وهذا أيضاً رواه عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير وقد قال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن

جرى أخبرني عمرو بن أبي سفيان ان عمرو بن أبي صفوان أخبره ان كلدية بن الحنبل أخبره ان صفوان بن امية بعنه في الفتح بلبا
 وجد اية وضغاييس والنبى صلى الله عليه وسلم باعلى الوادى قال فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استأذن فقال
 صلى الله النبي عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل وذلك بعد ما سلم صفوان ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث
 ابن جرير صحبه وقال الترمذى حسن غريب لانعرفه من حديثه وروى أبو داود وحديثنا أبو بكر بن أبي شيبة حديثنا أبو الاحوص عن
 منصور عن ربهى قال أتى رجل من بنى عامر (٧٤) استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فقال أألج فقال النبي صلى

الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا
 فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام
 عليكم أأدخل فسمعه الرجل فقال
 السلام عليكم أأدخل فاذن له النبي
 صلى الله عليه وسلم فدخل وقال
 هشيم أخبرنا منصور عن ابن سيرين
 وأخبرنا يونس بن عبيد عن عمرو
 ابن سعيد الثقفى ان رجلا استأذن
 على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
 أألج أو ألج فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم لامة له يقال لها روضة قومي الى
 هذا فعليه فانه لا يحسن يستأذن
 فقولى له يقول السلام عليكم أأدخل
 فسمعا الرجل فقال السلام عليكم
 أأدخل فقال ادخل وقال الترمذى
 حديثنا الفضل بن الصباح حديثنا
 سعيد بن زكريا عن عنبسة بن
 عبد الرحمن عن محمد بن زاذان عن
 محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله
 قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم السلام قبل الكلام ثم قال
 الترمذى عنبسة ضعيف الحديث
 ذاهب ومحمد بن زاذان فى اسناده
 نكارة وضعف وقال هشيم قال مغيرة
 قال مجاهد جاء ابن عمر من حاجة
 وقد أذاه الرضاء فأتى فسطاط

فريقان يختصمون) اذا همى الفجائية اى ففاجأ برسالة التفرق والاختصاص والمراد
 بالنريقين المؤمنون منهم والكافرون ومعنى الاختصاص ان كل فريق يختصم على ما هو
 فيه ويزعم أن الحق معه وقيل ان الخصومة بينهم فى صالح هل هو مرسل أم لا وقيل أحد
 الفريقين صالح والآخر جميع قومه وهو ضعيف وقد تقدم حكاية اختصاص الفريقين فى
 سورة الاعراف فى قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم
 الآية (قال) صالح للكافرين (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) قال مجاهد اى
 بالعذاب قبل الرحمة والمعنى لم تؤخرون الايمان الذى يجلب اليكم الثواب وتقدمون الكفر
 الذى يجلب اليكم العقوبة وقد كانوا الفرط كفرهم يقولون اتنا يا صالح بالعذاب ووصف
 العذاب بانه سيئة مجازا ام لان العقاب من لوازمه أو لانه يشبهه فى كونه مكرها (ولولا هلا
 تستغفرون الله) وتوبون اليه من الشرك (لعلكم ترجون) اى رجاء ان ترجوا اوليكم
 ترجوا فلا تعذبوا فان استعجال الخير اولى من استعجال الشر فكان جوابهم عليه بعد هذا
 الارشاد الصحيح والكلام اللين انهم (قالوا اطيرنا بك) اصله تطيرنا وقد قرئ بذلك والتطير
 التساوم اى تشاء منابك واصابنا الشؤم والضيق والشدة بك (وبمن معن) ممن أجابك
 ودخل فى دينك وذلك لانه اصابهم قحط فتشاءموا بالصالح وقد كانت العرب أكثر الناس
 طيرة وأشفاقهم بها وكانوا اذا أرادوا سفرا أو امر من الامور زفر وطائر من وكره فان
 طار يئمة ساروا وفعالوا ما عزموا عليه وان طار يسرة تركوا ذلك وفى القرطبي لاشئ أضر
 بالراى ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ومن ظن ان خوار بقرة او نعيم غراب يرد
 قضاء او يدفع مقدورا فقد جهل فلما قالوا ذلك (قال) لهم صالح (طائر كم عند الله) اى
 ما يصيبكم من الخير والشر بامر الله وهو مكتوب عليكم سمي طائر لانه لاشئ أسرع من
 نزول القضاء المحتوم والمعنى ليس ذلك بسبب الطيرة التى تشاءمون بها بل سبب ذلك عند
 الله وهو ما يقدره عليكم وقيل المعنى ان الشؤم الذى أصابكم هو من عند الله لسبب كفركم
 وهذا كقوله تعالى يطروا بعوسى ومن معه ألا اعطاطا ثمهم عند الله وقيل طائر كم عملكم
 وسمى طائر السرعة صعوده الى السماء ثم أوضح لهم سبب ما هم فيه باوضح بيان فقال (بل)
 أنتم قوم تفتنون) اى تتحنون وتختبرون وقيل تعذبون بذنوبكم وقيل ينتسكم غيركم
 وقيل يفتنكم الشيطان بما تقعون فيه من الطيرة أو بما لاجله تطيرون فأضرب عن ذكر

امرأه من قرئش فقال السلام عليكم أأدخل قالت ادخل بسلام فأعاد فاعادت وهو يروح بين قدميه الطائر
 قال قولى ادخل قالت ادخل فدخل ولا بن أبي حاتم حديثنا أبو سعيد الأشج حديثنا أبو نعيم الاحول حديثنى خالد بن ايام حديثنى
 جدتى ام ايام قالت كنت فى اربع نسوة نستأذن على عائشة فقلن ندخل فقالت لا قلن لصاحبتكن تستأذن فقالت السلام
 عليكم أأدخل قالت ادخلوا ثم قالت يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها الآية وقال
 هشيم أخبرنا اشعث بن سوار عن صردوس عن ابن مسعود قال عليكم ان تستأذوا على امهاتكم واخوانكم وقال اشعث

عن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت يا رسول الله اني أكون في منزلي على الحال التي لأحب أن يراني أحد عليا والوالد ولا ولد والله لا يزال يدخل على رجل من أهلي وأنا على تلك الحال قال فنزلت بأيتها الذين آمنوا تدخلوا بيوتنا الآية وقال ابن جريج سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس رضي الله عنه قال ثلاث آيات مجدهن الناس قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم قال ويقولون ان اكرمهم عند الله أعظمهم بيتا قال والادب كله قد مجده الناس قال قلت استأذن على اخواني ايتام في حجرى معى في بيت واحد قال نعم فرددت عليه ليرخص لي فأبى فقال تحب (٢٥) أن تراها عريانة قلت لا قال فاستأذن قال

فراجعتة أيضا فقال أحب أن تطمع الله قال قلت نعم قال قال فاستأذن قال ابن جريج وأخبرني ابن طاوس عن أبيه قال ما من امرأة أكره الى أن أرى عورتها من ذات محرم قال وكان يشدد في ذلك وقال ابن جريج عن الزهري سمعت هزبل ابن شرحبيل الاودى الاعشى انه سمع ابن مسعود يقول عليكم الاذن على امهاتكم وقال ابن جريج قلت لعطاء يستأذن الرجل على امرأته قال لا وهذا محمول على عدم الوجوب والا فالاولى أن يعلمها ان بدخوله ولا يباحثها به لاحتمال ان تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها قال أبو جعفر بن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا محمد بن حازم عن الاعشى بن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن أبي زينب امرأة عبد الله بن مسعود عن زينب رضي الله عنها قالت كان عبد الله اذا جاء من حاجتنا نتمسى الى الباب فنخج ويزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه اسناده صحيح وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الله بن

الطائر الى ما هو السبب الداعي اليه وجاء بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير ولوروى ما بعده لقليل يفتنون بياء الغيبة وهو جائز ولكنه مرجوح تقول أنت رجل تفعل ويفعل ونحن قوم نفرو ويقرون (وكان في المدينة) التي كان فيها صالح وهو الحجر كذا قال المفسرون هنا وتقدم في سورة الحجر انه واديين المدينة والشام وهو ديار غود (تسعة رهط) أى تسعة رجال أو أشخاص من أبناء الاشراف وبهذا الاعتبار وقع تمييز التسعة لبا اعتبار لفظه والاضافة بيانية أى تسعة هم رهط والرهط اسم جماعة فكانهم كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم جماعة وقيل الرهط ما دون العشرة من الرجال ليس فيه امرأة وسكون الهاء أفصح من فتحها وهو جمع لا واحد له من لفظه وقيل الرهط من سبعة الى عشرة وما دون السبعة الى الثلاثة نفر قال نعلب الرهط والنفر والقوم والمعشر والعشيرة معانهم الجمع لا واحد لهم من لفظها وهو للرجال دون النساء وقال ابن السكيت الرهط والعترة بمعنى وقال الاصمعي الرهط ما فوق العشرة الى الاربعين ونقله ابن فارس أيضا والجمع أهرط وارهط وهؤلاء التسعة هم أصحاب قدار عاقرا الناقة وكانوا عترة قوم صالح وقد اختلف في أسماء هؤلاء التسعة اختلافا كثيرا كغير الاحاجة الى التطويل يذكره ثم وصف هؤلاء بقوله (ينسدون في الارض ولا يصلحون) أى شأنهم وعملهم الفساد في الارض لافى المدينة فقط فسادا لا يخاطبه شئ من الاصلاح قليل كانوا يتبعون معائب الناس ولا يستترون عورتهم وقليل كانوا يظلمون ولا يمنعون الظالمين (قالوا اتقاسموا) أى قال بعضهم لبعض احلفوا (بالله) هذا على ان تقاسموا فعمل أمر ويجوز أن يكون فعلا ماضيا مفسرا قالوا كأنه قيل ما قالوا فقال تقاسموا أو قالوا ذلك متقاسمين واليه ذهب الزمخشري وقرأ ابن مسعود تقاسموا بالله ليس فيها قالوا (لنبيته) اللام جواب قسم أى لنا نبيته بعتة في وقت البيات فنقله ليلا (وأهله) أى من آمن به وكانوا أربعة آلاف (ثم لقولن لوليه) بالنون للمتكلم وقرئ بالتحية وبالفوقية على خطاب بعضهم لبعض والمراد بولي صالح رهطه الذين لهم ولاية الدم (ما شهدنا مهلك أهله) أى ما حضرنا قتلهم ولا ندري من قتلهم وقتل أهله ونفسيهم لشهودهم لمكان الهلاك يدل على نفي شهودهم لنفس القتل بالاولى وقيل ان المهلك بمعنى الاهلاك قرئ مهلك بفتح الميم واللام وبكسر اللام (وانا لصادقون) فيما قلناه من انكارنا قتلهم قال الزجاج وكان هؤلاء النفر تحالفوا ان يبيتوا صالحا وأهله ثم ينكروا وعند

نمى حدثنا الاعشى عن عمرو بن مرة عن أبي هبيرة قال كان عبد الله اذا دخل الدار استأنس تكلم ورفع صوته وقال مجاهد حتى نستأنسوا قال تتخجوا أو تتخجوا وقال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله انه قال اذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتخج أو يحرك نعليه ولهذا جاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا وفي رواية ثالثة لا يتخجوا وفي الحديث الآخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة نهارا فاناخ بظاهرها وقال انظروا حتى ندخل مساء يعنى آخر النهار حتى تمتشط الشعثة وتستجد المغيبة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن بن سليمان عن

واصل بن السائب حدثني أبو ثور بن أخي أبي أيوب عن أبي أيوب قال قلت يا رسول الله هذا السلام فما الاستئناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة أو تكبيرة أو تحميدة ويتحج فيؤذن أهل البيت هذا حديث غريب وقال قتادة في قوله حتى تستأنسوا هو الاستئذان ثلاثين لم يؤذن لهم فليرجع أما الأولى فليسمع الحى وأما الثانية فيأخذ واحد منهم وأما الثالثة فان شاؤا أنذوا وان شاؤا ردوا ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم فان للناس حاجات ولهم اشغال والله أولى بالعذر وقال مقاتل بن حيان في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا (٧٦) وتسلموا على أهلها كان الرجل في الجاهلية إذا التقى صاحبه لا يسلم عليه ويقول حبيت صباحا وحبيت مساء وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان أحدهم يطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يتحيم ويقول قد دخلت ونحو ذلك فشدق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك كله في ستر وعفة وجعله نقصا نزها من الدنس والقذر والدرن فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها الآية وهذا الذي قاله مقاتل حسن ولهذا قال تعالى

عليه ويقول حبيت صباحا وحبيت مساء وكان ذلك تحية القوم بينهم وكان أحدهم يطلق إلى صاحبه فلا يستأذن حتى يتحيم ويقول قد دخلت ونحو ذلك فشدق ذلك على الرجل ولعله يكون مع أهله فغير الله ذلك كله في ستر وعفة وجعله نقصا نزها من الدنس والقذر والدرن فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها الآية وهذا الذي قاله مقاتل حسن ولهذا قال تعالى ذلكم خير لكم يعني الاستئذان خير لكم بمعنى هو خير من الطرفين للمستأذن ولأهل البيت لعلكم تذكرون وقوله تعالى فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وذلك لمناقبة من التصرف في ملك الغير بغير اذنه فان شاء اذن وان شاء لم يأذن وان قبل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم أي اذا ردوك من الباب قبل الاذن او بعده فارجعوا هو أذكى لكم أي رجوعكم ازكى لكم وأطهر والله بما تعملون عليم وقال قتادة قال بعض المهاجرين لقد طلبت عمري

أولياته انهم ما فعلوا ذلك ولا رأوه وكان هذا مكر انهم ولهذا قال الله سبحانه (ومكروا) بهذه المخالفة (مكرا) وهو ما اخفوه من تدبير الفتك بصلاح (ومكروا مكرا) أي جازيتاهم بتعلمهم فأهدتاهم (وهم لا يشعرون) بمكر الله بهم وهذا على سبيل الاستعارة المنضمة إلى المشاكلة كما في الكشاف وشروحه يعني تشبيها بالمكروا من حيث كونه اضرا في خفية لان المكروا قد الاضرا على طريق الغدر والحيلة (فاتظر كيف كان عاقبة مكروهم) أي انظر ما انتهى اليه امرهم الذي نبوه على المكروا ما اصابهم بسببه (انادهم ناهم وقومهم اجمعين) بفتح هـ مزة انا وقري بكسر هـ اوها ما سبع عيان قال الفراء والزجاج من كسر استأنف وهو يفسر به ما كان قبله كأنه جعله تابعاً للعاقبة كأنه قال العاقبة انادهم ناهم وعلى قراءة الفتح التقدير بانأولانا وكان نامة وعاقبة فاعل لها أو يكون بدل من عاقبة أو يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي انادهم ناهم وفي حرف أبي ان دمر ناهم والمعنى ان الله دمر التسعة الرهط المذكورين بالرحى ودمر قومهم الذين لم يكونوا معهم عند مباشرتهم لذلك بصيحة جبريل عليه السلام وأجمعين تأكيد لكل من المعطوف والمعطوف عليه ومعناه انه لم يشذ منهم احد ولا سلم من العقوبة فردد من افرادهم وجهه (فتلك بيوتهم خاوية) مقررة لما قبلها أي حال كونها خاوية قال الفراء والنحاس أي خالية عن اهلها خرابا ليس بها ساكن من خوى البطن اذا خيلا أو ساقطة منه سدة من خوى النجم اذا سقط وقيل الاصل تلك بيوتهم الخاوية كقوله وله الدين واصبا (عما ظلموا) أي بسبب ظلمهم (ان في ذلك) التدمير والاهلاك (لاية) أي لعلبة عظيمة (لقوم يعلمون) أي يتصفون بالعلم بالاشياء (وانجيحنا الذين آمنوا) وهم صالح ومن آمن به (وكلوا يتقون) الله ويخافون عقابه وخرج صالح ومن معه من المؤمنين الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمى حضرموت قال الضحاك ثم بنى الاربعة آلاف الذين كانوا معه مدينة يقال لها حضوراء (و) ارسلنا (لوطا اذا قال لقومه) هم أهل سدوم (أتأتون الفاحشه) أي الفعلة المتناهية في القبح والشناعة وهي اتيان الذكور واللواط (وأنتم تبصرون) أي وأنتم تعلمون علماً يقينياً انها فاحشه وقيحة وذلك أعظم ذنوبكم على ان تبصرون من بصر القلب وهو العلم أو بمعنى النظر لانهم كانوا لا يستترون حال فعل الفاحشة عتوا وعمردوا بالجملة حاله مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ وقد تقدم تفسير هذه

كله هذه الآية فما ادر كتبها ان استأذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع وانما معتبط فان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم والله بما تعملون عليم وقال سعيد بن جبير في الآية اي لا تقفوا على أبواب الناس وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتكم مسكونة الآية هذه الآية الكريمة أخص من التي قبلها وذلك انها تقتضي جواز الدخول الى البيوت التي ليس فيها احد اذا كان له متاع فيها بغير اذن كالمبيت المعتد للضيف اذا اذن له فيه اول مرة كفي قال ابن جرير قال ابن عباس لا تدخلوا بيوتكم ثم نسخ واستثنى فقال تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتكم مسكونة ففيها متاع لكم وكذا روى عن عكرمة والحسن البصري وقال آخر ونهى بيوت التجار كالتخانات ومنازل الاسفار وبيوت مكة وغير ذلك واختار

القصة

ذلك ابن جرير وحكاية عن جماعة والاول انظر والله اعلم وقال مالك عن زيد بن اسلم هي بيوت الشعر (قل للمؤمنين بغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك اذ كى لهم ان الله خبير بما يصنعون) هذا امر من الله تعالى لعباده المؤمنين ان بغضوا من ابصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا الا الى ما اباح لهم النظر اليه وان يغضوا ابصارهم عن المحارم فان اتفق ان وقع البصر على محرم من غير قصد فليصرف بصره سر يعاكار واه مسلم في صحيحه من حديث يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة بن عمرو ابن جرير عن جده عن جرير بن عبد الله الجبلي رضى الله عنه قال سألت النبي (٧٧) صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فامرني

ان أصرف بصرى وكذا رواه الامام احمد عن هشيم عن يونس ابن عبيد بن ورواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديثه أيضا وقال الترمذي حسن صحيح وفي رواية لبعضهم فقال اطرق بصرى يعنى انظر الى الارض والصرف أعم فانه قد يكون الى الارض والى جهة اخرى والله اعلم وقال ابو داود حدثنا اسمعيل بن موسى الفزاري حدثنا شريك عن ابى ربيعة الايدى عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليس لك الآخرة ورواه الترمذي من حديث شريك وقال غريب لا نعرفه الا من حديثه وفي الصحيح عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا كم والجلسوس على الطرقات قالوا يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا نتقعد فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ايستم فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غص البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالعرف والنهي عن المنكر وقال ابو القاسم البغوى

القصة في الاعراف مستوفى (أُنسِكُمْ لتأون الرجال) فيه تكرير للتوبيخ مع التصريح بان تلك الفاحشة هي اللواط التي أجمعها وألا وفيه إشارة الى ان فعلتهم هذه مما يعيب الواصف ولا يبلغ كنه قبحها ولا يصدق ذوقها ان أحدا يفعلها ثم علق ذلك بقوله (شهوة) تنزيلا لهم الى رتبة البهائم التي ليس فيها قصد ولد ولا عقاف والتقدير للشهوة أو تسانا شهوة أو مشتهين لهم (من دون النساء) أى متجاوزين النساء اللاتي هن محل لذلك وفيه إشارة الى انهم أساؤا من الطرفين في الفعل والترك (بل أنتم قوم تجهلون) التصريح وعاقبة فعلكم والعقوبة على هذه المعصية قيل أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها وتفعلون فعل الجاهلين بقبحه وقد اجتمع الخطاب والغيبة هنا وفي قوله بل أنتم قوم تفتنون فغلب الخطاب على الغيبة لانه أقوى وأرسخ اذا الاصل ان يكون الكلام بين الحاضرين (فما كان جواب قومه الا ان قالوا) أى الا قولهم (أخرجوا آل لوط) أى لوطا وأهله والمراد بهم بنتاه وزوجته المؤمنة (من قريبتكم) فيه امتنان عليه باسكانه عندهم والاضافة للجنس لان قراهم كانت خنساء عظمها سدوم (انهم أناس يتطهرون) أى يتزهدون ويتباعدون عن أدبار الرجال قالوا ذلك استهزاء منهم بهم (فأنجيئناهم وأهلكنا من العذاب الواقع بالقوم فخرج لوط بأهله من أرضهم وطوى الله له الارض حتى نبجا ووصل الى ابراهيم (الامر آتة قدرناها) قرئ مخففا ومشدادا والمعنى واحد مع دلالة زيادة البناء على زيادة المعنى (من الغابرين) أى الباقيين في العذاب (وأما مطرنا عليهم) أى على كل من كان منهم خارج المدائن (مطرا) أى حجارة مكثت وبالعليها اسم صاحبها وهو حجارة السجيل أى الطين المحرق وهذا التأكيدي يدل على شدة المطر وانه غير معهود (فساء مطر المنذرين) أى الذين أنذروا فلم يعقلوا ولم يقبلوا الاذار والمخصوص بالذم محذوف أى مطرهم وقد مضى بيان ذلك كله في الاعراف والشعراء (قل الحمد لله) قال الفراء قال أهل المعاني قيل للوط قل الحمد لله على هلاكهم وخالفه جماعة المفسرين فقالوا ان هذا خطاب لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم أى قل الحمد لله على هلاك كذا الامم الخالية قال النحاس وهذا أولى لان القرآن منزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل ما فيه فهو مخاطب به الامم بضح معناه الا لغیره وكان هذا صدر خطبة لما يلقي من البراهين الدالة على الوحداية والعلم والقدرة الا ترى ذكرها بقوله أمن خلق الخ قيل والمراد بقوله (وسلام على عباده الذين اصطفى)

حدثنا طالوت بن عباد حدثنا فضل بن جبیر سمعت ابا امامة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان كفلوا الى سستانا كفل لكم بالجنة اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا اوتعن فلا يخن واذا وعد فلا يخلف وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم وحفظوا فروجكم وفي صحيح البخاري من يكفل لي ما بين حسيه وما بين رجليه كفل له الجنة وقال عبد الرزاق انبا امامة عن ايوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال كل ما عصى الله به فهو كبيرة وقد ذكر الطرفين فقال قل للمؤمنين بغضوا من ابصارهم ولما كان النظر داعية الى فساد القلب كما قال بعض السلف النظر سم الى القلب ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الابصار التي هي بواعث الى

ذلك فقال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وحفظ الفرج نارة يكون مجنعه من الزنا كما قال تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الاية ونارة يكون يحفظه من النظر اليه كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسنن احفظ عورتك الامن زوجتك وما ملكت يمينك ذلك اذكى لهم أى أظهر لقلوبهم وأتقى لدينهم كما قيل من حفظ بصره ورثه الله نوراً في بصره ويرى في قلبه وروى الامام حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة رضى الله عنه عن النبي (٧٨) صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم ينظر الى محاسن امرأة ثم

أتمه صلى الله عليه وآله وسلم والاولى حمله على العموم وهم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين فيدخل في ذلك الانبياء وآبائهم قال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم اصطفاهم الله انبياءه صلى الله عليه وآله وسلم وروى مثله عن سفيان الثوري والاولى ما قدمناه من التعميم في ذلك أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم دخولاً اولياً وهو تعليم لكل متكلم في كل أمر ذي بال بان يتبرك بهم ما ويستظهر لمكانهم ما (آ الله) فيه وجهان يجريان في خمسة مواضع في القرآن غير هذا الموضع أحدهما تسهيل الهمزة الثانية مقصورة والثاني ابدالها الفاعل ممد الاضمار والمعنى آ الله الذي ذكرت أفعاله وصفاته الدالة على عظيم قدرته (خيراً ما يبشر كون) به من الاصنام وفيه تكيه للمشركين والزمام الحجة عليهم بعد هلاك الكفار وأم هذه متصلة عاطفة لاستكمال شروطها والتقدير أي ما خير وهذه الخبرية ليست بمعناها الاصلية بل هي كقول الشاعر

أتهجوه ولست له بكف * فشر كالحير كما الفداء

فيكون ما في الآية من باب التكميم بهم اذ لا خير فيهم أصلاً وقد حكى سيبويه ان العرب تقول السعادة أحب اليك أم الشقاوة لا خير في الشقاوة أصلاً وقيل المعنى آ ثواب الله خيراً مما عقاب ما تشركون به وقيل قال لهم ذلك جرياً على اعتقادهم لانهم كانوا يعتقدون ان في عبادة الاصنام خيراً وقيل المراد من هذا الاستنهام الخبر وقرأ الجمهور تشركون بالقافية على الخطاب وقرئ بالتحية (أمن خلق السموات والارض) أم هذه هي المنقطعة وقال أبو حاتم تقديره آ آلهتكم خيراً من خلق السموات والارض وقد روى خلقهن وقيل المعنى آ عبادة ما تعبدون من أو ثابتمكم خيراً مما عبادة من خلق العالم الجسماني فيكون أم على هذا متصلة وفيها معنى التوبيخ والتكميم كما في الجملة الاولى (وأنزل لكم من السماء ماء) أى نوعاً من الماء وهو المطر (فانبتنا به حنائق) جمع حديقة قال الفراء الحديقة البستان الذي عليه حائط فان لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة وقال قتادة وعكرمة الحنائق النخل (ذات بجمعة) أى ذات منظر حسن ورويق والبهجة هي الحسن الذي يبتهج به من رآه ولم يقل ذوات بجمعة على الجمع لان المعنى جماعة حنائق وصرف الكلام عن الغيبة الى التكلم تأكيده المعنى اختصاص الفعل

يغض بصره الأخلف الله له عبادة يجدها ولها وروى هذا مرفوعاً عن ابن عمر وحديثه وعائشة رضى الله عنهم ولكن في أسانيدها ضعف الا انها في الترغيب ومثله يتساع فيه وفي الطبراني من طريق عبد الله بن يزيد عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة مرفوعاً تغض أبصاركم وتحفظن فروجكم ولتقين وجوهكم أو لتكسفن وجوهكم وقال الطبراني حدثنا أحمد بن زهير السيري قال قرأنا على محمد بن حنص بن عمر الضير المرقى حدثنا يحيى بن أبي بكر حدثنا هريم ابن سفيان عن عبد الرحمن بن اسحق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النظر بهم من سهام ابليس مسموم من تركه محافى آ بدلتها ايماناً يجدها ولها في قلبه وقوله تعالى ان الله خير مما يصنعون كما قال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وفي الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم كتب علي ابن آدم خطه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الاذنين بذاته الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى والنفس تفتى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذب رواه البخاري تعليقا ومسلم مسنداً من وجه آخر بخموا ذكر وقد قال كثير من السلف انهم كانوا يبنون ان يحد الرجل نظره الى الامر وقد شد كثير من أئمة الصوفية في ذلك وحرمة طائفة من أهل العلم لما فيه من الافتتان وشدوا آخرون في ذلك كثيراً جداً وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو سعيد المديني حدثنا عمر بن سهل المازني حدثني عمر بن محمد بن هببان عن صفوان بن سليم عن أبي هريرة رضى الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عين باكية يوم القيامة الا عين غصت عن محارم الله وعين سهرت في سبيل الله وعين يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضرن بنجسهن على جوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناء بعولتهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت ايمانن أو التابعين غير أولي الاربع من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضرن بأرجلهن ليعلم (٧٩) ما يحفظن من زينتهن ويؤوا الى الله جميعاً أيها

المؤمنون لعلكم تفلحون) هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات وغيره منه لازواجهن عبادته المؤمنين وتغييرهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركت وكان سبب نزول هذه الآية ما ذكره مقاتل بن حيان قال بلغنا والله أعلم ان جابر بن عبد الله الانصاري حدث ان اسماء بنت مرثدة كانت في محل لها في بني حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخل وتسدو وصدورهن وذواتهن فقالت اسماء ما أقبح هذا فانزل الله تعالى وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن الآية فقوله تعالى وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن أي عا حرم الله عليهن من النظر الى غير أزواجهن ولهذا ذهب كثير من العلماء الى انه لا يجوز للمرأة النظر الى الرجال الاجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلاً واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذي من حديث الزهري عن نهان مولى أم سلمة انه حدثه ان أم سلمة حدثته انها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة قالت فيبينما

بداته وايدان ابان ابان الحداثي المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والاشكال مع سقيها بما واحد لا يقدر عليه الا هو وحده ثم رشح معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) فضلا عن ثمارها وسائر صفاتها البديعة ومعنى هذا النفي الحظر والمنع من فعل هذا أي ما يصح للبشر ولا يتيها لهم ذلك ولا يدخل تحت مقدورهم لمجزهم عن اخراج الشيء من العدم الى الوجود وان تأق ذلك محال من غيره ثم قال سبحانه موجهاً لهم ومقرعاً (آلله) أي هل معبود (مع الله) الذي تقدم ذكر بعض أفعاله حتى يقرب به ويجعل شريكاً في العبادة وقرئ الها أي أتدعون الها مع الله والاستفهام للذكار أي ليس معه اله وكذا يقال في المواضع الاربعة الآية ثم أضرب عن توبيخهم وتقريرهم بما تقدم وانتقل الى بيان سوء حالهم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة فقال (بل هم قوم يعدلون) بالله غيره أو يعدلون عن الحق الى الباطل وبل هم بعد الخطاب أبلغ في تحطمة رأيهم ثم شرع في الاستدلال باحوال الارض وما عليها فقال (أمن جعل الارض قراراً القرار هو المستقر أي دحاها وسواها وجعلها بحيث يمكن الاستقرار عليها للانسان والدواب باخلاء بعضها من الماء حسبما تدور عليه منافعهم وقيل هذه الجردة وما بعدها من الجمل الثلاث بدل من قوله أمن خلق السموات والارض ولا ملجئ لذلك بل هي وما بعدها اضراب وانتقال من التقرير والتوبيخ بما قبلها الى التوبيخ والتقرير بشئ آخر (وجعل) أي خلق أو صير (خلاها) أي فيما بينها (أنهاراً) نظراً بالماء والخلال الوسط وقد تقدم تحقيقه في قوله فجرنا خلاها منراً (وجعل لها رواسي) أي جبالاً ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة (وجعل بين البحرين) هما العذب والمالح أي جعل بينهما من قدرته (حاجزاً) أي مانعاً عنويما وهو المنع الالهي اذ ليس هناك حاجز حسي كما هو مشاهد فلا يختلط أحدهما بالآخر فلا هذا يغير ذلك ولا ذلك يدخل في هذا وقد مر بيانه في سورة الفرقان (آله مع الله) أي اذا ثبت انه لا يقدر على ذلك الا الله فهل في الوجود يصنع صنعه ويخلق خلقه فكيف يشركون به ما لا يضرو ولا ينفع (بل أكثرهم لا يعلمون) توحيد ربهم وسلطان قدرته (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) هذا استدلال منه سبحانه بحاجة الانسان اليه على العموم والمضطر اسم مفعول من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة وهي الحاجة المحوجة الى الجبا يقال اضطره الى كذا والمضطر هو المكروب المجهود الذي

نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعدما أمرنا بالجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبتا منه فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوعيا وان انتمما لستما تبصرانه ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وذهب آخرون من العلماء الى جواز نظرهن الى الاجانب بغير شهوة كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر الى الحبشة وهم يلعبون بحراهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر اليهم من وراءه وهو يستراهم منهم حتى ملت ورجعت وقوله ويحفظن فروجهن قال سعيد بن جبير عن الفواحش وقال قتادة وسفيان عمال يجعل

لهن وقال مقاتل عن الزنا وقال أبو العالية كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها الفروج فهو من الزنا الا هذه الآية ويحفظن فروجهن ان لا يراها أحد وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها أي ولا يظهرن شيئا من الزينة للجانب الا لا يمكن اخفاؤه قال ابن مسعود كالرداء والثياب يعني على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التي تجعل ثيابها وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه لان هذا لا يمكن اخفاؤه ونظرة في زى النساء من ازارها مما لا يمكن اخفاؤه وقال بقول ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزي (٨٠) و ابراهيم النخعي وغيرهم وقال الاعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن

عباس ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال وجهها وكفيها واخاتم وروى عن ابن عمرو وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبي الشعثاء والضحك و ابراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك وهذا يحتمل ان يكون تفسير الزينة التي نهين عن ابدائها كما قال أبو اسحق السبيعي عن أبي الاخوص عن عبد الله قال في قوله ولا يبدين زينتهن الزينة القروط والدمالج والخلخال والقلادة وفي رواية عنه بهذا الاسناد قال الزينة زينتان فزينة لا يراها الا الزوج اخاتم والسوار وزينة يراها الا جانب وهي الظاهر من الثياب وقال الزهري لا يبدين لهؤلاء الذين سمى الله من لا يحل له الا الاسورة والاخرة والاقرطة من غير حسر واما عامة الناس فلا يبديون منها الا اخواتهم وقال مالك عن الزهري الا ما ظهر منها الخاتم والخلخال ويحتمل ان ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين وهذا هو المشهور عند الجمهور ويستأنس له الحديث الذي رواه أبو داود في سننه حدثنا يعقوب بن كعب

مسه الضر ولا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب اذا استغفر وقيل هو المظلوم اذا دعأ أو من رفع يديه ولم ير لنفسه حسنة غير التوحيد وهو منه على خطر وقيل هو الذي عراه ضر من فقر أو مرض أو نازلة من نوازل الدهر فالجأه الى التضرع الى الله واللام في المضطر للجنس لا للاستغراق فقد لا يجاب دعاء بعض المضطر من المانع يمنع من ذلك بسبب محدثه العبد يحول بينه وبين اجابة دعائه والافقد ضمن الله سبحانه اجابة دعاء المضطر اذا دعاه وأخبر بذلك عن نفسه والوجه في اجابة دعاء المضطر أن ذلك الاضطرار الحاصل له يتسبب عنه الاخلاص وقطع النظر عما سوى الله وقد أخبر الله سبحانه بأنه يجب دعاء المخلصين له الدين وان كانوا كافرين فقال حتى اذا كنتم في الفلك وجرن بهم برح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتننا من هذه لنكونن من الشاكرين وقال فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون فاجابهم عندهم ضرورتهم واخلاصهم مع علمه بانهم سيعودون الى شركهم (ويكشف سوء) الذي يسوء العبد من غير تعيين وقيل هو الضر وقيل هو الجور وهذا من عطف العام على الخاص (و يجعلكم خلفاء الارض) أي يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله بعد انقراضهم والمعنى يهلك قرنا وينشئ آخرين وقيل يجعل أولادكم خلفاء منكم وقيل جعلكم خلفاء الجن في الارض وقيل يجعل المسلمين خلفاء من الكفار ينزلون أرضهم وديارهم (أله مع الله) الذي يوليكم هذه النعم الجسام (قليلما) أي تذكرا قليلا (تذكرون) وما زائدة لتقليل القليل وهو كناية عن العدم بالكلية فالمراد نبي تذكرهم رأسا قال الكرخي المعنى نبي التذكر والقله تستعمل في معنى النبي قرأ الجمهور بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتصنية على الخبر ذاعلى قوله بل أكثرهم لا يعلمون (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي يرشدكم في الليالي المظلمة اذا سافرتهم في البر والبحر الى مقاصدكم وقيل المراد مقاصد زوال البر التي لا أعلام لها ولج البحار وشبهها بالظلمات لعدم ما يهدون به فيها وقيل يهديكم بالنجوم ليلا وبعلامات الارض نهارا (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمة) المراد بالرحمة هنا المطر أي بين يدي المطر وقبل نزوله (أله مع الله) يفعل ذلك ويوجده (تعالى الله عما يشركون) أي تنزهه وتقدس عن وجود ما يجعلونه له شريكا (أمن يسد الخلق ثم يعيده) كانوا يقرون بأن الله سبحانه هو الخالق

الانطاكى ومؤمل بن الفضل الجوانى فالاحد ثنا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة رضى الله قالزمهم عنها ان أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رفاق فاعرض عنها وقال يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وأشار الى وجهه وكفيه لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي هو مرسل خالد بن دريك لم يسمع من عائشة رضى الله عنها والله اعلم وقوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن يعني المقانع يعمل لها ضيقات ضاربات على صدورهن لتوازي ما يحتمل من صدورهن وانها يخالفن شعار نساء أهل الجاهلية فانهن لم يكن يفعلن ذلك بل كانت المرأة ممن تعريهن الرجال مسفحة

بصدرها الاوار به شئ ورجعاً أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطه آذانها فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هياتهن وأحوالهن كما قال تعالى يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وقال في هذه الآية الكريمة وليضربن بخمرهن على جيوبهن والخمر جمع خمار وهو ما يخمر به أى يغطي به الرأس وهو التى تسمى بالناس المقانع قال سعيد بن جبيرة وليضربن ويلشدن بخمرهن على جيوبهن يعنى على الخمر والصدرة لا يرى منه شئ وقال البخارى حدثنا أحمد بن شيب حدثنا أبى عن يونس عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة (٨١) رضى الله عنها قالت يرحم الله نساء

المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطن فاختمرن به وقال أيضا حدثنا أبو نعيم حدثنا ابراهيم ابن نافع عن الحسن بن مسلم عن صفية بنت شيبة ان عائشة رضى الله عنها كانت تقول لما نزلت هذه الآية وليضربن بخمرهن على جيوبهن أخذن أزهرن فشققنها من قبل الحواشى فاخترن بها وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنى الزنجى بن خالد حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن صفية بنت شيبة قالت بينما نحن عند عائشة قالت فذكرنا نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة رضى الله عنها ان لنساء قريش لفضلاء وانى والله ما رأيت أفضل من نساء الانصار أشد تصديقا لكتاب الله ولا ايماناً بالتزويل لقد أنزلت سورة النور وليضربن بخمرهن على جيوبهن انقلب رجالهن اليهن يتلون عليهن ما أنزل اليهن فيها ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وعلى كل ذى قرابته فيما منهن امرأه الا

فألزمهم الاعادة أى اذا قدر على الابتداء قدر على الاعادة (ومن يرزقكم من السماء والارض) بالطر والنبات أى أحوالهم ما تجعلونه شريكاً مما لا يقدر على شئ من ذلك (إله مع الله) حتى تجعلوه شريكاً له (قل هاؤا برهانكم) أى حجتكم عقلية أو نقلية على أن الله سبحانه شريكاً وهاؤا حجتكم على ان ثم ما نها يصنع كصنعه (ان كنتم صادقين) ان مع الله الها فعل شياً مما ذكر في هذا تبكىت لهم وتممهم وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل (قل لا يعلم من) اى لا يعلم أحد من المخلوقات الكائنة الثابتة الساكنة المستقرة (في السموات والارض) وهم الملائكة والانس (الغيب) الذى استأثر الله بعلمه (الا لله) أى لكن الله يعلم ذلك فالاستثناء منقطع ورفع ما بعد الاعلى اللغة التمجيدية كما في قوله * الالمعافير والالعيس * وقيل لا يعلم غيب من فيها ولا يعلم الاشياء التى تحدث فيها الا الله وقيل هو استثناء متصل من من والاول اولى لان الاتصال يقتضى ان الله من جملة من فيها أخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث عائشة قالت ثلاث من تكلمن بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية وقالت فى آخره ومن زعم انه يخبر الناس بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم الاية (وما يشعرون) أى الكفار (أيان يعنون) أى متى ينشرون من القبور وأيان مر كبة من أى وان وقد تقدم تحقيقه وقرئ ايان بكسر الهمزة وهى لغة بنى سليم (بل ادرك) أصله تدارك وقرئ ادرك من الادراك وقرئ بل ادرك بفتح لام بل وتشديد الدال وأدرك على الاستفهام وقرئ بل تدارك بانبات التاء ومعنى الآية بل تكامل (علمهم فى الآخرة) لانهم رأوا كل ما وعدوا به وعايروه وقيل معناه تابع وتلاحق والقراءة الثانية معناها كل علمهم فى الآخرة مع المعانية وذلك حين لا ينفعهم العلم لانهم كانوا فى الدنيا مكذبين وقال الزجاج انه على معنى الانكار واستدل على ذلك بقوله فيما بعد بل هم منها معون أى لم يدرك علمهم علم الآخرة وقيل المعنى بل ضل وغاب علمهم فى الآخرة فليس لهم فيها علم ومعنى الثالثة كالاولى فافتعل وتفاعل قديحيثان المعنى والرابعة هى بمعنى الانكار قال الفراء وهو وجه حسن كانه وجهه الى المكذبين على طريق الاستهزاء بهم وفى الآية قرأت أخر لا ينبغي الاشتغال بذكرها وتوجيهها وعن ابن عباس قال بل ادرك علمهم فى الآخرة حين لا ينفع الندم وعنه قال لم يدرك علمهم وعنه انه قرأها بالاستفهام وعنه قال غاب علمهم

(١١ - فتح البيان سابع) قامت الى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقا واما ما أنزل الله من كتابه فأصحن وراه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح معجرات كأن على رؤسهن الغربان ورواه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة به وقال ابن جرير حدثنا يونس أخبرنا ابن وهب ان قرفة بن عبد الرحمن أخبره عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة انها قالت يرحم الله النساء المهاجرات الاول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن أكتف مروطن فاخترن به ورواه أبو داود من حديث ابن وهب به وقوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتن أى أزواجهن أو آبائهن أو أبناءهن بعولتن أو أخوانهن

أوبنى أخوانهن أوبنى أخواتهن من كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها ان تطهر عليهم من برينتها ولكن من غير تبرج وقد روى ابن المنذر حدثنا موسى بن يعنى ابن هرون حدثنا أبو بكر عن ابن أبي شيبه حدثنا عفان حدثنا جابر بن سلمة أخبرنا داود عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية ولا يبدن زينتهن الالبعولتني أو آبائهن أو آباء بعولتني حتى فرغ منها وقال لم يذكر العرم والخال لانهم ما يبعثان لابتائهم ولا تضع خمارها عند العرم والخال فاما الزوج فانه ذلك كله من أجله فتصنع له بما لا يكون بحضرة غيره وقوله أو نسائهن يعنى تطهريز يبتها أيضا (٨٢) للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لانه لا تصنفهن لرجالهن وذلك وان

كان محذور في جميع النساء الا انه في نساء أهل الذمة أشد فانهم لا يعنفون من ذلك مانع فاما المسلمة فانها تعلم ان ذلك حرام فتزجر عنه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تباسر المرأة المرأة تنعنها لزوجها كأنه ينظر إليها أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود وروى سعيد بن منصور في سننه حدثنا اسمعيل بن عياش عن هشام بن الفار عن عبادة بن نسي عن أبيه عن الحرث بن قيس ان عمر ابن الخطاب كتب الى أبي عبيدة أما بعد فانه بلغني ان نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فانه من قبلك فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان ينظر الى عورتها الا أهل ملتها وقال مجاهد في قوله أو نسائهن قال نساوهن المسلمات ليس المشركت من نسائهن وليس للمرأة المسلمة ان تكشف بين يدي مشركة وروى عبد الله في تفسيره عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس أو نسائهن قال هن المسلمات لا تبديه اليهودية ولا نصرانية وهو الخبر

(بل هم في شك منها) أي بل هم اليوم في الدنيا في شك من الآخرة ثم اضرب عن ذلك الى ما هو أشرف منه فقال (بل هم منها عيون) فلا يدركون شيئا من دلائلها لاختلال بصائرهم التي يكون بها الإدراك وعمون جمع عم وهو من كان أعشى القلب والمراد بيان جهلهم بها على وجه لا يهتدون الى شيء مما يوصل الى العلم بها فن قال ان معنى الآية الاولى انه كحل علمهم وتم مع المعانيه فلا بد من حمل قوله بل هم في شك الخ على ما كانوا عليه في الدنيا ومن قال ان معنى الآية الاولى الاستهزاء بهم والتبكيك لهم لم يتجج الى تقييد قوله بل هم في شك الخ بما كانوا عليه في الدنيا ومعنى هذه الآيات وينظر ظهورا بينا والاضرابات الثلاث تنزيل لحوالهم وتكرير لجهلهم ولما ذكر سبحانه أن المشركين في شك من البعث وأنهم عمون عن النظر في دلائله أراد أن يبين غاية شبهتهم وهي مجرد استبعاد احياء الموتى بعد صيرورتهم ترابا فقال (وقال الذين كفروا أننا كثرنا وأبوانا أمنا الخرجون) المعنى انهم استنكروا واستبهدوا أن يخرجوا من قبورهم احياء بعد ان قد صاروا ترابا ثم أكدوا ذلك الاستبعاد بما هو تكذيب للبعث فقالوا (لقد وعدنا هذا) يعنون البعث (نحن وأبوانا من قبل) أي من قبل وعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنا وقد صرت الدهور على هذا الوعد ولم يقع منه شيء فذلك دليل على أنه لا حقيقة له والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير الانكار مصدره بالقسم لزيادة التقرير (ان هذا) الوعد بالبعث (الأساطير الاولين) أي أحاديثهم وأكاذيبهم الملققة التي كتبوها ولا حقيقة قسبة لها وقد تقدم تحقيق معنى الاساطير في سورة المؤمنين ثم أوعدهم سبحانه على عدم قبول ما جاءت به الانبياء من الاخبار بالبعث فأمرهم بالنظر في أحوال الامم السابقة المكذبة للانبياء وما عوقبوا به وكيف كانت عاقبتهم فقال (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) المكذبين بما جاءت به الانبياء على نبيينا وعليهم الصلاة والسلام من الاخبار بالبعث ومعنى النظر هو مشاهدة آثارهم بالبصر فان في المشاهد زيادة اعتبار وكفاية لاولى الابصار وقيل المعنى فانظروا بقلوبكم وبصائركم كيف كان عاقبة المكذبين لرسولهم والاول اولى لامرهم بالسيرة في الارض وفيه تهديد لهم على التكذيب وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم (ولا تحزن عليهم) الحزن سببه اما فوت أمر في الماضي أو توقع مكروه في المستقبل أي لا تحزن على عدم ايمان المستهزئين فيما مضى

والقرط والوشاح وما يحل ان يراه الاحرم وروى سعيد حدثنا جابر بن يعنى عن ليث عن مجاهد قال لا تضع المسلمة خمارها ولا نساء مشركه لان الله تعالى يقول أو نسائهن فليست من نسائهن وعن مكحول وعبادة بن نسي انهما كرها ان تقبل النصرانية باليهودية والمجوسية المسلمة فاما ما رواه ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا ابو عمير حدثنا ضمرة قال قال ابن عطاء عن ابيه قال لما قدم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس كان قوايل نسائهن اليهوديات والنصرانيات فهذا ان صح محمول على حال الضرورة وان ذلك من باب الامتهان ثم انه ليس فيه كشف عورة ولا بد والله أعلم وقوله تعالى أو مما ملكتم أيما نهن قال ابن جرير

يعني من نساء المشركين فيجوز لها ان تطهر زينتها لها وان كانت مشركه لانها امة لها واليه ذهب سعيد بن المسيب وقال الاكثرون بل يجوز لها ان تطهر على رقيقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود حدثنا محمد بن عيسى حدثنا أبو جيع سالم بن دينار عن ثابت عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها قال وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها واذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أولئك وغلامك وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة خديج (٨٣) الحصى مولى معاوية ان عبد الله بن

سعدة الفزاري كان أسود شديد

الادمة وانه قد كان النبي صلى الله

عليه وسلم وهبه لانيته فاطمة

فرضته ثم اعتقته ثم قد كان بعد ذلك

كاه برز مع معاوية أيام صفين

وكان من أشد الناس على علي بن

أبي طالب رضي الله عنه وروى

الامام أحمد حدثنا سفيان بن

عيينة عن الزهري عن زهارة عن أم

سلمة ذكرت ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال اذا كان لاحد ادهن

مكاتب وكان له ما يؤدى فلتحجب

منه ورواه أبو داود عن مسدد عن

سفيان وقوله تعالى أو التابعين

غير أولى الآية من الرجال يعني

كالاجراء والتابع الذين ليسوا

باكفاهم ومع ذلك في عقولهم

وله ولا هم لهم الى النساء ولا

يشتهون قال ابن عباس هو المغفل

الذي لاشهوة له وقال مجاهد هو

الابله وقال عكرمة هو الخنث الذي

لا يقوم ذكره وكذلك قال غير واحد

من السلف وفي الصحيح من حديث

الزهري عن عروة عن عائشة ان

مجننا كان يدخل على أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو

ينعت امرأه يقول انها اذا قبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم

ما همنا لا يدخلن عليكم فأخرجه فكان بالبيداء يدخل يوم كل جمعة ليستطم وروى الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا

هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة انها قالت دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها عبد الله بن

أبي أمية والخنث يقول يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطائف غدا فاعليك يا بنه غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان قال فسمعها

ولا تنعم وتهم بمكرهم في المستقبل وهو معنى قوله (ولا تكن في ضيق مما يكرهون) الضيق الخرج يقال ضاق الشيء ضيقا بالفتح وضيقا بالكسر قرئ بهما وهما الغتان قال ابن السكيت يقال في صدر فلان ضيق وضيق وهو ما يضيّق عنه الصدور وقرئ لا تكن بثبوت النون هنا على الاصل وقد حذف من هذا المضارع في القرآن في عشر من مواضع تسعة منها مبدوءة بالتاء وثمانية بالياء واثنان بالنون وواحد بالهمزة وهو قوله ولم أكن بغيا وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة النحل (ويقولون متى هذا الوعد) بالعذاب الذي تعدنا (ان كنتم صادقين) في ذلك خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المؤمنين (قل عسى أن يكون ردف لكم) يقال ردف الرجل وأردفته اذ ركبت خلفه وردفه اذا تبعه وجاء في اثره قال ابن شجرة معنى ردف لكم تبعكم قال ومنه ردف المرأة لانه تبع لها من خلفها قال الجوهري وأردفه لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه قال الفراء ردف لكم ذنا لكم ولهذا قيل لكم وقرئ ردف بفتح الدال وهي لغة والكسر أشهر وقرأ ابن عباس أرف لكم وعسى ولعل وسوف في مواعد الملوك بمنزلة الجزم بدخولها وانما يطلقونها اظهار اللوقار واشعارا بان الرمز من أمثالهم كالتصريح عن عداهم وعلى ذلك يجري الله وعبداه قاله ابو السعود والمعنى قل يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء الكفار عسى أن يكون هذا العذاب الذي به توعدون تبعكم ولحقكم فتكون اللام زائدة للتأكيّد ويعنى اقرب لكم ودنا منكم قاله ابن عباس فتكون غير زائدة (بعض الذي تستحبون) من العذاب أى حلوله قبل هو عذابهم بالقتل يوم يدرو قيل هو عذاب القبر ثم ذكر سبحانه فضله فقال (وان ربك لذو فضل على الناس) في تأخير العقوبة والاولى أن نحمل الآية على العموم ويكون تأخير العقوبة من جملة افضاله سبحانه وانما هو (ولكن أكثرهم لا يشكرون) فضله وانما هو ولا يعرفون حق احسانه ثم بين سبحانه انه مطلع على ما في صدورهم فقال (وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أى ما تخفيه فليس التأخير خلفا طاهم عليه قرئ بضم التاء من أكن وبفتحها وضم الكاف يقال كنىته بمعنى سترته وأخفيت أثره (وما يعلمون) من أقوالهم وأفعالهم ويظهرونها وقال ابن عباس يعلم ما علموا بالليل والنهار (وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين) أى في اللوح المحفوظ والغائبة هي من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كراوية

مجننا كان يدخل على أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يعدونه من غير أولى الآية فدخّل النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينعت امرأه يقول انها اذا قبلت أقبلت بأربع واذا أدبرت أدبرت بثمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم ما همنا لا يدخلن عليكم فأخرجه فكان بالبيداء يدخل يوم كل جمعة ليستطم وروى الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة انها قالت دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها عبد الله بن أبي أمية والخنث يقول يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطائف غدا فاعليك يا بنه غيلان فانها تقبل بأربع وتدبر بثمان قال فسمعها

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لام سلمة لا يدخلن هذا عليك أخرجه في الصحيحين عن هشام بن عروة به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر بن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير أولى الأريفة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند بعض نساءه وهو ينعت امرأته فقال انها اذا أقبلت اقبلت باربع واذا أدبرت أدبرت بشان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم هذا فحجبه ورواه مسلم وأبو داود من طريق (٨٤) عبد الرزاق به عن أم سلمة وقوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات

النساء يعني لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم وتعطفهن في المشية وحر كاتهن وسكاتهن فاذا كان الطفل صغيرا لا يفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء فاما ان كان مرافقا أو قريبا منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشواهد والحسنة فلا يمكن من الدخول على النساء وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والدخول على قيل يا رسول الله أفرايت الجوف قال الجوف الموت وقوله تعالى ولا يضر بن بارجلهن الآية كانت المرأة في الجاهلية اذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوته ضربت برجلها الارض فيسمع الرجال طنسه فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك وكذلك اذا كان شيء من زينتها مستورا فحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالى ولا يضر بن بارجلهن الى آخره ومن ذلك انها تنهى عن

وعلازمة وقيل هي الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعاقبة قال الزمخشري ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في أنها أسماء غير صفات قال الحسن الغائبه هنا هي القيامة وقال مقاتل علم ما يستعجبون من العذاب هو مبين عند الله وان غاب عن الخلق وقال ابن شجرة الغائبه هنا جميع ما أخفى الله عن خلقه وغيبه عنهم مبين في أم الكتاب فكيف يخفى عليه شيء من ذلك ومن جعله ذلك ما يستعجبون من العذاب فانه موقت بوقت مؤجل بأجل علمه عند الله فكيف يستعجبونه قبل أجله المضروب له وقال ابن عباس ما من شيء في السماء والارض سرا ولا علانية الا يعلمه (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) الموجودين في زمان نبينا بالتصريح والتنصيص ولذا خص الاكثر بالذكر وقال (أكثر الذي هم فيه يختلفون) من التشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير ومسيح وذلك لان أهل الكتاب تفرقوا فارتجوا وأحزابا يطعن بعضهم على بعض ويتبرأ بعضهم من بعض فنزل القرآن مبينا لما اختلفوا فيه من الحق فلو أخذوا به لوجدوا فيه ما يرفع اختلافهم ويدفع تفرقهم (وان لهدي) من الضلالة (ورجحة) من العذاب (للمؤمنين) أي لمن آمن بالله وتاب على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وخصهم لانهم هم المستفوعون به ومن جلتهم من آمن من بني اسرائيل (ان ربك يقضى بينهم) كغيرهم يوم القيامة (بحكمه) أي يقضى بالعدل بين المختلفين من بني اسرائيل بما يحكمكم به من الحق فيجازى المحق ويعاقب المظلم فلا يمكن أحدا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياء ورسله وقيل يقضى بينهم في الدنيا فيظهر ما حرقوه قرئ بحكمه بضم الحاء وسكون الكاف وبكسرهما وفتح الكاف جمع حكمة والحكم بمعنى العدل والحق والمحكوم به (وهو العزيز) الذي لا يغالب (العليم) بما يحكمكم به والكثير العلم ثم أمره سبحانه بالتوكل وقوله المبالة فقال (فتوكل على الله) الفاء لترتيب الامر على ما تقدم ذكره لان هذه الاوصاف توجب على كل أحد ان يفوض جميع اموره اليه والمعنى ففوض اليه أمرك واعتمد عليه فانه ناصر لك ثم علم ذلك بعلتين الاولى قوله (انك على الحق المبين) أي الظاهر وقيل المظهر وهو الذي الواضح الذي لا يتعلق به شك وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بالله وينصرته وتأييده وحفظه والعلة الثانية قوله (انك لاتسمع الموتى) أي موتى القلوب وهم الكفار وفيه قطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم رأسا (ولاتسمع الصم الدعاء) لانه اذا علم ان

حالهم
 التعتير والتطيب عند دخروجهما من بيتا فيشم الرجال طيبها فقد قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ثابت بن عمارة الحنفي عن غنيم بن قيس عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل عين زانية والمرأة اذا استعطرت فرت بالجلس فهسى كذا وكذا يعني زانية قال وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حسن صحيح ورواه أبو داود والنسائي من حديث ثابت بن عمارة به وقال أبو داود حدثنا محمد بن بشر أخبرنا سفيان عن عاصم بن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لقيته امرأة شمم منها ريح الطيب

ولذيلها اعصار فقال يا أمة الجبار جئت من المسجد قالت نعم قال لها تطيبت قالت نعم قال انى سمعت حبي ابا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبل الله صلاة امرأة تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة ورواه ابن ماجه عن ابي بكر ابن ابي شيبة عن سفيان هو ابن عيينة به وروى الترمذى ايضا من حديث موسى بن عبيدة عن ابي بن خالد عن ميمونة بنت سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الراهل في الزينة غير أهلها كمثل ظلمة ليوم القيامة لا نور لها ومن ذلك ايضا انهم نهين عن المشى في وسط الطريق لما فيه من التبرج قال ابو داود وحديثنا (٨٥) القعنبى حدثنا عبد العزيز يعنى ابن محمد

عن ابي اليان عن شداد بن ابي عمر بن حنبل عن ابيه عن حنبل بن ابي أسيد الانصارى عن ابيه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء استأخرن فانه ليس لكن ان تجعدن الطريق عليكن بحافات الطريق فكانت المرأة تلصق بالجدار حتى ان ثوبها يلتصق بالجدار من لصوقها به وقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أي المؤمنون لعلمكم تفعلون أي افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجسيمة والاخلاق الجلييلة واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الاخلاق والصفات الرذيلة فان الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى عنه والله تعالى هو المستعان (وأنكحوا الايبي منكم والصالحين من عبادكم واماتكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع

عالمهم كحال الموقى في اتقاء الجدوى بالسماع أو بحال الصم الذين لا يسمعون ولا يفهمون ولا يهتدون صار ذلك سببا قويا في عدم الاعتداد بهم شبه الكفار بالموقى الذين لا حس لهم ولا عقل وبالصم الذين لا يسمعون المواعظ ولا يجيبون الدعاء الى الله وقرئ تسمع بضم الفوقية وكسر الميم من أسمع وقرئ بالتحسية مقنوعة وفتح الميم وفتح له الصم ثم ذكر سبحانه جله لتسكيل التشبيه وتأكيد فقال (اذ اولوا بمدبرين) أي أعرضوا عن الحق اعراضا تاما فان الاصم لا يسمع الدعاء اذا كان مقبلا فكيف اذا كان مدبرا معرضا عنه موليا قال قتادة الاصم اذا اولى مدبرا ثم نادى به لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى اليه من الايمان وظاهر في سماع الموقى العموم فلا يخص منه الا ما ورد بدليل كما ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وآله وسلم خاطب القتلى في قلب بدر فقبل له يا رسول الله انما تكلم أجساد الأرواح لها وكذلك ما ورد من أن الميت يسمع خفق نعال المشيعين له اذا انصرفوا ثم ضرب العمى مثلا لهم فقال (وما أنت به ادى العمى عن ضلالتهم) أي ما أنت برشد من أعماه الله عن الحق ارشادا يوصله الى المطلوب منه وهو الايمان وليس في وسعك ذلك ومثله قوله انك لا تهدي من أحببت قرأ الجمهور باضافة هادى الى العمى وقرئ بالتنوين وقرئ تهدي فعلا مضارعا وفي حرف عبد الله وما ان تهدي العمى (ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا) أي من يصدق بالقرآن في علم الله لا من يكفر (فهم مسلمون) تعليل للايمان أي فهم منقادون مخلصون بتوحيد الله ثم هدى العباد بذكر كطرف من اشراط الساعة أي هو الهو الفحال (واذا وقع القول عليهم) اختلف في معنى هذا الوقوع فقال قتادة وجب الغضب عليهم وقال مجاهد حتى القول عليهم بانهم لا يؤمنون وقيل حتى العذاب عليهم وقيل وجب السخط والمعاني متقاربة وقيل المراد بالقول ما نطق به القرآن من محي الساعة وما فيها من فنون الهوالات التي كانوا يستجملونها وقيل وقع القول بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن وذلك اذ الم بأمر واما المعروف وينهوا عن المنكر قاله ابن عمر وأخرجه ابن مردويه عنه مرفوعا وعن ابي العالية انه فسر وقع القول بما أوحى الى نوح انه ان يؤمن من قومك الا من قدامن والحاصل ان المراد بوقع وجب والقول مضمونه أو أطلق المصدر على المفعول أي المقول وجواب الشرط قوله (أخرجنا لهم دابة من الأرض) اختلف في هذه الدابة على أقوال فقيل انها فصيلة ناقة صالح يخرج عند اقتراب

عليه وليست تعفف الذين لا يجردون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يتبعون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكانت بهم ان علمت فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتانا لهم ولا تكرر واقضاتكم على البغاء ان أردن تخصصا لتبتهنوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعدا كراههن غفور رحيم ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات ومثلا لمن الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين اشملت هذه الآيات الكريمة المبينة على جل من الاحكام المحكمة والاوامر المبرمة فقوله تعالى وأنكحوا الايبي منكم الى آخره هذا أمر بالتزويج وقد ذهب طائفة من العلماء الى وجوبه على كل من قدر عليه واحتجوا بان ظاهر قوله عليه

السلام يا معشر الشباب من استطاع منكم لباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود وجاء في السنن من غير وجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تزوجوا الولود تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة وفي رواية حتى بالسقط والايامى جمع أيم ويقال ذلك للمرأة التي لازوج لها وللرجل الذي لازوجه وسواء كان قد تزوج ثم فارق أو لم يتزوج واحدمنها ما حكاها الجوهري عن أهل اللغة يقال رجل أيم وامرأة أيم وقوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (٨٦) الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رغبهم الله في التزويج

وأمر به الاحرار والعبيد ووعدهم عليه الغنى فقال ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمود بن خالد الازرق حدثنا عمر بن عبد الواحد عن سعيد يعنى ابن عبد العزيز قال بلغني ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال اطيعوا الله فيما أمركم بهم من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وعن ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح يقول الله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رواه ابن جرير وذكر البغوى عن عمر بن الخطاب عن النبي عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء والغازى في سبيل الله رواه الامام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وقد زوج النبي صلى الله وسلم ذلك الرجل

الساعة ويكون من اشراطها وقيل هي دابة من غيبة ذات شعور وقوائم يقال لها الحساسة وبه قال ابن عمرو وفي التعبير عنها باسم الجنس وتأكيدها به بالتسوين التفضيحي من الدلالة على غرابه شأنها وخروج أو صافها عن طور البيان ما لا يخفى وقيل هي دابة على خلقه بنى آدم رأسها في السحاب وقوائمها في الارض وقيل رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون غر وخصرتها خصرة هر وذيها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعيرين كل مفصل ومنفصل اثنا عشر ذراعا ولعل ذلك هو الحساسة وقيل هي الثعبان والمشرف على جدار الكعبة التي اقتلعها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة والمراد انما هي التي تخرج في آخر الزمان وقيل هي دابة مالها ذنب ولها حمية وقيل هي انسان ناطق متكلم يناظر أهل البدع ويراجع الكفار وفيه بعد وعن ابن عباس قال الدابة ذات وبر وریش مؤنثة فيها من كل لون لها أربع قوائم تخرج بعقب من الحاج وقيل غير ذلك مما لا فائدة في التطويل بدكره وقد ريج القول الاول القرطبي في تفسيره وقال هو أصح الاقوال واختلف في تعيينها وصفتها اختلافا كثيرا قد ذكرناه في كتاب التذكرة انتهى واختلف من أي موضع تخرج فقيل من جبل الصنابكة ينصدع فتخرج منه قاله ابن عمرو وقيل تخرج من جبل أبي قبيس وقيل لها ثلاث خرجات خرجة في بعض البوادي حتى يتقاتل عليها الناس وتكثر الدماء ثم تكمن في القرى ثم تخرج من أعظم المساجد وأكرمها وأشرفها وقيل تخرج من بين الركن والمقام وقال ابن عباس تخرج من بعض أودية تهامة وقيل من مسجد الكوفة من حيث فار التنور وقيل من أرض الطائف وقيل من صخرة من شعب أجياد قاله ابن عمرو وقيل من صدع في الكعبة وقيل من بحر سدوم قاله وهب بن منبه واختلف في معنى قوله (تكلمهم) فقيل تكلم الموجودين بطلان الاديان سوى دين الاسلام وقيل تكلمهم بما سوسهم وقيل تكلمهم بالعربية بقوله تعالى الآتى ان الناس كانوا اياتنا لا يوقنون قاله ابن عباس أى بخروجها لان خروجها من الآيات وقال ابن عباس أيضا تكلمهم بتحذيرهم وعنه انه سئل هو من التكليم باللسان أو من الكلام وهو الجرح فقال كل ذلك والله تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر أى تجرحه قرأ الجمهور تكلمهم من التكليم وتدل عليه قراءة أبي تميمهم وقرى بفتح

الفوقية

الذي لم يجد عليه الا زاره ولم يقدر على خاتم من حديد ومع هذا فزوجه تلك المرأة يجعل صدقها

عليه ان يعلمها معه من القرآن والمعهود من كرم الله تعالى واطفئه ان يرزقه ما فيه كفاية لها وله وامامنا بورده كثير من الناس على انه حديث تزوجوا فقراء يغنكم الله فلا أصل له ولم أره باسناد قوى ولا ضعف الى الآن وفي القرآن غنية عنه وكذا هذه الاحاديث التي أوردها والله الحمد والمنة وقوله تعالى وليس يستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنهم الله من فضله هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجا يستعفف عن الجرام كما قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم

البائة فليزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعله بالصوم فانه له وجاء الحديث وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء اخص منها وهي قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات الى قوله وان تصبروا خير لكم اي صبركم عن تزويج الاماء خير لكم لان الولد يبي رقيقا والله غفور رحيم قال عكرمة في قوله وليست عفف الذين لا يجدون نكاحا قال هو الرجل يرى المرأة فكانه يشتهي فان كانت له امرأة فليذهب اليها وليقتض حاجته منها وان لم يكن له امرأة فليستظر في ملكوت السموات والارض حتى يغنيه الله وقوله تعالى والذين يتغنون الكتاب مما (٨٧) ملكت ايمانكم فكانت بهم ان علمت فيهم

خير اهذا امر من الله تعالى للسادة اذا طلب عبيدهم منهم الكتابة ان يكتبوهم بشرط ان يكون لله عبيد حيلة وكسب يؤدي الى سيده المال الذي شارطه على اداءه وقد ذهب كثير من العلماء الى ان هذا الامر امر ارشاد واستحباب لا امر تحتم وايجاب بل السيد مخير اذا طلب منه عبده الكتابة ان شاء كاتبه وان شاء لم يكتبه قال الثوري عن جابر عن الشعبي ان شاء كاتبه وان شاء لم يكتبه وكذا روى ابن وهب عن اسمعيل بن عياش عن رجل عن عطاء بن ابي رباح ان يشأ يكتبه وان لم يشأ لم يكتبه وكذا قال مقاتل ابن حيان والحسن البصري وذهب آخرون الى انه يجب على السيد اذا طلب منه عبده ذلك ان يجيبه الى ما طلب اخذ انظار هذا الامر وقال البخاري وقال روح عن ابن جريح قلت لعطاء اوجب على اذا علمت له مال ان يكتبه قال ما اراه الا واجبا وقال عمرو بن دينار قلت لعطاء ان اثاره عن احد قال لا تخبرني ان موسى

الفوقية وسكون الكاف من الكلم وهو الجرح قال عكرمة اي تسمهم وسما وقيل تجرحهم وقيل قراءة الجمهور مأخوذة من الكلم وهو الجرح والتشديد للتكثير قاله ابو حاتم وخرج عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عمر في الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس ذلك حديثا ولا كلاما ولكنها اسمة تسم من امرها الله به فيكون خروجها من الصف البلية مني فيصيحون بين رؤسها وذنبا لا يدحض داحض ولا يجرح جارح حتى اذا فرغت مما امرها الله به فهلاك من هلك ونجاس من نجس كان اول خطوة تضعها باطنا كية وخرج احمد وابن مردويه عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال تخرج الدابة فتقسم على خراطينهم ثم يعمررون فيكم حتى يشتري الرجل الدابة فيقال له من اشتريتها فيقول من الرجل المخطم وعن حذيفة بن اسيد دفعه قال تخرج الدابة من اعظم المساجد حرمة وخرج احمد الترمذي وحسنه ابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والحاكم والبيهقي وغيرهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تخرج دابة الارض ومعها عصي موسى وخاتم سليمان فتجلبو وجه المؤمن بانخاتم وتخطم انف الكافر بالعصي حتى يجتمع مع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر وعن حذيفة بن اسيد الغفاري قال ذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدابة فقال لها ثلاث خرجات من الدهر الحديث اخرج به البيهقي والحاكم وصححه ابن المنذر وغيرهم وفي صفحتها مكان خروجها واما تصنعها ومتى تخرج احاديث كثيرة بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف واما كونها تخرج وكونها من علامات الساعة فالاحاديث الواردة في ذلك صحيحة ومنها ما هو ثابت في الصحيح كحديث حذيفة مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات وذكر منها الدابة فانه في صحيح مسلم وفي السنن الاربع وكحديث بادروا بالاعمال طلوع الشمس من مغربها والدجال والدابة فانه في صحيح مسلم ايضا من حديث ابي هريرة مرفوعا وكحديث ابن عمر مرفوعا ان اول الآيات خروج طلوع الشمس من مغربها وتخرج الدابة على الناس ضحي فانه في صحيح مسلم ايضا ثم قرأ الجمهور ان الناس كانوا اياتنا لا يوقنون بكسر ان على الاستئناف وقرئ بفتحها قال الاخفش المعنى على الفتح بان الناس وبها قرأ ابن مسعود وقال ابو عبيدة اي تخبرهم ان الناس الخ وعلى هذه فالذي تكلم الناس به هو قوله ان الناس الخ كما قدمنا الاشارة الى ذلك واما على الكسر

ابن انس اخبره ان سيرين سأل انسا المكتوبة وكان كثير المال فابى فانطلق الى عمر رضى الله عنه فقال كاتبه فأي فضربه بالدره وبتلو عمر رضى الله عنه فكانت بهم ان علمت فيهم خيرا فكانت به هكذا ذكر البخاري معلقا ورواه عبد الرزاق اخبرنا ابن جريح قال قلت لعطاء اوجب على اذا علمت له مال ان يكتبه قال ما اراه الا واجبا وقال ابن جريح حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان سيرين اراد ان يكتبه فتدك عليه فقال له عمرت كاتبه اسناد صحيح وروى سعيد بن منصور حدثنا هشيم بن جوير عن الضعالي قال هي عزمة وهذا هو القول القديم من قول الشافعي وذهب في الجديد

الى انه لا يجب لقوله عليه السلام لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب نفس وقال ابن وهب قال مالك الامر عندنا انه ليس على سيد
العبد ان يكتبه اذ اسأله ذلك ولم اسمع احدا من الائمة اكره احدا على ان يكتب عبده قال مالك وانما ذلك امر من الله تعالى
واذن منه للناس وليس بواجب وكذا قال الثوري وابو حنيفة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وغيرهم واختار ابن جرير قول الوجوب
لظاهر الآية وقوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا قال بعضهم امانة وقال بعضهم صدقا وقال بعضهم حيلة
وكسبا وروى ابو داود في المراسيل (٨٨) عن يحيى بن ابي كثير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكاتبوهم

ان علمتم فيهم خيرا قال ان علمتم فيهم
حرفة ولا ترسلوهم كلا على الناس
وقوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي
آتاكم اختلف المفسرون فيه
فقال بعضهم اطرحوا لهم من الكتابة
بعضها ثم قال بعضهم مقدار الربع
وقبل الثلث وقبل النصف وقيل
جزء من الكتابة من غير حد وقال
آخرون بل المراد من قوله وآتوهم
من مال الله الذي آتاكم هو النصيب
الذين فرض الله لهم من أموال
الزكاة وهذا قول الحسن وعبد
الرحمن بن زيد بن اسلم وابيه ومقاتل
ابن حيان واختاره ابن جرير وقال
ابراهيم النخعي في قوله وآتوهم من
مال الله الذي آتاكم قال حث
الناس عليه مولا وغيره وكذا قال
بريدة بن الحصيب الاسلمى وقادة
وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين
ان يعينوا في الرقاب وقد تقدم في
الحديث عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ثلاثة حق على الله
عونهم فذكر منهم المكاتب يريد
الاداء والقول الاول أشهر وقال

فالجمله مسماة كما قدمنا ولا يكون من كلام الدابة وقد صرح بذلك جماعة من
المفسرين وجرم به الكسافي والقراء وقال الاخفش ان كسر ان هو على تقدير القول
أى تقول لهم ان الناس فيرجع معنى القراءة الاولى على هذا الى معنى الثانية والمراد
بالناس فى الآية هم الناس على العموم فيدخل فى ذلك كل مكلف وقيل المراد الكفار
خاصة وقيل كفار مكة والاول أولى كما صنع جمهور المفسرين والمعنى لا يؤمنون بالقرآن
المشتمل على البعث والحساب والعقاب ويجزؤها يتقطع الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ولا يبقى نائب ولا نائب ولا يؤمن كافر كما وحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك
الا من قدام من ثم ذكر سبحانه طرفا مجحلا من أهوال يوم القيامة بعد بيان مبادئها فقال
(ويوم نحشرون كل امة فوجا) العامل فى الظرف فعل محذوف خو طب به النبي صلى الله
عليه وآله وسلم والحشر الجمع قيل والمراد بهذا الحشر هو حشر العذاب الخاص بعد الحشر
الكلى الشامل لجميع الخلق ومن لا بداء الغاية والفوج الجماعة كالزهرة والقوم
وقيدهم الراغب فقال الفوج الجماعة المارة المسرعة وكان هذا هو الاصل ثم أطلق وان
لم يكن مرور ولا اسراع والجمع أفواج وفوج (من يكذب باياتنا) من بيانية (فهم
بورعون) أى يحبس أولاهم على آخرهم لاجل تلاحقهم وقيل معناه يدفعون وقد تقدم
تحقيقه فى هذه السورة مستوفى ومعنى الآية واذ كرىا محمديوم فجمع من كل امة من
الامة جماعة مكذبين باياتنا فهم عند ذلك الحشر يردوا ولهم على آخرهم أو يدفعون أى
اذ كر لهم هذا وبينه تحذير لهم وترهيبا (حتى اذا جاؤا) الى موقف الحساب (قال) الله
لهم تو بيضا وتقرىعا (أ كذبت باياتى) التى أنزلتها على رسلى وأمرتهم بالاغها اليكم (و)
الحال انكم (لم تحيطوا بها علما) بل كذبتهم باياتى بدء جاهلين لها غير ناظرين فيها ولا
مستدلين على صحتها أو بطلانها تمراد وعناد وحرارة على الله وعلى رسوله وفى هذا مزيد
تقريع وتوبيخ لان من كذب بشئ ولم يحط به علما فقد كذب فى تكذيبه ونادى على نفسه
بالجهل وعدم الانصاف وسوء النهم وقصور الادراك ومن هذا القبيل من تصدى
لذم علم من علوم الشريعة أولذم علمه مقدمة من مقدماتها ووسيلة يتوسل بها اليها وتفيد
زيادة بصيرة فى معرفتها وتعقل معانيها كعلوم اللغة العربية بأسرها وهى اثنا عشر علما
وعلم أصول الفقه فانه يتوصل به الى استنباط الاحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية

ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا وكيع عن ابن شبيب عن عكرمة عن ابن عباس عن عمرانه
كاتب عبده يكنى بأب أمية فبناه بنجمه حين حل فقال يا أب أمية اذهب فاستعن به فى مكاتبك فقال يا امير المؤمنين لو تركته
حتى يكون من آخر نجمهم قال اخاف ان لا ادرك ذلك ثم قرأ فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال عكرمة
فكان اول نجم ادى فى الاسلام وروى ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن سالم الافطس عن سعيد
ابن جبيرة قال كان ابن عمرا اذا كاتب مكاتبه بالوضع عنه شيا من اول نجومه مخافة ان يعجز فترجع اليه صدقة ولكنه اذا كان فى

آخر مكاتبتيه وضع عنه ما أحب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية وآتوهم من مال الله الذي آتاكم قال وضعوا عنهم يعني من مكاتبتهم وكذا قال مجاهد وعطاء والقاسم بن أبي هريرة وعبد الكريم بن مالك الجزري والسدي وقال محمد بن سيرين في الآية كان يعجبهم ان يدع الرجل لمكاتبة طائفة من مكاتبتهم وقال ابن أبي حاتم أخبرنا الفضل بن شاذان المقرئ أخبرنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف عن ابن جريج أخبرني عطاء بن السائب ان عبد الله بن جندب أخبره عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ربيع الكتابة وهذا حديث غريب ورفعه منكر والاشبه انه موقوف (١٨٩) على علي رضي الله عنه كما رواه أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله وقوله تعالى ولا

مع استعماله على بيان قواعد اللغة الكلمية وهكذا كل علم من العلوم التي لها من ينفع في فهم كتاب الله وسنة رسوله فانه قد نادى على نفسه بأنه جاهل مجادل بالبطل طاعن على العلوم الشرعية مستحق لان تنزل به قارة من قوارع العقوبة التي تزجره عن جهله وضلاله وطعنه على ما لا يعرفه ولا يعلم به ولا يحيط بكنهه حتى يصير عبرة لغيره وموعظة يتعظ بها أمثاله من ضغناء العقول وركاكة الاديان ورعاع المتدبسين بالعلم زورا وكذبا (أم ماذا) أم هي المنقطعة بمعنى بل والمعنى أي شيء (كنتم تعملون) حتى شغلكم ذلك عن النظر فيها والتفكير في معانيها وهذا الاستتهام على طريق التبكيت لهم (ووقع القول) أي وجب العذاب (عليهم) وقد تقدم تفسيره قريبا (عظالموا) أي بسبب الظلم الذي أعظم انواعه الشرك بالله (فهم لا ينطقون) عند وقوع القول عليهم أي ليس لهم عذر ينطقون به ولا يقدر على القول لما يرونه من الهول العظيم وقال أكثر المفسرين ينحتم على أفواههم فلا ينطقون ثم بعد ان خوفهم بأحوال القيامة ذكر سبحانه ما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد وابلاء للمعذرة فقال (ألم يروا أننا جعلنا الليل ليكنوا فيه) أي ألم يعلموا أننا جعلنا الليل للسكون والاستقرار والنوم فيه وذلك بسبب ما فيه من الظلمة فانهم لا يبصرون فيه للمعاش (و) خلقنا النهار ببصرا ليبصروا فيه ما يبصرون له من المعاش الذي لا يتلهم منه ووصف النهار بالبصار وهو ووصف الناس بمبالغة في اضاءته كانه يبصر ما فيه في الكلام اسناد عقلي من الاسناد الى الزمان قيل في الكلام حذف والتقدير وجعلنا الليل مظلمة ليسكنوا وحذف مظلمة للدلالة بمبصر اعلمه وقد تقدم بحقيقته في الاسراء وفي يونس (ان في ذلك) المذكور (آيات) أي لعلمات ودلالات (لقوم يؤمنون) بالله سبحانه وفي الآية دليل على صحة البعث بعد الموت لان القادر على قلب الضياء ظلمة والظلمة ضياء قادر على الاعادة بعد الموت كيف ومن تأمل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه مبنية على حكم تحارفي فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله وشاهد في الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكاة للموت بضياء النهار المضاهي للحياة وعان في نفسه تبدل النوم الذي هو أحوال الموت بالتيقظ الذي هو مثل الحياة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وحرم بان الله قد جعل هذا أنموذجا ودا لا يستبدل به على ان

تكرهوا فقتياتكم على البغاء الآية كان أهل الجاهلية اذا كان لاحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت فلما جاء الاسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك وكان سبب نزول هذه الآية فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول فانه كان له امة فكان يكرههن على البغاء طلبا لخرجهن ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم * ذكر الآثار الواردة في ذلك * قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار رحمه الله في مسنده حدثنا أحمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمرو النخعي يعني محمد بن الخجاج حدثنا محمد بن اسحق عن الزهري قال كانت جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت ولا تكثرها فقتياتكم على البغاء الآية وقال الاعمش عن أبي سفيان عن جابر في هذه الآية قال نزلت في امة لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها سمكة كان يكرهها على الفجور وكانت

(١٢ - فتح البيان سابع) لا بأس بها فتأني فانزل الله هذه الآية ولا تكثرها فقتياتكم على البغاء الآية وقوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم وروى النسائي من حديث بن جريج عن أبي الزبير عن جابر نحوه وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن علي حدثنا علي بن سعيد حدثنا الاعمش حدثني أبو سفيان عن جابر قال كان لعبد الله بن أبي ابن سلول جارية يقال لها سمكة وكان يكرهها على البغاء فانزل الله ولا تكثرها فقتياتكم على البغاء الآية وقوله ومن يكرههن فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم صرح الاعمش بالسماع عن أبي سفيان طلحة بن نافع قد دل على بطلان قول من قال لم يسمع منه انما هو صحيفة حكاية البزار وروى ابو داود الطالسي عن سليمان بن معاذ عن سماعة عن عكرمة عن ابن عباس ان جارية لعبد الله بن أبي كانت تزني في الجاهلية فولدت

أولاد من الزنا فقال لها مالك لا ترين قالت والله لا اذنى فضر بها فانزل الله عز وجل ولا تكرر هو اقسيا تكلم على البغاء الا بقدر روى البراء
 أيضا حدثنا احمد بن داود الواسطي حدثنا أبو عمرو الخمي يعني محمد بن الحجاج حدثنا محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس رضي الله
 عنه قال كانت جارية لعبد الله بن أبي يقال لها معاذة يكرهها على الزنا فلما جاء الاسلام نزلت ولا تكرر هو اقسيا تكلم على البغاء ان اردن
 تحصن الي ومن يكرههن فان الله من بعدا كراههن غفور رحيم وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري ان رجلا من قريش أسر
 يوم بدر وكان عبد الله بن أبي اسيرا وكانت لعبد الله (٩٠) بن أبي جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الاسير يريدها على نفسها وكانت

مسلمة وكانت تمنع منه لاسلامها
 وكان عبد الله بن أبي يكرهها على
 ذلك ويضربها رجا ان تحمل للقرشي
 فيطلب فداؤه ولده فقال تبارك
 وتعالى ولا تكرر هو اقسيا تكلم على
 البغاء ان اردن تحصننا وقال
 السدي أنزلت هذه الآية الكريمة
 في عبد الله بن أبي ابن سلول رأس
 المنافقين وكانت له جارية تدعى
 معاذة وكان اذا نزل به ضيف
 أرسلها اليه ليوافقها ارادة
 الثواب منه والكرامة له فأقبلت
 الجارية الى أبي بكر رضي الله عنه
 فشكت اليه ذلك فذكره أبو بكر
 للنبي صلى الله عليه وسلم فأمره
 بقبضها فصاح عبد الله بن أبي من
 يعذرننا من محمد يغلبنا على مملوكنا
 فانزل الله فيهم هذا وقال مقاتل بن
 حيان بلغني والله أعلم ان هذه الآية
 نزلت في رجلين كانا يكرهان أمتين
 لهما أحدهما اسمها مسيكة وكانت
 للانصار (١) وكانت أمية أم مسيكة
 لعبد الله بن أبي وكانت معاذة
 وأروى تلك المترلة فأتت مسيكة
 وأمها النبي صلى الله عليه وسلم
 فذكرتا ذلك له فانزل الله في ذلك
 ولا تكرر هو اقسيا تكلم على البغاء

سائر الآيات حتى نازل من عند الله قاله أبو السعد ثم ذكر سبحانه علامة أخرى للقيامة
 فقال (ويوم يتفخخ في الصور) وهو معطوف على ويوم تشر منسوب بناصبه المتقدم قال
 القراء ان المعنى وذلك يوم يتفخخ في الصور والاولى والصور قرين يتفخخ فيه اسرافيل
 وقد تقدم في الانعام استيفاء الكلام عليه والتفخخات في الصور ثلاث الاولى نفخة الفرع
 والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث وقيل انها نفختان وان نفخة الفرع اما ان
 تكون رابعة الى نفخة الصعق أو الى نفخة البعث واختاره هذا القشيري والقرطبي
 وغيرهما وقال الماوردي هذه النفخة المذكورة هنا هي يوم النشور من القبور (ففرع)
 كل (من) كان (في السموات ومن) كان (في الارض) حين ذلك الوقت لم يسبق له موت
 أو كان ميتا لكنه حي في قبره كالانبياء والشهداء أي خافوا الخوف المنضى بهم الى الموت كما في
 آية أخرى فصعق من في السموات الخ وان يجيئ الشدة كما سمعوا وقيل المراد بالفرع هنا
 الاسراع والاجابة الى النداء من قولهم فزعت اليك كذا اذا أسرع الى اجابته والاول
 أولى بمعنى الآية وانما عبر بالماضي مع كونه معطوفا على المضارع للدلالة على تحقيق
 الوقوع حسبا ذكره علماء البيان وقال القراء هو محمول على المعنى لان المعنى اذا نفخ
 (الامن شاء الله) أن لا يفرغ عند تلك النفخة فهو لا يفرغ واختلاف في تعيين من وقع
 الاستثناء فقبل هم الشهداء والانبيا وقيل الملائكة وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل
 وملوك الموت وقيل الحور العين وخزنة النار ووجه العرش وقيل هم المؤمنون كافة بدليل
 قوله فيما بعد من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فرغ يومئذ آمنون ويمكن ان يكون
 الاستثناء شاملا للجميع المذكورين فلا مانع من ذلك قال البيضاوي ولعل المراد ما يم
 ذلك لعدم قرينة الخصوص انتهى فهو لا يفرغهم الفرض على الغشى والاعشاء
 بل هو أقل من ذلك (وكل آتوه) قرئ فعلا ماضيا وكذا قرأ ابن مسعود وقرأ قتادة
 كل آتاه وقرئ آتوه على اسم الفاعل مضافا الى الضمير الراجع الى الله سبحانه قال الزجاج
 من قرأ على الفعل الماضي فقد وحده على لفظ كل ومن قرأ على اسم الفاعل فقد جمع على
 معناه وهو غلط ظاهر فان كاتا القراءتين لا توحيد فيهما ما بل التوحيد في قراءة قتادة فقط
 (داخرين) أي صاغرين ذليلين قاله ابن عباس وقرئ ذخرين بغير الالف والمعنى صغار
 ذل وهيبة من الجبار فيشمل هذا الطائعين والعاصين وقال الكرخي المراد به ذل العبودية

يعنى الزنا وقوله تعالى ان اردن تحصننا هذا يخرج الغالب فلامفهوم له وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحياة الدنيا والرق
 أي من خراجهم ومهورهن وأولادهن وقد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام ومهر البغي وحلوان لكاهن
 وفي رواية مهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث وثمن الكلب خبيث وقوله تعالى ومن يكرههن فان الله من بعدا كراههن
 غفور رحيم أي لهن كما تقدم في الحديث عن جابر وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس فان علمت فان الله لهن غفور رحيم وانهم على
 من أكرههن وكذا قال مجاهد وعطاء الخراساني والاعمش وقتادة وقال أبو عبيد حدثني اسحق الأزرق عن عوف عن الحسن في هذه
 (١) قوله وكانت أمية الخ كذا بالنسخ التي بأيدينا وحرر اه

الآية فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم قال لهن والله لهن والله وعن الزهري قال غفر لهن ما اكرهن عليه وعن زيد بن اسلم قال غفور رحيم للمكروهات حكاهن ابن المنذر في تفسيره باسائده وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبيرة قال في قراءة عبد الله من مسعود فان الله من بعد اكرههن غفور رحيم لهن واثنهن على من اكرههن وفي الحديث المرفوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وما لم يفتصل تبارك وتعالى هذه الاحكام وبينها قال تعالى ولقد أنزلنا اليكم (٩١) آيات مبينات يعنى القرآن فيه آيات

واضحت مفسرات ومثلامن الذين خلوا من قبلكم أى خبرا عن الامم الماضية وما حل بهم في مخالفتهم أو امر الله تعالى كما قال تعالى فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين أى زاجر عن ارتكاب المآثم والمحارم للمؤمنين أى لمن اتقى الله وخافه قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه في صفة القرآن فيه حكم ما بينكم وخبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وهو الفصل ليس بالهزل ومن اشقى الهدى جبار قصمه الله ومن اشقى الهدى من غيره أضله الله (الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يمدى الله لنور من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم) قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس الله نور السموات والارض يقول هادى أهل السموات والارض قال ابن جرير قال مجاهد وابن عباس في قوله الله نور السموات والارض

والرق لا ذل الذنوب والمعاصي وذلك يع الخلق كاهم كما في قوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا ترى الرحمن عبدا وفي القاموس دخر الشخص كسنع وفرح دخرا ودخورا صغرو ذل واخرة بالانف للتعدي وقد مضى تفسير هذا في سورة النحل (وترى الجبال يحسبها) بفتح السين وكسر ها (جامدة) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكل من يصلح للرؤية والرؤية بصرية وهذه هي العلامة الثالثة لقيام الساعة والمعنى نظنها واقفة قائمة ساكنة مكانها قاله ابن عباس (وهي عمر السحاب) أى وهي تسير سيرا حديثنا كسير السحاب التي تسيرها الرياح وذلك ان كل شىء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرة وعظمه وبعد ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو ساكن كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى لعظمتها كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه وقال القتيبي وذلك ان الجبال تتجمع وتسير وهي في رؤية العين كالقائمة وهي تسير قال النسفي وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت أى في سمعت واحدا لا تكاد تبين حركتها ونحوه قال البيضاوي قال القشيري وهذا يوم القيامة ومثله قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا وقال أبو السعود هذا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبذل الله الارض غير الارض ويغير هيئتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهد أهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسيرها انما يكون بعد النفخة الثانية كما ذكره قوله فقل ينسفنا الح وقوله يوم تبدل الارض وقد قيل ان المراد بالنفخة هي النفخة الاولى والفرع هو الذي يستتبع الموت فيختص أثرها بمن كان حيا عند وقوع عهادون من مات قبل ذلك من الامم والمراد بالتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي ان تترد ساحة التنزيل عن أمثاله وأبعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفرع التي تكون قبل نفخة الصعق فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه وما هو نص في الباب ما سياتى من قوله تعالى وهم من فرغ يومئذ آمنون (صنع الله الذي أتقن كل شىء) أى صنع الله ذلك صنعا وهو مصدر مؤكد لقوله يوم ينفخ في الصور وقيل انظر واصنع الله الذي احكم يقال رجل تقن بكسر التاء أى حاذق بالاشياء والالتقان الاتيان بالشيء على أكمل حالته وهو ما أخذ من قولهم تقن أرضه اذا ساق اليها الماء الخائر بالطين لتصلح للزراعة وأرض

يدبر الامر فيهما شجوهما وشمسهما وقهرهما وقال ابن جرير حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي حدثنا وهب بن راشد عن فرقة عن أنس بن مالك قال ان الله يقول نورى هدى واختار هذا القول ابن جرير وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره قال هو المؤمن الذي جعل الله الايمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال الله نور السموات والارض فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال مثل نور من آمن به قال فكان ابي بن كعب يقرأها مثل نور من آمن به فهو المؤمن جعل الايمان والقرآن في صدره وهكذا رواه سعيد بن جبيرة وقيس بن سعد عن ابن عباس انه قرأها

كذلك نور من آمن بالله وقرأ بعضهم الله نور السموات والارض وعن الخصالك الله نور السموات والارض وقال السدي في قوله الله نور السموات والارض فنوره أضاعت السموات والارض وفي الحديث الذي رواه محمد بن اسحق في السيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في دعائه يوم آذاه أهل البطائف أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك لك العتيبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بالله وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يقول اللهم (٩٢) لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات

والارض ومن فيهن الحديث وعن ابن مسعود قال ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه وقوله تعالى مثل نوره في هذا الضمير قولان أحدهما انه عائد الى الله عز وجل أي مثل هداه في قلب المؤمن قاله ابن عباس كشكاة والثاني ان الضمير عائد الى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام تقديره مثل نور المؤمن الذي في قلبه كشكاة فشبّه قلب المؤمن وما هو مقطوع رعايته من الهدى وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مخطور عليه كما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فشبّه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري وما يستدبه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف فقوله كشكاة قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد هو موضع القنيلة من القنديل هذا هو المشهور ولهذا قال بعده فيها صباح وهو الزبالة التي تضيء وقال العوفي عن ابن عباس قوله الله نور السموات

تقنه والتقن فعل ذلكها والتقن أيضا ما رمى به في الغدير من ذلك والارض ذكره السمين قال ابن عباس اتقن أي أحسن كل شيء صنعه وخلقه وأوقفه (انه خبير بما تفعلون) تعيدل لما قبله من كونه سبحانه صنع ما صنع واتقن كل شيء والخبير المطلع على الظواهر والضمائر قرئ بالفوقية على الخطاب وبالخصية على الخبر قال المحلى أي ما يفعلون أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة (من جاء بالحسنة) أي من جاء بحسن الحسنة يوم القيامة (فله) من الجزاء والثواب عند الله (خير) أي أفضل (منها) وأكثر وقيل خير حاصل من جهتها والاول وأولى وقيل الحسنة هي الاخلاص وقيل أداء الفرائض والتعميم أولى ولا وجه للخصيص وان قال به بعض السلف وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جاء بالحسنة فله خير منها قال هي لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار قال هي الشرك واذا صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالمصير اليه في التفسير متعين ويحمل على ان المراد قال لا اله الا الله بحقتها وما يجب لها فيدخل تحت ذلك كل طاعة وبشبهه لما أخرجه الحاكم في الكنى عن صفوان بن عسال قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة جاء الايمان والشرك يجنوا بين يدي الله سبحانه فيقول الله للايمان انطلق أنت وأهلك الى الجنة ويقول للشرك انطلق أنت وأهلك الى النار ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جاء بالحسنة فله خير منها يعني قول لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جاء بالحسنة يعني شهادة أن لا اله الا الله فله خير منها يعني باخيرا الجنة ومن جاء بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار وقال هذه نبي وهذه تردى وعن ابن مسعود وابن عباس مثله وعنه قال خير منها أي من جهتها وقال أيضا خير رأى ثواب قيل وهذه الجملة بيان لقوله انه بما تعملون خير وقيل بيان لقوله وكل أولوه داخرين (وهم من فزع يومئذ آمنون) قرئ من فزع بالتنوين وفتح ميم يومئذ وقرئ بفثها من غير تنوين وقرئ بأضافة فزع الى يومئذ قال أبو عبيدة وهذا أعجب الى لانه اعم التأويلين لان معناه الامن من فزع جميع ذلك اليوم ومع التنوين يكون الامن من فزع دون فزع وقيل

والارض مثل نوره كشكاة فيها صباح وذلك ان اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم كيف يخلص نور الله من دون السماء فضرب الله مثل ذلك لنوره فقال تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كشكاة والمشكاة كوة البيت قال وهو مثل ضربه الله لطاعته فسمى الله طاعته نورا ثم سناها نواعاشي وقال ابن أبي سنجع عن مجاهد هي الكوة بلغة الحبشة وزاد بعضهم فقال المشكاة الكوة التي لا منفلذها وعن مجاهد المشكاة الحمد الذي يعلق بها القنديل والمقول الاول أولى وهو ان المشكاة هو موضع القنيلة من القنديل ولهذا قال فيها صباح وهو النور الذي في الزبالة قال ابن كعب المصباح النور وهو

القرآن والايان الذي في صدره وقال السدي هو السراج المصباح في زجاجة أي هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية وقال أبي
 ابن كعب وغير واحد وهي نظير قلب المؤمن الزجاجية كأنها كوكب دري قرأ بعضهم بضم الدال من غير همزة من الدر أي كأنها
 كوكب من در وقرأ آخرون دري ودري بكسر الدال وضمها مع الهمزة من الدر وهو الدفع وذلك ان النجم اذا رمى به يكون أشد
 استنارة من سائر الاحوال والعرب تسمى ما لا يعرف من الكواكب دراري قال أبي بن كعب كوكب مضى وقال قتادة مضى
 مبين ضخم يوقد من شجرة مباركة أي يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة (٩٣) زيتونه بدل أو عطف بيان لاشرقية

ولاغربية أي ليست في شرق بقعتها
 فلا تزل اليها الشمس من أول النهار
 ولا في غربها فبقيت لص عنها التي قبل
 الغروب بل هي في مكان وسط
 يقصرها الشمس من أول النهار إلى
 آخره فيبقى زيتها صافيا معتدلا
 مشرقا وروى ابن أبي حاتم حدثنا
 محمد بن عمار قال حدثنا عبد الرحمن
 ابن عبد الله بن سعد أخبرنا عمر بن
 أي تيس عن سمك بن حرب عن
 عكرمة عن ابن عباس في قوله زيتونة
 لاشرقية ولاغربية قال هي شجرة
 بالصحراء لا يظلمها شجر ولا جبل
 ولا كهف ولا ينوارها شيء وهو
 أجود لزيته اذ قال يحيى بن سعيد
 القطان عن عمار بن جبر عن
 عكرمة في قوله تعالى لاشرقية
 ولاغربية قال هي بصحراء وذلك
 أصح في لزيته وقال ابن أبي حاتم
 حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا
 عمرو بن فروخ عن حبيب بن الزبير
 عن عكرمة وسأله رجل عن قوله
 تعالى زيتونة لاشرقية ولاغربية
 قال تلك زيتونة بأرض فلاة اذا
 أشرقت الشمس أشرقت عليها فاذا
 غربت غربت عليها فذلك أصح في

انه مصدر يتناول الكثير فلا يتم الترجيح عاذر فيكون القراءتان بمعنى واحد وقيل المراد
 بالانزع ههنا هو الفرع الاكبر المذكور في قوله لا يجزئهم الفرع الاكبر وقد تقدم في سورة
 هود كلام في هذا مستوفى (ومن جاء بالسبيته) قال جماعة من الصحابة ومن بعدهم حتى قيل
 انه جمع عليه بين أهل التأويل ان المراد بالسبيته هنا الشرك ووجه التخصيص قوله (فكبت
 وجوههم في النار) فهذا الجزاء لا يكون الا لمثل سيئة الشرك والمعنى انهم كبوأفيا على
 وجوههم وألقوا فيها وطرحواعليها يقال كبيت الرجل اذا ألقيته لوجهه فانكبت وأكب
 وذكرت الوجوه لانها موضع الشرف من الحواس فغيرها أولى (هل تجزون الا ما كنتم
 تعلمون) بتقدير القول أي يقال لهم ذلك وقت كههم أو مقولا لهم ذلك وهذا أوضح والقائل
 لهم خزنة جهنم أي ما تجزون الاجزاء عليكم في الدين ان الشرك والمعاصي (انما أمرت أن
 أعبد رب هذه البلدة) لما فرغ سبحانه من بيان أحوال المبدأ والمعاد أمر رسوله صلى الله
 عليه وآله وسلم ان يقول لهم هذه المقالة تنبيههم على انه قد تم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه
 ولم يبق له بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله والاستغراق في مراقبته غير مجالهم
 ضلوا أو رشدوا أصلحوا أو أفسدوا ويحملهم ذلك على أن يهتموا بأمر أنفسهم ويشتغلوا
 بالتمسك بربهم فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعنى قل يا محمد انما أمرت أن أخص الله
 بالعبادة ووحده لاشريك له والمراد بالبلدة مكة قاله ابن عباس وانما خصها من بين سائر
 البلاد اسكون بيت الله الحرام فيها ولكونها أحب البلاد الى رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم (الذي) الموصول صفة للرب وهكذا قرأ الجمهور وقرأ ابن عباس وابن مسعود التي على
 ان الموصول صفة للبلدة والسياق انما هو للرب لا للبلدة فذلك كانت قراءة العامة واضحة
 ومعنى (حرمها) جعلها حراما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يعرض شوكها ولا
 يصاد صيدها ولا يتخلى خلالها وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشير الى عظيم شأنها
 فلا يشاق في قوله (وله) أي للرب (كل شيء) من الاشياء خلقا وملكا وتصرفا (وأمرت أن
 أكون من المسلمين) أي المنقادين لأمر الله المسلمين له بالطاعة وامتنال أمره واجتناب
 نهيه والمراد بقوله أن أكون ثابت على ما أنا عليه (وأن أتالوا القرآن) أي أداوم تلاوته
 وأواظب على ذلك لتسكف على حقائقه الرائقة الخزونة في تضاعفه شيئا فشيئا قيل ليس
 المراد من تلاوة القرآن هنا الاتلاوة الدعوة الى الايمان والاول وأولى قرأ الجمهور ان

ما يكون من الزيت وقال مجاهد في قوله تعالى لاشرقية ولاغربية قال ليست بشرقية لاتصيها الشمس اذا طلعت ولاغربية
 لاتصيها الشمس اذا غربت بل تصيها اذا طلعت واذا غربت وعن سعيد بن جبيرة في قوله زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها
 يضي قال هو أجود الزيت قال اذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق فاذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس
 فالشمس تصيبها بالفساد والعنى فذلك لاتعد شرقية ولاغربية وقال السدي في قوله زيتونة لاشرقية ولاغربية يقول ليست
 بشرقية يجوزها المشرق ولاغربية يجوزها المغرب دون المشرق قولك كمن على رأس جبل أو في صحراء تصيبها الشمس النهار كله

وقيل المراد بقوله تعالى لاشرقية ولاغربية انها في وسط الشجر ليست بادية للمشرق ولا للمغرب قال أبو جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالسة عن أبي بن كعب في قول الله تعالى زيتونة لاشرقية ولاغربية قال هي خضراء ناعمة لاتصيبها الشمس على أي حال كانت لا اذا طلعت ولا اذا غربت قال فكذلك هذا المؤمن قدأ جبر من أن يصيبه شيء من الدنيا وقد يتلى بها فينبته الله فيها فهو بين أربع خلال ان قال صدق وان حكم عدل وان ابتلى صبر وان أعطى شكر فهو في سائر الناس كالرجل الحلي يمشي في قبور الاموات قال ابن أبي حاتم (٩٤) حدثنا علي بن الحسين حدثنا سعد قال حدثنا أبو عوانة عن أبي

بشر عن سعيد بن جبيرة في قوله زيتونة لاشرقية ولاغربية قال هي وسط الشجر لاتصيبها الشمس شرقا ولاغربا قال عطية العوفي لاشرقية ولاغربية قال هي شجرة في موضع من الشجر يرى ظل غيرها في ورقها وهذه من الشجر لاتطلع عليها الشمس ولا تغرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن الدشتكي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن عطاء عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى لاشرقية ولاغربية ليست شرقية ليس فيها شرق ولاغربية ليس فيها غرب ولكنها شرقية غربية وقال محمد بن كعب القرظي لاشرقية ولاغربية قال هي القلبية وقال زيد بن أسلم لاشرقية ولاغربية قال الشام وقال الحسن البصري لو كانت هذه شجرة في الارض لكانت شرقية أوغربية ولكنه مثل ضربه الله تعالى لنوره وقال الضحاك عن ابن عباس توقد من شجرة مباركة قال رجل صالح زيتونة لاشرقية ولاغربية قال

أنها نبات الواو من التسلاوة وهي القراءة أو من التلو وهو الاتباع كقوله واتبع ما أوحى اليك من ربك وقرئ ان أنزل بحذف الواو أمر الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا وجهه القراء قال النحاس ولا تعرف هذه القراءة وهي مخالفة لجميع المصاحف ولقد قام صلى الله عليه وآله وسلم بكل ما أمر به أتم قيام على ما أمر به (فن اهتدى) أي على العموم أو فن اهتدى بما أتوا عليه فعمل بما فيه من الايمان بالله والعمل بشرائعه (فانما اهتدى لنفسه) لان نفع ذلك راجع اليه لا الى (ومن ضل) بالكفر وأعرض عن الهداية (فقل) له (انما أنا من المندرين) وقد فعلت الانذار بايلاغ ذلك اليكم وليس على غير ذلك وقيل الجواب محذوف أي فوبال ضلاله عليه وأقيم انما أنا من المندرين مقامه لكونه كالعلة له والاول أظهر قيل نسختها آية القتال (وقل الحمد لله) على نعمه التي أنعم بها على من النبوة والعلم وغير ذلك وفقني لتعلم أعبائها وتبليغ أحكامها الى كافة الورى وقوله (سير يكم آياته) هو من جملة ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يقوله أي سير يكم الله آياته الباهرة التي نطق بها القرآن في أنفسكم وفي غيركم قيل هو يوم يدرو هو ما أراهم من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته في السموات والارض وقيل آياته في الآخرة فيستيقنونها وقيل هو انشقاق القمر والدخان وما حل بهم من نعمات الله في الدنيا (فتعرفونها) أي تعرفون آياته ودلائل قدرته و وحدانيته وهذه المعرفة لاتنفع الكفار لانهم عرفوها حين لا يقبل منهم الايمان وذلك عند حضور الموت ثم ختم السورة بقوله (ومبارك بغافل عما تعملون) قرئ بالفوقية على الخطاب وبالتحسية وهو كلام من جهته سبحانه غير داخل تحت الكلام الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يقوله وفيه ترهيب شديد وتهديد عظيم

• (سورة القصص وتسمى أيضا سورة موسى وأسماء السور توقيفية وكذا ترتيبها وترتيب الآيات الكريمات) •

وهي نمان ونمانون آية وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء قال المحلى هي مكية الا ان الذي فرض عليك القرآن لادك الى معاد نزلت بالخفضة والالذين آمنوا هم الكتاب الى لا يتقى الجاهلین انتهى عن ابن عباس نزلت الاولى بالخفضة فليست مكية

لايهودي ولا نصراني وأولى هذه الأقوال القول الاول وانها في مستوى من الارض في مكان فسبح بادها هضاح الشمس ولا تفرعه من أول النهار الى آخره ليكون ذلك أصنى لزيتها وأطف كما قال غير واحد من تقدم ولهذا قال تعالى يكاد زيتون يضيء ولولم تمسسه نار قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لضوء اشراق الزيت وقوله تعالى نور على نور قال العوفي عن ابن عباس يعني بذلك ايمان العبد وعمله وقال مجاهد والسدى يعني نور النار ونور الزيت وقال أبي بن كعب نور على نور فهو يتقلب في خمسة من النور فكلامه نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصره الى نور يوم القيامة الى الجنة وقال شهر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال

حدثني عن قول الله تعالى يكاد ينهاضي ولولم تمسه نار قال يكاد محمد صلى الله عليه وسلم بين للناس ولولم يكلم الله نبي كما يكاد ذلك الزيت انه يضي وقال السدي في قوله تعالى نور على نور قال نور النار ونور الزيت حين اجتمعوا أضواء أولياضي واحد بغير صاحبه كذلك نور القرآن ونور الايمان حين اجتمعا فلا يكن أحدهما الا بصاحبه وقوله تعالى يهدي الله لنوره من يشاء أي يرشد الله الى هدايته من يختاره كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد القزاري حدثنا الاوزاعي حدثني ربيعة بن زيد عن عبد الله الديلمي عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله (٩٥) صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق خلقه

في ظلمة ثم التي عليهم من نوره يومئذ فمن أصاب من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل طريق أخرى عنه قال البزار حدثنا أبو ب عن سويد بن يحيى بن أبي كثير الشيباني عن أبيه عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق خلقه في ظلمة فالتى عليهم نورا من نوره فممن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ورواه البزار عن عبد الله بن عمرو من طريق آخر بلفظه وحروفه وقوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم لماذا ذكر تعالى هذا مثلا لنوره هداية في قلب المؤمن ختم الآية بقوله ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الاضلال قال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبي الجحترى عن أنس بن سويد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أجر وفيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط

ولامدينة وقال مقاتل فيمن المدنى الذى آتيناهم الخ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) الله أعلم بمراده بذلك والكلام في فاتحة هذه السورة قدم في فاتحة الشعراء وغيرها فلا نعيده وكذلك مر الكلام على قوله (تلك آيات الكتاب المبين) قال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام وهو من أبان بمعنى أظهر ويقال أبنته فأبان لازم ومتعد أي مبين خيره وبركته (تلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) أي نوحى اليك بواسطة جبريل من أمرهما متلبا بالحق وخص المؤمنين لان التلاوة انما ينتفع بها المؤمن وقيل تلو عليك شيئا من نبأهما ومن مزيدة على رأى الاخفش والاولى ان تكون للبيان وللتبعية ولا ملجئ الى الحكم بزيادتها والحق الصدق (ان فرعون علا في الارض) مستأنفة مسوقة لبيان ما أجله من النبأ قال المنصور: معنى علانكبر وتعظم وتجب بسلطانه والمراد بالارض أرض مدمر وقيل معنى علا ادعى الربوبية وقيل علا عن عبادة ربه (وجعل أهلها شيعة) أي فرقها وأصنافا في خدمته يشايعونه على ما يريدو بطيعونه قال مجاهد فرق بينهم وقال قتادة يستعبط طائفة منهم ويدع طائفة ويقتل طائفة ويستحي طائفة أو فرقا متفرقة قد أغرى بينهم العدو والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم (يستضعف طائفة منهم) مستأنفة مسوقة لبيان حال الاهل الذين جعلهم فرقوا وأصنافا ويجوز ان تكون حال من فاعل جعل أي جعلهم شيعة حال كونه مستضعفا طائفة منهم ويجوز ان تكون صفة لاطائفة والطائفة هم بنو اسرائيل فانهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم وذلك ان بنى اسرائيل لما كثروا عصروا استطالوا على الناس وعلموا المعاصى ولم يأمر وبال معروف ولم ينهوا على المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفونهم الى أن أنجاهم الله على يد موسى عليه السلام (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم) بدل من الجملة الاولى أو مستأنفة للبيان أو حال أو صفة كالتى قبلها وانما كان فرعون يذبح أبناءهم ويترك نساءهم ويستبيحهم لان المنجى ميز في ذلك العصر أخبروه انه يذهب ملكه على يدمولود من بنى اسرائيل قال الزجاج والعجب من حق فرعون فان الكاهن الذى أخذه بذلك ان كان صادقا عندنا يفتع القتل وان كان كاذبا فلا معنى

على غلافه وقلب منكوس وقلب مصفح فأما القلب الاجرد فقلب المؤمن سراج فيه نوره وأما القلب الاغلف فقلب الكافر وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر وأما القلب المصفح فقلب فيه ايمان ووثاق ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يدها الماء الطيب ومثل المنافق فيه كمثل القرحة يدها الدم والقيح فأى المدتين غلبت على الاخرى غلبت عليه اسناده جيد ولم يخرجوه (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكريه اسمها يسبح فيها بالغدو والاصال رجال اتلهيهم تجارة ولا يبيع عن ذكر الله واقام الصلاة وابتاءوا كذا يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير

حساب) لما ضرب الله تعالى مثل قلب المؤمن وما فيه من الهدى والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتون من زيت طيب وذلك كالقنديل مثلا ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع الى الله تعالى من الارض وهي بيوت التي يعبد فيها ويوحى فقال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع اي امر الله تعالى بتعاهدها وتطهيرها من الدنس واللغو والاقوال والافعال التي لاتليق فيها كما قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة في بيوت اذن الله ان ترفع قال نهى الله سبحانه عن اللغو فيها وكذا قال عكرمة وأبو صالح والعمالك ونافع بن جبيرة وأبو بكر (٩٦) بن سليمان بن ابي خيثمة وسفيان بن حسين وغيرهم من العلماء المفسرين

وقال قتادة هي هذه المساجد أمر الله سبحانه وتعالى ببناءها وعمارها ورفعها وتطهيرها وقد ذكرنا ان كعبا كان يقول مكتوبا في التوراة ان يوتي في الارض المساجد وانه من توشا فاحسن وضوءه ثم زارني في بيتي اكرمته وحق علي المزور كرامة الزائر رواه عبد الرحمن بن ابي حاتم في تفسيره وقد وردت احاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطهيرها وتغييرها وذلك له محل مفرد كريمة وقد كتبت في ذلك جراً على حدة والله الحمد والمنة ونحن بعون الله تعالى نذكره هنا طرفة من ذلك ان شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة أخرجه في الصحيحين وروى ابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة والنسائي عن عمرو بن عبسة

للقتل وقد قيل انه ذبح سبعين ألفا (انه كان من المفسدين) الراشدين في الافساد في الارض بالمعاصي والتجبر ولذلك اجترأ على مثل تلك الجريمة العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام وفيه بيان ان القتل من فعل أهل النساد (وزيدان عن علي الذين استضعفوا في الارض) جاء بصيغة المضارع لحكاية الحالة الماضية واستحضار صورته أي زيدان تفضل عليهم بانحباطهم من بأسه بعد استضعافهم وقال النسفي وهو دليل لنا على مسئلة الاصل انتهى والمراد بهم ولاء بنو اسرائيل والوال للعطف على جملة ان فرعون علا وهذا اولى (وتجملهم أئمة) أي قادة في الخير ودعاة اليه يقتدى بهم وولادة على الناس وملوكهم بعد ان كانوا اتباعا لسخرين مهانين قال علي بن ابي طالب يعني يوسف وولده وقال قتادة أي ولاة الامر وهم بنو اسرائيل (وتجملهم الوارثين) أي الذين يرثون الارض بعد فرعون وقومه لا الورثة المعهودة في شرعنا قاله قتادة أي تجملهم الوارثين ملك فرعون ومساكن القبط وأملا كههم فيكون ملك فرعون فيهم ويسكنون مساكن قومهم وينتمون بأملا كهوأملا كههم (وتمكن لهم في الارض) أي تجملهم مقتدرين عليهم وعلى أهلها اساطين على ذلك يتصرفون فيها كيف شاؤوا يقال تمكن له اذا جعل له مكانا يقعد عليه ويتمكن فيه أو يرقد ثم استعير للتسلط واطلاق الامر والارض أرض مصر والشام (وزي فرعون وهامان وجنودهما) الفاعل هو الله سبحانه وقري يرى بالحسنة والفاعل فرعون والاولى الصق بالسياق لان قبلها تريد وتكن بالنون وأجاز النراء ويرى فرعون أي ويرى الله فرعون والرؤية بصرية والاضافة اليه ما اما للتغليب أو انه كان لهامان جنود مخصوصة به وان كان وزيراً أولان جنود السلطان جنود وزيره والابصار لا تتوقف على الحياة عند أهل الحق ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم في أهل القليب ما أنتم بأسمع منهم أو المراد رؤية طلائعه وأسبابه وذلك حين أدر كههم الغرق (منهم) أي من أولئك المستضعفين (ما كانوا يحذرون) والمعنى ان الله يريهم أو يرونهم الذي كانوا يخافون منه ويحتمدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد المولود من بني اسرائيل المستضعفين والحذر التوقى من الضرر (وأوحينا الى أم موسى) أي ألهمناها الذي صنعت بموسى قاله ابن عباس وايس ذلك هو الوحي الذي يوحى الى الرسل وقيل كان ذلك رؤيا في ماها وقيل كان ذلك علامات أرسله

الله مثله والاحاديث في هذا كثيرة جدا وعن عائشة رضي الله عنها قالت أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء

المساجد في الدور وان تنظف وتطيب رواه أحمد وأهل السنن الا النسائي ولا جد وأبي داود عن حمزة بن جندب نحوه وقال البخاري قال عمر ابن للناس ما يمكنهم واناك أن تحمروا وتصرفتم في الناس وروى ابن ماجه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ساء عمل قوم قط الا زحفوا مساجدهم وفي اسناد ضعف وروى أبو داود عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت بشئ من المساجد قال ابن عباس تزحفونها كما زحفت اليهود والنصارى وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبها في المساجد رواه أحمد وأهل السنن الا الترمذي وعن ربيعة بن رباح لا نشد في المسجد فقال من دعا الى الجمل الاجر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا وجدت انما بنيت المساجد لما بنيت له رواه مسلم وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والابتاع وعن تماشيد الاشعار في المساجد رواه أحمد وأهل السنن وقال الترمذي حسن وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا الأريح الله بمجارئك واذا رأيت من ينشد (٩٧) ضالة في المسجد فقولوا اردها الله عليك رواه

الترمذي وقال حسن غريب وقد روى ابن ماجه وغيره من حديث ابن عمر مر فوما قال خصال لا تنبغي في المسجد لا يتخذه يقاتل ولا يشهر فيه بسلاح ولا يبيض فيه بقوس ولا يثر فيه نبل ولا يمر فيه بلغم نئ ولا يضرب فيه حد ولا يتنص فيه أحد ولا يتخذ سوفا وعن واثله بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنبوا مساجدنا صيما نكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم واقامة حدردكم وسبل سب وفككم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجسروها في الجمع ورواه ابن ماجه أيضا وفي اسنادها ضعف اما انه لا يتخذ طريقا فقد ذكره بعض العلماء المروفيين في الحاجة اذا وجد مندوحة عنه وفي الاثران الملائكة لتتجسس من الرجل يمر بالمسجد لا يبصلي فيه واما انه لا يشهر فيه بسلاح ولا يبيض فيه بقوس ولا يثر فيه نبل فلما يخشى من اصابة بعض الناس به لكثرة المصلين فيه ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مر رجل بسهام أن يقبض

الله يعلمها بذلك فعلى هذا هو رضى اعلام لالهام وقد اجتمع العلماء على انها لم تكن نبيسة وانما كان ارسال الملك اليها عند من قال به على نحو **كلم الملك للفرع والابصر والاعمى** كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما وقد سلمت على عمران بن حصين الملائكة كما في الحديث الثابت في الصحيح فلم يكن بذلك نبيا وكان اسمها يوحنا وقيل لونها بنت هاندي بن لاوي بن يعقوب نقله القرطبي عن الثعلبي (أن أرضعته) أن هي المفسرة لان في الوحي معنى القول أو بان أرضعه قبل أرضعته ثمانية أشهر وقيل اربعة وقيل ثلاثة وكانت ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها وكان الوحي برضاعه قبل ولادتها وقيل بعدها وأمرها بانرضاعه مع انها ترضعه طبعاً لئلا يلبسها فلا يقبل ثدي غيرها بعد وقوعه في يد فرعون (فاذا خنت عليه) من فرعون بان يبلغ خبره اليه فيذبحه قال ابن عباس أن يسمع جيرانك صوته (فالقيد في اليم) وهو بحر النيل وقد تقدم بيان الكيفية التي ألقته في اليم عليها في سورة طه (ولا تخافي) عليه الفرق والضبعة (ولا تخزني) لفراقه والخوف غم يصيب الانسان لامر يتوقعه في المستقبل والحزن غم يصيبه لامر وقع ومضى فلا يقال ما الفرق بينهما حتى عطف أحدهما على الآخر في الآية (انارادوه اليك) عن قريب على وجه تكون به نجاة وتأمين عليه والجله تعليل للنهي عن الخوف والحزن (وجاءوه من المرسلين) الذين ترسلهم الى العباد وقد اشتمت هذه الآية على أمرين أرضعته وألقيه وهنئ لا تخافي ولا تخزني وخبرين انارادوه وجاءوه بشارتين في ضمن الخبرين وهما الرد والجعل المذكوران (فالتقطه آل فرعون) الفاء هي النصيحة والالتقاط اصابة الشيء من غير طلب والمراد بالفرعون هم الذين أخذوا التابوت الذي فيه موسى من البحر والتقدير فآلقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت فالتقطه من وجده من آل فرعون أي اعوانه قال الزجاج كان فرعون من أهل فارس من اصطرخ (ايكون لهم عدوا وحرنا) اللام العاقبة ووجه ذلك انهم انما أخذوه ليكون لهم ولدا وقررة عين لا يكون عدوا فكان عاقبة ذلك انه كان لهم عدوا يقتل رجالهم وحرنا يستعبد نساءهم قاله المحلى وقال صاحب الكشف هي لام كي التي معناها التعليل ولكن هذا المعنى اراد على طريق المجاز لانه لما كانت هذه العداوة نتيجة لفعالهم وغرته شبهت بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله قرئ حرنا بفتح الحاء والزاي وحرنا بضم الحاء وسكون الزاي وهما الغتان كالعدم

(١٣ - فتح البيان سابع) على نصالها الثلاثي يذوي أحدا كما ثبت ذلك في الصحيح واما النهي عن المرور بالعم التي فيه فلما يخشى من تقاطر الدم منه كانهيت الحائض عن المرور فيه اذا خافت التلويث واما انه لا يضرب فيه حداً ولا يقتض فلما يخشى من ايجاد النجاسة فيه من المصروب أو المقطوع واما انه لا يتخذ سوفا فلما يتقدم من النهي عن البيع والشراء فيه فانه انما بنى لذكر الله والصلاة فيه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الاعرابي الذي بال في طائفة المسجدين المساجد لم تن لهذا انما بنيت لذكر الله والصلاة فيها ثم أمر بسجل من ما فاهريق على بوله وفي الحديث الثاني جنبوا مساجدكم صيما نكم وذلك

لانهم يلعبون فيه ولا يناسبهم وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رأى صبياً نال يلعبون في المسجد ضربهم بها فحققت وهى الدرّة وكان يعس المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحد ارجوا نينكم يعنى لأجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيؤدى الى اللعب فيها ولما يخشى من تقذيرهم المسجد ونحو ذلك ويحكم وشراءكم كما تقدم وخصوصاً تمكيعنى التهاكم والحكم فيه ولهذا نص كثير من العلماء على ان الحائلم لا ينصب الفصل الا قضية بالمسجد بل يكون في موضع غيره لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والاناظ التي لاتناسبه ولهذا (٩٨) قال بعده ورفع أصواتكم وقال البخارى حدثنا علي بن عبد الله حدثنا يحيى

ابن سعيد حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن قال حدثني يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد الكندي قال كنت قائماً في المسجد فخصبني رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فائتني بهذين لختته به ما فقال من أنتما ومن أين أنتما قال من أهل الطائف قال لو كنتما من أهل البلد لا وجعتكم كثر فنعان أصواتكم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النسائي حدثنا سويد بن نصر عن عبد الله ابن المبارك عن شعبة عن سعد بن ابراهيم عن أبيه ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال سمع عمر صوت رجلاً في المسجد فقال اندري أين أنت وهذا أيضاً صحيح وقوله واقامة حدودكم رسول سيوفكم تقدم ما وقوله واتخذوا على ابوابها المطاهر يعنى المراحيض التي يستعان بها على الوضوء وقضاء الحاجة وقد كان قريباً من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم آبار يستقون منها فيشربون ويتطهرون ويتوضؤون وغير ذلك وقوله وجروها في الجمع يعنى يجزوها في ايام الجمع لكثرة

والعدم والرشد والرشد والسقم والسقم (ان فرعون وهامان وجنودهما) تليل لما قبله أو اعتراض لقصد التأكيد (كانوا خاطئين) اي عاصين آتئين في كل أفعالهم وأقوالهم فعوقبوا على يديه مع انه تربى على أيديهم فهذا أبلغ في اذلالهم وهو مأخوذ من الخطا المقابل للصواب لانهم لم يشعروا انه الذي يذهب بملكهم أو من خطا يخطوا أي تجاوز الصواب (وقالت امرأة فرعون) وقد هم مع اعوانه لقتله وهى آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء وبنات الانبياء وقيل كانت من بنى اسرائيل وقيل كانت عمه موسى حكاية السهيلى (قرت عين لي ولك) وكان قولها لهذا القول عند رؤيتها لما وصل اليها وأخرجته من التابوت وخاطبت بقولها (لا تقتلوه) فرعون ومن عندهم من قومه أو فرعون وحده على طريقة التعظيم له وقرأ ابن مسعود قالت امرأة فرعون لا تقتلوه قرّة عين لي ولك قيل انها قالت هذا الولد أكبر من سنة وأنت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقد حكى الفراء عن السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ان قوله لا تقتلوه من كلام فرعون واعترضه بكلام يرجع الى اللفظ ويكنى في رده ضعف اسناده وقيل انها قالت لا تقتلوه فان الله أتى به من أرض بعيدة وليس من بنى اسرائيل ثم عللت ما قالته بالترجي منها الحصول النفع مندهم والتبني له فقالت (عسى أن ينفعنا) فنصيب منه خبر الان فيه مخايل البين ودلائل النفع لاهله (أو نتخذة ولدا) وكانت لاتلد فاستوهبت من فرعون فوهبه لها (وهم لا يشعرون) انهم على خطا في التقاطه وان هلا كههم على يده فيكون حالاً من آل فرعون وهى من كلام الله سبحانه وقيل هى من كلام المرأة أي وبنو اسرائيل لا يدرون اننا لقتلناه وهم لا يشعرون قاله الكلبي وهو بعيد جداً وما أحسن نظم هذا الكلام عند أصحاب المعاني والبيان (وأصبح) أي صار (فوادى موسى فارغاً) من كل شئ الامن أمر موسى كأنهم لم يتم شئ سواه قاله المفسرون وقال أبو عبيدة خالين من ذكر كل من في الدنيا الامن ذكر موسى وقال الحسن وابن اسحق وابن زيد فارغاً مما أوحى الله اليها من قوله ولا تخافى ولا تحزنى وذلك لما سؤل الشيطان لها من غرقه وهلاكه وقال الاخفش فارغاً من الخوف والغم لعلها انه لم يغرق بسبب ما تقدم من الوحى اليها وروى مثله عن أبي عبيدة أيضاً وقال الكسائي ناسياً اذا هلا وقيل صفران العقل وقال العلامة بن زيد نافراً وقال سعيد بن جبير والهياكادت تقول وابناء من شدة الجزع وقال مقاتل كادت تصيح

اجتماع الناس يومئذ وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا عبيد الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله شفقة

ابن عمر عن نافع عن ابن عمر ان عمر كان يجمر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جمعة اسناده حسن لابن عباس به والله أعلم وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الرجل في الجماعة تضعف على مسلاته في بيته وفي سوقه خسا وعشرين ضعفاً وذلك انه اذا توضأ فحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرج الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفع له بهادرجة وحط عنه بها خطيئة فاذا صلى لم تنزل الملائكة تصلى عليه مادام في مصلاه اللهم صل عليه اللهم ارحمه ولا يزال في صلاة ما انتظر

الصلاة وعند الدارقطني من فروع الصلاة لجمار المسجد الا في المسجد وفي السنن بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم
القيامه ويستحب لمن دخل المسجد أن يبدأ برجله اليمنى وان يقول كما ثبت في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دخل المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم قال فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم وروى مسلم بسنده عن أبي حميد وأبي أسيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي (٩٩) أبواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم افتح لي

أبواب فضلك ورواه الترمذي عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم
افتح لي أبواب رحمتك واذا خرج
فليسلم على النبي صلى الله عليه
وسلم وليقل اللهم اعصمني من
الشيطان الرجيم ورواه ابن ماجه
وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما
وقال الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن
ابراهيم حدثنا الليث بن أبي سليم عن
عبد الرحمن بن حسين عن أمه
فاطمة بنت حسين عن جدتها
فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا دخل المسجد
صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم
قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي
ابواب فضلك ورواه الترمذي وابن
ماجه وقال الترمذي هذا حديث
حسن واسناده ليس بمتصل لان
فاطمة بنت الحسين الصغرى لم

شفقة عليه من الغرق وقيل المعنى انها لما سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط
الجزع والدهش قال النحاس وأصح هذه الأقوال الاول والذين قالوه أعلم بكباب الله فاذا
كان فارغاً من كل شيء الا من ذكر موسى فهو فارغ من الوحي وقول من قال فارغاً من الغم
غلظ قيح لان بعده ان كادت تبتدي به لولا ان ربطناعلى قلبها وقرئ فزعا مكان فارغاً من
الفرع أي خائفاً وجلاً وقرأ ابن عباس قرعاً من قرع رأسه اذا فحسرت به (ان كادت
لتبتدي به) من بدا يبدو واذا ظهر وابتدي أي أظهر والمعنى لتظهر أمر موسى وأنه ابنا
من فرط مادهم هاهن الدهش والخوف والحزن وقيل الضمير في به عائداً الى الوحي الذي
أوحى اليها والاول أولى وقال الفراء لتبتدي باسمه لضيق صدرها وقال ابن عباس تقول
يا ابنا وقيل الباء زائدة لتأكيده والمعنى لتبتديه كما تقول أخذت الحبل وبالحبل وقيل
المعنى لتبتدي القول به (لولا ان ربطناعلى قلبها) بالعصمة والصبر والتثبت قال الزجاج
معنى الربط على القلب الهام الصبر وتوقيته وجواب لولا محذوف أي لا بدت (لتكون
من المؤمنين) أي ربطناعلى قلبها لتكون من المصدقين بوعد الله وهو قوله ان ارادوه اليك
قال يوسف بن الحسين أمرت أم موسى بشيتين ونهيت عن شيتين وبشرت بشيتين فلم
ينفعها الكل حتى تولى الله حياطتها فربط على قلبها (وقالت) أم موسى (لاختها) وهي
مريم وقال الضحاك ان اسمها كاتمة وقال السهيلي كانوا يؤذون كزة الماوردى (قصيه) أي
تتبع أثره واعرف خبره وانظري أين وقع والى من صار يقال قصصت الشيء اذا تتبعته
أثره متعرفاً لحاله (فبصرت به) أي أبصرت قال المبرد أبصرت به وبصرت به بمعنى قرئ
بصرت بفتح الباء وضم الصاد وقرئ بفتحها وبكسرهما (عن جنب) أصله عن مكان جنب
ومنه الاجنب وقيل المراد بقوله عن جنب عن جانب قاله ابن عباس والمعنى انها أبصرت
اليه متجاففةً محاثلة وقرئ عن جانب اي بصرت به مستغففة كائنة عن جنب او بعيدا
منها وقرئ بضم الجيم وضم النون وقال ابو عمرو بن العلاء ان معنى عن جنب
عن شوق قال وهي لغة جذام يقولون جنبت اليك اي اشتقت اليك (وهم لا يشعرون)
انها اختها وانها قصصه وتتبع أثره أخرج الطبراني وابن عساكر عن أبي امامة ان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لخديجة اما شعرت ان الله زوجني مريم بنت عمران
وكانت اخت موسى وامرأة فرعون قالت هنيئاً لك يا رسول الله وأخرجه ابن عساكر عن

تدرك الكبرى فهذا الذي ذكرناه مع ما ذكرناه من الاحاديث الواردة في ذلك كله محاذرة الطول داخل في قوله تعالى في بيوت اذن الله
ان ترفع وقوله ويذكر فيه اسمه كقوله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه
مخلصين له الدين وقوله وان المساجد لله الآية وقوله تعالى ويذكر فيه اسمها قال ابن عباس يعني يتلى كتابه وقوله تعالى يسبح له
فيها بالغدو والآصال أي في البكرات والعشيات والآصال جمع أصيل وهو آخر النهار وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس كل تسبيح
في القرآن هو الصلاة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني بالغدو صلاة الغداة ويعني بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض

الله من الصلاة فاحسان يذكرهما وان يذكرهما عباده وكذا قال الحسن والضحاك يسجد له فيها بالغدو والآصال يعني الصلاة ومن قرأ من القرآن يسجد له فيها بالغدو والآصال بفتح الباء من يسجد على انه مبنى لما لم يسجد فاعله وقف على قوله والآصال وقفا تاما وابتداء بقوله رجال لانهم تجارة ولا يسع عن ذكر الله وكاتبه مفسر للفاعل المحذوف كما قال الشاعر

ليسك يز يدضارع لخصومة * ومحتبط مما تطيح الطوائح
 كانه قال من يبكيه قال هذا يبكيه وكانه قيل من يسجد له فيها
 قال رجال واما على قراءة من قرأ يسجد بكسر (١٠٠) الباء فجعله فعلا وفاعلها رجال فلا يحسن الوقف الاعلى الفاعل لانه تمام

الكلام فقوله تعالى رجال فيه اشعارهم مهمهم السامية ويناتهم وعزائمهم العالية التي بها صاروا عمارة المساجد التي هي بيوت الله في أرضه ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتزنيه كما قال تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية واما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن لما رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها وقال الامام أحمد

حدثنا يحيى بن غيلان
 حدثنا رشد بن
 حدثني عمرو عن أبي السمع
 عن السائب مولى ام سلمة عن ام
 سلمة رضي الله عنها عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال خير مساجد
 النساء قعر بيوتهن وقال أحمد أيضا
 حدثنا هرون أخبرني عبد الله بن
 وهب حدثنا داود بن قيس عن عبد
 الله بن سويد الانصاري عن عمته ام
 حميد امرأة أبي حميد الساعدي

ابن رداد مر فوعا بطول من هذا وفي آخرها قالت بالرفاء والبنين (وحرمتا عليه المراضع) جمع مريض وقيل جمع مريض بفتح الضاد وهو الرضاع أو موضعه وهو الثدي أى منعناه أن يرضع من المرضعات جعله مجازا اما استعارة أو مرسلان من حرم عليه شئ فقدمناه لان الصبي ليس من أهل التكليف (من قبل) أى من قبل ان نرده الى امه أو من قبل ان ناتي به امه او من قبل قصه لانه قال ابن عباس لا يوثق بمرضع فيقبلها وقد كانت امرأة فرعون طلبت موسى المرضعات ليرضعه فلم يرضع من واحدة منهم (فتات) اخته لما رأت امتناعه من الرضاع وحنوهم عليه (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أى يضمنون لكم القيام به وارضاعه وهى امرأة قتل ولدها وأحب شئ اليها ان تجد ولدا ترضعه (وهم له ناصحون) أى مشفقون عليه لا يقصرون في ارضاعه وتربيته والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد وفى الكلام حذف أى قالوا الهامان هم فقالت أى فقيل وهل لامك لبن قالت نعم لبن أخى هرون وكان ولد فى السنة التى لا يقتل فيها فدلتهم على أم موسى فدفعوه اليها فقبل ثديها ورضع منه قيل كانوا يعطونها كل يوم دينار وانما حل لها ما تأخذ لانه مال حربى لانه اجرة على ارضاع ولدها (فرددناه الى أمه كي تقر عينها) بولدها (ولا تحزن) حينئذ على فراقه (واتعلم ان وعد الله) أى جميع وعده ومن جعله ذلك ما وعدها بقوله ان ارادوه اليك (حق) لاختلف فيه واقع لا محالة (ولكن أكرههم) أى اكثر آل فرعون (لا يعلمون) بذلك بل كانوا فى غفلة عن القدر وسر القضاة او اكثر الناس لا يعلمون بذلك أو لا يعلمون ان الله وعده بان يرده اليها وهذه اخته وهذه امه (ولما بلغ أشده) أى نهاية القوة وتتمام العقل وهو جمع شدة كنعمة وانعم عند سيديه وقد قال ربيعة وما لك هو الحلم لقوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنس منهم رشدا الآية وأقصاه اربع وثلاثون سنة كما قال مجاهد وسفيان الثوري وغيرهما وقيل الاشد ما بين الثمانية عشر الى الثلاثين وقال ابن عباس ثلاثا وثلاثين سنة وقد تقدم الكلام فى بلوغ الاشد فى الانعام (واستوى) أى اعتدل وتم استحكامه والاستواء من الثلاثين الى الاربعين فاذا زاد على الاربعين أخذ فى التقصان قاله ابن عباس وقيل الاستواء هو بلوغ الاربعين ويرى انه لم يبعث نبي الاعلى رأس اربعين سنة وقيل الاستواء اشارة الى كمال الخلقة وقيل الاشد والاستواء بمعنى واحد وهو ضعيف لان العطف يشعر بالمغايرة (آتيته

انها جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى أحب الصلاة معك قال قد علمت انك تحبين الصلاة حكما
 معي وصلاتك فى بيتك خير من صلواتك فى حجرتك وصلاتك فى دارك وصلاتك فى دارك خير من صلواتك فى مسجد قومك وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلواتك فى مسجدى قال فامررت بنبي لها مسجد فى اقصى بيت من بيوتها فكانت والله تصلى فيه حتى لقيت الله تعالى لم يجز جوه هذا ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط ان لا تؤذى أحد من الرجال بظهور رزينة ولا ربح طيب كفى الصحيح عن عبد الله بن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله رواه

البحارى ومسلم ولا جدواى داود ويوتن خيراهن وفي رواية ولخرجن وهن تفلات أى لارىح لهن وقد ثبت فى صحيح مسلم عن زينب امرة عبد الله بن مسعود قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا شهدت احدا كن المسجد فلا تفسى طيبا وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها انها قالت **كان نساء المؤمنين يشهدن الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجعن متلفعات** بمروطهن ما يعرفن من الغلس وفى الصحيحين عنها أيضا انها قالت لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمعنهن من المساجد كما تمتعت نساء بنى اسرائيل وقوله تعالى (١٠١) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر

الله كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع الآية يقول تعالى لا تشغلهم الدنيا وزخارفها وزينتها ولا يذيعها ويرجمه عن ذكر ربهم الذى هو خالقهم ورازقهم والذين يعملون للذى عنده هو خير لهم وأنفع مما يديهم لان ما عندهم ينقد وما عند الله باق ولهذا قال تعالى لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة أى يقدمون طاعته ومراعاة وجهته على مرادهم ومحببتهم قال هشيم عن سمار حدثت عن ابن مسعود انه رأى قوما من أهل السوق حيث نودى للصلاة المكتوبة تركوا بيعاتهم ونهضوا الى الصلاة فقال عبد الله بن مسعود هو لا من الذين ذكر الله فى كتابه رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية وهكذا روى عمرو بن دينار القهرمانى عن سالم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه كان فى السوق فاقيمت الصلاة

حكوا وعلما) الحكم الحكمة على العموم وقيل النبوة وقيل الفقه فى الدين والعلم الفهم قاله السدى وقال مجاهد الفقه وقال ابن اسحق العميد بنه ودين ابائه وقيل كان هذا قبل النبوة وقد تقدم بيان معنى ذلك فى البقرة (وكذلك) أى مثل ذلك الجزء الذى جزىنا م موسى لما استلمت لامر الله والفت ولدها فى البحر وصدقت بوعد الله (تجزى الحسين) على احسانهم والمراد العموم (ودخل المدينة) أى دخل موسى مدينة مصر الكبرى وقيل مدينة غيرها من مدن مصر وهى منف من اعمال مصر وقيل ام خنان واحيانا على رأس فرسخين من مصر وقيل مدينة عين شمس (على حين غفلة من اهلها) أى متخفيا قبل لما عرف موسى ما هو عليه من الحق فى دينه عاب ما عليه قوم فرعون وفساد ذلك منه فأخافوه مخافهم فكان لا يدخل المدينة الا مستخفيا قيل كان دخوله بين العشاء والعمرة قاله ابن عباس وقيل وقت الثالثة أى نصف النهار قاله ابن عباس أيضا وقيل يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم قال الضحاك طلب ان يدخل المدينة وقت غفلة اهلها فدخل على حين علم منهم فكان منهم ما حكى الله سبحانه بقوله (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أى يختصمان ويتنازعان (هذا من شيعته) أى من شايعة على دينه وهم بنو اسرائيل أى اسرائيلى وقيل هو السامرى (وهذا من عدوه) أى من المعادين له على دينه وهم قوم فرعون أى قبطى وهو طباخ فرعون واسمه قاترين أو فوشون وكان كافر اثنافا وأما الاسرائيلى فقيل كان مؤمنا وقيل كان كافرا (فاستغناه الذى من شيعته) أى طلب منه الاسرائيلى ان ينصره ويعينه على خصمه والاستغناه طلب الغوث (على الذى من عدوه) أى القبطى فاعاناه لان نصر المظلوم واجب فى جميع الملل قيل أراد القبطى ان يسخر الاسرائيلى ليعمل حطبا للطبخ فرعون فابى عليه واستغاث موسى (فوكزه موسى) الوكز الضرب والدفع بجميع الكف وهكذا الكز واللهمز وقيل الكز على اللعى والوكز على الثلب وقيل الكز باطراف الاصابع والوكز بجميع الكف وقيل بالعكس والنكز كاللهمز وقيل ضربه بعصاه وقرأ ابن مسعود فلكزه وحكى الثعلبى أن فى مصحف عثمان فذكوز بالنون قال الاصمعى تكز بالنون ضربه ودفعه قال الجوهرى الكز الضرب على الصدر وقال أبو زيد فى جميع الجسد يعنى انه يقال له لكز واللهمز الضرب بجميع اليدين فى الصدر ومثله عن أبى عبيدة (ففضى عليه) الضمير

فاغلقوا حوائيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فهم نزلت رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واما بن أبى حاتم وابن جرير وقال ابن أبى حاتم حدثنا ابى حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر الصنعانى حدثنا أبو سعيد مولى أبى هاشم حدثنا عبد الله بن بدير حدثنا ابو عبد ريب قال قال أبو الدرداء رضى الله عنه انى قت على هذا الدرج أبابيع عليه اربح كل يوم ثلاثة دنانير أشهد الصلاة فى كل يوم فى المسجد اما انى لا أقول ان ذلك ليس بحلال ولكنى أحب ان أكون من الذين قال الله فىهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقال عمرو بن دينار الا عور كنت مع سالم بن عبد الله ونحن نريد المسجد فرزنا بسوق المدينة وقد قاموا الى الصلاة ونجروا

مناعهم فنظر سالم الى استعنتهم ليس معها احد فقلنا سالم هذه الآية رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم قال هم هؤلاء وكلمنا
قال سعيد بن أبي الحسن والضحاك لا تلهمهم التجارة والبيع ان يأتوا الصلاة في وقتها وقال مطر الوراق كانوا يبيعون ويشترون
ولكن كان أحدهم اذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل الى الصلاة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تلهمهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله يقول عن الصلاة المكتوبة وكذا قال مقاتل بن حيان والربيع بن أنس وقال السدي عن الصلاة في جماعة وقال
مقاتل بن حيان لا يلهمهم ذلك عن حضور (١٠٢) الصلاة وان يقيموا كما أمرهم الله وان يحافظوا على مواقيتها

وما استه فظهم الله فيها وقوله تعالى
يخافون يوما تتقلب فيه القلوب
والابصار أي يوم القيامة الذي
تقلب فيه القلوب والابصار أي من
شدة الفزع وعظمة الاحوال كقوله
وانذرهم يوم الآزفة الآية وقوله
انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه
الابصار وقال تعالى ويطعمون
الطعام على حبسه مسكيناً و يتيماً
وأسيراً انما يطعمكم لوجه الله
لانريد منكم جزاء ولا شكورا انا
نخاف من ربنا يوم اعبسنا قطر برا
فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم
نضرة وبرد وراوجراهم عاصروا
جنة وحريرا وقوله تعالى ههنا
ليجزئهم الله أحسن ما عاوا
أي هؤلاء من الذين يتقبل حسناتهم
ويتجاوز عن سيئاتهم وقوله ويزيدهم
من فضله أي يتقبل منهم الحسنين
ويضاعفه لهم كما قال تعالى ان الله
لا يظلم مثقال ذرة الآية وقال تعالى
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها
الآية وقال من ذا الذي يقرض الله
قرضاً حسناً الآية وقال والله
يضاعف لمن يشاء وقال ههنا والله
يرزق من يشاء بغير حساب وعن ابن

المرفوع لله أولو كزأ ولوسى وهو الظاهر أي قتله وكل شيء أتيت عليه وفرغت منه فقد
قضيت عليه قيل لم يقصد موسى قتل القبطي وانما قصد دفعه فأتى ذلك على نفسه خطأ
فقدم ودفنه في الرمل والوكزة لا تقتل غالباً وانما اقتت أجله ولهذا (قال هذا من عمل
الشیطان) وانما قال هذا القول مع ان المقتول كافر حقيق بالقتل لانه لم يكن اذ ذلك
مأموراً بقتل الكفار وقيل ان تلك الحالة حاله كف عن القتال لكونه مأموراً عندهم فلم
يكن له ان يغتالهم فكبر ذلك على موسى وقيل ان الاشارة بقوله هذا الى عمل المقتول
لكونه كافراً مخالفاً لما يريد الله وقيل انه اشارة الى المقتول نفسه يعني انه من جند
الشیطان وخر به ثم وصف الشيطان بقوله (انه عدو مضل مبین) أي عدو للانسان يسعى
في اضلاله ظاهر العداوة والاضلال ثم طلب من الله سبحانه ان يغفر له ما وقع منه (قال
رب انى ظلمت نفسي) بقتل القبطي من غير أمر (فاعفرتني فغفر) الله (له) ذلك وعلم انه
غفر له بالهام أو بغيره ولا يلزم من هذا نبوته في هذا الوقت (انه هو الغفور) باقالة الزلل
(الرحيم) بازاله الخلل المتصف بهما في الابد والازل ووجه استغفاره انه لم يكن لبي ان
يقتل حتى يؤمر وقيل انه طلب المغفرة من تركه لا لولي كما هو سنة المرسلين أو أراد اني
ظلمت نفسي بقتل هذا الكافر لان فرعون لو يعرف ذلك لقتلني به وقيل معنى فاعفرتني
استرد ذلك على لا يطلع عليه فرعون وهذا خلاف الظاهر فان موسى عليه السلام مازال
نادماً على ذلك طاقمان العقوبة بسببه حتى انه يوم القيامة عند طلب الناس الشفاعة منه
يقول انى قتلت نفساً أو امر بقتلها كما ثبت ذلك في حديث الشفاعة الصحيح وقد قيل ان
هذا كان قبل النبوة وقيل كان قبل بلوغه سن التكليف وانه كان اذ ذلك في اثني عشر
سنة وكل هذه التأويلات البعيدة محافضة على ما تقر من عصمة الانبياء ولا شك انهم
معصومون عن الكبائر والقتل الواقع منه لم يكن عن عدو فليس بكبيرة لان الوكزة في
الغالب لا تقتل وقيل بل كان من قبيل دفع الصائل وهو لا ثم فيه وأشار له القرطبي بقوله
وانما أغاثه لان نصر المظلوم دين في الملل كلها وفرض في جميع الشرائع وقيل هو على
سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب
فهو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين ثم لما أجاب الله سؤاله وغفر له ما طلب منه
مغفرته (قال رب بما أنعمت علي) الباء للقسم وما موصولة أو مصدرية أي أقسم

مسعود ان سبي بلبن فعرضه على جلسائه واحدا واحدا فكلهم لم يشربه لانه كان صائماً فتناوله ابن مسعود فشربه بانعامك
لانه كان مفطراً ثم تلا قوله يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث الاعمش عن ابراهيم عن
علقمة عنه وقال أيضاً حدثنا ابى حدثنا سويد بن شعبة حدثنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق عن شهر بن حوشب عن
أسماء بنت يزيد بن السكن قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى
بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع من أولي بالكيم ليقم الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم

بجانب سائر الخلائق وروى الطبراني من حديث بقرية عن اسمعيل بن عبد الله الكندي عن الاعشى عن أبي وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ليو فيهم اجورهم ويزيدهم من فضله قال اجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو وكلمات في بحر جريح يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله نورا لنور هدايته نور) هذا من مثلان

(١٠٣)

ضرب ما الله تعالى لنوع الكفار كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين ناريا ومائيا وكما ضرب للمايقير في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلين مائيا وناريا وقد تكلمت على كل منهم في موضع مما اغنى عن اعادته ولله الحمد والمنة فاما الاول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاة الى كفرهم الذين يحسبون انهم على شئ من الاعمال والاعتقادات وليسوا في نفس الامر على شئ فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في السعان من الارض عن بعد كأنه بحر طام والقيعة جمع قاع تجار وجريرة والقاع أيضا واحدة القيعان كما يقال جار وجريران وهي الارض المستوية المتسعة المنبسطة وفيه يكون السراب وانما يكون ذلك بعد نصف النهار أو ما الاول فانما يكون أول النهار ويرى كأنه ماء بين السماء والارض فاذا رأى السراب من هو محتاج الى الماء قصده يحسبه ماء يشرب منه فلما انتهى اليه لم يجده شيئا فكذلك الكافر يحسب انه قد عمل عملا وانه قد حصل شيئا فاذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليه ونوقش

باعتماك على بالمغفرة لا تو بن قاله الزنخشري والمهدوي والماوردي وقيل المراد بما أنعم به عليه هو ما أتاه من الحكم والمعرفة والعلم والتوحيد قاله القرطبي وقال الثعلبي أي بالمغفرة فلم تعاقبني وجملة (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) كالتفسير للجواب وكأنه أقسم بما أنعم الله عليه أن لا يظهر مجرما ويجوز ان تكون الباء هي بآء السببية متعلقة بمعدوف أي اعصمني بسبب ما أنعمت به عليّ ويكون قوله فلن أكون ظهيرا متباعدة ويكون في ذلك استعطاف لله تعالى وتوصل الى انعامه بانه ما به وأراد بظاهرة المجرمين اما صاحب فرعون والانتظام في جملة في ظاهر الامر أو مظهره نه على ما فيه اثم أو تكثير سواده قال الكسائي والقراء ليس قوله هذا خبرا بل هو دعاء أي فلا تجعلني يارب ظهيرا اليهم وبها قرأ عبد الله وقال القراء المعنى اللهم فلن أكون الخ وقال الخناس ان جعله من باب الخبر أو في وأشبهه بنسب الكلام وفيه دليل على ان الاسرائيلي الذي أعانته موسى كان كافرا وقيل أراد اني وان أسأت في هذا القتل الذي لم أومر به فلا ترك نصرة المسلمين على المجرمين فعلى هذا كان الاسرائيلي مؤمنا ونصرة المؤمنين واجبة في جميع الاديان وقيل لم يستئن فآبتي في اليوم الثاني أي لم يقل فلم أكن ان شاء الله ظهيرا للمجرمين كما قال الله تعالى (فاصبح في المدينة) أي دخل في وقت الصباح في المدينة التي قتل فيها القبطي (حائفا يترقب) المكروه أو متى يؤخذ به أو يترقب الفرج والخبر هل وصل الى فرعون أم لا قال النسفي وفيه دليل على انه لا بأس بالخوف من دون الله بخلاف ما يقوله بعض الناس انه لا بأسوغ الخوف من دون الله سبحانه زاد القرطبي وان الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه (فاذا الذي استنصره) اذا هي النجاة أي فاذا صاحبه الاسرائيلي الذي استغاثه (بالامس) يقابل قبطيا آخر اراد ان يستخره ويظلمه كما اراد القبطي الذي قد قتله موسى بالامس (يستصرخه) أي يستغيثه والاستصراخ الاستغاثة وهو من الصراخ وذلك ان المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث (قاله) أي للاسرائيلي (موسى) واليه ذهب الخازن والحلي واللقطبي واليه ذهب القرطبي (انك لغوى مبین) أي بين الغواية وذلك انك تقابل من لا تقدر على مقابله ولا تطيقه وقيل انما قال له هذه المقالة لانه تسبب بالامس لقتل رجل ويريد اليوم ان تسبب لقتل آخر (فاما ان اراد) موسى (أن ييطش بالذي) أي بالقبطي الذي (هو عدو لهما) أي لموسى وللأسرائيلي

على أفعاله لم يجده شيئا بالكلية قد قبل اما لعدم الاخلاص واعدام سلوك الشرع كما قال تعالى وقد منالنا ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال ههنا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب وهكذا روى عن أبي بن كعب وابن عباس وبجهد وقتادة وغير واحد في الصحيفين انه يقال يوم القيامة لليهود ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من ولاماذا تبغون فيقولون يارب عطشنا فاسقنا فيقال ألا تردون فتمثل لهم النار كما أنهم اسراب يحطم بعضها بعضا فينطلقون فيتم افتقون فيها وهذا المثال مثال لنوى الجهل المركب فاما اصحاب الجهل البسيط وهم الطماطم الاعشام المقلدون لا نعمة الكفر

الصح البكم الذين لا يعقلون فخلهم كما قال تعالى أو كظلمات في بحر لحي قال قتادة لحي هو العميق يغشاه موج من فوقه موج من فوقه
 صحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها أي لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام فهذا مثل قلب الكافر الجاهل
 البسيط المقلد الذي لا يعرف حال من يقوده ولا يدري أين يذهب بل كما يقال في المثل للجاهل أين تذهب قال معهم قيل فإلى أين
 يذهبون قال لأدري وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهم ما يغشاه موج الآية يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع
 والبصر وهي كقول ختم الله على قلوبهم وعلى (١٠٤) سمعهم وعلى ابصارهم الآية وكقوله أفأريت من اتخذ الهه

هو وأضله الله على علم وختم على
 سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
 الآية وقال أبي بن كعب في قوله
 تعالى ظلمات بعضها فوق بعض فهو
 يتقلب في خمسة من الظلم في كلامه
 ظلمة وعمه ظلمة ومدخله ظلمة
 ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة
 إلى الظلمات إلى التاروق قال السدي
 والربيع بن أنس نحو ذلك أيضا
 وقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا
 فخاله من نور أي من لم يهده الله فهو
 هالك جاهل حائر ياترك قوله
 من يضل الله فلا هادي له وهذا في
 بمثابة ما قال في مثل المؤمنين يهدي
 الله لنوره من يشاء فسأل الله
 العظيم أن يجعل في قلوبنا نورا
 وعن أيماننا نورا وعن شمائلنا نورا
 وان يعظم لنا نورا (ألم تر ان الله
 يسبح له من في السموات والارض
 والطير صافات كل قد علم صلاته
 وتسبيحه والله عليم بما يفعلون والله
 ملك السموات والارض والى الله
 المصير) يخبر تعالى أنه يسبح له من
 في السموات والارض أي من
 الملائكة والاناس والجان
 والحيوان حتى الجماد كما قال تعالى

حيث لم يكن على دينهما (قال) الاسرائيلي (ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا
 بالامس) قال ذلك لما سمع موسى يقول له انك اغوى مسين وراه يريد ان يطش بالقبطى
 ظن انه يريد ان يطش به فلما سمع القبطى ذلك أفشاه ولم يكن قد علم أحد من أصحاب
 فرعون ان موسى هو الذى قتل القبطى بالامس حتى أفشى عليه الاسرائيلي هكذا قال
 جمهور المفسرين وقيل ان القائل هو القبطى وكان قد بلغه الخبر من جهة الاسرائيلي
 وهذا هو الظاهر وقد سبق ذكر القبطى قبل هذا بلا فصل لانه هو المراد بقوله عدو لهما
 ولا موجب لخالفه الظاهر حتى يلزم منه ان المؤمن عوسى المستعيبه المرة الاولى والمره
 الاخرى هو الذى أفشى عليه وأيضا ان قوله (ان تريد أن تكون جبارا فى الارض)
 لا يلىق صدور مثله الامن كقروان هي النافية أى ما تريد قال الزجاج الجبار فى اللغة
 الذى يتعاطم ولا يتواضع لامر الله والقائل بغير حق جبار وقيل الجبار الذى يفعل ما يريد
 من الضرب والقتل ولا يتنظر فى العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقال عكرمة لا يكون
 الرجل جبارا حتى يقتل نفسين وهو بعيد ولادلالة فى الآية على ذلك والراجح هو الاول
 الموافق باللغة (وما تريد أن تكون من المصلحين) بين الناس فتدفع الخصام بالتي هي
 أحسن (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) قيل المراد بهذا الرجل حزقيل وهو مؤمن
 آل فرعون وكان ابن عم موسى وقيل اسمه شمعون وقيل طالوت وقيل سمعان والمراد
 بأقصى المدينة آخرها وأبعدها والمعنى يسرع فى مشيه وأخذ طريقا قريبا حتى سبق الى
 موسى وأخبره وأندبه جماع (قال ياموسى ان الملائكة أى أشرف قوم فرعون) يأترون
 بك ليقتلوك أى يتشاورون فى قتلنا ويتآمرون بسبيك وانما سمى التشاورا تارة لان
 كلام من المتشاورين يأمر الآخر ويأمر به قال الزجاج يأمر بعضهم بعضا بذلك وهذا
 أقرب باللفظ والمعنى قاله الحنفى وقال أبو عبيدة يتشاورون فيك قال الأزهرى
 اتفر القوم وتآمر أى أمر بعضهم بعضا ونظيره قوله تعالى واتمروا بينكم معروف
 (فاخرج) من المدينة (انى لك من الناصحين) فى الامر بالخروج واللام للبيان لان معمول
 الجور ولا يتقدم عليه (فخرج) موسى (منها) أى من المدينة (خائفا متقربا) أى حال كونه
 خائفا من الظالمين متقربا لحوقهم به وادراكهم له أو راجيا غوث الله اياه قولان للمفسرين
 وعن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينه وبينها عمان ليل ولم يكن له

طعام

تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن الآية

وقوله تعالى والطير صافات أى فى حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح الهممها وأرشد هاليه وهو يعلم ما هي فاعله ولهذا قال
 تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه أى كل قد أرشده الى طريقته ومسلكه فى عبادة الله عز وجل ثم أخبر انه عالم بجميع ذلك لا يخفى
 عليه من ذلك شئ ولهذا قال تعالى والله عليم بما يفعلون ثم أخبر تعالى ان له ملك السموات والارض فهو الحاكم المتصرف
 الاله المعبود الذى لا تنبغى العبادة الاله ولا معقب لحكمه والى الله المصير أى يوم القيامة فيحكمكم فيه بما يشاء ليجزى الذين

أسأوا عما عملوا الآية فهو الخالق المالك الإله الحكيم في الدنيا والأخرى وله الحمد في الأولى والآخرة (ألم تر أن الله يرحم عباده)
يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق ينخرج من خلالاه وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن
يشاء يكاد سنابرقه يذهب بالابصار يقرب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار) يذكركم تعالى انه يسوق السحاب بقدرته
أول ما ينشئها وهي ضعيفة وهو الازجاج ثم يؤلف بينه أى يجمعها بعد عدة فترقه ثم يجعله ركاما أى مترا كما أى يركب بعضه بعضا فترى
الودق أى المطر ينخرج من خلالة أى من خلاله وكذا قرأها ابن عباس (١٠٥) والضمالة قال عبيد بن عمير النبي يعث الله

المثيرة فتقم الارض قائم يعث الله
الناشئة فتنشئ السحاب ثم يعث
الله المؤلفة فتؤلف بينه ثم يعث الله
اللواقح فتلقيح السحاب رواه ابن
أبي حاتم وابن جرير رحمه الله
وقوله وينزل من السماء من جبال
فيها من برد قال بعض النحاة من
الأولى لا ابتداء الغاية والثانية
للتبويض والثالثة لبيان الجنس
وهذا انما يجي على قول من ذهب
من المفسرين الى ان قوله من
جبال فيها من برد معناه ان في
السماء جبال يري نزل الله منها البرد
وأما من جعل الجبال ههنا كناية
عن السحاب فان من الثانية عند
هذا الابتداء الغاية أيضا لكنها بدل
من الأولى والله أعلم وقوله تعالى
فيصيب به من يشاء ويصرفه عن
يشاء يحتمل بما ينزل من السماء من
نوعى المطر والبرد فيكون قوله
فيصيب به من يشاء رجة بهم
ويصرفه عن يشاء أى يؤخر عنهم
الغيث ويحتمل ان يكون المراد
بقوله فيصيب به أى بالبرد فتمه على
من يشاء لما فيه من نثر ثمارهم
وانلاف زروعهم وانجارهم

طعام الورد والشجر ونخرج حافيا فإنا وصل إليها حتى وقع خلف قدمه وعنه قال خرج
موسى خافا جانعا ليس معه زاد حتى انتهى الى ماء مدين وهو أول آية من آيات الله تعالى
لموسى ثم دعا به بان يجيبه عن خافه و (قال رب لجبني من القوم الظالمين) قوم فرعون أى
خلصني منهم وادفعهم عنى وحل بينى وبينهم واحفظنى من لحوقهم (ولما توجه) أى قصد
بوجهه (تلقاه مدين) أى نحوها ووجهتها فاصداها ما ضا إليها قال الزجاج أى سلك فى
الطريق التى تلقاه مدين فيها انتهى والتوجه الاقبال على الشيء ومدين قرية شعيب
يقال داره تلقاه دار فلان وأصله من اللقاء ولم تكن هذه القرية داخله تحت سلطان
فرعون ولهذا اخرج إليها ولكن لم يكن يعرف طريقها (قال عيسى ربي أن يهدينى سوا
السبيل) أى يرشدنى نحو الطريق المستوية الى مدين وهو من اضافة الصفة للموصوف
وكان لها ثلاث طرق فاخذ موسى الوسطى وجاء الطلاب فى أثره فساروا فى الاخرين
ذكرة أبو السعود (ولما ورد ماء مدين) أى وصل اليه وهو الماء الذى يستقون منه والمراد
بالماء هنا برفيها صرح به الخازن والحلى فهو من باب ذكر الحال وارادة المحل وانظروا الورد
قد يطلق على الدخول فى المورد وقد يطلق على البلوغ اليه وان لم يدخل فيه وهو المراد هنا
وقد تقدم تحقيق معنى الورد وقوله وان منكم الاواردها وقيل مدين اسم للقبيلة
للاقرية وهى غير منصرفة على كلال التقديرين (وجد عليه أمة) أى وجد على الماء جماعة
كثيرة لان التكبير للتكثير (من الناس) أى من أناس مختلفين (يسقون) مواشهم
(ووجد من دونهم) أى من دون الناس الذين يسقون مواشهم وبين الجهة التى جاء منها
وقيل معناه فى موضع أسفل منهم قاله أبو السعود وفى الخازن فى موضع بعيد منهم
(أمرأتين تزدودان) أى تحبسان أغنماهما من الماء حتى يفرغ الناس ويحلبوا بينهما وبين
الماء وهى قال ابن عباس وورد الذودع عنى الطرد أى تطردان وقيل تكفان الغنم عن
أن تختلط بأغنام الناس وقيل تمتعان أغنماهما عن أن تندوتذهب والاولى أولى لقوله
(قال) موسى للمرأتين (ما خطبكما) أى ما شأنكما لا تسقيان غنمكما مع الناس والخطب
الشأن قيل وانما يقال ما خطبك لمصاب أو مضطهد (١) أولن يأتي بذكر (قالتا) عادتنا
التأني (لأنسى حتى يصدر الرعاء) عن الماء ينصرفوا منه حذران مخالطتهم وعجزا عن
السقى معهم قرئ نسق بفتح النون وبضمها من أسقى وقرئ يصدر من أصدر ومن صدر

(١٤ - فتح البيان سبع) ويصرفه عن يشاء رجة بهم وقوله يكاد سنابرقه يذهب بالابصار أى يكاد ضو برفه
من شدته يحطف الابصار اذا تبعته وتراءته وقوله تعالى يقرب الله الليل والنهار أى يصرف فيه ما نياخذ من طول هذا فى قصر
هذا حتى يعتدلا ثم يأخذ من هذا فى طول الذى كان قصيرا ويقصر الذى كان طويلا والله هو المتصرف فى ذلك بأمره وقهره
وعزته وعلمه ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار أى للدلالة على عظمتة تعالى كما قال تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار آيات لى الذين يعقلون (١٤١-١٤٢) الباب وما بعدهما من الآيات الكريمات (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى

على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير) يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع الخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحرارتها وسكاتها من ماء واحد فمنهم من يمشى على بطنه كالحية وما شاكلها ومنهم من يمشى على رجلين كالإنسان والطير ومنهم من يمشى على أربع كالأنعام والحيوانات ولهذا قال يخلق الله ما يشاء أي بقدرته لانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولهذا قال ان الله على كل شيء قدير (لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) يقرر تعالى انه أنزل في هذا القرآن من (١٠٦) الحكم والحكم والأمثال البينة المحكمة كثير اجدوا انه يرشد الى

تفهمها وتعقلها أولى الالباب والبصائر والنهي ولهذا قال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم (و يقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم نتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مدعنين أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) يخبر تعالى عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يظنون يقولون قولا بالسننهم آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم نتولى فريق منهم من بعد ذلك أي يخالفون أقوالهم بأعمالهم فيقولون ما لا يفعلون ولهذا قال تعالى وما أولئك بالمؤمنين وفي الطبراني من حديث روح بن عطاء عن أبي ميمونة عن أبيه عن الحسن

يصدرا لزاما أي يرجعون مواشيهم والرعاء جمع راع على غير قياس لان فاعلا الوصف المعتل اللام كقاض قباسه فهـ له نحو قضاة ورماة خلافا للز مخذرى في أن جمعه على فعال قياس كصيام وقيام قاله الكرخي قرأ الجمهور الرعاء بكسر الراء وقرئ بفتحها قال أبو الفضل هو مصدر اقيم مقام الصفة فلذلك استوى فيه الواحد والجمع وقرئ الرعاء بالضم اسم جمع (وأبونا شيخ كبير) على السن وهذا من تمام كلامهما ابداهما للعدوى مباشرة السقي بأنفسهما أي لا يقدران بسقي ما شئته من الكبر فلذلك احتجنا ونحن امرأتان ضعيفتان مسـ تورتان لا تقدر على مزاجاة الرجال وعلى ان نسقي الغنم لعدم وجود رجل يقوم لئنا بذلك قيل أبوهما هو شعيب وقيل هو ثيرون بن أخي شعيب وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب والاول أولى وانما رضى شعيب لابنتيه بسقي المشابهة لان هذا الامر في نفسه ليس بمحظور والدين لا ياباه وأما المروءة فعادات الناس في ذلك متباينة وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصا اذا كانت الحالة حالة الضرورة فلما سمع موسى كلامهما رقى لهما وجههما (فسقى لهما) أي سقى أغنهما لاجلهم ما رغبه في المعروف واعانته للملهوف قال المحلى سقى من بثر أخرى لقر بهار فرفع حجر اعنهما لرفع الا عشرة أنفاس انتهى (ثم) لما فرغ من السقي لهما (تولى الى الظل) أي انصرف اليه مجلس فيمن شدة الحر وهو جاثع قيل كان هذا الظل ظل سمرة هنالك وهي شجرة من شجر الطلح وفيه دليل على جواز الاستراحة في الدنيا بخلاف ما يقوله بعض المتقشنة (فقال) أي ثم قال لما أصابه من الجهد والتعب مناديا لربه (رب انى لما أنزلت الى من خير) أي خير كان (فقير) أي محتاج الى ذلك واللام هي الى قال الاخفش يقال هو فقير له واليه قال ابن عباس لقد قال موسى رب الخ وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر الى شق تمره ولقد لصق بطنه بظهره من شدة الجوع وعنه قال ما سأل الا الطعام وعنه قال سألت فلانا من الخبز يشدها صلبه من الجوع ويحتمل ان يريد انى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت الى من خير الدين وهو التجارة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السننى وفرجا بالعوض الهبى وشكر الله الغنى وقال ابن عطاء نظرم من اليهودية الى الربوبية وتكلم بلسان الافتقار لما ورد على سر من الأنوار (فجاءته احدهما) في الكلام حذف يدل عليه السياق قال الزجاج تقديره فذهبنا الى

عن سمرة مرفوعا من دعى الى سلطان فلم يجب فهو ظالم لاحقه وقوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم الآية أي اذا طلبوا الى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه وهذه كقوله تعالى ألم ترالى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك الى قوله رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وقوله تعالى وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مدعنين أي واذا كانت الحكومة لهم لاعليهم جاؤا سامعين مطيعين وهو معنى قوله مدعنين واذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعا الى غير الحق وأحب ان يقام الى غير النبي صلى الله عليه وسلم

أيهما

ليخرج باطله ثم خاذعاه أو لالم يكن عن اعتقاد مننه ان ذلك هو الحق بل لانه موافق لهواه ولهذا لما خالف الحق قصده عدل عنه الى غيره ولهذا قال تعالى في قلوبهم مرض الآية يعني لا يخرج أمرهم عن ان يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شك في الدين أو يخافون ان يجور الله ورسوله عليهم في الحكم وأياما كان فهو كافر محض والله علم بكل منهم وما هو منطوق عليه من هذه الصفات وقوله تعالى بل أولئك هم الظالمون أي بل هم الظالمون الفاجرون والله ورسوله مبرران مما يظنون ويتوهمون من الخيف والجور تعالى الله ورسوله عن ذلك قال ابن أبي حاتم حدثنا (١٠٧) أبي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا

مبارك حدثنا الحسن قال كان الرجل اذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعى الى النبي صلى الله عليه وسلم علم الله سيقضى له بالحق واذا اراد ان يظلم فدعى الى النبي صلى الله عليه وسلم اعرض وقال انطلق الى فلان فانزل الله هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان بينه وبين أخيه شيء فدعى الى حكم من أحكام المسلمين فأبى ان يجيب فهو ظالم لاحق له وهذا حديث غريب وهو مرسل ثم أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ورسوله الذين لا يغيثون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله فقال تعالى انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا أي سماعاً وطاعةً ولهذا وصفهم تعالى بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من المهروب فقال تعالى وأولئك هم المنفلحون وقال قتادة في هذه الآية ان يقولوا سمعنا وأطعنا ذكرنا ان عبادة بن الصامت وكان عقباً بديراً أحد نصباء الانصار

أبيهما سريعتين وكانت عادتاهما الابطاء في السقي فحدثاهما بما كان من الرجل الذي سقى لهما قافراً الكبرى من بنتيه وهي صفورا وقيل صفراء وقيل أمر الصغرى وهي لباقيل صفراء ان تدعوه لغيره وذهباً ثم المفسرين الى انهما ابتنا شعيب وقيل هما ابتنا أخى شعيب وان شعيباً كان قد مات والازل أرح وهو ظاهراً القرآن (تمشى) كأنه (على استحياء) حالتي المشي والجيء لا عند الجي فقط وهذا دليل كمال ايمانها وشرف عنصرها لانها كانت تدعوه الى ضيافتها ولم تعلم أيحييها أم لا فأتته مستحياً قال عمر بن الخطاب جاءت مستترة بكم درعها على وجهها من الحياء والحياء والاستحياء بالمد الحشمة والانتفاض والزواء يتعدى بنفسه وبالخرف يقال استحييته واستحييت منه (قالت ان أي يدعوك) مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قالت له لما جاءته فقيل قالت الخ (ليجزيك أجر ما سقيت لنا) أي جزاء ما سقيت لنا فاجابها منسكراً في نفسه أخذ الاجرة وقيل اجاب لوجه الله وللتبرك بروية الشيخ لما سمع منهما ان أباهما شيخ كبير (فلما جاءه) أي جاء موسى شعيباً عن أبي حازم قال لما دخل موسى على شعيب اذا هو بالعشاء فقال له شعيب كل قال موسى أعوذ بالله قال ولم ألت بجائع قال بلى ولكن أخاف ان يكون هذا عروضا ما سقيت لهما وانما من أهل بيت لا يتبع شيئاً من عمل الآخرة عمل الارض ذهباً قال لا والله ولكنهما عادتي وعادة آباءي تقرى الضيف ونظم الطعام فجلس موسى فأكل (وقص عليه القصص) مصدر يسمى به المفعول أي المقصوص يعني أخبره بجميع ما اتفق له من عند قتله القبطى الى عند وصوله الى ما مدين وعن مالك بن أنس انه بلغه ان شعيباً هو الذي قص عليه القصص (قال) شعيب (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) أي فرعون وأصحابه لان فرعون لاسطان له على مدين وفيه دليل على جواز العمل بخبر الواحد ولو عبد أو اتى وعلى المشي مع الاجنبية مع ذلك الاحتياط والتورع والرازي في هذا الموضوع اشكالات باردة جدا لا تستحق ان تذكر في تفسير كلام الله عز وجل والجواب عليها يظهر للمقصر فضلا عن الكامل وأشرف ما جاء به ان موسى كيف أجاب الدعوة المعاملة بالجزاء لما فعله من السقي ويحجابه عنه بانه اتبع سنة الله في اجابة دعوة نبي من أنبياء الله ولم تكن تلك الاجابة لاجل أخذ الاجر على هذا العمل ولهذا ورد انه لما قدم اليه الطعام قال نا أهل بيت لا يتبع ديننا بل الارض ذهباً كما هو وفي الكشف ان

انه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية ألا أتيتك بما اذا عليك وبمذا لك قال بلى قال فان عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك وعليك ان تقيم لسانك بالعدل وان لا تنازع الامر أهله الا ان يأمروك بمعصية الله باحقا أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله وقال قتادة ذكر لنا ان أبا الدرداء قال لاسلام الاطاعة لله ولا خير الا في جماعة والنصيحة لله ورسوله والخليفة وللمؤمنين عامسة قال وذكرنا ان عمر بن الخطاب رضی الله عنه كان يقول عروة الاسلام شهادة أن لا اله الا الله واقام الصلاة واتيء الزكاة والطاعة لمن ولاة الله أمر المسلمين رواه ابن أبي حاتم والاحاديث والآثار

في وجوب الطاعة لكتاب الله وسنة رسوله وللخلفاء الراشدين والائمة اذا امروا بطاعة الله أكثر من أن يحصر في هذا المكان وقوله ومن يطع الله ورسوله قال قتادة يطع الله ورسوله فيما أمر به وترك ما نهى عنه ويخش الله فيما مضى من ذنوبه ويتقنه فيما يستقبل وقوله فأولئك هم الفاترون يعني الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شرف الدنيا والآخرة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما على عليه ما حل وعليكم ما حلتم وان تطيعوه (١٠٨) تهتموا وما على الرسول الا البلاغ المبين) يقول تعالى مخبراً عن

طلب الاجرة لشدة الفاقة غير منكر ويشهد بحجته لو شئت لاتخذت عليه اجرا (قالت احدهما) وهي التي جاءت (يا أبت استأجره) ليرعى لنا الغنم وفيه دليل على ان الاجارة كانت عندهم مشروعة وقد اتفق على جوازها ومشروعيتها جميع علماء الاسلام الا الاصم فانه عن سماع أدلتها أصم (ان خير من استأجرت القوى الامين) لتعليل لما وقع منها من الارشاد لابلها الى استئجار موسى أي انه حقيق باستئجاره له لكونه جامعاً بين خصايتي القوة والامانة ولم يقل نستأجر مع انه الظاهر لانه جعله لتحقيقه وتجربته من لا منزلة نامضى وعرف قبل وقد روى عن ابن عباس وعمران أباهما أسألهما عن وصفه له بالقوة والامانة فأجابته أما قوله فرفعهما الحجر ولا يطبقه الا عشرة رجال وأما أماته فقال امشي خفي وانعتى لي الطريق فاني أكره ان تصيب اريح ثيابك فتصلى جسدك فزاد ذلك رغبة فيه وعن ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شبيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا وأبو بكر في أمر عمر (قال اني أريد أن أنكح احدى ابنتي هاتين) الكبرى أو الصغرى وفيه مشروعية عرض ولى المرأة لها على الرجل وهذه سنة ناسية في الاسلام كما ثبت من عرض عمر لابنته حفصة على ابي بكر وعثمان والقصة معروفة وغير ذلك مما وقع في أيام الصحابة وأيام النبوة وكذلك ما وقع من عرض المرأة لنفسها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل زوجه الكبرى وقال الاكثرون انه تزوجه الصغرى منهما واسمها صفورا وهي التي ذهبت في طلب موسى وهاتين يدل على انه كان له غيرهما وقد قال الباقى ان له سبع بنات كما في التوراة وهذه مواعده منه ولم يكن ذلك عقد نكاح اذ لو كان عقد القال قد أنكحت (على ان تأجرني ثمانى حجج) جمع حجة وهي السنة قال الفراء يقول على ان تجعل ثوابي ان ترعى غنمي ثمانى سنين قال المبرد يقال أجزت دارى ومعلومى غير معدود ومعدود الاول أكثر والتزوج على رعى الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بأمر الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة (فان أتمت) ما استأجرتك عليه من الرعى (عشرا) من السنين (فن عندك) اي تفضلنا منك وتبرعنا الزامنا لى للوليس بواجب عليك جعل ما زاد على الثمانية الاعوام الى تمام عشرة أعوام موكول الى المروية اي فهمي من عندك والظاهر انه استدعا عقد بدالاجل الاول نظر الى شرعنا ويمكن كونه عقدا صححنا عندهم قاله الكرخي (وماريد أن أشق عليك) بالزمالك تمام العشرة

أهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول صلى الله عليه وسلم لئن أمرتهم بالخروج في الغزوة ليخرجن قال الله تعالى قل لا تقسموا أى لا تحلفوا وقوله طاعة معروفة قيل معناه طاعتكم طاعة معروفة أى قد علم طاعتكم انما هي قول لا فعل معهما وكما حلفتم كذبتهم كما قال تعالى يحلفون لكم لترضوا عنهم الآية وقال تعالى اتخذوا ايمانهم جنة الآية فهم من يحببهم الكذب حتى فيما يختارونه كما قال تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم ليخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لساكذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصروهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون وقيل المعنى في قوله طاعة معروفة أى اى يكن أمرهم طاعة معروفة أى بالمعروف من غير حلف ولا اقسام كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف فكروا ناسيا ان الله خير بما تعملون أى هو خير بكم وبين

يطيع عن بعضي فالخلف والاطهار الطاعة والباطن بخلافه وان راجع على الخلق فالخالق تعالى يهلم السر وأخفى الاعوام لا يروج عليه شئ من التدليس بل هو خبير بضمائر عباده وان أظهر واخلفها ثم قال تعالى قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أى اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله وقوله تعالى فان تولوا أى تتولوا عنه وتتركوا ما جاءكم به فانما عليه ما حل أى ابلاغ الرسالة وأداء الامانة وعليكم ما حلتم اى من قبول ذلك وتعظيمه والقيام بعقده وان تطيعوه تهتموا وذلك بانه يدعى الى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الآية وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين كقوله تعالى فانما عليك

البلاغ وعلينا الحساب وقوله فذ كر انما أنت مذ كر لست عليهم بمسيطر قال وهب بن منبه أوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل
 يقال له شعيب ان قم في بني اسرائيل فاني سأطلق لسائلك يوحى فقام فقال باسمه اسمعى ويا أرض انصتي فان الله يريد ان يقضى شأننا
 ويدبر أمرنا هو منفذنا انه يريد ان يحول الريف الى القلاة والأتجام في الغيطان والانهار في الصحارى والنقمة في النقره والملائك في
 الرعاة ويريد ان يبعث أميما من الاميين ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق لو يعر على السراج لي يطفئه من سكينته ولو عيى
 على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه (١) أبغنه بشيرا ونديرا (١٠٩) لا يقول الخنا يفتخ به اعينا نغميا واذنا سما

وقلو باغلفا واسدده بكل أمر جميل
 وأهب له كل خلق كريم وأجعل
 السكينة لباسه والبرشعاره
 والتقوى ضميره والحكمة منطقه
 والصدق والوفاء طبيعته والعفو
 والمعروف خلقه والحق شريعته
 والعدل سيرته والهدى امامه
 والاسلام ملته وأجد اسمه أهدي
 به بعد الضلالة وأعلم به من الجهالة
 وأرفع به بعد الجمالة وأعرف به
 النكرة وأكثر به بعد القلة
 وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد
 الفرقة وأولف به بين أمم متفرقة
 وقلوب مختلفة وأهواة متشتتة
 واستنقذه فثامنا من الناس عظيما
 من الهلكة وأجعل أمته خير أمة
 أخرجت للناس بأمر من بالمعروف
 وينهى عن المنكر موحدين
 مؤمنين مخلصين مصدقين بما جاءت
 به الرسل ورواه ابن أبي حاتم (وعد
 الله الذين آمنوا منكم وعملوا
 الصالحات ليستخلفنهم في الارض
 كما استخلف الذين من قبلهم وليكنن
 لهم دينهم الذي ارتضى لهم
 وليبدانهم من بعد خوفهم امنا
 يعبدونى لا يشركون بي شيئا ومن

الاعوام ولا بالمناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق
 اى شق ظنه نصفين فتارة يقول لا يطيق وتارة يقول لا يطيق ثم رغبه في قبول الاجارة فقال
 (ستجدنى ان شاء الله من الصالحين) في حسن العجبة ووظف المعاملة ولين الجانب والوفاء
 بالعهد وقيل أراد الصلاح على العموم فيدخل صلاح المعاملة في تلك الاجارة تحت
 الآية دخولا أوليا وقيد ذلك بالمشيئة فهو ايضا للامر الى توفيق الله ومعونه ولا تبرك به
 لا تعليق صلاحه بعشيته ته الى ثم لما فرغ شعيب من كلامه قرره موسى و (قال ذلك بيني
 وبينك) والاشارة الى ما عاقد اعليه (أيما الاجلين قضيت) شرطية وجوابها (فلا عدوان
 على) والمراد بالاجلين الثمانية الاعوام والعشرة الاعوام ومعنى قضيت وفيت به وأتمته
 وفرغت منه والاجلين مخفوض باضافة أى اليه ومازائدة أو ما مخفوضه باضافة أى اليها
 والاجلين بدل منها وقرأ ابن مسعود أى الاجلين ما قضيت والمعنى لا ظلم على بطلب الزيادة
 على ما قضيت من الاجلين اى كالأطال بالزيادة على الثمانية الاعوام لأطال بالنقصان
 عن العشرة وقيل المعنى كالأطال بالزيادة على العشرة الاعوام لأطال بالزيادة على
 الثمانية الاعوام وهذا أظهر واصل العدوان تجاوز الحد في غير ما يجب قال المبرد وقد علم
 موسى انه لا عدوان عليه في أتمهما ولكنه جمعهما ليحصل الاقل كالاتم في الوفاء وقرئ
 عدوان بضم العين وبكسر ها (والله على ما نقول) من هذه الشروط الجارية بيننا (وكيل)
 اى شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحدنا الى الخروج عن شئ من ذلك قيل هو من قول موسى
 وقيل من قول شعيب والاول اولى لوقوعه في حقه كلام موسى وتم العقد بذلك ولعل هذا
 كان في شرعهما والافهذه الصيغة لا تكفي عندنا في عقد النكاح لان الواقع من شعيب
 وعد بالانكاح والواقع من موسى ليس فيه مادة التزويج ولا الانكاح وايضا الصداق
 ليس راجعا للمنكوح بل لا يبرها هذا ما جرى عليه الحلي وقال غيره انها عقد اعدا
 بغير الصورة المذكورة هنا منها قال ابو السعود ليس ما حكى عنهما في الآية تمام ما جرى
 بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة واقاعهما بل هو بيان لما عزم
 عليه وانفق على ايقاعه حسب ما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان
 مواجب العقدين في تلك الشرية تفصيلا واخرج الطبراني وغيره عن عتبة السلمي
 قال كأند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ سورة طسم حتى اذا بلغ قصة موسى

كفر بعد ذلك فأرثت هم الفاسقون) هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بانه سيجعل أمته خلفاء الارض أى
 أئمة الناس والولاية عليهم ووجه تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدل لهم من بعد خوفهم من الناس امانا وحكافيتهم وقد فعله تبارك
 وتعالى وله الحمد والمنة فانه صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن
 بكملها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاذا هرقل ملك الروم وصاحب مصر واسكندرية وهو المقوقس
 وملوك عمان والتجاشى ملك الحبشة الذى تلك بعد أحيممة روجه الله وأكرمه ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له

ما عنده من الكرامة قام بالامر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلم يمت ما وهى بعد موته صلى الله عليه وسلم وأخذ جزير قاريا العرب ومهداها وبعث جيوش الاسلام الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد رضى الله عنه ففتحوا طرفا منها وقتلوا خلقا من أهلها وجيشا آخر صحبة أبي عبيدة رضى الله عنه ومن اتبعه من الامراء الى أرض الشام وثالثا صحبة عمر بن العاص رضى الله عنه الى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخايل فيهما من بلاد حران وما والاها وتوفاه الله عز وجل واختاره ما عنده من الكرامة ومن على أهل الاسلام بان أهلهم (١١٠) الصديق ان استخلف عمر الفاروق فتمام بالامر بعده قيا ما تاما

يدر الفلك بعد الانبياء على مثله في قوة سيرته وكال عدله وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكالها وديار مصر الى آخرها وأكثر اقليم فارس وكسر كسرى وأهان غاية الهوان وتقهقر الى أقصى ملكته وقصر قيصر وانزع يده عن بلاد الشام وانحدروا الى القسطنطينية وانفق أموالها في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعده رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه من به أتم سلام وأزكى صلاة ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الاسلامية الى أقصى مشارق الارض ومغاربها افتتحت بلاد المغرب الى أقصى ما هنالك الاندلس وقبرص وبلاد القيروان وبلاد سبتة وما يلي البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى وبأيد ملكه بالكلية وفتحت مدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتله عظيمة جدا وحذل الله ملكهم الاعظم خاقان وحيء بالخراج من المشارق والمغرب الى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وذلك ببركة تلاوته

قال ان موسى أجز نفسه ثمانى سنين أو عشر اعلى عفة فرجسه وطعام بطنه فلما وفى الاجل قيل يا رسول الله أى الاجلين قضى موسى قال أبرهما وأوفاهما فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته ان تسأل أباهما ان يعطيهما من غنمه ما يعيشون به فاعطاها ما ولدت غنمه الحديث بطوله وفيه مسلمة الدمشقي ضعفه الائمة (فلما قضى موسى الاجل) الذى هو اكلمهما وأوفاهما وهو العشرة الاعوام والفاء فصحة عن ابن عباس انه سئل أى الاجلين قضى موسى قال أكثرهما وأطيبهما ان رسول الله اذا قال فعل وصحبه الحاكم أقول فى قوله اذا قال رسول الله فعل نظرفان موسى لم يقل انه سيقضى أكثر الاجلين بل قال أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان موسى قضى اتم الاجلين من طرق اخرج الخطيب فى تاريخه عن ابى ذر قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا سئلت اى الاجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وان سئلت أى المرأتين تزوج فقل الصغرى منها وهى التى جاءت فقالت يا ابي استاجرته وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لى جبريل يا محمد ان سألت اليهود أى الاجلين قضى موسى فقل اوفاهما وان سألتك أىهم ما تزوج فقل الصغرى منها فروايات انه قضى اتم الاجلين لها طرق يقوى بعضها بعضا (ولما تاتم الاجل وذنابا يوم الزلفة وظهرت انوار النبوة (سار بأهله) زوجته باذن ابيها الى مصر ليشتري كوا معه فى لطف صنع ربه وقيل سار اصله رجه وزيارة امه واخيه وهذا اولى وفيه دليل على ان الرجل يذهب بأهله حيث شاء (آنس من جانب الطور) اى ابصر من الجهة التى تلى الطور (نارا) وذلك انه كان فى البرية فى ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته الطلاق وقد تقدم تفسير هذا فى سورة طه مستوفى قال ابن عباس لما قضى موسى الاجل سار بأهله فضل الطريق وكان فى الشتاء فرفعت له نار فلما رآها ظن انها نار وكانت من نور الله (قال لاهله امكشوا الى آنتس نار العلى آتيكم منها بخبر) اى لعلى اجد من يدلنى على الطريق فان لم اجد خيرا آتيكم بشهاب قيس وهو المراد بقوله (اوجدوة من النار) وهذا تقدم نفسه اى فى سورة طه وفى سور النمل وقرى جدوة بكسر الجيم وبضمها وبفتحها وهى لغات فى العود الذى فى رأسه نار هذا هو المشهور وقيد بعضهم فقال نار من غير لهب وقد ورد ما يقتضى وجود اللهب فيه قال الجوهرى الجدوة والجدوة والجدوة الحجر والجمع

ودراسته ووجه الامة على حفظ القرآن ولهذا ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله جنى زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيلع ملأتمى ما زوى لى منها فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصديق الله ورسوله فنسأل الله الايمان به وبرسوله والقيام بشركه على الوجه الذى يرضيه عنا قال الامام مسلم فى صحيحه حدثنا ابن أبى عمير حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال امر الناس ما ضيا ما ولهم اثنا عشر رجلا وتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكامة خفيت عنى فسألت أبى ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال قال كلهم من قريش وزواه البخاري من حديث شعبه عن عبد الملك بن عمير به وفي رواية لمسلم انه قال ذلك عشية رجم معاوية
 ابن مالسوذ كرمه احاديث آخر وفي هذا الحديث دلالة على انه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادل وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثني
 عشر فان كثير من اولئك لم يكن لهم من الامر شي فاما هؤلاء فانهم يكونون من قريش بلون فيعدلون وقد وقعت البشارة بهم في
 الكتب المتقدمة ثم لا يشترط ان يكونوا متتابعين بل يكون وجودهم في الامة متتابعاً ومتفرقاً وقد وجد منهم أربعة على الولاة وهم
 أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ثم كانت بعدهم فترة (١١١) ثم وجد منهم ماشاء الله ثم قد يوجد منهم من بقي

في الوقت الذي بعلمه الله تعالى ومنهم
 المهدي الذي اسمه يطابق اسم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته
 كنيته علاء الارض عدلاً وقسطاً
 كما ملئت جوراً وظلماً وقد روى
 الامام أحمد وأبو داود والترمذي
 والنسائي من حديث سعيد بن
 صهيمان عن سفينة مولى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال الخلافة
 بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً
 عضواً وقال الربيع بن أنس
 عن أبي العباس في قوله وعد الله
 الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
 ليستخلفنهم في الارض كما استخلف
 الذين من قبلهم ولينصرونهم
 الذين ارتضى لهم وليبدلهم من
 بعد خوفهم امنا الآية قال كان
 النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
بصكة نحووا من عشر سنين
 يدعون الى الله وحده والى عبادته
 وحده لا شريك له سرا وهم خائفون
 لا يؤمرون بالقتال حتى أمر وابتعد
 بالهجرة الى المدينة فقدموها
 فأمرهم الله بالقتال فكانوا بها
 خائفين يمسون في السلاح

جذى وجذى وجذى قال مجاهد ان الجذوة قطعة من الحجر في لغة العرب وقال أبو عبيدة
 هي القطعة الغليظة من الخشب كأن في طرفها ناراً ولم تكن وليس المراد هنا الاما في رأسه
 ناراً قاله السمين (عللكم تصطلون) من البرد أي تستدفئون بالنار (فلما أتاها) أي النار
 التي ابصرها وقيل اتي الشجرة والاول أولى لعدم الذكر للشجرة (نودي من) لابتداء
 الغاية (شاطئ الواد العين) صفة للشاطئ والوادى وهو من العين وهو البركة ارض من جهة
 العين المقابل لليسار بالنسبة الى موسى اي الذي يلي يمينه دون يساره وشاطئ الوادى
 طرفه وحاقيقه وكذا الشط والساحل كلها بمعنى قال الراغب وجع الشاطئ
 اشطاء قال ابن عباس كان النداء من السماء الدنيا وظاهر القرآن يخالف ما قاله رضي الله
 تعالى عنه (في البقرة) متعلق بنودي او يمحذوف على انه حال من الشاطئ (المباركة)
 بتكليم الله تعالى فيها (من الشجرة) بدل اشتمال من شاطئ الوادى لان الشجرة كانت نابتة
 على الشاطئ وقال الجوهري شاطئ الاودية ولا يجمع قرأ الجهور البقرة بضم الباء وقرئ
 بفتحها وهي لغة حكاها ابو زيد عن ابن مسعود قال ذكرت لي الشجرة التي أوى اليها موسى
 فسرت اليها يوي وليتي حتى صحبتها فاذا هي سمرة خضر اعترف فصليت على النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم وسلمت فأهوى اليها بعيري وهو جائع فاخذ منها ملائ فيه فلا كف ولم يستطع
 ان يسبغه فلنظف فصليت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسات ثم انصرف فاحرجه عبد
 ابن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وقيل الشجرة العناب أو العوسج وقيل
 كانت من العليق (ان يا موسى اتي أنا الله رب العالمين) ان هي المفسرة وهي الخففة من
 النقلة واسمها ضمير الشأن وجلة النداء مفسرة له والاول أولى قرئ اتي بكسر الهمزة
 على اضمار القول أو على تضمين النداء معناه والفتح قراءة ضعيفة قال جعفر أبصر ناراً
 دلته على الانوار لانه رأى النور في هيئة النار فلما دنا منها شامت انوار القدس واحاطت
 به جلايب الانس فخطب بالطف خطاب واستدعى منه أحسن جواب فصار بذلك
 مكلاماً شريفاً أعطى ماسأل وأمن مما خاف قبيل ان موسى لما رأى النار في الشجرة
 انخضرا علم انه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة الشجرة الا الله فعلم بذلك ان المتكلم
 هو الله تعالى وقيل ان الله خلق في نفس موسى علماً ضرورياً بان المتكلم هو الله وان ذلك
 الكلام كلام الله وذهب جماعة من المتكلمين منهم الغزالي الى انه سمع كلامه الازلي

ويصحبون في السلاح فعبر بذلك ماشاء الله ثم ان رجلاً من أصحابه قال يا رسول الله أبا الدهر نحن خائفون هكذا أما يأتي علينا يوم
 نأمن فيه ونضع السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تصبروا الا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبياً
 ليس فيه حديدية وأنزل الله تعالى هذه الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة العرب فآمنوا ووضعوا السلاح ثم ان الله تعالى قبض نبيه
 صلى الله عليه وسلم فكانوا كذلك آمنين في امارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فأدخل عليهم الخوف فاتخذوا
 الحجة والشرط وغير وافعيرهم وقال بعض السلف خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم احق في كتاب الله ثم تلا هذه الآية وقال

البرامبن عازب نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى واذكروا انتم قليل مستضعفون في الارض الى قوله لعليكم تشكرون وقوله تعالى كما استخلف الذين من قبلهم كما قال تعالى عن موسى عليه السلام انه قال لقومه عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض الآية وقال تعالى وزيدان عن علي الذين استضعفوا في الارض الايتين وقوله وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم الآية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم حين وفد عليه أن تعرف الحيرة قال لم أعرفها ولكن قد سمعت بها قال (١١٢) فوالذي نفسي بيده ليعتق الله هذا الامر حتى يخرج الظعينة من الحيرة

حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز قلت كسرى بن هرمز قال نعم كسرى بن هرمز وابيدان المال حتى لا يقبله أحد قال عدى ابن حاتم فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد ولقد كنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز والذي نفسي بيده لتكون الثالثة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قالها وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن أبي سلمة عن الربيع بن أنس عن أبي العالبة عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنا والرفعة والدين والنصر والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدين لم يكن له في الآخرة نصيب وقوله تعالى يعبدوني لا يشركون بي شيئا قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن أنس ان معاذ بن جبل حدثه قال بينما نأرديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ليس بيني وبينه الآخرة الرحل قال يا معاذ

النفسي بلا صوت ولا حرف ولا دليل عليه وقيل غير ذلك مما لا فائدة في ذكره وقال في سورة طه اني أنار بك وقال في النمل نودي ان بورك من في النار ومن حولها وهم ما يخالفان لها هنا من حيث اللفظ الا ان الجميع متوافق في المقصود وهو فتح باب الاستنباط وسوق الكلام على وجه يؤدي اليه قال الامام لا منافاة بين هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل الا انه حكى في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء انتهى (وان ألقى عصاك) وقد تقدم تفسير هذا وما بعده في طه والنمل وفي الكلام حذف أي فالقها فاصارت ثعبانا فاهتزت (فلم اراها تهتز) أي تتحرك (كانت اجان) في سرعة حركتها مع عظم جسمها (ولي مدبرا) أي هاربا منها (ولم يعقب) أي لم يرجع فنودي (يا موسى اقبل ولا تخف انك من الائمة) من أن ينالك مكروه من الحية وقد تقدم تفسير جميع ما ذكرهنا من وفي فلا نعيده وكذلك قوله (اسلك يدك في جيبك) والاسلك بالفتح والسالك كل منهما مصدر لسلك الشيء في الشيء أن ينفذه فيه فانه من باب قعد ونصر (مخرج يضامن غير سوء) فادخلها فخرحت ولها اشعاع كضوء الشمس من غير برص (واضمم اليك جناحك) جناح الانسان عضده ويقال لليد كلها جناح أي اضمم اليك اليد المبسوطين لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع وقد عبر به ذا المعنى بثلاث عبارات الاولى اسلك يدك في جيبك والثانية وضمم اليك جناحك والثالثة وأدخل يدك في جيبك قال الزمخشري جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضوعين مضموما وفي الآخر مضموما اليه فالمراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالجناح المضموم اليه اليد اليسرى وكل واحد من معنى اليدين وبسرها جناح ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبيت عند انقلاب العصا ثعبانا وقيل كل خائف بعدموسى اذا وضع يده على صدره زال خوفه قال الفراء أراد بالجناح عصاه (من الرهب) أي من أجل الخوف ترى بفتح الراء والهواء وباسكان الهاء وبضم الراء واسكان الهاء وقال بعض أهل المعاني الرهب الكرم بلغة جبر وبن حنيفة وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول لا آخر اعطني ما في رهيبك فساأته عن الرهب فقال الكرم فعلى هذا يكون معناها اضمم اليك يدك وأخرجها من الكرم (قد أنك) إشارة الى العصا واليد قرئ بتخفيف النون قيل والتشديد لغة قرئ بش وقرئ بياء تحتية بعد نون مكسورة وهي لغة هذيل وقيل لغة تميم (برهانان) أي سجتان نيران ودليلان وانحضان وآياتان يثبتان وسميت الحجارة برهانانا

قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال هل تدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم قال حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا قال ثم سار ساعة ثم قال يا معاذ بن جبل قلت لبيك يا رسول الله وسعديك قال فهل تدري ما حق الله على العباد على الله اذا فعلوا ذلك قال قلت الله ورسوله أعلم قال فان حق العباد على الله ان لا يعذبهم اخرجاه في الصحابين من حديث قتادة وقوله تعالى ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أي من خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد خرج عن أمر ربه وكفى بذلك ذنبا عظيما فالعبادة رضيت الله عنهم

لانارتها

لما كانوا أقوم الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأوامر الله عز وجل وأطوعهم لله وكان نصرهم بحسبهم أظهر وأكلمة الله في
المشارك والمغارب وأيديهم تأييداً عظيماً وحكموا في سائر العباد والبلاد ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم
بحسبهم ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق
لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة وفي رواية حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وفي رواية حتى يقاتلون الدجال وفي
رواية حتى ينزل عيسى بن مريم وهم ظاهرون وكل هذه الروايات (١١٣) صحيحة ولا تعارض بينها (وأقيموا الصلاة

وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول
لعلمكم ترجون لتحسين الذين
كفروا معجزين في الأرض
ومأواهم النار ولبئس المصير)
يقول تعالى أمر أعباده المؤمنين
بإقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده
لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي
الإحسان إلى المخلوقين ضعفائهم
وقصرائهم وان يكونوا في ذلك
مطيعين للرسول صلى الله عليه وسلم
أي سالكين وراءه فيما به أمرهم
وترك ما عندهم لعل الله يرحمهم
بذلك ولا شك ان من فعل هذا ان
الله سيرجعه كما قال تعالى في الآية
الأخرى أولئك سيرجهم الله وقوله
تعالى لا تحسبن أي لا تظن يا محمد
ان الذين كفروا أي خالفوك
وكذبوك معجزين في الأوص أي
لا يعجزون الله بل الله قادر عليهم
وسعديهم على ذلك أشد العذاب
ولهذا قال تعالى ومأواهم أي في
الدار الآخرة النار ولبئس المصير
أي بئس المال ما آل الكافرين
وبئس القرار وبئس المهاد (يا أيها
الذين آمنوا ليس تأذنكم الذين
ملكتم أيانكم والذين لم يبلغوا

لأنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهونة (من ريك) أي كأن من الله تعالى مرسلان
او واصلان (الى فرعون وملكه انهم كانوا قوما فاسقين) متجاوزين الحد في الظلم
خارجين عن الطاعة أبلغ خروج والجملة تعليل لما قبلها ولما سمع موسى قول الله سبحانه
هـذا طلب منه سبحانه ان يقوى قلبه (قال رب انى قتلت منهم نفساً) يعنى القبطى
الذى وكزه ففضى عليه (فأحاف أن يقتلون) بها (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا)
أي كلاما لانه كان فى لسان موسى حبة من وضع الجرفى فيه كما تقدم بيانه والنصاحة لغة
الخلوص يقال فصح اللبن وأفصح فهو أفصح أى خلص من الرغوة ومنه فصح الرجل
جادت لغته وأفصح تكلم بالعربية وقيل الفصح الذى ينطق والاعم الذى لا ينطق وأما
فى اصطلاح أهل البيان فصاحة الكلمة خلوصها عن تنافر الحروف والغرابة ومخالفة
القياس وفصاحة الكلام خلوصه من ضعف التأليف والتعقيد (فأرسله معى رداً) النصب
على الحال أى عونا والرده المعين من أردأه اذا أعنته يقال فلان رده فلان اذا كان
ينصره ويشد ظهوره وقيل من قولهم اردى على المائة اذا زاد عليها فكان المعنى أرسله
معى زيادة فى تصديق (يصدقنى) بالرفع على الاستئناف وبالجزم على جواب الامر
وقرأ أبى يصدقنى أى فرعون وملؤه وقال ابن عباس كى يصدقنى أى هرون ومعنى
تصديقه موسى اعانته اياه بزيادة البيان فى مظان الجدال وتقرير الحجج بتوضيحها وترتيب
الشبهة وتلخيص الدلائل بلسانه والجواب عن شبهات الكفار بيانه لثبت دعواه لان
يقول له صدقت الأثرى الى قوله هو أفصح منى وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لتقرير
البرهان لا لقوله صدقت فصحبان وياقل فيه يستويان وهذا هو الجارى مجرى التصديق
كما يصدق القول بالبرهان (انى أخاف أن يكذبون) اذا لم يكن معى هرون لعدم انطلاق
لسانى بالمحاجة (قال سنشد عضدك بأخيك) هرون وكان اذا ذاك بمصر أى تقويه به فان
قوة الشخص بشدة البدع على مزاوله الامور ولذلك يعبر عنه بالبدوع عن شدتها بشدة العضد
فهو مجاز مرسل على طريق اطلاق السبب واردة المسبب بمرتبين فان شدة العضد
سبب مستلزم لشدة البدو شدة الدم مستلزمة لقوة الشخص فى المرتبة الثانية قال الشهاب
الشدة التقوية فهو اما كتابة تلويحية عن تقويته لان اليد تشد بشدة العضد والجملة تشد
بشد البد ولا مانع من الحقيقة كما توهموا واستعارة تمثيلية شبه حال موسى فى تقويه بأخيه

(١٥ - فتح البيان سابع) الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة
العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك بين الله لكم الآيات
والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك بين الله لكم آياته والله عليم حكيم
والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعفن خير لهن
والله سميع عليم) هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الاقارب بعضهم على بعض وما تقدم فى أول السورة فهو استئذان

الاجانب بعضهم على بعض فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيانهم وأطفالهم الذين لم يباغوا الحلم منهم في ثلاثة أحوال الأولى من قبل صلاة الغداة لان الناس اذ ذلك يكونون نياما في فرشهم وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة أي في وقت القبولة لان الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله ومن بعد صلاة العشاء لانه وقت النوم فيؤمر بالخدم والاطفال ان لا يهجموا على أهل البيت في هذه الاحوال لما يخشى من ان يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الاعمال ولهذا قال ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن (١١٤) أي اذا دخلوا في حال غير هذه الاحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم اياهم

ولا عليهم ان رأوا شيئا من غير تلك الاحوال لانه قد آذن لهم في الهجوم ولا نهم طوافون عليكم أي في الخدمة وغير ذلك ويعتقروني الطوافين ما لا يعتقروني غيرهم ولهذا روى الامام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الهرة انها ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم أو الطوافات ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشئ وكان عمل الناس بها قليلا جدا أنكر عبد الله ابن عباس ذلك على الناس كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن يأبها الذين آمنوا يستأذنكم الذين ملكت أيما نكمت الى آخر الآية والآية التي في سورة النساء اذا حضر القسمة أو في القرني الآية والآية التي في الحجرات ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفي لفظ له أيضا من حديث اسمعيل بن مسلم وهو ضعيف عن عمرو بن دينار عن عطاء

بجال اليد في تقوى بها بالعضد ويقال في دعائه الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله عضدك قرأ الجهور عضدك بفتح العين وضم الصاد وقرئ بضمها وسكون الصاد وبقصهما (وتجعل لك اسلطانا) أي حجة وبرهاناً أو تسلطا وعلبة وهيبة في قلوب الاعداء (فلا يصلون اليك) بالاذى والسوء ولا يقدرن على غلبتك بالحجة (يا آياتنا) أي تمنعان منهم يا آياتنا وأذهب يا آياتنا وقيل الباء القسم وجوابه فلا يصلون وما أضعف هذا القول وقال الأخفش وابن جرير في الكلام تقديم وتأخير أي أنتما ومن أتبعك الغالبون يا آياتنا وأولى هذه الوجوه وأولها في قوله (أنتما ومن أتبعك الغالبون) تبشير لهم وتقوية لقلوبهما (فما جاءهم موسى بآيات بينات) واضحات الدلالة وقد تقدم وجه اطلاق الآيات وهي جمع على العساو والبدى في سورة طه وهو أن في كل منها آيات عديدة (فالواما هذا الاسعر مفترى) أي محتلق مكذوب اختلقته من قبل نفسك ثم افترته على الله أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس عجزه من عند الله وسحر لم يفعل قبل هذا الوقت مثله (وما سمعنا بهذا) الذي جئت به من دعوى النبوة أو ما سمعنا بهذا السحر (في آياتنا الأولى) أي كائنا أو واقعا فهم (وقال موسى ربى أعلم من جاء بالهدى من عنده) يريد نفسه وانما جاء بهذه العبارة لتلايصرح لهم بما يريد قبل أن يوضح لهم الحجة والله أعلم قرئ وقال بالواو وبغيرها وكذلك هو في مصاحف أهل مكة (ومن تكون له عاقبة الدار) بالفوقية وهي أوضح من قراءتها بالتحسية على ان اسم يكون عاقبة الدار والتسديد كبر لو وقوع الفصل ولانه تأنيث مجازي والمراد بالدار هنا الدنيا وعاقبتها هي الجنة وانما كانت عاقبة لها لان الدنيا خلقت مجازا وطريقا لها أو المراد بالدار الدار الآخرة الصادقة على الجنة والنار والاضافة بمعنى في والمعنى ومن تكون له العاقبة المحودة في الدار الآخرة (انه لا يفلح الظالمون) أي ان الشأن انهم لا يفوزون بطلب خير (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري) تمسك اللعين بعجزه الدعوى الباطلة مغالطة لقومه منه وقد كان يعلم ان ربه الله عز وجل والظاهر انه لا يريد الهية نفسه كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما فان العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى على أحد فالشك في ذلك يقتضى زوال العقل بالكلية فالخذول لعنه الله كانه يظن ان الافلاك والكواكب كافية في اختلاف احوال هذا العالم السفلي فلا حاجة الى اثبات صانع قال القاضي نبي عليه باله غيره دون وجوده

ابن أبي رباح عن ابن عباس قال غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات فلم يعملوا بهن يأبها الذين آمنوا يستأذنكم الذين ملكت أيما نكمت الى آخر الآية وروى أبو داود حدثنا ابن الصباح بن سفيان وابن عبد قوه هذا حديثه أخبرنا سفيان بن عبيد الله ابن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول لم يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن وانى لا أمر جاريتي هذه نستأذن على قال أبو داود وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس بأمر به وقال الثوري عن موسى بن أبي عائشة سألت الشعبي ليستأذنكم الذين ملكت أيما نكمت قال لم تنسخ قلت فان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا ابن وهب أخبرنا سليمان بن

بطلان عن عمرو بن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلين سالا عن الاستئذان في ثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن فقال ابن عباس ان الله يستريح الستر كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجاب في بيوتهم فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيم في حجره وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذوا في تلك العورات التي سمى الله بها بعد الاستور فبسط الله عليهم الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجاب فرأى الناس ان ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمر به وهذا السناد صحيح الى ابن عباس ورواه أبو داود عن القعنبى عن الدراوردى عن عمرو بن أبي عمرو وقال (١١٥) السدى كان أناس من الصحابة رضى الله عنهم

يجبون ان يواقعوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا الى الصلاة فأمرهم الله ان يأمروا المملوكين والعلمان أن لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات الا باذن وقال مقاتل بن حيان بلغنا والله أعلم ان رجلا من الأنصار وامرأته اسماء بنت مرشدة صنعنا النبي صلى الله عليه وسلم طعاما فجعل الناس يدخلون بغير اذن فقات اسماء يا رسول الله ما أقيح هذا انه ليدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامها بغير اذن فأنزل الله في ذلك يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الى آخرها ومما يدل على انها محكمة لم تنسخ قوله كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ثم قال تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذوا كما استأذن الذين من قبلهم يعنى اذا بلغ الاطفال منكم الحلم الذين انما كانوا يستأذنون في العورات الثلاث فاذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذوا على كل حال يعنى بالنسبة الى أجانبتهم والى الاحوال التي يكون الرجل على

اذ لم يكن عنده ما يقتضى الحزم بعدهم ولذلك أمر ببناء الصرح قلت هو رد على الرمحشري في قوله ان المقصود بنى العلم بالا له نفي وجوده ويمكن التوجيه بان يقال الوجود وجودان وجود ذهني ووجود خارجي والمراد في كلامه الاول ولاشك انه اذا اتقى علم الانسان بشيء اتقى وجوده في ذهنه ولكن ربما كان هذا غير مراد للزمخشري لان الظاهر من كلامه الوجود الشائع عند أهل اللغة وهو الخارجي قال سراج الدين غرض صاحب الكشاف ان عدم الوجود بسبب لعدم العلم بالوجود في الجملة ولاشك انه كذلك فاطلق المسبب وأريد السبب لان بينهما لازمة كلية على انه لما كان من أقوى أسباب عدم العلم لانه المطرد جاز أن يطلق ويراد به الوجود اذ لا يشترط عند علماء هذا الفن لزوم العقلي بل العادي والعرفي كاف أيضا وقد يقول أحد منا لا أعلم ذلك أى لو كان موجودا لعلمته اذا قامت قرينة وهذا استعمال شائع في عرف العرب والعجم عند العامة والخاصة كيف وكان المخدول يدعى الالهية فالظاهر انه من الكفاية لامن الجواز والمصنف انما ذكر معلومية اتقاء العلم لاتقاء الوجود ليسين ان اتقاء العلم من روادف اتقاء الوجود انتهى قال الشوكاني وهو الذي خطر ببالى انه الجواب لكنه عارض ذلك الخاطرا اشكالات لا يتسع لها المقام انتهى وقد أشار أبو السعود في تفسيره الى الجواب عن هذا الاشكال فقال وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقيق معلوماتها فيلزم من اتقائها اتقاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الاتقالية انتهى وقد وافق على هذا القاضي ولاح لك عن هذا جوابان الاول انه ذكر نفي العلم وأراد نفي المعلوم بطريق الكفاية على الوجه الذي ذكره السراج الثاني تخصيص العلم بالفعل لا الاتقالي كما ذكره أبو السعود والبيضاوى والثالث ان يراد بالوجود الوجود في ذهن المتكلم تلك الكلمة وفي كل جواب من هذه الاجوبة كلام لا يلتبس على العالم بالفن قال الخفاجي وعلى كل حال فكلام القاضي لا يخلو عن ضعف والذي غر فيه كلام صاحب الاتصاف انتهى قال ابن عباس لما قال فرعون هذا القول قال جبريل يارب طغي عبدك فأذن لي في هلكة فقال يا جبريل بل هو عبدى وان يسبقنى له أجل يجي ذلك الاجل فلما قال انار بكم الاعلى قال الله يا جبريل سبقت دعوتك في عبدى وقد جاء وان هلاكه وأخرج ابن مردويه عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلتان قالهما فرعون ما علمت لكم من اله غيرى وقوله انار بكم الاعلى قال

امرأته وان لم يكن في الاحوال الثلاث قال الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير اذا كان الغلام رباعيا فانه يستأذن في العورات الثلاث على أبويه فاذا بلغ الحلم فليستأذن على كل حال وهكذا قال سعيد بن جبير وقال في قوله كما استأذن الذين من قبلهم يعنى كما استأذن الكفار من ولد الرجل وأقاربه وقوله والقواعد من النساء قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والضحاك وقتادة هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويتسنن من الولد اللاتي لا يرجون نكاحا أى لم يبق لهن تشوف الى التزوج فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة أى ليس عليهن من الحرج في التستر كما هي غيرهن من النساء فقال أبو داود حدثنا أحمد بن محمد المرزوى حدثني علي بن

الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن الآية واستثنى من ذلك القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا الآية قال ابن مسعود في قوله فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن قال الجلباب أو الرداء وكذا روى عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبيرة وأبي الشعثاء وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والزهري والأوزاعي وغيرهم وقال أبو صالح نضع الجلباب وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والجمار وقال سعيد بن جبيرة وغيره في قراءة عبد الله بن مسعود ان يضعن من (١١٦) ثيابهن وهو الجلباب من فوق الجمار فلا بأس ان يضعن عند غريب

أو غيره بعد أن يكون عليها خمار صفيق وقال سعيد بن جبيرة في الآية غير متبرجات بزينة يقول لا يتبرجن بوضع الجلباب ليري ما عليهن من الزينة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبد الله حدثنا ابن المبارك حدثني سوار بن ميمون حدثتنا طلحة بنت عاصم عن أم الضياء انها قالت دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت يا أم المؤمنين ما تقولين في الجلباب والنقاض والصباع والقرطين والخنخال وخاتم الذهب وثياب رفاق فقالت يا معشر النساء فستكن كلها واحدة أحل الله لكن الزينة غير متبرجات أي لايجل لكن أن يروا منكن محرما وقال السدي كان شريك يقول له مسلم وكان موليا لامرأة حذيفة بن اليمان فجاه يوم الى السوق وأثر الخناء في يده فساءت له عن ذلك فأخبرني انه خضب رأس مولاته وهي امرأة حذيفة فأنكرت ذلك فقال ان شئت أدخلتك عليها فقلت نعم فأدخلني عليها فاذا هي امرأة جليلة فقلت لها ان مسلما حدثني

كان بينهما أربعون عاما فما أخذ الله نكاح الآخرة والاولى ثم رجع الى تكبيره وتجبيره وإيهام قومه بكمال اقتداره فقال (فأوقد لي يا هامان على الطين) أي اطبخ لي الطين حتى يصير آجرا أي بعد اتخاذها لنا عن قتادة قال بلغني ان فرعون أول من طبخ الآجر وبنى به وعن ابن جريج نحوه والنداء ياتي في وسط الكلام دليل التعظيم والتعجب (فاجعل لي) من هذا الطين الذي توقد عليه حتى يصير آجرا (اصرحا) أي قصر اعاليا وقيل منارة روى ان هامان بنى صرحا يبلغه بناء أحد من الخلق وأراد الله أن يفتنهم فيه فضرب الصرح جبريل بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقت قطع على عسكر فرعون وقطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله الا هلك (لعلني اطالع الى اله موسى) أي اصعد اليه وانظر وأقف على حاله كأنه توهم انه لو كان هناك الله كان جسمه في السماء يمكن الرقي اليه والاطلاع الصعود والاطلاع والاطلاع واحد يقال طلع الجبل واطلع أي صعد (واني) لاطنه أي موسى (من الكاذبين) في دعواهم ان الارض والخلق الها سواه وانه أرسله (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق) المراد بها أرض مصر والاستكبار التعظيم بغير استحقاق بل بالعدوان لانهم تمكن له حجة يدفع بها ما جاء به موسى ولا شبهة ينصبها في مقابلة ما أظهره من المعجزات (وظنوا) أي فرعون وجنوده (انهم بينا لا يرجعون) قرئ مبنيا للمفعول وللفاعل والمراد بالرجوع البعث والمعاد (فأخذناه وجنوده) بعد أن عتوا في الكفر وجاوزوا الحد فيه (فشدناهم في اليم) أي طرختهم في البحر المالح وهو القلزم وفي هذا تنخيم وتعظيم لشدان الاخذوا استحقاقا لما خوذوا كأنه اخذهم مع كثرتهم في كنف وطرحهم في اليم وقد تقدم بيان الكلام في هذا (فانظر) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (كيف كان عاقبة الظالمين) حين صاروا الى الهلاك (وجعلناهم آئمة يبدعون الى النار) أي صيرناهم رؤساء مستبوعين في الكافرين فكانهم باصرارهم على الكفر والتعدي فيه ودعائهم الى الشرك يدعون اتباعهم الى النار لانهم اقتدوا بهم وسلكوا طريقهم تقليدا لهم وفيه دليل على خلق افعال العباد وقيل المعنى انه يأتيهم أي يعتبر بهم من جاء بعدهم ويتعظبا صيوبا وهو الاول اولى (ويوم القيامة لا ينصرون) أي لا ينصرهم أحد ولا ينعينهم مانع من عذاب الله (وأنبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي طردوا وابعادوا وأمرنا العباد بلعنهم فكل من ذكرهم لعنهم والاول اولى وفي أبي السعود أي لا تزال تلعنهم

الملائكة

انه خضب رأسك فقالت نعم يا بني اني من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحا وقد قال الله تعالى في ذلك

ما سمعت وقوله وان يستعففن خير لهن أي وترك وضعهن لثيابهن وان كان جائزا خير وأفضل لهن والله سبحانه يعلم ليس على الاعمي حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت اخوانكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت عماتكم أو بيوت اخواتكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتيحه أو صدقكم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جعلا أو أئمتنا فاذا دخلتم بيوتا فاسألوا على أنفسكم تحية من

عند الله مباركة طيبة كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) اختلف المفسرون رجمهم الله في المعنى الذي رفع لاجله الخرج عن الاعمى والاعرج والمريض ههنا فقال عطاه الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقال انها نزلت في الجهاد وجعلوا هذه الآية ههنا كالتى في سورة الفتح وتلك في الجهاد لا محالة أى انهم لا اثم عليهم فى ترك الجهاد لضعفهم وبجزهم وكما قال تعالى فى سورة براءة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أولئك لحملهم قات لا اجد (117) ما احلكم عليه الى قوله ان لا يجدوا

ما ينفقون وقيل المراد ههنا انهم كانوا يتخرجون من الاكل مع الاعمى لانه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات فربما سبقه غيره الى ذلك ولا مع الاعرج لانه لا يتمكن من الجلوس فيفتات عليه جلسه والمريض لا يستوفى من الطعام كغيره فكروا ان يؤاكلوهم لئلا يظلموهم فانزل الله هذه الآية رخصة فى ذلك وهذا قول سعيد بن جبير ومقسم وقال الضحاك كانوا قبل المبعث يتخرجون من الاكل مع هؤلاء تقذرا وتعززا ولئلا يتفلا عليهم فانزل الله هذه الآية وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ابن ابي نجيح عن مجاهد فى قوله تعالى ليس على الاعمى حرج الآية قال كان الرجل يذهب بالاعمى أو بالاعرج أو بالمريض الى بيت ابيه أو اخيه أو بيت اخنته أو بيت عمته أو بيت خالته فكان الزمنى يتخرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فترلت هذه الآية رخصة لهم وقال السدى كان الرجل يدخل بيت ابيه أو اخيه أو ابنة فتخفه المرأة بشئ

الملائكة والمؤمنون خلفا عن سلف (ويوم القيامة هم من المقبوحين) المبعدين والمقبوح المطرود المعد وقال أبو عبيدة وابن كيسان معناه من المهلكين المقوتين وقال أبو زيد قبح الله فلانا قبحا وقبحا أبعد منه ككل خير قال أبو عمرو وقبح وجهه بالتخفيف بمعنى قبحت بالتشديد وقيل المقبوح المشوه الخلق أى فهم من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه والقبيح أيضا عظيم الساعد مما يلى النصف منه الى المرفق والعامد فى يوم محذوف ينسر من المقبوحين أى وقبحوا يوم القيامة وهو الاظهر أو هو معطوف على موضع فى هذه الدنيا أى وأتبعناهم لعنة يوم القيامة أو معطوف على لعنة على حذف مضاف أى ولعنة يوم القيامة والوجه الثانى أظهر (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (من بعدما أهلكنا القرون الاولى) أى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وقيل من بعدما اهلكنا فرعون وقومه وخسفننا بقارون والتعرض لكون آتاء التوراة بعد اهلاك الامم الماضية للاشعار بميس الحاجة الداعية اليها تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن على رسول الله فان اهلكنا القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها وأحكامها المؤدبين الى اختلال نظام العالم المستدعين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على ممر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالصة الموجبة كانه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة اليها أخرج البزار وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أهلك الله قوما ولا قريانا ولا أمة ولا أهل قرية بعذاب من السماء منذ أنزل التوراة على وجه الارض غير القرية التى مسخت قرده الم ترى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى وروى عنه موقوفا (بصائر للناس) أى آتينا الكتاب لاجل أن يتبصر الناس به أحوال كونه بصائر لهم يبصرون به الحق والبصائر جمع بصيرة وهى نور القلب كما ان البصر نور العين (وهدى) يهتدون اليه ويتقنون أنفسهم به من الضلالة بالاهتدابه (ورحمة) من الله رحمتهم بها (لعلهم يتذكرون) هذه النعم فيشكرون الله ويؤمنون به ويحجبون داعيته الى ما فيه خير لهم ويتعظون بما فيه من المواعظ (وما كنت بجانب الغربي) هذا شروع فى بيان انزال القرآن واقع فى بيان شدة

من الطعام فلا يأكل من أجل ان رب البيت ليس ثم فقال الله تعالى ليس على الاعمى حرج الآية وقوله تعالى ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم انما ذكروا وهو معلوم ليعطف عليه غيره فى اللفظ وليسا به ما بعده فى الحكم وتضمن هذا بيوت الانباء لانه لم ينص عليهم ولهذا استدلل به من ذهب الى ان مال الولد بمنزلة مال ابيه وقد جاء فى المسند والسنن من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أنت ومالك لبيتك وقوله أو بيوت آبائكم أو بيوت امهاتكم الى قوله أو ما ملكتكم مفاتيحه هذا ظاهر وقد يستدل به من يوجب نفقة الاقارب بعضهم على بعض كما هو مدعى ابي حنيفة والامام أحمد بن حنبل فى المشهور عنهم وأما قوله

أواماملكم مفاطحه فقال سعيد بن جبيرة والسدي هو خادم الرجل من عبدوقهرمان فلا بأس يا كل مما استودعهم من الطعام بالمعروف وقال الزهري عن عمرو بن عائشة رضی الله عنها قالت كان المسلمون يرغبون في الذمير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفعون مفاطحهم الى ضمانهم ويقولون قد أحلنا لكم ان تأكلوا مما احتبم اليه فكانوا يقولون انه لا يحل لنا ان تأكل انهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم وانما نحن آمناء فانزل الله أواماملكم مفاطحه وقوله أو صدقكم أي بيوت أو صدقناكم وأصحابكم فلا جناح عليكم في الاكل منها اذا علمتم (١١٨) ان ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهون ذلك وقال قتادة اذا دخلت بيت

الحاجة اليه أي وما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي وهو المكان الواقع في شق الغرب فيكون من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه واختاره الزجاج وقال الكلبى بجانب الوادي الغربي أي حيث ناجى موسى ربه (اذ قضينا الى موسى الامر) أي عهدنا اليه وكنناه وأحکمنا الامر معه بالرسالة الى فرعون وقومه (وما كنت من الشاهدين) لذلك حتى تقف على حقيقته وتحكيه من جهة نفسك وقيل معنى اذ قضينا الى موسى الامر اذ كلفناه وأرنا مناه وقيل أخبرناه ان أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم خير الامم ولا يستلزم نبي كونه بجانب الغربي نبي كونه من الشاهدين لانه يجوز ان يحضر ولا يشهد قيل المراد بالشاهدين السبعون الذين اختارهم موسى للميعات واذا تقر بأن الوقوف على تفاصيل تلك الاحوال لا يمكن ان يكون بالحضور عندها من نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمشاهدة لهامنه وانتي بالدلالة الصحيحة انه لم يتلق ذلك من غيره من البشر ولا علمه معلم منهم كما قدمنا تقريره تبين انه من عند الله سبحانه بوحى منه الى رسوله بواسطة الملك النازل بذلك فهذا الكلام هو على طريقة وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم (ولكاننشا ناقرونا) أي خلقنا اعماما بين زمانك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وزمان موسى (فتناول عليهم العمر) أي طالت عليهم المهلة وتمادى عليهم الامد وفترت النبوة وكانت الاخبار تتخفي فتغيرت الشرائع والاحكام وتنوسيت الاديان واندرست العلوم ووقع التحريف في كثير منها فتركوا أمر الله ونسوا عهده فاقضت الحكمة التشريع الجديد فثبتنا بكم رسولا وأوحينا اليك خبر موسى وغيره ليكون معجزة للتوذي كبر القومك ومثله قوله سبحانه فطال لهم الامد فقصت قلوبهم وقد استدل بهذا الكلام على ان الله سبحانه قد عهد الى موسى عهدا في محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي الايمان به فلما طال عليهم العمر ومضت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها (وما كنت ناويا في أهل مدين) أي مقبيا بينهم كما أقام موسى حتى تقرأ على أهل مكة خبرهم وتقص عليهم من جهة نفسك يقال ثوى يشوى ثوا وثوى يافهوا وثاؤون والمعالم ان واقعة مدين كانت قبل واقعي الطور فقتضى الترتيب الوقوعي ان تقدم عليهم ما واما وسط بينهما للتنبية على ان كلامنا ما برهان مستقل على ان اخباره صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه القصص بطريق الوحي الالهي ولوروعي الترتيب الوقوعي لما تواترهم ان الكل

صديقك فلا بأس ان تأكل بغير لاذنه وقوله ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا قال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية وذلك لما أنزل الله يا أيها الذين آمنوا الا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قال المسلمون ان الله قد نهيانا ان تأكل أموالنا بيننا بالباطل والطعام من أفضل الاموال فلا يحل لاحد منا ان يأكل عند احد فكشف الناس عن ذلك فانزل الله ليس على الاعمى حرج الى قوله أو صدقكم وكانوا أيضا يفتنون ويخرجون ان يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فرخص الله لهم في ذلك فقال ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا وقال قتادة وكان هذا الخي من بني كنانة يرى اجدهم ان مخزاة عليه ان يأكل وحده في الجاهلية حتى ان كان الرجل ليسوق الذود الحفل وهو جائع حتى يجدمن يواكله ويشاربه فانزل الله ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا فهذه رخصة من الله تعالى في ان يأكل الرجل وحده ومع

الجماعة وان كان الاكل مع الجماعة أفضل وأبرك كما رواه الامام احمد حدثنا يزيد بن عبدربه حدثنا الوليد بن مسلم عن وحشي بن حرب عن أبيه عن حده ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا ناكل ولا نتبع قال لعليكم تأكلون متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم به وقد روى ابن ماجه أيضا من حديث عمرو بن دينار القهرماني عن سالم عن أبيه عن عمر بن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة مع الجماعة وقوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال سعيد بن جبيرة والحسن البصري وقتادة والزهري

يعني فليسلم بعضهم على بعض وقال ابن جرير صحيح اخبرني ابو الزبير سمعت جابر بن عبد الله يقول اذا دخلت على اهلك فسلم عليهم بحية من عند الله مباركة طيبة قال ما رأيت الا البركة قال ابن جرير صحيح واخبرني زياد عن ابن طاوس انه كان يقول اذا دخل احدكم بيته فليسلم قال ابن جرير صحيح قلت لعطاء او واجب اذا خرجت ثم دخلت ان اسلم عليهم قال لا ولا اثر وجوبه عن احد ولكن هو اوجب الى وما ادعاه الاناسيا وقال مجاهد اذا دخلت المسجد فقل السلام على رسول الله واذا دخلت على اهلك فسلم عليهم واذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وروى (119) الثوري عن عبد الكريم الجزري عن

مجاهد اذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل بسم الله والحمد لله السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال قتادة اذا دخلت على اهلك فسلم عليهم واذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانه كان يؤمر بذلك وحدثنا ان الملائكة ترد عليه وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا محمد بن المنثري حدثنا عويد عن ابي عمران الجولاني عن ابيه عن انس قال اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم بخمس خصال قال يا انس اسبغ الوضوء في عمرتك وسلم على من قبلك من امتي تكثر حسناتك واذا دخلت يعني بيتك فسلم على اهلك بكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الاوابين قبلك يا انس ارحم الصغير ووقر الكبير تكن من رفقاء يوم القيامة وقوله تحية من عند الله مباركة طيبة قال محمد بن اسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس انه كان يقول ما أخذت التشهد الا من كتاب الله

دليل واحد على ما ذكر (تلاو عليهم) أي تقرأ على أهل مدينة (آياتنا) وتعلم منهم وقيل تذكروهم بالوعد والوعيد وقيل الضمير لاهل مكة والمعنى عليه واضح وأكثر المفسرين على الوجه الاول والجللة في محل نصب على الحال أو خبر ثان ويجوز ان تكون هذه الجملة هي الخبر وثاوي حال وجعلها القراء مستأنفة كأنه قيل وهأنذا تلاو على أمتك (ولمّا كنّا مرسلين) أي أرسلناك الى أهل مكة وأمرنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج المعنى انك لم تشاهد قصص الانبياء ولا تليت عليك ولمّا كنّا أوحيناها اليك وقصصنا عليك (وما كنت) يا محمد (بجانب الطور) أي بجانب الجبل المسمى بالطور (اذ نادينا) موسى لما أتى الى الميقات مع السبعين ان خذ الكتاب بقوة وبين الارسال وايتاء التوراة نحو من ثلاثين سنة وقيل المنادي هو أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال وهب وذلك ان موسى لما ذكر الله له فضل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأتمه قال يارب أرزبهم فقال الله انك لن تدر كمهم وان شئت ناديتهم فأسمعتك صوتهم قال بلى يارب فقال الله يا أمة محمد فأجابوا من أصلاب آبائهم فيكون معنى الآية على هذا ما كنت يا محمد بجانب الطور اذ كنّا موسى فنادينا أمتك وسمايت ما يدل على هذا ويقويه ويرجمه وعن ابي هريرة في الآية قال نودوا بأمة محمد أعطيتكم قبل ان تسألوني واستجبت لكم قبل ان تدعوني وروى من وجوه آخر عنه مرفوعا وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وأبو نصر السجزي في الابانة والديلي عن عمرو بن عبسة قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ما كان النداء وما كانت الرحمة قال كتبه الله قبل ان يخلق خلقه بالتي عام ثم وضعه على عرشه ثم نادى يا أمة محمد سبقت رجعتي على غضبي أعطيتكم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني فن لقيتني منكم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمد عبدي ورسولي صادقا أدخلته الجنة وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن حذيفة في الآية قال نودوا بأمة محمد ما دعوتونا اذا استجبنا لكم ولا سألونا اذا أعطيناكم وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا ان الله نادى يا أمة محمد أجبوا ربكم قال فأجابواهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم الى يوم القيامة فقالوا اليك أنت ربنا حقا ونحن عبداك حقا قال صدقتم انار بكم وأتم عبدي حقا فقد عفوت عنكم قبل ان تدعوني وأعطيتكم قبل ان تسألوني فن لقيتني منكم يشهد ان لا اله الا الله

سمعت الله يقول فاذا دخلت بيوتنا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة فالتشهد في الصلاة التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ثم يدعون نفسه ويسلم وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن اسحق والذي في صحيح مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف هذا والله أعلم وقوله كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تهتقون لما ذكرته الى ما في هذه السورة الكريمة من الاحكام المحكمة والشرايع المتقنة المبرمة به تعالى عباده على انه بين لعباده الآيات بما يشافيا ليتدبروها

وتيقظوا العلمهم يعقلون (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذ كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم) وهذا أيضاً أدب أرشد الله عباده المؤمنين اليه فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف لاسيما اذا كانوا في أمر جامع مع الرسول صلوات وسلامه عليه من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة أو اجتماع في مشورة ونحو ذلك أمرهم الله تعالى أن لا يفرقوا عنه (١٢٠) والحالة هذه الأبعد استئذانه ومشاورته وان من يفعل ذلك فإنه من المؤمنين

الكاملين ثم أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه اذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له ان شاء ولهذا قال فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الآية وقد قال أبو داود حدثنا أحمد بن حنبل ومسدق قال حدثنا بشر هو ابن الفضل عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم فاذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عجلان به وقال الترمذي حديث حسن (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذا قليد الذين يخالفون عن أمره ان تصيهم قسنة أو يصيهم عذاب اليم) قال الضحاك عن ابن عباس كانوا يقولون يا محمد يا أبا القاسم فنهاهم الله عز وجل عن ذلك اعظاما لنبهه صلى الله عليه وسلم قال فقولوا يا نبي الله يا رسول الله وهكذا قال

دخل الجنة (ولكن رجعة من ربك) أي ولكن فعلنا ذلك رجعة منكم وقيل ولكن أرسلنا بالقرآن رجعة لكم وقيل علمناك وقيل عرفناك قال الاخفش ولكن رجعتك رجعة وقال الزجاج أي فعلنا ذلك لك لاجل الرجعة وقال الكسائي ولكن كان ذلك رجعة وقرئ رجعة بالرفع أي ولكن أنت رجعة (لتنذر وما ماأناهم من نذير من قبلك) والقوم هم أهل مكة فإنه لم يأتيهم نذير ينذرهم قبله صلى الله عليه وآله وسلم في زمان الفترة بينه وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون سنة أو بينه وبين اسمعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل (لعلهم يتذكرون) أي يتعظون بانذارك (ولولا ان تصيهم مصيبة بما قدمت أيديهم) لولا هذه هي الامتناعية وان وما في خبرها في موضع رفع بالابتداء أي ولولا اصابة المصيبة لهم وجوابها محذوف قال الزجاج تقديره ما أرسلنا اليهم رسلا يعني ان الحامل على ارسال الرسل اليهم هو اذاحة علمهم فهو كقوله سبحانه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقدره ان عطية لعاجلناهم بالعقوبة و وافقه على هذا التقدير الواحدى فقال والمعنى لولا انهم يحجبون بترك ارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم قال السمين ولا معنى لهذا (فيقولوا) الفاء للسمية (ربنا لولا أرسلت لنا رسولا لولا هذه هي التخصيضية أي هلا أرسلت رسولا من عندك وجوابها قوله (فتتبع آياتك) فلذلك نصب بانضمام أن أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهالك في الفترة يقول رب لم يأتيك كتاب ولا رسول ثم قرأ هذه الآية والمراد بالآيات الآيات التزيلية الظاهرة الواضحة وانما عطف القول على تصيهم لكونه هو السبب للارسال وليكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها هي السبب للارسال بواسطة القول قاله في الكشف وأطال سليمان الجبل في بيان ذلك وذكر عبارة السمين والشهاب وغيرهما وقال أبو السعود لولا قولهم هذا عند اصابة العقوبة لهم بسبب جناباتهم ما أرسلناك ولكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محذور عنه أرسلناك قطع المعاذيرهم بالكيفية (ونكون من المؤمنين) بهذه الآيات ومعنى الآية اننا لو عدبناهم لقوال اطال العهد بالرسول ولم يرسل الله اليه رسولا و يظنون ان ذلك عذر لهم ولا عذر لهم بعد ان بلغتهم أخبار الرسل ولا كما كنا الخجة وأزحنا العلة وأتمنا البيان بإرسالك يا محمد اليهم (فلما جاءهم الحق من عندنا) أي فلما جاء

مجاهد وسعيد بن جبيرة وقال قتادة أمر الله ان يهاب نبيه صلى الله عليه وسلم وان يجبل ويعظم وان يسود وقال اهل مقاتل في قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا يقول لا تسموه اذا دعوتهم يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه فقولوا يا نبي الله يا رسول الله وقال مالك عن زيد بن أسلم في قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قال أمرهم الله ان يشرفوه هذا قول وهو الظاهر من السياق كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا الى آخر الآية وقوله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا بالقرول بجهر بعضكم بعضا ان تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون

الى قوله ان الذين نادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى يخرج اليهم لكان خيرا لهم الآية فهذا كله من باب الادب في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم والكلام معه وعنده كما أمره بتقديم الصدقة قبل مناجاته والقول الثاني في ذلك ان المعنى في لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا أي لا تعتقدوا ان دعاءه على غيره كدعاء غيره فان دعاءه مستجاب فاحذروا ان يدعوا عليكم فتملكوا احكامه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصري وعطية العوفي والله أعلم وقوله قدي علم الله الذين يتسللون منكم لو اذ قال مقاتل بن حيان هم المنافقون كان يشق عليهم (١٢١) الحديث في يوم الجمعة ويعني بالحديث

الخطبة في اودون بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حتى يخرجوا من المسجد وكان لا يصلح للرجل أن يخرج من المسجد الا باذن من النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة بعدما يأخذ في الخطبة وكان اذا أراد أحدهم الخروج أشار بأصبعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل لان الرجل منهم كان اذا تكلم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب بطلت جعته وقال السدي كانوا اذا كانوا معه في جماعة لاذ بعضهم ببعض حتى يتغيبوا عنه فلا يراهم وقال قتادة في قوله قدي علم الله الذين يتسللون منكم لو اذ اعني لو اذ اعني النبي الله وعن كآبه وقال سفيان قدي علم الله الذين يتسللون منكم لو اذ قال من الصف وقال مجاهد في الآية لو اذ قال خلافا وقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره أي عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الاقوال والاعمال بأقواله وأعماله فوافق ذلك قبل

أهل مكة الحق من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أنزل عليه من القرآن (قالوا) نعمتاً منهم وجدنا بالباطل (لولا) هلا (أوتى) هذا الرسول (مثل ما أوتى موسى) من الآيات كاليد والعصا وغيرهما والتوراة المنزلة عليه جله واحدة فأجاب الله عليهم بقوله (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل هذا القول أو من قبل ظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى انهم قد كذبوا بآيات موسى كما كذبوا بآيات محمد حيث قالوا ساحران تظاهروا) مستأنفة مسوقة لتقرير كذبهم وعنادهم والمراد به ما جرى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم والتظاهر التعاون أي تعاونا على السحر والضمير في أول يكفروا الكفار قريش وقيل هو اليهود والاول أولي فان اليهود لا يصنفون موسى بالسحر انما يصنفوه بذلك كفار قريش وأمثالهم الآن يراد من أن كفر بموسى كفر عيون وقومه فانهم وصفوه موسى وهرون بالسحر ولكنهم ليسوا من اليهود ويمكن أن يكون الضمير لمن كفر بموسى ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فان الذين كفروا بموسى وصفوه بالسحر والذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفوه أيضا بالسحر وقيل المعنى أولم يكفروا اليهود في عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما أوتى موسى من قبله بالشارة بعيسى ومحمد قرأ الجهور ساحران وقرأ الكوفيون سحران يعنون التوراة والقرآن وقيل الانجيل والقرآن قال بالاول الفراء وقال بالناني أبو زيد وقيل ان الضمير في أولم يكفروا لليهود وانهم عنوان بقولهم ساحران عيسى ومحمد اعلمهم ما الصلاة والسلام وقال ابن عباس في الآية هم أهل الكتاب (وقالوا انما بكل كافرين) يعنى بكل من موسى ومحمد وأمن موسى وهرون أو من موسى وعيسى أو من عيسى ومحمد أو بكل من التوراة والانجيل والفرقان على اختلاف الاقوال وفي هذه الجملة تقرير لما تقدمها من وصف النبيين بالسحر أو من وصف الكتابين بهوتاً كذلك ثم أمر الله سبحانه نبيه أن يقول لهم قول لا يظهر به عجزهم فقال (قل) لهم يا محمد اذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين وقلتم فيهما ما قلتم (فأوتى الكتاب من عند الله هو الهدى منهما) أي من التوراة والقرآن وأوضح وأبين في هداية الخلق (أتبعه) جواب الامر وقد جزمه جهور القراء لذلك وقرئ بالرفع على الاستئناف أي فان أتيت به فأتا أتبعه وقال الفراء انه على هذه القراءة صفة الكتاب وفي هذا الكلام تهكم بهم وفيه أيضا دليل على أن قراءة الكوفيين أقوى من قراءة الجهور لانه رجح الكلام الى الكتابين

(١٦ - فتح البيان سابع) وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كما تبين كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو مردود أي فليحذر وليخش من خاف شريعة الرسول باطنا وظاهرا ان تصيبهم فتنة أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا يقتل أو حبس أو نحو ذلك كما روى الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل استوفى نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفرائس وهي هذه اللواتي التي تقع في النار يقعن فيها

وجعل يحجزهن ويغلبهن فيتعصمن فيها قال فذلك مثلي ومثلكم أنا أخذ يحجزكم عن النار فغلبوني وتقصمون فيها
 آخر جامن حديث عبد الرزاق (ألا ان الله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل
 شئ عليم) يخبر تعالى انه ملك السموات والارض وانه عالم الغيب والشهادة وهو عالم بما العباد عاملان في سرهم وجهرهم فقال
 قد يعلم ما أنتم عليه وقد للتحقيق كما قال قبلها قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو اذوا قال تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم الآية وقال
 تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك الآية وقال (١٢٢) قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن

الظالمين بآيات الله يحجدون
 وقال قد نرى قلب وجهك في
 السماء الآية فكل هذه الآيات
 فيها تحقيق الفعل بقدم قول
 المؤذن تحقيقا وثبوتا قد قامت
 الصلاة قد قامت الصلاة فقوله
 تعالى قد يعلم ما أنتم عليه أي هو عالم
 به مشاهدا لا يعزب عنه مثقال ذرة
 كما قال تعالى وتوكل على العزيز
 الرحيم الى قوله انه هو السميع العليم
 وقوله وما تكون في شأن وما تلوم
 منه من قرآن ولا تعملون من عمل
 الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون
 فيه وما يعزب عن ربك من مثقال
 ذرة في الارض ولا في السماء ولا
 أصغر من ذلك ولا أكبر الا في
 كتاب مبين وقال تعالى ان من هو قائم
 على كل نفس بما كسبت أي هو
 شهيد على عبادهم فاعلون من
 خير وشر وقال تعالى الاحسين
 يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون
 وما يعلنون وقال تعالى سواء منكم
 من أسر القول ومن جهره الآية
 وقال تعالى وما من دابة في الارض
 الا على الله رزقها ويعلم مستقرها
 ومستودعها كل في كتاب مبين

لا الى الرسولين (ان كنتم صادقين) فيما وصفتهم به الرسولين أو الكافرين (فان لم يستجيبوا
 لك) أي لم يفعلوا ما كلفوا به من الايمان بكتاب هو اهدى من الكتابين وهذا كقوله فان
 لم تفعلوا وقيل المعنى فان لم يستجيبوا لك بالايان بما جئت به وتعدية يستجيبوا باللام هو
 أحد الجائزين وجواب الشرط (فاعلم انما يتبعون أهواءهم) أي آراءهم الزائفة
 واستصاناتهم الزائفة بلا حجة ولا برهان وأنما أداة حصر أي انهم ليس لهم مستند في
 ذلك ومتمسك يتمسكون به وانما لهم محض هواهم القاسد (ومن أضل ممن اتبع هواه
 بغير هدى من الله) الاستفهام انكارى بمعنى النبي أي لا أحد أضل منه بل هو الفرد
 الكامل في الضلال (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) لانفسهم بالكفر وتكذيب الانبياء
 والاعراض عن آيات الله (واقدم صلواتنا عليهم القول) قرئ بتشديد الصاد وتحذف فيها ومعنى
 الآية اتمنعنا بعضه بعضا في الانزال ليصل التذكرة وفي النظم لتقرر الدعوة بالحق
 والمواظب بالمواعيد والتصائح بالعباد وبعثنا رسولا بعد رسول وقال أبو عبيدة والآنخس
 معناه اتممتنا وقال ابن عيينة والسدى يينا وقال ابن زيد وصلنا لهم خيرا الدنيا بخير الاخرة
 حتى كانوا عاينوا الاخرة في الدنيا والاولى وهو مأخوذ من وصل الجبال بعضها
 ببعض وقال مجاهد جعلناه اوصالا أي انواعا من المعاني والضمير في لهم عائذ الى قرئش
 وقيل الى اليهود وقيل للجميع (لعلهم يتذكرون) فيكون التذكرة سببا لايمانهم مخافة
 أن ينزل بهم ما نزل عن قبلهم (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل القرآن وقيل
 من قبل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (هم به) أي بالقرآن أو بحمد صلى الله
 عليه وآله وسلم (يؤمنون) أخبر سبحانه ان طائفة من بنى اسرائيل آمنوا بالقرآن كعبد الله
 ابن سلام وسائر من أسلم من أهل الكتاب قيل نزلت في ثمانين أربعون من نجران واثان
 وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام وقال ابن عباس يعني من آمن بحمد صلى الله
 عليه وآله وسلم من أهل الكتاب والاولى (واذا يتلى) أي القرآن (عليهم قالوا آمنابه)
 أي صدقنا به (انه الحق) الذي نعرفه المنزل (من ربنا) استئناف لبيان ما أوجب ايمانهم
 به (انا كنا من قبله مسلمين) أي مخلصين لله بالتوحيد أو مؤمنين بحمد صلى الله عليه وآله
 وسلم وبما جاء به لما نعلمه من ذكره في التوراة والانجيل من التبشيرة وانه سبعت آخر
 الزمان وينزل عليه القرآن (أو لئلا) أي الموصوفون بتلك الصفات (يؤمنون أجرهم

مرتين

وقال وعنده مفتاح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة

في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين والآيات والاحاديث في هذه كثيرة جدا وقوله ويوم يرجعون اليه أي ويوم
 يرجع الخلائق الى الله وهو يوم القيامة فينبئهم بما عملوا أي يخبرهم بما فعلوا في الدين من جليل وحقيق وصوره غير وكبير كما قال
 تعالى ينبا الانسان يومئذ بما قدم وأخر وقال ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب
 لا يفاد صغيرة ولا كبيرة الا حصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا ينظرون الا فيها ولله اقال ههنا ويوم يرجعون اليه فينبئهم

بما علموا والله بكل شيء عليم والحمد لله رب العالمين ونسأله التمام آخر تفسير سورة النور والله الحمد والمنة

* (تفسير سورة الفرقان مكية) * (بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا) يقول تعالى حامدا لنفسه الكريمة على ما نزله على رسوله الكريم من القرآن العظيم كما قال تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه وينشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات الآية (١٢٣) وقال ههنا تبارك وهو تفاعل من البركة

المستقرة الثابتة الدائمة الذي نزل الفرقان نزل فعل من التكرار والتكثر كقوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل لان الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة والقرآن نزل منجما مفردا مفضلا آيات بعد آيات وأحكاما بعد أحكام وسورا بعد سور وهذا أشد وأبلغ وأشد اعتناء بمن أنزل عليه كما قال في أثناء هذه السورة وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبتن به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جنتناك بالحق واحسن تفسير ولهذا سماه ههنا الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال وقوله على عبده هذه صفة مدح وثناء لانه أضافه الى عبوديته كما وصفه بها في أشرف أحواله وهي لبسه الاسراء فقال سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة اليه وانه لما قام عبدا لله يدعو كادوا يكونون عليه أسدا وكذلك وصفه عند انزال

مرتين) بايمانهم بالكتابين منصوب على المصدر قال ابن عباس نزلت في عشرة رهط أنا أحدهم أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بالكتاب الاول والاخر ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعاقها وترجها وعبدهم أولئك أحسن عبادة ربه ونصح لسيدته (بصبروا) أي بسبب صبرهم وثباتهم على الايمان بالكتاب الاول والكتاب الاخر وبالنبى الاول والنبى الاخر أو بالعمل به ما أوعى الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب ومن عاداهم من أهل دينهم (ويدرون بالحسنة السيئة) الدرر الدفع أي يدفعون بالا احتمال والكلام الحسن ما يلاقونه من الأذى وقيل يدفعون بالطاعة المعصية وقيل بالتوبة والاستغفار الذنوب وقيل بالحلم الأذى وقيل بشهادته أن لا اله الا الله الشرك (ومما رزقناهم ينفقون) أي ينفقون أموالهم في الطاعات وفيما أمر به الشرع ثم مدحهم سبحانه بأعراضهم عن اللغو فقال (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكرما وتزهدا وتأديبا بأداب الشرع ومنه له قوله سبحانه واذا مر بالलगو مر وكراما والलगو هنا هو ما يسههونه من المشركين من الشتم لهم ولدينهم والاستهزاء بهم (وقالوا لنا عمالنا ولكم أعمالكم) لا يلحقنا من ضرركم شيء ولا يلحقكم من نفع ايماننا شيء (سلام عليكم) ليس المراد بهذا السلام التحية ولكن المراد به سلام المتاركة والاعراض والفرق ومعهناه أمانة لكم منا وسلامة لانجناو بكم ولا نجنا بكم فيما أنتم فيه ولا نقابل لغوكم عنه قال الزجاج وهذا قبل الامر بالقتال (لا ينبغي الجاهلين) أي لا نطلب صحبتهم ومخالطتهم وقال مقاتل لا تريد أن تكون من أهل الجهل والسفه وقال الكلبي لا نحب دينكم الذي أنتم عليه (انك لاتهدي من أحببت) هدايته من الناس وليس ذلك اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) هدايته (وهو أعلم) أي عالم (بالمهتدين) أي القابلين للهداية المستعدين لها أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث المسيب ومسلم وغيره من حديث أبي هريرة ان هذه الآية نزلت في أبي طالب لما امتنع من الاسلام وقد تقدم ذلك في براءة قال الزجاج أجمع المفسرون على انها نزلت في أبي طالب وقد تقرر في الاصول ان الاعتبار بعسوم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل في ذلك أبو طالب دخولا أوليا والآية حجة على المعتزلة

الكتاب عليه ونزول الملك اليه فقال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقوله ليكون للعالمين نذيرا أي انما خصه بهذا الكتاب المفصل العظيم المبين المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي جعله فرقانا عظيما ليخصه بالرسالة الى من يستنزل بالخضراء ويستقل على الغبراء كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود وقال اني أعطيت خصال يعطهن أحد من الانبياء قبلي فذكر منهن انه كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة كما قال تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الآية أي الذي أرسلني هو مالك السموات والارض الذي يقول للشيء كن فيكون

وهو الذي يجي ويميت وهكذا قال ههنا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ووزن نفسه عن الولاد وعن الشريك ثم أخبر انه خلق كل شيء فقدره تقديرا أي كل شيء مما سواه مخلوق مرئوب وهو خالق كل شيء وربهم ومليكه والهه وكل شيء تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) يخبر تعالى عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله الخالق لكل شيء المالك لازمة الامور (١٢٤) الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ومع هذا عبدوا معه من الاصنام

مالية قدر على خلق جناح بعوضة بل هم مخلوقون لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف يمكن ان يكون لهم ابد هم ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا أي ليس لهم من ذلك شيء بل ذلك كله مرجعه الى الله عز وجل الذي هو يحيي ويميت وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة اولهم وآخرهم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة كقوله وما أمرنا الا واحدة كالحق بالبصر وقوله فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فهو الذي لا اله غيره ولا رب سواه ولا تنبغي العبادة الا له لانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو الذي لا ولد له ولا والد لا عدل ولا بديل ولا وزير ولا نظير بل هو الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (وقال الذين كفروا ان هذا الافلك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل انزله الذي

لانهم يقولون الهدى هو البيان وقد هدى الناس أجمع ولكنهم لم يهتدوا بسوا اختيارهم فذل ان وراء البيان ما يسمي هداية وهو خلق الهدى واعطاء التوفيق والقدرة (وقالوا ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا) أي قال مشركو قريش ومن تابعهم ان ندخل في دينك ونعمل به يا محمد تخطفنا العرب من مكة وتتزع منها بسرعة ولا طاقة لنا بهم وهذا من جملته اعداؤهم الباطلة وتعللاتهم العاطلة والتخطف في الاصل هو الاتزاع بسرعة وقرئ تخطف بالجزم على جواب الامر وبالرفع على الاستئناف ثم رد الله ذلك عليهم ردا مصدرا باستفهام التوبيخ والتقريع وألقمهم الحجر فقال (أولم تعلم انهم حراما آمننا) أي ألم نجعل لهم حراما ممن أؤمن من دخله قال أبو البقاء عداه بنفسه لانه بمعنى جعل كالمصرح بذلك في قوله أولم يروا اننا جعلنا حراما آمننا ومكن متعد بنفسه من غير ان يضمن معنى جعل كقوله مكاهم فيما ان مكاهم فيه واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز على ومن المعروف انه كان تأمن فيه الطباء من الذناب والحمام من الخدأة ثم وصف هذا الحرم بصفة أخرى دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة بقوله (يجي اليه ثمرات كل شيء) أي تجمع اليه الثمرات على اختلاف أنواعها من الاراضي المختلفة وتحمل اليه من الشام ومصر والعراق واليمن وتساق اليه فعنى الكلبة الكثرة على سبيل المجاز كقوله وأوتيت من كل شيء قرئ يجي بالتحسية اعتبارا بتدكير كل شيء ووجود الخائل بين الفعل وبين ثمرات وأيضاً ليس تأنيت ثمرات بحقيقتي وبالفوقية اعتبارا بثمرات وقرئ ثمرات بفتح ثين وبضم ثين جمع ثمر بضم ثين وقرئ بفتح الثاء وسكون الميم (رزقنا من لدنا) أي نسوقه اليهم رزقا من عندنا وأرزقين (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان ما نقوله حق لفرط جهلهم ومن يدغم لغتهم وعدم تفكيرهم في أمر معادهم ورسادهم لكونهم عن طبع الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة (وكم أهلكنا من قرية) أي أهل قرية كانوا في خدض عيش ودعة ورخاء ردلقولهم ان تتبع الهدى معك تخطف الخرين الله بهذا ان الامر بالعكس وانهم احقوا بأن يخافوا بأس الله ولا يغتروا بالامن الحاصل لهم فكثير من أهل القرى كان حالهم كحال هؤلاء في الامن والخصب ثم (بطرت) أي طغت وتعدت وخسرت وأشرت (معيشتها) أي في زمن حياتها وقال الكرخي كفرت نعمة معيشتها أي أيام حياتها وهي ما يعاش به من النبات والحيوان وغيره ما يعنى وقع منهم

يعلم السرفى السموات والارض انه كان غفورا رحيمًا) يقول تعالى مخبرا عن بصافة عقول الجهلة من الكفار في قولهم عن القرآن ان هذا الافلك أي كذب افتراه يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأعانه عليه قوم آخرون أي واستعان على جمعه بقوم آخرين فقال الله تعالى فقد جاؤا ظلما وزورا أي فقد افترأواهم قولاً باطلا يعلمون انه باطل ويعرفون كذب انفسهم فيما زعموا وقالوا أساطير الاولين اكتبها يعنون كتب الاوائل أي استنسخها فهي تملى عليه أي تقرأ عليه بكرة وأصيلا أي في أول النهار وآخره وهذا الكلام له حقافته وكذبه وبه منهم يعلم كل أحد بطلانه فانه قد علم بالواتر وبالضرورة ان محمد رسول الله

البطر

صلى الله عليه وسلم لم يكن يعاني شيئا من الكفاية لاني اول عمره ولا في آخره وقد نشأ بين أظهرهم من اول مولده الى ان بعثه الله نحووا من أربعين سنة وهم يعرفون مدخله ومخرجه وصدقه وبره ونزاهته وأمانته وبعده عن الكذب والنجور وسائر الاخلاق الرديئة حتى انهم كانوا يستهونون في صغره والى ان بعث الامين لما يعلمون من صدقه وبره فلما أكرمهم الله بما أكرمهم به نصبوا له العداوة ورموه بهذه الاقوال التي يعلم كل عاقل برأيتها منها واطاروا فيها بقذفونه به فتارة من افكهم يقولون ساحر وتارة يقولون شاعر وتارة يقولون مجنون وتارة يقولون كذاب قال الله تعالى انظر كيف ضربوا لك (١٢٥) الامثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلا

وقال تعالى في جواب ما عاندوا ههنا واقفروا قل انزله الذي يعلم السرفى السموات والارض الآية أى أنزل القرآن المشتمل على أخبار الاولين والآخرين اخبارا حقا صادقا مطابقا للواقع في الخارج ماضيا ومستقبلا الذي يعلم السرفى الله الذي يعلم غيب السموات والارض ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر وقوله انه كان غفورا رحيمادعاهم الى التوبة والانابة واخبارهم بأن رحمة واسعة وان علمه عظيم وان من تاب اليه تاب عليه فهو لامع كذبهم واقفروا ثم وجورهم وبهتانهم وكفرهم وعنادهم وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا يدعوهم الى التوبة والاقلاع عما هم فيه الى الاسلام والهدى كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينهوا عما يقولون لبسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم وقال تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين منها وقال الطالمون ان تبصون الارجال مسحورا أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقتوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعو اليوم ثبورا واحدا وادعوا

البطرفا هلكوا قال الزجاج البطرف الطغيان عند النعمة وفي القاموس البطرف مخر كما انشأوا والاشرف وقوله احتمال النعمة والدهش والخيرة والطغيان بالنعمة وكراهة الشيء من غير ان يستحق الكراهة وفعل الكل كنفح وبطرف الحق أى تكبر عند فلا يقبله قال عطاء عاشوا في البطرفا كما وارزق الله وعبدا الاصنام وقال الزجاج والممازنى معناها بطرت في معيشتها فلما حذفت في تعدى الفعل كقوله واختار موسى قومه وقال القراء هو منصوب على التفسير كما تقول بطرك مالك وبطرته ونظيره قوله تعالى الامن سفته نفسه ونصب المعارف على التمييز غير جائز عند البصر بين لان معنى التفسير ان تكون النكرة دالة على الجنس وقيل ان معيشتها منصوبة ببطرت على تضمينه معنى جهلت (فتلك مساكنهم) أى منازلهم باقية الآثار يشاهدونها في الاسفار كبلاد غرود وقوم شعيب وغيرهم قد خربت بما ظلموا (لم تسكن من بعدهم الا قليلا) أى لم يسكنها احد بعدهم الا زمنا قليلا كالذي عبر بها مسافرا فانه يابث فيها يوما وبعض يوم أو المعنى لم يبق من يسكن فيها الا أياما قليلة لشؤم ما وقع فيها من معاصيهم وقيل ان الاستثناء يرجع الى المساكن أى لم تسكن بعدها الا أهلها الا قليلا من المساكن وأكثرها خراب كذا قال القراء وهو قول ضعيف (وكنا نحن الوارثين) لهم انهم لم يتركوا وارثا يرث منازلهم وأوالدهم ولم يخلفهم احد تصرف تصرفهم في ديارهم وغيرها (وما كان ربك) بيان للعادة الربانية أى ماصح ولا استقام وما كان وما ثابت في حكمه الماضي وقضائه السابق ان يكون (مهلك القرى) الكافر أهلها قبل الانذار (حتى يبعث) ويرسل (في أمها) أى أكبرها وأعظمها (رسولا) يندبرهم (يتلو عليهم آياتنا) أى تاليا عليهم آيات الله الدالة الناطقة بما أوجبه الله عليهم وما أعده من انشواب للمطيع والعقاب للعاصى ومخبر ان العذاب سينزلهم اذ لم يؤمنوا وخص الاعظم منها بالبعثة اليها لان فيها أشرف القوم وأهل افقهم والرأى وفيها المملوك والا كبر فصارت بهذا الاعتبار كالام لما حوّلها من القرى وقال الحسن أم القرى أولها وقيل المراد بأم القرى هنامكة كما في قوله ان أول بيت وضع للناس الآية والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة والروعة وقد تقدم بيان ما تضمنته هذه الآية في آخر سورة يوسف (وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون) معطوفة على الجملة التي قبلها والاستثناء منزع عن أعم الاحوال أى وما كنا مهلكي لاهل القرى بعد ان

ثبورا كثيرا) يخبر تعالى عن نعت الكفار وعنادهم وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم وانما تعالوا بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام يعنون كإناكله ويحتاج اليه كما يحتاج اليه ويعشى في الأسواق أي يتردد فيها واليهاطل بالتكسب والتجارة لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا يقولون هلا أنزل اليه ملك من عند الله فيكون له شاهدا على صدق ما يدعيه وهذا كما قال فرعون فلولا أتني عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين وكذلك قال هؤلاء على السواء تشابهت قلوبهم ولهذا قالوا أو يلقى اليه كنز أي علم كنزي ينطق منه أو تكون له جنه (١٢٦) يا كل منها أي تسير معه حيث سار وهذا كله سهل يسير على الله

ولكن له الحكمة في ترك ذلك وله الحجة البالغة وقال الظالمون ان تتبعون الارجاله مسجورا قال الله تعالى أنظر كيف ضرب بوالك الامثال فضلوا أي جاؤا وابعاد فذوقك به ويكذبون به عليك من قولهم ساحر مسجور مجنون كذاب شاعر وكها ما أقوال باطلة كل أحد من له أدنى فهم وعقل يعرف كذبهم وافتراءهم في ذلك ولهذا قال فضلوا عن طريق الهدى فلا يستطيعون سبيلا وذلك ان كل من خرج عن الحق وطريق الهدى فانه ضال حيم ما توجه لان الحق واحد ومنهجه متحد يصدق بعضه بعضا ثم قال تعالى مخبرا نبيه انه ان شاء لا تاه خيرا مما يقولون في الدنيا وأفضل وأحسن فقال تبارك الذي ان شاء جعل للخير من ذلك الآية قال مجاهد يعني في الدنيا قال وقريش يسمون كل بيت من جحارة قصرا كبيرا كان أو صغيرا قال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن خيمته قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان شئت أن نعطيكم خزائن الارض ومفاتيحها ما لم نعطيكم نبييا قبلنا ولا نعطي أحد من بعدك

نبعث الى أمهار سولا يدعوهم الى الحق في حال من الاحوال الاحال كونهم ظالمين قد استحقوا الالهلاك لاصرارهم على الكفر بعد الاعذار اليهم وقا كيد الحجة عليهم كقوله سبحانه وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (وما أوتيتم) يا كفار مكة (من شيء) من الاشياء (فقتل) أي فهو متاع (الحياة الدنيا) تمتعون به مدة حياتكم أو بعض حياتكم ثم تزولون عنه أو يزول عنكم (وزينتها) تتزينون به أيام عيشكم ثم نفى وعلى كل حال فذلك اني فناء وانقضاء (وما عند الله) من ثوابه وجزائه (خير) من ذلك الزائل الناني لانه لذة خالصة عن شوب الكدر (وأبقى) لانه يدوم أبدا وذلك ينقض بسرعة (أقلا) تعقلون ان الباقي أفضل من الناني وما فيه لذة خالصة غير مشوبة أفضل من اللذات المشوبة بالكدر المنغصة بعوارض البدن والقلب قيل من لم يرج الآخرة على الدنيا فليس يعاقل قال الشافعي رحمه الله من وصي بثلث ماله لا عقل الناس صرف الى المشتغلين بطاعة الله وقرئ يعقلون بالياء والتاء على الخطاب وهي أريح لقوله وما أوتيتم وأخرج مسلم والبيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يقول الله عز وجل يا ابن آدم مرضت فلم تعدني الحديث بطوله وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عبد بن عيسى بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا أو أعطش ما كانوا وأعرى ما كانوا فن أطمع الله عز وجل أطمعه الله ومن كساه الله عز وجل كساه الله ومن سقى الله عز وجل سقاه الله ومن كان في رضا الله كان الله في رضاه (أقن وعذناه وعدا حسنا) بالجنة وما فيها من النعم التي لا تحصى (فهو لاقية) أي مدركه ومصيبه لا محالة فان الله لا يخاف المعاد ولذلك جى بالاسمية المقيدة لتحققه وعطف بفاء السببية والفاء الاول لترتيب انكار التساوي بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاعها وبين ما عند الله عز وجل (كن متعنا متاع الحياة الدنيا) المشوب بالاكدار المستتبع للكسر على الانقطاع فأعطى منه بعض ما أراد مع سرعة عزوالة وتنغيصه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) هذا معطوف على قوله متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكدا لانكار التشابه ومقرره والمعنى ثم هذا الذي متعناه هو يوم القيامة من المحضرين النار وتخصيص المحضرين بالذين احضروا والعذاب اقتضاه المقام وفيه من التحويل ما لا يخفى أي ليس حالهم ماسوا فان الموعد بالجنة لا بد ان ينظر بما وعد به مع

ولا ينقص ذلك مما لك عند الله فقال اجعوه الى في الآخرة فانزل الله عز وجل في ذلك تبارك الذي ان شاء انه

جعل للخير من ذلك الآية وقوله بل كذبوا بالساعة أي انما يقول هؤلاء هكذا تكذبا وعناد الا أنهم يطليون ذلك تبصرا واسترشادا بل تكذيبهم يوم القيامة يعلمهم على قول ما يقولونه من هذه الاقوال وأعدنا أي أرسدنا لمن كذب بالساعة سعوا أي عذابا ليعا حارا لا يطاق في نار جهنم قال الثوري عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبيرة السعير وادم من قبح جهنم وقوله اذا رآهم سم أي جهنم من مكان بعيد يعني في مقام المحشر قال السدي من مسيرة مائة عام معوهاها تعيظا وزفير أي حقا عليهم كما قال تعالى اذا

ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تخرج من الغيظ أي يكاد يتفصل بعضها من بعض من شدة غيظها على من كفر بالله وروى ابن أبي حاتم حدثنا ادریس بن حاتم بن الاحنف الواسطي انه سمع محمد بن الحسن الواسطي عن اصبغ بن زيد عن خالد بن كثير عن خالد بن دريك باسناده عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقل على مالم أقل أو ادعى الى غير والديه أو انتى الى غير مواليه فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا قيل يا رسول الله وهل لها من عيين قال أما سمعت الله يقول اذا رأيتم من مكان بعيد الآية ورواه ابن جرير عن محمد بن خداس عن (١٢٧)

حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد القناسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل وله أيضا عن قال : روى خرجنا مع عبد الله يعني ابن مسعود ومعنا الربيع بن خثيم فروا على حداد فقام عبد الله ينظر الى حديدة في النار ونظر الربيع بن خثيم اليها فقام الربيع ليسقط فصرع عبد الله على أتون على شاطئ الفرات فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية اذا رأيتم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فصعق يعني الربيع وجلوه الى أهل بيته فربطه عبد الله الى الظهر فلم يبق رضى الله عنه وحدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجا حدثنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد ولا بن أبي حاتم أيضا عن ابن عباس قال ان العبد ليجر الى النار فتنشق اليه شهقة البغلة الى الشعر ثم تفر فرفرة لا يبقى أحد الاخاف هكذا رواه ابن أبي حاتم باسناده مختصرا وقدر واه الامام أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا عبد الله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن أبي

انه لا يفوته نصيبه من الدنيا وهذا حال المؤمن وأما حال الكافر فانه لم يكن معه الا مجرد التمتع بشئ من الدنيا يستوى فيه هو والمؤمن وينال كل واحد منهم ما حظ منه وهو صائر الى النار فهل يستويان وثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة قيل نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي جهل أو في علي وحزرة وأبي جهل أو في المؤمن والكافر أو في عمار ابن ياسر والوليد بن المغيرة (ويوم يناديهم) أي اذ كرم ينادى الله سبحانه هؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله والقصد من هذا النداء توبيخهم وتقريعهم بان معبوداتهم لم تنفعهم في هذا الوقت (فيقول) لهم (أين شركائي الذين) عبدتموهم من دوني وانتم لهم شركاء في استحقاق العبادة (وكنتم تزعمون) انهم ينصرونكم ويشفعون لكم (قال الذين حق عليهم القول) أي حقت عليهم كلمة العذاب بدخول النار وهم رؤساء الضلال الذين اتخذوهم أربابا من دون الله كذا قال الكلبى وقال قتادة هم الشياطين (ربنا هؤلاء الذين اغويانا) أي دعوناهم الى الغواية يعنون الاتباع في الكفر (اغويانا هم كما غويانا) أي اضلاناهم كما ضلناوا وتروا الكفر على الايمان كما آثرناهم نحن وكما السبب في كفرهم فقبلوا منافلا فرق اذا بين غيبتنا وغيبتهم وان كان تسوي بلنا لهم داعيا الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله تعالى لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعود والوعظ والزجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان (تبرأنا اليك) ممن أطاعناوه وهذا مقر ولما قبله ولذلك لم يعطف قال الزجاج برئ بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو (ما كانوا ايانا يعبدون) انما كانوا يعبدون أهواءهم قيل ما مصدرية أي تبرأنا اليك من عبادتهم ايانا والاولى (وقيل) للكفار من بنى آدم تكلمهم هم وتبكيستهم (ادعوا شركاءكم) أي استغيثوا بالهتكم التي كنتم تعبدونهم من دون الله في الدنيا لينصروكم ويدفعوا عنكم (قدعوهم) عند ذلك (فلم يستجيبوا لهم) ولا نفعوهم بوجه من وجوه النفع (ورأوا) اي التابع والمتبوع (العذاب) قد غشيهم (لو أنهم كانوا يهتدون) قال الزجاج جواب لو محذوف اي لا يجاهم ذلك ولم يروا العذاب وقيل المعنى مادعوهم وقيل لو كانوا يهتدون في الدنيا لعلوا أن العذاب حق وقيل لو يهتدون بوجه من وجوه الخليل لدفعوا به العذاب وقيل قد أن لهم ان يهتدوا ولو كانوا يهتدون وقيل غير ذلك

يحيى عن مجاهد باسناده الى ابن عباس قال ان الرجل ليجر الى النار فينزوي بهضم الى بعض فيقول لها الرحمن مالك قالت انه يستخير مني فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر الى النار فيقول يارب ما كان هذا الظن بك فيقول فما كان ظنك فيقول ان تسعني رحمتك فيقول أرسلوا عبدى وان الرجل ليجر الى النار فتنشق اليه الشهقة البغلة الى الشعر وترفر فرفرة لا يبقى أحد الاخاف وهذا اسناد صحيح وقال عبد الرزاق أخبرنا عمر عن منصور عن مجاهد عن عبيد بن عمير في قوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا قال ان جهنم لتزفر فرفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الاخر ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم عليه السلام ليحيى على ركبتيه ويقول رب لا أسألك

اليوم الانفسي وقوله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو قال مثل الزج في الرمح أي من ضيقه وقال عبد الله بن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن يحيى بن أبي أسيد رفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن قول الله واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين قال والذي نفسي بيده انهم ليست تكرر هون في النار كما يستكره الوند في الحائط وقوله مقرنين قال أبو صالح يعني مكتفين دعوا هنا لك ثبورا أي بالويل والحسرة والخيبة لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا الآية وروى الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا جاد بن سلمة (١٢٨) عن علي بن يزيد عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من بعده وهو ينادى يا ثبورا و ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فيقول يا ثبورا و يقولون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا يخرجهم أحد من أصحاب الكتب الستة ورواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن عفان بن به ورواه ابن جرير من حديث ابن سلمة وقال العوفي عن ابن عباس في قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا الآية أي لا تدعوا اليوم ويلا واحدا وادعوا يلا كثيرا وقال الضحاك الثبور الهلاك والاطهر ان الثبور يجمع الهلاك والويل والخسار والدمار كما قال موسى لفرعون واني لانتك يا فرعون مشبورا أي هالكا قال عبد الله بن الزبير اذا جارى نبي الشيطان في سنن النجاشي ومن مال ماله مشبورا (قل) اذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقين كانت لهم جزاء ومصير لهم فيها ما يشاؤون خالد بن كان على ربك وعدا مسئولا

(ويوم يناديهم) عطف على ما قبله فسئلوا ولا عن اشرا كههم وثانيا عن جوابهم للرسول الذين نهوهم عن ذلك كما قال (فيقول ماذا اجبت المرسلين) أي ما كان جوابكم لمن أرسل اليكم من النبيين لما بلغوا رسالاتي (فعميت عليهم الانباء يومئذ) أي خفيت عليهم الحجج حتى صاروا كالعمى الذين لا يمتدون والاصل فعموا عن الانباء ولكنه عكس الكلام للمبالغة والانباء الاخبار وانما سمى حججهم اخبارا لانهم لم تكن من الحجج في شيء وانما هي أفاصيص وحكايات وقرئ عميت بضم العين وتشديد الميم (فهم لا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب النافع وذلك لفرط الدهشة أو لعلمهم بان الكل سواء في الجهل وقيل لا يسأل بعضهم بعضا عن الانساب قاله مجاهد ولا ينطقون بحجة ولا يدرون بما يجيبون لان الله قد أعذر اليهم في الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة (فأما من تاب) من الشرك (وآمن) وصدق بتوحيد الله (وعمل صالحا) أي ادى الفرائض (فمسي ان يكون من المفليين) أي الناجين بوعد الله الفائزين بمطابقتهم من سعادة الدارين وعسى وان كانت في الاصل للرجاء فهي من الله واجب على ما هو عادة الكرام وقيل ان الترجي هو من قبل التائب المذكور لان جهة الله سبحانه أي فيستوقع الفلاح (وربك يخلق ما يشاء) ان يخلقهم وفيه دلالة على خلق الافعال (ويختار) ما يشاء ان يختار لا يسأل عما ينعمل وهم يسألون وهذا متصل بذكر الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم أي الاختيار الى الله (ما كان لهم الخيرة) أي الخير وهو كاطيرة فانها التطير اسمان يستعملان استعمال المصدر ومعنى الخير كقولهم محمد خير الله من خلقه وقيل المراد من الآية انه ليس لاحد من خلق الله ان يختار شيئا اختيارا حقيقيا بحيث يقدم على تنفيذه بدون اختيار الله بل الاختيار هو الى الله عز وجل يختار لاطاعته وولنبتوته والمعنى يخلق محمدا ويختار الانصار لادنيه وقيل اختار من النعم ضانا ومن الطير الحمام ولا وجه للتخصيص والعموم اولى وظاهر الآية تنفي الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواعي الاختيار لهم فيها وقيل ان هذه الآية جواب عن قولهم لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل جواب عن اليهود حيث قالوا لو كان الرسول الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم غير جبريل لا منابه قال الزجاج الوقف على ويختار تام على ان ما نافية قال ويجوز ان يكون ماقى موضع نصب بختار والمعنى ويختار الذي كان

يقول تعالى يا محمد هذا الذي وصفناه لك من حال الاشقياء الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم فتلقتهم لهم بوجه عبوس ونغيظ وزفير ويلقون في أما كتب الضيق مقرنين لا يستطيعون حرا كولا استبصارا ولا فكا كما هم فيه أهذا خيرا أم جنة الخلد التي وعد الله المتقين من عباده التي أعدها لهم وجعلها لهم جزاء ومصيرا على ما أطاعوا في الدنيا وجعل ما لهم اليها لهم فيها ما يشاؤون من الملائكة من كل ومشارب وملابس ومسكن ومراكب ومناظر وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد وهم في ذلك خالدون أبادا عماسرمد ابلا انقطاع ولا زوال ولا انقضاء ولا ينفون عنها حولا وهذا من وعد الله

الذي تفضل به عليهم وأحسن به اليهم ولهذا قال كان على ربك وعدم استئولاً أي لا بد أن يقع وان يكون كما حكاه أبو جعفر بن جرير عن بعض علماء العربية ان معنى قوله وعدم استئولاً أي وعدا واجبا وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس كان على ربك وعدا مستولاً يقول سلوا الذي وعدتكم أو قال أو وعدنا كم تجزوه وقال محمد بن كعب القرظي في قوله كان على ربك وعدم استئولاً ان الملائكة تسأل لهم ذلك ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وقال أبو حازم اذا كان يوم القيامة قال المؤمنون ربنا علمنا ان بالذي أمرتنا فاجزنا ما وعدتنا فذلك قوله وعدم استئولاً (١٢٩) وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار ثم

النسب على حال أهل الجنة كما ذكر تعالى في سورة الصافات حال أهل الجنة ثم وما فيها من النضر والخبور ثم قال أذلّك خير لآدم شجرة الرقوم ان جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعتها كأثر رؤس الشياطين فانهم لا يكون منها الاثون منها البطون ثم ان لهم عابها الشوبان جسيم ثم ان مرجعهم لا الى الجحيم انهم القوا آباءهم ضالين فهم على آثارتهم يهرعون (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكروا كانوا بورا فقد كذبوكم بما تقولون فأنتم تطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) يقول تعالى محضرا عما يتبع يوم القيامة من تفرغ الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله من الملائكة وغيرهم فقال ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله قال مجاهد هو عيسى والعزير

لهم فيه الخيرة والصحيح الاول لاجماعهم على الوقف وقال ابن جرير ان تقدير الآية ويختار لولا لآيته الخيرة من خلقه وهذا في غاية من الضعف وجوز ان عطية ان تكون كاملة ويكون لهم الخيرة جملة مستأنفة وهذا أيضا بعيد جدا ومن قال دعناه ويختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح فهو مائل الى الاعتزال وقيل ان ما مصدرية أي يختار اختيارهم والمصدر واقع موقع المفعول به أي ويختار مختارهم وهذا كالتفسير لكلام ابن جرير والراجح أول هذه التفاسير ومثله قوله سبحانه وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمر أن تكون لهم الخيرة وقد ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح نعيم الاستخارة وكيفية صلاتها ودعائها فلا تطول بذكرها ثم نزه سبحانه نفسه فقال (سبحان الله) أي تنزهها خاصا به من غير ان يازعه منازع أو يشاركه مشاركا أو يزاكم اختياره (وتعالى عما يشركون) أي عن الذين يجعلونهم شركاء له (وربك يعلم ما تكن صدورهم) أي تخفيه قلوبهم وتسره من الشرك أو من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحسده أو من جميع ما يخفونه مما يخالف الحق (وما يعلمون) بالسنتهم من ذلك ويظهورونه ثم مدح نفسه سبحانه بالوحداية والتفرد بالاستحقاق للعمد فقال (وهو الله) أي هو المستأثر بالالهية المختصة بها وقوله (لا اله الا هو) تقرير لذلك (له الحمد في الاولى) أي في الدنيا (والآخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وأجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا والتحميد دعة على وجه اللذة لا على الكلفة وهو قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين (وله الحكيم) أي القضاء النافذ في كل شيء فيبقى بين عبادته عايشاء من غير مشارك (واليه) لا الى غيره (ترجعون) بالبعث والنشور والخروج من القبور فيجازي المحسن باحسانه والمسي باسائه (قل) لاهل مكة (أرأيتم) أي اخبروني (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) باسكان الشمس تحت الارض أو بتحريكها حول الاقفاق الغائر والسرمد هو الدائم المستمر من السرد وهو المتابعة والاطراد فالميم زائدة كما في دلامص من الدلاص ووزنه فعمل وقيل ان ميمه أصلية ووزنه فعلل لا فعمل وهو الظاهر بين لهم سبحانه انه مهد لهم أسباب المعيشة ليقيموا بشكر النعمة فانه لو كان الدهر الذي يعيشون فيه ليلا دائما لانهار معه (الي يوم القيامة) لم يتكسوا من الحركة فيه وطلب ما لا بد لهم منه مما يقوم به

(١٧ - فتح البيان سابع) والملائكة فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء الآية أي فيقول الرب تبارك وتعالى للمعبودين أأنتم دعوتهم هؤلاء الى عبادتكم من دوني أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم من غير دعوة منكم لهم كما قال الله تعالى واذا قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتني به الآية ولهذا قال تعالى محضرا عما يجب به المعبودون يوم القيامة قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من أولياء قرأ الاكثر من بفتح النون من قوله

تخذ من دونك من أوليائه أى ليس للخلائق كلهم ان يعبدوا احد اسواله لانحن ولاهم فحن مادعوناهم الى ذلك بل هم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم غير امرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم كما قال تعالى ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك الاية وقرأ آخرون ما كان ينبغي لنا ان نخضع من دونك من أوليائه أى ما ينبغي لاحد ان يعبدنا فانما يعبد ذلك فقراء اليك وهى قرية المعنى من الاولى ولكن متعتهم وآباءهم أى طال عليهم العمر حتى نسوا الذكراى نسوا ما أنزلته اليهم على السنة رسالتك من الدعوة (١٣٠) الى عبادتك وحدك لا شريك لك وكانوا قوم ابورا قال ابن عباس

أى هلكتي وقال الحسن البصرى ومالك عن الزهري أى لا خير فيهم وقال ابن الزبيرى حين أسلم يارسول الملك ان لسانى راتق ما فتقت اذا نابور اذا جارى الشيطان فى سنن النقي وم من مال ميله مشبور قال الله تعالى فقد كذبوك بما تقولون أى فقد كذبكم الذين عبدتم من دون الله فيما زعمتم انهم لكم أوليائه وانهم يقربونكم الى الله زلفى كقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله فما يستطيعون صرفا ولا نصرا أى لا يقدرون على صرف العذاب عنهم ولا الاتصاف لانفسهم ومن يظلم منكم أى يشرك بالله نذقه عذابا كبيرا (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا) يقول تعالى مخبرا عن جميع من بعثه من الرسل

العيش من المطاعم والمشارب والملابس ثم امتن عليهم فقال (من الله غير الله يا أيكم) أى هل لكم من الله بزعيم من الالهة التى تعبدونها يتدبر على ان يرفع هذه الظلمة الدائمة عنكم (بضياء) أى بنور تطلبون فيه المعيشة وتبصرون فيه ما تحتاجون اليه وتصلح شماركم وتنوعه زراةكم وتعيش فيه دوابكم والجملة صفة أخرى لاله عليها يدور التبكي والالزام (أفلات تسمعون) هذا الكلام سماع فهم وقبول وتدبر وتفكر وهذا توبيخ لهم على اباغ وجه ثم لما فرغ الله من الامتحان عليهم بوجود النهار امتن عليهم بوجود الليل فقال (قل أرايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا) أى جعل جميع الدهر الذى تعيشون فيه نهارا (الى يوم القيامة) لاليل معه باس كان الشمس فى وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الافق (من الله غير الله) بزعمكم (يا أيكم بديل تسكنون) أى تستقرون (فيه) من النصب والتعب وتستهريحون مما تزاولون من طلب المعاش والكسب (أفلات تبصرون) هذه المنفعة العظيمة ابصارت معظم متعظ حتى تنزجروا عما أنتم فيه من عبادة غير الله فاذا أفروا بانة لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل فقد لذرتهم الحجة وبطل ما يتسكون به من الشبهة الساقطة وانما قرن سبحانه بالضياء قوله أفلات تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدرك البصر من ذلك منافعها ووصف فوائده وقرن بالليل قوله أفلات تبصرون لان غيرك يبصر من منة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه البصر يدرك ما لا يدرك السمع من ذلك (ومن رحمته) تعالى (جعل لكم الليل والنهار لتسكروا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من فضله) أى فى النهار بالسمى فى المكاسب وفيه مدح للسمى فى طلب الرزق وهو لا يشافى التوكل (ولعلكم تشكرون) أى ولكي تشكروا نعمة الله عليكم وهذه الاية من باب اللف والنشر واعلم انه وان كان السكون فى النهار مما وكما وطاب الرزق فى الليل مما وكما وذلك عند دطوع القمر على الارض أو عند الاسضاء بشىء مما له نور كالسراج لكن ذلك قليل نادر يخالف لما يأنه العباد فلا اعتبار به (ويوم يناديهم فيقول أين شركائ الذين كنتم تزعمون) كرسبانه هذا لاختلاف الحالات لانهم ينادون مرة فيدعون الاصنام وينادون أخرى فيبتكون وفى هذا التكرار أيضا تدرية بعد تدرية وتوبيخ بعد توبيخ وايدان بانة لا شىء أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شىء أدخل فى مرضاته من توحيدده أو الاول لتقرر يفساد

المتقدمين انهم كانوا ياكلون الطعام ويمشون فى الأسواق لتسكب والتجارة وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصهم فان الله تعالى جعل لهم من السمات الحسنة والصفات الجميلة والاقوال الفاضلة والاعمال الكاملة والخوارق الباهرة والادلة القاهرة ما يستدل بكل ذى لب سليم وبصيرة مستقيمة على صدق ما جاؤا به من الله ونظير هذه الاية الكريمة قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى وقوله وما جعلناهم جسدا لايأكلون الطعام الاية وقوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أى اختبرنا بعضكم ببعض وبلونا بعضكم ببعض لنعلم من يطيع

من بعضي ولهذا قال أنصبرون وكان ربك بصيرا أي من يستحق ان يوحى اليه كما قال تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته ومن يستحق ان يهديه الله لما أرسله- به ومن لا يستحق ذلك قال محمد بن اسحق في قوله وجعلنا به ضحك لبعض فتنة أنصبرون قال يقول الله لو شئت أن أجعل الدنيا مع ربي فلا يخالفون لنعمت ولكني قدردت ان أتبلى العبادي-م وفي صحيح مسلم عن عياض بن جماد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني مبتليكم ومبتلي بك وفي المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وفي الصحيح انه عليه أفضل (١٣١) الصلاة والسلام خير بين أن يكون نبيا

ملكا أو عبدا رسولا فاختار أن يكون عبدا رسولا (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقد منا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) يقول تعالى محجورا عن نعت الكفار في كفرهم وعنادهم في قولهم لولا أنزل علينا الملائكة أي بالرسالة كما تنزل على الانبياء كما أخبر الله عنهم في الآية الاخرى قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ويحتمل أن يكون مرادهم ههنا لولا أنزل علينا الملائكة فتراهم عيانا فيخبرونا أن محمد رسول الله كقولهم أوتى باله والملائكة قبلا وقد تقدم تفسيرها في سورة سبحان ولهذا قال أنصبرون ولهذا قال الله تعالى لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا وقد قال تعالى ولواننازلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى الآية وقوله تعالى

رأيهم والثاني لبيان انه لم يكن عن مستند وانما هو محض تشبه وهو (وزننا) جاء بصيغة الماضي للدلالة على التحقيق أي أخرجنا (من كل امة) من الامم (شهيذا) يشهد عليهم-م عما قالوا قال مجاهد-م الانبياء وقيل عدول كل امة والاولى ومثله قوله سبحانه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ثم بين سبحانه ما يقوله لكل امة من هذه الامم بقوله (فقلنا) لهم (ها اوبراهانكم) أي حجتكم ودليلكم بان معي شركاء فعند ذلك اعترفوا وخرسوا عن اقامة البرهان ولذا قال (فعلوا ان الحق لله) في الالهية وانه وحده لا شريك له (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي غاب عنهم غيبة الشيء الضائع وبطل وزهد ما كانوا يفتنون من الكذب في الدين بان الله شركاء يستحقون العبادة ثم عقب سبحانه حديث أهل الضلال بقصة قارون لما شتمت عليه من بديع القدرة وعجيب الصنع فقال (ان قارون كان من قوم موسى) قارون على وزن فاعول اسم أجمعى ممنوع للجملة والعلية وليس بعربي مشتق من قرنت قال الزجاج لو كان قارون من قرنت الشيء لانصرف قال النخعي وقتادة وغيرهما كان ابن عم موسى وهو قارون بن يصر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث وقال ابن اسحق كان عم موسى لاب وأم فجعله أخا لعمران وهما ابنا قاهث وقيل هو ابن خالة موسى وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة فسمع كلام الله قاله الرازي ولم يكن في بني اسرائيل اقرا للثوراة منه ففاق كما ناق السامري وخرج عن طاعة موسى وهو معنى قوله (فبني) أي جاوز الحد في التجر والتكبر وطلب التفضل (عليهم) وان يكونوا تحت أمره وحسد موسى على رسالته وهرون على امامته وكفر بالله بعدما آمن به- ما بسبب كثرة ماله قال الضحاك بغية على بني اسرائيل استخفافهم بكثرة ماله وولده وقال قتادة بغية بنسبة ما آناه الله من المال الى نفسه لعلمه وحيلته وقيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم وقيل كان بغية بغير ذلك مما لا يناسب معنى الآية (واتيناه من الكنوز) جمع كنز وهو المال المدخر سميت أمواله كنوزا لانه كان ممنوعا من أداء الزكاة قال عطاه أصاب كنزا من كنوز يوسف وقيل كان يعمل الكيمياء (ما ان منفتح) ماموصولة صلتما ان وما في حيزها ولهذا كسرت ونقل الاخفش الصغير عن الكوفيين منع جعل المكسورة وما في حيزها صلة

يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا أي هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم بل يوم يرونهم لا بشرى يومئذ لهم وذلك يصدق على وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه اخر جي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث اخر جي الى سموم ووجيم وظل من محموم فتأني الخروج وتفرق في البدن فيضربونه كما قال الله تعالى ولوترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضررون وجوههم وأدبارهم الآية وقال تعالى ولوترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أي بالضرب أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون

على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولهذا قال في هذه الآية الكريمة يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وهذا بخلاف حال المؤمنين حال احتضارهم فانهم يبشرون بالخيرات وحصول المسرات قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب ان الملائكة تقول روح المؤمن (١٣٢) اخرجي أيها النفس الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي

الى روح ورب يحيا ورب غير غضبان وقد تقدم الحديث في سورة ابراهيم عند قوله تعالى ينبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وقال آخرون بل المراد بقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يعني يوم التيامه قاله مجاهد والضحاك وغيرهما ولا منافاة بين هذا وما تقدم فان الملائكة في هذين اليومين يوم الممات ويوم المعاد تجلي للمؤمنين وللكافرين فيبشرون المؤمنين بالرحمة والرضوان وتبشرون الكافرين بالخيبة والخسران فلا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا أي وتقول الملائكة للكافرين حرام محرم عليكم الفلاح اليوم واصل الحجر المنع ومنه يقال حجر القاضي على فلان اذا منعه التصرف اما النفس أو سفه أو صغرا ونحو ذلك ومنه سمي الحجر عند البيت الحرام لانه يمنع الطواف ان يطوفوا فيه وانما يطاف من ورائه ومنه يقال للعقل حجر لانه يمنع صاحبه عن نعاطي ما لا يليق والقرض ان الضمير في

الذي واستقبح ذلك منهم لو روده في الكتاب العزيز في هذا الموضع والمفاتيح جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل المراد بالمفاتيح الخزائن فيكون واحدا ما منها يفتح الميم وقال الواحدى ان المفاتيح الخزائن في قول أكثر المفسرين كقوله وعندده مفاتيح القليب قال هو اختيار الزجاج قال الاشبه في التفسير ان مفاتيحه خزائن ما له وقال آخرون هي جمع مفاتيح وهو ما يفتح به الباب فهذا قول قتادة ومجاهد وعن خزيمة قال كانت مفاتيح كنوز فارون من جلود الابل كل مفاتيح مثل الاصبع كل مفاتيح على خزانه على حدة فاذا ركب حملت المفاتيح على سبعين بغلا غير محجل وعنه قال وجدته في الانجيل ان بغال مفاتيح خزائن فارون غير محجلة ما يزيد كل مفاتيح منها على اصبع ليدل كل مفاتيح كخزائن الشوكاني لم أجد في الانجيل هذا الذي ذكره خزيمة (لتنوء بالعصبة أوى القوة) أي لتثقل بالجماعة الاقوياء يقال نأى بجملة اذا نهض به مثقالا ويقال نأى بي الجملة أى اثقلنى والمعنى يثقلهم حمل المفاتيح فلا يستطيعون حملها وقال الرازى فلا يستطيعون ضبطها اكثرتها انتهى قال أبو عبيدة هذا من المقلوب والمعنى لتنوء بالعصبة أى تمنهض بها قال أبو زيد نأوت بالجل اذا نهضت به وقال الفراء معنى تنوء بالعصبة بمنهضها كما يقال يذهب بالبؤس ويذهب البؤس وذهبت به وأذهبت به وجمت به واجأته ونوتت به وأنأوته اختار هذا النحاس وبه قال كثير من السلف وقيل هو مأخوذ من النأى وهو البعد وهو بعيد وقرئ لينوء بالعصبة أى لينوء الواحد منها أو المذكور فحمل على المعنى أو التقدير حملها أو ثقلها وقيل الضمير في مفاتيحه لقارون فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير كقولهم ذهبت أهل العيامة قاله الزمخشري والمراد بالعصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض قيل هي من الثلاثة الى العشرة وقيل من العشرة الى الخمسة عشرة وقيل ما بين العشرة الى العشرين وقيل من الخمسة الى العشرة وقيل أربعون وقيل سبعون وقيل غير ذلك قال ابن عباس لا ترفعها العصبة من الرجال أوى القوة والعصبة أربعون رجلا (أذ قاله قومه لا ففرح) أى اذ كروا المراد بقومه هنا هم المؤمنون من بني اسرائيل وقال الفراء هو موسى وهو جمع اريد به الواحد والمعنى لا تبطروا ولا تأثروا ولا تفرحوا بكثرة المال (ان الله لا يحب الفرحين) البطرين الاشرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قال الزجاج المعنى لا تفرح بالمال فان الفرح بالمال لا يؤدي حقه وقيل المعنى لا تقصد قال

الزجاج

قوله ويقولون عائد على الملائكة هذا قول مجاهد وعكرمة والحسن والضحاك وقتادة وعطية العوفى وعطاء الخراسانى وخصيف وغير واحد واختره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو نعيم حدثنا موسى بن قيس عن عطية العوفى عن أبي سعيد الخدرى في الآية ويقولون حجرا محجورا قال حرام محرم ما يبشر بما يبشر به المتقون وقد حكى ابن جرير عن ابن جرير انه قال ذلك من كلام المشركين يوم يرون الملائكة أى يتعونون من الملائكة وذلك ان العرب اذا نزل بها حدهم نازلة أو شدة يقول حجرا محجورا وهذا القول وان كان له ما أخذ وجهه ولكنه بالنسبة الى السياق بعيد لاسيما وقد نص الجمهور على

خلافه ولكن قدروى ابن ابي يحيى عن مجاهد انه قال في قوله حجر مجبور أى عودا معاذ فبجته حمل انه أراد ما ذكره ابن جريج
ولكن في رواية ابن ابي حاتم عن ابن ابي يحيى عن مجاهد انه قال حجر مجبور عودا معاذ الملائكة تقول ذلك فانه أعلم وقوله تعالى
وقدمنا الى ما علموا من عمل الآيات هذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر فاخبرانه ليحصل لهؤلاء
المشركين من الاعمال التي ظنوا انها منجاة لهم شئ وذلك لانهم افقدت الشرع الشرعى اما الاخلاص فيه او اما المتابعة لشرع الله
فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل (١٣٣) فاعمال الكفار لا تخلون واحدا من هذين

وقد تجرعه هماما فتكون ابعدهم
القبول حينئذ ذلوهذا قال تعالى
وقدمنا الى ما علموا من عمل الآيات
قال مجاهد والثوري وقد معنا أى
وعندنا وكذا قال السدي وبعضهم
يقول أنينا عليه وقوله تعالى فجعلناه
هباء منثورا قال سفيان الثوري
عن ابي اسحق عن الحرث عن علي
رضي الله عنه في قوله هباء منثورا
قال شعاع الشمس اذا دخل في الكوة
وكذا روى من غير هذا الوجه
عن علي وروى مثله عن ابن عباس
ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير
والسدي والضحاك وغيرهم وكذا
قال الحسن البصري هو الشراع
في كوة أحدهم ولو ذهب يقرض
عليه لم يستطع وقال علي بن ابي
طلحة عن ابن عباس هباء منثورا قال
هو الماء المهرق وقال أبو الاحوص
عن ابي اسحق عن الحرث عن علي
هباء منثورا قال الهباء وهج
الدواب وروى مثله عن ابن عباس
أيضا والضحاك وقاله عبد الرحمن
ابن زيد بن أسلم وقال قتادة في قوله
هباء منثورا قال ما رأيت بييس
الشجر اذا ذرته الريح فهو ذلك

الزجاج الفرحين والفارحين سواء وقال الفراء معنى الفرحين الذين هم في حال الفرح
والفارحين الذين يفرحون في المستقبل وقال مجاهد معنى لا تفرح لا تبغ والفرحين
الباغين وقيل معناه لا تبخل ان الله لا يحب الباخلين وقال ابن عباس الفرحين المرحين
قيل انه لا يفرح بالدينا الامن رضى بها واطمأن واما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه يتركها
عن قريب فلا يفرح بها (وابتغ فيما آتاك الله) أى واطلب فيما أعطاك الله من الاموال
والثروة والغنى (الدار الآخرة) هي الجنة فانفقته فيما يرضاه الله كصدقة واصله رحم واطعام
جائع وكسوة عار ونفقة على محتاج لافي التجبر والبغى وقرئ واتبع (ولاتنس نصيبك من
الدينا) قال جمهور المفسرين وهو ان يعمل في دنياه لا آخرته ونصيب الانسان عمره وعمله
الصالح قال الزجاج معناه لاتنس ان تعمل لآخوتك لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا
الذي يعمل به لا آخرته وقال الحسن وقتادة معناه لاتضيع حظك من دنياك في تمتعك
بالحلال وطلبك اياه وهذا الصق بمعنى النظم القراني وقال ابن عباس ان تعمل فيها
لا آخرتك وفسر بعضهم النصيب بالكفن وعليه قول الشاعر

نصيبك مما تجتمع الدهر كله * رداً آن تدرج فيه ما وحنوط

وفسره البيضاوي بما يحتاج اليه منها وفي الحديث اغتمت خسا قبل خس شباك قبل
هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك
وهو مرسل وهذا ما جرى عليه مجاهدوا بن زيد وقيل معناه خذ ما تحتاجه من الدنيا
وأخرج الباقي وقيل امر ان يعدم الفضل ويسك ما يغنيه (وأحسن كما أحسن الله اليك)
الكافي للتشبيه أى أحسن احسانا كاحسان الله اليك اول التعليل أى أحسن الى عباد
الله بما أنعم به عليه من نعم الدنيا ما أمره بالاحسان بالمال أمره بانبا بالاحسان مط. قا
ويدخل فيه الاعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وقيل اطع الله واعبده
كأنعم عليك ويؤيده ما ثبت في الصحيحين وغيره ما ان جبريل سأل رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه ربك (ولا
تبغ الفساد في الارض) أى لا تعمل فيها بما صاى الله (ان الله لا يحب المفسدين) في
الارض يعنى انه يعاقبهم (قال انما أوتيته) أى المال (على علم عندي) قال قارون هذه
المقالة ردا على من نصحه بما تقدم أى انما أعطيت ما أعطيت من المال لاجل علمي وليس

الورق قال وقال عبد الله بن وهب أخبرني عاصم بن حكيم عن ابي سريع الطائي عن عبيد بن يعلى قال وان الهباء الرماد اذا ذرته
الريح وحاصل هذه الاقوال التشبيه على مضمون الآية وذلك انهم عملوا الاعمال واعتقدوا انها على شئ فلما عرضت على الملك الحكم
العدل الذي لا يجوز ولا يظلم أحدا انما الاشئ بالكلية وشبهت في ذلك بالشئ التافه الحقير المتفرق الذي لا يقدر صاحبه منه على
شئ بالكلية كما قال تعالى مثل الذين كفروا برهم أعمالهم كرماد استمدت به الريح الآية وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بين يدي والذى الى قوله تعالى لا يقدر على شئ مما كسبوا وقال تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب تبعية يمسبه

الظمان ما حتى اذا جاءه لم يجدد شيئا وتقدم الكلام على تفسير ذلك والله الحمد والمنة وقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقرا
وأحسن مقبلا أي يوم القيامة لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وذلك ان أهل الجنة يصيرون
الى الدرجات العاليات والقرافات الآمنات فهم في مقام أمين حسن المنظر طيب المقام خالدون فيها حسنت مستقرا ومقاما أو أهل
النار يصيرون الى الدرجات السافلات والحشرات المتتابعات وانواع العذاب والعقوبات انها سامت مستقرا ومقاما أي بنس
المتزل منظر او بنس المقبل مقاموا ولهذا (١٣٤) قال تعالى أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقرا وأحسن مقبلا أي بجماعه

من الاعمال المتقبلة قالوا ما نالوا
وصاروا الى ما صاروا اليه بخلاف
أهل النار فانهم ليس لهم عمل واحد
يقتضى دخول الجنة لهم والنجاة
من النار فبني تعالى بحال السعداء
على حال الأشقياء وانه لا خير عندهم
بالكلية فقال تعالى أصحاب الجنة
يومئذ خيرا مستقرا أحسن مقبلا
قال الضحاك عن ابن عباس انما
هي ساعة فيمقبيل أولياء الله على
الاسر مع الحور العين ويقبيل
أعداء الله مع الشياطين مقرنين
وقال سعيد بن جبير يفرغ الله من
الحساب نصف النهار فيقبيل أهل
الجنة في الجنة وأهل النار في النار
قال الله تعالى أصحاب الجنة يومئذ
خيرا مستقرا وأحسن مقبلا وقال
عكرمة اني لاعرف الساعة التي
يدخل فيها أهل الجنة والجنة وأهل
النار النار وهي الساعة التي
تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى
الا كبر اذا انقلب الناس الى أهليهم
للقبولة فينصرف أهل النار الى
النار واما أهل الجنة فينطلق بهم
الى الجنة فكانت قبولتهم في الجنة
واطمعوا كبدهوت فاشبههم ذلك

تفضلا وهذا العلم الذي جعله سيد الماناله من الدنيا قبل هو علم التوراة وقبيل علمه بوجوه
المكاسب والزراعات وانواع التجارات وقبيل معرفة الكنوز والدقائق وقبيل علم الكيمياء
وقبيل المعنى ان الله آتاني هذه الكنوز على علم منه باستحقاق اياها الفضل علمه مني واختار
هذا الزجاج وانكر ما عداه ثم رد الله عليه قوله هذا فقال (أولم يعلم ان الله قد أهلك من قبله
من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) للمال ولو كان المال والقوة يدلان على
فضيله لما أهلكهم الله وقبيل القوة الآلات والجمع الاعوان وهذا الكلام خارج مخرج
التقريب والتوبيخ لقارون لانه قد قرأ التوراة وعلم علم القرون الاولى واهلك الله
سبحانه لهم أو سمعه من حفاظ التوراة يخبره قاله الكرخي (ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون)
أي لا يستلون سؤال استعجاب كما في قوله ولا هم يستعتبون وما هم من المعتبين وانما
يستلون سؤال تقريظ وتوبيخ يحاسبون ويشدد عليهم كافي قوله تعالى فوربك لنسألنهم
أجمعين وقال مجاهد دلالة الملائكة عن المجرمين لانهم يعرفون بجهنم فانهم
يحشرون سود الوجوه زرق العيون وقال قتادة لا يستل المجرمون عن ذنوبهم لظهورها
وكثرتها بل يدخلون النار بغير سؤال وحساب وقبيل لا يستل مجرم وهذه الامة عن ذنوب
الامم الخالية والمعنى يعرفون بها بغير سؤال وقبيل لا يسألهم الله عن كيفية ذنوبهم وكيفية
اذا اراد ان يعاقبهم قال ابن عادل وألحق الوجوه بهذه الآية الاستعجاب (خارج) قارون
وكان خروجه يوم السبت (على قومه في زينته) أي باتباعه الكافرين ركبانا متحليين بملابس
الذهب والحريز على خيول وبغال متحلية قاله المحلى عن اوس بن اوس النقي عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قال خرج على قومه في أربعة آلاف بغل أخرجه ابن مردويه
وقدروى عن جماعة من اتباعه في اقول في بيان ما خرج به على قومه من الزينة ولا يصح
منها شيء مرفوعا بل هي من اخبار أهل الكتاب كما عرفناك غير مرة ولا ادري كيف اسناد
هذا الحديث الذي رفعه ابن مردويه في نظره بكتابه فلينظر فيه وقد ذكر المفسرون أيضا
في هذه الزينة التي خرج فيها رايات مختلفة والمراد انه خرج في زينة ابتهر لها من رايها
ولهذا اتى الناظرون اليه ان يكون لهم مثلها كما حكي الله عنهم بقوله (قال الذين يريدون
الحياة الدنيا) اختلف في هؤلاء القائلين بهذه المقالة فقيل لهم من مؤمن ذلك الوقت تموا
الدنيا ليتقربوا الى الله تعالى ولينفقوه في سبيل الخير فتموا مثله لاجنه حذر من الحسد

كلهم وذلك قوله أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقرا وأحسن مقبلا وقال سفيان عن ميسرة عن المنهال عن أبي وقيل

عبدة عن عبد الله بن مسعود قال لا يتصرف النهار حتى يقبل هؤلاء وهؤلاء ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقرا وأحسن مقبلا
وقرأ ثم ان مرجعهم لالى الحليم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقرا وأحسن مقبلا قال قالوا في
العرف من الجنة وكان حسابهم اذ عرضوا على ربهم عرضة واحدة وذلك الحساب اليسير وهو مثل قوله تعالى فاما من أوتى كتابه
بمنه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وقال قتادة خيرا مستقرا وأحسن مقبلا ما وى ومنزلا وقال قتادة

وحدث صفوان بن محرز انه قال يجابرجاين يوم القيامة أحدهما كان ملكا في الدنيا الى الحرمة والبياض فيحاسب فاذا عبد لم يعمل خيرا قط فيؤمر به الى النار والاخر كان صاحب كساء في الدنيا فيحاسب فيقول يارب ما أعطيتني من شيء ففحصتني به فيقول الله صدق عبدى فارسوه فيؤمر به الى الجنة ثم يتركان ماشاء الله ثم يدعى صاحب النار فاذا هو مثل الجملة السوداء فيقال له كيف وجدت فيقول شرمقيل فيقال له عد ثم يدعى بصاحب الجنة فاذا هو مثل القمر ليلة البدر فيقال له كيف وجدت فيقول رب خير مقبل فيقال له عد رواها ابن أبي حاتم كلاهما قال ابن جرير (١٣٥) حدثني يونس أنبأ ابن وهب أنبأنا عمرو بن

الحرث ان سمع عبد الصواف حدثه انه بلغه ان يوم القيامة يقصر على المؤمن حتى يكون كجانبين العصر الى غروب الشمس وانهم يتقبلون في رياض الجنة حتى يفرغ من الناس وذلك قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزيلا للملائكة يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ياويلت ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا) يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الامور العظيمة فمن انشقاق السماء وتفتورها وانفراجها بالغمام وهو ظلل النور العظيم الذي يهر الابصار ونزول الملائكة السموات يومئذ فيصيطون باللائحة في مقام المحشر ثم يحيى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء قال مجاهد وهذا كما قال تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة الآية قال

وقيل هم قوم من الكفار (يا) للتنبية (ليت لنا مثل ما أوتى قارون) في الدنيا (انه لا ذو حظ عظيم) أي نصيب وبخت ودولة وافرقة من الدنيا (وقال الذين أوتوا العلم) بما وعد الله في الآخرة وهم احبار بني اسرائيل قالوا للذين تمنوا (ويديكم) كلمة زجر منصوبة بمقدر رأى أزمكم الله ويديكم قاله الزمخشري ومثله في التبيان وأصل ويلك الدعاء بالله لئلا تم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى (ثواب الله) في الآخرة بالجنة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما أوتى قارون في الدنيا لان الثواب منافعه عظيمة خاصة عن شوائب المضار دائمة وهذه النعم على الضدي هذه الصفات فلا تتم وعرض الدنيا الزائل الذي لا يدوم وهذا بيان للمفضل عليه (ولا يلقاها) أي هذه الكرامة التي تكلم بها الاحبار وقيل الضمير يعود الى الاعمال الصالحة وقيل الى الجنة والمعنى لا يفهمها ويوقف عليها ويوفق للعمل لها (الصابرون) على طاعة الله والمصبرون أنفسهم عن الشهوات الراضون بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار (خسفناه) أي بقارون (وبداره الارض) يقال خسف المكان يخسف خسوا فذهب في الارض وخسف به الارض خسفا أي غاب به فيها والمعنى ان الله غيبه وغيب داره في الارض (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله) أي ما كان له جماعة يدفعون ذلك الخسف عنه (وما كان) هو في نفسه (من المنتصرين) أي من المنتقمين من موسى أو من الممتنعين من عذاب الله يقول نصره من عدوه فانتصر أي منعه منه فامتنع أخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس قال كان قارون ابن عم موسى وكان يتبع العلم حتى جمع علما فزيرل في أمره ذلك حتى بغى على موسى وحده فقال له موسى ان الله أمرني ان آخذ الزكاة فاني فقال ان موسى يريد ان يأكل أموالكم جاءكم بالسلامة رجاءكم بأشياء فاحتلمتوها ففهمتموه ان تعطوهم أموالكم فقالوا لا نحتلم فأتى ترى فقال لهم أرى ان أرسل الى بنى اسرائيل فترسلها اليه فترمي به انه أرادها على نفسها فارسوا اليها فقالوا الهان العظيم جعلك على ان تنهدى على موسى انه جربك قالت نعم فجاء قارون الى موسى فقال اجع بني اسرائيل فاخبرهم بما أمر ربك قال نعم فجمعهم فقالوا له ما أمر ربك قال أمرني ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تصلوا الرحم ركذا وكذا وأمرني اذ انى الرجل وقد أحصن ان يرجم قالوا وان كنت أنت قال

ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحرث حدثنا مؤمل حدثنا جاد بن سلمة عن علي بن زيد بن يوسف بن مهران عن ابن عباس انه قرأ هذه الآية ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزيلا قال ابن عباس رضى الله عنهم ما يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة في صعيد واحد الجن والانس والبهائم والسباع والطيور وجميع الخلق فتشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والانس وجميع الخلق فيصيطون بالجن والانس وجميع الخلق ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها فيصيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم والجن والانس وجميع الخلق وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق ثم تنشق السماء الثالثة فينزل أهلها

وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق فيصيطون باللائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والانس وجميع الخلق ثم كذلك كل سماء على ذلك التضعيف حتى تنشق السماء السابعة وهم أكثر من نزل قبلهم من أهل السموات ومن الجن والانس ومن جميع الخلق كلهم وينزل ربنا عز وجل في ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع ومن الجن والانس وجميع الخلق لهم قرون كأهب القناوهم تحت العرش لهم (١٣٦) زجل بالتسبيح والتهاويل والتقديس لله عز وجل ما بين أخص قدم أحدهم الى

نعم قالوا فانك قد زنت قال أنافارسلوا المرأة فجات فقالت ما أشد قى بالله فأنهم دعوني وجعلوا لي جعلاً موسى أنشدك بالله الاما صدقت قالت اما اذا نشدت قى بالله فأنهم دعوني وجعلوا لي جعلاً على ان أقذفك بنفسي وأنا أشهد انك بريء وانك رسول الله فخر موسى ساجداً يبيكي ويقول يا رب ان كنت رسولك فأعضب لي فأوحى الله اليه ما يبكيك قد سلطناك على الارض فرها فنتظيها فرفع رأسه فقال خذهم فخذتهم الى أعقابهم فجعلوا يقولون يا موسى فخذهم يا موسى فقال خذهم الى ركبهم فجعلوا يقولون يا موسى فخذهم فخذتهم الى أعناقهم فجعلوا يقولون يا موسى فخذهم فخذتهم فغشيتهم فأوحى الله اليه يا موسى سألت عبادي وتضرعوا اليك فلم تجبهم وعزيت لوانهم دعوني لاجبتهم قال ابن عباس وذلك قوله خففنا به يداه الارض خفف به الى الارض السفلى ذكره الخازن والقرطبي وغيرهما بالفاظ وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لبس ثوباً جديداً فاختال فيه خفف به من شفير جهنم فهو يتجبل فيها الا يبلغ قعرها لان فارون لبس جبنة فاختال فيها خفف الله به الارض رواه الحرث بن اسحق من حديث ابن عباس وأبي هريرة بسند ضعيف جداً قال الحافظ في الفتح ان مقتضى هذا الحديث ان الارض لاتأكل جسده فيمكن ان يلغز ويقال لنا كافراً لا يبلى جسده بعد الموت وهو فارون ذكره ابن القيم والتجبل السوخ في الارض والتحرك والتضعيف والتجبل التحريك قيل اذا وصل فارون الى قرار الارض السابعة ففتح اسرافيل في الصور (وأصبح) أي صار (الذين تنمو مكانه) أي منزلته وربته من الدنيا (بالامس) أي منذ زمان قريب ولم يرد خصوص اليوم الذي قبل يومه (يقولون ويكأن الله) أي يقول كل واحد منهم متندماً على ما فرط منه من التقى قال الثعالب أحسن ما قيل في هذا ما قاله الخليل وسيبويه ويونس والكسائي ان القوم تنهوا فافقه الواوي والمتندم من العرب يقول في خلال ندمه وي قال الجوهري وي كلمة تعجب ويقال ويك وقد تدخل وي على كأن الخفقة والمشددة وي كان الله قال الخليل هي مفصلة تقول وي ثم تبتدي فتقول كان وقال الفراء هي كلمة تقرير كقولك أمانى صنع الله واحسانه وقيل هي كلمة تنبيه بمنزلة الأوقال قطرب انما هو ويك فاسقطت لامه وقال ابن الاعرابي والاختفش معنى ويك اعلم وقال القتيبي معناها بلغة جبرجحة لك وقيل هي بمعنى ألم تر وروى عن الكسائي انه قال هي كلمة

كعبه مسيرة خمسمائة عام وما بين كعبه الى ركبته مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبته الى حجرته مسيرة خمسمائة عام وما بين حجرته الى تزقوته مسيرة خمسمائة عام وما بين تزقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام وجهنم (١) محسنة هكذا رواه ابن أبي حاتم بهذا السياق وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثني الججاج عن مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران انه سمع ابن عباس يقول ان هذه السماء اذا انشقت ينزل منها من الملائكة أكثر من الانس والجن وهو يوم التلاق يوم يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض فيقول أهل الارض جاء ربنا فيقولون لم يحي هوأت ثم تنشق السماء الثانية ثم سماها سماه على قدر ذلك من التضعيف الى السماء السابعة فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السموات ومن الجن والانس قال فتنزل الملائكة الكروبيون ثم يأتي ربنا في حلة العرش الثمانية بين كعب كل ملك وركبته مسيرة

سبعين سنة وبين فخذه ومنكبته مسيرة سبعين سنة قال وكل ملك منهم لم يتأمل وجهه ووجه صاحبه وكل ملك منهم واضع رأسه بين يديه يقول سبحان الملك القدوس وعلى رؤسهم منى يسبوا كأنه القناو العرش فوق ذلك ثم وقف فداره على علي بن زيد بن جدعان وفيه ضعف في سياقاتها ما وفيها نكارة شديدة وقد ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا والله أعلم وقد قال الله تعالى فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال شهر بن حوشب حلة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حملك بعد علمك (١) قوله محسنة هكذا في الاصل الذي بأيدينا من غير نقط وليجرب لفظ الرواية اه مصححه

وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك رواه ابن جرير عنه وكان أبو بكر بن عبد الله ادانظر أهل الأرض إلى العرش يهبط عليهم من فوقهم شخصت إليه أبصارهم ورجفت كلالهم في أجوافهم وطارت قلوبهم من مقرها من صدورهم إلى حناجرهم قال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسن حدثنا المعمر بن سليمان عن عبد الجليل عن أبي حازم عن عبد الله بن عمرو قال يهبط الله عز وجل حين يهبط وينسبه وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة فيصوت في تلك الظلمة صوت تخلع له القلوب وهذا موقوف على عبد الله بن عمرو ولعله من الزاملتين (١٣٧) والله أعلم وقوله تعالى الملك يومئذ

الحق الرحمن الآية كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وفي الصحيح إن الله تعالى بطوى السموات بينه وبأخذ الأرض بيده الأخرى ثم يقول أنا الملك أنا الديان أين ملوك الأرض أين الجبارون أين المتكبرون وقوله وكان يوما على الكافرين عسيرا أى شديدا صعبا لأنه يوم عدل وقضاء فصل كما قال تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فهذا حال الكافرين في هذا اليوم وأما المؤمنون فكما قال تعالى لا يحزنهم الفزع الأكبر الآية وروى الأمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا وقوله تعالى ويوم بعض الظالم على يديه الآية يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يوجاه به من عند الله من الحق المبين الذي لا مفر فيه وسلائط طريقا

تفجع وقيل معناها أظن وأقدر (يسبط) أى يوسع (الرزق لمن يشاء من عباده وبقدر) أى ويضيق على من يشاء والمعنى ليس الأمر كما زعمنا من أن البسط ينبي عن الكرامة والقبض ينبي عن الهوان بل كل منهما يقتضى مشيئته (لولا أن من الله علينا) برحمته بعدم إعطائه ما تمنناه وعصمان من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغى (لخسف بنا) كما خسف به قرى مبيلا للفاعل والمفعول (ويكأنه لا يفلح الكافرون) أى لا يفوزون بمطلب من مطالبهم تأكيديا قبله (تلك) التى سمعت بحجرها وبلغت شأنها (الدار الآخرة) أى الجنة والإشارة إليها المقصد التعظيم لها والتبخيم لشأنها (لجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض) أى رفعة وتكبرا على المؤمنين وقيل ظلما وقيل استطالة على الناس وتم وانابهم بالبغى (ولافسادا) أى عملا بمعاصي الله سبحانه فيها كقتل النفس والزنا والسرقه وشرب الخمر أو دعاه إلى عبادة غير الله ولم يعلق الموعد بتلك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهم ما وميل القلوب إليهما كما قال ولا تتركوا إلى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يردد هاجتى قبض وقال بعضهم حقيقته التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبها بقوله إن فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض وذكر الفساد والعلو منكرين في حيز النقي يدل على شموله ما لكل ما يطلق عليه أنه فساد وأنه علو من غير تخصيص بنوع خاص أما الفساد فظاهرا أنه لا يجوز شئ منه كالتناكح ما كان وأما العلو فالمشروع منه ما كان على طريقة التكبر على الغير والتطاول على الناس وليس منه طلب العلو في الحق والرياسة في الدين ولا محبة اللباس الحسن والمركوب الحسن والمتزلج الحسن عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال التجير في الأرض والأخذ بغير الحق أخرجه المحاملي والديلمي وروى مثله عن مسلم البطين وابن جرير وعكرمة وقال سعيد بن جبيرة بغيا في الأرض وعن الحسن قال هو الشرف والعلو عند ذوى سلطانهم وأقول إن كان ذلك للتقوى به على الحق فهو من خصال الخير لا من خصال الشر وعن علي بن أبي طالب قال إن الرجل يحب أن يكون شمع نعله أفضل من شمع نعل صاحبه فيدخل في هذه الآية قال ابن كثير في تفسيره بعد ذكر هذه الرواية عن علي وهذا المحمول على من أحب ذلك لا بمجرد التجميل فهذا الأساس به فقد ثبت أن رجلا قال يا رسول الله انى أحب أن يكون ثوبى حسنا ونعلى حسنة أفن الكبير

(١٤٨ - فتح البيان سابق) أخرى غير سبيل الرسول فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم وعض على يديه حسرة وأسفا وسواه كان سبب نزولها في عقبته من أى معيط أو غيره من الأشقياء فانها عامية في كل ظالم كما قال تعالى يوم تقلب وجوههم في النار الآيتين فكل ظالم ندم يوم القيامة غاية الندم ويعض على يديه فائلا بالثبتي اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلت ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا يعنى من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال وسواء في ذلك أمية بن خلف أو أخوه أبي بن خلف أو غيرهما لقد أضلني عن الذكر وهى القرآن بعدة اتجاهنى أى بعد بلاغنى إلى قال الله تعالى وكان الشيطان للإنسان خذولا أى يخذله عن الحق

و بصرفه عنه ويستعمل في الباطل ويدعوه اليه (وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا) يقول تعالى مخبرا عن رسوله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه قال يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وذلك ان المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه كما قال تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الاية فكانوا اذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغو والكلام في غيره حتى لا يسمعه فهداهم جهنم وتركوا الايمان به وتركوا تصديقه من هجرانه وتركوا تدبره (١٣٨) وتفهمه من هجرانه وتركوا العمل به وامثال او امره واجتناب زواجره

من هجرانه والعدول عنه الى غيره من شعرا وقول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ففسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء أن يخلصنا مما يسخط ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه أثناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه انه كريم وهاب وقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين أي كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن كذلك كان في الامم الماضية لان الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين يدعون الناس الى ضلالهم وكفروهم كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن الايتين ولهذا قال تعالى ههنا وكفى بربك هاديا ونصيرا أي لمن اتبع رسوله وآمن بكتابه وصدقته واتبعه فان الله هاديه وناصره في الدنيا والاخرة وانما قال هاديا ونصيرا لان المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن لئلا يهتدى أحدهم ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن فلهذا قال وكذلك

ذلك قال لا ان الله جميل يحب الجمال وعن علي بن أبي طالب قال نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس وعن ابن عباس مثله وعن عدي بن حاتم قال لما دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى اليه وسادة فخس على الارض فقال أشهد انك لا تبغي علوا في الارض ولا فسادا فاسلم أخرجه ابن مردويه (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) أي لمن اتى عقاب الله بآداء أو امره واجتناب نواهيه وقيل عاقبة المتقين الجنة (من جاء) يوم القيامة متصفا (بالحسنة) بان كان من المؤمنين والحسنة ما يحمد فاعلمها شرعا وسميت حسنة لحسن وجه صاحبها عند رؤيته في القيامة والمراد بالحسنة المقبولة الاصلية المعمولة للعباد أو ما في حكمها كالصدق عنه غيره لا المأخوذة في نظير ظلامتهم كالوضرب زيد عمر اضر به وكان لزيد حسنات موجودة فيؤخذ منها فيعطى لعمر وهذه الحسنة لا تنسب لعمر ولا حقيقة ولا حكمة فلا تضاعف له وخرج بالمعمولة ما لوهم بحسنة فلم يعملها لما منع فانها ان كتبت له واحدة وبجازى عليها من غير تضعيف (فله خير منها) وهوان الله بجازيه بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف والتضعيف خاص بهذه الامة وأما غير هذه الامة من بقية الامم فلا تضعيف لهم والصواب دخول المضاعفة في حسنات العصاة ان كانت على وجه يتناول القبول بان يعملها على وجه لا يرافيه ولا سمعة وعدم دخولها في أعمال الكفار لانه لا يجتمع مع الكفر طاعة مقبولة ان لم يسلم والافتسكون كالمقبولة في الاسلام ولا تضاعف الحسنات الحاصلة بالتضعيف (ومن جاء بالسنة فلا يجزي) معناه فلا يجزون فوضع (الذين عملوا السيات) موضع الضمير لان في اسناد عمل السنة اليهم مكررا فاضل تهجين لما لهم وزيادة تبغيض للسنة الى قلوب السامعين والسنة هي ما يذم فاعلمها شرعا صغيرة كانت أو كبيرة وسميت سنة لان فاعلمها يسامها عند المجازاة عليها (الا) مثل (ما كانوا يعملون) وحذف المثل وأقيم مقامهما كانوا الخ المبالغة في المماثلة ومن فضله العظيم ان لا يجزي السنة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وقد تقدم بيان معنى هذه الآية في سورة النمل ان الذي فرض عليك القرآن قال المفسرون أي أنزل عليك وقال الزجاج فرض عليك العمل بما يوجب القرآن وتقدير الكلام فرض عليك أحكام القرآن وفرائضه وقيل أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه عن علي بن حسين بن واقد قال أنزلت

جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين الآية (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن لجهلنا به فؤادك هذه ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جتناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) يقول تعالى مخبرا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم وكلامهم فيما لا يعينهم حيث قالوا لولا نزل عليه القرآن لجهلنا به فؤادك أو هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذين أوحى اليه جملة واحدة كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة كالتوراة والانجيل والزيور وغيرها من الكتب الالهية فاجابهم الله تعالى عن ذلك بانه انما نزل من جملة في ثلاثة وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج

اليمن الأحكام لثبت قلوب المؤمنين به كقوله وقرأنا فرقان الآيه ولهذا قال لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا قال قتادة بينا
 تبينا وقال ابن زيد وفسرناه تفسيره أو لا يتونك بمنزل أي بجمعة وشبهة الاجتنالك بالحق وأحسن تفسيره أي ولا يقولون قولا
 يعارضون به الحق الأجنبناهم بما هو الحق في نفس الامر وأبين وأوضح وأفصح من مقالهم قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس
 ولا يتونك بمنزل أي بما يمتسون به عيب القرآن والرسول الاجتنالك بالحق الآيه أي الانزل جبرائيل من الله تعالى بجوابهم وما
 هذا الا اعتناء وكبير شرف للرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان (١٣٩) يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحا

ومساء وليلاتها راسا سفرا وحضرا
 وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن
 كانزال الكتاب مما قبله من الكتب
 المتقدمة فهذا أعلى وأجل وأعظم
 مكانة من سائر أخوانه من الانبياء
 صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين
 فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ومحمد
 صلى الله عليه وسلم أعظم نبي أرسله
 الله تعالى وقد جمع الله للقرآن
 الصفتين معا ففي الملائكة الأعلى أنزل
 جملة واحدة من اللوح المحفوظ
 الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم
 أنزل بعد ذلك الى الارض منجما
 بحسب الوقائع والحوادث وروى
 النسائي بإسناده عن ابن عباس قال
 أنزل القرآن جملة واحدة الى السماء
 الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك
 في عشر من سنة قال الله تعالى
 ولا يتونك بمنزل الاجتنالك بالحق
 وأحسن تفسيره وقال تعالى وقرأنا
 فرقاننا لتقرأه على الناس على مكث
 ونزلناه تنزيلا ثم قال تعالى محجرا
 عن سوء حال الكفار في معادهم
 يوم القيامة وحشرهم الى جهنم في
 أسوأ الخالان وأقبح الصفات الذين
 يحشرون على وجوههم الى جهنم

هذه الآيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحقفة حين خرج صلى الله عليه وآله وسلم
 مهاجرا الى المدينة فليست مكية ولا مدنية كما مر في أول السورة (لراذلك الى معاد) قال
 جمهور المفسرين أي الى مكة وهذا أقرب التفسير وبه قال ابن عباس كما أخرجه البخاري
 عنه وزاد كما أخرجه منها قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف فيعود الى بلده
 وقال مجاهد وعكرمة والزهري والحسن ان المعنى لراذلك الى يوم القيامة وهو اختصار
 الزجاج يقال بيني وبينك المعاد أي يوم القيامة لان الناس يعودون فيه احياء وقال أبو
 مالك وأبو صالح لراذلك الى الجنة وبه قال أبو سعيد الخدري وروى عن مجاهد وقيل
 الى معاد أي الى الموت (قل رب اعلم من جاء بالهدى) وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 لانه الخاتم به (ومن هو في ضلال مبين) وهم المشركون وهذا جواب لكانت مكة لما قالوا
 للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انك في ضلال والاولى حل الآيه على العموم وان الله سبحانه
 يعلم حال كل طائفة من هاتين الطائفتين ويجازيهما بما تستحقه من خير وشر (وما كنت
 قبل محيي الزلالة اليك (ترجو) وتوكل ان نرسلك الى العباد (ان يلقى اليك الكتاب)
 فانزله عليك ليس عن معاد ولا عن طلب سابق منك وهذا تذكرة صلى الله عليه وآله
 وسلم بالنعم والاستثناء في قوله (الارحمة من ربك) منقطع أي لكن القاؤه عليك رحمة من ربك
 أو متصل جملا على المعنى كأنه قيل وما أتى اليك الكتاب الا لاجل الرحمة من ربك والاول
 أولى وبه حزم الكسائي والقراء ثم أمره الله بجمعة أشياء فقال (فلا تكونن ظهيرا
 للكافرين) أي عونالهم وفيه تعريض بغيره من الامة وقيل المراد لا تكونن ظهيرا لهم
 بداراتهم (ولا يصدنك) قرئ من صده بصدده ومن أصد به معني صده والمعنى لا يمنعك يا محمد
 الكافرون وأقوالهم وكذبهم واداهم (عن آيات الله) أي عن تلاوتها والعمل بها وتبليغها
 (بعد اذا أنزلت اليك) أي بعد اذا أنزلها الله اليك وفرضت عليك (وادع) الناس (الى ربك)
 أي الى الله والى توحيد العمل بقراءتة واجتناب معاصيه (ولا تكونن من المشركين)
 باعانتهم وفيه تعريض بغيره كما تقدم لانه صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون منهم بحال من
 الاحوال وكذلك قوله (ولا تدع مع الله الها آخر) فانه تعريض بغيره ثم حذر سبحانه نفسه
 ووصفها بالبقاء والدوام فقال (لا اله الا هو كل شيء) من الاشياء كما ما كان (هالك) في
 حد ذاته لان وجوده ليس ذاتيا بل لاستناده الى واجب الوجود فهو بالقوة وبالذات

أولئك شركاءنا وأضل سبيلا وفي الصحيح عن أنس ان رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر عني وجهه يوم القيامة فقال ان
 الذي أمشاه على رجليه قادر ان يشبهه على وجهه يوم القيامة وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين (ولقد
 آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه آخاه هرون وزيرا فقلنا اذهب الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا
 الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثودا وأصحاب الرس وقرونين ذلك كثيرا وكلاضربا
 الامثال وكلا ضربا تنبيرا ولقد أتوا على القرية التي أمرت من سوء ما كانوا يعملون فويلهم من الظالمين يقول تعالى

متوعدا من كذب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من مشرك قومه ومن خالفه ومحذره من هتكه وأليم عذابه عما أحله بالأمم الماضية المكذبين لرسوله فسد أبد كرموسى وأنه بعنه وجعل معه أمه هارون وزيراً رأى نبياً مواروا مؤيداً وانصاراً فكذبهما فرعون وجنوده فدهر الله عليهم وللكافرين أمثالها وكذلك فعل بقوم نوح حين كذبوا رسوله نوحاً عليه السلام ومن كذب برسول فقد كذب بجميع الرسل اذ لا فرق بين رسول ورسول ولو فرض ان الله تعالى بعث اليهم كل رسول فأنهم كانوا يكذبون ولهذا قال تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل (١٤٠) ولم يعث اليهم الا نوح فقط وقد لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاماً

يدعوهم الى الله عز وجل ويحذره
تقمه فما آمن معه الا قليل ولهذا
أغرقهم الله جميعاً ولم يترك من بنى
آدم على وجه الارض سوى أصحاب
السفينة فقط وجعلناهم للناس
آية أى عبادة يعترفون بها كما قال
تعالى انما لما طغى الماء حملناكم في
الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها
أذن واعية أى وأبقينا لكم من
السفن مائة كبون في لبح البحار
لتذكروا نعمه الله عليكم من
انجائكم من الغرق وجعلكم من
ذرية من آمن به وصدق امره وقوله
تعالى وعادا وعموداً أصحاب الرس
قد تقدم الكلام على قصته ما فى
غير ما سورة كسورة الاعراف بما
أعنى عن الاعادة وأما أصحاب
الرس فقال ابن جرير عن ابن
عباس هم أهل قرية من قرى ثود
وقال ابن جرير قال عكرمة
أصحاب الرس بنجل وهم أصحاب يس
وقال قتادة فلج من قرى اليامة ولا بن
أى حاتم بسنده عن ابن عباس
فى قوله وأصحاب الرس قال بئر
بأذر بيجان وقال الثورى عن
أبي بكر عن عكرمة الرس بئردسا

معدوم حالاً والمراد بالعدم ما ليس له وجود ذاتى لان وجوده كالأوجود وأما حاله
على المستقبل فكلام ظاهرى قاله الشهاب (الأوجه) أى الاذاته قال الزجاج وجهه
منصوب على الاستثناء ولو كان فى غير القرآن كان مراداً بعنى كل شئ غير وجهه هالك
وقضية الاستثناء اطلاق الشئ على الله تعالى وهو الصحيح لان المستثنى داخل فى المستثنى
منه وانما جاء على عادة العرب فى التعبير بالاشرف عن الجله ومن لم يطلقه عليه جعله متصلاً
أيضاً وجعل الوجه ما عمل لاجله سبحانه فان ثوابه باق قاله الكرخى وأخرج ابن مردويه
عن ابن عباس قال لما نزلت كل من علمها فان قات الملائكة هلك أهل الارض فلما نزلت
كل نفس ذائقة الموت قات الملائكة هلك كل نفس فلما نزلت كل شئ هالك الأوجه
قالت الملائكة هلك أهل السماء والارض وعنه قال الامام أريد به وجهه والمستثنى من
الهالك والفناء ثمانية أشياء نظمها السيوطى فى قوله

ثمانية حكم البقاء بعلمها * من الخلق والباقون فى حيز العدم

هى العرش والكبرى و نار وجنة * وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

(له الحكم) أى القضاء الذى يقضى بما شاء ويحكم بما أراد (والله) أى الى جزائه أو اليه
وحده (ترجعون) فى جميع أحوالكم فى الدنيا وعند البعث ليجزي المحسن بأخسانه
والمسيء بأساءته الى غير سبحانه وتعالى

* (سورة العنكبوت هى تسع وتسعون آية قبل مكة كلها) *

قاله ابن عباس وابن الزبير والحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقيل انها مدنية كلها
وهو أحد قولى ابن عباس وقتادة وهو قول يحيى بن سلام وعن علي بن أبى طالب قال
نزلت بين مكة والمدينة وهذا قول ثالث وأخرج الدارقطنى فى السنن عن عائشة ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلى فى كسوف الشمس والتمر أربع ركعات
وأربع سجودات يقرأ فى الركعة الاولى العنكبوت أو الروم وفى الثانية يس

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم) الله أعلم بمراده به وقد تقدم الكلام على فاتحة هذه السورة مستوفى فى أول سورة
البقرة (أحبب الناس) الاستهام للتوبيق والتقرير والحسبان قوة أحد

التقنين

قال ابن اسحق عن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبد الاسود وذلك ان الله تعالى بعث نبياً الى أهل قرية فلم يؤمن به من أهلها الا ذلك العبد
الاسود ثم ان أهل القرية عدوا على النبي فخره واله بئر افاقتوه فيها ثم أطبقوا عليه بحجر أصم قال فكان ذلك العبد يذهب فيصطب
على ظهره ثم يأتي بحطبه فيبيعه ويشتري به طهراً ما وشرباً ثم يأتي به الى ذلك البئر فيرفع تلك الصخرة ويعينه الله تعالى عليها فيدلى اليه
طعامه وشربه ثم يردّها كما كانت قال فكان ذلك ما شاء الله ان يكون ثم انه ذهب يحطب كما كان يصنع فجمع حطبه وسعى من رتمته

وفرغ منها فلما أراد ان يحتملها وجد سنة فاضطجع فنام فضرب الله على أذنه سبع سنين ثم انه هب فقهطى فقصول اشقه الآخر فاضطجع فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ثم انه هب واحتمل حزمته ولا يحسب الا انه نام ساعة من نهار فجاها الى القرية بقباغ حزمته ثم اشترى طعاما وشربا كما كان يصنع ثم ذهب الى الخفية في موضعها الذي كانت فيه فالتسه فلم يجده وكان قد بد القوم فيه بدها فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه قال فكان بينهم يسألهم عن ذلك الاسود وما فعل فيقولون له لا ندري حتى قبض الله النبي وهب الاسود من نومه بعد ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٤١) ان ذلك الاسود لاول من يدخل الجنة

وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن كعب مر سلا وفيه غرابة ونكارة ولعل فيه ادراجا والله أعلم وقال ابن جرير لا يجوز ان يحمل هؤلاء على انهم أصحاب الرس الذين ذكروا في القرآن لان الله أخبر عنهم انه أهل الكهـم وهو هؤلاء آمنوا بيئهم الا ان يكون حدث احد ان آمنوا بالنبي بعد هلاك آباءهم واختار ابن جرير ان المراد بأصحاب الرس أصحاب الاخدود الذين ذكروا في سورة البروج فالتهم أعلم وقوله تعالى وقرونا بين ذلك كشيء أى وأما بين اضعاف ذلك أهل كاهم كثير اوله هذا قال وكلا ضربنا له الامثال أى بيناهم الحجج وأوضحنا لهم الأدلة كما قال قتادة وأزحنا الاعذار عنهم وكلا تبرنا تبيرا أى أهل كاهم اهلا كما كقولهم قرونا آخرين وحده بعضهم بمائة وعشرين سنة وقيل بمائة وقيل بثمانين وقيل

التقيضين على الآخر كما ظن بخلاف الشك فهو الوقوف بينه ما والعلم هو القطع على أحدهما ولا يصح تعليقهما معانى المفردات ولكن بمضامين الجمل (أن يتروكوا أن يقولوا) أى لان يقولوا أو بان يقولوا أو على ان يقولوا (أمتنا) أى نطقوا بكلمة الشهادة (وهم لا يفتنون) أى يتروكون بغير اختبار ولا ابتلاء وليس الامر كما حسبوا بل لا بد ان تختبرهم حتى يتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب والثابت في الدين من المضطرب فيه فالآية مسوقة لانكار ذلك الحسبان واستبعاده وبيان انه لا بد من الامتحان بأنواع التكليف وغيرها قال الزجاج المعنى أحسبوا ان تقع منهم بان يقولوا انما مؤمنون فقط ولا يتحققون بما يتبين به حقيقة ايمانهم بل يتحققون لتمييز الراسخ في الدين من غيره قال السدي وقيادة ومجاهدى لا يتلون في أموالهم وأنفسهم بالقتل والتعذيب وسيأتى في بيان سبب نزول هذه الآيات ما يوضح معنى ما ذكرنا قال ابن عطية وهذه الآية وان كانت نازلة في سبب خاص فهي باقية في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بوجود حكمها بقية الدهر وذلك ان الفتنة من الله باقية في غفرة المسلمين بالاسر ونكابة العدو وغير ذلك والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان والمهاجرة ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والفقر والقطع وأنواع المصائب في الانفس والاموال ومصاربة الكفار على أذاهم وكيدهم لينالوا بالصبر عليها عالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود في العذاب أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وغيرهم انها أنزلت في ناس كانوا بمكة وقد أقروا بالاسلام فكذب اليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة لما أنزلت آية الهجرة انه لا يقبل منكم اقرار ولا اسلام حتى تهاجر وقال فخرجوا عمدين الى المدينة فاتبعهم المشركون فرددوهم فزلت فيهم هذه الآية فكذبوا اليهم انه قد أنزل فيكم كذا وكذا فقالوا فخرج فان اتبعنا أحد قتلناه فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلواهم فقتلهم من قتل ومنهم من نجح فانزل الله فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما قتلوا ثم جاهدوا وصبروا وان ربك من بعد الغفور الرحيم وعن قتادة نحوه ما خسرته وقيل نزلت في عمار ابن ياسر اذا كان يعذب في الله وعن ابن مسعود قال أول من أظهر الله اسلامه سبعة رسول الله وأبو بكر ومائة أم عمار وعمار وصهيب وبلال والمقداد فاما رسول الله فقتله الله

أربعين وقيل غير ذلك والاطهر ان القرن هو الامة المتعاصرون في الزمن الواحد واذ ذهبوا وخلفهم جيل فهو قرن آخر كما ثبت في الصحيحين خير القرون قرنى الحديث ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يعنى قرية قوم لوط وهى سدوم التي أهلها الله بالقلب والمطر من الحجارة التي من حبييل كما قال تعالى وأمطرنا عليهم مطرا فاساء مطرا المذرين وقال وانكم لتقرون عليهم مصبين وبالليل أفلا تعقلون وقال تعالى وانها بسبيل مقيم وقال وانهم جال بالامم بين ولهذا قال أفلم يكونوا يرون انها أى فيعتبروا بما حل باهلها بسبب تكذيبهم بم الرسول وبمخالفتهم أو امر الله بل كانوا لا يرجون نشورا يعنى المارين بهم من الكفار لا يعتبرون

لانهم لا يرجون نشورا أى معاد يوم القيامة (واذأرأوك ان يتخذونك الازهوا هذا الذى بعث الله رسولا ان كاذبنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليهم اوسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أ رأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول صلى الله عليه وسلم اذا رأوه كما قال واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الازهوا الآية يعنون بالعييب والنقص وقال ههنا واذا رآوك ان يتخذونك الازهوا هذا الذى بعث الله رسولا أى على سبيل التنقص والازراء ففجبههم الله كما قال (١٤٢)

ولقد استهزئ برسول من قبلك الآية وقوله تعالى ان كاذبنا عن آلهتنا يعنون انه كاذب يفتنهم عن عبادة الاصنام لولا أن هـيروا وتجلدوا واستهزوا عليها قال الله تعالى متوعد الهم ومتهددا وسوف يعلمون حين يرون العذاب الآية ثم قال تعالى لئيبه منها ان من كتب عليه الشقاوة والضلال فانه لا يهديه أحد الا الله عز وجل أ رأيت من اتخذ الهه هواه أى مهما استحسن من شئ وراه حسنا فان الله يضل من يشاء الآية ولهذا قال ههنا ابن عباس كان الرجل فى الجاهلية يعبد الحجر الابيض زمانا فاذا رأى غيره أحسن منه عبد الثانى وترك الأول ثم قال تعالى أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون الآية أى هم أسوأ حالا من الانعام السارحة فان تلك تفعل ما خلقت له وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له فلم يقفوا وهم يعبدون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم وارسال الرسل اليهم (الم تر

بعمه أى طالب واما أبو بكر فنعمه الله بقومه واما سائرهم فأخذهم المشركون فالبسوههم أدرع الحديد وصهرهم فى الشمس فنامهم من أحد الا وقد أتاهم على ما أرادوا الابلال فانه هانت عليه نفسه فى الله رهان على قومه فأخذوه وأعطوه الولدان فجعلوا يبطون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد (ولقد فتنا الذين من قبلهم) أى هذه سنة الله فى عبادة قديمة جارية فى الامم كلها وانه يختبرهم ومضى هذه الامة كما اختبر من قبلهم من الامم كما جاء به القرآن فى غير موضع من قصص الانبياء وما وقع لهم من قومهم من الخن وما اختبر الله به اتباعهم ومن آمن بهم من تلك الامور التى نزلت بهم فنتهم من نشر بالانشار ومنهم من قتل ومنهم من التى فى النار ومنهم من شط بأمشاط الحديد ما يصرفه ذلك عن دينه وابتلى بنو اسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب والمقصود التنبيه على خطيئهم فى هذا الحسبان والمعنى أحسبوا ذلك وقد علموا انه خلاف سنة الله ولن تجد لسنة الله تحويلا (فليعلمن الله الذين صدقوا) فى قولهم آمنا علم مشاهدة (وليعلمن الكاذبين) منهم فى ذلك أى ليظهر الله الصادق والكاذب فى قولهم وعيسى بنهم وقرئ بنهم اليساء وكسر الادم والمعنى انه يعلم الطائفتين فى الآخرة بما نزلهم أو يعلم الناس بصدق من صدق ويضع الكاذبين بكذبهم أو يضع لكل طائفة علامة تشتهر بها وتبين غيرها وقيل ان علم الله صفة يظهر فيها كل ما يقع وما هو واقع الا ان قبل التكليف يعلم ان زيدا مثلا سيطيع وعمر اسيصى ثم بعد التكليف يعلم انه مطيع والآخر عاص ولا يتغير علمه فى شئ من الاحوال وانما المتغير هو المعلوم وأتى بصيغة الفعل فى صدقوا وباسم الفاعل فى الكاذبين لان اسم الفاعل يدل على ثبوت المصدر فى الفاعل ورسوخه فيه والفعل الماضى لا يدل عليه لان وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالاسلام وعن قوم مستمرين على الكفر فعبر فى حق الاولين بلفظ الفعل وفى حق الآخرين بالصفة الدالة على الثبات قاله زاده (ام حسب الدين يعملون السيأت) أى الشرك والمعاصى (أن يسبقونا) أى ان يقولونا فلان تقدمهم ويعجزوننا قبل ان نؤاخذهم بما يعملون وأم هى المنقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان أبطل من الحسبان الاول لان ذلك يقدر انه لا يتحقق لايمان وهذايظن انه لا يجازى بمساويه وقالوا الاول فى المؤمنين وهذافى الكافرين المشركين (سما يحكمون) أى بس الذى يحكمونه حكمهم هذا وقال

الزجاج

كأن جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه لينا قبضا يسيرا وهو

الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعل له سا كما ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه لينا قبضا يسيرا وهو الذى جعل لكم الليل لياسا والنوم سبانا وجعل النهار نشورا) من ههنا شرح سبحانه وتعالى فى بيان الادلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الاشياء المختلفة والمتضادة فقال تعالى ألم ترالى ربك كيف مد الظل قال ابن عباس وابن عمر وأبو العالية وأبو مالك مسروق ومجاهد وسعيد بن جبيرة والنخعي والضحاك والحسن وقتادة هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ولو شاء لجعل له سا كما أى دائما ليزول كما قال تعالى قل أ رأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الايات وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا

أى لولا ان الشمس تطاع عليه لما عرف فان الضد لا يعرف الا بضده قال قتادة والسدى دليل لاتباه وتبعه حتى تاتي عليه كله وقوله تعالى ثم قبضناه اليان قبضنا يسير أى الظل وقيل الشمس يسير أى سهلا قال ابن عباس سريعا وقال مجاهد خفيا وقال السدى قبضا خفيا حتى لا يبق في الارض ظل الا تحت سقف أو تحت شجرة وقد أظلت الشمس ما فوقه وقال أيوب بن موسى في الآية قبضنا يسيرا قليلا قليلا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا أى يلبس الوجود ويعشاه كما قال تعالى والليل اذا يغشي والنوم سباتا أى قاطعا للمركة لراحة الابدان فان الاعضاء والجوارح (١٤٣)

بالنهار في المعاش فاذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معا وجعل النهار نشورا أى يتشرف الناس فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله الآية (وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأزلقنا من السماء ماء طهورا لئلا يحزنك يومئذ صلابتها وما تسميها من أسماء الغمام وما جعلنا من السماء غماما واناسيا كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليجزوا فاني أكره الناس الا كفورا) وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم وهو انه تعالى يرسل الرياح بشرات أى يعجب السحاب بعدها والريح أنواع في صفات كثيرة من التسخير فمنها ما تثير السحاب ومنها ما تحله ومنها ما تسوقه ومنها ما يكون بين يدي السحاب بمشراومنها ما يكون قبل ذلك تقوم الارض ومنها ما يلقح السحاب ليطر ولهذا قال تعالى وأزلقنا من السماء ماء طهورا

الزجاج ما في موضع نصب بمعنى ساء شيئا أو حكا يحكمهون قال ويجوز ان تكون ما في موضع رفع بمعنى ساء الشيء أو الحكم حكمهم وقال ابن كيسان ساء حكمهم (من كان يرجو لقاء الله) الرجاء بمعنى الطمع قاله سعيد بن جبير وقيل الرجاء هنا بمعنى الخوف قال القرطبي وأجمع أهل التفسير على ان المعنى من كان يخاف الموت وقيل البعث والحساب قال الزجاج أى ثواب المصير اليه تعالى فالرجاء على هذا معناه الامل ومن موصولة أى شرطية والخجزاء قوله (فان أجل الله) والراجح انه ليس بجزاء لان أجله جاء لا محالة من غير تقيد بشرط لانه لو كان جواب الشرط لزم ان لا يرجوه لا يكون أجل الله آياله بل الجواب محذوف أى فليعمل عملا صالحا لا يحاول لا يشرك بعبادة به أحد او المعنى من كان يرجو وطمع لقاء الله فان أجله المضروب للبعث والثواب والعقاب (لا ت) أى الجاء لا محالة قال مقاتل يعنى يوم القيامة وفي الآية من الوعد والوعيد والترهيب والترغيب ما لا يخفى (وهو السميع) لا قول عبادته (العليم) بما يسرونه وما يعلنونه (ومن جاهد) الكفار وجاهد نفسه بالصبر على الطاعات أو جاهد الشيطان بدفع وساوسه (فانما يجاهد لنفسه) أى ثواب ذلك له لا لغيره ولا يرجع الى الله سبحانه من نفع ذلك شيء وهذا بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق فان الكريم اذا وعد وفى فالخسر اضافى فلا يقال كيف يستقيم الخسر مع ان جهاد الشخص قد ينفع به غيره كما ينتفع الاباء بصلاح الاولاد وينتفع من سن سنة حسنة بفعل من استنبها وقيل المعنى ومن جاهد عدوه لنفسه لا يريد بذلك وجه الله فليس لله حاجة بجهاده والاول اولى وفيه بشارة وتخويف (ان الله لغنى عن العالمين) من الانس والجن والملائكة فلا يحتاج الى طاعتهم كما لا تضرهم معاصيهم وانما أمر ونهى رحمة لعباده (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) أى لنسبطنها حتى نصيرهم عزلة ما لم يعمل والتكفير اذ هاب السيئة بالحسنه والمراد بالسيئة الشرك والمعاصي وتكفيرها هو الايمان والتوبة والآية تستدعى وجود السيئات حتى تكفر والوجه فيه انه ما من مكاف الاولة سيئة أما غير الانبياء فظاهر وأما الانبياء فلان ترك الافضل منهم كالسيئة من غيرهم ولهذا قال تعالى عفا الله عنكم لم أذنت لهم (ولنجز بينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى باحسن جزاء أعمالهم وقيل بجزاء أحسن أعمالهم والمراد باحسن مجرد الوصف لا التفضيل لئلا يكون جزاؤهم بالحسن مسكوتا عنه وهذا

أى آله يتطهر بها كالسحور والوجور وما جرى مجراها فهذا أصح ما يقال في ذلك وأما من قال انه فعول بمعنى فاعل وأنه مبنى للمبالغة والتعدي فعلى كل منهما اشكال من حيث اللغة والحكم ليس هذا موضع بسطها والله أعلم وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبى بن اسناده الى الطويل عن ثابت البناني قال دخلت مع أبى العباس في يوم مطير وطرق البصرة فذرة فصلى فقلت له فقال وأزلقنا من السماء ماء طهورا قال طهره ماء السماء وقال أيضا حدثنا أبى حاتم بن أبوسلمة حدثنا وهيب عن داود عن سعيد بن المسيب في هذه الآية قال أنزل الله طهورا لا يجسه شيء وعن أبى سعيد قال قيل يا رسول الله أتوضأ من بئر بضاعة وهى بئر

يلقى فيها التن ولحوم الكلاب فقال ان الماء طهور لا ينجسه شيء رواه الشافعي وأحمد وصححه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي
وروى ابن أبي حاتم بإسناده حدثنا أبي حدثنا أبو الأشعث حدثنا معمر سمعت أبي يحدث عن سيار عن خالد بن يزيد قال كنا عند
عبد الملك بن مروان فذكروا الماء فقال خالد بن يزيد منه ماء من السماء ومنه ماء يشرب منه القيم من الجرف عذبة الرعد والبرق
فأما ما كان من البحر فلا يكون منه نبات فأما النباتات فما كان من السماء وروى عن عكرمة قال ما أنزل الله من السماء قطرة
الأنتب بهافي الأرض عسبة اوفى (١٤٤) البحر لؤلؤة وقال غيره في السبر روي في البحر روي وقوله تعالى

لنجي به بلدة ميتا أي أرضا قد طال
انتظارها للغيث فهي هامة لا نبات
فيها ولا شيء فلما جاءها الحيا عا شبت
واكتسبت رباها أنواع الازهار
والالوان كما قال تعالى فاذا أنزلنا
عليها الماء اهتزت وربت الآية
ونسقيه مما خلقنا الانعاما واناسي
كثيرا اي ويشرب منه الحيوان
من انعام واناسي محتاجين اليه
غاية الحاجة لشربهم وزروعهم
ونمارهم كما قال تعالى وهو الذي
ينزل الغيث من بعد ما فنطو الآية
وقال تعالى فانظر الى آثار رحمة الله
كيف يحيي الأرض بعد موتها الآية
وقوله تعالى ولقد صرفناه بينهم
ايذكروا أي أمطرنا هذه الأرض
دون هذه وسقنا السحاب يبرعلى
الأرض وتبعدها وتجاوزها الى
الأرض الأخرى فيمطرها والتي
وراهم ينزل فيها قطرة ماء وله في ذلك
الحجة البالغة والحكمة القاطعة
قال ابن عباس وابن مسعود رضى
الله عنهم ليس عام بأكثر مطر لمن
عام ولكن الله يصرفه كيف يشاء

ليس بشيء لأنه من باب الأولى فانه اذا جازاهم بالاحسن جازاهم بما دونه فهو من التنبيه على
الأدنى بالأعلى وقيل معناه تعظيمهم أكثر مما عملوا وأحسن منه كافي قوله من جاء بالحسنة
فله عشر أمثالها (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أي ايصاء حسنا على المبالغة قاله
الكواشي أو اذا حسن وهذا مذهب البصريين أو ان يفعل حسنا قاله الكوفيون قال
الزجاج ان يفعل بوالديه ما يحسن وقيل وصيناها أمر اذا حسن وقيل ألزمتها حسنا
وقيل وصيناها بحسن وقيل يحسن حسنا ومعنى الآية التوصية للانسان بوالديه بالبر لها
والعطف عليهما والاحسان اليهما بكل ما يمكنه من وجوه الاحسان فيشمل ذلك اعطاء
المال والخدمة وابن القول وعدم المخالفة لهما وغير ذلك قرئ حسنا بضم الحاء واسكان
السين ويقعهم ما قرئ احسانا وكذا في مصحف أبي (وان جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به
علم) أي ان طلبنا منك أن تشارك في الهاليس لك علم بكونه الها وفي سورة لقمان
علمي ان تشرك بي لان ما هنا وافق ما قبله لفظا وهو من جاهد فانما يجاهد لنفسه وما هنا ك
محمول على المعنى لان التقدير وان جاهدك على أن تشرك قاله الكرماني (فلا تطعهما) في
الاشراك وعبر بنى العلم عن نفي الاله لان ما لم يعلم صحتة لا يجوز اتباعه فكيف بما علم
بطلانه واذا لم تجز طاعة الابوين في هذا المطلب مع الجاهدة منها له فعدم جوازها مع مجرد
الطلب بدون مجاهدة منها أولى ويلحق بطلب الشرك منها ما سار معاصي الله سبحانه فلا
طاعة لهما ما فيها هو معصية الله كما صح ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرج
ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص قال قالت أمي لا أكل طعاما
ولأ أشرب شرابا حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فامتنعت عن الطعام والشراب
حتى جعلوا يشجرون فأها بالعبصا فنزلت هذه الآية الى قوله فلا تطعهما وأخرجه أيضا
الترمذي من حديثه وقال نزلت في أربع آيات وذكر نحو هذه القصة وقال حسن صحيح
وقد أخرج هذا الحديث أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي أيضا قال القرطبي فلم يطعها
سعد وقال لها وللله لو كان لك مائة نفس نخرجت نفسك انفسا ما كفرت بمحمد صلى الله
عليه وآله وسلم فان شئت فكلني وان شئت فلانأ كلني فلما رأته ذلك أكلت قال الكرخي
هذا وما في لقمان والاحصاف نزل في سعد بن أبي وقاص (الى امر جمعكم فأنتشكم بما
كنتم تعملون) أي أخبركم بمصالح أعمالكم وطلحها فأجازي كلامكم بما يثبت حقه وفي

ثم قرأ هذه الآية ولقد صرفناه بينهم ليدكروا فاني أكره الناس الا كفورا اي ليدكروا باحياء الله الأرض
الميتة انه قادر على احياء الاموات والعظام الرفات أو ليدكروا من منع المطر انما أصابه ذلك بذنوب أصابه فيقطع عما هو فيه وقال عز
مولى غفرة كان جبريل عليه السلام في موضع الجنات فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل اني أحب أن أعلم أمر السحاب قال
فقال له جبريل يا نبي الله هذا ملك السحاب فسئل فقال تأتينا صكالك محتمة اسق بلادكنا وكذا وكذا كذا وكذا قطرة وله ابن أبي حاتم
وهو حديث مرسل وقوله تعالى فاني أكره الناس الا كفورا قال عكرمة يعني الذين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وهذا الذي قاله

ذكر

عكرمة كما صح في الحديث المخرج في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم اعلیٰ اثره ما اصابتهم من الليل
 أندرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرباً بفضل الله ورجته
 فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرباً بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب (ولوشنا لبغتنا في كل قرية
 نذير فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرجح البحرين هذاعذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما
 برزخا وجزرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا (١٤٥) وكان ربك قديرا) يقول تعالى ولوشنا

لبغتنا في كل قرية نذير ايدعوهم
 الى الله عز وجل ولكن خصصناك
 يا محمد بالبغنة الى جميع أهل الارض
 وأمرناك ان تبلغهم هذا القرآن
 لانذركم به ومن بلغ ومن يكفر به من
 الاحزاب فالنار موعده لتذراهم
 القرى ومن حولها قل يا أيها الناس
 اني رسول الله اليكم جميعا وفي
 الصحيحين بعثت الى الاسود والاجر
 وفيهما وكان النبي يبعث الى قومه
 خاصة وبعثت الى الناس عامة
 ولهذا قال تعالى فلا تطع الكافرين
 وجاهدهم به يعني القرآن قاله ابن
 عباس جهادا كبيرا كما قال تعالى
 يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين
 الآية وقوله تعالى وهو الذي مرجح
 البحرين هذا عذب فرات وهذا
 ملح أجاج أي خلق الماين الحلو
 والمالح فالحلو كالانهار والعيون
 والآبار وهذا هو البحر والحلو
 العذب الفران الزلال قاله ابن
 جرير واختاره ابن جرير وهذا
 المعنى لاشك فيه فانه ليس في الوجود
 بحر ساكن وهو عذب فرات
 والله سبحانه وتعالى انما أخبر

ذ ك المرجع والوعيد تحذير من متابعتها على الشرك وحث على الثبات والاستقامة في
 الدين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) أي في زمرة الراشدين في
 الصلاح وهو من أبلغ صفات المؤمنين وهو معنى الانبياء عليهم السلام قال سليمان عليه
 السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما
 وألحقني بالصالحين وقيل لندخلنهم في مدخل الصالحين وهو الجنة كذا قيل والاول أولى
 ومعنى ادخلهم فيهم كونهم معدودين من جملتهم لانصافهم بصفتهم أي بنحسهم معهم
 اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين وارزقنا لسان صدق في الاخرين (ومن الناس من
 يقول آمن بالله فاذا أودى) أي أصابه بلاء من الناس أو أذى من الكفار (في الله) أي في
 شأن الله وسيله ولاجله كما يفعله أهل الكفر مع أهل الايمان وكما يفعله أهل المعاصي مع
 أهل الطاعات وأصحاب البدع مع أصحاب السنة وأهل التقليد مع أهل الاتباع بل كل
 مبطل مع كل محق من ايقاع أنواع الاذى عليهم لاجل الايمان بالله والعمل بما أمر به
 من كتاب وسنة (جعل قسنة الناس) التي هي ما يقعونه عليه من الاذى وجرع من أذاهم
 فلم يصبر عليه وجعله في الشدة والعظم (كعذاب الله) فأطاع الناس كما يطيع الله من
 يخاف عقابه وقيل هو المنافق اذا أودى في الله رجوع عن الدين فكفر وكان يمكنه أن يصبر
 على الاذى الى حد الاكراه ويكون قلبه مطمئنا بالايمان فجعل المنافقون قسنة الناس
 صارفة عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر فعذاب الناس له دافع
 وعذاب الله ماله من دافع وأيضا عذاب الناس يترتب عليه ثواب عظيم وعذاب الله بعده
 عقاب أليم والمشقة اذا كانت مستتعبة للراحة العظيمة تطيب النفس لها ولا تعدها
 عذابا قال الزجاج ينبغي للمؤمن أن يصبر على الاذية في الله أخرج أحمد والترمذي
 وصححه وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي وغيرهم عن أنس قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم لقد أوديت في الله وما يوذى أحد ولقد أخفت في الله وما يخاف
 أحد ولقد أتت علي ثالثة ومالي ولبلال طعام يأكله ذكيد الاما وارى ابط بلال (ولئن
 جاء نصر من ربك) أي فتح من الله للمؤمنين وغلبة على الاعداء وغنمة يغتمونها منهم
 (ليقولن) بضم اللام جلا على المعنى بعد الجلل على اللفظ ونقل أبو معاذ النخوي انه قرئ
 بالفتح جريا على مراعاة لفظها أيضا وقراءة العامة أحسن لقوله (انا كما معكم) في دينكم

(١٩ - فتح البيان سابع) بالواقع لبنه العباد على نعمه عليهم يشكروهم فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس
 فرقه الله تعالى بين خلقه لاحتياجهم اليه أنهارا وعيونا في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لانفسهم وأراضيهم وقوله تعالى
 وهذا ملح أجاج أي ملح مرزعاق لا يستطاع وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق وبحر
 القلزم وبحر اليمن وبحر البصرة وبحر فارس وبحر الصين والهند وبحر الروم وبحر الحرور وماشا كلها وشاها من البحار الساكنة
 التي لا تجري ولكن تتعرج وتضطرب وتتلطم في زمن الشتاء وشدة الرياح ومنها ما فيه مد وجزر في أول كل شهر يحصل منها

مذوفيض فاذا شرع الشهر في النقصان جزى حتى ترجع الى غايتها الاولى فاذا استهل الهلال من الشهر الاخر صرف في المذابح
 الدية الرابعة عشر ثم تشرع في النقص فاجرى الله سبحانه وتعالى وهو ذو القدرة التامة العادة بذلك فكل هذه البحار الساكنة
 خلقها الله سبحانه وتعالى ماحلة لثلاثي يحصل بسببها تن الهواء فيفسد الوجود بذلك ولثلاثي تجوى الارض بما يموت فيها من الحيوان
 ولما كان ماؤها ملحا كان هو اؤها صحيفا وميتها طيبة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر أتوضأ به
 فقال هو الطهور وماؤه الحلى ميتته (١٤٦) رواه الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأهل السنن بإسناد جيد وقوله

تعالى وجعل بينهما برزخا وجزرا
 أى بين العذب المالح برزخا أى
 حاجزا وهو البئس من الارض
 وجزرا محجورا أى مانعا من أن
 يصل أحدهما الى الآخر كقوله
 تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما
 برزخ لا يبغيان فبأى آلاء ربك
 تكذبان وقوله تعالى أمن جعل
 الارض فرارا وجعل خلالها أنهارا
 وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين
 حاجزا أله مع الله بل أكثرهم
 لا يعلمون وقوله تعالى وهو
 الذى خلق من الماء بشرا الآية
 أى خلق الانسان من نطفة
 ضعيفة فسواه وعدله وجعله كامل
 الخلق كراواتى كما يشاء فجعله
 نسيبا وصهرا فهو فى ابتداء أمره
 ولد نسيب ثم يتزوج فيصير صهرا
 ثم يصير له أصهارا وأختان وقرابات
 وكل ذلك من مآهين ولهذا قال
 تعالى وكان ربك قديرا (ويعبدون
 من دون الله مالا يتفقههم ولا
 يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا
 وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا
 قل ما سألكم عليه من أجر الا من

فأشركوا فى الغنمة فالمراد المعية فى الايمان دون الصحبة فى القتال لانها غير واقعة قاله
 الشهاب فكذبهم الله فقال (أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين) من الايمان والنفاق
 أى هو سبحانه أعلم بما فيها من خير وشر فكيف يدعون هذه الدعاوى الكاذبة وهؤلاء
 هم قوم ممن كان فى ايمانهم ضعف كانوا اذا مسهم الاذى من الكفار وافقوهم واذا ظهرت
 قوة الاسلام ونصر الله المؤمنين فى موطن من المواطن قالوا انا كما معكم وقيل المراد
 بهذا وما قبله المنافقون قال مجاهد نزلت فى ناس كانوا يؤمنون بالله بالسنتهم فاذا أصابهم
 بلاء من الله أو مصيبة فى أنفسهم افتتنوا وقال الضحاك نزلت فى ناس من المنافقين بمكة
 كانوا يؤمنون فاذا أذوا رجعو الى الشرك وقيل نزلت فى الذين أخرجهم المشركون
 معهم الى بدر والظاهر أن هذا النظم من قوله ومن الناس من يقول الحق وقول الذين
 كفروا نازل فى المنافقين لما يظهر من السياق ولقوله (وليعلمن الله الذين آمنوا) بقاوبهم
 أى صدقوا فثبتوا على الاسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) بترك الايمان عند البلاء
 فانه لتقرير ما قبله وتأكيدهم للام فى النعمان لام قسم أى والله اعلمين الله بين الطائفتين
 ويظهر اخلاص الخالصين ونفاق المنافقين فيجازى الفريقين فالخلص الذى لا يتزلزل بما
 يصيبه من الاذى وبصبر فى الله حق الصبر ولا يجعل فتنة الناس كعذاب الله والمنافق
 الذى يعيل هكذا وهكذا فان أصابه اذى من الكافرين وافقهم وتابعهم وصح ككفر بالله
 عز وجل وان خفت ريح الاسلام وطلع نصره ولا ح فتجهر رجح الى الاسلام وزعم انه
 من المسلمين وتغير الاسلوب حيث عبر فى الاول بالفعل وفى الثانى باسم الفاعل تقين لرعاية
 الفاصلة قيل هذه الآيات العشر من أول السورة الى ههنا مدنية وباقى السورة مكية قاله
 يحيى بن سلام (وقال الذين كفروا) من أهل مكة كأى نسيبان وأتباعه (الذين آمنوا)
 اللام التبليغ أى قالوا مخاطبين لهم سبق بيان فى غير موضع أى قالوا لهم (اتبعوا
 سيدنا) أى اسلكوا طريقنا وادخلوا فى ديننا (ولنحمل خطاياكم) أى ان كان اتباع
 سيدنا خطيئة تؤاخذون بها عند البعث والنشور كما تقولون فلنحمل ذلك عنكم فنؤاخذ
 بها دونكم قال مقاتل يعنى قولهم نحن الكفلاء بكل تبعه تصيبكم من الله واللام فى
 لنحمل لام الامر كأنهم أمر وأنفسهم بذلك وقال الزخشرى الامر يعنى الخبر وقرئ
 بكسر اللام وهو لغة انجاز ثم رد عليهم بقوله (وما هم بمحمدين من خطابهم من شيء) من

الاولى شأن أن يتخذ الحق به سبيلا وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبير الذى
 خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا وافدا قيل لهم لا تعبدوا الرحمن قالوا
 وما الرحمن أن نعبد لما تأمرنا وزادهم نفورا) يخبر تعالى عن جهل المشركين فى عبادتهم غير الله من الاصنام التى لا تغلظ ضرا
 ولا نفعا بل ادليل فادهم الى ذلك ولا حجة أدتهم اليه بل عبرد الآراء والتشهى والاهواء فهم يوالونهم ويقتلونهم فى سبيلهم وهم لا يدرون
 الله وسوله والمؤمنين فيهم ولهذا قال تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا أى عونا فى سبيل المظلم على حرم الله وحرماته هم

المعالمون كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة لهم يصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون أي آلهتهم التي
 اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصر أو هؤلاء الجهالة للاصنام جند محضرون بقا تلون عنهم ويذوبون عن حوزتهم ولكن العاقبة
 والنصرة لله ورسوله وللمؤمنين في الدنيا والآخرة قال مجاهد وكان الكافر على ربه ظهيرا قال يظهر الشيطان على معصية
 الله ويعينه وقال سعيد بن جبيرة وكان الكافر على ربه ظهيرا يقول عوننا للشيطان على ربه بالعبادة والشركة وقال زيد بن أسلم
 وكان الكافر على ربه ظهيرا قال واليا ثم قال تعالى لرسوله (١٤٧) صلوات الله وسلامه عليه وما أرسلناك

الابشرا ونذيرا أي بشيرا للمؤمنين
 ونذيرا للكافرين بمشرا بالجنة لمن
 أطاع الله ونذيرا بين يدي عذاب شديد
 لمن خالف أمر الله قبل ما سألكم
 عليه من أجر أي على هذا البلاغ
 وهذا الانذار من أجر أو طلب من
 أموالكم وإنما فعل ذلك ابتغاء
 وجهه الله تعالى لمن شاء منكم ان
 يتتبع الامن شاء أن يتخذ إلى ربه
 سبيلا أي طريقا ومسلكا ومنهاجا
 يقتدى فيها بما جئت به ثم قال
 تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت
 أي في أموركم كلها كن متوكلا على
 الله الحي الذي لا يموت أبدأ الذي هو
 الاول والاخر والظاهر والباطن
 وهو بكل شيء عليم الدائم الباقي
 الذي لا يموت والحي القيوم
 رب كل شيء ومليكه اجعله ذكرك
 ومحباك وهو الذي يتوكل عليه
 وينزع اليه فانه كافيك وناصرك
 ومؤيدك ومظفرك كما قال تعالى
 يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من
 ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته
 والله يعصمك من الناس وروى
 ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا

الاولى بيانية والثانية مزيدة للاستغراق أي وما هم بمجاهدين شيئا من خطيئاتهم التي التزموا
 بها وضمنوا لهم جملها ثم وصفهم الله سبحانه بالكذب في هذا التحمل فقال (انهم لسكاذبون)
 فيما ضمنوا به من حمل خطاياهم قال المهدوي هذا التكذيب لهم من الله عز وجل حل
 على المعنى لان المعنى ان اتبعتم ميلنا حملنا خطاياكم فلما كان الامر يرجع في المعنى الى
 انظروا وقع عليه التكذيب كما وقع على الخبر (وليس حملنا انفسناهم) أي أوزارهم التي
 عملوها والتعبير عنهم بالانفال للايدان بانها اذنوب عظيمة (وأنتقالا مع انفسناهم) أي أوزارا
 مع أوزارهم وهي أوزار من أضلوهم وأخرجوهم عن الهدى الى الضلالة ومثله قوله
 سبحانه ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ومثله قوله
 صلى الله عليه وآله وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزرها على عملها كما في حديث
 أبي هريرة الثابت في صحيح مسلم وغيره (وليس لمن يوم القيامة) سؤال تقرير وتوبيخ (عما
 كانوا يفعلون) أي يمتثلون من الاكاذيب والباطيل التي كانوا يفعلون بها في الدنيا
 وأضلوهم بها ومن حملتها هذا الوعد (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) وعمره أربعون سنة
 أو أكثر في سنة وبين آدم ألف سنة أجل سبحانه قصة نوح تصديقا لقوله في أول السورة
 ولقد قتلنا الذين من قبلهم (فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) فيه تبيين للنبي صلى الله
 عليه وآله وسلم كانه قيل له ان نوحا لث هذه المدة الكثيرة يدعوقومه ولم يؤمن منهم الا
 قليل فصبر وما صخر فانت أولى بالصبر اقله مدة لبثك وكثرة عدد امتك قيل ووقع في النظم
 الا خمسين عاما ولم يقل تسعمائة سنة وخمسين لان في الاستثناء تحقيق العدد بخلاف
 الثاني فقد يطلق على ما يقرب منه وذكر الالف تخم وأوصل الى الغرض وجي بالمميز
 أو لا بالسنة ثم بالعام لان تكرار لفظ واحد في كلام واحد حقيق بالاجتناب في البلاغة
 ثم انه خص لفظ العام بالخمسين ايدانا بان نبي الله لما استراح منهم بقي في زمن حسن والعرب
 تعبر عن الحصب بالعام وعن الجدب بالسنة وقد اختلف في مقدار عمر نوح عليه السلام
 وليس في الآية الا انه لبث فيهم هذه المدة وهي لا تدل على انها جميع عمره فقد تابث في
 غيرهم قبل اللبث فيهم وقد تابث في الارض من بعدهم كما هم بالطوفان فقال ابن عباس
 بعث الله نوحا وهو ابن أربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوقومهم الى
 الله وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وقتلوا وعن عكرمة قال كان عمر نوح

عبد الله بن محمد بن علي بن نفييل قال قرأت على معقل يعني بن عبيد الله عن عبد الله بن أبي حسين عن شهر بن حوشب قال لقي
 سلمان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض فجاج المدينة فسجد له فقال لا تسجد لي يا سلمان واسجد للحي الذي لا يموت وهذا
 مرسل حسن بقوله تعالى وسبح بحمده قرن بين حمده وتسيبته ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سبحانه
 اللهم ربنا و محمدك أي اخلص له العبادة والتوكل كما قال تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذوه وكيلا وقال تعالى
 فاتخذوه من وكيلا عليه وقال تعالى قل هو الرحمن آمنابه وعليه توكلنا وقوله تعالى وكفى به بدتوب عباده خيرا أي بعلمه التام الذي

لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله تعالى الذي خلق السموات والارض الآية أى هو الحى الذى لا يموت وهو خالق كل شئ وربّه ومليكه الذى خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع فى ارتفاعها واتساعها والارضين السبع فى سفولها وكثافتها فى ستة أيام ثم استوى على العرش أى يدبر الامر ويقضى الحق وهو خير الفاضلين وقوله ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً أى استعلم عنه من هو خير به عالم به فاتبعه مراقتبه وقد علم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه سيد ولد

(١٤٨)

الاحسب يوحى فما قاله فهو الحق وما أخبر به فهو الصدق وهو الامام المحكم الذى اذا تنازع الناس فى شئ وجب رد نزاعهم اليه فما وافق أقواله وأفعاله فهو الحق وما خالفها فهو مردود على قائله وفاعله كما لنا من كان قال الله تعالى فان تنازعتم فى شئ الآية وقال تعالى وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله وقال تعالى وقت كلمه ربك صدقا وعدلا أى صدقا فى الاخبار وعدلا فى الاوامر والنواهي ولهذا قال تعالى فاسأل به خبيراً قال مجاهد فى قوله فاسأل به خبيراً قال ما أخبرتك من شئ فهو وكما أخبرتك وكذا قال ابن جريج وقال شهر بن عطية فى قوله فاسأل به خبيراً هذا القرآن خبر به ثم قال تعالى منكر اعلى المشركين الذين يسجدون لغير الله من الاصنام والانداد واذ قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أى لا نعرف الرحمن وكان ينكرون ان يسهوا الله باسمه الرحمن كما أنكروا ذلك يوم الحديدية حين قال النبي صلى الله عليه وسلم

قبل أن يبعث الى قومه وبعد ما بعث ألفا وسبع مائة سنة وعن عوف بن شداد قال ان الله أرسل نوحا الى قومه وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة سنة وقال أبو السعود عاش نوح بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا ومائتين وأربعين وعن أنس بن مالك قال جاء ملك الموت الى نوح فقال يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل بيتا له يابان فقال فى وسط البيت هنية ثم خرج من الباب الآخر (فأخذهم الطوفان) أى الماء الكثير طراف بهم وعلاهم فغرقوا وارتفع على أعلى جبل أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر حتى غرق كل شئ غير من فى السفينة والقاء للتعقيب أى أخذهم عقب تمام المدة المذكورة والطوفان يقال لكل شئ كثير مطيف يجمع محيط بهم من مطر أو قتل أو موت قاله الخناس وقال سعد بن جبيرة وقتادة والسدى هو المطر وقال الضحاك الغرق وقيل الموت قال الشهاب ولكنه غلب فى الماء كما هو المراد هنا (وهم ظالمون) أى مستمرين على الظلم والشرك ولم ينجع فيهم ما وعظهم به نوح وذكرهم هذه المدة بطولها (فأنجيناها وأصحاب السفينة) أى أنجينا نوحا وأنجينا من معه فى السفينة من أولاده وأتباعه واختلف فى عددهم على أقوال قيل كانوا ثمانمائة وسبعين نفسا نصفهم كور ونصفهم اناث منهم أولاد نوح سام وحام ويافث ونسأوهم (وجعلناها) أى السفينة (آية للعالمين) أى عبرة عظيمة لهم ولين بعدهم من الناس ان عصورا سولهم وفى كونها آية وجود أحدّها انها كانت باقية على الجودى مدة مديدة كذا قال قتادة وثانيها ان الله سلم السفينة بأن جعلها آية وقيل ان الضمير راجع فى جعلناها الى الواقعة أو القصة أو الحادثة أو الى النجاة أو الى العقوبة بالغرق (وابراهيم) اتصا به بالعطف على نوحا وقال الكسائى هو معطوف على الها فى جعلناها وقيل منصوب بقدراى واذا ذكر قرأ ابراهيم التخي وأبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ما و ابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم (اذ قال) منصوب على الظرفية أى وأرسلنا ابراهيم وقت قوله أو جعلنا ابراهيم آية وقت قوله أو اذ ذكر ابراهيم وقت قوله (لقومه اعبدوا الله) أى أطيعوه وأفرودوا بعبادة وخصوه بما و وحدوه وفيه اشارة الى اثبات الاله (واتقوه) أن تشركوها به شيئا وفيه اشارة الى نفي الغير لان من يشرك مع الملائكة غيره فى ملائكة فقد أتى بأعظم الجرائم وقيل اعبدوا الله اشارة الى الايمان

بالواجبات

للكاتب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن ولا الرحيم ولكن اكتب

كما كنت تكتب باسمك اللهم ولهذا أنزل الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى أى هو الله وهو الرحمن وقال فى هذه الآية واذ قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أى لا نعرفه ولا نتقربه أنسجد لما أمر نأى بمجرد قولك وزادهم نفورا فاما المؤمنون فانهم يعبدون الله الذى هو الرحمن الرحيم ويفردونه بالالهية ويسجدون له وقد اتفق العلماء رحيمهم الله على ان هذه السجدة التى فى الفرقان مشروع السجود عندها لقارئها ومستمعها كما هو مقرر فى موضعه والله سبحانه

وتعالى أعلم (تبارك الذي جعل في السماء بر وجا وجعل فيها سراجا وقراميرا وهو الذي جعل الليل والنهار خليفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا) يقول تعالى مجدا لنفسه ومعظما على جليل مخلوق في السماء من البروج وهي الكواكب العظام في قول مجاهد وسعيد بن جبيرة وأبي صالح والحسن وقتادة وقيل هي قصور في السماء للحرس يروى هذا عن علي وابن عباس ومحمد بن كعب وابراهيم النخعي وسليمان بن مهران الأعشى وهو رواية عن أبي صالح أيضا والقول الأول أظهر اللهم الان يكون الكواكب العظام هي قصور للحرس فيجتمع القولان كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح الآية وقوله تعالى تبارك الذي (١٤٩)

جعل في السما بر وجا وجعل فيها سراجا وهي الشمس المنيرة التي هي كالسراج في الوجود كما قال تعالى وجعلنا سراجا وهاجا وقراميرا أي مشرقا ومضيئا بنور آخر من غير نور الشمس كما قال تعالى وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقال مخبر عن نوح عليه السلام انه قال لقومه الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ثم قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خليفة أي يخلف كل واحد منهما صاحبه يتعاقبان لا يفتران اذا ذهب هذا جاء هذا واذا جاء هذا ذهب ذلك كما قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائرين الآية وقال يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا الآية وقال لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر الآية وقوله تعالى لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي جعلهما يتعاقبان توقيتا للعبادة عباده له عز وجل فن فاته عمل في الليل استدركه في النهار ومن فاته عمل

بالواجبات وقوله انقوه اشارة الى الامتناع من المحرمات ثم يدخل في الاول الاعتراف بالله وفي الثاني الامتناع من الشرك (ذلكم) أي عبادة الله وتقواه (خير لكم) من الشرك ولا خير في الشرك أبدا ولكنه خاطبهم باعتبار اعتقادهم وقيل خير من كل شيء لان حذف المنفصل عليه يقتضى العموم مع عدم احتياجه الى التأويل اذ المراد بكل شيء كل شيء وفيه خيرية ويجوز كونه صفة لاسم تنضيل (ان كنتم تعلمون) شأن من العلم أو تعلمون علما يتميز به بين ماهو خير وما هو شر وان من المرسلين ابراهيم ثم ذكر ابراهيم بطلان مذهبهم بأبلغ وجه بقوله (انما عبدون من دون الله آثانا) وبين لهم انهم يعبدون ما لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر والآثان هي الاصنام وقال أبو عبيدة الصنم ما يتخذ من ذهب أو فضة أو نحاس والوثن ما يتخذ من حص أو حجارة وقال الجوهري الوثن الصنم والجمع آوثان (وتحلقون افكا) أي وتكذبون كذبا على ان معنى تحلقون تكذبون قال الحسن معنى تحلقون تحتون أي انما تعبدون أو آثانا وانتم تصنعونها وهذا على قراءة الجمهور بفتح الفوقية يسكون الخاء وضم اللام مضارع خلق وافكا بكسر الهمزة وسكون الفاء وقرأ على بن أبي طالب وزيد بن علي والسلمي وقتادة بفتح الخاء واللام مشددة والاصل تحلقون وروى عن زيد بن علي انه قرأ بضم التاء وتشد اللام مكسورة وقرأ ابن الزبير وفضل بن ورقان افكا بفتح الهمزة وكسر التاء وهو مصدر كالكذب أو صفة لصدر محذوف أي خلقا افكا (ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) أي لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق (فاستغوا عند الله الرزق) أي اصرفوا رغبتكم في أرزاقكم الى الله فهو الذي عنده الرزق كله فاسألوه واطلبوه من فضله (واعبدوه) أي وحدوه دون غيره (واشكروا له) على نعمائه ذلكهما بعد طلب الرزق لان الاول أي العبادة سبب لحدوث الرزق والثاني أي الشكر موجب لبقائه وسبب لمزيد عليه يقال شكرته وشكرت له (اليمين) أي الى محل جزائه تعالى (ترجعون) بالموت ثم بالبعث لالى غيره فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على نعمه وايضا فرغ من بيان التوحيد أي بعده بالتهديد وقال (وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم) أي وان تكذبوني فقد وقع ذلك لغيري من قبلكم فهو من قول ابراهيم وقيل هو من قول الله سبحانه أي وان تكذبوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فذلك عادة الكفار مع من سلف كقوم شيث وادريس ونوح

في النهار استدركه في الليل وقد جاء في الحديث الصحيح ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو حنيفة عن الحسن ان عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحى فقبل له صنعت اليوم شيئا لم تكن تصنعه فقال انه بقي على من وردى شيء فأحبت ان آتمه أو قال أقضيه وتلا هذه الآية وهو الذي جعل الليل والنهار خليفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية يقول من فاته شيء من الليل ان يعمله أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقال مجاهد وقتادة خليفة أي مختلفين أي هذا

سواده وهذا بضائه (وعباد الرحمن الذين يشنون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) والذين يسون ربهم
 بعد اوقياما والذين يقولون ربنا صرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انما ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا نطقوا
 لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) هذه صفات عباد الله المؤمنين الذين يشنون على الارض هونا أي بسكينة ووقار من غير
 جراءة ولا استكبار كتوله تعالى ولا تمس في الارض مرط الا بآفة قاهما ولا فانهم يشنون من غير استكبار ولا مرح ولا أشرو ولا بطر
 وليس المراد أنهم يشنون كالمرضى (١٥٠) تصنعوا ويرافقو قد كان سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم اذا مشى كأنه ينحط

من صب وصبكاً نما الارض
 تطوى له وقد كره بعض السلف
 المشي بتضعف وتضع حتى روى
 عن عمر أنه رأى شابا يشي رويدا
 فقال ما بالك أنت مريض قال لا
 يا أمير المؤمنين فعلاه بالدره وأمره
 أن يشي بقوة وانما المراد بالهون هنا
 السكينة والوقار كما قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اذا أتيت الصلاة
 فلا تأتوها وانتم تسبون وانتموها
 وعليكم السكينة فما أدركتم منها
 فصلوا وما فاتكم فاتموا وقال عبد
 الله بن المبارك عن معمر بن عمار بن
 المختار عن الحسن البصري قوله
 وعباد الرحمن الآية قال ان المؤمنين
 قوم ذات منهم والله الاسماع
 والابصار والجوارح حتى يحسبهم
 الجاهل مرضى وما بالقوم من مرض
 وانهم والله لا يسمعون ولكنهم دخلهم
 من الخوف ما لم يدخل غيرهم
 ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة
 فقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا
 الحزن أما والله ما أرحنهم ما أرحن
 الناس ولا تعانظم في نفوسهم شيء
 طلبوا به الجنة ولكن أبكاهم

وغيرهم وقيل هذا اعتراض متصل الى قوله عذاب ألم وقع تذكرة الاله مكة وتحذير الهم
 (وما على الرسول الا البلاغ المبين) لقومه الذين أرسل اليهم وليس عليه هدايتهم وليس
 ذلك في وسعه ولما بين الله تعالى الاصل الاول وهو التوحيد وأشار الى الثاني وهو الرسالة
 بقوله ما على الرسول الا ما شرع في بيان الاصل الثالث وهو الحشر وهذه الاصول الثلاثة
 لا ينفك بعضها عن بعض في الذكرا الالهى فقال (أولم يروا كيف بيدي الله الخلق ثم
 يعيدهم) قرئ بالتخسيع على الخبر قال أبو عبيد كانه قال أولم يروا كيف بيدي الله الخلق ثم
 الخطاب من ابراهيم لقومه وقيل هو خطاب من الله لقريش وقرئ بيدي من ابدي بيدي
 ومن بدأ بيدي وقرئ كيف بدأ والمعنى ألم يروا كيف بيدي الله ابتداء نطفة ثم علقه ثم
 مضغه ثم ينفخ فيهم الروح ثم يخرجهم الى الدنيا ثم يوفاهم بعد ذلك ثم هو يعيدهم كما بدأهم
 وكذلك سائر الحيوانات وسائر النباتات فاذا رأيت قدرة الله سبحانه على الابتداء والايجاد
 فهو القادر على الاعادة والهزيمة لانكار عدم رؤيتهم والواو والعطف على مقدر والمراد
 بالرؤية العلم الواضح الذي هو كالرؤية والعاقول يعلم ان البدن من الله لان الخلق الاول
 لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الاول خلقا اول فهو من الله (ان ذلك) اي الخلق
 الاول والثاني (على الله يسير) لانه اذا أراد امرأ قاله كن فيكون فكيف ينكرون
 الثاني ثم امر سبحانه ابراهيم ان يأمر قومه بالمسيح في الارض ليتذكروا ويعتبروا فقال
 (قل) لمنكري البعث (سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق) على كثرتهم واختلاف
 الوانهم وطبائعهم وألسنتهم وانظروا الى مساكن القرون الماضية والامم الحالية
 وآثارهم لتعلموا بذلك كمال قدرة الله فان من قدر على انشاء مبادئ بقدر على اعادةها وقيل
 ان المعنى قل لهم يا محمد سيروا ومعنى قوله (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) ان الله الذي بدأ
 النشأة الاولى وخلقها على تلك الكيفية ينشئها نشأة ثانية عند البعث اي فكما لم يعذب
 عليه احد انهم مبدئا كذلك لا يعذب عليه اذ كانوا هم معيداء بعد الموت ثانيا وهذا دليل
 على انهم انشأان وان كل واحد منهما انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى
 الوجود غير ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك والجملة عطف على جملة
 سيروا في الارض داخله معها في حيز القول قال ابن عباس النشأة الآخرة هي الحياة بعد
 الموت وهو النشور قرئ النشأة بالقصر وسكون الشين وبالمد وفتح الشين وهما لغتان

كالكافئة

الخوف من النار انه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم ير لله نعمة الا في
 مطم أو في مشرب فقد نقل علمه وحضر عذابه وقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أي اذا سفه عليهم الجاهل بالقول
 السبي لم يقابلهم عليه بمثل بل يعفون ويصفحون ولا يقولون الا خيرا كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزيد شدة الجاهل
 عليه الا حلا كما قال تعالى واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآية ويرى الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا أبو بكر عن الاعشى
 عن أبي خالد الوالي عن النعمان بن مقرن المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسب رجل رجلا هذه فجعل المسبوب يقول

عليك السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان ملكا ينسك ائذ بك كما تنسك هذا قال له بل آت وانت احق به واذا قلت له وعليك السلام قال لابل عليك وانت احق به اسماه ناده حسن ولم يخرجوه وقال مجاهد قالوا اسلاما يعني قالوا سدا او قال سعيد ابن جبيرة واهم عرفان القول وقال الحسن البصري قالوا اسلام عليكم ان جهل عليهم حملوا يصاحبون عباد الله نهارهم بما يسمعون ثم ذكر ان ليظلم خير ليل فقال تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما أى فى طاعته وعبادته كما قال تعالى كلوا مما آتاكم من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقوله تعالى فما يجمعون من عن (١٥١) المضاجع الآية وقال تعالى أمن

هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه الآية ولهذا قال تعالى والذين يقولون ربنا انصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما أى ملازما دائما كما قال الشاعر ان يعذب يكن غراما وان يعسط جز يلا فانه لا يبالي

ولهذا قال الحسن فى قوله ان عذابها كان غراما كل شىء يصيب ابن آدم ويزول عنه فليس بغرام وانما الغرام اللانزم مادامت الارض والسموات وكذا قال سليمان التميمي وقال محمد بن كعب ان عذابها كان غراما يعنى مانعوا فى الدنيا ان الله تعالى سأل الكفار عن النعمة فلم يردوها اليه فأعزهم فادخلهم النار انها ساءت مستقرا ومقاما أى بنسبت المنزل منظرا ونسب المقيل مقاما وقال ابن أبى حاتم عند قوله انها ساءت مستقرا ومقاما حدثنا أبى حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الاعمش عن مالك بن الحارث قال اذا طرح الرجل فى النار هوى

كالرقبة والرقبة وهى منتصبة على المصدرية بحيثذف الزوائد والاصل الانشاء او على حذف العامل أى بنشى فنبشون النشاء (ان الله على كل شىء) من البدأة والاعادة (قديرا) والجله تعليل لما قبلها (يعذب من يشاء) تعذيبه بعد النشاء الاخرة بالخذلان وهم الكفار والعصاة (ويرحم) بالهداية (من يشاء) رحته وهم المؤمنون به المصدقون لرسله العاملون بأوامره ونواهيه أو المعنى يعذب بالحرص ويرحم بالقناعة أو بسوء الخلق وحسنه أو بالاعراض عن الله وبالاقبال عليه أو بمتابعة البدع وبلازمة السنة وقدم التعذيب فى الذكر على الرحمة مع ان رحمة سابقة لان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب أو لا سبق ذكره تصقيه (واليه) لا الى غيره (تقبلون) أى ترجعون وتردون (وما انتم) الخطاب لبنى آدم وهم من أهل الارض وليس فى وسعهم الهرب فى السماء لكن المقصود امتناع القوت على جميع الاحوال (بمجزين) ربكم عن ادراككم (فى الارض) الفسيحة (ولا فى السماء) التى هى اوسع منها قال الفراء ولا من فى السماء بمجزين الله فيها قال وهو كما فى قول حسن

فمن يهجر رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواه

أى ومن مدحه وينصره سواه ومنه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم أى الامن له مقام معلوم والمعنى انه لا يجزئه سبحانه اهل الارض فى الارض ولا اهل السماء فى السماء ان عصوه وقال قطرب ان معنى الآية ولا فى السماء لو كنتم فيها كما تقول لا يفتونى فلان ههنا ولا بالبصرة يعنى ولا بالبصرة لو صار اليها وقال المبرد المعنى ولا من فى السماء على ان من ليست موصولة بل تنكرة وفى السماء صفة لها فاقبت مقبل الموصوف وردة الاخفش ويرجع ما قاله قطرب والمقصود بيان امتناع القوت على جميع التقدير ~~ممكن~~ كان او مستحيلا وهذا ان جلت الارض والسماء على المشهور ومن معناهما ويجوز ان يراد بهما جهة السفلى وجهة العلو وقال هنا فى الارض ولا فى السماء واقتصر فى شورى على الارض لان ما هنا خطاب لتقوم فيهم النور الذى طاول الصعود الى السماء وقد حذفنا معا للاختصار فى قوله فى الزمر وما هم بمجزين (وما لكم من دون الله) أى غيره (من ولى ولا نصير) من مزيدة للتاكيد أى ليس له ولى يولى اليه ولا نصير ينصره ويدفع عنه عذاب الله (والذين كثروا بايات الله) أى التنزيلية او التكوينية اوجيعهما (ولقائه) أى

فيها فاذا انتهى الى بعض ابوابها قيل له مكانك حتى تجف قال فيسقى كاسا من سم الاسود والعقارب قال فيتميز الخلد على حمة والشعر على حدة والعصب على حدة والعروق على حدة وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الاعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال انه فى النار جليا فيها حبات أمثال الخبز وعقارب أمثال البغال فلم يذوقها ثم فى النار خرجت اليهم من أوطانها فأخذت بشفاهم وأبشارهم وأشعارهم فكشفت لهمهم الى أقدامهم فاذا وجدت حر النار رجعت وقالوا لاهل الجحيم حدثنا الحسن بن موسى حدثنا اسلام بن موسى عن أبي طلال عن أنس بن مالك رضى الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عبد الله عز وجل لم يزل يذبح لي اذني بعبدى هـ اذ انطلق جبريل فيجد أهل النار كيبين يكرن فيرجع الى ربه عز وجل فيصبره فيقول الله عز وجل اذني به فانه في مكان كذا وكذا فيجي به فيوقفه على ربه عز وجل فيقول له يا عبدى كيف وجدت مكانك ومقبلك فيقول يا رب شرمكان وشرمقبل فيقول الله عز وجل ردوا عبدى فيقول يا رب ما كنت ارجوا اذا خرجتني منها ان تردني فيها فيقول الله عز وجل ردوا عبدى وقوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية اى ليسوا بعبدزين في انفاقهم فيصرفون فوق (١٥٢)

الحاجة ولا بخلاء عن أهلهم فيقصرون في حقهم فلا يكتونهم بل عدل اخبارا وخير الامور اوسطها الا هذا ولا هذا وكان بين ذلك قوما كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية وقال الامام أحمد حدثنا عصام بن خالد حدثني أبو بكر ابن عبد الله بن أبي تميم الغساني عن ضمرة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من فقه الرجل قصده في معيشته ولم يخرجوه وقال أحمد أيضا حدثنا أبو عبيدة الحداد حدثنا مسكين بن عبد العزيز العبدى حدثنا ابراهيم الهجرى عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد لم يخرجوه وقال الحافظ أبو بكر البرزنجي حدثنا يحيى بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن محمد بن ميمون حدثنا سعيد بن حكيم عن مسلم بن حبيب عن بلال يعنى العباسى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحسن القصد

انكروا البعث وما بعده ولم يعملوا بما أخبرتهم به رسل الله سبحانه والاشارة بقوله (اولئك) الى الكافرين بالآيات والمقاه (يشوا من رحمتي) في الدنيا ولم يجمع فيهم ما نزل من كتب الله ولا ما أخبرتهم به رسله وقيل المعنى انهم يأسون يوم القيامة من رحمة الله وهى الجنة وصيغة الماضى لدلالة عمله على تحقق وقوعه وضاف الرحمة الى نفسه ولم يصف العذاب اليها السبق رحمة واعلاما لعباده بعمومها لهم (واولئك لهم عذاب اليم) تكرير الاشارة للتأكيد وصف العذاب بكونه اليما للدلالة على انه في غاية الشدة وهذا آخر الآيات في تذكرة أهل مكة وقوله (فما كان جواب قومه الا ان قالوا) رجوع الى خطاب ابراهيم بعد الاعتراض بما تقدم من خطاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم على قول من قال ان قوله قل سيروا في الارض خطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم واما على قول من قال انه خطاب لابراهيم عليه السلام فالكلام في سياقه سابقا لاحقا اى قال بعضهم لبعض عند المشاورة بينهم لاجتسوا عن ابراهيمه الثلاثة الدالة على الاصول وهى التوحيد والنبوة والحشر وافعلوا بابراهيم احد الامر بن (اقتلوه) بالسيف وانحوه فاستر بحواضنه عاجلا (او حره) بالنار فاما ان يرجع الى دينكم اذا وجعته النار واما ان يموت بها اذا اصبر على قوله ودينه وانما اجابوا بذلك لعدم قدرتهم على الجواب الصحيح ثم اتفقوا على تحريقه فقتلوه في النار (فأتجاه الله من النار) بأن جعلها عليه بردا وسلاما قبل ان ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار وذلك لنزاهتها (ان في ذلك) اى في انجاء الله لابراهيم بعد القائه في النار (آيات) اى دلالات واضحة وعلامات ظاهرة على عظيم قدرة الله وبديع صنعته حيث أضره واثلك النار العظيمة وألقوه فيه ولم تحرقه ولا اثر فيها اثر بل صارت الى حالة محالفة لما هو شأن عنصرها من الحرارة والاحراق قال المحلى هى عدم تأثيرها فيه واخادها وانشاءه ووض مكانها في زمن يسير انتهى اى مقدار طرفه عين بحيث انهم لم تؤذوه ولكن احرقته وثاقه ليخلص (لقوم يؤمنون) اى يصدقون بتوحيد الله وقدرته وانما خص المؤمنون لانهم الذين يعتبرون بآيات الله سبحانه وينتفعون بها واما من عداهم فهم عن ذلك غافلون (وقال) ابراهيم لقومه بعد الانجاء من النار ولم يحصل له منهم رعب ولا مهابة (انما اتخذتم من دون الله اوثانا وودع بينكم والتواصل لاجتماعكم على عبادتها وللخشية من ذهاب المودة فيما بينكم ان تركتم عبادتها فري برفع

في الغنى وما أحسن القصد في الفقر وما أحسن القصد في العبادة ثم قال لانعرفه روى الامن حديث حذيفة مودة

رضى الله عنه وقال الحسن البصرى ليس في النفقة في سبيل الله سرف وقال اياس بن معاوية ما جازت به امر الله تعالى فهو سرف وقال غيره السرف النفقة في معصية الله عز وجل (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اذاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا) قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية

حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنب أكبر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قال ثم أي قال ان تزاني حليله جارك قال عبد الله وأتزل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآيات وهكذا رواه النسائي عن هناد بن السرى عن أبي معاوية به وقد أخرجه البخارى ومسلم من حديث الاعمش ومنصور زاد البخارى وواصل ثلاثتهم عن أبي واثل شقيق بن سلمة عن أبي مسيرة عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود به فآله أعلم ولفظها ما (١٥٣)

الذنب أعظم الحديث طريق غريب وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن إسحق الأهوازي حدثنا عامر بن مدرك حدثنا السرى يعنى ابن اسمعيل حدثنا الشعبي عن مسروق قال قال عبد الله خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاتبعته فجلس على نشز من الأرض وقعدت أسفل منه ووجهي حمال ركبتيه واغتمت خلوته وقلت بائ أنت وأبي يا رسول الله أي الذنب أكبر قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قلت ثم ما قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم ما قال ان تزاني حليله جارك ثم قرأ والذين لا يدعون مع الله الآيات وقال النسائي حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن هلال ابن يساف عن سلمة بن قيس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق

مودعة وضافتم الى بينكم وبالنصب ممنونة ونصب بينكم على الظرفية (في الحياة الدنيا) أي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) أي يكفر بعض هؤلاء المتخذين للاوثان والعابدن لها بالبعض الآخر منهم فيتبرأ القادة من الاتباع والاتباع من القادة وقيل المعنى يتبرأ العابدون للاوثان من الاوثان والواثان من العابدن لها يقولون لا نعرفكم (ويبلغ بعضكم بعضاً) أي كل فريق الآخر على التفسيرين المذكورين (وما أواكم النار) أي ما أوى الكفار جميعاً وقيل يدخل في ذلك الاوثان (وما لكم من ناصرين) بلصونكم منها بنصرتهم لكم (فأمن له) أي لبراهيم (لوط) فصدقه في جميع ما جاء به وقيل انه لم يؤمن به الا حين رأى النار لا تحرقه وكان لوط ابن أخي ابراهيم هاران وقيل ابن أخته والاول أولى قال ابن عباس آمن أي صدق برسالته (وقال انى مهاجر الى ربى) قال الشعبي وقتادة الذى قال انى مهاجر هو ابراهيم قيل هو أول من هاجر الى الله وترك بلده وسار الى حيث أمره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة وقال قتادة هاجر من كوثى وهى قرية من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين وهى بركة الشام ثم الى الشام ومعه ابن أخيه لوط وامرأته سارة وقد تزوجها ومن ثم قالوا الكل نبى هجرة ولابراهيم هجرتان والمعنى انى مهاجر عن دار قومي الى حيث أحب سدري عن أنس قال أول من هاجر من المسلمين الى الحبشة باذنه عثمان بن عفان فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحبهم الله ان عثمان لاول من هاجر الى الله بأهله بعد لوط أخرجه أبو يعلى وابن مردويه عن أسماء بنت أبي بكر قالت هاجر عثمان الى الحبشة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه أول من هاجر بعد ابراهيم ولوط أخرجه ابن منده وابن عساکر وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان بين عثمان وبين رقية وبين لوط مهاجر أخرجه الطبرانى والحاكم فى الكنى وابن عساکر (انه هو العزيز الحكيم) أي الغالب الذى أفعاله جارية على مقتضى الحكمة وقيل ان القائل انى مهاجر الى ربى هو لوط والاول أولى لرجوع الضمير فى قوله (وهبنا له اسحق ويعقوب) الى ابراهيم وكذا الضمير فى قوله (وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره فى الدنيا) فان هذه الضمائر كلها لبراهيم بلا خلاف يعنى من الله عليه بالاولاد فهو له بعد اسمعيل بأربع عشرة سنة اسحق ولد له ويعقوب ولد له وولد اسحق وقول ابن عباس هما

(٢٠ - فتح البيان سابع) ولا تزوا ولا تسرقوا وقال الامام أحمد حدثنا علي بن المدينى رحمه الله حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان حدثنا محمد بن سعيد الانصارى سمعت أبا طيبة الكلابى سمعت المقداد بن الاسود رضى الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه ما تقولون فى الزنا قالوا حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صحابه لان زنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بأمرأة تجاره قال فما تقولون فى السرقة قالوا حرمها الله ورسوله فهى حرام قال لان يسرق الرجل من عشرة أبات أيسر عليه من أن يسرق من جاره وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا عمر بن نصر حدثنا

بقية عن أبي بكر بن أبي هريرة عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له وقال ابن جرير أخبرني يعلى بن سعيد بن جبيرانه سمع ابن عباس يحدث ان ناسا من أهل الشرك قتلوا كثيرا وازنوا فأكثروا ثم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه احسن لو نخبنا ان لما علمنا كفاية فزنا والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآيات ونزات قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابن ابي عمير حدثنا سفيان عن عمرو بن ابي (١٥٤) فاختة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ان الله ينهالك ان تعبد

المخلوق وتدع الخالق وينهالك أن تقتل ولدك وتغتدو كلبك وينهالك أن تزني بجميلة جارئك قال سفيان وهو قوله والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآيات وقوله تعالى ومن يفعل ذلك يلقأنا ما روى عن عبد الله بن عمرو انه قال أنا ما واد في جهنم وقال عكرمة يلقأنا ما أودية في جهنم يعذب فيها الزناة وكذا روى عن سعيد بن جبيرة ومجاهد وقال قتادة يلقأنا ما تكالا كنا نحدث انه واد في جهنم وقد ذكرنا ان لقمان كان يقول يا بني ابالك والزنا فان أوله مخافة وآخره مذامة وقد ورد في الحديث الذي رواه ابن جرير وغيره عن أبي امامة الباهلي وهو قوفوا هو فوعا ان غيا وانا ما بئران في قعر جهنم أجازنا الله منها مجسه وكرمه وقال السدي يلقأنا ما جزاء وهذا أشبه بظاهر الآية وبهذا فسر به بما بعده مبدل لانه وهو قوله تعالى يضاعف له العذاب يوم القيامة أي يكرر عليه ويغلظ ويخلف فيه مهنا أي حقيقته اذ لا الا وقوله تعالى الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا أي حراوه على ما فعل من هذه

ولد ابراهيم له له يريد ولد وولد وولد لان ولد الولد بمنزلة الولد ومثل هذا لا يخفى على مثل ابن عباس وهو حبر الامة وهذه عنده من رواية العوفي وفي الصحيحين ان الكرم بن ابي الكرم ابن الكرم بن ابي الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وجعل في ذريته النسوة فلم يبعث الله نبيا بعد ابراهيم الا من صلبه ونسله ووحد الكتاب لان الالف واللام فيه للجنس الشامل للكتب والمراد التوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعنى ايتاء الاجر في الدنيا انه أعطى فيها الا والاد في غير اوانه وأخبر الله باستقرار النسوة فيهم وذلك مما تقر به عينه ويرداد به سروره وقيل أجزه في الدنيا ان أهل الملل كلها تدعيه ويقول هو منهم ويثمنون عليه الثناء الحسن ويذكروه أهل الاسلام في آخر كل تشهد الى آخر الدهر وقيل أعطاه في الدنيا عملا صالحا وعاقبه حسنة وفيه دليل على ان الله تعالى قد يعطي الاجر في الدنيا وعن ابن عباس قال ان الله وصي أهل الايمان بدينه فليس من أهل الايمان دين الا وهم يقولون ابراهيم ويرضون به وقال أجز الدنيا الذكرا الحسن وقال أيضا الولد الصالح والثناء وانه في الآخرة لمن الصالحين أي الكاملين في الصلاح المستحقين لتوفير الاجرة وكثرة العطاء والفوز بالدرجات العلى من الرب سبحانه (و) اذ كر (لوطا) وقال الكسائي المعنى وأنجينا لوطا وأرسلنا لوطا (اذ قال لقومنا انكم لتأتون الفاحشة) أي الخصلة المتساهية في التبع وهي اللواط قرئ بالاستفهام وبغيره (ما سبقكم به من أحد من العالمين) الانس والجن مستأنفة مقررة له لاجل قبح هذه الخصلة وانهم منفردون بذلك لم يسبق الى عملها أحد من الناس على اختلاف اجناسهم قيل لم ينزذ كر على ذك قبل قوم لوط من حيث انها مما اشأرت منه الطباع وتباحث عنه النفوس حتى قدموا عليها الخبث طينتهم وهذه الآية دالة على وجوب الحد في اللواط لانها اشتركت مع الزنا في كونها فاحشة وقد قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وهذا وان كان قياسا الا ان الجامع مستفاد من الآية قاله الرازي ثم بين سبحانه هذه الفاحشة فقال (انتم كنتم لتأتون الرجال) أي تلوطون بهم (وتقطعون السبيل) قيل انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يعربهم من المسافرين فلما فعلوا ذلك ترك الناس المرور بهم فقطعوا السبيل بهذا السبب قال القراء كانوا يعترضون الناس في الطرق بعملهم الخبيث وقيل كانوا يقطعون الطريق على المسافر بقتلهم ونهبهم والظاهر انهم كانوا يفعلون ما يكون سببا لقطع الطريق من غير تفهيم بسبب خاص

وقيل

الصنات الصبيحة ما ذكر الامن تاب أي في الدنيا الى الله عز وجل من جميع ذلك فان الله يتوب عليه

وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل ولا تعارض بين هذو وبين آية النساء ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية فان هذه وان كانت مدينة الانها مطلقة فتعمل على من لم يتب لان هذه متقدمة بالتوبة ثم قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية وقد ثبتت السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملة توبة القاتل كما ذكره مقرر من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب فقبل الله توبته وغير ذلك من الاحاديث وقوله تعالى فالولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما في معنى قوله يبدل الله

سماهم حسنة قولان أحدهما أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فوعد الله بهم عن السيئات فحولهم إلى الحسنات فأبدلهم مكان السيئات الحسنات وروى عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان ينشد عند هذه الآية وبدلن بجره خريفا * وبعد طول النفس الوجيفا يعني تغيرت تلك الأحوال إلى غيرها وقال عطاء بن أبي رباح هذا في الدنيا يكون الرجل على صفة قبيحة ثم يبده الله بها خيرا وقال سعيد بن جبيرة أبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن وأبدلهم (١٥٥) بقتال المسلمين قتال المشركين وأبدلهم بنكاح

المشركات بنكاح المؤمنات وقال الحسن البصري أبدلهم بالعمل السيئ العمل الصالح وأبدلهم بالشرك الاخلاص وأبدلهم بالعبور احصانا وبالكثر اسلاما وهذا قول أبي العالبة وقتادة وجماعة أخرى والقول الثاني ان تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنة وما ذلك الا انه كلما تذكر ماضى ندم واسترجع واستغفر فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار في يوم القيامة وان وحده مكتوبا عليه فانه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته كما ثبتت السنة بذلك وصحت به الآثار النبوية عن السلف رضی الله عنهم (١) فعن

أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف آخر أهل النار خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا إلى الجنة يؤتى برجل فيقول نحو اعنمه كبار ذنوبه وسأوه عن صغارها قال فيقال له عملت يوم كذا كذا وكذا وعملت يوم كذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر من ذلك شيئا فيقال ان لك بكل سيئة حسنة

وقيل ان معنى قطع الطريق قطع النسل بالعدول عن النساء إلى الرجال (وتأتون في ناديكم المنكر) النادي والنسدى والمنسدى مجلس القوم ومجتمعهم ولا يقال للمجاس ناد الامام فيه أهله واختلف في المنكر الذي كانوا يأتون فيه فتيل كانوا يخذفون الناس بالحصاة ويستخفون بالغريب وعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية قال كانوا يجلسون بالطريق فيخذفون أبناء السبيل ويسخرون منهم أخرجه أحد الترمذى وحسنه وقال لا تعرفه الا من حديث حاتم بن أبي صغيرة عن سمك وأخرج ابن مردويه عن جابر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن الخذف وهو قول الله سبحانه وتأتون في ناديكم المنكر وعن ابن عمر قال في الآية هو الخذف وعن ابن عباس مثله وقيل كانوا يضارطون في مجالسهم قالت له عائشة وقيل كانوا يأتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وقيل كانوا يلعبون بالحمام وقيل كانوا يناقرون بين الديكة ويناطحون بين الكباش وقيل يبرق بعضهم على بعض ويلعبون بالشرطيح ويلبسون المصبغات وكان من أخذ لاقهم مضغ العلك وطريرف الاصابع بالخناء وحمل الأزار والصفير ولا مانع من انهم كانوا ينعلمون جميع هذه المنكرات قال الزجاج في هذا اعلام انه لا ينبغي ان يتعاشر الناس على المنكر وان لا يجتمعوا على الهزء والمنهاى ولا أنكر لوط عليهم ما كانوا يفعلون أجابوا بما حكى

الله عنهم بقوله (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين) أى فما أجابوا بشئ الا بهذا القول رجوعا عنهم إلى التكذيب واللجاج والعناد وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقد تقدم في سورة النمل فما كان جواب قومه الا أن قالوا اخرجوا آل لوط من قريبتكم وتقدم في الاعراف فما كان جواب قومه الا أن قالوا اخرجوهم من قريبتكم وقد جمع بين هذه الثلاثة المواضع بأن لوطا كان تابعا على الارشاد ومكرر النهي لهم والوعيد عليهم فقالوا له اولا ائتنا بعذاب الله كافي هذه الآية فلما كثر منه ذلك ولم يسكت عنهم قالوا اخرجوهم كافي الاعراف والنمل وقيل انهم قالوا اولا اخرجوهم من قريبتكم ثم قالوا ائنا ائنا بعذاب الله ثم ان لوطا لما تبس منهم طلب النصرة عليهم من الله سبحانه و (قال رب انصرنى على القوم المفسدين) ينزال عذابك عليهم وتحقق قولى ان العذاب نازل بهم وافسادهم هو ما سبق من اتيان الرجال وعمل

فيعول يارب عملت أشياء لأراها ههنا قال فضحك رسول صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه انفرده باخراجه مسلم وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن يزيد حدثنا محمد بن اسمعيل حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نام ابن آدم قال الملك للشیطان اعطني صحيفة فكيف يعطيها ياها فها وجدني صحيفة من حسنة محاسبها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنة فاذا أراد احدكم أن ينام فليكب ثلثا وثلاثين (١) قوله فعن أبي ذر الخ في بعض النسخ زيادة السنن بما نقله قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن المعمر بن

تكبيرة ويحمد أربعاً وثلاثين تحميدة ويسبح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة فذلك مائة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة وعلمهم
 قالوا حدثنا ثابت يعني ابن يزيد أبو زيد حدثنا عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال يعطى الرجل يوم القيامة صحيفة فيقرأ أعلاها
 فإذا سياتها فإذا كاد يسوء ظنه نظري أسلفها فإذا حسنته ثم نظري أعلاها فإذا هي قد بدلت حسنتات وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا
 هشام بن عمار حدثنا سليمان بن موسى الزهري أبو داود حدثنا أبو القيس عن أبيه عن أبي هريرة قال لبيأتين الله عز وجل
 أناس يوم القيامة قد استكثروا (١٥٦) من السيئات قيل من هم يا أبا هريرة قال الذين يبذل الله سيئاتهم

المسكرة في ناديم فاستجاب الله سبحانه دعاءه وبعث لعذابهم ملائكة وأمرهم بتبشير
 إبراهيم قبل عذابهم ولهذا قال (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) أي بالبشارة بالولد
 وهو اسحق وولد الولد وهو يعقوب (قالوا) لا إبراهيم (انما هم لكواهل هذه القرية) وهي
 سدوم التي كان فيها قوم لوط قيل كانت على مسيرة يوم ولبيلة من موضع إبراهيم عليه
 السلام (ان أهلها كانوا ظالمين) تعليل للاهلاك أي أهلا كآلهم بهذا السبب (قال) لهم
 إبراهيم (ان فيها) أي في هذه القرية (لوطاً) وهو غير ظالم فكيف تم لكونها (قالوا نحن أعلم
 بن فيها) من الاخيار والاشرار ونحن أعلم من غيرنا بما كان لوط (لننجيه وأهله) من
 العذاب قرئ لتنجيه بالتخفيف والتشديد وهما قراءتان سبعيتان (الامرأته كانت) في
 علم الله وحكمه الأزلي (من الغابرين) أي الباقين في العذاب المنغمسين فيه الذين لم
 يخلصوا منه بسبب ان الدال على الشر له نصيب كفاعله كما ان الدال على الخير كفاعله وهي
 كانت تدل القوم على اضياف لوط فصارت واحدة منهم بسبب الدلالة وقيل المعنى من
 الباقين في القرية التي سئزل بها العذاب فتعذب من جلتهم ولا تنجو فين نجا والغابرون
 مشترك بين الماضي والباقي وقد تقدم تحقيقه (ولما جاءت رسلنا لوطاً) بعد مفارقتهم
 إبراهيم وان زائدة وهو مطرد (سعى بهم) أي جاءه ما ساءه وأخافه لانه ظنهم من البشر
 تخاف عليهم من قومهم لكونهم في أحسن صورة من الصور البشرية (رضاق بهم ذرعا) أي
 يحجز عن تدبيرهم وحرز وضاق صدره وضيق الذراع كناية عن العجز وفقد الطاقة كما يقال في
 الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع وقد تقدم تفسيره هذا مستوفى في هود ولما شاهدت
 الملائكة ما حل بهم من الحزن والتضجر (قالوا لا تخف) علينا من قومك (ولا تحزن) فانهم
 لا يقدرن علينا (انما نجوك وأهلك) من العذاب الذي أمرنا الله بان ننزله بهم قرئ
 منجوك بالتخفيف والتشديد قال المبرد التقدير ونجي أهلك (الامرأتك كانت من
 الغابرين) في العذاب (انما منزلون على أهل هذه القرية حرزاً من السماء) مستأنفة لبيان
 هلاكهم المنهوم من تخصيص التنجية به وبأهله والرجز العذاب أي عذاباً من السماء
 وهو الرمي بالحجارة وقيل احراقهم بنار نازلة من السماء وقيل هو الخسف والخصب كما
 في غير هذا الموضع ومعنى كون الخسف من السماء ان الامر به نزل من السماء وسعى

حسنتات وقال أيضاً حدثنا أبي
 حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا
 سيار حدثنا جعفر حدثنا أبو جرة
 عن أبي الصيف قلت وكان من
 أصحاب معاذ بن جبل قال يدخل
 أهل الجنة الجنة على أربعة أصناف
 المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين
 ثم أصحاب البين قلت لم سموا أصحاب
 البين قال لانهم قد عملوا بالسيئات
 والحسنتات فاعطوا كتبهم بأيمانهم
 فقرأوا سيئاتهم حرفاً حرفاً وقالوا
 يا ربنا هذه سيئاتنا فإين حسنتاتنا
 فمعد ذلك مح الله السيئات
 وجعلها حسنتات فعند ذلك قالوا
 هاؤم اقرأوا كتابيه فهم أكثر أهل
 الجنة وقال علي بن الحسين زين
 العابدين يبذل الله سيئاتهم حسنتات
 قال في الآخرة وقال معكول
 يغفرها لهم فيجعلها حسنتات رواهما
 ابن أبي حاتم وروى ابن جرير عن
 سعيد بن المسيب مثله قال ابن أبي
 حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد
 ابن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن
 مسلم حدثنا أبو جابر انه سمع معكولاً
 يحدث قال جاء شيخ كبير قد هرم
 سقط حاجباه على عينيه فقال

يا رسول الله رجل غدر وغر ولم يدع حجة ولا داجة الا اقتطفها بيمنه لوقسمت خطبته بين أهل الارض العذاب
 لا وبقتهم فهل له من توبة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسلمت فقال أما أنا نأتمد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً
 عبده ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فان الله عافرك غدرتك وغفرتك ويغفر لك ما كنت كذلك فقال
 يا رسول الله وغفرتك وغفرتك فقال وغفرتك وغفرتك ويغفر لك ما كنت كذلك فقال
 صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبيرة عن أبي فروة انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت رجلاً عمل الذنوب

كلها ولم يترك حاجة ولا حاجة فهل له من توبة فقال أسلمت فقال نعم قال فافعل الخيرات واترك السيئات فيجعلها الله لك خيرات
 كلكها قال وغد راق وخبراق قال نعم قال فما زال يكبر حتى توارى ورواه الطبراني من طريق أبي فروة الراوي عن ياسين
 الزيات عن أبي سلمة الجصبي عن يحيى بن جابر عن سلمة بن نفيل مرفوعا وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا
 عيسى بن شعيب بن ثوبان عن فليح بن عبيد بن أبي عبيد الشمس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاءني امرأه فقالت
 هل لي من توبة أتى زنت وولدت وقتلته فقلت لا ولا نعمت (١٥٧) العين ولا كرامة فقامت وهي تدعو

بالحسرة ثم صليت مع النبي صلى
 الله عليه وسلم الصحيح فقصت عليه
 ما قالت المرأة وما قلت لها فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
 قلت أما كنت تقرأ هذه الآية
 والذين لا يدعون مع الله الها آخرا
 قوله الامن تاب الآية فقرأها عليها
 فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي
 جعل لي مخرجا هذا حديث غريب
 من هذا الوجه وفي رجاله من لا يعرف
 والله أعلم وقد رواه ابن جرير من
 حديث إبراهيم بن المنذر الحرابي
 بسنده نحوه وعنده فخرجت
 تدعو بالحسرة وتقول يا حسرتنا
 أخلق هذا الحسن للشار وعنده انه
 لما رجع من عند رسول الله صلى الله
 عليه وسلم تطلبها في جميع دور المدينة
 فلم يجدها فلما كان من الليلة
 المقبلة جاءته فأخبرها بما قال له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فخرت ساجدة وقالت الحمد لله الذي
 جعل لي مخرجا وتوبة مما عملت
 وأعتقت جارية كانت معها وابنتها
 وتابت الى الله عز وجل ثم قال تعالى
 مخرجا عن عموم رحمة بعباده وأنه
 من تاب اليه منهم تاب عليه من أي

العذاب بالرجز لانه يعلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس أي اضطرب قرأ ابن عباس
 منزلون بالتشديد وقرئ بالتخفيف (عما كانوا ينسبون) أي بسبب فسقهم (ولقد تراكمتها
 آية بيّنة) أي آية بينا من القرية علامة ودلالة بينة وهي الآيات التي بها من الحجارة التي
 رجوا بها حتى أدركها أوائل هذه الامة وخراب الديار وآثار ما زلهم الخربة وقال
 مجاهد هو الماء الاسود الباقي على وجه أرضهم ولا مانع من حمل الآية على جميع ما ذكر
 (لقوم) متعلق بتكرار آية أو بيّنة وهو أظهر (يعتلون) أي يتدبرون الآيات تدبر ذوى
 العقول وخص من يعقل لانه الذي يفهم ان تلك الآيات عبرة يعتبر بها من رآها (والى
 مدين) هو اسم رجل وقيل اسم المدينة فعلى الاول المعنى وأرسلنا الى مدين وأولاده
 وعلى الثاني أرسلنا الى أهل مدين (أخاهم شعيبا) قد تقدم ذكره وذكر نسبه وذكر قومه في
 سورة الاعراف وسورة هود واضيف شعيب هنا اليهم بخلافه في قصة نوح وابراهيم ولوط
 حيث ذكر قوم مؤخر عنهم معرفة بالاضافة الى ضمير كل واحد منهم لان الاصل في جميع
 المواضع ان يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لان الله لا يعثر رسولا الى غير معين غير ان قوم
 نوح وابراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولان نسبة مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بالاضافة
 لتبنيهم فقيل قوم نوح وقوم لوط وقوم ابراهيم وأما قوم شعيب وهو صالح فكان لهم
 نسب معلوم اشتهر وابه عند الناس فحري الكلام على أصله فقال والى مدين أخاهم شعيبا
 والى عاد أخاهم هود اذ ذكره الرازي (فقال يا قوم اعبدوا الله) أي أفردوه بالعبادة وخصوه
 به لم يذكر لوط انه أمر قومه بالعبادة والتوحيد وذكر عن غيره ذلك لان لوطا كان في
 زمن ابراهيم وابراهيم سبقه بذلك حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق وانما ذكره
 ما اختص به من التمسى عن الفاحشة وأما غيره فخاوفي زمن غيره شتم بالتوحيد فامر وا
 به (وارجوا اليوم الآخر) أي توقعوه وافعلوا اليوم من الاعمال ما يدفع عذابه عنكم
 قال يونس النحوى معناه اخشوا الآخرة التي فيها الجزاء على الاعمال وخافوه (ولان شوا
 في الارض ففسدين) حال مؤكدة لعاملها والعمو والعنى أشد الفساد وقد تقدم
 تفسيره (فكذبوه) والتكذيب راجع الى الاخبارات الضمنية كأنه قال الله واحد
 فاعبده والحشر كائن فارجووه والله اذ محرم فلا توبه فلا يقال انه لا يكذب الا امر ولا
 الناهى وانما يكذب المخبر (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة وكذا في الاعراف

ذنب كان جليلا أو حقيرا أو صغيرا فقال تعالى ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا أي فان الله يقبل توبته كما قال تعالى
 ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه الآية وقال تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده الآية وقال تعالى قل يا عبادي الذين
 أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية أي لمن تاب اليه (والذين لا يشهدون الزور واذأمر وابل للغمروا كراما والذين
 اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرأة أعين واجعلنا للمتقين اماما)
 هذه أيضا من صفات عباد الرحمن انهم لا يشهدون الزور قيل هو الشرك وعبادة الاصنام وقيل الكذب والفسق والكفر واللغو

والباطل وقال محمد بن الحنفية هو اللغو والغناء وقال ابو العالية وطاوس وابن سيرين والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم هو أعياد
المشركين وقال عمرو بن قيس هي مجالس السوء والخنا وقال مالك عن الزهري شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه كما جاء في
الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر وقيل المراد بقوله تعالى لا يشهدون الزور أى شهادة
الزور وهى الكذب متممدا على غيره كما فى الصحيحين عن أبى بكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا
قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا جالس فقال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فقال

يكبر رها حتى قلنا ايته سكت والاظهر
من السياق ان المراد لا يشهدون
الزور أى لا يحضرونه ولهذا قال
تعالى واذا مروا باللغو مروا
كراما أى لا يحضرون الزور واذا
اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا
منه بشئ ولهذا قال مروا كراما وقال
ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج
حدثنا ابو الحسن العجلي عن محمد
ابن مسلم أخبرنى ابراهيم بن ميسرة
ان ابن مسعود مر به وهو معرض فلم
يقف فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد أصبح ابن مسعود وأمسى
كريميا ثم تلا ابراهيم بن ميسرة واذا
مروا باللغو مروا كراما وقوله تعالى
والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم
يخروا عليها اصما وعيانا وهذا أيضا
من صفات المؤمنين الذين اذا
ذكروا الله وجلت قلوبهم واذا نلت
عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم
يتوكلون بخلاف الكافر فانه اذا
سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يتغير
عما كان عليه بل يبقى مستمرا على
كفره وظغيانه وجهله وضلاله كما
قال تعالى واذا ما أنزلت سورة فنفهم
من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما

وقال فى سورة هود الصيحة والقصة واحدة قال ابن عباس أى صيحة جبريل وهى سبب
الرجفة فرجفت الارض من صيحته والقلوب رجفت بها والاضافة الى السبب لانتانفي
الاضافة الى سبب السبب (فأصبحوا فى دارهم) أى فى بلدتهم وأرضهم أو منازلهم (جامعين)
أى باركين على الركبتين (وعادا وعمودا) بالصرف وتركه بمعنى الحى والقبيلة قال
الكسائى قال بعضهم هو راجع الى أول السورة أى ولقد صدقنا الذين من قبلهم وقتنا عادا
وعودا قال وأحب الى ان يكون معطوفا على فآخذتهم الرجفة أى وأخذت عادا وعمودا
وقال الزجاج التقدير وأهلكنا عادا وعمودا وقيل المعنى اذكر عادا وعمودا إذا أرسلنا اليهم هودا
وصالحا (وقدسيتين) أى ظهر (لكم) يامعشر الكفار ويا أهل مكة (من مساكنهم) أى
منازلهم الكائنات بالخمر والاحقاف واليهن آيات بينات تتعظون بها وتتفكرون فيها وكانوا
يمرون عليها فى أسفارهم فيبصرونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) التى يعملونها من
الكفر ومعادى الله (فصددهم) بهذا التزيين (عن السبيل) أى الطريق الواضح الموصل
الى الحق (وكانوا مستبصرين) بواسطة الرسل يعنى لم يكن لهم فى ذلك عذر لان الرسل
أوضحوا السبيل قاله الرازى وقيل مستبصرين فى الضلالة قاله ابن عباس أى أهل
بصائر يتمكنون بها من معرفة الحق بالاستدلال لكنهم لم يفعلوا وقال القراء كانوا عتلاء
ألباء ذوى بصائر فى أمور الدنيا فلم ينفعهم بصائرهم وقيل المعنى كانوا مستبصرين فى
كفرهم وضلالهم محجبين بها يحسبون انهم على هدى ويرون ان أمرهم حق فوصفهم
بالاستبصار على هذا باعتبار ما عند أنفسهم أو متبينين ان العذاب لاحق لهم باخبار الرسل
لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا (وقارون وفرعون وهامان) قال الكسائى ان شئت كان
معطوفا على عادو وكان فيه ما فيه وان شئت كان على فصددهم عن السبيل أى وصد
قارون الخ وقيل التقدير وأهلكنا هؤلاء بعد ان جاءتهم الرسل وقدم قارون على فرعون
لشرف نسبه بقرابته من موسى لكونه ابن عمه وهامان هو وزير فرعون (ولقد جاءهم
موسى بالبينات) أى بالحجج الظاهرات والدلالات الواضحات الباهرات (فاستكبروا فى
الارض) عن عبادة الله (وما كانوا سابقين) أى فائتين عذابا فارين منه يقال سبق طالبه
اذا فاته وقيل سابقين فى الكفر بل قد سبقهم اليه قرون كثيرة (فكلا) من المذكورين
(أخذنا بذنبيه) أى عاقبنا بسبب كفره وتكذيبه قال الكسائى أى فاخذنا كلا بذنبيه

الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون زاما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فقولهم لم يخروا
عليها صما وعيانا أى بخلاف الكافر اذا سمع آيات الله لا يؤثر فيه فاستمر على طاعة كان لم يسمعها أصم أعمى قال مجاهد قوله لم يخروا
عليها صما وعيانا قال لم يسهوا ولم يبصروا ولم ينفعهوا شيئا قال الحسن البصرى رضى الله عنه كم من رجل يقرأها ويخبر عليها أصم
أعمى وقال قتادة قوله تعالى والذين اذا ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعيانا يقول لم يسهوا عن الحق ولم يعموا فيه فهم والله قوم
عقلوا عن الله واتتبعوا عما سمعوا من كآبه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أسيد بن عاصم حدثنا عبد الله بن جرمان عن ابن عون قال

سألت الشعبي قلت الرجل يرى التورم سجودا ولم يسمع ما سجدوا ويسجد معهم قال قتلا هذه الآية يعني انه لا يسجد معهم لانه لم يتدبر آية السجدة ولا ينبغي لله ومن أن يكون امعة الاعلى بصيرة في أمره ويقين واضح بن وقوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا نوزريا تناقرة أعين يعني الذين يسألون الله أن يخرج من اصلاهم من ذرياتهم من يطيعوه وبعده وحده لاشريك له قال ابن عباس يعنون من يعمل بطاعة الله فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة قال عكرمة لم يريدوا بذلك صباحة ولا جلا ولا لكن أرادوا ان يكونوا مطيعين ومثل الحسن البصرى عن هذه الآية فقال ان يرى الله (١٥٩) العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن جميعه

طاعة الله لا والله لاشئ أقرب لعين المسلم ان يرى ولدا أو ولدا ولدا وأخا أو جميعا مطيعا لله عز وجل قال ابن جرير في الآية في قوله هب لنا من ازواجنا نوزريا تناقرة أعين قال يعبدونك فيحسبون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني يسألون الله الله تعالى لازواجهم وذرياتهم ان يهديهم للاسلام وقال الامام أحمد حدثنا معمر بن بشر حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال جلسنا الى المقداد بن الاسود يوما فربه رجل فقال طوبى لها تين العينين اللتين رأيا رسول الله صلى الله عليه وسلم لودنا انارأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت فاستغضب المقداد فحملت أعجب لانه ما قال الا خيرا ثم أقبل اليه فقال ما يحمل الرجل على أن يتنى بمحضر اغيبه الله عنه لا يدري لو شهدته كيف كان يكون فيه والله لقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقواما كبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه ولا تحمدون الله اذا حرككم الله من بطون أمهاتكم لا تعرفون الاربعكم مصدقين بما جاء به نبيكم قد كفيتم البلاه لغيركم لقد بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم على أشرف حال بعث عليها نبيان من الانبياء في فترة جاهلية ما يرون ان ديننا أفضل من عبادة الاوثان بغناه بفرقان فرق به بين الحق والباطل وفرق بين الوالد وولده ان كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافرا وقد فتح الله قفل قلبه للايمان يعلم انه ان هلك دخل النار فلا تقر عينه وهو يعلم ان حبيبه في النار وانما التي قال الله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا نوزريا تناقرة أعين وهذا السناد صحيح ولم يخرجوه وقوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما قال ابن عباس والحسن والسدي

وفيه رد على من يجوز العقوبة بغير ذنب (قنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أي ريجحنا تاتي بالحصابا وشي الحصى الصغار فترجمهم بها وهم قوم لوط قاله ابن عباس (ومنهم من أخذته الصيحة) وهو ثمود أهل مدين قاله ابن عباس (ومنهم من خسفنا به الارض) وهو قارون وأصحابه قاله ابن عباس (ومنهم من أغرقنا) وهم قوم نوح وفرعون قاله ابن عباس (وما كان الله ليظلمهم) بما فعل بهم فيعذبهم بغير ذنب لانه قد أرسل اليهم رسلا وأزل اليهم كتبه (ولكن كانوا أنفسمهم يظلمون) باسرة ازرهم على الكفر وتكذيبهم للرسول وعملهم بمعاصي الله وارتكابهم الذنوب (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) يوالونهم ويتكلمون عليهم في حاجاتهم من دون الله سواء كانوا من الجماد والحيوان ومن الاحياء أو من الاموات (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوى اليه وان بيتها في غاية الضعف والوهن لا يبغي عنها شيئا في حر ولا قرو ولا مطر كذلك ما اتخذ ذوه وليا من دون الله فانه لا ينفعهم بوجه من وجوه النفع ولا يبغي عنهم شيئا شبه حال من اتخذ الاصنام والاثوان والاحبار والرهبان اولياء وعبدوا واعتمد عليها اراجيل النعمها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتا لا يبغي عنها في مطر ولا أدى قال الفراء هو مثل ضربه الله لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره كما ان بيت العنكبوت لا يقهر احوال بردا قال ولا يحسن الوقف على العنكبوت لانه لما قصد بالتشبيه لبيتها الذي لا يتبعها من شئ شبهت الآلهة التي لا تنفع ولا تضر به وقد جوزا الوقف على العنكبوت الاخنش وغلظه ابن الانباري قال لان اتخذ الصلوة للعنكبوت كأنه قال كمثل العنكبوت التي اتخذت بيتا فلا يحسن الوقف على الصلوة دون الموصول والعنكبوت تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونونه أصلية والواو والتاء من يدان بدليل قولهم في الجمع عنا كيب وفي التصغير عنكيب وهذا مطرد في أسماء الاجناس ويجمع على عكاب وعكبة وأعكاب وعناكب وعنكبوتات أيضا وهي الدويبة الصغيرة التي تنسج نسجارقا وقد يقال لها عنكبات والغالب في استعماله التأنيث (وان أو هن البيوت لبيت العنكبوت) لا بيت أضعف منه مما يتخذ الهوام بيتا ولا يدانيه في الوهن والوهن شئ من ذلك فان الريح اذا هبت عليه أو لمسه لا مس فلا يتي له عين ولا أثر فكأن أو هن البيوت بيته كذلك أضعف الاديان دين عبدة الاوثان ومن يعبد غير الله أو يتخذ وليا أو اربابا من دونه كيقدي الاحبار والرهبان ومقلديهم (لو كانوا

وقتادة والريبع بن أنس أئمة يقتدى بنافي الخير وقال غيرهم هداة مهتدين دعاة إلى الخير فاحبوا وان تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم وان يكون هداهم متعديا إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابا وأحسن ما بآلهذا ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث ولد صالح يدعوه أو علم ينتفع به من بعده أو صدقة جارية (أو أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرة ومقاما قل ما يعجبو بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما) (١٦٠) لما ذكر تعالى من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من الصفات الجميلة والآقوال

والأفعال الجميلة قال بعد ذلك كماه أولئك أي المتصفون بهذه يجوزون يوم القيامة الغرفة وهي الجنة قال أبو جعفر الباقر وسعيد بن جبير والضحاك والسدي سميت بذلك لارتفاعها بصبر وأي على القيام بذلك ويلقون فيها أي في الجنة تحية وسلاما أي يتدرون فيها بالتحية والاكرام ويلقون التوقير والاحترام فلهم السلام وعليهم السلام فان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم عما صبرتم فنعيم عقب الدار وقوله تعالى خالدين فيها أي مقيمين لا يظعنون ولا يحولون ولا يتولون ولا يزولون عنها ولا يغيغون عنها حولا كما قال تعالى واما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الآية وقوله تعالى حسنت مستقرة ومقاما أي حسنت منظرا وطابت مقبلا ومنزلا ثم قال تعالى قل ما يعجبو بكم ربي أي لا يبالي ولا يكترث بكم اذ لم تعبده ووجدوه انما خلق الخلق ليعبده ويوحده ويسجده بكرة وأصيلا قال مجاهد وعمر بن شبيب ما يعجبو بكم ربي يقول ما يفعل بكم ربي وقال علي بن

يعلمون) ان اتخاذهم الاولياء من دون الله كاتخاذ العنكبوت بيتا وان أمر دينهم بلغ هذه الغاية من الوهن ما عبدوها وأولو كانوا يعلمون شيئا من العلم لعلوا بهذا قال ابن عباس في الآية ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره ان مثله كمثل بيت العنكبوت وأخرج أبو داود في مسنده عن يزيد بن مرثد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العنكبوت شيطان شيطان مسخه الله فمن وجدها فليقتلها وعن يزيد بن ميسرة قال العنكبوت شيطان وأخرج الخطيب عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخلت أنا وأبو بكر الغار فاجتعت العنكبوت فنسجت بالباب فلاقتلوهن وروى القرطبي في تفسيره عن علي انه قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركتم في البيوت يورث الفقر وعن عطاء الخراساني قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود عليه السلام ومرة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) ما استفهامية أو نافية أو موصولة ومن للتبيين أو مزيدة للتأكيد وقيل التقدير للكل الكافر بن ان الله يعلم أي شيء تدعون من دونه من انس وجن وملك وحبر وراهب وغير ذلك وجرم أبو علي الفارسي بانها استفهامية وعلى تقدير النفي كأنه قيل يعلم انكم لا تدعون من دونه من شيء يعني ما تدعون له ليس بشيء وهذا تأكيد للمثل وزيادة عليه وعلى تقدير الموصولة ان الله يعلم الذين تدعونهم من دونه وهذا أظهر الالوجه فيها كما قال الكرخي ويجوز ان تكون ما مصدرية ومن شيء عبارة عن المصدر وقرئ يدعون بالتحية لذكر الامم قبل هذه الآية وقرئ بالتوقية على الخطاب (وهو العزيز) الغالب المصدر أفعاله على غاية الاحكام والاتقان وفيه تحجيل لهم حيث عبدوا واجادا وحيوانا لاعلمه ولا قدرته وتركو عبادة القادر القاهر على كل شيء (الحكيم) الذي لا يفعل كل شيء الا بحكمة وتدبير (وقلت الامثال) أي هه المثل وغيره من الامثال التي في القرآن (تضربها للناس) تنبيهها لهم وتقريرا لما بعد من افهامهم (وما يعقلها) أي ما يفهم صحتها وحسنها وفائدتها ويتعقل الامر الذي ضربها لاجله (الاعالمون) بالله وباسمائه وصفاته الراسخون في العلم المتدبرون المتفكرون لما يتلى عليهم وما يشاهدونه لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المستورة حتى تبرزها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه بين حال المشرك وحال الموحد ودلت الآية على فضل العلم على العقل ثم انه تعالى لما أمر الخلق

ابى طلحة عن ابن عباس في قوله قل ما يعجبو بكم ربي الآية يقول لولا ايمانكم وأخبر الله تعالى الكفار بالايان

انه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم مؤمنين ولو كان له بهم حاجة لحبب اليهم الايمان كما حسيه الى المؤمنين وقوله تعالى فقد كذبتم أيها الكافرون فسوف يكون لزاما أي فسوف يكون تكذيبكم لزاما لكم يعني مفضيا لعدابكم وهلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة ويدخل في ذلك يوم بدر كما فسر بذلك عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومحمد بن كعب القرظي ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وقال الحسن البصري فسوف يكون لزاما أي يوم القيامة ولا منافاة بينهما (آخر تفسير سورة الفرقان والله الحمد والمنة)

(تفسير سورة الشعراء وهي مكية) * ووقع في تفسير مالك المزوي عنه تسميتها بسورة الجامعة (بسم الله الرحمن الرحيم طسب تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم آتاء ما كانوا يستهزؤن أولم ير الى الارض كم أنبتنا من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك له العزيز الرحيم) اما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور فقد تكلمنا عليه في اول تفسير سورة البقرة وقوله تعالى (١٦١) تلك آيات الكتاب المبين أي هذه آيات

القرآن المبين أي البين الواضح الجلي الذي يفصل بين الحق والباطل والغي والرشاد وقوله تعالى لعلك باخع أي مهلك نفسك أي مما تحصر وتحرز عليهم الا يكونوا مؤمنين وهذه تسلية من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في عدم ايمان من لم يؤمن به من الكفار كما قال تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات كنوله فلعنك باخع نفسك على آثارهم الآية قال مجاهد وعكرمة وقاتدة وعطية والضحاك والحسن وغيرهم لعلك باخع نفسك أي قاتل نفسك قال الشاعر

ألا أي هذا الباخع الحزن نفسه

لنى نمتحه عن يديه المقادر ثم قال تعالى ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين أي لو نشأ لانزلنا آية تضطروهم الى الايمان قهرا ولكن لانفضل ذلك لانا لا نريد من أحد الا الايمان الاختياري وقال تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكفر الناس حتى يكونوا مؤمنين وقال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية فنفذ قدره ومضت حكمته

بالايمان وأظهر الحق بالبرهان ولم يأت الكفار بما أمرهم ولم يهدوا بذلك الى سواء السبيل وحصل بأس الناس عنهم سلى المؤمنين بقوله (خلق الله السموات والارض بالحق) أي خلقهما امتثل سباب العدل والقسط مراعيافي خلقهما مصالح عباده غير فاصدبه بلطلا وقيل المراد بالحق كلامه وقدرته والاول أولى لان المقصود بالذات من خلقهما أفاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار له بقوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) أي لدلالة عظيمة وعلاوة ظاهرة على قدرته وتفرده بالالهية وخص المؤمنين لانهم الذين ينتفعون بذلك بخلاف الكافرين أي فان لم يؤمنوا فلا يضر ذلك في يقينكم وايمانكم (أتل ما أوحى اليك من الكتاب) أي القرآن وفيه الامر بالتسلاوة للقرآن والمحافظة على قراءته تقربا اليه مع التسدرا لآياته والتسكرف معانيه من الاوامر والنواهي (وأقم الصلاة) أي دم على اقامتها وجاهلته (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) تعليلا لما قبلها كأنه قيل صل بهم ان الصلاة الخ جز الفحشاء ما قبح من العمل كالزنا مثلا والمنكر ما لا يعرف في الشريعة أي تنمعه عن معاصي الله وتبعه منه ما ومعنى نهىها عن ذلك ان فعلها يكون سببا للثنا عنهم والمراد هنا الصلوات المفروضة المكتوبة المؤداة بالجماعة قال ابن عباس وابن مسعود في الصلاة منتهى ومن دجر عن المعاصي أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم عن عمران بن حصين قال سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله هذا فقال من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزددهما من الله ابعدا وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم تنهه صلواته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له أخرجه عبد بن حميد وابن جرير والبيهقي وأخرج الخطيب عن ابن عمر مرفوعا نحوه وأخرج عبد بن حميد وغيره عن ابن مسعود مرفوعا نحوه قال السيوطي وسنده ضعيف قال ابن كثير في تفسيره والاصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقاتدة والاعمش وغيرهم وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك المعاصي والسيئات كما روى عن أنس قال كان في من الانصار يصلى الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيئا الا ركبته فذ ك ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان صلواته ستنهاه يوم اقام

(٢١ - فتح البيان سابع) وقامت بحجة البائعة على خلقه نار سال الرسل اليهم وانزال الكتب عليهم ثم قال تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين أي كلما جاء كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس كما قال تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال تعالى يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا يستهزؤن وقال تعالى ثم أرسلنا سنانا تر كلما جاء أمة رسولها كذبوه الآية وللهذا قال تعالى ههنا فقد كذبوا فسيأتيهم آتاء ما كانوا يستهزؤن أي فقد كذبوا بما جاء من الحق فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ثم نبه تعالى على عظمة سلطانه وحلالة قدره وشأنه الذي اجترأ على مخالفة رسوله وتكذيب كتابه وهو القاهر العظيم القادر الذي خلق الارض وأبنت فيها من كل زوج

كريم من زروع وعمار وحيوان قال سفيان الثوري عن رجل عن الشعبي الناس من نبات الارض فن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لثيم ان في ذلك لاية اية على قدرة الخالق للاشياء الذي بسط الارض ورفع بناء السماء ومع هذا ما آمن أكثر الناس بل كذبوا به ورسله وكتبه وخالفوا أمره وارتركبوا فيه وقوله وان ربك لهو العزيز الذي عز على كل شيء وقهره وغلبه الرحيم أي بخلقهم فلا يعجز على من عصاه بل يؤجله وينظره ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر قال أبو العالية وقتادة والربيع بن أنس وابن اسحق العزير في تقيته واتصاره (١٦٢) ممن خالف أمره وعبد غيره وقال سعيد بن جبيرة الرحيم عن تاب اليه وأتاب لديه

(واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون لا يتقون قال رب انى أخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطق لساني فأرسل الى هرون ولهم على ذنب فأخاف ان يقتلوا قال كلا فاذها يا بني انا معكم مستمعون فأبنا فرعون فقولا انارسل رب العالمين أن ارسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وايدا ولبنت فينا من عرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وأمان الضالين فقررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل) يخبر تعالى عما أمر به عبده ورسوله وكلمه موسى بن عمران عليه السلام حين ناداه من جانب الطور الايمن وكلمه ونجاه وارسله واصطفاه وأمره بالذهاب الى فرعون وماتته ولهذا قال تعالى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون الاية ون قال رب انى أخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطق لساني فأرسل الى هارون ولهم على ذنب فأخاف ان يقتلوا هذه أعداء سأل من الله ازاحتها

يلبث ان تاب وحدث حاله وقيل معنى الاية انه مادام في صلواته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان في الصلاة لشغلا وقيل تنهى عن مطلقا في سائر الاوقات لان الصلاة تشغل جميع بدن المصلي فاذا دخل في المحراب خشع وأخبت لربه وتذكرانه واقف بين يدي مولاه وانه تعالى مطلع عليه وانه يراه فصلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه هيئتها ولو بعد خروجه منها ولم يكذب فيترعن ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجعها الى أفضل حاله فهذا معنى هذه الاية لان صلاة المؤمن هكذا ينبغي ان تكون لاسيما وان أشعر نفسه ان هذا رجا يكون آخر عمله فهو أبلغ في المقصود وأتم في المراد فان الموت ايسر له من محدود ولا زمن مخصوص ولا مرد مع الوهم وهذا مما لا خلاف فيه روى عن بعض السلف انه كان اذا قام الى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال انى واقف بين يدي الله وحق لى هذا مع مالوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر ومن صلواته قاصرة على الاجزاء أى اسقاط الطلب عن المكلف ولا خشوع فيها ولا تذكروا فضائل كصلاتنا فتلك تنزل صاحبها من منزلته حيث كان فان كان مرتكباً للمعاصي قد بعد من الله بسببها فتلك الصلاة تتركه يتمادى على بعده وقيل لان مسعودان فلانا كثير الصلاة فقال انها لا تنفع الامن اطاعها ذكره القرطبي وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن والاول أولى وعلى كل حال فان المراد للصلاة لا بد وان يكون بعد عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها (ولذ كراته) بسائر أنواعه من تجميد وتهليل وتسيب وغير ذلك (أ أكبر) من كل شيء أى أفضل من العبادات كلها غير ذكروا نقل القرطبي هذا التقيد عن ابن زيد وقتادة قال ابن عطية وعندى ان المعنى ولذ كراته أكبر على الاطلاق أى هو الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر فالجزء الذى منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل ما لم يكن منه في الصلاة لان الانتهاء لا يكون الا بمن ذكروا الله مر اقباله وقيل ذكروا الله أكبر من الصلاة في النهى عن الفحشاء والمنكر مع المدامه عليه قال الفراء وابن قتيبة المراد بالذكروا هنا الصلاة والصلاة أكبر من سائر الطاعات وغيرها بالذكروا في قوله فاسعوا الى ذكروا الله للدلالة على ان ما فيها من الذكروا العمدة في تفضيلها على سائر الطاعات وكونها انا همة عن السمات وقيل عبر عنها بالذكروا لتثقل بالتحليل كانه قال والصلاة أكبر لانها ذكروا الله

عنه كما قال في سورة طه قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى الى قوله قد أتيت سؤالك يا موسى وقوله تعالى وقيل ولهم على ذنب فأخاف ان يقتلوا أى بسبب قتل القبطى الذى كان سبب خروجه من بلاد مصر قال كلاً أى قال الله لا تخف من شيء من ذلك كقوله سنشد عضدك يا خيخ ونجعل لك سلطاناً أى برهاناً فلا يصحون اليك يا أتينا أتينا من تبعك الغالبون فاذهب يا أتينا انا معكم مستمعون كقوله انى معك أسمع وأرى أى انى معك يحفظنى وكلاءى ونصرى وتأييدى فأبنا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين كقوله فى الاية الاخرى انارسلوا ربك أى كل منارسل اليك أن ارسل معنا بنى اسرائيل أى أطلقهم من

اسارك وفضلك وقهرك وتعديك فانهم عباد الله المؤمنون وحزبه المخلصون وهم معك في العذاب المهين فلما قال له موسى ذلك
 أعرض فرعون عما هنالك بالكليّة ونظر اليه بعين الازدراء والغمص فقال ألم تر بك فينا وليد الاية أي ما أنت الذي ربنا فينا
 وفي بيتنا واتعمنا عليه مدة من السنين ثم بعد هذا قابلت ذلك الاحسان بتلك الفعلة أن قتلت منا رجلا وحدثت نعمتنا عليك ولهذا
 قال وأنت من الكافرين أي الجاحدين قاله ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير قال فعلتم اذا أي في تلك
 الحال وأمان الضالين أي قبل ان يوحى الي وينعم على بالرسالة (١٦٣) والسبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما

ومجاهد وقتادة والضمان وغيرهم
 وأمان الضالين أي الجاهلين قال
 ابن جرير وهو كذلك في قراءة عبد
 الله بن مسعود رضي الله عنه
 ففرت منكم لما خفتكم الاية
 أي انفصل الحال الاول وجاء أمر
 آخر فقد أرسلني الله اليك فان
 أعطته سلمت وان خلفته عطبت
 ثم قال موسى وتلك نعمة تمنها على
 أن عبدت بني اسرائيل أي وما
 أحسنت الي وريتي يقابل ما سألت
 الي بني اسرائيل فجعلتهم عبيدا
 وخذ ما تصرفهم في أعمالك
 ومشاق رعبتك أوفيت احسانك
 الي رجل واحد منهم بما سألت الي
 مجموعهم أي ليس ما ذكرته شيا
 بالنسبة الي ما فعلت بهم (قال
 فرعون وما رب العالمين قال رب
 السموات والارض وما بينهما ان
 كنتم موقنين قال لمن حوله ألا
 تستمعون قال ربكم ورب آبائكم
 الاولين قال ان رسوا لكم الذي
 أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق
 والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون)
 يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون
 وتمرده وطغيانه وسجوده في قوله وما

وقيل المعنى ولذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم منه أكبر من ذكركم له في عبادتكم
 وصلواتكم واختاره ابن جرير ويؤيده حديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
 ومن ذكرني في ملاذ كرتيه في ملاخير منهم وقال ابن عباس يقول ولذكر الله لعباده
 اذا ذكره أكبر من ذكرهم اياه وعن عبد الله بن ربيعة قال سألتني ابن عباس عن قول الله
 ولذكر الله أكبر فقلت ذكرا لله بالتسبيح والتلهيل والتكبير قال ولذكر الله اياكم أكبر من
 ذكركم اياه ثم قال اذ كروني اذ كركم وعن ابن مسعود قال ذكرا لله العبد أكبر من ذكر
 العبد لله وعن ابن عمر نحوه وعن ابن عباس أيضا قال لها وجهان ذكرا لله أكبر مما سواه
 وفي لفظ ذكرا لله عند ما حرمه وذكرا لله اياكم أعظم من ذكركم اياه وعن معاذ بن جبل
 قال ما عمل آدمي عملا أنجي له من عذاب الله من ذكرا لله قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال
 لا الا ان يضرب بسيفه حتى ينقطع لان الله يقول في كتابه العزيز ولذكر الله أكبر وعن
 عنزة قال قلت لابن عباس أي العمل أفضل قال ذكرا لله وعن أبي الدرداء قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا نبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم
 وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا
 عبداكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكرا لله
 أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال اذا كرون الله كثيرا قالوا
 يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى
 ينكسرو ويختضب دما لكان اذا كرون الله كثيرا أفضل منه درجة وأخرج مسلم عن
 أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبق المقردون قالوا وما المقردون
 يا رسول الله قال اذا كرون الله كثيرا واذا كرات وأخرج البخاري عن أبي هريرة وأبي
 سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا يعقد قوم يذكرون الله
 الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكروهم الله فيمن عنده
 وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله أي الاعمال أفضل قال تفارق الدنيا ولسانك رطب
 بذكرا لله وفي الباب أحاديث كثيرة لا نطول بدكرها قال ابن عطاء أكبر أي لمن تبقى معه
 معصية وقيل ذكرا لله اياكم برحمة أكبر من ذكركم اياه بطاعته وقيل لان ذكره بلا علة

رب العالمين وذلك انه كان يقول لقومه ما علمت لكم من الغيبي فاستخف قومه فاطاعوه وكانوا يجحدون الصانع جل وعلا
 ويعتقدون انه لا رب لهم سوى فرعون فلما قال له موسى اني رسول رب العالمين قال له فرعون ومن هذا الذي تزعم انه رب العالمين
 غيبي هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف حتى قال السدي هذه الاية كقوله تعالى فبن ربك يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ
 خلقه ثم هدى ومن زعم من أهل المنطق ان هذا سؤال عن الماهية فقد غلط فانه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية بل
 كان ساجدا بالكلية فيما يظهر وان كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه فعند ذلك قال موسى لسأله عن رب العالمين قال

رب السموات والارض وما بينهما أى خالق جميع ذلك وما لكه والمتصرف فيه واله لا شريك له هو الذى خلق الاشياء كلها العالم العلوى وما فيه من الكواكب والنواب والسبارات النسيرات والعالم السفلى وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وعمار وما بين ذلك من الهواء والظير وما يحتوى عليه الجو الجميع عبده خاضعون ذليلون ان كنتم موقنين أى ان كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة فعند ذلك التفت فرعون الى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلاً لهم على سبيل التكلم والاستنزاه والتكذيب لموسى (١٦٤) فيما قاله الأتستعمون أى ألا تعجبون فيما يقول هذا فى زعمه ان

وذكركم مشوب بالعلل والامانى ولان ذكره لا يفتى وذكركم لا يبقى أودكروا كبر من ان تحويه افهامكم وعقولكم والذكر النافع هو الذى يكون مع العلم واقبال القلب وتفرغه مما سوى الله تعالى وامام لا يتجاوز اللسان فى رتبة أخرى (والله يعلم ما تصنعون) من الذكروا من سائر الطاعات لا يخفى عليه من ذلك خافية فهو مجاز يكتم بالخير خيرا وبالشر شران ثم شرع سبحانه فى بيان ارشاد أهل الكتاب بعد بيان ارشاد أهل الشرك فقال (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) أى بالخصلة التى هي أحسن للشواب وذلك على سبيل الدعاء لهم الى الله عز وجل والتنبيه لهم على حجة وبراهينه جاء اجابتهم الى الاسلام لاعلى طريق الاعلاط والمخاشنة وعن ابن عباس قال بالتي هي أحسن بلاه الا الله (الا الذين ظلموا منهم) بان افراطوا فى المجادلة ولم يتدابروا مع المسلمين فلا بأس بالاعلاط عليهم والتخشين فى مجادلتهم هكذا فسر الآية أكثر المفسرين بان المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى وقيل معنى الآية لا تجادلوا من آمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسائر من آمن منهم الا بالتي هي أحسن يعنى بالموافقة فيما حدثوكم به من اخبار أهل الكتاب ويكون المراد بالذين ظلموا على هذا القول هم الباقر ع كفرهم قال مجاهد هذه الآية محكمة فيجوز مجادلتهم بها وقيل هي منسوخة بآية القتال وبذلك قال قتادة ومقاتل قال النحاس وغيره من قال هي منسوخة احتجاج بان الآية مكينة ولم يكن فى ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب جزية ولا غير ذلك وقول مجاهد حسن لان أحكام الله عز وجل لا يقال فيها انها منسوخة الا بخبر يقطع العذر أو حجة من معقول واختاره هذا القول ابن العربي قال سعيد بن جبير ومجاهد المراد بالذين ظلموا منهم الذين نصبوا القتال للمسلمين وآذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجدد الله لهم بالسيف حتى يسلموا ويعطوا الجزية وقيل الا الذين ائتموا الولد والشريك فيدخل فيه أهل الشرك وعبد الاوثان والآية تدل على جواز المظاهرة مع الكفرة فى الدين وعلى جواز تعلم علم الكلام الذى به تحقق المجادلة الحقيقة بالتي هي أحسن قال السمين الاستثناء متصل وقته معنيان أحدهما الا الظلمة فلا تجادلوهم البتة بل جادلوهم بالسيف والثانى جادلوهم بغير التى هي أحسن أى اغلظوا لهم كما غلظوا عليكم وقرأ ابن عباس الأحراف تنبيه أى جادلوهم (وقولوا) هذا تبين لمجادلتهم بالتي هي أحسن (أما بالذى أنزل اليك) من

لكم الهاغرى فقال لهم موسى ربكم ورب آباءكم الاولين أى خالقكم وخالق آباءكم الاولين الذين كانوا قبل فرعون وزمانه قال أى فرعون لقومه ان رسولكم الذى أرسل اليكم ليجنون أى ليس له عقل فى دعوة انتم ربناغرى قال أى موسى لا أولئك الذين أوعر اليهم فرعون ما أوعر من الشبهة فاجاب موسى بقوله رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون أى هو الذى جعل المشرق مشرقا وتطلع منه الكواكب والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب ثوابتها وسباراتهما مع هذا النظام الذى سخّر هافيه وقدرها فان كان هذا الذى يزعم انه ربكم والهكم صادقا فليعكس الامر وليجعل المشرق مغربا والمغرب مشرقا كما قال تعالى عن الذى حاج ابراهيم فى ربه اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب الآية ولهدى الماغلب فرعون وانقطعت حجته عدل الى استعمال جاهه وقوته وسلطانه واعتقد ان ذلك نافع له ونافذ فى موسى عليه السلام فقال ما أخبر الله تعالى عنه (قال لئن اتخذت الهاغرى لاجعلنك من المسجونين قال أولوحيك بشئ مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين قالنى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال للملاحول ان هذا الساحر عليهم يريد ان يخرجكم من أرضكم بصخرة فاذا تأمرون قالوا أرحبه وأخاه وانعت فى المدائن حاشرين يا أولئك بكل سخار عظيم) لما قامت الحججة على فرعون بالبيان والعقل عدل الى ان يقهر موسى بيده وسلطانه فظن انه ليس وراء هذا المقام مقال فقال لئن اتخذت الهاغرى لاجعلنك من المسجونين فعند ذلك قال موسى أولوحيك

واعتقد ان ذلك نافع له ونافذ فى موسى عليه السلام فقال ما أخبر الله تعالى عنه (قال لئن اتخذت الهاغرى لاجعلنك من المسجونين قال أولوحيك بشئ مبين قال فأت به ان كنت من الصادقين قالنى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال للملاحول ان هذا الساحر عليهم يريد ان يخرجكم من أرضكم بصخرة فاذا تأمرون قالوا أرحبه وأخاه وانعت فى المدائن حاشرين يا أولئك بكل سخار عظيم) لما قامت الحججة على فرعون بالبيان والعقل عدل الى ان يقهر موسى بيده وسلطانه فظن انه ليس وراء هذا المقام مقال فقال لئن اتخذت الهاغرى لاجعلنك من المسجونين فعند ذلك قال موسى أولوحيك

بشيء يميني أي بزهان فاطع واضح قال فأت به ان كنت من الصادقين فالتى عضاء فاذا هي ثعبان مبيين أي نطاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة ذات قوائم وفم كبير وشكل هائل مزعج ونزع يده أي من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين أي تلالاً كقطعة من القمر فبادر فرعون بشقاوته الى التكذيب والعناد فقال للملاحول ان هذا الساحر عليم أي فاضل بارع في السحر فترجح عليهم فرعون ان هذا من قبيل السحر لان من قبيل المعجزة ثم هيجهم ورضهم على مخالفتهم والكفر به فقال يريدان يحرككم من أرضكم بسحره الآية أي أراد ان يذهب بقلوب الناس معه بسبب (١٦٥) هذا فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه

ويغلبكم على دولتكم فياخذوا البلاد منكم فاشيروا على فيه ماذا أصنع به قالوا أرجوه وأخاه وبعث في المدائن حاشرين يأولك بكل سحر عليم أي آخره حتى تجتمع له من مدائن مملكته وأقاليم دولته كل سحر عليم يقابلونه ويأتون بنظير ما جاء به فتغلبه أنت وتكون لك النصر والتأييد فاجبهم الى ذلك وكان هذا من نصير الله تعالى لهم في ذلك ليجمع الناس في سعيد واحد وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس في النهار جهرة (تجمع السحرة لبيقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم محتمون لعنا تتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا انفرعون ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى انقوا ما أنتم ملقون فالتوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا نحن الغالبون فالتى موسى عصاه فاذا هي تلعف ما ياأسكون فالتى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) ذكر

القرآن (وأزّل اليكم) من التوراة والانجيل أي بانهما منزلان من عند الله وانهم ما شريعة ثابتة الى قيام الساعة الاسلامية والبعثة المحمدية ولا يدخل في ذلك ما حرموه وبنطوه أخرج البخاري والنسائي وابن جرير والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل اليك واليكم وأخرج البيهقي وأبو نصر السجزي في الابانة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فانهم ان يهدوكم وقد ضلوا اما ان تصدقوا بساطل أو تكذبوا بحق والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا ان يتبعني وعن ابن مسعود قال لا تسألوا أهل الكتاب وذكروا حديث جابر ثم قال فان كنتم سائلهم لاجالة فانظروا ما وطأ كتاب الله فخذوه وما خاف كتاب الله فدعوه وهذه الآية من جنس المجادلة بالاحسن (والهنا والهكم واحد) لاشريك له ولا ند ولا ضد (وحن له مسلمون) أي ونحن معاشر أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مطيعون له خاصة لم نقل عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا اتخذنا حبارنا ورهباننا أربابا من دون الله ويحتمل ان يراد ونحن جميعا منقادون له ولا يقدح في هذا الوجه كون انقياد المسلمين أتم من انقياد أهل الكتاب وطاعتهم أبلغ من طاعتهم (وكذلك أنزلنا) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاشارة الى مصدر الفعل كما بيناه في مواضع كثيرة أي ومثل ذلك الانزال البديع أنزلنا (اليك الكتاب) وهو القرآن وقيل المعنى كما أنزلنا الكتاب عليهم أنزلنا عليك القرآن (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وغيره وخصهم بآياتهم الكتاب لكونهم العاملين به وكان غيرهم لم يؤتوه لعدم علمهم بحافيه ومجدهم اصفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المذكورة فيه وكان اسلامهم بالمدينة والسورة مكتبة فهذا من قبيل الاخبار بالغيب أخبره تعالى بحالهم قبل وقوعه (ومن هؤلاء) اشارة الى أهل مكة والمراد ان منهم وهو من قد أسلم (من يؤمن به) أي بالقرآن وقيل اشارة الى جميع العرب (وما يجعل دوابا يأتنا) أي القرآن والجود انما يكون بعد المعرفة وعبر عن الكتاب بالآيات للتبسيه على ظهوره لدلتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لزيد تفخيها وغاية

تعالى هذه المناظرة الفعلية بين مؤمنى علمه السلام والقبض في سورة الاعراف وفي سورة طه وفي هذه السورة وذلك ان القبض أرادوا ان يطفوا وانور الله بانفواهم فآبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وهذا شأن الكفر والايان ما تواجهها وتقا بلا الاغلبه الايمان بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وليكمل الويل مما تصنون وقل جاء الحق وزهق الباطل الآية ولهذا جاء السحرة وقد جعلهم من اقاليم بلاد مصر وكانوا اذ ذلك أسحر الناس وأصغهم وأشدهم تخيلا في ذلك وكان السحرة جمعا كثيرا وجامعا قيل كانوا اثني عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا وقيل سبعة عشر ألفا وقيل تسعة عشر ألفا وقيل بضعة وثلاثين

أنفا وقيل ثمانين أنفا وقيل غير ذلك والله أعلم بعدتهم قال ابن اسحق وكان أمرهم راجعا إلى أربعة منهم وهم رؤسأ وهم وهم ساور وعاذور وحطط ومصني واجتهد الناس في الاجتماع ذلك اليوم وقال قائلهم لعلنا تتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين ولم يقولوا تتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسى بل الرعية على دين ملكهم فلما جاء السحرة أي إلى مجلس فرعون وقدر بربوالة وطافا وجمع خدمه وحشمه ووزراءه ورؤسأ دولته وجنوده ملكته فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الاحسان اليهم والتقرب اليه ان غلبوا (١٦٦) أي هذا الذي جمعنا من أجله فقالوا أئن لنا لاجر ان كنا نحن الغالبين

قال نعم وانكم اذا لمن المقربين أي وأخص مما يطلبون أجمع لكم من المقربين عندي وجلستني فعادوا إلى مقام المناظرة قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن تكون أول من ألقى قال بل ألقوا وقد اخترت هذا ههنا فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون إلى قوله اننا نحن الغالبون وهذا كما تقول الجهلة من العوام اذا فعلوا شأ هذا شواب فلان وقد ذكر الله تعالى في سورة الاعراف انهم سحر وأعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وقال في سورة طه فاذا جبالهم وعصيم يخيل اليه من سحرهم انها تسعي إلى قوله ولا ينل الساحر حيث أتى وقال ههنا فالق موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون أي تحتظف نفسه وتجمعه من كل بئعة وتبتلعه فلم تدع منه شأ قال الله تعالى فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون إلى قوله رب موسى وهرون فكان هذا أمر اعظما جدا وبرها ناقطعا للعدو ووجه دامغة وذلك ان الذين استنصرهم وطلب منهم ان يغلبوا غلبوا وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة

التشبيح على من يجعدها (الالكافرون) المصمومون على كفرهم المتوغلون فيه من المشركين ومن أهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه فان ذلك يصددهم عن التأمل فيما يؤدبهم إلى معرفة حقيقتها (وما كنت) يا محمد (تتلون من قبله من كتاب) أي من قبل القرآن كتابا ولا تقدر على ذلك لانك أي لا تقرأ ولا تكتب ومن زائدة (ولا تحطه بيمينك) أي ولا تكتبه لانك لا تقدر على الكتابة وخص الميم لان الكتابة غالباً تكون باليمين أي ولا كنت كاتباً قال مجاهد كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم ان محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يحط ولا يقرأ فترت هذه الآية قال النحاس وذلك دليل على نبوته لانه لا يكتب ولا يخاط أهل الكتاب ولم يكن بمكة أهل الكتاب فإهم بأخبار الانبياء والامم قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ولا يكتب وكان أياً قال الحافظ ابن حجر في تخرجه أحاديث الرافي قال البغوي في التهذيب هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحسن الخط ولا يكتب ويحسن الشعر ولا يقوله أولاً والاصح انه كان لا يحسنهما ولكن كان يعزيب ردي الشعر وجيده ذكره الشهاب وما أحسن ما قال آزره الله ما كان يعرف ألواحاً ولا قلماً * وكان يعرف ما في اللوح والقلم

وهذا شروع في الدليل على كون القرآن معجزاً (اذا لارتاب المبطلون) أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لتسألوا العله وجد ما تلوه علينا من كتب الله السابقة من الكتب المدونة في اخبار الامم فلما كنت أمياً لا تقرأ ولا تكتب لم يكن هناك موضع للريبة ولا محل للشك أبداً بل انكار من أنكروا كفرهم عناد ووجود بلا شبهة وسماهم المبطلين لان ارتياهم على تقدير انه صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويكتب ظلم منهم لظهور نزاهته ووضوح معجزاته (بل هو) أي القرآن الذي جئت به (آيات بينات) وقال قتادة ومقاتل ان الضمير يرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي بل محمد آيات أي ذوات آيات وقرأ ابن مسعود بل هي آيات بينات قال الفراء معنى هذه القراءة بل آيات القرآن آيات بينات واختار ابن جرير ما قاله قتادة ومقاتل وقد استدل ما قاله بقراءة ابن السميع بل هذا آيات بينات ولا دليل في هذه على ذلك لان الاشارة بجوزان تكون إلى القرآن كما جاز ان تكون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل رجوعها إلى القرآن أظهر لعدم احتياج ذلك إلى التأويل وهو اضراب عن ارتياهم أي ليس القرآن مما يرتاب فيه لكونه

وسجد والله رب العالمين الذي أرسل موسى وهرون بالحق وبالعجزة الباهرة فغلب فرعون غلبا لم يشاهد العالم مثله محفو ظا وكان وقاجر يشاء عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل فشرعهم ويتوعددهم ويقول انه لكبيركم الذي علمكم السحر وقال ان هذا المكروم كرموه في المدينة الآية (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم أجمعين قالوا الاضربنا إلى ربنا متقلبون انانطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين) تهدهم فلم ينفع ذلك فيهم وتوعددهم فآزادهم الايماناً وتسلمياً وذلك انه

قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم من ان هذا الذي جاء به موسى لا يصد عن بشر الا ان يكون الله قد ايد به وجعله له حجة ودلالة على صدق ما جاء به من ربه ولهذا قال لهم فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم أى كان ينبغي ان تستأذوني فيما علمتم ولا تنفقا تواعلي في ذلك فان آذنت لكم فعليتم وان منعتكم امتنعتم فاني انا الحاكم المطاع انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها فانهم لم يجتبهوا موسى قبل ذلك اليوم فكيف يكون كبيرهم الذي افادهم صناعة السحر هذا الايقوله عاقل ثم توعدهم فرعون بقطع ايدي والارجل (١٦٧) والصلب فقالوا الاضير أى لا اخرج ولا يضرنا ذلك

ولا ينالني به انا الى ربنا منقلبون أى المرجع الى الله عز وجل وهو لا يضع أجر من أحسن عملا ولا يخفى عليه ما فعلت بنا وسيجزي بنا على ذلك أتم الجزء ولهذا قالوا انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا أى ما قارفنا من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر ان كأول المؤمنين أى بسبب انا بادرتنا قومنا من القبط الى الايمان فقتلهم كلهم (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون فأرسل فرعون في المدائن حاشر بن ان هؤلاء لشزمة قليلون وانهم لنا لغايتون وانا لجميع حادرون فأخرجناهم من جنات وعميون وكنوز ومقام كرم كذلك وأورثناها بني اسرائيل) لسطاط مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر وأقام بها شيخ الله وبراهينه على فرعون وملئه وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون لم يبق لهم الا العذاب والنكال فأمر الله تعالى موسى عليه السلام ان يخرج بني اسرائيل ليلسان مصر وان يعرضي بهم حيث يؤمر ففعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل خرج بهم بعد

مخفوظا (في صدور الذين أوتوا العلم) يعنى العلماء المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عهد صلى الله عليه وآله وسلم وحفظوه بعده عن ظهر قلب وهذا من خصائص القرآن بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات ولا كانت تقرأ الامن المصاحف ولذا جاء في وصف هذه الامة صدورهم انا جليلهم ولذلك لا يقدر على تحريفه ولا تغييره والمراد انهم يحفظونه تلقيا منك وبعضهم من بعض وانت تلقيته عن جبريل عن اللوح المحفوظ فلم تأخذ من كتاب بطريق تلقية منه (وما يجحد بآياتنا) أى القرآن الكريم (الا الظالمون) أى المجاوزون للحد والمتوغلون في الظلم (وقالوا) أى المشركون (لولا أنزل عليه آيات من ربه) المعنى هلا أنزلت عليه آيات كآيات الانبياء وذلك كآيات موسى وناقصة صالح واحياء المسيح للموتى ثم أمره الله سبحانه ان يجيب عليهم فقال (قل انما الآيات عند الله) ينزلها على من يشاء من عباده ولا قدرة لاحد على ذلك (وانما أنا نذير مبين) أنذركم بما أمرت واين لكم كما ينبغي ليس في قدرتي غير ذلك (أولم يكفهم انا أنزلنا عليكم الكتاب يتلى عليهم) مستأنفة للرد على اقتراحهم وبيان بطلانه أى أولم يكف المشركين من الآيات التي اقترحوها هذا الكتاب المعجز الذي قد تحدى بهم بان يأتمروا بعلمه أو بسورة منه فمجزوا ولوايتهم بآيات موسى أو بآيات غيره من الانبياء لقوالوا اسعرو نحن لانعرف السحر والكلام مقدور لهم ومع ذلك معجزوا عن المعارضة ولما آمنوا كالم يؤمنون بالقرآن الذي يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلا تزال معهم آية ثابتة لا تزول كل آية بعد كونها أو تكون في مكان دون مكان والمعنى ان القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الانبياء مغنية عن سائر الآيات لان معجزة القرآن تدوم على الدهور والزمان ثابتة لا تضل كغيرها من الآيات (ان في ذلك) الكتاب الموجود في كل مكان وزمان الى آخر الدهور الموصوف بما ذكر (لرحمة عظيمة في الدنيا والآخرة) وذكري في الدنيا يتذكرون بها وترشدهم الى الحق (لقوم يؤمنون) أى لتقوم بصدقون بما جئت به من عند الله فانهم هم الذين ينتفعون بذلك أخرج الدارمي وأبو داود في مسنده وغيرهما عن يحيى بن جعدة قال جاء اناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفى بقوم حقنا وضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الي ما جاء به غيره الى غيرهم فنزلت أولم يكفهم الآية وعن الزهري ان حفصة جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله

ما استعاروا من قوم فرعون حليا كثيرا وكان خروجهم فيماد كره غير واحد من المفسرين وقت طلوع القمر وذ كرمجها بدرجه الله انه كسف القمر تلك الليلة فآله أعلم وان موسى عليه السلام سأل عن قبر يوسف عليه السلام فدلته امرأه عجوز من بني اسرائيل عليه فاحتمل تابوته معهم ويقال انه هو الذي حمله بنفسه عليه السلام وكان يوسف قد أوصى بذلك اذا خرج بنو اسرائيل ان يحمله معهم وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم رحمه الله فقال حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا ابن فضيل عن عبد الله بن أبي اسحق عن ابن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى قال نزل رسول الله

صلى الله عليه وسلم باعراي فأمره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهد بأقلام الإعرابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاجتك قلنا بقية رحلتها وعزيتنا بها أهلى فقال لعزيتنا ان تكون مثل عجوز بنى اسرائيل فقال له أصحابه وما عجوز بنى اسرائيل يا رسول الله قال ان موسى عليه السلام لما أراد ان يسير بنى اسرائيل أضل الطريق فقال لبنى اسرائيل ما هذا فقال له علماء بنى اسرائيل نحن نجد ذلك ان يوسف عليه السلام لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا فقال لهم (١٦٨) موسى فايكم يدري أين قبر يوسف قالوا ما يعلمه الا عجوز من بنى

اسرائيل فارسى اليها فقال لها دلينى على قبر يوسف فضالت والله لا أجد حتى تعطينى حكمتى فقال لها وما حكمتك قالت حكمتى ان أكون معك فى الجنة فكأنه نقل عليه ذلك فقبيل له أعطها حكمها قال فانطلقت معهم الى بحيرة مستنقع ماء فقالت لهم انصبوا هذا الماء فلما أنصبوه قالت احضروا فلما حضروا استخراج قبر يوسف فلما احتلموه اذا الطريق مثل ضوء النهار وهذا حديث غريب جدا والاقرب انه موقوف والله أعلم فلما أصبحوا وليس فى ناديهم داع ولا محجب غلط ذلك فرعون واشتد غضبه على بنى اسرائيل لما يريد الله تعالى به من اللطم فارسى سرى معانى بسلاسه حاشرين أى من يحشر الجند ويجمعه كالنقباء والجباب ونادى فيهم ان هؤلاء يعنى بنى اسرائيل لشدة قلوبهم أى لطائفه قليلة وانهم لنالغاثون أى كل وقت يصل منهم النسا ما يعيظنا وانا لجميع حاذرون أى نحن كل وقت نخدر من غائتهم وقرأ طائفة من

وسلم بكتاب من قصص يوسف فى كنف جعلت تقرؤه والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلون وجهه فقال والذى نفسى بيده لو آتاكم يوسف وأبائكم فاتبعتوه وتركوني لأضلمت وعن عبد الله بن الحرث الاضارى قال دخل عمر بن الخطاب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكتاب فيه مواضع من التوراة فقال هذه أصبت ما مع رجل من اهل الكتاب أعرضها عليك فغير وجهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغيرت شديدا لم أر مثله قط فقال عبد الله بن الحرث لعمر أمتارى وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر رضينا بالله ربنا وبالاسلام ديننا وبمحمد نبينا فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لوزيل موسى فاتبعتوه وتركوني أضلمت أنا حظكم من النبيين وأنا حظكم من الامم أخرجه عبد الرزاق وابن سعد وابن الضريس وأخرج البيهقي وضعفه عن عمر بن الخطاب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تعلم التوراة فقال لا تعلمها وآمن بها وتعلموا ما أنزل اليكم وآمنوا به (قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) أى قل للمكذبين كفى الله شهيدا بما وقع بينى وبينكم وقال ابن عباس معناه يشهد لى انى رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالكذب وشهادة الله اثبات المعجزة له بانزال الكتاب عليه والقرآن وحده كاف واف لاحاجة معه الى غيره من الكتب لمن آمن به وعمل صالحا (يعلم ما فى السموات والارض) لا تخفى عليه من ذلك خافية ومن جلتها ماصدر بينكم وبين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (والذين آمنوا بالباطل) أى بما يعبدونه من دون الله قال ابن عباس بالباطل أى بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله والمعانى متقاربة ثم ذكر الكفر بعد الباطل لبيان قبح الاول فقال (وكفروا بالله) وآياته والجملة مؤكدة لما قبلها (أولئك هم الخاسرون) الجماعة من الذين خسروا الدنيا والآخرة فى صفقةهم حيث اشترى الكفر بالايان (ويستجلبونك بالعذاب) استهزؤا وتكذبوا بما منهم بذلك كقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو اتنا بعذاب اليم (ولو لا أجل مسمى) قد جعله الله لعذابهم وعينه وهو القيامة وقال الضحاك الاجل مدة أعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل المراد بالاجل المسمى النفخة الاولى وقيل الوقت الذى قدره الله لعذابهم فى الدنيا بالقتل أو الاسرى يوم بدر والحاصل ان لكل عذاب اجلا لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه كما فى قوله سبحانه لكل نيا مستقر (لجاءهم العذاب) أى لولا ذلك الاجل المضروب لجاءهم العذاب

السلف وانا لجميع حذرون أى مستعدون بالسلاح وانى أريد ان أستأصل شأفتهم وأيد خضرهم فجوزى فى نفسه وخنده بما أراد لهم قال الله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوزهم قمام كريه أى فخرجوا من هذا النعيم الى الخيم وتركوا تلك المنازل العسلىة والساتين والانهار والاموال والارزاق والمالك والجاه الوافر فى الدنيا كذلك وأورثنا هابنى اسرائيل كما قال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها الآية وقال تعالى وزيدان عن على الذين استضعفوا فى الارض ولجعلهم آئمةً وجهعلم الوارثين الآيتين (فأتبعوهم مشرقين فلما تراى الجمع ان قال أصحاب

موسى النامدركون قال كلان معى ربي سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخريين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخريين ان في ذلك لآية لغير المؤمنين وان ربك ليهو العزيز الرحيم) ذكر غير واحد من المفسرين ان فرعون خرج في محفل عظيم وجع كبير هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه أولى الحل والعقد والدول من الامراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود فاما ما ذكره غير واحد من الاسر انليات من أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس منها مائة ألف على (١٦٩) خيل دهم ففنيه نظروا وقال كعب الاخبار

الذى يستحقونه بذنوبهم عاجلا (وليايتهم بغتة) أى فجأة كوقعة بدر فانما أتمتهم بغتة والجملة مستأنفة مبينة لجمي العذاب المذكور قبلها (وهم لا يشعرون) أى حال كونهم لا يعلمون باتيانها على ما يشهد له كتب السير ثم ذكر سبحانه ان موعدها بهم النار فقل (يستجيبونك بالعذاب) أى يطلبون منك تعجيل عذابهم في الدنيا ذكر هذا للتعجب لان من توقع دمار فيه ضرر يدير كطمة أو لكمة قد يرى من نفسه الجلد ويقول باسم الله هات وامامن نوعا دباغراق وأحراق ويقطع بان المتوعد قادر لا يخاف الميعاد فلا يختر يسأله ان يقول هات ما توعدتني به فقول به يستجيبونك بالعذاب أو لا اخبار عنهم وقوله ثانيا يستجيبونك بالعذاب تعجب منهم وقيل التكرير للتأكيد (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أى والحال ان مكان العذاب محيط بهم أى سيحيط بهم عن قرب فان ما هو آت قريب فعبر عن الاستقبال بالحال للدلالة على التحقق والمبالغة أو يراد بجهنم أسباب الموصلة اليها فلا تأويل في قوله محيطة والاول أظهر والمراد بالكافرين جنسهم فيدخل فيه هؤلاء المستجيبون دخولا أوليا والمعنى ان جهنم جامعة لهم لا يبق منهم أحد الا دخلها قال ابن عباس جهنم هو هذا البحر الأخضر تنثر الكواكب فيه وتكون فيه الشمس والقمر ثم يستوقدون فيكون هو جهنم وفي هذا نكارة شديدة فان الاحاديث الكثيرة الصحيحة ناطقة بان جهنم موجودة مخلوقة على الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ثم ذكر سبحانه كيفية احاطة العذاب بهم فقال (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أى من جميع جهاتهم لقوله تعالى من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلال فاذا غشيهم العذاب على هذه الصفة فقد احاطت بهم جهنم قيل خص الجناحين ولم يذكر المين ولا الشمال ولا الخلف ولا الامام لان المقصود ذكر ما تميز به نار جهنم عن نار الدنيا فانار الدنيا تحيط بالجوانب الاربع فان من دخلها تكون الشعلة قدامة وخلفه ويمينه وشماله وأما النار من فوق فلا تنزل وانما تصعد من أسفل في العادة وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة التي تحت القدم بل تنظنا ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنظنا بالدوس عليها بوضع القدم ذكره الرازي (ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) والقائل هو الله سبحانه وأبعض ملائكته بامرهم في ذلك اليوم أى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي فلا تنفون توأنا قرئ تقول بالنون وبالتحية لتوله قل كفى بالله وقرئ ويقال ذوقوا لما ذكر سبحانه حال الكفرة من

فيهم غمائم ألف حصان أدهم وفي ذلك نظروا الظاهر ان ذلك من مجازفات بنى اسرائيل والله سبحانه وتعالى أعلم والذي أخبر به القرآن هو النافع ولم يعين عدتهم اذ الفائدة تحتسه لانهم خرجوا بأجمعهم فأتبعوهم مشركين أى وصلوا اليهم عند شروق الشمس وهو طولوعها فلما رأى الجمعان أى رأى كل من الفريقين صاحبه فعند ذلك قال أصحاب موسى اننا لمدركون وذلك انه انتهى بهم السير الى سيف البحر وهو بحر القلزم فصار امامهم البحر وقد أدركهم فرعون بجنوده فلهذا قالوا اننا لمدركون قال كلان معى ربي سيهدين أى لا يصل اليكم شئ مما تحذرون فان الله سبحانه هو الذى أمرنى ان أسير ههنا بكم وهو سبحانه وتعالى لا يخاف الميعاد وكان هرون عليه السلام في المقدمة ومعه يوشع ابن نون أو مؤمن آل فرعون وموسى عليه السلام في الساقة وقد ذكر غير واحد من المفسرين انهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون وجعل يوشع بن نون أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى عليه السلام

(٢٢ - فتح البيان سابع) يا نبى الله ههنا أمر لك ربك ان تسير فيقول نعم فاقرب فرعون وجنوده ولم يبق الا القليل فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر فضر به وقال انطلق بأذن الله وروى ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف عن عبد الله بن سلام ان موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شئ المكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا مخرجا فأوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر وقال قتادة أوحى الله ثلاث الليلة الى البحر ان اذا ضربك موسى بعصاه فاسمع له وأطع فباتت البحر تلك الليلة وله اضطراب ولا يدري من أى جانب يضرب به موسى

فلما انتهى اليه موسى قال له فتاه يوشع بن نون يا بني الله أين أمرك بك عز وجل قال أمرني أن أضرب البحر قال فاضرب به وقال محمد بن اسحق وأوحى الله فيما ذكر لي الى البحر ان اذا ضرب بك موسى بعصاه فانطلق له قال فبات البحر يضطرب ويضرب بعصاه بعضا فرقا من الله تعالى وانتظار الماء لله وأوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضر به بها ففياها سلطان الله الذي أعطاه فانطلق وذكريه واحد انه جاءه فقال انطلق على ذلك باذن الله قال الله تعالى فانطلق فكان كل فرق كالطود العظيم أي كالجبل الكبير قاله ابن مسعود وابن عباس ومحمد بن (١٧٠) كعب والضحاك وقتادة وغيرهم وقال عطاء الخراساني هو الفج بين الجبلين

وقال ابن عباس صار الجرائني عثر طرير بالكل سبط طريق وزاد السدي وصار فيه طاقات ينظر بعضهم الى بعض وقام الماء على حمله كالخيطان وبعث الله الريح الى قعر البحر فلنفتحه فصارىسا كوجه الارض قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يسا لاتخاف دركا ولا تخشى وقال في هذه القصة وأزلنا ثم أي هنالك الآخر بن قال ابن عباس وعطاء الخراساني وقتادة والسدي وأزلناهم أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدينناهم اليه وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخر بن أي أنجينا موسى وبني اسرائيل ومن اتبعهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل الا هلك وروى ابن أبي حاتم حدثنا على ابن الحسين حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا شبابة حدثنا يونس عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود ان موسى عليه السلام حين أسرى بني اسرائيل بلغ فرعون ذلك فأمر بشاة فذبحت وقال لا والله لا يفرج من

أهل الكتاب ومن المشركين وجعلهم في الانذار وجعلهم من أهل النار استند عندهم وزاد فسادهم وسعوا في ايداء المسلمين بكل وجه فقال الله سبحانه (يا عبادي الذين آمنوا) اضافهم اليه بعد خطابه لهم تشريفا وتكريما والموصول صفة موضحة أو ميمزة (ان أرضي واسعة) قيل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله ان كنتم في ضيق في مكة من اظهار الايمان وفي مكابدة للكفار فاخرجوا منها لتيسر لكم عبادتي وحدي وتتسهل عليكم وقيل نزلت في قوم تخللوا عن الهجرة وقالوا تخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الآية ولم بعدلهم بترك الخروج قال الزجاج أمر وابل الهجرة من الموضوع الذي لا تمكثهم فيه عبادة الله وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يتبها له ان يعبد الله حق عبادته وقال مطرف بن الشخير المعنى ان رحمتي واسعة ورزقي لكم واسع فابتغوه في الارض وقيل البلاد والبقاع تتفاوت في ذلك تفاوتا كثيرا قال علي القاري رحمه الله وأما اليوم فانا بحمد الله لم نجد أعون على قهر النفس وأجمع للقلب وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من الفتن وأربط للامر الديني وأظهر له من مكة حرسها الله تعالى أقول لولا ما فيها الآن من استطالة أهل البدع على أهل السنة وايتثار التنظيمات السلطانية على الاحكام الرجائية وظلم أهل المدكس على الحاجب وعدم الاتصاف من أهل الاعتساف والمجر على العمل بالسنة والتمسك بالحق والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال سهل اذا ظهرت المعاصي والبدع في أرض فاخرجوا منها الى أرض المطيعين قلت وأئي لنا هذا اليوم ولو علمنا أرضا طاعة على وجه البسيطة على حسب مناطقها الكتاب والسنة أو ما ذهب اليه فتها الاممة لخرجنا اليها ان شاء الله تعالى ولكن كم من أمنية ضاعت فان الله وانا اليه راجعون وروى مرفوعا من فريدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة ولينظر في سنده ويخبر به وقيل المعنى ان أرضي التي هي أرض الجنة واسعة (فاياي فاعبدون) حتى أورتكموها واتصبا اياي بفعل مضمرا أي فاعبدوا اياي ثم لما صعب على المؤمنين ترك الاوطان ومفارقة الاخوان خوفهم سبحانه بالموت ليهون عليهم أمر الهجرة وشجع المهاجرين لئلا يمتدوا بالشرك خوفا من الموت فقال (كل نفس من النفوس ذائقة الموت) أي واجدة مرارة الموت وكرهه ومشاقه لا محالة كما

سألها حتى يجمع الى ستمائة ألف من القبط فانطلق موسى حتى انتهى الى البحر فقال له انفرق فقال له البحر لقد استكبرت يجذب يا موسى وهل انفرقت لاحد من ولد آدم فانفرق لك قال ومع موسى رجل على حصان له فقال له ذلك الرجل أين أمرت يا بني الله قال ما أمرت الا بهذا الوجه يعني البحر قال والله ما كذبت ولا كذبت ثم اقمم الثانية فسبح (١) ثم خرج فقال أين أمرت يا بني الله قال ما أمرت الا بهذا الوجه قال والله ما كذبت ولا كذبت قال فأوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضر به موسى بعصاه فانطلق فكان فيه اثنا عشر سبطا لكل سبط طريق يتراءون فلما خرج أصحاب موسى وتام أصحاب فرعون اتقى البحر عليهم فأغرقهم (١) قوله ثم اقمم الثانية الخ هكذا في النسخ وحرر اه

وفي رواية اسرا ئيل عن أبي اسحق بن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انظم عليهم الجحش فرأى سواداً أكثر من يومئذ وغرق فرعون لعنه الله ثم قال تعالى ان في ذلك لآية لأي في هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين دلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم تفسيره (واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لايه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد اَصناما فنظّل لها ما كفّين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال (١٧١) أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم

الاقدمون فانهم عدو لي الارب العالمين) هذا الخبر من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليفه ابراهيم عليه السلام امام الخفاء أمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ان يتلاه على أمته ليقتدوا به في الاخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتسبري من الشرك وأهله فان الله تعالى أتى ابراهيم رشده من قبل أي من صغره الى كبره فانه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الاصنام مع الله عز وجل فقال لايه وقومه ماذا تعبدون أي ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا نعبد اَصناما فنظّل لها ما كفّين أي مقسمين على عبادتها ودعائها قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون يعني اعترفوا بان اَصنامهم لا تفعل شيئاً من ذلك وانما آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم بهرعون فعند ذلك قال لهم ابراهيم أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الارب

يوجد الذائق طعم المذوق فلا يصعب عليكم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان وهجر الخلان بل الاولى ان يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه فلا تخافوا من بعد الشقة ومقاساة المشقة (ثم اليئسا) الى غيرنا (ترجعون) بالموت والبعث اليئسا كل حي في سندر الى دار القرار وان طال لبثه في هذه الدار عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت انك ميت وانهم ميتون قلت يارب ايموت الخلائق كلها ويبيق الانبياء فنزلت كل نفس ذاتة الموت الآية أخرجه ابن مردويه وينظر كيف صحته فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان يسمع قول الله سبحانه انك ميت وانهم ميتون يعلم انه ميت وقد علم ان من قبله من الانبياء قد ماتوا وانه خاتم الانبياء فكيف ينشأ عن هذه الآية ما نقل عنه علي رضي الله عنه من قوله ايموت الخلائق ويبيق الانبياء فدل هذه الرواية لا تصح مرفوعة ولا موقوفة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) في هذا ترغيب الى الهجرة وان جزاء من هاجر ان يكون في غرف الجنة كما قال (لنبوئهم) أي لنزلهم وهو مأخوذ من المساة وهي الانزال وقرئ لنبوئهم بالناء والمعنى لنعطينهم غرفا يشيرون فيها من الثوى وهو الاقامة قال الزجاج يقال ثوى الرجل اذا أقام وأثويته اذا أنزلته منزلا يقيم فيه قال الاخفش لا تعجبني هذه القراءة لانك لا تقول أو يته الدار بل تقول في الدار وليس في الآية حرف حرفي المنقول الثاني (من الجنة عرفا) أي غرف الجنة وهي علائها جمع عليه ثم وصف سبحانه تلك الغرف فقال (تجرى من تحتها الانهار) أي من تحت الغرف (خالدين فيها) أي مقدرين الخلافة في الغرف لا يموتون أبداً وفي الجنة الاول أولى (نعم أجر العاملين) للاعمال الصالحة أجرهم بين في هذه الآية ان للمؤمنين الجنات في مقابله ان للكافرين النيران وان فيها غرفا فتحتهما الانهار في مقابله ان تحت الكافرين النار وبين ان ذلك أجر عملهم بقوله نعم أجر العاملين في مقابله ما تقدم للكفار بقوله ذوقوا ما كنتم تعملون ولم يذ كر ما فوق المؤمنين لانهم في أعلى عليين فلم يذ كر فوقهم شيئاً إشارة الى علو مرتبتهم وارتفاع منزلتهم ولم يجعل المساء من تحت أقدامهم بل من تحت غرفهم لان المساء يكون ملتذبه في أي جهة كان وعلى أي بعد كان اذا كان تحت الغرفة ذكراه الازي ثم وصف هؤلاء العاملين بقوله (الذين صبروا) على مشاق التكليف وعلى أذية المشركين لهم والهجرة لاظهار الدين وعلى الطاعة وعن المعاصي ولم يتركوا دينهم لشدة لحتهم (وعلى

العالمين أي ان كانت هذه الاصنام شيئاً ولها تأثير وتقدر فلتنخلص الى بالمساء فاني عدو لها الأبا لي بوا لا أفكر فيها وهذا كما قال تعالى خبرنا عن نوح عليه السلام فأجبعوا أمرهم وهم شركاءكم الآية وقال هو دعاه السلام اني أشهد الله واشهدوا اني جري مما تشركون من دونه فكذبوني جميعاً ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو أخذنا صديتها ان ربي على صراط مستقيم وهكذا تبرأ ابراهيم من آلهتهم فقال وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم أشركتم بالله الآية وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم الى قوله حتى تؤمنوا بالله وحده وقال تعالى واذ قال ابراهيم لايه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني

فانه سيهدن وجعلها كمة يعني لاله الا الله (الذي خلقني فهو يدين والذى هو يطعمني ويسقيني واذا مرضت فهو يشفين والذى ييتني ثم يحين والذى اطعم ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين) يعني لأ عبد الا الذي يفعل هذه الاشياء الذي خلقني فهو يهدني أي هو الخالق الذي قدر قدره وهدى الخلاق اليه فكل يجري على ما قدره وهو الذي يهدى من يشاء ويضل من يشاء والذى يطعمني ويسقيني أي هو خالق ورزقي بما خسر ويسر من الاسباب السماوية والارضية فساق المزن وانزل الماء وأحيى به الارض وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد (١٧٢) وانزل الماء عن ذباز لا لا يسقيه مما خلق أنعاما وأنامى كثيرا وقوله

واذا مرضت فهو يشفين أسند المرض الى نفسه وان كان عن قدرة الله وقضائه وخلقها ولا يمكن أضافه الى نفسه أديا كما قال تعالى أمر المصلي ان يقول اهـدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة فأسند الانعام والهداية الى الله تعالى والغضب حذف فاعله أديا وأسند الضلال الى العبيد كما قالت الجن وأنا لا ندري أشتر أريد بمن في الارض أم أرا دهم رهم رهم رها وكدأ قال ابراهيم واذا مرضت فهو يشفين أي اذا وقعت في مرض فانه لا يقدر على شفائي أحد غيره بما يقدر من الاسباب الموصلة اليه والذي عيتني ثم يحين أي هو الذي يحيي ويميت لا يقدر على ذلك أحد سواه فانه هو الذي يهدى ويعيد والذى اطعم ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين أي لا يقدر على غفران الذنوب في الدنيا والآخرة الا هو ومن يغفر الذنوب الا الله وهو النعال لما يشاء (رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم

رهمهم يتوكلون) أي يفوضون أمورهم اليه في كل اقدام واجام ثم ذكر سبحانه ما يعين على الصبر والتوكل وهو النظر في حال الدواب فقال (وكأين) قد تقدم الكلام فيها وانها أي دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم كما صرح به الخليل وسيبويه وتقديرها عندهما كشيء كثير من العدد (من دابة) وقيل المعنى وكمن دابة ذات حاجة الى غذاء (لا تحمل رزقها) أي لا تطيق حملها ولا تدخره ولا تدخره لغد ولا ترفعه معها مثل البهائم والطيير (الله يرزقها واياكم) أي انما يرزقها الله من فضله وله يرزقكم فكيف لا تتوكلون على الله مع قوتكم وقدرتكم على أسباب العيش كتوكلها على الله مع ضعفها وعجزها قال الحسن تأكل لوقتها لا تدخر شيئا وقال مجاهد يعني الطير والبهائم تأكل بافواها ولا تحمل شيئا وعن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغرد وخصا وتروح بطانا أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والمعنى انها تذهب أول النهار جبا عاضمة البطون وتروح آخر النهار الى أوكارها شبعا مملثة البطون ولا تدخر شيئا قال سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يخبأ الا الانسان والفأرة والنمل تسوى سبحانه وتعالى في هذه الآية بين الحريص والمتوكل في الرزق وبين الراغب والقانع وبين الجلد والعاجز يعني ان الجلد لا يتصور انه مرزوق بجلده ولا يتصور العاجز انه ممنوع من الرزق بعجزه (وهو السميع) الذي يسمع كل مسموع (العليم) بكل معلوم أخرجه عبد بن حميد وابن أبي طاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر قال السيوطي بسند ضعيف عن ابن عمر قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط التمر ويأكل فقال لي مالك لآتأكل كل قلت لأشتهي به يا رسول الله قال لكني أشتهي به وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجد به ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقبصر فكيف بك يا ابن عمرا اذا بقيت في قوم يحبون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال فوالله ما برحنا ولا رمناح حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لم يأمرني بكثرة الدنيا ولا بتابع الشهوات ألاواني لأ كزيد نارا ولا درهما ولا أخبار رزقا لغد وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لخالفته ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان يعطى نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة

واغفر لآبي انه كان من الضالين ولا تحزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقاب سليم) وهذا سؤال وفي من ابراهيم عليه السلام ان يؤتبه ربه حكما قال ابن عباس وهو العلم وقال مجاهد هو القرآن وقال السدي هو النبوة وقوله وألحقني بالصالحين أي اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عند الاحتضار اللهم في الرفيق الاعلى قالها ثلاثا وفي الحديث في الدعاء اللهم أحينا مسلمين وأميتنا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مبدين وقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي واجعل لي ذكرا جيبلا يهدى إذ كربه ويقبدي بي في الخير كما قال تعالى وتركا عليه

في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك فجزى المحسنين قال مجاهد وقتادة واجعل لي اسان صدق في الآخرين يعني الثناء الحسن قال مجاهد كقوله تعالى وآتيناه في الدنيا حسنة الآية وكقوله وآتيناه اجره في الدنيا الآخرة وقال ليث بن أبي سليم كل ملة تحببه وتتولاه وكذا قال عكرمة وقوله تعالى واجعلني من ورثة جنة النعيم أي أتم على في الدنيا بقاء الذكرا الجليل بعدى وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم وقوله واغفر لآبائي الآية كقوله ربنا اغفر لي ولوالدي وهذا ما رجح عنه ابراهيم عليه السلام كما قال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها لآيه الى قوله ان (١٧٣)

الالحاق في استغفاره لآبيه فقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه الى قوله وما أملاك لك من الله من شيء وقوله ولا تخزني يوم يبعثون أي أجزني من الخزي يوم القيامة ويبعث الخلائق أولهم وآخرهم وقال البخاري عنده هذه الآية قال ابراهيم بن طهمان عن ابن أبي ذئب عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقي ابراهيم يوم القيامة أباه عليه العبرة والفتنة وفي رواية أخرى حدثنا اسمعيل حدثنا أخي عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقي ابراهيم أباه فيقول يا رب المك وعدي أن لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافر من هكذا رواه عنده هذه الآية وفي أحاديث الانبياء بهذا الاسناد بعينه مفردا به ولفظه يلقي ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر فتنة وغبرة فتنة قول

وفي اسناده أبو العطوف الجوزي وهو ضعيف ثم انه سبحانه ذكر حال المشركين من أهل مكة وغيرهم وعجب السامع من كونهم بقرون بأنه خالتهم ورازقهم ولا يوجد منه ولا يتركون عبادة غيره فقال (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض) أي بشيئين أحدهما يتعلق بالذوات وهو هذا والثاني يتعلق بالصفات وهو قوله (وحضرا الشمس والقمر ليقولن الله) خلقها لا يقدران على انكار ذلك ولا يتمكنون من جحوده (فأني يؤفكون) أي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرد بالالهية وانه وحده لا شريك له والاستفهام للانكار والاستبعاد ذكر في السموات والارض الخلق وفي الشمس والقمر التسخيران مجرد خلقها ما ليس بحكمة فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تكون في موضع واحد لا تتحرك ما حصل الليل والنهار ولا الصيف والاشتا فحينئذ الحكمة انما هي في تحريكها وتسخيرها ولما قال المشركون لبعض المؤمنين لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء دفع الله سبحانه ذلك بقوله (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره) أي التوسيع في الرزق والتقدير له هو من الله الباسط القابض يبسطه لمن يشاء ويضيقه على من يشاء على حسب ما تقتضيه حكمته وما يليق بأحوال عباده من القبض والبسط ولهذا قال (ان الله بكل شيء عليم) يعلم ما فيه صلاح عباده وفسادهم ومنه البسط والتضييق (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأجبي به الارض من بعده موتها) أي جديها وخط أهلها (ليقولن الله) أي يعترفون بذلك لا يجحدون الى انكاره ميبلا فكيف يشركون به بعد هذا الاقرار لما اعترفوا بهذا الاعتراف في هذه الآيات وهو يقتضي بطلان ما هم عليه من الشرك وعدم افراد الله سبحانه بالعبادة أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحمدا الله على اقرارهم بذلك وعدم جحودهم مع تصليهم في العناد وتشدهم في رد كل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من التوحيد فقال (قل الحمد لله) أي احمدا الله على ان جعل الحق معك وأظهر حجتك عليهم وقيل على انزال الماء واحياء الارض بالنبات والاول أولى ثم ذمهم فقال (بل أكثرهم لا يعقلون) الاشياء التي تعقلها العقلاء فلذلك لا يعلمون مقتضى ما اعترفوا به مما يستلزم بطلان ما هم عليه عندك عاقل ثم أشار سبحانه الى تحقير الدنيا وتصغيرها وانها من جنس اللعب واللهو وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة وان الدار على الحقيقة هي الدار الآخرة فقال (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب) أي من جنس

له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصيني فيقول أبوه فال يوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأى خزي أخزى من أبي الابد فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافر من ثم يقول يا ابراهيم انظر تحت رجلك فينظر فاذا هو بذيخ منطرح فيؤخذ بقوائم فيلقى في النار ورواه عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه الكبير وقوله ولا تخزني يوم يبعثون أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثني أبي حدثني ابراهيم بن طهمان عن محمد بن عبد الرحمن عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم رأى أباه يوم القيامة عليه العبرة والفتنة وقال له قد خذت مني هذا فعصيتني قال لكني اليوم لا أعصيك واحدة قال يا رب وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فان أخزيت أباه فقد أخزيت

الأبعد قال يا ابراهيم اني حرمتها على الكافرين فأخذ منه قال يا ابراهيم أين أبوك قال أنت أخذت مني قال انظر أسفل منك فنظر فاذا صبح تخرج في تنه فأخذ بقوائمه فألقى في النار وهذا السناد غريب وفيه نكارة والذبح هو الذكرك من الضباغ كانه حول آزر الى صورة ذبح منتطح بعد زنه فليقي في النار كذلك وقدر واه البزار بسناده من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه غرابة ورواه أيضا من حديث قتادة عن جعفر بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم بخومه وقوله يوم (١٧٤) لا ينفع مال ولا بنون أي لا يبق المرء من عذاب الله ماله ولو افتدى بملئى

الارض ذهبوا ولا بنون أي ولو افتدى
 بن على الارض جميعا ولا ينفع
 يومئذ الا الايمان بالله واخلص
 الدين له والتبرى من الشرك وأهله
 وله إذا قال الامن أي الله بقلب
 سليم أي سالم من الدنس والشرك
 قال ابن سيرين القلب السليم ان
 يعلم ان الله حق وان الساعة آتية
 لا ريب فيها وان الله يبعث من في
 القبور وقال ابن عباس الامن أي
 الله بقلب سليم القلب السليم أن
 يشهد أن لا اله الا الله وقال مجاهد
 والحسن وغيرهما بقلب سليم يعني
 من الشرك وقال سعيد بن المسيب
 القلب السليم هو القلب الصحيح
 وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر
 والمنافق مريض قال الله تعالى في
 قلوبهم مرض قال أبو عثمان
 النيسابورى هو القلب السالم من
 البدعة المظمنة الى السنة
 (وأزلفت الجنة للمتقين
 وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم
 أينما كنتم تعبدون من دون الله
 هل ينصرونكم أم يفتنونكم
 فكذبوا فيها هم والغاوين
 وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم

ما يلهوه الصبيان ويلمعون به وأما التقرب كالصلاة والصوم والحج والاستغفار والتسبيح
 فمن أمور الآخرة لظهور غرتها فيها والله هو الاستمتاع ببلدات الدنيا وقيل هو الاشتغال
 بما لا يعنيه وما لا يهيمه واللعب هو العبث وقيل الله هو الاعراض عن الحق بالكلية
 واللعب الاقبال على الباطل قاله الرازى وفي هذا نص غير الدنيا وازدراءها ومعنى الآية
 ان سرعة زوال الدنيا عن أهلها وتقلبهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم
 ينصرفون (وان الدار الآخرة لهدى الحيوان) أي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها قال
 أبو عبيدة وابن قتيبة ان الحيوان الحياة قال الواحدي وهو قول جميع المفسرين ذهبوا
 الى أن معنى الحيوان ههنا الحياة وانه مصدر بمنزلة الحياة فيكون كالزوان والغلمان
 وواو الحيوان مقلوبة عن باء عند سيبويه وأتباعه وقال أبديت شذوذ وكذا في حياة علما
 وقال أبو البقاء ثلثا يلبس بالثنية وغير سيبويه جعل ذلك على ظاهره فالحياة عنده لا مها
 واولاد دليل لسبويه في حي لان الواو متى انكسرت ما قبلها قلبت ياء نحو عرى ورعى
 ورعى والتقدير لهدى دار الحيوان أو ذات الحيوان أي دار الحياة الباقية التي لا تزول
 أولا ينقصها موت ولا مرض ولا هم ولا غم وقد رآب البقاء ان حياة الدار وذلك ليتطابق
 المستأ والخبر والمبالغة أحسن قال ابن عباس هي الحيوان أي باقية وعن أبي جعفر قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عبا كل العجب من مصدق بدار الحيوان وهو
 ليسعى لدار الغرور أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب وهو مرسل (لو كانوا يعلمون)
 أن الحياة هي حياة الآخرة أو يعلمون شيئا من العلم لما آثر والدار الفانية المنقصة
 على الآخرة الباقية ثم بين سبحانه انه ليس المانع لهم من الايمان الا مجرد تأثير الحياة فقال
 (فأذا ركبوا في الفلك) أي اذا انقطع رجائهم من الحياة وخافوا الغرق رجعوا الى الفطرة
 والركوب هو الاستسلام وهو متعبد بنفسه وانما عدى بكلمة في اللشعار بأن المركوب في
 نفسه من قبيل الامكنة (دعو الله) وحده (مخلصين له الدين) بصديقياتهم وتركهم عند
 ذلك لدعاء الاصنام لعلمهم انه لا يكشف هذه الشدة العظيمة النازلة بهم غير الله سبحانه
 (فلما اتجأهم الى البر) وأمنوا (اذا هم يشركون) أي فاجؤا المعادة الى الشرك ودعوا
 غير الله سبحانه وعادوا الى ما كانوا عليه من العناد وقيل كان أهل الجاهلية اذا ركبوا
 البحر جأوا الاصنام فاذا اشتد الريح ألقوها في البحر وقالوا يارب يارب (ليكفر واما

فيها يجمعون نالته ان كالتى ضلال مين اذ نسويكم رب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين آتيناهم
 ولا صديق جيم فلوان لنا كرامة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك له العزيز الرحيم) وأزلفت
 الجنة أي قربت وأدنت من أهل الموقف من خرفة مزينة لتناظر بها وهم المتقون الذين رغبوا فيها على ما في الدنيا وعلوها في الدنيا
 وبرزت الجحيم للغاوين أي أظهرت وكشف عنها وابتد منها عنق فزفرت زفرة بلغت منها القلوب الحناجر وقيل لاهلها تترعوا وتوبوا
 أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أم يفتنونكم أي ليسوا أي ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله من تلك الاصنام

والانذار لتغني عنكم اليوم شيئا ولا تدفع عن أنفسها فانكم واياها اليوم حسب جهنم آنتم لها واردون وقوله فكذبوا فيها هم والغاؤون قال مجاهد يعني قد هو وافيها وقال غيره كذبوا فيها والكاف مكررة كما يقال صرصر والمراد انه ألقى بعضهم على بعض من الكفار وقادتهم الذين دعواهم الى الشرك وحنود ابلتس أجمعون أي ألقوا فيها عن آخرهم قالوا وهم فيها يحتصمون نالته ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم رب العالمين أي بقول الضعفاء للذين استكبروا انا كالكلم تبعا فهل آنتم مغنون عنا نصيبا من النار ويقولون وقد عادوا على أنفسهم بالملامة نالته ان كالتفي ضلال مبين (١٧٥)

مطاعا كما يطاع أمر رب العالمين وعبدنا كم مع رب العالمين وما أضلنا الا الجرمون أي مادعانا الى ذلك الا الجرمون فالنا من شافعين قال بعضهم يعني من الملائكة كما يقولون فهل لنا من شفعاء فشفعوا لنا أو نرد فعمل غير الذي كنا نعمل وكذا قالوا فالنا من شافعين ولا صديق حليم أي قريب قال قتادة يعلمون والله ان الصديق اذا كان صالحا نفع وان الحليم اذا كان صالحا شفع فلوان لنا كفرة فنكون من المؤمنين وذلك انهم تمنون انهم يردون الى دار الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم فبما يرضون والله تعالى يعلم انهم لو رددوا الى دار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقد أخبر الله تعالى عن تخاصم أهل النار في سورة ص ثم قال تعالى ان ذلك لحق تخاصم أهل النار ثم قال تعالى ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين أي ان في محاجة ابراهيم لقومه واقامة الحجج عليهم في التوحيد لآية أي دلالة واضحة حليلة على ان لا اله الا الله وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم (كذبت قوم نوح

آيناهم) من نعمة الانجاء (وليتقوا) أي فاجؤا الشرك بالله ليكفروا ويحجدوا بنعمة الله وليتقوا بها فاللام في الفعلين لام كي وفيه شيء لانه ليس الحامل لهم على الاشرار قصد الكثرة والظاهر انها لام العاقبة والمآل كما أشار له الشهاب وقيل اللام للتعليل والمعنى لا فائدة لهم في الاشرار الا التمتع به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة وقيل هم الاملا امر تهديد او وعيد أي اكفروا بما أعطيناكم من النعمة وتمتعوا وابدل على هذا المعنى قراءة أبي وقتبة وهذا الاحتمال للامرين انما هو على قراءة أبي عمرو وورش بكسر اللام واما على قراءة الجمهور بسكونها فلا خلاف انها لام الامر (فسوف يعلمون) عاقبة ذلك الامر وما فيه من الوبال عليهم وفيه تهديد لهم عظيم (أولم يروا) أي ألم ينظروا كفار قريش (أنا جعلنا) حرهم أي بلدتهم مكة (حرما آمنا) يأمن فيه ما كنه من الغارة والقتل والسبي والنهب فصاروا في سلامة وعافية مما صار فيه غيرهم من العرب فانهم في كل حين تطرقهم الغارات ويحتاج أمو الههم الغزاة وتسفك دماءهم الجنود وتستبيح حرهم وأموهم شطار العرب وشياطينها (ويخطف الناس) جلة حالبة أي وهم يخطف الناس (من حولهم) بالقتل والسبي والنهب والخطف الاخذ بسرعة وقدمضى تحقيق معناه في سورة القصص والجملة حالبة (أقبل الباطل يؤمنون) وهو الشرك والاصنام والشيطان بعد ظهور حجة الله عليهم واقرارهم على وجب التوحيد (وبنعمة الله يكفرون) أي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والاسلام ويجعلون كفرها مكان شكرها وفي هذا الاستنهام من التفرير والتوبيخ ما لا يقادر قدره (ومن) أي لا أحد (أظلم ممن افترى على الله كذبا) وهو من زعم ان الله شريكا (أو كذب بالحق لما جاءه) أي كذب بالرسول الذي أرسل اليه أو الكتاب الذي أنزله على رسوله وقال السدي بالتوحيد بالظاهر شموله لما يصدق عليه انه حق ثم هدد المكذبين وتوعدهم فقال (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أي مكان يستقرون فيه والاستنهام للتقريرو المعنى أليس يستحقون الاستقرار فيها وقد فعلوا ما فعلوا الان همزة الانكار اذا دخلت على النفي صار ايجابا فارجع الى معنى التقرير أو ألم يصح عندهم ان جهنم مثواهم حين اجترؤا مثل هذه الجرأة ثم لما ذكر حال المشركين الجاحدين التوحيد الكافرين بنعم الله أردفه بحال عباد الصالحين فقال (والذين جاهدوا) أي وقعوا في الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة (فينا) أي في شأن الله

المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح الاتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون) هذا الخبر من الله عز وجل عن عبده ورسوله نوح عليه السلام وهو اول رسول بعثه الله الى أهل الارض بعدما عبدت الاصنام والانذار فيعنه الله ناهيا عن ذلك ومحذرا من ويل عقابه فكذب قوم فاستمروا على ما هم فيه من الفعال الخبيثة في عبادتهم اصنامهم مع الله تعالى وانزل الله تعالى تكذيبهم له منزلة تكذيبهم جميع الرسل فللهذا قال تعالى كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح الاتقون أي لا تخافون الله في عبادتكم اني لكم رسول أمين أي اني رسول من الله اليكم

أمن فيما بعثني الله به ببلغكم رسالات ربي ولا ازيد فيها وانه انقص منها فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر أي لأطلب منكم جراً على نعمي لكم بل أذخر ثواب ذلك عند الله فاتقوا الله وأطيعون فقد وضح لكم وبان صدقي ونعمي وأمانتي فيما بعثني الله به واتقني عليه (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأزدلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون وما أرى بطارد المؤمنين ان أنا الانذيرمين) يقولون لا تؤمن لك ولا تبعك وتتأسي في ذلك بهؤلاء الأزدلين الذين اتبعوك وصدقوك وهه أرادنا ولهم هذا قالوا أنؤمن لك واتبعك (١٧٦) الأزدلون قال وما علمي بما كانوا يعملون أي وأي شيء يلزمني من

اتباع هؤلاء لي ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني التتبع عنهم والبحث والنقص انما على ان أقبل منهم تصديقهم اياي وأكل سرايرهم الى الله عز وجل ان حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون وما أرى بطارد المؤمنين كأنهم سألوهم ان يبعضهم عنه ويتابعوه فأبى عليهم ذلك وقال وما أرى بطارد المؤمنين ان أنا الانذيرمين أي انما بعثت نذيراً فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وأنا منه سواء كان شريفاً أو وضيعاً أو جليلاً أو حقيراً (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجياً ومن معي من المؤمنين فانجنياه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد السابقين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمناً وان ربك لهو العزيز الرحيم) لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهن الى الله تعالى ليلا وهن ارا وسرا وجهارا وكلما كرر عليهم الدعوة سمعنهم على الكفر الغليظ والامتناع الشديد وقالوا في الآخر لئن لم تنته يا نوح لتكونن من

الطلب مرضاته ورجاء ما عند من الخير وقيل في حقنا ومن أجلنا ولو جهنا خالصا ومراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما يبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في الشدة والرخاء ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن وشدة الداء الحن مستحضرين لعظمتنا (لتهديهم سبلنا) أي سبل السيرة والطريق الموصل اليها وقيل لتزيدهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا وعن ابن عطاء جاهدوا في رضا الله تدينهم الى الوصول الى محل الرضوان وعن الجنيد جاهدوا في التوبة لتهديتهم سبل الاخلاص أو جاهدوا في خدمتنا لتفتحن عليهم سبل المذاجاة معنا والانس بنا قال ابن عطية هي مكة نزلت قبل فرض الجهاد العرفي وانما هو جهاد عام في دين الله وطاب مرضاته وقيل الآية هذه نزلت في العماد قال سفيان بن عيينة اذ اختلفت الناس فانظر واما عليه أهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا الحوقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا فينا أي في طلب العلم لتهديتهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله الذين جاهدوا باقامة السنة وامانة البدعة لتهديتهم سبل الجنة وقال ابن عباس الذين جاهدوا في طاعتنا لتهديتهم سبل ثوابنا وقال أبو سليمان الداراني الذين جاهدوا فيما علموا لتهديتهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما علم وفق لعلم ما لم يعلم وقال ابراهيم بن أدهم هي في الذين يعملون بما يعلمون وقال الداراني أيضا ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وأعظمه الاصر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله قال ابن عيينة مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم فكذلك من لزم السنة في الدنيا سلم وظاهر الآية العموم فيدخل تحته كل ذلك قال النسفي أطلق المجاهدة ولم يقيد بها بفعال ليتناول كل ما تجب مجاهدته من النفس والشيطان وأعداء الدين (وان الله لمع المحسنين) بالنصر والعون في دنياهم والمغفرة في عقابهم وثوابهم الجنة في الآخرة ومن كان الله معه لا يخذل أبدا ودخلت لام التوكيد على مع سائر كونهما اسماء وعلى انها حرف ودخلت عليها الافادة معنى الاستمرار كما تقول ان زيد الذي الدار والبحث مقرر في علم النحو وفيه اقامة الظاهر مقام المضمرة اظهار الشرف هم بوصف الاحسان

سورة

المرجومين أي لئن لم تنته عن دعوتك ايانا الى دينك لتكونن من المرجومين أي لترجمنك فعند ذلك دعا عليهم

دعوة استجاب الله منه فقال يا رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً الآية كما قال في الآية الاخرى فدعاه ربي الى مغلوب فاتنصر الى آخر الآية وقال ههنا فانجيناها ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد السابقين والمشحون هو المملوء بالامعة والازواج التي حمل فيها من كل زوجين اثنين أي انجينا نوحا ومن اتبعه كلهم وأغرقنا من كفر به وخالف أمره كلهم ثم أجمعين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمناً وان ربك لهو العزيز الرحيم (كذبت عماد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هوذا لا تتقون اني اسلمكم

رسول أمّ - بن فائقوا الله وأطيعوه وما أسألكم عليه من أجران أجرى الأعلى رب العالمين أتبنون بكل ربيع آية تعبدون وتتخذون مصانع لعلمكم تخلدون وإذا بطشتم ببطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعوه واتقوا الذي أمركم بما تعلمون أمركم بانعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وهذا الخبر من الله تعالى عن عبده ورسوله هو عليه السلام انه دعا قومه عاداً وكان قومه يسكنون الاحقاف وهى حبال الرمل قريباً من حضرموت من جهة بلاد اليمن وكان زمانهم بعد قوم نوح كما قال فى سورة الاعراف واذكروا اذ جعلكم خلفاً من بعد قوم نوح وزادكم

(١٧٧)

فى الخلق بسطة وذلك انهم كانوا فى غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد والطول المديد والارزاق الدارة والاموال والجنات والانهار والابناء والزروع والثمار وكانوا مع ذلك يعبدون غير الله معه فبعث الله هوداً اليهم رجلاً منهم رسولاً وبشيراً ونذيراً فدعاهم الى الله وحده وحدهم فقمته وعذابه فى مخالفته وبطشه فقال لهم كما قال نوح اقوموا الى ان قال

أتبنون بكل ربيع آية تعبدون
اختلف المفسرون فى الريع بما
حاص - له انه المكان المرتفع عند
جواد الطرق المشهورة بتبنون هناك
بنياناً محكما تلابها راو لهذا قال
أتبنون بكل ربيع آية أى علماء
مشهورات تعبدون أى وانما تفعلون
ذلك عبثاً لا للاحتياج اليه بل لمجرد
اللعب والله واطهار القوة ولهذا
أنكر عليهم بنيتهم عليه السلام
ذلك لانه تضيق للزمان واتعب
للابدان فى غير فائدة واشتغال بما
لا يجدى فى الدنيا ولا فى الآخرة
ولهذا قال وتتخذون مصانع لعلمكم
تخذون قال مجاهد والمصانع
البروج المشيدة والبنيان الخلد

* (سورة الروم هى ستون أو تسع وخسون آية) *

قال القرطبي كلها مكية بلا خلاف قال ابن عباس نزلت بمكة وعن ابن الزبير مثله وقال البيضاوى الاقوله فسبحان الله - بن تسون وحين تصبحون والاول أولى وأخرج عبد الرزاق وأحمد قال السيوطى بسند حسن عن رجل من الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بهم الصبح فقرأ فيها سورة الروم وأخرج البزار عن الاغر المزنى مثله وعن عبد الملك بن عمير ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ فى الفجر يوم الجمعة بسورة الروم وأخرج ابن أبى شيبه فى المصنف وأحمد بن قانع من طريق ابن عيسى مثل حديث الرجل الذى من الصحابة وزاد فترد فيها فلما انصرف قال انما يلبس علينا فى صلواتنا قوم يحضرون الصلاة بغير طهور ومن شهد الصلاة فليحسن الطهور

*(بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم) قد تقدم الكلام على فاتحة هذه السورة فى فاتحة سورة البقرة والله أعلم بمراد بذلك (غلبت الروم) قرئ مبنى للمفعول وللفاعل قال النحاس قراءة الناس بضم الغين وكسر اللام قال أهل التفسير غلبت فارس الروم ففرح بذلك كشارمكة وقالوا الذين ليس لهم كتاب غلبوا الذين لهم كتاب وافتحوا على المسلمين فقالوا نحن أيضاً نغلبكم كما غلبت فارس الروم وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لانهم أهل كتاب أى نصارى فهم أقرب الى الاسلام والفرس مجوس فهم أقرب الى كفار قريش وفارس اسم أعجمى علم على تلك القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث بل والجمعة وعن أبى سعيد قال لما كان يوم بدر ظهر الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنون فنزلت الم غلبت الروم وقرأها على البناء للفاعل ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس وعن أبى الدرداء قال سيجى أقوام يقرؤون الم غلبت يعنى بالفتح وانما هى غلبت يعنى بالضم والروم اسم قبيلة تسمى باسم جدها وهو روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم قاله ابن جرير فى تفسيره وسمى عيصو لانه كان مع يعقوب فى بطن فعند خروجه ماتزاجاً وأراد كل ان يخرج قبل صاحبه فقال عيصو ليعقوب ان لم أخرج قبلك والاخرجت من جنبها فمأخر يعقوب شفقة منه فلذا كان أبى الانبياء وعيصو أبى الجبارين كذا قيل والله أعلم قيل وكان هذا الحرب بين اذرعات

(٢٣ - فتح البيان سابق) وفى رواية عنه بروج الحمام وقال قتادة هى مأخذ الماء قال قتادة وقرأ بعضهم وتتخذون مصانع كما تنكم خالدون وفى القراءة المشهورة وتتخذون مصانع لعلمكم تخلدون أى لى تقيموا فيها أبداً وذلك ليس بحاصل لكم بل زائل عنكم كما زال عن كان قريكم وروى ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا أبى حدثنا الحكم بن موسى حدثنا الوليد حدثنا ابن جحلان حدثنى عون بن عبد الله بن عتبة ان أبى الدرداء رضى الله عنه لما رأى ما أحدث المسلمون فى الغوطة من البنيان ونصب الشجر قام فى مسجدهم فنادى يا أهل دمشق فاتبعوه اليه فمد الله وأثنى عليه ثم قال ألا تسحبون ألا تسحبون فجمعوهن ما لانا كلون وتبنون

مالا تكتنون وتاملون مالا تدركون انه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون ويننون فيوثقون وياملون فيطيلون فأصبح املهم غرورا وأصبح جمعهم بورا وأصحت مساكنهم قبورا ألان عاد املك ما بين عدن وعمان خيلا وكان يفتري منى ميراث عاد بدرهمين وقوله واذا بطشتم بطشتم جبارين أى يصفهم بالقوة والغلظة والجبروت فأتوا الله وأطيعوا أى عبدوا ربكم وأطيعوا رسولكم ثم شرع عذ كرههم نعم الله عليهم فقال واتقوا الذى أمركم بما تعلمون أمركم بانعام وبنين وحنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم أى ان كذبتم (١٧٨) وخالفتم فدعاهم بالترغيب والترهيب فانفع فيهم (قالوا سوا علينا

أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الاخلاق الاولين وما نحن بمعذبين فيكذبوه فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنا وان ربك له العزيز الرحيم) يقول تعالى مخبرا عن جواب قوم هود له بعد ما حذرهم وأذنبهم ورغبهم ورهبهم وبين لهم الحق ووضحه قالوا سوا علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين أى لا يرجع عما نحن عليه وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وهكذا الامر فان الله تعالى قال ان الذين كذبوا سوا عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وقال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية وقوله ان هذا الاخلاق الاولين قرأ بعضهم ان هذا الاخلاق الاولين بفتح الخاء وتسكين اللام قال ابن مسعود والعوفى عن عبد الله بن عباس وعلمة ومجاهد يعنون ما هذا الذى جنته الاخلاق الاولين كما قال المشركون من قريش وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا وقال وقال

وبصرى والملك بفارس يومئذ كسرى أبرويز (فى أدنى الارض) متعلق بعلت أى أقرب أرض من أرض العرب أو فى أقرب أرض العرب منهم قيل هى أرض الجزيرة وقيل اذرعان وقيل كسكرو وقيل الاردن وقيل فلسطين وهذه المواضع هى أقرب الى بلاد العرب من غيرها وانما حلت الارض على أرض العرب لانها المعهودة فى السننم اذا أطلقوا الارض ارادوا بها جزيرة عرب وقيل ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه والتقدير فى أدنى ارضهم فيه عود الفيزيا الى الروم ويكون المعنى فى أقرب أرض الروم من العرب الى فارس والمراد بالجزيرة ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب وحدها على ما روى عن الاصمعي انها من أقصى عدن الى ريف العراق طولها ومن جعدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا وسبب تسميتها جزيرة احاطة البحار والانهار العظيمة بها كبحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات وقال ابن جزى فى تفسيره الجزيرة بين الشام والعراق وهى أول الروم الى فارس قال ابن عطية ان كانت الواقعة باذرعان فهى من أدنى الارض بالقياس الى مكة وان كانت الواقعة بالجزيرة فهى أدنى بالقياس الى أرض كسرى وان كانت بالاردن فهى أدنى الى أرض الروم وعن ابن عباس قال كان المشركون يحبون ان يظهر فارس على الروم لانهم كانوا أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون ان يظهر الروم على فارس لانهم أصحاب كتاب فذكره لابي بكر فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أما انهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك أجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وكذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا اجعل بينهم أجلا خمس سنين فلم يظهر واقد كذا أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اجعله اراه قال دون العشرة فظهرت الروم بعد ذلك فذلك قوله الم غلبت الروم فغلبت بعد قال سفيان سمعت انهم ظهروا عليهم يوم بدر وعن البراء بن عازب نحوه وزاد انه لما مضى الاجل ولم تغلب الروم فارس ساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما جعله أبو بكر من المدة وكرهه وقال مادعاك الى هذا قال تصديق الله ولرسوله فقال تعرض لهم وأعظم الخطة واجعله الى بضع سنين فاناهم أبو بكر فتال هل لكم فى العود فان العود أجد قالوا نعم فلم ترض ذلك السنون حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوار ومية فقم أبو بكر فجاءه أبو بكر يحمله الى رسول

الذين كفروا ان هذا الافك افتراه وعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا باوزوروا قالوا أساطير الاولين وقرأ آخرون الله ان هذا الاخلاق الاولين بضم الخاء واللام يعنون دينهم وما هم عليه من الامر هودين الاولين من الآباء والاجداد ونحن تابعون لهم سالكون وراهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا معاد لهذا قالوا وما نحن بمعذبين قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ان هذا الاخلاق الاولين يقول دين الاولين وقاله عكرمة وعطاء الخراسانى وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختاره ابن جرير وقوله فيكذبوه فاهلكناهم أى استروا على تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعماده فاهلكهم الله وقد بين سبب اهلا كه اياهم

في غير موضع من القرآن بأنه أرسل عليهم ريحاً صرصراً مامية أي ريحاً شديدة الهبوب ذات برد شديد جداً فسكان سبب اهلاكهم من جنسهم فانهم كانوا أعتقوا شئاً وأجره فسطاط الله عليهم ما هو أعتق منهم وأشد قوة كما قال تعالى ألم تتركف فعل ربك بعد ارم ذات العماد وهم عاد الاولى كما قال وأبنة أهلك عاد الاولى وهم من نسل ارم بن سام بن نوح ذات العماد الذين كانوا يسكنون العمود من زعم ان ارم مدينة فائماً أخذ ذلك من الاسرائيليات من كلام كعب وهوب وليس لذلك أصل أصيل ولهذا قال التي لم يخلق مثلها في البلاد أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم (١٧٩) ولو كان المراد بذلك مدينة لقال التي لم يبن مثلها في البلاد وقال تعالى فأما

عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمجدون وقد قدمنا ان الله تعالى لم يرسل عليهم من الريح الاممقدار أنف الثور عتت على الخزنة فأذن الله لها في ذلك فسلكت فخصبت بلادهم فخصبت كل شئ لهم كما قال تعالى تدمر كل شئ بأمر ربها الآية وقال تعالى فاما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله حسوما أي كاملة فبترى القوم في ساعري كأنهم أعجاز نخل خالوة أي بقوا أبداً بلا رفس وذلك ان الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فنسده دماغه وتكسر رأسه وتلقيه كأنهم أعجاز نخل مننعرو وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والغارات وحضروا لهم في الارض الى أنصافهم فلم يغن عنهم ذلك من أمر الله شيئاً لان أجل الله اذا جاء لا يؤخر ولهذا قال تعالى فكذبوه فأهلكناهم الآية (كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح الاتقون اني

الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذالسمحت تصدق به ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة كعقد الرابوعه جائرة في دار الحرب بين المسلمين واليكفار وقد احتجوا على صحة ذلك بهذه القصة والقصة حجة عليهم الا الله ما لانها كانت قبل تحريم القمار وفيه هذا السمحت تصدق به (وهم من بعد غابهم) أي والرؤم من بعد غاب فارس اياهم (سيعلبون) أهل فارس والغلب والغلبة لغتان (في بضع سنين) قد تقدم تفسير البضع واشتقاقه في سورة يوسف والمراد به هنا ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسع وقيل الى السبع وقيل مادون العشرة وانما بهم البضع ولم يبينه وان كان معلوماً لانيه صلى الله عليه وآله وسلم لادخال الرعب والخوف عليهم في كل وقت كما يؤخذ ذلك من تفسير القنبر الرازي أخرج الترمذي وصححه والدارقطني في الافراد والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والبيهقي في الشعب عن يار بن مكرم الاسلمي قال لما نزلت الم غلبت الروم الآية كانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين الروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم واياهم أهل الكتاب وفي ذلك يقول الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله الخ وكانت قر يش تحت ظهور فارس لانهم واياهم ليسوا أهل كتاب ولا ايمان يبعث فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر يصبح في نواحي مكة الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيعلبون في بضع سنين فقال ناس من قر يش لابي بكر ذلك بيننا وبينكم يزعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا تراهم هذ على ذلك فقال بلي وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لابي بكر لم تجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا ننهي اليه قال فسموا بينهم ست سنين فضت الست قبل أن يظهر وافاخذا المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم فعاى المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين لان الله قال في بضع سنين فاسلم عند ذلك ناس كثير وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لابي بكر ألا احتطت يا أبا بكر فان البضع ما بين ثلاث الى تسع وأخرج البخاري عنه في تاريخه نحوه وفي الباب روايات وما ذكرنا في بني عباسوا (الله الامر) أي هو المتفرد بالقدرة وانفاذا الاحكام (من قبل ومن بعد) أي من وقت المغلوبة ووقت الغالبة فهو لوف ونشر مرتب على الآية وقال ابو السعد عوداى في اول الوقتين

لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) وهذا اخبار من الله عز وجل عن عبده ورسوله صالح عليه السلام انه بعثه الى قومه ثمود وكانوا عربا يسكنون مدينة الحجر التي بين وادى القرى وبلاد الشام وبساكنهم معروفة مشهورة وقد قدمنا في سورة الاعراف الاحاديث المروية في مرور رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم حين أراد عبور الشام فوصل الى تبولة ثم عاد الى المدينة لئلا يهاب لذلك وكانوا بعد عاد وقيل الخليل عليه السلام فدعاهم بينهم صالح الى الله عز وجل ان يعبدوه وحده لا شريك له وان يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة فابوا عليه وكذبوه وحافوه وأخبرهم انه لا يتبعي بدعوتهم أجرا

منهم وانما يطلب ثواب ذلك من الله عز وجل ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال (أنترون في ما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع
 ونخل طلعها هضيم وتختون من الجبال بيوتاً فريهين فاتقوا الله وأطيعوه وأمر المسرفين الذين يفسدون في الارض
 ولا يصلحون) يقول لهم واعظا لهم ومحذرهم نعم الله ان يحل بهم ومذكراً بانتم الله عليهم فيما رزقهم من الارزاق الدارة وجعلهم في
 أمن من المحذورات وأثبت لهم من الجنات وبقر لهم من العيون الجاريات وأخرج لهم من الزروع والثمرات ولهذا قال ونخل
 طلعها هضيم قال العوفي عن ابن عباس (١٨٠) أئبع وبلغ فهو هضيم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

ونخل طلعها هضيم يقوله مشبه
 وقال اسمعيل بن أبي خالد عن عمرو
 ابن أبي عمرو وقد أدرك الصحابة عن
 ابن عباس في قوله ونخل طلعها
 هضيم قال اذا رطب واسترخى رواه
 ابن أبي حاتم ثم قال وروى عن أبي
 صالح نحوه هذا وقال أبو إسحق عن
 أبي العلاء ونخل طلعها هضيم قال
 هو المزيب من الرطب وقال مجاهد
 هو الذي اذا يبس تهشم وتفتت
 وتناثر وقال ابن جرير سمعت عبد
 الكريم أئبنا أئمية سمعت مجاهدا
 يقول ونخل طلعها هضيم قال حين
 يطلع يقبض عليه فيعضه فهو من
 الرطب الهضيم ومن اليابس الهشيم
 يقبض عليه فتشبهه وقال عكرمة
 وقتادة الهضيم الرطب اللين وقال
 الضحاك اذا كثرت الثمرة وركب
 بعضها بعضا فهو هضيم وقال مرة
 هو الطلع حين يتفرق ويخضر
 وقال الحسن البصرى هو الذي
 لا نوى له وقال أبو بصير ما رأيت
 الطلع حين ينشق عنه الكرم فترى
 الطلع قد لصق ببعضه ببعض فهو
 الهضيم وقوله وتختون من الجبال
 بيوتاً فريهين قال ابن عباس وغير

وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون والمعنى ان كلاما من كونهم مغلوبين أو لا وغالبين آخر
 ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك الايام ندوا لها بين الناس انتهى قرئ بضم الظرفين
 لكونهما مقطوعين عن الاضافة اى من قبل القلب ومن بعده او من قبل كل امر وبعده
 قال الزجاج معنى الآية من متقدم ومن متأخر وحي الكسائي من قبل ومن بعد بكسر
 الاول منوناً وضم الثاني بلاتونين وحكى الفراء بكسرها ما من غير تنوين وغلطه
 النحاس وقال انما يجوز زمكسوراً منوناً قلت وقد قرئ بذلك ووجهه انه لم ينو اضافة ما
 فاعربها وقال شهاب الدين وقد قرئ بكسرها منونين (ويؤتى) اى ريوماً ان تغلب
 الروم على فارس ويحل ما وعد الله من غلبتهم (بشرح المؤمنون نصر الله) للروم على
 فارس لكونهم اهل كتاب كما ان المسلمين اهل كتاب بخلاف فارس فانهم لا كتاب لهم ولهذا
 سمرالمشركون نصرهم على الروم وقيل نصر الله هو اظها رصدق المؤمنين فيما أخبر وابه
 المشركين من غلبة الروم على فارس والاول اولى قال الزجاج هذه الآية من الآيات التي
 تدل على ان القرآن من عند الله لانه أنبأ بما سيكون وهذا لا يعلمه الا الله سبحانه (ينصر من
 يشاء) أن ينصره (وهو العزيز) العالب القاهر (الرحيم) الكثير الرحمة لعباده
 المؤمنين وقيل المراد بالرحمة هنا الدنياوية وحى شاملة للمسلم والكافر (وعد الله لا يخلف الله
 وعده) أى وعد الله وعد لا يخلفه وهو ظهور الروم على فارس (ولكن أكر الناس
 لا يعلمون) بجبه لهم وعدم تذكرهم ان الله لا يخلف وعده وهم الكفار وقيل كذا مكة على
 الخصوص نفي عنهم العلم النافع للآخرة وقد أثبت لهم العلم باحوال الدنيا فقال (يعلمون)
 بدل من لا يعلمون وهذا أحسن من قول الخوفا انها مستأنفة من حيث المعنى الا ان
 الصناعة لا تساعد عليه لان بدل فعل مثبت من فعل منفي لا يصح والضمير للاكثر وكذا
 يقال فيما بعده وفيه بيان انه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى
 لا يتجاوز عن تحصيل الدنيا (ظاهر من الحياة الدنيا) أى ظاهراً ما يشاهدونه من زخارف
 الدنيا وملذاتها وأمرها مشهم واسباب تحصيل فوائدهم الدنياوية وقيل هو ما تلقى
 الشياطين اليهم من أمور الدنيا عند استراقهم السمع وقيل الظاهر الباطل وقيل يعنى
 معاشهم كيف يكسبون ويحسون ومتى يغرسون ومتى يزرعون ومتى يحصدون قال
 الحسن ان أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يحطى وهو لا يحسن بهلى

واحد يعنى حاذقين وفي رواية عنه شريهين اشرفين وهو اختيار مجاهد وجماعة ولا مضافة بينهما فانهم كانوا
 يتخذون تلك البيوت المصنوعة في الجبال أشراً واطراً وعيماً من غير حاجة الى بنائها وكانوا حاذقين متقين تحتها ونقشها كما هو
 المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ولهذا قال فاتقوا الله وأطيعوه أى أقبلوا على ما به وودنفعه عليكم في الدنيا والآخرة من
 عبادة ربكم الذى خلقكم ورزقكم لتعبدهم وخدمته وتسجدوا بكره وأصيلاً ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض
 ولا يصلحون يعنى رؤسائهم وكبرائهم الدعاء لهم الى الشرك والكفر ومخالفة الحق (قالوا انما أنت من المسحورين ما أنت

الابشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم يقول تعالى مخبراً عن نود وجوابهم لنبيهم صالح عليه السلام حين دعاهم الى عبادة ربهم عز وجل انهم قالوا انما أنت من المسحورين قال مجاهد وقتادة يعنون من المسحورين وروى أبو صالح عن ابن عباس من المسحورين يعني من الخلوقين واستشهد بعضهم على هذا بقول الشاعر

فان تسأبا لنا فمحن فانا (١٨١)

عصافير من هذا الانام مسحر يعني الذين لهم سحر والسحر الرثة والاطهر في هذا قول مجاهد وقتادة انهم يقولون انما أنت في قولك هذا مسحور لا عقل لك ثم قالوا ما أنت الابشر مثلنا يعني فكيف أوحى اليك دوتنا كما قالوا في الآية الاخرى أنزل عليه الذكر من بينا بل هو كذاب أشد سيعلمون غدا من الكذاب الاشر ثم انهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم وقد اجتمع ملاؤهم وطلبوا منه أن يخرج لهم الان من هذه الصخرة ناقة عشره وأشاروا الى صخرة عندهم من صنتها كذا وكذا فعند ذلك أخذ عليهم نبي الله صالح العهود والمواثيق لئن أجاهم الى ما سألو اليؤمسن به وليتبعنه فأعطوه ذلك فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلى ثم دعا الله عز وجل ان يجيبهم الى سؤالهم فأنفطرت تلك الصخرة التي أشاروا اليها عن ناقة عشره على الصفة التي وصفوها فآمن بعضهم وكفروا أكثرهم قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم يعني ترد ماءكم يوم او يوم تردونه انتم ولا تسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فذرههم نعمة الله ان أصابوها بسوء فكشفت الناقة بين أظنه رهم حينما من الدهر ترد الماء وتأكل الورق والمرعى ويتنعمون بلبنها يحلبون منها ما يكفيهم شربا ويريا فلما طال عليهم الامد وحضر أشقاؤهم تالوا على قتلها وعقروها فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب وهوان أرضهم زلزلت زلا لا شديد اوجابتهم صيحة عظيمة اقلعت القلوب من محالها وأتاهم من الامر ما لم يكونوا يحتسبون وأصبحوا في دارهم جاثمين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم (كذب قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط الا أتيتون اني

وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناها وقيل لا يعلمون الدنيا بحقيقةها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعها ولا يعلمون باطنها وهو مضارها ومتاعها وافادت الآية الكريمة ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتعم بملاذها وباطناتها انما يجازي الى الآخرة يتزود منها اليها بالطاعة وبالاعمال الصالحة وتتكبير الظاهر فيبدي انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة تطواهرها (وهي عن الآخرة) التي هي النعمة الدائمة واللذة الخالصة (هم غافلون) لا يلتفتون اليها ولا يعدون لها ما تحتاج اليه أو غافلون عن الايمان بها والتصديق بحقيقتها وفيه انهم معدن الغفلة عن الآخرة ومقرها واعادة لفظهم الثانية للتأكييد (أوليتفكروا) الهمة لا نكار عليهم والواو للعطف على مقدر كما في نظائره (فأنفسمهم) ظرف للتفكير وليس مفعولاً للتفكير والمعنى ان أسباب التفكير خصله لهم وهي أنفسهم لو تفكروا فيها كما ينبغي لعلوا وحدا نيتة تعالى وصدق أنبيائه وقيل انهم مفعول التفكير والمعنى أولم يتفكروا في خلق الله اياهم ولم يكونوا شيا والاول أولى لان المعنى أولم يتفكروا في قلوبهم الفارغة من الفكر التي هي أقرب اليهم من غيرها من الخلوقات وهم أعلم باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكمة الدالة على التدبير وان لا يدلها من الانتهاء الى وقت يجازي فيه على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلم عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة في التدبير وان لا يدلها من الانتهاء الى ذلك الوقت (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا في قولوا هذا القول وقيل معناه في الكلام دليله عليه وما في ما خلق نافية اي لم يخلقها (الابالحق) الثابت الذي يحق ثبوته وهي اسم في محل نصب على اسقاط الخافض أي بما خلق الله ويضف ان تكون استغفامية بمعنى النبي والباء للسببية او هي ومحجورها في محل نصب على الحال أي متلبسة بالحق قال الفراء معناه اللحق اي للشواب والعقاب وقيل بالحق بالعدل وقيل بالحكمة وقيل انه هو الحق وللعق خلقها (وأجل مسمى) للسموات والارض وما بينهما تنتهي اليه وهو يوم القيامة وفي هذا تنبيه على الفناء وان لكل مخلوق أجلا لا يجاوزه وقيل معناه انه خلق ما خلق في وقت سماه لخلق ذلك الشيء (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم) أي بالبعث بعد الموت (لكافرون)

معلوم يعني ترد ماءكم يوم او يوم تردونه انتم ولا تسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فذرههم نعمة الله ان أصابوها بسوء فكشفت الناقة بين أظنه رهم حينما من الدهر ترد الماء وتأكل الورق والمرعى ويتنعمون بلبنها يحلبون منها ما يكفيهم شربا ويريا فلما طال عليهم الامد وحضر أشقاؤهم تالوا على قتلها وعقروها فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب وهوان أرضهم زلزلت زلا لا شديد اوجابتهم صيحة عظيمة اقلعت القلوب من محالها وأتاهم من الامر ما لم يكونوا يحتسبون وأصبحوا في دارهم جاثمين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم (كذب قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط الا أتيتون اني

لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجران أجرى الأعلى رب العالمين) يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله لوط عليه السلام وهو لوط بن هاران بن آزر وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام وكان الله تعالى قد بعثه إلى أمة عظيمة في حياة إبراهيم عليه السلام وكانوا يسكنون سدوم وعمالة التي أهلها الله بهم وأجعل مكانها بحيرة متمنة خبيثة وهي مشهورة ببلاد الغور بناحية حبال البيت المقدس بينها وبين بلاد الكرك والشوبك فدعاهم إلى الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له وإن يطيعوا رسولهم الذي بعثه (١٨٢) الله اليهم ونهاهم عن معصية الله وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه

واللام هي المؤكدة والمراد بهم هؤلاء الكفار على الإطلاق أو كفار مكة (أو لم يسعروا في الأرض فينظروا) الاستفهام للتقريع والتوبيخ لعدم تفكيرهم في الآثار وتأملهم لواقع الاعتبار والمعنى أنهم قد ساروا وشاهدوا (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من طوائف الكفار والاهم الذين أهلها كانوا بسبب كفرهم بالله وجودهم للحق وتكذيبهم للرسول (كانوا أشد منهم قوة) كعادتهم ودوا الجملة مبينة للكيفية التي كانوا عليها وانهم أقدر من كفار مكة ومن تابعهم على الأمور الدينية وقال ابن عمر كان الرجل من كان قبلكم بين منكبيه ميل أخرجه ابن مردويه (وأثاروا الأرض) أي حرثوها وقلبوها للزراعة وزاولوا أسباب ذلك ولم يكن أهل مكة أهل حرث (وعمرها) عمارة (أكثر مما عمرها) لأن أوائلها كانوا أطول منهم أعماراً وأقوى اجساماً وأكثر تحصيلاً لأسباب العاش فعمروا الأرض بالانبياء والزراعة والغرس (وجانتهم رسالهم بالبينات) أي المعجزات والحجج الظاهرات وقيل بالأحكام الشرعية (فما كان الله ليظلمهم) بتعذيبهم على غير ذنب وأهلا بهم بغير جرم (وايكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر والتكذيب للرسول (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أي علوا السيئات من الشرك والمعاصي (السواى) هي فعلى من السوء تأنيث الاسوا وهو الأفعج أي كان عاقبتهم العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وقيل هي اسم لجهنم كما ان الحسنى اسم للجنة أو مصدركا ليسرى والذكرى وصفت به العقوبة مبالغه وقرئ عاقبة بالرفع على انها اسم مكان والخبر السواى أي الفعل أو الخصلة أو العقوبة السواى ومن القائلين بان السواى جهنم الفراء والزجاج وابن قتيبة وأكثر المنسرين وسميت سواى لانها تسو صاحبها (أن كذبوا) أي لان كذبوا (بآيات الله) التي أنزلها على رسوله أو بان كذبوا قال الزجاج المعنى ثم كان عاقبة الذين أشركوا بتكذيبهم بآيات الله واستهزأؤهم بها (وكانوا يهاستهزون) عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وفي حكم الاسم لكان والخبر بآياتها (اللهيب الخلق ثم يعيده) أي يخلقهم أولاً ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا (ثم إليه ترجعون) أي إلى موقف الحساب فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته وأقرذا الضمير في يعيده باعتبار لفظ الخلق وجمعه في ترجعون باعتبار معناه وقرئ يرجعون بالتحية والوقفة على الخطاب والاتفات المؤذن بالمبالغة (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قرئ يبلس على البناء

في العالم مما لم يسببهم أحد من الخلائق إلى فعله من آيات الذكور دون الاناث ولهذا قال تعالى (أتأتون الذكران من العالمين) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته لوط لـ تكون من المخرجين قال انى لعلمكم من القالين رب نجى وأهلى مما يعلمون فخيبتناه وأهله أجمعين الآية عجزوا في الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم لما نهاهم نبى الله عن ارتكاب الفواحش وعشيانهم الذكور وأرشدهم إلى آيات نساءهم اللاتي خلقهن الله لهم ما كان جوابهم له الا ان قالوا لئن لم تنته لوط لـ تكون من المخرجين أي تنفيك من بين أظهرنا كما قال تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوا آل لوط من قريتهم انهم لا يترددون عما هم فيه وانهم مستقرون على

ضلالهم تبرأ منهم وقال انى لعلمكم من القالين أى المبغضين لأحبه ولا أرضى به زانى برى منكم ثم دعا للفاعل الله عليهم فقال رب نجى وأهلى مما يعلمون قال الله تعالى فخيبتناه وأهله أجمعين أى كلهم العجزوا في الغابرين وهي امرأته وكانت عجزت بسوء ببيت فهلكت مع من بقي من قومه وذلك كما أخبر الله تعالى عنهم في سورة الاعراف وهو ذكراً في المخرجين أمره الله ان يسرى بأهله الامر أنه وانهم لا يفتقوا اذا عرو الصيحة حين تنزل على قومه فصرخوا لله واستروا وانزل الله على أولئك العذاب الذى عم جميعهم وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك الآية ولهذا قال تعالى ثم دمرنا بالآخرين

وأمرنا عليهم مطرا الى قوله وان ربك له العزيز الرحيم (كذب أصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الاتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الاعلى رب العالمين) هو لا يعنى أصحاب الايكة هم أهل مدين على الصحيح وكان نبى الله شعيب من أنفسهم وانما لم يقل ههنا أخوهم شعيب لانهم نسبوا الى عبادة الايكة وهى شجرة وقيل شجر ملتف كالغضفة كانوا يعبدونها فلهذا مات قال كذب أصحاب الايكة المرسلين لم يقل اذ قال لهم أخوهم شعيب وانما قال اذ قال لهم شعيب فقطع نسب الاخوة بينهم للمعنى الذى نسبوا اليه وان (١٨٣) كان أخاهم نسا ومن الناس من لم يفظن لهذه

التسكئة فظن ان أصحاب الايكة غير أهل مدين فزعم ان شعيبا عليه السلام بعثه الله الى أميين ومنهم من قال ثلاث أمم وقد روى اسحق بن بشر الكاهلى وهو ضعيف حدثنى ابن السدى عن أبيه وزكريا بن عمرو عن خصيف عن عكرمة قال ما بعث الله نبيا من نبي الاشياء مارة الى مدين فاخذهم الله بالصيحة ومرة الى أصحاب الايكة فاخذهم الله تعالى بعذاب يوم الظلة وروى أبو القاسم البغوى عن هدية عن همام عن قتادة في قوله تعالى وأصحاب الرس قوم شعيب وقوله وأصحاب الايكة قوم شعيب وقاله اسحق بن بشر وقال غير جوير أصحاب الايكة ومدين هما واحد والله أعلم وقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة شعيب عن طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة عن أبيه عن معاوية بن هشام عن هشام بن سعيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة بن يوسف عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوم مدين وأصحاب الايكة أمتان بعث الله اليهما شعيبا النبى

للفاعل يقال أبلس الرجل اذا سكت وانتطعت حجته فهو قاصر لا يتعدى قال الفراء والزجاج الملبس الساكت المنقطع في حجه الذى أيس ان يهتدى اليها وقرئ مبني للمفعول وفيه بعد لان أبلس لا يتعدى وقال الكلبى أى يس المشركون من كل خير حين عابوا العذاب وقد معنا تنسيرا لابلس عند قوله فاذا هم مبلسون وقال ابن عباس يلبس يبتس وعنه يكتب وعنه الابلس الفضيحة (ولم يكن لهم) أى لا يكون للمشركين يوم تقوم الساعة (من شركتهم) الذين عبدوهم من دون الله وأشركوهم وهم الاصنام ليشفعو لهم (شفعا) يجبرونهم من عذاب الله (وكانوا) في ذلك الوقت (بشركتهم) أى بالآلهتهم الذين جعلوهم شركاء الله (كافرين) أى جاحدين لكونهم آلهة لانهم علموا اذ ذلك انهم لا ينفعون ولا يضررون وقيل ان معنى الآية كانوا كافرين في الدين بسبب عبادتهم والاول أولى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون) أى يفرق جميع الخلق المدلول عليهم بقوله الله يبدأ الخلق والمراد بالفرق ان كل طائفة تفرق فالمؤمنون يصيرون الى الجنة والكافرون الى النار وليس المراد تفرق كل فرد منهم عن الآخر ومثله قوله فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب فلا يبتغون أبدا ثم بين الله سبحانه كيفية تفرقهم فقال (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال الخاسر معت الزجاج يقول معنى أمداع ما كفايه وخذ في غيره وكذا قال سيبويه ان معناها ما يمكن من شئ نخذ في غير ما كفايه (فهم في روضة) الروضة كل ارض ذات نبات وماء ووروق ونضارة وقيل البستان الذى هو في غاية النضارة قال المفسرون والمراد بها الجنة والتسكير لاجرامها وتقدير شأنها قال ابو عبيد الروضة ما كان في سفنل فاذا كان مرتفعا فهو ترعة وقال غيره احسن ما تكون الروضة اذا كانت في مكان مرتفع (يجبرون) الجبور والخبرة السرور أى فهم في رياض الجنة ينعمون وقال ابن عباس يجبرون بكرمون وقال الخاسر حكي الكسائي خبرته أى كرمته ونعمته وقيل يحلون والاولى تنسير يجبرون بالسرور كما هو المعنى العربى ونفس دخول الجنة يستلزم الاحكام والنعيم وفي السرور زيادة على ذلك وقيل التحبير التحسين فعنى يجبرون يحسن اليهم وقيل هو السماع الذى يسمعون في الجنة وقيل غير ذلك والوجه ما ذكرناه واخرج الديالى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة قال الله اين الذين كانوا ينزهون اسماعهم

عليه السلام وهذا غريب وفي رفعه نظر والاشبه ان يكون موقوفا والصحيح انهم آمة واحدة وصفوا في كل مقام بشئ ولهذا وعظ هؤلاء امرهم بوفاء المكيال والميزان كافي قصة مدين سواء بسواء فدل ذلك على انهم آمة واحدة (أو فوا الكيل ولا تكونوا من الخسر من وزوا بالقسط المستقيم ولا تجسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجليلة الاولى) يأمرهم عليه السلام بافناء المكيال والميزان وينهاهم عن التطفيف فيما فقال أو فوا الكيل ولا تكونوا من الخسر بن أى اذا دعتم للناس فكموا الكيل لهم ولا تجسوا الكيل فتعطو ناقصا وتأخذوه اذا كان لكم تاما وافيالكن خذوا كما تعطون

وأعطوا كما تأخذون وزنوا بالقسط المستقيم والقسطاس هو الميزان وقيل هو القبان قال بعضهم هو معرب من الرومية قال مجاهد القسطاس المستقيم هو العدل بالرومية وقال قتادة القسطاس العدل وقوله ولا تجسوا الناس أشياءهم أي لا تنقصوهم أموالهم ولا تعنوا في الأرض مفسدين يعني قطع الطريق كما قال في الآية الأخرى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وقوله واتقوا الذي خلقكم والجليلة الأولى يخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم والأول كما قال موسى عليه السلام ربكم ورب آباءكم الأولى قال ابن عباس (١٨٤) ومجاهد والسدى وسنيان بن عينة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم

وابصارهم عن مز امير الشيطان يزوهم فيمزون في كتب المسك والعنبر ثم يقول للملائكة اسمعوه وهم من تسبيحي وتحميدي وتهللي قال فيسبحون باصوات لم يسمع السامعون بمنثها قط وعن مجاهد قال ينادى مناد يوم القيامة فذ كرنجوه وعن ابن عباس قال السيوطي بسند صحيح في الجنة شجر على ساق قدر ما يسير الراكب الجدي ظلها مائة عام فيخرج اهل الجنة اهل الغرف وغيرهم فيجدون في ظلها فيشتمى بعضهم ويذ كر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا وعن أبي هريرة مر فوعانجوه اخرجه الحكيم الترمذي في النوادر (واما الذين كفروا بالله) (وكذبوا باياتنا) اي القرآن (ولقاء الآخرة) اي البعث والجنة والنار (فاولئك) المتصفون بهذه الصفات (في العذاب محضرون) اي مقيمون فيه لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها وقيل مجموعون وقيل نازلون وقيل معدنون والمعاني متقاربة والمراد دوام عذابهم ثم لها بين عاقبة طائفة المؤمنين وطائفة الكافرين ارشاد المؤمنين الى ما فيه الاجر الوافر والخير العام فقال (فسبحان الله) الغاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي فاذا علمت ذلك فسبحوا الله اي زهوهم عما لا يليق به وصفوه بصفات الكمال وهذا أولى وقيل صلوا كما سيأتي (حين تمسون وحين تصبحون) اي في وقت الصباح والمساء وفي العشي وفي وقت الظهيرة وعلى ان المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس فقوله حين تمسون صلاة المغرب والعشاء وقوله حين تصبحون صلاة الفجر (وله الجدي السموات والارض) معترضة موقوفة للارشاد الى الحمد والايذان بمشروعية الجمع بينهما وبين التسبيح كما في قوله سبحانه فسبح بحمده وقوله ونحن نسبح بحمده وقيل معنى وله الحمد الاختصاص له بالصلاة التي يقرأ فيها الحمد والاول أولى (وعشيا) عطف على حين وفيه صلاة العصر والعشي من صلاة المغرب الى العتمة قاله الجوهري وقال قوم هو من زوال الشمس الى طلوع الفجر اي الحمد له يكون في السموات والارض (وحيث تطهرون) اي تصلون صلاة الظهر كذا قال الضحاك وسعيد ابن جبير وغيره ما قال الواحدى قال المفسرون ان معنى فسبحان الله فصلوا الله قال النحاس أهل التفسير على ان هذه الآية في الصلوات الخمس قال وسمعت محمد بن يزيد يقول حقيقة عنده فسبحوا الله في الصلوات لان التسبيح يكون في الصلاة وقال ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعنه قال جمعت هذه الآية مواقيت الصلاة

والجليلة الأولى يقول خلق الأولى ابن زيد ولقد أضل منكم جبلا كثيرا (قالوا انما أنت من المسحورين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية لربما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم يخبر تعالى عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به نوح لرسولها تشابهت قلوبهم حيث قالوا انما أنت من المسحورين يعني من المسحورين كما تقدم وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين أي متعمد الكذب فيما نقوله لأن الله أرسلك لنا فاسقط علينا كسفا من السماء قال الضحاك جانباً من السماء وقال قتادة قطعاً من السماء وقال السدى عذاباً من السماء وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر الله عنهم في قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً الى أن قالوا وتسقط

السماء كما زعمت علينا كسفا وتأتى بالله والملائكة قبيلاً وقوله واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من فسبحان عندك فأمطر علينا من السماء آية وهكذا قال هؤلاء الكفار الجاهلة فاسقط علينا كسفا من السماء الآية قال ربى أعلم بما تعملون يقول الله أعلم بكم فان كنتم تستخفون ذلك جازا كره وهو غير ظالم لكم وهكذا وقع بهم جزاء كما سألوا جزاء فاقولوا لهذا قال تعالى فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وهذا من جنس ما سأله من اسقاط الكسفا عليهم فان الله سبحانه وتعالى جعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم مدة سبعة أيام لا يكتمهم منه شيء ثم أقبلت اليهم سبحانه أظلمت فجعلوا ينطقون

اليها يستظلون بظلمها من الحرف لاجتمعوا كلهم تحتها أرسل الله تعالى عليهم منها شررا من نار ولهبها ووجعها عظيما ورجفت بهم الارض وجاءتهم صيحة عظيمة ازهقت أر واحهم ولهذا قال تعالى انه كان عذاب يوم عظيم وقد ذكر الله تعالى صفة اهلا كههم في ثلاثة مواطن كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق ففي الاعراف ذكر أنهم أخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جائعين وذلك لانهم قالوا انخرجناك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا ولتعبدون في مناسنا فأرجفوا نبي الله ومن اتبعه فاخذتهم الرجفة وفي سورة هود قال فاخذتهم الصيحة وذلك لانهم استهزؤا بنبي الله في قولهم (١٨٥) أصواتك تأمرك ان تترك ما يعبد آباؤنا

أو ان نفعل في أموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قالوا ذلك على سبيل التهكم والازراء فناسب ان يأتيهم صيحة تسكتهم فقال فاخذتهم لصيحة الآيه وههنا قالوا فأسقط علينا كفا من السماء الآيه على وجهه التعتت والعتاد فناسب ان يحقق عليهم ما استبعدوا وقوعه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم قال قتادة قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان الله سبط عليهم الحرس سبعة أيام حتى ما يظلمهم منه شئ ثم ان الله تعالى أنشأ لهم صحابة فانتقل اليها أحدهم فاستظل بها فاصاب تحتها بردا وراحة فأعلم بذلك قومهم فأنوها جميعا فاستظلوا تحتها فاجت عليهم نارا وهكذا روى عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقناة وغيرهم وقال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم بعث الله اليهم الظلة حتى اذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة وأحى عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلبي وقال محمد بن كعب القرظي ان أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب

فسبحان الله حين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر وقد وردت أحاديث صحاح في فضل التسبيح وثواب المسبح وأخرج أحمد وابن السني والطبراني وغيرهم عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ألا أخبركم لم سمى الله ابراهيم خليله الذي وفي لانه كان يقول كلما أصبح وأمسى سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد الآيه وفي اسناده ابن لهيعة وأخرج أبو داود والطبراني وابن السني وغيرهم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال حين يصبح سبحان الله الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاتته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاتته في ليلته واسناده ضعيف (يخرج الحى من الميت) كالانسان من النطنة والطير من البيضة والمؤمن من الكافر (ويخرج الميت من الحى) كالنطفة والبيضة من الانسان والطير والكافر من المؤمن وقد سبق بيان هذا في سورة آل عمران قيل ووجه تعلق هذه الآيه بالتي قبلها ان الانسان عند الصباح يخرج من شبه الموت وهو النوم الى شبه الوجود وهو اليقظة وعند العشاء يخرج من اليقظة الى النوم (ويجي الارض) بالنبات (بعد موتها) باليباس وهو شبهه باخراج الحى من الميت (وكذلك) الاخراج (تخرجون) من قبوركم قرئ على البناء له نعول والفاعل فأسنده الخروج اليهم كقوله يخرجون من الاجداث والمعنى ان الابداء والاعادة يتساويان في قدرة من هو قادر على اخراج الميت من الحى وعكسه (ومن آياته) الباهرة الدالة على البعث وذكر لفظ من آياته ست مرات تنتهي عند قوله اذا أنتم تخرجون ذكر فيها بدء خلق الانسان آية آية الى حين بعثه من القبور وختم هذه الآيه بقيام السموات والارض لكونه من العوارض اللازمة لان كلام من السماء والارض لا يخرج عن مكانه فيتعجب من وقوف الارض وعدم زولها ومن علو السماء وثباتها بغير عمد ثم أتبع ذلك بالنشأة الآخرة وهى الخروج من الارض وذكر من النفس أمرين خلقكم وخلق لكم من أنفسكم وذكر من الافاق السماء والارض وذكر من لوازم الانسان اختلاف الالسنة واختلاف اللون وذكر من عوارضه المنام والابتعا ومن عوارض الافاق البرق والمطر ومن لوازمهما قيام السماء وقيام الارض كذا في النهر فجعله ما يتعلق بالتنوع الانساني ستة أشياء اثنتان أصول واثنتان لوازم وستة متعلقة بالاقاق اثنتان أصول واثنتان لوازم

(٢٤ - فتح البيان سابع) أخذتهم الرجفة في دارهم حتى خرجوا منها فخرجوا منها أصابهم فزع شديد ففرقوا ان يدخلوا الى البيوت ففسق عليهم فإرسل الله عليهم الظلة فدخل تحتها رجل فقال ما رأيت كالذيوم ظلالا أطيب ولا أبرد من هذا هلموا أيها الناس فدخلوا جميعا تحت الظلة فصاح بهم صيحة واحدة فأتوا جميعا ثم تلا محمد بن كعب فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وقال محمد بن جرير حدثني الحرث حدثني الحسن حدثني سعيد بن زيد أخو جاد بن زيد حدثنا حماد بن أبي صفيحة حدثني يزيد الباهلي سألت ابن عباس عن هذه الآيه فاخذهم عذاب يوم الظلة الآيه قال بعث الله عليهم رجعة وحر اشديدا فاخذنا بنفاهم

نخرجوا من البيوت هرابا الى البرية فبعث الله عليهم محابة فآظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا واذة فنأدى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا اتحمتهم ارسلا الله عليهم نارا قال ابن عباس فذلك عذاب يوم النقلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم أي العزيز في انتقامه من الكافرين الرحيم بعباده المؤمنين (وانه لتنزىل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المندرين بلسان عربي مبين) يقول تعالى مخبرا عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وانه أي القرآن الذي (١٨٦) تقدم ذكره في أول السورة في قوله وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث

الآية لتنزىل رب العالمين أي انزله الله عليهم وأوحاه اليك نزل به الروح الامين وهو جبريل عليه السلام قاله غيره واحد من السلف ابن عباس ومحمد بن كعب وقتادة وعطية العوفى والسدى والضحال والزهرى وابن جرير وهذا مما لا نزاع فيه قال الزهرى وهذه كقوله قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وقال مجاهد من كلمه الروح الامين لا تأكله الارض على قلبك لتكون من المندرين أي نزل به ملك كريم ذو مكانة عند الله مطاع في الملا الاعلى على قلبك يا محمد سالما من الدنس والزيادة والنقص من المندرين أي التذر به بأس الله ونقمته على من خالفه وكذبه وتبشر به المؤمنين المتبعين له وقوله تعالى بلسان عربي مبين أي هذا القرآن الذي أنزلناه اليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ليكون بينا واضحا ظاهرا قاطعا للعدو مقيما للحجة دليلا الى الحجة قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا عبد الله بن ابي بكر العتكي حدثنا عبد بن عماد المهلبى عن

واثنان عوارض (أن خلقكم) أي خلق أبابكم آدم (من تراب) وخلقكم في ضمن خلقه لان الفرع مستمد من الاصل وما أخذ منه وقد مضى تفسير هذا في الانعام (ثم اذا أنتم بشر) الترتيب والمهملة هنا ظاهرا فانهم انما يصرون بشرا بعد أطوار كثيرة واذا هي الفجائية وان كانت أكثر مما تقع بعد الفاء لكنهم وقعت هنا بعد ثم بالنسبة الى ما يلىق بهذه الحالة الخاصة وهى أطوار الانسان كما حكاه الله في مواضع من كونه نطفة ثم علقته ثم مضغه ثم عظمه ما مكسوا الحما فاجأ البشرية والانتشار (تنتشرون) أي تنصرفون فيها وقوام معاشكم وتنسبطون في الارض (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم) أي من جنسكم في البشرية والانسانية (أزواجا) وقيل المراد حواء فانه خلقها من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال ونطف النساء (لتسكنوا) أي تألفوا وتميلوا (اليها) أي الى الأزواج الحسنين المختلفين لا يسكن أحدهما الى الآخر ولا يميل قلبه اليه (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي وداودا وترجا بسبب عصمة النكاح يعطف به بعضكم على بعض من غير أن يكون بينكم من قبل ذلك معرفة فضلا عن مودة ورحمة وقال مجاهد المودة الجماع والرحمة الولد وبه قال الحسن وابن عباس وقال السدى المودة المحبة والرحمة الشفقة وقيل المودة حب الرجل امرأته والرحمة رحمة اياها من أن يصيبها بسوء وقيل المودة للشابهة والرحمة للعجز ووقيل المودة والرحمة من الله والفرق من الشيطان أي بغض المرأة وزوجها وبغض الزوج المرأة (ان في ذلك) المذكور سابقا (آيات) عظيمة الشأن بدعوة البيان واضحة البرهان على قدرته سبحانه على البعث والنشور (لقومهم يتفكرون) ان قوام الدنيا بوجود التناسل لانهم الذين يقتدرون على الاستدلال ليكون التفكير مادة له يحصل عنه أولا ان الفكر يؤدي الى الوقوف على المعاني المطلوبة من التأني والتجسس بين الاشياء كالزوجين وأما الغافلون عن التفكير ففاهم الا لانعام (ومن آياته) الدالة على أمر البعث وما يتلوه من الجزاء (خلق السموات والارض) فان من خلق هذه الاجرام العظيمة بلا مادة مساعده لها وجعلها باقية مادامت هذه الدار وخلق فيهم امن بحائب الصنع وغرائب التكوين ما هو عبرة للمعتبرين قادر على ان يخلقكم بعد موتكم وينشركم من قبوركم وقدم السماء على الارض لان السماء كالدكر فنزل المطر من السماء على الارض كزول المنى من الذكر في المرأة لان

الارض

موسى بن محمد عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في يوم دجن

اذ قال لهم كيف ترون بواسطتها قالوا ما أحسنها وأشد تراكمها قال فكيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمسكها قال فكيف ترون جريها قالوا ما أحسنه وأشد سواده قال فكيف ترون رحاها استدارت قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال فكيف ترون برقعها وميض أم خفق أم يشق شقا فالوا بل يشق شقا قال الحياء الحياء ان شاء الله قال فقال رجل يا رسول الله بأبي وأمي ما أفصحت ما رأيت الذي هو أرب منك قال فقال حق لي وانما انزل القرآن باسنانى والله يقول بلسان عربي مبين وقال سفيان الثوري لم ينزل

وحى الابرار به ثم ترجم كل نبى لقومه واللسان يوم القيامة بالسر بايعة فن دخل الجنة تكلم العربية ثم رواه ابن ابي حاتم (وانه لى زبر
الاولين ولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل ولوزلناه على بعض الاعمىين فقرأ عليهم ما كانوا به مؤمنين) يقول تعالى
وانذ كرهذا القرآن والتسوية به لوجوده فى كتب الاولين الماثورة عن انبيائهم الذين بشروا به فى قديم الدهر وحديثه كما اخذ الله عليهم
الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خطيبا فى ملته بالبشارة بأحدواذ قال عيسى بن مريم بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصداق لما بين
يدى من التوراة ومبشر برسول يأتى من بعدى اسمه أحد والزر به هناهى (١٨٧) الكتب وهى جمع زبور وكذلك الزبور

وهو كتاب داود قال الله تعالى وكل
شئ فعلوه فى الزبر اى مكتوب عليهم
فى صحف الملائكة ثم قال تعالى
اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى
اسرائيل اى اوليس يكفهم من
الشاهد الصادق على ذلك ان العلماء
من بنى اسرائيل يجدون ذ كرهذا
القرآن فى كتبهم التى يدرسونها
والمراد العدل منهم الذين يعترفون
بما فى ايديهم من صفة محمد صلى الله
عليه وسلم وبمعنى وأمه كما اخبر
بذلك من آمن منهم كعبد الله بن
سلام واليمان الفارسى عن أدركه
منهم ومن شا كلهم قال الله تعالى
الذين يتبعون الرسول النبى الامى
الآية ثم قال تعالى مخبرا عن شدة
كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن
انه لو نزل على رجل من الاعاجم عن
لا يدري من العربية كلمة وأترل عليه
هذا الكتاب بيانه وفصاحته
لا يؤمنون به ولهذا قال ولوزلناه على
بعض الاعمىين فقرأ عليهم ما كانوا
به مؤمنين كما اخبر عنهم فى الآية
الآخري ولو فتحنا عليهم بابا من
السماء فظلوا فىه يفرحون لقالوا
انما سكرت ابصارنا والآية وقال

الارض تنبت وتحضر بالمطر (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم من عرب وعجم وترك
ودوم وغير ذلك بان علم كل صنف لغته أو ألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس النطق
وأشكاله فانك لاتكاد تسمع متكلمين متساوين فى الكيفية من كل وجهه (وألوانكم)
من البياض والسواد والحرة والصفرة والشقرة والزرقة والخضرة مع كونكم أولاد رجل
واحد وأم واحدة ويجمعكم نوع واحد وهو الانسانى وفصل واحد وهو الناطقية حتى
صرتهم تميزين فى ذات بينكم لا يلبس هذا بذابل فى كل فرد من افرادكم ما يميزه عن غيره
من الافراد حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما فى
التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لا محالة وان كانا فى غاية التشابه وفى هذا من بديع القدرة
ما لا يعقله الاعالمون ولا يفهمه الا المتفكرون ولو انشقت الاصوات والصور ونشأت
وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس وتعطلت مصالح كثيرة ولم يعرف العدو من
الصدىق ولا القريب من البعيد فبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وانما
نظم هذا فى سلك الآيات الآفامية من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات
الانفسية الحقيقية بالانتظام فى سلك ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للآيات
باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تمتات خلقهم (ان فى ذلك لايات) للدلالات على
قدرته تعالى (للعالمين) لعموم العلم فيهم قرئ بكسر اللام وبفتحها وهما سبعيتان
وقال الفراء للكسرة وجه جيد لانه قد قال لايات لقوم يعقلون لايات لاولى الاسباب
وما يعقلها الا العالمون (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله) قيل فى
الكلام تقديم وتأخير والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغواكم من فضله بالنهار وقيل
المعنى صحيح من دون تقديم وتأخير اى ومن آياته العظيمة انكم تنامون بالليل وتنامون
بالنهار فى بعض الاحوال للاستراحة كوقت القيلولة والنوم بالنهار عما كانت العرب تعده
نعمة من الله ولا سيما فى البلاد الحارة وابتغواكم من فضله فيهما فان كل واحد منهما ما يتبع
فيه ذلك وان كان ابتغاء الفضل فى النهار أكثر والاول هو المناسب لسائر الآيات الواردة
فى هذا المعنى والاخر هو المناسب للنظم القرآنى ههنا ووجه ذكر النوم والابتغاء ههنا
وجعله ما من جملة الأدلة على البعث ان النوم شبيه بالموت والتصرف فى الحاجات
والسعى فى المكاسب شبيه بالحياة بعد الموت (ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون) الآيات

تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلهم الموتى والآية وقال تعالى ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية (كذلك سلكاه فى
قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الالىم فبايتهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل انتم منظرئون أفبعذنا بناس يستعجلون
أفرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يعتمعون وما أولئك من قرية الالهام منذ ذكروا
وما كنا ظالمين) يقول تعالى كذلك سلكا التكذيب والكفر والجور والعناد اى أدخلناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به اى بالحق حتى
يروا العذاب الالىم اى حيث لا ينفذ الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار فبايتهم بغتة اى عذاب الله بغتة وهم لا يشعرون

فيقولوا هل نحن منظرين أي تخمون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلا ليعملوا في زعمهم بطاعة الله كما قال الله تعالى وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب إلى قوله ما لكم من زوال فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد عقوبته ندما شديد هذا فرعون لما دعا عليه الكلم بقوله ربنا انك آتيت فرعون وملائه مزيه وأموال في الحياة الدنيا إلى قوله قال قد أجبت دعوة كفا فأتت هذه الدعوة في فرعون فأمن حتى رأى العذاب الأليم حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل إلى قوله وكذت من المفسدين وقال تعالى فإسأروا بأبنا قالوا آمنا (١٨٨) بالله وحده الآيات وقوله تعالى أفبعذابنا يستعجبون انكارا عليهم وتهديد لهم

فأنهم كانوا يقولون للرسول تكديبا واستبعادا انتبا عذاب الله كما قال تعالى ويستعجبونك بالعذاب الآيات ثم قال أفرايت ان متعتهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون أي لو أنخرناهم وأنظرناهم وأملنا لهم برهة من الدهر وحينما من الزمان وان طال ثم جاءهم أمر الله أي شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم كأنهم يوم يرونهم يلبنوا لا عيشة أو سحباها وقال تعالى يودأ حدتهم ليعمر ألف سنة وما هو بجزخزخه من العذاب أن يعمر وقال تعالى وما يغني عنه ماله إذا تردى ولهذا قال تعالى ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون وفي الحديث الصحيح يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت خيرا قط هل رأيت نعيما قط فيقول لا والله يارب ويؤتى بأشد الناس بؤسا كان في الدنيا فيصبع في الجنة صبغة ثم يقال له هل رأيت بؤسا قط فيقول لا والله يارب أي ما كان شيئا كان ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتمثل بهذا البيت

والمواعظ سماع متفكر متدبرا آذان واعية فيستدلون بذلك على البعث (ومن آياته يريكم البرق) المعنى ان يريكم منه المثل المشهور تسبع بالمعدي خير من أن تراه وقيل ويرىكم البرق من آياته وقيل من آياته آية يريكم بها وفيها البرق وقيل التقدير من آياته سبحانه يريكم البرق (خوفا وطعما) بن آياته قال قتادة خوفا للمساقر وطعما للمقيم وقال الضحاك خوفا من الصواعق وطعما في الغيث وقال يحيى بن سلام خوفا أن يكون البرق برقا خلبا لا يطر وطعما أن يكون مطرا (وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها) بالعباس بأن تنبت (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) فان من ان نصيب من العقل يعلم ان ذلك آية يستدل بها على القدرة الباهرة كيف والعقل ملاك الامر وهو المؤدى إلى العلم فيما ذكر وغيره وانما قال هنا يعقلون وفيما تقدم يتفكرون لانهما كان حدوث الولد من الوالد أمر اعاد ما طرد اقليل الاختلاف كان يتطرق إلى الاوهام القاصرة ان ذلك بالطبيعة لان المطرد أقرب إلى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس أمر امطر داغ غير مختلف بل يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وتارة يكون قويا وتارة يكون ضعيفا فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو آية لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما قاله الكرخي (ومن آياته ان تقوم السماء والأرض) هذا شروع في بيان بقائهما وثباتهما بعد بيان ايجادهما في قوله ومن آياته خلق السموات والأرض وأظهر كلمة ان هذا الذي هي علم الاستقبال لان القيام هنا بمعنى البناء لا الاجاد وهو مستقبل باعتبار اواخره وما بعد نزول هذه الآيات (بأمره) أي قيامهما واستمسكهما بارادته سبحانه وقدرته بلا عديعهما ولا مستقر يستقران عليه قال الفراء يقول ان تدوما فائتمين بأمره وانما ذكر قوله ان في ذلك لآيات في أربع مواضع ولم يذكره في الاول وهو قوله ومن آياته أن خلقكم من تراب ولا في الاخرة وهي هذا لان في الاول خلق الانسان وخلق الأزواج بن باب واحد وهو الاجاد فاكثفي فيما بدأ ذكره مرة واحدة وأمّا قيام السموات والأرض الذي هو الاخير فلان في الآيات السماوية ذكرتها آيات للعالمين ولقوم يستمعون ولقوم يعقلون لظهورها فلما كان في أول الامر ظاهرا في آخر الامر بعد سرد الدلائل يكون أظهر فلم يزا حداعن أحد دون كرها هو مدلوله وهو قدرته على الاعادة قاله الرازي

كانت تؤثر من الدهر ليهما اذا أنت أدركت الذي أنت تطلب ثم قال تعالى مخبر عن عدله في خلقه انه ما اهلك أمة من الامم (ثم) الابدع الاعذار اليهم والانداز لهم وبعثة الرسل اليهم وقيام الحجج عليهم ولهذا قال تعالى وما اهلكنا من قرية الا الهامندرون ذكري وما كنا ظالمين كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امهار رسولا ليعلمهم آياتنا إلى قوله وأهلكنا المومنين (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لم عزولون) يقول تعالى مخبر عن كتابه العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد انه نزل به الروح الامين المؤمن من الله وما تنزلت به

الشياطين ثم ذكر أنه يتنوع عليهم ذلك من ثلاثة أوجه أحدها أنه ما ينبغي لهم أي ليس هو من نبيهم ولا من طلبتهم لأن من سجاياهم الفساد واضلال العباد وهذا فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونور وهدي وبرهان عظيم فيمنه وبين الشياطين منافاة عظيمة ولهذا قال تعالى وما ينبغي لهم وقوله تعالى وما يستطيعون أي ولولا نبي لهم لما استطاعوا ذلك قال الله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله ونادى به لما وصلوا إلى ذلك لانهم عمز عن استماع القرآن حال نزوله لان السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا في مدة (١٨٩) انزال القرآن على رسول الله فلم يخلص أحد

من الشياطين الى استماع حرف واحد منه لتلايته الشياطين من راحة الله بعباده وحفظه لشعره وتأييده لكتابه ورسوله ولهذا قال تعالى انهم عن السمع لعزولون كما قال تعالى لمحبرا عن الجن وانما نسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانما تكلمت فعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الا أن يجده شهابا يرسد الى قوله أم أرادهم برهم رشدا (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعدنين وأنذر عشيرتک الاقربين وانخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقتل اني برى عما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي بالرحمن تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم) يقول تعالى امر اعبادته وحده لا شريك له ومحبرا أن من أشرك به عذبه ثم قال تعالى امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يذرع شيرته الاقربين أي الا الذين اليه وانه لا يخلص أحدا منهم الايمان بربه عز وجل وأمره ان يبلن جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين ومن عصاه من خلق الله كما شامان كان

(ثم أي بعد موتكم ومصيركم في القبور (اذا دعاكم دعوة واحدة (من الارض) التي أنتم فيها كما يقال دعوتهم من أسفل الوادي فطلع الى وقيل أي خرجتم من الارض ولا يجوز أن يتعلق بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وهذه الدعوة هي نعمة اسرافيل الآخرة في الصور على ما تقدم بيانه (اذا أنتم تخرجون) أي فاجأتم الخروج منها بسرعة من غير تلبث ولا توقف كما يجب المدعو المطيع دعوة الداعي المطاع واذا النجاسة تقوم مقام النساء في جواب الشرط وقال هنا اذا أنتم وقال في خلق الانسان ثم اذا أنتم بشر تنتشرون لان هناك يكون خاق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلا للحياة فتفزع فيه الروح فاذا هو بشر وأما في الاعادة فلا يكون تدريج بل يكون بدء وخروج فلم يقل هنا ثم ذكره الكرخي وقد أجمع القراء على فتح التاء في تخرجون هنا وانما قرئ بضمها في الاعراف (وله من في السموات والارض) من جميع المخلوقات ما كوا وتصرفا وخالقا ليس لغيره في ذلك شيء (كل له قاتون) أي مطيعون طاعة انقياد قاله الخساس وقيل مقرون بالعبودية اما بالمقتال واما بالدلالة فله عكرمة وأبو مالك والسدى وقيل مصلون وقيل قاتون يوم القيامة كقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين أي للحساب قاله الربيع ابن أنس وقيل بالشهادة انهم عباد له الحسن وقيل مطيعون لان فعله لا يتنوع عليه شيء يريد فعله بهم من حياة وموت ومرض وصحة فهي طاعة الارادة لا طاعة العبادة وقيل محاضون قاله سعيد بن جبير وقال ابن عباس مطيعون في الحياة والنشور والموت وهم له عاصون فيما سوى ذلك من العبادة (وهو الذي بدأ الخلق) للناس (ثم يعيده) بعد الموت فيحييه الحياة الدائمة (وهو) أي البعث والاعادة نظرا الى المعنى دون اللفظ وهو رجعه أو رده وتذكيره باعتبار الخبر (أهون عليه) أي هين لا يستصعبه أو أهون عليه بالنسبة الى قدرته وعلى ما يقوله بعضكم لبعض والافلاشي في قدرته بعضه أهون من بعض بل كل الاشياء مستوية بوجودها بقوله كن فيكون قال أبو عبيد بن جعفر أهون عبارة عن تفصيل شيء على شيء فقولوه مردود بقوله وكان ذلك على الله يسيرا وقوله ولا يؤده حفظهما والعرب تحمل أفعل على فاعل كثيرا كما في قول الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا * بنا دعا عه أعز وأطول
أي عزيرة طويلة وأنشأ جد بن يحيى ثعلب على ذلك

فلم يبرأ منه ولهذا قال تعالى فان عصوك فقتل اني برى مما تعملون وهذه النذارة الخاصة لا تنافي العامة بل هي فرد من أجزائها كما قال تعالى لتندردن قوما ما اندرا باؤهم فهم غافلون وقال تعالى لتندردن انقرى ومن حولها وقال تعالى وأنذره الذين يخافون أن يحشروا الحريم وقال تعالى لتبشره الممتنعين وتندربه قوما لا تذكروا وقال تعالى لا تذكروا من بلغ كما قال تعالى ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وفي صحيح مسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بحد من هذه الامة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى الا دخل النار وقد وردت احاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة فلنذكرها الحديث الاول قال الامام احمد رحمه الله حدثنا عبد الله بن غير عن الاعمش

عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال لما أنزل الله عز وجل وأنذر عشيرتكم الاقربين أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصد عليه ثم نادى يا صباحاه فاجتمع الناس اليه بين رجل يبحي اليه وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب يا بني فهر رأيتهم لو أخبرتكم ان خيلا يفتح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم صدقوني قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالسا نرا اليوم أماد عوتنا الا لهذا واذ انزل الله تبث يداي لهب وتب ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الاعمش به (١٩٠) الحديث الثاني قال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا هشام عن أبيه

عن عائشة قالت لما نزلت وأنذر عشيرتكم الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا فاطمة ابنة محمد يا صفيية ابنة عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا املاك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم انفقوا باخراجه مسلم الحديث الثالث قال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثنا عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية وأنذر عشيرتكم الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فعم وخص فقال يا معشر قريش انفقوا وانفسكم من النار يا معشر بني كعب انفقوا وانفسكم من النار يا معشر بني هاشم انفقوا وانفسكم من النار يا معشر بني عبد المطلب انفقوا وانفسكم من النار يا فاطمة بنت محمد انفقوا وانفسكم من النار فاني والله لا املاك لكم من الله شيئا الا ان لكم رجاسا بلها يسلها ورواه مسلم والترمذي من حديث عبد الملك بن عمير به وقال الترمذي غريب من هذا الوجه ورواه النسائي من حديث موسى بن طلحة مرسل

تقى رجال ان أموت وان أمت * فلك سبيل لست فيها بأوحد
 أي بواحد وكقولهم الله كبر أي كبير وهي رواية العوفي عن ابن عباس وقرأ ابن مسعود وهو عليه هين وقال مجاهد وعكرمة والضحاك ان الاعادة أهون على الله من البداية أي أيسر وان كان جميعه هينا وقيل المراد ان الاعادة فيما بين الخلق أهون من البداية وقيل الضمير في عليه للخلق أي والعود أهون على الخلق أي اسرع واقصر عليه وأيسر وأقل اتقلا من طور الى طور لانه يصاح بهم صحيحة واحدة فيقومون ويقال لهم كونوا فيكونون فذلك أهون عليهم من ان يكونوا ناطقة ثم علقه ثم مضغته الى آخر النشأة وقال ابن عباس الاعادة أهون على الخلق لانه يقول له يوم القيامة كن فيكون وابتداء الخلق من نطفة ثم من علقه ثم من مضغته (وله المثل الاعلى) أي الوصف الاعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال والجلال والجمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها وقال الخليل المثل الصفة أي وله الوصف الاعلى قول لاله الا الله أي الودانية وية قال قتادة وقال الزجاج وله المثل الاعلى (في السموات والارض) مرتبط بما قبله وهو قوله وهو أهون عليه قد ضرب لكم مثلا فيما يصعب ويسهل وقيل مرتبط بما بعده من قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقيل المثل الاعلى هو انه ليس كمثل شيء قاله ابن عباس وقيل هو ان ما اراده كان بقول كن والمعنى انه سبحانه عرف بالمثل الاعلى ووصف به في السموات والارض أي في هاتين الجهتين وقيل غير ذلك (وهو العزيز) في ملكه القادر الذي لا يغالب (الحكيم) في افعاله واقواله (ضرب لكم) أي المشركون (مثلا) قد تقدم تحقيق معنى المثل (من انفسكم) من لابتداء الغاية أي مثلا متمتزا كائنا وما خوذ من انفسكم فانها أقرب شيء منكم وأبين من غيرها عندكم فاذا ضرب لكم المثل به في بطلان الشرك كان أظهر دلالة واعظم وضوحا من المثل المذكور فقال (هل لكم مما ملكت أيمانكم) من التبعية أي من مملوككم وفي قوله (من شركاء) زائدة لئلا كيد والمعنى هل لكم شركاء (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها كائون من النوع الذي ملكت أيمانكم وهم العبيد والاماء والاستفهام للانكار قال ابن عباس في الآية كان يلي أهل الشرك ليسك لا لشريك لك الا شريك هولاك تملكه ومالك أنزل الله هذه الآية (فانتم) وهم (فيه سواء) أي مستوون في التصرف فيه على عادة الشركاء

وهذا ولم يذكر فيه أباه هريرة والموصول هو الصحيح وأخرجه في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة وقال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن اسحق عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اشترى انفسكم من الله يا صفيية بعتمة رسول الله ويا فاطمة بنت رسول الله اشترى انفسكم من الله فاني لا اغني عنكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم انفقوا من هذا الوجه وقد ربه أيضا عن معاوية بن زائدة عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ورواه أيضا عن حسن بن

لهيعة عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يابى قصى يابى هاشم يابى عبدمناف أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد الحديث الرابع قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد التيمي عن أبي عثمان عن قبيصة بن مخارق وزهير بن عمرو قال لما نزلت وأندرسيرت الاقر بين صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم رضمة من جبل على أعلاها جرجعل ينادى يابى عبدمناف انما أنا نذير انما منى الى ومنلكم كرجل رأى العدو فذهب يربأ أهل رجا ^{بين} يسبقوه فجعل (١٩١)

وهذا جواب للاستفهام الذى يعنى النفي ومحقق لنفى الشركة بينهم وبين العبيد والاماء المملوكين لهم فى أموالهم والمعنى هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم واماءكم أمثالكم فى البشرية أن يساووكم فى التصرف بما رزقناكم من الاموال ويشاركوكم فيها من غير فرق بينكم وبينهم (تخافونهم) خيفة (كخيفتكم أنفسكم) أى كما تخافون الاحرار المشابهين لكم فى الحرية ومالك الاموال وجواز التصرف والمراد نفي الاشياء الثلاثة الشركة بينهم وبين المملوكين والاستواء معهم وخوفهم اياهم وليس المراد ثبوت الشركة ونفي الاستواء والخوف كما قبل فى قولهم ما تأتينا فتحدثنا والمراد اقامة الحججة على المشركين فانهم لا بد أن يقولوا انترضى بذلك فيقال لهم فكيف ترضون أنفسكم عن مشاركة المملوكين لكم وهم أمثالكم فى البشرية وتجعلون عبيد الله شركاءه فاذا انطقت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه والحق كلهم عبيد الله تعالى لم يبق الا انه لرب وحده لا شريك له ترى أنفسكم بالنصب على انه معمول المصدر المضاف الى فاعله وبالرفع على اضافة المصدر الى مفعوله (كذلك نفضل الآيات) تفضيلا واضحا وبيانا جليا لان التتميل مما يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) لانهم الذين ينتفعون بالآيات التزلية والتكويفية باستعمال عقولهم فى تدبرها والتفكير فيها ثم أضرب سبحانه عن مخاطبة المشركين وارشادهم الى الحق بما ضرب لهم من المثل فقال (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك وفيه الاضراب مع الالتفات وأقيم الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليهم بوصف الظلم (أهواءهم بغير علم) أى لم يعقلوا الآيات بل اتبعوا أهواءهم الزائفة وآراءهم الفاسدة الزائفة والمعنى جاغرين بأنهم على ضلالة (فن يهدى من أضل الله) أى لأحد يقدر على هدايته لان الرشاد والهداية بتقدير الله وادائه (ومالهم) أى مال هؤلاء الذين أضلهم الله والجمع باعتبار معنى من (من ناصرين) ينصرونهم ويحولون بينهم وبين عذاب الله سبحانه ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتوحيده وعبادته كما أمره فقال (فأقم وجهك للدين حنيفا) شبه الاقبال على الدين بتقويم وجهه اليه واقباله عليه أى ما تلا اليه مستقيما عليه غير ملتفت الى غيره من الاديان الباطلة فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه (فطرت الله التى فطر الناس عليها) الفطرة فى الاصل الخلقة والمراد بها هنا الملة وهى الاسلام والتوحيد قال

وهذا جواب للاستفهام الذى يعنى النفي ومحقق لنفى الشركة بينهم وبين العبيد والاماء المملوكين لهم فى أموالهم والمعنى هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم واماءكم أمثالكم فى البشرية أن يساووكم فى التصرف بما رزقناكم من الاموال ويشاركوكم فيها من غير فرق بينكم وبينهم (تخافونهم) خيفة (كخيفتكم أنفسكم) أى كما تخافون الاحرار المشابهين لكم فى الحرية ومالك الاموال وجواز التصرف والمراد نفي الاشياء الثلاثة الشركة بينهم وبين المملوكين والاستواء معهم وخوفهم اياهم وليس المراد ثبوت الشركة ونفي الاستواء والخوف كما قبل فى قولهم ما تأتينا فتحدثنا والمراد اقامة الحججة على المشركين فانهم لا بد أن يقولوا انترضى بذلك فيقال لهم فكيف ترضون أنفسكم عن مشاركة المملوكين لكم وهم أمثالكم فى البشرية وتجعلون عبيد الله شركاءه فاذا انطقت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه والحق كلهم عبيد الله تعالى لم يبق الا انه لرب وحده لا شريك له ترى أنفسكم بالنصب على انه معمول المصدر المضاف الى فاعله وبالرفع على اضافة المصدر الى مفعوله (كذلك نفضل الآيات) تفضيلا واضحا وبيانا جليا لان التتميل مما يكشف المعانى ويوضحها (لقوم يعقلون) لانهم الذين ينتفعون بالآيات التزلية والتكويفية باستعمال عقولهم فى تدبرها والتفكير فيها ثم أضرب سبحانه عن مخاطبة المشركين وارشادهم الى الحق بما ضرب لهم من المثل فقال (بل اتبع الذين ظلموا) بالاشراك وفيه الاضراب مع الالتفات وأقيم الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليهم بوصف الظلم (أهواءهم بغير علم) أى لم يعقلوا الآيات بل اتبعوا أهواءهم الزائفة وآراءهم الفاسدة الزائفة والمعنى جاغرين بأنهم على ضلالة (فن يهدى من أضل الله) أى لأحد يقدر على هدايته لان الرشاد والهداية بتقدير الله وادائه (ومالهم) أى مال هؤلاء الذين أضلهم الله والجمع باعتبار معنى من (من ناصرين) ينصرونهم ويحولون بينهم وبين عذاب الله سبحانه ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتوحيده وعبادته كما أمره فقال (فأقم وجهك للدين حنيفا) شبه الاقبال على الدين بتقويم وجهه اليه واقباله عليه أى ما تلا اليه مستقيما عليه غير ملتفت الى غيره من الاديان الباطلة فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه (فطرت الله التى فطر الناس عليها) الفطرة فى الاصل الخلقة والمراد بها هنا الملة وهى الاسلام والتوحيد قال

قالوا حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو كانه لم يمس ثم دعا بغير فشر بوأ حتى رووا وبقى الشراب كانه لم يمس أول يشرب وقال يابى عبد المطلب انى بعثت اليكم خاصة والى الناس عامة وقد رأيتهم من هذه الآية مارأيتهم فايكم بيباعنى على أن يكون أخى وصاحبى قال فلم يقم اليه احد قال فقامت اليه وكنت أصغر القوم قال فقال اجلس ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم اليه فيقول لى اجلس حتى كان فى الثالثة ضرب يده على يدي طريق أخرى أعرب وأبسط من هذا السياق بزادات أخر قال الحافظ أبو بكر البيهقى فى دلائل النبوة أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن

أحرق قال حدثني من سمع عبد الله بن الحرث بن نوفل واستكنني اسمه عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأندرعشيرة الأقرين واخذض جناحك من أنبعك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت اني ان بادرت بها قومي رأيت منهم ما أكره فصمت فجاءني جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان لم تفعل ما أمرت به عذبتك ربك قال علي رضي الله عنه فدعاني فقال يا علي ان الله تعالى قد أمرني ان أندرعشيرة الأقرين ففعلت اني ان بادرتهم بذلك رأيت منهم ما أكره فصمت (١٩٢) عن ذلك ثم جاءني جبريل فقال يا محمد ان لم تفعل ما أمرت به عذبتك ربك

فاصنع لنا يا علي شاة على صاع من طعام واعذ لنا عس لبن ثم اجعل لي بني عبد المطلب ففعلت فاجتمعوا اليه وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو يتقصون رجلا فيهم أم عاصم أبو طالب وحزة والعباس وأبو الهب الكافر الخبيث فقدمت اليهم تلك الخفنة فأخذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة فشقها باسنانه ثم رمى بها في نواحيها وقال كلوا باسم الله فاكل القوم حتى ثم لواء عنه ما يرى الا آثار أصابعهم والله ان كان الرجل منهم ليأكل مثلها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقهم يا علي فبئت بذلك القعب فشربوهم منه حتى ثم لواء جميعا وAIM الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو الهب الى الكلام فقال لهذا سحر كرم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني الى ما سمعت قبل ان اكلم القوم

الواحدى - ذاقول المفسرين في الفطرة وقيل المراد بها قابلية الدين والتمسوله وترسم النظر بالقاء المجردة وليس في القرآن غيرها والمراد بالناس هذا الدين فطرحهم الله على الاسلام لان المشرك لم ينظر على الاسلام وهذا الخطاب وان كان خاصا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمته داخله معه فيه قال القرطبي باتفاق من أهل التأويل والاولى حل الناس على العموم من غير فرق بين مسلمهم وكافرهم وانهم جميعا مفضون على ذلك لولا عوارض تعرض لهم فيسبون بسببها على الكفر كما في حديث أبي هريرة الثابت في الصحيح قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الملة ولكن أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة واقرؤا ان شئتم فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي رواية حتى تكونوا انتم تجدعونها أخرج أحمد والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم عن اسود بن سريح ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية الى خيبر فقاتلوا المشركين فانتهى القتل الى الذرية فلما جاؤا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما حملكم على قتل الذرية قالوا يا رسول الله انما كانوا اولاد المشركين قال وهل خياركم الا اولاد المشركين والذي نفسي بيده ما من نسمة تولد الا على النظر حتى يعرب عنها لسانها وأخرج أحمد من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاذا عبر عنه لسانه اما سحرا واما كفورا وروى الامام أحمد في المسند عن عياض بن جناد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب يوما فقال في خطبته ما يكاف عن الله سبحانه وانى خلقت عبداي حنفاء كلهم وانهم اتهم الشياطين فأضلتهن عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم الحديث وهذا معارض الحديث أبي هريرة المتقدم فكل فرد من أفراد الناس منطورا أى مخلوق على ملة الاسلام ولكن لا اعتبار بالايان والاسلام الفطريين وانما يعتبر بالايان والاسلام الشرعيان وهذا قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم وقول جماعة من المفسرين وهو الحق والقول بان المراد بالفطرة هنا الاسلام هو مذهب جمهور السلف وقال آخرون هي البداية التي ابتدأهم عليها فانها ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاوة والفاطر في كلام العرب هو المبتدئ وهذا صريح من القائلين به الى معنى الفطرة

ففعلت ثم جعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالامس فاكوا حتى ثم لواء عنه وAIM الله ان كان الرجل منهم ليأكل مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقهم يا علي فبئت بذلك القعب فشربوهم منه حتى ثم لواء جميعا وAIM الله ان كان الرجل منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره أبو الهب بالكلام فقال لهذا سحر كرم صاحبكم فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي عد لنا بمثل الذي كنت صنعت لنا بالامس من الطعام والشراب فان هذا الرجل قد بدرني الى ما سمعت قبل ان اكلم القوم ففعلت ثم جعتهم له فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم

كما صنع بالامس فاكلوا حتى نهوا ثم سقيتهم من ذلك القعب حتى نهوا عنه واما الله ان كان الرجل منهم لياكل مثلها او يشرب مثلها
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني عبد المطلب اني والله ما اعم شابا من العرب جاء قومك بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير
بامر الدنيا والآخرة قال أحمد بن عبد الجبار بلغني ان ابن اسحق انما سمعه من عبد الغفار بن القاسم بن أبي مرير عن المنهال بن عمرو
ابن عبد الله بن الحرث وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق عن عبد الغفار بن القاسم بن أبي مرير عن
المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب (١٩٣) فذكر مثله وزاد بقوله اني جئتكم بخير

الدنيا والآخرة وقد أمرني الله ان
أدعوكم اليه فايكم يوازي على هذا
الامر على ان يكون أخي وكذا وكذا
قال فاجم القوم عنها جميعا وقلت
واني لا أحدثهم سنا وأرخصهم عينا
وأعظمهم بطنا وأخشعهم ساقا
أنا نبي الله أكون وزيرك عليه
فأخذ برقبتي ثم قال ان هذا أخي
وكذا وكذا فافهموه وأطيعوا ثم
قام القوم يضحكون ويقولون لاني
طالب قد أمرت ان نسمع لابنك
وتطيع تفرد بهذا السياق عبد
الغفار بن القاسم بن أبي مرير وهو
متروك كذاب شيعي أتهمه علي بن
المديني وغيره بوضع الحديث
ضعفه الأئمة رجههم الله طريق
أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي
أخبرنا الحسين بن عيسى بن
ميسرة الحارثي حدثنا عبد الله بن
عبد القدوس عن الأعمش عن
المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحرث
قال قال علي رضي الله عنه لما نزلت
هذه الآية وأندر عشيرتك
الاقربين قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصنع لي رجل شاة بصاع
من طعام وانا لبنا قال ففعلت ثم

لغة واهمال معناها شرعا والمعنى الشرعي مقدم على المعنى اللغوي باتفاق أهل الشرع ولا
ينافي ذلك ورود الفطرة في الكتاب أو السنة في بعض المواضع مرادها اللغوي كقوله
تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض أي خالقهما ومبتدئهما وكقوله وما لي لأعبد الذي
فطرني اذ لا نزاع في ان المعنى اللغوي هو هذا ولكن النزاع في المعنى الشرعي للفطرة وهو
ما ذكره الاولون كما بيناه وانتصاب فطرة على انها مصدر مؤكدة للبعثه التي قبلها وقال
الزجاج منصوب بمعنى اتبع فطرة الله قال لان معنى فاقم وجهك للدين اتبع الذين اتبع
فطرة الله وقال ابن جرير هي مصدر من معنى فاقم وجهك لان معنى ذلك فطرة الله الناس
على الدين وقيل هي منصوبة على الاغراء اي الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله ورد هذا
الوجه أبو حيان وقال ان كلمة الاغراء لاتضم اذ هي عوض عن الفعل فلو حذفها لزم حذف
العوض والمعوض عنه وهو الحجاب وأجيب بان هذا رأى البصريين واما الكسائي
وأئباعه فيميزون ذلك (لاتبدل لخلق الله) أي لما جعلكم وطبعكم عليه من قبول الحق
وهذا لتعليل لما قبله من الامر بلزم الفطرة أي هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها
لاتبدل لها من جهة الخالق سبحانه أو لتعليل لوجوب الامتثال له أي لاصحة ولا استقامة
لتبديله بالاخلاق بوجبه وعدم ترتيبه فقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة
الشياطين وقيل لا يقدر أحد أن يغيره فلا بد حينئذ من حل التبديل على تبديل نفس
الفطرة بازالتها رأسا ووضع فطرة أخرى مكانها غير صحيحة لقبول الحق والتمسك من
ادراك ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعاً لتعليل حينئذ من جهة
ان سلامة الفطرة متحققه في كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم
الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذكره أبو السعود وقيل هو نفي
معناه النهي أي لاتبدلوا خلق الله قال مجاهد و ابراهيم النخعي معناه لاتبدل لدين الله قال
قتادة وابن جبير والضحاك وابن زيد هذا في المعتقدات وقال عكرمة ان المعنى لاتغير
لخلق الله في الهائم بان تخصي خولها وقيل لاتبدلوا التوحيد بالشرك والسنة بالبدعة
وقيل لاتبدل لما جعل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا
الشقي سعيدا (ذلك) الدين المأمور باقامه الوجه له هو (الدين القيم) أو لزوم الفطرة هو
الدين القيم أي المستقيم وقال ابن عباس الدين القضاء (ولكن أكثر الناس) أي كفار مكة

(٢٥ - فتح البيان سابع) قال لي ادع بني هاشم قال فدعوتهم وانهم يومئذ أربعون غير رجل أو أربعون ورجل قال وفيهم عشرة
كلهم يأكل الجذعة بادامها قال فلما أتوا بالقصة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذروتها ثم قال كوا فأكوا حتى شبعوا
وهي على هيئة لم يزد وامننا الا اليسير قال ثم أتته بالاناء فشر بواحتي روي قال وفضل فضل فلما فرغوا أراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يتكلم فبدره الكلام فقال ما رأينا كال يوم في الصحراء فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لي اصنع رجل
شاة بصاع من طعام فصنعت قال فجمعتهم فلما أكوا وشر بوايدزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام فقال أبكم يقضى عنى

دين ويكون خلفتي في أهلي قال فسكروا وسكت العباس خشية ان يحبط ذلك بحاله قال وسكت الناس العباس ثم قالها مرة أخرى فسكت العباس فلما رأيت أنا ذلك قلت أبا رسول الله قال واني يومئذ لاسوأهم هيئة واني لاعمش العينين يخم البطن خمس الساقين فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن علي رضي الله عنه ومعنى سؤاله صلى الله عليه وسلم لاعماسه وأولادهم ان يقضوا عنه دينه ويخلفوه في أهله يعني ان قتل في سبيل الله كأنه خشى اذا قام بعباده الانذار ان يقتل فلما أنزل الله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فعند ذلك آمن وكان أولها يجرس حتى

نزات هذه الآية والله يعصمك من الناس ولم يكن أحد في بني هاشم اذ ذلك أشداً يماناً وابقاناً وتصديقاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم من علي رضي الله عنه ولهذا بدبرهم الى التزام ما طلب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد هذا والله أعلم دعاؤه الناس جهرة على الصفا واندازه لبطون قريش عوماً وخصوصاً حتى سمي من سمي من أعمامه وعماته وبناته لئلا يبالوا في علي الاعلى أي انما أنا نذير والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة عبد الواحد الدمشقي من طريق عمرو بن سمرة عن محمد ابن سوقة عن عبد الواحد الدمشقي قال رأيت أبا الرداءة رضي الله عنه يحدث الناس وينتبههم وولده الى جنبه وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدون فقبله ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين فقال لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنزل الناس في الدنيا الانبياء وأشدهم عليهم الاقربون وذلك فيما أنزل الله عز

(لا يعلمون) ذلك حتى يفعلوه ويعملوا به (منيين) أي راجعين (اليه) بالتوبة والاخلاص ومطيعين له في أوامره ونواهيه قال الجوهرى أناب الى أي أقبل وناب قال الثراء فاقم وجهك ومن معك منيين وكذا قال الزجاج وقال تقديره فاقم وجهك وأمنك للحال من الجميع وقيل كونوا منيين اليه دلالة ولا تكونوا من المشركين على ذلك ثم أمرهم سبحانه بالتقوى بعد أمرهم بالانابة فقال (واتقوه) أي خافوا باجتناب معاصيه (واقموا الصلاة) التي أمرتم بها (ولا تكونوا من المشركين) بالله أي ممن يشركه بغيره في العبادة وقوله (من الذين فرقوا دينهم) باختلافهم فيما يعبدونه وهو يدل مما قبله باعادة الجار (وكانوا شيعاً) الشيع الفرق أي لا تكونوا من الذين تفرقوا في الدين يشايح بعضهم بعضاً من أهل البدع والاهواء وقيل المراد بهم اليهود والنصارى وقري فارقوا دينهم أي الذي يجب اتباعه وهو التوحيد وهي سبعة وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة الانعام (كل حزب) أي كل فريق منهم (بما لديهم) من الدين المبني على غير الصواب (فرحون) أي مسرورون مبتهجون يظنون انهم على الحق وليس بايديهم منه شيء والجملة اعتراض مقرر لما قبله من تفرقهم دينهم وكونهم شيعاً (واذ انس الناس) أي كذا رمكة وغيرهم (ضر) أي تخطو وشدة أوهزال أو مرض (دعوا ربهم) أن يرفع ذلك عنهم واستعانوا به (منيين) أي راجعين ملتجئين (اليه) لا يعلمون على غيره وقيل مقبلين عليه بكل قلوبهم (ثم اذا اذاهم منه رحمة) باجابة دعائهم ورفع تلك الشدائد عنهم (اذ فرق بينهم برهم يشركون) اذا هي الفجائية وقعت جواباً للشرط كأنها كالتاء في افادة التعقيب أي فاجاب فرقتهم بالاشراك وهم الذين دعوه فخلصهم مما كانوا فيه وهذا الكلام مسوق للتعجب من احوالهم وما صاروا عليه من الاعتراف بوحدانية الله سبحانه عند نزول الشدائد والرجوع الى الشرك عند رفع ذلك عنهم وفيه مراعاة معنى لنظ الفريق وكذا في قوله (ليكفروا بما آتيناهم) أي بنعمة الله عليهم واللام كي وقيل لام الامر لقصد الوعيد والتهديد وقيل هي لام العقاب التي تقتضي المهلة سميت لام المالك والشرك والكفران متقارنان لامهله بينهما ثم خاطب سبحانه هؤلاء الذين وقع منهم ما وقع فقال (فتمتعوا) اريد به التهديد ايضاً وفيه التفات عن الغيبة الى الخطاب لاجل المبالغة في زجرهم وقري فتمتعوا على الخطاب وبالخشية على البناء للمفعول وفي مصحف ابن مسعود فامتعوا (فسوف تعلمون)

وجل قال تعالى وأنذر عشيرتک الاقربین الى قوله فقل اني بريء مما تعبدون وقوله تعالى وتوكل على العزيز الرحيم ما أي في جميع أمورک فانه مؤيدک وحافظک وناصرک وبظفرک ومعنی کلمتک وقوله تعالى الذي يرأس الحين تقوم أي هو معتك بك كما قال تعالى فاصبر لحكم ربك فانك باعينا قال ابن عباس الذي يرأس الحين تقوم يعني الى الصلاة وقال عكرمة يرى قيامه وذكره وجوده وقال الحسن الذي يرأس الحين تقوم اذا صليت وحدك وقال الضحاك الذي يرأس الحين تقوم أي من فراسك أو مجلسك وقال قتادة الذي يرأس الحين تقوم على حالته وقوله تعالى وتقبلن في الساجدين قال قتادة الذي يرأس الحين

تقوم وتطلبك في الساجدين قال في الصلاة يرثك ويراك في الجمع وهذا قول عكرمة وعطاء الخراساني والحسن البصري
 وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه ويشهد لهذا ما صح في الحديث - وتوافقونكم
 فاني أراكم من وراء ظهري وروى البزار وابن أبي حاتم من طريقين عن ابن عباس انه قال في هذه الآية يعني تقبله من صلب نبي الى
 صلب نبي حتى أخرجه نبيا وقوله تعالى انه هو السميع العليم أي السميع لاقوال عباده العليم بجر كآتهم وسكاتهم كما قال تعالى وما
 تكون في شأن وما تألو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كما عليكم (١٩٥) شهودا اذ تفيضون فيه الا يقر هل

أنتسكم على من تنزل الشياطين
 تنزل على كل أفاك أثيم يقولون
 السمع وأكذبهم كاذبون والشعراء
 يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد
 يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون
 الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 وذكروا الله كثيرا واتصروا من
 بعد ما ظلموا أوسعهم الذين ظلموا أي
 منقلب يتقلبون يقول تعالى
 مخاطبا لمن زعم من الشركين ان
 ما جاء به الرسول صلى الله عليه
 وسلم ليس بحق وانتهى اقتعله من
 تلقاء نفسه أو انه أتاه به ربي من
 الجن فتره الله سبحانه وتعالى جناب
 رسوله عن قولهم واقتربهم ونبه ان
 ما جاء به انما هو من عند الله وانتهى
 ووجه نزل به ملك كريم أمين عظيم
 وانتهى ليس من قبل الشياطين فانهم
 ليس لهم رغبة في مثل هذا
 القرآن العظيم وانما ينزلون على من
 يشاء كلهم ويشابههم من الكهان
 الكذبة وله هذا قال تعالى هل
 أنتسكم أي أحمركم على من تنزل
 الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم
 أي كذوب في قوله وهو الافاك
 الاثيم أي الفاسق في أفعاله فهذا

ما يتعقب هذا التمتع الزائل من العذاب الاليم (أم أنزلنا عليهم سلطانا) أم هي المنقطعة
 والاستفهام للانكار على مذهب الكوفيين ومذهب البصريين انما يعني بل والهزيمة
 والسلطان الخجة انظاهرة وفيه التفات عن الخطاب الى الغيبة للايدان بالاعراض عنهم
 وبعدهم عن ساحة الخطاب قال الفراء ان العرب تؤثت السلطان يقولون قضت به عليك
 السلطان فاما البصريون فالتذكير عندهم أفصح وبه جاء القرآن والتأنيث عندهم جائز
 لانه في الخجة وقيل المراد بالسلطان هنا الملك (فهو يتكلم) أي يدل كما في قوله هذا كتابنا
 ينطق عليكم بالحق وهو في حيز النفي المستفاد من أم (بما كانوا به يشركون) أي ينطق
 بأشراكهم بالله سبحانه والمعنى بالامر الذي كانوا يسببه يشركون (واذا أذقنا الناس)
 أي كفار مكة وغيرهم (رحمة) أي خصا وطرا ونعمة وسعة وصحة وعافية (فرحوا بها)
 فرح بطر وأشر لا فرح بشكرها وابتهاج بوصولها اليهم كدال عليه قوله قل بفضل الله
 وبرحمته فبذلك فليفرحوا ثم قال سبحانه (وان تصبهم سيئة) أي بلا من جادب أوضيق
 او مرض أو شدة على أي صفة (بما قدمت أيديهم) أي بسبب شؤم ذنوبهم (اذاهم
 يقنطون) القنوط الاياس من الرحمة كذا قال الجهور وقال الحسن القنوط ترك
 فرائض الله سبحانه وقرئ يقنطون بفتح النون وبكسرها وهما سبعتان وبابه ضرب
 وتعب والمعنى اذاهم بما أسون وهذا خلاف وصف المؤمنين فان من شأهم أن يشكروا نذ
 النعمة ويرجوا ربهم عند الشدة أو يقال الدعاء اللساني بناء على مجرى العادة لا ينافي
 القنوط القلبي وقد يشاهد مثل ذلك في كثير من الناس فلا يخالف هذا قوله دعوا ربهم
 منيبين اليه أو المراد بيقنطون فعل القانطين كالاهتمام بجمع الذخائر أيام الغلاء قاله
 السكري (أو لم يروا) أي ضا بالاهم لم يشكروا في السر والظاهر كانوا منيبين ولم يعلموا (ان
 الله يبسط الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) من عباده امتحانا هل يشكروا أم يطغى فيكفر
 (ويقدر) أي يضيق على من يشاء ابتلاء هل يصبر أم يضيق ذرعا فيكفر (ان في ذلك) البسط
 والقبض (آيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على الحق للدلائل التي على كمال القدرة
 وبديع الصنع وغريب الخلق والحكمة ولما بين سبحانه كيفية التعظيم لاهم الله أشار
 الى ما ينبغي من موااساة القرابة وأهل الحاجات من بسط الله في رزقه فقال (فأت ذا
 القربى حقه) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمه أسوته أول كل مكافله مال

هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكهان وما جرى مجراهم من لكذبة الذسقة فان الشياطين أيضا كذبة فسقة يلتنون السمع أي
 يسترقون السمع من السماء فيسمعون الكذبة من علم الغيب فيزيدون معها مائة كذبة ثم يلتونها الى أوليائهم من الانس فيحدثون
 بها فيصدقهم الناس في كل ما قالوه بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء كما صح بذلك الحديث كما رواه البخاري
 من حديث الزهري أخرجه بن عروة بن الزبير انه سمع عروة بن الزبير يقول قالت عائشة رضى الله عنها سألت ناس النبي صلى
 الله عليه وسلم عن الكهان فقال انهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فانهم يحدثون بالشئ يكون حقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم

تلك الكلمة من الحق يخطفها الحنى فيقرقرها في أذن وليه كقرقره الدجاجة فيضاطون معها أكثر من مائة كذبة وروى البخاري أيضا حدثنا الحمدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو وقال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعا لقوله كأنهم سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعهما مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بيده فخرقها وبدين أصابعه فيسمع الكلمة (١٩٦) فيلقها الى من تحته ثم يلقها الاخر الى من تحته حتى يلقها

وسمع الله به عليه وقدم الاحسان الى القرابة لان خير الصدقة ما كان على قريب فهو صدقة مضاعفة وصله رحم مرغب فيها والمراد الاحسان اليهم بالصدقة والصلة والبر سواء كانوا في محنة أو لم يكونوا وقيل فيه دليل على وجوب النفقة للمعسر وبه قالت الخنيفة وعدم كربة الاصل ان المستحقين للزكاة يدل على ان ذلك في صدقة التطوع وقاس الشافعي سائر الاقارب ما عدا النروع والاصول على ابن العم لانه لا ولادة بينهم ولا يصح حل الصدقة على الواجبة وهي الزكاة لان السورة مكاة والزكاة ما فرضت الا في السنة الثانية من الهجرة المدينة وللقريب الفقير في مال قريبه الغنى حق واجب وبه قال مجاهد وقتادة قال مجاهد لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاج وقيل المراد بالقرى قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال القرطبي والاول أصح فان حقهم بين في كتاب الله عز وجل في قوله فان لله خسه وللرسول ولذي القربى وقال الحسن ان الامر في آية اذى القريب للندب (والمسكين وابن السبيل) أي آتهم ما حقهما الذي يستحقانه ووجه تخصيص الاصناف الثلاثة بالذكر انهم أولى من سائر الاصناف بالاحسان ولكون ذلك واجبا لهم على كل من له مال فاضل عن كفايته وكفاية من يعول سواء كان زكوا أو لم يكن وسواء كان قبل الحول أو بعده لان المقصود هنا الشفقة العامة وهو لا الثلاثة يجب الاحسان اليهم وان لم يكن للانسان مال زائد والنقد داخل في المسكين لان من أوصى للمساكين بشئ يصرف الى الفقراء أيضا واذا انظرت الى الباقي من الاصناف رأيتهم لا يجب صرف المال اليهم الاعلى الذين وجبت الزكاة عليهم وأما المسكين فاجتهدت لست محتصة بموضع فتقدم على من حاجته محتصة بموضع دون موضع قال مقاتل حق المسكين ان يتصدق عليه وحق ابن السبيل الضيافة وقد اختلفت في هذه الآية هل هي محكمة أو منسوخة فقيل هي منسوخة بآية الموارث وقيل محكمة (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي ذلك الآيات فضل من الامساك لمن يريد التقرب الى الله سبحانه ويقصد بعرفه آية الصالح (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بطوبى لهم حيث أنفقوا الوجه الله امتثالاً لامره (وما آتيتهم) بالمديعني أعطيتهم وقرئ بالقصر بمعنى ما فعلتم وهما سبعيتان وقيل بالقصر بمعنى ما جنتهم به من اعطاء ربا وهو يؤول من حيث المعنى الى القراءة المشهورة لانه يقال أتى معروفاً وأتى قبيحا اذا فعلهما (من ربا) وأجمعوا على الاولى في

على لسان الساحر أو الكاهن فرمما أدرك الشهاب قبل ان يلقها وربما القها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فقال ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فصدق تلك الكلمة التي سمعت من السماء تفرد به البخاري وروى مسلم من حديث الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس عن رجال من الانصار قريبا من هذا وسأني عند قوله تعالى في سبأ حتى اذ فرغ عن قلوبهم الآية وروى البخاري أيضا وقال الليث حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال أن أبا الاسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الملائكة تحدث في العنان والعنان الغمام بالامر في الارض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرقرها في أذن الكاهن كما تقرقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة وروى البخاري في موضع آخر من كتاب بدء الخلق عن سعيد بن أبي زيد عن الليث عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبي الاسود بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة بنحوه

وقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الكذابين يتبعهم ضلال قوله

الانس والجن وكذا قال مجاهد رحمه الله وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما وقال عكرمة كان الشعراء ان يتاجران فينتصر لهدافنام من الناس ولهذا افتام من الناس فانزل الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاؤون وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن الهادي عن مختس مولى مصعب بن الزبير عن أبي سعيد قال بينما نحن نسبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبرج اذ عرفنا شاعرا ينشد فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان وأمسكوا الشيطان لان يمتلي جوف أحدكم فيخاخره من

أن ينقل شعرها وقوله تعالى أم ترانهم في كل واديهيون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في كل لغوي يخوضون وقال الضحاك
 عن ابن عباس في كل فن من الكلام وكذا قال مجاهد وغيره وقال الحسن البصري قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها مرة
 في شعبة فلان ومرة في مديحة فلان وقال قتادة الشاعر يدح قوميا بطل ويذم قوميا بطل وقوله تعالى وانهم يقولون ما لا يفعلون
 قال العوفي عن ابن عباس كان رجلا نزل على عهد رسول الله أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين وانهم ما حيا فكان مع
 كل واحد منهما غواة من قومه وهم السنهات فقال الله تعالى والشعراء (١٩٧) يتبعهم الغاؤون أم ترانهم في كل واد

يهيون وانهم يقولون ما لا يفعلون
 قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
 أكثر قولهم يكذبون فيه وهذا
 الذي قاله ابن عباس رضي الله
 عنه هو الواقع في نهنس الامرفان
 الشعراء يتبعون بأقوال وأفعال
 لم تصدر منهم ولا عنهم فيستكثرون

بماليس ولهذا
 اختلف العلماء رجهم الله فيما
 اذا اعترف الشاعر في شعره بما
 يوجب حده اهل يقام عليه بهذا
 الاعتراف أم لا لانهم يقولون
 ما لا يفعلون على قولين وقد ذكر
 محمد بن اسحق ومحمد بن سعد في
 الطبقات والزبير بن بكار في كتاب
 الفسكاهة أن أمير المؤمنين عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه استعمل
 النعمان بن عدى بن نضلة على
 ميسان من أرض البصرة وكان
 يقول الشعر فقال

ألاهل أتى الحسناء أن خليلها

بميسان يسقي في زجاج وحنم
 اذا شئت غنتي دهاقين قربة
 ورفاصة تخنوع على كل ميسم
 فان كنت ندما في فبالا كبراسقني
 ولا تسقني بالاصغر المتسلم

قوله وما آتيت من زكاة أصل الربا الزيادة والمعنى ما أعطيتم من زيادة خالية عن العوض
 بان تعطوا شيئا لله أوفدية (ابن بون في أموال الناس) أي ليزيدون كوفي أموالهم (فلا
 ير بوعند الله) قرئ بالتخفيف على ان الفعل مستند الى ضمير الربا وقرئ بالفوقية مضمومة
 خطبا للجماعة بمعنى لستكونوا ذوي زيادات وقرئ ليربوا ومعنى الآية انه لا يربوا عند
 الله ولا ينيب عليه لانه لا يقبل الا ما يربو به وجهه خالصا قال السدي الربا في هذا الموضع
 الهدية يهدى الرجل لآخره يطلب المكافاة فان ذلك لا يربو عند الله أي لا يربو عليه
 صاحبه ولا اثم عليه وهكذا قال قتادة والضحاك قال الواحدى وهذا قول جماعة
 المفسرين قال الزجاج يعنى دفع الرجل الشيء ليعوض أكثر منه وذلك ليس بجرام ولكنه
 لا ثواب فيه لان الذي يهبه يستدعي به ما هو أكثر منه وقال الشعبي معنى الآية ان ما خدم
 به الانسان أحد ينتفع به في دنياه فان ذلك النفع الذي يجرى به الخدمة لا يربو عند الله
 وقبل هذا كان حراما على النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الخصوص لقوله سبحانه ولا تمن
 تستكثر ومعناها ان تعطى فتأخذ أكثر منه عوضا عنه وحرم عليه تشريفه وقال ان هذه
 الآية نزلت في هبة الثواب وبه قال ابن عباس وابن جبير وطاوس ومجاهد قال ابن عطية
 وما يجرى مجرا مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالسلام وغيره وهو وان كان لا اثم فيه فلا
 أجر فيه ولا زيادة عند الله قال عكرمة الربا ربوان فربا حلل وربا حرام فاما الربا الحلال
 فهو الذي يهدى بثلث ما هو أفضل منه يعنى كافي هذه الآية وقيل ان هذا الذي في هذه
 الآية هو الربا المحرم فعنى لا يربو عند الله على هذا القول لا يحكم به بل هو لما أخذ منه
 قال المهلب اختلف العلماء فيمن وهب هبة يطلب بها الثواب فقال مالك يتطرق فيه فان
 كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له فله مثل ذلك مثل هبة الفقير للغنى وهبة الخادم
 للمخدوم وهبة الرجل لاميره وهو أحد قول الشافعى رحمه الله وقال أبو حنيفة رحمه الله
 لا يكون له ثواب اذا لم يشترط وهو قول الشافعى رحمه الله الآخر وعن علي قال الموهب
 ثلاثة موهبة يراد بها وجه الله وموهبة يراد بها ثناء الناس وموهبة يراد بها الثواب فوهبة
 الثواب يرجع فيها صاحبها اذا لم ينسب عليها بخلاف القسمين الآخرين فلا يرجع فيها
 صاحبها قال ابن عباس في الآية الربا ربوان ربا لا بأس به وربا لا يصلح فاما الربا الذي لا بأس
 به فهديته الرجل الى الرجل يريد فضلها وأضعافها وعنه قال هذا هو الربا الحلال أن يهدى

لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادى بالجوسق المتقدم فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
 اى والله انه ليسوءه في ذلك ومن لقيه فليخبره اى قد عزلته وكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تزييل الكتاب من الله العزيز
 العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير أما بعد فقد بلغنى قولك
 لعل أمير المؤمنين يسوءه * تنادى بالجوسق المتقدم وايم الله انه ليسوءه في وقد عزلته فلما قدم على عمر بكنه بهذا الشعر وقال
 والله أمير المؤمنين ما شر بهما قط وما ذاك الشعر الا شئ طمع على لساني فقال عمر اظن ذلك ولكن والله لا تعمل لى عملا أبدا وقد

قلت ما قلت فلم يذكر انه حده على الشراب وقد ضمنه شعرة لانهم يقولون ما لا يفعلون ولكن ذمه عمر رضي الله عنه ولا منه على ذلك وعزله به ولهذا جاء في الحديث لان يمتلي جوف أحدكم فيحيا به خير له من أن يمتلي شعرا والمراد من هذا ان الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه هذا القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر لان حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة كما قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الاذكر وقرآن مبين وقال تعالى انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين وهكذا قال (١٩٨) ههنا وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون

من المنذرين بلسان عربي مبين الى ان قال وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لم عزولون الى ان قال هل أنبتكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفكأثم يلغون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تراهم في كل وادعهم يمينون وانهم يقولون ما لا يفعلون وقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قيس بن عبد الله بن الحسن سالم البراد بن عبد الله مولى تميم الداري قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاؤون جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون قالوا قد علم الله حين أنزل هذه الآية انا شعراء قتلا النبي صلى الله عليه وسلم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال أنتم وذكروا الله كثيرا قال أنتم وانتم وامن بعد ما ظلموا قال أنتم رواد ابن أبي حاتم وابن جرير من رواية ابن اسحق وقدرى ابن أبي حاتم أيضا عن أبي سعيد الأشج عن ابي أسامة عن الوليد بن ابي

يريد أكثر منه وليس له أجر ولا وزر ونهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة فقال ولا تمنن تستكثر (وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله) أي وما أعطيتم من صدقة تطوع لا تطلبون بها المكافأة وانما تصدقون به امام عند الله (فاولئك هم المضعفون) أي ذروا الضعاف من الحسنان الذين يعطون بالحسنة عشرة مثالبها الى سبع مائة ضعف قال الفراء هو نحو قولهم مسين ومعطش ومضعف اذا كانت له ابل سمان وعطاش وضعفة وقرئ بفتح العين اسم مفعول وفيه التفات حسن عن الخطاب لانه فيسند التعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تمر بفالحالهم فهو أمدح لهم من أن يقول فأتم المضعفون أو للتعظيم غير المخاطبين كأنه قال من فعل هذا فسبيله سبيل المخاطبين وكان مقتضى ظاهر المقابلة ان يقال فير بوعند الله فغير عبارة الربا الى الضعاف ونظم انه عليه الى الائمة الدالة على الدوام المشتملة على ضمير الفصل المفيد للعصر والمعنى المضعفون به لانه لا بد له من ضمير يرجع الى ما الموصولة (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) عا دسجانه الى الاحتجاج على المشركين وانه الخالق الرزق المميت المحي أي المختص بالخلق والرزق والامانة والاحياء ثم قال على جهة الاستفهام (هل من شر كما تكم) أي أصنامكم التي زعمتم انهم شركاء وأضاف الشركاء اليهم لانهم كانوا يسمونهم آلهة ويجعلون لهم نصيبا من أموالهم (من فعل من ذلكم) أي الخلق والرزق والامانة والاحياء (من شئ) أي شيأ من هذه الافعال ومعلوم انهم يقولون ليس فيهم من يفعل شيأ من ذلك فتقوم عليهم الخجة ومن الاولى والثانية لبيان شروع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم النفي ثم زعم سجانه نفسه فقال (سجانه وتعالى عما يشركون) أي نزوهة وتزيمها وهو متعال عن أن يجوز عليه شئ من ذلك (ظهر الفساد بين سجانة ان الشرك والمعاصي سبب لظهور النساد (في البر والجر) أي العالم والناسد من فساد كمنصر وكرم فساد اضد صلح فهو فاسد والنساد أخذ المال ظلما والجذب والمفسدة ضد المصلحة واختلف في معنى ظهور النساد المذكور فقبل هو التعتط وعدم النبات ونقصان الرزق وكثرة الخوف ونحو ذلك وقال مجاهد وعكرمة فساد البرقتل ابن آدم أخاه يعني قتل قاييل لهابيل وفساد البحر الملك الذي يأخذ كل سفينة غصبا ولت شعري أي دليل دلها على هذا التخصيص البعيد والتعيين الغريب فان الآية نزلت على

كثير عن يزيد بن عبد الله عن ابي الحسن مولى بنى نوفل ان حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة أتيا رسول محمد الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية والشعراء يتبعهم الغاؤون فكان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأها عليهم ما والشعراء يتبعهم الغاؤون حتى بلغ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال انتم فقال أيضا حدثنا ابي حدثنا ابوسلمة حدثنا جاد ابن سلمة عن هشام بن عمرو قال لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاؤون الى قوله وانهم يقولون ما لا يفعلون قال عبد الله بن رواحة يا رسول الله قد علم الله اني منهم فانزل الله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وهكذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد

وقتادة وزيد بن اسلم وغير واحد ان هذا الاستثناء مما تقدم ولا شك انه استثناء ولكن هذه السورة مكية فكيف يكون سبب نزول هذه الآيات في شعراء الانصار وفي ذلك نظر ولم تقدم الامرسلات لايتمد عليها والله اعلم ولكن الاستثناء دخل فيه شعراء الانصار وغيرهم حتى يدخل فيه من كان متلبسا من شعراء الجاهلية بدم الاسلام واهله ثم تاب وانا ب ورجع واقنع وعمل صالحا وذكرا لله كثيرا في مقابلة ما تقدم من الكلام السبي فان الحسنات يذهبن السيئات وامتدح الاسلام واهله في مقابلة ما كان يذمه كما قال عبد الله بن الزبير حين أسلم يا رسول الله ان اساني * راتق ما فتقت اذا تابور (١٩٩)

اذ اجارى الشيطان في سنن النفي
ومن مال صيله مشهور
وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب كان من أشد الناس
عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو
ابن عمه وأكثروا له هجوا فلما أسلم
لم يكن أحدا أحب اليه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان يمدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ما كان يهجوه ويتولاه بعدما كان
قد عاداه وهكذا روى مسلم في صحيحه
عن ابن عباس ان أباسفيان صخر بن
حرب لما أسلم قال يا رسول الله ثلاث
أعطين قال نعم قال معاوية تجعله
كاتباً بين يديك قال نعم قال
تؤم مني حتى أقاتل الكفار كما
كنت أقاتل المسلمين قال نعم وذكروا
الثالثة ولهذا قال تعالى الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا
الله كثيرا قبل معناه ذكروا الله
كثيرا في كلامهم وقيل في
شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما
سبق وقوله تعالى واتصروا من
بعد ما ظلموا قال ابن عباس يردون
على الكفار الذين كانوا يهجون به
المؤمنين وكذا قال مجاهد وقتادة

محمد صلى الله عليه وآله وسلم والتعريف في الفساد يدل على الجنس فيعم كل فساد واقع في
حيز البر والجر وقال السدي الفساد الشرك وهو أعظم الفساد ويمكن ان يقال ان
الشرك وان كان الفرد الكامل في أنواع المعاصي ولكن لا دليل على انه المراد بخصوصه
وقيل الفساد كساد الاسعار وقلة المعاش وقيل قطع السبل والظلم وقيل نقصان البركة
بأعمال العباد كي توبوا قال التماس وهو أحسن ما قيل في الآية وعنه ان الفساد في البحر
انقطاع صيده بنزول بني آدم قال ابن عطية فاذا قل المطر قل الغوص فيه وعميت دواب
البحر وقيل غير ذلك مما هو متخصص لا دليل عليه والظاهر من الآية ظهور ما يصح
اطلاق اسم الفساد عليه سواء كان راجعا الى أفعال بني آدم من معاصيهم واقترافهم
السيئات وتقاطعهم وظالمهم وتقاطعتهم أو راجعا الى ما هو من جهة الله سبحانه بسبب
ذنوبهم كقطع وكثرة الخوف والموتان ونقصان الزروع والثمار وكثرة الخرق والغرق
ومحق البركات من كل شيء والبر والبحر هما المعروفان المشهوران وقيل البر الفيافي والبحر
القرى التي على ماء قاله عكرمة والعرب تسمى الامصار البحار قال مجاهد البر ما كان من
المدن والقرى على غير نهر والبحر ما كان على شط نهر وعن ابن عباس فحوه والاول أولى
ويكون معنى البر مدن البر ومعنى البحر مدن البحر وما يتصل بالمدن من مزارعها
ومراعها (بما كتبت أيدي الناس) من المعاصي والذنوب والباء للسببية وما مام موصولة
أو مصدرية (ليذيقهم بعض الذي عملوا) اللام للعلة أي ليذيقهم بعض عقوبة عملهم
أو جزاء بعض عملهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة وقيل للصيرورة قرئ بالياء
وبنون العظيمة (لعلهم يرجعون) عما هم فيه من المعاصي ويتولون الى الله قال ابن
عباس يرجعون من الذنوب ولما بين سبحانه ظهور الفساد فيه ما بما كتبت أيدي
المشركين والعصاة بين لهم ضلال امثالهم من أهل الزم الاول فقال (قل سيروا في
الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أمرهم بان يسير والينظروا آثارهم
ويشاهدوا كيف كانت عاقبتهم فان منازلهم خاوية وأراضيتهم مفرقة موحشة كعاد
وتعود ونحوهم من طوائف الكفار (كان أكثرهم مشركين) مستأنفة لبيان الحالة التي
كافوا عليها وايضا ح السبب الذي صارت عاقبتهم به الى ما صارت اليه وهو فسق والشرك
والعصيان فيما بينهم أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم (فاقم)

وغير واحد وهذا كما ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسان اجهم أو قال هاجهم وجبريل معن وقال الامام
أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل قد أنزل في الشعر اما أنزل فقال رسول الله ان المؤمن يجاهد نفسه ولسانه والذي ننسى بيده لكان مات مؤمنا به نضع
السبل وقوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب يتقلبون كقوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم الآية وفي الصحيح ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة قال قتادة بن دعامة في قوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي

منقلب يتقلبون يعني من الشعراء وغيرهم وقال ابوداود الطيالسي حدثنا ابياس بن ابي تميمة قال حضرت الحسن ومر عليه بجنازة نصراني فقال وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب يتقلبون قال عبد الله بن ابي رباح وصفوان بن محرزانه كان اذا قرأ هذه الآية بكى حتى اقول قد اندق قضيب زوره وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب يتقلبون وقال ابن وهب اخبرنا شريح الاسكندراني عن بعض المشيخة انهم كانوا بارض الروم فيبيناهم ليلة على نار يشتمون عليها اويصطلون اذا بركان قد اقبلوا فقاموا اليهم فاذا فضاله بن عبيد فيهم فانزلوه مجلس معهم قال وصاحب (٢٠٠)

يتقلبون قال فضاله بن عبيد هؤلاء الذين ينجرون البيت وقيل المراد بهم أهل مكة وقيل الذين ظلموا من المشركين والصحيح ان هذه الآية عاممة في كل ظالم كما قال ابن ابي حاتم ذكر عن يحيى بن زكريا بن يحيى الواسطي حدثني الهيثم بن محفوظ ابوسعيد النهدي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المحبر حدثنا هشام عن ابيه عن عائشة رضی الله عنها قالت كتب ابي في وصيته سطرين بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اوصى به ابو بكر بن ابي خافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي القابض ويصدق الكاذب اني استخلفت عليكم عربن الخطاب فان يعدل فذلك ظني به ورجائي فيه وان يجبر ويبدل فلا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب يتقلبون آخر تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين

• (تفسير سورة النمل وهي مكية) •
بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقبضون

خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأتمته اسوته فيه كأن المعنى اذا قد ظهر الفساد بالسبب المتقدم فاقم (وجهك) يا محمد (للا دين القيم) قال الزجاج اجعل جهنك اتباع الدين القيم البليغ الاستقامة الذي لا يتأق فيسه عوج وهو الاسلام وقيل المعنى أوضح الحق وبالغ في الاعذار واشتغل بما أت فيه ولا تحزن عليهم قاله الفرطبي (من قبل ان يأتي يوم) يعني يوم القيامة (لا مرد له من الله) المراد مصدر رأى لا يتدراأ حد على ان يرد كقوله لا يستطيعون ردّها فلا بد من وقوعه وقيل المعنى لا يردّه الله لتعلق ارادته القديمة بعبيته قاله ابو السعود (يومئذ) أي يوم اذ يأتي هذا اليوم (يصدعون) أصله يصدعون والتصدع التفرق يقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه قول الشاعر

وكنا كدما نى جذيمة حقيمة * من الدهر حتى قيل ان يتصدعا

وفي المصباح صدعته صدعا من باب نفع شققته فانصدع وصدعت القوم صدعا فاتفدعوا أي فرقتم فنفروا وقوله فاصدع عما توهم قيل ما خوذ من هذا أي شق جماعتهم بالتوحيد وقيل افرق بذلك بين الحق والباطل وقيل أظهر ذلك وصدعت بالحق تكلمت به جهارا وصدعت الفلاة قطعها والمراد بتفرقهم ان أهل الجنة يصيرون الى الجنة وأهل النار الى النار ثم فصل سبحانه المتصدعين بقوله (من كفر فعليه كفره) أي جزاء كفره ووباله وهو النار (ومن عمل صالحا فلانفسهم يهدون) أي يوطنون لانفسهم منازل في الجنة بالعمل الصالح والمهاد القراش وقد تقول مهدت القراش مهدا اذا بسطت وطأته فجعل الاعمال الصالحة التي هي سبب لدخول الجنة كبناء المنازل في الجنة وفرشها وقيل المعنى فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق أم فرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضوعين للدلالة على الاختصاص وقال مجاهد فلا تنفسهم يهدون في القبور أي يوطنون المضاجع ويسونهن في القبور (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) والكافر ين بعدله متعلق بصدعون أو يهدون أي يتفرقون ليجزى الله المؤمنين بما يستحقونه على ان ضرر الكفر لا يعود الاعلى الكافر ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا يتجاوزة أو يهدون لانفسهم بالاعمال الصالحة ليجزىهم وقال ابن عطية تقديره ذلك ليجزى وتكون الاشارة الى ما تقدم من قوله من كفر ومن عمل قال ابن عباس لينيبهم الله ثوابا أكثر من أعمالهم وجعل أبو حيان قسيم قوله الذين آمنوا وعملوا

الصالحات

الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوتون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ينالهم اعمالهم فهم يعمهون اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم قد تقدم الكلام في سورة البقرة على الحروف المقطعة في أوائل السور وقوله تعالى تلك آيات القرآن وكتاب مبين أي بين واضح هدى وبشرى للمؤمنين أي انما يحصل الهداية والنبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدق وعمل بما فيه واقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزا على الاعمال خيرا وشرها والجنة والنار كما قال تعالى قل هو الذي

آمنوا هدى وشفاه والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الآيات وقال تعالى لبشر به المتقين وتنذره قوما لا يهدوا قال تعالى ههنا ان الذين لا يؤمنون بالآخرة أي يكذبون بهم أو يستبعدون وقوعها زينا لهم أعمالهم فهم يعمّهون أي حسنا لهم ما هم فيه ومددنا لهم في غيرهم فهم يتيهون في ضلالهم وكان هذا جزءا على ما كذبوا به من الدار الآخرة كما قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة الآية أولئك الذين لهم سوء العذاب أي في الدنيا والآخرة وهم في الآخرة هم الاخسرون أي ليس يحسروا أنفسهم وأموالهم سواهم من اهل المحشر وقوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم أي وانك يا محمد لتلقى أي

(٢٠١)

لتأخذ القرآن من لدن حكيم عليم أي من عند حكيم عليم أي حكيم في أمره ونهييه عليم بالامور جليلها وحقيرها فخبره هو الصدق المحض وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا (اذ قال موسى لاهله اني آتيت نارا سايتكم منها بخبر أو آتيتكم بشهاب قبس اهلکم تصطلون فلما جاءه نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبر ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدى المرسلون الامن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مذكراه ما كان من امر موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله

الصالحات محذوف والدلالة قوله (انه لا يجب الكافرين) عليه لانه كناية عن بغضه لهم الموجب لغضبه سبحانه وغضبه يستبغ عقوبته وقيل تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس وفيه تهديد ووعيد لهم (ومن آياته أن يرسل الرياح) أي ومن دلالات بديع قدرته تعالى ارسال الرياح أي الشمال والسماء والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فهي ريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قرئ الرياح بالجمع والافراد على قصد الجنس لاجل قوله (مبشرات) بالمطر لانها تتقدمه كما في قوله سبحانه بشر ابيدي رحمتي (ولبديقكم من رحمتي) أي يرسلها المذيقيكم بها الغيث والخضب أو نعمته من المياه العذبة والاشجار الرطبة وصحة الابدان وما يتبع ذلك من أمور لا يحصيها الا الله وقيل اللام متعلقة بمحذوف أي وأرسلها المذيقيكم وقيل الواو مزيدة على رأى من يجوز ذلك فتعلق اللام بمرسل ومن تبعيضية (و) يرسل الرياح لجرى الفلك في البحر عندهبوا ولما أسند الجرى الى الفلك عقبه بقوله (يا هر) أي بتدبيره أو بتكويته بقوله انما أمره اذا أراد شيئا الآية (ولتبتغوا) الرزق (من فضله) بالتجارة التي تحملها السفن (ولعلكم تشكرون) هذه النعم فتفردون الله بالعبادة وتستكثرون من الطاعة (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومك وهذا نسلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو اعتراض بين الكلامين المتصلين معنى أي قوله ومن آياته أن يرسل الرياح وقوله الله الذي يرسل الرياح وقال أبو حيان جاء تأنيده صلى الله عليه وآله وسلم ووعدا بالنصر ووعيد الاهل الكفر وحقية نصر المؤمنين على الله لا تختص بالدينا بل تعم الآخرة أيضا في الآخرة من مناولات الآية (جأؤهم بالبينات) أي بالمعجزات الواضحات والحجج النيرات على صدقهم في رسالتهم اليهم فأمن بهم قوم وكفر بهم قوم ويدل على هذا الاضمار قوله (فانقمنا) بالاهلاك في الدنيا (من الذين أخرجوا) أي فعلوا الأجرام وهي الآثام (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) على الكافرين باهلا كههم وانجاء المؤمنين هذا اخبار من الله سبحانه بان نصره لعباده المؤمنين حق عليه وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد وفيه تشريف للمؤمنين ومزيدة لكرمة لعباده الصالحين أخرج الطبراني وابن أبي حاتم وابن مردويه والترمذي عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من مسلم برت عن عرض أخيه الا كان

(٢٦ - فتح البيان سابع) وكله وناجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة والادلة القاهرة وابتعثه الى فرعون وملته فجدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له فقال تعالى اذ قال موسى لاهله أي اذ كرهين سار موسى باهله فأفضل الطريق وذلك في ليل وظلام فأتس من جانب الطور نارا أي رأى نارا تأجج ونضطرم فقال لاهله اني آتيت نارا سايتكم منها بخبر أي عن الطريق أو آتيتكم منها بشهاب قبس اهلکم تصطلون أي تندفون به وكان كما قال فانرجع منها بخبر عظيم واقبس منها نورا عظيما ولهذا قال تعالى فلما جاءه نودي أن بورك من في النار ومن حولها أي فلما أراها ورأى منظرها عظيما حيث انتهت

اليها والنار تضطرم في شجرة خضراء لاتزداد النار الا توقدا ولا تزداد الشجرة الا خضرة ونضرة ثم رفع رأسه فاذا نورها متخلل بعمان السماء قال ابن عباس وغيره لم تكن ناراً وانما كانت نوراً يتوهج وفي رواية عن ابن عباس نور رب العالمين فوق موسى متجهاً بما رأى فنودي أن بورئ من في النار قال ابن عباس تقدم ومن حوالها أي من الملائكة قاله ابن عباس وعصمة وسعيد ابن جبيرة والحسن وقنادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود وهو الطيالسي حدثنا شعبة والمسيودي عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث (٢٠٢) عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهو من طريق شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء (الله الذي يرسل الرياح) قرئ بالجمع والافراد قال أبو عمرو وكل ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع وما كان بمعنى العذاب فهو موحد وهي مسوقة لبيان ما سبق من أحوال الرياح (فتشير بحباب) أي ترنجه وتمججه وتحركه (قيسطه) أي ينشره متصل ببعضه ببعض أي ينشره كمال الانتشار والافصل الانتشار موجود في السحاب دائماً (في السماء) أي في سميت السماء وجهتها وشقها كقوله وفرعها في السماء أي في جهة العلو وليس المراد حقيقة السماء المعروفة (كيف يشاء) تارة سائر وتارة واقفة وتارة مطبقاً وتارة غير مطبق وتارة الى مسافة بعيدة وتارة الى مسافة قريبة وتارة من ناحية الشمال وتارة من ناحية الجنوب أو الدور أو الصبا وقد تقدم تفسير هذه الآية في البقرة وفي سورة النور (ويجعله كسفناً) تارة أخرى أو يجعله بعد بسطه قطعاً متفرقة بعضها فوق بعض والكسف جمع كسفة بالكسر وهي القطعة من الشيء أو السحاب وقرئ بفتح السين وسكونها والمسكن مخفف من الحرك بمعنى والقراءتان سبعيتان وجمع الجمع كساف وكسوف وكسفه يكسفه قطعه (فترى الودق) أي المطر (يخرج من خلاله) أي من بينه ووسطه (فاذا أصاب به) أي بالودق (من يشاء من عباده) أي بلادهم وأرضهم (اذا هم يستبشرون) اذا هي الفجائية أي فاجوا الاستبشار بجي المطر والخصب والاستبشار الفرح (وان) أي وان الشأن وفسر المحلى ان يقدتبعاً للبعوى والاول أولى وبدل له اللام في الملبس فانه اللام الفارقة (كأنوا من قبل ان ينزل عليهم) المطر (من قبله) تكرر لئلا يكذبه الاخفش وأكثر النحويين كما حكاه عنهم النحاس كقوله فكان عاقبتهم انهم ما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيها على ما قاله الرمحشري الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تناول فاستحكم باسمهم وتبادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك قال السمين وهو كلام حسن وقال ابن عطية وفائدة هذا التأكيذ الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار وذلك ان قوله من قبل ان ينزل عليهم يحتمل المسحبة في الزمان أي من قبل ان ينزل بكثير الايام فجاء قوله من قبله بمعنى ان ذلك متصل بالمطر فهو توكيد مفيد وقال قطرب ان الضمير في قبله راجع الى المطر أي وان كانوا من قبل التزليل من قبل المطر قيل

ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل زاد المسعودي وجابه النور والنار لو كشفه لاحت سحبات وجهه كل شئ أدركه بصره ثم قرأ أبو عبيدة أن بورئ من في النار ومن حوالها وأصل الحديث مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة وقوله تعالى وسبحان الله رب العالمين أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبهه شئ من مخلوقاته ولا يحيط به شئ من مصنوعاته وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات ولا يكنته الارض والسموات بل هو الاحد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات وقوله تعالى يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم اعلمه ان الذي يخاطبه ويتاجبه هو ربه الله العزيز الذي عز كل شئ وقهره وغلبه الحكيم في أقواله وأفعاله ثم أمره ان يلقى عصاه من يده ليظهر له دليلاً واضحا على أنه الفاعل المختار القادر على كل شئ فلما أتى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة في غاية

الكبر وسرعة الحركة مع ذلك ولهذا قال تعالى فلما رآهاتم تمتم كما تم الجان والجان ضرب من الحيات أسرع المعنى حركة وأكثره اضطراباً وفي الحديث نهى عن قتل جنان البسوت فلما عاين موسى ذلك ولوى مدبراً ولم يعقب أي لم يلتفت من شدة فرقه يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدى المرسلون أي لا تخف مما ترى فاني أريد أن أصطفيك رسولاً وأجعلك نبياً وحيها وقوله تعالى الامن ظلم ثم تبدل حسنا بعد سوءه فاني غفور رحيم هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر وذلك أن من كان على عمل سيئ ثم أفلح عنه ورجع وتاب وأب فان الله يتوب عليه كما قال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وقال تعالى ومن يعمل

سواءً أو يظلم نفسه الآية والآيات في هذا كثيرة جداً وقوله تعالى وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار وصدق من جعل له مجزة وذلك أن الله تعالى أمره أن يدخل يده في جيبه درعه فإذا أدخلها وأخر جها خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة قرقر لها المعان تلالاً كالبرق الخاطف وقوله تعالى في تسع آيات أي هاتان اثنتان من تسع آيات أو يدل بهن واجعلهن برهاناً لك إلى فرعون وقومه أنهم كانوا قوماً فاسقين وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات كاتقدم تقر بذلك (٢٠٣) هنالك وقوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا

مبصرة أي بينة واضحة ظاهرة قالوا هذا صبر مبين وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين وسجدوا بها أي في ظاهر أمرهم واستيقنتها أنفسهم أي علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن سجدها وعاندوها وكبروا وظلموا وعادوا أي ظلموا أنفسهم بحجة ملعونة وعادوا أي استكبروا عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى فأنظر كيف كان عقوبة المفسدين أي انظر يا محمد كيف كان عقوبة أمرهم في أهلال الله إياهم واغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة وخوى الخطاب يقول احذروا أيها المكذبون لمحمد الجاحدون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأخرى فان محمد صلى الله عليه وسلم أشرف وأعظم من موسى وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشمائله وماسبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذ المواتيق له عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام (ولقد

المعنى من قبل تنزيل الغيث عليهم من قبل الزرع والمطر وقيل من قبل ان ينزل عليهم من قبل السحاب أي من قبل رؤيته واختاره هذا الخناس وقيل الضمير عائداً إلى الكسف وقيل إلى الأرسال وقيل إلى الاستبشار والراجح الوجود الأول وما بعده من هذه الوجوه كلها في غاية التكلف والتعسف (لمبسين) أي آيسين يقال أبلس الرجل ابلاسا سكت وأبلس آيس وقد تقدم تحقيق الكلام في هذا (فانظر إلى آثار رحمة الله) الناشئة عن انزال المطر من السبات والثمار والزرائع التي بها يكون الخصب ورخاء العيش أي انظر نظراً اعتبار واستبصار لتستدل بذلك على توحيد الله وقدره بهذا الصنيع العجيب والفناء للدلالة على سرعة ترتيبها عليه وقرئ أثر بالتوحيد وأثر بالجمع سبعية (كيف يحيي الأرض بعد موتها) فاعل الأحياء ضمير يعود إلى الله سبحانه وقيل ضمير يعود إلى الأثر أي انظر إلى كيفية هذا الأحياء البديع للأرض بعد موتها والمراد بالنظر التنبيه على عظيم قدرته وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لا المر بالبعث وقرئ يحيى بالفوقية على ان فاعله ضمير يعود إلى الرحمة أو إلى الآثار (ان ذلك) أي ان الله العظيم الشأن الختصر هذه الأشياء المذكورة (لحي الموتى) أي لقد ادر على أحيائهم في الآخرة وبعثهم ومجازاتهم كما أحيى الأرض الميتة بالمطر وهذا استدلال بأحياء الموات على أحياء الاموات (وهو على كل شيء قدير) أي عظيم القدرة وكثيرها وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء (ولئن أرسلنا ريحاً مطرة وهي الريح الدبور التي أهلكت بها عباد (فأروه) أي الزرع والنبات الذي كان من أثر رحمة الله (مصقراً) من البرد الناشئ عن الريح التي أرسلها الله بعد اخضراره وقيل الضمير راجع إلى الريح وهو يجوز تذكيره وتأنيته وقيل راجع إلى الأثر المدلول عليه بالأثر وقيل راجع إلى السحاب لانه اذا كان صفراً لم يطر والأول أولى واللام هي الموطنة وجواب القسم قوله تعالى (ظلموا من بعده) وهو يد مدسجواب الشرط لانه اجتمع هنا شرط وقسم والشرط مؤخر فيجوز جوابه دلالة عليه بجواب القسم على القاعدة والمعنى وباللثة لئن أرسلنا ريحاً حارة أو باردة فضررت زرعهم بالصفرة ظلموا من بعد ذلك (يكفرون) بالله ويجحدون نعمه والمعنى أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذاباً على زرعهم لمحمد واسانف نعمتي وفي هذا دليل على سرعة تظلمهم وعدم صبرهم وضعف قلوبهم وليس كذا حال أهل الايمان ثم شبههم بالموتى وبالصم فقال (فانك لا تسمع الموتى)

آتينادودوسليمان علموا وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطلق الطير أو تينان من كل شيء ان هذا هو النزل المبين وحشر سليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يزعون حتى اذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين) ينجز تعالى عما أنعم به على عبديه ونبييه داود وابنه سليمان عليهم السلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة والصفات الجميلة

وما جمع له سما بين سعادة الدنيا والآخرة الملك والتمكين التام في الدنيا والنبوة والرسالة في الدين ولهذا قال تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين قال ابن أبي حاتم ذكر عن ابراهيم بن يحيى بن هشام أخبرني أبي عن جدي قال كتب عمر بن عبد العزيز ان الله لم ينعم على عبده نعمة خمد الله عليها الا كان حده افضل من نعمه لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل قال الله تعالى واقداً تيناد اود وسليمان علما وقال الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين فاي نعمة افضل مما أوتي داود وسليمان عليهم السلام (٢٠٤) وقوله تعالى وورث سليمان داود أي في الملك والنبوة وليس المراد

وراثته المال اذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر اولاد داود فانه كان لداود مائة امرأة ولكن المراد بذلك وراثته الملك والنبوة فان الانبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله نحن معاصر الانبياء لانورث ماترگاه فهو صدقة وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء أي أخبر سليمان بنم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم حتى انه سخر له الانس والجن والطير وكان يعرف لغة الطير والحیوان أيضا وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله وينزعم من الجهلة والرعا ع أن الحيوانات كانت تتطق كمنطق بنى آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه به كثير من الناس فهو قول بلا علم ولو كان الامر كذلك لم يكن التخصيص سليمان بذلك فائدة اذ كلهم يسمع كلام طيور والبهائم ويعرف ما تقول وليس الامر كما زعموا ولا كما قالوا بل لم تزل البهائم والطيور وسائر الخلق تات

أي موتى القلوب اذ ادعوتهم فكذا هو لا لعدم فهمهم للحقائق ومعرفة لهم للصواب (ولا تسمع الصم الدعاء) اذ ادعوتهم الى الحق ووعظتهم بعواظ الله وذكرتهم الآخرة وما فيها (اذا اولوا مدبرين) بيان لاعراضهم عن الحق بعد بيان كونهم كالموات وكونهم صم الآذان وقد تقدم تفسير هذا في سورة النمل فان قلت الاسم لا يسمع مقبلا أو مدبرا فما فائدة هذا التخصيص قلت هو اذا كان مقبلا يفهم بالرمز والاشارة فاذا اولى لا يسمع ولا يفهم بالاشارة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاهل بدر والاسناد ضعيف والمشهور في الصحيحين وغيرهما ان عائشة استدلت بهذه الآية على رد رواية من روى عن الصحابة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نادى اهل قلب بدر وهو من الاستدلال بانعام علي رد الخاص فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قيل له انك تنادي أجسادا بالية ما أنت يا سمع لما أقول منهم وفي مسلم من حديث أنس ان عمر بن الخطاب لما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتأديهم فقال يا رسول الله تناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون يقول الله انك لا تسمع الموتى فقال والذي نفسي بيده ما أنتم يا سمع منهم ولكنهم لا يطيقون ان يجيبوا ثم وصفهم بالعمى فقال (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) لقد فهمهم للاتقاع بالابصار كما ينبغي أو لفقدهم للصابر (ان) أي ما تسمع الامن يؤمن باياتنا) لكونهم أهل التفكير والتدبر والاستدلال بالاثار على المؤثر (فهم مسلمون) أي منذ ادون للحق متبعون له وفيه مرعاة معنى من (الله الذي خلقكم) ذكر سبحانه استدلالا آخر على كمال قدرته وهو خلق الانسان نفسه على أطوار مختلفة كما قال (من ضعف) أي بدأ أو أنشأكم على ضعف وهو مصدر ضد القوة قال الواحدى قال المفسرون من نطفة كقوله من ماء مهين أي ذى ضعف وقيل المراد حال الطفولية والصغر فهذه أحوال غاية الضعف فرى ضعف بضم الضاد في هذه المواضع وبقهها وهما سبعيتان قال الفراء الضم لغة قريش والفتح لغة تميم قال الجوهري الضعف والضعف خلاف القوة والصحة وقيل هو بالفتح في رأى وبالضم في الجسم وأجاز الكوفيون ضعف بفتحين (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وهى قوة الشباب وبلوغ الأشد فانه اذا التمسككم القوة ونشدنا خلقه الى بلوغ النهاية (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) أي عند الكبر والهرم (وشبهة) هى تمام الضعف ونهاية الكبر وقيل يبيض الشعر الاسود ويحصل أوله

من وقت خلقت الى زمانها هذا على هذا الشكل والمساو ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يخاطب به الطيور فى الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها ولهذا قال تعالى علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء أي مما يحتاج اليه الملك ان هذا هو الفضل المبين أي الظاهر البين لله علينا قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أوى عمرو عن المدلب عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج أغلقت الابواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وأغلقت الابواب فاقبلت امرأة تطالع الى الدار

فإذا رجع قائم وسط الدار فقالت لمن في البيت من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة والله لا تفتضح بداد فجاءه داود عليه السلام
 فإذا رجع قائم وسط الدار فقال له داود من أنت فقال الذي لا يهاب الملوك ولا يمتنع من الحجاب فقال داود أنت إذا والله ملك الموت
 من جبابرة الله فدخل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان عليه السلام للطير
 أظلي داود وظلالك عليه الطير حتى أظلمت عليه الأرض فقال لها سليمان أقبضي جناح جناحا قال أبوهريرة رضي الله عنه كيف
 فعلت الطير فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وغابت عليه يومئذ (٢٠٥) المضرجية قال أبو الفرح ابن الجوزي

المضرجية هي التسور والحجر وقوله
 تعالى وحشر سليمان جنوده من
 الجن والانس والطير فهم يوزعون
 اى وجمع سليمان جنوده من الجن
 والانس والطير يعنى ركب فيهم فى
 أجهة وعظمة كبيرة فى الانس
 وكانوا هم الذين يلونه والجن وهم
 بعدهم فى المنزلة والطير ومنزلتها
 فوق رأسه فان كان حراً ظلمته منه
 باجنحتها وقوله فهم يوزعون أى
 يكف أولهم على آخرهم لئلا يتقدم
 أحده عن منزلته التى هى مرتبة له
 قال مجاهد جعل على كل صنف
 وزعة يردون أو لاها على آخرها
 لئلا يتقدموا فى المسير كما يفعل
 الملوك اليوم وقوله حتى إذا أتوا على
 وادى النمل أى حتى إذا هم سليمان
 عليه السلام بمن معه من الجيوش
 والجنود على وادى النمل قالت غلاة
 يأبىها النمل ادخلوا مساكنكم
 لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم
 لا يشعرون فأورد ابن عساکر من
 طريق اسحق بن بشر عن سعيد بن
 قنادة عن الحسن ان اسم هذه النملة
 حرس وانها من قبيلة يقال لهم بنو
 الشيصان وانها كانت عرجاء وكانت

فى الغالب فى السنة الثالثة والاربعين وهو أول سن الاكتمال والاخذ فى النقص بالنعل
 بعد الخمسين الى أن يزيد النقص فى الثالثة والستين وهو أول سن الشيوخة ويقوى
 الضعف الى ما شاء الله تعالى (يخلق ما يشاء) من جميع الاشياء ومن جملتها القوة والضعف
 والشباب والشيبة فى بنى آدم (وهو العليم) بتدبيره وأحوالهم (القدير) على خلق
 ما يريد وتغييرهم وهذا التريدى فى الاحوال أبين دليل على الصانع القادر (ويوم تقوم)
 أى توجد وتحصل (الساعة) أى القيامة وهى النفخة الثانية وسميت ساعة لانها تقوم فى
 آخر ساعة من ساعات الدنيا ولانها تقع بغتة (يقسم المجرمون) أى يحلف المشركون
 والكافرون المنكرون للبعث بانهم (ما لبثوا) فى الدنيا قاله الخطيب والكشاف والقانى
 أو فى قبورهم قاله مقاتل والكبى (غير ساعة) فيمكن ان يكونوا استقلوا مدة لبثهم واستقر
 ذلك فى أذهانهم خلفوا عليه وهم يظنون ان حلقهم مطابق للواقع وقال ابن قتيبة انهم
 كذبوا فى هذا الوقت كما كانوا يكذبون من قبل وهذا هو الظاهر لانهم ان أرادوا البتة فى
 الدنيا فقد علم كل واحد منهم مقداره وان أرادوا البتة فى القبور فقد حلفوا على جهالة ان
 كانوا لا يعرفون الاوقات فى البرزخ (كذلك) الصرف (كانوا يؤفكون) أى يصرفون
 ويقولون ما هى الاحياء التى الدنيا ونحن بمبعوثين يقال افك الرجل اذا صرف عن الصدق
 والحق وقيل المراد يصرفون عن الحق وقيل عن الخير والاول أولى وهو دليل على ان
 حلفهم كذب (وقال الذين أتوا العلم والايان) اختلف فى تعيين هؤلاء فقيل الملائكة
 وقيل الانبياء وقيل علماء الامم وقيل مؤمنو هذه الامة ولا مانع من الحمل على الجميع
 قالوا رد على هؤلاء الكفرة وتكذيبهم (انقد ابنتهم فى كتاب الله) أى سابق علمه وسالف
 قضائه (الى يوم البعث) قال الزجاج فى علم الله المنبث فى اللوح المحفوظ قال الواحدى
 المفسرون حملوا هذا على التقديم والتأخير على تقدير وقال الذين أتوا العلم فى كتاب الله
 وكان رد الذين أتوا العلم عليهم باليمين للتأكد أو لانه مقابلة لليمين باليمين رد واما قالوه
 وحلفوا عليه وأطلعواهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتدبيرهم على انكار البعث فنبههم
 على طريقة التبيكيت بقولهم (فهذا) الوقت الذى صار وافته هو (يوم البعث) الذى كنتم
 تنكرونه فى الدنيا وقيل الفاء جواب شرط محذوف تقديره ان كنتم تنكرون البعث
 فهذا يومه أى فقد تبين بطلان انكاركم (واكنتم كنتم لا تعلمون) انه حق وقوعه فى

بقدر الذنب أى خفت على النمل ان تحطمها الخيول بجوافرها فاهمهم بالدخول الى مساكنهم ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها
 فتبسم صاحبك من قولها وقال رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والذى وان أعمل صالحا ترضاه أى الهمنى ان
 أشكر نعمتك التى مننت بها على من تعلى من طير والحيوان وعلى والذى بالاسلام لك والايان بك وان أعمل صالحا ترضاه
 أى عملا تحببه وترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادة الصالحين أى اذا توفيتنى فألحقنى بالصالحين من عبادة والرفيق الاعلى من
 أوليائك ومن قال من المفسرين ان هذا الوادى كان بارض الشام أو بغيره وان هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك

من الاقوال بل فلاحاصل لها وعن نواف البكالى أنه قال كان نخل سليمان أمثال الذئاب هكذا رأيتهم يمشون طابا باليه المشاة من تحت وانما هو بالباه الموحدة وذلك تعصيف والله أعلم والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكاً من ذلك وهذا أمر عظيم جدا وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بشر حدثنا يزيد بن هرون أن أبا نامة سـ عن زيد العمى عن أبي الصديق الناجي قال خرج سليمان بن داود عليهم ما السلام يستسقي فاذا هو بمثله مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولاغنى بنا عن سقياك (٢٠٦) والاتسقة اتم لك اقال سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم

وقد ثبت في الصحيح عند مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قرصت نبيامن الانبياء غملة فامر بقرية النمل فاحرق فاحق الله اليه أفي أن قرصت غملة أهلكت امته من الامم تسبح فهل لاغلة واحدة (وتفقد الطير فقال مالي لأرى الهدد أم كان من الغائبين لأعذبه عذابا شديدا أو لا يزججه أوليا تبني بسلطان مـ بين) قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس وغيره كان الهدد مهندا سيد سليمان عليه السلام على الماء اذا كان بارض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الارض كما يرى الانسان الشيء الظاهر على وجه الارض ويعرف كم مساحة بعده من وجه الارض فاذا دلهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان خفسر واله ذلك المكان حتى يستبسط الماء من قراره فنزل سليمان عليه السلام يوما بفلاة من الارض فتنفقد الطير ليرى الهدد فليراه فقال مالي لأرى الهدد أم كان من الغائبين حدث

الذي ابل كنتم تستعجلونه تكذبا واستهزاء (فـ مـ مذ) البناء تفصيل لما يفهم مما قبلها من انه لا يفيدهم تقليل مدة البث ولا النسيان أو وجوب شرط مقدرا أيضا (لا ينفع الذين ظلموا وعذرتهم) أي لا ينفعهم الاعتذار يومئذ ولا يفيدهم علمهم بالقيامه كأنهم توهوا ان التقليل ونحوه عذر في عدم طاعتهم كقوله أولم نعمركم ما يتذكرون من تذكر وقيل لما ردهم المؤمنون سألو الرجوع الى الدنيا واعتذروا ولم يعذروا قرئ لا ينفع بالتحسنة وبالنفوقية وهما سبب بيان (ولاهم يستعجبون) أي لا يطلب منهم العتبي وهو الرجوع الى ما رضى الله من التوبة والعمل الصالح وذلك لا تنفع التكليف في ذلك اليوم يقال استعنته فاعتبني أي استرضيته فأرضاني وذلك اذا كنت جائعا عليه وحقية أعنته أزلت عتبه والمعنى أنهم لا يدعون الى ازالة عتبتهم من التوبة والطاعة كما دعوا الى ذلك في الدنيا (ولقد ضرب بنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرايتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبه الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعجابهم وكذا ضربنا لهم من كل مثل من الامثال التي تدلهم على توحيد الله وصدق رسوله واجتنبنا عليهم بكل حجة تدل على بطلان الشرك وفيه اشارة الى ازالة الاعتذار والاتباع بما فوق الكفاية من الانذار (وائن جنتهم باية) من آيات القرآن الناطقة بذلك أولئ جنتهم باية كالعصا واليد وجنتهم بكل آية جاءت بها الرسل (ليقولن الذين كفروا) منهم (ان انتم الابطالون) أي ما أتت يا محمد وأصحابك الا أصحاب اباطيل يتبعون السعور وما هو مشا كل له في البطلان أو انكم كلكم أي الرسل مبطلون واللام مؤكدة واقعة في جواب القسم (كذلك) الطبع (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي الناقدين للعلم النافع الذي يهتدون به الى الحق والتوحيد وينجون به من الباطل والشرك والمصرين على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب الحق ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر مع ذلك بحقيقة وعده سبحانه وعدم الخلف فيه فقال (قاصبر) على ما سمعه منهم من الاذى وتنظره من الافعال الكثرية والفاء فصيحة (ان وعد الله حق) وقد وعدك بالنصر عليهم واعلاء حجتك واطهار دعوتك وعده حق لا خلف فيه (ولا يستخفونك) أي لا يهملونك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الخفة والجهل

والطيش

بوما عبد الله بن عباس بنحو هذا وفي القوم رجل من الخوارج يقال له نافع بن الازرق وكان

كثير الاعتراض على ابن عباس فقال له قبا بن عباس غلبت اليوم قال ولم قال انك تخبر عن الهدد انه يرى الماء في تخوم الارض وان الصبي ليضع له الحبة في الفخ ويحتمو على الفخ ترايا فيجي الهدد لياخذها فيقع في الفخ فيصيده الصبي فقال ابن عباس لولا ان يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لما أحبته ثم قال له ويحك انه اذا نزل القدر عمى البصر وذهب الحد فقال له نافع والله لا أجد ذلك في شيء من القرآن أبدا وقد ذكر الحافظ ابن عسا كرفي ترجمة عبد الله البرزى من أهل برزة من حوائط دمشق

وكان من الصالحين يصوم يوم الاثنين والخميس وكان أعور قد بلغ الثمانين فروى ابن عباس كرسنه إلى آي سليمان بن زيد أنه سأله
 عن سبب عوره فاستمع عليه فالح عليه شهو ورافخه ان رجلين من اهل خراسان نزلا عنده جمعة في قرية برزة وسألاه عن وايتها
 فار يتما اباه فخر جاجامر وأوقدا فيم الجورا كثيرا حتى يجمع الوادي بالدخان فاخذ ايع زمان والحيات تقبل من كل مكان اليها فلا
 يلتفتان الى شئ منها حتى اقبلت حية نحو الذراع وعيناهما توقدان مثل الدينا فاستبشرا عظيميا وقال الحمد لله الذي لم يخيب سفرنا
 من سنة وكسر الجاهر واخذ الحية فأدخلا في عينها ميلا فاكحلها به (٢٠٧) فسألتهما ان يكعلا في فأيا فالتحت علمها

وقلت لا بد من ذلك وتوعدت ما
 بالدولة فكعلا عيني الواحدة اليمنى
 فحين وقع في عيني نظرت الى
 الارض تحتى مثل المرأة أنظر
 ما تحتها كما ترى المرأة ثم قال لي سر
 معنقلها ففسرت معهما وهما
 يحداثني حتى اذا بعدت عن القرية
 اخذاني فكفتاني وادخل احدهما
 يده في عيني ففتأها ورمى بها ومضى
 فلم ازل كذلك ملقى مكتوبا حتى
 مر بي نفر ففك وثاقى فهذا ما
 كان من خبر عيني وقال ابن ابي
 حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا
 هشام بن عمار حدثنا صدقة بن عمرو
 الغساني حدثنا عباد بن مسرة
 المنقري عن الحسن قال اسم
 هدهد سليمان عليه السلام عنبر
 وقال محمد بن اسحق كان سليمان
 عليه السلام اذا غدا الى مجلسه
 الذي كان يجلس فيه تفقد الطير
 وكان فيما يزعمون يا تيه نوب من كل
 صنف من الطير كل يوم طائر فنظر
 فرأى من اصناف الطير كاهن من
 حضره الا الهدهد فقال مالي
 لا ارى الهدهد ادم كان من الغائبين
 اخطأه بصري أم غاب فلم يحضر

والطيس بترك الصبر ولا يستقر ذلك عن دينك وما انت عليه يقال استخف فلان فلانا أي
 استجهله حتى جعله على اتساع في العي وقرئ من الاستخفاف والنهي في الآية من باب لا
 اريتك ههنا (الذين لا يؤمنون) بالله ولا يصدقون انبياءه ولا يؤمنون بكتبه ولا بالبعث
 والحساب

* (سورة لقمان آياتها ثلاث أو أربع وثلاثون آية) *

وهي مكية الا ثلاث آيات وهي قوله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام الى تمام
 الآيات الثلاث قاله ابن عباس وعنه انها مكية ولم يستثن وعن قتادة انها مكية الا آيتين
 فذنبتان وأخرج النسائي وابن ماجه عن البراء قال كان صلى خلف النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم الظهر نسمع منه الآية بعد الآية من سورة لقمان والذاريات

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم) الله أعلم بمراده به وقد تقدم الكلام على مثل فاتحة هذه السورة فلان عيده (تلك آيات
 الكتاب الحكيم) وقد تقدم أيضا بيان مرجع الاشارة مرارا في نظائرها والحكيم امان
 يكون بمعنى مفعول أو بمعنى فاعل أو بمعنى ذي الحكمة أو الحكيم قائله والاضافة بمعنى
 من (هدى ورجة) قال الزجاج المعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرجة وقرئ
 بالرفع أي هو هدى ورجة (للمحسنين) المحسن العامل للحسنات أو من يعبد الله كأن يراه
 كما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح لما سأله جبريل عن الاحسان فقال ان تعبد
 الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يرأى ثم وصفهم بقوله (الذين يعقون الصلاة ويؤتون
 الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) وخص هذه العبادات الثلاث لانها عمدتها (أو لئلا على
 هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) قد تقدم تفسير هذا في أوائل سورة البقرة والمعنى
 هنا أن أولئك المتصفين بالاحسان فعمل تلك الطاعات التي هي امهات العبادات هم على
 طريق الهدى وهم الفائزون بمطالبهم الظافرون بخير الدارين (ومن الناس من
 يشتري من امام موصولة أو موصوفة ومفردا لفظا جمع معنى وروعي لفظه أو لافي ثلاثة
 ضمائر يشتري ويضل ويخذ وروعي معناها ثانيا في موضعين وهما أولئك لهم ثم رجع الى
 مراعاة اللفظ في خمسة ضمائر وهي واذا أتى عليه الخ (لهو الحديث) وهو كل باطل

وقوله لا عذبه عذابا شديدا قال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن ابن عباس يعني تفريسه وقال عبد الله بن شداد
 تفريسه وتشميسه وكذا قال غير واحد من السلف انه تفريسه وتركه ملقى بأكله الذروا ليل وقوله أولاد بجنه يعني قتله
 أو ما يقيني بسطان ميين بهذر بين واضح وقال سفيان بن عيينة وعبد الله بن شداد لما قدم الهدهد قالت له الطير ما خلقتك فقد نذر
 سليمان دمك فقال هل استثنى قالوا نعم قال لا عذبه عذابا شديدا ولا ذبجنه اوليا تبنى بسطان ميين قال لجنوت اذا قال مجاهد انما
 دفع الله عنه بربه باهه (لمكث غير بعيد فقال أخطت بما لم تحفظ بهوجت منك من سبابنا يقين اني وجدت امرأة تلبسهم وأوتيسه

من كل شيء ولها عرش عظيم وحدثها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) يقول تعالى فيكث الهدى وغيره بعد أي غاب زمانا يسيرا ثم جاء فقال لسليمان أحطت بما لم تحط به أي اطلعت على ما لم تطع عليه أنت ولا جنودك وجنتك من سبابنا يقين أي بصدق حتى يقين وسبابهم حدير وهم ملوك اليمن ثم قال اني وجدت امرأة تملكهم قال الحسن (٢٠٨) البصرى وهى بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ وقال قتادة

كانت أمها جنيمة وكان مؤخر قدمها مثل حافر الدابة من بيت ملكة وقال زهير بن محمد هى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنيمة وقال ابن جرير بلقيس بنت ذى سرخ وأمها بلتمعة وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا سعد حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال كان مع صاحبة سليمان مائة الف قيل تحت كل قيل مائة ألف وقال الاعشى عن مجاهد كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل قيل مائة الف مقاتل وقال عبد الرزاق أنا معاوية بن معمر عن قتادة في قوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم كانت من بيت ملكة وكان أولو مشورتها ثلثة مائة واثني عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بارض يقال لها مأرب على ثلاثة اميال من صنعاء وهذا القول هو أقرب على انه كثير على ملكة اليمن والله أعلم وقوله وأوتيت من كل شيء أي من متاع الدنيا مما يحتاج

يلهى ويشغل عن الخير من الغناء والملاهى والأحاديث المكذوبة والاضاحك والسمر بالاساطير التي لأصل لها والخرافات والقصص المختلفة والمعازف والمزامير وكل ما هو منكر والاضافة بيانية أي الله من الحديث لان الله ويكون حديثنا وغيره فهو كمنوب خز وهذا أبلغ من حذف المضاف وقيل المراد شراء القينات المغنيات والمغنين فيكون التقدير من يشترى اهل لهو الحديث قال الحسن لهو الحديث والمعازف والغناء وروى عنه أنه قال هو الكفر والشرك وفيه بعد والمراد بالحديث الحديث المنكر والمعنى يختارون حديث الباطل على حديث الحق قال القرطبي ان أولى ما قيل في هذا الباب هو تفسير لهو الحديث بالغناء قال وهو قول الصحابة والتابعين قال ابن عباس لهو الحديث باطله وهو في النضر بن الحرث بن علقمة اشترى أحاديث الاعاجم وأخبار الا كاسرة وصنعههم في دهرهم وكان يكتب الكتب من الحيرة الى الشام ويحدث بها قريشا ويكذب القرآن وعنه قال هو الغناء وأشباهه أخرجه البخارى في الادب المفرد وعنه قال الجوارى الضاربات وعن ابن مسعود قال هو والله الغناء وفي لفظ قال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وعن ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قال هو الحديث هو الغناء والآية تنزلت فيه وقيل هو كل لهو ولعب والمعنى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن وأخرج احمد والترمذي وابن ماجه والظهيراني والبيهقي وغيرهم عن أبي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تبعوا القينات ولا تشتروهن ولا خير في تجارة فيهن وبعنهن حرام في مثل هذا أنزلت هذه الآية وفي اسناده عبيد بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم بن عبد الرحمن وفيهم ضعف وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الملاهى وابن مردويه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حرم القينة وبيعها وعتقها وتعليمها والاستماع اليها ثم قرأ ومن الناس من يشترى لهو الحديث وأخرج البيهقي في السنن وابن أبي الدنيا وابن مردويه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغناء يبت الفساق كما يبت الماء البقل ورواه عنه موقوفا وأخرج ابن أبي الدنيا وابن مردويه عن أبي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما رفع أحد صوته بغناء الا بعث الله اليه شيطانا يجلسان على منكبيه يضربان باعقابهما على صدره حتى يمكأ وأخرج الترمذي عنه مرفوعا نحوه

وفى

اليه الملك المتكبر ولها عرش عظيم يعنى سر يرتجلس عليه عظيم هائل من خرف بالذهب

وأشواع الجواهر واللاكنى قال زهير بن محمد كان من ذهب وصفحته مرمولة بالياقوت والزبرجد طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وقال محمد بن اسحق كان من ذهب مفضل بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ وكان انما يخدمها النساء ولها استماعة امرأة تلى الخدمة قال علماء التاريخ وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم وكان فيه ثلثمائة وستون طاقه من مشرقه ومثلها من مغربه قد وضع بناؤه على ان تدخل الشمس كل يوم من طاقه وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صاحبها ومساء

ولهذا قال وجدتم اوقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل اى عن طريق الحق فهم لا يتدنون وقوله اى لا يسجدوا لله ومعناه وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يتدنون ان لا يسجدوا لله اى لا يعرفون سبيل الحق التى هى اخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها كما قال تعالى ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للنجم الا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون وقرأ بعض القراء لا يسجدوا لله جعلها الا الاستفاحية وبالنداء (٢٠٩) وحذف المنادى تنديده عنده الا يا قوم

اسجدوا لله وقوله الذى يخرج الخب فى السموات والارض قال على بن ابي طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيثة فى السماء والارض وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد وقال سعيد بن المسيب الخب الماء وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم خب السموات والارض ما جعل فيها من الارزاق المطر من السماء والنبات من الارض وهذا مناسب من كلام الهدهد الذى جعل الله فيه من الخاصة ما ذكره ابن عباس وغيره من انه يرى الماء يجرى فى تخوم الارض وداخلها وقوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون اى يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الاقوال والافعال وهذا كقوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار وقوله الله لاله الا هو رب العرش العظيم اى

وفى الباب احدث فى كل حديث منها مقال وقال ابن مسعود له والحديث الرجل يشتري جارية تغنيه ليلنا ونهارا وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول فى له والحديث انما ذلك شراء الرجل للعب والباطل اخرج ابن مردويه وعن نافع قال كنت اُسرى مع عبد الله بن عمر فى طريق فسمع زمارة فوضع اصبعيه فى اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم يزل يقول يا نافع اتسمع قلت لا فخرج اصبعيه من اذنيه وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صنع وعن ابن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انما سميت عن صوتين أحقين فاجر بن صوت عند نعمة له هو ومن امير شيطان وصوت عند مصيبة تخش وجوه وشن جيوب ورنه شيطان (ليضل عن سبيل الله) اللام للتعليل قرئ بضم الياء اى ليضل غيره عن طريق الهدى ومنهج الحق وقرئ بفتح الياء اى ليضل هو فى نفسه ويديم ويستمر ويثبت على الضلال وهما سبعتان قال الزجاج من قرأ بضم الياء فعنا له ليضل غيره فاذا أضل غيره فقد ضل هو ومن قرأ بفتح الياء فصير امره الى الضلال وهو ان لم يكن يشتري الضلالة فان امره الى ذلك فافاد هذا التعليل انه انما يستحق الذم من اشترى له والحديث لهذا المقصد ويؤيد هذا سبب النزول قال ابن عباس سبيل الله قراءة القرآن وذكر الله نزلت فى رجل من قريش اشترى جارية مغنية قال الطبرى قد اجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه وانما فارق الجماعة ابراهيم بن سعد وعبد الله العنبرى قال القاضى ابو بكر بن العربى يجوز للرجل ان يسمع غناء جاريته اذ ليس شئ منها على حرام الا من ظاهرها ولا من باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها وقال فى نيل الاوطار بعد ذكر الاختلاف فيه مع الادلة لا يخفى على الناظر ان محل النزاع اذا خرج عن دائرة الحرام لم يخرج عن دائرة الاشتباه والمؤمنون وقافون عند الشبهات كما صرح به الحديث الصحيح ومن تركها فقد استبرأ له رضىه ودينه ومن حرم حول الحمى يوشك ان يقع فيه ولا سيما اذا كان مشتملا على ذكر القدر والحدود والجمال والدلال والهجر والوصال ومعاقرة العقار وخلع العذار والوفار فان سامع ما كان كذلك لا يخلو عن بليمة وان كان من التصلب فى ذات الله على حديث قصر عنه الوصف وكمل هذه الوسيلة الشيطانية من قبيل دمه مطلول وأسيرهم موم غرامه وهيامه مكبول نسأل الله السداد والنبات قلت وقد جمع الشوك فى رسالة مشتملة على اقوال أهل العلم فى الغناء وما استدل

(٢٧ - فتح البيان سابع) هو المدعو لله وهو الذى لاله الا هو رب العرش العظيم اى الذى ليس فى المخلوقات اعظم منه ولما كان الهدهد داعيا الى الخير وعبادة الله وحده والسجود له نهى عن قتله كما رواه الامام احمد وابو داود وابن ماجه عن ابي هريرة رضى الله عنه قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصراد وسناده صحيح (قال سنظرا صدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتبى هذا فآلقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا ايها الملا اى اى الى كتاب كريمه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم لاتعولوا على واتوني مسابن)

يقول تعالى مخبراً عن قيس سليمان لله سده حين أخبره عن أهل سبأ وملكتهم قال سننظر أصدق أم كنت من الكاذبين
 أي أصدق في أخبارك هذا أم كنت من الكاذبين في مقالتي لتخلص من الوعيد الذي أوعدتك اذهب بكتابي هذا
 فالفقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ما ذير جعون وذلك ان سليمان عليه السلام كتب كتابا الى بلقيس وقومها وأعطاه ذلك الهدى
 فعمله قيل في جناحه كما هي عادة الطير وقيل بمنقاره وذهب الى بلادهم فجاء الى قصر بلقيس الى الخسولة التي كانت تحتلى
 فيها بنفسها فالتقاء اليها من كوة
 فقهرت ممرات وهالها ذلك ثم
 عدت الى الكتاب فأخذته
 ففحصت ختمه وقرآته فاذا فيه انه
 من سليمان وانه بسم الله الرحمن
 الرحيم ألا تعالوا على واتتوني مسلمين
 في معت عند ذلك أمراءها
 ووزراءها وكبراء دولتها
 وملكتها ثم قالت لهم يا أيها الملأ
 اني ألقى الى كتاب كريم تعنى
 بكرمه مارأته من عجيب أمره
 كون طائر جاء به فالتقاء اليها ثم
 تولى عنها أدبا وهذا أمر لا يقدر
 عليه أحد من الملوك ولا سبيل
 لهم الى ذلك ثم قرأت عليهم انه
 من سليمان وانه بسم الله الرحمن
 الرحيم ألا تعالوا على واتتوني مسلمين
 فعرفوا انه من نبي الله سليمان
 عليه السلام وانه لا قبل لهم به
 وهذا الكتاب في غاية البلاغة
 والوجازة والقصاحة فانه حصل
 المعنى بأيسر عبارة وأحسنها قال
 العلماء لم يكتب أحد بسم الله
 الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه
 السلام وقد روى ابن أبي حاتم

(٢١٠)

المحلون له والمحرمون له وحق هذا المقام بما لا يحتاج من نظرها وتدبر معانيها الى النظر
 في غيرها وسماها ابطال دعوى الاجماع على تحريم مطلق السماع ولنا أيضا بحمد الله
 عز وجل جواب بسيط في جواز الغناء وعدم جوازه بالفارسية ذكرناه في كتابنا هداية
 السائل فن أحب تحقيق المقام كما ينبغي فليرجع الى ذلك (بغير علم) أي حال كونه غير عالم
 بحال ما يشتره أو بحال ما ينفع من التجارة وما يضر فلماذا استبدل بالخير ما هو شر محض
 أو يفعله عن جهل أو جهل ما ينفع من التجارة وما يضر فلماذا استبدل بالخير ما هو شر محض
 وما كانوا مهتدين أي لصواب التجارة (ويتخذها) قرأ حزمة والكسائي والاعمش بالنصب
 عطفا على يضل والضمير المنصوب راجع الى السبيل فيكون المعنى على هذه القراءة فمن
 جملة التعليل للتحريم والمعنى انه يشتري لهوا الحديث للاضلال عن سبيل الله واتخاذ
 السبيل (عزوا) أي مهزوا به والسبيل يذكر ويؤنث وقرأ الجمهور بالرفع عطفا على يشتري
 فهو من جملة الصلة وقيل الرفع على الاستئناف والضمير المنصوب يعود الى الآيات المتقدمة
 ذكرها والاولى (أولت) إشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الأفراد في الفعلين
 باعتبار لفظها كما تقدم (لهم عذاب مهين) هو الشديد الذي يصير به من وقع عليه مهينا
 (وإذا أتى عليه) أي على هذا المستهزئ (آياتنا ولي مستكبرا) أي أعرض عنها حال كونه
 مبغضا في التكبر رافعا نفسه عن الأصغاه الى القرآن (كأن لم يسمعها) أي كان ذلك
 المعرض المستكبر لم يسمعها مع انه قد سمعها ولكن أشبهت حاله حال من لم يسمع (كأن
 في آذنيه وقرا) ولا يقر فيها ما والوقر النقل وهو حال من لم يسمعها وقد تقدم بيانه وفيه مبالغة
 في أعراض ذلك المعرض (فبشره بعذاب أليم) أي أخبره بأن له العذاب البليغ في الألم
 وذكر البشارة تمكيم به ثم لما بين سبحانه حال من يعرض عن الآيات بين حال من يقبل
 عليها فقال (ان الذين آمنوا) بالله وبآياته ولم يعرضوا عنها بل قبلوها (وعملوا الصالحات
 لهم جنات المعيم) أي نعم الجنات فنعكسه للمبالغة جعل لهم جنات النعيم كما جعل
 للفريق الاول العذاب المهين (خالدين فيها) حال من الضمير فيهم أي مقدر اخلودهم فيها
 اذا دخلوها (وعدا الله حقا) هما مصدران الاول مؤ كد لنفسه أي وعدا الله وعدا الثاني
 مؤ كد لغيره وهو مضمون الجملة الاولى وتقديره حق ذلك حقا والمعنى ان وعده بأن لهم
 جنات النعيم كائن لا محالة ولا خلف فيه (وهو العزيز) الذي لا يغلبه غالب (الحكيم) في

كل

في ذلك حديثا في تفسيره حيث قال حدثنا أبي حدثنا هرون بن

الفضل أبو يعلى الخياط حدثنا أبو يوسف عن سلمة بن صالح عن عبد الكريم أبي أمية عن ابن بريده عن أبيه قال
 كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أعلم انه لم تنزل على نبي قبلي بعد سليمان بن داود قلت يا نبي الله أي آية قال
 سأعلمكها قبل ان أخرج من المسجد قال فانتهى الى الباب فأخرج احدى قدميه فقلت نسي ثم التفت الى وقال ان من سليمان
 وانه بسم الله الرحمن الرحيم هذا حديث غريب واسناده ضعيف وقال يعقوب بن مهران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم وقوله ان لا يعصوا ابي قاب حاداه يعوب بن جبر و
 علي واستوفى مسلمين وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم لا تمتنعوا ولا تكبروا على واستوفى مسلمين قال ابن عباس موحدين وقا
 غيره مخلصين وقال سفيان بن عيينة طائعين (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت فاطمة أمرا حتى تشهدوا
 قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوه
 وجعلوا أعز أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسله اليهم (٢١١)

كل أفعاله وأقواله ثم بين سبحانه عزته وحكمته بقوله (خلق السموات بغير عمد) جمع
 عماد كاهب جمع اهاب وهو ما يعمد به أي يستند يقال عمدت الحائط اذا دعمته والدعامة
 بالكسر ما يستند به الحائط اذا مال ينعجه السقوط ودعمت الحائط دعما من باب نفع
 وقد تقدم الكلام فيه في سورة الرعد قيل ان السماء خلقت مبسوطة كعصفرة مستوية
 وهو قول المفسرين وهي في الفضاء والنضاء لانها تله وتكون السماء في بعضه دون بعض
 ليس ذلك الا بقدره قادر مختار واليه الاشارة بقوله بغير عمد (ترونها) أي ليس لها شيء
 ينعها الزوال من موضعها وهي ثابتة لا تزول وليس ذلك الا بقدرته الله تعالى وفيه
 وجهان أحدهما انه راجع الى السموات أي ليست هي بعمد وأتم ترونها كذلك بغير عمد
 الوجه الثاني انه راجع الى العمود ومعناه بغير عمد مرتبة فيمكن ان تكون ثم عمد ولكن
 لا ترى وقيل ولا عمد البتة قال علي بن سليمان الاولي أن يكون مستقفا أي ولا عمد ثم
 (وأق في الارض رواي) أي جبالا مرتفعة ثوابت شواخ من أوتاد الارض وهي سبعة
 عشر جبلا منها قاف وأبوقيس والجودي وابنان وطور سينين وطور سيناء أخرجه ابن
 جرير ولكن لا وجه للتخصيص والاولى العموم والجبال على الارض أكثر من ذلك
 والكل يصلح للرسو يقال رسا الشيء ثبت وبابه عداه او الرواسي الرواسخ واحدها
 راسية (أن تميد بكم) أي كراهة أن تميد بكم وقيل ثلاثا والمعنى انه خلقها وجعلها
 مستقرة ثابتة لا تتحرك بجبال جعلها عليها وأرساها على ظهرها (وبث) أي نشر وفرق
 (فيها) أي في الارض (من كل دابة) أي كل نوع من أنواع الدواب ومن زائدة (وأزنا) فيه التفات عن الغيبة (من السماء) مطهرا وهو من انعام الله على عباده وفضله
(فأبتنا فيها) أي في الارض بسبب انزال الماء (من كل زوج كريم) أي من كل صنف
حسن ووصفه بكونه كريما الحسن لونه وكثرة منافعه وقيل ان المراد بذلك الناس فالكريم
منهم من يصير الى الجنة والثيم من يصير الى النار قاله الشعبي وغيره والاول أولى (هدا)
أي ما ذكر من خلق السموات والارض وما تعلق به من الامور المعدادة (خلق الله)
أي مخلوقه تعالى (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أي من آلهتكم التي تعبدونها من
دون الله والاستفهام للتقريع والتوبيخ والمعنى فأروني أي شيء خلقوا مما يحاكي خلق
الله أو يقاربه حتى استوجبوا عندكم العبادة وهذا الامر لهم لقصد التعجيز والتبكي

بهدية فناظره ثم يرجع المرسلون
 لما قرأت عليهم كتاب سليمان
 استشارتهم في أمرها وما قد
 نزل بها ولهذا قالت يا أيها الملأ
 أفتوني في أمري ما كنت فاطمة
 أمرا حتى تشهد دون أي حتى
 تحضرون وتشهرون قالوا نحن
 أولو قوة وأولو بأس شديد أي متو
 اليها بعددهم وعددهم وقوتهم
 ثم فوضوا اليها بعد ذلك الامر
 فقالوا والامر اليك فانظري ماذا
 تأمرين أي نحن ليس لنا عاقبة
 ولا بنا بأس ان شئت ان تقصدي
 ونحاريه فخالنا عاقبة عنه وبعده
 هذا فالامر اليك فأراى فيها
 رأيك تمتلئه ونطيعه قال الحسر
 البصرى رحمه الله فوضوا أمرهم
 الى العجبة يضطرب ثدياها فلما
 قالوا لها ما قالوا كانت هي أحرز
 رأيهم واعلم بأمر سليمان
 وانه لا قبل لها بجنوده وجيوشه
 وما حصره من الجن والانس والطير
 وقد شاهدت من قضية الكتاب
 الهدى هداهم ارجيبا بديعافات
 لهم اني أخشى أن تحاربوه وتمت

عليه فيقصدنا بجنوده ويهدا كما بين معه ويخلص الى والمكتم الهلاك والدماردون غيرنا ولهذا قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية
 افسدوها قال ابن عباس أي اذا دخلوا بلاد عنوة افسدوه أي خربوه وجعلوا أعز أهلها أذلة أي وقصدوا من فها من الولا
 والجنود فمهلونهم غاية الهوان اما بالقتل أو بالاسير قال ابن عباس قالت بلقيس ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا
 أعز أهلها أذلة قال الرب عز وجل وكذلك يفعلون ثم عدت الى المصالحة والمهادنة والمسالمة والمخادعة والمصانعة فقالت واني
 مرسله اليهم بهدي فناظره ثم يرجع المرسلون أي سأبعث اليه بهدية تليق بمثله وأنظرم ماذا يكون جوابه بعد ذلك فلعله يقبل

ذلك منا ويكف عنا أو يضرب علينا خراج نفسه له اليه في كل عام ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا قال قتادة رحمه الله ما كان أعقلها في اسلامها وشركها علمت ان الهدية تقع موقعا من الناس وقال ابن عباس وغير واحد قالت لقومها ان قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه وان لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه (فلما جاء سليمان قال أئذ وني بمال فما أتاني الله خيرا مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلما أتيتهم بجنود لا قبل لهم بها ولخرجتهم منها أثلة وهم صاغرون) ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم انها

(٢١٢)

بعضهم أرسلت بلينة من ذهب والصحيح انها أرسلت اليه بآية من ذهب قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وغيرهما أرسلت جوارى في زى الغلمان وعلما تافى زى الجوارى فقالت ان عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي قالوا فامرهم سليمان فتوضوا فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء وجعل الغلام يعترف فيزهم بذلك وقيل بل جعلت الجارية تغسل باطن يدها قبل ظاهرها والغلام بالعكس وقيل بل جعلت الجوارى يغسلن من أكفهن الى مرافقهن والغلمان من مرافقهن الى كفو ففهم ولا منافاة بين ذلك كله والله أعلم وذكر بعضهم انها أرسلت اليه بقدر ليلاء ما عروا ولا من السماء ولا من الارض فاجرى الخيل حتى عرفت ثم ملاه من ذلك وبخرزة وسلك يجعله فيها ففعل ذلك والله أعلم كان ذلك أم لا وأكثره ما أخذ من الاسرائيليات والظاهر ان سليمان عليه السلام لم ينظر الى ما جاؤا به بالكيسة ولا اعتمى به بل أعرض عنه وقال

ثم اضرب عن تبييتهم بما ذكر الى الحكيم عليهم بالضلال الظاهر والاعلام بيطان ما هم عليه فقال (بل الظالمون في ضلال مبين) فقررت لهم أم ولا وضلا لهم ثانيا ووصفه بالوضوح والظهور ومن كان هكذا فلا يعقل الخجة ولا يهتدى الى الحق (ولقد آتينا لقمان الحكمة) كلام مستأنف لبيان بطلان الشرك واختلاف في لقمان هل هو عربي أم أعجمي مشتق من اللقم فمن قال انه أعجمي منعه للتعريف والحكمة ومن قال انه عربي منعه للتعريف ولزيادة الالف والنون قال الحنفناوى والاول أظهر واختلنا وأيضاهل هو نبي أم رجل صالح فذهب أكثر أهل العلم الى انه ليس بنبي وحكى الواحدى عن عكرمة والسدى والشعبي انه كان نبيا والاول أرجح لماسياى وقيل لم يقبل نبوته الا عكرمة فقط مع ان الراوى لذلك عنه جابر الجعفي وهو ضعيف جدا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة وهو لقمان بن باعور بن ناحور بن نارخ وهو آزر أبو ابراهيم وقيل هو لقمان بن عنق بن مرون وكان نوبيا من أهل ايلة ذكره السهيلي قال وهب هو ابن أخت أيوب وقال مقاتل هو ابن حالته عاش ألف سنة وأخذ عنه العلم وكان يقضى قبل مبعث داود فلما بعث داود قطع الفتوى فقبل له فقال ألا أكتفى اذ كفيت وقيل كان خياطا وقيل نجارا وقيل راعيا وقال الواقدي كان قاضيا بنى اسرائيل وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتدرون ما كان لقمان قالوا الله ورسوله أعلم قال كان حبشيا أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال كان عبدا حبشيا نجارا وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم سادات أهل الجنة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذن أخرجه الطبراني وابن حبان في الضعفاء قال الطبراني أراد الحبشة والحكمة التي آتاه الله هي الفقه والعقل والاصابة في القول وفسر الحكمة من قال نبوته بالنبوة وقال ابن عباس يعنى العقل والفهم والفظنة في غير نبوة وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان لقمان الحكيم كان يقول ان الله اذا استودع شيئا حفظه وقد ذكر جماعة من أهل الحديث روايات عن جماعة من الصحابة والتابعين تضمنت كلمات من مواظب لقمان وحكمه ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك شئ ولا يثبت اسناد صحيح الى لقمان بشئ منها حتى نقله وقد حكى الله سبحانه من مواظبه لابنه ما حكاه في هذا الموضوع وفيه كفاية وما عدا ذلك

عما

منكر اعياهم أئذ وني بمال أى أئذنا عنى بمال

لا ترككم على شرككم وملككم فما أتاني الله خيرا مما آتاكم أى الذى أعطاني الله من الملك والمال والجنود خيرا مما آتيتكم فيه بل أنتم بهديتكم تفرحون أى أنتم الذين تنقادون لله دابا والتحف وأما نافلة قبل منكم الا الاسلام أو السيف قال الاعمش عن المنهال ابن عمرو وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنه أمر سليمان الشياطين فثوره الالف قصر من ذهب وفضة فلما رأت رسلها ذلك قالوا ما يصنع هذا بهديتنا وفي هذا جواز تبيي الملوك واطهارهم الزينة للرسول والقصاد ارجع اليهم أى بهديتكم

فلما أتيتهم بجنود لا قبل لهم بها أي لاطافة لهم بقتالهم وتغرب عنهم منها أذلة أي وتغرب عنهم من بلدتهم أذلة وهم صاغرون أي مهانون مدحورون فلما رجعت اليها أرسلها جديتها وبعثت أبا سليمان سمعت وأطاعت هي وقومها وأقبلت تسير اليه في جنودها خاضعة ذليلة معظمة لسليمان نارية متابعته في الاسلام ولما تحقق سليمان عليه السلام قدومه عليهم ووفودهم اليه فرح بذلك وسره (قال يا أيها الملا أيكم يأتي بعرضها قبل ان يأتي قومي مسلمين قال عفرت من الجن أنا أتيتك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوى أمين قال الذي عنده علم من

(٢١٣)

طرفك فلما رآه مسرعة قرأ عنده قال هذا من فضل ربي لسببني أشكرهم أشكرهم من شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم) قال محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان قال فلما رجعت اليها الرسل بعثت سليمان قالت قد والله عرفت ما هذا بعلك ومالنا به من طاقة وما نصنع بكبرته شيئاً وبعثت اليه اني قادمة عليك بمولوك قومي لانظر ما أمرك وما تدعوننا اليه من دين ثم أمرت بسير ملكها الذي كانت تجلس عليه وكان من ذهب مفصص بالبقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل في سبعة آيات بعضها في بعض ثم أقفلت عليه الابواب ثم قالت لمن خلفت علي سلطانها احتفظ بما قبلك وسير ملكي فلا يخلص اليه أحد من عباد الله ولا يرينه أحد حتى أتيتك ثم نخصت الي سليمان في اثني عشر ألف قبيل من ملوك اليمن تحت يدك قبيل أولوف كثيرة فجعل سليمان يعث الجن بأقوتهم سيرها ومنتهاها كل يوم ويا له حتى اذانت جمع من

مما لم يصح فليس في ذكره الا شغله للعيز وقطيعه للوقت ولم يكن نبيا حتى يكون ما نقل عنه من شرع من قبلنا ولا صح اسناد ما روى عنه من الكلمات حتى يكون ذلك من تدوين كلام الحكمة التي هي ضالة المؤمن (أن اشكر الله) ان هي المفسرة لان في الايتاء معنى القول لانه تعليم أو وحى وقيل التقدير قلنا له هذا القول وقال الزجاج التقدير لان اشكره وقيل بان اشكره فاشكره فكان حكما يشكره والشكر لله الشكر لله الشكر لله في مقابلة النعمة وطاعته فيما أمر به وقيل الشكر ان لا تعصى الله بنعمه وقيل ان لا ترى معه شريكا له في نعمه وقيل هو الاقرار بالعجز ورؤية العجز في الكل دليل قبول الكل ثم بين سبحانه ان الشكر لا ينتفع به الا الشاكر فقال (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) لان نفع ذلك ونوابه راجع اليه وفائده حاصله له اذ به تستبقي النعمة وبسببه يستجلب المزيد لها من الله سبحانه والجله مستأنفة مقرر لضعفون ما قبلها موجبة لامتنال الامر (ومن كفر) أي من جعل كفر النعمة مكان شكرها (فان الله غني) عن شكره غير محتاج اليه (حميد) مستحق للحمد من خلقه لانعامه عليهم بنعمه التي لا يحاط بقدرها ولا يحصر عددها وان لم يحمدوا أحد فان كل موجود ناطق بحمده بلسان الحال قال يحيى بن سلام غني عن خلقه حميد في فعله (و) اذ كر (اذ قال لقمان لابنه) قال السهيلي واسم ابنه ثاران في قول ابن جرير والقتبي وقال السكبي مشكم وقال النقاش انم وقيل ماثان قال القشيري كان ابنه وامرأته كافرين فزال يعظهما حتى أسلما ودل على هذا قوله لا تشرك بالله ان الشرك انظم عظيم والتقدير آتينا لقمان الحكمة حين جعلناه شاكرا في نفسه وحين جعلناه واعظا لغيره (وهو يعظه) أي والحال انه يخاطبه بالوعظة التي ترغبه في التوحيد وتصدده عن الشرك وذلك لان أعلى مراتب الانسان ان يكون كاملا في نفسه مكمل لغيره وبدأ بالأقرب اليه وهو ابنه فقال (يا بني) تصغيرا شفاق ومحبة (لا تشرك بالله) وهذا يدل على انه كان كافرا كما تقدم قال الخطيب والحازن فرجع اليه وأسلم وقيل كان مسلما ونهاه ان يقع منه امر في المستقبل (ان الشرك انظم عظيم) لانه تسوية بين من لانعمة الاوهى منه وبين من لانعمته أصلا وبدأ في وعظه بنهيهم عن الشرك لانه أهم من غيره وقد اختلف في هذه الجملة فقيل هي من كلام لقمان فتكون تعليلا لما قبلها وقيل هي من كلام الله فتكون منقطعة عما قبلها ويؤيدها ما ثبت في الحديث الصحيح انها لما

عنده من الجن والانس من تحت يده فقال يا أيها الملا أيكم يأتي بعرضها قبل ان يأتي قومي مسلمين وقال قتادة لما بلغ سليمان انها جارية وكان قد ذكر له عرضها فاجبه وكان من ذهب وقوائمه لؤلؤ وجوهر وكان مسترا بالدياج والحريرو كانت عليه تسعة مغليق ففكر ان يأخذها بعد اسلامهم وقد علم نبي الله انهم متى أسلوا تحرم اموالهم ودماؤهم فقال يا أيها الملا أيكم يأتي بعرضها قبل ان يأتي قومي مسلمين وهكذا قال عطاء الخراساني والسدي وزهير بن محمد قبل ان يأتي قومي مسلمين فتحرم على اموالهم باسلامهم قال عفرت من الجن قال مجاهد أي ما رد من الجن قال شعيب الجبائي وكان اسمه كوزن وكذا قال محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان وكذا قال

أيضا وهب بن منبه قال أبو صالح وكان كانه جبل أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك قال ابن عباس يعني قبل ان تقوم من مجلسك وقال مجاهد مقعدك وقال السدي وغيره كان يجلس للناس للقضاء والحكومات وللطعام من أول النهار الى ان تزول الشمس واني عليه لقوى أمين قال ابن عباس أي قوى على حمله أمين على ما فيه من الجوهر فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من ذلك ومن ههنا يظهر ان سليمان أراد باحضار هذا السرير اطهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما حفر له من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لاحد من بعده وليتخذ ذلك (٢١٤) حجة على نبوته عند بلقيس وقومها لان هذا خارق عظيم ان

يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه هذا وقد حجبته بالاعلاق والاقفال والحفظة فلما قال سليمان أريد أعجل من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب قال ابن عباس وهو آصف وهو آصف كاتب سليمان وكذا روى محمد بن اسحق عن يزيد ابن رومان انه آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم الاسم الاعظم وقال قتادة كان مؤمنا من الانس واسمه آصف وكذا قال أبو صالح والفضالك وقتادة انه كان من الانس زاد قتادة من بنى اسرائيل وقال مجاهد كان اسمه أسطوم وقال قتادة في رواية عنه كان اسمه بليغا وقال زهير بن محمد وهو رجل بن الانس يقال له ذوانور وزعم عبد الله بن الهيثم انه الخضر وهو غريب جدا وقوله أنا آتيك به قبل ان يرتد إليك طرفك أي ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه فانك لا تكمل بصرك الا وهو حاضر عندك وقال وهب بن منبه اسد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتيك به فذكروا انه امره ان ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش

نزات ولم يلبسوا ايمانهم بظلم لم شق ذلك على الصحابة وقالوا أي انما يظلم نفسه فانزل الله ان الشرك لظلم عظيم فطابت أنفسهم (ووصينا الانسان بالديه) أي أمرناه أن يبرهما وهذه الوصية بالوالدين وما بعدها الى قوله وما كنتم تعلمون اعتراض بين كلام لقمان على نهي الاستطراد لقصد التأكيد لما قبلها من النهي عن الشرك بالله وتفسير التوصية هو قوله أن اشكر لي ولو والديك وما بينهما اعتراض بين المفسر والمفسر وفي جعل الشكر لهما مقتربا بالشكر لله دلالة على أن حقهما من أعظم الحقوق على الولد وأكبرها وأشدّها وجوباً (حلمته أمه وهنأ على وهن) قرئ بسكون الهاء وبفتحها في الموضوعين وهما الغتان أي انها حلمته في بطنها وهي تزاد كل يوم ضعفا على ضعف فانها لا يزال تضاعف ضعفها والوهن الضعف والمشقة وقد وهن من باب وعدو وهنه غيره توهينا والوهن والموهن نحو من نصف الليل وقال ابن عباس شدة بعد شدة وخلقا بعد خلق وقيل المعنى ان المرأة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل وقبل أي حلمته بضعف على ضعف وقال الزجاج المعنى لزمنها بحملها اياه أن تضعف مرة بعد مرة أي وهنا كالتضاعف وهن لان الحمل وهن والطلاق وهن والوضع وهن والرضاعة وهن والتصاب وهنأ على المصدر أو الخال (وفصاله في عادين) الفصال القطام عن الرضاع وهو ان يفصل الولد عن الام وقرئ وفصله وهما لغتان يقال انفصل عن كذا أي تميز به سمي الفصل والمعنى فطامه لتسام سنتين عن الرضاع قال البيضاوي وفيه دليل على ان مدة الارضاع حولان (أن اشكر لي ولو والديك) أي وصينا به بشكرنا وشكروا والديه قال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا والديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر للوالدين وان مفسرة أو مصدرية وهو قول الزجاج (الى المصير) تعليل لوجوب امتثال الامر أي الرجوع الى الالائي غيري وقيل الجزاء على وقت المصير الى (وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم) أي ما لا علم لك بشركه وذكر هذا القيد موافقة للواقع ولان مفهومه اذ ليس لله شريك يعلم لانه مستحيل (فلا تطعهما) في ذلك لانه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق وجملة هذا الباب ان طاعة الابوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا ترك فرضة على الاعيان وتلزم طاعتهم ما في المباهات وقد قدمت نفس الالية وسبب نزولها في سورة الغنك بوب قال سعد بن أبي وقاص نزات في هذه الالية وعن أبي هريرة مثله وعليه جماعة من

المفسرين

المطلوب ثم قام فتوضأ ودعا الله تعالى قال مجاهد قال يا ذا الجلال والاكرام وقال الزهري

قال يا الهما والله كل شيء الها واحد الا انت انتى بعرشها قال غنسل بن يزيدي قال مجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن اسحق وزهير بن محمد وغيرهم لما دعا الله تعالى وسأله ان يأتيه بعرش بلقيس وكان في اليمن وسليمان عليه السلام بيت المقدس غاب السرير وغاص في الارض ثم نبع من بين يدي سليمان وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ثم بشعر سليمان الا وعرشها يحمل بين يديه قال وكان هذا الذي جاء به من عباد البحر فلما عاين سليمان ومولوه ذلك ورآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي أي هذا من نعم الله

على ليلاني أي يختبرني أشكر أم أكفر ومن شكر فاعنايش بكر لنفسه كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فلها
 وكقوله ومن عمل صالحا فلنفسه يعهدون وقوله ومن كفر فإن ربي غني كريم أي هو غني عن العباد وعبادتهم كريم أي كريم
 في نفسه وان لم يعبدوا أحد فان عظمتهم ليست مفتقرة الى أحد وهذا كما قال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله
 لغني حميد وفي صحيح مسلم يقول الله تعالى يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجميعكم كانوا على آتني قلب رجل منكم
 ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان أولكم وآخركم وانسكم وجميعكم كانوا على آتني قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا
 (٢١٥)

المفسرين (وصاحبهم في الدنيا) أي في أمورها التي لاتعلق بالدين مادمت حيا صحابا
 (معروفا) بغيره ما ان كان على دين يتزان عليه وقيل صاحبهما معروف وهو البر والصلة
 والعشرة الحسنة والخلق الجميل والحلم والاحتمال وما يقتضيه مكارم الاخلاق ومعالي
 الشيم (واتبع سبيل من أناب) أي رجوع (الى) والخطاب لساائر المكافين أي اتبع أيها
 المكلف دين من أقبل الى طاعتي من عبادي الصالحين بالتوبة والاخلاص وهو النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم وأصحابه وقيل يعني أبابكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال ابن
 عباس وذلك حين أسلم أناه عثمان وطلمة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن
 عوف وقالوا قد صدقت هذا الرجل وأمنت به قال نعم انه صادق فآمنوا به ثم جعلهم الى
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أسلموا فهو أولاهم سابقه الاسلام أسلموا بأمر أشد أبي بكر
 (ثم الى) لا الى غيري (مرجعكم) جميعا أي أنت ووالدك ومن أناب الى (فأنبشكم)
 أخبركم عند رجوعكم الى (بما كنتم تعملون) من خيرا وأشر فأجازي كل عامل بعماله ثم
 شرع سبحانه في حكاية بقية كلام لقمان في وعظه لابنه فقال (يا بني انما) الضمير عائذ
 الى الخطيئة لما روي ان ابن لقمان قال لا يه يا أبت ان عملت الخطيئة حيث لا يراى أحد
 هل يعلمها الله فقال انما أي الخطيئة (ان قل) بالفوقية على معنى ان تلك الخطيئة أو المستثلة
 أو الخصلة أو القصة (مقال) قرى بالنصب على انه خير كان واسمها هو أحد تلك المقدرات
 وقرى بالرفع على انه اسم كان وهي تامة وأنت الفاعل في هذه القراءة لاضافة مقال الى
 المؤنث أي زنة (حبة من خردل) والجملة الشرطية مفسرة للضمير قال الزجاج التقدير ان
 اني سألتني عنها انك من مقال حبة من جنس الخردل وعبر بالخردل لانها أصغر الحبوب
 ولا يدرك ثقلها بالحس ولا ترجح ميزانها زاد في بيان خفاء الحبة مع خفتها وصغرها فقال
 (فتسكن في صخرة) فانها عند كونها في الصخرة قد صارت في أخفى مكان وأحرزه قرى
 فتسكن بضم الكاف (١) ومن السكن الذي هو الشيء المغطى قال السدي هذه الصخرة هي
 صخرة ليست في السموات والارض وقال ابن عباس صخرة تحت الارضين السبع وهي
 التي تكتب فيها أعمال الفجار وهي السبعين وخضرة السماء من اوقيل غير ذلك (أوفي
 السموات أوفي الارض) أي حيث كانت من بقاع السموات أو بقاع الارض أي في أخفى
 مكان من ذلك فالأخفى من الصخرة كان تكون في صخرة تحت الارضين السبع والأخفى

منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا
 يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيا
 لكم ثم أوفيكم اياها فبن وجد خيرا
 فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا
 يلو من الانفسه (قال نكروا لها
 عرشها تنظروا تهتدي أم تكون من
 الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل
 أهكذا عرشك قالت كانه هو
 وأوتينا العلم من قبلها وكامسكين
 وصداها ما كانت تعبد من دون
 الله انما كانت من قوم كافرين قيل
 لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبته
 لجة وكشفت عن ساقها قال انه
 صرح مرد من قوارير قالت رب اني
 ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان
 لله رب العالمين) لما ج سليمان عليه
 السلام بعرش بلقيس قبل قدمها
 أمر به أن يغير بعض صفاته ليختبر
 معرفتها وثباتها عند رؤيته هل
 تقدم على انه عرشها أو انه ليس بعرشها
 فقال نكروا لها عرشها تنظروا تهتدي
 أم تكون من الذين لا يهتدون
 قال ابن عباس نزع منه فصوصه
 ومرافقه وقال مجاهد أمر به فغير
 ما كان فيه أخرج جعل أصفر
 وما كان أصفر جعل أحر وما كان

أخضر جعل أحر غير كل شيء عن حاله وقال عكرمة زادوا فيه ونقصوا وقال قتادة جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره وزادوا فيه
 ونقصوا فلما جاءت قيل أهكذا عرشك أي عرض عليها عرشها وقد غير ونكروا زيد فيه ونقص منه فكان فيها إثبات عقل ولها لب
 ودهاء وحزم فلم تقدم على أنه هو بل عدم سافسه عنها ولأنه غير ما رأت من آثاره وصفاته وان غير وبدل ونكروا فقال كانه هو أي
 يشبهه ويقاربه وهذا غاية في الذكاء والحزم وقوله وأوتينا العلم من قبلها وكامسكين قال مجاهد سليمان عليه السلام في قول مجاهد وسعد بن جبير ربهما
 ما كانت تعبد من دون الله انما كانت من قوم كافرين هذان من تمام كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد وسعد بن جبير ربهما
 (١) ومن السكن الخ كذا في أصله وتامل وحرره اه

الله اى قال سليمان اوتينا العلم من قبلها وكما سلين وهي كانت قد صدتها اى منعهما من عبادة الله وحده ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين وهذا الذى قاله مجاهد وسعيد حسن وقاله ابن جرير ايضا ثم قال ابن جرير ويحتمل ان يكون فى قوله وصدها ضمير يعود الى سليمان او الى الله عز وجل تقديره ومنعهما ما كانت تعبد من دون الله اى صدها عن عبادة غير الله انها كانت من قوم كافرين (قلت) ويؤيد قول مجاهد انما اظهرت الاسلام بعد دخولها الى الصرح كما سيأتى وقوله قيل لها ادخلى الصرح فلما راته حسبت له حجة وكشفت (٢١٦) عن سابقها وذلك ان سليمان عليه السلام امر الشياطين فبنوا له قصرا

عظيما من قوارير اى من زجاج واجرى تحته الماء فالذى لا يعرف امره يحسب انه ماء ولكن الزجاج يحول بين الماشى وبينه واختلفوا فى السبب الذى دعا سليمان عليه السلام الى اتخاذه فقيل انه لما عزم على تزوجها واصطفاها لنفسه ذكر له جمالها وحسنها ولكن فى سابقها هلب عظيم وموخر اقدامها كؤخر الدابة فساء ذلك فاتخذها ليعلم صحتها ثم لا هكذا اقول محمد بن كعب القرظى وغيره فلما دخلت وكشفت عن سابقها رأى أحسن الناس ساقا وأحسنهم قدما ولكن رأى على رجلها شعر الا انها ملكة ليس لها زوج فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل له موسى فقالت لا أستطيع ذلك وكره سليمان ذلك وقال للجن اصنعوا شيئا غير الموصى يذهب به هذا الشعر فضعوا له النورة وكان أول من اتخذت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظى والسدى وابن جرير وغيرهم وقال محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان ثم قال لها ادخلى الصرح ليريهاملكها هو اعز من

من السموات كان تكون فى أعلاها والاخفى من الارض كان تكون فى أسفلها (آيات بها الله) أى يحضرها يوم القيامة ويحاسب فأعلمها علمها (ان الله لطيف) باستخراجها لا يخفى عليه خافية بل يصل علمه الى كل خفى (خير) بكنائها وبكل شئ لا يغيب عنه شئ ومعنى الآية الاحاطة بالاشياء صغيرة وكبيرها (يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) من الاذى فى ذات الله اذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وأصبر على ما أصابك من الحزن فانها تورث المنع حتى سبحانه عن لقمان انه أمر ابنه بهذه الامور ووجه تخصيص هذه الطاعات انها أهمها والعبادات وعماد الخير كله (ان ذلك) الطاعات المذكورة التى وصاه بها (من عزم الامور) أى مما جعله الله عزيمته وأوجه على عباده وحقه على المكلفين ولم يرخس فى تركه وقيل المعنى من حق الامور التى أمر الله بها والعزم يجوز أن يكون بمعنى المعزوم أى من معزومات الامور وبمعنى العازم كقوله فاذا عزم الامر قال المبرد ان العين تبدل حاء فىقال عزم وحزم وقال ابن جرير ويحتمل أن يريد ان ذلك من مكارم أهل الاخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة وصوب هذا القرطبي وهذا دليل على أن هذه الطاعات كانت أموراً بها فى سائر الامم (ولا تصعر خذك للناس) وقرى تصاعرو والمعنى متقارب وكل منهما فى خط المحصر الامام بلا أنف والصعر الميل يقال صعر خذه وصاعر خذه اذا مال وجهه وأعرض تكبرا والمعنى لا تعرض عن الناس تكبرا عليهم وبه قال الهروي يقال أصاب البعير صعرا اذا أصابه داء يابى عنقه وقيل المعنى ولا تلوش - دقل اذا ذكر الرجل عندك كانك تحقره وقال ابن خوارزمنداد كانه نسي ان يبذل الانسان نفسه من غير حاجة واعله فهم من التصغير التذلل وعن أبى انصارى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قوله ولا تصعر خذك فقال لى الشدق أخرجه الطبرانى وابن عدى وابن مردويه وقال ابن عباس لا تكبر فتحققر عبادة الله وتعرض عنهم اذا كلوك وعنه قال هو الذى اذا سلم عليه لوى عنقه كالستكبر والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصدفته كما يفعل المتكبرون بل يكون القهقرى والمعنى عندك سواء (ولا تعش فى الارض مرحا) اى خيلا وفرحا والمراد النهى عن التكبر والتجبر والتمثال يرح فى منسبه وقد تقدم تحقيقه (ان الله لا يحب كل مختال فخور) تعليل للنهى الذى كورلان الاختيال هو المرخ والفخور هو

ملكها وسلطانها هو اعظم من سلطانها فلما رته حسبت له حجة وكشفت عن سابقها الا نشك انه ما تخوضه فقيل لها انه صرح محمد بن قوارير فلما وقعت على سليمان دعاها الى عبادة الله وحده وعاتبها فى عبادتها الشمس من دون الله وقال الحسن البصرى لسارات العجبة الصرح عرفت والله أن قدرأت ملكا عظيما من ملكها وقال محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال أمر سليمان بالصرح وقد علمته له الشياطين من زجاج كانه الماء يياض ثم أرسل الماء تحتها ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس ثم قال لها ادخلى الصرح ليريهاملكها هو اعز من ملكها وسلطانها هو اعظم من سلطانها فلما رته

حبس به لجة وكشفت عن ساقها الا تشك انه ماء فحوضه قبل لها انه صرح محمد بن قوارير فلما وقفت على سليمان دعاه الى عبادة اقه عز وجل وحده وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله فالت بقول الزنادقة فوقع سليمان - اجدا اعظا لما تآقات ومجدمعه الناس فسقط في يدها حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قالت ويحك ماذا قلت قال وانسيت ما قلت فقال الرب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فاسلمت وحسن اسلامها وقد روى الامام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا اثرا غريبا عن ابن عباس فقال حدثنا الحسن بن علي عن زائدة حدثني عطاء بن السائب (٢١٧) - حدثنا مجاهد ونحن في الازد قال حدثنا ابن

عباس قال كان سليمان عليه السلام يجلس على سرير ثم يوضع كراسي حوله فيجلس عليها الناس ثم يجلس الجن ثم الشياطين ثم تأتي الرياح فتفرعهم ثم يظلمهم الطير ثم تغدو وقد رمايشتهى الراكب ان ينزل ثم راوور واحها شهر قال فيهما هوزات يوم في مسيرله اذ تفقد الطير ففقد الهدد فقال مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائبين لا عذبه عذابا شديدا ولا ذبحه أوليا نبي بسلاطان مبين قال فكان عذابه اياه أن ينتفه ثم يلقيه في الارض فلا يتبع من غلة ولا من شيء من هوام الارض قال عطاء وذ كرسعيد بن جبير عن ابن عباس مثل حديث مجاهد فكش غير بعيد فقرأ حتى انتهى الى قوله سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكابي هذا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم الى بلقيس ان لاتعولوا على واتنوني مسلمين فلما ألقى الهدد الكتاب اليها التي في روعها انه كتاب كريم وأنه من سليمان وان لاتعولوا على واتنوني مسلمين قالوا نحن أولو قوة قالت ان المسلول اذا

هو الذي يقترع على الناس بماله من المال والشرف أو بقوة أو بهدم مناقبه تطاولا وغير ذلك وينظن ان اسبغ النعم الدينية عليه من محبة الله له وذلك من جهله فان الله أسبغ نعمه على الكافر الجاحد فينبغي للعارف ان لا يتكبر على عباده رئيس منه التحديث بنعم الله فان الله يقول وأما نعمة ربك فحدث (واقصد في مشيك) أي توسط فيه واقصد ما بين الاسراع والبطء يقال قصد فلان في مشيته اذا مشى مستويا لا يذب ديب المتعادين ولا يثب وثوب الشياطين وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا مشى أسرع فلا بد ان يحمل القصد هنا على ما جاوز الحد في السرعة وقال مقاتل معناه لا يتخجل في مشيك وقال ابن مسعود كانوا ينهون عن خبب اليهود وديب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل انظر موضع قدميك متواضعا والمعنى اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين الديب والاسراع وقال عطاء امش بالسكينة والوفار كقوله يعيشون على الارض هونا (واغضض من صوتك) أي انقص منه واخفضه ولا تتكفرفعه فان الجهر بأكثر من الحاجة يؤذى السامع ومن تبعية وعند الاخنس مزيدة ويؤيده قوله ان الذين يغضون أصواتهم والمعنى شيئا من صوتك وكانت الجاهلية تمدحون برفع الصوت (ان أنكر الاصوات) أي وأحشم أو أقصها (لصوت الجير) تعليل للامر بالغض من الصوت على أبلغ وجهه وأكده قال قتادة أفتح الاصوات صوت الجير أوله زفير أي صوت قوى وآخره شهييق أي صوت ضعيف وهما صوتا أهل النار وأنكر قيل معنى من النعل المبني للمفعول شحوا أشغل من ذات النخيين وهو مختلف فيه قال المبرد تأريه ان الجهر بالصوت ليس بمحمود وانه داخل في باب الصوت المنكر واللام للتأكيده ووحده الصوت مع كونه مضافا الى الجمع لانه مصدر وهو يدل على الكثرة وهو مصدر صات بصوت صوتا فهو صاات وقيل انما وحده ولم يجمع لانه لم يرد ان يذ كر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع بل المراد ان كل جنس من الحيوان له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيدده وعن الثوري في الآية قال صياح كل شيء تسبيح الا الجار وقيل معنى الآية هو العطسة القبيحة المنكرة والاول أولى وفي تشبيه الرافعين أصواتهم بالجير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تشبيه على ان رفع الصوت في غاية الكراهة ولما فرغ سبحانه من قصة لقمان رجع الى توبيخ المشركين وتبكيتهم واقامة الحج عليهم فقال (الم

(٢٨ - فتح البيان سابع) دخلوا قرية أفقدوها وانى مرسله اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاءت الهدية سليمان قال أتعدوني بحال ارجع اليهم فلما نظر الى العبار اخبرنا ابن عباس قال وكان بين سليمان وبين ملكة سبا ومن معها حين نظر الى العبار بينا وبين الحرة قال عطاء ومجاهد حينئذ في الازد قال سليمان أيكم يأتي بعرضها قال وبين عرشها وبين سليمان حين نظر الى العبار مسيرة شهرين قال عنسريت من الجن انا أتيتك به قبل ان تقوم من مقامك قال وكان لسليمان مجلس يجلس فيه للناس كما يجلس الامراء ثم يقوم فقال انا أتيتك به قبل ان تقوم من مقامك قال سليمان أريد أن أجعل من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب انا أنظر

في دابري ثم ايد به قبل ان يرتد اليك طرقت قال وسبع عرشها من تحت قدم سليمان من تحت كرسي كان سليمان يضع عليه رجله ثم يصعد الى السرى قال فلما رأى سليمان عرشها قال هذا من فضل ربي الآية قال نكروها والهاعرشها فلما جاءت قبل أهكذا عرشك قالت كانه هو قال فسأته حين جاءته عن أمرين قالت لسليمان أريد ما ليس من أرض ولا سماه وكان سليمان اذا سئل عن شيء سأل الانس ثم الجن ثم الشياطين قال فقالت الشياطين هذا هين أجر الخليل ثم خذ عرقها ثم املا منه الآية قال فأمر بالخليل فأجريت ثم أخذ عرقها فلأمنه الآية قال وسألت عن (٢١٨) لون الله عز وجل قال فوثب سليمان عن سريره فخرساجدا فقال يا رب لقد

سألتني عن أمر انه ليتعاضم في قلبي ان أذكره لك فقال ارجع فقد كفتكم قال فرجع الى سريره قال ما سألت عنه قالت ما سألتك الا عن الماء فقال لجنوده ما سألت عنه فقالوا ما سألتك الا عن الماء قال ونسوه كلهم قال وقالت الشياطين ان سليمان يريد ان يتخذها لنفسه فان اتخذها لنفسه ثم ولديته ما ولد لم تنفك من عبوديته قال فجعلوا صرحا مردان قوارير فيه السمك قال فقيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها فاذا هي شعراء فقال سليمان هذا قبيح فايدبهه قالوا ايدبهه موسى فقال اثر موسى قبيح قال فجعلت الشياطين النورة قال فهو أول من جعل له النورة ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة ما أحسنه من حديث قلت بل هو منكرب جدا ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم والأقرب في مثل هذه السياقات أنهم ملقاة عن أهل الكتاب مما وجدني صحفهم كروايات كعب ووهب صاحبهما الله تعالى فيما نقله الى هذه الامة من أخبار

تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض قال الزجاج معنى تسخيرها للادميين الاستفعاها انتهى فن مخلوقات السموات المسخرة لآدم بأمر الله سبحانه الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك ومن مخلوقات الارض المسخرة الاجار والمعادن والتراب والزرع والشجر والتمر والبخار والانهار والحيوانات والدواب التي ينتفعون بها والعشب الذي يرعون فيه دوابهم وغير ذلك مما لا يحصى كثرة فالمراد بالتسخير جعل المسخر بحيث ينفع به المسخر له سواء كان متقادله ودخل تحت تصرفه أم لا (وأصبح عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) أي أتم وأكمل عليكم نعمه يقال سبغت النعمة اذا تمت وكنت وقرى أصبح بادل السين صاد وهي افعى كاب يفعلون ذلك في كل حين اجتمع مع الغين والخاء والقاف كصخ وصقر والنم جمع نعمة وقرى نعمة على الافراد والتسوية اسم جنس يراد به الجمع ويدل به على الكثرة كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والنعمة كل نفع قصده الاحسان والمراد بانتم الظاهرة ما يدرك بالعقل أو الحس ويعرف من يتعرفه وبالباطنة ما لا يدرك للناس ويخفى عليهم وقيل الظاهرة الصحة وكالخلق والبصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة المعرفة والعقل والقلب والفهم وما أشبه ذلك وقيل الظاهرة ما يرى بالابصار من المال والجاه والجمال وفعل الطاعات والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفعه الله عن العبد من الآفات وقد سرد الماوردي في هذا أقوالا تسعة كلها ترجع الى هذا وقيل الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم الآخرة وقيل الظاهرة الاسلام والقرآن والجمال والباطنة ما ستره الله على العبد من الاعمال السنية وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة تظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والباطنة محبته والالتزام اعم من ذلك وعن عطاء قال سألت ابن عباس عن هذا فقال هذه من كنوز علي سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أما الظاهرة فمساوى من خلقك وأما الباطنة فمساوية من عورتك ولو أبداها لقللك أهلك فن سواهم أخرجه البيهقي وعنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله وأصبح

بني اسرائيل من الاوابد والغرائب والنجائب مما كان وما لم يكن وما عرف وبدل ونسخ وقد أغناها الله سبحانه عليكم عن ذلك بما هو أصح منه وأنتفع وأوضع وأبلغ ولله الحمد والمنة أصل الصرح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع قال الله سبحانه وتعالى اخبارا عن فرعون لعنه الله انه قال لوزيره همام ابن لى صر حاله الى أبلغ الاسباب الآية والصرح قصر في العين على البناء والمرد المبني بناء محكم أملس من قوارير أي زجاج وتعيد البناء تليسه وما رد حصن بدومة الجندل والغرض ان سليمان عليه السلام اتخذ قصر اعظيما منيف من زجاج لهذه الملكة لير بها عظمة سلطانه وتمكنه فلما رأت ما أتاه الله وجلالة ما هوفيه وتبصرت

في امره انتقادا لامر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم وملاك عظيم وأسلمت لله عز وجل وقالت رب اني ظلمت نفسي اي بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها الشمس من دون الله وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين أي متبعا لدين سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا (واقدا أرسلنا الى ثودأ خاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلمكم ترجون قالوا اطيرنا بك وبعن معك قال طائر كم عند الله بل أنتم قوم تفتنون) يخبر تعالى عن ثودوما كان من أمر هاهم نبيه صالح عليه السلام (٢١٩) حين بعثه الله اليهم فدعاهم الى عبادة الله

وحده لا شريك له فاذا هم فريقان يختصمون قال مجاهد مؤمن وكافر كقوله تعالى قال الملائكة الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا انما ارسل به وؤمنون قال الذين استكبروا انما الذي آمنتم به كافرون * قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة أي لم تدعوا بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رجته ولهذا قال لولا تستغفرون الله لعلمكم ترجون قالوا اطيرنا بك وبعن معك أي مارا بنا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرا وذلك انهم لشقايتهم كان لا يصيب أحد منهم سوء الا قال هذا من قبل صالح وأصحابه قال مجاهد تشاء مواجهم وهذا كما قال الله تعالى اخبارا عن قوم فرعون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الآية وقال تعالى وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله أي بقضائه وقدره وقال تعالى مخبرا عن أهل القرية اذا جاءها المرسلون قالوا

عليكم نعمه الخ فقال أما الظاهرة فالاسلام وما سوى من خالفه وما أسبغ عليكم من رزقه وأما الباطنة فمما ستر من مساوي عملك أخرجه ابن النجار والديلي والبيهقي وعنه قال النعمة الظاهرة الاسلام والنعمة الباطنة كل ما ستر عليكم من الذنوب والعيوب والحدود أخرجه ابن مردويه وعنه انه قال في تنسير الآية هي لاله الا الله (ومن الناس من يجادل في الله) أي في شأن الله سبحانه في توحيدهِ وصفاته تكبره وعنادا بعد ظهور الحق له وقيام الحجية عليه ولهذا قال (بغير علم) مستفاد من عقل ونقل (ولا هدى) من جهة رسول يهتدى به الى طريق الصواب (ولا كتاب منير) نير واضح أنزله الله بل مجرد تعنت ومحض عناد وتقليد وقد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة البقرة قبل نزولها في النصير من الحرث وأبي بن خلف وأمية بن خاف وأشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الله وفي صفاته بغير علم (واذا قيل لهم أي لهؤلاء المجادلين والجمع باعتبار معنى من) اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من الكتاب تمسكوا به مجرد التقليد البحت (قالوا بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا) فعبدا ما كانوا يعبدهون من الاصنام ونعشي في الطريق التي كانوا يمشون فيها في دينهم ومثل هذا في القرآن كثير من ذم تقليد الآباء والرؤساء قال ابن القيم قد احتج العلماء بهذه الآية وأمثالها في ابطال التقليد ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها لان التشبيه لم يقع من جهة كفر أحد ما واما في الآخر وانما وقع التشبيه بين المقلدين بغير حججة للمقلد كالمقلد رجلا فكفره وقلد آخر فأذنب وقلد آخر في مسئلة فأخطأ وجهها كان كل واحد ملوما على التقليد بغير حججة لان كل تقليد يشبهه بعضه بعضا وان اختلفت الآثام فيه والتقليد أنواع أحدها الاعراض عما أنزل الله وعدم الالتفات اليه اكتفاء بتقليد الآباء الثاني تقليد من لا يعلم المقلد انه أهل لان يؤخذ بقوله الثالث التقليد بعد قيام الحجية وظهور الدليل على خلاف قول المقلد والشرق بين هذا وبين النوع الاول ان الاول قلده قبل تمكنه من العلم والحجة وهذا قلده بعد ظهور الحجية له فهو أولى بالذم ومعصية الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذم الله سبحانه هذه الأنواع الثلاثة من التقليد في غير موضع من كتابه والتقليد ليس بعلم باتفاق أهل العلم ولا يكون العبد مهتديا حتى يتبع ما أنزل الله على رسوله فهذا المقلدان كان يعرف ما أنزل الله على رسوله فهو مهتدي وليس بمقلد وان كان لم يعرف ما أنزل الله فهو جاهل ضال باقراره على نفسه فن أين يعرف

انا طيرنا بكم لئن لم تنتهوا الرجسكم وليمسكنكم منا عذاب أليم قالوا طائر كم معكم الآية وقال هؤلاء اطيرنا بك وبعن معك قال طائر كم عند الله أي الله يجازيكم على ذلك بل أنتم قوم تفتنون قال قتادة يتبعون بالطاعة والعصية والظاهر ان المراد بقوله تفتنون اي تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا اتقاهم يا الله لنبيته وأهل ثم لنقوان لوليه ما شهدنا مهلاك أهلنا وانا لصادقون ومكروا مكروا بكرنا ومكروا بهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكبرهم أنادمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وان في ذلك لآية لقوم يعلمون وانحينا الذين آمنوا وكانوا

يتقون) يحضر تعالى عن طغاة عمود رؤسهم الذين كانوا عامة قلوبهم الى الضلال والكفر وتكذيب صالح وآلهم الى انهم
 عقروا الناقة وهو ما يقتل صالح ايضا بان يبيتوه في اهلهم ليلافيتلوه غيلة ثم يقولوا اوليائهم من اقر به انهم ما علوا بشئ من امره
 وانهم لصادقون فيما أخبروهم به من انهم لم يشاهدوا ذلك فقال تعالى وكان في المدينة أى مدينة عمود تسعة رهط أى تسعة نفر
 يقعدون في الارض ولا يصلمون وانما غلب هؤلاء على امر عمود لانهم كانوا كبراهم ورؤساهم قال العوفي عن ابن عباس
 هؤلاء هم الذين عقروا الناقة أى الذين (٢٢٠) صدر ذلك عن رؤسهم ومشورتهم قههم الله واعنهم وقد فعل ذلك

وقال السدي عن أبي مالك عن ابن
 عباس كان اسما هؤلاء (١) التسعة
 رعى ورعى وهرم وهريم وداب
 وصواب ومسطع وقد اربن سالف
 عاقر الناقة أى الذى ياشرك ذلك بيده
 قال الله تعالى فناد واصحابهم
 فاعطى فعمرو وقال تعالى اذا نعت
 اشقاها وقال عبد الرحمن أبا نايحي
 ابن ربيعة الصنعاني سمعت عطاء
 هو ابن أبي رباح يقول وكان في
 المدينة تسعة رهط يفسدون في
 الارض ولا يصلمون قال كانوا
 يقرضون الدارهم يعنى انهم كانوا
 يأخذون منها وكانهم كانوا
 يتعاملون به سعديا كما كان العرب
 يتعاملون وقال الامام مالك عن
 يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب
 انه قال قطع الذهب والورق من
 الفساد في الارض وفي الحديث
 الذى رواه أبو داود وغيره أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم نهي عن
 كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا
 من بأس والغرض ان هؤلاء الكفرة
 الفسقة كان من صناتهم الافساد
 في الارض بكل طريق يقعدون
 عليها فنهاموا هؤلاء الاثمة وغير

انه على هدى في تقليده وهذا جواب كل سؤال يوردونه في هذا الباب وكان طريقه الاثمة
 اتباع الحجة والنهي عن تقليدهم فمن ترك الحجة وانكسب ما نهى الله ورسوله
 عنه قبلهم فليس على طريقهم بل هو من المخالفين لهم وانما يكون على طريقهم من اتبع
 الحجة وانقاد للدليل ولم يتخذ جلا بغيره سوى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يجعله مختارا
 على الكتاب والسنة يعرفهم ما على قوله وهذا يظهر بطلان فهم من جعل التقليد اتباعا
 وقد فرق الله ورسوله وأهل العلم بينهما كما فرق الحقائق بينهما فان الاتباع سلوك طريق
 التسع والاتباع بمثل ما أتى به والمصنفون في السنة جمعوا بين فساد التقليد وابطاله وبيان
 زلة العالم لبيئوا بذلك فساد التقليد وان العالم قد يزل ولا بد ان يزل معصوم فلا يجوز قبول
 كل ما يتوله وينزل قوله منزلة قول المعصوم فهذه الذى ذمها كل عالم على وجه الارض
 وحرموه ونمو اهلها وهو اصل بلاه المتقلدين وقتنتهم فانهم يفلدون العالم فيما يزل قيمه
 وفيما يزل وليس لهم تمييز بين ذلك فباخذون الدين بالخطا ولا بد فيكون ما حرم الله
 ويحرمون ما أحل الله ويشرعون ما لم يشرع ولا بد لهم من ذلك اذ كانت العصمة منتفية
 عن قلدوه فالخطا واقع منه ولا بد انتهى يتصرف في العبارة ثم قال على طريق الاستفهام
 للاستبعاد والتبكيث (أولو كان الشيطان يدعوهم) أى آباؤهم الذين اقتدوا بهم في دينهم
 أى يتبعونهم في الشرك ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك ويجوز ان
 يراد أنه يدعو هؤلاء الاتباع الى عذاب السعير) لانه زين لهم اتباع آباؤهم والتدين بدينهم
 والاولى لان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون
 أنفسهم كذلك ويجوز ان يراد أنه يدعو جميع التابعين والمتبوعين الى العذاب فدعاؤه
 للمتبوعين يقترب منه لهم الشرك ودعاؤه للتابعين يقترب منه لهم دين آباؤهم وجواب لو محذوف
 أى يدعوهم فيتبعونه وما أتبع التقليد أو كثر ضرره على صاحبه وأرغم عاقبته وأشأم
 عاقبته على من وقع فيه فان الداعي له الى ما أنزل الله على رسوله كمن يريد أن يذود الفراس
 عن لهب النار لا تحرق فتأبى ذلك وتمت هاتفت في نار الحريق وعذاب السعير (ومن يسلم
 وجهه الى الله) أى يتوضأ أمره اليه ويجلس له عبادته ويقبل عليه بكلمته وقرئ من
 يسلم بالتشديد قال النحاس التخفيف في هذا عرف كما قال عز وجل فقل أسلمت وجهي
 لله (وهو محسن) في أعماله لان العبادة من غير احسان فيها ولا معرفة بما يحتاج اليه فيها

ذلك وقوله تعالى قالوا تقاسموا بالله لبيئتم وأهل له أى تحالوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح عليه السلام من لا تقع
 لقبه ليلالته فكادهم الله وجعل الدائرة عليهم قال مجاهد تناسوا وتحالوا على هلاكه فلم يصلوا اليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين
 وقال قتادة وإنما قالوا على ان يأخذوه ليلافيتلوه وذلك لانهم بينهم ما نطق الى صالح ليقتكوا به اذ بعث الله عليهم حفرة
 فاهمدهم قال العوفي عن ابن عباس هم الذين عقروا الناقة قالوا حين عقروها النبيين صالحا وأهل بيته فقتلهم ثم يقول لاولياء صالح
 ما شهدنا من هذا شيا وما لنا بمن علم قدمهم الله أجمعين وقال محمد بن اسحق قال هؤلاء التسعة بعد ما عقروا الناقة فلم يقتل
 (١) قوله هؤلاء التسعة الخ كذا باصله والمعدود ثمانية وهي مخالفة لما في الكشاف والخطيب فرر وانظر التاسع اد معصمه

صالحان كان صادقا هائلا، ولما وان كان كاذبا قد اخطاه بناقته فاقوم ليل ليليتوه في اهلهم فمغتهم الملائكة بالحجارة فلما بطوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم منشدخين قد رضوا بالحجارة فقالوا الصالح انت قتلتمهم ثم هم وابه فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقبلوه ابدا وقد وعدكم ان العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا فلا تزيدوا بكم عليكم غضبا وان كان كاذبا فانتم وراة ماتريدون فانصر فواعنهم لم يلتمهم ثلاث وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم لعقرو والناتمة قال لهم صالح تنعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير كذوب قالوا زعم صالح انه (٢٢١) يفرغ هذا الى ثلاثة ايام فيخفن نفرغ منه

واهلكه قبل ثلاث وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلي فيه فخرجوا الى كهف اى غار هناك ليليا فقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا اذا فرغنا منه الى اهلهم ففرغنا منهم فبعث الله عليهم صخرة من اهلص جباهم فخشوا ان تشدخهم فتيادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار فلا يدري قومهم اين هم ولا يدرون ما فعل بقومهم فعذب الله هؤلاء ههنا وههنا هؤلاء وانجى الله صالحا ومن معه ثم قرأ ومكروا ومكروا مكرنا مكرنا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انادمرناهم وقومهم اجمعين فملاك بيوتهم حاوية اى فارغة ليس فيها احد بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وانجيينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (ولو طأذ قال لقومه ان اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم اناس يتطهرون فانجييناهم واهل الا امرأته قدرناهم من الغابرين وامطرنا عليهم

لا تقع بالموقع الذى تقع به عبادات المحسنين وقد صرح عن الصادق المصدوق لما سألته جبريل عن الاحسان انه قال له ان عبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى اعتمصم بالهدى والوثق وتعاق به وهو تمثيل للحال من أسلم وجهه الى الله بحال من أراد ان يرتقى الى شاهق جبل فيمسك بوثق عرى جبل متدلم منه (والى الله عاقبة الامور) اى صيرها لله لا الى غيره فيجازى عليها (ومن كفر فلا يحزنك كفره) اى لا تحزن لذلك فان كفره لا يضر لك قرى بفتح الياه وضم الزاى وبضم الياه وكسر الزاى سبعيتان بين سبحانه حال الكافر ين بعد فراغه من بيان حال المؤمنين ثم توعدهم بقوله (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) اى نخبرهم بمصائب اعمالهم ومجازيمهم عليها (ان الله علم بذات الصدور) اى بما تسروهم لا تخفى عليهم من ذلك خافية فالسر عنده كالعلانية (تذمهم) تسميعا وزمنا (قليل) اى بنقيهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها الى انقضاء آجالهم فان النعيم الزائل هو اقل قليل بالنسبة الى النعيم الدائم (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) اى نجذبهم ونزدهم الى عذاب النار فى الاسرة لا يجدون عنها حجيصا والمراد الشدة والتثقل على المذنب فاذا لا تقل منه على من وقع فيه واصيب به فلهدى الاستعير له العظ (ولئن) لام قسم (سألتم من خلق السموات والارض ليقولن الله) اى يعترفون بان الله خالق ذلك لوضوح الامر فيه عندهم وهذا اعتراف منهم بما يدل على التوحيد وطلان الشرك والزمام لهم على اقرارهم ولهذ قال (قل) يا محمد (الحمد لله) على اعترافكم فكيف تعبدون غيره وتجعلونه شريكا له او المعنى فقل الحمد لله على ما هدانا الله من دينه ولا جد غيرنا وعلى ان جعل لادل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ويجهدها الجاحدون ثم انشرب عن ذلك فقال (بل اكثرهم لا يعلمون) ان ذلك يلزمهم واذن ابوا عليه لم يتنبهوا وقيل لا يتفكرون ولا يتدبرون حتى يعلموا ان خالق هذه الاشياء هو الذى يجب له العبادة دون غيره (الله ما فى السموات والارض) ملكا وخالقا وعبيدا فلا يتحقق العبادة فيها غيره (ان الله هو الغنى) عن غيره (الحمد) اى المستحق للحمد وان لم يحمدوه والمجود من عباده بلسان المقال او باسان الحال ثم لما ذكر سبحانه ان له ما فى السموات والارض اتبعه بما يدل على ان له وراة ذلك ما لا يحيط به بعد ولا يحصر بحد فتال (ولو ان) جميع (ما فى الارض من شجرة اقلام) وحد الشجرة لما تقررى علم المعاني ان استغرق المفرد اتمل قيل وتوحيد

مطارف اساء مطر المنذرين) يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام انه اندر قومه نعمة الله بهم في فعلهم الفاحشة التى لم يسبقهم اليها احد من بنى آدم حتى اتيان الذكور دون الاناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال ان اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون اى يرى بهضكم بعضا وتأتون في ناديتكم المشكرات تنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون اى لا تعرفون شيئا اطبعه ولا شرعا كما قال فى الآية الاخرى ان اتأتون الذكر ان من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ادواجكم بل انتم قوم عادون فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم اناس يتطهرون

أى يخرجون من فعل ما تفعلونه ومن اقراركم على صنيعكم فاخرجوهم من بين أظهركم فانهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فغزموا على ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها قال الله تعالى فأنجيناهم وأهلكناهم لئلا يحزنوا على ما فعلوا من سوء أعمالهم مع قومها لانها كانت ردأ لهم على دينهم وعلى طريقهم في رضاها بافعالهم القبيحة فكانت تدل قومها على ضيقان لوط لياؤوا اليهم لانها كانت تفعل الفواحش تكرمه لني الله صلى الله عليه وسلم لاكرامة لها وقوله تعالى وأمطرنا عليهم مطرا أى حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما عى (٢٢٢) من الظالمين يبعيد ولهذا قال فساه مطرا المنذر من أى الذين قامت

عليهم الحجوة ووصل اليهم الانذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهوا باخراجه من بينهم (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خيرا ما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فانبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أله مع الله بل هم قوم بادلون) يقول تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الحمد لله أى على نعمه على عباده من نعم التي لا تعد ولا تحصى وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والاسماء الحسنى وان يسلم على عبادة الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبياؤه الكرام عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره ان المراد بعباده الذين اصطفاهم الانبياء قال وهو كقوله سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقال الثورى والسدى هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورصى عنهم أجمعين وروى نحوه عن ابن عباس أيضا ولا منافاة

شجرة لان المراد تفصيل الشجر واستقصاؤه فكانه قال كل شجرة شجرة حتى لا تبقى من جنس الشجر واحدة الا وقد يرت أقلاما ولولم يفرلم يفده هذا المعنى اذ الجمع يتحقق بما فوق الثلاثة الا ان تدخل عليه لام الاستغراق هكذا قرروه قال الشهاب وفيه بحث فان افادة المفرد التفصيل بدون تكرار والاستغراق بدون في محل نظرا لانه انما عهد ذلك في نحو ما وفى رجل لرجلا وما عندى عمرة قال أبو حيان وهو من وقوع المفرد موقع الجمع والنكرة موقع المعرفة كقوله ما نسخ من آية وجمع الاقلام اتصد التكثر أى ولو أن يعدت كل شجرة من الشجر أقلاما ثم قال سبحانه (والبحر) أى المحيط لانه المتبادر من التعريف اذ هو النرد الكامل قرئ البحر بالرفع على انه مبتدأ وخبره يده وبالنصب عطفا على اسم ان أو بفعل مضمر يفسره (يده من بعده) أى بعد نفاذه (سبعة أبحر) أى والمحال ان البحر المحيط مع سبعة يده السبعة الا البحر مد الا ينقطع كذا قال سيبويه وقال المبرد ان البحر مرتفع بفعل مقدر تقديره ولو ثبات البحر حال كونه متده من بعده سبعة أبحر وقرئ يده من أمده وقرئ والبحر مداده وجواب لو (ما نفدت كلمات الله) التي هي عبارة عن معلوماته لانها لانها ية لها قال أبو على انغارى المراد بالكلمات والله أعلم ما فى المقدر والامكان دون ما خرج منه الى الوجود والزمان ووافقه القفال فقال المعنى ان الاشجار لو كانت اقلاما والجار سد اذ اكتب بها بحسب ما صنع الله تعالى الدالة على قدرته ووحدانيته لم تنفذ تلك الحجاب قال القشيري رد القفال معنى الكلمات الى المقدرات وحل الآيه على الكلام القديم أولى والمخلوق لابدلا من نهاية واذ انضيت النهاية فهى نفي للنهاية عما يقدر فى المستقبل على ايجاده فاما ما حصره الوجود رعدته فلا بد من تنابهاه والقديم لانها ية له على التحقيق قال النحاس قدس بن ان الكلمات ههنا يراد بها العلم وحقائق الاشياء لانه جل وعلا علم قبل ان يخلق الخلق ما هو خالق فى السموات والارض من شئ وعلم ما فيه من مثاقيل الذر وعلم الاجناس كلها وما فيها من شعرة وعضو وما فى الشجرة من ورق وما فيها من ضرور الخلق وقيل ان قرىشا قالت ما أكثر كلام محمد ففترت قالة السدى وعن ابن مسعود قال ان أحبار اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدنية يا محمد أرايت قولك وماأ وتيمم من العلم الا قليلا يا ناري تدوم قولك فقال كلا فقالوا ألسنت تتلوق يا جاك انا قدأ وتينا التوراة وفيها تبيان كل شئ فقال انها فى علم الله قليل وأنزل

فانهم اذا كانوا من عبادة الله الذين اصطفى فالانبياء بطريق الاولى والاخرى والقصد ان الله تعالى أمر رسوله الله ومن اتبعه بعد ذلك كره لهم ما فعل باولياؤه من النجاة والنصر والتأييد وما حل باعدائه من الخزي والنكال والقهر ان يحمده على جميع أفعاله وان يسلموا على عباده المصطفين الاخير وقد قال أبو بكر البرزنجي محمد بن عمار بن صبيح حدثنا طلق بن غنم حدثنا الحكم بن ظهير عن السدى ان شاء الله عن أبي مالك عن ابن عباس وسلام على عباده الذين اصطفى قال هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاهم الله لنبيه رضى الله عنهم وقوله تعالى خيرا ما يشركون استفهام انكار على المشركين فى عبادتهم مع الله

آلهة اخرى ثم شرع تعالى يبين انه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى أمن خلق السموات أى خلق تلك السموات في ارتفاعها وصفاتها وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والافلاك الدائرة وخلق الارض في استفعالها وكثافتها وما جعل فيها من الجبال والسهول والاعوار والضيافي والقنار والزروع والاشجار والثمار والبحار والحيوان على اختلاف الاصناف والاشكال والالوان وغير ذلك وقوله تعالى وأنزل لكم من السماء ماء أى جعله رزقا للعباد فابتناه به حدائق أى بساكن ذات صبغة أى منظر حسن وشكل بهي ما كان لكم ان تنبتوا اشجارها أى لم تكونوا (٢٢٣) تقدرون على انبات أشجارها وانما يقدر على ذلك

الخالق الرازق المستقل بذلك المتفرد به دون ما سواه من الاصنام والانداد كما يعترف به هؤلاء المشركون كما قال تعالى في الآية الاخرى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأجيبه الارض من بعد موتها ليقولن الله أى هم معترفون بانه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون انه لا يخلق ولا يرزق وانما يستحق ان يفرد بالعبادة من هو المتفرد بالخلق والرزق ولهذا قال تعالى أله مع الله أى أله مع الله يعبد وقد تبين لكم واسلك ذى اب مما يعترفون به أيضا انه الخالق الرازق ومن المفسرين من يقول معنى قوله أله مع الله فعل هذا وهو يرجع الى معنى الاول لان تقدير الجواب انهم يقولون ليس ثم احد يفعل هذا معه بل هو المتفرد به فيقال فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المتفرد بالخلق والرزق والتدبير كما قال تعالى أفئن يخلق كن لا يخلق الآية وقوله تعالى ههنا امن خلق السموات والارض أمن في هذه الآيات كلها تقديره

الله ولو ان ما في الارض الآية أخرجه ابن اسحق وابن جرير وابن أبي حاتم قال أبو عبيدة المراد بالبحر هنا الماء العذب الذي ينبت الاقلام وأما المالح فلا ينبت قال الشوكاني ما أسقط هذا الكلام وأقل جدواه (ان الله عزيز حكيم) أى غالب لا يعجزه شئ ولا يخرج عن حكمته وعلمه فرد من افراد مخلوقاته (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس) أى كخلق نفس (واحدة) وبعثها لانه بكلمة كن فيكون قال النحاس هكذا قدره النحويون يعنى الا كخلق نفس كقوله وأسأل القرية قال الزجاج أى قدرة الله على بعث الخلق كلهم وعلى خلقهم كتدبيره على خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة أى سواء في قدرته القليل والكثير فلا يشغله شأن عن شأن (ان الله سميع) لكل ما يسمع (بصير) لكل ما يصر (ألم تر) الخطاب لكل أحد يصلح لذلك وللرسول صلى الله عليه وآله وسلم (أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أى يدخل كل واحد منهما في الآخر فيزيد كل منهما بما انقص من الآخر وقد تقدم تفسيره في سورة الحج والانعام (وسخر الشمس والقمر) أى ذللها وجعلها منقادين بالطلوع والاقول تقدير اللآجال وتتميم المنافع والاختلاف بينهما في الصيغة لما ان يلاج أحد الملويين في الآخر متجدد في كل حين وأما تسخير النيران فأمر لا تعدد فيه وانما التعدد والتجدد في آثاره (كل) منهما (يجرى الى أجل مسمى) قيل هو يوم القيامة وقيل وقت الطلوع ووقت الاقوال وقيل الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر والاول اولى وقال هنا باللفظ الى وفي فاطر والزمر باللفظ اللام لان ما هنا واقع بين آيتين الداليتين على غاية ما ينتمى اليه الخلق وهما قوله ما خلقكم الآية وقوله اتقوا ربكم واخشوا وبما الآية فماسب ذكر الى الدالة على الانتهاء وما في فاطر والزمر حال عن ذلك اذ ما في فاطر لم يذكر مع ابتداء خلق ولا انتهائه وما في الزمر ذكر مع ابتداءه فماسب ذكر اللام والمعنى يجري كل كما ذكر كبلوغ أجل قاله الكرخي (وأن الله بما تعملون خبير) لا يخفى عليه خافية لان من قدر على مثل هذه الامور العظيمة فتدبره على العلم بما يعملونه بالاولى وهو عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية (ذلك) أى ما تقدم ذكره من الآيات الكريمة المشتملة على سعة العلم وشعور القدرة وبجواب الصنع واختصاص البارى بها (بان الله) أى بسبب انه سبحانه (هو الحق) الثابت ألوهيته أو فعل ذلك ليعلموا انه الحق وهو المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل)

أمن يفعل هذه الاشياء كن لا يقدر على شئ منها هذا معنى السياق وان لم يذكر الاخر لان في قوة الكلام ما يرشد الى ذلك وقد قال الله تعالى آله خير أم ما يشركون ثم قال في الآية الاخرى بل هم قوم بعدلون أى يجعلون الله عدلا نظيرا وهكذا قال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا واقاميا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه أى أمن هو هكذا كن ليس كذلك ولهذا قال تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب أفئن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ذوبل للقاسية قلوبهم من ذكر الله الآية وقال تعالى أفئن هو قائم على كل نفس بما كسبت أى أمن هو شهيد على افعال الخلق حر كاتهم

وسكّتهم يعلم الغيب جليلة وحقره كمن هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الاصنام التي عبدوها من دون الله تعالى - ذاق حال تعالى
 وجعل لخالقه شر كما قل سمعوهم وهكذا هذه الآيات الكريمة كلها (أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها
 رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى أمن جعل الأرض قرارا أي فارة ساكنة ثابتة
 لا تتمد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم فانها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهادا بساطا
 ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى (٢٢٤) في الآية الأخرى الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء

* وجعل خلالها أنهارا أي جعل فيها
 الأنهار العذبة الطيبة شقها في
 خلالها وصر فيها ما بين انهار
 كبار وصغار وبين ذلك وصرها
 شرفا وغربا وجنوبا وشمالا بحسب
 مصالح عباده في أقاليمهم واقطارهم
 حيث ذرأهم في أرجاء الأرض سير
 لهم ارزاقهم بحسب ما يحتاجون
 اليه وجعل لها رواسي أي جبالا
 شاهجة تربي الأرض وتثبت التلال
 عند بكم وجعل بين البحرين حاجزا
 أي جعل بين المياه العذبة والمالحة
 حاجزا أي مانعا يمنعها من الاختلاط
 لتلا ينسد هذا بهذا وهذا بهذا فان
 الحكمة الإلهية تقتضي بناء كل
 منها على صفة المقصودة منه فان
 البحر الخالو هو هذه الأنهار السارحة
 الجارية بين الناس والمقصود منها
 ان تكون عذبة زلالا يستقي الحيوان
 والنبات والثمار منها والجارح المأخوذ
 هي المحيطة بالأرجاء والاقطار من
 كل جانب والمقصود منها ان يكون
 مأوها ملحا اجال لتلا تنفسد
 الهوا ويريجها كما قال تعالى وهو
 الذي مرج البحرين هذا عذب
 فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما

لا يستبقى العبادة قال مجاهد الذي يدعون من دونه هو الشيطان وقيل ما أشركوا به من
 صنم أو غيره وهذا أولى (وأن الله هو العلي الكبير) أي ان ذلك الصنع البديع الذي وصفه
 في الآيات المتقدمة للاستدلال به على حقيقة الله وطلان مساواه وعلوه وكبريائه على
 الخلق له الصفات العلياء والاسماء الحسنى وهو على الذات سمي الصفات كبر الشان جليل
 القدر رفيع الذكرمطاع الامر جلي البرهان ثم ذكر من عجيب صنعه وبديع قدرته وغاية
 حكمته وشمول انعامه نوعا آخر فقال (ألم تر أن التلك) أي السفن والمركب (تجري في
 البحر بنعمة الله) أي باطنه بكم ورحمته لكم او بالريح لانهم من نعم الله تعالى وذلك من
 اعظم نعمه عليكم لانها تخلصكم من الفرق عند اسفاركم في البحر لطلب الرزق وقرئ
 بنعمات الله جمع نعمة والبالصله اول العال (ليريك من آياته) من للتبعيض أي بعض آياته
 قال يحيى بن سلام وهو جري السفن في البحر بالريح وقال ابن شجرة المراد بقوله من آياته
 ما يشاهدونه من قدرة الله تعالى قال النقاش ما يريزفهم الله من البحر (ان في ذلك لايات
 لكل صبار شكور) هذه الجملة تعليل لما قبلها أي ان فيما ذكر لايات عظيمة وعبر اخيمة
 لكل من له صبر بليغ وشكر كثير يصبر عن معاصي الله ويشكر نعمه وهما صفتا المؤمن
 فلايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر فكا أنه قال ان في ذلك لايات لكل مؤمن حيث
 يبعث نفسه في التفكر في عدم عرقه وفي سيره الى البلاد الشاسعة والاقطار البعيدة وفي
 كون سيره ذهابا وايابا يرحم وتارة يريح واحدة وفي انجاءه به نوح عليه السلام ومن
 اراد الله تعالى من خلقه واغراق غيرهم من جميع اهل الأرض وفي غير ذلك من شؤنه
 واموره وافعاله وصنائه (واذا غشيهم موج كالظلل) أي كالجبال التي تظل من تحتها شبه
 الموج لكبره بما ينظر الانسان من جبل او صاب او غيرهما وانما شبه الموج وهو واحد
 بالظلل وهي جمع لان الموج يأتي شيا بعد شئ ويركب بعضه بعضا وقيل ان الموج في معنى
 الجمع لانه مصدر واصل الموج الحركة والازدحام ومنه يقال ملاح البحر وماح الناس
 وقرئ كالظلال جمع ظل (دعوا لله) وحده (مخلصين له الدين) أي لا يعولون على غيره في
 خلاصهم لانهم يعلمون انه لا يضر ولا ينفع سواه ولكنه يغلب على طائعتهم العادات
 وتقديد الاموات فاذا وقعوا في مثل هذه الحالة اعترفوا بوحداية الله تعالى واخلصوا
 دينهم له طلبا للغلاص والسلامة مما وقعوا فيه لزوال ما ينازع النظرة الايمانية

برزخا وحجرا محجورا ولهذا قال تعالى أله مع الله أي فعل هذا أو يعبد على القول الاول والاخر وكلاهما
 متلازم صحيح بل أكثرهم لا يعلمون أي في عبادتهم غيره (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أله مع
 الله قليلا ما تدكرون) بنى تعالى انه المدعو عند الشدة عند النوازل كما قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
 الاياه وقال تعالى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وهكذا قال ههنا من يجيب المضطر اذا دعاه أي من هو الذي لا ينجي المضطر الا
 اليه والذي لا يكشف الضر وريين سواء قال الامام أحمد أبنا ماعان أبنا وهيب أبنا خالد الحداء عن أبي تيمة الهجيمي عن

رجل من بلهيم قال قلت يا رسول الله الام تدعو قال ادعوا الى الله وحده الذي ان مسك ضر فدعوتك كشف عنك والذي ان أضللت
 بارض قفر فدعوتك رد عليك والذي ان أصابتك سنة فدعوتك أنبت لك قال قلت أوصني قال لاتسبن أحد اولات زهدن في المعروف
 ولو ان تلقى أخاك وأنت منبسط اليد وجهك ولو أن تفرغ من دلوك في اناء المستقى واتزالي نصف الساق فان أبيت فالى الكعبيين
 واياك واسبال الازار فان اسبال الازار من الخيلة وان الله لا يحب الخيلة وقد رواه الامام أحمد من وجه آخر فذكر اسم الصحابي فقال
 حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس هو ابن عبيد حدثنا (٢٢٥) عبيدة الهجيمي عن أبيه عن أبي عمية

الهجيمي عن جابر بن سليم
 الهجيمي قال أنبت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو محتب بشملة
 وقد وقع هدهب على قدميه فقلت
 أيكم محمد رسول الله فأوماً بيده
 الى نفسه فقلت يا رسول الله أنا من
 أهل البادية وفي جفاؤهم فأوصني
 قال لا تحترن من المعروف شيئاً ولو
 ان تلقى أخاك ووجهك منبسط ولو
 أن تفرغ من دلوك في اناء المستقى
 وان امرؤ شتمك بما يعلم فيك فلا تشتمه
 بما تعلم فيه فانه يكون لك أجره
 وعليه وزره واياك واسبال الازار
 فان اسبال الازار من الخيلة وان
 الله لا يحب الخيلة ولا تسبن أحد
 قال فأسيت بعده أحدًا ولاشاة
 ولا بغيرا وقد روى أبو داود والنسائي
 لهذا الحديث طرفا وعندهما
 طرف صالح منه وقال ابن أبي حاتم
 حدثنا أبي حدثنا علي بن هشام
 حدثنا عبيدة بن نوح عن عمر بن
 الخطاب عن عبيد الله بن أبي صالح
 قال دخل على طاوس يعوذني فقلت
 له ادع الله لي (٣) يا أبا عبد الرحمن
 فقال ادع لنفسك فانه يجيب المضطر
 اذا دعاه وقال وهب بن منبه قرأت

من الهوى والتقليد بما دهاهم من الشدائد (فلما نجاهم الى البر) صاروا قسمين (فمنهم
 مقتصد) أي فقسم مقتصد أي عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في الجرم من اخلاص
 الدين له باق على ذلك بعد ان نجاه الله من هول الجبر وأخرجه الى البر سالما قال الحسن
 معنى مقتصد مؤمن متمسك بالتوحيد والطاعة وقال مجاهد مقتصد في القول مضمهر
 لا الكفر وقال الرازي المقتصد المتوسط بين السابق بالخيرات والظالم لنفسه وهو الذي
 تساوت سيئاته وحسناته وقيل متوسط بين الكفر والايان لانه انزجر بعض الانزجار
 ومنهم باق على كفره لان بعضهم كان أشد قولا وأعلى افتراء من بعض والاولى ما ذكرناه
 قبل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك انه هرب عام الفتح الى الجبر فجاهم ربح عاصف
 فقال عكرمة لئن نجانا الله من هذا الاربعين الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولاضع يده
 في يدي فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة وحسن اسلامه وفي الكلام حذف
 والتقدير ففهم مقتصد ومنهم كافر لم يوف بما عاهد ويذل على هذا المحذوف قوله (وما يجحد
 باياتنا الا كل ختار كفور) لانه نقض العهد الفطري ورفض ما كان عليه في الجبر وهذا
 في مقابلة صبار كان كفور في مقابلة شكور والختار سوء الغدر وأقبحه قال الجوهرى
 الختار الغدير يقال خترة فهو ختار أي غدار قال الماوردي وهذا قول الجمهور وقال ابن
 عطية انه الجاحد ومحمد الايات انكارها والكفور عظيم الكفر نعم الله سبحانه قال
 ابن عباس ختار مجاد (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى) أي لا يغنى
 ولا يقضى (والدعن ولده) شيئاً ولا ينفعه بوجه من وجوه النفع لاشتغاله بنفسه وقد تقدم
 بيان معناه في البقرة (ولامولود هو) مبتدأ ثان خبره (جازعن والده شيئاً) والجملة خبر
 مولود وجاز الابتداء به وهونكرة لانه في سياق النفي ثم الخبر مع المبتدأ كلام وارد على
 طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه لان الجملة الاسمية آكد من الجملة
 الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في ذلك ان الخطاب للمؤمنين
 فأريد حسم أطماعهم ان يتفحروا آباءهم بالشفاعاة في الآخرة ومعنى التأكيد في لفظ
 المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع
 لاجداده اذ الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولدته كذا في الكشاف
 وبالجملة فقد ذكر سبحانه هنا فردين من القربات وهما الوالد والولد وهما الغاية في الخنو

(٢٩ - فتح البيان سابع) في الكتاب الاول ان الله تعالى يقول بعزقي انه من اعتم بي فان كادته السموات بمن فيهن والارض
 بمن فيهن فاني اجعل له من بين ذلك مخرجا ومن لم يعتم بي فاني أخسف به من تحت قدميه الارض فأجعل في الهواء فأكله الى نفسه
 وذ كر الحافظ بن عسافر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالذقي الصوفي قال هذا الرجل كنت أكارى
 على بغل لي من دمشق الى بلد الزبداني فركب معي ذات مرة رجل فخرنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة فقال لي خذ في
 هذه فانها أقرب فقلت لا خيرة لي فيها فقال بل هي أقرب فسلكتها فانتهيت الى مكان وعرو واد عميق وفيه قتلى كثيرة فقال لي
 (٣) قوله ادع الله لي يا أبا عبد الرحمن فقال ادع الخ في نسخة ادع الله لي قال يا أبا عبد الرحمن ادع الخ وحرر اه معجبه

أمسك رأس البغل حتى انزل فتزل وتشمرو جمع عليه ثيابه وسل سكينامعه وقصدني فصررت من بين يديه وتبعني فناشدته الله وقلت خذ البغل بما عليه فقال هو لي وانما اريد قتلك خوفاً لله والعقوبة فلم يقبل فاستلمت بين يديه وقلت ان رأيت ان تتركني حتى أصلي ركعتين فقال وعجل فقامت أصلي فأرتج على القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد فقبيت واقفاً محجراً وهو يقول هيه افرغ فاجرى الله على انساني قوله تعالى آمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فاذا ابان فاسر قد اقبل من سم الوادي ويده حربة فرمى به الرجل فما اخطأت فؤاده (٢٢٦) فخرصر يعا فتعلقت بالفارس وقات بالله من أنت فقال أنا رسول الذي يجيب

المضطر اذا دعاه ويكشف السوء قال فأخذت البغل والجل ورجعت سالما وكرت في رجة فاطمة بنت الحسن أم أحد العجدة قالت هزم الكفار يوم المسلمين في غزاة فوقف جواد جديده صاحبه وكان من ذوى اليسار ومن الصلحاء فقال للجواد مالك ويملك انما كنت اعدك لمنزل هذا اليوم فقال له الجواد ومالي لا اقصر وأنت تسكل العلوقة الى السواس فيظلموني ولا يطعمونني الا القليل فقال لك على عهد الله اني لا اعلقك بعد هذا اليوم الا في حجرى فجري الجواد عند ذلك ونجى صاحبه وكان لا يعلمه بعد ذلك الا في حجره واشتهر امره بين الناس وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك وبلغ ملك الروم امره فقال ما تضام بلدة يكون هذا الرجل فيها واحتمل ليحصله في بلده فبعث اليه رجلا من المرتدين عنده فلما انتهى اليه اظهر له انه قد حسنت نيتك في الاسلام وقومه حتى استوثق ثم خرجا يوم مايشيان على جنب الساحل وقد وءد شخصاً آخر من جهة ملك الروم لبت ساعة على أسره فلما

والحجة والشقيقة على بعضهم لبعض فاعداها من القرابات لا يجزي بالاولى فكيف بالاجانب ونبيه أيضاً بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزي عن ولده في الدنيا الكمال شفقتة عليه والوالد يجزي عن والده لعله عليه من حق التربية وغيرها فاذا كان يوم القيامة فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يبقرى ولا يعبد وقال ابن عباس كل امرئ ثمه نفسه اللهم اجعلنا من لا يرجو سواك ولا يعول على غيرك (ان وعد الله) بالبعث (حق) لا يتخلف فوا وعده من الخير وأوعده من الشر فهو كائن لا محالة (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) وزخارفها عن الاسلام فانها زائله ذاهبة فانية (ولا يغرنكم بالله) في حلمه وامهاله (الغرور) يفتح الغين أى الدنيا أو الامل بأن يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصى وقال ابن عباس الغرور هو الشيطان وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة لان من شأنه أن يغري الخلق ويمغيبهم بالامانى الباطلة ويلهمهم عن الآخرة ويصدهم عن طريق الحق وقال سعد بن جبير يعمل بالمعاصى ويتمنى المغفرة وقرئ بضم الغين مصدر غر يغر غرورا ويجوز أن يكون مصدرا واقعا وصنم للشيطان عنى المبالغة (ان الله عنده علم الساعة) أى علم وقته الذى تقوم فيه قال الفراء ان معنى هذا الكلام التنى أى ما يعلمه الا الله عز وجل قال النحاس وانما صار فيه معنى التنى لما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال فى قوله وعند الله ما فى الغيب لا يعلمها الا هو انما هذه أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مفتاح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما فى غد الا الله ولا متى تقوم الساعة الا الله ولا ما فى الارحام الا الله ولا متى ينزل الغيث الا الله وما تدرى نفس بأى أرض عتوت الا الله وفى الصحاح وغيرهما من حديث أبى هريرة فى حديث سؤاله عن الساعة وجوابه باشر اطها ثم قال فى خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا هذه الآية أى لا يدري أى حدى متى تقوم الساعة فى أى سنة وأى شهر وأى يوم وأى ساعة لملا أو نهارا وفى الباب أحاديث وعن مجاهد قال جاء رجل من أهل البادية فقال ان امرأتى حبلت فأخبرنى ما تلدو بلادنا مجدية فأخبرنى متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت واخبرنى متى أموت فأنزل الله ان الله عنده علم الساعة الآية وعن عكرمة نحوه وزاد وقد علمت ما كسبت اليوم فاذا كسبت غدا وزاد أيضا أنه سأل عن قيام الساعة وقيل نزلت فى الحرث بن عمرو بن حارثة من أهل

البادية اكتشفه لياخذها ورفع طرفه الى السماء وقال اللهم انما اخذ عنى بك فاكنفهم ما جاشتت قال فخرج سبعان فاخذها ما ورجع الرجل سالما وقوله تعالى ويجعلكم خلفاء الارض أى يخلف قرننا لقرن قبلهم وخلفاء السلف كما قال تعالى ان يشاء يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين وقال تعالى وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال تعالى واذا قال ربك للملائكة انى جعل فى الارض خليفة أى قوم ما يخلف بعضهم بعضا كما قدما تقريره وهكذا هذه الآية ويجعلكم خلفاء الارض أى أمة بعد أمة وجيلا بعد جيل وقوم بعد قوم ولو شاء لا وجاهدكم كلهم

في وقت واحد ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض بل لو شاء خلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ولو شاء ان يجعلهم ذرية بعضهم من بعض ولكن لا يمت أحد حتى يكون وفاة الجميع في وقت واحد فكانت تضيق عنهم الارض وتضيق عليهم معاشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض ولكن اقتضت حكمته وقدرته ان يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة ويذراهم في الارض ويجعلهم قرونًا وبعد قرونًا وما بعد ما حتى ينقضي الاجل وتفرغ البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدهم عدًا ثم يقيم القيامة ويوفي كل عامل عمله اذ بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى (٢٢٧) أمن يجب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء

ويجعلكم خلفاء الارض ألمع الله أي يتدر على ذلك وألمع الله يعبد وقد علم ان الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له قلبلا ما تذكرون أي ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم الى الحق ويهديهم الى الصراط المستقيم (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ألمع الله تعالى أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر أي بما خلق من الدلائل السماوية والارضية كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يمدون وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر الآية ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أي بين يدي السحاب الذي فيه مطر يغيث الله به عباده للمجدين الازليين القنطين ألمع الله تعالى الله عما يشركون (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ألمع الله قال ها تورا برهانكم ان كنتم صادقين) أي هو الذي بقدرته وساطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى في الآية

البادية (ويزل الغيث) في الاوقات والامكنة التي جعلها معينة لانزاله ولا يعلم ذلك غيره قرئ من التزليل والانزال (ويعلم ما في الارحام) من الذكور والاناث والصلاح والفساد (وما تدرى نفس) من النفوس كائنته ما كانت من غير فرق بين الملائكة والانبياء والجن والانس (ما اذا تكسب غدا) من كسب دين أو كسب دنيا خيرا أو شرا (وما تدرى نفس باى أرض تموت) وقرئ باية أرض وجوز ذلك النراء وهي لغة ضعيفة قال الاخفش يجوز ان يقال مررت بجارية أي جارية والمعنى ولا تعلم نفس باى مكان يقضى الله عليها بالموت من الارض في بر أو بحر في سهل أو جبل ورجعاً قامت بأرض وضربت أو تادها وقالت لا ابرحها فترى بها امرأى القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها روى ان ملك الموت مر على سليمان فجعل يتظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت قال كانه يريدني وسأل سليمان عليه السلام أن يحمله على الريح ويلقيه بيلاذ الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجباً منه لاني أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك ذكره النسفي في المدارك ورأى المنصور في منامه صورة ملك الموت وسأله عن مدة عمره فأشار بأصابعه الخمس فعبدها المعبرون بخمس سنوات وخمس أشهر وخمسة أيام فقال أبو حنيفة هو إشارة الى هذه الآية فان هذه العلوم الخمسة لا يعلمها الا الله قال البرخزي أضاف في الآية العلم الى نفسه في الثلاثة من الخمسة المذكورة ونفى العلم عن العباد في الاخرتين منها مع ان الخمسة سواها في اختصاص الله تعالى بعلمها واتقاه علم العباد بها لان الثلاثة الاولى أمرها أعظم وأنخم خصت بالاضافة اليه تعالى والاخرتان من صفات العباد خصتا بالاضافة اليهم مع انه اذا اتقى عنهم علمهما كان اتقاه علم ما عداهما من الخمسة أولى (ان الله علم) بهذه الاشياء وبغيرها من الغيوب (خبير) بما كان وما يكون ويواطن الاشياء كلها ليس علمه محيطاً بالظاهر فقط قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل فن ادعى انه يعلم شيئاً من هذه فانه كفر بالقرآن وعن الزهري أكثر واقراء سورة لقمان فان فيها أعاجيب والله أعلم وفيه رد على المنجم والكاهن اللذين يخبران بوقت الغيث والموت وغيرهما

* (سورة السجدة آياتها تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية) *

الاخرى ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وقال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ومن يرزقكم من السماء والارض أي بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الارض كما قال تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع وقال تعالى يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مباركا فيسلكه بنايبع في الارض ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والازهار وغير ذلك من ألوان شتى كلوا وارعوا أنعم الله عليكم ان في ذلك لآيات لاولى النهى ولهذا قال تعالى ألمع الله أي فعل هذا وعلى القول الآخر بعد هذا قيل ها تورا برهانكم على

على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى ان كنتم صادقين في ذلك وقد علم انه لا حجة لهم ولا برهان كما قال تعالى ومن يدع مع الله الها
 آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون (قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان
 يبعثون بل اذارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون) يقول تعالى أمر ارسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول
 مع علم الجميع الخلق انه لا يعلم أحد من أهل السموات والارض الغيب الا الله وقوله تعالى الا الله استثناء منقطع أى لا يعلم أحد ذلك
 الا الله عز وجل فانه المتفرد بذلك وحده (٢٢٨) لا شريك له كما قال تعالى وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو الآية

وقال تعالى ان الله عنده علم
 الساعة وينزل الغيث الى آخر
 السورة والآيات في هذه كثيرة
 وقوله تعالى وما يشعرون أيان
 يبعثون أى وما يشعرون الخلائق
 الساكنون في السموات والارض
 بوقت الساعة كما قال تعالى ثقلت
 في السموات والارض لآياتكم
 الابغثة أى ثقلت عليهما على أهل
 السموات والارض وقال ابن أبي
 حاتم حدثنا أبو حنيفة عن علي بن الجعد
 حدثنا أبو جعفر الرازي عن داود
 ابن أبي هند عن الشعبي عن
 مسروق عن عائشة رضيت الله
 عنها قالت من زعم انه يعلم بعنى
 النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون
 في غد فقد أظلم على الله الغربية
 لان الله تعالى يقول قل لا يعلم من
 في السموات والارض الغيب الا
 الله وقال قتادة انما جعل الله
 هذه النجوم لثلاث خصال جعلها
 زينة للسماء وجعلها يهتدى
 بها وجعلها رجوما للشياطين فن
 تعاطى فيها غير ذلك فقد قال براه
 وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكاف
 ما لا علم له به وان أناس جاهلة بأمر

بناء على الاختلاف في أن آخر الآية لخلق جديد أو هو كافرون فعلى الاول تكون
 ثلاثين وعلى الثانى تكون تسعا وعشرين وهى مكية قاله ابن عباس وابن الزبير وأخرج
 البخارى عنه هى مكية سوى ثلاث آيات نزات بالمدينة أى من كان مؤمنا الى تمام الآيات
 الثلاث وكذا قال السكبي وقد قاتل وقيل الاخس آيات من قوله تجابى جنوبهم الى قوله
 الذى كنتم به تكذبون وقد ثبت عند مسلم وأهل السنن من حديث أبي هريرة ان النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ في صلاة النجوى يوم الجمعة بالم تنزيل السجدة وهى على
 الانسان وأخرج أحمد والدارى والترمذى والنسائى والحاكم وصححه وغيرهم عن جابر
 قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى
 بيده الملك وقد وردت في فضائل هذه السورة أحاديث

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الم) قد قدمنا الكلام على فاتحة هذه السورة في البقرة وفي مواضع كثيرة من فواتح
 السور والله أعلم بمراديه (تنزيل الكتاب) فيه أوجه خمسة ذكرها السمين (لأرب فيه)
 أى لاشك في أنه (من رب العالمين) وانه ليس بكذب ولا سحر ولا كهانة ولا أساطير الاولين
 (أم يقولون) أم هى المقطعة التى يعنى بل والهزمة أى بل يقولون فأضرب عن الكلام
 الاول الى ما هو معتقد الكفار مع الاستفهام المتضمن للتقريب والتوبيخ (افتراه) أى
 افتعله واختمه من تلقاء نفسه ثم اضرب عن معتقدهم هذا الى بيان ما هو الحق في شأن
 الكتاب فقال (بل) اضرب ابطال لنفسه افتراه وحده وعلى هذا كل ما في القرآن اضرب
 فهو اتقال الا هذا فانه يجوز ان يكون ابطالا لانه ابطال لقوله لم أى ليس هو كما قالوا بل
 (هو الحق من ربك) فكذبهم سبحانه في دعوى الافتراء ثم بين العلة التى كان التنزيل
 لاجلها فقال (لئن ردوا ما أتاهم من نذير من قبلك) وهم العرب وكانوا أمية لم يأتهم
 رسول وقيل قريش خاصة والتقدير لئن ردوا العقاب وجوز أبو حيان ان تكون
 ماموصولة أى العقاب الذى أتاهم وهو ضعيف جدا فان المراد تعليل الانزال بالانذار
 لتو لم يأتهم نذير قبله لتعليله بالانذار لقوم قد أنذروا بما أنذروهم به وقيل المراد بالقوم
 أهل الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم (لعلهم يهتدون) أى كى يهتدوا
 أو رجاء ان يهتدوا والتبرجى معتبر من جهته عليه السلام (الله الذى خلق) أى أوجد

الله قد أحدهم ان هذه النجوم كهانة من أعرض بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا من سافر بنجم كذا
 وكذا كان كذا وكذا ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا وولد لعمرى ما من نجم الا يولد به الاجر والاسود والقصير والطويل
 والحسن والدميم وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشئ من الغيب وقضى الله تعالى أن لا يعلم من في السموات والارض
 الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون رواه ابن أبي حاتم عنه بجر وفه وهو كلام جليل متين صحيح وقوله بل اذارك علمهم في
 الآخرة بل هم في شك منها أى انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها وقرأ آخرون بل أدرك علمهم أى تساوى علمهم في ذلك كما في الصحيح

لمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وقد سأله عن وقت الساعة ما المسؤول عنها بأعلم من السائل أى تساوى في العجز عن درك ذلك تعلم المسؤول والسائل قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس بل ادرك علمهم في الآخرة أى غاب وقال قتادة بل ادرك علمهم في الآخرة يعنى بجهلهم بربهم يقول لم يتفذلهم علم في الآخرة هذا قول وقال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس بل ادرك علمهم في الآخرة حين لم ينفع العلم وبه قال عطاء الخراسانى والسدى ان علمهم انما يدرك ويكمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك كما قال تعالى أسمع بهم وأبصر يوم أتوننا لكن (٢٢٩) الظالمون اليوم في ضلال مبين وقال سفينان

عن عمرو بن عبد عن الحسن انه كان يقرأ بل أدرك علمهم قال اضمحل علمهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة وقوله تعالى بل هم في شك منها عائد على الجففس والمراد الكافرون كما قال تعالى وعرضوا على ربك صفا لقد جئتنا بما كنا خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا أى الكافرون منكم وهكذا قال ههنا بل هم في شك منها أى شاكون في وجودها ووقوعها بل هم منها اعون أى في عمية وجهل كبير في أمرها وأشأنها (وقال الذين كفروا أننا كنا ترابا وآبائنا أنما كنا خمرجون لقد وعدنا هذا نحن وآبائنا من قبل ان هذا الأساطير الأولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون) يقول تعالى مخبرا عن منكبرى البعث من المشركين انهم استبعدوا إعادة الاجساد بعد صيرورتها اعظاما ورفاتا وترايبا ثم قال لقد وعدنا هذا نحن وآبائنا من قبل أى مازلنا نسمع به هذا نحن وآبائنا ولا نرى له

وأبدع (السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) على التوزيع كما يأتي في سورة فصلت وقد تقدمت نفس هذه الآية في الاعراف وغيرها والمراد من ذكرها هنا تعريبتهم كمال قدرته وعظيم صنعه ليسمعوا القرآن ويتأملوه قال الحسن الايام هنا هي من أيام الدنيا وقيل مقدار اليوم ألف سنة من سنى الدنيا قاله الضحاك فعلى هذا المراد بالايام هنا هي من أيام الآخرة لا من أيام الدنيا وليست ثم للترتيب في قوله (ثم استوى على العرش) بل يعنى الواو والعرش في اللغة سمرير الملك والمراد به هنا الجسم النوراني المحيط بالعالم كله وهذا الاستواء في سبع مواضع من القرآن الكريم والاصل الرابع ان نعتت ما ورد به القرآن ولا تؤوله ولا نصره عن وجهه وهو نص وظاهره في أن الله تعالى فوق العرش بائن من خلقه بالمعنى الذى يليق بجنابه الاقدس الاعلى وتأويله اخراج النصر أو الظاهر عن معناه وهذا لا يجوز قطعاً الا عند وجود ما يساويه أو يتقدم عليه ويعارضه ودونه خرط القتاد وقد اختلف الناس في هذا على أربعة عشر قولاً ولاها بالاصواب مذهب سلف الامة وأتمتها انما استوى عليه بلا كيف مع تزبيها عما لا يجوز عليه والآيات الصريحة والاحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة جدا وهي تغنى عن غيرها وردت بالبهمة هذه الصفة الثابتة له سبحانه وتبعها المعتزلة ورد عليهم الحافظ بن القيم في اعلام الموقعين بمائة عشر وجهها يطول ذكرها وقد جمع أهل العلم فيها اسماء أهل القرآن وأصحاب الحديث مباحث بل رسائل بل كتباً طولوها بذكر الأدلة العقلية والاعتقالية والمسئلة أوضح من ان تلتبس على عارف وأبين من أن يحتاج فيها الى التطويل ولكن لما وقعت فيها تلك التساؤل والزلازل بين بعض الطوائف الاسلامية الحق الصراح فيها وأطال سيما الخطاب وأهل الحديث فلهم في ذلك الثمن الكبرى والملاحم العظمى وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر الى يومنا هذا والحق ما عرفناك من مذهب السلف الصالح فالاستواء على العرش وكونه تعالى فوق الخلق عالياً عليهم -م قد نطق به القرآن الكريم في مواطن كثيرة وهو يطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غير حديث بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد الناس في نفسه ومحسه في فطرته وتجذبه اليه طبيعته كما تراهم في كل من استغاث بالله سبحانه واتجأ اليه ووجه دعائه الى جنبه الرفيع وعزه المنيع فانه يشير عند ذلك بكفه أو يوحى بظرفه يستوى في ذلك عند عرض أسباب

حقيقة ولا وقوعاً وقولهم ان هذا الأساطير الأولين يعنون ما هذا الوعد باعادة الابدان الأساطير الأولين أى أخذهم قوم عن قبلهم من كتبهم يتلقاه بعضهم عن بعض وليس له حقيقة قال الله تعالى محسباً لهم عما ظنوا من الكفر وعدم المعاد قل يا محمد لهؤلاء سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين أى المكذبين بالرسول وبما جاؤهم به من أمر المعاد وغيره كيف حلت بهم نقمة الله وعذابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسلة الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته ثم قال تعالى مسلماً النبي صلى الله عليه وسلم ولا تحزن عليهم أى المكذبين بما جئت به ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات

في ضيق مما يكرون أى في تديك وردما جئت به فان الله مؤيدك وناصرك ومظهر دينك على من خالفه وعانده في
 والمغارب (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون وان ربك
 على الناس وان كن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض
 مبين) يقول تعالى مخبرا عن المشركين في سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك ويقولون متى هذا الوعد ان
 دقين قال الله تعالى مجيبا لهم (٢٣٠) قل يا محمد عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون

بأس ان يكون قرب
 رب لكم بعض الذى
 ن وهكذا قال مجاهد
 وعطاء الخراساني وقتادة
 وهذا هو المراد بقوله تعالى
 متى هو قل عسى ان يكون
 قال تعالى ويستعجلونك
 ب وان جهنم لمحيطه
 ين وانما دخلت اللام في
 لكم لانه ضمن معنى
 كم كما قال مجاهد في رواية
 عسى ان يكون ردف لكم
 ثم قال الله تعالى وان ربك
 على الناس أى في اسباغهم
 هم مع ظلمهم لانفسهم وهم
 لا يشكرونه على ذلك الا
 نهم وان ربك ليعلم ما تكن
 هم وما يعلنون أى يعلم
 روا السرائر كما يعلم الظواهر
 كم من أمر القول ومن
 يعلم السر وأخفى ألحين
 شون ثيابهم يعلم ما يسرون
 ون ثم أخبر تعالى بانه عالم
 السموات والارض وانه عالم
 الشهادة وهو ما غاب عن
 ما شاهدوه فقال تعالى

الادعية وحدث بواعث الاستغاثه ووجود مقتضيات النزاع وظهور ردواحي الاتجاه
 عالم الناس وجاهلهم وبأديهم وحاضرهم والمائى على طريقه السلف والمقتدى بأهل
 التأويل من الخلف فالسلامة والنجاة في امر اذ ذلك على الظاهر والاذعان بأن الاستواء
 والاستقرار والكون في الفوق ثابتة على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكليف
 ولا تعظيم ولا تشبيه ولا تمثيل والمزول غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق النجاة
 ولا معصوم عن الخطا ولا سالك في جادة السلامة والاستقامة قال في حجة الله البالغة
 واستطال هؤلاء الخائضون على معسر أهل الحديث وسهواهم مجسمة مشبهة وقالوا هم
 المستترون بالكفة وقد وضع على وضوحنا ان استطالتم هذه ليست بشئ وانهم
 مخطئون في مقالتم رواية ودراية وخطئون في طعنهم أئمة الهدى انتهى (مالكم من دونه)
 أى ليس لكم من دون الله أو من دون عذابه (من ولي) يو اليكم ويرد عنكم عذابه
 (ولاشفيع) يشفع لكم عنده (أفلاتنكرون) تذكر تدبر وتفكر وتسمعون هذه
 المواعظ سمع من يفهم ويعقل حتى تتفجروا وتؤمنوا ولما بين سبحانه خلق السموات
 والارض وما بينهما بين تدبيره لأمورها فقال (يدبر) أى يحكم (الأمر) بقضائه وقدره
 (من السماء الى الارض) الى أن تقوم الساعة والمعنى ينزل أمر من أعلى السموات الى
 أقصى تخوم الارض السابعة كما قال سبحانه الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض
 مثلهن ينزل الأمر بينهن ومسافة ما بين سماء الدنيا والارض التى تحتها زولا وطلوعا
 ألف سنة من أيام الدنيا وقيل المراد بالامر المأمور به من الأعمال أى ينزله يدبر من
 السماء الى الارض وقيل يدبر أمر الدنيا بأسبابها وقوة من الملائكة وغيرها نازلة
 أحكامها وآثارها الى الارض وقيل ينزل الوحي مع جبريل وقيل العرش موضع التدبير
 كما ان مادون العرش موضع التفصيل كما في قوله ثم استوى على العرش يدبر الأمر يفصل
 الآيات ومادون السموات موضع التصرف قال تعالى ولقد صرفناه بينهم ليدركوا وقال
 ابن عباس يدبر الأمر هذا فى الدنيا أى شأنها وحالها والامور التى تقع فيها والمراد بتدبير
 أمرها القضاء السابق الذى هو الإرادة الازلية المقضية لنظام الموجودات على ترتيب
 خاص ثم لما ذكر سبحانه تدبير الامر قال (ثم يعرج) قرأ الجمهور على البناء للفاعل وقرئ
 على البناء للمفعول والاصل يعرج به أى يرجع ذلك الأمر ويعود ذلك التدبير والتصرف

نافية قال ابن عباس يعنى وما من شئ فى السماء والارض الا فى كتاب مبين وهذه أقوله الم تعلم أن الله يعلم فى
 السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان ذلك على الله يسير (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذين هم فيه يختلنون
 بى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى ولا
 صم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى العمى عن ضلالهم ان تسمع الامن يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) يقول تعالى مخبرا
 العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان انه يقص على بنى اسرائيل وهم حمله التوراة والانجيل أكثر الذى هم

فيه يختلفون كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه فالله وداقروا والنصارى غلوا لخالق القرآن بالقول الوسط الحق العدل انه عبد من عبادة الله وانبيائه ورسوله الكرام عليه افضل الصلاة والسلام كما قال تعالى ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون وقوله وانه لهدى ورحمة للمؤمنين أى هدى لقلوب المؤمنين به ورحمة لهم في العمليات ثم قال تعالى ان ربي يقضى بينهم أى يوم القيامة بحكمه وهو العزيز أى فى انتقامه العليم بافعال عباده وأقوالهم فتوكل على الله أى فى جميع أمورك وبلغ رسالة ربك انك على الحق المبين أى أنت على الحق المبين وان خالفك من خالفك من كتب عليه (٢٣١)

الشقاوة وحققت عليهم كلمة ربك انهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ولهدا قال تعالى انك لا تسمع منهم أى لا تسمعهم شياً ينتفعهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفى آذانهم وقرا الكفر ولهذا قال ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا صمدين وما أنت بهادى العمى عن ضلالهم ان تسمع الامن يؤمن باياتنا فهم مسلمون أى اغما يستجيب لك من هو سمع بصير السمع والبصر النافع فى القلب والبصيرة الخاضع لله ولما جاء عنه على السنة الرسل عليهم السلام (واذ وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أو امر الله وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الارض قيل من مكة وقيل من غيرها كما سأتى تفصيله ان شاء الله تعالى فتكلم الناس على ذلك قال ابن عباس والحسن وقمادة ويروى عن علي رضى الله عنه تكلمهم كلاماً أى تخاطبهم مخاطبة وقال عطاء الخراسانى تكلمهم فتقول ان

فى الخلوقات بالحشر والحساب ووزن الاعمال والتعذيب والتنعيم وغير ذلك مما يتبع فى ذلك اليوم (اليه) سبحانه (فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) قرأ الجمهور بالنووية على الخطاب وقرئ بالتحتية على الغيبة أى تعدونه من أيام الدنيا وذلك باعتبار مسافة النزول من السماء والطلوع من الارض كما قدمنا وقيل ان المراد يعرج اليه فى يوم القيامة الذى مقداره كذا من أيام الدنيا وذلك حين ينقطع أمر الدنيا ويموت من فيها وقيل هى أخبار أهل الارض تصعد اليه مع من يرسله اليها من الملائكة والمعنى انه ينبت ذلك عنده ويكتب فى صحف ملائكته ما عم له أهل الارض فى كل وقت من الاوقات الى ان تبلغ مدة الدنيا آخرها وقيل المعنى يثبت فى علمه موجود الفعل فى برهة من الزمان وقيل يدبر أمر سنة والمراد طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر أمر الحوادث اليومية باثباتها فى اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم يعرج اليه فى زمان هو كالف سنة من أيام الدنيا وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملائكة ثم يعرج بعد الالف لاني آخر وقيل المراد ان الاعمال التى هى طاعات يدبرها الله سبحانه وينزل بها ملائكته ثم لا يعرج منها اليه الا الخالص بعد مدة متطاولة لقله الخالصين من عباده وقيل الضمير فى يعرج يعود الى الملك وان لم يجزله ذلك لانه مفهوم من السياق وقد جاء صريحاً فى قوله تعرج الملائكة والروح اليه والضمير فى اليه راجع الى السماء على لغة من يذكرها أو الى مكان الملك الذى يرجع اليه وهو الذى أقره الله فيه وقيل المعنى يدبر أمر الشمس فى الطلوع والغروب رجوعها الى موضعها من الطلوع فى يوم كان مقداره فى المسافة ألف سنة وقيل المعنى ان الملك يعرج الى الله فى يوم كان مقداره لو ساره غير الملك ألف سنة فان ما بين السماء والارض مسافة خمس مائة عام فمسافة النزول من السماء الى الارض والرجوع من الارض الى السماء ألف عام وقدر حج هذا جماعة من المفسرين منهم ابن جرير وقيل مسافة النزول ألف سنة ومسافة الطلوع ألف سنة وروى ذلك عن الضحاک وهذا اليوم هو عبارة عن زمان يتقدر بألف سنة وليس المراد بهسمى اليوم الذى هو مدة النهار بين ليلتين والعرب قد تعبر عن المدة باليوم كما قال الشاعر
يوما ن يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأديب
فان الشاعر لم يرد يومين مخصوصين وانما أراد ان زمانهم يتقسم شطرين فعبّر عن كل

الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويروى هذا عن علي واختاره ابن جرير وفى هذا القول نظر لا يخفى والله أعلم وقال ابن عباس فى رواية تجرحهم وعن رواية قال كلات فعل يعنى هذا وهذا هو قول حسن ولا منافاة والله أعلم وقد ورد فى ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة فلندكر منها ما تيسر والله المستعان قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن فرات عن أبى الطاهيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ونحن ننذا كرام الساعة فقال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم عليه السلام والدجال وثلاثة خسوف

خسف بالمغرب وخسف بالشرق وخسف بجيزة العرب وارتخرج من قعر عدن تسوق أو يحشر الناس تبت معهم حيث باؤا
وتقبل معهم حيث قالوا وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من طرق عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة مرفوعا
وقال الترمذي حسن صحيح ورواه مسلم أيضا من حديث عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عنه موقوفاً لله أعلم (طريقاً أخرى)
قال أبو داود الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجري بن حازم فاما طلحة فقال أخبرني عبد الله بن عبد الله بن عمير الليثي أن أبا الطفيل
حدثه عن حذيفة بن أسيد الغفاري (٢٣٢) أبي شريحته وأما جري فقال عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن

مسعود وحدث طلحة أتم وأحسن
قال ذكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الدابة فقال لها ثلاث خرجات
من الدهر فتخرج خرجة من أقصى
البادية ولا يدخل ذكرها القريبة يعني
مكة ثم تكمن زماناً طويلاً ثم تخرج
خرجة أخرى دون تلك فيعملو ذكرها
في أهل البادية ويدخل ذكرها
القريبة يعني مكة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم يبعث الناس
في أعظم المساجد على الله حرمة
وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم
الاهي ترو بين الركن والمقام
تنفض عن رأسها التراب فارفض
الناس عنها شتى ومعا ولقيت عصابة
من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يجزوا
الله فبدأت بهم فجلت وجوههم
حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى
وولت في الأرض لا يدركها طالب
ولا يتجو منها هارب حتى ان الرجل
ليتعوذ منها بالصلاة فتأتميه من خلفه
فتقول يا فلان الآن تصلى فيقبل
عليها قسمه في وجهه ثم تنطلق
ويسترك الناس في الاموال
ويضطربون في الامصار يعرف
المؤمن من الكافر حتى ان المؤمن

واحد من الشطرين يوم وعن ابن عباس في الآية قال من الايام السنته التي خلق الله
فيها السموات والارض وعنه قال لا يتنصف النهار في مقدر يوم من ايام الدنيا في ذلك
اليوم حتى يقضى بين العباد فينزل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ولو كان الى غيره لم
ينسخ في خمسين ألف سنة وعنه قال في يوم من ايامكم هذه ومسيره ما بين السماء والارض
خمسمائة عام وقد استشكل جماعة الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعرج الملائكة
والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقيل في الجواب ان يوم القيامه مقداره
ألف سنة من ايام الدنيا ولكنه باعتبار صغره وبتوسطه هو اله على الكفار كخمسين ألف
سنة والعرب تصف كثيرا يوم الكريهه بالطول كما تصف يوم السرور بالقصر وقيل ان يوم
القيامه فيه ايام فتم ايام مقداره ألف سنة ومنها ما مقداره خمسون ألف سنة وقيل هي
اوقات مختلفة يعذب الكافر بنوع من انواع العذاب ألف سنة ثم ينقل الى نوع آخر
فيعذب خمسين ألف سنة وقيل مواقيت القيامه خمسون موقفا كل موقف ألف سنة
فيكون معنى يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة أنه يعرج اليه في وقت من تلك
الاقوات أو موقف من تلك المواقيت وعن مجاهد وقتاده والنخلك أنه أراد سبحانه في قوله
تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة المسافه من الارض الى
صدر المنتهى التي هي مقام جبريل والمراد انه يسير جبريل ومن معه من الملائكة في
ذلك المقام الى الارض مسيره خمسين ألف سنة في مقدار يوم واحد من ايام الدنيا وأراد
بقوله في يوم كان مقداره ألف سنة المسافه التي بين الارض وبين السماء الدنيا وطا
وصعودها فانه مقدار ألف سنة من ايام الدنيا وقيل ان ذلك اشارة الى امتداد نفاذ الامر
وذلك لان من نفذ امر معاية النفاذ في يوم أو يومين وانقطع لا يكون مثل من ينفذ امره
في سنتين متطاوله فقوله في يوم كان مقداره ألف سنة يعني يدبر الامر في زمان يوم منه
ألف سنة فكيف يكون الشهر منه وكم تكون السنة منه وعلى هذا فالفارق بين ألف سنة
وبين خمسين ألف سنة وقيل غير ذلك وقد وقف جبر الامه ابن عباس لما سئل عن الآيتين
وقال هما ايمان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما أو أكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم
وقال ابن المسيب للسائل هذا ابن عباس قد أبى أن يقول فيهما وهو أعلم مني والاشارة
بقوله (ذلك) الى الله سبحانه باعتبار اتصافه بتلك الاوصاف أى ذلك الخالق المدبر (عالم)

ليقول يا كافر اقضى حتى وحتى ان الكافر يدعول يا مؤمن اقضى حتى ورواه ابن جري بن طريقين عن حذيفة الغيب
ابن أسيد موقوفاً لله أعلم ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً وان ذلك في زمان عيسى بن مريم وهو يطوف بالبيت ولكن
استاده لا يصح (حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبد الله
ابن عمرو قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم أُنسبه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات
خروج طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتها ما كانت قبل صاحبته فالأخرى على أثرها قريبا (حديث

(آخر) وروى مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الخرققة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والداية وخاصة أحدكم وأمر العامة تفرد به وله من حديث قتادة عن الحسن عن زياد بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا الدجال والدخان ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا حمرله بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث (٢٣٣) وابراهيم عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن

سعيد عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال وخويصة أحدكم وأمر العامة تفرد به (حديث آخر) قال أبو داود الطيالسي حدثنا جاد بن سلمة عن علي بن زيد عن أويس بن خالد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج دابة الارض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فخطم انف الكافر بالعصا وتجيلى وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر ورواه الامام أحمد عن هرون بن زعفران ويزيد بن هرون ثلاثتهم عن حماد بن سلمة به وقال فخطم انف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل الخوان الواحد ليجمعون فبقول هذا المؤمن ويقول هذا يا كافر ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن حماد بن سلمة به (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو حدثنا أبو تيميلة

الغيب والشهادة) أى العالم بما غاب عن الخلق وما حضرهم وفي هذا معنى التهديد لانه سبحانه اذا علم بما يغيب وما يحضر فهو مجاز لكل عامل بعمله أو فهو يدبر الامر بما تقتضيه حكمته (العزير) القاهر الغالب (الرحيم) بعباده (الذى أحسن كل شئ خلقه) قرئ بفتح اللام وباسكانها فعلى الاولى خلقه فعل ماض نعمت الشئ وعلى الثانية ففي نصبه أوجه الاول ان يكون بدلا من كل شئ يدل اشتمال والضمير عائدا الى كل شئ وهذا هو الوجه المشهور وعند النحاة الثاني انه بدل كل من كل والضمير يرجع الى الله سبحانه ومعنى أحسن حسن لانه ما من شئ الا هو مخلوق على ما تقتضيه الحكمة فكل المخلوقات حسنة الثالث أن يكون كل شئ هو المفعول الاول وخلقته هو المنعول الثاني على تضمين أحسن معنى أعطى والمعنى أعطى كل شئ خلقه الذى خصه به وقيل على تضمينه معنى ألهم قال الفراء ألهم خلقه كل شئ يحتاجون اليه الرابع انه منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة أى خلقه خلقا كقولہ صنع الله وهذا قول سيبويه والضمير يعود الى الله سبحانه والخامس انه منصوب بنزع الخافض والمعنى أحسن كل شئ فى خلقه ومعنى الآية انه أتقن وأحكم خلق مخلوقاته فبعض المخلوقات وان لم تكن حسنة فى نفسها فهى متمنة بحكمة فيكون هذه الآية معناها معنى أعطى كل شئ خلقه أى لم يخلق الانسان على خلق البهيمة ولا خلق البهيمة على خلق الانسان وقيل هو عموم فى اللفظ خصوص فى المعنى أى أحسن خلق كل شئ حسن وقال ابن عباس أما رأيت القردة ليست بحسنة ولكنها أحكم خلقها وعنه فى الآية قال أما رأيت القردة ليست بحسنة ولكنها أحكم خلقها وقال خلقه صورته وقال أحسن كل شئ التبيح والحسن والعقارب والحيات وكل شئ مما خلق وغيره لا يحسن شيئا من ذلك وأخرج الطبرانى عن أبي أمامة قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ لقينا عمرو بن زرارة الانصارى فى حله قد أسبل فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنا حمية ثوبه فقال يا رسول الله انى أحسن السابقين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عمرو بن زرارة ان الله عز وجل قد أحسن كل شئ يا عمرو ان الله لا يجب المسلمين وأخرج أحمد والطبرانى عن الشريد بن سويد قال أبصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلا قد أسبل ازاره فقال ارفع ازارك فقال يا رسول الله انى أحسن تصطبقت ركبتاى فقال ارفع ازارك كل خلق الله حسن (وبدأ خلق الانسان) يعنى آدم خلقته

(٣٠ - فتح البيان سابع) حدثنا خالد بن سعيد حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال ذهب بي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا ارض يابسة حوله ارملة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة من هذا الموضع فاذا فترت فى شبر قال ابن بريدة فجبت بعد ذلك بسنين فارانا عاصله فاذا هو بعصاى هذه كذا وكذا وقال عبد الرزاق اخبرنا به عمر بن قتادة ان ابن عباس قال هى دابة ذات زغب لها اربع قوائم تخرج من بعض اودية تهامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أى حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية قال قال عبد الله تخرج الدابة من صدع من الصفا بكبرى الفرس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثها

وقال محمد بن اسحق عن ابيان بن صالح قال سئل عبد الله بن عمرو عن الدابة فقال الدابة تخرج من تحت صخرة بجباد والله لو كنت معهم (١) أو لو شئت بعصاى الى الصخرة التى تخرج الدابة من تحتها قبل فتصنع ماذا يا عبد الله بن عمرو فقال تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ثم تروح من مكة فتصير بعسفان قيل ثم ماذا قال ثم لا أعلم وعن عبد الله بن عمر انه قال تخرج الدابة ليله جمع رواه ابن ابي حاتم وفي اسناده ابن البيهان وعن وهب ابن منبه انه حكى من كلام عزيز عليه (٢٣٤) السلام انه قال وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسعها

(من طين) فصارت على صورة بديعة وشكل بديع حسن (ثم جعل نسله) أى ذريته (من سلاله) أى نطفة سميت الذرية سلاله لانها تنسل من الاصل وتنفصل عنه وقد تقدم تفسيرها فى سورة المؤمنين والمذكور هنا صفة ذرية آدم والمذكور ثم صفة آدم (من ماء مهين) أى ممتن لا خطر له عند الناس وهو المني وقال الزجاج من ماء ضعيف (ثم سواه) أى الانسان الذى بدأ خلقه من طين وهو آدم أو جميع النوع والمراد انه عدل خلقه ووسوى شكله وقومه وناسب بين أعضائه على ما ينبغي كقوله فى أحسن تقويم (ونفخ فيه من روحه) أى جعله حيا حساسا بعد ان كان جادا والاضافة للتشريف والتكريم وهذه الاضافة تقوى ان الكلام فى آدم لافى ذريته وان أمكن توجيهه بالنسبة الى الجميع وقيل للتخصيص أى نفخ فيه من الشئ الذى اختص هو به وبعبه ولعله الاول أولى ثم خاطب جميع النوع فقال (وجعل لكم) وفيه التثنية عن الغيبة الى الخطاب ولم يخاطبهم قبل ذلك لان الخطاب انما يكون مع الحى فلما قال ونفخ فيه من روحه خاطبه به بعد ذلك وقال وجعل لكم (السمع) أى الاسماع (والابصار والافئدة) أى القلوب تكلموا لئلا نعتمه عليكم وتتميم التسوية بخلقكم حتى تجتمع معكم هذه النعم فتسمعون كل مسموع وتبصرون كل مبصر وتعتقلون كل متعقل وتفهمن كل ما يفهم وأفرد السمع لكونه مصدرا يشمل القليل والكثير وخص السمع بذكر المصدر دون البصر والفؤاد فذكرهما بالاسم ولهذا اجعل الان السمع قوة واحدة ولها محل واحد وهو الاذن ولا اختيار لها فيه فان الصوت يصل اليها ولا يقدر على رده ولا على تخصيص السمع ببعض المسموعات دون بعض بخلاف الابصار فجعلها العين وله فيه اختيار فانها تتحرك الى جانب المرئى دون غيره وتطبق أحفاها اذا الم ترذ الروبة لشيء وكذلك الفؤاد له نوع اختيار فى ادراكه فباعتقل هذا دون هذا ويفهم هذا دون هذا (قليلاما) أى شكرا قليلا وزمانا قليلا (تشكرون) وفى هذا بيان لكفرهم انعم الله وتركهم لشكرها الا فيما ندر من الاحوال (وقالوا) كلام مستأنف مسوق لبيان اباطلهم بطريق الالتفات عن الخطاب الى الغيبة ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم لتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعدد جناباتهم (أئذ اضلنا فى الارض) الضلال الغيبوبه يقال ضل الميت فى التراب اذا غاب وبطل والعرب تقول للشيء اذا غلب عليه غيره حتى خفى أثره ففضل قال قطرب المعنى غيبنا فى الارض قرئ

وتضع الحبالى قبل التمام ويعود الماء العذب أجاوا يتعادي الاخلاء وتحرق الحكمة ويرفع العلم وتكلم الارض التى تلبها وفى ذلك الزمان يرجوا الناس ما يبلغون ويتعبون فيما يلبون ويعملون فيما لا يكون رواه ابن ابي حاتم عنه وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حاد شأنا أبو صالح كاتب الليث حدثنى معاوية بن صالح عن ابي مرجم انه سمع ابا هريرة رضى الله عنه يقول ان الدابة فيها من كل لون ما بين قرنيتها فرسخ للراكب وقال ابن عباس هى مثل الحربة الضخمة وعن أمير المؤمنين على بن ابي طالب رضى الله عنه انه قال انها دابة لهاريش وزغب وحافر ومالها ذنب ولها الحية وانها تخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثها رواه ابن ابي حاتم وقال ابن جرير عن ابى الزبير انه وصف الدابة فقال رأسها رأس نور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل وقرنها قرن أيل وعقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبا ذنب كبش وقوائمها قوائم يعر بين كل منضلين اثنا عشر ذراعا تخرج معها عصا موسى وطام سليمان فلا يبقى مؤمن الا نكتت فى وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشو ضلنا تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه ولا يبقى كافر الا نكتت فى وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة حتى يسود بها وجهه حتى ان الناس يتبايعون فى الاسواق بكم ذابا مؤمن بكم ذابا كافر وحتى ان أهل البيت يجلسون على ما نذتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ثم تقول لهم الدابة يا فلان أبشر أنت من أهل الجنة يا فلان أنت من أهل النار فذلك قول الله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون (ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب

(١) قوله أو لو شئت بعصاى كذا بالنسخ بإيدى ناوحر الرواية اه

بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال كذبت آياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا اناجعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون) يقول تعالى محبرا عن يوم القيامة وحشر الظالمين من المكذبين بآيات الله ورسوله الى بين يدي الله عز وجل ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا تقريرا وتوضيحا وتصغيرا وتحقيرا فقال تعالى ويوم نحش من كل امة فوجا أي من كل قوم وقرن فوجا أي جماعة عن يكذب بآياتنا كما قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقال تعالى واذا النفوس زوجت وقوله تعالى (٢٣٥) فهم يوزعون قال ابن عباس رضي الله عنهما

يدفعون وقال قتادة وزعة يرذالهم على آخرهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يساقون حتى اذا جاؤا ووقفوا بين يدي الله عز وجل في مقام المسألة قال كذبت آياتي ولم تحيطوا بها علما اماذا كنتم تعملون أي فيستدلون عن اعتقادهم وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى فخينئذ قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال الله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون الآية وهكذا قال ههنا ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون أي بهتوا فلم يكن لهم جواب لانهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لانفسهم وقد دروا الى عالم الغيب والشهادة الذي لا يخفى عليه خافية ثم قال تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظيم وشأنه الرفيع الذي يجب طاعته والانقياد لوامره ونصديق آيائه فيما جاؤا به من الحق الذي لا محمد عنه فقال تعالى ألم يروا اناجعلنا الليل

ضلالنا بفتح ضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا ووضعا وصرنا تاربا وغنا عن الاعين بالدفن فيها وقرئ ضلالنا بكسر اللام وهي لغة العالمة من نجد قال الجوهري وأهل العالمة يقولون ضللت بالكسرة قال وأضله أي اضاعه وأهلكه يقال ضل الميت اذا دفن وقرئ صللتنا بصاد مهمله ولام مفتوحة أي أنتنا وبها قرأ علي والحسن والاعمش وأبان بن سعيد قال النحاس ولا يعرف في اللغة صللتنا ولكن يقال صل اللحم اذا أنتن قال الجوهري صل اللحم يصل بالكسر صلوا اذا أنتن مطبوخا كان أو نيئا والعامل في اذا محذوف تقديره نبعث ونخرج لدلالة قوله (آنتنا نخلق جديد) عليه أي نبعث ونصير أحياء والهزة للاستنكار وهذا قول منكري البعث من الكفار فأضرب الله سبحانه من بيان كفرهم بانكار البعث الى بيان ما هو أبلغ منه وهو كفرهم بلقاء الله فقال (بل هم بلقاء ربهم كافرون) أي جاحدون له تكابرة وعناد فان اعترافهم بأنه المبدئ للخلق يستلزم اعترافهم بأنه قادر على الاعادة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يبين لهم الحق ويرد عليهم ما زعموه من الباطل فقال (قل يتوفاكم ملك الموت) يتال توفاه الله واستوفى روحه اذا قبضه اليه وملك الموت هو عزرائيل وقال ذلك هنا وقال في الانعام توفقه رسلنا وفي الزمر الله يتوفى الانفس حين موتها ولا منافاة لان الله تعالى هو المتوفى حقيقة بخلق الموت وأمر الوسائط بنزع الروح وهم غير ملك الموت أعوان له ينزعونها من الاظافر الى الخلقوم فصحت الاضافات كلها والتفعيل والاستفعال يلتقيان في مواضع مثل تقضيته واستقضيته وتبجلته واستبجلته (الذي وكل بكم) أي بقبض أرواحكم عند حضور آجالكم قبل ان ملك الموت يدعو ارواح قبضه ثم يأمر أعوانه بقبضها والله تعالى هو الأمر لذلك وهذا وجه الجمع بين الآيات كما تقدم (ثم الى ربكم ترجعون) أي تصيرون اليه تعالى أحياء بالبعث والنشور لالاى غيره فيجازيكم بأعمالكم ان خيرا وخيرا وان شرا فشر (ولوترى) لو امتناعية وجوابه محذوف أي لرأيت أمر افضلهما وهو لا هاتلا لا يقادر قدره والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الزجاج والمحاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم محاطبة لامته فالعنى ولوترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب أو الخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائن من كان اذا المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يخفى استغرابها واستعظامها براءة دون راءة من اعتماد مشاهدة

ليسكنوا فيه أي في ظلام الليل لتسكن حر كآتهم بسببه وتمدأ نفاسهم ويستريحون من نصب التعب في نهارهم والنهار مبصرا أي منير مشرقا بسبب ذلك يتصرفون في المعاش والمكاسب والاسفار والتجارات وغير ذلك من شؤونهم التي يحتاجون اليها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون (ويوم ننفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله وكل أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جاسدة وهي تمزق السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما يفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون) يخبر تعالى عن هول يوم

نفخة الفزع في الصور وهو كما جاء في الحديث قرن ينفخ فيه وفي حديث الصور ان اسرافيل هو الذي ينفخ فيه بامر الله تعالى فينفخ فيه أولاً ولنفخة الفزع ويطولها وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الاحياء فيفزع من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله وهم الشهداء فانهم احياء عندهم برزقون قال الامام مسلم بن الحجاج حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبه عن النعمان بن سالم سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود النخعي سمعت عبد الله بن عمرو رضی الله عنه وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث (٢٣٦) الذي تحدث ان الساعة تقوم الى كذا وكذا فقال سبحان

الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من تتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفضاعتها ويجوز ان يكون لولتني والمضى فيها وفي اذلان الثابت في علم الله بعزلة الواقع (اذ الجرمون ناكسور رؤسهم) المراد بهم هم القائلون اننا ضلنا في الارض ويجوز ان يراد بالجرميين كل مجرم ويدخل فيه أولئك القائلون دخولا أو ليا والمعنى مطأطموها وخافضوها احياء ونمدا على ما فرط منهم في الدنيا من الشرك بالله والعصيان له (عند ربهم) أي عند محاسبته لهم (ربنا) أي يقولون ربنا (أبصرنا) الان ما كنا نكذب به (وسمعنا) ما كنا نكتمه وقيل أبصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك فهو لاء أبصروا حين لم يتنعمهم البصر وسمعوا حين لم يتنعمهم السمع (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل) عملا صالحا) كما أمرتنا وحسبنا نقضيه تلك الآيات (اناموقنون) أي مصدقون وقيل مصدقون بالذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصنوا أنفسهم بالايقان الان طمعا فيما طلبوه من ارجاعهم الى الدنيا واني لهم ذلك فقد حقت عليهم كلمة الله فانهم لوردوا لعادوا المانم واعرانهم الكاذبون وقيل هذا ادعاء منهم لصحة الاقئدة والافتداع على فهم معاني الآيات والعمل بموجبها كما ان ما قبله ادعاء لصحة صفتي البصر والسمع كانهم قالوا أيقنا وكأمن قبل لانقل شيئا أصلا وانما عدلوا الى الجله الاسميه المؤكدة انظارا لتبائهم على الايقان وكال رغبتم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سألوهم من الرجعة وقيل معنى اناموقنون انها قد زالت عنهم الشكوك التي كانت تخالطهم في الدنيا لما رأوا ما رأوا وسمعوا ما سمعوا وقيل والمعنى صرنا نسمع ونبصر فلا يحتاج الى تقدير مفعول ثم رد الله عليهم لما طلبوا الرجعة بقوله (ولو شئنا لآتينا) أعطينا (كل نفس هداها) أي رشدها وتوفيقها الى الايمان يعني ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا جميعا فلم يكفر منهم أحد ولكن لم نعظهم ذلك اللطف لما علمنا منهم اختيار الكفر واثاره وهو حجة على المعتزلة فانهم أولوا الآية بعنينة الخبر وهو تأويل فاسد قال النخاس في معنى هذا قولان أحدهما انه في الدنيا والآخرة انه في الآخرة أي لو شئنا لرددنا الى الدنيا (ولكن حق القول مني) أي نفذ قضائي ووجب قدرى وسيقت كلمتي وثبت وعيدي (الأملا ان جهنم من الجنة والناس أجمعين) هذا هو القول الذي وجب من الله وحق على عباده ونفذ فيه قضاءه فكان مقتضى هذا القول انه لا يعطى كل

الله أو لا اله الا الله أو كلمة فهو هما لقد هممت ان لأحدث أحدا شيئا أبدا انما قلت انكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يجزب البيت ويكون ويكون ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في أمتي فيمكت أربعين لأدرى أربعين يوما وأربعين شهرا وأربعين عاما فيبعث الله عيسى بن مريم كنه عروة بن مسعود فيطلبه فيها لئلا يبعث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد في قلبه منقال ذرة من خير أو ايمان الا قبضته حتى لو ان أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير واحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول الانسجيبون فيقولون غنا أمرنا فبأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا

يسمعه أحد الا صفي لينا ورفع لينا قال وأول من يسمعه رجل يلو ط حوض ابه قال فيصعق ويصعق الناس نفس

ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو قال الظل نعمان السالك فتنبت منه اجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم الى ربكم وقضوهم انهم مسئولون ثم يقال أخر جوابه ثم يقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق وقوله ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا صفي لينا ورفع لينا الذي هو صفة العنق أي أمال عنقه ليستعفه من السماء جيدا فهذه نفخة الفزع ثم بعد ذلك نفخة الصعق

وهو الموت ثم بعد ذلك نفخة القيام لزب العالمين وهو النشور من القبور لجمع الخلائق وله - ذاق قال تعالى وكل أئوه دآخرين قرى بالمد وبغيره على النعل وكل بمعنى واحد وداخرين أى صاغرين مطيعين لا يتخلفاً أحد عن أمره كما قال تعالى يوم يدعوكم فتستحيون بحمده وقال تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وفي حديث صورانه في النفخة الثالثة يا مرائه الارواح فتوضع في ثقب في الصور ثم ينفخ اسرافيل فيه بعد ما ثبتت الاجساد في قبورها وأما كنها فاذا انفخ في الصور طارت الارواح توهج أرواح المؤمنين نوراً وأرواح الكافرين مظلمة فيقول الله عز

(٢٢٧)

الى جسدها فتحي الارواح الى اجسادها فتدب فيها كما يدب السم في اللدغيخ ثم ينفخون وينفضون التراب من قبورهم قال الله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نسب يوفضون وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أى تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهي تمر مر السحاب أى تزول عن أما كنها كما قال تعالى يوم تورد السماء سورا وتسير الجبال سيرا وقال تعالى ويدألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صافيا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقال تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقوله تعالى صنع الله الذى اتقن كل شئ أى يفعل ذلك بتدبره العظيمة الذى اتقن كل شئ أى اتقن كل ما خلق وأودع فيه من الحكمة ما أودع انه خير مما يفعلون أى هو عليم بما يفعل عمل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه أتم الجزاء ثم بين تعالى حال السعداء والاشقاء يومئذ فقال من جاء بالحسنة فله خير منها قال قتادة

نفس هداها وانما قضى عليهم - ثم هذا لأنه سبحانه قد علم انهم من أهل الشقاوة وانهم من يختار الضلالة على الهدى وقد علم ان المقام مقام تحقير ولان الجنة منى منهم أكثر فمما قبل ولا يلزم من قوله أجمعين دخول جميع الانس والجن فيها لانها تفيد عموم الأنواع لا الافراد قاله بعض المحققين وردبانه لوقصه - وما ذكر كان المناسبات التنبيهة دون الجمع بان يقول عليهم ما فالظاهر انهم العوم الافراد والتعريف فيه - ما للعهد والمراد عصاتهم - ما ويؤيده قوله في آية أخرى خطابا بالابليس لا ملأن جهنم منك وعن تبعك منهم أجمعين قاله الشهاب وفي تخصص الانس والجن اشارة الى انه عصم ملائكته عن عمل يستوجبون به جهنم (فدوقوا) أى العذاب والفاء لترتيب الامر بالذوق على ما قبله أى فاذا دخلوا النار قال لهم الخزنه فذوقوا قاله مقاتل واستعمار الذوق للاحساس وقد يعبر بالذوق عما بطراً على النفس وان لم يكن مطعوما لا احساسها به كاحساس الذائقة بذوق المطعوم (عنانسيتم لقاء يومكم) الباء للسببية وفيه اشعار بأن تعذيبهم ليس مجرد سبق القول المتقدم بل بذلك واختلف في النسيان المذكور ههنا فاقيل هو النسيان الحقيقى وهو الذى يزول عنده الذكرو قيل هو الترك قاله الضحاك ويحيى بن سلام والمعنى على الاول انهم لم يعملوا ذلك اليوم فكانوا كأنناسين له وعلى الثانى لابتدئ من تقدير مضاف قبل اللقاء أى فذوقوا بسبب ترككم لما أمرتكم به عذاب لقاء يومكم هذا ورجح الثانى المبرد قال الرازى في تفسيره ان اسم الاشارة في قوله (هذا) يحتمل ثلاثة أوجه ان يكون اشارة الى اللقاء وان يكون الى اليوم وان يكون الى العذاب (انانسينا كم) أى تركناكم بالكلمة غير ملتفت اليكم كما ينسى عمل الناسى قطعاً لاجلهم قال يحيى المعنى نسيناكم بما تركتم الايمان بالبعث في هذا اليوم تركناكم من الخير وكذا قال السدى وقال مجاهد تركناكم في العذاب (وذوقوا) تكرر به هذا للتأكيد والتشديد ولتبيين المنعول المطوى للذوق وللأشعار بأن سببه ليس مجرد النسيان بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصى التى كانوا مستمرين عليها في الدنيا (عذاب الخلد) أى الدائم الذى لا انقطاع له (عما كنتم تعملون) فى الدنيا من الكفر والمعاصى والتكذيب (عما يؤمنون باياتنا) مستأنفة لبيان من يستحق الهداية الى الايمان ومن لا يستحقها والمعنى انما صدق باياتنا وينتفع بها (الذين اذا ذكروا بها) لا غيرهم ممن يذكر بها أى يعظم بها ولا يتذكر ولا يؤمن بها (خروا

بالاخلاص وقال زين العابدين هى لاله الا الله وقد بين تعالى فى الموضع الآخر ان له عشر امثالها وهم من فزع يومئذ آمنون كما قال فى الآية الاخرى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال تعالى أنى يلقى فى النار خيرام من يأتى آمنابوم القيامة وقال تعالى وهم فى الغرفات آمنون وقوله تعالى ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار أى من لقي الله مسيئاً لا حسنة له أو قدر حجت سيئاته على حسناته كل بحسبه ولهذا قال تعالى هل تجزون الا ما كنتم تعملون وقال ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهم وأنس بن مالك وعطاء وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهدوا برأهم النضى وأبو وائل وأبو صالح ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم والزهري والسدى

والضمان والحسن وقتادة وابن زبير في قوله ومن جاء بالسنة يعني بالشرك (انما أمرت أن عبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن تكون من المسلمين وأن أتوا القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المذنبين وقل الحمد لله سير يكتم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) يقول تعالى مخبر الرسول وأمره ان يقول انما أمرت أن عبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء كما قال تعالى قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا عبد الذين تعبدون من دون الله وليكن أعبد الله الذي يتوفاكم ووضافة الربوية الى البلدة (٢٣٨) على سبيل التشريف لها والاعتناء بها كما قال تعالى فليعبدوا

رب هذه البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقوله تعالى الذي حرمها اي الذي انما صارت حراما شرعا وقدرنا بتحريره لها كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمه الله الى يوم القيامة لا يعرضه ولا ينفر صده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يتخلى خلاها الحديث تمامه وقد ثبت في الصحيح والحسان والمسائيد من طرق جماعة تفيد القطع كما هو مبين في موضعه من كتاب الاحكام والله الحمد والمنة وقوله تعالى وله كل شيء من باب عطف العام على الخاص أي هو رب هذه البلدة ورب كل شيء ومليك لاله الا هو وأمرت ان تكون من المسلمين اي الموحدون المخلصين المتقدين لامرهم المطيعين له وقوله وان أتوا القرآن أي على الناس أبلغهم آياه كقوله تعالى ذلك تلاوه علمك من الآيات والذكر الحكيم وكقوله تعالى تسلو علمك من بناموسى

سجدا) أي سقطوا على وجوههم ساجدين تعظيما لآيات الله وخوفا من سطوته وعذابه وتواضعا وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام (وسجوا بحمد ربهم) أي زهوه عن كل ما لا يليق به متابسين بحمده على نعمه التي أحلها وأكلها الهداية الى الايمان بالآيات قال ابن عباس نزلت هذه الآية في شأن الصلوات الخمس ومعنى الآية قالوا في سجودهم سبحان الله وبحمده أو سبحان ربي الاعلى وبحمده وقال سفيان المعنى صلوا حمد الربهم (وهم لا يستكبرون) عن الايمان به والسجود له كما استكبر أهل مكة عن السجود أي حال كونهم خاضعين لله متذللين له غير مستكبرين عليه وقال ابن عباس لا يستكبرون عن اتيان الصلاة في الجماعات قيل هذه من عزائم سجود القرآن للقارئ والمستمع قال سليمان الجمل والمراد بالآيات في هذه الآية ان كان مطلق القرآن وان لم تكن فيه آية سجدة أشكل قوله عز وسجد فان السجود لا يشرع لتلاوة القرآن الا اذا كان فيه آية سجدة من آيات السجود المعروفة وان كان المراد به اخصوص آيات السجودات أشكل قوله اذا ذكر وابعاهم تفسير التذكير بالوعظ كما ذكره ووجه الاشكال ان أكثر آيات السجودات بل كلها ليس فيها وعظ أي تخويف وتذكير بالعواقب اذ هذا حقيقة الوعظ بل غالبها المدح الساجدين نصر يحاوم غيرهم تلويحا كهذه الآية وقد يكون بعكس ذلك أي ذم غير الساجدين نصر يحاوم مدح الساجدين تلويحا كآية الانشقاق فليست أمثل فلم نرمز المفسرين من بين هذا ولا من تعرض له انتهى (تجاني جنوبهم عن المضاجع) استئناف أو حال أي ترتفع وتبوء وتبني يقال جف الشيء عن الشيء وتجاني عنه اذا لم يلزمه وتباعد عنه وتبني قال الزجاج والرمانى التجاني والتجاني الى جهة فوق وكذلك هو في الصفة عن الخطي في سب ونحوه والجنوب جمع جنب أي متجافية جنوبهم عن مضاجعهم والمضاجع جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع فيه وهم المتهمجدون في الليل الذين يقومون للصلاة عن الفراش وبه قال الحسن ومجاهد وعطاء والجمهور والمراد بالصلاة صلاة التسنن بالليل من غير تقيد وقال قتادة وعكرمة هو النزل ما بين المغرب والعشاء وبه قال أبو حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الاوابين وقيل صلاة العشاء فقط وهو رواية عن الحسن وعطاء وقال الضمك صلاة العشاء والصبح في جماعة وقيل هم الذين يقومون لذلك الله سواء كان في صلاة أو غيرها عن

وفرعون بالحق الآية أي أنما يبلغ ومنذرفن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المذنبين أي الى أسوة بالرسول الذين أنذروا قومهم وقاموا بما علمهم من أداء الرسالة اليهم وخلصوا من ههنا وهم على الله تعالى كقوله تعالى فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقال انما انت نذير والله على كل شيء وكيل وقول الحمد لله سير يكتم آياته فتعرفونها أي الله الحمد الذي لا يعذب أحد الا بعد قيام الحجة عليه والانداز اليه ولهذا قال تعالى سير يكتم آياته فتعرفونها كما قال تعالى سيرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون أي بل هو شهيد على كل

شي قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر حدثنا أبو أمية بن يعلى النخعي حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس لا يغترن أحدكم بالله فإن الله لو كان غافلاً شيئاً لأغفل البعوضة والجرذ والذرة وقال أيضاً حدثنا محمد بن يحيى حدثنا نصر بن علي قال أبي أخبرني عن خالد بن قيس عن مطر عن عمر بن عبد العزيز قال فلو كان الله مغفلاً شيئاً لأغفل ما تعنى الرياح من أثر قدمي ابن آدم وقد ذكر عن الامام أحمد رحمه الله تعالى انه كان يفسد هذين البيتين امامه واما لغيره اذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل * خلوت ولكن قل علي رقيب (٢٣٩) ولا تحسبن الله يغفل ساعة

ولأن ما يخفى عليه يغيب

آخر تفسير سورة النمل والله الحمد والمنة

(تفسير سورة القصص وهي مكية)

قال الامام أحمد بن حنبل رحمه الله

حدثنا يحيى بن آدم حدثنا وكيع عن

أبيه عن أبي إسحق عن معديكيرب

قال أتينا عبد الله فسألناه ان يقرأ

علينا طسم المائتين فقال ما هي

معي ولكن عليكم عن أخذها من

رسول الله صلى الله عليه وسلم خباب

بن الارت قال فأتينا خباب بن الارت

فقرأها علينا رضي الله عنه

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(طسم تلك آيات الكتاب المبين تتلو

عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق

لقوم يؤمنون ان فرعون علا في

الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف

طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي

نساءهم انه كان من المفسدين

ونريد أن نمن على الذين استضعفوا

في الارض ونجعلهم أممًا ونجعلهم

الوارثين وتمكن لهم في الارض

ونرى فرعون وهامان وجنودهما

منهم ما كانوا يحذرون) قد تقدم

الكلام على الحروف المقطعة

أنس بن مالك ان هذه الآية نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة وعنه قال نزلت في صلاة العشاء وعنه قال كانوا لا ينامون حتى يصلوا العشاء وعنه قال كنا نجتنب الفراش قبل صلاة العشاء وعنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راقدًا قط قبل صلاة العشاء ولا متحدثًا بعد هافان هذه الآية نزلت في ذلك وعن ابن عباس في الآية ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هم الذين لا ينامون قبل صلاة العشاء فأنى عليهم فلماذا جعل الرجل يعتزل فراشه مخافة ان تغلبه عينه فوقتها قبل ان ينام الصغير ويكسل الكبير أخرجه ابن مردويه وعن بلال قال كنا نجلس في المسجد وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلون بعد المغرب العشاء تتجافى جنوبهم عن المضاجع وعن أنس نحوه وعنه قال كانوا ينتظرون ما بين المغرب والعشاء يصلون وعن معاذ بن جبل قال قيام العبد من الليل وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر حديثا وارشده في أنواع من الطاعات وقال فيه وصلاة الرجل في خوف الليل ثم قرأ هذه الآية أخرجه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم وعن أبي هريرة مرفوعا في حديث قال فيه وصلاة المرء في خوف الليل ثم تلا هذه الآية أخرجه ابن مردويه وعن أنس في الآية قال كان لا تمر عليهم ليلة الا أخذوا منها وأشهر الا قاويل ان المراد منه صلاة الليل وبه قال جماعة من أهل العلم وقد ورد في فضل قيام الليل والحديث عليهم من الاحاديث الصحيحة ما هو مذكور في كتب السنة وعن كعب قال اذا حشر الناس نادى مناد هذا يوم الفصل لمن الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع الحديث رواه أحمد وعن ابن عباس يقول كلما استيقظوا ذكر الله امان في الصلاة واما في القيام اوقعودا وعلى جنوبهم لا يزالون يذكرون الله (يدعون) أي تتجافى جنوبهم حال كونهم داعين (ربهم خوفا) من عذابه (وطمعا) في رحمة قال ابن عباس خوفا من النار وطمعا في الجنة وفيه دليل على صحة العبادة والدعاء بالخوف والطمع وقد حققنا ذلك في هداية السائل فليرجع اليها (ومما رزقناهم) أي من الذي رزقناهم أو من رزقهم (ينفقون) وذلك الصدقة الواجبة وقبل صدقة النفل والاولى الحمل على العموم (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) السكرية في سياق النفي تشييد العموم أي لا تعلم نفس من النفوس أي نفس كانت ما أخفاه الله سبحانه لاولئك الذين تقدم ذكرهم مما

وقوله تلك أي هـ ذوات الكتاب المبين أي الواضح الخلي الكاشف عن حقائق الامور وعلم ما قد كان وما هو كائن وقوله تتلو عليك

من نبأ موسى وفرعون بالحق الآية كما قال تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص أي نذكر لك الامر على ما كان عليه كأنك

تشاهدو كأنك حاضر ثم قال تعالى ان فرعون علا في الارض أي تكبر وتجب وطغي وجعل أهلها شيعا أي أصنافا قد صرف كل صنف

فيما يريد من أمور دولته وقوله تعالى يستضعف طائفة منهم يعني بني اسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم هذا وقد سلب

عليهم هذا الملك الخبار العبيد يستعملهم في أخس الاعمال ويكدهم ليل لا ونهارا في أشغال وأشغال رعيته ويقتل مع هذا

ابناءهم ويستحي نساءهم اهانته لهم واحتقار احوالهم من ان يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو واهل علكته منه ان يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه وكانت القبط قد ناقوا هذا من بني اسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول ابراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وجرى له مع جبارها ماجرى حين أخذ سارة ليتخذها جارية فصانها الله منه ومنعه منها بقدرته وسلطانه فبشر ابراهيم عليه السلام ولده انه سيولد له من صلبه وذريته من يكون هلاك ملك مصر على يديه فكانت القبط تحدث بهذا عند فرعون فاحترز (٢٤٠) فرعون من ذلك وأمر بقتل ذكور بني اسرائيل ولن ينفع حذر من

تقربه أعينهم قال أبو السعود أي لملك مصر ولا نبى مرسل فضلا عما عداهم وقيل المراد لا تعلم نفس ما أخفى لهم علمات نصوصها أو الا فنعلم ما عدلنا المؤمنين من النعيم اجبالا من حيث انه عرف في الجنة وقصور وأشجار وأنهار وملابس وما كل وغير ذلك قرئ قرربة بالافراد وقرات بالجمع وقرئ ما أخفى بسكون الياء على انه فعل مضارع مسند الى الله سبحانه وقرئ بفتحها فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وما أخفى بالانون مضمومة ويخفى بالتحسية قال ابن عباس كان عرش الله على الماء فاتخذ حنة لنفسه ثم اتخذ ذنوبا أخرى ثم أطبقهما بالؤلؤة واحدة ثم قال ومن دونهما جستان لم يعلم الخلق ما فيه ما وهى التي قال الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأ عين تأتهم منها كل يوم تحننه وعنه قال هذا مما لا تفسير له وعن ابن مسعود قال انه لما كتوب في التوراة لقد أعد الله للذين تجبأ في جنوبيهم عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلم ملك مقرب ولا نبى مرسل وانه ابى القرآن فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأ عين وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة وقرأوا ان شئت فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأ عين وفي الباب أحاديث عن جماعة من الصحابة وهى معروفة فلا تظول بذكرها وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم وفيه دليل على ان المراد الصلاة في جوف الليل ليكون الجزاء فاقام بين سبحانه ان ذلك بسبب أعمالهم الصالحة فقال (جزا بما كانوا يعملون) أى لاجل الجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الطاعات وأجور واجزاء بذلك (أفمن كان مؤمنا مكن كان فاسقا) الاستفهام للانكار أى ليس المؤمن كالفاسق فقد ظهر ما بينهما من التفاوت والتباين ولهذا قال (لا يستوون) ففيه زيادة تصريح لما أفاده الانكار الذى أفاده الاستفهام على أبلغ وجه وأكده ليبنى عليه التنبه لالتى قال الزجاج جعل الاثنين جماعة حيث قال لا يستوون لاجل معنى من وقيل لكون الاثنين أقل الجمع وقيل أراد الجنس منهم ما ولم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا وهما أولى فان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وفي السنين انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعمد الوقوف على فاسقا ويتدى بقوله لا يستوون أى فى المال والمستقر أو فى الشرف والمنوبة والضمير فيه لمن

قد ران أجل الله اذا جاء لا يؤخر واسكل أجل كتاب ولهذا قال تعالى وزيد أن عن على الذين استضعفوا فى الارض الى قوله يحذر ون وقد فعل تعالى ذلك بهم كما قال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون الى قوله يعرشون وقال تعالى كذلك وأورثناها بنى اسرائيل أراد فرعون بجوله وقوته ان ينجو من موسى فما نفعه ذلك مع قدرة الملك العظيم الذى لا يخالف أمره القدرى ولا يغلب بل نفذ حكمه وجرى قلمه فى القدم بان يكون هلاك فرعون على يديه بل يكون هذا الغلام الذى احترزت من وجوده وقتلت بسببه ألوفان الولدان انما منشؤه ومهباه على فراشك وفى دارك وغداؤه من طعامك وأنت تربيته وتدله وتتفاده وحتقك وهلاكك وهلاك جنودك على يديه لتعلم ان رب السموات العلاء والقاهر الغالب العظيم القوى العزيز الشديد المحال الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فآلقيه فى اليم

ولا تخافي ولا تحزنى ان ارادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا الواقعة

ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأته فرعون قرعة عينى ولك اتقلا عسى أن ينفعنا وتخذ ولداهم لا يشعرون) ذكروا ان فرعون لما أكرم قتل ذكور بني اسرائيل خافت القبط ان يقضى بنى اسرائيل فيلونه هم ما كانوا يلونه من الاعمال الشاقة فقالوا الفرعون انه يوشك ان استمر هذا الحال ان يموت شيوخهم وغلمانهم يمقتلون ونسأؤهم لا يمكن ان يقم من عاقبهم به رجالهم من الاعمال فيخلص السنا ذلك فاحترز الولدان عاماتر ككهم عاماتر ولدهارون عليه السلام فى

في السنة التي يتركون فيها الولدان وولد موسى في السنة التي يقتلون فيها الولدان وكان لفرعون ناس موكلون بذلك وقوابل يدرن على النساء فن رأينها قد حلت أحصوا اسمها فاذا كان وقت ولادتها لا يقبلها الانساء القبط فان ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن وان ولدت غلاما دخل أولئك الذباحون بأيديهم السفار المرهفة فقتلوه ومضوا قبحهم الله تعالى فلما حلت ام موسى به عليه السلام لم يظهر عليه المخايل الجميل كغيرها ولم يفتن لها الدايات ولكن لما وضعت ذكرا ضاقت به ذرعا ونحافت عليه خوفا شديدا واحبته حبا زائدا وكان موسى عليه السلام لا يراه احدا الا حبه فالسعيد (٢٤١) من أحبه طبعها وشرعاً قال الله تعالى

وألقيت عليك محبة مني فلما ضاقت به ذرعا ألهمت في سرها وألقيت في خلدتها ونفت في روعها كما قال تعالى وأوحينا إلى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ان اردوه اليك وجاعلوه من المرسلين وذلك أنه كانت دارها على حافة النيل فاتخذت تابوتا ومهدت فيه مهذا وجعلت ترضع ولدها فاذا دخل عليها أحد من تخافه ذهبت فوضعت في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وربطته بجمل عندها فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعت في ذلك التابوت وأرسلته في البحر وذهلت ان تربطه فذهب مع الماء واحتمله حتى مر به على دار فرعون فالتقطه الجوارى فاحتملته فذهبن به الى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيها وخشين ان يقتلن عليها في قحدها فلما كشفت عنه اذا هو غلام من أحسن الخلق واجله وأحلاه وأبهاه فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت اليه وذلك لسعادتها وما اراد الله من كرامتها وشقاوته علمها ولهذا قال فالتقطه

الواقعة على الفريقين وفيه مرعاة معناها بعد مرعاة لفظها والمراد بالنسق الكامل بقريضة المقابلة للمؤمنين والافالمؤمن قدي يكون فاسقا ونظيره أفنجعل المسلمين كالجرمين وقوله أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية اذ ليس كل مجرم ومسيء كافر وعن ابن عباس قال قال الوليد بن عقبة لعلني بن أبي طالب انا احدمك سنانا واشجع جنانا وأبسط منك لسانا وأملأ حشوا السكتية منك فقال له على اسكت فاعما أنت فاسق فنزلت هذه الآية يعني بالمؤمن عليا وبالفاسق الوليد وروى نحو هذا عن عطاء بن يسار والسدي وعبد الرحمن بن أبي ليلى ثم بين سبحانه عاقبة حال الطائفتين وبدأ بالمؤمنين فقال (أما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) قرئ بالجمع وبالافراد والمأوى هو الذي يأوون اليه و اضاف الجنات اليه لكونه المأوى الحقيقي وقيل المأوى جنات من الجنات تأوى اليها أرواح الشهداء وقيل هي عن عين العرش وقد تقدم الكلام على هذا (نزلا) أي انها معدة لهم عند نزولهم وهو في الاصل ما يعبد للنازل من الطعام والشراب اكرامه كما بيناه في آل عمران وقرئ نزلا بسكون الزاي (بما كانوا يعملون) أي بسبب ما كانوا يعملونه وليس المراد السبب الحقيقي حتى يخالف حديث لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله بل ما ينفي الى الجنة بمقتضى وعد الله تعالى ثم ذكر الفريق الآخر فقال (وأما الذين فسقوا) أي خرجوا عن طاعة الله وتمردوا عليه وعلى رساله بالكفر والتكذيب واعلم أن العمل الصالح له مع الايمان تأثير فلذلك قال آمنوا و عملوا الصالحات وأما الكفر فلا التفتات الى الاعمال معه فلذلك الميقول و عملوا السيئات لان المراد من قوله فسقوا كفروا ولو جعل العقاب في مقابلة الكفر والعمل لظن أن مجرد الكفر لا اعتبار عليه (فأوأهم النار) أي منزلهم الذي يصبرون اليه ويستقررن فيه هو النار (كأرادوا ان يخرجوا منها أعيدها فيها) أي اذا أرادوا الخروج منها أعيدها اليها راغبين مكرهين وقيل اذا دفعهم الله الى أعلاها ردوا الى مواضعهم وكلمة في الدلالة على أنهم مستقررون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض (وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) والقائل لهم هذه المقالة هم خزنة جهنم من الملائكة أو القائل لهم هو الله عز وجل وفي هذا القول لهم حال كونهم قد صاروا في النار من الاغظة لهم ما لا يخفى وهذا دليل على ان المراد بالفاسق الكافر اذا تكذب يقابل الايمان (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) وهو عذاب الدنيا

(٣١ - فتح البيان سابع) آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا الآية قال مجاهد بن سفيان وغيره اللام هنا لام المقابلة للام التعليل لانهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك ولا شك ان ظاهر اللقط يقتضى ما قالوه ولكن اذا نظر الى معنى السياق فانه تبقى اللام للتعليل لان معناه ان الله تعالى قيضهم لالتقاطه ليجعله عدوا لهم وحزنا فيكون ابلغ في ابطال حذرهم منه ولهذا قال تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقد روى عن امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه كتب كتابا الى قوم من القدرية في تكذيبهم بكباب الله وبأقداره النافذة في علمه السابق وموسى في علم الله السابق لفرعون عدو وحزنا قال الله تعالى ونرى

فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحسدون وقلتم انتم لوشاء فرعون ان يكون لموسى وليا وناصر او الله تعالى يقول ليكون لهم عدوا وحزنا و قوله تعالى وقالت امرأت فرعون قرت عينى ولكم الاية بمعنى ان فرعون لما رآهم يقتله خوفا من ان يكون من بنى اسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم تخاصم عنه وتذبذبه وتحبسه الى فرعون فقالت قرعة عينى ولكم فقال فرعون امالك فنعم وامالى فلا فكان كذلك وهذا الله بسببه واهلكه الله على يديه وقد تقدم في حديث الفتون في سورة طه هذه القصة بطولها من رواية ابن عباس مرفوعا (٢٤٢) عند النسائي وغيره وقوله عسى ان ينفعنا وقد حصل لهذا ذلك وهذا الله به

واسكنها الجنة بسببه وقولها او تقضه ولدا اى ارادت ان تقضه ولدا وتبيناه وذلك انه لم يكن لها ولد منه وقوله تعالى وهم لا يشعرون اى لا يدرون ما اراد الله منه بالتقاطهم اياه من الحكمة العظيمة البالغة والخبرة القاطعة (واصح فوادام موسى فارغان كادت لتبدي به لولا ان ربنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحر من اعليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكرههم ليعلمون) يقول تعالى مخبرا عن فوادام موسى حين ذهب ولدها فى البحر انه اصبح فارغا اى من كل شئ من امور الدنيا الا من موسى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وابو عبيدة والخمالي والحسن البصرى وقنادة وغيرهم ان كادت لتبدي به اى ان كادت من شدة وجدها وحزنها واسفها لتظهر انه ذهب لها ولد

قال الحسن وأبو العالية والضحاك والنخعي هو مصائب الدنيا وأسقامها وقيل الحدود وقيل القتل بالسيف يوم بدر وقيل سنى الجوع بمكة سبع سنين حتى أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب وقيل عذاب القبر ولا مانع من الحمل على الجيع والذوق حسى ومعنوى (دون العذاب الاكبر) وهو عذاب الآخرة (لعلهم يرجعون) مما هم فيه من الشرك والمعاصي بسبب ما ينزل بهم من العذاب الى الايمان والطاعة ويتوبون عما كانوا فيه وفى هذا التعليل دليل على ضعف قول من قال ان العذاب الاذى هو عذاب القبر قال ابن مسعود العذاب الاذى يوم بدر والعذاب الاكبر يوم القيامة لعل من بقي منهم ان يتوب فيرجع وعنه قال العذاب الاذى سنون اصابتهم لعلهم يتوبون وقال أبى بن كعب العذاب الاذى مصائب الدنيا والروم والبطشة والدخان وعنه قال يوم بدر وقال ابن عباس الحدود قال الكرخى وفى هذا التبرجى وجهان أحدهما معناه لتدينهم اذ اذقتهم الرجحان كقوله ان انسيناكم يعنى تركناكم كما يترك الناسى حيث لا يلتفت اليه أصلا فكذلك ههنا والناسى نذيقهم العذاب اذ اذقتهم يقول القائل اذا رآهم لعلهم يرجعون بسببه انتهى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) اى لا أحد أظلم منه لكونه سمع من آيات الله ما يوجب الاقبال على الايمان والطاعة فجعل الاعراض مكان ذلك والجحى بمن للدلالة على استبعاد ذلك وانه مما لا ينبغي ان لا يكون والاستفهام انكارى (انامن المجرمين منتقمون) اى من اهل الاجرام على العموم فيدخل فيه من أعرض عن آيات الله دخولا وأوليا قال أبو السعود اى كل من اتفق منه اجرام وان هانت جرعته فكيف بمن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرما من كل مجرم أخرج ابن منيع وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وغيرهم قال السيوطى بسند ضعيف عن معاذ بن جبل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجر من عقدهن وفى غير حرق أو عوق والديه أو مشى مع ظالم لينصره فقد أجرم يقول الله انامن المجرمين منتقمون قال ابن كثير بعد اذ اخرج هذا حديث غريب (ولقد آتينا موسى الكتاب) اى التوراة وانما ذكر موسى لقربه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووجود من كان على دينه الزام لهم وانما يحتر عيسى عليه السلام للدكر والاستدلال لان اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته واما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فتمسك بالجمع عليه (فلاتكن) يا محمد (فى مرة) اى

وتحيز بها لولا ان الله ثبتها وصبرها قال الله تعالى لولا ان ربنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه اى امرت ابنتها وكانت كبيرة تسمى ما يقال لها فقالت لها قصيه اى اتبعى اثره وخذى خبره وتطلبى شأنه من نواحى البلاد فخرحت لذلك فبصرت به عن جنب قال ابن عباس عن جانب وقال مجاهد بصرت به عن جنب عن بعيد وقال قنادة جعلت تنظر اليه وكانها لا ترى يده وذلك انما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون واحبته امرأه الملك واستطلقته منه عرضا عليه المراضع التى فى دارهم فلم يقبل منها ثديا وابي ان يقبل شيئا من ذلك فخر حوايه الى السوق لعلهم يحجبون امرأته تصلح لرضاعته فلما

شك

رأته بأيديهم عرفته ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها قال الله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل أي حرمنا مقاديرها وذلك للكرامة عند الله وصيانته أن يرتضع غير ندى أمه ولأن الله سبحانه وتعالى جعل ذلك سببا إلى رجوعه إلى أمه لترضعه وهي آمنة بعدما كانت حائضا فلما رأتهم حائرون فيمن يرضعه قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناعمون قال ابن عباس فلما قالت ذلك اخذوها وشكوا في امرها وقالوا لها وما يدريك بنصحه لهم له وشفتهم عليه فقالت لهم نصحه لهم له وشفتهم عليه رغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعة فأرسلها فلما قالت لهم ذلك وخلصت من اذاهم (٢٤٣) ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه

فأعطته نديها فالتصمه ففرحوا بذلك فرحاشديدا وذهب البشير إلى امرأة الملك فاستدعت أم موسى واحسنت اليها واعطتها عطاء جزيلاً وهي لا تعرف انها أمه في الحقيقة ولكن لكونه وافق نديها ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه فابت عليها وقالت ان لي بعلا وأولاد ولا أقدر على المقام عندك ولكن ان أحببت ان أرضعه في بيتي فعلت فاجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليها النفقة والصلوات والكسارى والاحسان الجزيل فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية قد أبدلها الله بعد خوفها أمنا في عز وجاه ورزق دار ولها جاء في الحديث مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعيته الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها ولم يكن بين السدة والفرج الا القليل يوم وليله أرضحوه والله أعلم فسبحان من بيده الامر ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجا وبعد كل ضيق مخرجا ولهذا قال تعالى فرددناه إلى أمه كي تقر عينها أي به ولا تحزن أي

شك وريبة (من لقائه) قال الواحدى قال المفسرون وعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه سياتى موسى قبل ان يموت ثم لقيه في السماء وفي بيت المقدس حين اسرى به وهذا قول مجاهد والكلبي والسدى وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى للكتاب قاله الزجاج وقال الحسن ان معناه ولقد آتينا موسى الكتاب فكذب وأذى فلا تكن في شك من انه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والأذى فيكون الضمير في لقائه على هذا الى محذوف والمعنى من لقائه ما لاقى موسى قال النحاس وهذا قول غريب وقيل في الكلام تقديم وتأخير والمعنى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم فلا تكن في مرية من لقائه فإمعنوا بين ولقد آتينا موسى الكتاب وبين قوله الآتى وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وقيل الضمير راجع إلى الكتاب الذى هو النور فان كقولهم وانك لتلقى القرآن والمعنى ان آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناك مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وما أبعد هذا ولعل الحامل لقائه عليه قوله وجعلناه هدى لبنى اسرائيل فان الضمير راجع إلى الكتاب وقيل ان الضمير في لقائه عائد إلى الرجوع المفهوم من قوله ثم إلى ربكم ترجعون أي لا تكن في مرية من لقاء الرجوع وهذا بعيد جدا قال السهين وهذه أقوال بعيدة ذكرت للتنبيه على ضعفها وأظهرها ان الضمير أم موسى وأما الكتاب أي لا ترتب في ان موسى لقي الكتاب وأنزل عليه وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأيت ليلة اسرى بي موسى بن عمران رجلا طويلا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم من ربوع الخلق إلى الحجر والبياض سبب الرأس ورأيت مالكا خازن جهنم والدجال في آيات أراهن الله اياه قال فلا تكن في مرية من لقائه فكان قتادة ينسرها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد لقي موسى وأخرج الطبرانى وابن مردويه والضياع في المختارة بسند قال السيموطى صحيح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا تكن في مرية من لقائه قال من لقاء موسى قيل أولى موسى قال نعم الا ترى الى قوله واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وروى البخارى عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أتيت على موسى ليلة المعراج عند الكتيب الاجر وهو قائم يصلى في قبره وصح في حديث المعراج أيضا انه رآه

عليه ولتعلم أن وعد الله حق أي فيما وعداه من رده اليها وجعله من المرسلين في حينئذ تحققت برده اليها انه كائن منه رسول من المرسلين فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعاً وشرعاً وقوله تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون أي حكم الله في أفعاله وعواقبها المحمودة التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة فربما يقع الامر كرها إلى النفوس وعاقبته محمودة في نفس الامر كما قال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وقال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه كحاً وعلموا وكذلك تجزى المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين

يقولون هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكره موسى ففضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل بين قال رب انى ظلمت نفسى فاغترلى فغفرله انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على قلن أكون ظهيرا للمجرمين) لما ذكر تعالى مبدأ أمر موسى عليه السلام ذكر انه لما بلغ أشده واستوى آناه الله حكيم وعلم قال مجاهد يعنى النبوة وكذلك تجزى الحسين ثم ذكر تعالى سبب وصوله الى ما كان تعالى قدره من النبوة والتكليم قضية قتله ذلك القبطى الذى كان سبب خروجه من الديار المصرية (٢٤٤) الى بلاد مدين فقال تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من

أهلها وقال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وذلك بين المغرب والعشاء وقال ابن جريج عن ابن المنكر عن عطاء ابن يسار عن ابن عباس كان ذلك نصف النهار وكذلك قال عكرمة وسعيد بن جبيرة والسدى وقتادة فوجد في فهارجلين يقتتلان أى يتضاربان ويتنازعان هذا من شيعته أى اسرائيلى وهذا من عدوه أى قبطى قاله ابن عباس وقتادة والسدى ومحمد بن اسحق فاستغاث الاسرائيلى بموسى عليه السلام ووجد موسى فرصة وهو غفله الناس فعمد الى القبطى فوكره موسى عليه السلام ففضى عليه قال مجاهد وكره أى طعنه بجمع كفه وقال قتادة وكره بعضا كانت معه ففضى عليه أى كان فيها حتفه فمات قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل بين قال رب انى ظلمت نفسى فاغترلى فغفرله انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على أى بما جعلتلى من الجاه والعز والنعمة فلن أكون

في السماء السادسة فلعل رؤيته كانت في قبره قبل صعوده الى السماء ثم صعد اليها فوجده هناك قد سبقه لما يريد الله وهذا وجه الجمع بين هذين الحديثين على ما ذكره الخازن واختلف في الضمير في قوله (وجعلناه) فقيل راجع الى الكتاب أى جعلنا التوراة (هدى لبني اسرائيل) قاله الحسن وغيره وقال قتادة انه راجع الى موسى أى جعلنا موسى هدى لبني اسرائيل (وجعلنا منهم أئمة) أى قادة يقتدون بهم في دينهم وهم الانبياء الذين كانوا في بني اسرائيل وقيل هم اتباع الانبياء وقيل العلماء قاله قتادة وقرئ أئمة قال النحاس وهو لحن عند جميع النحويين لاند جمع بين همزتين في كلمة واحدة (يهدون) أى يدعونهم الى الهداية بما يلقونه اليهم من احكام التوراة ومواظعتها (بامرنا) لهم بذلك أو لاجل امرنا (لماصبروا) أى حين صبروا والضمير للائمة وفيه معنى الجزاء والتقدير لما صبروا وجعلناهم أئمة أى لصبرهم وهذا الصبر هو صبرهم على مشاق التكليف والهداية للناس وقيل صبر واعن الدنيا وفيه دليل على ان الصبر ثمرته امامة الناس (وكاونا آياتنا) التنزيلية التي في تصاعيف الكتاب (يوقنون) أى يصدقون بها ويعلمون انها حق وانها من عند الله لا يزيد تفكيرهم وكثرة تدبرهم (ان ربك هو يفضل بينهم يوم القيامة) أى يقضى بينهم ويحكم بين المؤمنين والكفار وقيل يقضى بين الانبياء وأئمتهم حكاه النقاش (فيما كانوا في مختلفون) فيظهر الحق من المبطل (أولم يهد لهم) أى أولم يبين لاهل مكة والهمزة للانكار والاول والعطف على مقدر يقتضيه المقام أى اغفلوا لم يبين لهم وقرئ يهد بالتحية وبالنون وهى وانحة والفاعل ما دل عليه قوله (كم أهلكم) أى كثرة اهلاككم وقال المبردان الفاعل الهدى المدلول عليه يهدى أى أولم يهد لهم الهدى (من قبلهم) حال من قوله (من القرون) كعادهم وعودهم وقوم لوط ونحوهم (يشنون في مساكنهم) أى والحال انهم يشنون في مساكن المهلكين ويشاهدونها وينظرون ما فيها من العبر والآثار العذاب ولا يعتبرون بذلك رقيب الضمير يعود الى المهلكين والمعنى أهلكم حال كونهم ماشين في مساكنهم والاولى وقيل جملة مستأنفة بيان لوجه هدايتهم والمعنى يرون في أسفارهم الى التجارة على ديارهم وبلادهم (ان في ذلك) المذكور من كثرة اهلاك الامم الخالية (الآيات) عظيمة (أفلا يسهعون) ويتعظون بها (أولم يروا اناسوق الماء الى الارض الجرز) أى أولم يعلموا بسوق الماء الى الارض التي لا تنبت الا بسوق الماء اليها وقيل هى

اليابسة

ظهيرا أى معينا للمعجز من أى للكافرين بك المخالفين لاسمك (فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي

استنصر بالامس يستصرخه قال له موسى انك اغوى مبين فلما أن أراد ان يطش بالذى هو عدو له ما طل يا موسى أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين) يقول تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام لما قتل ذلك القبطى انه أصبح في المدينة خائفا أى من معزة ما فعل يترقب أى يتلذذ ويتوقع ما يكون من هذا الامر غير في بعض الطرق فاذا ذلك الذى استنصره بالامس على ذلك القبطى يقابل آخر فلما امر عليه موسى استنصره على الآخر فقال له

موسى انك اغوى مبين أى ظاهر الغواية كثير الشر ثم عزم موسى على البطش بذلك القبطى فاعتقد الاسرا يسلى لخوره وضعفة
 وذلته ان موسى انما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك فقال يدفع عن نفسه يا موسى أتريد ان تقتلنى كما قتلت نسايا بالامس وذلك لانه لم
 يعلم به الا هو وموسى عليه السلام فلما سمعها ذلك القبطى لفقها من نفسه ثم ذهب بها الى باب فرعون وألقاها عندهم فعلم فرعون بذلك
 فاشد حنقه وعزم على قتل موسى فظلموه فبعثوا واوراه ليحضره لذلك (وجاء رجل من أقصى المدينة يسبحى قال يا موسى ان الملا
 يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين) قال تعالى وجاء رجل (٢٤٥) وصفه بالرجولية لانه خالف الطريق

فسلك طريقاً قرب من طريق
 الذين بعثوا واوراه فسبق الى موسى
 فقال له يا موسى ان الملا يأتمرون
 بك أى يتشاورون فيك ليقتلوك
 فاخرج أى من البلد انى لك من
 الناصحين (يخرج منها خائفاً يتربص
 قال رب نجى من القوم الظالمين
 ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي
 ان يهدينى سواء السبيل ولما ورد ماء
 مدين وجد عليه أمة من الناس
 يسعون ووجد من دونهم امراًتين
 تزدوران قال ما خطبكما قالتان لانسق
 حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير
 فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال
 رب انى لما أنزلت الى من خير فقير)
 لما أخبره ذلك الرجل بما تأملا عليه
 فرعون ودولته فى أمره خرج من
 مصر وحده ولم يألف ذلك قبله بل
 كان فى رفاهة ونعمة ورياسة
 فخرج منها خائفاً يتربص أى يتلفت
 قال رب نجى من القوم الظالمين
 أى من فرعون وملائته فذكر وان
 الله سبحانه وتعالى بعث اليه ملكا
 على فرس فأرشده الى الطريق قالته
 أعلم ولما توجه تلقاء مدين أى
 أخذ طريقاً يقاسم الكاهن بها فرح

اليابسة وأصله من الجزر وهو القطع أى التى تقطع نباتها لعدم الماء وازيل بالمرّة ولا يقال
 للتي لا تنبت أصلاً كالسباخ جزر لقوله الا تى تخرج به زرعاً قال ابن عباس الجزر التى
 لا تمطر الامطر الا يعنى عنها شيئاً الا ما يأتها من السبول وعنه قال هى أرض بالين وقيل
 أبين قال القرطبي فى تفسيره والاسناد عن ابن عباس صحى لادمعن فيه وقيل أرض
 عدن قال الضمكالى هى الأرض العطشاء وقال الفراء هى الأرض التى لا تنبت فيها وقال
 الاصمعى هى الأرض التى لا تنبت شيئاً قال المبرد يعنى ان يكون لأرض بعينها لدخول
 الالف واللام وقيل هى مشتقة من قولهم رجل جرد اذا كان لا يبقى شيئاً الا آكله
 وكذلك ناقه جرد اذا كانت تأكل كل شىء تجده وقال مجاهد انها أرض التيسل لان الماء
 انما يأتى فيها فى كل عام (فتخرج به) أى بالماء (زرعاً) أى من الزرع كالتين
 والقصل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها ونحوها مما لا يأكله الناس (وأفسهم)
 أى يأكلون من الحبوب والثمار والاقوات الخارجة من الزرع مما يقتاتونه وقدم الانعام
 لان اتفانها مقصود على النبات ولان أكلها منه مقدم لانها تأكلها قبل ان يثمر ويخرج
 سنبله (أفلا يصرون) هذه النعم ويشكرون المنعم ويوجدونه لكونه المتفرد بالعباد
 ذلك وجعلت الفاصلة يصرون لان الزرع مرثى وفيما قبله يسمعون لان ما قبله مسموع
 أو ترقب الى الاعلى فى الاتعاط بما لغى فى التذكير ودفع العذر (ويقولون) بطريق الاستجمال
 تكذيباً واستهزاء والقائلون هم الكفار على العموم أو كفار مكة على الخصوص (متى
 هذا الفتح) الذى تعدنا به يعنون بالفتح القضاء والفصل بين العباد وهو يوم البعث الذى
 يقضى الله فيه بين العباد قاله مجاهد وغيره قال الفراء والقشيري هو فتح مكة قال قتادة
 قال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم للكفار ان لنا يوماً نتدع فيه ونستريح ويحكم
 الله بيننا وبينكم يعنون يوم القيامة فقال الكفار متى هذا الفتح وقال السدى هو يوم
 بدر لان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يقولون للكفار ان الله ناسرنا
 ومظهرنا عليكم وعن ابن عباس قال يوم بدر فتح للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يتفع
 الذين كفروا واما بعد الموت (ان كنتم صادقين) فيما تدعونه من نصر المؤمنين
 واطهارهم على الكفار ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يجيب عليهم
 فقال (قل يوم الفتح لا يفتح الذين كفروا واما بعد الموت) وفى هذا دليل على ان يوم الفتح هو يوم

بذلك قال عسى ربي ان يهدينى سواء السبيل أى الطريق الاقوم ففعل الله به ذلك وهداه الى الصراط المستقيم فى الدنيا والآخرة
 فجعله هادياً مهدياً ولما ورد ماء مدين أى لما وصل الى مدين وورد ماءها وكان لها بئر يريده رعاء الشاء وجد عليه أمة من الناس
 يسعون أى جماعة يسعون ووجد من دونهم امراًتين تزدوران أى تكف كفتان عنهما ان ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يؤذيا فلما
 رأها موسى عليه السلام رقا لهما وورجها قال ما خطبكما أى ما خبرك بالتردان مع هؤلاء قالتان لانسق حتى يصدر الرعاء أى
 لا يحصل لنا سؤل الا بعد فراغ هؤلاء وأبونا شيخ كبير أى فهذا الحال المجلبى لنا الى ماترى قال الله تعالى فسقى لهما قال أبو بكر بن

أبي شيبه حدثنا عبيد الله أنبأنا سراً قيل عن أبي إسحق عن عمرو بن ميمون الأودي عن عمرو بن الخطاب رضی الله عنه أن موسى عليه السلام لما ورد ما مدین وجد عليه أمة من الناس يسقون قال فلما فرغوا أعادوا الصخرة على البئر ولا يطبق رفعها الا عشرة رجال فاذا هو بأمرأتين تدودان قال ما خطبكما فحدثناه فأتى الحجر فرفعه ثم لم يستق الاذنبوا واحدا حتى رويت الغنم اسناد صحيح وقوله تعالى ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير قال ابن عباس سار موسى من مصر الى مدین ليس له طعام الا البقل وورق الشجر وكان حافيا فواصل

(٢٤٦)

الى مدین حتى سقطت نعل قدميه وجلس في الظل وهو صفة

الله من خلقه وان بطنه للاصق بظهره من الجوع وان خضرة البقل لترى من داخل جوفه وانه محتاج الى شق تمره وقوله الى الظل قال ابن عباس وابن مسعود والسدى جلس تحت شجرة وقال ابن جرير حدثني الحسين بن عمرو الغنقزى حدثنا أبي حدثنا امراة قيل عن أبي إسحق عن عمرو ابن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود قال أحنثت على جبل ايلتين حتى صبحت مدین فسأت عن الشجرة التي أوى اليها موسى فاذا هي شجرة خضراء ترف فاهوى اليها جلي وكان جائعا فاخذها فعالجها ساعة ثم لفظها فدعوت الله لموسى عليه السلام ثم انصرفت وفي رواية عن ابن مسعود انه ذهب الى الشجرة التي كلم الله منها موسى كما سأتى ان شاء الله فالتة أعلم وقال السدى كانت الشجرة من شجر السمرو قال عطاء بن السائب لما قال موسى رب انى لما أنزلت الى من خير فقير اسمع المرأة (جاءته احداهما تمشى على استحياء قالت ان أبى يدعوك ليخزيك أبحر ما سمعت

القيامة الذي هو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم لان يوم فتح مكة ويوم بدر كلهم مما يمنة يتنفع فيه الايمان وقد أسلم أهل مكة يوم الفتح وقبل منهم ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ولا يقبل منهم الايمان والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبه على انه ليس مما ينبغي ان يشتمل عنه لكونه أمرا اينا وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ايمانهم في ذلك اليوم لانه قيل لا تستجيبوا لو كانوا فيكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظروا فلم تنظروا والاية ان عمت غير المستزين فهي تعميم بعد تخصص وان خصت بهم فهو اظهار في مقام الاضمار تسجيلا عليهم بالكفر وبيان العلة لعدم النفع وعدم امهالهم (ولا هم ينظرون) أى لا يهملون ولا يؤخرون بتأخير العذاب عنهم ليتوبوا ويعتدروا ولما فتحت مكة هربت قوم من بني كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فاظهروا الاسلام فلم يقبله منهم خالد وقتلهم (فاعرض عنهم) أى عن سفههم وتكذيبهم ولا تجبههم الاجماع امرت به (وانتظر) يوم الفتح وهو يوم القيامة أي يوم اهلاكمهم بالقتل وموعدي للابانصر عليهم (انهم منتظرون) لاهلاككم وان تنظروا عذابنا اياهم فهم منتظرون ذلك والاية منسوخة بآية السيف وذلك قوله لا ينفع الح قاله ابن عباس وقيل غير منسوخة اذ يقع الاعراض مع الامر بالقتال وقرئ منتظرون بفتح الطاء مبنيا للمفعول قال الفراء لا يصح هذا الا بانها رأى انهم منتظرونهم قال أبو حاتم الصحيح الكسر رأى انتظر عذابهم انهم منتظرون هلاكك

* سورة الاحزاب هي ثلاث وسبعون آية *

قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير مثله وعن ذر قال قال لى أبى بن كعب كاتى نقرأ سورة الاحزاب أو كاتى بعدها قلت ثلاثا وسبعين آية فقال أقط لقد رأيتها وانها لتعادل سورة البقرة أو أكثر من سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة اذ ازينا فارجوهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فرفع فيما رفع قال ابن كثير واسناده حسن وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عباس ان عمرو بن الخطاب قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد يا أيها الناس ان الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها وعيناها والشيخ والشيخة اذ ازينا فارجوهما البتة

لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا أبت استأجره ورجم ان خير من استأجرت القوي الامين قال انى أريد ان نكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرنى ثم لى جميع فان أتمت عشر اقل عندك وما أريد ان أشق عليك سمعنى ان شاء الله من الضالمين قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما تنقول وكيل لما رجعت المرأتان سر يعا بالغنم الى أيهما أنكر حالهما بسبب مجيئهم ملسر يعافسا لها عن خبرهما فقصتا عليه ما فعل موسى عليه السلام فبعث احداهما اليه ليدعوه الى أيهما قال الله تعالى فجاءته احداهما تمشى على استحياء أى

مشى الحرائر كما روى عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه قال جاءت مسطرة بكم درعها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو نعيم حدثنا أسرايل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون قال قال عمر رضي الله عنه جاءت تشي على استحياء فأنله بثوبها على وجهها ليست بسلفع دلاجة ولاجة خراجة هـ هذا اسناد صحيح قال الجوهري السلفع من الرجال الجسور ومن النساء الجرية السليطة ومن النوق الشديدة قامت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا وهذا تأدب في العادة لم تطلبه طلبا مطلقا لتلاويهم رية بل قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا يعني ليشيك (٢٤٧) ويكافئك على سقيك لغنما لما جاءه وقس

عليه القصص أي ذكره ما كان من أمره وما جرى له في السبب الذي خرج من أجله من بلده قال لا تحفنجوت من القوم الظالمين يقول طب نفسا وقر عينا فقد خرجت من مملكتهم فلا حكم لهم في بلادنا ولهـ هذا قال نجوت من القوم الظالمين وقد اختلف المنسرون في هـ هذا الرجل من هو على أقوال أحدها انه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل الى أهل مدين وهذا هو المشهور عند كثير من العلماء وقد قاله الحسن البصري وغيره واحد واه ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا ابن عبد العزيز الاودي حدثنا مالك بن أنس انه بلغه ان شعيبا هو الذي قص عليه موسى القصص قال لا تحفنجوت من القوم الظالمين وقد روى الطبراني عن سلمة بن سعد الغزني انه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مرحبا بقوم شعيب واختان موسى هـ ديت وقال آخرون بل كان ابن أخي شعيب وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقال آخرون كان شعيب قبل زمان

ورجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجنا بعده فآخشي ان يطول بالناس زمان ان يقول قائل لا نجد آية في كتاب الله فيضلاوا تبرك فريضة أنزلها الله وقد روى عنه نحو هذا من طرق وعن عائشة قالت كانت سورة الاحزاب تقرأ في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تبى آية فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها الا على ما هو الآن قال المنسفي وامام يحيى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكتها الداجن فن تاليفات الملاحة والر وافض

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(بأيها النبي) أي يأيها المخبر عن المؤمنون على أسرارنا المبلغ خطابنا وانما لم يقل يا محمد كما قال يا آدم يا موسى تشر يفاله وتنويها بنفضه وتصريحه باسمه في قوله محمد رسول الله ونحو ذلك تعليم الناس بانه رسول الله ليلقبوه بذلك ويدعوهم به (أتق الله) أي دم على ذلك وازدد منه فهو باب واسع وعرض عريض لا يدرك مداه ولا ينال منتهاه (ولا تطع الكافرين) من أهل مكة ومن هو على مثل كفرهم (والمنافقين) الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر قال الواحدي انه أراد سبحانه بالكافرين اناسا سفيا وعكرمة وآبا الاعور السلي وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ارفض ذكرا لهتنا وقل ان لها شفاعة لمن عبدها قال والمنافقين عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد بن أبي سرح (ان الله كان عليا حكيما) أي كثير العلم والحكمة بليغة ما قال النحاس ودل بقوله هذا على انه كان عييل اليهم يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم استدعاء لهم الى الاسلام والمعنى ان الله عز وجل لو علم ان ميلك اليهم فيه منفعة لسانم الك عنهم لانه حكيم ولا يخفى بعد هذه الدلالة التي زعمها ولكن هذه الجملة تعليل للجملة الاخرى بالتقوى والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين والمعنى انه لا يأمرك أو ينهالك الا بما علم فيه صلاحا وفسادا اكثره علمه وسعة حكمته (واتبع) في جميع أمورك (ما يوحى اليك من ربك) من القرآن ولا تتبع شيئا مما سمعته من مشورات الكافرين والمنافقين ولا من الرأي البحت فان فيما أوحى اليك ما يغنيك عن ذلك (ان الله كان بما تعملون خبيرا) تعليل لامره باتباع ما أوحى اليه وتأ كيد لوجبه والامر له صلى الله عليه وآله وسلم أمر لامة فهم مأمورون

موسى عليه السلام مدة طويلة لانه قال لقومه وما قوم لوط منكم يبعيدو قد كان ذلك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن وقد علم انه كان بين الخليل وموسى عليهم السلام مدة طويلة تزيد على أربع مائة سنة كما ذكره غير واحد وما قيل ان شعيبا عاش مدة طويلة انما هو والله أعلم احتراز من هذا الاشكال ثم من المقوى لكونه ليس بشعيب أنه لو كان اياه لا وشك ان ينص على اسمه في القرآن ههنا وما جاء في بعض الاحاديث من التصريح بجد كره في قصة موسى ليصح اسناده كما سئذ كره قريبا ان شاء الله ثم من الموجود في كتب بني اسرايل ان هذا الرجل اسمه ثيرون والله أعلم قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود واثره هو ابن أخي شعيب

عليه السلام وعن أبي حمزة عن ابن عباس الذي استأجر موسى يثري رواه ابن جرير ثم قال الصواب ان هذا لا يدرك الا بخبر
ولا خبر يجب به الحجية في ذلك وقوله تعالى قالت احدهما يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين أي قالت احدي
ابنتي هذا الرجل قبيل هي التي ذهبت وراه موسى عليه السلام قالت لا يبيها يا ابت استأجره أي لرعيته هذه الغنم قال عمرو بن
عباس وشريح القاضي وأبو مالك وقتادة ومحمد بن اسحق وغير واحد لما قالت ان خير من استأجرت القوي الامين قال لها أبوها
وما علمك بذلك قالت له انه رفع الصخرة التي (٢٤٨) لا يطبق حبلها الا عشرة رجال واني لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي

كوفي من ورائي فاذا اختلف على
الطريق فاحذني لي بحصاة أعلم بها
كيف الطريق لا هتدي اليه وقال
سفيان الثوري عن أبي اسحق عن
أبي عبيدة عن عبد الله هو ابن مسعود
قال أقرس الناس ثلاثة أبو بكر
حين تفرس في عمر وصاحب يوسف
حين قال أرى منواه وصاحبة
موسى حين قالت يا ابت استأجره
ان خير من استأجرت القوي
الامين قال اني أريد ان أنكحك
احدي ابنتي هاتين أي طلب اليه
هذا الرجل الشيخ الكبير ان يرعى
غنمه ويزوجه احدي ابنتيه هاتين
قال شعيب الجبائي وهما صفورا
وليا وقال محمد بن اسحق صفورا
وشرفا ويقال ليا وقد استدل
أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على
صحة البيع فيما اذا قال بعتك أحد
هذين العبدتين بمائة فقال اشريت
انه يصح والله أعلم وقوله على ان
تأجرني ثمانى فاجع فان أتمت عشر
فمن عندك أي على ان ترعى غنمي
ثمانى سنين فان تسرعت بزيادة
سنتين فهو والسك والافني الثمان
كفاية سجدني ان شاء الله من

باتباع القرآن كما هو مأثور باتباعه ولهذا جاء بخطابه وخطابهم في قوله بما تعمه من على
قراءة الجهور بالفوقية على الخطاب وقرئ بالتجمية والواو ضمير الكفرة والمنافقين أي
انه خير بمكايدهم في دفعها عنك (وتوكل على الله) أي اعتمد عليه وفوض امورك اليه
(وكفى بالله وكيلاً) أي حافظاً يحفظ من توكل عليه وقيل كنيلاً برزق وقال الزجاج
لفظه وان كان لفظ الخبر فالمعنى اکتف بالله وكيلاً ثم ذكر سبحانه مثلاً لوطاً وتمهيداً لما
يتبعه من الاحكام القرآنية التي هي من الوحي الذي أمره الله باتباعه فقال (ما جعل الله
لرجل من قلمين في جوفه) وقيل هي مثل ضربه الله للمظاهرة أي كما لا يكون للرجل قلبان
كذلك لا تكون امرأة المظاهرة حتى تكون له أمان وكذلك لا يكون الدعوى ابن الرجل
وقيل كان الواحد من المنافقين يقول لي قلب يأمرني بكذا وقلب ينهىني بكذا فنزلت الآية برد
النفاق وبيان انه لا يجتمع مع الاسلام كما لا يجتمع قلبان والقلب بضعة صغيرة على هيئة
الصنوبرة خلقها الله وجعلها محلاً للعالم ومن زائدة وقال في جوفه لانه معدن الروح
الحيواني المتعلق للنفس الانسانية ومنبع القوى باسرها فيتبع تعدده لانه يؤدي الى
التناقض وهو ان يكون كل منهما أصلاً لكل القوى وغير أصل لها عن ابن عباس قال قام
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه
الاترى ان له قلبين قلباً معكم وقلوباً معهم فنزل ما جعل الله لرجل من قلمين في جوفه وعنه
المنافقون فقالوا ان له قلبين فنزلت وعنه أيضاً قال كان رجل من قريش يسمى من دهائه
ذا القلمين فانزل الله هذا في شأنه (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم)
قرئ اللائي بياءسا كنية بعد همزة و بياءسا كنية بعد ألف محضة قال أبو عمرو بن العلاء
انها لغة قريش التي أمر الناس ان يقرؤا بها وتظاهرون مضارع ظاهر وقرئ مضارع
تظاهر والأصل تتظاهر وقرئ تظهور والأصل تتظهور وأخذ ذلك من لفظ
الظهور كخذي من التلبية وانما عدى بمن لانه ضمن معنى التباعد كأنه قيل متباعدين
من نساءكم بسبب الظهار كما تقدم في تعدية اليباء في البقرة والظهار أصله ان
يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر امي والمعنى ما جعل الله نساءكم اللائي تقولون
لهن هذا القول كماهاتكم في التعريم ولكنه منسك من القول وزور وانما تجب به

الكفارة

الصالحين أي لأشاقك ولأوأذيك ولأوأريك وقد استدلوا بهذه الآية الكريمة لمذهب الاوزاعي فيما

اذا قال بعتك هذا بعشرة نقداً أو بعشرين نسبية انه يصح ويختار المشتري بايهما أخذ صح وحل الحديث المروي في سنن أبي داود
من باع بيعتين في بيعته فله أو كسهما أو الرباعى هذا المذهب وفي الاستدلال بهذه الآية وهذا الحديث على هذا المذهب نظر
ليس هذا موضع بسطه لظهوره والله أعلم ثم قد استدل أصحاب الامام أحمد ومن تبعهم في صحة استتجار الاجير بالطعمة والكسوة
بهذه الآية واستأنسوا في ذلك بما رواه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في كتابه السنن حيث قال باب استتجار الاجير على طعام بطنه

حدثنا محمد بن المصنف الجصى حدثنا بقية بن الوليد عن مسلمة بن علي عن سعيد بن أبي أيوب عن الحرث بن يزيد عن علي بن رباح قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي يقول كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ طس حتى اذ بلغ قصة موسى قال ان موسى اجر نفسه ثمانى سنين أو عشرة سنين على عفة فرجه وطعام بطنه وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف لان مسلمة بن علي وهو الخشنى دمشقى البلاطى ضعيف الرواية عند الأئمة ولكن قدروى من وجه آخر وفيه نظر أيضا وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن الحرث بن يزيد الحضرمى (٢٤٩) عن علي بن رباح اللغوى قال سمعت عتبة

ابن المنذر السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان موسى عليه السلام اجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه وقوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام قال ذلك بينى وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل يقول ان موسى قال لصهره الامر على ما قلت من انك استأجرتنى على ثمانى سنين فان أتمت عشر اثنى عشر سنة فأتا متى فعلت أقلهما فقد برئت من العهد وخرجت من الشرط ولهذا قال أيما الاجلين قضيت فلا عدوان على أى فلا حرج على مع ان الكامل وان كان مباحا لكنه فاضل من جهة أخرى بدليل من خارج كما قال تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحزبه بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه وكان كثير الصيام وسأله عن الصوم فى السفر فقال ان شئت فصم وان شئت فافطر مع ان فعل الصيام راجح من دليل آخر هذا وقد دل الدليل على ان موسى عليه السلام

الكفار بشرطه وهو العود كما ذكر فى سورة المجادلة بقوله والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا أى فيه بان يخالفوه بامسالك المظاهر منها زمانا يمكنه ان يفارقها فيه أو لا يفارقها لان مقصود المظاهر وصف المرأة بالتحريم وامسالكها يخالفه قاله الكرخى (وما جعل ادعياءكم) أى وكذلك ما جعل الادعياء الذين تدعون انهم أبناؤكم (أبناءكم) والادعياء جمع دعى وهو الذى يدعى ابنا الغير أى فهو فعيل بمعنى مفعول ولكن جمعه على ادعياء غير مقيد لان افعلاء انما يكون جمع الفعيل المعتل اللام اذا كان بمعنى فاعل نحو تنى وأتقياء وغنى وأغنياء وهذا وان كان فعلا معتلا للام لان أصله دعيو فأدغم لانه بمعنى مفعول فكان القياس جمعه على فعلى كقتيل وقتلى وجرى ومرضى ومرضى ومرضى وتظير هذا فى الشذوذ قولهم أسير وأسارى والقياس أسرى وقد سمع فيه الاصل قاله السمين (ذلكم) أى ما تقدم من ذكر الظهار والادعاء (قولكم بأفواهكم) أى ليس ذلك الا مجرد قول بالافواه ولا تأثر له فى الخارج فلا تصير المرأة به أم ولا ابن الغير به ابنا ولا يترتب على ذلك شئ من احكام الأمومة والبنوة وقيل ل الإشارة راجعة الى الادعاء أى ادعواؤكم ان أبناء الغير ابناؤكم للاحقيته بل هو مجرد قول بالقم اذا الابن لا يكون الا بالولادة وفيه نسخ التبنى وذلك ان الرجل كان فى الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه اليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعتق زيد بن حارثة الكلبى وتبناه قبل الوحى وأخى بينه وبين حوزة فلما تزوج زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله هذه الآية ونسخها التبنى قال النخاس وهذا من نسخ السنة بالقرآن قال القرطبى اجمع أهل التفسير على ان هذا القول انزل فى زيد بن حارثة (والله يقول الحق) الذى يحق اتباعه لكونه حقا فى نفسه لا باطلا فيدخل تحته دعاء الابناء لا بأبائهم (وهو يهدى السبيل) أى يدل على الطريق الموصلة الى الحق وفى هذا الرشاد للعباد الى قول الحق وترك قول الباطل والزور ثم صرح سبحانه بما يجب على العباد من دعاء الابناء لا بأبائهم فقال (ادعوهم لا بأبائهم) للصلب وانسبواهم اليهم ولا تدعوهم الى غيرهم أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما عن عمران بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لا بأبائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنت زيد بن حارثة بن شراحيل (هو أقط

(٣٢ - فتح البيان سابع) انما فعل أكمل الاجلين وأنها وقال البخارى حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا مروان بن نجيع عن سالم الافطس عن سعيد بن جبيرة قال قال سألنى جهم ودى من أهل الحيرة أى الاجلين قضى موسى فقلت لأدرى حتى أقدم على حبر العرب فأسأله فقدمت على ابن عباس رضى الله عنه فسألته فقال قضى أكثرهما وأطيمهما ان رسول الله اذا قال فعلى هـ كذا رواه البخارى وهكذا رواه حكيم بن جبيرة وغيره عن سعيد بن جبيرة ووقع فى حديث القتون من رواية القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبيرة أن الذى سأله رجل من أهل النصرانية والاول أسببه والله أعلم وقدروى من حديث

ابن عباس مرفوعاً قال ابن جرير حدثنا أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحمدي حدثنا سفیان حدثني ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب
 عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سألت جبريل أي الاجلين قضى موسى قال
 أتمهما وأكملهما ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الحمدي عن سفیان وهو ابن عيينة حدثني ابراهيم بن يحيى بن أبي يعقوب وكان
 من أسناني أو أصغر مني فذكره وفي اسناده قلب و ابراهيم هذا ليس بمعروف ورواه البزار عن أحمد بن أبان القرشي عن سفیان بن
 عيينة عن ابراهيم بن أعين عن الحكم (٢٥٠) بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم

فذكره ثم قال لا نعرفه مرفوعاً عن
 ابن عباس الا من هذا الوجه
 وقال ابن أبي حاتم قرئ على يونس
 ابن عبد الاعلى أن أبانا ابن وهب أن أبانا
 عمرو بن الحرث عن يحيى بن ميمون
 الحضرمي عن يوسف بن تيرح ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
 أي الاجلين قضى موسى قال لا علم
 لي فسأل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم جبريل فقال جبريل لا علم لي
 فسأل جبريل ملكاً فوقه فقال
 لا علم لي فسأل ذلك الملك ربه عز وجل
 عما سأله عنه جبريل عما سأله عنه
 محمد صلى الله عليه وسلم فقال الرب
 عز وجل قضى أبرهما وأبقاهما
 أو قال أزرهما وهذا مرسل وقد
 جاءه سلا من وجه آخر وقال
 سنيد حدثنا سراج عن ابن جريج
 قال قال مجاهد ان النبي صلى الله
 عليه وسلم سأل جبريل أي الاجلين
 قضى موسى فقال سوف أسأل
 اسرافيل فسأله فقال سوف أسأل
 الرب عز وجل فسأله فقال أبرهما
 وأبقاهما طريق أخرى مرسلة
 أيضاً قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع
 حدثنا أبي حدثنا أبو معشر عن

عند الله) تعديل للامر بديع الاناء لا تأه والضمير راجع الى مصدر ادعوهوم ومعنى أقسط
 أعدل أي أعدل من كل كلام يتعمق بذلك فترك الاضافة للعموم كقوله الله أكبر وأعدل
 من قولكم هو ابن فلان ولم يكن ابنه لصلبه وأقسط افعال تنضيل قصده الزيادة مطلقاً
 من القسط بمعنى العدل وانظر الى فصاحة هذا الكلام حيث وصل الجمل الظلمية ثم
 فصل الخبرية عنها ووصل بينهما ثم فصل الاسميتها عنها ووصل بينها ثم فصل بالظلمية ثم تم
 الارشاد للعباد فقال (فان لم تعلموا آباءهم) تنسبونهم اليهم (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم
 (في الدين ومواليكم) فقولوا أخي ومولاي ولا تقولوا ابن فلان حيث لم تعلموا آباءهم على
 الحقيقة قال الزجاج مواليتكم أي اولياكم وفي الدين وقيل المعنى فان كانوا محررين ولم
 يكونوا أحرار فقولوا موالى فلان (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي لا اثم عليكم
 فيما وقع منكم من ذلك خطأ من غير عمد قبل النهي فسدتموه الى غير آية (ولكن) الاثم
 (ما نعمدت قلوبكم) وهو ما قلتموه على طريق العمد من نسبة الانباء الى غير آياتهم مع
 علمكم بذلك قال قتادة لودعوت رجلاً بغير آية وأنت ترى أنه أبوه لم يكن عليك بأس
 بخلاف الخال في زيد فانه لا يجوز ان يقال فيه زيد بن محمد فان قاله أحد متعمداً عصي
 بقوله هذا عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من ادعى
 الى غير آية وهو يعلم أنه غير آية فالجنة عليه حرام أخرجه البخاري ومسلم (وكان الله
 غفوراً رحيماً) يغفر للمخطئ ويرحمه ويتجاوز عنه أو غفور للذنوب رحيم بالعباد ومن
 جلة من يغفر له ويرحمه من دعا رجلاً بغير آية خطأ وقبل النهي عن ذلك وعلى سبب
 اللسان ثم ذكر سبحانه رسوله مزينة عظيمة وخصه بجملة لا يشترك فيها أحد من
 العباد فقال (الذي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي هو أحق بهم وأرف وأشرف في كل
 مادعاهم اليه من أمور الدين والدنيا فان نفوسهم تدعوهم الى ما فيه هلاكهم وهو
 يدعوهم الى ما فيه نجاتهم فيجب عليهم أن يؤثره بما أراد من أموره وان كانوا محتاجين
 اليها ويجب عليهم أن يجوه زيادة على حبهم أنفسهم ويجب عليهم أن يقدموا حكمه
 عليهم على حكمهم لانفسهم وبالجملة فاذا دعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لشيء ودعاهم
 أنفسهم الى غيره وجب عليهم ان يقدموا مادعاهم اليه ويؤخروا مادعاهم أنفسهم اليه
 ويجب عليهم ان يطيعوه فوق طاعتهم لانفسهم ويقدموا طاعته على ما تبيل اليه أنفسهم

وتطلبه

محمد بن كعب القرظي قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاجلين قضى موسى قال أوقاهما

وأتمهما فهذه طرق متعاضدة ثم قدرى هذا مرفوعاً من رواية أبي ذر رضي الله عنه قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أبو عبيد
 الله يحيى بن محمد بن السكن حدثنا إسحاق بن ادریس حدثنا عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر
 رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الاجلين قضى موسى قال أوقاهما وأبرهما قال وان سئلت أي المرأتين تزوج
 فقل الصغرى منهما ثم قال البزار لا نعلم يروى عن أبي ذر الا بهذا الاسناد وقدره ابن أبي حاتم من حديث عويد بن أبي عمران وهو

ضعيف ثم قدروى أيضا نحوه من حديث عتبة بن المنذر بن زيادة غربة جدا فقال أبو بكر البزار حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني حدثنا يحيى بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحرث بن يزيد عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اى الاجلين قضى موسى قال ابرهما ووافعا ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام لما اراد فراق شعيب عليه السلام امر امراته ان تسأل اباها ان يعطيها من غنمه ما يعيشون به فاعطاها ما ولدت غنمه في ذلك العام من قالبون قال فامرته شاة الا ضرب موسى جنبها بعصاه فولدت (٢٥١) قوال ألوان كلها وولدت اثنتين وثلاثا

كل شاة ليس فيها فوش ولا ضوب ولا كمشة تفوت الكف ولا تعول وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحت الشام فاتكم سجدون بقايا منها وهى السامرية هكذا أورده البزار وقد رواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا فقال حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني عبد الله بن لهيعة ح وحدنا أبو زرعة حدثنا صفوان أبا نانا الوليد أبا نانا عبد الله بن لهيعة عن الحرث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي قال سمعت عتبة بن المنذر السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجر نفسه بعقبة فرجه وطعمة بطنه فلما ولى الاجل قيل لى رسول الله أى الاحياء قال ابرهما ووافعا فلما اراد فراق شعيب امر امراته ان تسأل اباها ان يعطيها من غنمه ما يعيشون به فاعطاها ما ولدت غنمه من قالبون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سوداء حسنة فانطلق موسى عليه السلام الى

وتطلبه خواطرهم وقيل المراد بانفسهم فى الآية بعضهم فيكون المعنى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اولى بالمؤمنين من بعضهم ببعض وقيل هى خاصة بالقضاء أى هو اولى بهم من انفسهم فيما قضى بينهم وقيل اولى بهم فى الجهاد بين يديه وبذل النفس دونه وقيل اولى بهم اى ارفق بهم واعطف عليهم واتنع لهم كقوله بالمؤمنين رؤوف رحيم وفى قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي ابؤامته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابؤهم فى الدين والاول اولى وقد اخرج البخارى وغيره عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من مؤمن الا وانا اولى الناس به فى الدنيا والاخرة اقرؤا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فأيما مؤمن ترك ما لا فترته عصبته من كلوا فان ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فانا مولاة وقد ثبت فى الصحيح انه صلى الله عليه وآله وسلم قال والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون أحب اليه من نفسه وماله وولده والناس اجمعين واخرج ابن ابي شيبة وأحمد والنسائي عن بريدة قال غزوت مع علي بن ابي طالب ففرقت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ كنت علبا ففقتته فقرأت وجهه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتغير وقال يا بريدة ائت اولى بالمؤمنين من انفسهم قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من كنت مولاة فعلى مولاة (وازاوجه) صلى الله عليه وآله وسلم سواء دخل بهن أو لا سواء ماتت عنهن أو طلقهن (امهاتهن) اى مثل امهاتهن فى الحكم بالتحريم ومنزلات منزلتهن فى استحقاق التعظيم فلا يحل لاحد ان يتزوج بواحدة منهن كما لا يحل له ان يتزوج بأمه فهذه الامومة محتسبة بتحريم النكاح لهن تحريم ما يؤيدوا بالتعظيم لجنابهن لافى النظر اليهن والخلوة بهن فانه حرام فى حقهن كما فى حق سائر الاجانب وتخصيص المؤمنين يدل على انهن لسن امهات نساء المؤمنين ولا بناتهن اخوات المؤمنين ولا اخوتهن اخوات المؤمنين وقال القرطبي الذى يظهر لى انهن امهات الرجال والنساء تعظيما لحقهن على الرجال والنساء كما يدل عليه قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهذا يشمل الرجال والنساء ضرورة قال ثم ان فى مصحف ابي بن كعب زواوجه امهاتهن وهو ابلهم وقرأ ابن عباس بعد لفظ انفسهم وهو اب وزواوجه امهاتهن عن عائشة ان امرأة قالت لها يا امه فقالت انا ام رجالكم ولدت ام نساءكم وعن ام سلمة قالت انا ام الرجال

عصاه فلما هامن طرفها ثم وضعها فى أدنى الحوض ثم أوردتها فسقاها ووقف موسى بازاء الحوض فلم يصدر منها شاة الا ضرب جنبها شاة شاة قال فأنامت وألبنت ووضعت كلها قوال ألوان الاشاة وأشابين ليس فيها فوش قال يحيى ولا ضوب وقال صفوان ولا ضوب قال أبو زرعة الصواب ضوب ولا عزوز ولا تعول ولا كمشة تفوت الكف قال النبي صلى الله عليه وسلم لو افتتحت الشام وجدت بقايا تلك الغنم وهى السامرية وحدنا أبو زرعة أبا نانا صفوان قال سمعت الوليد قال سألت ابن لهيعة ما الفوش قال التى نفس بلبنها واسعة الشخب قلت فما الضوب قال الطويلة الضرع تجره قلت فما العزوز قال ضيقة الشخب قلت فما

النعول قال التي ليس لها ضرع الا كهيمته حلتين قلت فما الكيمته قال التي تفتوت الكف كمشة الضرع صغير لا يدركه الكف مدار هذا الحديث على عبد الله بن لهيعة المصري وفي حنظله سوء وأخشى ان يكون رنعه خطأ والله أعلم وينبغي ان يروى ليس فيها فشوش ولا عزوز ولا ضبوب ولا نعول ولا كشدلتذ كركل صفة ناقصة مع ما يقابلها من الصفات الناقصة وقد روى ابن جرير من كلام أنس بن مالك موقوفا عليه ما يقارب بعضه باسناد جيد فقال حدثنا محمد بن المثني حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه (٢٥٢) قال لما دعاني الله موسى عليه السلام صاحبه الى الاجل الذي

كان بينهما ما قاله صاحبه كل شاة ولدت على غير لونها ذلك ولدها فهي لك فعمد موسى فدفع خيالا على الماء فلما رأت الخيال فزعت بغيات جولة فولدت كاهن بلقا الا شاة واحدة فذهب بأولادهن كاهن ذلك العام (فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله أنس من جانب الطور ناراً قال لاهله امكنوا اني آنست ناراً العلى آتكم منها بخبر أو جذوة من النار اعلمكم تصطلون فلما أنماها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني أنا الله رب العالمين وان ألق عصاك فلما رآها تهزأ كاهنًا جان ولي مدبر ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضم اليك جناحك من الريب فذاتك برهانان من ربك الى فرعون وملائته انهم كانوا قوما فاسقين) قد تقدم في تفسير الآية قبلها ان موسى عليه السلام قضى أمم الاجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما وانقاها وقديس تفاد هذا أيضا من الآية الكريمة حيث قال تعالى فلما قضى موسى الاجل

منكم والنساء وعن بحالة قال مر عمر بن الخطاب بغلام وهو يقرأ في المصحف وازواجه امهاتهم وهو أب لهم فقال يا غلام حكها فقال هذا مصحف ابى قذح اليه فسأله فقال انه كان يلهي القرآن ويلهيك الصفق في الاسواق وهن فيما وراء ذلك كالارث ونحوه كالأجنديات والهذم بعد التحريم الى بناتهن ثم بين سبحانه أن القرابة أولى ببعضهم البعض فقال (وأولو الارحام) جمع رحم وهو القرابة (بعضهم أولى) أى أحق (ببعض) في الميراث وقد تقدم تفسير هذه الآية في آخر سورة الانفال وهي ناسخة لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاتة قال قتادة لما نزل قوله سبحانه في سورة الانفال والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا فتوارث المسلمون بالهجرة ثم نسخ ذلك بهذه الآية وكذا قال غيره ويحتمل أن يكون النسخ بآية الانفال وهو قوله وأولو الارحام ببعضهم أولى ببعض في كتاب الله قال الشهاب وهذا الاحتمال أولى لان سورة الانفال متقدمة نزولاً على هذه السورة فنسبة النسخ اليها أولى وتكون هذه الآية مؤكدة لتلك وقيل ان هذه الآية ناسخة للتوارث بالخلف والمواخاة في الدين وقيل معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (في كتاب الله) أى هذه الايوية وهذا الاستحقاق كائن وثابت فيه والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ والقرآن وآية التوارث (من المؤمنين والمهاجرين) المعنى ان ذوى القرابات من المؤمنين والمهاجرين بعضهم أولى ببعض أو أولو الارحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين الذين هم أجناب وقيل ان معنى الآية وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض الاما يجوز لازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كونهن كلاً مبهات في تحريم النكاح وفي هذا من الضعف ما لا يخفى (آل) هذا الاستثناء اما متصل من أعم العام والتقدير أولى ببعض في كل شئ من الارث وغيره الا (ان تدعوا الى أوليائكم معروفًا) من صدقة أو وصية فان ذلك جائز قاله قتادة والحسن وعطاء ومحمد بن الحنفية قال ابن الحنفية نزلت في اجازة الوصية لليهودى والنصراني قال الكافرولى في النسب لافي الدين فتجوز الوصية له قال في التلخيص ان الله لما نسخ التوارث بالخلف والاخاء والهجرة أباح أن يوصى الرجل لمن تولاه بما أحب من ثلث ماله ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً والمعنى لكن فعل المعروف وللأولياء لا بأس به ومنه من تعلموا معنى توصوا أو ذموا فعدى بالى وقال جاهد أرباب المعروف

أى الاكل منهما والله أعلم قال ابن أبي نجيج عن مجاهد قضى عشرين سنين وبعدها عشرًا آخر وهذا القول النصرة لم أره لغيره وقد حكاها عنه ابن جرير وابن أبي حاتم فأنه أعلم وقوله تعالى وسار بأهله قالوا كان موسى عليه السلام قد اشتاق الى بلده وأهله فمزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره فمكث بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة فبزل منزلاً جومل كلما أورى زنده لا يضي شيئاً تتعجب من ذلك فبينما هو كذلك اذ أنس من جانب الطور ناراً أى رأى ناراً تضى له على بعد فقال لاهله امكنوا اني آنست ناراً أى حتى أذهب اليها العلى آتكم منها بخبر وذلك لانه كان قد أضل الطريق أو جذوة

من النار أي قطعة منها العلكم نصلطون أي تدفون بها من البرد قال الله تعالى فلما اتاها نودى من شاطئ الواد الايمن أي من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب كما قال تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر فهذا ما يرشد الى ان موسى قصد النار الى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه والنار وجدها تضطرب في شجرة خضراء في لخب الجبل مما يلي الوادي فوقف باهتا في أمرها فناداه ربه من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال رأيت (٢٥٣) الشجرة التي نودى منها موسى عليه السلام

سورة خضر اعترف اسناده مقارب وقال محمد بن اسحق عن بعض من لا يهتم عن وهب بن نسيب قال شجرة من العلق وبعض أهل الكتاب يقول انها من العوسج وعصاه من العوسج وقوله تعالى أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين أي الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء لا اله غيره ولا رب سواه تعالى وتقدس وتنزه عن مماثلة الخلق في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه وقوله وأن القصاصك أي التي في يدك كما قرره على ذلك في قوله تعالى وماتلك يمينك يا موسى قال هي عصا أي كآ عليها وأهش بها على غنى ولي فيها ما رب أخرى والمعنى أما هذه عصاك التي تعرفها ألقها فألقها فإذا هي حية تسعى فعرف وتحقق ان الذي يكلمه ويخاطبه هو الذي يقول للشيء كن فيكون كما تقدم بيان ذلك في سورة طه وقال ههنا فلما أراها تمترأى تضطرب كأنها جان ولي مدبر أي في حركتها السريعة مع عظم خلقها وقواها واتساع فها واصطنع كالأيانها وأضرابها بحيث لا تمر بصخرة الا

النصرة وحفظ الحرم بمحقق الايمان والهجرة (كان ذلك) أي نسج الميراث بالهجرة والمحافاة والمعاقدة وردة الى ذوى الارحام من القرابات (في الكتاب) أي في اللوح المحفوظ أو في التوراة أو في القرآن (مسطورا) مكتوبا (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) كأنه قال يا أيها النبي اتق الله واذكر أن الله أخذ ميثاق الانبياء أو التقدير كان هذا الحكم مكتوبا في الكتاب وقت أخذنا قاله السهين قال قتادة أخذ الله الميثاق على النبيين خصوصا على ان يصدق بعضهم ببعض ويتبع بعضهم بعضا وان ينصحو القوم بهم وان يعيدوا الله ويدعوا الناس الى عبادته والى الدين القيم وان يبلغوا رسالات ربهم وذلك حين أخرجوا من صاب آدم كالذروهو جمع ذرة وهي أصغر النمل وهي صغيرة جدا بحيث ان نحو الاربعين منها أصغر من جناح بعوضة والميثاق هو الميثاق وقيل هو الاقرار بالله والوصية والامر والاول وأولى وقد سبق تحقيقه ثم خصص سبحانه بعض النبيين بالذكر بعد التعميم الشامل لهم وغيرهم فقال (وممنك) خصوصا (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) ووجه تخصيصهم بالذكر الاعلام بانهم من يدشرف وفضل لكونهم أصحاب الثرائع المشهورة والكتب المذكورة ومن أولى العزم من الرسل وتقديم ذكر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مع تأخر زمانه فيه من التشريف له والتعظيم ما لا يخفى وتقديم نوح في آية شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لأنها سمعت لوصف ما بعث به نوح من العهد القديم وما بعث به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من العهد الحديث وما بعث به من توسطهما من الانبياء المشاهير فكان تقديم نوح فيها أشد مناسبة للمقصود من بيان أصالة الدين وقدمه قاله الكرخي ثم أكد ما أخذ على النبيين من الميثاق بتكرير ذكره ووصفه بالغلظ فقال (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أي عهدا شديدا على الوفاء بما جملوا وما أخذ الله عليهم من عبادته والدعاء اليها ويجوز أن يكون قد أخذ الله عليهم الميثاق مرتين فأخذه عليهم في المرة الأولى بمجرد الميثاق بدون تغليظ ولا تشديد ثم أخذه عليهم ثانية مغلظا شديدا مثل هذه الآية وقوله واذ أخذنا الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما كنتم تؤمنون به ولتنصرونه أخرج الطبراني وابن مردويه وابونعيم في الدلائل عن أبي هريرة الغساني ان اعرابيا قال يا رسول الله ائتي شي كان أول نونك قال أخذنا الله مني الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم ثم تلا هذه الآية

اسلمتها تتخدر فيها تتقهقع كأنها حادرة من واد فعد ذلك ولي مدبرا ولم يعقب أي ولم يكن يلتفت لان طبع البشرية ينفر من ذلك فلما قال الله له أقبل ولا تخف انك من اليمين يرجع فوقف في مقامه الأول ثم قال الله تعالى اسألك يدك في جيبك تخرج يضا من سوء أي اذا دخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فانم تخرج تلالا كأنها قطعة قر في لعان البرق ولهذا قال من غير سوء أي من غير برص وقوله تعالى وانهم اليك جناحك من الرهب قال مجاهد من الفرع وقال قتادة من الرعب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير مما حصل للشئ من خوفك من الحية والظاهر أن المراد أنهم من هذا وهو أنه أمر عليه السلام اذا خاف من شئ ان يضم اليه جناحه من الرهب وهو يده فاذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف وربما اذا استعمل أحد ذلك على سبيل

الاقتداء فوضع يده على فؤاده فانه يزول عنه ما يجداً ويحفظ ان شاء الله تعالى وبه الثقة قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الربيع بن نعلب الشيخ صالح أخبرنا أبو اسحق عجل المؤدب عن عبد الله بن سلمة عن مجاهد قال كان موسى عليه السلام قد علم قلبه فرعون فكان اذا رآه قال اللهم اني أدركت في نحره وأعوذ بك من شره ففزع الله ما كان في قلب موسى عليه السلام وجعله في قلب فرعون فكان اذا رآه قال كما يقول الحمار وقوله تعالى فذانك برهانان من ربك يعني القاء العصا وجعلها حية تسعي وادخاله يده في جيبه فخرج بيضاء من غير (٢٥٤) سوء دليلان قاطعان واضمان على قدرة الفاعل المختار ووجه نبوة

من جرى هذا الخارق على يديه ولهذا قال تعالى الى فرعون وملته أي وقومه ممن الرؤساء والكبراء والاتباع انهم كانوا قوما فاسقين أي خارجين عن طاعة الله مخالفتين لا امره ودينه (قال رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف ان يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردأ يصدقني اني أخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك وتجعل لك سلطاناً فلا يصلون اليك بآياتنا انتم ائمنوا من اتبعك الغالبون) لما أمره الله تعالى بالذهاب الى فرعون الذي اتى اخراجه من ديار مصر فراراً منه وخوفاً من سطوته قال رب اني قتلت منهم نفساً يعني ذلك القبطي فأخاف ان يقتلون اي اذا رأوني وأخي هرون هو أفصح مني لساناً وذلك ان موسى عليه السلام كان في لسانه لغة بسبب ما كان تناول تلك الجحرة حين خبير بينها وبين التمرة أو الدرّة فأخذ الجحرة فوضعها على لسانه فحصل فيه شدة في التعبير ولهذا قال واحلل عقدة من لساني يفتهوقولي واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي أشد به

الى قوله ميتنا فاغليظا ودعوة ابراهيم قال وبعث فيهم رسولا منهم وبشري عيسى بن مريم ورأت أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامها انه خرج من بين رجلها اسراج اضاءت له فصور الشام وعن ابن عباس قال قيل ليارسول الله متى اخذ مني ناق قال وادم بين الروح والجسد وعنه قال قيل ليارسول الله متى كنت نبياً قال وادم بين الروح والجسد اخرجه البزار والطبراني وفي الباب احاديث قد صحح بعضها وعن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في الآية كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأني قبلهم اخرجه ابن عساکر وابن مردويه وابو نعيم وعن ابن عباس قال يمشا قهم عهدهم وعنه قال انما اخذ الله مني ناق النبيين على قومهم (ليسأل) اي لكي يسأل (الصادقين عن صدقهم) في تبليغ الرسالة الى قومهم تبيكيتا للكافرين بهم وفي هذا وعيد لغيرهم لانهم اذا كانوا يستولون عن ذلك فكيف غيرهم وقيل ليسأل الانبياء عما اجابهم به قومهم كما في قوله فلنسالن الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وقوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتهم وقيل فعل ذلك ليسأل وقيل عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين بأقوالهم عن صدقهم في قولهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغنى عن الثاني بذ كرمسببه وهو قوله (وأعد للكافرين) وقيل التقدير اناب الصادقين وأعد للكافرين وقيل المعنى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه ليشيب المؤمنين وأعد للكافرين (عداياً اليها) فانه السمين وقيل الكلام قد تم عند قوله عن صدقهم وجهه واعدم مستأنفة لبيان ما اعده للكفار (يا ايها الذين آمنوا ذكروا نعمة الله الكائنة (عليكم) هذا تحقيق لما سبق من الامر بالتقوى بحيث لا يبقى معه خوف من احد (اذ) اي حين (جاءتكم جنود) والمراد بها جنود الاحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغزوه الى المدينة وهي الغزوة المسماة غزوة الخندق وكانت بعد حرب أحد بسنة وهم ابوسفيان بن حرب بقرش ومن معهم من الانصاف وعيينة بن حصن النزارى ومن معه من قومه عظمان وبنو قريظة والنضير فضايقو المسلمين مضايقة شديدة كما وصف الله سبحانه في هذه الايات وكانت هذه الغزوة في شوال سنة خمس من الهجرة قاله ابن اسحق وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك كانت في سنة اربع وقد بسط اهل السير في هذه الواقعة ما عوم معروف فلانظيل بذكرها اخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وابو

ازرى وأشرك في أمرى أي يؤنسنى فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم وهو القيام باعباء النبوة والرسالة نعم الى هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ولهذا قال وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردأ أي وزيراً ومعيناً ومقوياً بالامرى يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل لان خبر الاثنين أتبع في النفوس من خبر الواحد ولهذا قال اني أخاف ان يكذبون وقال محمد بن اسحق ردأ يصدقني أي يبين لهم عنى ما أكلهم به فانه يفهم عنى ما لا يفهمون فلما سأل ذلك موسى قال الله تعالى سنشد عضدك بأخيك أي سنقوى أمرك ونعز جانبك بأخيك الذي سألت له ان يكون نبياً معك كما قال في الآية الاخرى قد

أوتيت سؤلث يا موسى وقال تعالى ووهبنا له من رحمنا أخاه هرون نبيا ولهذا قال بعض السلف ليس أحد أعظم منة على أخيه من موسى على هرون عليه ما السلام فإنه شفيع فيه حتى جعله الله نبيا ورسولا معه الى فرعون وملته ولهذا قال تعالى في حق موسى وكان عند الله رجحها وقوله تعالى ونجعل لك سلطانا أي حجة قاهرة فلا يصلون اليك بآياتنا أي لا سبيل لهم الى الوصول الى أذاكم بسبب ابلاغكم آيات الله كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الى قوله والله يعصمك من الناس وقال تعالى الذين يبلغون رسالات الله الى قوله وكفى بالله حسيبا أي وكفى بالله ناصرا (٢٥٥) ومعنا ومؤيد ولهذا أخبرهما ان

العاقبة لهما ولن اتبعهما في الدنيا والآخرة فقال تعالى أنتما ومن اتبعك الغالبون كما قال تعالى كذب الله لا تخافن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز وقال تعالى اننا لننصر رسلانا والذين آمنوا في الحياة الدنيا الى آخر الآية ووجه ابن جرير على ان المعنى ونجعل لك سلطانا فلا يصلون اليك ثم يتبدى فيقول بآياتنا أنتما ومن اتبعك الغالبون تقديره انتما ومن اتبعك الغالبون بآياتنا ولا شأن ان هذا المعنى صحيح وهو حاصل من التوجيه الاول فلا حاجة الى هذا والله أعلم (فما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مقترى وما معناه هذا في آياتنا الاولين وقال موسى ربني أعلم عن جاءهم الهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون) يخبر تعالى عن مجي موسى وأخيه هرون الى فرعون وملته وعرضه ما آتاها الله من المعجزات الباهرة والدلالة القاهرة على صدقهما فيما أخبرا به عن الله عز وجل من توجيهه واتباع أوامره فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه

نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن عساكر من طرق عن حذيفة قال لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعودا أو يوسفيان ومن معه من الاحزاب فوقنا وقرينة اليهود اسفل منا تخافهم على ذرارينا وما أتت علينا ليلة قط اسد ظلمة ولا اشدر يحا في اصوات ريحها امثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحد منا أصبعه فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله ويقولون ان يوتنا عورة وما هي بعورة فما يستأذنه احد منهم الاذن له فيمتسللون ونحن ثلثمائة ونحو ذلك اذا استقبلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا رجلا حتى مر على وما على جنة من العدو ولا من البرد الا امرط لا مرأتى ما يجاوز ركبتي فأتاني وأنا جاث على ركبتي فقال من هذا فقلت حذيفة قال حذيفة فتقاصرت الى الارض فقلت بلى يا رسول الله كراهية ان اقوم قال قم فقامت فقال انه كان في القوم خبر فأتني بخبر القوم قال وانما من اسد القوم فزعا واشدهم فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله ما خلق الله فزعا ولا قرافي جوفى فما اجد منه شيئا فلما ولت قال يا حذيفة لا تتحدثن في القوم شيئا حتى تأتيني فخرجت حتى اذا دنوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم توقدوا واذ ارجل ادهم ضخمة يقول بيده على النار ويسمع خصرته ويقول الرحيل الرحيل ثم دخلت العسكر فاذا ادنى الناس مني نزعوا ويقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا مقام لكم واذ الریح في عسكرهم ماتجا وزشرا فوالله اني لا اسمع صوت الخجارة في رحالهم وفرشهم الریح تضربهم ثم خرجت نحو النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما انصفت في الطريق او نحو ذلك اذا انابنحو من عشر بن فارسا معتمين فقالوا اخبرنا صاحبك ان الله كفاه القوم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبرته وهو مشتعل في شمله يصلي وكان اذا حزبه امر صلى فاخبرته خبر القوم اني تركتهم بترحلون وانزل الله يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود الالية وعن ابن عباس في قوله اذ جاءكم جنود قال كان يوم ابى سفيان يوم الاحزاب (فارسنا عليهم ريحا) قال مجاهد هي ريح الصبا ارسلت على الاحزاب يوم الخندق حتى أتت قدورهم ونزعت فساطيطهم وهي ريح تهب من الشرق وكانت باردة شديدة جدا ومع هذا لم تجاوزهم ويدل على هذا ما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله نصرنا بالصبا واهلكت عاد بالدبور اخرجته البخارى ومسلم

وأيقنوا انه من عند الله عدلوا بكفرهم وبغيرهم الى العناد والمباهمة وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا ما هذا الا سحر مقترى أي مفتعل مصنوع وأرادوا معارضة ته بالخلية والجاه فاصعد معهم ذلك وقوله وما معناه هذا في آياتنا الاولين يعنون عبادة الله وحده لا شريك له يقولون مارأينا أحد من آياتنا على هذا الدين ولم نزل الناس الا بشر كون مع الله آلهة أخرى فقال موسى عليه السلام مجيبا لهم ربني أعلم عن جاءهم الهدى من عنده يعني مني ومنكم وينفصل بيني وبينكم ولهذا قال ومن تكون له عاقبة الدار أي من النصر والظفر والتأييد انه لا يفلح الظالمون أي المشركون بالله عز وجل (وقال فرعون بأيتها الملائمات علمت لكم من اله

غري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلني اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين واستكبر هو وخنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم ينالون ايرجعون فأخذناه وخنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين يخبر تعالى عن كفر فرعون وطمغانه واقترائه في دعواه الالهية لنفسه القبيحة اعنه الله كما قال الله تعالى فاستخف قومه فأطاعوه الاية وذلك لانه دعاهم الى الاعتراف له بالالهية فأجابوه الى ذلك (٢٥٦) بقوله عقولهم وسخافة اذهانهم ولهذا قال يا أيها الملا ما علمت لكم

من اله غري وقال تعالى اخبارا عنه فخر فنادى فقال انار بكم الاعلى فأخذ الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى يعنى انه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالى مصرحا لهم بذلك فأجابوه سامعين مطيعين ولهذا اتقم الله تعالى منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة وحتى انه واجه موسى الكليم بذلك فقال لئن اتخذت الهاء غري لأجعلنك من المسجونين وقوله فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلني اطلع الى اله موسى يعنى امر وزيره هامان ومدبر رعيته ومشير دولته ان يوقد له على الطين يعنى يتخذ له آجر البناء الصرح وهو القصر المنيف الرفيع العالى كما قال في الآية الاخرى وقال فرعون يا هامان ابن صرحا لعلني اباغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب وذلك لان فرعون بنى هذا الصرح الذى لم يرب في الدنيا ابناه اعلى منه اتما أراد بهذا ان يظهر

وغيره ما من حديث ابن عباس وعنه قال لما كان ليلة الاحزاب جاءت الشمال الى الجنوب فقالت انطلق فانصرى الله ورسوله فقالت الجنوب ان الحرة لاتسرى بالليل فعضب الله عليها وجعلها عقيما فارسل الله عليهم الصبا فاطفأت نيرانهم وقطعت اطنابهم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انصرت بالصبا وأهلكت عاد بالبور فذلك قوله فارسنا عليهم ريحا الآية وقيل الصبار يخ فيها روح ما هبت على محزون الاذهب حزنه وللشعراء ثنن بها كثير يعرفه كل من له المام بدواي بينهم (وجنود المروها) وهى الملائكة وكانوا ألقا ولم يقاتلوا وانما القوا الرعب في قلوب الاحزاب قال المفسرون بعث الله عليهم الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفأت النيران واكفأت القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وأرسل الله عليهم الرعب وكثر تكبيرهم في جوانب العسكر حتى كان سيد كل قوم يقول لقومه يا بني فلان هلم الى فاذا اجتمعوا قال لهم النجاء النجاء فانهم زموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) أيها المسلمون من ترتيب الحرب وحفر الخندق واستنصاركم به وتوكلكم عليه (بصيرا) وقرئ يعملون بالتحتمية أى بما يعمل الكفار من العناد لله ولرسوله والتحيز على المسلمين واجتماعهم عليهم من كل جهة (اذ جاؤكم من فوقكم) أى اذ كراذ جاؤكم من أعلى الوادى وهو من جهة المشرق والذين جاؤا من هذه الجهة هم غطفان وسيدهم عيينة بن حصن وهو اوزن وسيدهم عوف ابن مالك واهل نجد وسيدهم طليحة بن خويلد الاسدى وانضم اليهم عوف بن مالك وبنو النضير وعن عائشة في الآية قالت كان ذلك يوم الخندق (ومن أسفل منكم) أى من أسفل الوادى من جهة المغرب من ناحية مكة وهم قريش ومن معهم من الاحابيش وسيدهم أبو سفيان بن حرب وجاء أبو الاعور السلمى ومعه حبي بن أخب اليهودى في يهود بنى قريظة من وجه الخندق ومعهم عامر بن الطفيل (واذ) معطوف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير (زانت الابصار) أى ماتت وعدلت عن كل شى فلم تنظر الا الى عدوها مقبلا من كل جانب وقيل شخصت دهش من فرط الهول والخيرة (و بلغت القلوب الحناجر) جمع خنجر وهى جوف الحلقوم وقيل رأس الغلصمة والغلصمة رأس الحلقوم وقيل هى منتهى الحلقوم والحلقوم مجرى الطعام والشراب وقيل مجرى النفس والمرى مجرى الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم وقال الراغب رأس الغلصمة من

لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى اله غير فرعون ولهذا قال واني لاظنه من الكاذبين أى في قوله خارج ان ثم رب غري لانه كذبه في أن الله تعالى أرسله لانه لم يكن يعترف بوجود الصانع جل وعلا فانه قال له وما رب العالمين وقال لئن اتخذت الهاء غري لأجعلنك من المسجونين وقال يا أيها الملا ما علمت لكم من اله غري وهذا قول ابن جرير وقوله تعالى واستكبر هو وخنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم ينالون ايرجعون أى طغوا وتجبروا وأكثروا في الارض الفساد واعتقدوا انه لقيامته ولا معاد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد ولهذا قال تعالى ههنا فأخذناه وخنوده فنبذناهم في اليم أى أغرقناهم

في الجحيم صبيحة واحدة فلم يبق منهم أحد فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أمم يذعون الى النار اى لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقهم في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع ويوم القيامة لا ينصرون اى فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولاً بذل الآخرة كما قال تعالى أهلكناهم فلاناصر لهم وقوله تعالى وأتبعناهم في هذه الدنيا العنة اى وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على السنة المؤمنين من عباده المتبعين لرسوله وكما انهم في الدنيا لم يعرفون على السنة الانبياء وأتباعهم كذلك يوم القيامة هم من المقبوحين قال قتادة وهذه الآية كقوله تعالى وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة (٢٥٧) بس الرقاد المرفود (ولقد آتينا موسى

الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) يخبر تعالى عما آتاه به على عبده ورسوله موسى الكليم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم من انزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعون وملائه وقوله تعالى من بعد ما أهلكنا القرون الاولى يعنى انه بعد انزال التوراة لم يعذب أمة بعامة بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين كما قال تعالى وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا محمد وعبد الوهاب قال حدثنا عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال ما أهلك الله قوما بعد ما أنزلت التوراة على وجه الارض غير القرية التي مسحوا قردة بعد موسى ثم قرأ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية ورواه ابن أبي حاتم من حديث عوف بن أبي حبيبة الاعرابي نحوه وهكذا رواه

خارج والمعنى ارتفعت القلوب عن مكانها ووصلت من الفزع والخوف الى الخناجر فلولا انه ضاق الخلقوم عنها وهو الذي نهايته الخبيرة طرحت كذا قال قتادة وقيل هو على طريق المبالغة المعهودة في كلام العرب وان لم ترتفع القلوب الى ذلك المكان ولا خرجت عن موضعها ولكنه مثل في اضطرابها وجبتها قال الفراء والمعنى انهم جبنوا وجزعوا أكثرهم وسبيل الجبان اذا اشتد الخوف ان تنتفخ رثته فاذا انتفخت الرثة ارتفع القلب الى الخبيرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سميره (وتظنون بانته الظنون) المختلفة فبعضهم ظن النصر ورجا الظفر وبعضهم ظن خلاف ذلك وقال الحسن ظن المنافقون انه يستأصل محمد وأصحابه وظن المؤمنون انه ينصر وقيل الآية خطاب للمنافقين والاولى ما قاله الحسن فيكون الخطاب لمن أظهر الاسلام على الاطلاق أهم من أن يكون مؤمناً في الواقع أو منافقاً واختلاف القراء في الالف في الظنوناً فأثبتوا وصلوا وقتنا جماعة وتمسكوا بخط المصحف العثماني وجميع المصاحف في البلدان فان الالف فيها كلها ثابتة وتمسكوا أيضاً بما في أشعار العرب من مثل هذا وأيضاً ان هذه الالف تشبه هاء السكت لبيان الحركة وهاء السكت تثبت وقتنا للحاجة اليها وقد تثبتت وصلوا اجراء للوصل مجرى الوقف وقرئ بجذفها في الوصل والوقف مع الانها الأصل لها وقالوا هي من زيادات الخط فكتبت كذلك ولا ينبغي النطق بها وأما الشعر فهو ويجوز فيه للضرورة ما لا يجوز في غيره وقولهم أجريت الفواصل مجرى القوافي غير معتد به لان القوافي يلزم الوقف عليها غالباً والفواصل لا يلزم ذلك فيها فلا تشبهها وقرئ بآبائها وقفها وصلها اجراء للفواصل مجرى القوافي في ثبوت ألف الاطلاق ولانها كهاء السكت وهي تثبت وقفها وتجدف وصلها قاله السمين وهذه القراءة راجحة باعتبار اللغة العربية وهذه الالف هي التي تسمى النجاة ألف الاطلاق والكلام فيها معروف في علم النحو وهكذا اختلف القراء في الالف التي في قوله الرسول والسبيل كما يأتي في آخر هذه السورة (هنالك ابتي المؤمنون) ظرف مكان يقال للمكان البعيد هنالك كما يقال للقريب هنا ولما توسط هنالك اى في ذلك المكان الدحض وهو الخندق وقد يكون ظرف زمان اى عند ذلك الوقت ابتلوا وهو منصوب بابتي وقيل بتظنون واستضعفه ابن عطية والمعنى ان في ذلك المكان أو الزمان اختبر المؤمنون بالخوف والقتال والجوع والحصر وغيرها ليمتحن المؤمن من المنافق

(٢٣ - فتح البيان سابع) أبو بكر البزار في مسنده عن عمرو بن علي التلاص عن يحيى التيطان عن عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد موقوفاً ثم رواه عن نصر بن علي عن عبد الاعلى عن عوف عن أبي نضرة عن أبي سعيد رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال (١) ما أهلك الله قوماً من السماء والارض بعد ما عذب بعد موسى ثم قرأ ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية وقوله بصائر للناس وهدى ورحمة اى من العمى والغبى والغبى وهدى الى الحق ورحمة اى ارشاد الى العمل الصالح لعلهم يتذكرون اى لعل الناس يتذكرون به ويهتدون بسببه (وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكلنا أنشأنا (١) قوله ما أهلك الله الخ) هكذا في نسخة وفي أخرى ما أهلك الله قوماً بعد ما عذب من السماء ولا من الارض الا قبل موسى الخ وحرراه

قر ونا فتناول عليهم العمر وما كنت ناويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولو انك كما مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتذر قوماما انهم من نذير من قبلك اهلهم يتذكرون ولو ان تصيهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين يقول تعالى منها على برهان بقوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بالغيوب الماضية خيرا كان سامعه شاهدا ورا ما تقدم وهو رجل اعمى لا يقرأ شيئا من الكتب نشأ بين قوم لا يعرفون شيئا من ذلك كانه لما أخبره عن مريم وما كان من (٢٥٨) أمرها فقال تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل

مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون الآية أي وما كنت حاضر ذلك ولكن الله أوحاه اليك وهكذا لما أخبره عن نوح وقومه وما كان بين انجاء الله له واغراق قومه ثم قال تعالى تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين الآية وقال في آخر السورة ذلك من أنباء القرى نقصه عليك وقال بعد ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ جعوا أمرهم وهم ينكرون الآية وقال في سورة طه كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق الآية وقال ههنا بعد ما أخذ بر عن قصة موسى من أولها الى آخرها وكف كان اتداء ايحاء الله اليه وتكليمه له وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر يعني ما كنت يا محمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله موسى من الشجرة التي هي شرقية على شاطئ الوادي وما كنت من الشاهدين لذلك ولكن الله سبحانه وتعالى أوحى اليك ذلك ليكون حجة وبرهانا

واتخذوا اباصبر على الايمان (وزلزوا وزلا الاشديدا) قرأ الجمهور زلزوا بضم الزاي الاولى وكسر الثانية على ما هو الاصل في المبنى للمنعول وروى عن أبي عمرو انه قرأ بكسر الاولى وروى الزمخشري عنه انه قرأ باسمها كسرا وقرأ الجمهور زلزوا بكسر الزاي الاولى وقرأ اعاصم والخميري وعيسى بن عمر بفتحها وهما العتقان قال الزجاج كل مصدر من المضاعف على فعال يجوز فيه الكسر والفتح نحو قلقلته قلقالا وزرلزوا زلا والا وكسر أجود وقدير ابدا بالمتنوع اسم الفاعل نحو مصلصال بمعنى مصلصل وزلزال بمعنى مززل قال ابن سلام معنى زلزوا حر كوا بالخوف تحريكا شديدا بليغا وقال الضحاك هو ازاحتهم عن أما كتبهم حتى لم يكن لهم الاموضع الخندق وقيل المعنى انهم اضطربوا اضطرابا مختلفا فاتهم من اضطرب في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه (واذ يقول المنافقون) يعني معتب بن قشير وقيل عبدالله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) هو الشك والريبة أي أهل الشك والاضطراب قيل هم قوم لا نصيرة لهم في الدين كان المنافقون يستميلونهم بادخال الشهية عليهم (ما وعدنا الله ورسوله) من النصر والظفر اوقع فارس والروم (الاغرورا) أي باطلا من القول وكان القائلون بهذه المقالة نحو سبعين رجلا من أهل النفاق والشك وهذا القول المحكي عن هؤلاء كالتفسير للظنون المذكورة أي كان ظن هؤلاء هذا الظن كما كان ظن المؤمنين النصر واعلاء كلمة الله (واذ قالت طائفة منهم) قال مقاتل هم بنو سالم من المنافقين وقال السدي هم عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل هم أموس بن قبيط وأصحابه والطائفة تقع على الواحد فافوقه والقول الذي قالته هذه الطائفة هو قوله (يا أهل يثرب لا مقام لكم) أي لا موضع ولا مكانة آتامة لكم ولا إقامة لكم ههنا في العسكر قرئ مقام بفتح الميم وبضمها على انه مصدر من اقام يقيم وعلى الاولى هو اسم مكان وهما سبعين قال أبو عبيدة يثرب اسم الارض ومدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ناحية منها قال السهيلي وسميت يثرب لان الذي نزلها من العمالق اسمها يثرب بن عميل وقيل يثرب اسم لنفس المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل فانها على وزن يضرب واخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرت بقرية تسمى كل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكبريخ الحديد واخرج احمد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن البراء بن عازب قال

قال علي قرون قد تناول عهدا ونسوا وجميع الله عليهم وأوحاه الى الانبياء المتقدمين وقوله تعالى وما كنت ناويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا أي وما كنت متيقنا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا حين أخبرت عن نبيها شعيب وما قال لقومه وما رددوا عليه ولدك كما مرسلين أي ولكن نحن أوحينا اليك ذلك وأرسلناك الى الناس رسولا وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال أبو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سنة أخبرنا علي بن حجر أخذ برنا عيسى بن يونس عن حمزة الزيات عن الاعمش عن علي بن مدركة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قال نودو ابا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني

وأجبتكم قبل أن تدعوني وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث جماعة عن حمزة وهو ابن حبيب الزيات عن الأعمش ورواه ابن جرير من حديث وكيع ويحيى بن عيسى عن الأعمش عن علي بن مدركة عن أبي زرعة وهو ابن عمرو بن جرير أنه قال ذلك من كلامه والله أعلم وقال مقاتل بن حيان وما كنت بجانب الطور إذ نادينا أمتك في أصلاب آياتهم أن يؤمنوا بك إذا بعنت وقال قتادة وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وهذا والله أعلم أشبهه بقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر ثم أخبرهمنا بصفة أخرى أخص من ذلك وهو الذداء كما قال (٢٥٩) تعالى واذا نادى ربك موسى وقال تعالى

اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى وقال تعالى ونادينا من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا وقوله تعالى ولكن رحمة من ربك أي ما كنت مشاهداً للشيء من ذلك وإنما كان الله تعالى أوحاه اليك وأخبرك به رحمة منه بك وبالعباد بارسالك اليهم لتسذروا ما أمأناهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون أي لعلهم يتدبرون بما جئتهم به من الله عز وجل ولولا ان تصييمهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا لو ارسلنا لولا أرسلت النبي رسولا إلا آية أي وأرسلناك اليهم لتقيم عليهم الحجة ولينقطع عذرهم اذا جاءهم عذاب من الله يكفروهم فيحتجوا بانهم لم يأتيهم رسول ولا نذير كما قال تعالى بعد ذلك انزال كتابه المبارك وهو القرآن ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كاعن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو اننا أنزلنا الكتاب لكأهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة وقال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سمى المدينة يثرب فليس تغفر الله هي طابته هي طابته هي طابته ولقظ احد انما هي طابته واسناده ضعيف وكأنه صلى الله عليه وآله وسلم كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقرير والتوبيخ (فارجعوا) أمر وهم بالهرب من عسكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين خرجوا عام الخندق حتى جعلوا ظهورهم الى السلع والخندق بينهم وبين القوم فقال هؤلاء المنافقون ليس ههنا موضع افاصة وامر والناس بالرجوع الى منازلهم بالمدينة وسلع جبل خارج المدينة قريب منها بينها وبين الخندق وقيل المعنى ارجعوا عن الايمان الى الكفر وقيل عن القتال والاول اولى (ويستأذن فريق منهم النبي) في الرجوع الى منازلهم وهم بنو حارثة وبنو سلمة (يقولون ان يوتنا عورة) اي ضائعة سائبة ليست بمحصنة ولا تمتنعة من العدو وقال ابن عباس مخليسة تخشى عليها السرقة وعن جابر نحوه قال الزجاج يقال عور المكان يعور عورا وعورة ويوت عورة وعورة وهي مصدر قال مجاهد ومقاتل والحسن قالوا يوتنا ضائعة تخشى عليها السراق وقال قتادة قالوا يوتنا ما بين العدو ولان آمن على اهلنا قال الهروي كل مكان ليس بممنوع ولا مستور فهو عورة والعورة في الاصل الخلل في البناء ونحوه بحيث يمكن دخول السارق فيها فأطاعت على المختل والمراد ذوات عورة وقري عورة بكسر الواو اي قصيرة الجدران قال الجوهرى العورة كل حال يتخوف منه في نعر او حرب قال النحاس يقال اور المكان اذا تبينت فيه عورة وعور الفارس اذا تبين منه موضع الخلل ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (وما هي بعورة) فكذبهم الله سبحانه فيما ذكروه ثم بين سبب استئذانهم وما يريدونه به فقال (ان يريدون الا فرارا) أي ما يريدون الا الهرب من القتال وقيل المراد ما يريدون الا الترامن الدين (ولو دخلت عليهم من أقطارها) يعني بيوتهم أو المدينة والأقطار النواحي جمع قطر وهو الجانب والناحية والمعنى لو دخلت عليهم بيوتهم أو المدينة من جوانبها جميعا لان بعضها هذه العساكر المتحيزة ونزلت بهم هذه النازلة الشديدة واستبيحت ديارهم وهتك حرمتهم ومنازلهم (ثم سئلوا الفتنه) من جهة أخرى عند نزول هذه النازلة الشديدة بهم (لا توها) أخرجه البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة يعني ادخل بنى حارثة أهل الشام على المدينة

تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم على قرة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير الآية والآيات في هذا كثيرة (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سبحان ان تطاهروا قالوا انابكل كافرين قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منها ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون) يقول تعالى مخبراً عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجوا بانهم لم يأتيهم رسول

انهم لما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قالوا على وجه التعذت والعناد والكفر والجهل والاحلال لاولى مثل ما اوتى موسى الية يعنون والله أعلم من الآيات الكثيرة مثل العصا والسيد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وتنقيص الزروع والثمار ما يضيّق على أعداء الله وكفراق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسحابة الى غير ذلك من الآيات الباهرة والحجج القاهرة التي أجزاها الله تعالى على يدي موسى عليه السلام حجة وبراهين له على فرعون وملائته وبنى اسرائيل ومع هذا كله لم ينجع في فرعون وملائته (٢٦٠) بل كفروا بموسى وأخيه هرون كما قالوا له - ما أجتننا لثقتنا عما

وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرى في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال تعالى فكذبوه - ما فكأنوا من المهلكين وله - هذا قال ههنا أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل أى أولم يكفروا بالبشر بما أوتى موسى من تلك الآيات العظيمة قالوا ساحران تظاهروا أى تعاونوا وقالوا انابكل كافرين أى بكل منهما كافرون ولشدة التلازم والتصاحب والمقاربة بين موسى وهرون دل ذكر أحدهما على الآخر كما قال الشاعر

فما أدري اذا عمت أرضا

أريد الخيرا بهم ما يلينى
أى فمأدري يلينى الخير أو الشر
قال مجاهد أمرت اليهود قريشا أن يقولوا الحمد صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الله أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا ساحران تظاهروا قال يعنى موسى وهرون صلى الله عليه - ما وسلم تظاهروا أى تعاونوا وتناصروا وصدق كل منهما الآخر بهذا قال سعيد بن جبير وأبورزين في قوله ساحران يعنون موسى وهرون وهذا قول جيد

ومعنى الفتنة هنا ما القتال في العصبية كما قال الضحاك أو الشرك بالله أو الرجعة الى الكفر الذى يبطنونه ويظهرون خلافة كما قال الحسن قرئ لا توهبا بل ماى لا عطاها من انفسهم وبالقصراى لحاؤها وفعالها وهما سبعيتان (وما تلبثوا بها) أى بالمدينة بعد ان اتوا الفتنة (الآ) تلبثا (يسيرا) حتى يهلكوا كذا قال الحسن والسدى والقراء والقتبي وقال اكثر المنسرين ان المعنى وما احتبسوا عن قسمة الشرك الا قليلا بل هم مسرعون اليها راغبون فيها لا يتفقون عنها الا مجرد وقوع السؤال لهم ولا يتعللون عن الاجابة بأن يتوهم في هذه الحالة عورة مع انها قد صارت عورة على الحقيقة كما تعلقوا عن اجابة الرسول والقتال معه بأنها عورة ولم تكن اذذاك عورة ثم حكى الله سبحانه عنهم ما قد كان وقع منهم من قبل من المعاهدة لله ولرسوله بالثبات في الحرب وعدم الفرار عنه فقال (ولقد كانوا عاهدا لله من قبل) أى حلفوا من قبل غزوة الخندق ومن بعد بدر ان لا يولوا ظهورهم فرار من العدو بل يثبتوا على القتال حتى يموتوا شهداء وهم قوم لم يحضروا وقعة بدر قال قتادة وذلك انهم غابوا عن بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والنصر فقالوا لئن شهدنا الله قتالنا لثقتنا ان (لا يولون الا دبارة) أى لا ينهزون وجاء على حكاية اللفظ فجاء بلفظ الغيبة ولو جاء على حكاية المعنى لقبل لانولى (وكان عهد الله مسؤلا) عنه ومطلوبا باحبه بالوفاء به ومجازى على ترك الوفاء به (قل ان يتفكركم الفرار فررت من الموت أو القتل) لانه لا بد لكل انسان من الموت اما تحف نفسه أو يقتل بالسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى به القلم فن حضر أجهل مات أو قتل فرا ولم يفتر (واذا الاتمتعون) أى وان تفكركم الفرار مثلا فتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع (الا تمتعاً وزمانا) (قليل - لا) بعد فراركم الى أن تنقضى آجالكم وكل أت قريب قرئ تمتعون بالفوقية والتحمية و بحدف النون (قل من ذا الذى يعصمكم) أى يحيركم (من الله ان أراد بكم سوا) أى هلاكاً وهزيمة أو نقصاً في الاموال وجدبا ومرضا (أو) يصيبكم بسوء ان (أراد) الله (بكم رحمة) يرجحكم بها من خصب ونصر وعافية واطالة عمر وهذا على حد قوله علمتها تبتا وما بارد اوليس معمولا للسابق وهو يعصمكم لعدم صحة المعنى عليه وفي السمين قال الرمنشري فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الامن الشر قلت معناه أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاخترت الكلام وأجرى

مجرى

قوى والله أعلم وقال مسلم بن بشارة بن عباس قالوا ساحران

تظاهروا قال يعنون موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا رواية الحسن البصرى وقال الحسن وقتادة يعنى عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا فيه بعد لان عيسى لم يجرد له ذكر ههنا والله أعلم وأما من قرأ ساحران تظاهروا فقال على بن أبى طلحة والعمري عن ابن عباس يعنون التوراة والقرآن وكذا قال عاصم الجندى والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال السدى يعنى صدق كل واحد منهما الآخر وقال عكرمة يعنون التوراة والانجيل وهوروايه عن أبى زرعة واختاره ابن جرير وقال الضحاك وقتادة

الاجمئل والقرآن والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب والظاهر على قراءة صحران انهم يعنون التوراة والقرآن لانه قال بعده قل فأوبأبكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه وكثيرا ما يقرن الله بين التوراة والقرآن كما في قوله تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الى أن قال وهذا كتاب أنزلناه مبارك وقال في آخر السورة ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن الآية وقال وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا العلكم ترجون وقالت الجن اناسمنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وقال ورقة بن نوفل هذا الناموس (٢٦١) الذي أنزل على موسى وقد علم

بالضرورة لذوى الالباب ان الله تعالى لم ينزل كتابا من السماء فيما أنزل من الكتب المتعددة على أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفضح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزل على موسى بن عمران عليه السلام وهو الكتاب الذي قال الله فيه انا أنزلنا التوراة فيه هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء والانجيل انما أنزلت على مخلصنا يسوع المسيح لانه قال تعالى قل فأتوا اسرائيل ولهذا قال تعالى قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين أى فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل قال الله تعالى فان لم يستجيبوا لك أى فان لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق فاعلم انما يتبعون أهواءهم أى بلادليل ولا حجة ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله أى بغير حجة

مجرى قوله متقدما سبفا ومحاولا على الاول لما في العصمة من منع المنع قال الشيخ اما الوجه الاول ففيه حذف جملة لان ضرورة تدعو الى حذفها والثاني هو الوجه لاسيما اذا قدم مضاف محذوف أى بمنعكم من مراد الله قلت وأين الثاني من الاول ولو كان معه حذف جل انتهى (ولا يجدون لهم من دون الله) أى غيره (وليا) يواهم وينفعهم ويدفع الضر عنهم (ولا نصيرا) ينصرونهم من عذاب الله (قد يعلم الله المعوقين منكم) يقال عاقه وعاققه وعوقه اذا صرفه عن الوجه الذى يريد (والقاتلين لآخوانهم هلم الينا) قال الواحدي قال المفسرون هو لا يقوم من المنافقين كانوا يشبثون انصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك انهم قالوا لهم ما محمد وأصحابه الا كلمة رأس ولو كانوا الحيا لالتقمهم أبوسفيان وحزبه فخلوهم وتعالوا الينا وقيل ان القائل لهذه المقالة اليهود ومعنى هلم اقبل واحضرا سم فعل أمر وأهل الحجاز يسون فيه بين الواحد والجماعة والمذكور والمؤنث وعند غيرهم من العرب كبنى تميم فعل أمر يقولون هلم للواحد المذكور وهلمى للمؤنث وهلم اللاتنين وهلموا للجماعة وقدم الكلام على هذا في سورة الانعام والمعنى ارجعوا الينا واتركوا محمدا فلا تشهدوا معه الحرب فانما يخاف عليكم الهلاك وقيل تعالوا الينا لتستريحوا يعنى ان يهود المدينة طلبوا المنافقين ليستريحوا وخوفوا المؤمنين ليرجعوا وهلم هنا لازم وفي الانعام متعدد نصبه منه قوله وهو شهداء كم يعنى أحضروهم وههنا بمعنى احضروا وتعالوا وكلام الزمخشري هنا مؤنث بانته تعدد ايضا وحذف منه قوله فانه قال هلموا الينا أى قربوا انفسكم الينا (ولا يأتون البأس) أى الحرب والقتال (الا اياتنا قليلا) خوفامن الموت ويقفون قلبا لامقاد ما يرى شهودهم ثم ينصرفون وقيل المعنى لا يحضرون القتال الا اربابا وسبعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة) أى بخلاء (عليكم) لا يعاونونكم بخبر الخندق ولا بالنفقة في سبيل الله قاله مجاهد وقادة وقيل أشحة بالقتال معكم وقيل بالنفقة على فقراكم ومساكينكم وقيل أشحة بالغنائم اذا أصابوها قاله السدي العامة على نصب أشحة وفيه وجهان احدهما انه منصوب على الذم والثاني على الحال من ضمير يأتون قاله الزجاج أو هلم الينا قاله الطبري رقرئ بالرفع أى هم أشحة وهو جمع شحج وهو جمع لا يقاس عليه اذ قياس فعيل الوصف الذى عينه ولا منه من واد واحد ان يجمع على افعلاء

مأخوذة من كتاب الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقوله تعالى ولقد وصلنا لهم القول قال مجاهد فصلنا لهم القول وقال السدي بينا لهم القول قال قتادة يقول تعالى أخبرهم كيف صنع عن مضي وكيف هو صانع لعلهم يتذكرون قال مجاهد وغيره وصلنا لهم يعنى قريشا وهذا هو الظاهر لكن قال جاد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن رفاعه رفاعه هذا هو ابن قرظ القرظي وجعله ابن مندة رفاعه بن شموال خال صفية بنت حيى وهو الذى طلق تيمة بنت وهب التى تزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير بن باطن كذا ذكره ابن الاثير قال نزلت ولقد وصلنا لهم القول في عشرة انا أحدهم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن حديسه

(الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم يؤمنون واذا تبلى عليهم قالوا آتينا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتوا اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا تبتغي الجاهلين) يخبر تعالى عن العلماء الاولياء من اهل الكتاب انهم يؤمنون بالقرآن كما قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به وقال تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله وقال تعالى ان الذين اتوا الكتاب

(٢٦٢)

من قبله اذ يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان

نحو خليل وأخلاء وظنين واطناء وضمين واضناء وقد سمع اشياء وهو القياس والشح البخل وتقدم في آل عمران قاله السمين (فاذا جاء الخوف) من قبل العدو قاله السدي أو منه صلى الله عليه وآله وسلم قاله ابن شجرة (رأيتهم) أي ابصرتهم (ينظرون اليك) في تلك الحالة خوفا من القتال على القول الاول ومن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الثاني (تدور أعينهم) يميناً وشمالاً لذهول عقولهم حتى لا يصح منهم النظر الى جهة وقيل لشدة خوفهم حذر ان يأتيهم القتل من كل جهة وذلك سبيل الجبان اذا شاهد ما يخافه (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قريب من الموت وهو الذي نزل به الموت وغشيته اسبابه فيذهل لبه ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يظرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم لما يلحقهم من الخوف ويقال للميت اذا شخص بصره دارت عيناه ودارت جماليق عينيه (فاذا ذهب الخوف سلقوكم) أي استقبلوكم (بالسنة حداد) أي ذرية تفعل كفعل الحديد يقال سلق فلان فلانا بلسانه اذا اغظله في القول مجاهرا قال الفراء أي آذوكم بالكلام في الامن بالسنة سليطة ذرية ويقال خطيب مسلاق ومصلاق اذا كان بليغا قال القتيبي المعنى آذوكم بالكلام الشديد والصلق الأذى قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة قال قتادة المعنى بسطوا أو استنهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة يتولون اعطونا فانا قد شهدنا معكم فعند الغنيمة أشجع قوم وأبسطهم لسانا ووقت البأس أجن قوم واخوفهم قال النحاس وهذا قول حسن (أشحة على الخير) أي على الغنيمة يشاحون المسلمين عند القسمة قاله يحيى بن سلام وقيل على المال ان يتفقوه في سبيل الله قاله السدي ويمكن ان يقال معناه انهم قليلوا الخير من غير تقييد بنوع من أنواعه (اولئك) الموصوفون بتلك الصفات (لم يؤمنوا) اي انا خالصا بل هم المنافقون يظهرن الايمان ويبطنون الكفر (فاحبط الله اعمالهم) أي ابطلها بمعنى اظهر بطلانها لانهم لم تكن اعمالهم صحيحة تقتضي الثواب حتى يبطلها الله وتحيط قال مقاتل ابطال جهادهم لانهم لم يكن في ايمان أو المراد ابطال تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دينوية اصلا (وكان ذلك) الاحباط لاعمالهم او كان نفاقهم (على الله يسيرا) هينا بارادته (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أي بحسب هؤلاء المنافقون لجبنهم ان الاحزاب أي قريشا وعظفان واليهود باقون في معسكرهم لم يذهبوا الى ديارهم ولم ينهزموا ففروا الى

كان وعد ربنا لمفعولا وقال تعالى ولتجدن أقرهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الى قوله فاكتبنا مع الشاهدين قال سعيد ابن جبير نزلت في سبعين من القيسيين بعثهم الخاشي فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم يس والقرآن الحكيم حتى ختمها فجعلوا يكونوا أسلما ونزلت فيهم هذه الآية الاخرى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا تبلى عليهم قالوا آتينا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين يعني من قبل هذا القرآن كالمسلمين أي موحدين مخلصين لله مستجيبين له قال الله تعالى اولئك يؤتوا اجرهم مرتين بما صبروا أي هؤلاء المتصنون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الاول ثم بالثاني ولهذا قال بما صبروا أي على اتباع الحق فان تجشم مثل هذا شديد على النفوس وقد ورد في الصحيح من حديث عامر الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

داخل

وسلم ثلاثة يؤتوا اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه ثم أمر بنى وعبد مملوك أدى حق الله

وحق مواله ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فترتبها وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق السليجيني حدثنا ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي امامة قال اني لتهمت راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال قولوا لحسننا جيلا وقال فيما قال من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين وله مالنا وعليه ما علينا وقوله تعالى ويدرأون بالحسنة السيئة أي لا يقابلون على السيئ بمثله ولكن يعفون ويصفحون ومما رزقناهم ينفقون أي ومن الذي رزقهم من الحلال

ينفقون على خلق الله في النفقات الواجبة لاهلهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات وقوله تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه أي لا يخالطون أهله ولا يعاشرهم بل كما قال تعالى وإذا أمروا بالغوموا كراما وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين أي إذا سفه عليهم سفيههم وكلهم بما لا يليق بهم الجواب عنه أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب ولهذا قال عنهم أنهم قالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين أي لا نريد طريق الجاهلين ولا نحبها قال محمد (٢٦٣) بن اسحق في السيرة ثم قدم على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً وأقرب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أيديهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان بوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترادون لهم لتأتوهم بخيبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقوه فيما قال ما نعلم رباً أحق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لانجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيراً قال ويقال ان النفر النصارى من أهل نجران فأنه أعلم أي ذلك كان قال ويقال

داخل المدينة وذلك لما نزل بهم من الفشل والروع والنرق والخبث (وان يأت الاحزاب) مرة أخرى بعد هذه المرة والذهاب (يودوا لو أنهم يادون في الاعراب) أي يتمنون لو أنهم كانوا في بادية لما حل بهم من الرهبة والبادى خلاف الحاضر يقال بدأ يسدو بدأوة إذا خرج إلى البادية وسكنها (يسألون عن أنبائكم) واخباركم وما آل اليه أمركم وما جرى لكم كل قادم عليهم من جهتكم أو يسأل بعضهم بعضاً عن الاخبار التي بلغته من اخبار الاحزاب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أنهم يتمنون انهم بعيد عنكم يسألون عن اخباركم من غير مشاهدة للقتال لفرط جبنهم وضعف نياتهم (ولو كانوا فيكم) أي معكم في هذه الغزوة. شاهدين للقتال (ماقاتلوا) معكم (الا قتالا قليلاً) خوفاً من العار وجمية على الديار وأرياء من غير احتساب (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي قدوة صالحة يقال لى في فلان أسوة أي لى به اقتداء والاسوة من الانساء كالقدوة من الاقتداء اسم يوضع موضع المصدر يقال اتسى فلان بفلان أي اقتدى به قال الجوهرى الاسوة والاسوة بالضم والكسر والجمع أسى وأسى وقد قرئ بهما وهما سب عيتان وهما أيضاً لغتان كما قال الفراء وغيره وفي هذه الآية عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي لقد كان لكم في رسول الله حيث بذل نفسه للقتال وخرج إلى الخندق لنصرة دين الله اسوة والمعنى اقتدوا به اقتداء حسناً وهو ان تنصروا دين الله وتآزر وارسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذ كسرت ربا عيته وجرح وشج وجهه وجاع بطنه وقتل عمه حمزة وادى بضروب الاذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضاً واستنوا بسنته وهذه الآية وان كان سبها خاصا فهي عامة في كل شيء ومثلها وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله عن ابن عمر قال في الآية هذا في جوع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد استدلل بهذه الآية جماعة من الصحابة في مسائل كثيرة اشتملت عليها كتب السنة وهي خارجة عما نحن بصدده نعم فيه دلالة على لزوم الاتباع وترك التقليد الحادث الذي أصيب به الاسلام أي مصيبة وهل هذه الاسوة على الايجاب أو على الاستحباب فيه قولان قال القرطبي يحتمل ان تحمل على الايجاب في أمور الدين وعلى الاستحباب في أمور الدنيا (لمن كان يرجو الله) أي حسنة كأنه لمن يرجو الله والمراد أنهم الذين يرجون

والله أعلم ان فيهم نزلت هذه الآيات الذين آتيناهم الكتاب من قبلهم به يؤمنون الى قوله لا نبتغي الجاهلين قال وسأت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت قال ما زلت أسمع من علمائنا انهم نزلت في النجاشي وأصحابه رضى الله عنهم والآيات اللاتي في سورة المائدة ذلك بأن منهم قيسين ورهبانا الى قوله فاكتبنا مع الشاهدين (انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا ان تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا ولم تمكن لهم حرماً آمنا يجي اليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى (رسوله صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لا تهدي من أحببت أي ليس اليك ذلك انما عليك البلاغ

والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة القاطعة كما قال تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وقال تعالى وما أكره الناس ولو حرصت بمؤمنين وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أى هو أعلم عن يستحق الهداية عن يستحق الغواية وقد ثبت في الصحيحين انها نزلت في أبي طالب عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان يحوطه وينصره ويقوم في حقه ويحبه حباً طبيعياً لا شرعياً فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان والدخول (٢٦٤) في الاسلام فسبق القدر فيه واختطف من يده فاستقر على ما كان

عليه من الكفر والله الحكمة التامة قال الزهري حدثني سعيد ابن المسيب عن أبيه وهو المسيب ابن حزن الخزومي رضى الله عنه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم قل لاله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أتترغب عن ملة عبد المطلب فيزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان له بتلك المقالة حتى كان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبي ان يقول لاله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى وأنزل في أبي طالب انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجه من حديث الزهري وهكذا رواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث يزيد بن

الله ويخافون عذابه يعنى يرجون ثوابه ولقائه (واليوم الآخر) أى انهم يرجون رحمة الله فيه أو يصدقون بحصوله وانه كائن لا محالة وهذه الجملة تخصيص بعد التعميم بالجملة الاولى (وذكر الله) أى ولما ذكر الله في جميع أحواله ذكر (كثيراً) وجمع بين الرجاء لله والذكر له فان بذلك تتحقق الاسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم بين سبحانه ما وقع من المؤمنين المخلصين عند رؤيتهم للاحزاب وشاهدتهم لتلك الجيوش التي أحاطت بهم كالبحر العباب فقال (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذما وعدنا الله ورسوله) الاشارة بهذا الى ما رأوه من الجيوش وأولى الخطب الذي نزل والبلاء الذي دهم وهذا القول منهم قالوه استبشاراً بحصول ما وعدهم الله ورسوله من مجي هذه الجنود وان يتعقب مجيئهم اليهم نزول النصر والظفر من عند الله وما في ما وعدناهي الموصولة أو المصدرية ثم أورد فوما قالوه بقولهم (وصدق الله ورسوله) أى ظهر صدق خبرهما ووجه اظهار الاسم الشريف والرسول بعد قوله ما وعدنا الله ورسوله هو قصة التعميم وايضاً لوضح خبرهما بالجمع بين ضميرى الله ورسوله في لفظ واحد وقال صدقاً وقد ورد النهي عن جمعهما كما في حديث بنس خطيب القوم انت لمن قال ومن يعصم ما فقد غوى وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما فالجواب انه صلى الله عليه وآله وسلم اعرف بقدر الله منا فليس لنا ان نقول كما يقول قاله السمين (وما زادهم) ما رأوه من اجتماع الاحزاب عليهم ومجيئهم (الايماناً بالله) (وتسليماً) لامره قال الفراء ما زادهم النظر الى الاحزاب الا ذلك قال على بن سليمان رأى يدل على الرؤية وتأنيث الرؤية غير حقيق والمعنى ما زادهم الرؤية الايماناً بالرب وتسليماً للقضاء ولو قال ما زادتهم لحاز وعن ابن عباس قال في الآية ان الله قال لهم في سورة البقرة أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الاحزاب في الخندق قالوا هذما وعدنا الله ورسوله فتأول المؤمنون ذلك فم يزداهم الايماناً وتسليماً (من المؤمنين) المخلصين (رجال صدقوا) أى أو اباالصدق من صدقنى اذا قال الصدق (ما عاهدوا الله عليه) أى وفوا بعنا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليله العقبة من النبات معه والمقاتلة لمن قاتله بخلاف من كذب في عهده وخان الله ورسوله وهم المنافقون وتيسلهم الذين نذروا انهم اذا القوا حرام مع رسول الله

كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال لما حضرت وفاة أبي طالب أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عماء قل لاله الا الله أشهدك بها يوم القيامة فقال لولا ان تعيرني بها فريش يقولون ما حله عليه الاجزاع الموت لا قررت بها عينك لا أقولها الا اقربها عينك فأنزل الله تعالى انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث يزيد بن كيسان ورواه الامام أحمد عن يحيى بن سعيد القطان عن يزيد بن كيسان حدثني أبو حازم عن أبي هريرة فذكره بنحوه وهكذا قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبي وقتادة انها نزلت في أبي

طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول لا اله الا الله فابى عليه ذلك وقال اى ابن اخی ملة الاشياخ وكان آخر ما قاله هو على ملة عبد المطلب وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابي سلمة حدثنا جاد بن سلمة حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن ابي راشد قال كان رسول قيصر جاء الى قال كتب معي قيصر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فاتيته فدفعت الكتاب فوضعه في حجره ثم قال من الرجل قلت من تيرج قال هل لك في دين ابيك ابراهيم الخنيفية قلت انى رسول قوم وعلى دينهم حتى ارجع اليهم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الى أصحابه (٢٦٥) وقال انك لاتهدى من أحببت ولكن

الله يهدى من يشاء وقوله تعالى وقالوا ان تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أى نخذنى ان اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحببنا العرب المشركين أن يقصدونا بالاذى والمخاربة ويتخذونا أئبنا كما قال الله تعالى بحسب اللهم أو لم تكن لهم حرما آمنابى هذا الذى اعتذر وابه كذب وباطل لان الله تعالى جعلهم فى بلد آمن وحرم معظم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمنالهم فى حال كفرهم وشركهم ولا يكون آمنالهم وقد اسلموا وتابوا الحق وقوله تعالى يجي اليه غرات كل شىء أى من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره وكذلك المتاجر والامتعة رزاقنا لذنا أى من عندنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ولهذا قالوا ما قالوا وقد قال النسائي انا الحسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن ابي مليكة قال قال عمرو بن شعيب عن ابن عباس ولم يسمع منه ان الحرب بن عامر بن نوفل الذى قال ان تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا (وكم أهل كمان قرية بطورت

صلى الله عليه وآله وسلم ثبتوا له ولم يفروا أخرج البخارى وغيره عن أنس قال نرى هذه الآية نزلت فى أنس بن النضر وأخرج ابن سعد وأحمد والترمذى والنسائي والبعغرى فى مجملهم وابن جرير وابن ابي حاتم وابونعيم والبيهقى عن أنس قال غاب عمى أنس بن النضر عن بدر فشق عليه وقال أول مشهد مشهده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غبت عنه لئن أرانى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليرين الله ما أضع فشهد يوم أحد فاستقبله سعد بن معاذ قال يا أبا عمرو أين قال واهل الریح الجنة أجد هادون أحد دفقاتل حتى قتل فوجد فى جسده بضع وعثمانون من بين طعنة وضربة ورمية ونزلت هذه الآية وكانوا يرون انها نزلت فيه وفى أصحابه وقد روى عنه نحوه من طريق أخرى عند الترمذى وصححه والنسائي وغيرهما وأخرج الحاكم وصححه والبيهقى فى الدلائل عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرأ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال أشهد ان هؤلاء مشهداء عند الله فأبىهم وزور وهم والذى نفسى بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقد تعقب الحاكم فى تصحيحه الذهبى كاذك ذلك السبوطى ولكنه قد أخرج الحاكم حديثا آخر وصححه وأخرجه أيضا البيهقى فى الدلائل عن ابي ذر قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد مر على مصعب بن عمير مقتولا على طريقه فقرا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وأخرج ابن مردويه من حديث خباب مثله وهم يشهدان لحديث ابي هريرة ثم فصل سبحانه حال الصادقين بما وعدوا الله ورسوله وقسمهم الى قسمين فقال (ينهم من قضى نحبه) أى فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقال ابن عمر أى مات على ما هو عليه من التصديق والايان والنجب ما التزمه الانسان واعتقد الوفاء به وأوجه على نفسه والقتل والموت قال ابن قتيبة قضى نحبه أى قتل وأصل النجب النذر كانوا يوم بدر نذروا ان لقوا العدو ان يقتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله لهم فقتلوا فقتل فلان قضى نحبه أى قتل والنجب أيضا الحاجة وادراك الامنية يقول قائلهم ما لى عندهم نجب والنجب العهد ومعنى الآية ان من المؤمنين رجالا أدركوا امنيتهم وقضوا حاجتهم ووفوا بنذرهم فقاتلوا حتى قتلوا وذلك يوم أحد حكاه ومصعب بن عمير وأنس بن النضر أخرج

(٢٤ - فتح البيان سابق) معيشتهم اقل ما مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكان من الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امهارسولا يلو عليهم آياتنا وما كماهلك القرى الا واهلها ظالمون) يقول تعالى معرضا باهل مكة فى قوله تعالى وكم أهل كمان قرية بطرت معيشتهم أى طغت وأثرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم به عليهم من الارزاق كما قال فى الآية الاخرى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتها زقهار غدا من كل مكان الى قوله فاخذهم العذاب وهم ظالمون ولهذا قال تعالى قتلتك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا أى دثرت ديارهم فلا ترى الامساكنهم وقوله تعالى وكان من الوارثين أى رجعت خرابا ليس

فيها أحد وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا عن ابن مسعود أنه سمع كعباً يقول لعمران سليمان عليه السلام قال للهامة يعني البومة مالك لا تأكلين الزرع قالت لأنه أخرج آدم من الجنة بسببه قال فما لك لا تشرب بين الماء قالت لأن الله تعالى أغرق قوم نوح به قال فما لك لا تأوين إلا إلى الخراب قالت لأنه ميراث الله تعالى ثم تلا وكنا نحن الوارثين ثم قال تعالى مخبر عن عدله وأنه لا يهلك أحد ظالمه وإنما يهلك من أهلك به - فقيام الحجية عليهم ولهذا قال وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها وهي مكة رسولا يتلو عليهم آياتنا فيه دلالة على أن النبي الأمي وهو محمد صلى الله (٢٦٦) عليه وسلم المبعوث من أم القرى رسول إلى جميع القرى من عرب وأعجم

كما قال تعالى لتسذرا من القرى ومن حولها وقال تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً وقال لا نذركم به ومن بلغ وقال ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده وتمام الدليل قوله تعالى وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً الآية فأخبرني إلى أنه سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فجعل تعالى بعثة النبي الأمي شاهداً لجميع القرى لأنه مبعوث إلى أمها وأهلها التي ترجع إليها وثبت في الصحيحين عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال بعثت إلى الأحمر والأسود ولهذا اخترت به النبوة والرسالة فلا نبي بعده ولا رسول بل شرعه باق بقاء الليل والنهار إلى يوم القيامة وقيل المراد بقوله حتى يبعث في أمها رسولا أي أصلها وعظمتها كاهنات الراسيات والأقاليم حكاه الزمخشري وابن الجوزي وغيرهما وليس يبعث (وما أوتيت من شيء فتعاق الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقبه كمن متعناه

الترمذي وحسنه وأبو يعلى وابن جرير وابن مردويه عن طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا لالاعرابي جاهل سله عن قضى نجبه من هو وكانوا لا يجترؤن على مسألته يوقرونه ويهابونه فسأله الاعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم أتني اطلعت من باب المسجد فقال أين السائل عن قضى نجبه قال الاعرابي أنا قال هذا من قضى نجبه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من حديثه نحوه وأخرج الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول طلحة ممن قضى نجبه وعن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من سره أن ينظر إلى رجل عشي على الأرض قد قضى نجبه فليتنظر إلى طلحة أخرجه سعيد بن منصور وأبو يعلى وأبو نعيم وابن المنذر وغيرهم وأخرج ابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله وأخرج ابن منده وابن عساكر من حديث أسماء بنت أبي بكر نحوه وأخرج أبو الشيخ وابن عساكر عن علي أن هذه الآية نزلت في طلحة وأخرج أحمد والبخاري وابن مردويه عن سليمان بن سرد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب الآن نغزوهم ولا يغزونا (ومنهم من ينتظر) قضاء نجبه حتى يحضر أجله كعثمان ابن عفان وطلحة والزبير وأمثالهم فأنهم مستمرين على الوفاء بما عاهدوا الله عليه من النيات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقتال لعدوه وانتظرون لقضاء حاجتهم وحصول أمانيهم بالقتل واداء الفضل الشهادة (ومابذلو أتديلا) أي ما غيروا عهدهم الذي عاهدوا الله ورسوله عليه كما غير المنافقون عهدهم بل ثبتوا عليه ثبوتاً مستمرا أما الذين قضاوهم فظاهروا أما الذين ينتظرون قضاء نجبهم فقد استمروا على ذلك حتى فارقوا الدنيا ولم يغيروا ولا بدلوا (ليجزى الله) اللام يجوز أن يتعلق بصدق أو بزادهم أو بما بدلوا أو بعددوف كالتدليل وقع جميع ما وقع ليجزى الله (الصادقين بصدقهم) أي بوفائهم بالعهد (ويعذب المنافقين إن شاء) إذا لم يتوبوا (أو يتوب عليهم) بما صدر عنهم من التغيير والتبديل إن تابوا جعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوا بها بسبب تبديلهم وتغييرهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم فكل من الفريقين مسوق إلى عاقبة من الثواب والعقاب فكأنما استويا في طلبها والسعي التحصيلها ومنعول إن شاء وجوابها محذوفان أي إن شاء تعذيبهم عذبهم وذلك إذا أقاموا على النفاق ولم يتركوه ولم يتوبوا عنه

متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين) يقول تعالى مخبر عن حقارة الدنيا وما فيها من الزينة الدنية والزهرة الفانية بالنسبة إلى ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم كما قال تعالى ما عندكم بنفد وما عند الله باق وقال وما عند الله خير للابرار وقال وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وقال تعالى بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما الحياة الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم أصبعه في اليم فليتنظر ماذا يرجع إليه وقوله تعالى أفلا تعقلون أي أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة وقوله تعالى أفن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقبه كمن متعناه

متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المخضرين يقول تعالى أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده الله على صالح الاعمال من الثواب الذي هو صائر اليه لا محالة كمن هو كافر مـ كذب بملقاء الله ووعده ووعدته فهو ممتنع في الحياة الدنيا أي ما قلائل ثم هو يوم القيامة من المخضرين قال مجاهد وقتادة من المعتدين ثم قد قيل انها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أبي جهل وقيل في حمزة وعلى وأبي جهل وكلاهما عن مجاهد والظاهر انها عامة وهذا كقوله تعالى اخبار عن ذلك المؤمن حين أشرف على صاحبه وهو في الدرجات وذلك في الدركات فقال ولولا نعمة ربى لكننت من المخضرين (٢٦٧) وقال تعالى ولقد علمت الجنة انهم

لمخضرون (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغويانا أغويانا هم كانوا ينادون ويغيبون وقل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وروا العذاب لو أنهم كانوا يهدون ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلين) يقول تعالى مخبرا عما يوحي به الكفار المشركين يوم القيامة حيث يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون يعنى أين الالهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الاصنام والانداد هل ينصرون وتكلمون أو ينتصرون وهذا على سبيل التقرير والتهديد كما قال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتمنا حولنا كم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وصل عنكم ما كنتم تزعمون وقوله قال

(ان الله كان عفورا) لمن تاب منهم بقبول التوبة (رحيما) بن أفلح عما كان عليه من النفاق بعفو الحوبة ثم يرجع سبحانه الى حكاية بقية القصة وما امتن به على رسوله والمؤمنين من النعمة فقال (ورد الله الذين كفروا) وهم الاحزاب كأنه قيل وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الذين كفروا (بغيبهم) الباطن للسينية (لم ينالوا خيرا) المعنى ان الله رددهم بغيبهم لم يشف صدورهم لانالوا خيرا في اعتقادهم وهو الظفر بالمسلمين أو لم ينالوا خيرا أى خيرا بل رجعوا خاسرين لم يرجعوا الاعناء السقرو وغرم النفقة (وكفى الله المؤمنين القتال) بما أرسله من الريح والجنود من الملائكة (وكان الله قويا) على كل ما يريد اذ قال له كن فيكون (عزيزا) قاهرا غالبا يغالبه أحد من خلقه ولا يعارضه معارض في سلطانه وجبروته روى البخارى عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين انجلى الاحزاب يقول الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم (وأنزلهم) الذين ظاهروهم) أى عاضدوهم وعاونوهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من أهل الكتاب) وهم بنو قريظة فانهم عاونوا الاحزاب من قريش وغدقوا ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاروا ايدا واحدة مع الاحزاب وكانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وقيل سنة أربع (من صياصيمهم) جمع صيصية وهى الحصون وكل شئ يتحصن به فهو صيصية ومنه صيصية الديك وهى الشوكة التي في رجله وصياصى البقر والظباء قرونها لانها تمتع بها ويقال لشوكة الخائف الذي يسوى بها السدى واللحمة صيصية وأخرج أحد رواين مردويه وابن أبي شيبة عن عائشة خرجت يوم الخندق أقفوا الناس فاذا أنا بسعد بن معاذ رماه رجل من قريش يقال له ابن الذرقة بسهم فأصاب أحده فقطعه فدعا الله سعد فقال اللهم لا تعنى حتى تقر عيني من قريظة فبعث الله الريح على المشركين وكفى الله المؤمنين القتال وخلق أوسنيان ومن معه بتهامة وخلق عينة بن بدر ومن معه بنجد ورجعت بنو قريظة فخصنوا في صياصيمهم ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى المدينة وأمر بقتية من أدم فضربت على سعد في المسجد قالت لجاج جبريل وان على ثناياها لوقع العيار فقال أو قد وضعت السلاح لا والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج الى بنى قريظة فقاتلهم فلبس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل ان يخرجوا والخاصرهم خمس وعشرين ليلة فلما شدد

الذين حق عليهم القول يعنى الشياطين والمردة والدعاة الى الكفر ربنا هؤلاء الذين أغويانا أغويانا هم كانوا ينادون ويغيبون فشهدوا عليهم انهم أغووهم فاتبعوهم ثم تبرأوا من عبادتهم كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكفرون عليهم ضدنا وقال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال الخليل عليه السلام لتقومه انما اتخذتم من دون الله آلهة أو ثامودة ينسكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا الآية وقال الله

تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب الى قوله وما هم بخارجين من النار ولهذا قال
وقيل ادعوا شركاءكم ليخلصوكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب أي وتيقنوا
انهم صابرون الى النار لا محالة وقوله لو انهم كانوا يهتدون أي فودوا حين عاينوا العذاب لو انهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا
وهذا كقوله تعالى ويوم يقول نادوا شركائهم الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم وبيننا وبينهم من النار فظنوا
انهم موافقوها ولم يجحدوا عنها صرفا (٢٦٨) وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين النداء الاول عن سؤال

التوحيد وهذا فيه اثبات النبوات
ماذا كان جوابكم للمرسلين اليكم
وكيف كان حالكم معهم وهذا كما
يستل العبد في قبره من ربك ومن
نيك وما دينك فاما المؤمن فيشهد
أنه لا اله الا الله وأن محمدا عبده
ورسوله وأما الكافر فيقول هاهنا
لا أدري ولهذا الاجواب له يوم
القيامة غير السكون لان من كان في
هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
وأضل سبيلا ولهذا قال تعالى
فعميت عليهم الانبياء يومئذ فهم
لا يتساءلون قال مجاهد عميت عليهم
الجميع فهم لا يتساءلون بالانساب
وقوله فاما من تاب وآمن وعمل صالحا
أي في الدنيا فعسى أن يكون من
المنجحين أي يوم القيامة وعسى من
الله موجبة فان هذا واقع بفضل الله
ومنته لا محالة (وربك يخلق ما يشاء
ويختار ما كان لهم الخير سبحان الله
وتعالى عما يشركون وربك يعلم
ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو
الله لا اله الا هو له الحمد في الأولى
والآخرة وله الحكم وانيه ترجعون)
يخبر تعالى انه المنفرد بالخلق
والاختيار وانه ليس له في ذلك منازع

حصرهم واشتد البلاء عليهم قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قالوا انزل على حكم سعد بن عباد فترلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى سعد
ابن عباد فأتى به على حمار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احكمم فيهم قال فأتى
أحكمم فيهم ان تغفل ما نلتهم ونسي ذرارهم وتقسم أمواهم فقال لقد حكمت فيهم
بحكم الله وحكم رسوله (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف الشديد حتى سلوا أنفسهم
للقتل وأولادهم ونساءهم للسي وهي معنى قوله (فريقا تقتلون) منهم (وتأسرون فريقا)
قري الفعلان بالتحية وبالنوقية فيهما على الخطاب وبالنوقية في الاول وبالتحية في
الثاني فالفريق الاول هم الرجال والفريق الثاني هم النساء والذرية والجملة مبينة ومقررة
لقذف الرعب في قلوبهم ووجه تقديم المفعول في الاول وتأخيرها في الثاني ان الرجال لما
كانوا أهل الشوكه وكان الواو اشد عليهم أشد الامرين وهو القتل كان الاهتمام بتقديم
ذكرهم أنسب بالمقام وقد اختلف في عدد المقتولين والمأسورين فقيل كان المقتولون
من ستائة الى سبعمائة وقيل ستائة وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة وقيل تسعمائة
وكان المأسورون سبعمائة وقيل سبعمائة وخمسين وقيل تسعمائة (وأورثكم ارضهم)
أي عقارهم ونخيلهم (وديارهم) أي منازلهم وحصونهم (وأموالهم) أي الخلي والاثاث
والمواشي والسلاح والدرهم والذئاب والنقود والامتعة (و) أورثكم (أرضالم تطوها)
بعد لقصص القتال واختلف المفسرون في تعيين هذه الارض المذكورة فقال يزيد بن
رومان وابن زيد ومقاتل انها خيبر ولم يكونوا اذ ذلك قد نالوها فوعدهم الله بها قال سليمان
الجلبي وأخذت بعد قريظة بستين أو ثلاث لان خيبر كانت في السابعة في الحرم وهي
مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير بينها وبين المدينة الشريفة
أربع مراحل انتهى لمخصو تمام هذه القصة في سيرة الحلبي وقال قتادة كاتحدث انها
مكة وقال الحسن فارس والروم وقال عكرمة هي كل أرض تفتح على المسلمين الى يوم
القيامة والمضي التحقق وقوعه وكان الله على كل شيء قديرا) أي هو سبحانه قدير على كل
ما أراده من خير وشر ونعمة ونقمة وعلى الخبايا ما وعد به من الفتح للمسلمين (يا أيها النبي قل
لازواجك) قيل هذه الآية متصلة بمعنى ما تقدمها من المنع من ايداء النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وكان قد تآذى ببعض الزوجات قال الواحدى قال المفسرون ان أزواج النبي

ولامعقب قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار أي ما يشاء فاشاءه كان وما لم يشأ لم يكن فالامور كلها خيرها
وشرها بيده ومرجعها اليه وقوله ما كان لهم الخير نبي على أصح القولين كقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله أمر أن يكون لهم الخير من أمرهم وقد اختار ابن جرير ان ما همنا بمعنى الذي تقديره ويختار الذي لهم فيه خيرة وقد
احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الاصح والعحيح أنما نافية كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره أيضا فان
المقام في بيان انفراد تعالى بالخلق والتقدير والاختيار وانه لا نظير له في ذلك ولهذا قال سبحانه الله وتعالى عما يشركون أي من

الاصنام والانداد التي لا تخلق ولا تختار شيئا ثم قال تعالى وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون اى يعلم ما تكن الضمائر وما تنطوى عليه السرائر كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق سواء منكم من امر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار بالنهار وقوله وهو الله لا اله الا هو اى هو المنفرد بالالهية فلا معبود سواه كالارباب يخلق ويختار سواه له الحمد فى الاولى والآخرة اى فى جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته وله الحكم اى الذى لا معقب له اقهره وعلبته وحكمته ورجته واليه ترجعون اى جميعكم يوم القيامة فيجزى كل عامل بعمله من خير (٢٦٩) وشرو ولا يخفى عليه منكم خافية فى سائر

الاعمال (قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من غير الله يا تيكم بضياء افلا تسبحون قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من غير الله يا تيكم ليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعالمكم تشكرون) يقول تعالى ممتنا على عبادنا بما نخر لهم من الليل والنهار اللذين لا قوام لهم بدونهما وبين انه لو جعل الليل دائما عليهم سرمدا الى يوم القيامة لاضر ذلك بهم واسأمتهم النفوس وانحصرت منه ولهذا قال تعالى من غير الله يا تيكم بضياء اى تبصرون به ونستأنسون بسببه افلا تسبحون ثم اخبر تعالى انه لو جعل النهار سرمدا اى دائما مستمرا الى يوم القيامة لاضر ذلك بهم ولتعبت الابدان وكنت من كثرة الحركات والاشغال ولهذا قال تعالى من غير الله يا تيكم ليل تسكنون فيه اى تستريحون من حركاتكم واشغالكم افلا تبصرون ومن رحمته اى بكم

صلى الله عليه وآله وسلم سألته شيئا من عرض الدنيا وطلب من الزيادة فى النفقة وآذنيه بغيره بعضهم على بعض فاى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شهره وانزل الله آية التخيير هذه وكن يومئذ تسعا عائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وسودة وهؤلاء من نساء قريش وصفية الخبيرية وميمونة الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وحويرية بنت الحارثة المصطلقية واختلف فى عدة أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم وترتيبهن وعددهن مات منهن قبله ومن مات هو عنهن ومن دخل بها ومن لم يدخل بها ومن خطبها ولم ينكحها ومن عرضت نفسها عليه والمتفق على دخوله بهن احدى عشرة امرأة كذا فى المواهب وقد بسط الكلام عليهن فى المقصد الثانى منه جدا فارجع اليه ان شئت (ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزيوتن) اى سعتها ونضارتها ورفاهيتها وكثرة الاموال والتنعيم فيها (فتعالىن) اى اقبلن الى بارادتكين واختياركين لاحسد الامرين (أمتعنك) اى اعطىكن المتعة (وأسرحكن) اى اطلقكن قرأ الجمهور فى التعلين بالجزم جوابا للامر وقيل ان جزنهما على انهما جواب الشرط وعلى هذا يكون قوله فتعالىن اعتراضا بين الشرط والجزاء وقرئ بالرفع فيهما على الاستئناف (سرا حجيلا) المراد به هو الواقع من غير ضرار على مقتضى السنة (وان كنتن تردن الله ورسوله) اى تردن رسوله وذكر الله لا يذنب لجلالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عنده تعالى (والدار الآخرة) اى الجنة ونعيمها فان الله أعد للمحسنات منكن اى اللاتي علمن عملا صالحا (أجر اعظيما) لا يمكن وصفه ولا يقادر قدره وذلك بسبب احسانهن وبمقابلته صالح عملهن وقد اختلف العلماء فى كيفية تخيير النبي صلى الله عليه وآله وسلم أزواجه على قولين الاول انه خيرهن باذن الله فى البقاء على الزوجية أو الطلاق فاخترن البقاء وبهذا قالت عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبي والزهرى وربيعة والثاني انه انما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن وبين الآخرة فيسكنهن ولم يخيرهن فى الطلاق وبهذا قال على والحسن وقتاد والراجح الاول واختلافه وايضا فى التخيير اذا اختارت زوجها هل يحسب مجرد ذلك التخيير على الزوج طلاقه أم لا فذهب الجمهور من السلف والخلف الى انه لا يكون التخيير مع اختيار المرأة لزوجها طلاقا ولا واحدة ولا أكثر وقال على وزيد بن ثابت ان اختارت زوجها فواحدة بآئنة وبه قال الحسن والبدث وحكامه الخطابي والنقاش عن مالك والراجح الاول الحديث عائشة الثابت فى الصحيحين قالت خيرنا

جعل لكم الليل والنهار اى خلق هذا وهذا لتسكنوا فيه اى فى الليل ولتبتغوا من فضله اى فى النهار بالاسفار والترحال والحركات والاشغال وهذا من باب الف والنشر وقوله وله لكم تشكرون اى تشكرون الله بانواع العبادات فى الليل والنهار ومن فانهشئ بالليل استدركه بالنهار او بالنهار استدركه بالليل كما قال تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه لمن اراد ان يذكر أو اراد شكورا والآيات فى هذا كثيرة (ويوم يناديهم) فيقول أين شركائ الذين كنتم تزعمون وزرعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعملوا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون) وهذا أيضا ناداء ثان على سبيل التوبيخ والتقريع لمن عبد مع الله الها آخر يناديهم

الرب تعالى على رؤس الأشهاد فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون أي في دار الدنيا وزرعنا من كل أمة ثم يسد أقوال مجاهد يعني رسولنا فلنأمرنا أو أبرهانكم أي على صحة ما دعيتهم من أن الله شر كما فعلوا إن الحق لله أي لا غيره فلم ينطقوا ولا يجير وأجوابا وضل عنهم ما كانوا يفترون أي ذهبوا فلم ينفعوهم (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تبغ الله لئلا يعذب القرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ (٢٧٠) الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) قال الاعمش عن المنهال

ابن عمر وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال إن قارون كان من قوم موسى قال كل ابن عمه وهكذا قال إبراهيم النخعي وعبد الله بن الحرث ابن نوفل وسماك بن حرب وقتادة ومالك بن دينار وابن جرير وغيرهم أنه كان ابن عم موسى عليه السلام قال ابن جرير هو قارون بن يعمر ابن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث وزعم محمد بن إسحاق بن يسار إن قارون كان عم موسى بن عمران عليه السلام قال ابن جرير وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه والله أعلم وقال قتادة بن دعامة كذا حدث أنه كان ابن عم موسى وكان يسمى المنور لحسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافع كما نافع السامري فاهلكه البغي لكثرة ماله وقال شهر بن حوشب زادني ثيابه شبرا طولا ترفع على قومه وقوله وآتيناه من الكنوز أي الأموال ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة أي ليثقل حملها الفقام من الناس لكثرة ما قال الاعمش عن خيمة كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود كل مفتاح مثل الأصبع كل مفتاح على خزانة

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخترناه فلم يعدده مطلقا ولا وجهه لجعل مجرد التخيير طلاقا ودعوى أنه كآية من كآيات الطلاق مدفوعة بان الخيير لم يرد الفرقة بمجرد التخيير بل أراد تفويض المرأة وجعل أمرها بيدها فإن اختارت البقاء بقيت على ما كانت عليه من الزوجية وإن اختارت الفرقة صارت مطلقة واختلقت في اختيارها لنفسها هل يكون ذلك مطلقة رجعية أو بائنة فقال بالاول عمر وابن مسعود وابن عباس وابن أبي ليلى والثوري والشافعي وقال بالثاني علي وأبو حنيفة وأصحابه وروى عن مالك والراجح الاول لأنه يعد كل البعدان يطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نساءه على خلاف ما أمره الله به وقد أمره بقوله إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى عن زيد بن ثابت أنها إذا اختارت نفسها فثلاث طلقات وليس لهذا القول وجه وقد روى عن علي أنها إذا اختارت نفسها فليس بشئ وإذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وقد أخرج أحمد ومسلم والنسائي وابن مردويه عن جابر قال أقبل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس يباه جلوس والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس فلم يؤذن له ثم أقبل عمر فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لابي بكر وعمر فدخلوا والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس وحوله نساؤه وهو ساكت فقال عمر لا تكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعله يضحك فقال عمر يا رسول الله لو رأيت ابنة زيدا مرأة عمر سألتني النفقة آتفا فوجأت في عنقه فاضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه وقال هن حولي يسألنني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان تسألان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلن نساؤه والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا المجلس ما ليس عنده وأنزل الله الخيار فبدأ بعائشة فقالت إنى ذلك أم أمر ما أحب أن تعجبني فيسه حتى تستأمرى أبويك قالت ما هو فتلا عليهم آياتها النبي قل لا زواجك الآية قالت عائشة أفيتأستأمر أبوي بل أختار الله ورسوله وأسألك أن لا تذكر نسائك ما اخترت فقال إن الله لم يعنى متعنتا وإنما يعنى معلما ليسر الانسألنى امرأة ممن عنما اخترت إلا أخبرتها وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه قالت فبدأت فبدأت فقال إنى ذلك أم أمر أفلا عليك

على حدته فاذا ركب حملت عنى ستين بغلا أغر محجلا وقيل غير ذلك والله أعلم وقوله إذ قال له قومه لا تبغ إن الله

لا يحب الفرحين أي وعظمه فيما هو فيه صالحو قومه فقالوا على سبيل النصيح والارشاد لا تبغ بما أنت فيه يعنون لا تبغ بما أنت فيه من المال إن الله لا يحب الفرحين قال ابن عباس يعني المرحين وقال مجاهد الأشرفين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم وقوله وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب اليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا

أى مما أباح الله فيهما من المأكل والمشرب والملابس والمساكن والمنالكه فان لم يك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولاهلك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً فأت كل ذى حق حقه وأحسن كما أحسن الله اليك أى احسن الى خلقه كما أحسن هو اليك ولا تبغ الفساد في الارض أى لا تكن همتك بما أنت فيه أن نفسك في الارض وتسي الى خلق الله ان الله لا يحب المفسدين (قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر رجوعاً ولا يبطل عن ذنوبهم المجرمون) يقول تعالى مخبراً عن جواب فارون لقومه حين نصحوه وأرشدوه (٢٧١) الى الخبير قال انما أوتيته على علم عندي

أى أنا لا أفقه قرأ الى ماتقولون فان الله تعالى انما أعطاني هذا المال لعله بانى أستحقه ولحبهته لى فتقديره انما أعطيته لعلم الله فى آنى أهل له وهذا كقوله تعالى واذا من الانسان ضر دعانا ثم اذا حولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم أى على علم من الله بى وكقوله تعالى ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى أى هذا أستحقه وقد روى عن بعضهم أنه أراد انما أوتيته على علم عندي أى أنه كان يعانى علم الكيمياء وهذا القول ضعيف لان علم الكيمياء فى نفسه علم باطل لان قلب الاعيان لا يقدر احد عليها الا الله عز وجل قال الله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة وهذا ورد فى المصورين الذين يشبهون بخلق الله فى مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل فكيف بمن يدعى أنه

ان لا تستعجلى حتى تستأمرى أبو بك وقد علم ان أبوى لم يكونا بأمرانى بفرأه فقال ان الله قال يا أيها النبي قل لازواجك الى تمام الآية فقلت فى أى هذا أستأمر أبوى فأنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفعل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما فعلت ثم لما اختار نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياه أنزل فىهن هذه الآيات تكرمة لهن وتعظيماً لهن فقال (بانساء النبي من يأت منسكناً) من بيانية لانهن كلهن محسنات (بفاحشة) أى معصية (مبينتة) أى ظاهرة التبج واضحة الفعش وقد عصههن الله عن ذلك وبرأهن وطهرهن فهو كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن علك وقيل المراد بانفاحشة التشوز وسوء الخلق وقال قوم الفاحشة اذا وردت معرفة فهى الزنا واللواط واذا وردت منكورة فهى سائر المعاصى واذا وردت منهوتة فهى عقود الزوج وفساد عشرته وقالت فرقة قوله هذا يجمع جميع المعاصى وكذلك الفاحشة كيف وردت (بضعافها العذاب ضعفين) أى يعذبهن الله مثل عذاب غيرهن من النساء اذا أتين بمثل تلك الفاحشة وذلك لشرفهن وعاود رجتهن وارتفاع منزلتهن ولان ما قبح من سائر النساء كان منهن أقبح فزيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولذا كان الذم للعاصى العالم أشد من العاصى الجاهل لان المعصية من العالم أقبح ولذا فضل حد الاحرار على العبيد وقد ثبت فى هذه الشريعة فى غير موضع ان تضاعف الشرف وارتفاع الدرجات يوجب لصاحبه اذا عصى تضاعف العقوبات وقرئ يضاعف على البناء للمفعول وقرئ أبو عمرو وأبو عبيد بين يضاعف ويضعف فقال لا يكون يضاعف ثلاثة عذابات ويضعف عذابين قال التماس هذه التفرقة التى جاها ليعرفها أحد من أهل اللغة والمعنى فى يضاعف ويضعف واحداً أى يجعل ضعفين وهكذا ضعف ما قاله ابن جرير قال قوم لو قدر الله الزمان واحداً وقد أعادهن الله عن ذلك لكانت تحدد حدين لعظم قدرهما كما زاد حد الحررة على الامة والعذاب بمعنى الحد قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وعلى هذا فعنى الضعفين معنى المثلين أو المرتين وقال مقاتل هذا التضعيف فى العذاب انما هو فى الآخرة كما ان ايتاء الجرمين فى الآخرة وهذا احسن لان نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأتين بفاحشة توجب حداً وقد قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وانما خاتماً

يحيل ماهية هذه الذات الى ماهية ذات أخرى هذا زور ومحال وجهل وضلال وانما يقدر على الصبغ فى الصورة الظاهرة وهى كذب وزغل وتويه وتور ويحج أنه صحيح فى نفس الامر وليس كذلك قطعاً الاحتمال ولم يثبت بطريق شرعى أنه صح مع أحد من الناس من هذه الطريفة التى يعانها هؤلاء الجهلة النفسقة الا فاكون فاما ما يجرب به الله سبحانه من خرق العوائد على يدى بعض الاولياء من قلب بعض الاعيان ذهاباً وفضة أو نحو ذلك فهذا امر لا ينكره مسلم ولا يردّه مؤمن ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات وانما هذا عن مشيئة رب الارض والسماوات واختياره وفعله كما روى عن جيموه بن شريح المصرى رحمه الله أنه سأل سائل فلم يكن عنده

ما يعطيه ورأى ضرورته فاخذ حصاة من الارض فاجالها في كفه ثم القاها الى ذلك السائل فاذا هي ذهب أجرو الا حادث
والا تبار في هذا كثيرة جدا يطول ذكرها وقال بعضهم ان قارون كان يعرف الاسم الاعظم فدعا الله به فتقول بسببه والصحيح المعنى
الاول ولهذا قال الله تعالى راداعليه فيما ادعاه من اعتناء الله به فيما أعطاه من المال أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون
من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا أي قد كان من هو أكثر منه مالا وما كان ذلك عن محبة مناله وذئله كما بهم الله مع ذلك بكفرهم
وعدم شكرهم ولهذا قال ولا يستل (٢٧٢) عن ذنوبهم المجرمون أي الكثرة ذنوبهم قال قتادة على علم عندي على

خير عندي وقال السدي على علم
اني اهل لذلك وقد اجد في تفسير
هذه الآية الامام عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم فانه قال في قوله قال انما
أوتيته على علم عندي قال لولا لرضا
الله عني ومعرفة به فضل ما اعطاني
هذا المال وقرأ أولم يعلم أن الله قد
أهلك من قبله من القرون من هو
أشد منه قوة وأكثر جمعا الآية
(نخرج على قومه في زينته قال الذين
يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل
ما أوتى قارون انذو حظ عظيم
وقال الذين أوثوا العلم ويلكم ثواب
الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا
يلقاها الا الصابرون) يقول تعالى
مخبر عن قارون انه خرج ذات يوم
على قومه في زينته عظيمة وتجمل
باهر من حراكب وملابس عليه
وعلى خدمه وحشمه فلما رآه من
يريد الحياة الدنيا وعييل الى زخارفها
وزينتها تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي
أعطى قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتى
قارون انه لنذو حظ عظيم أي ذو حظ
وافر من الدنيا فلما سمع مقالتهم أهل
العلم النافع قالوا لهم ويلكم ثواب
الله خير لمن آمن وعمل صالحا أي

في الايمان والطاعة وقال بعض المفسرين العذاب الذي توعدن به ضعفين هو عذاب
الدنيا وعذاب الآخرة وكذلك الاجر قال ابن عطية - وهذا ضعيف اللهم الا ان تكون
أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ترفع عنهن حدود الدنيا عذاب الآخرة على ما هو
حال الناس عليه بحكم حديث عبادة بن الصامت وهذا أمر لم يرد في أزواج النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ولا حظ تقريره (وكان ذلك) أي تضعيف العذاب (على الله يسيرا) هينا
لا يتعاضمه ولا يصعب عليه فليس كونهن تحت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكونهن
جاملات شريكات مما يدفع العذاب عنكن وليس أمر الله كما مر الخلق حتى يتعذر عليه
تعذيب الاعزة بسبب كثرة أوليائهن وأخوانهن أو شفعائهن وأخوانهن (ومن يقنت)
قرى بالتحسية وكذا آيات منكن جمالا على لفظ من في الموضوعين وقرى بالفوقية جمالا على
المعنى والقنوت الطاعة أي يطع (منسكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتيه أجرها مرتين)
يعني انه يكون لهن من الاجر على الطاعة مثلا ما يستحقه غيرهن من النساء اذا فعلن تلك
الطاعة وفي هذا دليل قوي على ان معنى يضاعف لها العذاب ضعفين أنه يكون العذاب
مرتين لثلاث لان المراد اظهر اشرفهن ومرتين في الطاعة والمعصية يكون حسنتين
كحسنتين وسينتين كسنتين ولو كانت كثلث سيات لم يناسب ذلك كون حسنتين
كحسنتين فان الله أعادل من أن يضاعف العقوبة عليهن بضاعفة تزيد على مضاعفة
أجرهن قيل الحسنة بعشرين حسنة وتضعف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن
اشرف نساء العالمين (وأعتمدناها) زيادة على الاجر مرتين (رزقا كريما) جليل القدر قال
المفسرون هو نعيم الجنة حتى ذلك عنهم النحاس ثم اظهر سبحانه فضيلتهن على سائر
النساء تصر بحاقفال (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) قال الزجاج لم يقل كواحدة
من النساء لان أحد دل لفظ عام للمذكور والمؤنث والواحد والجماعة وقد يقال على ما ليس
بأدنى كما يقال ليس فيها أحد لاشارة ولا بعير والمعنى لستن بجماعة واحدة من جماعات
النساء في الفضل والشرف قال ابن عباس يريد ليس قدر كن عندي مثل قدر غيركن من
النساء الصالحات أنتن أكرم على وثوابكن أعظم لدي ثم قيل - هذا الشرف العظيم بقيد
فقال (ان اتقين) الله فأطعنه فان الاكرم عند الله هو الاتقي فين سبحانه أن هذه
الفضيلة لهن انما تكون بلا زمتهن للتقوى لا مجرد اتصاهاهن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم

جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون وقوله ولا يلقاها الا الصابرون قال السدي وقد

ولا يلقى الجنة الا الصابرون كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوثوا العلم قال ابن جرير ولا يلقى هذه الكرامة الا الصابرون عن محبة
الدنيا راغبون في الدار الآخرة وكأنه جعل ذلك مقطوعا من كلام أولئك وجعله من كلام الله عز وجل واخباره بذلك (نفسه نابه
وبداره الارض فما كان له من فئمة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن
انه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا ان من الله علينا لحسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) لما ذكر تعالى احتمال

قارون في زينته وخرقه على قومه وبغية عليهم عقب ذلك بأنه خسف به وبادره الارض كما ثبت في الصحيح عند البخاري من حديث الزهري عن سالم أن أباه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يجر زاراه اذ خسف به فهو يتجمل في الارض الى يوم القيامة ثم رواه من حديث جرير بن زيد عن سالم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وقال الامام أحمد حدثنا النضر بن اسمعيل أبو المغيرة القاص حدثنا الاعشى عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل من كان قبلكم خرج في بردين أحصرين يمتثال فيهما أمر الله الارض (٢٧٣) فاخذته فانه ليتجمل فيها الى يوم القيامة

تفرده أجدوا سناده حسن وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خزيمة حدثنا يعلى بن منصور أخبرني محمد بن مسلم سمعت زياد الغيري يحدث عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل من كان قبلكم خرج في بردين فاختلف فيهما فامر الله الارض فاخذته فهو يتجمل فيها الى يوم القيامة وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الشكري في كتاب العجائب الغريبة بسنده عن نوفل بن ماحق قال رأيت شابا في مسجد فخران جعلت أنظر اليه وأنجب من طوله وتماه وجهه فقال مالك تنظر الى فقلت أعجب من جالك وكالك فقال ان الله ليحجب منى قال فزال ينقص وينقص حتى صار بطول الشبر فاخذ بعض قرابته في كفه وذهب به وقد ذكر أن هلاك قارون كان من دعوة موسى نبي الله عليه السلام واختلف في سببه فعن ابن عباس والسدي ان قارون أعطى امرأة بغيا ما اعلى ان تهت موسى بحضرة الملا من بني اسرائيل وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب الله تعالى

وقد وقعت منهن والله الحمد التقوى البينة والايان الخالص والمشى على طريقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد مماته وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أى ان اتقيتين فلستين كما حد من النساء وقيل ان جوابه قوله (فلا تخضعن بالقول) والاول اولى والمعنى لاتن القول عند مخاطبة الناس كما تفعله المريبات من النساء ولا ترققن الكلام قال ابن عباس يقول لا ترخصن بالقول ولا تخضعن بالكلام وعنه قال مقارنة الرجال بالقول فانه يسبب عن ذلك مفسدة عظيمة وهى قوله (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى بخور وشهوة أو شك وريبة أو نفاق والمعنى لا تقنن قولاً لا يجيد المناقاة والفاجر به سيلا الى الطمع فيكن والمرأة سندوبة الى الغلظة فى المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن (وقلن قولاً معروفًا) عند الناس أى حسنام كونه خشنا بعيدا من الريبة على سنن الشرع لا ينكر منه سامعه شيئا ولا يطمع فيمكن أهل الفسق والنجور بسببه أو قولاً يوجهه الاسلام والدين عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى والاول اولى (وقرن فى بيوتكن) قرأ الجهور بكسر القاف من وقريته وقرارا أى سكن والامر منه قر بكسر القاف وللنساء قرن مثل عدن وزن وقال المبرد هو من القرار لامن الوقار تقول قررت بالمكان بفتح الراء او الاصل اقررن بكسر الراء خذفت الراء الاولى تخفيفا كما قالوا فى ظلت ظلمت ونقلوا حركتها الى القاف واستغنى عن ألف الوصل بضميرك القاف وقال أبو يعلى الفارسي أبدت الراء الاولى ياء كراهة التضعيف كما أبدت فى قيراط ودينار وصارت الياء حركة الحرف الذى أبدت منه والتقدير اقررن ثم تلى حركة الياء على القاف كراهة تحريك الياء بالكسر فتسقط الياء لاجتماع الساكنين وتسقط همزة الوصل تحريك ما بعدها فيصير قرن وقرى بفتح القاف وأصله قررت بالمكان اذا أقت فيه بكسر الراء اقر بفتح القاف كحمداً يحمده وهى لغة أهل الحجاز ذلك أبو يعلى عن الكسائي وذكرها الزجاج وغيره قال الفراء هو كما تقول هل حسنت صاحبك أى هل أحسنته قال أبو يعلى كان اشياخنا من أهل العربية ينكرون القراءة بالفتح للقاف وذلك لان قررت بالمكان أقر لا يجوز كثير من أهل العربية والصحيح قررت أقر بالكسر ومعنى الآية الامر لهم بالتوقر والسكون فى بيوتهم وان لا يخرجن وهذا يخالف ما ذكرناه من الكسائي وهو من أجل مشايخه وقد وافقه على الانكار لهذه

(٣٥ - فتح البيان سابع) فتقول يا موسى انك فعلت بى كذا وكذا فلما قالت ذلك فى الملا موسى عليه السلام أرعد من الفرق وأقبل عليه بعد ما صلى ركعتين ثم قال أنشدك بالله الذى فرق البحر وأنجاكم من فرعون وفعل كذا وكذا لما أخبرتنى بالذى جعلت على ما قلت فقالت اما ان انا انشدتنى فان قارون أعطاني كذا وكذا على ان أقول ذلك لك وانا استغفرت الله وأتوب اليه فعند ذلك خر موسى لله عز وجل ساجدا وسأل الله فى قارون فاوحى الله اليه ان قد أمرت الارض ان تطيعك فيه فامر موسى الارض ان تبتهلعه واداره فكان ذلك وقيل ان قارون لما خرج على قومه فى زينته تلك وهو راكب على البغال الشهب وعليه خدمه

التياب الارجوان الصبغة قر في حقه ذلك على مجلس نبي الله موسى عليه السلام وهو يذكرهم بياوم الله فلما رأى الناس قارون انصرف وجوههم نحوهم ينظرون الى ما هو فيه فدعا موسى عليه السلام وقال ما جئت على ما صنعت فقال يا موسى امان كنت فضلت على بالنبوة فلقد فضلت عليك بالدنيا وان شئت لنخرجن فلقد دعون على وادعوك فخرج موسى وخرج قارون في قومه فقال موسى عليه السلام تدعوا وادعوا فقال بل ادعوا فادعوا قارون فلم يجبه ثم قال موسى ادعوا قال نعم فقال موسى اللهم هرا الارض ان تطيعني اليوم فارحى الله اليه (٢٧٤) انى قد فعلت فقال موسى يا ارض خذهم فاخذتهم الى اقدامهم ثم قال

خذهم فاخذتهم الى ركبهم ثم الى منا كبهم ثم قال اقبلي بكنوزهم واموالهم قال فاقبلت بهم احثى نظروا اليها ثم اشار موسى بيده ثم قال اذهبوا بنى لاوى فاستوت بهم - م الارض وعن ابن عباس قال خسف بهم الى الارض السابعة وقال قتادة ذكر لنا انه يخسف بهم كل يوم قامة فهم يتجلجلون فيها الى يوم القيامة وقد ذكرهنا اسرائيليات اضر بنا عنها صفحا وقوله تعالى فا كان له من فتنة ينصره ومن دون الله وما كان من المنتصرين اى ما اغنى عنه ماله وما جمعه ولا خدمه وحشمه ولا دفعوا عنه نعمة الله وعذابه ونكاله ولا كان هو في نفسه منتصر لنفسه فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره وقوله تعالى واصبح الذين غنوا مكانه بالامس اى الذين لما رأوه في زينته قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون اندادو حفظ عظيم فلما خسف به اصحوا يقولون ويكان الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اى ليس المال بدل على رضى الله عن صاحبه فان الله يعطى ويمسح

القراءة ابو حاتم فقال ان قرن بنسخ القاف لامذهب له في كلام العرب قال النحاس قد خواف ابو حاتم في قوله انه لامذهب له في كلام العرب بل فيه مذهبان احدهما حكاة الكسائي والاخر عن علي بن سليمان فاما المذهب الذى حكاه الكسائي فهو ما قدمناه من رواية ابي عبيدة عنه واما المذهب الذى حكاه علي بن سليمان فقال انه من قررت به عيننا اقر وقيل المعنى واقررت به عيننا في يوتكن قال النحاس وهو وجه حسن واقول ليس بحسن ولا هو معنى الآية فان المراد بها امرهن بالسكون والاستقرار في بيوتهن وليس من قره العين اى الزمن يوتكن عن محمد بن سيرين قال ثبت انه قيل لسودة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم مالك لا تجمين ولا تعتمرين كما فعل اخواتك فقالت قد حجبت واعمرت وامرني الله ان افرق بيني فوالله لا اخرج من بيتي حتى اموت قال فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى اخرجت بجنازتها (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى) التبرج ان تبدى المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما تستدعى به شهوة الرجل وقد تقدم معنى التبرج في سورة النور قال المبرد هو ما خوذ من السعة يقال في اسنانه تبرج اذا كانت متفرقة والمعنى اظهار الزينة وابرار المحاسن للرجال وقيل التبرج هو التنجيح والتبختر والتكسر في المشى وهذا ضعيف جدا والاول اولى وقد اختلف في المراد بالجاهلية الاولى فقيل ما بين آدم ونوح او زمن داود وسليمان وقيل ما بين نوح وادريس قاله ابن عباس وكانت افسنة وقيل ما بين نوح وابراهيم وقيل ما بين موسى وعيسى او ما بين عيسى ومحمد قاله ابن عباس وقيل ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يتبعون مثل فعلهم في آخر الزمان او الاولى جاهلية الكفر والاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام وقد بين حكمها في قوله تعالى ولا يبدن زينتهن الخ وقيل تذكر الاولى وان لم تكن لها اخرى وقال المبرد الجاهلية الاولى كما تقول الجاهلية الجهلاء قال وكان نساء الجاهلية يظهرن ما يبيح اظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخليتها فينتقد خليتها بما فوق الازار الى اعلى ويتفرد زوجها بما دون الازار الى اسفل وربما سأل احدهما صاحبه البدل قال ابن عطية والذي يظهر لي انه اشار الى الجاهلية التي لحقتها وادركها فامرنا بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لانهم كانوا اغيرة عندهم فكان امر النساء دون حجة وجعلها اولى بالنسبة الى ما كن عليه

ويضيق ويوسع ويخفف ويرفع وله الحكمة التامة والسجدة البالغة وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن ليس مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم وان الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الايمان الا لمن يحب لولا ان من الله علينا الخسف بنا اى لولا لطف الله بنا واحسانه لنا الخسف بنا كما خسف به لانا وودنا ان نكون مثله ويكانه لا يفلح الكافرون يعنون انه كان كافرا ولا يفلح الكافر في الدنيا ولا في الآخرة وقد اختلف النحاة في معنى قوله ههنا ويكان فقال بعضهم معناه ويكان اعلم ان ولكن خفنت فقيل ويك ودل فتح ان على حذف اعلم وهذا القول ضعفه ابن جرير

والظاهر انه قوى ولا يشك على ذلك الا كتابها في المصاحف متصلة ويكأن والكتابة أمر وضعي اصطلاحى والمرجع الى اللفظ العربي والله أعلم وقيل معناها ويكأن أى ألم تر أن قاله قتادة وقيل معناها وى كأن ففصلها وجعل حرف وى للتعجب أو التنبيه وكان بمعنى أظن واحتسب قال ابن جرير وأقوى الأقوال فى هذا قول قتادة انها بمعنى ألم تر أن واستشهد بقول الشاعر

سالتنى الطلاقان رأيتانى * قل مالى قد جئتمانى بنكر
ويكأن من يكن له نسب يحسب ومن يفتر يعش عيش ضر
(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا) (٢٧٥) والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة

فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون) يخبر تعالى ان الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذى لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوا فى الأرض أى ترفعوا على خلق الله وتعاطوا عليهم وتجبرواهم ولا فسادا فيهم كما قال عكرمة العلوات تجبر وقال سعيد بن جبيرة العلواتبغى وقال سفيان بن سعيد الثورى عن منصور عن مسلم البطين العلوفى الأرض التكبر بغير حق والفساد أخذ المال بغير حق وقال ابن جرير لا يريدون علوا فى الأرض تعظما وتجبيرا ولا فسادا عملا بالمعاصى وقال ابن جرير حدثنا وكيع حدثنا أبى عن أشعث السمان عن أبى سلام الأعرج عن على قال ان الرجل ليحبه من شرك نعله ان يكون أجود من شرك نعل صاحبه فيدخل فى قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر على غيره وأما إذا أحب

وليس المعنى ان ثم جاهلية أخرى كذا قال وهو قول حسن ويمكن ان يراد بالجاهلية الأخرى ما يقع فى الاسلام من التشبه باهل الجاهلية بقول أو فعل فيكون المعنى ولا تبرحن أيها المسلمات بعد اسلامكن تبرجاً مثل تبرج أهل الجاهلية التى كنتن عليها وكان عليهما من قبلكن أى لا تحذرن بأفعالكن وأقوالكن جاهلية تشابه الجاهلية التى كانت من قبل وعن عائشة قالت الجاهلية الأولى كانت على عهد ابراهيم كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتنشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وكانت عائشة اذا قرأت هذه الآية تنبكي حتى يبتل خنجرها رواه مسروق (وأقن الصلاة) الواجبة (وأتين الزكاة) المفروضة (وأطعن الله ورسوله) فيما أمر وفيما نهى وخص الصلاة والزكاة ثم عم قاهرهن بالطاعة لله ورسوله فى كل ما هو شرع لانهم أصل الطاعات البدنية والمالية ولان من واطب عليهم ما جرتاه الى ما وراءهما (انما يريد الله) أى انما أو صاكن الله بما أو صاكن من التقوى وان لا تخضعن بالتقول ومن قول المعروف والسكون فى البيوت وعدم التبرج وقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة (ليذهب عنكم الرجس) والمراد بالرجس الأثم والذنب المدنسان للاعراض الماصلان بسبب ترك ما أمر الله به وفعل ما نهى عنه فيدخل فى ذلك كل ما ليس فيه مرضا الله وقيل الرجس الشك وقيل السوء وقيل عمل الشيطان والعموم أولى (أهل البيت) نصبه على النداء والمدح (ويظهركم) من الأرجاس والادناس (تظهيراً) كاملا وفى استعارة الرجس للمعصية والترشيح لها بالتظهير تنفير عنها بليغ وزجر لفاعلها شديد وقد اختلف أهل العلم فى أهل البيت المذكورين فى الآية فقال ابن عباس وعكرمة وعطاء الكلبي ومقاتل وسعيد بن جبيرة ان أهل البيت المذكورين فى الآية هم زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة قالوا والمراد بالبيت بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومساكن زوجاته لقوله واذ كن ما تلى فى بيوتكن وأيضا السياق فى الزوجات من قوله يا أيها النبي قل لازواجك الى قوله لطيفا خبرا وقال أبو سعيد الخدرى ومجاهد وقتادة وروى عن الكلبي ان أهل البيت المذكورين فى الآية هم على وفاطمة والحسن والحسين خاصة ومن حججهم الخطاب فى الآية بما يصلح للذكور وللإناث وهو قوله عنكم وليظهركم ولو كان للنساء خاصة لقال عنكن وليظهركن وأجاب الأولون عن هذا بان التذكير باعتبار انظر الأهل كما قال سبحانه

ذلك لجرد التجميل فهذا الأبأس به فقد ثبت أن رجلا قال بارسول الله الى أحب ان يكون ردائى حسنا وعلى حسنة أفن الكبر ذلك فقال لان الله جميل يحب الجمال وقال تعالى من جاء بالحسنة أى يوم القيامة فله خير منها أى ثواب الله خير من حسنة العبد فكيف والله بضاعه أضعافا كثيرة وهذا مقام الفضل ثم قال ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون كما قال فى الآية الأخرى ومن جاء بالسيئة فكسبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون وهذا مقام الفضل والعدل (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين وما كنت ترجوان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك

فلا تكون ظهيرا للكافرين ولا يصعدك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكون من المشركين ولا تدع مع الله
 انها آخر لاله الا الله كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) يقول تعالى امر ارسوله صلوات الله وسلامه عليه بيلاغ
 الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ومخبره بانه سيرده الى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من اعباء النبوة ولهذا قال تعالى
 ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أي اقترض عليك اداءه الى الناس لرادك الى معاد أي الى يوم القيامة فيسألك عن
 ذلك كما قال تعالى فلنسألن الذين أرسل (٢٧٦) اليهم ولنسألن المرسلين وقال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا

أجبتهم وقال وبي بالنبين والشهداء
 وقال السدي عن أبي صالح عن ابن
 عباس ان الذي فرض عليك
 القرآن لرادك الى معاد يقول لرادك
 الى الجنة ثم سألناك عن القرآن قال
 السدي وقال أبو سعيد من لهما وقال
 الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن
 عباس رضي الله عنهما لرادك الى
 معاد قال الى يوم القيامة ورواه
 مالك عن الزهري وقال الثوري
 عن الاعمش عن سعيد بن جبيرة عن
 ابن عباس لرادك الى معاد الى الموت
 ولهذا طرق عن ابن عباس رضي
 الله عنهما ما وفي بعض ما لرادك الى
 معادك من الجنة وقال مجاهد يحميك
 يوم القيامة وكذا روى عن عكرمة
 وعطاء وسعيد بن جبيرة وأبي قزعة
 وأبي مالك وأبي صالح وقال الحسن
 البصري أي والله ان له معادا فيبعثه
 الله يوم القيامة ثم يدخله الجنة وقد
 روى عن ابن عباس غير ذلك كما قال
 البخاري في النفس من صحبه
 حدثنا محمد بن مقاتل أبا يعلى
 حدثنا سفيان العصري عن عكرمة
 عن ابن عباس لرادك الى معاد قال
 الى مكة وهكذا رواه النسائي في

أنه يجيب من أمر الله رجة الله وبركاهه عليكم أهل البيت كما يقول الرجل لصاحبه كيف
 أهلك يريد زوجته أو زوجته فيقول هم بخير ولذكريهن ما تمسك به كل فريق أما
 الأولون فتمسكوا بالسياق فانه في الزوحات كما ذكرنا وما أخرج ابن أبي حاتم وابن عساكر
 من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 خاصة وقال عكرمة من شاء باهلهته انها نزلت في أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 وروى هذا عنه بطرق وأما ما تمسك به الآخرون فأخرج الترمذي وصححه وابن جرير
 وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه من طرق عن أم سلمة قالت في
 بيتي نزلت انما يريد الله الآية وفي البيت فاطمة وعلى والحسن والحسين فإلهم رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس
 وطهرهم تطهيرا وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه
 عن أم سلمة أيضا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيته على منامة له عليه كساء
 خيمري فجاءت فاطمة بيرة فيها خيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادعي
 زوجك وابنيك حسنا وحسنا فدعتهم فيبيهاهم يأكون اذ نزلت على النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فاخذ النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم بفضله كسائه فغشاهم اياه ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها الى
 السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالها
 ثلاث مرات قالت أم سلمة فأدخلت رأسي في السترة فقلت يا رسول الله وأنا معكم فقال انك
 الى خير مرتين وأخرجه أحد أيضا من حديثها وفي اسناده مجهول وهو شيخ عطاء بن يقينة
 رجاله ثقات وقد أخرج الطبراني عنهم من طريقين بخوه وقد ذكر ابن كثير في تفسيره
 الحديث ام سلمة طرقا كثيرة في مسند احمد وغيره وأخرج ابن مردويه والخطيب من
 حديث أبي سعيد الخدري نحوه وأخرج الترمذي وابن جرير والطبراني وابن مردويه
 عن عمر بن أبي سلمة قريب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لما نزلت هذه الآية على النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وذكروا حديث ام سلمة وأخرج ابن أبي شيبة واحمد ومسلم
 وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة
 وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه ثم جاءت فاطمة

تفسير سننه وابن جرير من حديث يعلى وهو ابن عبيد الطنقسي به وهكذا روى العوفي عن ابن عباس لرادك
 الى معاد أي لرادك الى مكة كما أخرج منها وقال محمد بن اسحق عن مجاهد في قوله لرادك الى معاد الى مولدك بمكة وقال ابن أبي حاتم
 وقدر روى عن ابن عباس ويحيى بن الخراز وسعيد بن جبيرة وعطية والضحاك نحو ذلك وحدثنا أي حدثنا ابن أبي عمير قال قال سفيان
 فسمعت من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك قال لما خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة فبلغ الحنفية اشتاق الى مكة فانزل الله
 عليه ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد الى مكة وهذا من كلام الضحاك يقتضي ان هذه الآية مدنية وان كان مجموع

فادخلها

السورة ميكا والله أعلم وقد قال عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة في قوله تعالى لرادك الى معاد قال هذه مما كان ابن عباس يذمها
وقدرى ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القاري أنه قال في قوله لرادك الى معاد قال الى بيت المقدس وهذا والله أعلم يرجع الى قول
من فسر ذلك بيوم القيامة لان بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر والله الموفق للصواب ووجه الجمع بين هذه الأقوال ان ابن
عباس فسر ذلك تارة برجوعه الى مكة وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجل النبي صلى الله عليه وسلم كما فسر
ابن عباس سورة اذا جاء نصر الله والفتح الى آخر السورة انه أجل (٢٧٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي اليه وكان

ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ووافقه
عمر على ذلك وقال لأعلم منها غير
الذي تعلم ولهذا فسر ابن عباس
تارة أخرى قوله لرادك الى معاد
بالموت وتارة بيوم القيامة الذي هو
بعد الموت وتارة بالجنة التي هي
جزاؤه ومصيره على أداء رسالة الله
وابلاغها الى التقلين الجن والانس
ولانه اكمل خلق الله وأفصح خلق
الله وأشرف خلق الله على الاطلاق
وقوله تعالى ربي أعلم من جاء
بالهدى ومن هوى ضلال مبين أي
قل لمن خالفك وكذلك يا محمد من
قومك من المشركين ومن تبعهم
على كفرهم قل ربي أعلم
بالمهتدى منكم ومنى وستعملون لمن
تكون له عاقبة الدار ولان تكون
العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة
ثم قال تعالى مذكر النبيه نعمته
العظيمة عليه وعلى العباد اذا أرسله
اليهم وما كنت ترجوان يلقى اليك
الكتاب أي ما كنت تظن قبل انزال
الوحي اليك ان الوحي ينزل عليك
ولكن رحمة من ربك أي انما نزل
الوحي عليك من الله من رحمة بك
وبالعباد بسببنا فاذا منحك به هذه

فادخلها معه ثم جاء على فادخله معه ثم قال انما يريد الله الآية وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد
وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن واثله
ابن الاسقع قال جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى فاطمة ومعه علي وحسن وحسين
حتى دخل فادنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسنا كل واحد منهما
على فخذه ثم انما عليهم ثوبه وانا ما استدبرهم ثم تلا هذه الآية وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي
اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت يا رسول الله وأمان أهلك قال وأنت من
أهلي قال واثله انه لا رجي ما أرجوه وله طرق في مسند أحمد وأخرج ابن أبي شيبة
وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر باب فاطمة اذا خرج الى صلاة
الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ويطهركم
تطهيرا وأخرج مسلم عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذ كرمك
الله في اهل بيتي فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال نساؤه من اهل بيته
ولكن اهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس
وأخرج الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قسم الخلق قسمين جعلني في خيرهما قسمها
فذلك قوله واصحاب اليمين واصحاب الشمال فانما من اصحاب اليمين وانا خيرا واصحاب اليمين ثم
جعل القسمين اثلاثا جعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله واصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
والسابقون السابقون فانما من السابقين وانا خيرا السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل جعلني
في خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
وانا اتقى ولله آدموا كرمهم على الله ولا تخرفتم جعل القبائل بيوتنا جعلني في خيرها بيوتنا فذلك
قوله انما يريد الله اذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فانما اهل بيتي مطهرون
من الذنوب وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابي الحمراء قال رابت المدينة سبعة اشهر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اذا طلع النجرجاء الى باب علي وفاطمة فقال الصلاة الصلاة انما يريد الله الآية وفي اسناده
ابوداود الاعشى وهو وضع كذاب وفي الباب احاديث وآثار وقد ذكرنا ههنا ما يصلح

النعمة العظيمة فلا تكونن ظهيرا أي معينا للكافرين ولكن فارقههم وناذهم وخالفهم ولا يصدك عن آيات الله بعد اذا نزلت اليك
أي لا تتأثر لخالفهم لك وصدتهم الناس عن طريقك لا تلوى على ذلك ولا تباله فان الله معك وموئديك ومظهر ما أرسلت به
على سائر الاديان ولهذا قال وادع الى ربك أي الى بادية ربك وحده لا شريك له ولا تكونن من المشركين وقوله ولا تدع مع الله الها
آخر لاله الا هو أي لا تليق العبادة الا له ولا تنسبى الالهية الاعظمة وقوله كل شئ هالك الا وجهه اخبار اياته الدائم الباقي الحى
القيوم الذى وت الخلائق ولا يموت كما قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فعبه بالوجه عن الذات

وهكذا قوله ههنا كل شيء هالك الا وجهه أى الایاه وقد ثبت فى الصحیح من طریق أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق كلمة قالها الشاعر كلمة أبىد * الا كل شيء ما خلا الله باطل * وقال مجاهد والثورى فى قوله كل شيء هالك الا وجهه أى الاما ريديه وجهه وحكاه البخارى فى صحیحه كالمقرر له قال ابن جرير ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر استغفر الله ذنبنا استغفره * رب العباد اليه الوجه والعمل وهذا القول لا ينافى القول الاول فان هذا الخبر عن كل الاعمال بانها باطلة الا ما ارى يديه وجهه (٢٧٨) الله تعالى من الاعمال الصالحة المطابقة للشرعية والقول الاول

للمسكين دون ما لا يصلح وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين فجعلت هذه الآية شاملة للزوجات ولعلى وفاطمة والحسن والحسين اما الزوجات فلم يكونن المرادات فى سياق هذه الآيات كما قدمنا ولكونن السالكات فى بيوتهن صلى الله عليه وآله وسلم التنازلات فى منازله وبعض ذلك ما تقدم عن ابن عباس وغيره واما دخول على وفاطمة والحسن والحسين فلم يكونن قرابته واهل بيته فى النسب ويؤيد ذلك ما ذكرناه من الاحاديث المصرحة بانهم سبب النزول فى جعل الآية خاصة باحد الفريقين اعلم بعض ما يجب اعماله واهمل ما لا يجوز اهما له وقد رجع هذا القول جماعة من المحققين منهم القرطبي وابن كثير وغيرهما وقال جماعة هم شوهاشم واستدلوا بما تقدم من حديث ابن عباس وبقول زيد بن ارقم المتقدم حيث قال ولكن آله من حرم الصدقة بعده آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فهو لا ذهيبوا الى ان المراد بالبيت بيت النسب (واذ كرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) أى اذ كرن موضع النعمة اذ صيركن الله فى بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة اواذ كرنها وتفكرن فيها لتعظن بمواعظ الله اواذ كرنها للناس ليعظوا بها ويمتدوا بها اواذ كرنها بالتلاوة لها التحفظن لها ولا تتركن الاستكثار من التلاوة قال القرطبي قال أهل التأويل آيات الله هى القرآن والحكمة السنة وقال مقاتل المراد بالآيات والحكمة أمره ونهيته فى القرآن وقيل ان القرآن جامع بين كونه آيات بينات دالة على التوحيد وصدق النبوة وبين كونه حكمة مشتملة على فنون من العلوم والشرائع وقال قتادة فى الآية القرآن والسنة يمتن بذلك عليهن واخرج ابن سعد عن ابى امامة بن سهل فى الآية قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلى فى بيوت ازواجه النوافل بالليل والنهار (ان الله كان لطيفا) بأوليائه (خبيرا) بجميع خلقه وجميع ما يصدر منهم من خير وشر وطاعة ومعصية فهو يجازى المحسن باحسانه والمسي باسائه (ان المسلمين والملمات) بدأ سبحانه بكر الاسلام الذى هو مجرد الدخول فى الدين والاقباله مع العمل كما ثبت فى الحديث الصحیح ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما سأله جبريل عن الاسلام قال هو ان تشهد ان لا اله الا الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحتج البيت وتصوم رمضان ثم عطف على المسلمين والملمات تشريفا لهن بالذكور وهكذا فيما بعد ان كن داخلات فى لفظ المسلمين والمؤمنين ونحو ذلك والتدكير انما هو لتغليب الذكور على

مقتضاه ان كل الذوات فانية وزائلة الاذاته تعالى وقد سد فانه الاول الاخر الذى هو قبل كل شيء وبعد كل شيء قال أبو بكر عبد الله بن محمد ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكير والاعتبار حدثنا أحمد بن محمد بن أبى بكر حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا عمر بن سليم الباهلى حدثنا أبو الوليد قال كان ابن عمر اذا أراد ان يتباهى قلبه بأتى الخبرة فيقف على بابها فينادى بصوت حزين فيقول أين أهالك ثم يرجع الى نفسه فيقول كل شيء هالك الا وجهه وقوله له الحكم أى الملك والتصرف ولا معقب لحكمه واليه ترجعون أى يوم معادكم فيجزى بكم باعمالكم ان خير خير وان شرف شر آخر تفسير سورة القصص والله الجدد والمنه * تفسير سورة العنكبوت وهى مكية * (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم أ حسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يقضون ولقد قننا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات ان

يسبقونا ساء ما يحكمون) أما الالكلام على الحرف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة وقوله الاناث تعالى أ حسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يقضون استقبحوا انكار ومعناه ان الله سبحانه وتعالى لا بد ان يتبلى عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الايمان كما جاء فى الحديث الصحیح أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل يتبلى الرجل على حسب دينه فان كان فى دينه صلابة زيد له فى البلاء وهذه الآية كقوله أم حسبتم ان تتركوا وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ومثلها فى سورة براءة وقال فى البقرة أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم

الباساء والضراء ووزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب ولهذا قال ههنا ولقد فتنا الذين
من قبلهم فلم يعلمن الله الذين صدقوا ولم يعلمن الكاذبين أى الذين صدقوا في دعوى الايمان من هو كاذب في قوله ودعواه والله سبحانه
وتعالى يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة وبهذا يقول ابن عباس
وغیره في مثل قوله الا لنعلم الا ترى وذلك لان الرؤية انما تتعلق بالموجود والعلم أعم من الرؤية فانه يتعلق بالعدم والموجود وقوله
تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون (٢٧٩) أى لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الايمان

انهم يتخلصون من هذه الفتنة
والامتحان فان من رآهم من
العقوبة والذكال ما هو أعلظ من
هذا وأطم ولهذا قال أم حسب
الذين يعملون السيئات ان يسبقونا
أى يقولوننا ساء ما يحكمون أى
بئس ما نظنون (من كان يرحوا
لقاء الله فان أجل الله لات وهو
السميع العليم ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن
العالمين والذين آمنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم
ولنجزيهم أحسن الذين كانوا
يعملون) يقول تعالى من كان
يرجو لقاء الله أى في الدار الآخرة
وعمل الصالحات ورجا ما عند الله
من الثواب الجزيل فان الله سيعقق
له رجاؤه ويوفيه عمله كاملا موفرا
فان ذلك كائن لا محالة لانه سميع
الدعاء بصير بكل الكائنات ولهذا
قال تعالى من كان يرجو لقاء الله
فان أجل الله لات وهو السميع
العليم وقوله تعالى ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه كقوله تعالى من عمل
صالحا فلننفسه أى من عمل صالحا فانما
يعود نفع عمله على نفسه فان الله

الاناث كما في جميع ما ورد في الكتاب العزيز من ذلك ثم ذكر (المؤمنين والمؤمنات) وهم
من يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره كما ثبت ذلك في الصحيح عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم (والقاتين والقاتات) القات المطيع العابد وكذا القاتة
وقيل المداومين على العبادة والطاعة (والصادقين والصادقات) هما من يتكلم بالصدق
ويتجنب الكذب وينفي بما عهد عليه (والصابرين والصابرات) هما من يصبر عن
الشهوات وعلى مشاق التكليف (والخاشعين والخاشعات) أى المتواضعين لله الخاشعين منه
الخاصين في عبادتهم لله (والمتصدقين والمتصدقات) هما من تصدق من ماله بما وجبه
الله عليه وقيل ذلك اعم من صدقة الفرض والنفل (والصائمين والصائمات) قيل ذلك
مختص بالفرض وقيل هو اعم (والحافظين فروجهم والحافظات) فروجهن عن الحرام
بالتعفف والتزوي والقتصار على الحلال (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) الله كثيرا هما
من يذكر الله على جميع احواله وفي ذكر الكثرة دليل على مشروعية الاستكثار من ذكر
الله سبحانه بالقلب واللسان والخبر لجميع ما تقدم هو قوله (أعد الله لهم مغفرة) لنفوسهم
التي اذنبوها (واجرا عظيما) على طاعتهم التي فعلوها من الاسلام والايمان والقنوت
والصدق والصبر والخشوع والتصدق والعفاف والذكر ووصف الاجر بالعظيم
للدلالة على انه بالغ غاية المبالغ ولا شئ اعظم من اجره والجنة ونعيمها الدائم الذي لا ينقطع
ولا ينفد اللهم اغفر ذنوبنا واعظم اجرنا وقد اخرج احمد والنسائي وابن جرير وابن
المنذر والطبراني وابن مردويه عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله فقال لا نذكر في القرآن
كما تذكروا الرجال فلم يرعنى منه ذات يوم الا نداءه على المنبر وهو يقول ان الله يقول ان
المسلمين والمسلمات الآيات واخرج عبد بن حميد والترمذي وحسنه والطبراني عن ام
عمارة الانصارية انها اتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت ما ارى كل شئ الا للرجال
وما ارى النساء يذكرن بشئ فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس قال قالت النساء يا رسول
الله ما بال يذكركم المؤمنون ولا يذكركم المؤمنات فنزلت هذه الآية اخرج الطبراني وابن جرير
وابن مردويه باسناد قال السيوطي حسن (وما كان) أى ماصح ولا استقام (لؤمن
ولأؤمننة اذا تضى الله ورسوله امر ان يكون لهم الخيرة من أمرهم) قال القرطبي
لنظ ما كان وما ينبغي ونحوهما معناها الحظر والمنع من الشئ والخبار بانه لا يحل شرعا

تعالى غنى عن أعمال العباد ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئا ولهذا قال تعالى ومن جاهد فانما يجاهد
لنفسه ان الله لغنى عن العالمين قال الحسن البصرى ان الرجل ليجاهد وما ضرب يوما من الدهر بسيف ثم أخبر تعالى أنه مع غناه
عن الخلائق جميعهم من بره واحسانه بهم يجازى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء وهو انه يكفر عنهم أسوأ الذى عملوا
ويجزىهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون فيقبل القليل من الحسنات و يشيب عليها الواحدة بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف
ويجزى على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح كما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا

عظيما وقال ههنا والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون (ووصينا الانبياء
 بوالديه حسنا وان جاهدك لتشركن بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الى امر جعكم فانبتكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا
 الصالحات لندخلنهم في الصالحين) يقول تعالى امر اعباده بالا حسان الى الوالدين بهدا الحث على التسلك بتوحيده فان الوالدين
 هما سبب وجود الانسان ولهما اليه غاية الاحسان فالوالدان اتفاق والوالدة بالاشفاق ولهذا قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا
 الاياه وبالوالدين احسانا ما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما

(٢٨٠)

وقل لهما اقولوا كريما واخفض
 لهم جناح الذل من الرحمة وقل رب
 ارحمها بكاريا بي صغيرا ومع هذه
 الوصية بالرأفة والرحمة والاحسان
 اليهما في مقابلة احسانهما المتقدم
 قال وان جاهدك لتشركن بي ما ليس
 لك به علم فلا تطعهما أي وان حرصا
 عليك ان تتابعهما على دينهما اذا
 كانا مشركين فالأب والابن هما فلا
 تطعهما في ذلك فان امر جعكم الى
 يوم القيامة فأجرك باحسانك
 اليهما وصرلك على دينك واحشرك
 مع الصالحين لافي زمرة والديك وان
 كنت أقرب الناس اليهم في الدنيا
 فان المرة انما يحشر يوم القيامة مع
 من أحب أي حبا دينيا ولهذا قال
 تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات
 لندخلنهم في الصالحين وقال
 الترمذي عند تفسير هذه الآية
 حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المنني
 حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة
 عن سماك بن حرب قال سمعت
 مصعب بن سعد يحدث عن أبيه
 سعد قال نزلت في أربع آيات فذكر
 قصة وقال قالت أم سعد أليس
 الله قد أمرك بالبر والله لا أطمع

ان يكون وقد يكون لما يتبع عقلا كقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الآية انه
 لا يحل ان يؤمن بالله اذ قضى الله أمره ان يختار من امر نفسه ماشاء بل يجب عليه ان
 يذعن للقضاء ويوقف نفسه تحت ما قضاه الله عليه واختاره له ويجعل رأيه تبع لرأيه ويجع
 الضمير في قوله لهم ومن امرهم لان مؤمنا ومؤمنة وقعا في سياق النبي فهما يعلمان كل
 مؤمن ومؤمنة قرئ ان يكون بالتحسية لانه قد فرق بين الفعل وفاعله المؤنث بقوله لهم مع
 كون التأنيث غير حقيقي وقرئ بالتوقية لكونه مسندا الى الخيرة وهي مؤنثة لفظا
 والخيرة مصدر بمعنى الاختيار ودل ذلك على ان الامر للوجوب وقرئ بسكون
 التحسية ونحر يكها ثم توعد سبحانه من لم يذعن لقضاء الله وقدره فقال (ومن يعص الله
 ورسوله) في امر من الامور ومن ذلك عدم الرضاء بالقضاء (فقد ضل ضلالا مبينا) اي
 ضل عن طريق الحق ضلالا ظاهرا واضحا لا يخفى فان كان العصيان عسيانا ردوا متناع
 عن القبول فهو وضلال كفر وان كان عصيانا فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو
 ضلال خطأ وفسق عن ابن عباس قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انطلق
 ليخطب على فتاة زبيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الاسديية فخطبها قالت لست
 بنا كحته قال بلى فانكحها قالت يا رسول الله أو امر نفسي فيمنها ما يتحدثن انزل الله هذه
 الآية على رسوله قالت قدر ضيمته لي يا رسول الله منكحا قال نعم قالت اذن لا اعصى رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم قد انكحته نفسي اخرجها ابن حريز وابن مردويه وعنه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزيب اني اريد ان ازوجك زيد بن حارثة فاني قد
 رضيت لك قالت يا رسول الله لكنني لا ارضاه لنفسى وانا ايم قومي وبت عمتك فلم اكن
 لافعل فنزلت هذه الآية وما كان لمؤمن يعني زيدا ولا مؤمنة يعني زينب اذ قضى الله
 ورسوله امر اي عني النكاح في هذا الموضع ان تكون لهم الخيرة من امرهم يقول ليس
 لهم الخيرة من امرهم خلاف ما امر الله به قالت قد اطعتك فاصنع ماشئت فزوجها زيدا
 ودخل عليها اخرجها ابن مردويه وعن ابن زيد قال نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط
 وكانت اول امرأة عابرت فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فزوجها زيد بن
 حارثة فسخطت هي واخوها وقال انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزوجها
 عبده وكان تزوج زيد بن زب قبل الهجرة بنحو ثمان سنين وبعد ما طلق زيد بن زب زوجته

طعاما ولا اشرب شرابا حتى أموت أو تكفر قال فكانوا اذا أرادوا ان يطعموهما سحروا فافاها فنزلت ووصينا
 الانسان بوالديه حسنا وان جاهدك لتشركن بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية وهذا الحديث رواه الامام أحمد ومسلم وأبو
 داود والنسائي أيضا وقال الترمذي حسن صحيح (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله
 ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أو ليس الله باعلم بما في صدور العالمين وليعلن الله الذين آمنوا وليعلن المنافقين) يقول
 تعالى مخبر عن صفات قوم من المكذبين من الذين يدعون الايمان بالسنتهم ولم ينبت الايمان في قلوبهم بانهم اذا جاءتهم محنة وقتنة

في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نعمة الله تعالى بهم فارتدوا عن الاسلام ولهذا قال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل قسنة الناس كعذاب الله قال ابن عباس يعني فتنته ان يرتد عن دينه إذا أؤذي في الله وكذا قال غيره من علماء السلف وهذه الآية كقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمان به وان أصابه قسنة انقلب على وجهه الى قوله ذلك هو الضلال البعد ثم قال عز وجل ولئن جاء نصر من ربك لعلو لن انا كنا معكم أي ولئن جاء نصر قريش من ربك يا محمد وفتح ومغنايم ليقولن هو لاء لكم انا كنا معكم أي اخوانكم في الدين كما قال تعالى (٢٨١) الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح

من الله قالوا ألم تكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم وغنناكم من المؤمنين وقال تعالى فعسى الله ان يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم ناديين وقال تعالى مخبر عنهم ههنا ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم قال الله تعالى أو ليس الله باعلم بما في صدور العالمين أي وليس الله باعلم بما في قلوبهم وماتكته ضمائرهم وان أظهروا لكم الموافقة وقوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين أي واختبرن الله الناس بالضراء والسرا ليقيرن هؤلاء من هؤلاء من يطيع الله في الضراء والسراء ومن يطيعه في حظ نفسه كما قال تعالى وانسلونكم حتى تعلمن من الذي يقولون وانسلونكم حتى ينبلوا أخباركم وقال تعالى بعدد قعة أحد التي كان فيها ما كان من الاختيار والامتنان ما كان الله ليذرا المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الآية (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلا ولنحمل خطاياكم

صلى الله عليه وآله وسلم ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت وعتت نفسها للنبي صلى عليه وآله وسلم فزوجها من زيدو كان زوجه قبلها أم أمين وولدت له اسامة وكانت ولادته بعد البعثة ثلاث سنين وقيل بخمس وفي شرح المواهب ان أم أمين هي بركة الحبشية بنت نعلمة أعتقها عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل بل اعتقها هو صلى الله عليه وآله وسلم وقيل كانت لامه اسلمت قديما وهاجرت الهجرة تين ماتت بعده صلى الله عليه وآله وسلم بخمسة أشهر وقيل بسنة ودات الآية على لزوم اتباع قضاء الكتاب والسنة وذم التقليد والرأي وعدم خيرة الامر في مقابلة النص من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وان كان السبب خاصا فان الاعتبار بعوم اللفظ لا بخصوص السبب * لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زيد بن حارثة بن زينب بنت جحش كما أمر أنزل الله سبحانه (وآذنتول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) هو زيد بن حارثة أنعم الله عليه بالاسلام وأنعم عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان أعتقه من الرق وكان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الجاهلية وأعتقه وبناه وسأني في سبب نزول الآية ما يوضح المراد منها قال القرطبي وقد اختلف في تأويل هذه الآية فذهب قتادة وابن زيدو جماعة من المفسرين منهم ابن جرير الطبري وغيره ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيدو وكان حريصا على ان يطلقها زيد فبتر وجهها ثم ان زيد الماء أخبره بانه يريد فراقها وشكها من اغلظة القول وعصيان الامر والاذى باللسان والتعظيم بالشرف قال له اتق الله فيما تقول عنها وأمسك عليك زوجك زينب وهو يخفي الحرص على طلاق زيد اياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه ولكنه فعل ما يجب عليه من الامر بالمعروف قال علماءنا رجعهم الله وهذا القول أحسن ما قيل في هذه الآية وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراشدين كالزهري والقاضي أبي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم انتهى ما قاله القرطبي لمخصا (واتق الله) في أمرها ولا تجعل بطلاقها (وتخفي) الواو للعال أي والحال انك تخفي (في نفسك ما الله مبديه) وهونكا حها ان طلقها زيد وقيل جنبها (وتخفي الناس) أي تستحيهم أو تخاف من تعبيرهم ان يقولوا أمر مولاه بطلاق امرأته ثم تزوجها (والله أحق ان تخشاه) في كل حال وتخاف منه وتسعيه ولا تأمر زيدا

(٣٦ - فتح البيان سابع) وما هم بجاملين من خطاياهم من شيء انهم يكاذبون وليحملن أفعالهم وأفعالهم وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) يقول تعالى مخبرا عن كفار قريش انهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدى ارجعوا عن دينكم الى ديننا واتبعوا سبيلا ولنحمل خطاياكم أي وأنا نكذبكم ان كانت لكم آثام في ذلك علينا وفي رقابنا كما يقول القائل افعل هذا وخطيتك في رقبتى قال الله تعالى تكذبا لهم وما هم بجاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون أي فيما قالوه انهم يتكلمون عن أولئك خطاياهم فانه لا يحمل أحدوزرا أحد قال الله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى وقال تعالى

ولا يستلجم جميعاً يصرونهم وقوله تعالى وليجملن أنفالههم وأنفالههم أحبار عن الدعاء إلى الكفر والضلالة أنهم
 يجملون يوم القيامة أوزاراً أنفسهم وأوزاراً آخر بسبب ما أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً كما قال تعالى
 ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الآية وفي الصحيح من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور
 من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجرهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الأثم مثل آثم من اتبعه إلى يوم
 القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً وفي الصحيح ما قلت نذس ظلمها الا كان على ابن آدم الا اول نفل
 (٢٨٢)

من دمها لانه اول من سن القتل
 وقوله تعالى وليستلن يوم القيامة
 عما كانوا يفترون أى يكذبون
 ويحتلقون من البهتان وقد ذكر
 ابن أبي حاتم ههنا حديثاً فقال
 حدثنا أبى - حدثنا هشام بن عمار
 حدثنا صدقة حدثنا عثمان بن حفص
 ابن أبى العاتكة حدثنى سليمان بن
 حبيب المحاربى عن أبى أمامة رضى
 الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بلغ ما أرسل به ثم قال اياكم والظلم
 فان الله يعزى يوم القيامة فيقول
 وعزى وجلالى لا يجوزنى اليوم ظلم
 ثم شادى مناد فيقول أين فلان
 ابن فلان فيأتى يتبعه من الحسنات
 أمثال الجبال فيشخص الناس إليها
 أبصارهم حتى يقوم بين يدى الرب
 عز وجل ثم يأمر المنادى فينادى
 من كانت له تباعة أو ظلامة عند
 فلان بن فلان فهلم فيقبلون حتى
 يجتمعوا قيساً ما بين يدى الرحمن
 فيقول الرحمن اقضوا عن عبدى
 فيقولون كيف تقضى عنه فيقول
 خذوا لهم من حسناته فلا يزالون
 يأخذون منها حتى لا يبقى منها حسنة
 وقد بى من أصحاب الظلمات

بأما كزوجه بعد ان علمك الله أنها تكون زوجك فعاتبه الله على هذا قال بعضهم
 وماذ كروه في تنفسه هذه الآية من وقوع محبة فى قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 وارا دته طلاق زيد لها فيه أعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وآله وسلم
 واقدم عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبفضله وكيف يقال
 رآها فأعجبه وهو بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كانت النساء يحجبين منه صلى الله
 عليه وآله وسلم وهو زوجها زيد فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ان
 يأمر زيداً بأما كما هو هو يجب تطليقه اياها قال وأصح ما فى هذا الباب ما قال علي بن
 الحسين ان الله قد أعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال
 انى أريد ان أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك
 عليك زوجك وقد أعلمتك انها ستكون زوجك قال الخطيب وهذا هو الاولى والايق
 بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى أعلم انه يبدى ويظهر ما أخفاه ولم يظهر
 غير تزويجها منه فقال تعالى تزوجنا كما افلوكان الذى أضمهره رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم محبتها وأرا دة طلاقها الكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر الله انه يظهره ثم
 يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما علمه الله من انها ستكون زوجته
 وانما أخفى ذلك استحياء ان يخبر زيد أن التى تحتك وفى نكاحك ستستكون زوجتى قال
 الكرخى وهذا القول هو المنصور المعول عليه عند الجمهور وقال البغوى وهذا هو الاولى
 وان كان الآخر وهو أنه أخفى محبتها ونكاحها لوطاقتها لا يقدر فى حال الانبياء لان
 العبد غير ملوم على ما يقع فى قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يتصدف فيه المأمثر لان الود وميل
 النفس من طبع البشر انتهى ولهذا قال ابن عباس كان فى قلبه حبها وقال قتادة
 ودأبه لوطاقتها زيد قال الخازن وهذا قول حسن مرضى وكم من شئ يحتفظ منه الانسان
 ويستحى من اطلاع الناس عليه وهو فى نفسه مباح متع وحلال مطلق لامقال
 فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول فى ذلك المباح سهماً الى حصول واجبات
 يعظم أثرها فى الدين وهو انما جعل طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 اياها لازمة حرمة التبنى وباطل سنته كما قال تعالى لكيلا يصكون على المؤمنين حرج
 فى أزواج أديانهم (فلما قضى زيد منها وطرا) قضاء الوطرى فى اللغة بلوغ منتهى ما فى

فيقول اقضوا عن عبدى فيقولون لم يبق له حسنة فيقول من سياتهم فأجلوها عليه ثم فرغ النبي صلى الله
 عليه وسلم بهذه الآية الكريمة وليجملن أنفالههم وأنفالههم وليستلن يوم القيامة عما كانوا يفترون وهذا الحديث له
 شاعدى الصحيح من غير هذا الوجه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حنبل بن أبى الحوارى حدثنا أبو بشر الحذاء عن أبى حمزة الشيبانى عن
 معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعاز ان المؤمن يستل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن
 كل عينيه وعن قنات الطنة ما صعبه فلا أنفك تأنى يوم القيامة وأحد أسعد بما تأك الله منك (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه

فلبت فيهم ألف سنة الاخشين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناها وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين
 هذه تسليمة (١) من الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يخبره عن نوح عليه السلام أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم
 الى الله تعالى ليلا ونهارا وسرا وجهارا ومع هذا ما زادهم ذلك الا فرارا عن الحق واعراضا عنه وتكذيبا له وما آمن معه منهم الا قليل
 ولهذا قال تعالى فلبت فيهم ألف سنة الاخشين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون أى بعد هذه المدة الطويلة ما نتج فيهم البلاغ
 والاذرافات يا محمد لا تأسف على من كفر بك من قومك ولا تحزن عليهم فان الله (٢٨٣) يهدى من يشاء ويضل من يشاء ويبد

الامر واليه ترجع الاموران الذين
 حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون
 ولو جاءتهم كل آية الآية واعلم ان
 الله سيظهرك وينصرك ويؤيدك
 ويذل عدوك ويكتبهم ويجعلهم
 أسفل السافلين قال جاد بن سلمة
 عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهك
 عن ابن عباس قال بعث نوح وهو
 لاربعين سنة ولبت فيهم ألف سنة
 الاخشين عاما وعاش بعد الطوفان
 ستين عاما حتى كثر الناس وفشا
 وقال قتادة يقال ان عمره كاه ألف
 سنة الاخشين عاما لبت فيهم قبل
 ان يدعوهم ثلثمائة سنة ودعاهم
 ثلثمائة سنة ولبت بعد الطوفان
 ثلثمائة سنة وخمسين عاما وهذا
 قول غريب وظاهر السياق من
 الآية انه مكث في قومه يدعوهم
 الى الله ألف سنة الاخشين عاما
 وقال عاون بن أبي شداد ان الله
 تعالى أرسل نوحا الى قومه وهو ابن
 خمسين وثلثمائة سنة فدعاهم ألف
 سنة الاخشين عاما ثم عاش بعد
 ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وهذا
 أيضا غريب رواه ابن أبي حاتم وابن
 جرير وقول ابن عباس أقرب والله

النفس من الشيء يقال قضى وطرامنه اذا بلغ ما أراد من حاجته فيه والمراد هنا انه قضى
 وطره منها بشكاحها والدخول بها بحيث لم يبق له فيها حاجة وتقاصرت عنه همته وطابت
 عنها نفسه وقيل المراد به الطلاق لان الرجل انما يطلق امرأته اذا لم يبق له فيها حاجة وقال
 المبرد الوطر الشهوة والحاجة وقال أبو عبيدة الوطر الارب والحاجة قال الامام أبو القاسم
 عبد الرحمن السهيلي كان يقال زيد بن محمد حتى نزل أدعوهم لا آباءهم فقال انازيد بن حارثة
 وحرم عليه انازيد بن محمد فلما نزع هذا الشرف وهذا الفخر منه وعلم الله وحشته من ذلك
 شرفه بخصيصته لم يكن يختص بها أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو انه
 سماه في القرآن أى في هذه الآية فذكره الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه
 قرآنا يتلى في المحارب وتوابعه غاية التنويه فكان في هذا تأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد
 صلى الله عليه وآله وسلم الأثرى الى قول أبي بن كعب حين قال له النبي صلى الله عليه وآله وهو انه
 وسلم ان الله أمرني ان أقرأ علك سورة كذا فبكي وقال أذ كرت هنالك وكان بكاءؤه من
 الفرح حيث ان الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرآنا يتلى بمحمد الابي يتلوه أهل الدنيا
 اذا قرؤوا القرآن وأهل الجنة كذلك أبدأ الازل على السنة المؤمنين كلما نزل مذكورا على
 الخصوص عند رب العالمين اذا القرآن كلام الله القديم وهو باق لا يبدل فاهم زيد في الصحف
 المكرمة المرفوعة المطهرة يذكره في تلاوتهم السفر الكرام البررة وليس ذلك لاسم من
 أسماء المؤمنين الا النبي من الانبياء ولزيد بن حارثة تعويضا من الله له مما نزع منه وزاد في
 الآية ان قال واذا تقول للذي أنعم الله عليه أى بالايان فدل على انه من أهل الجنة علم
 ذلك قبل أن يموت وهذه فضيلة أخرى رضى الله تعالى عنه انتهى (زوجهنا كهيا) وقرئ
 زوجته كها يعنى ولم تحوجك الى ولى من اطلق يعقدك عليهم انشر ينالك ولها فلما علمه الله
 بذلك دخل عليها بغير اذن ولا عقد ولا تقدير صداق ولا شيء مما هو معتبر في النكاح في حق
 أمته وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وآله وسلم التي لا يشار كفيها أحد باجماع
 المسايين وكان تزوجه بزينة سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهى أول من مات
 بعده من زوجاته الشريفات المطهرات ماتت بعده بعشر سنين عن ثلاث وخمسين سنة
 وقيل المراد به الامر له بأن يتزوجها الاول أولى وبه جاءت الاخبار الصحيحة وقد أخرج
 أحمد والبخارى والترمذى وغيرهم عن أنس قال جاء زيد بن حارثة يشكو زينة الى رسول

أعلم وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مجاهد قال قال لي ابن عمر كم لبت نوح في قومه قال قلت ألف سنة الاخشين عاما قال فان

(١) في بعض نسخ ابن كثير زيادة هنا نصها ذكر سبحانه وتعالى ابتلاء نوح بقومه ألف سنة الاخشين عاما وابتلاء قومه بطاعته فكذبوه
 فابتلاهم الله بالغرق ثم بعده بالحرق ثم ذرابتلاء ابراهيم بقومه وماردوا عليه وابتلاهم بطاعته ومتابعته ثم ذرابتلاء لوط بقومه
 وابتلاهم به وما صار اليه أمره رأهم ثم ذرابتلاء شعيب بقومه وابتلاهم به وما انتهت اليه حاله وحالهم ثم ذرابتلاء بنى يعاقدا
 وعمود وقارون وفرعون وهامان وجنودهما من الايمان به وعبادته وحده لا شريك له ثم ابتلاهم بأنواع العقوبات ثم ذكر ابتلاءه رسوله
 محمداً أعظم المرسلين صلى الله عليه وسلم بأنواع الكفار من المشركين واهل النفاق وأمره ان لا يجادل أهل الكتاب الا التي هى اذن

الناس لم يروا في نقصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلى يومك هذا وقوله تعالى فأوحيناها وأصحاب السفينة أي الذين آمنوا بنوح عليه السلام وقد تقدم ذلك مفصلا في سورة هود وتقدم تفسيره بما أغنى عن إعادته وقوله تعالى وجعلنا آية للعالمين أي وجعلنا تلك السفينة باقية أمامعينها كما قاله قتادة أنها بقيت إلى أول الإسلام على جبل الجودي وأنواعها جعله للناس تذكرة لنعمة على الخلق كيف أنجاهم زمن الطوفان كما قال تعالى وآية لهم أنما جعلنا ذريرتهم في الثلج المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون إلى قوله ومنا على حين وقال (٢٨٤) تعالى انما طغى الماء جعلناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية

وقال ههنا فأوحيناها وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وهذا من باب التدرج من الشخص إلى الجنس كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين أي وجعلنا نوعها رجوما فان التي يرمى بها ليست هي زينة للسماء وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ولهذا نظائر كثيرة وقال ابن جرير لوقيل ان الضمير في قوله وجعلناها عائد إلى العقوبة لكان وجهها والله أعلم (ابراهيم) اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فاستغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له البه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب اثم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخامله ابراهيم امام الحنفاء انه دعا قومه الى عبادة الله وحده لا شريك له والاخلاص له في اتقوى وطلب الرزق منه وحده لا شريك له

الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اتق الله وأمسك عليك زوجك وفزت وتختفي في نفسك ما الله مبديه فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فساء أولم على امرأته من نساءه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه فكانت تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم تقول زوجي ~~كان~~ أها اليك وزوجني الله من فوق سبع سموات وكانت تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدتي وجدك واحد وليس من نسائك من هي كذلك غيري وقد أنكهنيك الله والسفير في ذلك جبريل قاله الخازن وقال عمرو ابن مسعود ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وقال أنس فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كاتماً شياً ألكتم هذه الآية وكذا روى عن عائشة (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أي ضيق ومشقة علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الأمة واحد الا ما خصه الدليل (في أزواج أدعيائهم) أي في التزوج بأزواج من يجعلونه ابناً كما كانت تفعله العرب فانهم كانوا يتبنون من يريدون وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تبنى زيد بن حارثة وكان يقال له زيد بن محمد حتى نزل قوله سبحانه أدعوهم لأبنائهم وكانت العرب تعتقد انه يحرم عليهم نساء من تبنوه كما يحرم عليهم نساء أبنائهم حقيقة والأدعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ابناً من غير ان يكون ابناً من الحقيقة فأخبرهم الله ان نساء الأدعياء حلال لهم (اذا قضوا منهن وطراً) بخلاف ابن الصلب فان امرأته تحرم على أبيه بنفس العقد عليها (وكان أمر الله منه عولاً) أي قضاؤه في أمر زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضاء ماضياً موجوداً في الخارج لا محالة وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما تزوج زينب قالوا تزوج حليلاً انه فأنزل الله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينهاه وهو صغير فلبث حتى صار رجلاً يقال له زيد بن محمد فأنزل الله أدعوهم لأبنائهم هو أقسط عند الله يعني أعدل أخرجه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبراني وغيرهم وأخرج أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزيد اذهب فاذكرها على فاطمك قال فلما رأيتها عظمت في صدري فقلت يا زينب أبتري أرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكرك قالت

وتوحيد في الشكر فانه المشكور على النعم لا مسدى لها غيره فقال لقومه اعبدوا الله واتقوه أي اخلصوا له العبادة ما انا والخوف ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون أي اذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة وان دفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة ثم أخبر تعالى ان الاصنام التي تعبدونها والاولئان لا تنصرون ولا تنفع وانما اختلقتم انتم لها أسماء فسميت موهماً آلهة وانما هي مخلوقة مثلكم هكذا رواه العوفي عن ابن عباس وبه قال مجاهد والسدي وروى الوالي عن ابن عباس وتصنعون افكا أي تحتونها أصناماً وبه قال مجاهد في رواية وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم واختاره ابن جرير رحمه الله وهي لا تملك لكم رزقا فاستغوا عند الله الرزق وهذا بلغ في الحصر كقوله اياك نعبد وياك نستعين رب اني عندك يتلقى الجنة ولهذا قال فاستغوا أي فاطلبوا عند الله

الرزق أئني لا عند غيره فان غيره لا يملك شياً واعبدوه واشكروا له أي كلوا من زرقه واعبدوه وحذوه واشكروا له على ما أنعم به عليكم
 اليه ترجعون أي يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله وقوله تعالى وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم أي قبلكم من ما حل بهم من
 العذاب والنكال في مخالفة الرسل وما على الرسول الا البلاغ المبين يعني انما على الرسول ان يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة
 والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فاحرصوا لانفسكم ان تكونوا من السعداء وقال قتادة في قوله وان تكذبوا فقد كذب أمم من
 قبلكم قال يعزى بنده صلى الله عليه وسلم وهذا من قتادة يقتضى انه قد (٢٨٥) انقطع الكلام الاول واعترض بهذا الى قوله

فما كان جواب قومه وهكذا نص
 على ذلك ابن جرير أيضاً والظاهر
 من السياق ان كل هذا من كلام
 ابراهيم الخليل عليه السلام يحجج
 عليهم لاثبات المعاد لقوله بعد هذا
 كله فما كان جواب قومه والله أعلم
 (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم
 يعيده ان ذلك على الله يسير قل
 سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ
 الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
 ان الله على كل شيء قدير يعذب من
 يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلدون
 وما أنتم بحججزين في الارض ولا في
 السماء وما لكم من دون الله من ولي
 ولا نصير والذين كفروا بآيات الله
 واتسائه أو لم يك يسوا من رحمتي
 وأولئك لهم عذاب أليم) يقول تعالى
 محذراً عن الخليل عليه السلام انه
 أرشدهم أي اثبات المعاد الذي
 ينكرونه بما يشاهدونه في أنفسهم
 من خلق الله اياهم بعد ان لم يكونوا
 شيئاً منذ كورا ثم وجدوا وصاروا
 أناساً سامعين مبصرين فالذي بدأ
 هذا قادر على اعادته فانه سهل عليه
 يسير لده ثم أرشدهم الى الاعتبار
 بما في الآفاق من الآيات المشاهدة
 من خلق الله الاشياء السموات وما

ما أنابنا نعمة شياً حتى أو امر ربى فقامت الى مسجد ها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم ودخل عليهم باعير ازان ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم أظعمنا الخبز والعجم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام
 فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانبعثه فجعل يتبع حجر نساءه يسلم عليهن
 ويقان يارسول الله كيف وجدت أهلك فما أدري أنا أخبرته ان القوم قد خرجوا وأخبر
 فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالتقى الستري بنى وبينه ونزل الحجاب ووعظ
 القوم بما وعظوا الاندخولوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الآية ثم حين سبحانه انه لم يكن على
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرج في هذا النكاح فقال (ما كان على النبي من حرج
 فيما فرض الله) أي فيما أحل الله له وقدره وقضاه يقال فرض له كذا أي قدر له (سنة الله)
 أي سن الله ذلك سنة أو اسم وضع موضع المصدر قاله الزمخشري أو مصدر كصنع الله
 ووعده الله (في الذين خلوا من قبل) أي ان هذا هو السنن الاقوم في الانبياء والامم الماضية
 ان ينالوا ما أحله الله لهم من أمر النكاح وغيره توسعة عليهم فكان لهم الحرائر
 والسراري عن كعب القرظي قال يعني يتزوج من النساء ما شاء هذا فرضة وكان من قبل
 من الانبياء هذا سنتهم وقد كان لسليمان بن داود أنف امرأة منها ثلثمائة سريه وكان لداود
 مائة امرأة وقال ابن جرير الذين خلوا هم داود والمرأة التي نكح وزوجها واسمها اليسبية
 فذلك سنة في محمد وزينب (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا
 وهو كظليل وظليل وأبلى وأبلى وروض أريض في قصد التأكيد والقضاء الارادة الازامية
 المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه والقدر عبارة عن ايجادها على تقدير مخصوص معين
 لكن كل منها ما يستعمل بمعنى الآخر فالمراد ايجاد ما تعلقت به الارادة قاله الشهاب ثم ذكر
 سبحانه الانبياء الماضين وأئني عليهم فقال (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه)
 مدحهم سبحانه بتمليح ما أرسلهم به الى عباده وخشيته في كل فعل وقول (ولا يخشون
 أحدا الا الله) أي سواه ولا يباليون بقول الناس ولا بتعيرهم فيما أحل الله لهم بل خشيتهم
 مقصورة على الله سبحانه (وكفى بالله حسيبا) حاضر في كل مكان حافظ لا أعمال خلقه يكفى
 عباده كل ما يخافونه أو يحاسبونهم في كل شئ ولما تزوج صلى الله عليه وآله وسلم زينب
 قال الناس امرأة ابنة فأنزل الله (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) أي ليس هو صلى

فيها من الكواكب النيرة النوابت والسيارات والارضين وما فيها من مهاد وحيال وأودية وبراري وقفار وأشجار وأنهار وغمار
 وبحار كل ذلك دال على وحدونها في أنفسهم وعلى وجود صانعها الفاعل المختار الذي يقول للشيء كن فيكون ولهذا قال أولم يروا
 كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير كقوله تعالى وهو الذي يبدئ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ثم قال تعالى قل
 سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة أي يوم القيامة ان الله على كل شئ قدير وهذا المقام شبيه بقوله
 تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وكقوله تعالى أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا
 السموات والارض بل لا يوقنون وقوله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء أي هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم

ما يريد لا معقبة لحكمه ولا يستل عماء يفعل وهم يستلون فله الخلق والامر منهما فعل فعدل لانه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن ان الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولهذا قال تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون أي ترجعون يوم القيامة وقوله تعالى وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء أي لا يعجزه أحد من أهل سمواته وأرضيه بل هو القاهر فوق عبادته فكل شيء خائف منه فقرب إليه وهو الغني عما سواه ومالككم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا آيات الله ولقائه (٢٨٦) أي جحدوها وكفروا بالمعاد أولئك يتسوا من رحمتي أي لا نصيب لهم فيها

وأولئك لهم عذاب أليم أي موجه شديد في الدنيا والآخرة (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرّقه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وماواكم النار وما لكم من ناصرين) يقول تعالى مخبراً عن قوم ابراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحق بالباطل انهم ما كان لهم جواب بعد مقالة ابراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان الآن قالوا اقتلوه أو حرّقه وذلك لانهم قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحجة فعدلوا الى استعمال جاههم وقوة ملكهم فقالوا انواله بناينا فالتقوه في الجحيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين وذلك انهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة وحطوا أحواها ثم أضرموا فيها النار فارتفع لها الهب الى عنان السماء ولم توقد نار قط أعظم منها ثم عدوا الى ابراهيم فكتفوه وألقوه

الله عليه وآله وسلم بأب يزيد بن حارثة على الحقيقة حتى تحرم عليه زوجته ولا هو أب لآدم بلده قال الواحدى قال المنسرون لم يكن أباً آدم بل يلداه وقد ولد له من الذكور ابراهيم والقاسم والطيب والمظهر قال القرطبي ولكن لم يعيش له ابن حتى يصير رجلاً قال وأما الحسن والحسين فكانا طفلين ولم يكونا راجلين معاصرين له قال النسفي وكل رسول أبو أمته فيأبرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لافي سائر الاحكام الناشئة بين الآباء والابناء وزيدوا أحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير (ولكن رسول الله) قال الاخفش والقراء ولكن كان رسول الله وأجاز الرفع وكذا قرأ ابن أبي عمير بالرفع في رسول وفي خاتم على معنى ولكن هو رسول الله (وخاتم النبيين) وقرأ الجمهور بخفيف لكن ونصب رسول وخاتم ووجه النصب على خبرية كان المقدرة كما تقدم ويجوز ان يكون بالعطف على أباً آدم وقرئ بتشديد لكن ونصب رسول على أنه اسمها وخبرها محذوف أي ولكن رسول الله هو وقرأ الجمهور وخاتم بكسر التاء وقرئ بفصحها ومعنى الاولى انه ختمهم أي جاء آخرهم ومعنى الثانية انه صار كالخاتم لهم الذي يختصون به ويتزينون بكونه منهم وقيل كسر التاء وفتحها الغنان قال أبو عبيدة الوجه الكسر لان التاويل انه ختمهم فهو خاتمهم وانه قال أنا خاتم النبيين وخاتم النبيين ومنه قولهم خاتم المسك وقال الحسن الخاتم هو الذي ختم به والمعنى ختم الله به النبوة فلان نبوة بعده ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابناً يكون بعده نبياً وعنه ان الله لما حكم ان لاني بعده لم يعطه ولداً اذ كرا يصير رجلاً وعيسى ممن نبى قبله وحين ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانه بعض أمته (وكان الله بكل شيء عليماً) فقد حاط علمه بكل شيء ومن جملة معلوماته هذه الاحكام التي ذكرت هنا أخرج أحمد ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلي مثل النبيين كمثل رجل يني دارا فانتهى الى لبنة واحدة فخبت أنافتمت تلك اللبنة وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل يني دارا فاكملها وأحسنها الاموضع لبنة فكان من دخلها فأنظر اليها قال ما أحسنها الاموضع لبنة فاناموضع اللبنة حتى ختم بي الانبياء وأخرج الشيخان من

في كفة المتخشق ثم قدفوه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما مخرج منها سالما بعد ما مكث فيها أياما ولهذا أو مثاله حديث جعله الله للناس اماما فانه يذل نفسه للرحمن وجسده للنيران ويحيا بولده للقربان وجعل ماله للضيقات ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الاديان وقوله تعالى فأنجاه الله من النار أي سلمه منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا يقول لقومه ممة ترعاهم ومو بجماعى سوء صنيعهم في عبادتهم للاوثان انما اتخذتم هذه لتجته معوا على عبادته في الدنيا صدقة وألقت منكم بعضكم بعضا في الحياة الدنيا وهذا على قراءة من نصب مودة بينكم على انه مفعول له وأما على قراءة الرفع فعنا انما اتخذكم هذا يحصل لكم المودة في الدنيا فقط ثم يوم القيامة يتعكس هذا

الحال فتبني هذه الصداقة والمودة بغضه وشناأنا ثم يكفر بعضكم ببعض أي تتجادون ما كان بينكم ويلعن بعضكم بعضا أي
يلعن الاتباع المتبوعين والمتبوعون الاتباع كلما دخلت أمة لعنت أختها وقال تعالى الاخلاص يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
وقال ههنا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وما أوكم النار الآية أي وصيبركم ومرجعكم بعد عرصات
القيامة الى النار وما لكم من ناصر ينصركم ولا من مقدم يتقدمكم من عذاب الله وهذا حال الكافرين فأما المؤمنون فبخلاف ذلك قال
ابن أبي ساتم حدثنا محمد بن اسمعيل الأحمسي حدثنا ابو عاصم الثقفي الربيع (٢٨٧) بن سليمان بن عمرو بن سعيد بن جعدة بن

هيرة المخزومي عن أبيه عن جده
عن أم هانئ أخت علي بن أبي طالب
قالت قال لي النبي صلى الله عليه
وسلم أخبرك ان الله تعالى يجمع
الاولين والآخرين يوم القيامة في
صعيد واحد في يدري أين الطرفين
قالت الله ورسوله اعلم ثم ينادي
مناد من تحت العرش يا أهل
التوحيد فيشرئبون قال أبو عاصم
يرفعون رؤسهم ثم ينادي يا أهل
التوحيد ثم ينادي الثالثة يا أهل
التوحيد ان الله قد عفا عنكم قال
فيقوم الناس قد تعلق بعضهم
ببعض في ظلمات الدنيا يعني المظالم
ثم ينادي يا أهل التوحيد لعن
بعضكم عن بعض وعلى الله التواب
(فأمن له لوط وقال اني مهاجر الى
ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له
اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته
النوة والكتاب وآتيناه أجره في
الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين)
يقول تعالى مخبراً عن ابراهيم انه
آمن له لوط يقال انه ابن أخي ابراهيم
يقولون هو لوط بن هاران بن آزر
يعني ولم يؤمن به من قومه سواء
وسارة امرأة الخليل لكن يقال
كيف الجمع بين هذه الآية وبين

حديث أبي هريرة نحوه وأخرج أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي بن كعب نحوه
أيضا (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) أمر سبحانه عباده بان يستكثروا من
ذكروه بالتلميل والتحميد والتسبيح والتكبير وكل ما هو ذكركه تعالى قال مجاهد هو أن
لا ينسأه أبدا وقال الكلبي ويقال ذكرا كثيرا بالصلوات الخمس وقال مقاتل هو التسبيح
والتحميد والتلميل والتكبير على كل حال وقال ابن عباس في الآية لم يفرض على عباده
فريضة الاجعل لها أجلا معلوما ثم عذرا أهلها في حال العذر غير الذاكر فان الله لم يجعل له
حدا ينتهي اليه ولم يعذرا حدا في تركه لا مغلوبا على عقله فقال اذكروا الله قياما وقعودا
وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر في السفر والحضر في الغنى والفقر في الصحة
والسقم في السر والعلانية وعلى كل حال وقد ورد في فضل الذكروا الاستكثار منه أحاديث
كثيرة وقد صنف في الاذكار المتعلقة بالليل والنهار جماعة من الأئمة كالنسائي والنووي
والجزري وغيرهم وقد نطقت الآيات القرآنية بفضل الذكركين وفضيله الذكروا لذكرك
الله أكبر وقد ورد انه أفضل من الجهاد كما في حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد
والترمذي والبيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل أي العباد أفضل درجة
عند الله يوم القيامة قال الذكركون الله كثيرا قلت يا رسول الله ومن الغازين في سبيل الله
قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى يتكسر ويتخضب دمالكان الذكركون
أفضل منه درجة وأخرج أحمد عن أبي الذرراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الآن يتسكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من
اعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا
أعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكركه عز وجل وأخرجه أيضا الترمذي وابن ماجه
وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
سبق المفردون قالوا وما هو يا رسول الله قال الذكركون الله كثيرا والذاكرات
وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أذكروا الله حتى يقولوا سبحانك وأخرج
الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذكروا الله حتى يقول
المنافقون انكم مرأون (وسجوه بكرة وأصيلا) أي نزوه عما يليق به في وقت البكرة

الحديث الوارد في الصحيح ان ابراهيم حين مر على ذلك الجبار فسأل ابراهيم عن سارة ما هي منه فقال أختي ثم جاء اليها فقال لها اني
قد قلت له انك أختي فلا تكذبي فإنه ليس على وجه الارض مؤمن غيرك وغيري فأنت أختي في الدين وكأنت المراد من هذا والله أعلم
انه ليس على وجه الارض زوجان على الاسلام غيري وغيرك فان لوطا عليه السلام آمن به من قومه وهاجر معه الى بلاد الشام ثم
أرسل في حياة الخليل الى أهل سدوم وقلبيها وكان من أمرهم ما تقدم وما سأتى وقوله تعالى وقال اني مهاجر الى ربي يحتمل عود
الضمير في قوله وقال اني مهاجر الى ربي لوط لانه هو أقرب المدكورين ويحتمل عوده الى ابراهيم قاله ابن عباس والضيق وهو المكني

عنه بقوله فآمن له لوط أي من قومه ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم استغناءً لظهور الدين والتمسك من ذلك ولهذا قال أنه هو العزيز الحكيم أي له العزة ورسوله وللمؤمنين به الحكيم في أقواله وأفعاله واحكامه القدرية والشريعة وقال قتادة هاجر اجمعاً من كوثي وهي من سواد الكوفة الى الشام قال وذكرنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال انما ستكون هجرة بعد هجرة ينحاز أهل الارض الى مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها حتى تلتظهم أرضهم وتقدرهم روح الله عز وجل وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تبين (٢٨٨) معهم اذا باؤوا وتقبل معهم اذا قالوا وتأكل ما سقط منهم وقد أسند الامام

أحمد هذا الحديث فرواه مطولاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب قال لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية قدمت الشام فاخبرت بمقام يقومه نوف البكالي فختته اذا جاز رجل فانتهى الناس عليه خيصة واذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص فلما رآه نوف أمسك عن الحديث فقال عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما ستكون هجرة بعد هجرة فينحاز الناس الى مهاجر ابراهيم لا يبقى في الارض الا شرار أهلها فتلفظهم أرضهم تقدرهم نفس الرحمن تحشرهم النار مع القردة والخنازير فسببت معهم اذا باؤوا وتقبل معهم اذا قالوا وتأكل من تخلف منهم قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيخرج أناس من أمي من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع حتى يقطع الدجال في بقيتهم

ووقت الاصيل وهما أول النهار وآخره وتخصصهما بالذكر ليزيد ثواب التسيب فيهما وخصر التسيب بالذكر بعد دخوله تحت عموم قوله اذكروا الله تبيها على من يدشرفه وانافة ثوابه على غيره من الاذكار وقيل المراد بالتسيب بكرة صلاة الفجر والتسيب أصلاً صلاة المغرب وقال قتادة وابن جرير المراد صلاة الغداة وصلاة العصر وقال الكلبى اما بكرة فضلاة الفجر واما أصلاً فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء * قال المبرد والاصيل العشى وجمعه أصائل وقد ورد في فضل التسيب بخصوصه أحاديث ثابتة في الصحاح وغيرهما فن ذلك حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال في يوم مائة مرة سبحان الله وبه جوده حطت خطاياها ولو كانت مثل زبد البحر وأخرج أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لنا أيعجز أحدكم أن يكتب كل يوم ألف حسنة فقال رجل كيف يكتب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة وقيل معنى سجوده قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زادني نسخة العلى العظيم فعبر بالتسيب عن اخواته والمراد بقوله كثير هذه الكلمات بقولها الطاهر والجنب والحاؤض والمحدث (هو الذى يصلى عليكم وملائكته) الصلاة من الله على العباد درجة لهم وبر كنه عليهم ومن الملائكة الدعاء لهم والاستغفار كما قال ويستغفرون للذين آمنوا قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان المعنى ويأمر ملائكتهم بالاستغفار لكم وبالجملة متأنفة كالتعليل لما قبلها من الامر بالذكروا والتسيب وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكركر الجميل في عبادته وقيل الثناء عليه وعطف ملائكته على الضمير المستكن في يصلى لوقوع الفصل بقوله عليكم فاعنى ذلك عن التأكيد بالضمير المنصل والمراد بالصلاة هنا معنى مجازي يع صلاة الله بمعنى الرحمة وصلاة الملائكة بمعنى الدعاء ائلا يجمع بين حقيقة ومجازي في كلمة واحدة واللام في قوله (ليخرجكم من الظلمات الى النور) متعلق بيصلى أى يعنى باموركهم هو وملائكته ليخرجكم من ظلمات المعاصي الى نور الطاعات ومن ظلمة الضلالة الى نور الهداية ومعنى الآية تنبئ المؤمنين على الهداية ودوامهم عليها لانهم كانوا وقت الخطاب على الهداية قال الحنفى اوى جمع الاول تعدداً نواع الكفر وأفرد الثانى لان الايمان شئ واحد لا تعدد فيه ثم أخبر سبحانه

ورواه احمد عن أبي داود وعبد الصمد كلاهما عن هشام الدستوائى عن قتادة به وقدرناه أبو داود برحمة في سننه فقال في كتاب الجهاد باب ما جاء في سكنى الشام حدثنا عبد الله بن عمر حدثنا معاذ بن هشام حدثنى (١) عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة وينحاز أهل الارض الى مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها تلفظهم أرضهم تقدرهم نفس الرحمن تحشرهم النار مع القردة والخنازير وقال الامام احمد حدثنا يزيد اخبرنا ابو حجاب يحيى بن ابي حية عن شهر بن حوشب قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول لقد رأينا

ورواه احمد عن أبي داود وعبد الصمد كلاهما عن هشام الدستوائى عن قتادة به وقدرناه أبو داود برحمة في سننه فقال في كتاب الجهاد باب ما جاء في سكنى الشام حدثنا عبد الله بن عمر حدثنا معاذ بن هشام حدثنى (١) عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة وينحاز أهل الارض الى مهاجر ابراهيم ويبقى في الارض شرار أهلها تلفظهم أرضهم تقدرهم نفس الرحمن تحشرهم النار مع القردة والخنازير وقال الامام احمد حدثنا يزيد اخبرنا ابو حجاب يحيى بن ابي حية عن شهر بن حوشب قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول لقد رأينا

(١) يبايض بأصله ولعله سقط من السند رجل من الرواة فخره من النسخ المعتمدة اه

وما صاحب الدينار والدرهم بأحق من أخيه المسلم ثم أقدر أئتنا آخرة الآخرة والدينار والدرهم أصعب إلى أحدنا من أخيه المسلم
 ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لئن أنتم أتبعتم أذناب البقر وتباعدتم بالعينة وتركتم الجهاد في سبيل الله ليلزمنكم
 الله مذلة في أعناقكم لاتزغ منكم حتى ترجعوا إلى ما كنتم عليه وتتوبوا إلى الله تعالى وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 لتكونن هجرة بعد هجرة إلى مهاجر أبكم إبراهيم حتى لا يبقى في الأرض الاشرار أهلها وتلفظهم أرضهم وتقذرهم روح الرحمن
 وتحشرهم النار مع القرود والخنازير تقبل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث يسبون وما سقط منهم فلها

(٢٨٩)

ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من
 أمي يسبون الاعمال يقولون يا يزيد
 القرآن لا يجاوز حناجرهم قال يزيد
 لأعلمه الا قال يحقر أحدكم علمه مع
 علمهم يقتلون أهل الاسلام فاذا
 خرجوا فاقتلوه ثم اذا خرجوا
 فاقتلوه ثم اذا خرجوا فاقتلوه
 فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه
 وكلما طاع منهم قرن قطعه الله فردد
 ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عشرين مرة أو أكثر وأما سمع
 وقال الحافظ أبو بكر البيهقي حدثنا
 أبو الحسن بن الفضل أخببرنا عبد
 الله بن جعفر حدثنا يعقوب بن
 سفيان حدثنا أبو النضر اسحق بن
 ابراهيم بن يزيد وهشام بن عمار
 الدمشقيان قال حدثنا يحيى بن حزة
 حدثنا الاوزاعي عن نافع وقال أبو
 النضر عن حدثه عن نافع عن عبد
 الله بن عمران رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال سيأجر أهل الأرض
 هجرة بعد هجرة إلى مهاجر ابراهيم
 حتى لا يبقى الاشرار أهلها تلفظهم
 الارضون وتقذرهم روح الرحمن
 وتحشرهم النار مع القرود والخنازير

برحمة للمؤمنين تأنيسها لهم وتثبيتها فقال (وكان بالمؤمنين رحيمًا) وفي هذه الجملة تقرير
 لمضمون ما تقدمها ثم بين سبحانه ان هذه الرحمة منه لا تخص السامعين وقت الخطاب بل
 هي عامة لهم ولن بعدهم وفي الدار الآخرة فقال (تحببهم يوم يلقونه سلام) أي تحية
 المؤمنين من الله سبحانه يوم لقاؤهم له عند الموت أو عند البعث وعند دخول الجنة هي
 التسليم عليهم منه عز وجل يقول الله تبارك وتعالى السلام عليكم وقيل المراد تحية
 بعضهم لبعض يوم يلقون ربهم سلام وذلك لانه كان بالمؤمنين رحيمًا فلما شملتهم رحمة
 وأمنوا من عقابه حبا بعضهم ببعض سرا والمعنى سلامة لنا من عذاب النار
 قال الزجاج المعنى فيسلمهم الله من الآفات ويبشرهم بالامن من المخافات يوم يلقونه وقيل
 الضمير في يلقونه راجع إلى ملك الموت وهو الذي يحييهم كما ورد انه لا يقبض روح مؤمن
 الا سلم عليه قاله البراء بن عازب وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن
 قال ربك يقرئك السلام وقال مقاتل هو تسليم الملائكة عليهم يوم يلقون الرب كما في قوله
 والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (وأعد لهم أجرا كريما) أي في الجنة
 أو أعد لهم في الجنة رزقا حسنا ما تشبهه أنفسهم وتلذذ أعينهم وهذا بيان لآثار رحمة
 تعالى الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمة الواصلة إليهم قبل ذلك ثم
 ذكر سبحانه صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي أرسله الله فقال (يا أيها النبي انا
 أرسلناك شاهدا) أي على أمته يشهد لمن صدقه وآمن به على من كذبه وكفر به قال
 مجاهد شاهد على أمته بالتبليغ اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ أنبياءهم اليهم (ومبشرا)
 للمؤمنين برحمة الله وبالجنة وبما أعد لهم من جزيل الثواب وعظيم الاجر ونذيرا
 للكافرين والعصاة بالنار وبما أعد لهم من أليم العقاب (وداعيا إلى الله) يدعو عباد
 الله إلى التوحيد والايمان بما جاء به والعمل بما شرع لهم ومعنى (بإذنه) بإمره بذلك
 وتقديره وقيل بتيسيره قاله الكرخي وغيره (وسراجا منيرا) يستضاء به في ظلم الضلالة كما
 يستضاء بالمصباح في الظلمة قال الزجاج وسراجا أي ذاسراج منير أي كآب نير وهو القرآن
 وانما شبه الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالسراج دون الشمس مع انها أتم لان المراد
 بالسراج هنا الشمس كما قال تعالى وجعل الشمس سراجا وشبهه بالسراج لانه تفرع منه
 به ديات جميع العلماء كما تفرع من السراج سراج لا تخصي بخلاف الشمس (ومبشرا)

(٢٧ - فتح البيان سابع) تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ما سقط منهم غريب من حديث نافع
 والظاهر ان الاوزاعي قدر واه عن شيخه من الضعفاء والله أعلم وروايته من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أقرب إلى الحفظ
 وقوله تعالى وهبنا له اسحق ويعقوب كقوله فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا أي انه
 لما حارق قومه أقر الله عينه بوجود ولد صالح نبي وولده ولد صالح نبي في حياة جدهم وكذلك قال تعالى وهبنا له اسحق ويعقوب
 نافلة أي زيادة كما قال تعالى فبشرناها يا اسحق ومن وراء اسحق يعقوب أي يولد لهذا الولد ولدي حياتكما تقربيه أعينكما وكون

يعقوب ولد اسحق نص عليه القرآن وثبتت به السنته النبوية قال الله تعالى أم كنتم شمهذاه اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبيته
 مانعبدون من بعدى فالواضع الهك واله آياك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحد الآيه وفي الصحيحين ان الكرم ابن
 الكرم ابن الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فاما مارواه العوفي عن ابن عباس
 في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب قال هم ما ولد ابراهيم فعناه ان ولد الولد بمنزلة الولد فان هذا الامر لا يكاد يخفى على من هو دون
 ابن عباس وقوله تعالى وجعلنا (٢٩٠) في ذريته النبوة والكتاب هذه خلعة سنه عظيمه مع اتخاذ الله اياه خليلا

وجهه للناس اماما أن جعل في ذريته
 النبوة والكتاب فلم يوجدني بعد
 ابراهيم عليه السلام الا وهومن
 سلالته جميع أنبياء بني اسرائيل
 من سلالة يعقوب بن اسحق بن
 ابراهيم حتى كان آخرهم عيسى بن
 مريم فقام في ملتهم مبشرا بالنبى
 العربى القرشى الهاشمى خاتم الرسل
 على الاطلاق وسيد ولد آدم في الدنيا
 والآخرة الذى اصطناه الله من
 صميم العرب العربا من سلالة
 اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام
 ولم يوجدني من سلالة اسمعيل سواه
 عليه أفضل الصلاة والسلام وقوله
 وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة
 لمن الصالحين أى جمع الله له من
 سعادة الدنيا الموصولة بسعادة
 الآخرة فكان له في الدنيا الرزق
 الواسع الهنى والمنزل الرب
 والمورد العذب والزوجة الحسنه
 الصالحة والثناء الجليل والذكر
 الحسن وكل أحد يحبه ويتولاه كما
 قال ابن عباس ومجاهد وقناة
 وغيرهم مع القيام بطاعة الله من
 جميع الوجوه كما قال تعالى و ابراهيم
 الذى وفى أى قام بجميع ما أمر به

المؤمنين) عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل فراقب أحوال الناس وبشر المؤمنين
 من أمتك (بان لهم من الله فضلا كبيرا) على مؤمنى سائر الامم في الرتبة والشرف وزيادة
 على أجور أعمالهم بطريق التفضل والاحسان وقد بين ذلك سبحانه بقوله والذين آمنوا
 وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير
 عن ابن عباس قال لما نزلت يا أيها النبى الآيه وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم أمر عليا
 ومعاذ ان يسيرا الى اليمن فقال انطلقنا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فانهم اقدأترأت
 على يا أيها النبى انا أرسلناك الآيه وأخرج أحد البخارى وغيرهما عن عطاء بن يسار
 قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها
 النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز اللاميين أنت عبدى ورسولى سميتك
 المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو
 ويصفح وزاد أحدون يقبضه الله حتى يقبضه الله العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح
 بها عينها وآذانها وقلوبها غلغا وقد ذكر البخارى في صحيحه في البيوع هذا الحديث
 فقال وقال سعيد عن هلال بن عطاء عن عبد الله بن سلام ولم يقل عبد الله بن عمرو
 وهذا أولى فعبد الله بن سلام هو الذى كان يستل عن التوراة فيخبر بما فيها ثم نهاه سبحانه
 عن طاعة أعداء الدين فقال (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يشيرون به عليك من
 المداهنة في الدين والمدارة في أمر الدعوة ومن استعمالين الجانب في التبليغ وفي الآيه
 تعريض لغيره من أمته لانه صلى الله عليه وآله وسلم معصوم عن طاعتهم في شئ مما يريدونه
 ويشيرون به عليه وقد تقدم تفسير هذه الآيه في أول السورة (ودع اذاهم) أى الاتبال
 بما يصدره منهم اليك من الاذى بسبب تملكك في دين الله وشهدتك على أعدائه أو دع ان
 تؤذيهم أنت مجازاة لهم على ما يفعلونه من الاذى لك فالمصدر على الاول مضاف الى الفاعل
 وعلى الثانى مضاف الى المنعول قيل هى منسوخة بآية السيف (وتوكل على الله) في كل
 شؤنك (وكفى بالله وكيل) توكل اليه الامور وتفوض اليه الشؤن فن فوض اليه اموره
 كناه ومن وكل اليه أحواله لم يحتج فيها الى سواه ولما ذكر سبحانه قصة زيد وطلاقه زينب
 وكان قد دخل بها وخطبها النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد انقضاء عدتها كما تقدم خاطب

وكذل طاعته ربه ولهذا قال تعالى وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة

المؤمنين

لمن الصالحين وكما قال تعالى ان ابراهيم كان أمة فانا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين (ولو طأذ
 قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أنسكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى نادىكم
 المنكر فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصر فى على القوم المفسدين) يقول تعالى
 مخبرا عن نبيه لو طاعه عليه السلام انه أنكر على قومه سوء صنيعهم وما كانوا يفعلونه من قبيح الاعمال فى آياتهم الذكران من العالمين

وليسبقهم الى هذه الفعلة أحد من بنى آدم قبلهم وكانوا يعفون بالله تعالى ويكذبون رسوله ويخالفون وينتطعون السبيل
 أى يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم وتأتون في ناديتكم المنكر أى ينعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في
 مجالسهم التي يجتمعون فيها لا ينكر بعضهم على بعض شيئا من ذلك فن قائل كانوا يأتون بعضهم بعضا في الملاقاة مجاهدين ومن قائل
 كانوا يتضارطون ويتضاحكون قالته عائشة رضيت الله عنها والقاسم ومن قائل كانوا يناطعون بين الكباش ويناقرون بين الدبوك
 وكل ذلك كان يصدر عنهم وكانوا ينسبون ذلك وقال (٢٩١) الامام أحمد حدثنا جاد بن اسامة أخبرني حاتم بن أبي

صغيرة حدثنا سمك بن حرب عن
 أبي صالح مولى أم هانئ عن أم هانئ
 قالت سألت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عن قوله تعالى وتأتون في
 ناديتكم المنكر قال يحدثون أهل
 الطريق ويستخرون منهم وذلك
 المنكر الذي كانوا يأتونه ورواه
 الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم
 من حديث أبي اسامة جاد بن
 اسامة أبي يونس القشيري عن حاتم
 ابن أبي صغيرة به ثم قال الترمذي
 هذا حديث حسن لا نعرفه الا من
 حديث حاتم بن أبي صغيرة عن
 سمك وقال ابن أبي حاتم حدثنا
 الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير
 عن عمرو بن قيس عن الحكم عن
 مجاهد وتأتون في ناديتكم المنكر قال
 الصغير ولعب الحمام والجلايق
 والسؤال في المجلس وحل أزوار القباء
 وقوله تعالى فما كان جواب قومه
 الا ان قالوا اتتنا بعذاب الله ان كنت
 من الصادقين وهذا من كفرهم
 واستهزائهم وعنادهم ولهذا
 استنصر عليهم نبي الله فقال رب
 انصرني على القوم المفسدين ولما
 جاءت رسلنا ابراهيم بالبشر قالوا انا

المؤمنين ميينا لهم حكم الزوجة اذا طلقها زوجها قبل الدخول فقال (يا أيها الذين آمنوا
 اذا نكحتم المؤمنات) أى عقدتم بهن عقد النكاح أو بالكتابات وانما خسن المؤمنات
 بالذكر للتنبيه على ان من شأن المؤمن أن لا ينكح الا مؤمنة تحجز للنطفة وقد اختلف في
 لفظ النكاح هل هو حقيقة في الوطئ أو في العقد أو فيهما على طريقة الاشتراك وكلام
 صاحب الكشاف في هذا الموضوع يشعر بأنه حقيقة في الوطئ فإنه قال النكاح الوطئ
 وتسمية العقد نكاحا لما لبسته له من حيث أنه طريق اليه ونظيره تسمية الخمر انما لانها
 سبب في اقتراف الاثم ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد كما قاله صاحب
 الكشاف والقرطبي وغيرهما (ثم) التراخي ليس قيدا وفائدة التعبير بتم ازالة ما عسى ان
 يتوهم من ان تراخي الطلاق بقدر امكان الاصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة
 (طلقوهن من قبل ان تمسوهن) اي تجامعهن فكفى عن ذلك بلنظ المس ومن آداب
 القرآن الكناية عن الوطئ بلفظ الملازمة والمماسمة والقربان والغشى والاتبان وقد
 استدلل بهذه الآية القائلون بأنه لا طلاق قبل النكاح وهم الجمهور وبه قال علي وابن
 عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير
 والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة
 واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي وذهب ابن مسعود ومالك وابوخليفة الى صحة الطلاق
 قبل النكاح اذا قال اذا تزوجت فلانة فهي طالق فتطلق اذا تزوجها وبه قال النخعي
 واصحاب الرأي وقال ربيعة والاوزاعي ان عين امرأة وقع وان عمم فلا يتبع وعن عمرو بن
 شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك
 ولا تعتق فيما لا تملك ولا يبيع فيما لا تملك أخرجه أبو داود والترمذي بمعناه وعن ابن عباس
 قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها)
 أى تخصونها بالاقراء والاشهر أجمع العلماء على انه اذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة
 فلا عدة وذهب أحمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق وقد حكى ذلك الاجماع القرطبي
 وابن كثير والمعنى تسعة وفون عددها من عدت الدراهم فاعتدها واستناد ذلك الى
 الرجال للدلالة على ان العدة حق لهم كما يفيد قوله فما لكم وقرئ تعتدونها بتشديد الدال
 وبتفخيزها وفي هذه وجهان احدهما ان يكون بمعنى الاولى مأخوذة من الاعتداد اى

مهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم عن فيه النجينة وأهلها الامراء أنه كانت من الغابرين
 ولما ان جاءت رسلنا لوطا سبهم وضاق بهم زرعوا قالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الامراء انك كانت من الغابرين انا
 منزلون على أهل هذه القرية بجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد نزلنا آية بينة لقوم يعقلون لما استنصر لوط عليه
 السلام عليهم بعث الله لنصرته ملائكة فورا على ابراهيم عليه السلام في هيئة اضياف فجاءهم بما ينبغي للضيف فلما رأى ابراهيم انه
 لا همة لهم الى الطعام نكروهم وأوجس منهم خيفة فشرعوا يؤانسونه ويشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة وكانت حاضرة

فتعجبت من ذلك كما تقدم بيانه في سورة هودوا الحجر فلما جاءت ابراهيم البشرى وأخبروه بانهم أرسلوا الهالك قوم لوط أخذ يدافع
 لهم لم ينظرون لعل الله ان يهديهم ولما قالوا انما هم لوكوا أهل هذه القرية قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم عن فيها النجسينه وأهله إلا
 امرأته كانت من الغابرين أي من الهالكين لانها كانت تتألمهم على كفرهم وبغيهم ودبرهم ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في
 صورة شبسباب حسان فلما راهم كذلك سبهم وضاق بهم زرع أي اهتم بأمرهم ان هو أضع فهم خاف عليهم من قومه وان لم يرضهم
 خشى عليهم منهم ولم يعلم بأمرهم في الساعة (٢٩٢) الراهنة قالوا لا تخف ولا تحزن اننا منجوك وأهلك الامر أنك

كانت من الغابرين انما نزلون على
 أهل هذه القرية رجزا من السماء
 بما كانوا يفسقون وذلك ان جبريل
 عليه السلام اقتلع قراهم من قرار
 الارض ثم رفعها الى عنان السماء
 ثم قلبها عليهم وأرسل الله عليهم حجارة
 من سجيل منضود مسومة عند
 ربك وما هي من الظالمين ببعيد
 وجعل مكانها بحيرة خبيثة منتنة
 وجعلهم عبرة الى يوم التنادورهم من
 أشد الناس عذابا يوم المعاد ولهذا
 قال تعالى ولقد تركتنا آية بينة أي
 واضحة لقوم يعقلون كما قال تعالى
 وانكم لترون عليهم مصبحين
 وبالليل أفلات تعقلون (والى مدين
 أحاهم شعبيا فقال يا قوم اعبدوا الله
 وارجوا اليوم الآخر ولا تعشوا في
 الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم
 الرحفة فأصبحوا في دارهم جاثمين)
 يخبر تعالى عن عبده ورسوله شعيب
 عليه السلام انما أنذر قومه أهل
 مدين فأمرهم بعبادة الله وحده
 لا شريك له وان يخافوا بأس الله
 ونقمته وسطوته يوم القيامة فقال
 يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم
 الآخر قال ابن جرير قال بعضهم

تستوفون عددها ولكنهم تركوا التضعيف لقصد التخفيف قال الرازي ولو كان من
 الاعتداء الذي هو الظلم للضعف لان الاعتداء يتعدى بعلى وقيل من الاعتداء بجذف
 حرف الجراي تعدون عليها اي على العدة مجازا والوجه الثاني ان يكون المعنى تعدون
 فيها والمراد بالاعتداء هذا هو ما في قوله ولا تسكوهن ضررا تعتدوا فيكون معنى الآية
 على القراءة الآخرة فالتكلم عليهن من عدة نعتد عليهن فيها بالمضارة وقد انكر ابن
 عطية صحة هذه القراءة عن ابن كثير وقال ان البرى غلط عليه وهذه الآية مخصصة لعموم
 قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء وقوله واللاتي ينسن من الحيض من
 نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر (فتعوهن) اي اعطوهن ما يستعنهن به والمتعة
 المذكورة هنا قد تقدم الكلام عليها في البقرة وقال سعيد بن جبير هذه المتعة المذكورة
 هنا منسوخة بالآية التي في البقرة وهي قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد
 فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقيل المتعة هنا هي أعم من أن تكون نصف
 الصداق أو المتعة خاصة ان لم يكن قد سمي لها فاع التسمية للصداق تستحق نصف المسمى
 عملا بقوله فنصف ما فرضتم ومع عدم التسمية تستحق المتعة عملا بهذه الآية ويؤيد ذلك
 قوله تعالى ولا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تنرضوا لهن فريضة
 ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وهذا الجمع لا بد منه وهو مقدم على الترجيح
 وعلى دعوى النسخ ويخصص من هذه الآية من توفي عنها زوجها فانه اذا مات بعد العقد
 عليها وقبل الدخول بها كان الموت كالدخول فتعدت أربعة أشهر وعشرا قال ابن كثير
 بالاجماع فيكون المخصص هو الاجماع (وسرحوهن سرا حجيلا) أي اخرجوهن من غير
 اضرار ولا منع حق من منازلكن اذ ليس لكن عليهن عدة والسراح الجميل الذي لا ضرار
 فيه وقيل هو ان لا يظلمها بما كان قد أعطاهما وقيل هو هنا كتابة عن الطلاق وهو بعيد
 لانه قد تقدم ذكر الطلاق وترتب عليه التمتع وعطف عليه السراح الجميل فلا بد ان يراد به
 معنى غير الطلاق وعن ابن عباس في الآية قال هذا في الرجل يتزوج المرأة ثم يطلقها من
 قبل ان يسمها فاذا طلقها واحدة فان منه ولا عدة عليها تتزوج من شامت ثم قال فتعوهن
 وسرحوهن سرا حجيلا يقول ان كان سمي لها صداق فليس لها الا النصف وان لم يكن
 سمي لها صداق فامتعتها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل وعن ابن عمر قال اذا

معناه واخشوا اليوم الآخر وهذا كقوله تعالى لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وقوله ولا تعنوا في
 الارض مفسدين نهاهم عن العبث في الارض بالنسداد وهو السعي فيها والبغى على أهلها وذلك لانهم كانوا يقصون الميكل
 والميزان ويقطعون الطريق على الناس هذا مع كفرهم بالله ورسوله فأدركهم الله برحمة عظيمة وزلزات عليهم بلادهم وصيحة
 أخرجت القلوب من حناجرها وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الارواح من مستقرها انه كان عذاب يوم عظيم وقد تقدمت قصتهم
 مبسوطا في سورة الاعراف وهود والشعراء وقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين قال قتادة ميتين وقال غيره قد أتى بعضهم على بعض

(وَعَادُوا وَعُودُوا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزِينَةِ الشَّيْطَانِ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُصْتَبِرِينَ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ فَكَلَّمْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمْ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتِ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْظِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) يخبر تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أبادهم وتنوع في عذابهم وأخذهم والانتقام منهم فعاد قوم هود وكانوا يسكنون الاحقاق وهي قرية من حضرموت يبلد اليمن وعود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر قريمان وادي القرى وكانت العرب

(٢٩٣)

تعرف مساكينهم جيداً وترعاهم كثيراً وقارون صاحب الاموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة وفرعون ملك مصر في زمان موسى ووزيره هامان القبطيان الكافرين بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فكلاماً أخذنا بذيته أي كانت عقوبته بما يناسبه فغضبهم من أرسلنا عليه حاصباً وهم عاد وذلك انهم قالوا من أشد منا قوة فجاءتهم ريح صرصر بادرة شديدة البرد غاية شديدة الهبوب جدا تحمل عليهم حصباء الارض فتلقها عليهم وتقتلعهم من الارض فتفرغ الرجل منهم من الارض الى عنان السماء ثم تسكبه على أم رأسه فتشده فيبقى بذياب الرأس كأنهم عجايز فخل منتعروا منهم من أخذته الصيحة وهم عود قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة مثل ما سألو اسوا بسوا وبع هذا ما آمنوا بل استمروا على طغيانهم وكفروهم وتمددوا في الله صالحاً ومن آمن معه وتوعدوهم بان يخرجوهم ويرجعوهم فجاءتهم صيحة أخذت

نكحتهم المؤمنات ثم طلقتوهن منسوخة نسختها التي في البقرة فنصف ما فرضتم وعن سعيد ابن المسيب نحوه وعن الحسن وأبي العالية قال ليست بمنسوخة لها نصف الصداق ولها المتاع وعن ابن جريج قال بلغ ابن عباس ان ابن مسعود يقول ان طلاق ما لم ينكح فهو جائز فقال ابن عباس اخطأ في هذا ان الله يقول اذا نكحت المؤمنات ثم طلقتوهن من قبل ان تمسوهن ولم يقل اذا طلقت المؤمنات ثم نكحتوهن وعن ابن عباس انه تلا هذه الآية وقال لا يكون طلاق حتى يكون نكاح وقد وردت أحاديث فيها انه لا طلاق الا بعد نكاح وهي معروفة (يا أيها النبي انا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) ذكر سبحانه في هذه الآية أنواع النكحة التي أحلها رسوله وبدأ بأزواجه اللاتي قد اعطاهن أجورهن أي مهورهن فان المهور أجور الابضاع ولهذا قال الكرخي ان النكاح بلانظ الاجارة جائز وقال أهل الرأي التأييد من شرط النكاح والتأقيت من شرط الاجارة وبينهم ما منفاة وياتي الاجور اما تسليها بمجمل أو فرضها أو تسميتها في العقد واختلف في معنى الآية فقال ابن زيد والضحاك ان الله أحل له ان يتزوج كل امرأة يؤتيها مهرها فتكون الآية مبيحة لجميع النساء ما عدا ذوات المحارم وقال الجمهور المراد احلنا لك أزواج الكائنات عندك لانك قد اخترت على الدنيا وزينتها وهذا هو الظاهر لان قوله احلنا وآتيت ماضيان وتقييد الاحلال بياتي الاجور ليس لتوقف الحل عليه لانه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل مع الوطئ والمتعة مع عدمه فكانت له قصد الارشاد الى ما هو افضل (وما ملكت يمينك مما آفأ الله عليك) أي السراير اللاتي دخان في ملكك بالغنمة والمعنى مما رده الله عليك من الكفار بالغنمة من نساءهم المأخوذات على وجه القهر والغلبة مثل صفة وجورية فاعتقهما وتزوجهما وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم وليس المراد بهذا القيد اخراج ما ملكه بغير الغنمة فانها تحمل السرية المشتركة والمهورية ونحوهما ولو لم يكن خرج مخرج الغالب وأشار به الى ما هو الافضل كلقيد الاول المصرح بياتي الاجور وهكذا قيد المهاجرة في قوله (وبنات عمك وبنات عماتك) أي نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) أي نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) فانه للاشارة الى ما هو الافضل وللإيدان بشرف الهجرة وشرف من هاجر أي احلنا لك ذلك زائدا على الأزواج اللاتي آتيت أجورهن على قول

الاصوات منهم والحركات ومنهم من خسفت به الارض وهو قارون الذي طغى وبعثوا عصى الرب الاعلى ومشي في الارض مرحوا وفرح وتباه بنفسه واعتقد انه افضل من غيره واختال في مشيته فحسف الله به وبداره الارض فهو يتجلبل فيها الى يوم القيامة ومنهم من أغرقنا وهو فرعون ووزيره هامان وجنودهما عن آخرهم أغرقوا في صيحة واحدة فلم ينج منهم خبر وما كان الله يعظيهم أي فيما فعل بهم واسكن كانوا أنفسهم يظلمون أي انما فعل ذلك بهم جزاء ما قاما كسبت أيديهم وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية وهو من باب اللف والنشر وهو انه ذكر الامم المكذبة ثم قال فكلاماً أخذنا بذيته أي من هؤلاء المذكورين وانما

نهت على هذا انه قد روى ابن جرير قال قال ابن عباس في قوله فخرجهم من ارسلسنا عليه حاصبا قال قوم لوط ومنهم من اغرقنا قال قوم نوح وهذا منقطع عن ابن عباس فان ابن جرير لم يذكره ثم قد ذكر الله في هذه السورة اهلاك قوم نوح بالطوفان وقوم لوط بانزال الرجز من السماء واطال السياق والنصل بين ذلك وبين هذا السياق وقال قتادة فخرجهم من ارسلسنا عليه حاصبا قال قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة قوم شعيب وهذا بعيد ايضا لما تقدم والله اعلم (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا (٢٩٤) يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ وهو العزيز الحكيم

وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) هذا مثل ضرب به الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله يرجون نصرهم ورزقهم ويتسكنون بهم في الشدايد فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه وذهابه فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم الا كمن يتسكك ببيت العنكبوت فانه لا يجدي عنه شيئا فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله اولياء وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فانه متمسك بالعرف والوحي لا انفصام لها القوتها وثباتها ثم قال تعالى متوعد لمن عبد غيره واشرك به انه تعالى يعلم ما هم عليه من الاعمال ويعلم ما يشركون بهم من الابداد وسيجزى بهم وصفهم انه حكيم عليم ثم قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون أي وما يفهمها ويتدبرها الا الراصون في العلم المتصنعون منه قال الامام احمد حدثنا اسحق بن عيسى حدثني ابن لهيعة عن أبي قبيل عن عمرو بن العاص رضي الله

الجهور لانه لو اراد اذلنا لك كل امرأة تزوجت وآتيت اجرها ما قال بعد ذلك وبنات عمك وبنات عماتك لان ذلك داخل فيما تقدم والاولى والمراد بالعمية هنا الاشراف في الهجرة لاني العجبة فيها قال النسفي ليس مع القران بل لوجودها فحسب كقوله وأسلمت مع سليمان وقيل ان هذا التقيد اعني المهاجرة معتبر وانما الالتجاء من لم تهاجر من هؤلاء كما في قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا وما ملكم من شئ حتى يهاجروا وبؤيدها حديث ام هاني وسياقي ووجه افراد العم والخال وجمع العممة والخالة ما ذكره القرطبي ان العم والخال في الاطلاق اسم جنس كالشاعر والراجز وليس كذلك العممة والخالة قال وهذا عرف لغوي فجاء الكلام عليه بغاية البيان وحكاية عن ابن العربي وقال ابن كثير انه وحد لفظ الذكر لشرفه وجمع الانثى كقوله عن اليبين وعن الشماثل وقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وجعل الظلمات والنور لانه نظر كثيرة انتهى وقال النيسابوري وانما يجمع العم والخال اكتفاء بجنسيتها ما مع ان لجمع البنات دلالة على ذلك لامتناع اجتماع أختين تحت واحد ولم يحسن هذا الاختصار في العممة والخالة لامكان سبق الوهم الى ان التواء فيها ما للوحدة انتهى وكل وجه من هذه الوجوه يحتمل المناقشة بالقضاء والمعارضة وأحسنها لتعليل جمع العممة والخالة بسبق الوهم الى ان التواء للوحدة وليس في العم والخال ما يسبق الوهم اليه بانه أريد به الوحدة لا مجرد صيغة الافراد وهي لا تنتمضي ذلك بعد اضافتها لما تقر من عموم اسماء الاجناس المضافة على ان هذا الوجه الاحسن لا يصفو عن شوب المناقشة أيضا قال الشهاب وقد سئل كثير عن حكمه افراد العم والخال دون العممة والخالة حتى ان السبكي صنّف جزأه فسماه بدل المهمة في افراد العم وجمع العممة وقد رأيت لهم فيه كلمات كلها ضعيفة كتول الرازي ان العم والخال على زنة المصدر ويستوى فيه المفرد والجمع بخلاف العممة والخالة وقيل انهما يعمان اذا اضيفا والعممة والخالة لا يعمان لتواء الوحدة انتهى أخرجه الترمذي وحسنه وابن جرير والطبراني وغيرهم عن ام هاني بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعذرت اليه فعذرتني فانزل الله يا أيها النبي انأا حملنا لك أزواجك الى قوله هاجر معك قالت فلم أكن أحسن له لاني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من وجه آخر عنها قالت نزلت في هذه الآية وبنات عماتك التي هاجر معك أراد

عنه قال عقلت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل وهذه منقبة عظيمة لعمر بن العاص رضي الله عنه النبي

حيث يقول الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنا أبي حدثنا أبو سنان عن عمرو بن مرة قال ما حرت بآية من كتاب الله لا أعرفها الا حزني لاني سمعت الله تعالى يقول وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون (خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله كبير والله يعلم ما تصنعون) يقول تعالى مخبرا

عن قدرته العظيمة انه خلق السموات والارض بالحق يعني لاعلى وجه العبث واللعب تجزى كل نفس بما تسبي تجزى الذين أسأوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى وقوله تعالى ان في ذلك لآية للمؤمنين أى لدلالة واضحة على انه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والالهية ثم قال تعالى أمر رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن وهو قراءته وابلغ للناس وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر يعني ان الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات أى ان مواظبتها تحمّل على ترك ذلك وقد جاء في الحديث من رواية عمران وابن عباس مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (٢٩٥)

لم تزده من الله الا بعدا ذكر الامار الواردة في ذلك قال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن هرون المخزومي القلاس حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد حدثنا عمر بن ابي عثمان حدثنا الحسن بن عمران بن حصين قال سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر فلا صلته وحدثنا علي بن الحسين حدثنا يحيى بن ابي طلحة البربوعي حدثنا أبو معاوية عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر يزد به من الله الا بعدا ورواه الطبراني من حديث ابي معاوية وقال ابن جرير حدثنا القاسم حدثنا الحسين حدثنا خالد بن عبد الله عن العلاء بن المسيب عن ذكره عن ابن عباس في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر يزد به من الله الا بعدا وهذا موقوف قال ابن جرير وحدثنا

النبي ان يتزوجني فنهى عني اذ لم أهجر وعن ابن عباس في قوله انا أحلنا لك أزواجك الى قوله خالصه لك قال قرم الله عليه سوى ذلك من النساء وكان قبل ذلك ينكح في أى النساء شاء لم يحرم ذلك عليه وكان نساؤه يجدن من ذلك وجد اشديد ان ينكح في أى النساء أحب فلما أنزل أنى حرمت عليك من النساء سوى ما قصت عليك أعجب ذلك نساءه (وامرأة مؤمنة) أى وأحلنا لك امرأة مصدقة بالتوحيد وهذ ايدل على ان الكافرة لا تحل له قال امام الحرمين وقد اختلف في تحريم الحرة الكافرة عليه قال ابن العربي والصحيح عندي تحريمها وبهذا يتم علينا فانه ما كان في جانب الفضائل والكرامات فخطه فيه أكثر وما كان من جانب النقائص فحاسبه عنها اظهر فجوز لنا نكاح الحرائر الكليات وقصره وصلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنات ولهذا كان لا تحل له النكاح الكافرة لتقصانها بالكفر انتهى واما نكاح الامه الكافرة فالاصح فيه الحل لانه صلى الله عليه وآله وسلم استمتع بامته ريمانة قبل ان تسلم كذا في المواهب وكانت يهودية من سبي قريظة وبما خص به ايضا انه يحرم عليه نكاح الامه ولو مسلمة لان نكاحها معتبر بخوف الغنى وهو معصوم وبفقدها مهر الحرة ونكاحه عنى عن المهر ابتداء وانتهاء وبرق الولد ومنصبه صلى الله عليه وآله وسلم يتره عنه كذا في الروض وشرحه (ان وهبت نفسها للنبي) أى ملكتك بضعها اى عبارة كانت بغير صداق واما من لم تكن مؤمنة فلا تحل لك بغير ذهبها نفسها لك وان لم تكن ليس ذلك بواجب عليك بحيث يلزمك قبول ذلك بل مقيد بارادتك فهى جملة شرطية لانها تنهى عن الوقوع ولهذا قال (ان اراد النبي ان يستنكحها) يقال نكح واستنكح مثل عمل واستعمل وعجب واستعجب ويجوز ان يراد الاستنكاح بمعنى طلب النكاح او طلب الوطى قاله القرطبي اى يسيبرها منكوحه له ويملك بضعها بتلك الهبة بلا مهر وذلك جار منه مجرى القبول وحيث لم تكن الآية نصا في كون تملكها بلفظ الهبة لم تصلح ان تكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة وايراده في الموضوعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات عن الخطاب للايدان بانها المناط لشبوت الحكم فيخص به كما ينطق به قوله الا ترى خالصه لك وقد قيل انه لم ينكح النبي من الواهبات انفسهن احدا ولم يكن عنده منهن شئ وقال قتادة كانت عنده ميمونة بنت الحرث قال الشعبي هى زينب بنت خزيمة الانصارية أم المساكين

القاسم حدثنا الحسين حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن جو بير عن الضحاك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا صلوة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان تنهه عن الفحشاء والمنكر قال وقال سفيان قالوا يا شعيب أم صلاتك تأمرك قال فقال سفيان اى والله تأمره وتنهاه وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن جو بير عن الضحاك عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال أبو خالد مرة عن عبد الله لا صلوة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة تنهه عن الفحشاء والمنكر والموقوف أصح كما رواه الاعمش عن مالك بن الحرث عن عبد الرحمن بن يزيد قال قيل لعبد الله ان فلانا يطيل الصلاة قال

ان الصلاة لاتنفع الامن اطاعها وقال ابن جرير حدثنا علي حدثنا ائمة بن مسلم عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم تنه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا والاصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والاعمش وغيرهم والله أعلم وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى أبنا جرير يعني ابن عبد الحميد عن الاعمش عن أبي صالح قال آراه عن جابر شك الاعمش قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق قال سينهاه ما تقول وحدثنا محمد بن موسى (٢٩٦) الجرشى أخبرنا زياد بن عبد الله عن الاعمش عن أبي

صالح عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ولم يشك ثم قال وهذا الحديث قد رواه عن الاعمش غير واحد واختلفوا في اسناده فرواه غير واحد عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو غيره وقال قيس عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال جرير وزيد عن عبد الله عن الاعمش عن أبي صالح عن جابر وقال الامام أحمد حدثنا وكيع أخبرنا الاعمش قال أرى أبا صالح عن أبي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا يصلي بالليل فاذا أصبح سرق فقال انه سينهاه ما تقول وتشتم الصلاة أيضا على ذكر الله تعالى وهو المطوب الاكبر ولهذا قال تعالى ولذكر الله أكبر أى أعظم من الاول والله يعلم ما صنعون أى يعلم جميع أعمالكم وأقوالكم وقال أبو العالية في قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال ان الصلاة فيها ثلاث خصال فكل صلاة لا يكون فيها شئ من هذه الخلال فليست بصلاة الاخلاص والخشبة وذكر الله فالخلاص

وقال علي بن الحسين والفضالك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر الاسدي وقال عروة ابن الزبير وهي أم حكيم بنت الاوقص السديّة أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في السنن عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خولة بنت حكيم وأخرج البخاري وغيره عن عروة ان خولة بنت حكيم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن محمد بن كعب وعمر بن الحكم وعبد الله ابن عبيدة قالوا تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث عشرة امرأة من قريش خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وثلاث من بنى عامر بن صعصعة وأم آتان من بنى هلال بن عامر ميمونة بنت الحرث وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وزينب أم المساكين والعامرية وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بنى الجون وهي التي استعادت منه وزينب بنت جحش الاسديّة والسبيتين صفية بنت حيي وجويرية بنت الحرث الخزاعية وأخرج البخاري وابن مردويه عن أنس قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا رسول الله لك لبي حاجة فقالت ابنة أنس ما كان أقل حياءه فقال هي خديجة بنت خويلد رغبت في النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعرضت نفسها عليه وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد الساعدي ان امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوهبت نفسها له فصمت الحديث بطوله وكان من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم ان النكاح ينعقد في حقه بمعنى الهبة من غيرولى ولاشهود ولا مهر والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء وعليه جماعة واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة فذهب أكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ النكاح والتزويج وهو قول سعد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال ابراهيم النخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التملك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد في حقه صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ الهبة وذهب قوم آخرون الى انه لا ينعقد كما في حق سائر الامة وكان اختصاصه في ترك المهر وعدم لزومه له لاني لفظ النكاح واختلفوا في ان العقد بلفظ الهبة هل وقع له بالنكاح أم لا فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح أو ملاءمة وقال آخرون وقع واختلفوا فيها كما تقدم وقال

يا مره بالمعروف والخشبة تنهاه عن المنكر وذكر الله القرآن يأمره وينهاه وقال ابن عون الانصاري الرضخري

اذا كنت في صلاة فأنت في معروف وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر وقال جاد بن أبي سليمان ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يعني مادمت فيها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ولذكر الله أكبر يقول ولذكر الله لعباده أكبر اذا ذكره من ذكرهم اياه وكذا روى غير واحد عن ابن عباس وبه قال مجاهد وغيره وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن داود بن أبي هند عن رجل عن ابن عباس ولذكر الله أكبر قال ذكر الله عند طه ما لم

وعند من مات قلت فان صاحبها في المنزل يقول غير الذي تقول قال واى شئ يقول قلت قال يقول الله تعالى فاذا كروى اذ كرم
 فاذا كرا الله ايانا كبر من ذكرنا اياه قال صدق قال وحده ثنائى - حدثنا النفيلي - حدثنا اسمعيل عن خالد عن عكرمة عن ابن
 عباس في قوله تعالى ولذ كرا الله اكب قال لها وجهان قال ذ كرا الله عندما حرب قال وذ كرا الله اياكم اعظم من ذ كراكم اياه وقال ابن
 جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم اخبرنا هشيم اخبرنا عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال ابن عباس هل تدري
 ما قوله تعالى ولذ كرا الله اكب قال قلت نعم قال فما هو قلت التسييح (٢٩٧) والتحميد والتكبير في الصلاة وقراءة

القرآن ونحو ذلك قال لقد قلت
 قولاً عجيباً وما هو كذلك ولكنه انما
 يقول ذ كرا الله اياكم عندما أمر به
 أو نهى عنه اذا ذكرتموه كبر من
 ذ كراكم اياه وقد روى هذا من غير
 وجه عن ابن عباس وروى أيضاً
 عن ابن مسعود وأبي الدرداء وسلمان
 التمارى وغيرهم واختاره ابن جرير
 (ولتجادلوا أهل الكتاب الابائى
 هى أحسن الا الذين ظلموا منهم
 وقولوا آمنا بالذى أنزل البنا وأنزل
 اليكم والهناء والهكم واحد ونحن له
 مسلمون) قال قتادة وغير واحد
 هذه الآية منسوخة بآية السيف
 ولم يبق معهم مجادل وانما هو
 الاسلام أو الجزية أو السيف وقال
 آخرون بل هى باقية محكمة لمن أراد
 الاستبصار منهم في الدين فيجادل بالى
 هى أحسن ليكون أجمع فيه كما قال
 تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
 والموعظة الحسنة الآية وقال
 تعالى موسى وهرون حين بعثهما
 الى فرعون فقولا له قولا لينا لعله
 يذ كرا ويخشى وهذا القول
 اختاره ابن جرير وحكاه عن ابن زيد
 وقوله تعالى الا الذين ظلموا منهم اى

الرخشرى قبل الموهوبات أربع مائة ووزينب وأم شريك وخولة وفي السنين هذا من
 اعتراض الشرط على الشرط والثاني قيد في الاول ولذلك أعربوه حال لان الحال قيد
 ولهذا الشرط النقصان ان يتقدم الثاني الى الاول في الوجود فلو قال ان أكلت ان ركبت
 فأنت طاق فلا بد ان يتقدم الركوب على الاكل وانه يشترط ان لا يكون ثمة قرينة تمنع من
 تقدم الثاني على الاول كقولك ان تزوجتك ان طلقته فعبدي حرفانه لا يتصور هنا تقديم
 الطلاق على التزويج الا اني قد عرض لى اشكال على ما قاله الفقهاء بهذه الآية وذلك ان
 الشرط الثاني هنا لا يمكن تقدمه في الوجود بالنسبة الى الحكم الخاص بانبي صلى الله
 عليه وآله وسلم لا أتد لا يمكن عقلا وذلك ان المفسر يفسر واقوله تعالى ان أراد معنى قبل
 الهبة لانه بان قبول منه يتم نكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة اذ القبول متأخر وايضا
 فالقصة كانت على ما ذكرته من تأخر ارادته عن هبتها وهو مذكور في التفسير وقد
 عرضت هذا الاشكال على جماعة من أعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنهم جواب
 الا ما قدمته من ان ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلت لك آتينا انسى وقد بين الله سبحانه ان
 هذا النوع من النكاح خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل لغير من أمته
 فقال (خالصة لك من دون المؤمنين) لفظ خالصة اما حال من امرأة قاله الزجاج او حال
 من فاعل وهبت اى حال كونها خالصة لك دون غيرك او مصدر مؤكدة كقوله الله اى خالص
 لك خلوصاً ونعت مصدرية قدر اى هبة خالصة فنصبها بوهبت وتدا جمع العلماء على ان
 هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وانه لا يجوز لغيره ولا ينعقد النكاح بهبة المرأة
 نفسها الا ما روى عن أبي حنيفة وصاحبه انه يصح النكاح اذا وهبت وأنتم سدوه على
 نفسه مجهر وأما بدونه مهر فلا خلاف في ان ذلك خاص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 وله - هذا قال (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) اعتراض مقررين من ما قبله من
 خلوص الاحلال له اى ما فرضه الله سبحانه على المؤمنين في حق أزواجهم من شرائط
 العقد وحقوقه فان ذلك حق عليهم مشروط لا يحل لهم الاخلال به ولا الاقتداء برسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما خصه الله به توسعة عليه وتكريهه فلا يتزوجوا الا
 أربعاً وهو بينة وولى وعن ابن عمر في الآية قال فرض الله عليهم انه لا نكاح الا بولى
 وشاهدين وعن ابن عباس مثله وزاد مهر (وماملكت أيمانهم) اى وعلمنا ما فرضنا

(٣٨ - فتح البيان سابع) حادوا عن وجه الحق وعوا عن واضح الحق وعاندوا كبروا وخينوا ينتقل من الجدال الى
 الجلاويقاتون بما يعنهم ويردعهم قال الله عز وجل لقد أرسلنا رسالنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط
 وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد الى قوله ان الله قوى عزيز قال جابر أمرنا من خالف كتاب الله ان نصر به بالسيف قال مجاهد الا الذين
 ظلموا منهم يعنى أهل الحرب ومن امتنع منهم من أداء الجزية وقوله تعالى وقولوا آمنا بالذى أنزل البنا وأنزل اليكم يعنى اذا اخبروا بما
 لا يعلم صدقه ولا كذبه فهذا لا يقدم على تكذيبه لانه قد يكون حقاً ولا على تصديقه لعله ان يكون باطلاً ولكن يؤمن به إيماناً

بجمل معلقات على شرط وهو ان يكون من الامم ولا قال البخاري رحمه الله - حدثنا محمد بن بشر - حدثنا عثمان بن عمر - اخبرنا هلي
ابن المبارك عن يحيى بن أبي كزير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية
ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي
أنزل النيا وأنزل اليكم والهناء وانهم واحد ونحن له مسلمون - وهذا الحديث تفرد به البخاري وقال الامام أحمد حدثنا عثمان
ابن عمر اخبرنا يونس عن الزهري اخبرني (٢٩٨) ابن أبي غنله ان ابا عملة الانصاري اخبره انه بينما هو

جالس عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاءه رجل من اليهود
فقال يا محمد هل تتكلم هذه الحنازة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله أعلم قال اليهودي أنا أشهد انها
تتكلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا حدثكم أهل الكتاب
فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا
آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان
حقا لم تكذبوهم وان كان باطلا لم
تصدقوهم قلت وأبو غنله هذا هو
أبو عمارة وقيل عامر وقيل عمرو بن
معاذ بن زرارة الانصاري رضي الله
عنه ثم لي علم ان أكثر ما يتحدثون به
عاليه كذب وهمتان لانه قد دخله
بحريف وتبدل وتغير وتأويل
وما أقل الصدق فيه ثم ما أقل فائدة
كثير منه لو كان صحيحا قال ابن
جرير حدثنا ابن بشر - حدثنا أبو
عاصم اخبرنا سفيان عن سليمان بن
عامر عن عمارة بن عمير عن حريث
ابن ظهير عن عبد الله هو ابن مسعود
قال لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء
فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما ان
تكذبوا الحق أو تصدقوا باطلا فانه
ليس أحد من اهل الكتاب الا وفي

عليهم فيما ملكت أي علمتهم من كونهم من يجوزسيه وحر به لامن كان لا يجوزسيه
أو كان له عهد من المسلمين أي تكون الاممة من تحمل المال كها كالكتابة بخلاف
المجوسية والوثنية وان تستمر أقبل الوطء (لكيلا يكون عليك حرج) قال المفسرون
هذا يرجع الى أول الآية أي أحلنا لك أزواجك وما ملكت عينك والواهبه نفسها لك
لكيلا يكون عليك حرج فتكون اللام متعلقة بأحلاما وقيل هي متعلقة بخاصة قاله
البيضاوي وأبو الباقع عود والعلق باعتبار ما فيه من معنى ثبوت الاحلال وحصوله
صلى الله عليه وآله وسلم والاول أولى والحرج الضيق أي وسعنا عليك في التحليل لك اثلا
يضيق صدرك فتظن انك قد أمتت في بعض المنكوحات (وكان الله غفورا رحيمًا)
يعفر الذنوب فيما يعسر التحرز عنه ويرحم العباد بالتوسعة في ذلك ولذلك وسع الامر ولم
يضيقه (ترجي من نساء منهن) قرئ ترجي مهموزا وغير مهموز وهو الغتان والارجاء التأخير
يقال أرجأت الامر وأرجيته اذا أخرته (وتؤوى اليك من نساء) أي تضم اليك يقال
آوى اليه بالمدحمة اليه أو ي مقصورا أي ضم اليه والمعنى ان الله وسع على رسوله صلى
الله عليه وآله وسلم وجعل الخيارات اليه في نساءه فيؤخر من شاء منهن ويؤخر نوبتها
ويتركها ولا ياتيهن من غير طلاق ويضم اليه من شاء منهن ويضاعفها ويبيت عندها وقد
كان القسم واجبا عليه حتى نزلت هذه الآية فارتفع الوجوب وصار الخيار اليه وكان من
آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ومن أرجى سودة وجويرية وأم حبيبة وميمونة
وصفية فكان صلى الله عليه وآله وسلم يسوي بين من آوى في القسم وكان يقسم لمن
أرجاه ما شاء هذا قول جمهور المفسرين في معنى الآية وهو الذي يناسب ما مضى وقد دلت
عليه الأدلة الثابتة في الصحيح وغيره قال ابن العربي هذا الذي ثبت في الصحيح هو الذي
ينبغي ان يعول عليه لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون فرض عليه تطييبا لنفوسهن
وصونا لهن عن أقوال الغيرة التي تؤدي الى ما لا ينبغي وقيل هذه الآية في الواهبات
أنفسهن لافي غيرهن من الزوجات قاله الشعبي وغيره وقيل معنى الآية في الطلاق أي
تطلق من نساء منهن وتمسك من نساء وقال الحسن ان المعنى تنكح من شئت من نساء
أمتك وتترك نكاح من شئت منهن وقد قيل ان هذه الآية ناسخة لقوله لا يحل لك النساء
من بعد من ابغضت منهن قال ابن عباس ترجى أي تؤخر وعنه قال من شئت خليت سبيلها منهن ومن

قلبه تالية تدعوه الى دينه كآية المال وقال البخاري حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا ابراهيم بن سعد اخبرنا ابن
شهاب عن عبد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكبا بكم الذي أنزل اليكم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم أحدث تقرؤنه محضالم يشب وقد حدثكم ان أهل الكتاب بدلوا وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله
ليشترؤا به غمًا قليلا الا انها كم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم وقال
البخاري وقال أبو اليمان اخبرنا شبيب عن الزهري اخبرني جميل بن عبد الرحمن انه سمع معاوية يتحدث رهطًا من قريش بالمدينة وذكر

كعب الاحبار فقال ان كان من اصدق هؤلاء المحمدين الذين يحدون عن اهل الكتاب وان كذام ذلك انبوا عليه الكذب قلت
معناه انه يقع منه الكذب لغة من غير قصد لانه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن وفيها اشياء. وضوغة ومكذوبة لانهم لم يكن
في ملتهم حنفا متقنون كهذه الامة العظيمة ومع ذلك وقرب العهد وضعت احاديث كثيرة في هذه الامة لايعلما الا الله عز وجل
ومن منعه الله تعالى علما بذلك كل بحسبه والله الحمد والمنة (وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن
هو الامن يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون وما كنت تلو (٢٩٩) من قبله من كتاب ولا تخطه به يمينك اذا

لا رتاب المبطلون بل هو آيات بينات
في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد
باياتنا الا الظالمون) قال ابن جرير
يقول الله تعالى كما انزلنا الكتاب على
من قبلك يا محمد من الرسل كذلك
انزلنا اليك هذا الكتاب وهذا الذي
قاله حسن ومناسبة وارتباط جيد
وقوله تعالى فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به أي الذين أخذوه فتلاوه
حق تلاوته من احبارهم العلماء
الاذكياء كعبه الله بن سلام وسلمان
الفارسي واشباهاهما وقوله تعالى
ومن هؤلاء من يؤمن بديعني العرب
من قريش وغيرهم وما يجحد باياتنا
الا الكافرون أي ما يكذب بها
ويجحد حقه الامن بس. ترا الحق
بالباطل ويغطي ضوء الشمس
بالوصائل وهييات ثم قال تعالى وما
كنت تعلمون قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك أي قد لبثت في قومك يا محمد
من قبل ان تأتيهم. هذا القرآن عمرا
لا تقرأ كتابا ولا تحسن الكتابة بل
كل أحد من قومك وغيرهم يعرف
انك رجل أي لا تقرأ ولا تكتب
وهكذا اصنفته في الكتب المتقدمة
كما قال تعالى الذين يتبعون الرسول

أحبيت أمسكت منهن وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت كنت أنا من
اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقول تهب المرأة نفسها فلما أنزل
الله ترجي من تشاء منهن الآية قلت ما أرى ربك الا يسارع في هوالك وعن أبي رزين قال
هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلق من نسائه فلما رأين ذلك أتينه فقلن لا نخل
سبيلا وأنت في حل فيما بيننا وبينك افرص لنا من نفسك ومالك بما شئت فانزل الله ترجي
من تشاء منهن يقول تعزل من تشاء فارجي منهن نسوة وأوى نسوة وكان ممن أرحى ميمونة
وجويرية وأم حبيبة وصفية وسودة وكان يقسم بينهن من نفسه وماله ماشاء وكان ممن أوى
عائشة وحذيفة وأم سلمة وزينب فكانت قسمته من نفسه وماله بينهن سواء وأخرج
البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يستأذن
في يوم المرأة ما بعد ان أنزلت هذه الآية ترجي من تشاء منهن فقلت لها ما كنت تقولين
قالت كنت أقول ان كان ذلك الى فاني أريد ان لا أؤثر عليك أحدا (ومن ابتغيت ممن
عزلت) الاتعاء الطلب والعزل الازالة والمعنى ان أردت ان تؤوى اليك امرأة ممن قد
عزلت من القسمة وتضعها اليك (فلا جناح عليك) في ذلك والحاصل ان الله سبحانه
فوض الامر الى رسوله يصنع في زوجته ماشاء من تقديم وتأخير وعزل وامسك وضم
من أرحى وارجاء من ضم اليه وما شاء في أمرهن فعزل توسعة عليه ونفيا للعرج عنه وأصل
الجناح الميل يقال جنحت السفينة اذا مالت والمعنى لا ميل عليك بل يوم ولا عتب فيما فعلت
(ذلك) أي ما تقدم من التفويض الى مشيئته وهو مبتدأ وخبره قوله (أدنى أن تقر أعينهن)
أي ذلك التخير والتنويض الذي فوضناك أقرب الى رضائهن وأطيب لانفسهن اذ كان
من عندنا لأنهن اذا علمن انهم الله قررت أعينهن واطمأننت نفوسهن وذهب اتغير
وحصل الرضا قرى تقر على البناء للفاعل مسند الى أعينهن وقرى بضم التاء من أقرر
وفاعله ضمير المخاطب ونصب أعينهن على المفعولية وقرى على البناء للمفعول وقد تقدم
بيان معنى قرى العيز في سورة مريم (ولا يجزن) أي لا يحصل معهم حزن بتأثيرك بعضهن
دون بعض (ويرضين بما آتيتن كاهن) أي بما أعطيتهم من تقرب وارجاء وعزل واياء
وكان يقسم بينهن في القسمة حتى مات ولم يستعمل شيئا مما أبيع له ضمباط نفسه وأخذ
بالأفضل غير سودة فانها وهبت ليلتها للعائشة رضى الله عنهما (والله يعلم ما في قلوبكم) من

النبي الامي الذي يجذونه مكتوبه عندهم في التوراة والانجيل بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الآية وهكذا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دائما الى يوم الدين لا يحسن الكتابة ولا يخط سطر ولا حرفا يده بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل
الى الاقالييم ونزعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه انه علمه السلام كتب يوم الحديبية هذا ما قاضى
عليه محمد بن عبد الله فانما حله على ذلك رواية في صحيح البخاري ثم أخذ في كتب وهدم محولة على الرواية الاخرى ثم أمر فكتب
ولهذا الشدة النكبر من فقهاء المنرق والمغرب على من قال بقول الباجي وتبرؤا منه وأنشدوا في ذلك أقوالا وخطبوا به في

مخافهم وانما أراد الرجل أعنى الباجي فيما يظهر عنه انه كتب ذلك على وجه المجزة لانه كان يحسن الكتابة كما قال صلى الله عليه وسلم اخبار عن الدجال مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية في ريقه كل مؤمن وما أورده بعضهم من الحديث انه لم يت صلى الله عليه وسلم حتى تعلم الكتابة فضعيف لا أصل له قال الله تعالى وما كنت تتلو أي تقرأ من قبله من كتاب لتأكد النبي ولا تخطفه بينك تأكيدا أيضا خرج مخرج الغالب كقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحه وقوله تعالى اذا الزاب المبطون أي لو كنت تحسبها لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول (٣٠٠) انما تعلم هذا من كتب قبله بأثورة عن الانبياء مع انهم قالوا ذلك

مع علمهم بانه أي لا يحسن الكتابة وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهي على علمه بكره وأصله يلاقى الله تعالى قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض الآتية وقال ههنا بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم أي هذا القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمر او نهي او خير او يحفظه العلماء يسره الله عليهم - حفظا وتلاوة وتفسيرا كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكري فهل من مدكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد أعطى ما آمن على مثله البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الى فارجوا ان أكون أكثرهم تابعا وفي حديث عياض بن حماد في صحيح مسلم يقول الله تعالى اني مبتليكم ومبتليكم ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظان أي لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتج الى ذلك المحل لانه قد جاء في الحديث الآخر لو كان القرآن في اهاب ما أحرقه النار ولانه محفوظ في الصدور ميسر على الاستمعة مهين

كل ما تضمنه ومن ذلك ما تضمنه من أمور النساء والميل الى بعضهن (وكان الله عليما) بكل شيء وعيا في ضمائرهم لا تخفي عليه خافية (حليما) عنكم لا يعاجل العصاة بالعقوبة فيمنع ان تتق محاربة لان ان تمام الحليم و غضبه أمر عظيم لا يحل لك النساء من بعد أي من بعده هؤلاء اتسع اللاتي اخترنك واجتمعن في عصمتك وهن التسع اللاتي توفى عنهن وهن عائشة بنت أبي بكر الصديق وحنيفة بنت عمرو أم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المص. طلبة قاله أبو السعود وقد اختلف أهل العلم في تفسير هذه الآية على أقوال الاول انهم محكمة وان حرم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يتزوج على نساءه مكافاة لهن بما فعلن من اختيار الله ورسوله والدار الاخرة لما خبرهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما امر الله بذلك وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والحسن وابن سيرين وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وابن زيد وابن جرير وقال أبو امامة بن سهل بن حنيف لما حرم الله عليهن ان يتزوجن من بعده حرم عليه ان يتزوج غيرهن وقال أبي بن كعب وعكرمة وأبو زر بن ان المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاصناف التي سماها الله قال القرطبي وهو اختيار ابن جرير وقيل لا يحل لك اليهوديات والنصرانيات لانهن لا يصح ان يتصفن بأسماء المؤمنين وهذا القول فيه بعد لانه يكون التقدير لا يحل لك النساء من بعد المسلمات ولم يجز للمسلمات ذكر وقيل هذه الآية منسوخة بالسنة وبقوله ترجى من نساء منهن وتووى اليك من نساء وهذا قالت أم سلمة وعائشة وعلى بن أبي طالب وعلي بن الحسين وغيرهم وهذا هو الراجح وسيأتي ما يدل عليه من الادلة عن زياد رجل من الانصار قال قلت لأبي بن كعب أ رأيت لو ان أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم متين أ ما كان يحل له ان يتزوج قال وما يمنع من ذلك قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد قال انما أحل له ضمير ما من النساء ووصف له صفة فقال يا أيها النبي انما أحل لك أزواجك الى قوله وامرأة مؤمنة ثم قال لا يحل لك النساء من بعد هذه الصفة وعن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أصناف النساء الا ما كان من المؤمنات المهاجرات قال لا يحل لك النساء من بعد الآية فاحل له الفتيات المؤمنات وامرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات

على القلوب مجزلفظا ومعنى ولهذا جاء في الكتب المتقدمة في سنة هذه لانه أناجيلهم في صدورهم واخبار دين ابن جرير ان المعنى في قوله تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم بل العلم بانك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابا ولا تخطفه بينك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب ونقله عن قتادة وابن جرير وحكي الاول عن الحسن البصري فقط قلت وهو الذي رواه العوفي عن ابن عباس وقاله الضحاك وهو الاظهر والله أعلم وقوله تعالى وما يجحد بآياتنا الا الظالمون أي ما يكذبها او يخسح حقها ويردها الا الظالمون أي المعتدون المكابرون الذين يعلمون الحق ويحيدون

عنه كما قال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم (وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله نبيا وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) يقول تعالى مخبرا عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات يعنون ترشدكم الي ان محمدا رسول الله كما جاء صالح بشاقته قال الله تعالى قل يا محمد انما الآيات عند الله أي انما أمر ذلك الى الله فانه (٣٠١) لوعلم انكم تهتدون لاجابكم الى سؤالكم

لان ذلك سهل عليه يسير لديه ولكنه يعلم منكم انكم انما قصدتم التعتت والامتنان فلا يجيبكم الى ذلك كما قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتيناهم العاقبة مبصرة فظنوا بها وقوله وانما انا نذير مبين أي انما بعثت نذير اليكم بين النذارة فعلى ان بلغكم رسالة الله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ثم قال تعالى مبينا كثرة جهلهم وسخافة عقولهم حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الذي هو أعظم من كل معجزة اذ عجزت النصارى والبلغاء عن معارضته بل عن معارضة عشرين من مثله بل عن معارضة سورة منه فقال تعالى أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم أي أولم يكفهم آية انا انزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبا

دين غير الاسلام وقال يا أيها النبي انا خلقناك أزواجا الى قوله خالص لك من دون المؤمنين وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء وعنه قال نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يتزوج بعد نساءه الاول شيئا وعنه في الآية قال حبسه الله عليهن كما حبسهن عليه وعن أنس قال لما خبرن فآخرن الله ورسوله قصره عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد وعن أم سلمة قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أحل الله له ان يتزوج من النساء ما شاء الا ذات محرم وذلك قول الله تربي من نساء منهن الآية وأخرج أحمد وأبو داود في ناسخه والترمذي وعنه والنسائي والحاكم وعنه عن عائشة قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أحل الله له ان يتزوج من النساء ما شاء الا ذات محرم لقوله تربي من نساء منهن الآية وعن ابن عباس مثله وعن أبي رزين لا يحل لك النساء من بعد قال من المشركات الا ما سميت فليكت ميمتك (ولا ان تبدل بهن من أزواج) أي ليس لك ان تطلق واحدة منهن أو أكثر وتتزوج بدل من طلقت منهن أي من المسلمات غيرهن من الكليات لانه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية ومن مزيدة لتأ كيد النفي وفائده استغراق جنس الأزواج بالتحرير وقال ابن زيد هذا شيء كانت العرب تفعله تقول خذ زوجتي وأعطني زوجتك وقد أنكرا بن جرير والنحاس ما ذكره ابن زيد قال ابن جرير ما نعلت العرب هذا قاطن ويدفع هذا الانكار منهما ما أخرجه الدارقطني عن أبي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزله الله عز وجل ولا ان تبدل بهن وأخرجه أيضا عنه البزار وابن مردويه وأخرجا عن أبي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل باد لي امرأتك وأباد لك امرأتي أي تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزله الله هذه الآية قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول صلى الله عليه وآله وسلم وعنده عائشة فدخل بغراذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من الانصار منذ أدركت ثم قال من هذه الجبراء الي جنبك فقال رسول صلى الله عليه وآله وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال أفلا أنزل لك عن أحسن خلق الله قال يا عيينة ان الله حرم ذلك فلما ان خرج قات عائشة من هذا قال أحق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه (ولو أعجبك حسنهن) وهذا كقولك اعطوا السائل ولو على فرس أي في كل

ما بعدهم وحكم ما بينهم وانت رجل أي لا تقرأ ولا تكتب ولم تحافظ أحد من أهل الكتاب في حقهم بأخبار ما في الصحف الاولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح البين الخلي كما قال تعالى أولم يكن لهم آية ان يعلموا بني اسرائيل وقال تعالى وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه أولم يكفهم آية ما في الصحف الاولى وقال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثني شاذان بن سفيان حدثني سفيان بن عيينة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء من نبي الا ادعى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي فارحوا ان يكون أكثرهم تابعا يوم القيامة أخرجه من حديث الليث وقد قال

الله تعالى ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون أى ان في هذا القرآن لرحمة أى بيان للعقوبات والاضحية للباطل وذكرى بما فيه حلول
 النقصات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصيين لقوم يؤمنون ثم قال تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا أى هو
 أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب ويعلم ما أقول لكم من اخبارى عنه بانة أرسلنى فلو كنت كاذبا عليه لانتقم منى كما قال تعالى ولو
 تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجز وانا انما اصادق عليه فيما
 أخبركم به ولهذا اليدى بالمعجزات الواضحات (٣٠٢) والدلائل القاطعات بعلم ما فى السموات والارض أى لا تخفى

عليه خافية والذين آمنوا بالباطل
 وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون
 أى يوم القيامة سيجزىهم على
 ما فعلوا ويقابلهم على ما صنعوا فى
 تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل
 كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة على
 صدقهم وآمنوا بالطبواغيت
 والاثوان بلا دليل فيجازىهم على
 ذلك انه حكيم عليم (ويستعملونك
 بالعباد ولولا أجل مسمى لجاءهم
 العذاب وليأتينهم بغتة وهم
 لا يشعرون يستعملونك بالعذاب
 وان جهنم محيطية بالكافرين يوم
 يغشاهم العذاب من فوقهم ومن
 تحت أرجلهم وتقول ذوقوا ما كنتم
 تكفرون) يتول تعالى مجبرا عن
 جهل المشركين فى استجلالهم
 عذاب الله ان يعجزهم وبأس الله
 ان يحل عليهم كما قال تعالى واذا قالوا
 اللهم ان كان هذا هو الحق من
 عندك فامطر علينا حجارة من
 السماء أو آتنا بعذاب أليم وقال
 ههنا ويستعملونك بالعذاب ولولا
 أجل مسمى لجاءهم العذاب اى لولا
 ما حتم الله من تأخير العذاب الى
 يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبا

حال ولو على هذه الحالة المنافية للاعطاء وقيل تقديره مفروض العبادك بين أى لا يحل لك
 التبدل بازواجك ولو أعجبك حسن غيرهن وجالها بمن أردت ان تجعلها بادل من احداهن
 وهذا التبدل أيضا من جملة ما نسخته الله فى حورسوله على القول الرابع ونسخها ما
 بالسنة أو بقوله انا أولئنا لك أزواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف قال ابن
 عباس يعنى أسماء بنت عميس امرأته فمقرن أبى طالب لما استشهد جعفر أرا در رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم ان يخطبها فنهى عن ذلك (الامام ملكك عينك) استثناء من النساء
 لانه يتناول الحرائر والاماء وقيل منقطع والمعنى تحل لك الاماء وقد ملكك صلى الله عليه وآله
 وسلم بعد من مارية القبطية أهدها له المقوقس ملك القبط وهم أهل مصر والاسكندرية
 وولدت له ابراهيم فى ذى الحجة سنة ثمان ومائة فى حياة أبيه وله سبعون يوما وقيل سنة
 وعشرة اشهر وفى رواية انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يصل عليه بنفسه بل امرهم فصالوا
 قاله ابن حجر فى شرح الهمزية وقد اختلف العلماء فى تحليل الامة الكافرة على قولين
 الاول انها تحل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لعدم هذه الآية وبه قال مجاهد وسعيد
 ابن جبيرة وعطاء والحسن والثانى انها لا تحل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تنزيها لبقدرته
 عن مباهرة الكافرة وتبرج القول الاول بعدم هذه الآية وتعليل المنع بالتنزيه
 فلا تنزه عما أحله الله فهو طيب لا خبيث با تبرأ ما يتعلق بامور النكاح لا باعتبار غير ذلك
 فالمشركون يحبس بنص القرآن ويمكن ترجيح القول الثانى بقوله سبحانه ولا تمسكوا
 بعصم الكوافر فانه منى عام (وكان الله على كل شىء رقيبا) أى مراقبا حافظا وفى الآية
 دليل على جواز النظر الى من يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روى عن جابر قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع ان ينظر الى
 ما يدعوه الى نكاحها فليفعل أخرجه أبو داود وعن أبى هريرة ان رجلا أراد ان يتزوج
 امرأة من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم انظر اليها فان فى عين الانصار
 شىء قال الحمدي يعنى هو الصغرى وعن المغيرة بن شعبة قال خطبت امرأة فقال لى النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم هل نظرت اليها قلت لا قال فانظر اليها فانه أحرى ان يدوم بينكما
 أخرجه الترمذى وقال حسن (يا أيها الذين آمنوا) شروع فى بيان ما يجب رعابته على
 الناس من حقوق نساء النبي اثنى بيان ما يجب مراعاته عليه من حقوقهن (لا تدخلوا

سريعا كما استعملوه ثم قال وليأتينهم بغتة أى فجأة وهم لا يشعرون يستعملونك بالعذاب وان جهنم محيطية بيوت

بالكافرين أى يستعملون العذاب وهو واقع بهم لا محالة قال شعبة عن مالك عن عكرمة قال فى قوله وان جهنم محيطية بالكافرين
 قال البحر وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا عمار بن اسمعيل بن خالد حدثنا أبى عن مجاهد عن الشعبي انه سمع ابن عباس
 يقول ان جهنم محيطية بالكافرين وجهنم هو هذا البحر الاخضر تنتثر الكواكب فيه وتكور فيه الشمس والقمر ثم يوقد فيكون هو
 جهنم وقال الامام أحمد حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الله بن أمية حدثنى محمد بن حبي أخبرنى صفوان بن يعلى عن أبيه ان النبي صلى

الله عليه وسلم قال البحر وجههم قالوا لعلي فقال ألا ترون ان الله تعالى يقول ناراً أحاط بهم سرادقها قال لا والذي نفس بعلي بيده
لا أدخلها أبداً حتى أعرض على الله ولا يصيبني منها قطرة حتى أعرض على الله تعالى هذا تفسير غريب وحديث غريب جداً والله
أعلم ثم قال عز وجل يوم يغشاهاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال
تعالى لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال وقال تعالى لويلم الذين كفروا حين لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم الآية فالنار تغشاهاهم من سائر جهاتهم وهذا بلغ في العذاب (٣٠٢) الحسى وقوله تعالى ونقول ذوقوا

ما كنتم تعملون تمديد وتقريع
وتوبيخ وهذا عذاب معنوي على
النفوس كقوله تعالى يوم يسحبون
في النار على وجوههم ذوقوا مس
سقرانا كل شئ خلقناه بقدر وقال
تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا
هذه النار التي كنتم بها تكذبون
افسحروا هذا أم أنتم لا تبصرون
اصولها فاصبروا ولا تصبروا وسواها
عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون
(باعتدادي الذين آمنوا ان أرضي
واسعة فاباى فاعبدون كل نفس
ذائقة الموت ثم الماترحعون والذين
آمنوا وعملوا الصالحات تسبونهم
من الجنة غرفا تجري من تحتها
الانهار خالدن فيها فم أجر العاملين
الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله
يرزقها واياكم وهو السميع العليم)
هذا أمر من الله تعالى لعباده
المؤمنين بالهجرة من البلد الذي
لا يقدرون فيه على إقامة الدين فيها
الى أرض الله الواسعة حيث يمكن
إقامة الدين بان يوحده الله ويعبدوه
كأمرهم ولهذا قال تعالى يا عبداى
الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاباى

بيوت النبي) هذا من حى عام لكل مؤمن ان يدخل بيوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الاباذن منه وسبب النزول ما وقع من بعض الصحابة في وليمة زينب وقد أخرج البخارى
ومسلم عن أنس قال قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر
فلو حجبتهن فانزل الله آية الخجاب وفي لفظ انه قال عمر يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر
فلو أمرت أمهات المؤمنين بالخجاب فانزل الله آية الخجاب وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما
عن أنس قال لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت جحش دعا القوم
فطعموا ثم جلسوا ويحدثون واذا هو كانه يتبأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام فلما
قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليدخل فاذا القوم
جلوس ثم انهم قاموا فانطلقت جئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم انهم قد
انطلقوا فحاش حتى دخل فذهبت أدخل فألقى الخجاب بيني وبينه فانزل الله يا أيها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وأخرج ابن جرير عن عائشة ان أزواج النبي صلى الله
عليه وآله وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيج وكان عمر بن
الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يجعل ذلك فخرجت سودة بنت زمعة ليله من الليالى عشيا وكانت
امرأة طويلة فتنادها عمر بصوته الاعلى قد عرفناك يا سودة حرصاعنى ان ينزل الخجاب
فأنزل الله الخجاب قال يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وأخرج ابن سعد
عن أنس قال نزل الخجاب مبتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزینب بنت جحش وذلك
سنة خمس من الهجرة وحجب نساءهم من يومئذ وانا ابن خمس عشرة سنة وكذا أخرج ابن
سعد عن صالح بن كيسان وقال نزل الخجاب على نساءه في ذى القعدة سنة خمس من
الهجرة وبه قال قتادة والواقدي وزعم أبو عبيدة وخليفة بن خياط ان ذلك كان في سنة
ثلاث وفي الآية دليل على ان البيت للرجل ويحكم له به فان الله أضافه اليه اضافة ملك
وأما اضافته الى الأزواج في قوله ما تلى في بيوتكن فهى اضافة محل دليل انه جعل فيها
الاذن الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاذن انما يكون من المالك واختلف العلماء في
بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كان يسكن فيها نساءه وبعد موته هل هى ملك لهن
أولاً على قولين فقالت طائفة كانت ملك لهن بدليل انهن سكن فيها بعد موت النبي صلى

فاعبدون قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية بن الوليد حدثني جبير بن عمرو القرشي حدثني أبو سعد الانصاري عن
أبي يحيى مولى الزبير بن العوام عن الزبير بن العوام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد بلاد الله والعباد عباد الله هيئما
أصبحت خيراً فأقم ولهذا المصاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها اخرجوا مهاجرين الى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك
فوجدوا خيراً المتزلين هناك أصحمة النجاشي ملك الحبشة رحمة الله تعالى فأوهم وأيدهم بنصره وجعلهم سيوما يبلدهم ثم بعد ذلك
هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الباقيون الى المدينة النبوية يثرب المطهرة ثم قال تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم الماترحعون

ترجعون أى أيتها كنتم يدرككم الموت فكونوا فى طاعة الله وحيث أمركم الله فهو خير لكم فان الموت لا يدمنه ولا يحيد عنه ثم الى الله المرجع والمآب فمن كان مطيعا له جازاه أفضل الجزاء ووافاه أتم الثواب ولهذا قال تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات ليسبوئتهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار أى لنسكنهم منازل عالية فى الجنة تجرى من تحتها الأنهار على اختلاف أصنافها من ماء وخر وعسل ولبن يصرفونها ويجرونها حيث شاؤوا والذين فيها أى ما كمن فيها أبدا لا يبلغون عنها حولوا نعم أجر العالمين نعمت هذه الغرف أجزا على أعمال المؤمنين (٣٠٤) الذين صبروا أى على دينهم وهاجروا الى الله وناذروا الأعداء وفارقوا

الأهل والأقرباء ابتغاء وجهه الله ورجاء ما عنده وتصديق موعوده قال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا أى أخبرنا صفوان المؤذن أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبى سلام الأسود حدثنى أبو معاوية الأشعري ان ابا مالك الأشعري حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام واطاب الكلام وتابع الصلوة والصيام وقام بالليل والناس نيام وعلى ربهم يتوكلون فى أحوالهم كما هى فى دينهم وديناهم ثم أخبرهم تعالى ان الرزق لا يختص ببقعة بل رزقه تعالى عام لخلقه حدث كانوا واين كانوا بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع واطيب فانهم بعد قليل صاروا حكام البلاد فى سائر الأقطار والامصار ولهذا قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها اى لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لغدا الله يرزقها واياكم اى الله

الله عليه وآله وسلم الى وفاتهن وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهب لهن ذلك فى حياته الثانى ان ذلك كان اسكانا كما يسكن الرجل أهله ولم يكن هبة وامتدت سكنهن بها الى الموت وهذا هو الصحيح وهو الذى ارتضاه أبو عمر بن عبد البر وابن العربي وغيرهما فان ذلك من مؤنثن التى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استنساها لهن كما استثنى لهن نفقاتهن حين قال لا تقسم ورثتى دينارا ولا درهما ما تركت به صدقة أهلى وموثة عاملى فهو صدقة هكذا قال أهل العلم قالوا ويدل على ذلك ان مساكين لم ترهنها عنهن ورثتهن قالوا وفى ترك ورثتهن ذلك دليل على انهن لم تكن لهن ممتلكات وانما كان لهن سكنى حياتهن فلما توفين جعل ذلك زيادة فى المسجد الحرام الذى يم المسلمون نفعه كما جعل ذلك الذى كان لهن من النفقات فى تركه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما ضمن الى سبلهن فزيد الى أصل المال فصرف لمنافع المسلمين ما يعم نفعه الجميع والله الموفق كذا قاله القرطبي واعلم ان قالون هم النبي حيث وقع الا فى موضعين من هذه السورة أحدهما هذه الآية والثانى قوله ان وهبت نفسها للنبي فابدلها بيا فى الوصل وهمزها فى الوقف كما ذكره الشاطبى ولم يسهلها كما سهل غيرها لانه رأى ابدال هنا جاريا على القياس فيه فوجه موافقته لغيره ولانه أفصح من التسهيل ولذلك أنكر على من قال يا نبى الله بالهمز وهذا ما لا اعتبار عليه فلهذا التنزيل وما فيه من دقائق التأويل (الآن يؤذن لكم) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لا تدخلوها فى حال من الاحوال الا فى حال كونكم مأذونا لكم أى الاممحبوبين بالاذن أو الأبا ن يؤذن لكم أو الا وقت ان يؤذن لكم وقوله (الى طعام) يتعلق بيؤذن على تضمينه معنى الدعاء أى الا ان يؤذن لكم مدعويين الى طعام (غير ناظرين اناه) انتصاب غير على الحال والعامل فيه يؤذى أو مقدر أى ادخلوا غير ناظرين ومعنى ناظرين منتظرين واناه نضجه وادراكه يقال انى يانى انا اذا حان وأدرك قال الرازى فى الآية اما ان يكون فيه تقديم وتأخير تقديره ولا تدخلوا الى طعام الا ان يؤذن لكم فلا يكون منع من الدخول فى غير وقت الطعام بغير اذن واما ان لا يكون فيه تقديم وتأخير فيكون معناه ولا تدخلوا الا ان يؤذن لكم الى طعام فيكون الاذن مشروطا بكونه الى طعام فان لم يؤذن الى طعام فلا يجوز الدخول فلو أذن لواحد فى الدخول لاستماع كلامه لا لاكل طعامه فلا يجوز ذوقه والمسا داهو الثانى ليع النهى عن

الاهل والأقرباء ابتغاء وجهه الله ورجاء ما عنده وتصديق موعوده قال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا أى أخبرنا صفوان المؤذن أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبى سلام الأسود حدثنى أبو معاوية الأشعري ان ابا مالك الأشعري حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام واطاب الكلام وتابع الصلوة والصيام وقام بالليل والناس نيام وعلى ربهم يتوكلون فى أحوالهم كما هى فى دينهم وديناهم ثم أخبرهم تعالى ان الرزق لا يختص ببقعة بل رزقه تعالى عام لخلقه حدث كانوا واين كانوا بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع واطيب فانهم بعد قليل صاروا حكام البلاد فى سائر الأقطار والامصار ولهذا قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها اى لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لغدا الله يرزقها واياكم اى الله

يقبض لهار رزقها على ضعفها او يبسر عليها فيبعث الى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر فى قرار الارض والطيور الدخول فى الهواء والحيتان فى الماء قال تعالى وما من دابة فى الارض الا على اية رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين وقال ابن ابى حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروى حدثنا يزيد بنى ابن هرون حدثنا الجراح بن منال الجزرى هو أبو العطوف عن الزهرى عن رجل عن ابن عمر قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلقط من التمر ويأكل فقال لى يا ابن عمر مالك لانا كل قال قلت لاشتهيه يا رسول الله قال لكنى اشتهيه وهذا صبح رابعة من ذم اذق طعاما ولم اجده

ولو تمتد عورت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقصر فكيف بك يا ابن عزة إذا بقيت في قوم يحبون رزق سنتهم وبضعف اليقين قال فوالله ما ربحنا ولا ربحنا حتى نزلت وكأني من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وأياكم وهو السميع العليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات فمن كنز الدنيا يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله الأواني لا أكثر دينار ولا درهم ولا أخبر رزقنا بعد هذا حديث غريب وأبو العطوف الجزري ضعيف وقد ذكر وأن الغراب إذا فقس عن فراخه البيض خرجوا وهم بيض فإذا رآهم أبوهم كذلك نفر عنهم أياما حتى (٣٠٥) يسود الريش فيظل الفرخ فاتحافا يتفقد أبويه

فيبيض الله تعالى طير الصفا
كالبرغش فيغشاه فيسقط به تلك
الأيام حتى يسود ريشه والأبوان
يتفقدانه كل وقت فكلمارأوه
أيض الريش نفر عنه فإذا رآه وقد
أسود ريشه عطفنا عليه بالحضامة
والرزق ولهذا قال الشاعر
يارازق النعاب في عشه

وجابر العظم التكسير المبيض
وقد قال الشافعي في جملة كلامه في
الأوامر كقول النبي صلى الله عليه
وسلم سافروا وتصوموا وترزقوا قال
البيهقي أخبرنا أملاء أبو الحسن
علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد
ابن عبيد أخبرنا محمد بن غالب حدثني
محمد بن سنان أخبرنا محمد بن عبد
الرحمن بن يزيد أشجع من أهل المدينة
حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سافروا وتصوموا وتغنوا قال
ورويناه عن ابن عباس وقال الإمام
أحمد حدثنا قيس بن عمار أخبرنا ابن لهيعة
عن دراج عن عبد الرحمن بن محمد
عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سافروا وترجوا
وصوموا وتغنوا واغزوا وتغنوا وقد

الدخول وأما كونه لا يجوز إلا بآذن إلى الطعام فلما هو مذكور في سبب النزول إن الخطاب مع قوم كانوا يتحيمون حين الطعام ويدخلون من غير آذن فنعوا من الدخول في وقتهم بغير آذن وقال ابن عادل الأولى إن يقال المراد هو الثاني لأن التقديم والتأخير خلاف الأصل وقوله إلى طعام من باب التخصيص بالذكر فلا يدل على نفي ما عداه لاسيما إذا علم أن غيره مثله فإن من جاز دخوله يتبذره إلى طعامه جاز دخوله بآذنه إلى غير الطعام انتهى والأولى في التعبير عن هذا المعنى الذي أراده أن يقال قد دلت الأدلة على جواز دخول بيوته صلى الله عليه وآله وسلم بآذنه لغير الطعام وذلك معلوم لاشك فيه فقد كان الصحابة وغيرهم يستأذنون عليه لغير الطعام فيما ذن لهم وذلك يوجب قصر هذه الآية على السبب الذي نزل فيه وهو القوم الذين كانوا يتحيمون طعام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لآذره كأهنا لهم فلا تدل على المنع من الدخول مع الأذن لغير ذلك والامساك بالحد الذي يدخل بيوته بآذنه لغير الطعام واللازم باطل فاللزوم مثله قال ابن عطية وكانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يبكر من شاء إلى الدعوة ينتظرون طبخ الطعام ونضجه وكذلك إذا فرغوا منه جلسوا كذلك فنهى الله المؤمنين عن ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخل في النهي سائر المؤمنين والترمذي الناس أدب الله لهم في ذلك فنعهم من الدخول إلا بآذن عند الأكل لا قبله لا تتظار نضح الطعام ثم بين سبحانه ما ينبغي في ذلك فقال (ولكن إذا دعيتم) وأذن لكم فادخلوا وفيه تأكيده ببلوغ المنع وبين الوقت الذي يكون فيه الدخول وهو عند الأذن وقال ابن العربي وتقدير الكلام ولكن إذا دعيتم وأذن لكم (فادخلوا) والافتقار إلى الدعوة لا يكون إذنا كافيا في الدخول وقيل إن فيه دلالة بينة على أن المراد بالآذن إلى الطعام هو الدعوة إليه قال الرازي فيه لطيفة وهي إن في العادة إذا قبل لمن يعتاد دخول دار من غير آذن لا تدخلها إلا بآذن يتأذى وينقطع بحيث لا يدخلها أصلا ولا بالدعاء فقال لا تفعلوا مثل ما يفعله المستكبرون بل كونوا طائعين إذا قبل لكم لا تدخلوا فلا تدخلوا وإذا قبل لكم ادخلوا فادخلوا وقوله الآن يؤذن لكم بفساد الجواز وقوله ولكن إذا دعيتم فادخلوا يفيد الوجوب فليس تأكيده بل هو مفيد فائدة جديدة (فإذا دعيتم) أي أكلتم الطعام يقال طعم بكسر العين بطعم بفتحها طعمما كفتحهم وطعمما كقفل وفي الخطيب

(٣٩ - فتح البيان سابع) ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعا عن معاذ بن جبل مرفوعا وفي لفظ سافروا مع ذي الحدود والميسرة قال ورويناه عن ابن عباس وقوله وهو السميع العليم أي السميع لأقوال عباده العليم بجر كآتهم وسكاتهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فإني يوفىكون الله يسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره إن الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحياه الأرض من بعدهم لتيقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يهتدون) يقول تعالى مقررا أنه لا اله الا هو لان المشركين الذين يعبدون معه غير معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض

والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار وانه الخالق الرزق لعباده ومقدر آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم فقاوت بينهم الغنى والغنى والفقير وهو العليم بما يصلح كلامهم ومن يستحق الغنى عن يستحق الفقر فذكر انه المستقل بخلق الاشياء المتفرد بتدبيرها فاذا كان الامر كذلك فلم يعبد غيره ولم يتوكل على غيره فكما انه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته وكثيرا ما يقر تعالى مقام الالهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية وقد كان المشركون يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تليبتهم لبيك لاشريك لك لاشريك يكا هولك تملكه ومملك (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو لعب (٣٠٦) وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا

الله له مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتبعوا فسوف يعلمون) يقول تعالى مخبراً عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها وانها لا دوام لها وغاية ما فيها الهو ولعب وان الدار الاخرة لهي الحيوان اى الحياة الدائمة الحق الذى لازواله ولا انقضاء بل هي مستقرة ابد الاباد وقوله تعالى لو كانوا يعلمون اى لا تروا ما يلقى على ما ينسى ثم اخبر تعالى عن المشركين انهم عند الاضطرار يدعون وحده لاشريك له فهلا يكون هذا منهم دائماً فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الاياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم الآية وقال ههنا فلما يجاهم الى البر اذاهم يشركون وقد ذكر محمد بن اسحق عن عكرمة ابن ابي جهل انه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ذهب فاراً منه فلما ركب في البحر ليذهب الى الحبشة اضطربت بهم السفينة فقال اهلها يا قوم اخلصوا الربكم

اذا اكلتم طعاماً أو شربتم شرباً (فانتشروا) اى اذهبوا حيث شئتم في الحال ولا تمكثوا بعد الاكل والشرب والمراد الازام بالخروج من المنزل الذى وقعت الدعوة اليه عند انقضاء المقصود من الاكل ولا تدخلوا هاجين (ولا) تمكثوا (مستأنسين لحديث) يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به يقال أنست به انسان من باب علم وفي لغة من باب ضرب والانسان بالضم اسم منه واستأنست به وتأنست به اذا سكن القلب ولم ينفر (ان ذلكم) اى الانتظار والمكث والاستئناس للحديث وأشير اليها بما يشار به الى الواحد بتأويله - ما بالمدكور كفى قوله تعالى عوان بين ذلك اى ان ذلك المذكور من الامرين (كان) فى علم الله (يؤذى النبي) لانهم كانوا يضيقون عليه المنزل وعلى أهله ويتحدثون بما لا يريد قال الزجاج كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحتمل اطالتهم كرامته فيصبر على الاذى فى ذلك فعلم الله من يحضره الادب فصار ادبا لهم ولمن بعدهم (فيستحي منكم) اى يستحي ان يقول لكم قوماً واخرجوا (والله لا يستحي من الحق) اى لا يترك ان يبين لكم ما هو الحق ولا يمتنع من بيانه واطهاره والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكله قرأ الجمهور يستحي يباين وروى عن ابن كثير انه قرأ بباء واحدة وهي لغة تميم يقولون استحي يستحي مثل استقى يستقى وهذا ادب ادب الله به النقلة وعن عائشة حبسك فى النقلة ان الله تعالى لم يحتملهم وقال اذا طعمتهم فانتشروا ثم اخذ كرسجها ادبا آخر متعلقا بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (واذا سألوهن) اى أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم (متاعاً) اى شيئاً يتمتع به من الماعون وغيره والمتاع يطلق على كل ما يتمتع به فلا وجه لما قيل من ان المراد به العارية أو الفتوى أو المصحف (فأسالوهن) المتاع (من وراء حجاب) اى من وراء ستريبتكنم وبينهن فبعد آية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متنتقة كانت أو غير متنتقة (ذاكنم) اى سؤال المتاع من وراء الحجاب وقيل الاشارة الى جميع ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع والاول اولى واسم الاشارة مبتدأ وخبره قوله (أظهر لقلوبكم وقلوبهن) اى اكثر تطهيرا لها من الريبة وخواطر السوء التى تعرض للرجال فى امر النساء وللنساء فى امر الرجال وأبعد للتممة وأقوى فى الحماية وفى هذا ادب لكل مؤمن وتحذيره من أن يثق بنفسه فى الخلوة مع من لا تحل له والمكالمة من

الدعاء فانه لا ينجي ههنا الا هو فقال عكرمة والله لئن كان لا ينجي فى البحر غيره فانه لا ينجي فى البر اى غيره اللهم دون لك على عهد لئن خرجت لاذهن فلا ضعن يدي فى يد محمد فلا جد نهر وفار حيا فكان كذلك وقوله تعالى ليكنه راجما آتيناهم وليتبعوا هذه اللام يسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الاصول لام العاقبة لانهم لا يصدقون ذلك ولا شانها كذلك فالنسبة اليهم وأما بالنسبة الى تقدير الله عليهم ذلك وتقييضه اياهم لذلك فهى لام التعليل وقد قدمنا تقرير ذلك فى قوله ليكون لهم سدوا حزننا (اولى) واولى راجما آتيناهم فاعلموا انهم من حولهم أقبال باطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم من

افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه آليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين
 يقول تعالى ممسكا على قرينيه فيما أحلهم من حرمه الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والباد ومن دخله كان آمنا فمهم في أمن عظيم
 والاعراب حوله ينهب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا كما قال تعالى لئن لاي قريش الى آخر السورة وقوله تعالى أفتبالباطل
 يؤمنون وبنعمة الله يكفرون أى أفكان شكرهم على هذه النعمة العظيمة ان أشركوا به وعبدوا معه غيره من الاصنام والانداد
 وبدلوا نعمة الله كفرًا أو حلوا قومهم دار البوار فكفروا بنبي الله (٣٠٧) وعبدوه ورسوله فكان اللاتق بهم

اخلاص العبادة لله وان لا يشركوا
 به وتسدق الرسول وتعظيمه
 وتوقيره فأخرجوه من بين أظهرهم
 ولهذا سلبهم الله تعالى ما كان أنعم به
 عليهم وقتل من قتل منهم يدرثم
 صارت الدولة لله ورسوله وللمؤمنين
 ففتح الله على رسوله مكة وأرغم
 أبا قحافة وأذل قريشهم ثم قال تعالى
 ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا
 أو كذب بالحق لما جاءه أى لأحد
 أشد عقوبة ممن كذب على الله فقال
 ان الله أوحى اليه ولم يوح اليه شئ
 ومن قال سأزل مثل ما أنزل الله
 وهكذا الاحد أشد عقوبة ممن كذب
 بالحق لما جاءه فالاول مفتر والناني
 مكذب ولهذا قال تعالى آليس في
 جهنم مثوى للكافرين ثم قال
 تعالى والذين جاهدوا فينا يدعى
 الرسول صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه واتباعه الى يوم الدين
 لنهدينهم سبلنا أى لنبصرهم سبلنا
 أى طرفنا في الدنيا والآخرة قال
 ابن أبي حاتم حدثنا أبو حمزة أحمد
 ابن أبي الخوارى أخبرنا عباس
 الهمداني أبو أحمد من أهل عكا
 في قول الله تعالى والذين جاهدوا

دون حجاب ان تحرم عليه فان مجازة ذلك أحسن بحاله وأحسن لنفسه وأتم لعصته (وما
 كان) أى ما صح ولا استقام (لكم ان تؤذوا رسول الله) بشئ من الاشياء كأنما كان
 ومن جملة ذلك دخول بيوته بغير إذنه واللبث فيها على غير الوجه الذى يريد وتكليم
 نساءه من دون حجاب (ولان تسكعوا أزواجه من بعد أبدأ) أى ولا كان لكم ذلك بعد
 وفاته أو فراقه لانهن أمهات المؤمنين ولا يحل للاولاد نكاح الامهات قال ابن عباس
 فى الآية تزنا فى رجلهم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته
 قال سفيان وذكر وأنها عائشة وعن السدى قال بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال أيجبنا
 محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا لئن حدثت به حدث لمتزوجن نساءه من بعده
 فنزلت هذه الآية وعن قتاده قال قال طلحة بن عبيد الله لوقبض النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم لتزوجت عائشة فنزلت وعن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم قال نزلت فى طلحة لانه قال
 اذا توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوجت عائشة قال ابن عطية وهذا عندى لا يصح
 على طلحة قال القرطبي قال شيخنا الامام أبو العباس وقد حكى هذا القول عن بعض فضلاء
 الصحابة وحاشاهم عن مثله وانما الكذب فى نقله وانما يلقى مثل هذا القول بالمتناقضين
 الجهال وعن ابن عباس قال قال رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو قدمنا
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تزوجت عائشة وأم سلمة فانزل الله وما كان لكم ان
 تؤذوا رسول الله الآية وعنه أن رجلا أتى بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم فكلما هو ابن عمها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تقومون هذا المقام بعد
 يومك هذا فقال يا رسول الله انما ابنة عمى والله ما قلت لها منكرا ولا قالت لى قال النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم قد عرفت ذلك انه ليس أحد غير من الله وانه ليس أحد غير منى
 فغضى ثم قال ينبغى من كلام ابنة عمى لاتزوجنها من بعدة فانزل الله هذه الآية فاعتق
 ذلك الرجل رقبة ورجل على عشرة أبعرة فى سبيل الله ورجع ماشيا توبته من كلمته وعن أسماء
 بنت عميس قالت خطبني على فبلغ ذلك فاطمة فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت
 ان أسماء متزوجة عليك فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كانها ان تؤذى الله
 ورسوله والذى جرى عليه الرمل فى شرح المنهاج ان من عقد عليها النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم يحرم على غيره سواه دخل بها صلى الله عليه وآله وسلم وأولاها وأما حكم ما نهى عن

فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين قال الذين يعملون بما يعلمون يهدىهم الله لما لا يعلمون قال أحمد بن أبي الخوارى فحدثت به
 أبي سليمان يعنى الداراني فأعجبته وقال ليس ينبغى لمن ألهم شيئا من الخير ان يعمل به حتى يسمعه فى الاثر فإذا سمعه فى الاثر عمل به
 وجد الله حتى وافق ما فى قلبه وقوله وان الله لمع المحسنين قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حمزة أحمد بن حنبل بن حنفى الرى حدثنا أبو
 جعفر الرازى عن المغيرة عن الشعبي قال قال عيسى بن مريم عليه السلام انما الاحسان ان تحسن الى من أساء اليك ليس
 الاحسان ان تحسن الى من أحسن اليك والله أعلم آخر تنبيه سورة العنكبوت ونه الحد والمنة

هـ (تفسير سورة الروم وهي مكية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد

علمهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعده يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) نزلت هذه الآيات حين غلب نيسابور ملك الفرس على بلاد الشام وما والاها من بلاد الجزيرة وأقصى بلاد الروم فاضطر هرقل ملك الروم حتى ألقاه إلى القسطنطينية وحاصره فيها (٢٠٨) مدة طويلة ثم عادت الدولة لهرقل كما سابق وقال الامام أحمد

حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو اسحق عن سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الارض قال غلبت وغلبت قال كان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم لانهم أصحاب أوثان وكان المشركون يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم أهل الكتاب فذكر ذلك لابي بكر فذره أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انهم سيغلبون فذره أبو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبيننا أجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وكذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل أجل خمس سنين فلم يظهر واذا ذلك أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اجعلتم أراة قال نعم قال سعيد بن جبيرة البضع مادون العشر ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد علمهم سيغلبون الى قوله وهو العزيز الرحيم هكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن

دخل به امنهن حرمت على غيره والا فلا (ان ذلكم) أى نكاح أزواجه من بعده (كان عند الله عظيما) أى ذنبا عظيما وخطباها لا شديدا وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وايجاب حرمة حيا وميتا وعلامة بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فان من الناس من تفرط غيره على حرمة حتى يتمي لها الموت قبله ثلاثا تنكح بعده (ان تبدوا شيئا) أى تظهروه على ألسنتكم (أو تخفوه) في صدوركم (فان الله كان بكل شيء عليما) يعلم كل شيء من الاشياء ومن جملة ذلك ما تظهرونه في شأن أزواج رسوله وما تنكحونه في صدوركم وفي هذا وعد شديد لان احاطته بالمعلومات تستلزم المجازاة على خيرها وشرها قال أبو امامة بن سهل في الآية ان تكلموا به فتقولون تزوج فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو تخفوا ذلك في أنفسكم فلا تنطقوا به يعلمه الله ثم بين سبحانه من لا يلزم الحجاب منه فقال (لا جناح عليهن في آبائهن ولا آبائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن) فهو لا يجب على نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا على غيرهن من النساء الاحتجاب منهم في رؤية وكلام ولم يذكر الم والحال لانهم ما يجربان مجرى الوالدين وقال الزجاج الم والحال رعب يصفان المرأة لولدها فان المرأة تحل لابن الم وابن الخال فكذلك للرؤية وهذا ضعيف جدا فان تجوز وصف المرأة لمن تحل له يمكن من غيرهما من يجوز له النظر اليها لاسيما أبناء الاخوة وأبناء الاخوات واللازم باطل فاللزوم منه وهكذا يستلزم ان لا يجوز للنساء الاجنبيات ان ينظرن اليهن الا ينصحنه ففنها واللازم باطل فاللزوم منه وهكذا لا وجه لما قاله الشعبي وعكرمة من انه يكره للمرأة ان تضع خمارها عند عمها وخالها الاولى ان يقال انه سبحانه اقتصر ههنا على بعض من ذكره من المحارم في سورة النورا كتفاء بما تقدم (ولا نساءهن) هذه الاضافة تقتضي ان يكون المراد بانسائه المؤمنات لان الكافرات غير مأمونات على العورات والنساء كلهن عورة فيجب على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم الاحتجاب عنهن كما يجب على سائر المسلمات أى ما عدا ما يبدو وعند المهنة اما هو فلا يجب على المسلمات تحجبه وستر عن الكافرات وله ذاقيل هو خاص أى لا يجوز للكتابات الدخول على أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل عام في المسلمات والكتابات (ولا اماما كت أيمانهن) من العبيد والاماء ان يروهن ويكلموهن من غير حجاب وقيل

الاماء

الحسين بن حريث عن معاوية بن عمرو عن أبي اسحق الفزاري عن سفيان بن سعيد الثوري به وقال

الترمذي حسن غريب انما نعرفه من حديث سفيان عن حبيب ورواه ابن أبي حاتم عن محمد بن اسحق الصغاني عن معاوية بن عمرو به ورواه ابن جرير حدثنا محمد بن المنثري حدثنا محمد بن سعيد وأوسعيد الثعالبي الذي يقال له أبو سعيد من أهل طرسوس حدثنا أبو اسحق الفزاري فذره وعندهم قال سفيان قبل غني انهم غلبوا بعد يوم بدر حديث آخر قال سليمان بن مهران الاعشى عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله خمس قدمه زين الدخان واللازم والبطشة والقمر والروم أخرجه وقال ابن جرير حدثنا ابن

وكيف حدثنا الحارثي عن داود بن أبي هند عن عامر هو الشعبي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كان فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب وهم اقرب الي دينهم فلما نزلت الم غلبت الروم في اذنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قالوا يا ابا بكر ان صاحبك يقول ان الروم تظهر على فارس في بضع سنين قال صدق قالوا هل لك الى ان تقامرك فبايعوه على اربع قلايص الى سبع سنين فغضت السبع ولم يكن شي ففرح المشركون بذلك فشق على المسلمين فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ما بضع سنين (٣٠٩)

عندكم قالوا دون العشر قال اذهب فزايدهم وازدد سنين في الاجل قال فما مضت السنان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك وانزل الله تعالى الم غلبت الروم الى قوله تعالى وعادته لا يتخلف الله وعده حديث آخر قال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا اجد بن عمر الوكيعي حدثنا مؤمل عن اسرايل عن ابي اسحق عن البراء قال لما نزلت الم غلبت الروم في اذنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون قال المشركون لاني بكر الأتري الى ما يقول صاحبك بزعم ان الروم تغلب فارس قال صدق صاحبي قالوا هل لك ان نخاطرك لجعل بينه وبينهم اجلا فخل الاجل قيل ان يغلب الروم فارس فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وساء ذلك وكرهه وقال لاني بكر مادعاك الى هذا قال تصديق الله ورسوله قال تعرض لهم وأعظم لهم الخطر واجعله الى بضع سنين فاناهم ابي بكر فقال لهم هل لكم في العود فان العود اجد قالوا نعم فلم تعض تلك

الاماء خاصة ومن لم يبلغ من العبيد والخلاف في ذلك معروف وقد تقدم في سورة النور ما فيه كفاية ثم أمر سبحانه بالتقوى التي هي ملائكة الامركه ونقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل فضل تشديد كانه قيل (واتقين الله) في كل الامور التي من جلتها ما هو مذكور ههنا من الاحتجاب أي ان يراكن احد غير هؤلاء قال ابن عباس في الآية انزلت هذه في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة (ان الله كان على كل شيء) من أعمال العباد (شهيدا) لم يرغب عنه شيء من الاشياء كما ما كان فهو مجاز للمحسن باحسانه وللمسي باساءته والشهيد الذي يعلم خطرات القلوب كما يعلم حر كات الجوارح (ان الله وملائكته يصلون على النبي) هذه الآية شرف الله بها رسوله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وموته وأظهر بها منزلته عنده تعالى والضمير في يصلون راجع الى الله والى الملائكة وفيه تشریف للملائكة عظيم حيث جعل الضمير لهم ولله سبحانه واحد اقلا يرد الاعتراض بما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع الخطيب يقول من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد دغوى فقال بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله ووجه ذلك انه ليس لاحد ان يجمع ذكر الله سبحانه مع غيره في ضمير واحد وهذا الحديث ثابت في الصحيح وثبت أيضا في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر مناديا ينادي يوم خيبر ان الله ورسوله ينهياتكم عن لحوم الجمر الاهلية ولاهل العلم الجاث في الجمع بين الحديثين ليس هداموضع ذكرها والاية مؤيدة للجواز لجعل الضمير فيها الله والملائكة واحدا والتعليل بالتشريف للملائكة يقال مثله في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحمل الذم لذلك الخطيب الجامع بينهم على انه صلى الله عليه وآله وسلم فهم منه ارادة التسوية بين الله سبحانه وبين رسوله فيقتصر المنع بمثل ذلك وهذا أحسن ما قيل في الجمع وقالت طائفة في هذه الآية حذف والتقدير ان الله يصلي وملائكته يصلون وعلى هذا القول فلا تكون الآية مما جمع فيه بين ذكر الله وذكر غيره في ضمير واحد ولا يرد أيضا ما قيل ان الصلاة من الله الرحمة ومن ملائكته الدعاء فكيف يجمع بين هذين المنيين المختلفين في لفظ يصلون ويقال على القول الاول انه اريد يصلون معنى مجازي بجم المنيين وذلك بان يراد بقوله يصلون يتمون باظهار شرفه أو يعظمون شأنه أو يعتمنون باعترافه وحكى البخاري عن ابي العالية ان صلاة الله سبحانه شأنه عليه عند ملائكته

السنين حتى غلبت الروم فارس ووربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فجاءه ابي بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا التحيب قال تصديق به حديث آخر قال ابو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا اسمعيل بن ابي اويس اخبرني بن ابي الزناد عن عروة بن الزبير عن يار بن مكرم الاسلمي قال لما نزلت الم غلبت الروم في اذنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لانهم واياهم اهل كتاب وفي ذلك قوله تعالى يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وكانت قريش تحب ظهور فارس لانهم واياهم

ليسوا أهل كتاب ولا إيمان ببعث فلما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر بصريح بواحي مكة الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد علمهم سيغابون في بضع سنين فقال ناس من قريش لا بي بكر فذلك يبننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا تراهنك على ذلك قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن أبو بكر والمشركون وتوضعوا الرهان وقالوا لا بي بكر كم نجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين فسم يبننا وبينك وسطا ينتمى اليه قال فسموا بينهم ست سنين قال فضت ست السنين قبل ان يظهر وفاخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت (٣١٠) السنة السابعة ظهرت الروم على فارس قال فعاب المسلمون على أبي

بكر تسبته ست سنين قال لان الله يقول في بضع سنين قال فأسلم عند ذلك ناس كثير هكذا ساقه الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح لانعرفه الا من حديث عبد الرحمن ابن أبي الزناد وقد روى نحوه هذا مر سلا عن جماعة من التابعين مثل عكرمة والشعبي ومجاهد وقتادة والسدي والزهرى وغيرهم ومن أغرب هذه السياقات ما رواه الامام سنيد ابن داود في تفسيره حيث قال حدثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله عن عكرمة قال كانت في فارس امرأة لاتلد الا الملوك الا بطل فدعاها كسرى فقال انى أريدان أبعث الى الروم جيشا وأستعمل عليه رجلا من بنيك فأشيري على أنهم أستعمل فقالت هذا فلان وهو أروغ من ثعلب واحذر من صقر وهذا فرخان وهو أنفذ من سنان وهذا شهر براز وهو أحلم من كذا تعنى أولادها الثلاثة فاستعمل أيهم شئت قال فاني أستعمل الخليم فاستعمل شهر براز فسار الى الروم بأهل فارس فظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع

وصلاة الملائكة الدعاء وروى الترمذي في سننه عن سفيدان الثوري وغير واحد من أهل العلم انهم قالوا صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار وقال عطاء بن أبي رباح صلواته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي والمقصود من هذه الآية ان الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة نبيه عنده في الملا الاعلى بانه ينبي عليه عند ملائكته وان الملائكة تصلى عليه وأمر عباده بان يقتدوا بذلك ويصلوا عليه وقد اختلف أهل العلم في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل هي واجبة أم مستحبة بعد اتنا فهم على ان الصلاة عليه فرض في العمر مرة وقد حكى هذا الاجماع القرطبي في تفسيره فقال قوم من أهل العلم انها واجبة عند ذكره وقال قوم تحب في كل مجلس مرة وقد وردت أحاديث مصرحة بدم من يعذ كرا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يصل عليه واختلف العلماء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تشهد الصلاة المفروضة هل هي واجبة أم لا فذهب الجمهور الى انها فيها سنة مؤكدة غير واجبة قال ابن المنذر يستحب ان لا يصل أحد صلاة الاصل فيهما على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جمهور أهل العلم قال وشذ الشافعي فاوجب على تاركها الاعادة مع تعدد تكرهادون التسميان وهذا القول عن الشافعي لم يرو عنه الا حرمله بن يحيى ولا يوجد عن الشافعي الا من روايته قال الطحاوي لم يقل به أحد من أهل العلم غير الشافعي وقال الخطابي وهو من الشافعية انها ليست بواجبة في الصلاة قال وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا أعلم له في ذلك قدوة انتهى وقد قال بقول الشافعي جماعة من أهل العلم منهم الشعبي والباقر ومقاتل بن حيمان واليه ذهب أحمد بن حنبل أخيرا كما حكاه أبو زرعة الدمشقي وبه قال ابن راهويه وابن المواز من المالكية وقد جمع الشوكاني رحمه الله في هذه المسئلة رسالة مستقلة ذكر فيها ما احتج به الموجبون لها وما أجاب به الجمهور وفي شرحه على المتقى ورسالتى هداية السائل الى أدلة المسائل ما يشفي ويكفي واشذ ما يستدل به على الوجوب الحديث الثابت بلفظ ان الله أمرنا ان نصلى عليك فكيف نصلى عليك في صلاتنا قال قولوا الحديث فان هذا الامر يصلح للاستدلال به على الوجوب وأما على بطلان الصلاة بالترك ووجوب الاعادة لها فلا لان الواجبات لا يستلزم

زيتونهم قال أبو بكر بن عبد الله حدثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال أما رأيت بلاد الشام قلت لا قال أما انك لورايتها رأيت المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع فأنت الشام بعد ذلك فأرأيت قال عطاء الخراساني حدثني يحيى بن يعمران قيصر بعث رجلا فظمه بجيش من الروم وبعث كسرى شهر براز فالتقيا بأذرعان وبصرى وهى أدنى الشام اليكم فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ففرحت بذلك كفارقريش وكرهه المسلمون قال عكرمة ولقي المشركون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم

علمها

من أهل الكتاب وانكم ان قائله وبالظهور عليكم فانزل الله تعالى المغلث الروم في أدنى الارض الى قوله ينصر من يشاء فخرج أبو بكر الصديق الى الكفار فقال أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم فقام اليه أبي بن خلف فقال كذبت يا أبا فضيل فقال له أبو بكر أنت أ كذب يا عدو الله فقال أنا جئت عشر قلائص منى وعشر قلائص منك فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت الى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ما هكذا ذكرت (٣١١) انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزيده

في الخطر وماده في الاجل فخرج أبو بكر فلقى أبا فقال له لعلك ندمت فقال لا تعال ازايديك في الخطر وأما ذلك في الاجل فاجعلها مائة فلوصل الى تسع سنين قال قد فعلت فظهرت الروم على فارس قبل ذلك فغلبهم المسلمون قال عكرمة لما ان ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب وهو أخو شهربراز فقال لاصحابه لقد رأيت كأنني جالس على سرير كسرى فبلغت كسرى فكتب كسرى الى شهربراز اذا أتاك كذا فابعث الى برأس فرخان فكتب اليه شهربراز أي الملك انك لن تجد مثل فرخان له ذكابة وصوت في العدو فلا تتعل فكتب اليه ان في رجال فارس خلفا منه فجعل الى برأسه فراجعه فغضب كسرى فلم يجبه وبعث بريدا الى أهل فارس اني قد نزلت عنكم شهربراز واستعملت عليكم فرخان ثم رفع الى البريد صحيفة لطيفة صغيرة فقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد له أخوه فاعطه هذه فلما قرأ شهربراز الكتاب قال سمعنا وطاعة ونزل عن سريره وجلس

عدمها العدم كما يستلزم ذلك الشروط والاركان واعلم انه قد ورد في فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث كثيرة لو جعت لحامت في مصنف مستقل ولو لم يكن منها الا الاحاديث الثابتة في الصحيح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى على صلاة صلى الله عليه عشرين مرة فبها يهدى الى الجنة والفضل الجليل والمكرمة النبيلة وأما صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقد وردت فيها صفات كثيرة باحاديث ثابتة في الصحيحين وغيرهما منها ما هو مقيد بصفة الصلاة عليه في الصلاة ومنها ما هو مطلق وهي معرفة في كتب الحديث فلا نظير يذكرها والذي يحصل به الامتنان المطلق الامر في هذه الآية هو ان يقول القائل اللهم صل وسلم على رسولك أو على محمد وعلى النبي أو اللهم صل على محمد وسلم ومن أراد ان يصلي ويسلم عليه بصفة من الصفات التي وردت في تعليمها والارشاد اليها فذلك أكمل وهي صفات كثيرة قد اشتملت عليها كتب السنة المظهرة وسيأتي بعضها وسيأتي الكلام في الصلاة على الآل وكان ظاهر هذا الامر بالصلاة والتسليم في الآية ان يقول القائل صليت عليه وسلمت عليه او الصلاة عليه والسلام عليه أو عليه الصلاة والتسليم لان الله سبحانه أمرنا بايقاع الصلاة عليه والتسليم من افعال الامتنان هو ان يكون ذلك على ما ذكرنا كيف كان الامتنان لامر الله لنا بذلك ان نقول اللهم صل عليه وسلم بقباله أمر الله لنا بامرنا له بان نصلي عليه ونسلم عليه وقد أجيب عن هذا بان هذه الصلاة والتسليم لما كانتا شعرا عظيما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتشريفا كريما وكلنا ذلك الى الله عز وجل وأرجعناه اليه وهذا الجواب ضعيف جدا وأحسن ما يجاب به ان يقال ان الصلاة والتسليم للمأمور بهما في الآية هما ان نقول اللهم صل عليه وسلم أو نحو ذلك مما يؤدي معناه كما بينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاقضى ذلك البيان في الاحاديث الكثيرة ان هذه هي الصلاة الشرعية واعلم ان هذه الصلاة من الله على رسوله وان كان معناها الرحمة فقد صارت شعارا له يختص به دون غيره فلا يجوز لنا ان نصلي على غيره من أمته كما يجوز لنا ان نقول اللهم ارحم فلانا أو رحم الله فلانا وهذا قال الجمهور من العلماء مع اختلاف فهم هل هو محرم أو مكروه كراهة شديدة أو مكروه كراهة تنزيه على ثلاثة أقوال وقد قال ابن عباس كاره وعنه ابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب لا تصلح الصلاة على احد الاعلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن يدعى للمسلمين

عليه فرخان ورفع اليه الصحيفة اللطيفة فلما قرأها قال اتوني بشهربراز وقد مضى عنك فقال شهربراز لا تعجل حتى أكتب وصيتي قال نعم فدعا بالسفط فاعطاه الصمائم فقال كل هذا رجعت فيك كسرى وأنت أردت ان تقتلني بكتاب واحد فرد الملك الى أخيه شهربراز وكتب شهربراز الى قيصر ملك الروم ان لي بك حاجة لا تحمها البرد ولا تحمها الحف فالتقى الاخي خسين روميا فاني لألقاك الاخي خسين فارسيما فاقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق وخاف ان يكون قدمه حتى أتاه عيون بانها ليس معه الا خسين رجلا ثم بسط لهما والتقيما في قبة ديباج ضربت لهما مع كل واحد منهما ما

سكين فدعا ترجانا بينهما فقال شهر برزان الذين خربوا مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجعنا وان كسرى حسدا وأراد أن يقتل
أخي فأبى ثم أمر أخى أن يقتلني فقد خلقنا جميعا فمن نقاتله معك قال قد أصبنا ثم أشارا أحدهما إلى صاحبه ان السر بين اثنين
فاذا جاوزا اثنين فشا قال أجل فقتلا الترجان جميعا بسكينهم ما فأهلك الله كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الحدبية ففرح والمسلمون معه فهذا اسباق غريب وبناء عجيب ولست اكلم على كلمات هذه الآيات الكريمة فتقوله تعالى ألم غلبت
الروم قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة (٣١٢) في أوائل السور في أول سورة البقرة وأما الروم فهم من سلالة

العيص بن اسحق بن ابراهيم وهم
أبناء عم بنى اسرائيل ويقال لهم
بنو الاصفر وكنوا على دين
اليونان واليونان من سلالة ياقث بن
نوح أبناء عم الترك وكانوا يعبدون
الكواكب السيارة السبعة ويقال
لهم المتخيرة ويصلون إلى القطب
الشمالي وهم الذين أسسوا دمشق
وبنوا معبدها وفيه محراب إلى
جهة الشمال فكان الروم على
دينهم إلى بعد مبعث المسيح بخمسة
ثلاثمائة سنة وكان من ملوكهم الشام
مع الجزيرة يقال له قيصر فكان أول
من دخل في دين النصارى من ملوك
الروم قسطنطين بن قسطنطين وأمه
مريم الهيلانية الغندقائية من
أرض حران كانت قد تنصرت قبله
فدعته إلى دينها وكان قبل ذلك
فيلسوفاً فتابعها يقال تقيية
واجتمعت به النصارى وتناظروا في
زمانه مع عبد الله بن أدبوس
واختلفوا اختلافاً كثيراً منتشراً
منتشراً لا ينضب إلا أنه اتفق من
جماعتهم ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفاً
فوضعوا التسطنطين العقيدة وهي
التي يسمونها الامانة الكبيرة وانما

والمسلمات بالاستغفار وقال في المواهب لم ينقل ان الامم المتقدمة كان يجب عليهم ان
يصلوا على أنبياءهم انتهى وقال في الامتدح ومن خواصه صلى الله عليه وآله وسلم
انه ليس في القرآن ولا غيره صلاة من الله تعالى على غيره صلى الله عليه وآله وسلم فهي
خاصة اختصه الله بهادون سائر الانبياء انتهى وقال قوم ان ذلك جائز لقوله تعالى وصل
عليهم ان صلاتك سكن لهم ولقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولقوله هو الذي
يصلى عليكم وملائكته وحديث عبد الله بن أبي أوفى الثابت في الصحيحين وغيرهما قال
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاناهى
بصدقتهم فقال اللهم صل على آل أبي أوفى ويجاب عن هذا بان هذا شعار الثابت لرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم له ان يختص به من شاء وليس لنا ان نطلقه على غيره واما قوله
تعالى هو الذي يصلى الخ وقوله أولئك عليهم صلوات فهذا ليس فيه الا ان الله سبحانه يصلى
على طوائف من عباده كما يصلى على من صلى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مرة واحدة
عشر صلوات وليس في ذلك أمر لنا ولا شرع الله في حقنا بل يشرع لنا الا الصلاة
والتسليم على رسوله وكان لفظ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعاره
فكذلك لفظ السلام عليه وقد جرت عادة جمهور هذه الامم والسواد الاعظم من سلفها
وخلفها على الترضى عن الصحابة والترحم على من بعدهم والدعاء لهم بمغفرة الله وعقوبه كما
أرشدنا إلى ذلك بقوله سبحانه والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم عن ابن
عباس ان بنى اسرائيل قالوا لموسى هل يصلى ربك فناده ربه ياموسى سألوكم هل يصلى ربك
فقال نعم أنا أصلى وملائكتي على أنبيائي ورسلى فآزر الله على نبيه ان الله وملائكته
يصلون على النبي الآية أى يبركون وعنه ان صلاة الله على النبي هي المغفرة ان الله
لا يصلى ولكن يغفر واما صلاة الناس على النبي فهي الاستغفار له (يا أيها الذين آمنوا
صلوا عليه) أى ادعوا بالرحمة وقولوا اللهم صل على محمد وأصلى الله على محمد فانكم أولى
بذلك وعن ابن عباس انه قرأ صلوا عليه كما صلى الله عليه (وسلموا تسليمياً) أى حيوه بقية
السلام وقولوا اللهم سلم على محمد وانقادوا لامره انقيادا والاول أولى ثم هي واجبة مرة
عند الطعوى وكما ذكر اسمه عند الكرخى وهو الاحتياط وعليه الجمهور قال

هو الخيانة الحقيرة ووضعوا له القوانين يعنون كتب الاحكام من تحريم وتحليل وغير ذلك مما
يحتاجون اليه وغير وادين المسيح عليه السلام وزادوا فيه ونقصوا منه فصالوا إلى المشرق واعتاضوا عن السبت بالاحد وعبدوا
الصليب وأحلوا الخنزير واتخذوا أعياداً أحدثوها كعيد الصليب والقداس والغطاس وغير ذلك من البواعث والشعابين
وجعلوا له الباب وهو كبيرهم ثم البتاركة ثم المطارنة ثم الاساقفة والتساقسة ثم الشمامسة وابتدعوا الرهبانية وفيهم الملائك
الكنايس والمعابد وأسس المدينة المنسوبة اليه وهي القسطنطينية يقال انه في أيامه اثني عشر ألف كنيسة وبنى بيت لحم ثلاث

أبو السعدي وهذه الآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطاقاً من غير تعرض لوجوب التكرار وقال القسطلاني قيل هي مستحبة وقيل واجبة في التشهد الأخير من كل صلاة وعليه الشافعي وهو رواية عن أحمد وقيل تجب في الصلاة من غير تعيين لمحل منها وقيل تجب في خارج الصلاة وقيل كلما ذكر وقيل في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره فيه وقيل تجب في العمر مرة واحدة وقيل تجب في الجملة من غير حصر وقيل يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد وتسليماً مصدر مؤكداً قال الامام ولم تؤكداً الصلاة لانها مؤكدة بقوله ان الله وملائكته الخ وقيل انه من الاحتباك فحذف عليه من أحدهما والمصدر من الآخر وقال بعض الفضلاء انه سئل في منامه لم خص السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة ولم يذكر له جواباً قلت وقد لاح لي فيه نكتة سرية أي شريفة وهي ان السلام تسليمة عما يؤذيه فلما جاءت هذه الآية عقيب ذكر ما يؤذي النبي والاذية انما هي من البشر فناسب التخصيص بهم والتأكيد واليسه الاشارة بما ذكر بعده قاله الشهاب وأقول هذه الآية من باب الاكتفاء على حد قوله سربيل تقيكم الحر والمعنى ان الله وملائكته يصلون على النبي ويسلمون وقد ثبت بالدلة الصحيحة القرآنية وغيرهاتسليم الله تعالى على غيره صلى الله عليه وآله وسلم من الانبياء والصلحاء والنسكة التي ذكرها الشهاب لا تخلو عن تكلف وبعد تأمل وعن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته الآية قلنا يا رسول الله فقد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وأخرجه سعيد بن منصور وعبد بن جيد وابن أبي حاتم وابن مردويه وأخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديثه بلفظ قال رجل يا رسول الله اما السلام عليك فقد علمناه فكيف الصلاة عليك قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك جيد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك جيد مجيد وأخرج ابن أبي شيبه وعبد بن جيد وأحمد والنسائي من حديث طلحة بن عبيد الله قال قلت يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وفي الاحاديث اختلاف في بعضها على ابراهيم فقط وفي بعضها على آل ابراهيم فقط وفي بعضها بالجمع بينهم ما كحديث طلحة هذا وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي جيد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك جيد مجيد والاحاديث في هذا الباب كثيرة جداً وفي بعضها التقييد بالصلاة كما في حديث ابن مسعود عن ابن خزيمة والحاكم وصححه والبيهقي في سننه ان رجلاً قال يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا

محارِب و بنت أمه القمامة وهؤلاء هم الملكية يعنون الذين هم على دين الملك ثم حدثت بعدهم اليعقوبية اتباع يعقوب الاسكافي ثم النسطورية أصحاب نسطور وهم فرق وطوائف كثيرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة والغرض انهم استمروا على النصرانية كلما هلك قيصر خلقه آخر بعده حتى كان آخرهم هرقل وكان من عقلاء الرجال ومن أحزم الملوك وأدهاهم وأبعدهم غورا وأقصاهم رأفاً تلك عليهم في رياسة عظيمة واجهة كثيرة فناوا كسرى ملك الفرس وملك البلاد كالعراق وخراسان والري وجميع بلاد العجم وهو ساور ذوالا كاف وكانت مملكته أوسع من مملكة قيصر وله رياسة العجم وحقارة الفرس وكانوا مجوساً يعبدون النار فتقدم عن عكرمة انه قال بعث اليه نوابه وجيشه فقاتلوه والمشهور ان كسرى بنفسه غزاه في بلاده فقهره وكسره وقصره حتى لم يبق معه سوى مدينة قسطنطينية فحاصرها مدة طويلة حتى ضاقت عليه وكانت النصراري تعظمه تعظيماً زائداً ولم يقدر كسرى على فتح البلد ولا أمكنه ذلك

عليك في صلواتنا الحديث وأخرج الشافعي في مسنده من حديث أبي هريرة مثله وجميع
 التعليمات الواردة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة عليه مشتتة على الصلاة على آله
 معه إلا النادر اليسير من الأحاديث فينبغي للمصلي عليه أن يضم آله إليه في صلواته عليه
 وقد قال بذلك جماعة ونقله امام الحرمين والغزالي قولاً عن الشافعي كما رواه عنهما ابن كثير
 في تفسيره ولا حاجة إلى التمسك بقول قائل في مثل هذا مع تصريح الأحاديث الصحيحة به
 ولا وجه لقول من قال إن هذه التعليمات الواردة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في صفة
 الصلاة عليه مقيدة بالصلاة في الصلاة جـ لا مطلق الأحاديث على المقيد منها بذلك القيد
 لما في حديث كعب بن عجرة وغيره إن ذلك السؤال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 كان عند نزول الآية وأخرج عبد الرزاق وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة
 إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني
 ثم لما ذكر سبحانه ما يجب لرسوله من التعظيم ذكر الوعيد الشديد للذين يؤذونه فقال
 (إن الذين يؤذون الله ورسوله) قيل المراد بالآذي هنا هو فعل ما يكرهه الله من المعاصي ليعم
 هذا القدر الأبداء الحقيقي في حق الرسول والمجازي في حقه تعالى لاستحالة حقيقة
 التأذي عليه سبحانه قال الواحدى قال المفسرون هم المشركون واليهود والنصارى
 وصفوا الله بالولد فقالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله وكذبوا
 رسول الله وشجبوا وجهه وكسروا ربا عيته وقالوا مجنون شاعر كذاب ساحر وبه قال ابن
 عباس قال القرطبي وبه هذا قال جمهور العلماء وقال عكرمة الأذية لله سبحانه بالتصوير
 والتعرض لفعل ما لا يفعله إلا الله بخت الصور وغيرها وقال جماعة أن الآية على حذف
 مضاف والتقدير إن الذين يؤذون أولياء الله وقيل معنى الأذية الإلحاد في أسمائه وصفاته
 وأما أذية رسوله فهي كل ما يؤذي من الأقوال والأفعال ومنه ترك الاتباع وفعل التقليد
 لآراء الرجال وإيثاره عليه (لعنهم الله) معنى اللعنة الطرد والابعاد من رحمة وجعل ذلك
 (في الدنيا والآخرة) لتشملهم اللعنة فيما بحيث لا يبقى وقت من أوقات محياهم ومماتهم
 إلا واللعنة واقعة عليهم مصاحبة لهم (وأعد لهم) مع ذلك اللعن (عذاباً مهيناً) يصيرون
 به في الإهانة في الدار الآخرة لما يفيد معنى الأعداء من كونه في الدار الآخرة عن ابن
 عباس في الآية قال نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين اتخذ
 صفية بنت حنيفة وروى عنه أنها نزلت في الذين قد فوجأوا بشتم ثم لما فرغ من الذم لمن آذى
 الله ورسوله ذكر الأذية لصالحى عباده فقال (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) بوجه
 من وجوه الأذى من قول أو فعل ومعنى قوله (بغير ما كتبوا) أنه لم يكن ذلك بسبب
 فعله بل بسبب عليهم الأذية ويستحقونها به وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم فأما الأذية
 للمؤمن والمؤمنة بما كسبوه مما يوجب عليه حداً وتعزيراً أو نحوهما فذلك حق أثبتته
 الشرع وأمر أمرنا الله به ونبينا إليه وهكذا إذا وقع من المؤمنين والمؤمنات الابتداء
 بشتم لمؤمن أو مؤمنة أو ضرب فإن القصاص من الفاعل ليس من الأذية المحرمة على أى
 وجه كان ما لم يجازم شرعه الله ثم أخبر عما لهؤلاء الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير

لحصانها لأن نصفها من ناحية البر
 ونصفها الآخر من ناحية البحر
 فكانت تأتيم الميرة والمسدد من
 هنالك فلما طال الأمر دبر قيصر
 مكيدة ورأى في نفسه خديعة
 فطلب من كسرى أن يقلع من
 بلاده على مال يصلح له ويشترط
 عليه ما شاء فاجابه إلى ذلك وطاب
 منه أموال الأعظمية لا يقدر عليها أحد
 من ملوك الدنيا من ذهب وجواهر
 وأقمشة وجوار وخدام وأصناف
 كثيرة فطاوعه قيصر وأوهمه أن
 عنده جميع ما طلب واستقل عقله
 لما طلب منه ما طلب ولو اجتمع هو
 وأباه لم يجز قدرتهما عن جمع عشره
 وسأل من كسرى أن يمكسه من
 الخروج إلى بلاد الشام وأقاليم
 مملكته ليسعى في تحصيل ذلك من
 ذخائره وحواصله ودفائنه فاطلق
 سراجه فلما عزم قيصر على الخروج
 من مدينة قسطنطينية جمع أهل
 ملته وقال إنى خارج في أمر قد
 أبرمته في جند قد عينته من جيشى
 فإن رجعت إليكم قبل الحول فأنا
 ملككم وإن لم أرجع إليكم قبلها
 فأنتم بالخيار إن شئتم استمررت على
 بيعتى وإن شئتم وليتم عليكم غيرى
 فاجابوه بأنك ملكنا مادمت حياً ولو
 غبت عشرة أعوام فلما خرج من

ما كنت سبوا فقال (فقد احتملوا بهما نانا وانما مينا) أي ظاهر واضحا لا شك في كونه من
 البهتان والاثم وقد تقدم بيان حقيقة البهتان وحقيقة الاثم قبل انهنزلت في علي بن أبي
 طالب كانوا يؤذونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة كانوا يعيشون في طرق
 المدينة يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضل لا يحل لك ان تؤذى كلبا او خنزيرا بغير
 حق فكيف ايداه المؤمنين والمؤمنات وما فرغ سبحانه من الزجر لمن يؤذى رسوله
 والمؤمنين والمؤمنات من عباده أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يأمر بعض
 من ناله الاذى ببعض ما يدفع عليه منه فقال (يا أيها النبي قل لازواجن وبناتك
 ونساء المؤمنين دين عليهن من جلابيبهن) جمع جلابيب وهو ثوب كبير من الخمار وهو
 الملاء التي تشتمل به المرأة فوق الدرع والخمار قال الجوهري الجلابيب المخففة وقال
 الشهاب ازار واسع يلتحف به وقيل القناع وقيل هو كل ثوب يستتر به بدن المرأة من
 كساء وغيره كما ثبت في الصحيح من حديث أم عطية انها قالت يا رسول الله انا لا يكون
 لها جلابيب فقال لتلبسها أختها من جلابيبها قال الواحدى قال المنسرون يغطين
 وجوههن ورؤسهن الاعيان واحدة فيعلم انهن حرائر فلا يعرض لهن بأذى وبه قال ابن
 عباس وقال الحسن تغطي نصف وجهها وقال قتادة تلويه فوق الجبين ونشدته ثم تعطفه
 على الانف وان ظهرت عنهما الكنه يستر الصدر ومعظم الوجه وقال المبرد يختمها عليهن
 ويغطي بها وجوههن وأعظافهن ومن التبعض أي ترخي بعض جلابيبها وفضله على
 وجهها تتقنع حتى تميز عن الامة (ذلك) أي ادناه الجلابيب وهو مبتدأ وخبره (أدنى)
 أقرب (ان يعرفن) فيميزن عن الاماء ويظهر للناس انهن حرائر (فلا يؤذين) من جهة
 أهل الريبة بالتعرض لهن مراقبة لهن ولا لهن وليس المراد بقوله ذلك الخ ان تعرف
 الواحدة منهن من هي بل المراد ان يعرفن انهن حرائر الاماء لانهن قد لبسن لبسة تختص
 بالحرائر قال السبكي في الطبقات الكبرى ان من أئمة الشافعية أحمد بن عيسى شارح
 التقيية استنبط من هذه الآية ان ما ينزهه علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الاكمام
 والعمامة ولبس الطيلسان حسن وان لم يفعلوا السلف لان فيه تمييز لهم وبذلك يعرفون
 فملتفت الى فتاواهم وأقوالهم انتهى ومنه يعلم ان تمييز الاشراف بعلامة أمر مشروع
 أيضا انتهى أقول ما أبردها الاستنباط وما أقل نفعه لاسميا بعد ما ورد في السنة المطهرة
 من النهي عن الاشراف في اللباس وطالته وقدمت عن ذلك سلف الامة وأتمتها فأين هذا
 من ذلك وانما هو بدعة أحدثها علماء السوء ومشايخ الدنيا ولذا قال علي القارى في
 معرض الدم لهم عائم كالاراج وكأثم كالخراج وأذكر عليهم ذلك أشد الانكار وما ذكره
 من ان زى العلماء والاشراف سنة رده ابن الحاج في المدخل بان مخالفتهم في زمن النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وزمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من خير القرون فان قيل انهم
 به يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزى الاول عرفوا به أيضا لخالفنا لعمري غيرهم الآن
 وأطال في انكار ما قاله وقد بسطنا القول على ذلك في حجج الكرامة بالفارسية أيضا
 فراجعه (وكان الله غفورا) لما سلف من ترك ادناه الجلابيب (رحيما) بهن او غفورا

القسطنطينية خرج جريدة في
 جيش متوسط هذا وكسرى مخيم
 على القسطنطينية ينتظره ليرجع
 فركب قيصر من فوره وسار مسرعا
 حتى انتهى الى بلاد فارس فعات في
 بلادهم قتلا لرجالها ومن بهان
 المقاتلة أولافا ولا ولم يرزل يتصل
 حتى انتهى الى المدائن وهي كرسى
 مملوكة كسرى فقتل من بها وأخذ
 جميع حواصله وأمواله وأسرا نساءه
 وحريره وحلق رأس ولده وركبته
 على حمار وبعث معه من الاساورة
 من قومه في غاية الهوان والذلة
 وكتب الى كسرى يقول هذا
 ما طلبت نخذه فلما بلغ ذلك كسرى
 أخذته من الغم ما لا يحصىه الا الله
 تعالى واشتد حنقه على البلد فخذ
 في حصارها بكل ممكن فلم يقدر على
 ذلك فلما عجز ركب لياخذ عليه
 الطريق من مخاضة جيحون التي
 لا سبيل لقيصر الى القسطنطينية
 الا منها فلما علم قيصر بذلك احتال
 بحيلة عظيمة لم يسبق اليها وهو انه
 أرضد جنده وحواصله التي معه
 عند دم المخاضة وركب في بعض
 الجيش وأمر باجمال من التبن
 والبعور والروث خذلت معه وسار
 الى قريب من يوم في الماء مصعدا
 ثم أمر بالتقاء تلك الاجمال في النهر

لذئوب المذنبين رحيمهم فيسدخلن في ذلك خولاً أولياً وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى علي من يعرفها فراها عمر فقال يا سودة اما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي وانه ليستعشى وفي يده عرق فسدخت وقالت يا رسول الله اني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا فأتواحي اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال انه قد أذن لكن ان تخرجن لحاجتك وعن أبي مالك قال كان نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرجن لحاجتهن بالليل وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذنين فقبل ذلك للمنافقين فقالوا انما نفعه بالاماء فنزلت هذه الآية يأيتها النبي قل لازواجك الآية وعن محمد بن كعب القرظي قال كان رجل من المنافقين يتعرض لنساء المؤمنين يؤذيهن فاذا قيل له قال كنت أحسبها أمة فأمرهن الله ان يخالفن زى الاماء ويدين عليهن من جلابيبهن تخمر وجهها الا احدى عينها ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذنين يقول ذلك أخرى ان يعرفن وعن ابن عباس في هذه الآية قال أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن في حاجة ان يغطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجلابيب ويدين عليهن واحدة وعن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية يدين عليهن من جلابيبهن خرج نساء الانصار كأن علي رؤسهن الغريبان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسها هكذا في الرواية بلفظ من السكينة وليس لها معنى فان المراد تشبيهه الاكسية السود والغريبان لأن المراد وصفهن بالسكينة كما يقال كأن علي رؤسهم الطير وعن عائشة قالت رحم الله نساء الانصار لما نزلت يأيتها النبي قل لازواجك الآية شفقتن مروطن فاعتجزن بهما فصلين خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأن علي رؤسهن الغريبان وعن ابن عباس في الآية قال كانت الحررة تلبس لباس الأمة فأمر الله نساء المؤمنات ان يدين عليهن من جلابيبهن وادناء الجلابيب أن تقنع وتشد علي جبينها قال أنس مررت بعد من الخطاب جارية متعقبة فعلاها بالدرة وقال بالكاع تشبهين بالحرث التي القناع قلت والكاع كلمة تقال لمن يستحق به مثل العبد والامة والحمامل والقليل العقل مثل قولك يا خسيس وذلك ان النساء في أول الاسلام علي هجيراهن في الجاهلية متبدلات تبرز المرأة في درع وخمار لا فصل بين الحررة والامة وكان القيسان يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن في التخييل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحررة لحسبان الامة فأمرن ان يخالفن بزينة عن زى الاماء بلبس الملاحف وستر الرؤس والوجوه فلا يطمع فيهن طامع ثم توعد سبحانه أهل النفاق والارجاف فقال (لئن لم ينته المنافقون) عما هم عليه من النفاق (والذين في قلوبهم مرض) أي شك وريبة عما هم عليه من الاضطراب (والمرجعون في المدينة) عما يصدر منهم من الارجاف يذكر الاخبار الكاذبة المتضمنة لتوهين جانب المسلمين وظهور المشركين عليهم قال القرطبي أهل التفسير علي ان الاوصاف الثلاثة لشيء واحد والمعنى ان المنافقين قد جمعوا بين النفاق ومرض القلوب والارجاف علي المسلمين فهو علي هذا من باب قوله

فلم امرت بكسرى وجمده ظن انهم قد ناضوا من هنالك فركبوا في طلبهم فعرفت المخاضة عن الفرس وقدم قيصر فأمرهم بالنهوض والخوض ففاضوا وأسرعوا السير فقاتوا كسرى وجنوده ودخلوا القسطنطينية فكان ذلك يوما مشهودا عند النصاري وبقي كسرى وجيوشه حائرين لا يدرون ماذا يصنعون لم يخلصوا بلاد قيصر وبلادهم قد خربتها الروم وأخذوا حواصلهم وسبوا ذراريهم ونساءهم فكان هذا من غلب الروم لفارس وكان ذلك بعد تسع سنين من غلب فارس للروم وكانت الوقعة الكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أذرعات وبصرى علي ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما وهي طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز وقال مجاهد كان ذلك في الجزيرة وهي أقرب بلاد الروم من فارس فأنه أعلم ثم كان غلب الروم لفارس بعد بضع سنين وهي تسع فان البضع في كلام العرب ما بين الثلاث الي التسع وكذلك جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وغيرهما من حديث عبد الله بن عبد الرحمن الجعي عن الزهري عن عبيد الله بن

الى الملك القرم وابن الهمام * وايث الكتيبة في المزدحم

والواو مقعمة وقيل الموصوف متغاير ومتعدد فكان من المنافقين قوم يرجفون وقوم يتبعون النساء للريبة وقال عكرمة وشهر بن حوشب الذين في قلوبهم مرض هم الزناة من قوله فيطمع الذي في قلبه مرض والمرض هو الزنا والارجاف في اللغة اشاعة الكذب والباطل يقال أرحف بكدا اذا أخبر به على غير حقيقته لكونه خبيرا متزلا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة يقال رجفت الارض أي تحركت وتزلزلت ترجف رجفنا والرجفان الاضطراب الشديد وسعى الجرجاف الاضطرابه والارجاف واحدا الاراجيف وأرجفوا في الشيء خاضوا فيه وذلك بان هؤلاء المرجفين كانوا يجربون عن سرايا المسلمين بانهم هزموا وتارة بانهم قتلوا وتارة بانهم غلبوا ونحو ذلك مما تنكسر له قلوب المسلمين من الاخبار فتوعدهم الله سبحانه بقوله (لتغريتنكهم) أي لتغريتنك ولتسلطنك عليهم فتستأصلهم بالقتل والتشريد بأمر نالك بذلك قال المبرد قد أغراه الله بهم في قوله الآتي ملعونين أي بما تقنوا الخ فهذا معنى الامر بقتلهم وأخذهم أي هذا حكمهم اذا كانوا مقفين على النفاق والارجاف قال النحاس وهذا من أحسن ما قيل في الآية وأقول ليس هذا بحسن ولا أحسن فان قوله ملعونين الخ انما هو مجرد الدعاء عليهم لانه أمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقتلهم ولا تسلط له عليهم وقد قيل انهم انتهوا بعد نزول هذه الآية عن الارجاف فلم يغره الله بهم وجملة لتغريتنكهم جواب القسم (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) وانما عطف بهم لان الجلاء عن الاوطان كان أعظم عليهم من جميع ما أصيبوا به فترأخت حاله عن حال المعطوف عليه يعنى انها للتفاوت الرتبى ولدلالة على ان ما بعدها أبعد مما قبلها وأعظم وأشد عندهم والمعنى لا يسا كنونك في المدينة الاجوار اقل بلا حتى يخرجوا أو يسلكوا (ملعونين أي بما تقنوا) أي مطرودين أي بما وجدوا وأدركوا (أخذوا وقتلوا تقتيلا) دعاء عليهم بأن يؤخذوا وقتلوا والتشديد يدل على التكثير وقيل ان هذا هو الحكم فيهم وليس بدعاء عليهم والاول أولى وقيل معنى الآية انهم ان أصروا على النفاق لم يكن لهم مقام بالمدينة الا وهم مطرودون ملعونون وقد فعل بهم صلى الله عليه وآله وسلم هذا فانه لما نزلت سورة براءة جمعوا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا فلان قم يا فلان قم فقام اخوانهم من المسلمين ويولوا اخر اجهم من المسجد (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أي سن الله ذلك في الامم الماضية وهولعن المنافقين وأخذهم وتقتيلهم وكذا حكم المرجفين وهو منتصب على المصدر قال الزجاج سن الله في الذين ينافقون الانبياء ويرجون بهم ان يقتلوا حينما تقنوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي تحو بلا وتغيير ابل هي ثابتة دائمة في أمثال هؤلاء في الخلف والسلف يجربها الله مجربى واحدا في الامم لاثباتها على أساس الحكمة التي عليها يدور فلما التشرية وقال الخطيب أي لبت هذه السنة مثل الحكم الذي تبدل وينسخ فان النسخ يكون في الاقوال أما الافعال اذا وقعت والاخبار فلا تنسخ (يسألونك الناس عن الساعة) أي عن وقت حصولها وجودها وقيامها قبل السائلون عنها

عبد الله عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاني بكر في مناجحة الم غلبت الروم الآية الاحتطت يا أبا بكر فان البضع ما بين ثلاث الى تسع ثم قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وروى ابن جرير عن عبد الله بن عمرو انه قال ذلك والله أعلم وقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد أي من قبل ذلك ومن بعده فبني على الضم لما قطع المضاف وهو قوله قبل عن الاضافة ونويت و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله أي للروم اصحاب قيصر ملك الشام على فارس اصحاب كسرى وهم الجوس وكانت نصرته الروم على فارس يوم وقعت بدر في قول طائفة كثير من العلماء كان عباس والنوري والسدي وغيرهم وقد ورد في الحديث الذي رواه الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم والبرازن حديث الاعمش عن عطية عن أبي سعيد قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فاجب ذلك المؤمنون ففرحوا به وأبزل الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصره من يشاء وهو العزيز الرحيم وقال آخرون بل كان نصر الروم على فارس عام المدينة

أولئك المنافقون والمرجعون والمشركون واليهود لما توعدوا بالعباد سألوا عن الساعة
استبعادا وتكديبا أو امتحانا لان الله تعالى عي وقتها في التوراة وسائر الكتب قل انما
علمها عند الله يعني انه سبحانه قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا مرسلًا ولا ملكًا مقربًا
(وما يدريك) أي ما يعلمك ويخبرك يا محمد (لعل الساعة تكون قريبًا) أي في زمان
قريب وان تصاب قريبًا على الظرفية والتذكير لكون الساعة في معنى اليوم أو الوقت
مع كون التأييد ليس بحقيقي والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبيان انها
إذا كانت محجوبة عنه لا يعلم وقتها وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف بغيره
من الناس وفي هذا تهديد عظيم للمستعجلين واسكات للممتحنين والمشركين ولمن يثبت
علم المغيبات للانبياء والصالحاء وغيرهم من الخلق (ان الله لعن الكافرين) أي طردهم
وأبعدهم من رحمة (وأعد لهم في الآخرة مع ذلك اللعن منم لهم في الدنيا (سعيًا) أي
نارًا شديدة التسعر (خالدين فيها) أي في السعير لانهم مؤمنون أولاد في معنى جهنم (أبدًا)
بلا انقطاع وهذا كما دلما استفيد من خالدين (لا يجدون وليًا) يواليهم ويحفظهم
من عذابها (ولانصيرًا) ينصروهم ويخلصهم منها (يوم تغلب وجوههم في النار) أي
اذ كقرئ تغلب بضم التاء وفتح اللام على البناء للمفعول وقرئ بالنون وكسر اللام على
البناء للمفاعل وهو الله سبحانه ويضم التاء وكسر اللام على معنى تغلب السعير وجوههم
وقرئ بفتح التاء واللام على معنى تغلب ومعنى هذا التغلب المذكور في الآية هو تغلبها
نارة على جهة منها ونارة على جهة أخرى ظهر البطن أو تغير ألوانهم بفتح النار فتسود نارة
وتحضر أخرى أو يتبدل جلودهم بجلود أخرى وخصت الوجوه لان الوجه أكرم موضع
على الانسان من جسده أو يكون الوجه عبارة عن الجلة فينبذ (يقولون بالبيننا أظعنا
الله وأظعنا الرسول) الجلة مستأنفة كأنه قيل فما حالهم فقيل يقولون متمسرين على
مافاتهم أو حال من ضمير وجوههم أو من نفس الوجوه تنوالتهم أظعنا الله والرسول
وآمنوا عما جاء به ليخجوا مما هم فيه من العذاب كما نجي المؤمنون وهذه الالف في الرسول والتي
تأتي في السبيل هي الالف التي تقع في الفواصل وتسمى النجاة الف الاطلاق لاطلاق
الصوت كقوا في الشعر وقائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده
مستأنف وقد سبق بيان هذا في أول هذه السورة (وقالوا ربنا أظعنا ساداتنا وكبراءنا)
وقرئ ساداتنا بكسر التاء جمع سادة فهو جمع الجمع وسادة جمع على غير قياس سواء جعل
جعل السبيل ساداتنا وساداتنا الجلة معطوفة على الجلة الأولى والعدول الى الماضي للاشارة بان
قولهم هذا ليس مستمرًا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضربًا من التشنج
بعضا عن عذاب الذين ألقوه في تلك الورطة والمراد بالسادة والكبراء هم الرؤساء والقادة
الذين كانوا يمثلون أمرهم في الدنيا ويقتدون بهم وقال مقاتل هم المطعمون في غزوة
بدر والاول أولى ولاوجه للتخصيص بطائفة معينة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر
لتقوية الاعتذار والافهم في مقام التحقير والاهانة وفي هذا لجرع عن التقليد شديدوكم
في الكتاب العزيز من التنبه على هذا والتذكير منه والتفكير عنه ولكن لمن يفهم معنى

قاله عكرمة والزهرى وقتادة وغير
واحد وجه بعضهم هذا القول بان
قيصر كان قد نذر لثن أظقره الله
بكسرى لمشين من حصن الى ايليا
وهو بيت المقدس شكر الله تعالى
ففعل فلما بلغ بيت المقدس لم يخرج
منه حتى وافاه كتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي بعثه مع دحية
ابن خليفة فأعطاه دحية عظيم
بصرى فدفعه عظيم بصرى الى
قيصر فلما وصل اليه سأل من بالشام
من عرب الحجاز فأخبره أبو سفيان
صخر بن حرب الاموي في جماعة
من كبار قريش بغزة فخفى بهم اليه
فجلسوا بين يديه فقال أيكم أقرب
نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم انه نبي
فقال أبو سفيان أنا فقال لأصحابه
وأجلسهم خلفه اني سأئل هذا عن
هذا الرجل فان كذب فكذبوه
فقال أبو سفيان فوالله لولان
يأثروا على الكذب لا كذبت فسأله
هرقل عن نسبه وصفته فكان فيما
سأله ان قال فهل يغدر قال قلت لا
ونحن منه في مدة لاندري ما هو
صانع فيها يعني بذلك الهذنة التي
كانت قد وقعت بين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكنار قريش عام
الحديبية على وضع الحرب بينهم
عشر سنين فاستدلوا به إذ على ان
نصر الروم على فارس كان عام

كلام الله ويقتدى به ويصف من نفسه لامن هو من جنس الانعام في سوء الفهم ومزيد
 البلادة وشدة التعصب (فأصلونا السبيلا) أي عن السبيل عازين والنامن الكفر بالله
 وبرسوله والسبيل هو التوحيد ثم دعوا عليهم في ذلك الموقف فقالوا (ربنا آتهم ضعفين
 من العذاب) أي مثل عذابنا مرتين للضلال والاضلال وقال قتادة عذاب الدنيا
 والآخره وقيل عذاب الكفر وعذاب الاضلال (والعنه لعنا كبيرا) أي كبريا في
 نفسه شديد اعلمهم وقرى بالثلثة أي كثير العدد عظيم القدر شديد الموقع (يا أيها الذين
 آمنوا لا تكفونا كالذين آذوا موسى) بقولهم ان به أدرة أو برصا أو عيبا وسأيتي بيان
 ذلك وفيه تأديب للمؤمنين وزجر لهم من أن يدخلوا في شيء من الامور التي تؤذي رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم قال مقاتل وعظ الله المؤمنين أن لا يؤذوا محمدا صلى الله عليه
 وآله وسلم كما آذى بنو اسرائيل موسى وقد وقع الخلاف فيما آذى به بنينا صلى الله عليه
 وآله وسلم حتى نزلت هذه الآية فحكي النقاش ان آذيتهم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
 قولهم زيد بن محمد وقال أبو وائل انه صلى الله عليه وآله وسلم قسم قسما فقال رجل من
 الاصاران هذه قسمة ما أريد بها وجه الله وعن ابن مسعود مثله فذكر ذلك للنبي صلى
 الله عليه وآله وسلم فاحمر وجهه ثم قال رحم الله موسى فقد آذى بأكثر من هذا
 فصبر آخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وقيل نزلت في زيد بن ثابت وزينب بنت جحش
 وما مع فيها من قالة الناس (فبراه) أي طهره (الله مما قالوا) وأظهر براءته لهم
 وما مصدرية أو موصولة وأيهما كان فالمراد البراهة عن مضمون القول وموداه وهو الامر
 المعيب وآذى موسى هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقد أخرج
 البخاري وغيره من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان
 موسى كان رجلا حيا سيرا الا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى
 اسرائيل فقالوا ما يستر هذا الاسترا لامن عيب بجلده ما برص واما أدرة واما آفة وان الله
 عز وجل اراد ان يبرئ موسى مما قالوا فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على الحجر ثم اغتسل
 فلما فرغ أقبل الى شابه ليأخذها وان الحجر عدى ثوبه فأخذ موسى عصاه فطلب الحجر
 فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملا من بنى اسرائيل فرأوه عرياناً أحسن
 ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه ووطنق بالحجر ضربا فوالله ان بالحجر
 لندب من ضربه ثلاثاً أو أربعاً وخسأ وأخرج نحوه البرار وابن الانباري وابن مردويه من
 حديث أنس وقال ابن عباس قال له قومه انه آدر فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على
 حجر فخرجت الصخرة تشد بثيابه فخرج موسى يتبعها عرياناً حتى انتهت به الى مجالس بنى
 اسرائيل فرأوه وليس بأدر فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا الآية واخرج الحاكم وصححه عن
 ابن مسعود وناس من الصحابة ان الله أوحى الى موسى اني متوفى هرون فأت به جبل كذا
 وكذا فانطلقا نحو الجبل فاذا هم بشجرة بيت فيه سرير عليه فرش وريح طيب فلما نظر
 هرون الى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه قال يا موسى اني أحب ان أنام على هذا السرير
 قال نعم عليه قال نعمي فلما ناما أخذ هرون الموت فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت

الحديدية لان قصر انما وفي بئره
 بعد الحديدية والله أعلم ولاصحاب
 القول الاول ان يجيبوا عن هذا
 بأن بلاده كانت قد خربت وتشعبت
 فلما تمكن من وفاء نذره حتى أصلح
 ما ينبغي اصلاحه وتفقد بلاده ثم
 بعد أربع سنين من نصرته وفي بئره
 والله أعلم والامر في هذا سهل
 قريب الا أنه لما اتت صفر فارس على
 الروم ساء ذلك المؤمنين فلما اتت صفر
 الروم على فارس فرح المؤمنون
 بذلك لان الروم أهل كتاب في الجملة
 فهم أقرب الى المؤمنين من الجحوس
 كما قال تعالى لتجدن أشد الناس
 عداوة للذين آمنوا اليهود والذين
 أشركوا ولتجدن أقربهم مودة
 للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى
 الى قوله ربنا آمننا فكتبنا مع
 الشاهدين وقال تعالى ههنا
 ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
 ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
 وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة
 حدثنا صفوان حدثنا الوليد
 حدثني أسيد الكلابي قال سمعت
 العلامة الزبير الكلابي يحدث
 عن أبيه قال رأيت غلبة فارس
 الروم ثم رأيت غلبة الروم فارس ثم
 رأيت غلبة المسلمين فارس والروم
 كل ذلك في خمسة عشر سنة وقوله

الشجرة ورفع السير الى السماء فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا قتل هرون وحسده
 حب بني اسرائيل وكان هرون ألف بهم وألين لهم وكان في موسى بعض الغلظة عليهم
 فلما بلغه ذلك قال ويحكم انه كان أخي أفتروني أقتله فلما أكثر واعليه قام فصلى ركعتين ثم
 دعا الله فقبل بالسر يرحى ونظروا اليه بين السماء والارض فصعد فوه (وكان عند الله
 وجهها) أي عظيمًا ذا وجهة والوجه العظيم القدر الرفيع المنزلة يقال وجه الرجل
 يوجهه وجهة فهو وجهه وقيل مستجاب الدعوة وقيل الوجهة انه كلمة تكلمها وقرأ عبد الله
 بالموحدة من العبودية وهي حسنة قاله الكرخي (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) في كل أمر
 من الامور (وقولوا قولاً سديداً) أي صواباً وحققاً قال قتادة ومقاتل يعني في شأن زيد
 وزينب ولا تسبوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى ما لا يحل وقال عكرمة ان القول
 السديد لا اله الا الله وقيل هو الذي يوافق ظاهره باطنه وقيل هو ما يريد به وجهه الله دون
 غيره وقيل هو الاصلاح بين الناس والسديد مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض
 والظاهر من الآية انه أمرهم بأن يقولوا قولاً سديداً في جميع ما يأتونه ويذرونه فلا يخص
 ذلك نوعاً دون نوع وان لم يكن في اللفظ ما يقتضي العموم فالما المقام بقيد هذا المعنى لانه
 أرشد سبحانه عباده الى أن يقولوا قولاً لا يخالف قول أهل الاذى وأخرج حمدوا بن أبي حاتم
 والطبراني وابن مردويه عن أبي موسى الأشعري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم صلاة الظهر ثم قال على مكانكم انبتوا ثم أتى الرجال فقال ان الله أمرني ان
 أمركم ان تتقوا الله وان تقولوا قولاً سديداً ثم أتى النساء فقال ان الله أمرني ان
 ان تتقين الله وان تقفن قولاً سديداً ثم ذكر الله سبحانه ما لهؤلاء الذين امتثلوا الامر
 بالتقوى والقول السديد من الاجر فقال (يصلح لكم أعمالكم) أي يجعلها صالحة
 لا فاسدة بما يهديكم اليه ويوفقكم فيه أو يتقبلها (ويغفر لكم ذنوبكم) أي يجعلها
 مكفرة مغفورة (ومن يطع الله ورسوله) في فعل ما هو طاعة واجتناب ما هو معصية
 (فقد فاز فوزاً عظيماً) أي ظفر بالخير ظفراً عظيماً ونال خير الدنيا والآخرة وهذه الجملة
 مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ثم لما فرغ سبحانه من بيان ما هو لاهل الطاعة من الخير
 بعد بيان ما لاهل المعصية من العذاب بين عظم شأن التكليف الشرعية وصعوبة أمرها
 فقال (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن
 منها) أي خفن من الامانة ان يؤديها فيلحقهن العقاب أو خفن من الخيانة فيها
 واختلف في تفسير الامانة المذكورة هنا فقال الواحدى معنى الامانة ههنا في قول جميع
 المفسرين الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وتضديعها العقاب قال القرطبي
 الامانة تم جميع وظائف الدين على العبيد من الاقوال وهو قول الجمهور وقد اختلف في
 تفاصيل بعضها فقال ابن مسعود في امانة الاموال كالودائع وغيرها وروى عنه انها
 في كل الفرائض وأشدها امانة المال وقال أبي بن كعب من الامانة ان اتهمت المرأة على
 فرجها وقال أبو الدرداء غسل الخنابة امانة وان الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها
 وقال ابن عمر أول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه امانة استودعكمها فلا تلبسها

تعالى وهو العزيز أي في انتصاره
 وانتقامه من أعدائه الرحيم بعباده
 المؤمنين وقوله تعالى وعد الله
 لا يخلف الله وعده أي هذا الذي
 أخبرناك به يا محمد من اناس نصر
 الروم على فارس وعدم الله حق
 وخبر صدق لا يخان ولا بد من كونه
 ووقوعه لان الله قد جرت سنته انه
 ينصر أقرب الطائفتين المفتلتين
 الى الحق ويجعل لها العاقبة ولكن
 أكثر الناس لا يعلمون أي يحكم الله
 في كونه وافعله المحكمة الجارية
 على وفق العدل وقوله تعالى يعلمون
 ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن
 الآخرة هم غافلون أي أكثر الناس
 ليس لهم علم الا بالدنيا وأكسبها
 وشؤونها وما فيها فهم حذاق أذكياء
 في تحصيلها ووجوه مكاسبها وهم
 غافلون في أمور الدين وما يتفهم
 في الدار الآخرة كأن أحدهم مغفل
 لاذهن له ولا فكرة قال الحسن
 البصرى والله لبلغ أحدهم ديناه
 انه يقبل الدرهم على ظفره فيخبرك
 بوزنه وما يحسن يصلى وقال ابن
 عباس في قوله تعالى يعلمون ظاهراً
 من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة
 هم غافلون يعني الكفار يعرفون
 عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال

الاجتزح فان حفظتها حفظك فالفرج امانة والاذن امانة والعين امانة واللسان امانة
والبطن امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وقال السدي هي ائتمان
آدم ابنه قابيل على ولده هابيل وخيانته اياه في قتله وما بعد هذا القول وليت شعري ما هو
الذي سوغ للسدي تفسير هذه الآية بهذا فان كان ذلك لدليل له على ذلك فلا دليل
وليست هذه الآية حكاية عن الماضين من العباد حتى يكون له في ذلك متمسك ابعده من
كل بعيد وأوهن من بيت العنكبوت وان كان تفسيره هذا عملا بما تقتضيه اللغة
العربية فليس في لغة العرب ما يقتضى هذا ويوجب حمل هذه الامانة المطلقة على شئ كان
في أول هذا العالم وان كان هذا تفسيره بمحض الرأى فليس الكتاب العزيز عرضة
لتلاعب آراء الرجال به ولهذا ورد الوعيد على من فسر القرآن برأيه فاحذر أيها الطالب
للحق عن قبول مثل هذه التناسير واشدد يدك في تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة
العربية فهو قرآن عربي كما وصفه الله فان جاءك التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فلا تلتفت الى غيره واذا جاءهم الله بطل نهر معقل وكذلك ما جاء عن الصحابة رضی
الله تعالى عنهم فانهم من جملة العرب ومن أهل اللغة ومن جمع الى اللغة العربية العلم
بالاصطلاحات الشرعية وليكن اذا كان معنى اللفظ أوسع مما فسره به في لغة العرب
فعلينا ان نضم الى ما ذكره الصحابي ما تقتضيه لغة العرب وأسرها فخذ هذه كلمة تتنفع
بها وقد ذكرنا في خطبة هذا التفسير ما يرشدك الى هذا قال الحسن ان الامانة عرضت
على السموات والارض والجبال فقالت وما فيها فقال لها ان احسنت آجرتك وان أسأت
عذبتك فقالت لا قال مجاهد فلما خلق الله آدم عرضها عليه وقيل له ذلك فقال قد تحملتها
وروى نحوه ذاعن غير الحسن ومجاهد قال النخاس وهذا القول هو الذي عليه أهل
التفسير وقيل هذه الامانة هي ما أودعه الله في السموات والارض والجبال وسائر
المخلوقات من الدلائل على ربوبيته ان يظهرها فأظهرها الا الانسان فانه كتمها ووجدتها
كذا قال بعض المتكلمين منسرا للقرآن برأيه الزائف فيكون على هذا معنى عرضنا
أظهرنا قال جماعة من العلماء ومن المعلوم ان الجهاد لا يفهم ولا يجب فلا بد من تقدير
الحياة فيها وهذا العرض في الآية هو عرض تخيير لا عرض الزام ولو ألزمهم لم يستغن من
جملها والجهادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة له وقيل المراد بالعرض
هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعيانها وقال القفال وغيره العرض في هذه الآية
ضرب مثل أى ان السموات والارض والجبال على كبر آجر امهالو كانت بحيث يجوز
تكليفها الثقل عليها تقلد الشرائع لمانها من الثواب والعقاب أى أن التكليف أمر
عظيم حقه ان تجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه الانسان وهو ظلم جهول
لوعقل وهذا كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل وقيل ان عرضنا بمعنى عارضنا أى
عارضنا الامانة بالسموات والارض والجبال فضعفت هذه الاشياء عن الامانة وربحت
الامانة بثقلها عليها وقيل ان عرض الامانة على السموات والارض والجبال انما كان من
آدم عليه السلام وان الله أمره ان يعرض ذلك عليها وهذا أيضا تحريف لا تفسير وقد قيل

(أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق
الله السموات والارض وما بينهما
الابلح والحق وأجل مسمى وان كثيرا
من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم
يسروا في الارض فينظروا كيف
كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد
منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها
أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم
بالبينات فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان
عاقبة الذين أساؤا السواى أن كذبوا
بآيات الله وكانوا يمسئرون)
يقول تعالى منها على التفكر في
مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده
بخلقها وان لا اله غيره ولا رب سواه
فقال أولم يتفكروا في أنفسهم يعنى
به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله
الاشياء من العالم العلوى والسفلى
وما بينهما من المخلوقات المتنوعة
والاجناس المختلفة فيعلموا انها
ما خلقت سدى ولا باطلا بل بالحق
وانها مؤجلة الى أجل مسمى وهو
يوم القيامة ولهذا قال تعالى وان
كثيرا من الناس بلقاء ربهم
لكافرون ثم نبههم على صدق رسله
فيما جاؤا به عنه بما أيدهم به من
المعجزات والدلائل الواضحات من
اهلاك من كفر بهم ونجاة من

ان المراد بالامانة العقل والراجح ما قدمناه عن الجمهور وما عداه فلا يخلو عن ضعف لعدم وروده على المعنى العربي ولا انطباقه على ما يقتضيه الشرع ولا موافقته لما يقتضيه التعريف بالامانة عن ابن عباس في الآية قال الامانة الفرايض عرضها الله على السموات والارض والجبال ان ادوها انابهم وان ضيعوها عذبهم فذكر هو ذلك واشفقوا من غير معصية وليكن تعظيما لدين الله ان لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فتميلها بما فيها وعنه في الآية قال عرضت على آدم فقيل خذها بما فيها فان اطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال قبلتها بما فيها فما كان الامابين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى اصاب الذنب وعنه هي امانات الناس والوفاء بالعهد ودخق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاها في شئ لا في قاييل ولا في كثير فعرض الله هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين واكثر السلف وانما أتى في قوله فاين الخ بضمير كضمير الاناث لان جمع تكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وان كان مذكرا وانما ذكرنا ذلك لثلاث يتوهم انه قد غاب المؤنث وهو السموات على المذكور وهو الجبال (وجملها الانسان) أي التزم بجهتها وهو آدم بعد عرضها عليه قيل ان ما كلف الانسان حمله بلغ من عظمه ونقل بحمله انه عرض على أعظم ما خلق الله تعالى من الاجرام واقواها وأشده ان يحمله ويستغل به فابى حمله وأشدق منه وجمله الانسان على ضعفه وضعف قوته قال الزجاج معنى حملها خان فيها وجعل الآية في الكفار والفساق والعصاة وقيل معنى حملها كنهها وألزمتها أو صار مستعدا لها بالقطرة أو حملها عند عرضها عليه في عالم الذر عند خروجه ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق عليهم (انه كان ظلوما جهولا) أي وهو في ذلك الحمل ظلوم لنفسه جهول لما يلزمه أو جهول التقدر ما دخل فيه كما قال سعيد بن جبیر أو جهول بأمر ربه كما قال الحسن وقيل ظلوما حين عصي ربه جهولا لا يدري ما العتاق في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ولم يفهمها ولم يفهمها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الاعلى أساليبهم وفي تفسير الآية أقوال أخر والاولى وأولى وهو قول السلف (اي عذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) متعلق بحملها أي حملها الانسان لعذب الله العاصي ويشيب المطيع وعلى هذا فجملة انه كان ظلوما جهولا معترضة بين الجملة وغايتها الايدان بعدم وفائه بما تحمله قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان لعذبهم بما خانوا من الامانة وكذبوا من الرسل ونقضوا من الميثاق الذي أقروا به حين أخرجوا من ظهور آدم وقال الحسن وقتادة هؤلاء المعذبون هم الذين خانوها وهؤلاء الذين يتوب الله عليهم هم الذين ادوها والالتفات الى الاسم الجميل اولاً لتهويل الخطاب وتربية المهابة والاطهار في موضع الانتماء ثانياً في قوله (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) لابرار مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله أعلم أي يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الامانة قال ابن قتيبة أي عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم ما الله وبظهور ايمان المؤمن فيعود عليه بالمغفرة والرحمة ان حصل منه تقصير في بعض الطاعات ولذلك ذكر لفظ التوبة فدل على ان

صدقهم فقال تعالى ولم يسروني في الارض أي بافهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين ولهذا قال فينظر واكيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة أي كانت الامم الماضية والقرون السالفة اشد منكم قوة أيها المبعوث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم وأكثروا الولا واولادا وما أتيتهم معشرا ما أتوتوا ومكنوا في الدنيا تمكيننا لم تبلغوا اليه وعمرها فيها أعما را طولها أفعمرها أكثر منكم واستغفلوها أكثر من استغلالكم ومع هذا فلما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أتوتوا أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ولا حالت أمورهم وأولادهم بينهم وبين بأس الله ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة وما كان الله ليظلمهم فيما أحل لهم من العذاب والذکر وليكن كانوا أنفسهم يظلمون أي وانما أتوا من أنفسهم حيث كذبوا بايات الله واستهزؤا بها وما ذلك الا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم ولهذا قال تعالى ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوا أي ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤون كما قال تعالى ونقلب

المؤمن العاصي خارج من العذاب (وكان الله غفورا) أى كثير المغفرة للمؤمنين
التائبين من عباده اذا قصر وافي شئ مما يجب عليهم من الامانة وغيرها حيث عفا عن
فرطاتهم (رحيماً) بهم حيث انابهم بالعفو على طاعتهم مكرمالهم بأنواع الكرم وقد
وردت أحاديث كثيرة في الحث على الامانة وذكرفعها عن القلوب عند قرب الساعة فلا
تظول بذكرها

* (سورة سبأهى أربع أو خمس وخمسون آية وهى مكية) *

قال القرطبي في قول الجميع الآية واحدة اختلف فيها وهى قوله ويرى الذين أتوا
العلم الذى أنزل اليك فسالت فرقة هى مكية وقالت فرقة هى مدينة وسيأتى
الخلافاً فى معنى هذه الآية ان شاء الله تعالى وفيه نزات وعن ابن عباس قال نزلت سورة
سبأهى

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الجد لله) التعريف ان أجرى على المعهود فهو بما حده بنفسه محمود وان أجرى على
الاستغراق فالتعريف مشعر باستحقاق جميع افراد الحمد لله سبحانه على ما تقدم تحقيقه
فى فاتحة الكتاب وقيل معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيقى بان يحمد ويثنى عليه
واللام لام التملك لانه خالق ناطق الحمد أصلاً فكان بما لكه مالك الحمد للحمد أهلاً وقيل هى
لام التخصيص والمعنى متقارب أى وله بكل الحمد الاختصاص (الذى له ما فى السموات
وما فى الارض) معناه ان جميع ما هو فيه ما فى ملكه وتحت تصرفه يفعل به ما يشاء ويحكم
فيه بما يريد بكل نعمة واصله الى العبد فهى مما خلقه له ومن به عليه فحمده على ما فى
السموات والارض هو حمد له على النعم التى أنعم بها على خلقه مما خلقه لهم ولما بين ان
الجد الدينوى من عباده الحمد لادن له مختص به بين ان الحمد الاخرى مختص به كذلك أيضاً
فقال (وله الحمد فى الآخرة) كاله فى الدنيا لان النعم فى الدارين كاهامنه وقيل المعنى ان له
على الاختصاص حمد عباده الذى يحمدونه فى الدار الآخرة اذا دخلوا الجنة كما فى قوله
وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وقوله الحمد لله الذى هدانا لهذا وقوله الحمد لله الذى
أذهب عنا الحزن وقوله الحمد لله الذى أحلنا دار المقامة من فضله وقوله وآخردعواهم ان
الجد لله رب العالمين فهو سبحانه المحمود فى الآخرة كانه المحمود فى الدنيا وهو المالك للآخرة
كانه المالك للدنيا غير ان الحمد هنا واجب لان الدنيا دار تكليف وثم لا لعدم التكليف
وانما يحمد أهله الجنة سرور بالنعم وتلذذا بما نالوا من الاجر العظيم كما ورد بلهمون
التسبيح والحمد كما بلهمون النفس (وهو الحكيم) الذى أحكم أمر الدارين (الخبير) بأمر
خلقهم فيه ما يرضى من يحمد له يوم الجزاء والعرض ثم ذكر سبحانه بعض ما يحمد به علمه
من أمور السموات والارض التى نيطت بها مصالحهم الدينية والدنيوية فقال (يعلم ما يلج
فى الارض) أى ما يدخل ويوضع فيها من مطراً أو كثراً ودفين أو أموات (وما يخرج منها) من
زرع ونبات وحيوان وشجر وعميون ومعادن وأموات اذا بعثوا (وما ينزل من السماء)

أفندتهم وأبصارهم كالم يؤمنوا بها
أول مرة ونذرهم فى طغيانهم
يعمهمون وقال تعالى فلما زاغوا
أزاغ الله قلوبهم وقال تعالى فان تولوا
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم وعلى هذا يكون السواى
منصوبة منفعولا لاساوا وقيل بل
المعنى فى ذلك ثم كان عاقبة الذين
أساوا السواى أى كانت السواى
عاقبتهم لانهم كذبوا آيات الله وكانوا
بها يستهزئون فعلى هذا يكون السواى
منصوبة خبر كان هذا توجيه
ابن جرير ونقله عن ابن عباس وقادة
ورواه ابن أبى حاتم عنهما وعن
الضحاك بن مزاحم وهو الظاهر والله
أعلم لقوله وكانوا بهم يستهزئون (الله
يبدأ الخلق ثم يعيدهم ثم اليه ترجعون
ويوم تقوم الساعة يلبس الجرمون
ولم يكن لهم من شركائهم شفعوا
وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم
الساعة يومئذ يفرقون فأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى
روضة يحبون وأما الذين كفروا
وكذبوا آياتنا ولقاء الآخرة فاولئك
فى العذاب محضرون) يقول تعالى
الله يبدأ الخلق ثم يعيده أى كما هو
قادر على بدءه فهو قادر على اعادته
ثم اليه ترجعون أى يوم القسامة

من الامطار والسروج والثلوج والبرد والصواعق وأنواع البركات ومن ذلك ما ينزل منها
من ملائكته وكتبه الى انبيائه قرئ ينزل مسندا الى ما وينزل مشددا مسندا الى الله
سبحانه (وما يعرج فيها) أى فى السماء من الملائكة وأعمال العباد والدعوات وضمن
العروج معنى الاستمرار فعداه بنى دون الى والسماء جهة العلوم مطلقا (وهو الرحيم)
بعباده (الغفور) لذنوبهم وتفریطهم فى أداء ما وجب عليهم من شكر نعمه (وقال الذين
كفروا لا تأتينا الساعة) المراد بهؤلاء القائلين جنس الكفرة على الاطلاق أو كفار مكة
على الخصوص والاول أولى والمعنى لا تأتى بحال من الاحوال انكار انهم لو وجودها
بالكيفية لا بمجرد اتيانها فى حال تكاملهم أو فى حال حياتهم مع تحقق وجودها فيما بعد وانما
عبروا عنها بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها فرد الله عليهم كلامهم وأثبت ما نفوه وأمر
رسوله ان يقول لهم (قل بلى) على معنى ليس الامر الا تيانها (وربى لآتئتنكم) وهذا
القسم لتأكيد الايمان على أتم الوجوه وأكملها قرئ لتأتئتنكم بالفوقية أى الساعة وبالتحسية
على تأويل الساعة باليوم أو الوقت كأنه قال لآتئتنكم بالبعث وأمره كما قال هل ينظرون
الآن تأتئتم الملائكة أو يأتى أمر ربك (عالم الغيب) تقوية للتأكيدي لان تعقيب القسم
بجلائل نعوت المقسم يبدون بفخامة شأن المقسم عليه وقوة اثباته وصحته لما أن ذلك
فى حكم الاستشهاد على الامر (لا يعزب) أى لا يغيب (عنه) ولا يترك عليه ولا يبعد عنه
من عزب يعزب بكسر الزاى اذا غاب وبعد وخفي وقرئ بضم الزاى قال الفراء والكسر
أحب الى وهما العتان (مشتقال ذرة) أى مقدار أصغر غلّة ووزن ذرة (فى السموات ولا فى
الارض ولا أصغر من ذلك) أى من مشتقال ذرة وفيه اشارة الى ان مشتقال ليد كر للتحديد بل
الاصغر منه لا يعزب أيضا ولولا قصر على الاصغر اتوههم متوهم انه ثبت الصغائر لكونها
محل النسيان وأما الاكبر فلا ينسى فلا حجة الى اثباته فقال (ولأكبر) منه (الافى كتاب
مبين) أى الا وهو مثبت فى اللوح المحفوظ الذى اشتمل على معلومات الله سبحانه ومكتوب
فيه فهو مؤكدا لنتى العزوب (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اللام للتعليل لقوله
لتأتئتنكم أى اتيان الساعة فائدة جزاء المؤمنين بالثواب (أو لئنك) أى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات (لهم مغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) أى حسن وهو الجنة بسبب ايمانهم
وعملهم الصالح مع التفضل عليهم من الله سبحانه ثم ذكر فريق الكافرين الذين يعاقبون
عند اتيان الساعة فقال (والذين سعوا فى ابطال آياتنا) المتعزلة على الرسل وقد حوافها
وصدوا الناس عنها وجاهدوا فى ردها بالطعن فيها ونسبها الى السحر والشعوذة وغير ذلك لان
المكذبات باخفاء آيات بينات فيحتاج الى السعي العظيم والجهد البالغ ليروج كذبها له
يعجز المتكذب به (معجزين) مقدرين بعجزنا أو مسابقين لنا يحسبون انهم يفوقوننا
ولا يدركون وذلك باعتقادهم انهم لا يعثون يقال أعجزه وعاجزه اذا عاجله وسبقه قرئ
معجزين ومعجزين أى مشبطين للناس عن الايمان بالآيات (أو لئنك) الذين سعوا (لهم
عذاب من رجز) الرجز هو العذاب فى اللسان وقيل الرجز هو أسوأ العذاب واشده
والاول أولى ومن ذلك قوله فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء (اليم) أى الشديد

فيجازى كل عامل بعمله ثم قال
تعالى ويوم تقوم الساعة يسلس
المجرمون قال ابن عباس يئس
المجرمون وقال مجاهد يفتضح
المجرمون وفى رواية يسكت
المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم
شفعاء أى ما شئعت فيهم الالهة
التي كانوا يعبدونها من دون الله
تعالى وكفروا بهم وظنوا هم أحوج
مأكلوا اليهم ثم قال تعالى ويوم
تقوم الساعة يومئذ يتفرقون قال
قتادة هى والله الفرقة التي لاجتماع
بعدها يعنى انه اذا رفع هذا الى
عليين وخنض هذا الى أسفل
سافلين فذلك آخر العهد بينهما
ولهذا قال تعالى فاما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فهم فى روضة
يعبرون قال مجاهد وقتادة يعمون
وقال يحيى بن أبى كثير يعنى سماع
الغناء والخبرة أعم من هذا كله قال
المجاج

فالحمد لله الذى أعطى الخبر

موالى الحق ان المولى شكر
(فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد فى السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون
يخرج الحى من الميت ويخرج
الميت من الحى ويحيى الارض بعد
موتها وكذلك تخرجون)

الامم ولما ذكر الذين سعواف ابطال آيات الله ذكر الذين يؤمنون بها فقال (ويرى) أى
 يعلم (الذين أتوا العلم) وهم الصحابة قاله قتادة وقال مقاتل هم مؤمنو أهل
 الكتاب وقيل جميع المسلمين والاولى انه كلام مستأنف لدفع ما يقوله الذين سعواف
 الآيات أى ان ذلك السعي منهم يدل على جهلهم لانهم مخالفون لما يعلمه أهل العلم في
 شأن الكتاب (الذى انزل اليك من ربك هو الحق) أى الصدق يعنى انه من عند الله
 (ويهدى الى سراط) معطوف على الحق عطف فعل على اسم لانه في تأويله كفى قوله
 صافات ويقبضن أى وقابضات كانه قيل وهاديا وقيل انه مستأنف وفاعله ضمير
 يرجع الى فاعل أنزل وهو القرآن والصراط الطريق أى ويهدى الى الطريق (العزير)
 فى ملكه (الحديد) عند خلقه والمراد ان يهدى الى دين الله الاسلام وهو التوحيد
 ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من كلام منكرى البعث فقال (وقال الذين كفروا) بعضهم
 لبعض (هل ننبئكم على رجل) أى هل نرشدكم الى رجل يعنون محمدا صلى الله عليه
 وآله وسلم والتعبير برجل المنكر من باب التجاهل كأنهم لم يعرفوا منه الا انه رجل وهو
 عندهم أشهر من الشمس قاله الذهباب وقال القرطبي كانوا يقصدون بذلك السخرية
 والهزأة (ينبئكم) بخبركم بما هم عجب وناغريب هو انكم (اذا مرقتم كل ممزق)
 أى فرقتم كل تفريق وقطعتكم كل تقطيع وصرتم بعد موتكم رقانا وترابا وقال الكرخي
 أى كل مكان تنزيق من القبور وبطون الوحش والطيير (انكم انى خلق جديد) أى
 تخلقون وتنشون خلقا جديدا وتبعثون من قبوركم أحياء وتعودون الى الصور التى كنتم
 عليها بعد ان تمزقت أجسادكم ككل عزيرى قال هذا القول بعضهم لبعض استهزاء بما
 وعدهم الله على لسان رسوله من البعث وأخرجوا الكلام مخرج التلهي به والتضاحك
 مما يقوله من ذلك قال الزجاج التقدير اذا مرقتم كل ممزق بعثتم أو ينبئكم بانكم تبعثون
 اذا مرقتم وأصل المزق خرق الأشياء يقال ثوب مزرق ومزرق وممزوق وعن قتادة
 فى الآية قال قال ذلك مشركوك قريش اذا أكلتكم الارض وصرتم رقانا وعظاما
 وقة طعنتكم السباع والطيير انكم ستحيون وتبعثون قالوا ذلك تكذيبا له وجديد عند
 البصر بين بمعنى فاعل يقال جد الشئ فهو جاد وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جددته
 أى قطعته ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم رددوا ما وعدهم به رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم من البعث بين أمرين فقالوا (أفترى على الله كذبا أم به جنسة) أى أهو
 كاذب فيما قاله أم به جنون بحيث لا يعقل ما يقوله قال قتادة اما ان يكون يكذب على
 الله واما ان يكون مجنونا والهـمزة فى أفترى همزة الاستفهام وحذفت لاجلها همزة
 الوصل كما تقدم فى قوله أطلع الغيب ثم رد عليهم سبحانه ما قالوه فى رسوله فقال (بل الذين
 لا يؤمنون بالآخرة) أى ليس الأمر كما زعموا بل هم الذين ضلوا عن الفهم وادراك
 الحقائق فكفروا بالآخرة ولم يؤمنوا بما جاءهم به فصاروا بسبب ذلك (فى العذاب)
 الدائم فى الآخرة وهم اليوم (والضلال البعيد) عن الحق غاية البعد ثم ونجهم سبحانه
 بما اجترأوا عليه من التكذيب مبيناً لهم ان ذلك لم يصدر منهم الالعدم التفكير والتدبر

هذا تسبيح منه تعالى لنفسه
 المقدسة وارشاد لعباده الى تسبيحه
 وتحميده فى هذه الأوقات المتعاقبة
 الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه
 عند المساء وهو اقبال الليل بظلامه
 وعند الصباح وهو اسفار النهار
 بضيائه ثم اعترض بحمده مناسبة
 للتسبيح وهو التحمد فقال تعالى
 وله الحمد فى السموات والارض أى
 هو المحمود على ما خلق فى السموات
 والارض ثم قال تعالى وعشيا وحين
 تظهرون فالعشاء هو شدة الظلام
 والاضهار قوة الضياء فسبحان
 خالق هذا وهذا فائق الاصباح
 وجاعل الليل سكا كما قال تعالى
 والنهار اذا جلاها والليل اذا
 يغشاها وقال تعالى والليل اذا
 يغشى والنهار اذا تجلى وقال تعالى
 والضحي والليل اذا سجي والآيات
 فى هذا كثيرة وقال الامام أحمد
 حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة
 حدثنا زياد بن فايد عن سهل بن معاذ
 ابن أنس الجهني عن أبيه عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا
 أخبركم لمسمى الله ابراهيم خليله
 الذى وفى لانه كان يقول كلما أصبح
 وكلاما أمسى سبحان الله حين تمسوت
 وحين تصبحون وله الحمد فى السموات

في خلق السماء والارض وان من قدر على هذا الخلق العظيم لا يعجزه ان يبعث من مخلوقاته ما هو دون ذلك ويعيده الى ما كان عليه من الذات والصفات فقال (أفلم يرا

الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) والناء للعطف على مقدره ينتضيه المقام والمعنى أعمو أفلم يرا ومن المعلوم ان ما بين يدي الانسان هو كل ما يقع نظره عليه من غير ان يحول وجهه اليه وخلقته هو كل ما يقع نظره عليه حتى يحول نظره اليه فيم الجهات كلها أي أنهم اذا نظروا رأوا السماء قدامهم وخلقهم وكذلك اذا نظروا الى الارض رأوا خلفهم وقدامهم فالسما والارض محيطتان بهم فهو القادر على ان ينزل بهم ما شاء من العذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسوله وانكارهم للبعث فهذه الآية اشتملت على أمرين أحدهما ان هذا الخلق الذي خلقه الله من السماء والارض يدل على كمال القدرة على ما هو دونه من البعث كما في قوله أوليس الذي خلق السموات والارض يتنادر على أن يخلق مثلهم والامر الآخر التهديد لهم بان من خلق السموات والارض على هذه الهيئة التي قد اطاعت بجميع المخلوقات فيها ما قادر على تعجيل العذاب لهم كما قال (ان نشأ نخسف بهم الارض) كما خسفنا بمن كان قبلهم كقارون (أو نسقط عليهم كسفا) أي قطعنا (من السماء) كما أسقطها على أصحاب الايكة فكيف يأمنون ذلك وقال قتادة ان يشأ أن يعذب بسماؤه فعل وان يشأ أن يعذب بارضه فعل وكل خلقه له جند قرئ بالنون والتخية في الافعال الثلاثة (ان في ذلك) المذكور المرئى من خلق السماء والارض من حيث احاطتهم بالناظرين من جميع الجوانب (الآية) واضحة ودلالة بينة (لكل عبد منيب) أي راجع الى ربه بالتوبة والاخلاص وخص المنيب لانه المستفيع بالنفكر وقال قتادة منيب أي تائب مقبل الى الله وقال هنا الآية التوحيد وفيما بعد ذلك لايات يجمعها لان ما هنا اشارة الى احياء الموتي فماسب التوحيد وما بعد اشارة الى سباق قبيله تفرقت في البلاد فصاروا فرقا فماسب الجمع ثم ذكر سبحانه من عباده المنيبين اليه داود وسليمان كما قال في داود فاسم تفغفر به وخررا كما وأتاب وقال في سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أتاب فقال (ولقد آتينا داود منا فضلا) أي آتيناه بسبب انابته فضلا منا على سائر الانبياء واختلف في هذا الفضل على أقوال فقيل النبوة وقيل الزبور وقيل العلم وقيل القوة كما في قوله واذ كرعبنا داود ذا الابد وقيل تسخير الجبال كما في قوله يا جبال أوبي معه وقيل التوبة وقيل الحكم بالعدل كما في قوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وقيل هو الالة الحديد كما في قوله وألنا له الحديد وقيل حسن الصوت والاولى أن يقال ان هذا الفضل المذكور هو ما ذكره الله بعده من قوله (يا جبال) الى آخر الآية أي قلنا له يا جبال (أوبي معه) اتاوب التسبيح كما في قوله انا سخرننا الجبال معه يسبحن قال أبو ميسرة هو التسبيح بلسان الخبشة وقال ابن عباس أوبي سحى وروى مثله عن مجاهد وعكرمة وابن زيد وكان اذا سجد داود سجدت الجبال معه ومعنى تسبيحها ان الله يجعلها قادرة على ذلك أو يخلق فيها التسبيح مجزلة داود وقيل معنى أوبي سحى معه من التاوب الذي هو سير النهار أجمع قراء العامة أوبي على صيغة

والارض وعشبا وبين تطهرون وقال الطبراني حدثنا مطلب بن شعيب الازدي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد عن سعيد بن بشير عن محمد بن عبد الرحمن ابن اليلمانى عن أبيه عن عبد الله ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح سبحان الله حين تمشون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشبا وحين تطهرون الآية بكلها أدرك ما فاتته في يومه ومن قالها حين عسى أدرك ما فاتته في ليلته استناد جيد ورواه أبو داود في سننه وقوله تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الاشياء المتقابلة وهذه الايات المتابعة الكريمة كلها من هذا النمط فانه يذكر فيها خلقه الاشياء وازدادها لمدل خلقه على كمال قدرته فمن ذلك اخرج النبات من الحب والحب من النبات والبيض من الدجاج والدجاج من البيض والانسان من النطفة والنطفة من الانسان والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقوله تعالى ويجي الارض بعد موتها كقوله

تعالى وآية لهم الارض الميتة
 أحييناها وأخرجنا منها حيا فمنه
 يأكلون الى قوله وبخرنا فيها من
 العيون وقال تعالى وترى الارض
 هامدة فاذا أنزنا عليها الماء اهتزت
 وربت وأنبتت من كل زوج بهيج
 الى قوله وان الله يعث من في
 القبور وقال تعالى وهو الذي يرسل
 الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا
 قلت سبحان الله قال الى قوله لعلمكم
 تذكرون ولهذا قال ههنا وكذلك
 تخرجون (ومن آياته ان خلقكم
 من تراب ثم اذا أنتم بشر تتشرون
 ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم
 أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم
 مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم
 يتفكرون) يقول تعالى ومن آياته
 الدالة على عظمته وكمال قدرته انه
 خلق أباًكم آدم من تراب ثم اذا أنتم
 بشر تتشرون فأصلكم من تراب
 ثم من ماء مهين ثم تصور فيكون علقة
 ثم مضغ ثم صار عظما مشكلا على
 شكل الانسان ثم كسا الله تلك
 العظام اللحم ثم نفخ فيه الروح فاذا
 هو سميع بصير ثم خرج من بطن أمه
 صغيرا ضعيفا القوى والحركة ثم
 كلما طال عمره تكاملت قواه وحر كانه
 حتى آل به الحال الى ان صار يني

الامر من التاويب وهو الترجيع والتسبيح أو السببر أو النوح وقرئ أو بي بضم الهمزة
 أمر امس أب يوب اذا رجع أي ارجعي معه (والظير) بالنصب عطف على فضلا على معنى
 وسخر ناله الظير لان آياته اياها تسخرها له أو نادينا الجبال والظير وقال سيبويه وأبو عمرو
 ابن العلاء اتصابه بفعل مضمر على معنى وسخر ناله الظير وقال الزجاج والنحاس يجوز أن
 يكون منوعا لا معه كما تقول استوى الماء والخشبية وقال الكسائي أي آتيناها فضلا وتسبيح
 الظير وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى (وأتماله الحديد) أي جعلناه ليناله ليحمل به ما شاء
 قال ابن عباس كالعجين وقال الحسن كالشمع يعمل به من غير نار وقال السدي كان الحديد
 في يده كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بطرقة وكذا
 قال مقاتل وكان يفرغ من عمل الدرع في بعض يوم (أن اعمل سابغات) أي بان اعمل
 أولان اعمل أو ان مفسرة لقوله أتماله الخوفي وفيه نظر لانها لا تكون الا بعد القول
 أو ما هو في معناه وقيل التقدير أمرناه ان اعمل ولا ضرورة تدعو الى ذلك والمعنى دروعا
 سابغات والسوابغ الكوامل الواسعات يقال سبغ الدرع والثوب وغيرهما اذا غطي
 كل ما هو عليه وفضل منه فضله وقرئ صابغات بالصاد لاجل الغين (وقدر في السرد)
 السرد نسج الدروع ويقال السرد والزرد كما يقال السرد والزرد لصانع الدروع والسرد
 أيضا الخرز يقال سرد يسرد اذا خرز ومنه سرد الكلام اذا جاء به متواليا ومنه حديث
 عائشة لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسرد الحديث كسردكم قال سيبويه ومنه
 سر يد أي جرى ومعنى سرد الدروع احكامها وان يكون نظام حلقةها ولا غير مختلف قال
 قتادة كانت الدروع قبل داود ثقالا لذلك أمره هو بالتقدير في اجمع الخففة والحصانة
 أي قدر ما تأخذ من هذين المعنيين بقسطه فلا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخففة فتزبل
 المنعة وقال ابن زيد التقدير الذي أمره في قدر الحلقة أي لاتعملها صغيرة فتضعف ولا
 يقوى الدرع على الدفاع ولا تعملها كبيرة فتثقل على لابسها وقيل ان التقدير في المسمار
 أي لاتجعل مسمار الدرع دقيقا فثقل ولا غليظا فيقصم الخلق وقال ابن عباس قدر في
 السرد أي في حلق الحديد وعنه لاتدق المسامير وتوسع الخلق فتسلس ولا تغلظ المسامير
 وتضيق الخلق فتقصم واجعله قدرا وقال البقاعي انه لم تكن في حلقها مسامير لعدم
 الحاجة اليها بسبب الالة الحديد والال لم يكن بينه وبين غيره فرق ولا كان للالانة كبير
 فائدة وقد أخبر بعض من رأى ما نسب اليه بغير مسامير وقال الرازي معناه انك غير
 مأمور به أمر ايجاب وانما هو اكتساب والكسب يكون بتدبير الحاجة وتوابعها في الايام
 والليالي للعبادة فقدر في ذلك العمل ولا تشغل جميع أوقانك بالكسب بل حصل فيه
 القوت فغيب ثم خاطب داود وأهله فقال (واعملوا) عملا (صالحا) كما في قوله اعملوا آل
 داود شكرا ثم عمل الامر بالعمل الصالح بقوله (الى بما تعملون بصير) أي لا يخفى على شيء
 من ذلك فاجاز بكم به (واسلميمان الريح) أي سخر ناله الريح كما قال الزجاج قرأ عاصم بالرفع
 على الابتداء والخبر أي وسلميمان الريح ثابتة أو مسخرة وقرئ الريح والريح بالافراد
 والجمع (اغدوها) أي سيرها من الغدوة بمعنى الصباح الى الزوال أي جريها من أول النهار

الى الزوال (شهر ورواحها) أي سيرها من الزوال الى الغروب (شهر) وبالجملة مستأنفة
 لبيان تسخير الريح أو حاليتها من الريح والمعنى انها كانت تسير في اليوم الواحد مسيرة
 شهرين قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقبل باصطخر وينتهي مسيرة شهر للمسرع ثم
 يروح من اصطخر فيبيت بكابل أو يابل وينتهي مسيرة شهر وقيل انه كان يتعدى بالري
 ويتعشى بسهرقند (وأسلنا) أي ذبا (له عين القطر) أي النحاس الذائب قال الواحدى
 قال المنسرون أجزيت له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهين كجرى الماء وكان بارض العين وانما
 يعمل الناس اليوم عما أعطى سليمان ولولاها ما لان النحاس أصلا لانه قبل سليمان لم يكن
 يابن أصلا لا بنا ولا بغيرها والمعنى أسلناه عين النحاس كما لنا الحديد لداود وقال قتادة
 أسأل الله عينا يستعملها فيما يريد قال ابن عباس القطر النحاس لم يقدر عليها أحد بعد
 سليمان وانما يعمل الناس بعده فيما كان أعطى سليمان وقال مجاهد القطر الصذر
 والمعنى جعلنا النحاس لسليمان في معدنه عينا تسيل كعيون المياه دلالة على نبوته أي
 كالعين النابعة من الارض (ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه) الاذن مصدر مضاف
 الى فاعله أي مسخرا أو يدبرها ربه (ومن يزغ منهم) أي ومن يعدل من الجن (عن
 أمرنا) الذي أمرنا به وهو طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قال أكثر المنسرين
 وذلك في الآخرة وقيل في الدنيا قال السدي وكل الله بالجن ملكا يده سوط من نار فن
 زاغ عن أمر سليمان ضرب به بذلك السوط ضربة فحرقه ثم ذر سبحانه ما يعمله الجن
 لسليمان فقال (يعملون له ما يشاء من محاريب) من للبيان والمحاريب في اللغة كل موضع
 مرتفع وهي الابنية الرفيعة والقصور العالية والجلال الشريفة المصونة عن الابتذال
 والمسكن قال المبرد لا يكون المحراب الا ان يرتقى اليه بدرج ومنه قيل للذي يصل في
 محراب لانه يرفع ويعظم وقال مجاهد المحاريب دون القصور وقال أبو عبيدة المحراب
 أشرف بيوت الدار وقال الضحاك وقاتدة المراد بالمحاريب هنا المساجد وكان مما عملوا
 له بيت المقدس (وتماثيل) جمع تماثيل وهو كل شيء مثلته بشيء أي صورته بصورته من
 نحاس أو زجاج أو رخام أو غير ذلك قيل كانت هذه التماثيل صور الانبياء والملائكة
 والعلماء والصلحاء كانوا يصورونهم في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا وفي
 الحديث ان أولئك كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه
 تلك الصور فلما ذكروا عبادتهم فحجبتهم وفي العبادة وقيل هي تماثيل أشياء ليست من
 الحيوان وقيل صور السباع والطيور وقد استدل بهذا على ان التصور كان مباحا في
 شرع سليمان ونسخ ذلك بشرع نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس قال
 اتخذ سليمان تماثيل من نحاس فقال يارب انفع فيها الروح فانها أقوى على الخدمة
 فنفع الله فيها الروح فكانت تخدمه وكان أسفند يار من بقاياهم فقيل لداود سليمان
 اعملوا آل داود شكرا وقيل من عبادى الشكور (وحفان) جمع حفنة وهي القصعة
 الكبيرة (كالجواب) جمع جابية وهي حفيرة كالحوض وقيل هي الحوض الكبير يجي
 الماء أي يجمعه قال الواحدى قال المنسرون يعنى قصاعا في العظم كحياض الابل يجتمع

المدائن والحصون ويسافر في أقطار
 الاقاليم ويركب من الجهور ويدور
 أقطار الارض ويكتسب ويجمع
 الاموال وله فكرة وغرور ودهاء
 ومكر ورأى وعلم واتسع في أمور
 الدنيا والآخرة كل بحسبه فسبحان
 من قدرهم وسيرهم وسخرهم
 وصر فهم في فنون المعاش
 والمكاتب وفاتت بينهم في العلوم
 والفكرة والحسن والقبح والغنى
 والفقر والسعادة والشقاوة ولهذا
 قال تعالى ومن آياته ان خلقكم من
 تراب ثم اذا أنتم بشر تستشرون وقال
 الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد
 وغندر قالوا حدثنا عوف عن قدامة
 ابن زهير عن أبي موسى قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 الله خلق آدم من قبضة قبضها من
 جميع الارض فجاء بنو آدم على
 قدر الارض منهم الايبس والاحمر
 والاسود وبين ذلك الخبيث والطيب
 والسهل والحزن وبين ذلك ورواه
 أبو داود والترمذي من طرق عن
 عوف الاعرابي به وقال الترمذي
 هذا حديث حسن صحيح وقوله
 تعالى ومن آياته ان خلق لكم من
 أنفسكم أزواجا أي خلق لكم من
 جنسكم انما تكون لكم أزواجا

على القصعة الواحدة أتف رجل يأكلون منها قال النحاس الاولى اثبات الباء في الجوازي
ومن حذف الباء قال سبيل الالف واللام أن يدخل على النكرة فلا يغيرها عن حالها فلما
كان يقال جواب ودخلت الالف واللام أقر على حاله فحذف الباء قال الكسائي يقال
جيبوت الماء وجيبته في الحوض أي جعته والحياصة الحوض الذي يجبي فيه الماء للابل
وقال النحاس والحياصة القدر العظيمة والحوض العظيم الكبير الذي يجبي فيه الشيء أي
يجمع ومنه جيبت الخراج وجيبت الخراج جمعته في الكساء وقال ابن عباس كالجوية من
الارض (وقدور راسيات) قال ابن عباس أنافها منها وقال قتادة هي قدور النحاس
تكون بفارس وقال النحاس هي قدور تحت من الجبال الصم علمته الشياطين ومعنى
راسيات ثبات لا تتعمل ولا تتحرك لعظمتها وكان يهد اليها بالسلام وكانت باليمن قيل
انها باقية بها الى الآن ثم أمرهم سبحانه بالعمل الصالح على العموم سليمان وأهله فقال
(اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما آتاكم
أو اعملوا أعمالا لشكرا على انه صفة مصدر محذوف أو اعملوا للشكر على انه مفعول له أو حال
أي شاكرين أو مفعول به وسميت الطاعة شكرا لانها من جملة أنواعه أو منصوب على
المصدرية بفعل مقدر من جنسه أي اشكروا وشكرا قيل المراد بالداود نفسه وقيل
داود وسليمان وأهل بيته وقيل المعنى ارجوا أهل البلاء وأسألوا ربكم العاقبة وسئل
الجنيد عن الشكر فقال بذل الجهود بين يدي المعبود ثم بين بعد أمرهم بالشكر ان
الشاكرين لهم من عباده ليسوا بكثير فقال (وقليل من عبادي الشكور) أي العامل
بطاعتي الشاكر نعمتي قليل وقال ابن عباس يتول قليل من عبادي الموحدين فوحيدهم
والشكور المتوفرون على أداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه
اعتقادا واعترافا وكذا وعن ابن عباس من يشكر على أحواله كلها وقيل من يشكر
على الشكر ومن يرى عجزه عن الشكر وعن داود عليه السلام انه جزأ ساعات الليل
والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي (فلما
قضينا عليه الموت) أي حكمنا على سليمان به والزمناء اياه (ماد لهم) أي الجن (على موه
الادابة الارض) يعني حتى أكلت الارض عصاه فخرميتا وهي دويبة يقال لها سرفة وقرئ
الارض بفتح الراء أي الاكل يقال أرضت الخبشة أرضا اذا اكلتها الارض (تأكل
منسأته) قال البخاري يعني عصاه أي عصاه التي كان متكئا عليها والمنسأة العصا بلغة
الخبشة وهي مأخوذة من نسأت الغنم أي زجرتها قال الزجاج المنسأة التي ينسأها أي
يطرد قرأ الجهور منسأته بهمزة مفتوحة وقرئ بهمزة ساكنة وبالفتح محضة قال المبرد
بعض العرب تبادل من همزتها ألفا فلما اكلتها الارض شكرتها الجن وأحبوها فهم
يأتونها بالماء والطين في خروق الخشب وزاد السدي وقالوا الهالو كنت تأكلين الطعام
والشراب لا تينالك بهما (فلما خثر) أي سقط سليمان (بينت الجن) أي ظهر لهم وانكشف
من تبينت الشيء اذا علمته أي علمت الجن (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين) أي لو صح ما يرضونهم من انهم يعلمون الغيب لعلوا اجوته ولم يلبثوا بعد موته مدة

لتسكنوا اليها كما قال تعالى هو
الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منها زوجا ليسكن اليها
يعني بذلك حواء خلقها الله من آدم
من ضلعه الا قصر الايسر ولوانه
تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورا
وجعل انثى من جنس آخر من
غيرهم امامن جان أو حيوان لما
حصل هذا الائتلاف بينهم وبين
الازواج بل كانت تحصل نفرة لو
كانت الازواج من غير الجنس ثم
من تمام رحمة بني آدم ان جعل
أزواجهم من جنسهم وجعل بينهم
مودة وهي المحبة ورحمة وهي الرأفة
فان الرجل يحب المرأة اما المحبة
لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منته
ولدا ومحتاجا اليه في الاتفاق أو
للالفة بينهما وغير ذلك ان في ذلك
آيات لقوم يتفكرون (ومن
آياته خلق السموات والارض
واختلاف ألسنتكم وألوانكم
ان في ذلك آيات للعالمين ومن آياته
منامكم بالليل والنهار وابتغوا لكم
من فضله ان في ذلك آيات لقوم
يسمعون) يقول تعالى ومن آياته
الدالة على قدرته العظيمة خلق
السموات والارض أي خلق
السموات في ارتفاعها واتساعها
وسقوف اجرامها وزهارة

طويله في العذاب اى العمل الذى أمرهم به والطاعة له وهو اذذاك ميت قال مقاتل
العذاب المهين الشقاء والنصب في العمل قال الواحدى قال المفسرون كانت الناس في
زمان سليمان يقولون ان الجن تعلم الغيب فلما مكث سليمان قائما على عصاه حول امينا
والجن تعمل تلك الاعمال الشاقة التي كانت تعمل في حياة سليمان لا يشعرون بموته حتى
اكلت الارض عصاه فخر ميتا فعلموا بموته علم الناس ان الجن لا تعلم الغيب ويجوز ان
يكون تبينت من تبين الشيء لان تبينت الشيء أى ظهر وتجلي وان وما في حيزها بدل
اشتمال مع تقدير محذوف أى ظهر أمر الجن للناس انهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين قرأ الجمهور تبينت على البناء للفاعل مسندا الى الجن وقرأ ابن عباس
وغيره على البناء للفعول ومعنى القراءتين يعرف مما قدمنا قال ابن عباس لبث سليمان
على عصاه حولاً بعد مامات ثم خر على رأس الحول فأخذت الجن عصى مثل عصاه ودابة
مثل دابته فارسلوها عليها فاكلت ما في سنة وكان ابن عباس يقرأ فلما خر تبينت الانس قال
سنيان وفي قراءة ابن مسعود وهم يدأون له حولاً واخرج البرزاري وابن جرير وابن المنذر
والطبراني وابن السني وغيرهم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كان
سليمان اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا وكذا فيقول لها
انت فتقول كذا وكذا فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فصلى ذات يوم
فاذا شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لاى شئ انت قالت لخراب
هذا البيت قال لها سليمان ما كان الله ليخرجه وأنا حى أنت التي على وجهك هلاكى
وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرستها في حائط له ثم قال سليمان اللهم عم عن الجن موتى
حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فهي اعصى فتوكل عليها وقضه الله وهو متسكى
عليها فمكث حول امينا والجن تعمل فاكلت الارض فسقطت فعلموا عند ذلك بموته
فتمتت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وكان ابن عباس
يقرأها كذلك فشكرت الجن للارضة فأيما كانت يأوتها بالماء وأخرجه الحاكم وصححه
عن ابن عباس موقوفا وأخرج له يلى عن زيد بن أرقم مرفوعا يقول الله انى تفضلت
على عبادى بثلاث القيت الدابة على الحبة ولولا ذلك لكنزها المسلول كما يكتزون الذهب
والنضة والقيت النتن على الحد ولولا ذلك لم يدفن حبيب حبيبه واسنلت الحزن ولولا
ذلك لذهب النسل ذكراً أهل التار يخان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في
الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفى
وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقيل ان داود أسس بناء بيت المقدس في موضع فسقط
موسى فمات قبل ان يتم فوصى به الى سليمان فأمر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره
سنة سأل ربه ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا عنه ولتبطل دعواهم على الغيب روى ان
اقر يدون جاء اليه بعد كرسية فلما نادا ضرب الاسدان ساقه فكسرها فلم يجسر أحد بعده
ان يدنونه ولما ذك كرسجانه حال بعض الشاكرين لنعمه عقبه بحال بعض الجاحدين
لها والمقصود من ذكر هذه القصة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكرها التومر لعلمهم

كوكبا ونجومها الثوابت
والسيارات وخلق الارض في
المنخفضها وكما فتها وما فيها من
جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان
وأشجار وقوله تعالى واختلف
ألستكم يعنى اللغات فهو لاء بلغة
العرب وهو لاء تتر لهم لغة أخرى
وهو لاء كرج وهو لاء روم وهو لاء
فرنج وهو لاء بربر وهو لاء تكرر
وهو لاء حبشة وهو لاء هندو وهو لاء
بجم وهو لاء صقالبة وهو لاء جزر
وهو لاء أرمن وهو لاء كرادالى
غير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى من
اختلاف لغات بنى آدم واختلاف
ألوانهم وهى حلالهم خميسع أهل
الارض بل أهل الدنيا منذ خلق الله
آدم الى قيام الساعة كل له عيوان
وحاجبان وأنف وجبين وفم وخذان
وليس يشبه واحد منهم الآخر بل
الابدان مشارقة بشئ من السمات
أو الهيئات أو الكلام ظاهرا كان
أو خفيا يظهر عند التأمل كل وجه
منهم أسلوب بذاته وهيشة لا تشبه
أخرى ولو توافق جماعة من جمال
أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد
منهم وبين الآخر ان فى ذلك لايات
للعالمين ومن آياته منامكم بالليل
والنهار وابتغواكم من فضله اى
ومن الآيات ما جعل الله من صفة

يتعطلون وينزجرون ويعتبرون بها فقال (انك كان لاسما) المراد بها القبيلة التي هي من
 اولاد سبأ وهو سبأ بن يشجب بضم الجيم بن يعرب بن قحطان بن هود قرأ الجمهور لسبأ
 بالتونين على انه اسم حى اى الحى الذين هم اولاد سبأ وقرئ لسبأ ممنوع الصرف بتأويل
 القبيلة ويقوى القراءة الاولى قوله (في مسكنهم) ولو كان على تأويل القبيلة لقال في
 مسكنها وقرأ الجمهور على الجمع واختار هذه القراءة أبو عبيد وابوحاتم ووجه الاختيار انها
 كانت لهم منازل كثيرة ومساكن متعددة وقرئ بالافراد ووجه الافراد انه مصدر يشمل
 القليل والكثير واسم مكان وأريد به معنى الجمع وهذه المساكن التي كانت لهم هي التي
 يقال لها الآن مأرب وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال وكانت أخصب البلاد وقد
 أخرج احمد والبخارى والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وغيرهم عن فروة بن مسيك
 المرادى قال أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ألا أقاتل من ادبر من
 قومي بمن اقبل منهم فأذن لي في قتالهم وأمرني فلما خرجت من عنده أرسل في اترى فردني
 فقال ادع القوم فن أسلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تجمل حتى أحدث اليك وانزل في
 سبأ ما انزل فقال رجل يا رسول الله وما سبأ ارض أم امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة
 ولكنه رجل ولد عشرة من العرب قبيان منهم ستة وتشام منهم اربعة فأما الذين
 تشاموا فلختم وجرام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالازدوالاشعريون وجير وكندة
 وسدج وأعمار فقال رجل يا رسول الله وما أعمار قال الذين منهم خشم وبجيلة وأخرج
 احمد وعبد بن حميد والطبرانى وابن عسدي والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس
 نحوه بأخصر منه (آية) اى علامة الذئ على كمال قدرة الله وبديع صنعته بملاحظة
 احوالها السابقة وهي نضارتها وخصبها وغارها واللاحقة كتبديها وعدم غيرها ثم بين
 هذه الآية فقال (جنتان) اى جماعتان من البساتين (عن عيين وشمال) اى وهانان
 الجنتان كانتا عن عيين واديهم وشماله قد احاطت به من جهتيه وقيل عن عيين من اتاهما
 وشماله وكانت مساكنتهم في الوادى وكل طائفة من تلك الجماعتين في تقاربها وتضامها
 كانتا جنة واحدة والآية هي الجنتان كانت المرأة تسمى فيها ما وعلى رأسها المكمل فيملى
 من انواع الفواكه التي تساقط من غير ان تمسها يدها وقال عبد الرحمن بن زيدان الآية
 التي كانت لاهل سبأ في مساكنتهم لم يروا فيها بعوضة ولا ذبابا ولا برغوثا ولا قملة ولا
 عقربا ولا حية ولا غير ذلك من الهوام واذا جاءهم الركب في ثيابهم القمل مات عند
 رؤيتهم لسبوتهم قال القشيري ولم يرد جنتين اثنتين بل أراد من الجهتين مينة ويسرة في كل
 جهة بساتين كثيرة وأشجار وغار تتر الناس بظلالها (كلا من رزق ربكم) اى قيل
 لهم ذلك وهذا الامر للاذن والاباحة وقيل لم يكن ثم أمر ولكن المراد تمكينهم من
 النعم والاول أظهر وقيل انها قالت لهم الملائكة وقيل انهم خوطبوا بذلك على لسان
 نبيهم والمراد بالرزق هو غار الجنتين (واشكروا لله على) ما رزقكم من هذه النعم واعملوا
 بطاعته واجتنبوا معاصيه (بلدة طيبة) مستأنفة لبيان موجب الشكر والمعنى هذه بلدة
 طيبة فكثيرة أشجارها وطيبة ثمارها وقيل معنى كونها طيبة انها غير سبخة وقيل ليس فيها

النوم في الليل والنهار فيه يحصل
 الراحة وسكون الحركة وذهاب
 الكلال والتعب وجعل لكم
 الانتشار والسعي في الاسباب
 والاستمرار في النهار وهذا ضد النوم
 ان في ذلك لايات لقوم يسمعون أى
 يعون قال الطبرانى حدثنا حجاج
 ابن عمران السدوسي حدثنا عمرو
 ابن الحصين العقيلي حدثنا محمد بن
 عبد الله بن علاقة حدثنا ثور بن
 يزيد عن خالد بن معدان سمعت
 عبد الملك بن مروان يحدث عن
 أبيه عن زيد بن ثابت رضى الله
 عنه قال أصابني أرق من الليل
 فشكوت ذلك الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال قل اللهم غارت
 النجوم وهذأت العيون وأنت حى
 قيوم يا حى يا قيوم اهد ليلى فقلتها
 فذهب عني (ومن آياته يريكم
 البرق خوفا وطمعا وينزل من
 السماء ماء فيحيي به الارض بعد
 موتها ان في ذلك لايات لقوم
 يعقلون ومن آياته ان تقوم السماء
 والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة
 من الارض اذا أنتم تحذرون)
 يقول تعالى ومن آياته الذئ على
 عظمتها انه يريكم البرق خوفا وطمعا
 اى تارة تحذرون مما يحدث بعده
 من أمطار مزعجة وصواعق مثقلة

هو ام لطيب هو انما قال مجاهد صناعا وقيل كانت على ثلاثة قراسخ من صنعاء
وفي الصباح يطلق البلد والبلدة على كل موضع من الارض عامرا كان أو خلاء (ورب
غفور) أي المنعم بها عليهم رب غفور لذنوبهم لجمع لهم بين الغفرة وطيب البلدة ولم يجمع
ذلك لجميع خلقه وقال مقاتل المعنى وربكم ان شكرتم فيما رزقكم رب غفور للذنوب
وقيل انما يجمع لهم بين طيب البلدة والمغفرة للاشارة الى ان الرزق قد يكون فيه حرام
قرئ بنصب بلدة وربا على تقدير اسكنوا بلدة واشكروا ربها ثم ذكر سبحانه ما كان منهم
به هذه النعمة التي انعم بها عليهم فقال (فأعرضوا) عن الشكر وكفروا بالله وكذبوا
انبياءهم قال السدي بعث الله الى أهل سبأ ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وكذا قال وهب
وزاد وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا ربكم فليجس هذه النعمة عنان استطاع
فذلك اعراضهم ثم لما وقع منهم الاعراض عن شكر النعمة ارسل الله عليهم نعمة سلب
بها ما انعم به عليهم كما قال (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وذلك ان الماء كان يأتي ارض سبأ
من اودية العين فرد ما بين جبلين وحبسو الماء وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة ابواب
بعضها فوق بعض وكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث فأخصبوا
وكثرت اموالهم فلما كذبوا رسالهم بعث الله جردا ففتقت ذلك الردم حتى انتقض فدخل
الماء جنتهم فغرقها ودفن السيل بيوتهم فهذا هو سيل العرم وهو جمع عرمة وهي السكر
التي تحبس الماء وكذا قال قتادة وغيره وقال السدي العرم اسم للسد والمعنى ارسلنا عليهم
سيل السد العرم وقال عطاء العرم اسم الزادى وقال الزجاج العرم اسم الجرد الذي نقب
السد عليهم وهو الذي يقال له الخلد فنسب السيل اليه ليكون سبب جريانه قال ابن
الاعرابي العرم من اسماء الفار وقال مجاهد وابن خنيج العرم ماء اجرار سله الله في السد
فشقه وهدمه وقيل ان العرم اسم المطر الشديد وقيل اسم للسيل الشديد والعرامة في
الاصل الشدة والشراسة والصعوبة يقال عرم فلان اذا تشدد وتصعب وروى عن ابن
الاعرابي انه قال العرم السيل الذي لا يطاق وقال المبرد العرم كل شيء حاجر بين شيئين
وعن ابن عباس قال العرم الشديد وعنه قال واذا كان باليمن كان يسيل الى مكة (و بدلتاهم
بجنتهم جنتين) اي اهدكنا جنتهم اللتين كانتا مشتملتين على ثلاث الفواكه الطيبة
والانواع الحسنة واعطيناهم بدلها جنتين لا خير فيهما ولا فائدة لهم فيها ونابت فيهما
وتسميتهما جنتين تمكيمهم على طريق المشاكلة ولهذا قال (ذواتي) تسمية ذوات مفرد
على الاصل لان اصله ذوية قالوا وعين الكامة والياء لامها لانه مؤنث ذو وذو اصله ذوى
فحركات الياء وانفتح ما قبلها فقبلت الفاء فصارت ذوات ثم حذف الواو وتحذف في تنيته
وجهان تارة ينظر للفظه الا ان يقال ذاتان وتارة ينظر له قبل حذف الواو فيقال ذواتان
وقال السمين في تسمية ذات الغنات احدهما الرد الى الاصل فان اصله ذوية فالعين واو
واللام ياء لانها مؤنثة ذوى والثانية تنيته على اللفظ فيقال ذاتان (اكل خبط) قرئ بتنوين
اكل وعدم اضافته الى خبط وقرئ بالاضافة والاولى اولى قال الخليل الخط ضرب من
الاراك وله حل يوكل وبه قال ابن عباس وكذا قال كسير من المفسرين وقال ابو عبيدة

وتارة تجون وميضه وما يأتي بعده
من المطر المحتاج اليه ولهذا قال
تعالى وينزل من السماء ماء فيحيي
به الارض بعد موتها اي بعد
ما كانت هامدة لانبات فيها ولا شيء
فلما جاءها الماء اهتزت وربت
وأبنت من كل زوج بهيج وفي ذلك
عبرة ودلالة واضحة على العباد
وقيام الساعة ولهذا قال ان في
ذلك لايات لقوم يعقلون ثم قال
تعالى ومن آياته ان تقوم السماء
والارض بأمره كقوله تعالى ويمسك
السماء ان تقع على الارض الا بذنه
وقوله ان الله يمسك السموات
والارض أن تزولا وكان عـرب
الخطاب رضى الله عنه اذا اجتمع في
اليمين قال والذي تقوم السماء
والارض بأمره أي هي قائمة ثابتة
بأمره لها وتدخيره اياها ثم اذا كان
يوم القيامة بدلت الارض غير
الارض والسموات وخرجت
الاموات من قبورها أحياء بأمره
تعالى ودعائه اياهم ولهذا قال تعالى
ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا
أنتم تخرجون اي من الارض كما
قال تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون
بجمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا
وقال تعالى فانها هي زجرة واحدة
فاذا هم بالساهرة وقال تعالى ان
كانت الاصيحة واحدة فاذا هم

الخط كل شجرة مرة ذات شوك وقبل هو غر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش
 يتفرك ولا ينتعج به وقال الزجاج كل نبت فيه مرارة لا يمكن اكله وقال المبرد كل شئ يعبر
 الى ما لا يشتهي يقال له خط ومنه اللبن اذا تغير والخط اسم للمر والحامض من كل شئ
 والخط نعت لا كل او بدل منه لان الاكل هو الخط بعينه وقال الاخفش الاضافة
 احسن في كلام العرب مثل ثوب خز ودار آجر والاولى تفسير الخط بما ذكره
 الخليل ومن معه قال الجوهري الخط ضرب من الاراك له حمل يؤكل (وأثله)
 هو الشجر المعروف الشبيه بالطرفاء كذا قال الفراء وغيره قال الا انه أعظم من الطرفاء
 طولاً وورقه كورق الطرفاء ومنه اتخذ منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الواحدة
 أثله والجمع أثلات وقال الحسن الاثل الخشب وقال أبو عبيدة هو شجر النظار والاولى
 ولا تمر للائل (وشي من سدر قليل) السدر شجر معروف قال الفراء هو السمر وقال
 الازهرى السدر من الشجر سدران برى لا ينتعج به ولا يصلح للغسول وله غر غصص لا يؤكل
 وهو الذي يسمى الضال والثاني سدر نبت على الماء وغره النبق وورقه غسول يشبه
 شجر العناب قيل ووصف السدر بالقلة لان منه نوعاً طيباً كله وهو النوع الثاني الذي
 ذكره الازهرى ولذا يغرس في البساتين قال قتادة بيننا شجرهم من خير شجر اذ صيره الله من
 شر الشجر بأعمالهم فأهلك أشجارهم المثرة وأنت بدلها الاراك والطرفاء والسدر
 ويحتمل ان يرجع قوله قليل الى جميع ما ذكر من الخط والائل والسدر والاشارة بقوله
 (ذلك) الى ما تقدم من التبديل الى المصدر (جزيناهم بما كفروا) أى ذلك التبديل
 أو ذلك الجزاء بسبب كفرهم للنعمة بأعراضهم عن شكرها (وهل تجازى الا الكفور)
 أى وما تجازى هذا الجزاء بسبب النعمة ونزول النعمة الا الشديد الكفر المتبالغ قرأ
 الجمهور بضم التحتية وفتح الزاى على البناء المفعول وقرئ بالنون وكسر الزاى
 مبنياً للقاعل وهو الله سبحانه والكفور على الاولى مرفوع وعلى الثانية منصوب وظاهر
 الآية انه لا يجازى الا الكفور مع كون أهل المعاصي يجازون وقد قال قوم ان معنى
 الآية انها لا يجازى هذا الجزاء وهو الاضطلام والاهلاك الامن كفر وقال جاهدان
 ان المؤمن تكفر عنه سيئاته والكافر يجازى بكل عمل عمله وقال طائوس هو المناقشة
 في الحساب وأما المؤمن فلا يناقش وقال الحسن ان المعنى انه يجازى الكافر بما عمل
 ويرجح هذا الجواب الخامس (وجعلنا بينهم) أى وكان من قصتهم انا جعلنا بين مساكينهم
 قبل ارسال السبل عليهم (وبين القرى التي باركنا فيها) بالماء والشجر وهى قرى الشام
 يعنى الارض المقدسة قاله ابن عباس (قرى ظاهرة) أى متواصلة عامرة مخصبة وكان
 متجرهم من أرضهم التى هى مأرب الى الشام وكانوا يبيتون بقرية ويقبلون بأحرى حتى
 يرجعوا وكانوا يحتاجون الى زاد يجمعونه من أرضهم الى الشام فهذا من جملة الحكاية
 لما أنعم الله به عليهم قال الحسن ان هذه القرى هى بين اليمن والشام قيل انها كانت أربعة
 آلاف وسبع مائة قرية متصلة من سبأ الى الشام وقيل هى بين المدينة والشام قال المبرد
 القرى الظاهرة هى المعروفة وانما قيل لها ظاهرة لظهورها اذا خرجت من هذه ظهرت

جميع لدينا محضرون (وله من فى
 السموات والارض كل له قاتون
 وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو
 أهون عليه وله المثل الأعلى فى
 السموات والارض وهو العزيز
 الحكيم) يقول له تعالى وله من فى
 السموات والارض أى ملكه
 وعبيده كل له قاتون أى خاضعون
 خاشعون طوعاً وكرهاً وفى حديث
 دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد
 مرفوعاً كل حرف يذكر فيه القنوت
 فى القرآن فهو الطاعة وقوله وهو
 الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون
 عليه قال ابن أبي طلحة عن ابن
 عباس يعنى أى يسر عليه وقال مجاهد
 الاعادة أهون عليه من البداية
 والبداية عليه هينة وكذا قال
 عكرمة وغيره وروى البخارى حدثنا
 أبو اليان اخبرنا شيب اخبرنا
 ابو الزناد عن الاعرج عن أبي
 هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
 تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك
 وشتمى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه
 اياى فقول له ان يعيدنى كما بدأنى
 وليس أول الخلق بأهون على من
 اعادته وأما شتمه اياى فقوله اتخذ
 الله ولداً وأنا الاحد الصمد الذى لم
 يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

لك الاخرى فكانت قري ظاهرة أى معروفة يقال هذا امر ظاهر أى معروف وقيل
 ظاهرة لا عين الناظرين أو ظاهرة للسابلة لم تعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم (وقد رنا
 فيها السير) أى جعلنا السير من القرية الى القرية ومن المنزل الى المنزل مقدرامعينا
 واحدا وذلك نصف يوم في الغدو والروح فاذا صار وانصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه
 وأشجار فكان ما بين العين والشام كذلك كما قال المفسرون قال القراء أى جعلنا بين كل
 قريتين نصف يوم حتى يكون المقييل في قرية والمبيت في أخرى الى أن يصل الى الشام
 وانما يبلغ الانسان في السير اعدم الزاد والماء والخوف الطريق فاذا وجد الزاد والامن
 لم يحمل نفسه المشقة بل ينزل أينما أراد والحاصل ان الله سبحانه عدده عليهم النعم ثم ذكر
 منازلهم من النعم ثم عاد لتعدد بقية ما أنعم به عليهم مما هو خارج عن بلدتهم من اتصال
 القرى بينهم وبين ما يريدون السفر اليه ثم ذكر بعد ذلك تبدله بالمنازل والبراري كما سيأتي
 (سير واقفيا) أى قلنا لهم سيرا في تلك القرى المتصلة فهو أمر يمكن أى ومكناهم من
 السير فيها متى شاءوا وفي لفظ في اشعار بشدة القرب حتى كأنهم لم يخرجوا من نفس
 القرى قال ابن عباس أى اذا ظعنوا من منازلهم الى أرض الشام المقدسة (لبالي وأباما
 آمنين) مما تخافونه وقال قتادة كانوا يسرون غير حافنين ولا جياح ولا ظمأ كانوا
 يسرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل أبيه لم
 يحركه قيل وأتى بلفظ النكرة تنبيها على قصر أسفارهم أى كانوا لا يحتاجون الى طول
 السفر لوجود ما يحتاجون اليه ثم ذكر سبحانه انهم لم يشكروا النعمة بل طلبوا التعب
 والكدر (فقالوا ربنا عدينا أسفارنا) وكان هذا القول منهم بطرا وظغيبا لما استموا
 النعمة ولم يصبروا على العاقبة فتمتوا طول الاسفار والتبعاء عدينا الديار وسألوا الله تعالى
 ان يجعل بينهم وبين الشام مكان تلك القرى المتواصلة الكثيرة الماء والشجر والامن
 من المنازل والقفار والبراري المتساعدة الاقطار فأجابهم الله الى ذلك وخرب تلك القرى
 المتواصلة وذهب بما فيها من الخير والماء والشجر فكانت دعوتهم هذه كدعوة بني
 اسرائيل حيث قالوا ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها الآية مكان
 المن والسلوى وكقول النضر بن الحرث اللهم ان كان هذا هو الخبز من عندك فامطر
 علينا حجارة من السماء الآية قرأ الجمهور ربنا انصب على انه منادى مضاف وقرأوا أيضا
 يا عدو قري بعد بث شديد العين وقرأ ابن السميع بضم العين فعلا ماضيا فيكون معنى
 هذه القراءة الشكوى من بعد الاسفار وقري ربنا بالرفع وباعد بفتح العين على انه فعل
 ماض على الابتداء والخبر والمعنى لقد باعد ربنا بين أسفارنا ورويت هذه القراءة عن
 ابن عباس واختارها أبو حاتم وقال لانهم ما طلبوا التباعد انما طلبوا اقرب من ذلك
 القرب الذي كان بينهم وبين الشام بالقرى المتواصلة بطرا وأشرا وكفر بالنعمة وقري ربنا
 بالرفع وبعد بفتح العين مشددة والمعنى على هذه القراءة الشكوى بانهم بعد بين
 أسفارهم مع كونها قريبة متصلة بالقرى والشجر والماء فيكون هذا من جهة بطرهم وقرأ
 أخو الحسن البصرى قراءة ابن السميع السابقة مع رفع بين على انه الفاعل كما قيل في

انفرد باخراجه البخارى كما انفرد
 بروايته أيضا من حديث عبد
 الرزاق عن معمر عن همام عن ابي
 هريرة به وقد رواه الامام أحمد
 منفردا به عن حسن بن موسى عن
 ابن لهيعة حدثنا أبو يونس سليم بن
 جبير عن ابي هريرة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم بخوه أو مثله وقال
 آخرون كلاهما بالنسبة الى القدرة
 على السواء وقال العوفي عن ابن
 عباس كل عليه هين وكذا قاله
 الربيع بن خثيم ومال اليه ابن جرير
 وذكر عليه شواهد كثيرة قال ويحتمل
 ان يعود الضمير في قوله وهو أهون
 عليه الى الخلق اى وهو أهون
 على الخلق وقوله له المثل الاعلى
 في السموات والارض قال على بن
 أبي طلحة عن ابن عباس كتوله تعالى
 ليس كمثلها شئ وقال قتادة مثله انه
 لا اله الا هو ولا رب غيره وقال مثل
 هذا ابن جرير وقد أشد بعض
 المفسرين عند ذكر هذه الآية
 لبعض أهل المعارف
 اذا سكن الغدير على صفا

وجنب ان يحركه النسب
 يرى فيه السماء بلا امتراء

كذلك الشمس تبدو والنجوم
 كذلك قلوب أبواب التجلي
 يزي في صفوها الله العظيم

قوله لقد تقطع بينكم وروى القراء والزجاج قراءة مثل هذه القراءة لكن مع نصب بين على انه ظرف والتقدير بعد سربا بن أسفارنا قال النحاس وهذه القراءات اذا اختلفت معانيها لم يجوز ان يقال احدهما أجود من الاخرى كما يقال ذلك في اخبار الاحاد اذا اختلفت معانيها ولكن أخبر عنهم بأنهم دعوا ربهم ان يبعدين أسفارهم فلما فعل ذلك شكوا وتضرروا وله مذاقال سبحانه (وظلموا أنفسهم) حيث كفروا بالله وطمغوا وبطروا نعمته وتعرضوا للنقمة (جعلناهم أحاديث) يتحدث الناس باخبارهم وعبره لمن بعدهم والاحاديث جمع حديث بمعنى الخبر كما في القاموس والمعنى جعلناهم ذوى أحاديث يتحدث بها من بعدهم تعجبنا من فعلهم وأمرهم وشأنهم واعتبارنا بما عملهم وعاقبتهم (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفرقة بحيث لا يتوقع بعده عود اتصال وهذه الجمله مبينة لجهلهم أحاديث وذلك ان الله سبحانه لما أغرق مكانهم وأذهب جناتهم تفرقوا في البلاد فصارت العرب تضرب بهم الامثال فتقول تفرقوا أبدي سبارذ هو أبدي سبا والابدي ههنا بمعنى الاولاد لانهم يعتصدهم وفي المفصل الابدي الانفس كناية أوجاز قال في الكشف وهو أحسن قال الشعبي فلحقت الانصار بعنى الاوس والخزرج يثرب وغسان بالشام والازديع بمان وخزاعة بتهامة وكان الذى قدم منهم المدينة عمر بن عامر وهو جد الانصار ولحق آل خزمية بالعراق (ان في ذلك) أى فيما ذكر من قصتهم وما فعل الله بهم (آيات) بينات وعبرنا ظاهرات ودلالات واخبات (لكل صبار شكور) أى لكل من هو كثير الصبر عن المعاصى والشكر لله على نعمه وخص الصبار والشكور لانهم المتفنعان بالمواعظ والآيات (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه) قرئ بتخفيف صدق ونصب ظنه قال الزجاج وهو على المصدر أى صدق وظن ظنه وأصدق في ظنه أو على الظرفية والمعنى ان ظن بهم انه اذا اغواهم اتبعوه فوجدهم كذلك وقرئ صدق بالتشديد وظنه بالنصب على انه منقول به وقال أبو على الفارسي أى صدق الظن الذى ظنه قال مجاهد ظن ظنا فصدق ظنه فكان كما ظن وقرئ صدق بالتخفيف وابلس بالنصب وظنه مبالغ فيه وقد بدأ جاز هذه القراءة القراء وذكرها الزجاج وجعل الظن فاعل صدق وابلس منقول والمعنى ان ابليس سول له ظنه شيئا فيهم فصدق ظنه فكانه قال ولقد صدق عليهم ظن ابليس قيل وهذه الآية خاصة باهل سبا والمعنى انهم غير واولدوا بعد ان كانوا اقد آمنوا بما جاءت به رسالتهم وقيل هي عامة أى صدق ابليس ظنه على الناس كلهم الا من أطاع الله قاله مجاهد والحسن قال الكلبى انه ظن انه ان اغواهم أجابوه وان أضلهم أطاعوه فصدق ظنه فاتبعوه قال الحسن ما ضربهم بسوط ولا بعصى وانما ظن ظنا فكان كمن ظن بوسوسته وعن ابن عباس في الآية قال قال ابليس ان آدم خلق من تراب ومن طين ومن حمامسون خلقا ضعيفا وانى خلقت من نار والنار تحرق كل شىء لا حتمكن ذريته الا قليلا قال فصدق ظنه عليهم وانصاب (الافريقان المؤمنان) على الاستثناء وفيه وجهان أحدهما ان يراد به بعض المؤمنين لان كثيرا من المؤمنين يذنب ويتقاد لابلس في بعض المعاصى ولم يبدل منه الا فريق وهم الذين قال الله فيهم ان عبادى

وهو العزيز الذى لا يغالب ولا يمانع بل قد غلب كل شىء وقهر كل شىء بقدرته وسلطانه الحكيم فى أقواله وأفعاله شرعا وقدرنا وعن مالك فى تفسيره المروى عنه عن محمد بن المنكدر فى قوله تعالى وله المنسل الاعلى قال لا اله الا الله (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله ومالهم من نادى من) هذا مثل ضرب به الله تعالى للمشركين به العابدين معه غيره الجاعل بين له شركاء وهم مع ذلك معترفون ان شركاءه من الاصنام والانداد عباده ملك له كما كانوا يقولون ليس لك الا شريك لك الا شريكاه هولك تملكه ومالك فقال تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم أى تشبهوه وتفهموه من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء أى يرنى أحدكم ان يكون عبده شريكه فى ماله فهو وهو فيه على سواء تخافونهم كخفتكم أنفسكم أى تخافون ان يقاسمواكم الاموال قال ابو جاز

ليس لك عليهم سلطان وقيل المراد به المؤمنون كلهم لانهم لم يتبعوه في أصل الدين على ان تكون من بيانية (وما كان له عليهم من سلطان) أي من تسلط عليهم أي لم يكرههم على الكفر وانما كان منه الدعاء والوسوسة والتزيين وقيل الضمير في عليهم يعود على من صدق عليهم ظن البليس وعلى الفريقين المؤمنين وقيل السلطان القوة وقيل الحجية والاستثناء في قوله (الانعلم) منقطع والمعنى لاسلطان له عليهم ولكن ابتليناهم بوسوسته لنعلم وقال الفراء المعنى الانعلم ذلك عندكم وقيل الالعلموا انتم وقيل ليعلم اولياؤنا والملائكة وقرئ ليعلم على البناء للمفعول والالى حمل العلم هنا على التمييز والاظهار كما ذكرنا وقيل الانعلم موجودا معلناه معدوما والتغير على المعلوم لاعلى العلم وقيل هو متصل مفرغ من أعم الاحوال أي ما كان له تسلط عليهم بحال من الاحوال والالعلم من العليل الالتميز (من يؤمن بالآخرة من هو منها في شك) لانه سبحانه قد علم ذلك علما أزليا (وربك على كل شيء حفيظ) أي محافظ عليه فاللفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة اذ الجاهل بالشيء لا يمكنه حفظه ولا العاجز قال مقاتل علم كل شيء من الايمان والشك (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) قرئ قل بذكر اللام على أصل التخلص من التقاء الساكنين وبعضها اتباع الضمة العين والدال بينهما جاز غير حصين لسكونها وهما قراءتان سبعيتان وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بان يقول للكفار قريش أو للكفار على الاطلاق هذا القول ومنعوا لزعم محمد وفان أي زعموهم آلهة لدلالة السياق عليهما قال مقاتل يقول ادعوه لم يكشفتوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم أجاب سبحانه عنهم فقال (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) أي ليس لهم قدرة على خير ولا شر ولا على جلب نفع ولا دفع ضر في أمر من الامور وذكر السموات والارض لقصده التعميم لكونها ما طرف الموجودات الخارجية (ومالهم فيهم ما من شرك) أي ليس للآهة في السموات والارض مشاركة لا بالخلق ولا بالملك ولا بالتصرف (ومالهم من ظهير) أي ومالله سبحانه من تلك الآهة من معين يعينه على شيء من أمور السموات والارض ومن فيهما بل هو المتفرد بالاجاد فهو الذي يعبد ويعبادة غيره محال (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له) استثناء من أعم الاحوال أي لا تنفع الشفاعة في حال من الاحوال الا كآية لمن اذن له ان يشفع من الملائكة والنبيين ونحوهم من أهل العلم والعمل ومعلوم أن هؤلاء لا يشفعون الا لمن يستحق الشفاعة لا للكافرين ويجوز ان يكون المعنى لا تنفع الشفاعة من الشفاعة المتأهلين لها في حال من الاحوال الا كآية لمن اذن له أي لاحله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة لهم لا من عداهم من غير المستحقين لها قيل والمراد بقوله لا تنفع الشفاعة انها لا توجد الا لمن اذن له وانما علق النبي شفعاها لا بوقوعها تصريحا بنبي ما هو غيرهم من وقوعها قرأ الجمهور اذن بفتح الهمزة أي اذن له الله سبحانه لان اسمه سبحانه مذكور قبل هذا وقرئ على البناء للمفعول والاذن هو الله سبحانه ومثل هذه الآية قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا بآذنه وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهذا تكذيب لقولهم هو لا شفعاؤنا عند الله ثم أخبر الله

ان مملوك لا يخاف ان يقاسمك مالك وليس له ذلك كذلك الله لا شريك له والمعنى ان أحدكم يألف من ذلك فكيف يجعلون الله الاندادم خلقه وهذا كتوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون أي من البنات حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا واولادهم جعلوا بنات الله وقد كان أحدهم اذ بشر بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أعيى سكه على هون أم يدسه في التراب فهم يأفنون من البنات وجعلوا الملائكة بنات الله ففسبوا اليه ما لا يرتضونه لانفسهم فهذا اغاظ الكفر وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عباده وخلقته وأحددهم بأي غاية الآباء ويألف غاية الاتفة من ذلك ان يكون عبده شريكه في ماله يساويه فيه ولو شاء لقاسمه عليه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال الطبراني حدثنا محمد بن الفرج الاصبغاني حدثنا اسمعيل بن عمرو الجبلي حدثنا جاد بن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يلبى أهل الشرك لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هـ ولت تملكه وما ملك فانزل الله تعالى

سبحانه عن خوف هؤلاء الشنعاء المشنوع لهم فقال (حتى اذا فرغ عن قلوبهم) قرئ مبني
 للمفعول والناسل هو الله سبحانه وقرئ مبني للفاعل وفاعله ضمير يرجع الى الله سبحانه
 وكذا القراءتين بتشديد الزاي وفعل معناه السلب فالتفريع ازالة النزع وقرئ مخففا
 وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة من الفراغ والمعنى فرغ الله قلوبكم أى كشف
 عنها الخوف وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أفرغ من الافرنجاق وهو التفرق قال قطرب
 معنى فرغ أخرج ما فيها من النزع وهو الخوف وقال مجاهد كشف عن قلوبهم الغطاء يوم
 القيامة وقال ابن عباس فرغ جلي وهو التفرق والمعنى ان الشفاعة لا تكون من أحد من
 هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والانبيا والاصنام كأنهم من كان الا ان يأذن
 الله سبحانه للملائكة والانبيا ونحوهم في الشفاعة لمن يستحقها وهم على غاية النزع من
 الله كما قال تعالى وهم من خشية مشفقون فاذا اذن لهم في الشفاعة فرغوا ما يقترب تلك
 الحالة من الامر الهائل والخوف الشديد من أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه
 تقصيرا ويحدث شئ من اقدار الله فأسرى عنهم (قالوا) للملائكة فوقعهم وهم الذين
 يوردون عليهم الوحي بالاذن (ماذا قال ربكم) أى ماذا أمر الله به (قالوا) أى فيقولون
 لهم قال القول (الحق) وهو قبول شفاعتكم للمستحقين لها دون غيرهم (وهو العلي
 الكبير) فله ان يحكم في عبادته بما يشاء ويفعل ما يريد ليس ملك ولا نبي أن يتكلم ذلك
 اليوم الا باذنه وان يشفع الامن ارتضى وقيل هذا النزع يكون للملائكة في كل أمر
 ياهره الرب والمعنى لا تنفع الشفاعة الامن الملائكة الذين هم فرعون اليوم مطيعون
 لله دون الجادات والشياطين وقيل ان الذين يقولون ماذا قال ربكم هم المشنوع لهم
 والذين أجابوهم هم الشفعاء من الملائكة والانبيا وقال الحسن وابن زيد ومجاهد معنى
 الآية حتى اذا كشف النزع عن قلوب المشركين في الآخرة قالت لهم الملائكة ماذا
 قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقيل انما يفرعون حذرا
 من قيام الساعة وقيل كشف النزع عن قلوبهم عند نزول الموت أخرج ابن أبي حاتم
 وابن مردويه عن ابن عباس قال لما أوحى الجبار الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم دعا
 الرسول من الملائكة ليعبده بالوحي فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما
 كشف عن قلوبهم سألو اعمام الله فقالوا الحق وقد علموا ان الله لا يقول الاحق قال
 ابن عباس وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوا خروا سجدا فلما رفعوا
 رؤسهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وأخرج عبد بن حميد وابن
 المنذر وابن أبي حاتم أيضا عنه قال ينزل الامر الى السماء الدنيا له وقعة كوقعة السلسلة
 على الصخرة فينزع له جميع أهل السموات فيقولون ماذا قال ربكم ثم يرجعون الى
 أنفسهم فيقولون الحق وهو العلي الكبير وأخرج البخاري وأبو داود والترمذي وابن
 ماجه وغيرهم من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا قضى الله
 الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعا لقوله كأنه سلسلة على صفوان
 ينقذهم ذلك فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي

الكبير الحديث وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وعن ابن مسعود قال اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة تجرس السلسلة على الصفاة فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم - ثم جبريل فاذا جاءه فرغ عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك فيقول الحق اخرجهم اودوا وادوا صلصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها على بعض وفي معناها حديث ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يبكت المشركين ويوجههم فقال (قل من يرزقكم من السموات والارض) أي من نعم عليكم بهذه الارزاق التي تتمعون بها فان آلهتكم لا يمكن ان تكون مثقال ذرة والرزق من السماء هو المطر وما ينتفع به منها من الشمس والقمر والنجوم والارض هو النباتات والمعادن ونحو ذلك ولما كان الكفار لا يقدر على جواب هذا الاستفهام ولا تقبل عقولهم نسبة هذا الرزق الى آلهتهم ويرموا بتوفيق في نسبتها الى الله مخافة ان تقوم عليهم - ثم الحجية أمر الله رسوله بان يجيب عن ذلك فقال (قل الله) أي هو الذي يرزقكم من السموات والارض ثم أمره الله سبحانه ان يخبرهم بانهم على ضلالة لكن على وجه الانصاف في الحجية بعد ما سبق تقرير من هو على الهدى ومن هو على الضلالة فقال (وانا اياكم لعلي هدى اوفى ضلال ميين) والمعنى ان احد القرنيين من الذين يوحدون الله الخالق الرزق ويخصونه بالعبادة والذين يعبدون الجمادات التي لا تقدر على خلق ولا رزق ولا تنفع ولا ضرر لعلي احد الامر من من الهدى والضلالة ومعلوم لكل عاقل ان من عبد الذي يخلق ويرزق وينفع ويضر هو الذي على الهدى ومن عبد الذي لا يتقدر على خلق ولا رزق ولا تنفع ولا ضرر هو الذي على الضلالة فقد تضمن هذا الكلام بيان فريق الهدى وهم المسلمون وفريق الضلالة وهم المشركون على وجهه ابلغ من التصريح وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك قال المبرد ومعنى هذا الكلام معنى قول المتبصر في الحجية لصاحبه احدثنا كاذب وقد عرف انه الصادق المصيب وصاحبه الكاذب الخطي انتهى وخولف بين حرقى الجرد الداخلين على الهدى والضلال لان صاحب الهدى كانه مستعمل على فرس جواد ركضه حيث شاء والضال كانه ينغمس في ظلام لا يرى أين يتوجه قال المبرد اوعند البصر بين على بابها وليست للشك لكن على ما تستعمله العرب في مثل هذا اذا لم يرد الخبران بين وهو عالم بالمعنى وقال ابو عبيدة والقراء هي بمعنى الواو وتقديره وانا على هدى واياكم لفي ضلال ميين قيل اواياكم معطوف على اسم ان وخبرها هو المذكور وحذف خبر الثاني للدلالة عليه أي انا املى هدى اوفى ضلال ميين اوانكم لعلي هدى اوفى ضلال ميين ويجوز العكس وهو كون المذكور خبر الثاني وخبر الاول محذوف كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه ثم اورد في سببانه هذا الكلام المنصف بكلام ابلغ منه في الانصاف وادخل فيه وابعده من الجدل والمشاغبة فقال (قل لا تسئلون عما اجرنا ولا نسئل عما تعملون) أي انما ادعوكم الى ما فيه خير لكم ونفع ولا ينالني من كفركم وتر ككم لاجابتي ضرر وهذا كقوله سبحانه لكم دينكم ولي دين وفي اسمنا الجرم الى المسلمين ونسبة مطلق العمل الى المخاطبين مع

لا اله غيره كما تقدم عند قوله تعالى واشهدهم على انفسهم ائتت بر بكم قالوا بلى وسند كرا الاحاديث ان الله تعالى فطر خلقه على الاسلام ثم طرأ على بعضهم الاديان الفاسدة كاليهودية والنصرانية والمجوسية وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله قال بعضهم معناه لا تبديلوا خلق الله فتغيروا والناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليهم افيكون خيرا بمعنى الطلب كقوله تعالى ومن دخله كان آمنا وهو معنى حسن صحيح وقال آخرون هو خبر على بابها ومعناه انه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلية المستقيمة لا يولد احد الا على ذلك ولا تفاوت بين الناس في ذلك ولهذا قال ابن عباس و ابراهيم الخليل وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحالك وابن زيد و قوله لا تبديل لخلق الله أي لدين الله وقال البخاري قوله لا تبديل لخلق الله لدين الله خلق الاولين الدين والفطرة الاسلام حدثنا عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة ابن عبد الرحمن ان ابا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا على الفطرة فاقواه

كون أعمال المسلمين من البر الخالص والطاعة المحضة وأعمال الكفار من المعصية البينة
 والاثم الواضح من الانصاف ما لا يقدر قدره والمقصود المهادنة والتساركة وقد قيل
 نسخت هذه الآية وأمثالها بآية السيف ثم أمره سبحانه بان يهددهم بعد ذاب الآخرة
 لكن على وجه الانصرح فيه فقال (قل يجمع بيننا ربنا) أي يوم القيامة (ثم يفتح بيننا
 بالحق) أي يحكمم ويقضى بيننا فينب المطيع ويعاقب المعاصي (وهو الفتح) أي
 الحياكم بالحق القاضي بالصواب (العليم) بما يتعلق بحكمه وقضائه من الصالح قيل وهذه
 أيضا منسوخة بآية السيف ثم أمره الله سبحانه أن يورد عليهم حجة أخرى ليظهر بها ما هم
 عليه من الخطا فقال (قل أروني الذين آخفتهم به شركاء) أي الحقمة وهم بالله شركاء له وهذه
 الرؤية هي القلبية فيكون شركاء هو المنعول الثالث ويجوز ان تكون هي البصرية
 ويكون شركاء منتصبا على الحال وأريد بأمرهم باراءة الاصلام مع كونهم بغير أي منه صلى
 الله عليه وآله وسلم اظهار خطئهم واطلاعههم على بطلان رأيهم أي أرونيهم الا نظر أي
 صفة فيها اقتضت الحاقها بالله تعالى في استحقاق العبادة وفيه مزيدة ~~ب~~ كيت لهم بعد
 الزامهم الحجة ثم رد عليهم ما يدعون من الشركاء وأبطل ذلك فقال (كلا بل) أي ارتدعوا
 عن دعوى المشاركة بل المنفرد بالالهية (هو الله العزيز) بالقهر والغلبة (الحكيم)
 بالحكمة الباهرة (وما أرسلناك الا كافة للناس) في انصاف كافة وجوه فقيل انه
 منتصب على الحال من الكاف في أرسلناك قال الزجاج أي وما أرسلناك الا جماعة للناس
 بالانذار والابلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاتف فيه للمبالغة كعلامة قال أبو حيان ان
 اللغة لا تساعده عليه لان كفي ليس معنا جمع بل معنا منع يقال كف يكف أي منع يمنع
 والمعنى الامانة عليهم من الكفر ومنه الكف لانه يمنع من خروج ما فيه وقيل انه منتصب
 على المصدرية والهاتف للمبالغة كالعاقبة والعاقبة والمراد انهم صنفه مصدر محذوف أي
 الارسالة كافة وقيل انه حال من الناس والتقدير وما أرسلناك الا للناس كافة وردبانه
 لا يتقدم الحال من المجرور عليه كما هو مقر في علم الاعراب ويجاب عنه بانه قد جوز ذلك أبو
 علي الفارسي وابن كيسان وابن برهان وابن ملاكون وعن ربح كونها حالا من المجرور
 بعدها ابن عطية وقال قدمت للاهتمام والتقوى وردة النخشمى وقال خطأ وقال
 الحلي بل هو الصحيح وقيل المعنى اذا كافة أي ذامنع حذف المضاف قبل اللام في للناس
 بمعنى الى أي ما أرسلناك الى الناس الا جماعها لهم بالانذار والابلاغ أو ما نعالهم من الكفر
 والمعاصي عن قتادة قال أرسل الله محمد الى العرب والجم فأكرمهم على الله أطوعهم له
 وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطيت خمس ما يعطون
 أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فإني ارجل من
 أمي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة
 وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة أخرجه البخاري ومسلم وفيه
 اختصاصه بالرسل العامة لكافة الخلق الانس والجن وهذه درجة خص بها دون سائر
 الانبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام (بشيرا ونذيرا) حال أي مبشر اللهم بالجنة

به ودانه أو ينصرانه أو يجسسه كما
 تنتج البهيمية بهيمة جمعاء هل تحسون
 فيها من جدعاء ثم يقول فطرة الله التي
 فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
 الله ذلك الدين القيم ورواه مسلم من
 حديث عبد الله بن وهب عن يونس
 ابن يزيد الايلي عن الزهري به
 وأخرجه أيضا من حديث عبد
 الرزاق عن معمر بن همام عن أبي
 هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
 الله عليه وسلم وفي معنى هذا الحديث
 قد وردت أحاديث عن جماعة من
 الصحابة فمنهم الاسود بن سريع
 التميمي قال الامام أحمد حدثنا
 اسمعيل حدثنا يونس عن الحسن
 عن الاسود بن سريع قال أتيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وغزوت معه فاصبت ظفرا فقتل
 الناس يومئذ حتى قتلوا الولدان
 فباغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال ما بال أقوام جاوزهم
 القتل اليوم حتى قتلوا الذرية
 فقال رجل يا رسول الله أمهم أبناء
 المشركين فقال لا انما خياركم أبناء
 المشركين ثم قال لا تقتلوا ذرية
 لا تقتلوا ذرية وقال كل نسمة تولد
 على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها

أوبالفضل لمن أقر ومنه نذر الهيم من النار أوبالعادل لمن أصر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ما عند الله وما لهم من النفع في إرسال الرسل فيعلمهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون متى) يكون (هذا الوعد) الذي تعدونابه وهو قيام الساعة أخبرونابه (إن كنتم صادقين) قالوا هذا على طريقة الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المؤمنين فامر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب عنهم فقال (قل لكم ميعاد يوم) أي ميعات يوم وهو يوم البعث وقبل وقت حضور الموت وقبل أراد يوم بدر لأنه كان يوم عذابهم في الدنيا وعلى كل تقدير فهذه الاضافة لليان وميعاد مصدر بمعنى الوعد وأسم زمان قال أبو عبيدة الوعد والوعيد والميعاد بمعنى (الاتسآخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي هذا الميعاد المضروب لكم لا تأخرون عنه بالاستمهال ولا تتقدمون عليه بالاستسجال بل يكون لا محالة في الوقت الذي قد قدر الله وقوعه فيه وهذا جواب تهديد جازم مطابقا لما قصدوا بسؤال الهيم من التعنت والانكار ثم ذكر سبحانه طرفا من قبائح الكفار ونوعا من أنواع كفرهم فقال (وقال الذين كفروا) يعني مشركي العرب (إن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أي بما أنزل قبل القرآن من كتب الله تعالى كالتوراة والانجيل أو القسيمة أو الجنة والنار يعني انهم سجدوا ان يكون القرآن من الله وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزء الحقيقية ثم أخبر سبحانه عن حالهم في الآخرة فقال (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) الخطاب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح له والمعنى محبوسون في موقف الحساب وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا عجيبا وحالاً فظيعا (يرجع بعضهم الى بعض القول) أي فيما بينهم باللوم والعتاب بعد ان كانوا في الدنيا متعاضدين متناصرين متحابين ثم بين سبحانه تلك المراجعة فقال (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم الرؤساء المتبعون (لولا أنتم صدقتمونا عن الايمان بالله والاتباع لرسوله (لكم مؤمنين) بالله مصدقين لرسوله وكتبه (وقال الذين استكبروا وللذين استضعفوا) مجيبين عليهم مستنكرين لما قالوه (أنحن صدقناكم عن الهدى) أي أمنعناكم عن الايمان (بعد اذ جاءكم) الهدى قالوا هذا منكرين لما ادعوه عليهم من الصلحهم وجاهدين لما نسبوه اليهم من ذلك ثم بينوا لهم انهم الصادون لانفسهم المستعون من الهدى بعد اذ جاءهم فقالوا (بل كنتم مجرمين) أي مصرين على الكفر كثيرى الاجرام عظيمى الآثام (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) ردالمأجوابه عليهم ودفعا لما نسبوه اليهم من صدهم لانفسهم (بل مكر الليل والنهار) أي ابطالوا اضراهم باضراهم كأنهم قالوا بل من جهة مكركم بنا ليل ونهار وأصل المكر في كلام العرب الخديعة والحيلة يقال مكر به اذا خدعه واحتمل عليه قبل هو طول السلامة في الدنيا وطول الامل فيها وقال الاخفش هذا مكر الليل والنهار قال النحاس والمعنى والله أعلم بل مكركم في الليل والنهار ودعاؤكم لنا الى الكفر هو الذى جلنا على هذا وقال سفيان الثوري بل عملكم في الليل والنهار يجوز ان يجعل الليل والنهار ما كرم على الاستناد المجازى كما تنظر في علم المعاني قال المبرد كما تقول العرب

فأبواهايم ودانها أو نصرانها ورواه النسائي في كتاب السير عن زياد بن أيوب عن هشيم عن يونس وهو ابن عبيد عن الحسن البصرى به ومنهم جابر بن عبد الله الانصاري قال الامام أحمد حدثنا هشيم أبو جعفر عن الربيع بن أنس عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فاذا عبر عنه لسانه اما مشركا واما كفورا ومنهم عبد الله بن عباس الهاشمي قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين اذ خلقهم أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن اياس اليشكري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا كذلك وقد قال الامام أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا جاديعني ابن سلمة أنبأنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال أتى على زمان وأنا أقول أولاد المسلمين مع المسلمين وأولاد

نه ارضاهم وليله قائم وفي السمين واطرافه المكر الى الليل والنهار اما على الاسناد المجازي
 كقولهم ليل ما كرفيكون مصدرا مضافا لمرفوعه واما على الاتساع في الظرف فجعل
 كالمفعول به فيكون مضافا لمنصوبه وهذا أحسن من قول من قال ان الاضافة بمعنى في
 أي في الليل لان ذلك لم يثبت في غير محل النزاع وقرئ برفع مكر ونصب الليل والتقدير
 بل مكر كائن في الليل والنهار وقرئ مكر بفتح الكاف وتشديد الراء مضافا بمعنى الكرور
 من كريكرا اذا جاء وذهب أي مكر الليل والنهار صدنا وصدنا مكرهما وقرئ مكر بفتح
 الكاف وتشديد الراء لكنه ينصب على المصدرية أي بل يكون الاغواء مكراد انما
 لا يفتر ونعنه (اذ تأمرونا) أي بل مكركم بنا وقت أمركم لنا (أن نكفر بالله ونجعل له
 أندادا) أي اشباها أو أمثالا قال المبرد يقال فلان فلان أي مثله وهـ ذاقول القادة
 للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهـ ذاتنبيه للكفار ان تصير طاعة بعضهم
 لبعض في الدنيا سبب عدوتهم في الآخرة (وأسر والندامة لما رأوا العذاب)
 الضمير راجع الى القرية أي أشهر القرية ان الندامة على ما فعلوا من الكفر
 وأخذوا عن غيرهم وأخفاها كل منهم عن الآخر مخافة السماتة وقيل المراد
 بأسرنا وهما أظهر والانه من الاضداد يكون تارة بمعنى الاخفاء وتارة بمعنى الاظهار
 وقيل المعنى تبينت الندامة في أسرة وجوههم وبالجمله مستأنفة أو حال من الذين
 استضعفوا والذين استكبروا (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) الاغلال جمع غل
 يقال في رقبته غل من حديد أي جعلت الاغلال من الحديد في أعناق هؤلاء في النار
 والمراد بالذين كفروا هم المذكورون سابقا والاطهار لمزيد الذم أو للكفار على العموم
 فيدخل هؤلاء فيهم دخولا أوليا (هل) أي ما يجزون الا جزاء (ما كانوا يعملون) في
 الدنيا من الشرك والكفر بالله والمعاصي أو الاجماع كانوا يعملون على حذف الخافض
 ولما قص سبحانه حال من تقدم من الكفار اتبعه بما فيه التسلية لرسوله صلى الله عليه
 وآله وسلم وبيان ان كفر الامم السابقة بمن أرسل اليهم من الرسل هو كائن مستمر في العصر
 الاول فقال (وما أرسلنا في قرية) من القرى (من نذير) يذرههم ويحذرهم عقاب الله
 (الاقال مترفوها) حال من قرية وان كانت نكرة لوقوعها في سياق النبي والمعنى قال
 متعمروها ورؤساؤها وأغنيائها وجبايرتها وقادة الشرك لرسوله (انابما) أي بالذي
 (أرسلتم به) من الايمان والتوحيد (كافرون) عن أبي رزين قال كان رجلا من شريكين
 خرج أحدهما الى الساحل وبني الآخر فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب
 الى صاحبه يسأله ما فعل فكاتب اليه انه لم يتبعه أحد من قريش الا ردالة الناس
 ومساكينهم فتركت تجارتهم ثم أتى صاحبه فقال داني عليه وكان يقرأ الكتب فأتى النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم فقال الى ما تدعو قال الى كذا وكذا قال أشهد انك رسول الله قال
 وما علمك بذلك قال انه لم يبعث نبي الا تبعه ردالة الناس ومساكينهم فنزلت هذه الآية
 فإرسل اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله قد أنزل تصديق ما قلت ثم ذكرك سبحانه
 ما افتقر وأبه من الاموال والاولاد وما فاسوا حالهم في الدار الآخرة على حالهم في هذه

المشركين مع المشركين حتى حدثني
 فلان عن فلان ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم سئل عنهم فقال الله
 أعلم بما كانوا عاملين قال فلقيت
 الرجل فاخبرني فامسكت عن قولي
 ومنهم عياض بن جارية الجاشعي قال
 الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد
 حدثنا هشام عن قتادة عن مطرف
 عن عياض بن جارية ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال
 في خطبته ان ربي عز وجل أمرني
 ان أعلمكم ما جعلتم مما علمني في يوم
 هذا كل ما نخلته عبادي حلال
 واني خلقت عبادي خفاء كلهم
 وانهم أتتهم الشياطين فاضلتهم عن
 دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم
 وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به
 سلطانا ثم ان الله عز وجل نظر الى
 أهل الارض ففقتهم عربهم وعجمهم
 الا بقايا من أهل الكتاب وقال انما
 بعثتك لا لتسلمك وأتلي بك وأنزلت
 عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما
 ويقظان ثم ان الله أمرني ان أحرق
 قريشا فقلت رب اذا يبلغ رأسي
 فسدعه خبرة قال استقرجهم كما

الدار على تقدير رحمة ما أنذرهم به الرسل فقال (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً) والمعنى ان الله فضلنا عليكم بالاسوال والاولاد في الدنيا وذلك يدل على انه قدر ضى مانحن عليه من الدين (وما نحن بمعدين) في الآخرة بعد احسانه اليها في الدنيا ورضاه عنا أرادوا انهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظر الى أحوالهم في الدنيا وظنوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم الله ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فابطل الله ظنهم وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بان يحجب عنهم ردا عليهم وحسب المادة طمهم وتحققة الحق الذي عليه يدور أمر التكوين وقال (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء) ان يبسطه له (ويقدر) أى يضيق على من يشاء ان يضيقه عليه فهو وسبحانه قد يرزق الكافر والعاصي استندرا جاله وقد يتحن المؤمن المطيع بالتقير في الاجرة وليس مجرد بسط الرزق لمن يبسطه يدل على انه قدر ضى عنه ورضى عمله ولا يقضه عن قبضه عنه يدل على انه لم يرضه ولا رضى عمله بل كل ذلك حسبا تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فقياس الدار الاخرة على الدار الاولى في مثل هذا من الغلط البين والمغاطة الواضحة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك ومن جملة هذا الاكثر من قاس أمر الآخرة على الاولى (وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا زانقي) كلام مستأنف من جهته تعالى خوطب به الناس بطريق الخلق والالتفات بمبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق والمعنى ليسوا بالخالصة التي تقر بكم عندنا قربي قال مجاهد الزاني القربي والزلفة القربة قال الاخفش زاني اسم مصدر كانه قال بالتي تقر بكم عندنا تقريبا قال القراء ان التي تكون للاموال والاولاد جميعا وهو الصحيح وقيل المعنى وما جماعة أموالكم ولا جماعة اولادكم بالتي الخ وذلك ان الجمع المكسر عقلا ووعيا عقلا له سواء في حكم التأنيث وقال الزجاج ان المعنى وما أموالكم بالتي تقر بكم عندنا زانقي والاولادكم بالتي تقر بكم عندنا زانقي ثم حذف الخبر الاول لدلالة الثاني عليه ويجوز في غير القرآن باللين وباللاتي وباللواتي وبالذي للاولاد خاصة أى لاتزيدكم الاموال والاولاد عندنا درجة ورفعة ولا تقر بكم تقريبا (الامن امن) هو استثناء منقطع أى لكن من آمن (وعمل) عملا (صالحا) وقيل انه متصل على ان يجعل الخطاب عاما للكفرة والمؤمنين على انه ابتداء كلام لامقول لهم (فاولئك) اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار انظهما (لهم جزاء الضعف) أى جزاء الزيادة وهي المرادة بقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهو من اضافة المصدر الى المنعول أى جزاء التضعيف للحسنات وقيل لهم جزاء الضعاف لان الضعف في معنى الجمع أو من اضافة الموصوف الى صفة أى لهم جزاء الضعاف قال مجاهد أى تضعيف الحسنة وعن محمد بن كعب قال اذا كان الرجل غنيا تقيا آناه الله أجره مرتين وهذا الآية الى قوله فأولئك لهم جزاء الضعف وقال تضعيف الحسنة (بما عملوا) الباء للسببية (وهي في العرفات) أى عرفات الجنة قري بالجمع لقوله نسبوا منهم من الجنة عرفا وفي قراءة سببية بالافراد بمعنى الجمع حلالا على انها جنسية لقوله أولئك يجوزون الغرفة (آمنون) من كل هائل وشاغل وساثر المكاره ومن جميع ما يكرهون ثم لما ذكر سبحانه

استخرجوك واغزهم نغزك وانفق فسندفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاقل بن أطاعك من عصاك قال وأهل الجنة ثلاثة ذوو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفي له طمع وان دق الاخاه ورجل لا يصح ولا يصحى الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذو البخل أو الكذب والشتنظير الفحاش انقر دباخر اجبه مسلم فرواه من طرق عن قتادة به وقوله تعالى ذلك الدين القيم أى التمسك بالشرعية والفترة السليمة هو الدين القيم المستقيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون أى فلهذا لا يعرفه أكثر الناس فهم عنه نا كيون قال تعالى وما أكثر الناس يؤمنين وقال تعالى وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله الآية وقوله تعالى منيبين اليه قال ابن زيد وابن جرير راجعين

حال المؤمنين ذكر حال الكافرين فقال (والذين يسعون في آياتنا) بالرد لها وابطالها
 والطعن فيها حال كونهم (معجزين) مسابقين لنا زاعمين انهم يقوتون بانفسهم
 أو معاندين لنا بكفرهم (أو لئلا في العذاب) أي عذاب جهنم (عخضرون) تحضرون
 الزبانية اليها لا يجدون عنها محيصا ثم كر سبحانه ما تقدم لقصدا التأكيد للجمعة والدفع لما
 قاله الكفرة فقال (قل إن ربي ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره) أي يوسع لمن
 يشاء ويضيقه على من يشاء ليس في ذلك دلالة على سعادة ولا شقاوة وفي القارى هذا في
 شخص واحد باعتبار وقتين أو في المؤمن وما سبق في شخصين أو في الكافر فلا تكرار
 ونحوه في البضاوى قال الشهاب بل فيه تقرير لان التوسيع والتضييق ليسا الكرامة ولا
 هوان فانه لو كان كذلك لم يتصف بهما شخص واحد (وما أنفقتم من شيء) على أنفسكم
 وعيالكم وقيل ما تصدقتم (فهو يحلله) عليكم أي يعطى خلفه اذا كان في غير اسراف
 يقال أخلف له وأخلف عليه اذا أعداه عوضه وبدله وذلك البدل امان الدنيا واما في
 الآخرة وفيها ما عا جلا بالمال أو بالقناعة التي هي كثر لا يتعداها ما آجلا بالثواب في
 الآخرة الذي كل خلف دونه وقال مجاهد هده في الآخرة وعن أبي هريرة أن رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما نصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما
 تواضع أحد لله إلا رفعه الله أخرجه مسلم وقال ابن عباس في الآية يعنى في غير اسراف
 ولا تقتر وعن مجاهد والحسن مثله وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال
 كلما أتفق العبد من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا إلا نفقة في بنية أو معصية أخرجه
 الدارقطني والبيهقي وأخرج نحوه ابن عدى في الكامل والبيهقي من وجه آخر عنه مر فوعا
 باطول منه وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم قال قال الله عز وجل أنفق يا ابن آدم أنفق عليك وثبت في الصحيح من حديثه أيضا
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان
 فيقول أحدهما اللهم أعط منفقنا خلفنا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكتنا خلفنا وعن علي بن
 أبي طالب سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان لكل يوم نحسا فادفعوا
 نحس ذلك اليوم بالصداقة ثم قال اقرؤا مواضع الخلف فاني سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم يقول وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه اذا لم ينتقوا كيف يخلف أخرجه ابن
 مردويه وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان المعونة تنزل من
 السماء على قدر المؤنة (وهو خير الرزقين) فان رزق العباد لبعضهم البعض انما هو بتيسير
 الله وتقديره وليسوا برزقين على الحقيقة بل على طريق الحجاز كما يقال في الرجل انه يرزق
 عياله وفي الامير انه يرزق جنده والرازق للامير والمأمور والكبير والصغير هو الخلق لهم
 ومن أخرجه من العباد الى غيره شيئا فهو مما رزقه الله وأجره على يده قال بعضهم الحمد لله
 الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهى فكلم من مشتهه لا يجرد وكلم من واحد لا يشتهى
 (و) اذكر (يوم يحشرهم جميعا) هو متصل بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون أي ولو تراهم
 أيضا يوم يحشرهم الله جميعا للحساب العابد والمعبود والمستكبر والمستضعف (ثم يقول

اليه واتقوه أي خافوه وراقبوه
 واقبوا الصلاة وهي الطاعة العظيمة
 ولا تكونوا من المشركين أي بل
 كونوا من الموحدين المخلصين له
 العبادة لا يريدون به اسواه قال
 ابن جرير حدثني يحيى بن واضح
 حدثنا يونس عن ابن اسحق عن يزيد
 ابن أبي هريرة قال مر عمر رضي الله
 عنه بعباد بن جبل فقال عمر ما أقوام
 هذه الآية قال معاذ ثلاث وهن
 المحببات الاخلاص وهي النطرة
 فطرة الله التي فطر الناس عليها
 والصلاة وهي الملة والطاعة وهي
 العصمة فقال عمر صدقت حديثي
 يعقوب أنبأنا ابن علية أنبأنا أيوب
 عن أبي قلابة ان عمر رضي الله عنه
 قال لما دعا ما أقوام هذا الامر فذكر
 نحوه وقوله تعالى من الذين فرقوا
 دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما
 لديهم فرحون أي لا تكونوا من
 المشركين الذين فرطوا دينهم أي بدلوه
 وغيره وأمنوا ببعض وكفروا
 ببعض وقرأ بعضهم فارقوا دينهم
 أي تركوه وراى ظهورهم وهؤلاء
 كاليهود والنصارى والمجوس وعبدة
 الاوثان وسائر أهل الاديان الباطلة

للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أى يقول تقر بعالم المشركين وتو بخلن عبد غير الله عز وجل كما فى قوله لعيسى أنت قلت للناس اتخذوني وأهى الهين من دون الله وانما خصص الملائكة بالذكرمع ان بعض الكفار قد عبد غيرهم من الشياطين والاصنام لانهم أشرف معبودات المشركين قال النحاس والمعنى ان الملائكة اذا كذبتهم كان فى ذلك تبيكيت للمشركين وتقر بع الكافرين واداعلى المشرك السائر اياك أعتى فاسمعى يا جارة (فالواسجناك أنت ولينان دونهم) مستأنفة أى تنزيها لك أنت الذى تتولاه ونظمه ونعبد من دونهم ما اتخذناهم عابدين ولا توليناهم وليس لنا غيرك وليا ثم صرحوا بما كان المشركون يعبدونه فقتلوا (بل كانوا يعبدون الجن) أى الشياطين وهم ابليس وجنوده ويزعمون انهم يرونهم وانهم ملائكة وانهم ينات الله وقيل كانوا يدخلون أجواف الاصنام ويحاطبونها منها (أكثرهم بهم مؤمنون) أى أكثر المشركين بالجن مؤمنون مصدقون لهم فيما يقولون لهم قيل والاكثر فى معنى الكل (فاليوم لا يملك بعضكم) وهم المعبودون (لبعض) وهم العابدون (نفعاً) أى شفاعاة ونجاة (ولا ضراً) أى عذاباً واهلاً كما وانما قيل لهم هذا القول اظهار العجزهم وقصورهم وتبكييت العابد بهم وقوله ولا ضرا هو على حذف مضاف أى لا يملكون لهم دفع ضرر الفناء ليست ترتب ما بعد ما من الحكيم على جواب الملائكة فانه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الاخبار به عليه (ونقول للذين ظلموا) أنفسهم بعبادة غير الله (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) فى الدنيا ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من أنواع كفرهم فقال (واذا أتى عليهم آياتنا) القرآنية حال كونها (بينات) واضحات الدلالات ظاهرات المعانى على التوحيد (قالوا ما هذا) يعنون التالى لها وهو النبى صلى الله عليه وآله وسلم (الارجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) أى اسلافكم من الاصنام التى كانوا يعبدونها (وقالوا) ثانياً (ما هذا) يعنون القرآن الكريم (الافك مفترى) أى كذب فى حد ذاته غير مطابق للواقع محتلق على الله من حيث نسبه اليه فمفترى تأسيس لاتأكيد (وقال الذين كفروا) ثالثاً (للعقلمنا جاءهم) أى لامر الدين الذى جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ان هذا الاصح مبين) وفى تكرير الفعل والتصريح بالفاعل انكار عظيم له وتجبيل بل يغمنه وهذا الانكار منهم خاص بالتوحيد وأما انكار القرآن والمعجزة فكان متفقاً عليه بين أهل الكتاب والمشركين وقيل أريد بالاول وهو قوله هم الافك مفترى معناه وبالثنى وهو قولهم ان هذا الاصح مبين نظمه المعجز وقيل ان طائفة منهم قالوا انه افك وطائفة قالوا انه سحر وقيل انهم جميعاً قالوا تارة انه افك وتارة انه سحر والاول أولى (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) أى ما أنزلنا على العرب كتباً ماوية دالة على صحة الاشرار يدرسون فيها ويقرونها (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم الى الاشرار والى الحق وينذرهم بالعذاب فليس لتكذيبهم بالقرآن وبالرسول وجه ولا شبهة يتشبثون بها قال قتادة ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الفراء أى من أين كذبوك ولم يأتهم كتاب ولا نذير بهذا الذى فعلوه ثم خوفهم

بماعد أهل الاسلام كما قال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء انما أمرهم الى الله الآية فاهل الايمان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء وممل باطلة وكل فرقة منهم تزعم انهم على شىء وهذه الامة أيضا اختلفوا فيما بينهم على شىء كهاضلالة الا واحدة وهم أهل السنة والجماعة المتسكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبما كان عليه الصدر الاول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فى قديم الدهر وحديثه كإرواء الحاكم فى مستدركه انه سئل صلى الله عليه وسلم عن النريقة الناجية منهم فقال من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابى (واذا مس الناس ضرر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم برهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون واذا أدقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يفتظون أولم يروا ان الله يبسط الرزق

سبحانه وأخبر عن عاقبتهم وعاقبة من كان قبلهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) أى من كفار القرون الخالية (وما يبلغوا عشرا ما آتيناهم) أى ما بلغ أهل مكة من مشركي قريش وغيرهم من العرب عشر ما آتينا من قبلهم من القوة والنعمة وكثرة المال والاولاد وطول الأعمار فأهلكهم الله كعاد وعهود أمثالهم ولم تنفعهم قوتهم شيأ فى دفع الهلاك عنهم حين كذبوا رسلكم فهو لا وأولى بان يحل بهم العذاب لتكذيبهم رسوله - م والمعشار لغة فى العشر قال الجوهري معشار الشيء عشره وفى البحر المعشار مفعول من العشر ولم يبين على هذا الوزن من أنناض العدد غيره وغير المربع ومعناها العشر والرابع وقيل المعشار عشر العشر والاول أولى وقيل ان المعنى ما بلغ من قبلهم - م عشرا ما آتينا هو لآء من الدينات والهدى وقيل ما بلغ من قبلهم معشارا - م كراما أعطيناهم وقيل ما أعطى الله من قبلهم معشارا أعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان والاول أولى وقيل المعشار عشر العشر والعشر هو عشر العشر فيكون جزءا من ألف جزء قال الماوردى وهو الاظهر لان المراد به المبالغه فى التقليل قلت مراعاة المبالغه فى التقليل لا يسوغ لاجلها الخروج عن المعنى العربى وقال ابن عباس فى الآية يقول من القوة فى الدين وعن ابن جرير نحووه (فكذبوا رسلى) عطف على كذب الذين من قبلهم على طريقة التفسير كقوله كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا الآية والاولى ان يكون من عطف الخاص على العام لان التكذيب الاول لما حذف منه المتعلق للتكذيب أفاد العموم فعناه كذبوا الكتب المنزلة والرسل المرسله والمعجزات الواضحة وتكذيب الرسل أخص منه وان كان مستلزما له فقد روعت الدلالة اللفظية لا الدلالة الالتزامية وما بينهما حال أو اعتراض وقال البيضاوى لا تكفير لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب ونحوه فى الكشاف وجمد - له قال الكرخى (فكيف كان تكبير) أى فكيف كان انكارى لهم بالعذاب والعنوبة فليحذر هؤلاء من مثل ذلك قيل والتقدير فاهلكناهم فكيف تكبرى والتكبير اسم بمعنى الانكار ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقيم عليهم حجة يتقطعون عندها فقال (قل انما أعظكم بواحدة) أى أحذركم وأذكركم - م وعاقبة ما أنتم فيه وأوصيكم بخصلة واحدة وهى (أن تقوموا لله مثنى وفردى) فهذا تفسير للخصلة الواحدة أو بدل منها أى هى قيامكم وتشميركم فى طلب الحق بالذكورة الصادقة منفردين اثنين اثنين وواحد واحد لان الاجتماع يشوش الفكر ويعمى البصر ويمنع من الرؤية ويقبل الانصاف فيه ويكثر الاعتساف ويشور بجراح التعصب ولا يسمع الانصرة المذهب وليس المراد القيام على الرجلين والنهوض والانتصاب على القدمين بل المراد القيام بطلب الحق والاعتناء والاشتغال بالتدبر واصداق الفسرك فيه كما يقال قام فلان بأمر كذا وقيل المراد بواحدة هى لاله الا الله كذا قال مجاهد والسدى وقيل القرآن لانه يجمع المواعظ كلها والاولى ما ذكرناه وقال الزجاج المعنى لان تقوموا وقال السدى معنى مثنى وفردى منفردا برأيه ومشاورا لغيره وقال القتيبي مناظر امع عشرته ومتفكرا فى نفسه وقيل المعنى عمل النهار والفردى عمل الليل قاله الماوردى وما أبرده هذا القول وأقل جدواه

لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون) يقول تعالى مخبرا عن الناس انهم فى حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له وانه اذا أسبغ عليهم النعم اذا فريق منهم فى حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره وقوله تعالى ليكفروا بما آتيناهم هى لام العاقبة عند بعضهم ولام التعليل عند آخرين ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك ثم توعدهم بقوله فسوف يعلمون قال بعضهم والله لو توعدنى حارس درب خلفت منه فكيف والمتوعد ههنا الذى يقول للشيء كن فيكون ثم قال تعالى منكرا على المشركين فيما اختلقوه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان أم أنزلنا عليهم سلطانا أى حجة فهو يتكلم أى ينطق بما كانوا به يشركون وهذا استفهام انكار

ونصهم على الحال وقدم المثني لان طلب الحقائق من متعاضدين في النظر اجدي من
فكرة واحدة فان انقدهم الحق بين الاثنين فكل واحد منهم ما بعد ذلك فيزاد بصيرة قال
الشاعر

اذا اجتمعوا جاؤا بكل غريبة * فيزداد بعض القوم من بعضهم علما

(ثم تنفكروا) في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاءه من الكتاب فانكم عند
ذلك تعاون ان (ما باصاحبكم من الجنة) وذلك لانهم كانوا يقولون ان محمدا مجنون فقال الله
سبحانه قل لهم اعتبروا أمرى بواحدة وهي ان تقوموا لله وفي ذاته مجتهد فيقول الرجل
صاحبه هلم فلنصادق هل رأينا بهذا الرجل من جنه أى جنون وجرنا عليه كذبا ثم تنفرد
كل واحد عن صاحبه فيستكبر ويتطرفان في ذلك ما يدل على ان محمدا صلى الله عليه وآله
وسلم صادق وانه رسول من عند الله وانه ليس بكاذب ولا ساحر ولا مجنون قال محمد بن
كعب في الآية يقوم الرجل مع الرجل أو وحده فيفكر ما صاحبه من جنه وقال قتادة
يقول انه ليس مجنون وقيل مستأنفة من جهة الله سبحانه مسوقة على طريقة النظر
والتأمل بان هذا الأمر عظيم والدعوى الكبيرة لا يعرض نفسه له الا مجنون لا يالى بما
يقال فيه وما ينسب اليه من الكذب وقد علموا انه أرحم الناس عقلا وأزهدهم علما
وأحدهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما محمد عليه
الرجال ويمدحون به فوجب ان يصمدقوه في دعواه لاسيما مع انضمام المعجزة الواضحة
واجتماعهم على انه لم يكن ممن يفتري الكذب ولا قد جربوا عليه كذبا مدة عمره وعمرهم
وقيل ثم تنفكروا أى شئ به من آثار الجنون واختار أبو حاتم وابن الانبارى الوقف على
قوله ثم تنفكروا وعلى هذا تكون جملة ما باصاحبكم من جنه مستأنفة كما قدمنا وقيل
ليس بوقف لان المعنى ثم تنفكروا هل جربتم عليه كذبا ورأيت منه جنه أو في أحواله من
فساد (ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) أى ما هو الا نذير لكم بين يدي الساعة
أى قرامها وهو عذاب الآخرة وهو كقوله صلى الله عليه وآله وسلم بعثت بين يدي
الساعة ثم أمره سبحانه أن يخبرهم انه لم يكن له غرض في الدنيا ولا رغبة فيها حتى تنقطع
عندهم الشكوك ويرتفع الريب فقال (قل ما سألتكم من أجر) أى من جعل (فهو
لكم) يقول لم أسألكم على الاسلام جعل أى ما طلبت منكم من جعل يجعلونه لى الى
مقابل الرسالة فهو لكم ان سألتكموه والمراد نفي السؤال بالكلمة كما يقول القائل
ما أملكه في هذا فقد وهبته لك يريدانه لا ملك له فيه أصلا ومثل هذه الآية قوله قل
لأسألكم عليه أجر الا المودعة في القربى وقوله ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء ان
يتخذ الى ربه سبيلا ثم بين لهم ان أجره عند الله سبحانه فقال (ان أجرى الاعلى الله) لاعلى
غيره (وهو على كل شئ شهيد) أى مطلع لا يغيب عنه منه شئ فيعلم انى لأطلب الاجر على
نصيحتكم ودعائكم اليه الامنه (قل ان ربي يقذف) القذف فى الاصل الرمي بالسهم
والخصى والكلام قال الكلبى يرمى على معنى يأتي به وقال مقاتل يتكلم بالحق وهو
القرآن والوحى أى يلقيه الى أنبيائه وقال قتادة بالحق أى بالوحى والمعنى انه يبين الحق

أى لم يكن شئ من ذلك ثم قال تعالى
واذا ذقنا الناس رحمة فرحوا بها
وان نصهم سيئة بما قدمت أيديهم
اذا هم يقطون هذا انكار على
الانسان من حيث هو الا من عصمه
الله ووقفه فان الانسان اذا أصابه
نعمة بطر وقال ذهب السيات
عنى انه لفرح فخور أى يفرح في
نفسه يفتخر على غيره واذا أصابه
شدة قنط وأيس ان يحصل له بعد
ذلك خير بالكلمة قال الله تعالى الا
الذين صبروا وعملوا الصالحات أى
صبروا فى الضراء وعملوا الصالحات فى
الرخاء كما ثبت فى الصحيح عجا للمؤمن
لا يقضى الله له قضاء الا كان خيرا
له ان أصابته سراء شكر فكان خيرا
له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا
له وقوله تعالى أولم يروا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر أى هو
المتصرف الفاعل لذلك بحكمته

ويظهرها للناس على ألسن رسله وقيل يرمى الباطل بالحق فيمدغه (علام الغيوب)
 قرئ برفع علام وبوصبه قال القراء والرفع في مثل هذا أكثر كقوله ان ذلك لخلق محاصم
 أهل النار وقرئ الغيوب بالحرركات الثلاث في الغسين وهو جمع غيب والغيب هو الامر
 الذي غاب وخفي جدا (قل جاء الحق) أي الاسلام والتوحيد وقال قتادة القرآن وقال
 النحاس التقدير صاحب الحق أي الكتاب الذي فيه البراهين والحجج وأقول لا وجه
 لتقدير المضاف فان القرآن قد جاء كما جاء صاحبه (وما يبدئ الباطل وما يعيد) أي ذهب
 الباطل ذهابا لم يبق له اقبال ولا ادبار ولا ابداء ولا إعادة فجعل مشلا في الهلاك بالمرة
 والابداء فعل انشئ ابتداء والاعادة فعله على طريق الاعادة ولما كان الانسان مادام حيا
 لا يخلو عن ذلك كني عن حياته وبنفيه عن هلاكه ثم شاع ذلك في كل ما ذهب ولم يبق له
 أثر وان لم يكن ذاروح فهو كناية أيضا ومجاز متمنع على الكناية وقيل يجوز ان تكون
 ما استفهامية أي أي شيء يعيد فهو أي شيء يعيده وعن قتادة قال الشيطان لا يبدئ ولا
 يعيد اذا هلك وعنه قال ما يخلق ابليس شيئا ابتداء ولا يعنه وبه قال مقاتل والكلي
 وقيل الباطل الاصنام والاول اولى (قل ان ضللت) عن الطريق الحق الواضحة وقرئ
 بفتح اللام وهذه لغة نجد وهي الفصحى وبكسر ها وهي لغة أهل العالية (فانما أضل) أي
 انتم ضلالتى يكون (على نفسى) وقال ابن سعد أي انما أخذت بجنيتي وذلك ان الكفار
 قالوا له تركت دين اباؤك فضلت فأمره الله ان يقول لهم هذا التول (وان اهتديت فيما
 يوحى الي ربى) من الحكمة والموعظة والبيان بالقرآن وما صدريه أو موصولة والتقابل
 هنا من جهة المعنى دون اللفظ (انه سمع قريب) مني ومنكم يعلم الهدى والضلالة وان
 يواغ في اخنا ثم ما وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان
 الرسول اذا دخل تحتها مع جلالة محلها وسداد طريقته كان غيره أولى به ثم ذكر سبحانه حالا
 من أحوال الكفار فقال (ولو ترى اذ فزعوا) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 أولئك من يصلح له قيل المراد فزعهم عند نزول الموت بهم أو غيره من بأس الله تعالى
 وقال الحسن هو فزعهم في القبور من الصيحة وقال قتادة هو فزعهم اذا خرجوا من
 قبورهم وقال السدي هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيف الملائكة فلم
 يستطيعوا فرارا ولا رجوعا الى التوبة وقال ابن معقل هو فزعهم اذا اعانوا عقاب الله
 يوم القيامة وقال سعيد بن جبير هو الخسف الذي يخسف بهم في البداء فيسرى رجل منهم
 فيضرب الناس بما لقي أصحابه فيفزعون وجواب لو محذوف أي رأيت أمرا عظيما وحالا
 هائلة (فلا فوت) أي فلا يفوت أي أحد منهم ولا ينجو منهم ناج قال مجاهد فلا مهرب
 وقال ابن عباس فلا نجاة (وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض أو من القبور
 وهي قريبة من مساكنهم في الدنيا كما قاله أبو حيان أو قريب من موقف الحساب
 وقيل أي قبضت أرواحهم في أماكنها فلم يكن لهم القرار من الموت وهذا على قول من يقول
 هذا الفزع عند الترع وقيل أخذوا من جهنم فالتقوا فيها وقيل من حيث كانوا فهم من
 الله قريب لا يعدون عنه ولا يفوتونه وقال ابن عباس من تحت أقدامهم وعنه قال

وعده فيوسع على قوم ويضيق على
 آخرين ان في ذلك آيات لقوم
 يؤمنون (فات ذى القربى حقه
 والمسكين وابن السبيل ذلك خير
 للذين يريدون وجه الله وأولئك هم
 المفلحون وما آتيتهم من رباليربوني
 أسوال الناس فلا يربوعند الله
 وما آتيتهم من زكاة تريدون وجه الله
 فأولئك هم المضعفون الله الذي
 خلقكم ثم رزقكم ثم عيبتكم ثم
 يحييكم هل من شر كائكم من
 يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى
 عما يشركون) يقول تعالى أمرا
 باعطاء ذى القربى حقه أى من البر
 والصلة والمسكين وهو الذى لا شئ
 له ينفق عليه أوله شئ لا يقوم
 بكفائته وابن السبيل وهو المسافر
 المحتاج الى نفقة وما يحتاج اليه فى

نزلت في ثمانين ألفا يغزون في آخر الزمان الكعبة ليخربوها فلما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الاخذ من مكان قريب ذكره القرطبي وقد ثبت في الصحيح انه يخسف بجيش في البيداء من حديث حفصة وعائشة وخارج الصحيح من حديث أم سلمة وصفية وأبي هريرة وابن مسعود وليس في شيء منها ان ذلك سبب نزول هذه الآية ولكنه أخرج ابن جرير من حديث حذيفة بن اليمان قصة اخسف هذه من فوعة وقال في آخرها فذلك قوله عز وجل في سورة سبأ ولو ترى اذ فرغوا فلا فوات الآية وقيل يجوز ان يكون هذا الفرع هو الفرع الذي معنى الاجابة يقال فرغ الرجل اذا أجب الصارخ الذي يستغيث به كفرعهم الى الحرب يوم بدر (وقالوا) وقت النزول وهو وقت نزول العذاب بهم عند الموت كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا فارأنا بالله وحده أو عند البعث فان الكفار كلهم يؤمنون حينئذ (آمنابه) أي بعمد صلى الله عليه وآله وسلم قاله قتادة أو بالقرآن وقال مجاهد بالله عز وجل وقال الحسن بالبعث ثم نفي الله عنهم نفع الايمان بقوله (وأني) أي من أين لهم (التناوش) أي التناول وهو تناول من النوش الذي هو التناول والمعنى كيف لهم ان يتناولوا الايمان من بعد يعني في الآخرة وقد تركوه في الدنيا وهو معنى قوله (من كان بعيد) وهو تمثيل لحالهم في طلب الخلاص بعد ما فات عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة قال ابن السكيت يقال للرجل اذا تناول رجلا لياخذ برأسه أو بحمته نأشه نؤشه نؤشا ومنه المناوشة في القتال وذلك اذا تداخى الفريقان وقيل التناوش الرجعة أي وأني لهم الرجعة الى الدنيا ليؤمنوا وقال ابن عباس قال يسألون الرد الى الدنيا وليس يجيز رد وقال التناوش تناول الشيء وليس يجيز ذلك وقال السدي هو التوبة أي طلبوها وقد بعدت لانها انما تقبل في الدنيا وقرئ التناوش بالواو وبالهمزة واستبعد الثانية أبو عبيد والنحاس ولا وجه للاستبعاد قد ثبت ذلك في لغة العرب واشماها قال الفراء الهمزة وتركها متقارب (وقد كُفروا به من قبل) أي والحال ان قد كُفروا بما آمنوا به من قبل هذا الوقت وذلك حال كونهم في الدنيا قيل بالقرآن وقيل بعمد صلى الله عليه وآله وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب وأحوال القيامة (ويصدقون بالغيب) أي يرمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهروا لهم في الرسول من المطاعن أو في العذاب من البت على نفسيه فيقولون لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار (من مكان بعيد) أي من جهة بعيدة ليس فيها مستند لظنهم الباطل وهو الشبه التي تعلموها في أمر الآخرة كما حكاهم من قبل وقيل المعنى يقولون في القرآن أقوالا باطلة انه كحروشه ر واساطير الاولين وقيل يقولون في محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه ساحر شاعر كاهن مجنون قرئ يقذفون ميمنا للمفعول أي يرجون بما يسوه هم من جرائع اعمالهم من حيث لا يحتسبون وفيه تمثيل لحالهم بحال من رمى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في حقوقه وهذا استعارة تمثيلية والجملة امام معطوفة على وقد كُفروا به على انها حكاية للعال الماضي واستحضار صورتها ومستأنفة لبيان تمثيل حالهم (وحيل بينهم) فعل مبني للمفعول واذا اجي للفاعل يقال فيه حال وهو فاعل لا يتعدى ونائب الفاعل

سفره ذلك خير للذين يريدون وجهه الله أي النظر اليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى وأولئك هم المنفلتون أي في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى وما آتيتهم من ربا سير بوفى أموال الناس فلا يربون وعند الله أي من أعطى عطية يريدان يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم فهذا لأثواب له عند الله به هذا فسر ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ومحمد بن كعب والشعبي وهذا الصنيع مباح وان كان لأثواب فيه الا أنه قد نهي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة قاله الضحاك واستدل بقوله تعالى ولا تخننن تنكر أي لا تعط العطاء تريد أكثر منه وقال ابن عباس الربا ربا أن فربا لا يصح يعني ربا البيع

ضمير المصدر المفهوم من الفعل كأنه قيل وحيل هو أى الحول وجعل بعضهم نائب
 التفاعل الظرف وهو بينهم واعتراض بأنه ينبغي حينئذ ان يرفع (وبين ما يشتهون) من
 النجاة من العذاب ومنعوا من ذلك وقيل حيل بينهم وبين ما يشتهون فى الدنيا من
 أموالهم وأهلهم أى بامثالهم ونظرا لهم من كفار الامم الماضية الذين كانوا قبلهم فى الدنيا سابقين
 عليهم فى الزمان والاشباع جمع شيع وشيع جمع شيع وشيعه الرجل أتباعه وأتباعه وكل
 قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض ففهم شيع فالاشباع جمع الجمع (انهم كانوا فى شك
 مررب) تعليل لما قبله أى فى شك موقع فى الرية أو ذى رية من أمر الرسل والبعث
 والجنحة والذرا فى التوحيد وما جاءتهم به الرسل من الذين يقال أرباب الرجل اذا صار
 ذاربية فهو مررب وقيل هو من الرب الذى هو الشك والتمه فهو كما يقال عجب عجيب
 وشعر شاعر وهذا رد على من زعم ان الله لا يعذب على الشك والله أعلم

* (سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة وهى خمس أوست وأربعون آية وهى مكية) *

قال القرطبي فى قول الجميع وأخرج البخارى وغيره عن ابن عباس أنزلت سورة فاطر
 بمكة وهذه السورة ختام السور المفتحة بالجد التى فصلت فيها النعم الاربع التى هى أهمات
 النعم المجموعة فى الفاتحة وهى الابداء الاول ثم الابقاء الاول ثم الابداء الثانى المشار اليه
 بسورة سبأ ثم الابقاء الثانى الذى هو أنماها وأحكامها وهو الختام المشار اليه بمكة
 السورة المفتحة بالابتداء قاله الخطيب

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(الجد لله فاطر السموات والارض) أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق وعلى غير
 مادة كذا قال المنسرون والظاهر ان هذا ليس من معنى الفطر لغة وانما أخذوه من
 المعنى وسباق الكلام وأصل الفطر فى اللغة الشق عن الشيء مطلقا يقال فطرته فانظر
 ومنه فطر ناب البعير اذا طلع فهو بعير فاطر وفطر الشيء تشقق وقيل الشق طولاً فكأنه
 شق العدم باخر اجهما منه وهو بانه نصر كما فى الختار والفطر أيضاً ابتداء والاختراع وهو
 المراد هنا عن ابن عباس قال كنت لأدرى ما فاطر حتى أتانى اعرابيان يتختمان فى بئر
 فنال أحدهما أن فطرتهما يقول ابتداءً وعنده الفاطر البديع والمعنى الجد لله مبدع
 السموات والارض ومخترعهما والمقصود من هذا ان من قدر على ابتداء هذا الخلق
 العظيم فهو قادر على الاعادة وانما جسد سبحانه وتعالى نفسه بذلك تعظيمه له وتعلية العبادة
 كقيمة الثناء عليه تعالى فاطر على صيغة اسم الفاعل وفطر على صيغة الفعل الماضى
 (جاعل الملائكة رسلا) الى عباده يجوز فيه الوجهان كما تقدم والرسل من الملائكة هم
 جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل فالمراد بالملائكة بعضهم اذ ليس كلهم رسلا كما
 هو معلوم صرح الطيبي بان جاعل هنا للاستمرار فباعبارانه يدل على الماضى يصلح كونه
 صفة للمعرفة وباعتبارانه يدل على الحال والاستقبال يصلح للعمل وقرئ رسلا بسكون

وربالبأس به وهو هدية الرجل
 يريد فضلها واضعافها ثم تلا هذه
 الآية وما آتيتم من ربا ليربوا فى
 أموال الناس فلا يربوا عند الله
 وانما الثواب عند الله فى الزكاة
 ولهذا قال تعالى وما آتيتم من زكاة
 تريدون وجه الله فالولئك هم المضعفون
 أى الذين يضاعف الله لهم الثواب
 والجزاء كما جاء فى الصحيح وما تصدق
 احد بعدل عمرة من كسب طيب
 الا اخذها الرحمن يمينه فيربها
 لصاحبها كما يربى أحدكم فلو
 أوفى صيده حتى تصير القمرة اعظم من
 أحد وقوله عز وجل الله الذى
 خلقكم ثم رزقكم أى هو الخالق
 الرزاق يخرج الانسان من بطن

السين وهي لغة تميم قال يحيى بن سلام يرسلهم الله الى الانبياء يبلغون اليهم رسالته بالوحي
والالهام والرؤيا الصادقة وقال السدي الى العباد بنعمة أو نعمة أو يوصلون اليهم آثار
صنفته (أولى) أي ذوى اسم جمع لذو (أجنحة) جمع جناح نعت لرسلا وهو جيد لفظا
لتوافقهما تنكيرا وللملائكة وهو جيد معنى اذ كل الملائكة لها أجنحة فهي صفة
كاشنة والمسوخ للتخالف في التعريف جعل آل جنسية (مثنى وثلاث ورباع) صفات
لاجنحة والقصد بها التكنية واختلافهم في عدد الاجنحة لا الحصر والاف بعضهم له
ستائة وغير ذلك وانما تنصرف لتكرار العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد
عن صيغ الى صيغ آخر كما عدل عمر عن عامر وعن تنكر الى غير تكرير وقيل للعدل
والوصف والتعويل عليه وقد تقدم الكلام عليهم في النساء قال قتادة بعضهم له جناحان
وبعضهم له ثلاثة ولعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يدهما باقوة وبعضهم
له أربعة ينزلون بها من السماء الى الارض ويعرجون بها من الارض الى السماء أقول
الاصول جناحان لانها بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك أقوى
للطيران وأعون عليه (يزيد في الخلق ما يشاء) مستأنفة مقررة لما قبلها من تفاوت
أحوال الملائكة والمعنى انه يزيد في خلق الملائكة والاجنحة ما يشاء وهو قول أكثر
المفسرين واختاره القراء والزجاج قال ابن مسعود رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
جبريل في صورته له ستائة جناح وقيل ان هذه الزيادة في الخلق غير خاصة بالملائكة
فقال الزهري وابن جرير انها حسن الصوت وقال قتادة الملاحقة في العينين والحسن
في الانف والخالوة في القم وقيل الوجه الحسن وقيل الخط الحسن وقيل الشعر الجعد
وقيل العقل والتميز وقيل العلوم والصنائع وقيل الصوت الحسن وجودة العقل وماتته
ولاوجه لقصر ذلك على نوع خاص بل يتناول كل زيادة في الخلق من طول قامته واعتدال
صورته وتعام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في
في القلب وسماحة في النفس ولياقة في التكلم وحسن تأني في مزاولة الامور وذلاقة في
اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف وبه قال الزمخشري
(ان الله على كل شيء قدير) تعليل لما قبله من انه يزيد في الخلق ما يشاء (ما يفتح الله للناس
من رحمة فلانمسلها) أي ليس لك من الامر شيء فباياتهم الله به من مطر ورزق ونعمة
وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به لا يقدر احد ان يحسبه وقال ابن عباس
ما يفتح الله للناس من باب توبة فلانمسلها هم يتوبون ان شاؤوا وان ابوا وما أمسك من
باب توبة فلانمسل له من بعده وهم لا يتوبون واستعير النسخ للاطلاق والارسال ايذانا
بانها أندس الخزائن التي تنافس فيها المتنافسون وأعزها مائلا وتنكيرا للرحمة للاشاعة
والاجهام كانه قيل أي رحمة كانت سماوية وأرضية والعموم مفهوم من اسم الشرط ومن
رحمة بيان لذلك العام من أي صنف هو وهو مما اجتري فيه بالنسبة المفردة عن الجمع
المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمت ومن في موضع الحال وقيل
المعنى ان الرسل بعثوا رحمة للناس فلا يقدر على ارسالهم غير الله وقيل هو الدعاء وقيل

أمره ان لا يعلمه ولا يسمع ولا يبصر
ولا قوى ثم رزقه جميع ذلك بعد
ذلك والرياش واللباس والمال
والاملاك والمكاسب كما قال
الامام أحمد حدثنا يوم معاوية
حدثنا الاعمش عن سلام بن
شرحبيل عن حبة وسواء ابن خالد
قال ادخنا على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يصلح شيئا فاعناه فقال
لا تياس من الرزق ماتمزهزت
رؤسك فان الانسان تلده أمه أحر
ليس عليه قشرة ثم رزقه الله عز
وجل وقوله تعالى ثم يبيئكم أي
بعده هذه الحياة ثم يبيئكم أي يوم
القيامة وقوله تعالى هل من شركم
أي الذين تعبدونهم من دون الله من

التوبة وقيل التوفيق والهداية ولا وجه لهذا التخصيص بل المعنى كل ما يفتحه الله للناس من خرائن رحمته فيشمل كل نعمة ينعم الله بها على خلقه (وما يسئلكم) من ذلك (فلا يرسل له من بعده) أي لا يقدر أحد أن يرسله من بعد ما سأل كما والامسالك يتناول كل شيء ينعمه الله من نعمه فهو سبحانه المعطي المانع القابض الباسط لا يعطي سواه ولا يمنع غيره (وهو العزيز الحكيم) فيما أسئلكم وفيما أرسل على مقتضى حكمته ثم أمر الله سبحانه عباده أن يتذكروا نعمه الفاتضة عليهم التي لا تعد ولا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقال (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم وقيل لجميع الناس ونعمة الله عليهم هي التي تقدمت من بسط الارض كلها وادورفع السماء بلا عمد وارسال الرسل لبيان السبيل دعوة اليه وزلفه لذيديه والزيادة في الخلق وفتح أبواب الرزق ومعنى هذا الذي ذكره هو ارشادهم الى الشكر لاستخدامتها وطلب المزيد منها وليس المراد ذكرها باللسان فقط ولكن المراد ذكرها به وبالقلب أي لا تنسوها والنعمه هنا بمعنى الانعام وعليه درج الجلال وقيل انها بمعنى النعم به ثم به على رأس النعم وهو اتحاد المنعم بقوله (هل من خالق غير الله) من زائدة مؤكدة أي لا خالق الا الله سبحانه وهو استفهام تقرير وانكار وتوبيخ (برزقكم من السماء والارض) خبر المبتدأ ووجهه مستأنفة أو صفة أخرى لخالق وخبره محذوف والرزق من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات وغير ذلك (لا اله الا هو) مستأنفة مسوقة لتقرير النفي المستفاد من الاستفهام (فانئ توففكون) أي فكيف تصرفون وهو مأخوذ من الافك بالفتح وهو الصرف يقال ما أفكك عن كذا أي ما صرفك عنه وقيل هو مأخوذ من الافك بالكسر وهو الكذب لانه مصروف عن الصدق قال الزجاج أي من أين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله والبعث وأنتم مقررون بان الله خلقكم ورزقكم ثم عزى الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) لئلا يسي عن قلبه من الانبياء ويسلي عن تكذيب كفار العرب به ولهذا نكر رسلا أي رسل ذوو وعدد كثير وأولوا آيات ونذروا أهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم لانه أسلى له وجواب الشرط محذوف أي فاصبر كما صبر وادل عليه قوله فقد كذبت الخ (والى الله) لا الى غيره (ترجع الامور) فيجازى كلابما يستحقه فرى ترجع بفتح التاء على البناء للفاعل وبضمها على البناء للمفعول (يا أيها الناس ان وعد الله) بالبعث والنشور والحساب والعقاب والجنة والنار (حق) كما أشير اليه بقوله والى الله ترجع الامور (فلان تغرنكم الحياة الدنيا) بزخرفها ونعيمها والمراد نعيمهم عن الاعتراض بها وان توجه النهى صورة اليها كما في قولهم بعين ما لا يرى نكدها قال سعيد بن جبيرة غرور الحياة الدنيا ان يشتغل الانسان بنعيمها ولذا انها عن عمل الآخرة حتى يقول يا ليتني قدمت لحياقي والمعنى لا تتخذ عنكم الدنيا ولا يذهلكم التمتع بها والتلذذ بما فيها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله تعالى (ولا يغرنكم بالله) في علمه وامهاله (الغرور) بفتح الغين أي المبالغ في الغرور وهو الشيطان قاله ابن السكيت وأبو حاتم ويجوز ان يكون مصدرا

يفعل من ذلكم من شيء أي لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والاحياء والامامة ثم بعثت الخلائق يوم القيامة ولهذا قال بعده هذا كله سبحانه وتعالى عما يشركون أي تعالى وتقدس عما يشركون أي تعالى وتقدس وتزهو وتعظم وجل وعز عن ان يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد بل هو الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (ظهر النساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين)

واستبعده الزجاج لان غررته متعد ومصدر المتعدى انما هو على فعل نحو ضربته ضربا
 الا في أشياء يسيرة معرفة لا يقاس عليها ومعنى الآية لا يغرنكم الشيطان بالله فيقول
 لكم ان الله يتجاوز عنكم ويغفر لكم بذنوبكم بفضل الله عليكم اولسعة رحمة لكم وقرئ بضم الغين
 وهو الباطل قال ابن السكيت والغرور بالضم ما يغرم من متاع الدنيا وقال الزجاج يجوز ان
 يكون الغرور بالضم جمع غار مثل قاعد وقعود قيل ويجوز ان يكون مصدر غره كاللزوم
 والنهوك وفيه ما تقدم عن الزجاج من الاستبعاد ثم حذر سبحانه عما عساه من الشيطان
 فقال (ان الشيطان لكم عدو) ظاهر العداوة فعل بأبيكم ما فعل وأنتم تماما لونه معاملة
 من لا علم له باحواله والتسكير للتعظيم أى عدو عظيم لان عداوته عامة قديمة والعموم يفهم
 من قوله لكم حيث لم يخص ببعض دون بعض والقدم من الجملة الاسمية الدالة على
 الاستمرار (فأتخذوه عدوا) أى فعادوه بطاعة الله ولا تطيعوه في معاصي الله وكونوا على
 حذر منه في جميع أحوالكم وأفعالكم وعقائدكم عن صميم قلوبكم وإذا فعلتم فسلوا
 فتعظنوا له فإنه رب عباد يدخل عليكم فيه الربا ويوزن لكم القبايح قال القشيري ولا يعزى
 على عداوته الا بدوام الاستعانة بالرب فإنه لا يغفل عن عداوتكم فلا تغفلوا أنتم عن
 مولاكم لحظة ذكره الخطيب ثم بين الله سبحانه لعباده كيفية عداوة الشيطان لهم
 وحذرهم عن طاعته فقال (انما يدعوا حربه ليكونوا من أصحاب السعير) أى انما يدعوا
 أشياءه واتباعه والمطيعين له الى معاصي الله سبحانه لاجل ان يكونوا من أهل النار واللام
 للتعليل ومحل الموصول في قوله (الذين كفروا) الرفع على الابتداء وقوله (لهم عذاب
 شديد) خبره والرفع على البدل من فاعل يكونوا والنصب على البدل من حربه والجزم على
 البدل من اصحاب والرفع على الابتداء اقوى الوجوه لانه سبحانه بعدد كره عداوة الشيطان
 ودعائه لحزبه ذكر حال الفريقين من المطيعين له والعاصين عليه فالفريق الاول قال لهم
 عذاب شديد والفريق الثاني قال فيه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر
 كبير) أى يغفر الله لهم بسبب الايمان والعمل الصالح ويعطيهم اجرا كبيرا وهو الجنة
 قال ابن جرير يخرج كل شئ في القرآن لهم مغفرة وأجر كبير ورزق كريم فهو الجنة (أفمن زين
 له سوء عمله فرآه حسنا) هذه الجملة مستأنفة لتقرير ما سبق من ذكر التفاوت بين عاقبتى
 الفريقين ومن في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف قال الكسائى والتقدير ذهبت
 نفسك عليهم حسرات قال ويدل عليه قوله فلا تذهب الخ قال وهذا كلام عربي ظريف
 لا يعرفه الا القليل وقال الزجاج تقديره كن هداه وقدره غيرهما كن لم يزين له وهذا أولى
 لموافقة لفظا ومعنى وقد وهم صاحب الكشاف فحكي عن الزجاج ما قاله الكسائى قال
 النحاس والذي قاله الكسائى أحسن ما قيل في الآية لما ذكره من الدلالة على المحذوف
 والمعنى ان الله عز وجل نهي نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن شدة الاعتصام بهم والحزن
 عليهم كما قال فلعلك باخع نفسك قبل التنذير أفمن زين المحتر يدان تدميه انما ذلك الى الله
 لا اليك والذي اليك هو التبليغ قال قتادة والحسن الشيطان زين لهم هوى والله الضلالات
 وقيل نفسه الامارة وهو القبيح وهو من اضافة الصفة للموصوف اى عمله السيئ قال ابن

قال ابن عباس وعكرمة والضحالك
 والسدى وغيرهم المراد بالبرهنا
 النيسابى وبالبحر الامصار والقرى
 وفي رواية عن ابن عباس وعكرمة
 البحر الامصار والقرى ما كان
 منهم على جانب نهر وقال آخرون بل
 المراد بالبر هو البر المعروف وبالبحر
 هو البحر المعروف وقال زيد بن
 رفيع ظهر النساد يعنى انقطاع
 المطر عن البر يعقبه القحط وعن البحر
 تعنى دوابه رواه ابن أبي حاتم وقال
 حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد بن
 المقرئ عن سفیان عن حميد بن قيس
 الاعرج عن مجاهد ظهر النساد فى
 البر والبحر قال فساد البر قتل ابن آدم
 وفساد البحر أخذ السفينة غصبا

عيا من نزلت في ابي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في أصحاب الامواه والبدع ومنهم
 الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين واؤا واليسم وليس أصحاب البكائر من الذنوب منهم
 لانهم يعتقدون تحريمها مع ارتكابهم - م اياها وجملة (فان الله يضل من يشاء ويهدي من
 يشاء) مقررة لما قبلها واهو حقة للعق ببيان ان الكل بعشيتهم أي يضل - ل من يشاء ان يضل - له
 ويهدي من يشاء ان يهدي وهذه الآية ترتز على القدرة قولهم (فلان تذهب نفسك عليهم
 حسرات) أي لا تحزن عليهم قرئ بفتح الفوقية والهاء مستند الى النفس فيكون من باب
 لأأرينك ههنا أي لا تعاط أسباب ذلك وقرئ بضم التاء وكسر الهاء وصب نفسك أي فلا
 تهلكها عليهم - م أي على عدم ايمانهم وقوله حسرات دفعول لاجله والجمع للدلالة على
 تضاعف اغتمامه على كثرة قبائحهم الموجبة لتأسف والتحسر عليهم ويجوز ان ينصب
 حسرات على الحال كأنها صارت كاه حسرات لفرط التحسر كما روى عن سيويه وقال
 المبرد انها تميز وعلهم صله لتذهب كما يقال هلك عليه حيا ومات عليه حزنا والحسرة شدة
 الحزن وهم النفس على ما فات من الامر وأشد التلهف على الشيء الفات تقول حسرت على
 الشيء من باب طرب وحسرت أي ضافه وحسرت (ان الله علم بما يصنعون) لا تخفى عليه من
 أفعالهم وأقوالهم خافية والجملة لتعليل لما قبلها مع ما تضمنته من الوعيد الشديد ثم أخبر
 سبحانه عن نوع من أنواع بديع صنعته وعظيم قدرته ليتفكروا في ذلك ولعله متروا به فقال
 (والله الذي أرسل الرياح) قرأ الجوهري بالجمع وقرئ الريح بالافراد وهي سبعية عن ابن
 مسعود قال يقوم ملك بالصور بين السماء والارض فينفخ فيه فلا يبق خلق لله في
 السموات والارض الا من شاء الله الاما ثم يرسل الله من تحت العرش منيا كفى الرجال
 فتنت أجسامهم ولحومهم من ذلك الماء كما تنبت الارض من الثرى ثم قرأ هذه الآية
 (فتثير حجابا) جاء بالمضارع بعد الماضي استحضار تلك الصورة البديعة الدالة على كمال
 القدرة والحكمة لان ذلك أدخل في اعتبار الاعتبارين والمعنى انها تزعجه وتحركه من حيث
 هو (فسقناه) فيه التفات عن الغيبة وقال أبو عبيدة سبيله فتسوقه لانه قال فتثير حجابا
 قبل النكتة في التعبير بالماضيين بعد المضارع الدلالة على التحقق (الى بلد) هو يذكر
 ويؤنث والبلدة البلد (ميت) أي أرض ليس بها نبات ولا هرعى قال المبرد ميت
 وميت واحد وقال هذا قول البصريين (فأحيينا به الارض) أي أحيينا بالمطر النازل
 منه الارض بانبات النبات فيها وان لم يتقدم ذكر المطر فالسحاب يدل عليه أو أحيينا
 بالسحاب لانه سبب المطر (بعد موتها) أي بعد يسيها استعارة الاحياء للنبات والموت
 لليس (كذلك النشور) أي كذلك يحيي الله العباد بعد موتهم - م كأحيا الارض بعد موتها
 والنشور الموت من نشر الانسان نشورا أي مثل احياء سموات الارض في صحة المقدورية
 وسهولة التأتى احياء الاموات اذ ليس بينهما الاحتمال اختلاف المادة في المقيس عليه
 وذلك لا مدخل له فيها فكيف تذكره وقد شاهدت غير مرة ما هو مثله وشبيهه عن أبي
 رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى قال أما مرت بأرض مجذبة
 ثم هزلت بها فخصبت ثم تزخرت قلت بلى قال كذلك يحيي الله الموتى وكذلك النشور

وقال عطاء الخراساني المراد بالبر
 ما فيه من المدائن والقرى والبحر
 جزائر والقول الاول أظهر وعليه
 الاكثر ويؤيده ما قاله محمد بن
 اسحق في السيرة ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم صالح ملك ايله وكتب
 اليه بجزيره يعني ببلده ومعنى قوله
 نزل الى ظهر الفساد في البر والبحر
 بما كسبت أيدي الناس أي بان
 النقص في الزروع والثمار بسبب
 المعاصي وقال أبو العالية من عصي
 الله في الارض فقد أفسد في الارض
 لان صلاح الارض والسماء
 بالطاعة ولهذا جاء في الحديث الذي
 رواه أبو داود حديثا في الارض
 أحب الى اهلها من أن يطسروا
 أربعين صباحا والسبب في هذا أن
 الحدود اذا أقيمت انكف الناس
 أو أكثرهم أو أكثر منهم عن تعاطي
 المحرمات واذ تركت المعاصي كان
 سببا في حصول البركات في السماء
 والارض ولهذا اذ انزل عيسى بن
 مريم عليه السلام في آخر الزمان
 يحكمهم بهذه الشريعة المطهرة في
 ذلك الوقت من قتل الخنزير وكسر

أخرجه أحمد والبيهقي والطحاوي وغيرهم (من كان يريد العزوة فقلته العزوة جميعاً) فليطلبها
 منه لا من غيره قال القراء معناه من كان يريد أن يعلم لمن العزوة فانها الله جميعاً وقال قتادة من
 كان يريد العزوة فليستعز بظاعة الله فجعل معنى لله العزوة الدعاء الى طاعة من له العزوة كما
 يقال من أراد المال فالمال لفلان أى فليطلبه من عنده وقال الزجاج تصديره من كان
 يريد بعبادة الله العزوة فالعزوة له سبحانه فان الله عز وجل يعز في الدنيا والآخرة وقيل المراد به
 المشركون فانهم كانوا يعززون بعبادة الاصنام كقوله واتخذوا من دون الله آلهة
 ليكونوا لهم عزا وقيل المراد الذين كانوا يعززون بهم من الذين آمنوا بألسنتهم الذين
 يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنغون عندهم العزوة والظاهر في معنى الآية
 ان من كان يريد العزوة و يطلبها فليطلبها من الله عز وجل فقلته العزوة جميعاً ليس غير منها شيء
 فتشمل الآية كل من طلب العزوة ويكون المقصود بها التمسك لذوى الاقدار والهجم من
 أين قال العزوة ونستحق ومن أى جهة تطلب فتكون الالف واللام للاستغراق وهو
 المقهور من آيات هذه السورة (اليه) تعالى لا الى غيره (يصعد الكلم الطيب) الصعود
 هو الحركة الى فوق وهو العروج أيضاً وموضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل
 ومعنى صعوده اليه قبوله له أو صعود الكتابة من الملائكة بما يكتبونه من الخف وخص
 الكلم الطيب بالذ كر لبناء الثواب عليه وهو يتناول كل كلام يتصف بكونه طيباً من
 ذكر الله وأمر معروف ونهى عن منكر وتلاوة وغير ذلك فلا وجه لتخصيصه بكلمة
 التوحيداً وبالتحسيد والتعبد وقيل المراد بصعوده صعوده الى سماء الدنيا وقيل يصعد
 الى سمائه والمحل الذى لا يجرى فيه لا حد غيره حكيم وفيه دليل على علوه تعالى فوق الخلق
 وكونه بائناً عنه بذاته الكريمة كاتدل له الآيات الأخرى الصريحة والأحاديث
 المستفصلة الصحيحة وقيل المراد بصعوده علم الله به والاولى ما ذكرناه آنفاً (والعمل الصالح
 يرفعه) أى يرفع الكلم الطيب كما قال الحسن وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد
 وقتادة وأبو العافية والصحاح ووجهه انه لا يقبل الكلم الطيب الا مع العمل الصالح وقيل
 ان فاعل يرفعه هو الكلم الطيب ومنفعوله العمل الصالح ووجهه ان العمل الصالح لا يقبل
 الا مع التوحيد والايان وقيل ان فاعل يرفعه ضمير يعود الى الله عز وجل والمعنى ان الله
 يرفع العمل الصالح على الكلم الطيب لان العمل يحقق الكلام وقيل العمل الصالح يرفع
 صاحبه وهو الذى أراد العزوة وقال قتادة المعنى ان الله يرفع العمل الصالح لصاحبه أى
 يقبله فيكون قوله والعمل الصالح مبتدأ وخبره يرفع وكذا على قول من قال يرفع صاحبه
 قرأ الجمهور بصعد من صعد الثلاثى والكلم بالرفع على القاعلية وقرأ على وابن مسعود
 يصعد بضم حرف المضارعة من أصد والكلم بالنصب على المنعولية وقرأ الضمك على
 البناء للمفعول وقرأ الجمهور الكلم وقرأ أبو عبد الرحمن الكلام وقرأ العمل بالرفع على
 العطف أو على الابتداء وقرأ ابن أبى عمير وعيسى بن عمر بالنصب على الاشتغال عن ابن
 مسعود فى الآية قال اذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله سبحانه ان
 العبد المسلم اذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله

الصليب ووضع الخزبة وهوتركها
 فلا يقبل الا الاسلام أو السيف
 فاذا أهلك الله فى زمانه الدجل
 واتباعه ويأجوج وماجوج قيل
 للارض أخرجى بركتك قياً كل
 من الرمانة الفئام من الناس
 ويستطلون بقعتها ويكفى ابن
 اللثعة الجماعة من الناس وما ذلك
 الا بركة تنفيذ شريعة محمد صلى
 الله عليه وسلم فكلمها أقيم العدل
 كثرت البركات والخير وثبت فى
 الصحيح ان الفاجر اذا مات يستريح
 منه العباد والبلاد والشجر
 والدواب ولهذا قال الامام أحمد
 ابن حنبل حدثنا محمد والحسن
 قالوا حدثنا عوف (١) عن أبى محمد
 قال وجد فى زمان زياد صرة فيها
 حب يعنى من برأ مشال النوى
 مكتوب فيها هذا ثبت فى زمان كان
 يعمل فيه بالعدل وروى مالك عن
 زيد بن أسلم ان المراد بالفساد ههنا
 الشرك وفيه نظر وقوله تعالى
 ليديقهم بعض الذى عملوا الآية
 أى يتلهم بنقص الاموال والانس
 والثرات اختصاراً منهم لهم ومجازة

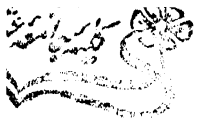
(١) فى نسخة أخرى ابن أبى محمد
 وحرر اه صححه

قبض عليهم مالت فضهمن تحت جناحه ثم يصعد بهن الى السماء فلا يربهن على جمع من
 الملائكة الاستغفر لقاتهن حتى يحيي بهن وجه الرحمن ثم قرأ اليه يصعد الكلم الطيب
 والعمل الصالح يرفعه قال أداء النرائض فمن ذكر الله في أداء نرائضه حل عمله ذكر الله
 فصعد به الى الله ومن ذكر الله ولم يؤد نرائضه رد كلامه على عمله وكان عمله أولى به أخرجه
 الطبراني والبيهقي والحاكم وجمعه وغيرهم (والذين يمكرون السيئات) ليس منفعولا به لان
 مكر لازم فاتصاه على انه صفة لمصدر محذوف أى يمكرون المكرات السيئات ويجوز ان
 يضمن يمكرون معنى يكسبون فيكون السيئات منفعولا به قال مجاهد وقتادة هم أهل الربا
 وقال أبو العالية هم الذين يكروا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما اجتمعوا في دار الندوة
 وقال الكلبي هم الذين يعملون السيئات في الدنيا وقال مقاتل هم المشركون (ايهم
 عذاب شديد) أى بالغ الغاية في الشدة (ومكراً ولئلك هو بيور) أى ملك ويفسد
 ويطل ومنه وكتب قوم ما يورأ وقد أبارهم الله ابارت بسبب مكراتهم حيث أخرجهم من مكة
 وقتلهم وأبنتهم في قلب جمع عليهم مكراتهم الثلاث التى اكتفوا في حقها واحدة منها
 والمكر في الاصل الخديعة والاحتيال والاشارة بقوله ولئلك الى الذين يكروا السيئات
 على اختلاف الاقوال في نفس مكرهم وجعلته هو بيور خبر مكرأ ولئلك ووضع اسم
 الاشارة موضع ضميرهم للايدان بكال تميزهم بما هم عليه من الشر والنساذع عن سائر
 المفسدين واشتهارهم بذلك ثم ذكر سبحانه دليلا آخر على صحة البعث والنشور فتال
 (وانه خلقكم) ابتداء في ضمن خلق أبيكم آدم (من تراب) وقال قتادة يعنى آدم
 والتقدير على هذا خلق أباكم الاول وأصلكم الذى ترجعون اليه من تراب (ثم من نطفة)
 أخرجهما من ظهر أبيكم (ثم جعلكم أزواجا) أى زوج بعضكم بعض فالذ كزوج
 الاثنى أو جعلكم أصنافا ذكرانا واناثا (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) أى
 لا يكون حمل ولا وضع الا والله عالم به فلا يخرج نبي من علمه وتديبه ومن زائدة (وما يعمر
 من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب) قرئ ينقص مبيد للمنعول وللفاعل ومن عمره
 يضم الميم ويسكونها والمعنى ما يطول عمراً حد ولا ينقص من عمره الا في اللوح المحفوظ
 قال القراء يريد آخر غير الاول فكفى عنه بالضم بركانه الاول لان النطق الثانى لو ظهر كان
 كالاول كأنه قال ولا ينقص من عمر معمره فالكفاية في عمره ترجع الى آخر غير الاول ومنه
 قولك عندى درهم ونصفه أى نصف آخر قيل انما سمي معمر باعتبار مصيره اليه والمعنى
 ما يتقى عمراً حد ولا ينقص من عمراً حد لكن لاعلى معنى لا ينقص من عمره بعد كونه زائدا
 بل على معنى انه لا يجعل من الابتداء ناقصا الا وهو في كتاب قال سعيد بن جبير وما يعمر
 من معمر الا كتب عمره كم هو سنة كم هو شهرا كم هو يوما كم هو ساعة ثم يكتب في كتاب
 آخر نقص من عمره ساعة نقص من عمره يوم نقص من عمره شهر نقص من عمره سنة حتى
 يستوفى أجله فامضى من أجله فهو النقصان وما يستقبل فهو الذى يعمره قال النسفي
 هذا من الكلام المتساح فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين واتسكالا على تسديدهم معناه
 بعقولهم وانه لا يلبس عليهم احوال الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس

على صنيعهم لعلمهم يرجعون أى
 عن المعاصى كما قال تعالى وبلوناهم
 بالحسنات والسيئات لعلمهم
 يرجعون ثم قال تعالى قل سيروا فى
 الارض فانظروا كيف كان عاقبة
 الذين من قبل أى من قبلكم كان
 أكثرهم مشركين أى فانظروا ماذا
 حل بهم من تكذيب الرسل وكفر
 النعم (فأقم وجهك للدين القيم من
 قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله
 يومئذ يصعدعون من كفر فمليه
 كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم
 يهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا
 الصالحات من فضله انه لا يجب
 الكافرين) يقول تعالى آمرا
 عباده بالمبادرة الى الاستقامة فى
 طاعته والمبادرة الى الخيرات فأقم
 وجهك للدين القيم من قبل ان يأتي
 يوم لا مرد له من الله أى يوم القيامة
 اذا أراد كونه فلا راد له يومئذ
 يصعدعون أى يتفرون فترى فى
 الجنة وفريق فى السعير ولهذا قال
 تعالى من كفر فمليه كفره ومن عمل
 صالحا فلانفسهم يهدون ليجزى
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات من

يقولون لا يئيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق أو تأويل الآية انه يكتب في الصحيفة عمره
 كذا كذا سنة ثم يكتب في أسفله ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره فذلك
 نقصان عمره انتهى وقال قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمتموص من عمره من يموت قبل
 ستين وقيل المعنى ان الله كتب عمر الانسان كذا ان أطاع وودونه ان عصى فأيها ما بلغ فهو
 في كتاب والضمير على هذا يرجع الى معمر وقيل المعنى وما يعمر من معمر الى الهرم ولا ينقص
 آخر من عمر الهرم الا في كتاب الله أى بقضاء الله قاله الضعيف واختاره النحاس قال وهو
 أشبهه بانظار المتزبل والاولى ان يقال ظاهر النظم القرآنى ان تطويل العمر وتقصيره هما
 بقضاء الله وقدره لاسباب تقتضى التطويل وأسباب تقتضى التقصير فمن أسباب
 التطويل ما ورد في صله الرحم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل قوله من أحب ان
 يسقط له في رزقه وينسأ له فى أثره أى يؤخر فى عمره فليصل رحمه ونحو ذلك ومن أسباب
 التقصير الاستكثار من معاصي الله سبحانه فاذا كان العمر المضروب للرجل مثلا سبعين
 سنة فقد يزيد الله له عليها اذا فعل أسباب الزيادة وقد ينقصه منها اذا فعل أسباب النقصان
 والعكس فى كتاب مبين فلا تخالف بين هذ الآية وبين قوله سبحانه فاذا جاء أجلهم
 لا يستأخرون ساعة ولا ينبتون ويؤيدها قوله سبحانه يعجز الله ما يشاء وينبت
 وعنده أم الكتاب وقد قدمنا فى تفسيرها ما يزيد ما ذكرنا هنا وضوحا وبيانا قال ابن عباس
 فى الآية يقول ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة الا وهو وبالغ ما قدرت له من العمر
 وقد قضيت له ذلك فانما ينتهى الى الكتاب الذى قدرت له لا يزيد عليه وليس أحد قضيت
 عليه انه قصر العمر والحياة ببالغ العمر ولكن ينتهى الى الكتاب الذى كتب له فذلك قوله
 ولا ينقص من عمره الا فى كتاب يقول كل ذلك فى كتاب عنده وأخرج أحمد ومسلم وأبو عوانة
 وابن حبان والطبرانى وابن المنذر وابن أبى حاتم عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدخل الملك على النطنة بعد ما تستقر فى الرحم باربعين
 أو بخمس وأربعين ليلة فيقول أى رب أشق أم سعيد أكرام أنى فيقول الله ويكتبان
 ثم يكتب عمله ورزقه وأجله وأثره وصيبته ثم تطوى الصحيفة فلا يزد فيها ولا ينقص منها
 وأخرج ابن أبى شيمية ومسلم والنسائى وأبو الشيخ عن ابن مسعود قال قالت أم حبيبة
 اللهم أمتعنى بزوجه النبي وبأبى أى سفيان وبأخى معاوية فقال النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم انك سألت الله لاجال مضر وبه أيام معدودة ورزاق مقسومة ولن يعجل الله شيئا قبل
 حله أو يؤخر شيئا ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب النار أو عذاب القبر كان
 خيرا وأفضل وهذه الاحاديث مخصوصة بما ورد من قبول الدعاء وانه يعتلج هو والقضاء وما
 ورد فى صله الرحم انها تزيد فى العمر فلا معارضة بين الأدلة كما قدمنا (ان ذلك) أى
 ما سبق من الخلق وما بعده (على الله يسير) لا يصعب عليه منه شئ ولا يعزب عنه كثير
 ولا قليل ولا كبير ولا صغير ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من بدعي صنعه وعجيب قدرته فقال
 (وما يستوى البحران هذا) أى أحدهما (عذب فرات) شديد العذوبة (سأخ شرا به)
 مرى سهل انحداره فى الحلق لعذوبته (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل هو الذى

فضله أى يجازيهم مجازاة الغض
 الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة
 ضعف الى ما يشاء الله انه لا يحب
 الكافرين ومع هذا هو العادل فيهم
 الذى لا يجور (ومن آياته ان يرسل
 الرياح مبشرات وليذيقكم من
 رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبعوا
 من فضله ولعلكم تشكرون ولقد
 أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم
 فخاؤهم بالبينات فاتتهم من الذين
 أجرموا وكان حقا علينا نصر
 المؤمنين) يذكر تعالى نعمه على خلقه
 فى ارساله الرياح مبشرات بين يدي
 رحمته بمعنى الغيث عقبها ولهذا
 قال تعالى وليذيقكم من رحمته
 أى المطر الذى ينزله فيحيى به العباد
 والبلاد ولتجرى الفلك بأمره أى فى
 البحر وانما سيرها بالريح ولتبعوا
 من فضله أى فى التجارات والمعاش
 والسير من اقليم الى اقليم وقطر الى
 قطر ولعلكم تشكرون أى تشكرون
 الله على ما أنعم به عليكم من النعم
 الظاهرة والباطنة التى لا تعد ولا
 تحصى ثم قال تعالى ولقد أرسلنا
 من قبلك رسلا الى قومهم فخاؤهم



يحرق الحلق بلوحته فالمراد بالبحرين العذب والمالح فالعذب الفرات الحلو والابحاج المر
وقرى سيخ مشددا وقرى ملح بفتح الميم وقيل المقصود من الابحة ضرب مثل ضرب به الله
تعالى للمؤمن والكافر (ومن كل) منهما (تأكلون لحاظيا) وهو ما يصاد منهما من
حيواناتهما التي تؤكل وهذا وما بعد ذلك اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم
والمنافع واما تكمله للتمثيل والمعنى كما أنها وان اشتركا في بعض الثوائد لا يتساويان من
حيث انهما متباوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خاطأ أحدهما ما أفسده وغيره
عن كمال فطرته كذلك لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركا في بعض الثوائد كالشجاعة
والسخاوة ونحوهما التباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقا أحدهما على فطرته الاصلية
وحيازته لكلمة اللائق دون الآخر أو تضميل للاجحاج على الكافر من حيث انه يشارك
العذب في منافع كثيرة والكافر خلوص المنافع بالكعبة على طريقة قوله تعالى ثم قست
قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة مرة الملح قاله أبو السعود (وإن شجر حون حلية)
وهي اللؤلؤ والمرجان وهو صغار اللؤلؤ وقال الطرطوشي هو عروق حجر تطلع من البحر
كاصابع الكف وهكذا شاهدناه بتغارب الارض كثيرا انتهى والظاهر ان المعنى
وتشجر حون منها حلية وقال المبرد انما تشجر الحلية من المالح وروى عن الزجاج
انه قال انما تشجر الحلية منها ما اذا اختلطت لادن كل واحد منهما على انفراده ربح
النحاس قول المبرد ومعنى (تلبسونا) تلبسون كل شيء منها بحسبه كالخاتم في الاصبع
والسوار في الذراع والقلادة في العنق والخنخال في الرجل وما يلبس حلية السلاح الذي
يحمل كالسيف والدرع ونحوهما (وترى الفلك فيه) أي في كل واحد من البحرين وقال
النحاس الضمير يعود الى المالح خاصة ولولا ذلك لقال فيها (مواخر) يقال فخرت السفينة
تخرازا شقت الماء بجريه فيه فالمعنى وترى السفن في البحرين شواق للماء بعضها مقبلة
وبعضها مدبرة يريح واحدة وقد تقدم الكلام على هذا في سورة النحل (لتبتغوا من فضله)
أي فعل ذلك لتبتغوا قال مجاهد ابتغاء الفضل هو التجار في البحر الى البلدان البعيدة في
المدة القريبة كما تقدم في البقرة (ولعلكم تشكرون) الله على ما أنعم به عليكم من ذلك
(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي يضيف بعض أجزاءها الى الآخر فيزيد
في أحدهما بالنقص في الآخر وقد تقدم تفسيره في آل عمران وفي مواضع من العذب
العزير (وشجر الشمس والقمر) عطف على يولج واختلاف الصيغة لما ان ايلاح احد
المولين في الآخر متجدد حينما خفي أو ما تشجر النيران فأمر لا تجدد ولا تعدد فيه وانما
المتعدد المتجدد آثاره (كل) منهما (بجري) في فلكه (لاجل مسمى) قدره الله بحراينهما
وهو يوم القيامة وقيل هو السدة التي يقطعان في مثلها الغائب وهو سنة الشمس وشهر
للشمس وقيل المراد بجري الشمس في اليوم والقمر في الليلة وقد تقدم تفسيره هذا
مستوفى في سورة لقمان (دلكم) أي اننا نل لهذه الافعال المتقدمة من أول السورة
الى هنا وهو مبتدأ وخبره (الله ربكم له الملك) أي هذا الذي من صنعته ما تقدم هو
الخالق المقدر والقادر والمقدر المالك للعالم والمتصرف فيه ويجوز ان يكون قوله

بالنبات فالتقضان الذين أبحروا
هذه تسليمة من الله تعالى لعبده
ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه
وان كذبه كثير من قومه ومن الناس
فقد كذبت الرسل المتقدمون مع
ما جاءوا أمهم به من الدلائل
الواضحات ولكن انتم الله من
كذبهم وخالفهم وأنجي المؤمنين
بهم وكان حقا علينا نصر المؤمنين
أي هو حق أوجب به على نفسه
الكريمة تكريما وتنصلا كقوله
تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة
وروى ابن أبي حاتم حدثنا أي
حدثنا ابن فضال حدثنا موسى بن أبي
عن ابيث عن شهر بن حوشب عن أم
الدرداء عن أبي الدرداء رضى الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما من امرئ مسلم
يرد عن عرض أخيه الا كان حقا
على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم
القيامة ثم تلا هذه الآية وكان
حقا علينا نصر المؤمنين (الله الذي
رسل الرياح فتثير بخرابا فيبسطه
في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا
تفري الودق يخرج من خلاله فاذا

له الملك جله مستقلة في مقابلة قوله (والذين تدعون من دونه ما يكون من قطمير) أي لا يقدرون عليه ولا على خلقه والقطمير الشجرة الرقيقة التي تكون بين الثمرة والنواة وتصير على أنواة كاللنافة لها وقال المبرد هو شق النواة وقال قتادة هو القمع الذي على رأس النواة قال الجوهري ويقان هي الشكبة البيضاء التي في ظهر النواة نبت منها النخلة وقال ابن عباس القطمير لقشر وفي لفظ الخلد الذي يكون على ظهر النواة ومعلوم ان في النوات أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة الفسيل وهو ما في شق النواة والقطمير وهو اللنافة والثفروق وهو ما بين القمع والنواة والتفسير وهو ما في ظهرها ثم بين سبحانه حال هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله بأنهم لا يتدعون ولا يضررون فقال (ان تدعوهم) أي ان تستغيثوا بهم في النوائب (لا يستجوابكم) لكونها جادات لا تدرك شيئا من المدركات (ولو دعوا) فرضا وتقديرا (ما استجابوا لكم) لمجزهم عن ذلك قال قتادة المعنى ولو دعوا لم يتدعواكم وقيل المعنى لو جعلنا لهم سماعا وحياة فستدعواكم لكانوا أطوع لله منكم ولم يستجيبوا لكم الى ما دعوتهم اليه من الكفر (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أي يبرون من عبادتكم لهم ويقولون ما كنتم ايانا تعبذنون ويجوز ان يرجع والذين تدعون من دونه وما بعده الى من يعقل ممن عبدهم الكفار وهم الملائكة والجن والشياطين والمعنى انهم يجحدون ان يكون ما فعلوه حقا وينكرون انهم أمرؤكم بعبادتهم كما أخبر الله عن عيسى بقوله ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق قال القرطبي ويجوز ان يدرج فيه الاصنام أيضا أي يحياها الله حتى يخبر بأنها ليست أهلا للعبادة (ولا ينبتك مثل خبير) أي لا يخبرك أيها المقتنون بأسباب الغرور مثل من هو خبير بالاشياء عالم بخبايا الامور وهو الله سبحانه فانه لا أحد اخبر بخلقهم وأقوالهم وأفعالهم من غير الله سبحانه وهو الخبير بكنه الامور وحقائقها ثم ذكر سبحانه افتقار خلقه اليه ويزيد حاجتهم الى فضله فقال (يا أيها الناس أنتم الفقراء) المحتاجون (الى الله) في جميع أمور الدين والدنيا فهم الفقراء اليه على الاطلاق في أنفسهم وفيما يعرض لهم من سائر الامور وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا ولم يسهم بالثراء للتخفيف بل للتعريف على الاستغناء ولهذا ووصف نفسه بالعنى الذي هو مطمع الاغنيا فقال (والله هو العرى) على الاطلاق (الحديد) المستحق للعمد من عباده باحسانه اليهم ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من الانواع التي يتحقق عندها افتقارهم اليه واستغناؤه عنهم فقال (ان يشأ يذهبكم) كلكم الى العدم ويفنيكم وفيه بلاغة كاملة أي ليس اذهبكم موقوفا الاعلى مشيئته ثم زاد على بيان الاستغناء بقوله (ويأت) بدل لكم (بخلق جديد) يطيعونه ولا يعصونه أو يأت بنوع من أنواع الخلق وعالم من العوالم غير ما تعرفون (وما ذلك) الا ذهاب بكم والاتبان بالآخرين (على الله بهزبن) أي به شغ ولا متعسر وقد مضى تفسير هذا في سورة ابراهيم (ولا تزرن) أي ولا تحملن نفس (وازره) آثمه (وزرن) آثم نفس

أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبل الملبسين فانظر الى آثار رحمة الله كيف يجي الارض بعد موتها ان ذلك لمحي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأى مصفر الظلوا من بعده يكفرون) يبين تعالى كيف يخلق السحاب الذي ينزل منه الماء فنال تعالى الله الذي يرسل الرياح فتسير سحابا مامن البحر كما ذكره غير واحد أو مما يشاء الله عز وجل فيبسطه في السماء كيف يشاء أي يمده فمكثره ويفيه ويجعل من القليل كثيرا ينشئ سحابة تترى في رأى العين مثل الترس ثم يبسطها حتى تتلا أرباء الافق وتارة تأتي السحابة من شحوا البحر بقلا مملوءة ماء كما قال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشراب بين يدي رحمة حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناهم ليلدا ميت الى قوله كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون وكذلك قال ههنا الله الذي يرسل الرياح فتسير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا قال مجاهد وأبو عمرو بن

(أخرى) خذف الموصوف للعلم به بل كل نفس تحمل وزرها ولا تخالف هذه الآية قوله
 وإحسان أنفقالهم وأنفقالهم لانهم انما جعلوا أنفقال اضلالهم مع انفقال ضلالهم
 والكل من أوزارهم لان أوزار غيرهم ومثل هذا حديث من سن سنة سيئة فعليه
 وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان الذي سن السنة السيئة انما حمل وزر
 سنته السيئة وقد تقدم الكلام على هذه الآية مستوفى وقد أخرج أحمد والترمذي
 وصححه والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن الاحوص ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 قال في حجة الوداع ألا لا يجني جان الاعلى بنفسه لا يجني والد على ولده ولا مولود على والده
 وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي وغيرهم عن أبي رزمة قال انطلقت مع
 أبي محرز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رأته قال لابي ابنك هذا قال اي ورب
 الكعبة قال أما انه لا يجني عليك ولا تجني عليه ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 هذه الآية قال ابن عباس يلقى الاب والام الابن فيقولان له يا بني اجعل عنا بعض ذنوبنا
 فيقول لا استطيع حسبي ماعلى (وان تدع مثقله الى جملها) قال الثراءى نفس مثقلة
 بالذنوب قال وهذا يقع للمذكر والمؤنث قال الاخفش أى وان تدع مثقله انسانا الى
 جملها وهو ذنوبها والحمل بالكسر ما يحمل على الظهر ونحوه والجمع اجمال وجرول وحلات
 المتاع جلامن باب ضرب فأنا حامل والاشئ حاملة بانثاء لانها صفة مشتركة قال ابن
 السكيت الحمل بالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة والحمل بالكسر ما كان على ظهر
 أو رأس قال الازهرى وهذا هو الصواب وهو قول الاصمعي وقال امرأة حامل وحاملة
 اذا كانت حبل (لا يحمل منه) أى من حملها (شئ) قال ابن عباس لكونه عليه
 وزر لا يجاد احد يحمل عنه من وزر شياً (ولو كان ذا قربي) أى ولو كان الذى تدعوه
 ذا قرابة لهما لم يحمل من حملها شياً ومعنى الآية وان تدع نفس مثقلة بالذنوب نسا أخرى
 الى حمل شئ من ذنوبها معها لم تحمل تلك المدعوة من تلك الذنوب شياً ولو كانت قريبة
 لها من النسب كالاب والام والابن والاخ فكيف غيرها من القرابة بينها وبين الداعية
 لها وقربى ذوقربى على ان كان تامسة كقوله وان كان ذو عسرة قال الزخشرى ونظم
 الكلام أحسن ملاءمة للمناقصة لان المعنى على ان المثقلة اذا دعت أحدا الى حملها
 لا يحمل منه ولو كان مدعوها ذا قربي وهو ملتئم ولو قلت ولو وجد ذوقربي لخرج عن
 التمام انتهى (انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) مستأنفة مسوقة لبسان من
 يعظ بالانذار أى انهم يخشونه حال كونهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه وهو غائب
 عنهم ويخشونه في الخلووات عن الناس قال الزجاج تأويله ان انذارك انما ينفع الذين
 يخشون ربهم فكانك تنذرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الانذار كقوله انما أنت منذر
 من يخشاها وقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب (وأقاموا الصلاة)
 أى احتفلوا بأمرها ولم يشغلوا عنها شئ مما يليهم وأداموها (ومن تركى فأنما يتركى
 لنفسه) وقربى من أركى فأنما يركى لنفسه والتركى التطهر من ادناس الشرك
 والقواشش والمعنى ان من تطهر بترك المعاصى واستكثر من العمل الصالح فأنما

العلاء ومطر الوراق وقتادة يعنى
 قطعاً وقال غيره متراً كما قاله
 الضحاك وقال غيره المسود من كثرة
 الماء تراهم مدلهما ثم لاقري بما من
 الارض وقوله تعالى فترى الودق
 يخرج من خلاله اى فترى المطر
 وهو التطر يخرج من بين ذلك
 السحاب فاذا أصاب به من يشاء
 من عباده اذاهم يستبشرون أى
 لحاجتهم اليه يفرحون بنزوله
 عليهم وصوله اليهم وقوله تعالى
 وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من
 قبل الملبسين يعنى الكلام ان هؤلاء
 القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا
 قانطين أزايين من نزول المطر اليهم
 قبل ذلك فلما جاءهم جاءهم على فاقة
 فوقع منهم موقعا عظيما وقد اختلف
 النحاة في قوله من قبل أن ينزل عليهم
 من قبل الملبسين فقال ابن جرير هو
 تأكيد وحكايا عن بعض أهل
 العربية (١) وقال آخرون من قبل
 أن ينزل عليهم المطر من قبله أى
 الانزال الملبسين ويحتمل ان يكون
 ذلك من دلالة التأسيس ويكون
 معنى الكلام انهم كانوا محتاجين اليه

(١) قوله وقال آخرون الى قوله
 الملبسين هذه العبارة زائدة في بعض
 النسخ وله المعنيين ما قبلها فتأمل
 اه محكمه

يتظهر لنفسه لان نفع ذلك محتص به كما ان وزمن تدنس لا يكون الاعليه لاعلى غيره
 (والى الله المصير) لالاى غيره ذكسجهانده اولانه لا يحمل أحد ذنب أحد ثم ذكر ثانيا ان
 المذنب ان دعا غيره وان كان من قرابته الى جل شئ من ذنوبه لا يحمله ثم ذكر ثالثا ان
 ثواب الطاعة محتص بفاعله ليس لغيره منه شئ ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر وقد
 قرر بيان التساقى اولابين ذاتيهما وثانيا بين وصفيهما وثالثا بين مستقريهما وادارهما
 فى الآخرة فقال (وما يستوى الاعمى) أى المسلوب حاسة البصر واستوى من الأفعال
 التى لا يكتفى فيها واحد فلوقات استوى زيد لم يصح فن ثم لم العطف على الفاعل أو تعدده
 (والبصير) الذى له ملكة البصر فشبها الكافر بالاعمى وشبه المؤمن بالبصير وقيل
 منى للجاهل والعالم (ولا تستوى) (الظلمات ولا النور) فشبها الباطل بالظلمات
 وشبه الحق بالنور قيل انما جمع الظلمات وأفرد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق
 (ولا الظل ولا الحرور) بالفتح شدت حر الشمس وهو خلاف البرد يقال حر اليوم والطعام
 يحرق من باب تعب وحر حرور وحرور من بابى ضرب وقعد لغفة والاسم الحرارة فهو حار
 وحررت النار تحرق من باب تعب توقدت واستعرت والحررة الفتح أرض ذات حجارة سود
 والجمع حرار مثل كلبة وكلاب والحرور وزان رسول الريح الحارة قال الاخفش لا يكون
 الحرور الا مع شمس النهار والسموم يكون بالليل وقيل عكسه وقال رؤبة بن العجاج
 الحرور يكون بالليل خاصة والسموم يكون بالنهار خاصة وقال الفراء السموم لا يكون
 الا بالنهار والحرور يكون فيهما قال التماس وهذا أصح وقال قطرب الحرور والحرور الظل
 البرد والمعنى انه لا يستوى الظل الذى لا حرقه ولا أذى والحر الذى يؤذى قيل أراد
 الثواب والعتاب وسمى الحرور اذ ما لغت فى شدة الحر لان زيادة البناء تدل على زيادة
 المعنى وقال الكلبي أراد بان الظل الجنة والحرور النار وقال عطاء يعنى ظل الليل وشمس
 النهار ثم ذكر سبحانه تشبها آخر للمؤمن والكافر وهو ابلغ من الاول فقال (وما يستوى
 الاحياء ولا الاموات) فشبها المؤمن بالاحياء وشبه الكافر بالاموات وهو ابلغ من
 الاول لكل التساقى بين الحمى والمدت ولذلك أعيد الفعل وأما التساقى بين الاعمى والبصير
 فليس تاما لا يمكن اشتراكهما فى كثير من الادراكات وقال ابن قتيبة الاحياء العتلاء
 والاموات الجهال قال قتادة هذكها أ. مثال اى كمالا يستوى هذه الاشياء كذلك
 لا يستوى الكافر والمؤمن وقد زيدت لافى المواضع الثلاثة خمس مرات اثنتين فى الاولى
 واثنتين فى الثانية وواحدة فى الثالثة والكل اتى كيدنى الاستواء فالزيادة شاملة لاصل
 زيادته ما كالأولى من الجملة الاولى ولتكريرها كالتشابه منها (ان الله يسمع من يشاء)
 ان يسمع من أوليائه الذين خلقهم لحنه ووفقههم لطاعته وهذا شروع فى تسمية النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم وتنتهى بقوله فكيف كان تكبير والمراد من قوله يسمع يهدى
 ويوصل من يشاء ووصوله وهدايته فيجيبه بالايان (وما أتت يسمع من فى القبور) يعنى
 الكفار الذين أمات الكفر قلوبهم اى كمالا يسمع من مات كذلك لا يسمع من مات قلبه
 قرئ بتنوين مسمع وقطعه عن الاضافة وباضافته (ان أتت الأندبر) أى ما أتت الارسل

قبل نزوله ومن قبله أيضا قد فات
 عندهم نزول وقتا بعد وقت فترقبوه
 فى ابانه فتأخر ثم مضت مدة فترقبوه
 فتأخر ثم جاءهم بغتة بعد الاياس
 منه والقنوط فبعدهما كانت أرضهم
 مقشورة هامة أصحبت وقد اهترت
 وربت وأثبتت من كل زوج يبيع
 ولهذا قال تعالى فانظر الى آثار
 رحمة الله يعنى المطر كيف يحيى
 الارض بعد موتها ثم شبه بذلك على
 احياء الاجساد بعد موتها وفضلها
 وتمزقها فقال تعالى ان ذلك للحى
 الموتى أى ان الذى فعل ذلك لقادر
 على احياء الاموات انه على كل شئ
 قدير ثم قال تعالى ولئن أرسلنا ريحا
 فقرأوه مصفرا لظلموا من بعدهم يكفرون
 يقول تعالى ولئن أرسلنا ريحا يابسة
 على الزرع الذى زرعو دونت وشب
 واستوى على سوقه فقرأوه مصفرا
 أى قد اصفروا شرع فى الفساد
 لظلموا من بعدهم أى بعدهم هذا الحال
 يكفرون أى يجحدون ما تقدم اليهم
 من النعم كقوله تعالى أفرايت سم
 ما تحنون الى قوله بل نحن محرمون
 قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا
 محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا
 هشيم بن يعلى بن عطاء عن أبيه

منذ ولين عليك الا الانذار والتبليغ وليس لك من الهدى شئ انما الهدى والضلالة
 بيد الله عز وجل (انا ارسلناك بالحق) أى محذرين أو محققاً أو رسالاً تلبس بالحق أى بالهدى
 (بشيراً) بالوعد الحق (ونذيراً) بالوعيد الحق أو بشيراً لاهل الطاعة ونذيراً لاهل المعصية
 (وان من أمة الا خلافاً فيها نذير) أى ما من أمة من الامم الماضية الا مضى فيها نذير من
 الانبياء يشذرها والامة الجامعة الكثيرة وتقال لكل أهل عصر والمراد هنا أهل العصر
 واقتصر على ذكر النذير دون التبشير لانه الصق بالمقام فان قلت كم من أمة في الفترة بين
 عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يخجل فيها نذير قلت اذا كانت آثار النذارة باقية
 لم يخجل من نذير الا أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله
 محمد صلى الله عليه وآله وسلم و آثار نذارته باقية الى يوم القيامة لانه لا نبى بعده فهل من
 مدكر وهذا يقتضى ان أهل الفترة مكلفون لبقاء آثار الرسل المتقدمة فيهم وهو خلاف
 ما في شرح ابن حجر على الهمز يذ ان أهل الفترة من أهل الجنة وان غيروا وبدلوا وعبدوا
 غير الله لانهم لم يرسل اليهم رسولاً لان من قبلهم من الرسل انتهت رسالته بموته اذ لم يعلم لاحد
 من الرسل استمرار رسالته بعد الموت الا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فهم غير مكلفين
 بما يفعلونه ولو كان صورة معصية لكن ورد النص بتعذيب بعض أهل الفترة كعمرو
 ابن لحي فيسألني ويعتقد فيهم ورد فيهم بحصوصهم لان ما فعلوا كثير بل الحكمة يعلمها
 الله تعالى لم نطلع عليها انتهى ملخصاً وينتدق الظاهر انه لا يحصل الاتصال بين الآية
 وبين ما تقرر الا بان يلتزم ان جله العرب أمة ويصدق تقدم النذير فيها بتقديم اسمعيل وان
 بنى اسرائيل أمة ويصدق تقدم النذير فيهم بقرينة دم عيسى ومن قبله فتأمل ثم على سبحانه
 نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعزاه فقال (وان يكذبوك فتدكذب الذين من قبلهم) من
 الامم الماضية أنبياءهم (جاءتهم رسالهم بالبينات) أى بالمعجزات الواضحة والدلالات
 الظاهرة (وبالزبر) أى الكتب المكتوبة كصحف ابراهيم وهى ثلاثون وصحف موسى
 قبل التوراة وهى عشرة وصحف شيث وهى ستون فجملة الصحف مائة تضم لها الكتب
 الاربعة فجملة الكتب المنزلة على الانبياء مائة وأربعة قاله الحفناوى (وبالكتاب المنير)
 كالتوراة والانجيل قبل الكتاب المنير داخل تحت الزبر وتحت البينات والعطف لتغاير
 المفهومات وان كانت متحدة في الصدق والاولى تخصيص البينات بالمعجزات والزبر
 بالكتب التى فيها مواظ والكتاب بما فيه شرائع وأحكام وجواب الشرط محذوف أى
 فاصبر كما صبروا وان المذكور دليل له (ثم أخذت الذين كفروا) وضع الظاهر موضع
 المضمرة بقيد التصريح بدمهم عافى حيز الصلة ويشعر بعلة الاخذ (فكيف كان تكبير)
 الاستهزام تقريرى كما قاله الكرخى وينبغى ان يتأمل فيه أى فكيف كان تكبيرى عليهم
 وعقوبتى لهم والتكبير معنى الانكار وهو تغيير المنكر وقد مضى بيان هذا قريباً ثم ذكر
 سبحانه نوعاً من أنواع قدرته الباهرة وخلقا من مخلوقاته البديعة فقال (المرز) والخطاب
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأول كل من يصلح له وهذه الرؤية هى القلبية أى لم تعلم
 (ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) أى بالماء معنى المطر والنعمة فى هذا الالتفات

عن عبد الله بن عمرو قال الرياح
 ثمانية أربعة منها رحمة وأربعة منها
 عذاب فأما الرحمة فالنشرات
 والمبشرات والمرسلات والذاريات وأما
 العذاب فالعقيم والصرصر وهما
 فى البر والعاصف والقاصف وهما
 فى البحر وقال ابن أبى حاتم حدثنا
 ابن عبيد الله بن أنس بن وهب
 حدثنا عمى حدثنا عبد الله بن عباس
 حدثنى عبد الله بن سلمان عن دراج
 عن عيسى بن هلال الصدقى عن
 عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الريح مسخر
 من الثانية يعنى من الارض الثانية
 فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن
 الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلك
 فقال يارب أرسل عليهم من
 الريح قدره نخراً الثور قال له الجبار

اظهار كمال العناية بالفعل لمسا فيه من الصنع البديع ولان المنة بالخراج اباغ من انزال
 الماء (ثمرات مختلفاً ألوانها) المراد بالالوان الاجناس والاصناف من الرمان والفتحاح
 والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها أي بعضها أبيض وبعضها أحمر وبعضها
 أصفر وبعضها أخضر وبعضها أسود قال ابن عباس أي الأبيض والأحمر والأسود (ومن
 الجبال جدد) الجدد جمع جدة بالضم وهي الطريق قال الاخفش ولو كان جمع جديد لقال
 جدد بضم الجيم والدال نحو سير وسرر وقرأ الزهري جدد بضم الجيم والدال جمع جديدة
 يقال جديدة وجدود جدد وقال أبو الفضل معناها آثار جديدة واضحة الالوان وقرأ
 بنفثهما وقد رد أبو حاتم هذه القراءة من حيث النقل والمعنى وقد صححها غيره وقال الجدد
 الطريق الواضح البين وقيل الجدد القطع مأخوذ من جددت الشيء اذا قطعت حكاها ابن
 بحر قال الجوهرى الجدة الخططة التي ظهر الحمار تخالف لونه والجدة الطريق والجمع
 جدد وجداند قال المبرد جدد طرائق وخطوط قال الواحدي ونحو هذا قال المنسرون
 في تفسير الجدد وقال الفراء هي الطرق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وجر
 واحدها جدة (بيض وجر) وصنفر (مختلف ألوانها) بالشدة والضعف والمعنى ان الله
 سبحانه أخبر عن جدد الجبال وهي طرائقها والخطوط التي فيها بان لون بعضها البياض
 ولون بعضها الحجر (وغرايب سود) الغريب الشديد السواد الذي يشبه لونه لون الغراب
 قال الجوهرى تقول هذا أسود غريب أي شديد السواد واذا قلت غرايب سود جعلت
 السود بدل من غرايب قال الفراء في الكلام تقديم وتأخير تقديره وسود غرايب لانه
 يقال أسود غريب وقيل يقال غريب أسود وقيل الغريب تأكيده للسود كالقاني
 للأحمر ومن حق التوكيد ان يتبع المؤكد وانما تقدم للمبالغة والمعنى من الجبال جدد
 بيض وجر ومن الجبال غرايب على لون واحد وهو السواد أو من الجبال جدد بيض
 وجر وسود وقيل التقديم ومن الجبال ذو جدد لان الجدد انما هي في ألوان بعضها
 (ومن الناس والدواب) وقرأ بتخفيف الباء (والانعام) أي ومنهم صنفاً أو نوع
 أو بعض (مختلف ألوانه) بالحجرة والسواد والبياض والخضرة والصفرة قال الفراء أي
 خلق مختلف ألوانه كاختلاف القرات والجبال وانما ذكر سبحانه اختلاف الالوان في هذه
 الاشياء لان هذا الاختلاف من أعظم الأدلة على قدرة الله وبديع صنعها (كذلك) أي
 مختلفاً مثل ذلك الاختلاف والتقدير مختلف ألوانه اختلافاً كما كنا كذلك أي كاختلاف
 الجبال والثمار وقال ابن عطيمة متعلق بما بعده أي مثل ذلك النظر والاعتبار في
 مخلوقات الله واختلاف الوانها يخشى الله من عباده العلماء وهو مردود بان ما بعده انما
 لا يعمل فيما قبلها والراجح الوجه الاول والوقف على كذلك تام ثم استأنف الكلام وأخبر
 سبحانه بقوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) وهو من تمة قوله انما تقدر الذين يخشون
 ربهم بالغيب على معنى انما يخشاه سبحانه بالغيب العالمون به وبما يليق به من صفاته الجليلة
 وأفعاله الجميلة وعلى كل تقدير فهو سبحانه قد عين في هذه الآية أهل خشيته وهم العلماء به
 وبعظيم قدرته قال مجاهد انما العالم من خشى الله عز وجل ومثله عن الشعبي وقال

تبارك وتعالى لا اذا يكفأ الارض
 ومن عليها ولكن أرسل عليهم
 بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه
 ما تدر من شيء أت عليه الاجلته
 كالريم هذا حديث غريب ورفع
 منكرو الاظهار انه من كلام عبد الله
 ابن عمر رضي الله عنه (فانك
 لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء
 اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادى
 العسى عن ضلاتهم ان تسمع الامن
 يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) يقول
 تعالى كما انك ليس في قدرتك انك
 تسمع الاموات في أجداثها ولا يبلغ
 كلامك الصم الذين لا يسمعون وهم
 مع ذلك مدبرون عنك كذلك
 لا تقدر على هداية العميان عن
 الحق وردد هم عن ضلاتهم بل ذلك
 الى الله فانه تعالى بقدرته يسمع

مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاعتزاز جهلا وعن ابن مسعود نحوه فن كان أعلم بالله
 كان أخشاهم له قال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم ووجه تقديم المنعول
 ان المقام مقام حصر الناعلية ولو أخر لانعكس الامر وقرئ برفع الاسم الشريف ونصب
 العلماء ورويت هذه القراءة عن أبي حنيفة قال في الكشاف الخشية في هذه القراءة
 استعارة والمعنى انه يجعلهم ويعظمهم كما يجعل المهيب الخشي من الرجال بين الناس قال
 ابن عباس العلماء بالله الذين يخافونه وعنه قال الذين يعلمون ان الله على كل شيء قدير وعن
 ابن مسعود قال ليس العلم من كثرة الحديث ولكن العلم من الخشية وفي النط بكثرة الرواية
 وعن حذيفة بحسب المؤمن من العلم ان يخشى الله وعن عائشة قالت صنف رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم شيئا فرخص فيه فتمتزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال أقوام يتزهون عن الشيء أصنعته فوالله انى
 لا أعلمهم بالله واشدهم له خشية أخرجه البخارى ومسلم (ان الله عزير غفور) تعليل
 لوجوب الخشية دلالة على انه معاقب على معصيته غافل من تاب من عباده (ان الذين
 يتلون كتاب الله) أى يستمرون على تلاوته ويدأومونها والكتاب هو القرآن العظيم
 ولا وجه لما قيل ان المراد به جنس كتب الله (وأقاموا الصلاة) أى فعلوها في أوقاتها مع
 كمال أركانها وأذكارها عن ابن عباس قال نزلت في حصين بن الحر بن عبد المطلب
 ابن عبد مناف (وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) فيه حث على الانفاق كقمتهم
 فان تميا سرا فهو أفضل والافعلانية ولا ينعمة ظنه ان يكون رياء فان ترك الخير مخافة ذلك
 هو عين الرياء ويمكن ان يكون المراد بالسر الصدقة المطلقة وبالعلانية الزكاة واليه أشار
 في التقرير قاله الكرخي وقيل السر في المسنون والعلانية في المفروضة (يرجون
 تجارة) أى ثواب الطاعة (ان تبور) أى ان تكسدون تملأ والاخبار برجائهم لثواب
 ما عملوا بمنزلة الوعد بحصول هرجوهم واللام في قوله (ليوفيم أجورهم) متعلقة بلن
 تبور على معنى انها لن تكسدا لاجل ان يوفيم أجور أعمالهم الصالحة ومثل هذه الآية
 قوله سبحانه فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيم أجورهم ويزيدهم من فضله وقيل
 ان اللام متعلقة بجدوف دل عليه السياق أى فعلوا ذلك ليوفيمهم ومعنى (ويزيدهم من
 فضله) انه يتفضل عليهم بزيادة على أجورهم التي هي جزاء أعمالهم قيل بتفسيخ القبور
 أو بتفسيخهم فيمن أحسن اليهم أو بتضعيف حسناتهم أو بتحقيق وعد لقائه (انه غفور
 شكور) تعليل لما ذكر من التوفية وزيادة أى غفور لذنوبهم شكور لطاعتهم (والذى
 أوحينا اليك من الكتاب) يعنى القرآن وقيل اللوح المحفوظ على ان من تبعضية
 أو ابتدائية (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أى موافقا لما تقدمه من الكتب (ان الله
 بعبادته خبير بصير) أى محيط بجميع أمورهم الباطنة والظاهرة (ثم أورثنا الكتاب
 الذين اصطفينا من عبادنا) انما قدم المفعول الثانى لقصد التشريف والتعظيم للكتاب
 والمعنى ثم أورثنا الذين اصطفينا من عبادنا الكتاب وهو القرآن أى قضينا وقدرنا بان
 نورث العلماء من أمتك يا محمد هذا الكتاب الذى نزلناه عليك فأورثنا استعارة تبعية سمي

الايوات أصوات الاحياء ادا شاء
 ويهدى من يشاء ويضل من يشاء
 وليس ذلك لاحد سوا موله هذا قال
 تعالى ان تسمع الامن يؤمن باياتنا
 فهم مسلمون أى خاضعون
 مستحيبون مطيعون فأولئك هم
 الذين يسمعون الحق فيتبعونه
 وهذا حال المؤمنين والاول مثل
 الكافرين كما قال تعالى انما
 يستجيب الذين يسمعون والموتى
 يعثمهم الله ثم اليه يرجعون وقد
 استدلت أم المؤمنين عائشة رضى
 الله عنها بهذه الآية انك لا تسمع
 الموتى على توهيم عبد الله بن عمر في
 روايته مخاطبة النبي صلى الله عليه
 وسلم القتلى الذين ألقوا في قلب بدر
 بعد ثلاثة أيام ومعاتبته اياهم
 وتقرير عهدهم حتى قال له عمر

اعطاء لكتاب اياهم من غير كد وتعب في وصوله اليهم بتوريت الوارث ومن للبيان
 أو للتبعض والمراد بعبادنا أمة الاجابة سوا، حنظوه أو لافه وعطية لجميعهم حتى من لم
 يحفظه لانه قدوته وفيه هدايته وبركته ومعنى اصطفائهم اختيارهم واستخلاصهم
 ولاشأن ان علماء هذه الامة من الصحابة في بعدهم الى يوم القيامة قد شرفهم الله على سائر
 العباد وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس وأكرمهم بكونهم أمة خير الانبياء
 وسيد ولد آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام وخصهم بحمل أفضل الكتب قال مقاتل يعني
 قرآن محمد جعلناه ينتهي الى الذين اصطفينا من عبادنا وقل ان المعنى أو رثناه من الامم
 السابقة أي أخرنا عنهم وأعطيناهم الذين اصطفينا والاول اولى ثم قسم سبحانه هؤلاء
 الذين أورثهم كتابه واصطفاهم من عبادنا الى ثلاثة أقسام فقال (فمن ظالم لنفسه ومنهم
 مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) وفي قوله (بادن الله) تنبيه على عزة منال هذه الرتبة
 وصعوبة ما أخذها أي بأمره أو بعلمه أو بتوفيقه (ذلك) أي توريت الكتاب والاصطفاء
 وقيل السابق الى الخيرات والاول اولى وهو مبتدأ وخبره (هو الفضل الكبير) أي
 الفضل الذي لا يقا در قدره وقد استشكل كثير من أهل العلم معنى هذه الآية لانه سبحانه
 جعل ٥ ذالقسم الظالم لنفسه من ذلك المقسم وهو من اصطناهم من العباد فكيف
 يكون من اصطناه الله ظالم لنفسه فقبل ان تقسمهم هو راجع الى العباد أي فن عبادنا
 ظالم لنفسه وهو الكافر ويكون ضمير يدخلونها عائد الى المقتصد والسابق وقيل المراد
 بالظالم لنفسه هو المقتصد في العمل به وهو المرجح لامر الله وليس من ضرورة وراثته الكتاب
 فرعااته حتى رعايته لقوله خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب وهذا فيه نظر لان ظالم
 النفس لا يناسب الاصطفاء وقيل الظالم لنفسه هو الذي عمل الصغائر وقدر وى هـ ذا
 القول عن عمر وعثمان وابن مسعود وأبي الدرداء وعائشة وهـ ذا هو الرابع لان عمل
 الصغائر لا ينال في الاصطفاء ولا يمنع من دخول صاحبه مع الذين يدخلون الجنة ووجه
 كونه ظالم لنفسه انه نقصه من الثواب بما فعل من الصغائر المغفورة له فانه لو عمل مكان
 تلك الصغائر طاعات لكان لنفسه فيها من الثواب حظ عظيم وقيل الظالم هو صاحب
 الكبائر قلت ومنشأ الاشكال هو من جعل الوارثين هم العلماء من أمة محمد صلى الله
 عليه وآله وسلم اذ لو جعلت الوراثة لجميع الامة زال الاشكال للقطع بان منهم ظالم لنفسه
 ولا ينال في الاصطفاء لكونهم فضلا لوال الامم الآخرة وقدر رد في ذلك شئ كثير كما لا يخفى
 ويؤيده ما سياتى آخر البحث والله أعلم وقد اختلف السلف في تفسير السابق والمقتصد
 فقال عكرمة وقنادة والضحالك ان المقتصد المؤمن العاصي والسابق التقي على الاطلاق
 وبه قال الفراء وقال مجاهد في تفسير الآية فمنهم ظالم لنفسه أصحاب المشأمة ومنهم
 مقتصد أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون من الناس كلهم وقال المبردان
 المقتصد هو الذي يعطى الدنيا حقا والآخره حقه وقال الحسن الظالم الذي ترجح سيئاته
 على حسناته والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته على
 سيئاته وقال مقاتل الظالم لنفسه أصحاب الكبائر من أهل التوحيد والمقتصد الذي

يارسول الله ما تخاطب من قوم
 قد جيفوا فقال والذي نفسى بيده
 ما أنتم بأجمع لما أقول منهم ولكن
 لا يجيبون وتآوته عائشة على انه قال
 انهم الا ان يعلمون ان ما كنت أقول
 لهم حق وقال قنادة أحياءم الله له
 حتى سمعوا مقالته تقر يعاوتو بيحا
 ونقمة والصحيح عند العلماء رواية
 عبد الله بن عمر لما هاجم الشواهد
 على صحته من وجوه كثيرة من أشهر
 ذلك ما رواه ابن عبد البر معجمه
 عن ابن عباس مرفوعا ما من أحد
 يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في
 الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه
 روحه حتى يرد عليه السلام (الله
 الذي خلقكم من ضعف ثم جعل
 من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد
 قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو

لم يصب كبرية والسابق الذي سبق الى الاعمال الصالحة وحكى النحاس ان الظالم صاحب الكبر والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته فيكون قوله الاتي جنات عدن يدخلونها الذين سبقوا بالخيرات لا غير قال وهذا قول جماعة من أهل النظر لان الضمير في حقيقة النظر لما يليه أولى وقال الضمك ففهم ظالم لنفسه أى من ذريتهم ظالم لنفسه وقال سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم لنفسه الجاهل وقال ذو النون المصري الظالم لنفسه الذي ذكره الله بلسانه فقط والمقتصد الذي ذكره الله والسابق الذي لا ينساه وقال الانطاكي الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال وقال ابن عطاء الظالم الذي يجب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذي يجب الله من أجل العقبي والسابق الذي أسقط مراده بمراد الحق وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفاً من النار والمقتصد الذي يعبد الله طمعا في الجنة والسابق الذي يعبد الله لاسباب وقيل الظالم الذي يجب نفسه والمقتصد الذي يجب دينه والسابق الذي يجب ربه وقيل الظالم الذي ينتصف ولا ينتصف والمقتصد الذي ينتصف وينتصف والسابق الذي ينتصف ولا ينتصف وقيل الظالم هو المرء لا امر الله والمقتصد هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا قال النسفي وهذا التأويل يوافق التنزيل فانه تعالى قال والسابقون الاولون من المهاجرين الآتية وقال بعده وآخرون اعترفوا بآبائهم الآتية وقال بعده وآخرون مرجون لامر الله انتهى وقال الريح بن أنس الظالم صاحب الكبر والمقتصد صاحب الصغائر والسابق المجتنب لله ما وسئل أبو يوسف عن هذه الآية فقال كلهم مؤمنون وأما صفة الكفار فبعد هذا وهو قوله والذين كسروا الهمم نار جهنم وأما الطبقات الثلاث فهم الذين اصطفى من عباده وهم أهل الايمان وعليه الجمهور وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خيرا من ظاهره وقيل الظالم التالي للقرآن ولم يعمل به والمقتصد التالي له العالم به والسابق القارئ له العالم به العامل بما فيه وقد ذكر الشعبي وغيره أقوالا كثيرة ولا شك ان المعاني اللغوية للظالم والمقتصد والسابق معروفة وهو يصدق الظالم لنفسه بمجرد احرامها للخط وتبويت ما هو خيرا لها فتمارك الاستكثار من الطاعات قد ظلم نفسه باعتبار ما فوقها من الثواب وان كان قائما بما أوجب الله عليه تارك ما نهاه عنه فهو من هذه الحثيمة من اصطفاه الله ومن أهل الجنة فلا اشكال في الآية ومن هذا قول آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وقول يونس اني كنت من الظالمين ومعنى المقتصد هو من يتوسط في أمر الدين ولا يميل الى جانب الافراط ولا الى جانب التفريط وهذا من أهل الجنة وأما السابق فهو الذي سبق غيره في أمور الدين وهو خير الثلاثة وقد استشكل تقديم الظالم على المقتصد وتقدمهما على السابق مع كون المقتصد أفضل من الظالم لنفسه والسابق أفضل منهما فقول ان التقديم لا يقتضى التشريف كما في قوله لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ونحوها من الآيات القرآنية التي فيها تقديم أهل الشر على أهل الخير وتقديم المفضلين على الفضائل وقيل وجهد التقديم هنا ان الظالمين كثير وان المقتصدين بالنسبة الى اهل

العليم القدير) ينسبته الى على تنقل الانسان في أطوار انطلق حالا بعد حال فأصله من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغعة ثم يصير عظاما ثم تكسى العظام لحا وينفخ فيه الروح ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفا واهن القوى ثم يشب قليلا قليلا حتى يكون صغيرا ثم حدثا ثم مرأقا ثم شابا وهو القوة بعد الضعف ثم يشرع في النقص فيكهل ثم يشيخ ثم يرم وهو الضعف بعد القوة فتضعف الهمة والحركة والبطش وتشدب اللهمة وتغير الصفات الظاهرة والباطنة ولهذا قال تعالى ثم جعل من بعد قوة ضعيفا وشيبة يخلق ما يشاء أى ينعمل ما يشاء ويتصرف في عباده بما يريد وهو العليم القدير قال

المعاصي قليل والسابقين بالنسبة الى الترييقين أقل قليل فقدم الاكثر على الاقل والاول
أولى فان الكثرة بمجردھا لا تقتضى تقديم الذكر وقال ابن عطاء انما قدم الظالم لثلاث
سبب من فضله وقيل انما قدمه ليعرفه ان ذنبه لا يبعده من ربه وقيل ان اول الاحوال
معصية ثم توبة ثم استقامة وقال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا بان لا يتقرب اليه
الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطناء ثم ثنى بالمقتصد من لانهم بين الخوف والرجاء ثم
ختم بالسابقين لثلاث سبب من اولهم في الجنة وقد قيل في وجه التقديم غير ما ذكرناه
مما لا حاجة الى التطويل به وعن ابن عباس في الآية قال هم امة محمد صلى الله عليه وآله
وسلم ورثهم الله كل كتاب أنزل فظالمهم دغنور له وقد قصدهم بحساب ايسر وسابقتهم
يدخل الجنة بغير حساب وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وغيرهم ما عن أبي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في هذه الآية هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة
وكلهم يدخلون الجنة وفي اسناده رجلان مجهولان وأخرج أحمد وابن أبي حاتم والطبراني
والحاكم وغيرهم عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال
الله ثم أورثنا الكتاب الآية فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب
وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين
يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي
أذهب عنا الحزن الآية قال البيهقي اذا كثرت روايات في حديث ظهر أن للحديث
أصلا انتهى وفي اسناد أحمد محمد بن اسحق وفي اسناد ابن أبي حاتم رجل مجهول وأخرج
الطبراني وابن أبي حاتم عن عوف بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أمتي
ثلاثة ثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم
يدخلون الجنة وثلث يحصون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون
لا اله الا الله وحده فيقول الله ادخلوهم الجنة بقولهم لا اله الا الله وحده واحلوا خطاياهم
على أهل التكذيب وهي التي قال الله وليحمان أثقالهم وأثقالهم وتصديقها
في التي ذكر في الملائكة قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فجعلهم
ثلاثة اقواج فتم ظالم لنفسه فهذا الذي يكشف ويمحص ومنهم مقتصد وهو الذي يحاسب
حسابا يسيرا ومنهم سابق بالخيرات فهو الذي يبلغ الجنة بغير حساب ولا عذاب باذن الله
يدخلون الجنة جميعا قال ابن كثير بعد ذلك هذا الحديث غريب جدا انتهى وهذه
الاحاديث يتولى بعضها بعضا ويجب المصير اليها ويدفع بها قول من حمل الظالم لنفسه على
الكافرو يؤيدها ما أخرجه الطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث عن اسامة بن زيد
فتم ظالم لنفسه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم من هذه الامة
وكلهم في الجنة وما أخرجه الطيالسي وعبد بن حميد والطبراني وغيرهم عن عقبة بن
صهبان قال قلت لعائشة آرائك قول الله ثم أورثنا الكتاب الآية قالت أما السابق فن
مضى في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشهد له بالجنة وأما المقتصد فن تبع

الامام أحمد حدثنا وكيع عن
فضيل ويزيد حدثنا فضيل بن
مرزوق عن عطية العوفي قال
قرأت علي ابن عمر الله الذي خانكم
من ضعف ثم جعل من بعد ضعف
قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا فقال
الله الذي خلقكم من ضعف ثم
جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل
من بعد قوة ضعفا ثم قال قرأت علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
قرأت علي فأخذ علي كما أخذت
عليك ورواه أبو داود والترمذي
وحسنه من حديث فضيل بدورواه
أبو داود من حديث عبد الله بن
جابر عن عطية عن أبي سعيد بن جوه
(ويوم تقوم الساعة يتسم الجرمون
مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا
يؤفكون وقال الذين أتوا العلم

آثارهم فعمل عثل علمهم حتى لحق بهم وأما الظالم لنفسه فقتل ومثلك ومن اتبعنا وكل في الجنة وعن ابن مسعود قال هذه ثلاثة ثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيئون بذنوب عظام الا انهم لم يشركوا في قول الرب ادخلوا هو لا في سعة رحمتي ثم قرأ ثم أورثنا الكتاب الآية وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والبيهقي في البعث عن عمر بن الخطاب انه كان اذا هرجه هذه الآية ثم أورثنا الكتاب قال الا ان سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفول واخرج جبه البيهقي وغيره عنه من وجسه آخره فوجعا وأخرجه ابن التمار من حديث أنس مرفوعا وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه أصحاب الاعراف يدخلون الجنة بشفاعته محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخرج سعيد بن منصور وغيره عن عثمان بن عفان انه نزع به هذه الآية ثم قال الا ان سابقنا أهل جهادنا الا وان مقتصدنا أهل حضرةنا الا وان ظالمنا أهل بدونا وأخرج البيهقي في البعث عن البراء بن عازب قال أشهد على الله انه يدخلهم الجنة جميعا وأخرج الفرابي وابن جرير وابن مردويه عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية قال كلهم ناج وهي هذه الامة وأخرج الفرابي وعبد بن حميد عن ابن عباس في الآية قال هي مثل التي في الواقعة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون صنفتان ناجيان وصنف هالك وعنه قال هو الكافر والمقتصد أصحاب الميمنة وهذا المروي عنه رضى الله عنه لا يطابق ما هو الظاهر من النظم القرآني ولا يوافق ما قدمنا من الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن جماعة من الصحابة وعن عبد الله بن الحارث ان ابن عباس سأل كعبا عن هذه الآية فقال نجوا كلهم ثم قال تحاكت منا كبهم ورب الكعبة ثم اعطوا النضل بأعمالهم أخرجه ابن أبي شيبة وغيره وقد قدمنا عن ابن عباس ما يفيد ان الظالم لنفسه من الناجين فتعارضت الاقوال عنه وقوله (جنات عدن) مبتدأ وخبره (يدخلونها) والضمير يعود الى الاصناف الثلاثة فلا وجه لقصره على الصنف الاخير وقرئ جنمة بالافراد وقرئ جنات بالنصب على الاشتغال وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول (يحلون فيها) هو من حليت المرأة فهي حال وفيه اشارة الى سرعة الدخول فان في تحليتهم خارج الجنة تأخير للدخول فلما قال يحلون فيها اشار الى ان دخولهم على وجه السرعة (من أساور من ذهب) من الاولى تبعية والثانية بيانية أي يحلون ببعض أساور كائنة من ذهب والأساور جمع اسورة جمع سوار (ولؤلؤا) منصوب بالعطف على محل من أساور وقرئ بالجر عطفًا على ذهب أي هرصا بلؤلؤا ويحلون أساور ولؤلؤا وهو الاولى أخرج الترمذي والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلا قول الله جنات عدن يدخلونها الآية فقال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة لتضيء ما بين المشرق والمغرب (ولباسهم فيها حرير) لما فيه من

قوله نزع بهذه الآية هكذا في الاصل وحرر اه صححه

والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث وليكنسكم كنسكم لا تعملون في يومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعجبون) يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الاوثان وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضا فنه اقسامهم بالله انهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم وانهم لم ينظروا حتى يعذر اليهم قال الله تعالى كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث أي فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا فيقولون لهم حين يحلفون

اللذة والزينة وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى في سورة الحج (وقالوا الحمد لله الذي
أذهب عنا الحزن) بنفكتين وقرئ بضم الحاء وسكون الزاي والمعنى انهم يقولون هذه
المقالة اذا دخلوا الجنة وصيغة الماضي للدلالة على التحقق قال قتادة حزن الموت وقال
عكرمة حزن السيمات والذنوب وخوف رد الطاعات وقال ابن عباس حزن النار وقال
القاسم حزن زوال النعم وخوف العاقبة وقيل حزن أهوال يوم القيامة وقال الكلبي
ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة وقال سعيد بن جبير هم الحزن في الدنيا وقيل
هم المعيشة وقال الزجاج أذهب الله عن أهل الجنة كل الحزن ما كان منها المعاش
أو المعاد وهذا أريح الأقوال فان الدنيا وان بلغ نعمها أي مبلغ لا يتجاوز شوائب ونوائب
تكثر لاجلها الحزن وخصوصاً أهل الايمان فانهم لا يزلون وجلين من عذاب الله
خائفين من عقابه مضطربين القلوب في كل حين هل تقبل أعمالهم أو ترد حذر من عاقبة
السوء وخاتمة الشر ثم لا تزال همومهم وأحزانهم حتى يدخلوا الجنة وأما أهل العصيان
فهم وان نفس عن خنقهم قليلاً في حياة الدنيا التي هي دار الغرور وتناسوا دار القرار
يوما من دهرهم فلا بد أن يشتد وجلهم وتكظم مصيبتهم وتغلي مرآجل أحزانهم اذا اشاروا
الموت وقرى بوا من منازل الآخرة ثم اذا قبضت أرواحهم ولاح لهم ما يوءهم من جزاء
أعمالهم ازدادوا غموا وحزنا فان تفضل الله عليهم بالمغفرة وأدخلهم الجنة فقد أذهب عنهم
أحزانهم وازال غمومهم وهمومهم أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن
عباس في الآية قال هم قوم في الدنيا يخافون الله ويحبتون له في العبادة سر او علانية
وفي قلوبهم حزن من ذنوب قد سلفت منهم فهم خائفون ان لا يقبل منهم هذا الاجتهاد
من الذنوب التي سلفت فعند ما قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وروى البغوي
بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس على أهل لاله الا الله
وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لاله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم
يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (ان ربنا الغفور شكور) غفر لنا العظيم وشكر لنا
التليل من أعمالنا أو يغفر الجنايات ويقبل الطاعات وقيل غفور لمن عصاه شكور لمن
أطاعه (الذي أحلنا) أي أنزلنا (دار المقامة) أي التي يقام فيها أبداً ولا ينتقل عنها
(من فضله) أي تنفضا منه ورجة (لا يستأفها نصب) أي لا يصيبنا في الجنة عنا ولا تعب
ولامشقة (ولا يستأفها الغوب) أي اعياء من التعب وكلال من النصب ثم لما فرغ
سبحانه من ذكر جزاء عباده الصالحين ذكر جزاء عباده الظالمين فقال (والذين كفروا لهم نار
جهنم لا يلقى عليهم) بالموت (فيهم نوا) ويستريحون من العذاب قرئ فيهم نوا بالنصب
جوابا للنفي وقرئ بآثبات النون قال ابن عطية هي ضعيفة ولا وجه لهذا التضعيف بل هي
كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كلما نصبت جلودهم
بدلناهم جلوداً غيرها ليدوقوا العذاب وكلما خبت النار زيدت اسعارها وهذه الآية هي مثل
قوله سبحانه لا يموت فيها ولا يحيى (كذلك نجزي كل كفور) أي مثل ذلك الجزاء النظيف

مالبنوا غير ساعة لقد لبثتم في كتاب
الله أي كتاب الاعمال الى يوم البعث
أي من يوم خلقتم الى ان بعثتم
ولسكنكم كنتم لا تعلمون قال الله
تعالى في يومئذ أي يوم القيامة لا ينفع
الذين ظلموا معذرتهم أي اعتذارهم
عما فعلوا ولا هم يستعتبون أي
ولا هم يرجعون الى الدنيا كما قال
تعالى وان يستعتبوا فما هم من
المعتبين (ولقد ضربنا للناس في
هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتكم
بآية ليقولن الذين كفروا ان آتيتهم
الامبطلون كذلك يطبع الله على
قلوب الذين لا يعلمون فاصبرن واعد
الله حنق ولا يستخفك الذين
لا يؤقنون) يقول تعالى ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل أي
قد بينا لهم الحق ووضحنا لهم وضربنا

يجزى كل من هو مبالغ في الكفر لاجزاء أخف وأدنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول (وهم يصطرخون فيها) من الصراخ وهو الصياح أى وهم يستغيثون في النار رافعين أصواتهم والصراخ المستغيث (ربنا) أى يقولون ربنا أو قائمين ربنا وقال مقاتل انهم ينادون ربنا (آخر جنان عمل) عملا (صالحا غير الذى كان يعمل) من الشرك والمعاصي فنجعل الايمان منابدا ما تكافيه من الكفر والطاعة بدل المعصية قيل وزيادة قوله غير الذى كان يعمل للتخسر على ما علم من غير الاعمال الصالحة مع الاعتراف منهم بأن أعمالهم في الدنيا كانت غير صالحة فاجاب الله عليهم بقوله (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) الاستفهام للتوبيخ والتوبيخ والواو للعطف على متقدر كما في نظائرهم وما نكرة موصوفة أى أولم نعمركم عما يتكمن من التذكر فيه من تذكر فقبل هو ستون سنة وقيل أربعون وقيل ثمانى عشرة سنة قال الاول جماعة من الصحابة ومنهم ابن عباس والثانى الحسن ومسروق وغيرهما والثالث عطاء وقادة أخرج ابن أبى حاتم والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين وهو العمر الذى قال الله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وفى اسناده ابراهيم بن الفضل الخزومى وفيه مقال وأخرج أحمد والبخارى والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعذر الله الى امرئ آخر عمره حتى بلغ ستين سنة وعن سهل بن سعيد مرفوعا نحوه أخرجه عبد بن حميد والطبرانى والحاكم وعن على بن أبى طالب قال العمر الذى غيرهم الله به ستون سنة وأخرج الترمذى وابن ماجه والحاكم وابن المنذر والبيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعذر الله الى امرئ آخر عمره حتى بلغ ستين سنة وعن ابن عمر قال العمر الذى أعذر الله الى ابن آدم فيه بقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أربعون سنة (وجاءكم النذير) قال الواحدى قال جمهور المفسرين هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع والحسن بن الفضل والنسائى وابن جرير هو الشيب ويكون معناه على هذا القول أولم نعمركم حتى شبتم وقيل هو القرآن وقيل الحى قال الازهرى معناه ان الحى رسول الموت أى كأنه اتشعر بقدمه وتندثر بجيشه والشيب نذير أيضا لانه يأتي فى سن الاكتهال وهو علامة لفارقة سن الصبا الذى هو سن الله واللعب وقيل هو موت الاهل والاقارب وقيل هو كمال العقل وقيل البلوغ (فذوقوا لظالمين من نصير) الفاء لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومحى النذير وفى قوله التعليل أى فذوقوا عذاب جهنم لانكم لم تعتبروا ولم تتعظوا وانما لكم ناصر يمنعكم من عذاب الله ويحول بينكم وبينه قال مقاتل فذوقوا لظالمين من مانع يمنعهم (ان الله عالم غيب السموات والارض) قرأ الجمهور بالاضافة وقرئ بالتنوين

لهم فيه الامثال ليستبينوا الحق ويتبعوه ولئن جهنم باية ليقولان الذين كفروا ان انتم الا مبطلون أى لوراوا أى آية كانت سواء كانت باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها ويعتقدون انها سحر وباطل كما قالوا فى انشقاق القمر ونحوه كما قال تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم ولهذا قال ههنا كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق أى اصبر على مخالفتهم وعنادهم فان الله تعالى منجز لك ما وعدهك من نصره اياك عليهم وجعله العاقبة لك ولن اقبلك

ونصب غيب والمعنى انه عالم بكل شئ ومن ذلك أعمالكم لا تخفى عليه منها خافية فلوردم
 الى الدنيا لم تعملوا صالحا كما قال ولورددوا العاد والماسنم وواعنه (انه عليهم بذات الصدور)
 تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرة الصدور وهي أخفى من كل شئ علم ما فوقها بالاولى
 وقيل هذه الجملة مفسرة للجملة الاولى وذات تأنيث ذو معنى صاحب أى بالامور
 صاحبة الصدور ومصاحبة الهامن حيث اختباؤها فيها (هو الذى جعلكم خلائف
 فى الارض) جمع خليفة ويقال للمختلف خليفة وخليف ويجمع الاول على خلائف
 والثانى على خلفاء أى جعلكم أمة طائفة لمن قبلها قال قتادة خلفنا بعد خالف وقرنا بعد
 قرن والخلف هو التالى للمتقدم وقيل جعلكم خلفاء فى أرضه (فمن كفر) منكم هذه
 النعمة (فعلية كفره) أى عليه ضرر كفره لا يتعداه الى غيره (ولا يزيد الكافرين
 كفرهم عند ربهم الامتتا) أى غضبوا وبغضا (ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا)
 أى نقصا وهلاكاً والمعنى ان الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيدهم الا المقت ولا
 ينفعهم فى أنفسهم حيث لا يزيدهم الا خسارا والتكرير لزيادة التقدير والتنبيه على ان
 اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهاتين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة
 ثم أمره سبحانه ان يؤنبهم ويبكثهم فقال (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون) أى
 اخبرونى عن الشركاء الذين اتحدتوهم آلهة وعبدتوهم (من دون الله) أى غيره وهم
 الاصنام وغيرها (أرونى ماذا خلقوا من الارض) بدل اشتغال من أرأيتم والمعنى
 اخبرونى عن شركاءكم أرونى أى شئ خلقوا من الارض وقيل ان الفعلين وهما أرأيتم
 وأرونى من باب التنازع وقد عمل الشائى على ما هو اختيار البصريين (أم لهم شركاء
 فى السموات) أى أم لهم شركاء مع الله فى خلقها أو ملكها أو التصرف فيها حتى يستحقوا
 بذلك الشراكة فى الالهية (أم اتناهم) الضمير فيه وفى قوله لهم الاحسن ان يعود
 الى اشركاء التناسق الضمائر وقيل يعود على المشركين فيكون التناثان من الخطاب الى
 الغيبة أى أم أنزلنا عليهم (كتابا) بالشركة وأم فى الموضوعين منقطعة بمعنى بل والهزة
 فيكون قد أضر ب عن الاستفهام الاول وشرع فى استفهام آخر والاستفهام انكارى
 (فهم على بينة منه) أى على حجة ظاهرة واضحة من ذلك الكتاب قرئ بينة بالتوحيد وبالجمع
 قال مقاتل يقول هل أعطينا كفار مكة كتابا فهم على بيان منه بان مع الله شريكاً ثم أضر ب
 سبحانه عن هذا الى غيره فقال (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغروا) أى ما بعد
 الظالمون بعضهم بعضا كما يفعل الرؤساء والقادة من المواعيد لا يتابعهم الاغروا يغرونهم
 به وينونون لهم وهو الاباطيل التى تغر ولا حقيقة لها وذلك قولهم ان هذه الآلهة تنفعهم
 وتقر بهم الى الله وتشفع لهم عنده وقيل ان الشياطين تعد المشركين بذلك وقيل المراد
 بالوعد الذى يعد بعضهم بعضا هو أنهم ينصرون على المسلمين ويغلبونهم (ان الله يمسك
 السموات والارض أن تزولا) أى يمنعهم ما من الزوال قاله الزجاج أو كراهة ان تزولا

فى الدنيا والاخرة ولا يستخفونك
 الذين لا يؤفون أى بل اثبت على
 ما بعثك الله به فانه الحق الذى
 لا هرة فيه ولا تعدل عنه و ليس
 فيما سواه هدى يتبع بل الحق كله
 منصرف فيه قال سعيد عن قتادة
 نادى رجل من الخوارج علمارى
 الله عنه وهو فى صلاة الغداة فقال
 ولقد أوحى اليك والى الذين من
 قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك
 ولتكونن من الخاسرين فأنصت له
 على حتى فهم ما قال فاجابه وهو فى
 الصلاة فاصبر ان وعد الله حق ولا
 يستخفونك الذين لا يؤفون رواه
 ابن جرير وابن أبي حاتم وقدرواه
 ابن جرير من وجه آخر فقال حدثنا

وقيل للثلاث ولا والجملة مستأنفة لبيان قدرة الله سبحانه وبديع صنعه بعد بيان ضعف
الاصنام وعدم قدرتها على شئ وقيل المعنى ان شركهم يقتضى زوال السموات والارض
كقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً أن يدعو للرجن
ولداوعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر قال وقع
في قلب موسى هل ينام الله عز وجل فأرسل الله اليه ملكاً فأقرقه ثلاثاً وأعطاه قارورتين
في كل يد قارورة وأمره ان يحتفظ بهما فجعل ينام وتكاد يداه تلقيان ثم يستيقظ فيحسب
أحدهما على الأخرى حتى نام نومة فاصطفقت يده وانكسرت القارورتان قال ضرب
الله له مثلاً ان الله تبارك وتعالى لو كان ينام لم تستمسك السماء والارض أخرجه أبو يعلى
وابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني والبيهقي في الاسماء والصفات وغيرهم وروى من
طرق عن ابن سلام وابن أبي بردة (ولئن زالتان أمسكهما من أحد من بعده) أى
مأ أمسكهما أحد من بعدهما كما أو من بعد زوالهما والجملة سادة مسد جواب القسم
والشرط ومن الأولى زائدة والثانية ابتدائية قال الفراء أى ولو زالتا أمسكهما من أحد
قال وهو مثل قوله ولئن أرسلنا ريحاً فارتأتنا بالظلال من بعده يكفرون وقيل المراد
زوالهما يوم القيامة (انه كان حليماً غفوراً) تعليل لما قبله من امساكته تعالى السموات
والارض (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير لآيكونن أهدي من احدى الامم)
المراد قریش اقساموا قبل ان يبعث الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم بهذا القسم حين
بلغهم ان أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل
فكذبوهم وأقسموا بالله لوجاءنا نذير لنكونن أهدي ديننا منهم فلما بعث محمد صلى الله
عليه وآله وسلم كذبوه فأنزل الله هذه الآية والمعنى من احدى الامم المكذبة للرسل
والنذير النبي والهدى الاستقامة وكانت تتحقق ان يكون منهم رسول كما كان الرسل
في بني اسرائيل وأنت احدى لكون أمة مؤمنة كما قال الاخفش وقيل المعنى من احدى
الامم على العموم وقيل من الامة التى يقال لها احدى الامم نفضيلاً لها (فلما جاءهم نذير)
أى ماتتوه وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى هو أشرف نذير وأكرم رسول
وكان من أنفسهم (ما زادهم) مجيئه (الانفورا) منهم عنه وتباعدا عن اجابته (استبكاراً
في الارض) أى لاجل الاستبكار والعتو وبديل من نفوراً وحال قاله الاخفش وهذا
جواب لما وفيه دليل على انها حرف لا ظرف اذ لا يعمل ما بعد ما النافية فيما قبلها
وتقدمت له نظائر واسناد الزيادة الى النذير مجاز لانه سبب في ذلك كقوله فزادتهم رجساً
الى رجسهم (ومكر السيئ) أى ولاجل مكر العمل السيئ أو مكر والمكر السيئ والمكر
هو الحيلة والخداع والعمل التبجح وأضيف الى صفة كقولهم مسجد الجامع وصلاة
الأولى قرأ الجمهور ومكر السيئ بخفض همزة السيئ وقرأ الاعمش وحزبه يسكونها وصلوا وقد
غلط كثير من النحاة هذه القراءة ونزهوا الاعمش على جلالته ان يقرأها قالوا وانما كان

وكيع حدثنا يحيى بن آدم عن شريك
عن عثمان عن أبي زرعة عن عني
ابن ربيعة قال نادى رجل من
الخوارج عليارضى الله عنه وهو في
صلاة الفجر فقال ولقد أوحى اليك
والى الذين من قبلك لئن أشركت
ليحبطن عملك ولتكنن من
الخاسرين فاجابه على رضى الله عنه
وهو في الصلاة فاصبر ان وعد الله
حق ولا يستخفن الذين لا يوقنون
طريق أخرى قال ابن أبي حاتم حدثنا
أبي حدثنا على بن الجعد أخبرنا
شريك عن عمران بن طيبان عن
أبي يحيى قال صلى على بن أبي طالب
رضى الله عنه صلاة الفجر فناداه
رجل من الخوارج لئن أشركت
ليحبطن عملك ولتكنن من

يقف بالسكون فغلط من روى عنه انه كان يقرأ بالسكون وصلوا بوجيه هذه القراءة
 تمكن بان من قرأهم الجرى الوصل مجرى الوقف ومثله قراءة من قرأ ما يشعرم بسكون
 الراء ومثله ذلك قراءة أي عمرو الى بارئكم بسكون الهمزة وغير ذلك كثير قال أبو علي
 الفارسي هذا على اجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ ابن مسعود ومكراسياً (ولا يحق
 المكراسي الاياه) أي لا تنزل عاقبة السوء الا بمن أساء قال الكلبي يحق معني يحيط
 والحق الاحاطة يقال حاط به كذا أي أحاط به وهذا هو الظاهر من معني يحق في لغة
 العرب وليكن قطرب فسرهما ينزل (فهل ينظرون) أي ما ينتظرون (الاسنة
 الاولين) أي سنة الله فيهم بان ينزل بهؤلاء العذاب كما نزل بأولئك (فلن تجد لسنة الله
 تبديلاً) أي لا يقدر أحد أن يبدل سنة الله التي سنهنا بالامم المكذبة من انزال عذابه
 بهم بان يضع موضعه غير به لا عنه والفاء لتعليل ما ينفي هذه الحكيم بانظارهم العذاب
 (ولن تجد لسنة الله تحويلاً) بان يحول أحد ما جرت به سنة الله من العذاب فيدفعه
 عنهم ويضعه على غيرهم ونفي وجدان التبدل والتحويل كناية عن نفي وجودهما بالطريق
 البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستعمل لئلا يكيد اتفانها (أولم يسير وافي الارض
 فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) هذه الجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وتأكيد
 أي لم يسير وافي أرض الشام واليمن والعراق فينظروا ما أنزلنا بعد وعودهم دين
 وأمثالهم من العذاب لما كذبوا الرسل فان ذلك هو من سنة الله في المكذبين التي لا تبدل
 ولا تحول وأنار عذابهم وما أنزل الله بهم موجودة في مساكنهم ظاهرة في منازلهم
 والهمزة للذكاء والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام (وكأنوا) أي والحال
 انهم كانوا (أشد منهم قوة) وأطول أعماراً وأكثر أموالاً وأقوى أيداً انما نفعهم طول
 المدى وما أغنت عنهم شدة القوة (وما كان الله ليجزمهم من شيء الا بما يشاء ولا في الارض)
 أي ما كان ليسبقه ويقوته شيء من الاشياء كما نأما كان فيهما وهذا تقرير لما فيهم مما
 قبله من استئصال الامم السابقة (انه كان عليهما قديراً) أي كثير العلم كثير القدرة لا يخفى
 عليه شيء ولا يصعب عليه أمر وهذا لتعليل لذلك التقرير (ولو يؤاخذ الله الناس بما
 كسبوا) من الذنوب والعيوب والخطايا (ما ترك على ظهرها) أي الارض (من دابة)
 من الدواب التي تدب كآفة ما كانت أما بنو آدم فلذنوبهم وأما غيرهم فمشؤم معاصي بني
 آدم وقيل المراد ما ترك على ظهر الارض من دابة تدب من بني آدم والجن وقال بالاول
 ابن مسعود وقتادة وقال بالثاني الكلبي وقال ابن جرير والاحنف والحسين بن الفضل
 أراد بالدابة هنا الناس وحدهم دون غيرهم أخرج القرطبي وغيره عن ابن مسعود قال
 انه كاد يجعل ليعذب في حجره بذب ابن آدم ثم قرأ هذه الآية قيل وجه الملامة بين
 الشرط والجزاء انه تعالى اذا كان يؤاخذ الناس بما كسبوا كان ينقطع عنهم النعم التي
 من جعلها المطر فاذا انقطع عنهم المطر انقطع النبات فيموت جميع الحيوانات فهذا كناية
 أريد بها الملزوم وقوله على ظهرها فيه استعارة مكنية قال قتادة وقد فعل ذلك في زمن

الخصاس من فأجابه على رضى الله
 عنه وهو في الصلاة فاصبر وان وعد
 الله حق ولا يستخفك الذين
 لا يؤقنون * (ماروى في فضل هذه
 السورة الشريفة واستجاب قراءتها
 في الفجر) * قال الامام أحمد حدثنا
 محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد
 الملك بن عمير سمعت شيبان أبا روح
 يحدث عن رجل من أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح
 فقرأ فيهم الروم فاوهم فلما انصرف
 قال انه يابس علينا القرآن فان
 أقواماً منكم يصلون معنا
 لا يحسنون الوضوء فنشهد منكم
 الصلاة معنا فيحسن الوضوء وهذا

نوح وقال يحيى بن سلام يحبس الله المطرف فيهلك كل شيء ولكن يؤخرهم الى أجل
مسمى) وهو يوم القيامة (فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده

بصيرا) أي بمن يستحق منهم الثواب ومن يستحق

منهم العقاب وفي هذا تسلية للمؤمنين

ووعيد للكافرين والعامل

في اذاهو جاء

لابصيرا

* (تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن أوله سورة يس) *

اسناد حسن ومتن حسن وفيه سر
عجيب ونبا غريب وهو أنه صلى الله
عليه وسلم تأثر بنقصان وضوءه من
انتميه فبدل ذلك على ان صلاة
الماء، وممتعلقة بصلاة الامام

آخر تفسير سورة الروم

ولله الحمد

والمنة

ومما قيل في تقرير هذا التفسير الجليل حسن الشكل عديم المثل ما أنشأه علامة زمانه ونابغة آفة الهمام الأكل الملاذ الأفضل مديد الباع رحب الذراع بديع الاختراع حسن البديهة بلادفاع الذي قطع في حلبة البيان كل مجارى الاستاذ الشيخ محمد بن أحمد بن عبد البارى فقال

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الرحمن الرحيم علم القرآن خلق الانسان علمه البيان نحمده على توفيقه للاشغال بعلوم الحكمة والتأويل ونستمد منه الهداية للعالم الآتار وأنوار التنزيل ونشهد أن لا اله الا الله شهادة تنال بهادرج الجنان ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بروح الحق وجامع البيان صلى الله وسلم عليه وعلى آله السادة الأئمة وعلى أصحابه جله السنة وهداة الامة ﴿وبعد﴾ فقد وقفت على التفسير المسمى بفتح البيان في مقاصد القرآن لمولانا وسيدنا الامام العلامة القدوة المحقق النهامة الحافظ الشهير المحجة الناسك الداعي الناس الى المحجة سلطان العلماء العاملين وبقية السلف الصالحين السيد الجليل والعالم الفاضل النبيل صديق بن حسن بن على التنوحي الذي مازال في نشر المعلوم يروح ويحيى فرأيته تفسيرا جامع المآثر في غيره من الفوائد وفائق المآخذ لكثرة ما حواه من الشوارد والزوائد مشتق على صحيح التفسير المأخوذ من مقبول الاثر طاويا ما في غيره من المطولات قد انتشر لا يستلذبه الامن حوى الكالين ولا يشهد بفضله الامن مشى طريقة الجلالين ولا يعرف انه سليم من زائف النقود الامن له خبرة بتفسير الزمخشري والبيضاوى وأبي السعود ولا يدري انه أخذ اللباب وطرح التشور الامن طالع ابن كثير وابن جرير والقرطبي والبغوى والدر المنثور والله انه لكاتب كريم يجعل عن الصفة وتفسير عظيم طوي لمن حصله وعرفه فن أراد تفسير كتاب الله رواية ودراية أو طالب ان يستفيد بانوار التنزيل توفيقا وهداية فعليه بالاشتغال بهذا التفسير الجليل وليعكف عليه فانه كافل بما يغيبه من اعراب وقراءة وتفسير وتأويل لاني تأملتـه تأمل ناقد بصير فرأيتـه آية باهرة ولا ينبئك مثل خبير

دررأضات في لحن صحائف * كالكوكب الدررى في اضوائه
فكانها منشورة بطروسها * نجم قضى سماؤه بسنائه
وكانها في يدي غواصها * نور اليد البيضا وحسن ثنائه
لله غواص أتي بهـ واثـد * يستوجب الإعلاء على نظرائه

فأدم اللهم على مؤانته النعمة وادفع اللهم عنه البلاء والنقمة وأفض على قلبه أنوار

المعارف وانفع عما بدأه في تفسيره هذا من الفوائد واللطائف فلتدأ حيا به ما تدرس
 من تفاسير الأئمة الفحول وجاء بهامعزوة الى الصحاح والاصول
 لم يغادر مما يعول عليه في فن التفسير شيئاً الا بداه
 فعافاه الله ورعاه وأطال عمره في
 طاعته ورضاه

آمين

وحرر في السابع والعشرين من شهر صفر سنة اثنتين وتسعين بعد الالف ومائتين
 كتبه محمد بن أحمد

ابن عبد الماري

انتهى بالفظه

* (فهرسة الجزء الثامن من تفسير ابن كثير) * * (فهرسة الجزء الثامن من تفسير فتح البيان) *

صحيفة	صحيفة
٢ تفسير سورة لقمان	٢ سورة يس
٢٦ تفسير سورة السجدة	٤١ سورة الصافات
٤٠ تفسير سورة الاحزاب	٨٩ سورة ص
١٤٤ تفسير سورة سبأ	١٣٢ سورة الزمر
١٨٠ تفسير سورة فاطر	١٨٢ سورة غافر
٢٠٨ تفسير سورة يس	٢٢٠ سورة حم السجدة
٢٤٢ تفسير سورة الصافات	٢٥٢ سورة الشورى
٢٨٢ تفسير سورة ص	٢٨٧ سورة الزخرف
	٣١٩ سورة الدخان
	٣٣٢ سورة الجاثية
	٣٤٢ سورة الاحقاف

(تمت)

(تمت)

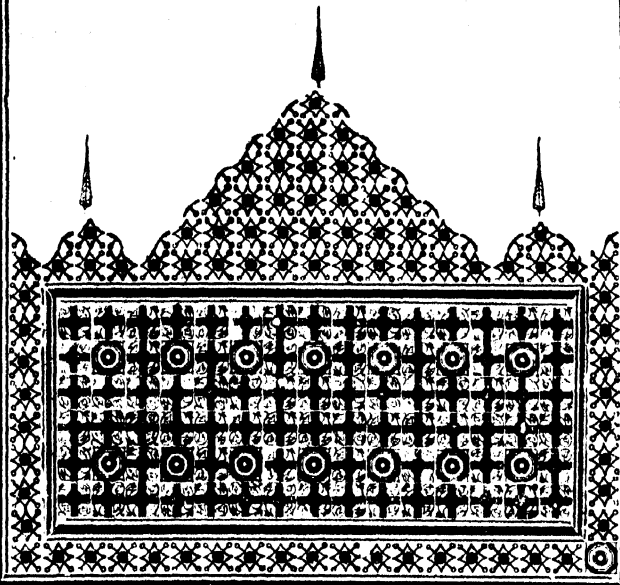
(الجزء الثامن)
من التفسير المسمى فتح البيان
في مقاصد القرآن للسيد الامام المجتهد المحقق
الهمام المؤيد من مولاة القدير الباري أبي الطيب
صديق بن حسن القنوجي البخاري ملك
مدينة بهوبال حالاً بالقطار الهندية
لا زالت كواكب فضله
في الآفاق زاخرة
مضيه آمين

وبها مشهده تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسمعيل بن عمر بن
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبعمائة وعشر المتوفى سنة سبعمائة وأربعة وسبعين
وهذا التفسير جميل فسر بالاحاديث والآثار مستندة من أصحابها مع
الكلام على ما يحتاج اليه جرحاً وتعديلاً ٥١ من كشف الظنون

—————
* (الطبعة الاولى) *
(بالمطبعة الكبرى الميرية بيولا قمصر الحمية)
سنة ١٣٠١ هجرية

* (تفسير سورة لقمان وهي مكية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى
ورحمة للمحسنين الذين يقيمون
الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة
هم يوقنون أولئك على هدى من
ربهم وأولئك هم المفلحون) تقدم
في أول سورة البقرة عامة الكلام
على ما يتعلق بصدر هذه السورة
وهو أنه سبحانه وتعالى جعل هذا
القرآن هدى وشفاء ورحمة
للمحسنين وهم الذين أحسنوا
العمل في اتباع الشريعة فأقاموا
الصلاة المفروضة بحمد ودها
وأوقاتها وما يتبعها من نوافل
راتبه وغير راتبه وآتوا الزكاة
المفروضة عليهم إلى مستحقها
ووصلوا أرحمهم وقراباتهم وأيقنوا
بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا
إلى الله في ثواب ذلك لم يرأوا به ولا
أرادوا جزاء من الناس ولا شكورا
فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين
قال الله تعالى أولئك على هدى
من ربهم وأولئك هم المفلحون
أي بصيرة وبينة ومنهج واضح جلي
وأولئك هم المفلحون أي في الدنيا
والآخرة (ومن الناس من
يشترى لهو الحديث ليضل عن
سبيل الله بغير علم ويتخذها هزا
أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى
عليه آياتناولى مستكبرا كأن لم
يسمعهما كأن في آذنيه وقرا فنبشره
بعذاب أليم) لماذا ذكر تعالى حال



بسم الله الرحمن الرحيم
* (سورة يس هي ثلاث أو ثنتان وثمانون آية) *

والاول أولى وهي مكية قال القرطبي بالاجماع الا ان فرقة قالت ونكتب ما قدموا
وأثارهم نزلت في بني سلمة من الانصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيأتي بيان ذلك وعن ابن عباس قال نزلت
بمكة وعن عائشة مثله وأخرج الدارمي والترمذي ومحمد بن نصر والبيهقي في الشعب عن
أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من
قرأ يس كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات قال الترمذي هذا حديث غريب
لانعرفه الا من حديث حميد بن عبد الرحمن وفي اسناده هرون أبو محمد وهو شيخ مجهول
وفي الباب عن أبي بكر ولا يصح لضعف اسناده وأخرج الدارمي وأبو يعلى والطبراني
والبيهقي وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ يس في ليلة
استغما وجه الله غفر له في تلك الليلة قال ابن كثير اسناده جيد وأخرج احمد وأبو داود
والنسائي وابن ماجه والطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي عن معقل بن يسار أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يس قلب القرآن لا يقرؤها عبد يد الله والدار الآخرة
الا غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرؤها على موتاكم وقد ذكره أحمد له سنادين أحدهما فيه
مجهول والآخر ذكر فيه عن أبي عثمان وقال ليس بالهندي عن ابيه عن معقل وأخرج

السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه كما قال تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مماثلي تقشعرت منه جلود الذين يحشون ربه ثم تلتن جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الآية عطف بذكر حال الاشقياء الذين أعرضوا عن الاتقاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع المزامير والغناء اللطان وآلات الطرب كما قال ابن مسعود في قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال هو والله الغناء روى ابن جرير حدثني يونس اخبرنا ابن وهب اخبرني يزيد عن يونس عن أبي صخر عن أبي معاوية الجبلي عن سعيد بن جبير عن أبي الصم بيا (٣) البكري انه سمع عبد الله بن مسعود وهو يستل

عن هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله فقال عبد الله بن مسعود الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات حدثنا ع-روبن على حدثنا صفوان بن عيسى اخبرنا جند الخراط عن عمار عن سعيد بن جبير عن أبي الصم بيا انه سأل ابن مسعود عن قول الله ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال الغناء وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول وعروبن شعيب وعلي بن بديعة وقال الحسن البصري نزلت هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم في الغناء والمزامير وقال قتادة قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم والله لعله لا ينتق فيه مالا ولكن شراؤه استجاب به بحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق وما يضر على ما ينفع وقيل اراد بقوله يشتري لهو الحديث اشتراه

الطبراني وابن مردويه قال السيموطي بسند ضعيف عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من داوم على قراءة يس كل ليلة تم مات شهيدا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس) قرأ الجمهور بسكون النون وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ووجزة وحقق وقالون وورش بادغام النون في الواو التي بعدها وقرئ بفتح النون وبكسرهما فافتح على البناء أو على انه مفعول فعمل مقدر تقديره اتل يس والكسر على البناء أيضا كجبر وقيل النسخ والكسر للترامن التقاء الساكنين وأما وجه قراءة الجمهور فلكونها مسرودة على عطف التعديد فلاحظ لها من الاعراب وقرئ بضم النون على البناء كندوحيت وقط وقيل على انها خبر مبتدأ محذوف أي هذه يس ومنعت من الصرف للعلمية والتأنيث واختلف في معنى هذه اللفظة فقيل معناها يا رجل أو يا انسان قال ابن الانباري الوقف على يس حسن ان قال هو افتتاح السورة ومن قال معناها يا رجل لم يقف عليه وقال سعيد بن جبير وغيره هو اسم من أسماء محمد صلى الله عليه وآله وسلم دليله انك لمن المرسلين ومنه قوله تعالى سلام على آل ياسين أي آل محمد ومنه قول الشاعر

يا نفس لا تمضي بالصبح جاحدة * على المودة الا آل ياسينا

وسأقي في الصفات ما المراد بالياسين قال الواحدى قال ابن عباس والمفسرون يريد بالانسان يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال أبو بكر الوراق معناها يا سيد البشر وقال مالك هو اسم من أسماء الله تعالى روى ذلك عنه أشهب وحكى أبو عبد الرحمن السلمى عن جعفر الصادق ان معناها ياسيد وقال كعب هو قسم أقسم الله به وريح الزجاج ان معناها يا محمد واختلفوا هل هو عربى أو غير عربى فقال سعيد بن جبير وعكرمة حبشى وقال الكلبي سريانى تكلمت به العرب فصارت لغتهم وقال الشعبي هو بلغة طى وقال الحسن هو بلغة كلب وقد تقدم في طه وفي مفتتح سورة البقرة ما يغنى عن التطويل ههنا والاولى أن يقال الله أعلم بمراده (والقرآن الحكيم) بالجر على انه مقسم به ابتداء وقيل هو معطوف على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار القسم قال النقاش لم يقسم الله لاحد من أنبيائه بالرسل في كتابه الا ل محمد صلى الله عليه وآله وسلم تعظيمه له وتعجيبا والحكيم الحكيم الذى لا يتناقض ولا يتخالف والحكيم قائله أودى الحكمة أولانه دليل

المغنيات من الجوارى قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن اسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن خلاد الصغار عن عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلبع المغنيات ولا شراؤهن وأكل آثمانهن حرام وفيهن أنزل الله عز وجل على ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وهكذا رواه الترمذى وابن جرير من حديث عبيد الله بن زحر بضمه ثم قال الترمذى هذا حديث غريب وضعف علي بن يزيد المذکور قلت على وشيخه والروى عنه كلهم ضعفاء والله اعلم وقال الخليل في قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال يعنى الشرك وبه قال

قوله قرأ الجمهور بسكون النون لم يقرأ الجمهور بالسكون وإنما القراءة عنهم بادغامها في الواو وقوله وقرأ ابن كثير الخ بادغام النون القراءة عنهم باظهارها من الواو كما لا يخفى اه معصمه

عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختار ابن جرير أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله وقوله ليضل عن سبيل الله أي انما يصنع هذا للتخالف للاسلام وأهله وعلى قراءة فتح الباء تكون اللام لام العاقبة أو تعديلاً للامر القدرى أي قيصوا لذلك ليكونوا كذلك وقوله تعالى ويتخذها زوا قال مجاهدو يتخذ سبيل الله هزوا ويستنزى بها وقال قتادة يعني ويتخذ آيات الله هزوا وقول مجاهد أولى وقوله أولئك لهم عذاب مهين أي كما استهانوا بآيات الله وسبيله أي هينوا يوم القيامة في العذاب الدائم المستمر ثم قال تعالى واذتلى عليه آياتنا ترى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن (٤) في آذنيه وقرأ أي هذا المقبل على الله والعب والطرب اذا تلبت عليه

الآيات القرآنية وتولى عنها وأعرض وأدبر أي وتصام ومابه صمم كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها اذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها فبشره بعذاب أليم أي يوم القيامة يؤلمه كما نالم بسماع كتاب الله وآياته (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقاً وهو العزيز الحكيم) هذا ذكر مال الأبرار من السعداء في الدار الآخرة الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعملوا الاعمال الصالحة التابعة للشريعة لهم جنات النعيم أي يتعمون فيها بأنواع المسالذ والمسار من المساكل والمشارب والملابس والمسكن والمراكب والنساء والنضرة والسماع الذي لم يخترى بال أحد وهم في ذلك مقبون دائماً فيها لا ينظنون ولا يبيغون عنها حولاً وقوله تعالى وعد الله حقاً أي هذا كائن لا محالة لانه من وعد الله والله لا يخلف الميعاد لانه الكريم المنان الفعال لما يشاء الصادر على كل شئ وهو العزيز الذي قد قهر كل شئ ودان له كل شئ الحكيم في أقواله وأفعاله

ناطق بالحكمة بطريق الاستعارة أو متصف والمتصف بها على الاسناد المجازي وجواب القسم (انك لمن المرسلين) الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة وهذا رد على من أنكسر رسالته من الكفار بقوله لهم لست مرسلوا وقوله (على صراط مستقيم) خبر آخر لان أي انك على الطريق القيم الموصل الى المطلوب قال الزجاج على طريقة الانبياء الذين تقدموا ويجوز أن يكون في محل نصب على الخيال (تنزيل العزيز الرحيم) قرأ نافع وغيره برفع تنزيل على انه خبر مبتدأ محذوف أي هو تنزيل ويجوز أن يكون خبراً لقوله يس ان جعل اسمها للسورة وقرئ بالنصب على المصدرية أي نزل الله ذلك تنزيل العزيز والمعنى أن القرآن تنزيل العزيز الرحيم وقيل المعنى انك يا محمد تنزيل العزيز والاول أولى وقيل هو منصوب على المدح على قراءة النصب وعبر سبحانه عن المنزل بالمصدر مبالغة حتى كأنه نفس التنزيل وقرئ بالجر على النعت للقرآن أو البديل منه واللام في قوله (لتنذر) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفعل مضمير يدل عليه لمن المرسلين أي أرسلناك لتنذر (قوما) أي العرب وغيرهم (ما أنذر) ما هي النافية أي لم تنذر (آبؤهم) ويجوز أن تكون ما موصولة أو موصوفة أي لتنذر قوما الذي أنذر آبؤهم أو لتنذرهم عذاباً أنذره آبؤهم أو مصدرية أي انذار آباءهم وعلى القول بانها نافية المعنى ما أنذر آبؤهم برسول من أنفسهم ويجوز أن يراد ما أنذر آبؤهم الاقربون لتطول مدة الفترة والافاء آبؤهم الا بعدون قد أنذروا باسمعيل وبعيسى ومن قبلهما (فهم غافلون) أي فهم بسبب ذلك غافلون أو فهم غافلون عما أنذرت آباءهم قال أبو السعود الضمير للفرقيين أي فهم جميعاً غافلون وقد ذهب أكثر أهل التفسير الى ان المعنى على النفي وهو الظاهر من النظم القرآني لترتيب فهم غافلون على ما قبله (لقد حق) اللام هي الموطئة للقسم أي والله لقد ثبت وتحقق ووجب القول أي الحكم والقضاء الا ترى أو العذاب (على أكثرهم) أي أكثر أهل مكة أو أكثر الكفار على الاطلاق أو أكثر كفار العرب وهم من مات على الكفر وأصر عليه طول حياته فافتقر ع قوله (فهم لا يؤمنون) على ما قبله بهذا الاعتبار أي لان الله سبحانه قد علم منهم الاصرار على ما هم فيه من الكفر والموت عامه وقيل المراد بالقول المذكور هنا قوله سبحانه فالحق والحق أقول مني لا ملأ جهم منك ومن تبعك وقيل نزلت هذه الآية في أبي جهل وصاحبه الخزوميين وجملة (اناجع لنا في اعناقهم اغلالاً) تقرير لما قبلها من مثل حالهم

الذي جعل القرآن هدى للمؤمنين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو بحال

عليهم عى الآية وقوله وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسار (خلق السموات بغير عمد ترونها وأتق في الارض رواسي أن تعبد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبثنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين) بين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والارض وما فيها وما بينهما فقال تعالى خلق السموات بغير عمد قال الحسن وقيادة ليس لها عمد مرتبة ولا غير مرتبة وقال ابن عباس وعكرمة

رجاهلها عمداً لترونها وقد تقدم تقرير هذه المسئلة في أول سورة الرعد بما أغنى عن آعادته وألقى في الأرض رواسى يعنى الجبال
أرست الأرض وثقلتها التلاضطرب باهلها على وجه الماء وله سداً قال ان تمسد بكم اى اثلا عميد بكم وقوله تعالى وبث فيها من كل
دابة اى وذراً فيها من اصناف الحيوانات مما لا يعلم عدداً شكلها وألوانها الا الذى خلقها ولما قرئ سبحانه انه الخالق نبه على انه
الرازق بقوله وأرزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم اى من كل زوج من النبات كريم اى حسن المنظر وقال الشعبي
والناس أيضاً من نبات الأرض فن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار (٥) فهو لئيم وقوله تعالى هذا خلق الله اى هذا
الذى ذكره تعالى من خلق السموات

بجال الذين غلت أعناقهم (فهى) اى الاغلال منتهية (الى الاذقان) جمع ذقن وهو
أسفل اللعين لان الغل يجمع اليد الى العنق فلا يقدرون عند ذلك على الالتفات ولا
يتكئون من عطفها لان طوق الغل الذى فى عنق المغلول يكون فى ملتقى طرفيه تحت
الذقن حلقة فيها رأس العمود خارجاً من الحلقة الى الذقن فلا يجلبه بطاطى رأسه فلا
يرال مقمعا وهو معنى قوله (فهم مقمعون) اى رافعون رؤسهم غاضون أبصارهم
قال الفراء والزجاج المقمع الغاض بصره بعد رفع رأسه ومعنى الاقحاح رفع الرأس وغض
البصر يقال أقمح البعير رأسه وقح اذا رفع رأسه ولم يشرب الماء قال الأزهرى أراد الله ان
أيديهم لما غلت عند أعناقهم رفعت الاغلال الى أذقانتهم ورؤسهم صعداء فهم مرفوعو
الرؤس برفع الاغلال اياها وقال قتادة معنى مقمعون مغلولون والاول أولى وقال أبو
عبيدة قح البعير اذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب وعنه أيضاً هو مثل ضربه الله لهم
فى امتناعهم عن الهدى كما تمنع المغلول كما يقال فلان جارأى لا يبصر الهدى قال الفراء
هذا ضرب مثل اى حبسناهم عن الاتفاق فى سبيل الله وهو كقوله ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك وبه قال الضحاك وقيل الآية اشارة الى ما يفعل يقوم فى النار من وضع الاغلال
فى أعناقهم كما قال تعالى اذا لاغلال فى أعناقهم وقرأ ابن عباس انا جعلنا فى أيديهم
أغلالاً قال الزجاج اى فى أيديهم قال النحاس وهذه القراءة نفسى يروى لا يقرأ بما خالف
المصحف قال وفى الكلام حذف على قراءة الجماعة اى انا جعلنا فى أعناقهم وفى أيديهم
أغلالاً فهى الى الاذقان فلانظ هي كناية عن الأيدي لاعن الاتفاق والعرب تحذف مثل
هذا ونظيره سراييل تقيمكم الحرأى وسراييل تقيمكم البرد لان ما وقى من الحر وقى من البرد
لان الغل اذا كان فى العنق فلا بد أن يكون فى اليد ولا سيما وقد قال الله فهى الى الاذقان
فقد علم انه يراد به الأيدي فهم مقمعون اى رافعون رؤسهم لا يستطيعون الاطو وسلبين
من غلت يدها الى ذقنه ارتفع رأسه وروى عن ابن عباس انه قرأ انا جعلنا فى أيديهم
أغلالاً وعن ابن مسعود انه قرأ انا جعلنا فى أيديهم أغلالاً كما روى سابقاً عن ابن عباس
وعنه قال الاغلال ما بين الصدر الى الذقن فهم مقمعون كما تنمخ الدابة بالجام (وجعلنا
من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً) أى منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون
الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب أمامه وخلفه بالاسداد والسد بضم السين

والأرض وما بينهما مصادر عن فعل
الله وخلقته وتقديره وحده لا شريك
له فى ذلك ولهذا قال تعالى فأرونى
ماذا خلق الذين من دونه اى مما
تعبدون وتدعون من الاصنام
والانداد بل الظالمون يعنى المشركين
بالله العابدين معه غيره فى ضلال
اى جهل وعمى مسين اى واضح
ظاهراً لا خفياً به (واقداً تينا لقمان
الحكمة أن اشكر الله ومن يشكر
فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان
الله غنى جيد) اختلاف السلف
فى لقمان هل كان نبياً وعميداً
صالحاً من غير نبوة على قولين
الاكثرون على الثانى وقال سفيان
الثورى عن الأشعث عن عكرمة
عن ابن عباس قال كان لقمان
عبداً حبشياً نجاراً وقال قتادة عن
عبد الله بن الزبير قلت لخباب بن
عبد الله ما انتهى اليكم من شأن
لقمان قال كان قصيراً أفتس
الانف من النبوة وقال يحيى بن سعيد
الانصارى عن سعيد بن المسيب
قال كان لقمان من سودان مصر
ذو شافر اعطاه الله الحكمة

وسمعه النبوة وقال الاوزاعى حدثنى عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل اسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب
لا تحزن من اجل انك اسود فانه كان من اخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم
كان أسوداً نوبياً مشافراً وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابى عن ابى الاشهب عن خالد الربعى قال كان لقمان عبداً
حبشياً نجاراً فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال اخرج اطيب مضعتين فيها فاخرج اللسان والقلب ثم مكث ماشاء الله
ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال اخرج اخبث مضعتين فيها فاخرج اللسان والقلب فقال له مولاه امرتك ان تتخرج

اطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وامرته ان يخرج اخبث مضغتين فيها فأخرجتهما فقال لقمان انه ليس من شئ اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان لقمان عبدا صالحا لم يكن نبيا وقال الاعمش قال مجاهد كان لقمان عبدا اسود عظيم الشفتين مشفق القدمين وقال حكاهم بن سالم عن سعيد الزبيدي عن مجاهد كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بنى اسرائيل وذكر غيره انه كان قاضيا على بنى اسرائيل في زمان داود عليه السلام وقال ابن جرير حدثنا بن جيم حدثنا الحكم حدثنا (٦) عمرو بن قيس قال كان لقمان عبدا اسود غليظ الشفتين مصفح القدمين

فأناه رجل وهو في مجلس اناس يحدثهم فقال له ألسنت الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا قال نعم قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عمال يعنى وقال ابن ابى حاتم حدثنا أبو زرة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال ان الله رفع لقمان الحكيم بحكمته فسرار رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له الست عبد بنى فلان الذي كنت ترعى بالامس قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال قدر الله واداه الامانة وصدق الحديث وتركى ما لا يعينى فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنبي كونه نبيا ومنها ما هو مشعر بذلك لان كونه عبدا قدمسه الرق ينافي كونه نبيا لان الرسل كانت تسب في احساب قومها ولهذا كان جهورا لسلف على انه لم يكن نبيا وانما نقل كونه نبيا عن عكرمة ان صح السنن اليه فانه رواه ابن جرير وابن ابى حاتم من حديث وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبيا وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفي وهو ضعيف

وقهها الغتان قال الضحاك سداى الدنيا وسداى الآخرة وقيل بالعكس (فأغشيناهم) بالغين المعجمة أى غطينا أبصارهم على حذف مضاف وقرئ بالغين المهملة من العشا وهو ضعف البصر ومنه ومن يعش عن ذكر الرحمن فهم بسبب ذلك (لا يبصرون) أى لا يقدررون على ابصار شئ قال الفراء فالأبصارهم غشوة أى عمى فهم لا يبصرون سبيل الهدى وكذا قال قتادة ان المعنى لا يبصرون الهدى وقال السدى لا يبصرون محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين أتمروا على قتله وعن ابن عباس قال فى السد كانوا يعززون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينتظرون خروجه ليؤذوه فشق ذلك عليه فأناه جبريل بسورة نيس وأمره بالخروج عليهم فأخذ كنانا من تراب وخروج وهو يتروها ويذرا التراب على رؤسهم فأرأوه حتى جازف على أحدهم بلس رأسه فيجد التراب وجاء بعضهم فقال ما يجلسكم قالوا ننتظر محمدا فقال لقد رأيتاه داخل المسجد قال قوموا فقد سحركم قال الضحاك فى الآية أى عمواعن البعث وعمواعن قبول الشرائع فى الدنيا قال تعالى وقضينا لهم قرآنا فترى نوالهم ما بين أيديهم وما خلفهم قال البيضاوى هذا تمثيل آخر من أحاط بهم سدان فغطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى انهم محبوسون فى مظمورة الجهالة تمنعون عن النظر فى الآيات والدلائل (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم) أى انذارك اياهم وعدمه سواء وهذا بيان لشأنهم بطريق التوبيخ بعد بيان بطريق التمثيل وجملة (لا يؤمنون) مستأنفة مبنية لما قبلها من الاستواء وأحوال مؤكدة أو يدل منه روى أن عمر بن عبد العزيز قرأ هذه الآية على غيلان القدرى فقال كأنى لم أقرأها أشهدك أنى نائب عن قولى فى السد رفق قال عمر اللهم ان صدق فتب عليه وان كذب فسلط عليه من لا يرجه فأخذه بغضاء الانبياء الملك من عنده فقطع يديه ورجليه وصلبه على باب دمشق وعن ابن عباس سادىة قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ فى المسجد جهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه واذا أيديهم مجموعة بأعناقهم واذا هم عمى لا يبصرون فجأوا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا انشدك الله والرحم يا محمد قال ولم يكن بطن من بطون قريش الا وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم قرابة قد دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت بس الى قوله لا يؤمنون قال فلم يؤمن من ذلك النفر

احد

والله أعلم وقال عبد الله بن وهب أخبرني عبد الله بن عياش القتيبي عن عمرو بن موفق قال وقف رجل

على لقمان الحكيم فقال انت لقمان انت عبد بنى الحسحاس قال نعم قال انت راى الغنم قال نعم قال انت الاسود قال اما سوادى فظاهرفى الذى يعجبك من امرى قال وطء الناس بساطك وغشيم بابك ورضاهم بقولك قال يا ابن اخى ان صغيت الى ما اقول لك كنت كذلك قال لقمان غضى بصرى وكفى لسانى وعفة طمعتى وحفظى فريشى وقولى بصدقى ووفائى بعهدى وتكرمتى ضيقى وحفظى جارى وتركى ما لا يعينى فذلك الذى صيرنى الى ماترى وقال ابن ابى حاتم حدثنا بن جيم حدثنا عمرو بن واقد

عن عبدة بن رياح عن ربيعة عن ابي الدرداء انه قال يوما ذكرك لقمان الحكيم فقال ما اوتي ما اوتي عن اهل ولا مال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلا صمامة سكتها طويل التفكير عميق النظر لم ينم نهرا قط ولم يره احد قط يترق ولا يتخنع ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبت ولا يضحك وكان لا يعيد منطلقا نطقه الا ان يقول حكمة يستعيدها اياه احد وكان قد تزوج وولده اولاد فاقوا فلم يبك عليهم وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام لينظروا ويتفكروا ويعتبروا فبذلك اوتي ما اوتي وقد ورد اثره عن قتادة ورواه ابن ابي حاتم فقال حدثنا ابي حدثنا العباس بن الوليد حدثنا يزيد بن يحيى بن (٧) عبيد الخراساني حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة

قال خيرا لله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة على النبوة قال فانا جبريل وهو نائم فذرت عليه الحكمة او رث عليه الحكمة قال فاصبح ينطق بها قال سعيد فسمعت عن قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو ارسل الى بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنك ارجو ان اقوم بها ولكنه خيرني فخفت ان اضعف عن النبوة فكانت الحكمة احب الي قهذامن رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه فالتة اعلم والذي رواه سعيد ابن ابي عروبة عن قتادة في قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة اى الفقه في الاسلام ولم يكن نبيا ولم يوح اليه وقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة اى الفهم والعلم والتعبير ان اشكر الله اى امرناه ان يشكر الله عز وجل على ما آتاه الله ومنحه ووجهه من الفضل الذى خصه به عن سواه من ابناء جنسه واهل زمانه ثم قال تعالى ومن يشكركنا بما يشكرنا لفسده اى انما يعود ونفع

أحد وفي الباب روايات في سبب نزول ذلك هذه الرواية أحسنها وأقربها إلى الصحة وقال الزجاج في الآية أي من أضله الله هذا الاضلال لم ينفعه الاذار وانما ينفع الاذار من ذكر في قوله (انما تنذر من اتبع الذكر) اى القرآن (وخشى الرحمن بالغيب) اى فى الدنيا (فبشره) الفاء لترتيب البشارة والأمر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية اى بشر هذا الذى اتبع الذكر (بغفرة) عظيمة (وأجر كريم) اى حسن وهو الجنة ثم أخبر سبحانه باحياائه الموتى فقال (اننا نحن نحي الموتى) اى نبعثهم بعد الموت وقال الحسن والنخعي اى يحييهم بالايمان بعد الجهل والاول اولى وهو بيان لشأن عظيم ينطوى على الاذار والتبشير انطواء اجماليا ثم توعدهم بكتب آثارهم فقال (ونكتب) فى صحف الملائكة (ما قدموا) اى اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة (وآثارهم) اى ما بقوه من الحسنات التى لا ينقطع نفعها بعد الموت كمن سن سنة حسنة كعمل علمه أو كتاب صنفه أو حبس حبسه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو السيات التى تبقى بعد موت فاعلمها كمن سن سنة سيئة كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة أو حدثها فيها تخسيرهم وشى أو حدث فيه صدع عن ذكر الله من الخان وملاه ونحو ذلك قال مجاهد وابن زيد نظيره قوله علمت نفس ما قدمت وأخرت وقوله ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر وقيل المراد بالآية آثار المشائين الى المساجد وبه قال جماعة من الصحابة والتابعين قال النحاس وهو اولى ما قيل فى الآية لانها نزلت فى ذلك ويحاج عنه بان الاعتبار بعموم الآية لا بخصوص سببها وعمومها يقتضى كتب جميع آثار الخير والشروا الاحياء هو المعبر والكتابة مؤكدة معظمة لآمره فلهاذا قدم الاحياء وقرئ نكتب على البناء للفاعل وللمفعول عن ائى سعيد الخدرى قال كان نبوسلة فى ناحية من المدينة فأرادوا ان ينقلوا الى قرب المسجد فأنزل الله اننا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انه يكتب آثاركم ثم قرأ عليهم الآية فتركوها اخرج الترمذى وحسنه والبخارى وصححه وغيرهم وفى صحيح مسلم وغيره من حديث جابر قال ان نبى سلمة أرادوا ان يبيعوا ديارهم ويتحولوا قريبا من المسجد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا نبى سلمة دياركم تكتب آثاركم (وكل شئ) من اعمال العباد وغيرها كما تنما كان وقرأ الجمهور وينصب كل على الاشتغال وقرئ

ذلك وثوابه على الشاكرين لقوله تعالى ومن عمل صالحا فلنا انفسهم يهدون وقوله ومن كفر فان الله غنى عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الارض كلهم جميعا فانه الغنى عما سواه فلا اله الا الله ولا نعبد الاياه (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك انظم عظيم ووصية الانسان بوالديه جملة أمه وهما على وهن وفصالة فى عامين أن اشكر لى ولو الدين الى المصير وان جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى من جمعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) يقول تعالى محسرا عن وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عنق بن سدون واسم

أبيسه ناران في قول حكاه السهيلي وقد ذكره الله تعالى باحسن الذكر وانه آتاه الحكمة وهو يوصى ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم اليه فهو حقيق أن يخضعه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولادان يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً ثم قال محمد بن ابراهيم ان الشريك لظلم عظيم اى هو أعظم الظلم قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يلبس ايمانه بظلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) انه ليس بذلك الا تسمع الى قول لقمان يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ورواه مسلم من حديث

الاعمش به ثم قرن بوصيته اياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين كما قال تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وكثيرا ما يقرون تعالى بين ذلك في القرآن وقال ههنا ووطينا الانسان بالديه حملته أمه وهناعلى وهن قال مجاهد مشقة وهن الولد وقال قتادة جهدا على جهد وقال عطاء الخراساني ضعفا على ضعف وقوله وفصالة في عامين أى تربيته وارضاعه بعد وضعه في عامين كما قال تعالى والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ان يتم الرضاعة الآية ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة ان أقل مدة الحمل ستة أشهر لانه قال في الآية الاخرى وحمله وفصالة ثلاثون شهرا وانما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها في شهرها البلا ونهارها بالذكر الولد باحسانها المتقدم اليه كما قال تعالى وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا ولهذا قال أن اشكر لى ولو الذيك الى المصير اى فاني سأجزيك على ذلك أو فرجاء قال ابن أبي حاتم

بالرفع على الابتداء (أحسيناه في امام) اى كتاب مقتدي به (مبين) موضع لكل شئ قال مجاهد وقتادة وابن زيد أراد اللوح المحفوظ وقالت فرقة أراد جحائف الاعمال (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) قد تقدم الكلام على نظير هذا في البقرة والفحل والمعنى اضرب لاجلهم مثلا أو اضرب لاجل نفسك أصحاب القرية مثلا اى مثلهم عند نفسك بأصحاب القرية فعلى الاول لما قال تعالى انك لمن المرسلين وقال لتندرقوا ما قال لهم ما أتأبدع من الرسل فان قبلى بقليل جاء أصحاب القرية المرسلون وأنذر وهسم بما أنذرتكم وذكروا التوحيد وخوفوا بالقيامة وبشروا بنعيم دار المقامة وعلى الثاني لما قال ان الانذار لا ينفع من أضله الله وكتب عليه انه لا يؤمن قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اضرب لنفسك ولقومك مثلا اى مثل لهم عند نفسك مثلا بأصحاب القرية حيث جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا واصر الرسل على الايذاء وأنت جئت اليهم واحدا وقومك اكثر من قوم الثلاثة فانهم جاؤا الى اهل قرية وانت بعثتكم الى الناس كافة والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية اى اذ كر لهم قصة عجيبه قصة أصحاب القرية فترك المشل واقم أصحاب القرية مقامه في الاعراب وقيل لاحاجة الى الاضمار بل المعنى اجعل أصحاب القرية لهم مثلا على ان يكون مثلا وأصحاب القرية متفعولين لاضرب او يكون أصحاب القرية بدلا من مثلا وقد قدمنا الكلام على المفعول الاول من هذين المنعولين هل هو مثلا او أصحاب القرية وقد قيل ان ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ويستعمل اخرى في ذكر حالة غريبة ويانها للناس من غير قصد الى تطبيقها نظيرة لها كما في قوله وضربنا لكم الامثال اى بينا لكم احوال ابيدعة غريبة هي في الغرابة كالامثال فقوله سبحانه ههنا واضرب لهم مثلا ليصبح اعتبار الامرين فيه قال القرطبي هذه القرية هي انطاكية في قول جميع المفسرين وبه قال ابن عباس وبريدة وهي ذات أعين وسور عظيم من صخر داخله خمسة اجبل دورها اثني عشر ميلا والعواصم بلاد قصبها انطاكية وهي بارض الروم (اذ جاءها المرسلون) بدل اشمال من أصحاب القرية والمرسلون هم أصحاب عيسى يعثهم الى اهل انطاكية للدعاء الى الله وكانوا عبدة أوثان وانما أضاف سبحانه الارسال الى نفسه في قوله (اذ أرسلنا اليهم اثنين) لان عيسى أرسلهم بأمر الله سبحانه

حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي شيبه ومحمود بن غيلان قالوا حدثنا عبد الله أخبرنا اسرائيل عن ابي ويجوز اسحاق عن سعيد بن وهب قال قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان تطيعوا لى لا آلوكم خيرا وان المصير الى الله والى الجنة أو الى النار اقامة فلا ظعن وخلود فلا موت وقوله وان جاهدك على أن تشرك بى ما ليس للبه علم فلا تطعهما اى ان حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا اى

محبنا اليهم ما أتبع سبيل من أناب الى يعنى المؤمنين الى مرجعكم فأبشركم بما كنتم تعملون قال الطبراني في كتاب العشرة حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أحمد بن أيوب بن راشد حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبي هندان سعد ابن مالك قال أنزلت في هذه الآية وان جاهدك على أن تشركت بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية قال كنت رجلاً رباً أبى فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الذي أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أولاً أكل ولا أشرب حتى أموت فتعبر بي فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعل يا أمه فاني لأدع ديني هذا لشيء فيكنت يوماً وليه لم تأكل (٩) فأصبحت قد جهدت فكنت يوماً وليه لم تأكل فأصبحت قد جهدت فكنت يوماً وليه لا تأكل فأصبحت قد اشتد جهدها فلما رأيت ذلك قلت يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً بنفسا ما تركت ديني هذا لشيء فان شئت فكلى وان شئت لا تأكلى فأكلت (يا باني انما ان تنشق قلبك من خردل فتكمن في حفرة وفي السموات وفي الارض يأتى بهم الله ان الله لطيف خبير يا باني أقم الصلاة وأمر بالعرف وان عنه المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعرخن ذلك للناس ولا تمس في الارض مرحان الله لا يحب كل مختار فخور واقصد في مشيتك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحجر) هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه

ويجوز أن يكون ارسلهم الله بعد رفع عيسى الى السماء من غير واسطة (فكذبوهما) في الرسالة وقيل ضربوهما وسجنوهما قيل واسم الاثنين يوحنا وشمعون وقيل اسماء الثلاثة صادق ومصدوق وشلوم قال ابن جرير وغيره وقيل شمعان ويوحنا ويولس وقال وهب اسمهما يحيى ويولس وقال كعب صادق ومصدوق (فعززنا بناتنا) قرئ بتشديد الزاي وتخفيفها قال الجوهرى فعززنا يخفف ويشدد أى قوي بنا وشددنا فالقراءتان على هذا معنى وقيل التخفيف بمعنى غلبنا وقهرنا ومنه وعزنى في الخطاب والتشديد بمعنى قوي بنا وكثرنا قيل وهذا الثالث هو شمعون وقيل غيره وعن ابن عباس قال كان بين موسى بن عمران وبين عيسى بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة ولم تكن بينهما افترة وانه ارسل بينهما ألف نبي من بني اسرائيل سوى من ارسل من غيرهم وكان بين ميسلاد عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وتسع وستون سنة بعث في اولها ثلاثة انبياء وهو قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بناتنا والذي عزز به شمعون وكان من الحوارين وكانت الفترة التي لم يعث الله فيها رسولا أربع مائة سنة وأربعون سنة أخرجه ابن سعد وابن عساکر (فقلوا انا اليكم مرسلون) اى قال الثلاثة جميعا وجاءوا بكلامهم هداما وكذا لسبق التكذيب للاثنين والتكذيب بهما تكذيب للثالث لانهم ارسلوا جميعا بشئ واحد وهو الدعاء الى الله عز وجل وهذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما قال هؤلاء الرسل بعد التعزير لهما بنات وكذلك جملة (قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا) فانها مستأنفة كأنه قيل فما قال لهم أهل انطاكية فتقبل قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا اى مشاركون لنا في البشرية فليس لكم منزلة علينا تختصون بها والخطاب للثلاثة ثم صرحوا بجمود انزال الكتب السماوية فقلوا (وما أنزل الرحمن من شيء) مما تدعونه أنتم ويدعيه غيركم ممن قبلكم من الرسل وأتباعهم (ان أنتم الا تكذبون) في دعوى ما تدعون من ذلك (قالوا) اى فأجابوهم باثبات رسالتهم بكلام مؤكدا كيدابديغا لتكرار الانكار من أهل انطاكية وهو قولهم (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) فأكدوا الجواب بالقسم الذى يفهم من قولهم ربنا يعلم وبان وباللام قال الرحمنى ووجه التكرار ان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار انتهى وهذا مخالف لما في الافتتاح من انهم أكدوا في المرة الاولى لان تكذيب الاثنين تكذيب للثالث لاتحاد المقالة فلما بالغوا

عن لقمان الحكيم ليمثلها الناس ويقتهوا بها فقال يا باني انم انك من متقال حبة من خردل اى ان المقالة او الخطيئة لو كانت منقال حبة خردل وجوز بعضهم أن يكون الضمير في قوله انها ضمير الشأن والقصة وجوز على هذا رفع منقال والاول أولى وقوله عز وجل يأتى بهم الله أى أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط

(٢) فتح البان ثامن) - وجازى عليها ان خيرا خيرا وان شرّا شرّا كما قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا الآية وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولو كانت تلك الذرة حبة محببة في داخل صخرة صماء أو عابئة ذاهبة في أرجاء السموات والارض فان الله يأتى بها لانه لا يخفى عليه الاشياء وان دقت ولطفت وتضاءلت خبير يديب ولا فى الارض ولهذا قال تعالى ان الله لطيف خبير اى لطيف العلم فلا يخفى عليه الاشياء وان دقت ولطفت وتضاءلت خبير يديب الغل في الليل اليهم وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله فتكمن في حفرة أنها حفرة تحت الارضين السبع وذكره العنيدى باسناده ذلك

المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة ان صح ذلك ويرى هذا عن عطية العوفي وأبي مالك والنورى والمنهال بن عمرو وغيرهم وهذا والله أعلم كأنه متلقى من الاسراييليات التي لا تصدق ولا تكذب والظاهر والله أعلم ان المراد ان هذه الحبة في حقايرتها لو كانت داخل حصىرة فان الله سيديها ويظهرها بلطف علمه كما قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا راجع عن ابي الهيثم عن ابي سعيد ان درى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان أحدكم يعمل في حصىرة صمها ليس لها باب ولا كوة لطرح عمله للناس كأنها ما كان (١٠) ثم قال يابى أقم الصلاة أى بحدودها وفروضها وأوقاتها وأمر بالمعروف

وانه عن المنكر أى بحسب طاقتك وجهدك واصبر على ما أصابك علم أن الأمر بالمعروف الناهى عن المنكر لا بد أن يتاله من الناس أذى فأمره بالصبر وقوله ان ذلك من عزم الامور أى ان الصبر على أذى الناس لمن عزم الامور وقوله ولا تصعرخك للناس يقول لا تعرض وجهك عن الناس اذا كتبهم أو كلكوا احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم ولكن أن جئتك وابسط وجهك اليهم كما جاء في الحديث ولوان تلقى اخلك ووجهك اليه منبسط وايالك واسبال الازرافانها من الخيلة والخيلة لا يجبهها الله قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فى قوله ولا تصعرخك للناس يقول لا تتكبر فيقتصر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك اذا كلكوك وكذا روى العوفي وعكرمة عنه وقال مالك عن زيد بن أسلم ولا تصعرخك للناس لا تتكلم وأنت معرض وكذا روى عن مجاهد وعكرمة ويزيد بن الاصم وأبي الجوزاء وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد وغيرهم وقال ابراهيم النخعي يهنى بذلك التشديق فى الكلام والصواب

فى تكذيبهم زادوا التأكيد وما ذهب اليه الزنجشمرى نظر الى أن مجموع الثلاثة لم يسبق منهم اخبار ولا تكذيب لهم فى المرة الاولى قالت كيد فيها للاعتناء والاهتمام بالخبر انتهى قاله الشهاب (وما علمنا الا البلاغ المبين) أى ما يجب علينا من جهة قرينة الاتباع رسالته على وجه الظهور والوضوح بالدلالة الواضحة وهى ابراهيم الاكبه والابرض والمرضى واحياء الميت وليس علمنا غير ذلك وهذه جملة مستأنسة كالتى قبلها وكذلك جملة (قالوا انا تطيرنا بكم) فانها مستأنسة جواباً عن سؤال مقدر أى ان اتشاء منا بكم لا تقطع المطر عنا بسببكم لم يجردوا جواباً يبيحون به على الرسل الا هذا الجواب المبني على الجهل المبني عن العباوة العظيمة وعدم وجود حجة يدفعون الرسل بها وعادة الجهال أن يتهموا بكل شئ مالوا اليه وقبلته طماعهم ويتشاءموا بما نذروا عنه وكروهه فان أصابهم بلاء أو نعمة قالوا يشؤم هذا وبركة هذا قال مقاتل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فلهذا يشؤمكم قيل انهم أقاموا يندرونهم عشر سنين وقيل انما تطير والمبالغة من ان كل نبي اذا دعا قومهم فلم يجيبوه كان عاقبتهم الهلاك وأصل التطير التناؤل بالطير فانهم كانوا يزعمون أن الطائر السائح سبب للخير والبارح سبب للشر ثم استعمل فى كل ما يتشاءم به وفى المختار وطائر الانسان عمله الذى قلده والطير ايضا الاسم من التطير ومنه قولهم لا طير الا طير الله وتطير من الشئ وبالشيء والاسم الطيرة بوزن عنبة وهو ما يتشاءم به من النال الردى وفى الحديث انه كان يحب النال ويكره الطيرة وقوله تعالى قالوا طيرنا بك أصله تطيرنا فادغم ثم رجعوا الى التجير والتكبير لما ضاقت صدورهم وأعييتهم العليل فقالوا (لئن لم تنتهوا) اللام للقسم أى والله لئن لم تتركوا هذه الدعوى وتعرضوا عن هذه المقالة (لترجئكم) بالحجارة قال الفراء عامة ما فى القرآن من الرجم المراد به القتل وقال قتادة هو على بايه من الرجم بالحجارة (وليسكنكم منا عذاب أليم) أى شديد فظيع وقيل معناه التحريق بالنار أو القتل وقيل الشتم وقيل هو التعذيب المؤلم من غير تقييد بشئ خاص وهذا هو الظاهر لسكنهم حشوا فى هذا القسم لانهم لم يتمكنوا من بره لاهلاك الله لهم ثم أجاب عليهم الرسل دفعا لما زعموه من التطير بهم و (قالوا طيركم معكم) أى شؤمكم معكم من جهة أن نسكنكم لازم فى أعناقكم وليس هو من شؤمنا قال الفراء طيركم أى رزقكم وقد رجم وعلمكم وبه قال قتادة وقرأ الجهور طيركم اسم فاعل أى ما طار لركم من الخير والشر وقرأ

القول الاول قال ابن جرير وأصل الصعداء يأخذ الابل فى أعناقها وأروها حتى تلتفت أعناقها عن رؤسها فشبها به الرجل المتكبر ومنه قول عمرو بن حبي التغلبى وكذا اذا الجبار صعد رخصه * أقتاله من ميه له فتقوموا وقال أبو طالب فى شعره وكذا قدما لا تقترظ لامة * اذا ما نشوا صعد الرؤس نقيهما

وقوله ولا تمش فى الارض مر حائى خيلا متكبرا جبارا عنيما الاتفعل ذلك يعضك الله ولهذا قال ان الله لا يحب كل مختال فخور أى مختال معجب فى نفسه فخور أى على غيره وقال تعالى ولا تمش فى الارض مرحانك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً وقد

تقدم الكلام على ذلك في موضعه وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال ذكر الكبر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشد فيه فقال ان الله لا يحب كل مختال فخور فقال رجل من القوم والله يا رسول الله اني لا أعسل ثيابي فيجبني بياضها ويجبني شر الذئلي وعلاقة سوطي فقال ليس ذلك الكبر انما الكبر ان تسفه الحق وتعمط الناس ورواه من طريق أخرى بئله وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ووصيته بعدموته وقوله واقصدني (١١) مشيك اى اءش مشيا مقتصد الءس بالبطى

الاستنط ولا بالسر بع المفرط بل عدلا وسطا بين وقوله وانغضض من صوتك اى لا تسالغ فى الكلام اى لا ترفع صوتك فىم الا فائدة فيه ولهذا قال ان أنكر الاصوات اصوت الحجر قال مجاهد وغير واحد ان أرفع الاصوات اصوت الحجر اى غاية من رفع صوته انه يشبه بالحجر فى علوه ورفع مع هذا هو بغض الى الله تعالى وهذا التشبيه فى هذا بالحجر يتنضى تحريمه وذمة غاية الذم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس لنا مثل السوء العائد فى هبته كالكلب يئى ثم يعود فى قئمه وقال النسائي عنده تفسير هذه الآية حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الاعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله واذا سمعتم نهيق الحمار فقولوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا وقد أخرج بقبية الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن جعفر بن ربيعة به وفى بعض الالفاظ بالليل فانه أعلم فهذه وصانا نافعة جدا وهى من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم

الحسن اطيركم اى تطيركم (أش ذكرتم) قرئ بهمزة استفهام بعد هان الشرطية على الخلاف بينهم فى التسهيل والتخفيف وادخل ألف بين الهمزتين وعدسه وقرئ بهمزتين مفتوحتين وقرئ أين على صيغة الظرف واختلف سيبويه ويونس اذا اجتمع استفهام وشرط ايم ما يجب فذهب سيبويه الى انه يجب بالاستفهام وذهب يونس الى انه يجب بالشرط وعلى القولين فالجواب هنا محذوف اى أن ذكرتم ووعظتم وخوفتم فتطيرتم لدلالة ما تقدم عليه وقرئ أن ذكرتم بهمزة مفتوحة اى لان ذكرتم والقراءت كلها سبعة ثم أضربوا عما يقتضيه الاستفهام والشرط من كون التذكير سببا للشؤم أو معناه التوعيد فقالوا (بل أنتم قوم مسرفون) اى ليس الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف فى المعصية فمن أنتم أنتم لكم الشؤم من قبلكم لان قبل رسل الله وتذكيرهم أو بل أنتم مسرفون فى تطيركم قاله قتادة وقال يحيى بن سلام مسرفون فى كفركم وقال ابن حجر السرف هنا الفساد والاسراف فى الاصل مجاوزة الحد فى مخالفة الحق أى محتجوا وزون الحد بشر ككم وهذا الاينافى كون أهل انطاكية أول المؤمنين برسل عيسى فان الملك وقومه آمنوا واهلك قاتلى حبيب لا يستلزم هلاك أهل انطاكية (وجاء من أقصى المدينة) وهى القرية السابق ذكرها وعبر عنها هنا بالمدينة اشارة لكبرها واتساعها (رجل يسعى) هو حبيب بن مرى وكان نجارا وقيل اسكافا وقيل قصارا وقال مجاهد ومقاتل هو حبيب بن اسرائيل التجار وكان يبحت الاصنام وقال وهب كان يعمل الخربز وقال قتادة كان يعبد الله فى غار فلما سمع بخبر الرسل جاء يسعى أى يشتد عدوا وقال ابن عباس اسم صاحب بس حبيب وكان الخدام قد أسرع فيه قال القرطبي وهو من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهبتهما سمانا سنة كما آمن به سبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن أحد بنى غير نبي صلى الله عليه وآله وسلم الا بعد ظهوره وأمانينا فامن به قبل ظهوره كثير انتهى وفيه من البعد والضعف ما لا يخفى ويدفعه قوله سبحانه (قال يا قوم اتبعوا المرسلين) أى رسل عيسى عليه السلام ولم يذكر نبي صلى الله عليه وآله وسلم ولادلت الآية عليه والجملة مستأنفة كأنه قيل فاذا قال لهم عند مجيئه فقيل قال الخ أى اتبعوا هؤلاء الذين أرسلوا اليكم فانهم جاؤا بفتح ثم كذا ذلك وكرره فقال (اتبعوا من لا يسألكم) بدل من المرسلين باعادة العامل أو تابع له (أجرا) على ما جاؤكم به من الهدى (وهم) اى الرسل (يهتدون)

وقد روى عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة فلقد كرمها أعوذ بها وسور الى ذلك قال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق اخبرنا ابن المبارك اخبرنا سفيان اخبرني نهميل بن جهمع الضبي عن ابن عمر قال اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لقمان الحكيم كان يقول ان الله اذا استودع شيئا حفظه وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الاوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يا بني اتايتك التمتع فانه مخوف بالليل مذمة النهار وقال حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عثمان بن ضمرة حدثنا (٣) البري بن يحيى قال قال لقمان لابنه يا بني ان الحكمة اجلس المسكين (٣) قوله البري بن يحيى كذا بالاصل وحزر

مجالس المولود وقال أيضا حدثنا أي حدثنا عمدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا عبد الرحمن المسعودي عن عون بن عبد الله قال قال لقمان لا تنه يا بني إذا نيت نادى قوم فأرهمهم باسمهم الاسلام ثم اجلس في ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فان أفاضوا في ذكرك الله فأجل سهمك معهم وان أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم الى غيرهم وقال أيضا حدثنا أي حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال وضع لقمان جرابا من خردل الى جانبه وجعل يعطاه ابنه وعظمه ويخرج خردله حتى نفذ الخردل فقال يا بني لقد وعظمتك موعظة لو وعظها جبل تغفر قال فتغفر ابنه وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الباقي المصيصي حدثنا احمد بن عبد الرحمن (١٢) الحراني حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرافي حدثنا انس بن سفيان المقدسي

عن خليفة بن سلام عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة لقمان الحكيم والنخاشي وبلال المؤذن قال الطبراني أراد الخبيث * (فصل في الخمول والتواضع) * وذلك متعلق بوصية لقمان عليه السلام لابنه وقد جمع في ذلك الخافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا كتابا مفردا فنحن نذكر منه مقاصده قال حدثنا ابراهيم ابن المنذر حدثنا عبد الله بن موسى المدني عن اسامة بن زيد عن حفص ابن عبد الله بن أنس عن جده أنس ابن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رب أشعث في طمرين يصفح عن أبواب الناس اذا أقسم على الله لأبره ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان عن ثابت وعلى بن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كره وزاد منهم البراء بن مالك وقال أبو بكر بن سهل التميمي حدثنا ابن أبي هريرة حدثنا نافع بن يزيد عن عياش ابن عباس عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضى الله عنه انه دخل المسجد فاذا هو بعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما يبكيك يا معاذ قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه سمعته يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقيا الاخفياء الاثرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يعنون من كل غير امظلة حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا عنان بن علي عن جيسد بن عطاء الاعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ربذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم في أسالك الجنة لا أعطاها الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال أيضا حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا أبو معاوية عن الاعشى عن

ولو كانوا متممين بعدم الصدق لسألوكم المال فاهدوا ثم أيضا بعالمهم ثم أبرز الكلام في معرض النصيحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه فقال (ومالى لأعبد الذى فطرني) أى اى مانع من جانبي يعنى من عبادة الذى خلقني ثم يرجع الى خطابهم لبيان انه ما أراد نفسه بل أرادهم بكلامه فقال (واليه ترجعون) أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر والرجوع فيه معنى الرجوع فكان بهم أليق ولذلك لم يقل اليه أرجع وفيه مباغظة في التهديد وهذه الطريقة أحسن من ادعاء الاتفات ثم عاد الى المساق الاول وهو التواضع في الارشاد والنصيحة لقصد التاكيد ومن يريد الايضاح فقال (أأنتخذن دونه) أى غيره (آلهة) فجعل الانكار متوجها الى نفسه وهم المرادون به اى لا أنتخذن دون الله آلهة وأعبدوها وأترك عبادة من يستحقها وهو الذى فطرني ثم بين حال هذه الاصنام التى يعبدونها من دون الله سبحانه انكارا عليهم وبياننا لضلال عقولهم وقصور ادراكهم فقال (ان يردن الرحمن بضر) أى بسوء ومكر وهشرط وجوابه (لا تغن عنى شفاعتهم شيئا) من النفع كما انما كان أى لا شفاعة لها فتغنى عنى (ولا يتقدون) من ذلك الضر الذى أرادنى الرحمن به وهذه الجملة صفة لا آلهة أو مستأنفة لبيان حالها في عدم النفع والدفع (انى اذا) أى انى اذا أنتخذت من دونه آلهة وعبدت غير الله (لنى ضلال مبين) ظاهرا واضحا لان ايتار الملائق ولا يدفع ضراب وجهه ما على الخالق المقدر على النفع والضرر واشرا كما بد ضلال بين لا يخفى على عاقل وهذا هو بضر بهم كما سبق والضلال الخسران ثم صرح بايمانه نصريحا لا يفتى بعده شك فقال (انى آمنت بربكم فاسمعون) بكسر النون وهى نون الوفاية وهى اللغة العالمية وقرئ بفصحها وهى غلط قال المنسرون أراد القوم قتله فأقبل هو على المسلمين فقال انى آمنت بربكم أم اهل الرسل فاسمعوا ايمانى واشهدوا لى به وقيل انه مخاطب بهذا الكلام قومه لما أراد واقتله تصلبا في الدين وتشدد في الحق وعدم المبالاة بالقتل فلما قال هذا القول وصرح بالايان وثبوا عليه فقتلوه وقيل وطؤوه بأرجلهم وقال الحسن حرقوه حرقا وعلقوه في سور المدينة وقبره في سور انطاكية حكاية النعلبي وقيل حرقوه الحفيرة وألقوه فيها وقيل انهم لم يقتلوه بل رفعه الله الى السماء وهو في الجنة وبه قال الحسن وقال السدي رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقيل نشره وبالمنشار حتى خرج من بين رجله فواته ما خرجت

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما يبكيك يا معاذ قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه سمعته يقول ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقيا الاخفياء الاثرياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يعنون من كل غير امظلة حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا عنان بن علي عن جيسد بن عطاء الاعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ربذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم في أسالك الجنة لا أعطاها الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقال أيضا حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا أبو معاوية عن الاعشى عن

سالم بن أبي الجهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أمتي من لو أتى باب أحدكم يسأله دينارا أو درهما أو فلسا لم يعطه ولو سأل الله الجنة لا أعطاه اياها ولو سأل الدنيا لم يعطه اياها ولم يعن بها ايامه لو انه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره وهذا مرسل من هذا الوجه وقال أيضا حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا جعفر بن سليمان حدثنا عوف قال قال أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من ملوك الجنة كل أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا الناس لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصف لهم حوائج أحدهم تتجمل (١٣) في صدره لو قسم نوره يوم القيامة بين الناس

لوسعهم قال وأنشدني عمر بن شبة عن ابن عائشة قال قال عبد الله بن المبارك

الارب ذى طمرين في منزل غدا
زرايه مبثوثة وغماره
قد طردت أنواره حول قصره
وأشرق والتفت عليه حدائقه

وروى من حديث عبيد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي امامة مرفوعا قال قال الله من أعبط أوياقي عندي مؤمن خفيف الخاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأعطاء في السمرو كان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع ان صبر على ذلك قال ثم اتفد رسول الله بيده وقال بجمت منيته وقل ترائه وقلت بوا كيه وعن عبيد الله بن عمرو قال أحب عبادة الله الى الله الغيبة قيل ومن الغيبة قال التزأرون بدينهم يجتمعون يوم القيامة الى عيسى بن مريم وقال الفضيل بن عياض بلغني أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أنعم عليك ألم أعطك ألم أسترك ألم ألم ألم اجل ذكرك ثم قال الفضيل ان استطعت أن لا تعرف فافعل وما

روحه الا في الجنة فدخلها فذلك قوله تعالى (قيل ادخل الجنة) أي قيل له ذلك عند موته تكرر بحاله بدخولها بعد قتله كما هي سنة الله في شهاده عباده ولم يذكر لفظه في نظم الآية لان الغرض بيان القول دون المقول له فانه معلوم وعلى قول من قال انه رفع الى السماء ولم يقتل يكون المعنى انهم لما أرادوا قتله نجاه الله من القتل وقيل له ادخل الجنة وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وعلمه فالامر أمر تكويين للأمراء مثال على حد قوله أن يقول له كن فيكون فالمعنى أدخله الله الجنة تسريعا فادخلها ورأى نعمها وشاهدها (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر أي فاذا قال بعد ان قيل له ادخل الجنة فدخلها فقال يا ليت قومي الخ وهم الذين قتلوه فنجحهم حيا وميتا قال ابن أبي ليلى سابق الامم ثلاثة لم يكنروا بالله طرفة عين على بن أبي طالب وهو أفضلهم ومؤمن آل فرعون وصاحب يس وهم الصديقون ذكره الزمخشري وما في سماهي المصدريه وقيل موصولة أي بالذي غفر لي ربي والباء صلة يعلمون والعائد محذوف أي غفر لي ربي واستضعف هذا لانه لا معنى لتنبئه أن يعلم قومه بذنوبه المغفورة وليس المراد الا التمني منه بان يعلم قومه بغفران ربه له واليه أشار في التقرير وقال القراء انها استهامة جاءت على الاصل بمعنى التعجب والباء صلة غفر كأنه قال باي شئ غفر لي ربي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على أدينتهم قال الكسائي لو وضع هذا لقال لهم من غير أنف ويجاب عنه بأنه قد ورد في لغة العرب اثباتها وان كان مكثورا بانسبة الى حذفها وفي معنى تمني قولان أحدهما انه تمنى أن يعلموا بحاله ليعلموا احسن ما له ووجد عاقبته ارغامها لهم وقيل انه تمنى أن يعلموا بذلك ليؤمنوا مثل ايمانهم فصرخوا الى مثل حاله ولما وقع ما وقع منهم مع حبيب التجار غضب الله له وعجل لهم النعمة وأهلكهم بالصيحة فقال (وما أنزلنا على قومه من بعده) أي على قوم حبيب التجار من بعد قتله لهم أو من بعد رفع الله له الى السموات على الاختلاف السابق (من جنس من السماء) لاهلاكهم وللاستقام منهم أي لم نتج الى ارسال جنود من السماء لاهلاكهم كما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر من ارسال الملائكة لتصرته وحرب أعدائه وذلك لان الله أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه ودون بعض الحكمة اقتضت ذلك وعن ابن مسعود في الآية قال يقول ما كابدناهم بالجوع أي الامراء أسبر علينا من ذلك (وما كنا منازين)

عليك أن لا ينبي عليك وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس محمودًا عند الله وكان ابن محيريز يقول اللهم اني أسألك ذكرا خلاما وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك واجعلني في نفسي من أوضع خلقك وعند الناس من أوسط خلقك ثم قال باب ما جاء في الشهرة حدثنا أحمد بن عيسى المصري حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث وابن الهيثم عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال حسب امرئ من الشر الامن عصبه الله أن يشير الناس اليه بالاصابع في دينه وديناه وان الله لا ينظر الى صوركم ولكن الى قلوبكم وأعمالكم وروى مثله عن اسحاق بن البهلول عن ابن أبي

قديك عن محمد بن عبد الواحد الاخشي عن عبد الواحد بن أبي كثير عن جابر بن عبد الله مر فوعا مثله وروى عن الحسن مر سلا
 نحوه فقييل للحسن فانه يشار اليك بالاصابع فقال انما المراد من يشار اليه في دينه بالبدعة وفي دينه بالفسق وعن علي رضي الله عنه
 قال لا تبدلان تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكرم واصمت تسلم تسر الاررار وتغيب الفجار وقال ابراهيم بن ادهم
 رحمه الله ما صدق الله من أحب الشهرة وقال أيوب ما صدق الله عبد الاسره أن لا يشعر بكانه وقال محمد بن العلاء من أحب الله
 أحب أن لا يعرفه الناس وقال سمال بن سلمة اياك (١٤) وكثرة الاخلاء وقال أبان بن عثمان ان أحبيت أن يسلم اليك دينك فأقل

من المعارف وكان أبو العالية اذا
 جلس اليه أكثر من ثلاثة من فض
 وتركهم وقال حدثنا علي بن الجعد
 أخبرنا سبعة عن عوف عن أبي رجا
 قال رأى طلحة فوما يشون معه
 فقال ذباب طمع وفراس النار وقال
 ابن ادريس عن هرون بن أبي عمرة
 عن سليمان بن حنظلة قال بينا نحن
 حول أبي اذ علا عمر بن الخطاب
 بالدرة وقال انها مذلة للتابع وقتنة
 للمتبوع وقال ابن عون عن الحسن
 شرح ابن مسعود فاتبه أناس فقال
 والله لو تعلمون ما أعلق عليه باني
 ما تبعني منكم رجلان وقال
 حماد بن زيد كما اذا مر رنا على المجلس
 ومعنا أيوب فسلم ردوا ردا شديدا
 فكان ذلك نعمة وقال عبد الرزاق
 عن معمر كان أيوب يطيل قيصه
 فقييل له في ذلك فقال ان الشهرة فيما
 مضى كانت في طول القميص
 واليوم في تشهيره واصطنع مرة
 نعلين على حزن وعلى النبي صلى الله
 عليه وسلم فلبسهما أيا ما تم خلعهما
 وقال لم ار الناس يلبسونهما وقال
 ابراهيم الخفي لا تلبس من الثياب
 ما يشهر في أفتها ولا ما يزدرىك

أى وما صح في قضاونا وحكمنا أن نزل لاهلاكهم جند السبق قضاتنا و قد ربا بان
 اهلاكهم بالصيحة لا بانزال الجند وقال قتادة ومجاهد والحسن اى ما أنزلنا عليهم من
 رسالة من السماء ولا نبى بعد قتله وروى عن الحسن انه قال هم الملائكة النازلون بالوحي
 على الانبياء والظاهر ان معنى النظم القرآنى تحقير شأنهم وتصغير أمرهم اى ليسوا باحقاء
 بان تنزل لاهلاكهم جند من السماء بل أهلكناهم بصيحة واحدة كما يقيد قوله (ان
 كانت) أى العقوبة أو النقمة أو الأخذة (الصيحة واحدة) صاح بها جبريل فأهلكهم
 قرى صيحة بالنصب على ان كان ناقصة واسمها ضير يعود الى ما يفهم من السياق كما قدمنا
 وقرى برفعها على ان كان تامة أى وقع وحدث وأذكرها أبو حاتم وكثير من النحويين
 بسبب التأنيت في قوله ان كانت وقيل غير ذلك وقرأ ابن مسعود ان كانت الازقية واحدة
 والازقية الصيحة قال النحاس وهذا مخالف للمصحف وأيضاً فان اللغة المعروفة زفايرقو
 اذا صاح ومنه المثل أنقل من الزواقى فكان يجب على هذا أن يكون زقوة ويجاب عنه بما
 ذكره الجوهري قال الزقو والزقي مصدر وقذرقا الصداير قوزقا أى صاح وكل صاحب زراق
 والازقية الصيحة قال المفسرون أخذ جبريل بعضا من باب المدينة ثم صاح بهم صيحة
 فاذا هم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار اذا طفت وهو معنى قوله (فاذا هم خامدون)
 ميتون شبههم بالنار اذا طفت لان الحياة كالنار الساطعة في الحركة والانتاب والموت
 كعدمها (يا حسرة على العباد) النصب على أنهم نادى منكر كأنه نادى الحسرة
 وقال لها هذا وانك فاحضرى وقيل انها منصوبة على المدرية والمنادى محذوف
 والتقدير يا هؤلاء تحسروا وحسرة وقرى بالضم على النداء قال الفراء في توجيه هذه
 القراءة ان الاختيار النصب وأنها لورفعت النكرة لكان صوابا واستشهد بأشياء نقلها
 عن العرب منها أنه سمع منهم يأمهم بالامر لانتهم قال النحاس وفي هذا ابطال باب النداء
 أو أكثره قال وتقدير ما ذكره بآية المهتم لانتهم بامرنا وحقيقة الحسرة أن يلحق الانسان
 من الندم ما يصير به حسيرا قال ابن جرير المعنى يا حسرة من العباد على أن تسهم وتندما
 وتلفنا في استمزانهم برسول الله وقرى يا حسرة العباد على الاضافة ورويت هذه القراءة
 عن أبي وقال الضحاك انها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل وقيل هى
 من قول الرجل الذى جاء من أقصى المدينة وقيل ان القائل يا حسرة على العبادهم

السفهاء وقال النورى كانوا يكرهون من الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفعون الناس اليه فيها بأبصارهم والثياب الكفار
 الرديئة التي يحتقر فيها ويستدل دينه وحدثنا خلد بن خدش حدثنا حماد عن أبي حسنة صاحب الزيادة قال كنا عند ابى قلابة
 اذ دخل عليه رجل عليه كسبة فقال اياكم وهذا الحمار التهاق وقال الحسن رحمه الله ان قوما جعلوا الكبر في قلوبهم والتواضع في
 ثيابهم فصاحب الكساء بكسائه اعظم من صاحب المطرق بطرقه مالهم تفاقدا وفي بعض الاخبار ان موسى عليه السلام
 قال لبي اسرا بيل مالكم تأتوني عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب البسوا ثياب الملوك وأبناؤا قلوبكم بالخشية (فصل في

حسن الخلق) * ابو التياح عن انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا عطا عن ابن عمر قيل
 يارسول الله اى المؤمنين افضل قال احسنهم خلقا نوح بن عباد عن انس مرفوعا ان العبد يبلغ بحسن خلقه درجات الآخرة
 وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وانه ليبلغ بسوء خلقه درك جهنم وهو عابد سيار بن هرون عن حميد عن انس مرفوعا ذهب
 حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة المطلب عن عائشة مرفوعا ان العبد يبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار وقال ابن
 ابي الدنيا حدثني ابو مسلم عبد الرحمن بن يونس حدثنا عبد الله بن (١٥) ادريس اخبرني ابي وعمي عن جدى عن ابي

هريرة رضى الله عنه سئل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل
 الناس الجنة فقال تقوى الله
 وحسن الخلق وسئل عن اكثر
 ما يدخل الناس النار فقال الاجوفان
 الفم والفرج وقال اسامة بن شريك
 كنت عند رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فجاءته الاعراب من كل
 مكان فقوالوا يارسول الله ما خير
 ما اعطى الانسان قال حسن الخلق
 وقال يعلى بن سمالك عن ام الدرداء
 عن ابي الدرداء يبلغ به قال ما شئ
 اثقل في الميزان من حسن الخلق
 وكذا رواه عطاء عن ام الدرداء به
 مسروق عن عبد الله بن عمرو مرفوعا
 ان من خياركم احاسنكم اخلاقا
 حدثنا عبد الله بن ابي بدر حدثنا
 محمد بن عتيق عن محمد بن ابي سارة
 عن الحسن بن على قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعطى
 العبد من الثواب على حسن الخلق
 كما يعطى الجاهد في سبيل الله بغدو
 عليه الاجر ويروح مكحول عن ابي
 ثعلبة مرفوعا ان احبكم الى
 واقربكم منى مجلسا احاسنكم
 اخلاقا وان ابغضكم الى وابعدكم

الكفار المكذوبون والعباد الرسل وذلك أنهم لما رأوا العذاب تحسروا وعلى قتلهم وتغنوا
 الايمان قاله ابو العالبة ومجاهد وقيل ان التحسر عليهم هو من الله عز وجل بطريق
 الاستعارة لتعظيم ما جنوه وقرئ يا حشره بسكون الهاء اجراء للوصل بحرى الوقف وقرئ
 يا حشرنا كما قرئ بذلك في سورة الزمر قال ابن عباس أى يا ويله للعباد وعنه قال التمام
 على العباد يوم القيامة وأل في العباد للجنس (ما يأتهم من رسول الا كانوا به يستهزئون)
 مستأنفة مسوقة لبيان ما كانوا عليه من تكذيب الرسل والاستهزاء بهم وان ذلك هو
 سب التحسر عليهم ثم عجب سبحانه من حالهم حيث لم يعتبروا بما مثلهم من الامم الخالية
 فتسال (الم يروا كم أهلكنا) اى ألم يعلموا اكثر من أهلكنا (قبلهم من القرون) التى
 أهلكنا من الامم الخالية والاستفهام للتقرير على حذف قوله ألم تشرح لك صدوركم انهم
 اليهم لا يرجعون) يدل من أهلكنا على المعنى قال سيبويه ان بدل من كم وهى الخبرية فلذلك
 جاز ان يبدل منها ما ليس باستفهام والمعنى ألم يروا أن القرون الذين أهلكنا هم انهم اليهم
 لا يرجعون وقال الفراء كم في موضع نصب من وجهين أحدهما يروا والوجه الآخر
 بأهلكنا قال النحاس القول الاول محال لان كم لا يعمل فيها ما قبلها لانها استنهام ومحال
 أن يدخل الاستفهام في حين ما قبله وكذا حكمها اذا كانت خبرا وان كان سيبويه قدأوأ
 الى بعض هذا فجعل أنهم بدل من كم وقد رد ذلك المبرد أشد رد ثم بين سبحانه رجوع النكل
 الى المحشر به ديان عدم الرجوع الى الدنيا فقال (وان كل لما جيع ليدنا محضرون)
 قرئ لما شدد او مخففا قال الفراء من شدد جعل لما معنى الاوان معنى ما أى ما كل الا
 جميع ومعنى جيع مجموع فهو فاعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له وأما على قراءة
 التخفيف فان هى المخففة من الثقيلة وما بعد ما مرفوع بالابتداء واللام هى الفارقة بين
 المخففة والناظية قال ابو عبيدة وما على هذه القراءة عزائفة والتقدير عنده وان كل للجيع
 والحاصل ان كل أشير بها الاستعراق الافراد وشمولهم وجميع أشير به الاجتماع الكل
 في مكان واحد وهو المحشر وقيل معنى محضرون معذبون والاولى انه على معناه الحقيقى
 من الاحضار للعساب والجزاء ثم ذكر سبحانه البرهان على التوحيد والحشر مع تعدد
 النعم وتذكيرها فقال (واية لهم) على البعث والتوحيد (الارض الميتة) فآية خبير
 مقدم وتذكيرها للتفخيم ولهم صفتها أو متعلقة بآية لانها بمعنى علاسة والارض مبتدأ

من منزلا في الجنة مساويكم اخلاقا الثارون المتشددون المتتيهون ابو اويس عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا الا اخبركم
 بأكلكم ايمانانا احاسنكم اخلاقا الموطون اكانا الذين يؤفنون ويأفنون وقال الليث عن يزيد بن عبد الله بن اسامة عن بكر بن ابي
 القرات قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق رجل وخلقته فتنطعمه النار عبد الله بن غالب الحداني عن ابي سعيد
 مرفوعا خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال ميمون بن مهران عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب اعظم
 عند الله من سوء الخلق وذلك ان صاحبه لا يخرج من ذنب الا وقع في آخر حدثنا على بن الجعد حدثنا ابو المغيرة الاجسى حدثنا

عبد الرحمن بن اسحق عن رجل من قريش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب اعظم عند الله من سوء الخلق ان الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد وان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقال عبد الله بن ادريس عن ابيه عن جده عن ابي هريرة مرفوعا انكم لاتسعون الناس باعوانكم ولكن يسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق وقال محمد ابن سيرين حسن الخلق عون على الدين (فصل في ذم الكبر) قال علقمة عن ابن مسعود رفعه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة مرفوعا من كان في قلبه مثقال ذرة

من كبراً كبه الله على وجهه في النار حدثنا اسحاق بن اسماعيل حدثنا أبو معاوية عن عمر بن راشد عن اياس بن سلمة عن ابيه مرفوعا لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال مالك ابن دينار ركب سليمان بن داود عليهم ما السلام ذات يوم البساط في ما قى أثم من الانس وما تى أثم من الجن فرفع حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء ثم خفض حتى مست قدمه ماء البحر فسمعوا صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال حبة ذرة من كبر لحسب فيه أبعدهما رفع حدثنا أبو خزيمة حدثنا يزيد عن هرون عن جاد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان أبو بكر يخافنا يفسد كريد خلق الانسان حتى ان أحدنا يقدر نفسه يقول خرج من مجرى البول مرتين وقال الشعبي من قتل اثنين فهو جبار ثم تلا أتريدان تقتلني كما قتلت نفسك بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وقال الحسن بن عبال ابن

ويجوز ان يكون آية مبهمة اذ الكونها قد تخصصت بالصفة وما بعد هذا الخبر قرئ مبهمة بالتشديد والتخفيف (أحبياتها) مستأنفة مبينة لكيفية كونها آية وقيل هي صفة للارض فنبههم الله بهذا على احياء الموتى وذكركم نعمه وكال قدرته فانه سبحانه أحيى الارض بالنبات وأخرج منها الحبوب التي يأكلونها ويتغذون بها وهو معنى قوله (وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) وهو ما يقتضونه من الحبوب وتقديرهم منه للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل وأكثر ما يقوم به المعاش (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) أى جعلنا في الارض جنات من أنواع النخل والعنب وخصم ما بالذكر لانها أعلى الثمار وأنعمها للعباد والنخل والنخيل بمعنى الواحدة شجرة وفي المصباح النخل اسم جمع والواحدة شجرة وكل جمع يثرق بينه وبين واحد بالتاء فاهل الحجاز يؤنثونه وأهل نجد وتميم يذكرونه وأما النخيل بالياء فمؤنثة قال ابن أبي حاتم لا اختلاف في ذلك والاعناب جمع عنب والعنبة الواحدة من العنب (وفجرنا فيها من العيون) أى فجرنا في الارض بعضا من العيون فخذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو المفعول العيون ومن مزيدة على رأى من جوز زيادتها في الاثبات والمراد بالعيون عيون الماء وقرأ الجهور بالتشديد وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى واللام في قوله (ليأكلوا من ثمره) متعلقة بجعلنا والضمير المجرور يعود الى المذكور من الجنات والنخيل وقيل هو راجع الى ماء العيون لان الثمر منه قاله الجرجاني وقرئ بضمين وفتحتين وهما سبعيتان وقرأ الاعمش بضم الشاء واسكان الميم وقد تقدم الكلام على هذا في الانعام (وما عملته أيديهم) أى ليأكلوا من ثمره ويأكلوا مما عملته أيديهم كالعصير واللبس ونحوهما وكذلك ما غرسوه وحفروه وما جالوه على ان ما موصولة وفيه تجوز على هذا وقيل هي نافية والمعنى لم يعملوه بل العامل له هو الله عز وجل أى وجدوه وهم موصولة ولا يصنع لهم فيها وهو قول الضحاك ومقاتل وقيل انها منكرة موصوفة والكلام فيها كالذي في الموصولة وقيل انها مصدرية أى ومن عمل أيديهم والمصدر واقع موقوع المفعول به فيعود المعنى الى معنى الموصولة أو الموصوفة وعن ابن عباس في الآية قال وجدوه وهم موصولة لم تعملها أيديهم يعنى الفرات ودجلة ونهر الخ وشباهها (أفلا يشكرون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ لهم بعدم شكرهم للنعمة المدودة والثناء للعطف على مقدره يقتضيه المقام أى أيرون هذه

آدم يغسل الخمر بيده في اليوم مرتين ثم يكبر يعارض جبار السموات حدثنا خالد بن خدش حدثنا النعم جاد بن زيد عن علي بن الحسن عن الضحاك بن سفيان فذكر حديث ضرب مثل الدنيا ما يخرج من ابن آدم (٣) وقال الحسن عن يحيى عن أبي قال ان مطعم ابن آدم ضرب مثلا للدنيا وان فرخه وملحه وقال محمد بن الحسين بن علي من ولد علي رضي الله عنه ما دخل قلب رجل شيء من كبر الا انقص من عقله بقدر ذلك وقال يونس بن عبيد ليس مع السجود كبر ولا مع التوحيد نفاق وتطرطواوس الى عمر بن عبد العزيز وهو مختال في مشيئة وذلك قبل أن يستخلف فطعن طاوس في جنبه باصبعه وقال ليس هذا شأن من في بطنه نحره (٢) قوله وقال الحسن عن يحيى الى قوله وملحه كذا في النسخ وحرر اه

فقال له كالمعتد إليه بأعم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها قال ابو بكر بن ابي الدنيا كان نبوامية يضربون
 اولادهم حتى يتعلمون هذه المشية (فصل في الاختيال) بن ابي ليلى عن ابن بريده عن ابيه مر فوعا من جرثوبه خيلاء لم ينظر الله
 اليه ورواه عن ابي بن اسمعيل عن سفيان عن زيد بن اسلم عن ابن عمر مر فوعا مثله وحدنا محمد بن بكار حدثنا عبد الرحمن بن
 ابي الزناد عن ابيه عن الاعرج عن ابي هريرة مر فوعا لا ينظر الله يوم القيامة الى من جرازره وينما رجل يتختر في برديه أعجمته
 نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلبل فيها الى يوم القيامة وروى الزهري (١٧) عن سالم عن ابيه بينما رجل الى آخره (الم تر

أن الله سخّر لكم ما في السموات
 وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه
 ظاهرة وباطنة ومن الناس من
 يجادل في الله بغير علم ولا
 كتاب منير وإذا قيل لهم اتبعوا
 ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا
 عليه آباءنا أولو كان الشيطان
 يدعوهم الى عذاب السعير) يقول
 تعالى منها خلقه على نعمه عليهم
 في الدنيا والاخرة تانه سخّر لهم
 ما في السموات من نجوم يستضيئون
 بها في ليالهم ونهارهم وما يخلق
 فيها من سحب وأمطار ونبل ويرد
 وجهه له اياهاسقنا محفوظا وما
 خلق لهم في الارض من قرار وأنهار
 وأشجار وزروع وغمار وأسبغ
 عليهم نعمه الظاهرة والباطنة
 من ارسال الرسل وانزال الكتب
 وازاحة الشبه والعلل ثم مع هذا كله
 ما آمن الناس كاهم بل منهم من
 يجادل في الله اى في توحيدهِ وارساله
 الرسل ومجادلته في ذلك بغير علم ولا
 مستند من حجة صحيحة ولا كتاب
 ما تور صحيح ولهذا قال تعالى ومن
 الناس من يجادل في الله بغير علم
 ولا هدى ولا كتاب منير اى مين

الشم أو يتمتعون بها فلا يشكرونها (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) مستأنفة مسوقة
 لتزيه سبحانه عما وقع منهم من ترك الشكر لنعمه المذكورة والتعجب من اخلاصهم بذلك
 وقد تقدم الكلام مستوفى في معنى سبحانه وهو في تقدير الامر للعباد بان يزهوه عما يليق
 به والأزواج الأنواع والأصناف فكل زوج صنف لانه مختلف في الألوان والطعوم
 والأشكال والصغور والكبر فاختلافها وازواجها قال قتادة يعنى الذكرو الانثى (عما
 تنبت الارض) بيان للأزواج والمراد كل ما نبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها لانه
 أصناف (ومن انفسهم) أى خلق الأزواج من انفسهم وهم الذكور والاناث (وعما
 لا يعلمون) من أصناف خلقه في البر والبحر والسماء والارض في الاودية والبحار وأشياء
 لا يعلمها الناس ولم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها ووجه الاستدلال في هذه الآية
 انه اذا انفرد بالخلق فلا ينبغي ان يشرك به (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) الكلام في هذا
 كما قدمنا في قوله وآية لهم الارض الخ والمعنى ان ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته
 ووجوب الهيته والسلخ الكشط والتزح يقال سلخه الله من بدنه ثم يستعمل بمعنى
 الاخراج فجعل سبحانه ذهاب الضوء ونجى الظلمة كالسلخ من الشئ وهو استعارة بليغة
 (فأذا هم مظلون) أى داخلون في الظلام مفاجأة وبغته يقال أظلمنا أى دخلنا في ظلام
 الليل وأظهرنا دخلنا في وقت الظهور وكذلك أصبحنا وأمسينا وقيل منه بمعنى عنه والمعنى
 نسلخ عنه ضوء النهار فاذا هم في ظلمة لان ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فاذا خرج
 منه أظلم قال الفراء يرمى بالنهار على الليل فيما نى بالظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار
 داخل عليه فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل أى ككشط وأزيل فتظهر الظلمة
 وظاهره يشعر بان النهار طار على الليل قال المرزوقى الآية دللت على ان الليل قبل النهار
 لان المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ كان المعطى قبل الغطاء لكن كلامه في سورة الرعد
 مؤذن بان بين الليل والنهار تواجد اخلا قال تعالى يكور انبل على النهار ويكور النهار
 على الليل (والشمس تجري لمستقر لها) يحتمل أن تكون الواو للعطف على الليل والتقدير
 وآية لهم الشمس ويجوز أن تكون ابتدائية والشمس مبتدأ وما بعدها الخبر ويكون
 الكلام مستأنفا مستقلا على ذكر آية مستقلة قيل وفي الكلام حذف والتقدير تجري
 بحرى مستقر لها أى تنتهى في سيرها لاجل مستقر لها وقيل اللام بمعنى الى قيل والمراد

(٣ فتح البيان ثامن) مضى واذا قيل لهم اى لهؤلاء المجادلين في توحيد الله اتبعوا ما أنزل الله اى على رسوله من
 الشرائع المطهرة قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اى لم يكن لهم حجة الا اتباع الآباء الاقدمين قال الله تعالى أولو كان آباؤهم
 لا يعقلون شيئا ولا يهتدون اى فما ظنكم أيها المختجون بصنيع آباءهم انهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ولهذا قال
 تعالى أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله
 عاتبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره ينهاه جمعهم فنبههم بما عملوا ان الله عليهم بذات الصدور غمته هم قليلا ثم اضطرتهم الى

عذاب غليظ) يقول تعالى محجزا عن اسم وجهه الله أي أخلص له العمل وأنه لا أمره واتبع شرعه ولهذا قال وهو محسن أي في عمله باتباع ما به أمر وترك ما عنه زجر فقد استمسك بالعمود الوثيق أي فقد أخذموثقامن الله متمينا أنه لا يعذبه وإلى الله عاقبة الأمور ومن كفر فلا يحزنك كفره أي لا يحزن عليهم يا محمدي كفرهم بالله وبما جئت به فإن قدر الله نافذ فيهم وإلى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا أي فيجزئهم عليه إن الله عالم بذات الصدور لا يخفى عليه خافية ثم قال تعالى عنهم قليلا أي في الدنيا ثم تضرعهم أي الختمهم إلى عذاب غليظ أي فطبع صعب مشق (١٨) على النفوس كما قال تعالى إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم المناهر جمعهم ثم يدبهم العذاب الشديد عما كانوا يكفرون (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد)

يقول تعالى محجزا عن هؤلاء المشركين به أنهم يعرفون إن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنهم خلقوه وملكه ولهذا قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله أي إذا قامت عليكم الحجة باعترافكم بل أكثرهم لا يعلمون ثم قال تعالى لله ما في السموات والأرض أي هو خلقه وما يكاد الله هو الغني الحميد أي الغني عما سواه وكل شيء فقير إليه الحميد في جميع ما خلق له الحمد في السموات والأرض على ما خلق وشرع وهو الخمود في الأمور كلها (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عتده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا يعنكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير) يقول تعالى محجزا عن عظمته

بالمستقر يوم القيامة فعنده تستقر فلا تبقى لها حركة وقيل مستقرها هو أبو عبد ما انتهى إليه ولا تجاوزه وقيل نهاية ارتفاعها في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقيل مستقرها تحت العرش لأنها تذهب إلى هناك فتسجد فتسأذن في الرجوع فيؤذن لها وهذا هو الراجح وقال الحسن إن للشمس في السنة ثلثمائة وستين مطعاعات تنزل في كل يوم مطعاعا ثم لاتنزل إلى الحول فهي تجرى في تلك المنازل وهو مستقرها وقيل إن الشمس في الليل تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض وإن كئلا يعرفه ويؤيده هذا القول ما قاله النقيباء في باب المواقيت كالشمس الرملية من إن الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحي فقد يكون المغرب عندنا عصرًا عند آخرين ويكون الظهر صبحا عند آخرين وهكذا وقيل غير ذلك وقرئ لا مستقر لها بلا التي لني الجنس وبناء مستقر على الفتح وقرئ لا مستقر بلا التي بمعنى ليس ومستقر اسمها ولها خبرها (ذلك) أي ذلك الجري على ذلك الحساب الذي يكمل النظر عن استخراجها وتخيير الأفهام عن استنباطه (تقدير العزيز) أي الغالب القاهر بقدرته على كل مقدور (العلم) أي المحيط علمه بكل شيء ويعمل أن تكون الإشارة راجعة إلى المستقر أي ذلك المستقر تقديرا لله أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش وفي لفظ البخاري وغيره من حديثه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال يا بأذرا أتدري أين تغرب الشمس قلت لله ورسوله أعلم قال إنما تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله والشمس تجري لمستقر لها وفي لفظ من حديثه أيضا عند أجدو التريذي والنسائي وغيرهم قال يا بأذرا أتدري أين تذهب هذه قلت لله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد بين يدي ربه افستأذن في الرجوع فيأذن لها وكانها قد قيل لها اطلعي من حيث جئت فتطلع من مغربها ثم قرأ ذلك مستقر لها وذلك قراءة عبد الله وأخرج الترمذي والنسائي وغيرهما من قول ابن عمر نحوه قال النووي اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بنظائر الحديث قال الواحدى قلبي هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع وقيل تجرى إلى مستقر لها وأصل لا تتعداه وعلى هذا فسقطت عنها أنها سيرها عند انقضاء الدنيا وأما وجود الشمس فهو تمييز وادراك يخلق الله تعالى فيها والله أعلم (والقمر)

وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وكلماته التامة التي لا يحيط بها الحد ولا اطلاع لبشر على كنهها قدرناه واحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فقال تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عتده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله أي ولو أن جميع اشجار الأرض جعلت أقلاما وجعل البحر مدادًا وانده سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لم تكسرت الأقلام ونفدت البحار ولو جاء أمثالها مائة وأمانا ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يزد التحصير ولا أن تم سبعة أبحر موجي ذه مسحطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الأسرئيليات

التي لا تصدق ولا تكذب بل كما قال تعالى في الآية الاخرى قل لو كان البحر مدا الكلمات لربى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات
 ربي ولو جئنا بعثله ممددا فليس المراد بقوله بعثله آخر فقط بل بعثله ثم بعثله ثم بعثله ثم بعثله ثم بعثله ثم بعثله ثم بعثله ثم بعثله ثم بعثله
 البصرى لوجعل شجرا الارض أقلاما وجعل البحر مدا او قال الله ان من أمرى كذا ومن أمرى كذا الفندماء البحر وكسرت
 الاقلام وقال قتادة قال المشركون انما هذا كلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى ولو ان مافى الارض من شجرة أقلام أى لو كان
 شجرا الارض أقلاما ومع البحر سبعة اجراما كان لينفذ بحجاب ربي وحكمته (١٩) وخلقه وعلمه وقال الربيع بن أنس ان مثل

علم العباد كلهم فى علم الله كقطرة
 من ماء البحر كلها وقد أنزل الله
 ذلك ولو ان مافى الارض من شجرة
 اقلام الآية يقول لو كان البحر مدا
 لكلمات الله والاشجار كلها أقلاما
 لانكسرت الاقلام وفى مافى ماء
 البحر وبقيت كلمات الله فائمة
 لا ينفها شئ لان أحد الايستطيع
 أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغي
 حتى يكون هو الذى يثنى على نفسه
 ان ربا كما يقول وفوق ما يقول وقد
 روى ان هذه الآية نزلت جوابا
 لليهود قال ابن اسحق حدثني ابن ابي
 محمد عن سعيد بن جبيرة وعكرمة عن
 ابن عباس ان احبار يهود قالوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
 يا محمد أرايت قولك وما أوتيت من
 العلم الا قليلا ايانا نريد ما قومنا
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كلا فقالوا ألسنت تلو فيما جاءك
 انا قد اوتينا التوراة فيها تبيان
 لكل شئ فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم انها فى علم الله قليل وعندكم
 من ذلك ما يكفىكم وأنزل الله فيما
 سأله عنه من ذلك ولو ان مافى
 الارض من شجرة أقلام الآية

قد رنا منازل قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو و برفع القمر على الابداء وقرأ الباقر بالنصب
 على الاشغال واتصاب منازل على انه مفعول لان قدرنا بمعنى صيرنا ويجوز أن يكون
 منصبا على الحال أى قدرنا سيره حال كونه ذا منازل ويجوز أن يكون منصبا على
 الظرفية أى فى منازل واختار أبو عبيد النصب فى القمر قال لان قبله فعلا وهو نزل
 وبعده فعلا وهو قدرنا قال النحاس أهل العربية جميعا فى ما علمت على خلاف ما قال منهم
 الفراء قال الرفع أعجب الى قال وانما كان الرفع عندهم أولى لانه معطوف على ما قبله
 ومعناه وآية لهم القمر قال أبو حاتم الرفع أولى لانك شغلت الفعل عنه بالضمير فرفعته
 بالابتداء والمنازل هى الثمانية والعشرون التى ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه
 ولا يتقاصر عنه على تقدير مستوي سير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر
 ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر وهى معروفة وسبأنى ذكرها فاذا صار القمر فى آخرها عاد الى
 أولها فاقطع الثلث فى ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين ثم يطالع هلالا فيعود فى قطع تلك
 المنازل من الثلث كالعرجون أخرج الخطيب عن ابن عباس فى الآية قال هى ثمانية
 وعشرون منزلا ينزلها القمر فى كل شهر أربع عشرة منها شامية وأربعة عشر منها يمانية
 فالواها الشريطين والبطيين والثياوالدبران والهقعة والهقعة والذراع والنثرة والظرف
 والجهة والزبر والصفرة والعماء والسماك وهو آخر الشامية والغفر والزبانى والاكيل
 والقلب والشولة والنعام والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعد وسعد الاخبية
 ومقدم اللؤلؤ ومؤخر اللؤلؤ والحوت وهو آخر اليمانية مثل الرملى هل القمر الموجود
 فى كل شهر هو الموجود فى الآخر أو غيره فأجاب بان فى كل شهر قرأ جديد انتهى وهذا
 يدل على صحة مجدد الامثال ان ثبت بالنص من الشارع ويمكن بعثله القول فى الشمس
 لكن لا دليل على ذلك كله (حتى عاد) فى آخر منازلها فى رأى العين (كالعرجون القديم)
 هو عود السمرخ بالضم اذا يبس واعوج والقديم الذى أتى عليه الحول فاذا قدم عتق
 ويبس وتقومس واصفر فشمه القمر به من ثلاثة أوجه فاذا سار هذه الثمانية وعشرين
 منزلا عاد كالعرجون القديم كما كان فى أول الشهر وهذا يدفع ما ذكره الرملى فليستأمل وقال
 ابن عباس العرجون القديم أصل العذق العتيق قال الزجاج العرجون هو عود العذق
 الذى فيه الشماريح وهو فعولون من الانعراج وهو الانعطاف أى سار فى منازلها حتى اذا

وهكذا روى عن عكرمة وعطاء بن يسار وهذا يقضى ان هذه الآية مدينية ولا مكية والمنشور وانها مكية والله أعلم وقوله ان الله عزير
 حكيم أى عزير قد عز كل شئ وقهره وغلبه فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه حكيم فى خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشريعته
 وجميع شؤنه وقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة أى ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة الى قدرته الإ
 كنسبة نفس واحدة الجميع هين عليه انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وما أمرنا الا واحدة كلح بالبصرى لا يأمر
 بالشئ الا مرة واحدة فيكون ذلك الشئ لا يحتاج الى تكرره وتو كنه فاعلم ان زجرة واحدة فاذا هم بالساهر فقول الله سمع

بصير أي كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة ولهذا قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة الآية (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك لأن الله هو الحق وإن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير) يخبر تعالى أنه يولج الليل في النهار بمعنى يأخذ منه في النهار فيطول ذلك ويقصر هذا وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ثم يشرع في (٢٠) النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون في الشتاء وسخر الشمس والقمر

كل يجرى إلى أجل مسمى قيل إلى غاية محددة وقيل إلى يوم القيامة وكلا المعنيين صحيح ويستشهد للقول الأول بحديث أبي ذر رضي الله عنه الذي في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثنا يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال الشمس بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء في فلكتها فإذا غربت جرت بالليل في فلكتها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها قال وكذلك القمر اسناده صحيح وقوله وإن الله بما تعملون خبير كقوله ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض ومعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء كقوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلون الآية وقوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وإن ما يدعون

كان في آخر هادق واستقوس وصغر حتى صار كالعرجون القديم وعلى هذا فالنون زائدة قال قتادة هو العذق اليابس المنحني من النخلة قال نعلب العرجون الذي يبقى في النخلة إذا قطعت والقديم البالي وقال الخليل العرجون أصل العذق وهو أصفر عرض يشبه به الهلال إذا انحنى وكذلك قال الجوهري أنه أصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريح فيسبق على النخل بإسراع عرجنه ضربه بالعرجون وعلى هذا فالنون أصلية قرأ الجمهور بضم العين والجيم وقرئ بكسر العين وفتح الجيم وهما الغتان (لا الشمس ينبغي لها) مرفوعة بالابتداء أي لا يصبح ولا يمكن للشمس ولا يستقيم ولا يتسهل (أن تدرك القمر) في سرعة السير وتنزل في المنزل الذي فيه القمر وتجت مع معه في وقت واحد وتدخله في سلطانه فتطمس نوره لأن ذلك يخجل بتكوين النبات وتعميش الحيوان ولأن لكل واحد منهما سلطانا على انفراد فلا يمكن أحدهما من الدخول على الآخر فيذهب سلطانه إلى أن يأذن الله بالقيامة فتقطع الشمس لا تقطع فلكتها إلا في سنة فكانت جذيرة تان توصف بنبي الادراك لبطء سيرها وكان القمر خلية تان بوصف بنبي السبق لسرعة سيره كما سبأني وقال الفخالك معناه إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء وإذا طلعت القمر لم يكن للشمس ضوء وقال مجاهد أي لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر وقال الحسن إنهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة وكذا قال يحيى بن سلام وقيل معناه إذا اجتمع في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منزل لا يشتركان فيه وقيل القمر في سماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة ذكره النحاس والمهدوي قال النحاس وأحسن ما قيل في معناه وأبينه أن سير القمر سريع والشمس لا تدرك في السير وأما قوله تعالى وجمع الشمس والقمر فذلك حين حبس الشمس عن الطلوع على ما تقدم بيانه في الانعام ويأتي في سورة القيامة أيضا وجمعهما علامة لانقضاء الدنيا وقيام الساعة (ولا الليل سابق النهار) أي لا يسبقه فينوته ولكن يعاقبه ويحجي كل واحد منهما في وقته ولا يسبق صاحبه وقيل المراد من الليل والنهار آتاهما وهما الشمس والقمر فيكون عكس قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر أي ولا القمر سابق الشمس وإيراد السابق مكان الادراك لسرعة سير القمر

من دونه الباطل أي إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا به على أنه الحق أي الموجد والحق لأنه الحق وإن كل ما سواه باطل فإنه الغنى عما سواه وكل شيء تفسيره إلا به لأن كل ما في السموات والأرض الجميع خلقه وعبيده لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بإذنه ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذبابا المعجزوا عن ذلك ولهذا قال تعالى ذلك بأن الله هو الحق وإنما يدعون من دونه الباطل وإن الله هو العلي الكبير أي العلي الذي لا أعلى منه الكبير الذي هو أكبر من كل شيء فكل شيء خاضع حقيق بالنسبة إليه (ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليربكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور وإذا غشيهم موج

كان الظل دعواته مخلصين له الذين فلما نجحهم الى البر ففهم مقتصد وما يجعدنا يا انا الاكل ختار كنفور) يخبر تعالى انه الذي نضمر
 البحر لتجري فيه الفلك بامر الله أي بطرفه ونسخيره فانه لولا ما جعل في الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت ولهذا قال ايريك من
 من آياته أي من قدرته ان في ذلك لايات لكل صبار شكور أي صابر في الضراء شكور في الرخاء ثم قال تعالى واذا غشيهم موج
 كالظلل أي كالخيل والغمام دعواته مخلصين له الذين كما قال تعالى واذا مسكم الضرفي البحر ضل من تدعون الاياه وقال تعالى
 فاذا ركبوا في الفلك الآية ثم قال تعالى فلما نجحهم الى البر ففهم مقتصد قال (٢١) مجاهد أي كافر كأنه فسر المقتصد ههنا

بالجحد كما قال تعالى فلما نجحهم
 الى البر اذ هم يشركون وقال
 ابن زيد هو المتوسط في العمل وهذا
 الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله
 تعالى ففهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
 الآية فالمقتصد ههنا هو المتوسط
 في العمل ويحتمل أن يكون مرادا
 هنا أيضا ويككون من باب
 الانكار على من شاهد تلك
 الاحوال والامور العظام والآيات
 الباهرات في البحر ثم بعد ما أنعم
 الله عليه بالخلاص كان ينبغي أن
 يقابل ذلك بالعمل التام والدؤوب
 في العبادة والمبادرة الى الخيرات فن
 اقتصد بعد ذلك كان مقصرا والحالة
 هذه والله أعلم وقوله تعالى وما يجعد
 يا انا الاكل ختار كنفور فالتخار هو
 الغدار قاله مجاهد والحسن وقيادة
 ومالك عن زيد بن أسلم وهو الذي
 كلما عاهدت قبض عهده وانخرت
 أتم الغدر وأبلغه قال عمرو بن
 معديكرب

وانك لو رأيت أبا عمر

ملائت يديك من غدر وخرت

وقوله كنفور أي جحد للنعم
 لا يشكرها بل يتناساها ولا يذكرها

وهما نيران لا يزال أمرهما على هذا الترتيب الى أن تقوم الساعة فيجمع الله بين الشمس
 والقمر وتطلع الشمس من مغربها وهذا الايتان في ان الليل برمته سابق في الوجود على النهار
 برمته وهو أحد قولين واستدل بعضهم بهذه الآية على ان النهار مخلوق قبل الليل وان
 الليل لم يسبقه بالخلق ووجه الاستدلال ان المعنى ليس الليل سابق النهار يعني بل النهار هو
 السابق وهذا ينظر الى مقابلة جملة الليل بجملة النهار والآية محتملة لكل من القولين
 (وكل في فلك يسبحون) التنوين في كل عوض من المضاف اليه أي وكل واحد منهم
 والفلك هو الجسم المستديراً والسطح المستديراً والدائرة قال العماد بن كثير في البداية
 والنهاية حكى ابن حزم وابن الجوزي وغير واحد الاجماع على أن السموات كرية مستديرة
 واستدل عليه بهذه الآية قال الحسن يدورون وقال ابن عباس في فلكه مثل فلكة المغزل
 قالوا ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع في آخرها من المشرق قال
 ابن حجر حكى الاجماع على ان السموات مستديرة جمع وأقاموا عليه الأدلة وخالف في ذلك
 فرق يسيرة من أهل الجدل وقال ابن العربي السموات ساكنة لا حركة فيها جعلها الله ثابتة
 مستقرة هي لنا كالسقف للبيت ولهذا سماها السقف المرفوع واستخرج أهل البديع
 من لفظ كل في فلك صنعة التلب ونحوه قوله تعالى وربك فكبر والسبح السير بانسباط
 وسهولة والجمع باعتبار اختلاف مطالعها فكانها متعددة ان تعددها والمراد الشمس
 والقمر والكواكب ثم ذكر سبحانه وتعالى نوعاً آخر مما امتن به على عباده من النعم
 فقال (وآية لهم) ارتفاع آية على انها خبر مقدم والمبتدأ انا جلنا أو العكس أي علامة
 ودلالة وقيل معنى آية هنا العبرة وقيل النعمة وقيل النذارة وقد اختلف في معنى (أنا
 حملنا ذريتهم) والى من يرجع الضمير لان الضمير الاول وهو قوله وآية لهم لاهل مكة أو
 لكنصار العرب أو للكفار على الاطلاق الكائنين في عصر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقيل
 الضمير يرجع الى القرون الماضية والمعنى ان الله جل ذرية القرون الماضية (في الفلك
 المشحون) فالضمير ان مختلفان وهذا حكاية التماس عن الاخفش وقيل الضمير ان للكفار
 مكة ونحوهم والمعنى ان الله جل ذريتهم من أولادهم وضعفائهم على الفلك فامتن الله
 عليهم بذلك أي انهم يحملونهم معهم في السفن اذا سافروا ويعشرون أولادهم للتجارة لهم
 فيها وانما ذكر ذريتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم وأبلغ في التعجب من قدرته وقيل

(يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن والده ولا مولود هو جازع عن والده شيئاً) وعد الله حق فلا تعثرنكم الحياة
 الدنيا ولا يفترنكم بالله الغرور) يقول تعالى منذر الناس يوم الماء دهرهم يتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث
 لا يجزي والد عن ولده أي لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل وكذلك الولد لو أراد فداه والده بنفسه لم يقبل منه ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله
 فلا تعثرنكم الحياة الدنيا أي لا تلهينكم بالطمانينة فيها عن الدار الآخرة ولا يفترنكم بالله الغرور يعني الشيطان قاله ابن عباس
 ومجاهد والضالمة وقيادة فانه يفتن آدمو يعصده ويعيبه وليس من ذلك شيء كما قال تعالى يعدهم ويمينهم وما يعدهم الشيطان

الاعرورا قال وهب بن منبه قال عزير عليه السلام لما رأيت بلا قومي اشتد حزني وكثر همي وأرق نومي فنضرت إلى ربي
 وصلت وصمت فأناني ذلك التضرع أبكي إذا ناني الملك فقلت له اخبرني هل تشفع أرواح المصدقين للظلمة أو الآباء لابنائهم قال ان
 القيامة فيها فصل القضاء وملك ظاهر ليس فيه رخصة لا يتكلم فيه أحد الا باذن الرحمن ولا يؤخذ فيه والدع ولدع ولا ولدع عن
 والده ولا أخ عن أخيه ولا عبد عن سيده ولا يهتم أحد بهم غيره ولا يحزن لحزنه ولا يحذر جملة مشفق على نفسه ولا يؤخذ انسان
 عن انسان كل يوم مائة مرة ويكي عوله (٢٢) ويحمل وزره ولا يحمل وزره معه غيره رواه ابن أبي حاتم ان الله عنده علم الساعة

وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام
 وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا
 وما تدرى نفس باي أرض تموت ان
 الله عليم خبير (هذه مفاتيح الغيب
 التي استأثر الله تعالى بعلمها فلا
 يعلمها أحد الا بعد اعلانه تعالى بها
 فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل
 ولا ملك مقرب لا يعلمها الوقت الا هو
 وكذلك انزال الغيث لا يعلمه الا الله
 ولكن اذا أمر به علمته الملائكة
 الموكولون بذلك ومن شاء الله من
 خلقه وكذلك لا يعلم ما في الارحام
 مما يريد أن يخلقه تعالى سواه ولكن
 اذا أمر به يكون ذكرا أو أنثى أو شقيا
 أو سعيدا علم الملائكة الموكولون
 بذلك ومن شاء الله من خلقه وكذلك
 لا تدرى نفس ماذا تكسب غدا
 في دنياها وآخرها وما تدرى نفس
 باي أرض تموت في بلدها أم غيره
 من أي بلاد الله كان لا علم لاحد
 بذلك وهذه شبيهة بقوله تعالى وعنده
 مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو الآية
 وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس
 مفاتيح الغيب قال الامام أحمد
 حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين
 ابن واقد حدثني عبد الله بن بريدة

الذرية الآباء والاجداد والفلك هو سفينة نوح أي ان الله حمل آباءه هؤلاء وأجدادهم
 في سفينة نوح قال الواحدى والذرية تقع على الآباء كما تقع على الاولاد قال أبو عثمان
 وسعى الآباء ذرية لان منهم ذرء الابناء وقيل الذرية النطف الكائنة في بطون النساء وشبهه
 البطون بالفلك المشحون قاله علي بن أبي طالب ذكره الماوردى والراجح القول الثاني ثم
 الاول ثم الثالث وأما الرابع ففي غاية البعد والذكارة وقد تقدم الكلام في الذرية
 واشتقاقها في سورة البقرة متوفى وقيل ان الضمير في قوله لهم يرجع إلى العباد
 المذكورين في قوله يا حسرة على العباد لانه قال بعد ذلك وآية لهم الارض الميتة وقال آية
 لهم الليل ثم قال وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فكانت آية لهم لآجالنا ذريات العباد ولا
 يلزم أن يكون المراد باحد الضميرين البعض منهم وبالضمير الآخر البعض الآخر وهذا
 قول حسن والمشحون المملوء الموقر والفلك يطلق على الواحد والجمع كما تقدم في يونس
 عن أبي مالك في الآية قال في سفينة نوح حمل فيها من كل زوجين اثنين وعن أبي صالح
 نحوه وعنه في الآية قال يعني الابل خلقها الله كما رأيت فهي سفن البر يحملون عليها
 ويركبونها ومثله عن الحسن وعكرمة وعبد الله بن شداد ومجاهد (وخلقنا لهم من مثله
 ما يركبون) أي وخلقنا لهم مما عائل الفلك ما يركبونه على ان ماهي الموصولة ومن زائدة
 وقال مجاهد وقتادة وجماعة من أهل العلم من المفسرين وهي الابل خلقها لهم للركوب
 في البر مثل السفن المركوبة في البحر والعرب تسمى الابل سفن البر وقيل المعنى وخلقنا
 لهم سفننا امثال تلك السفن يركبونها قاله الحسن والنخاع وأبو مالك وقال النخاس
 وهذا أصح لانه متصل الاسناد عن ابن عباس وقيل هي السفن المتخذة بعبد سفينة نوح
 قلت والعموم أولى ولا وجه للتخصيص فيشمل كل ما يركب حيوانا كان أو جمادا خاننا
 كان أو رجيا كالعجلات الحادثة في هذا الزمان وما سيحدث في المستقبل بتلاحق الافكار
 وتعامل الأيدي والانظار (وان نشأ نعرفهم) هذا من تمام الآية التي امتن الله بها عليهم
 ووجه الامتنان انه لم يعرفهم في الحج الجارح قدرته على ذلك أولم يعرفهم بنار العجلات
 الداخلية الحادثة الآن والضمير يرجع إلى أصحاب الذرية أو إلى الذرية وإلى الجميع على
 اختلاف الأقوال (فلا صر يخ لهم) الصر يخ بمعنى المصرخ والمصرخ هو الغيث أي فلا
 صغيث لهم يغيتهم ان شئنا انعراقهم وأحراقهم وقيل هو المنعة وكما يطلق الصر يخ على

سمعت أبي بريدة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خمس لا يعلمهن الا الله عز وجل ان الله عنده
 علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باي أرض تموت ان الله عليم خبير
 هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجوه (حديث ابن عمر) قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن
 عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
 ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باي أرض تموت ان الله عليم خبير انظر دباخر اجه البخاري فرواه في

كتاب الاستسقاء في صحبته عن محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان بن سعيد التوري به ورواه في التفسير من وجه آخر فقال حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمران أباه حدثه أن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مقاتيح الغيب خمس ثم قرأ أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام إنقرده أيضا ورواه الأمام أحمد عن غندر عن شعبة عن عمر بن محمد أنه سمع أباه يحدث عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخس أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس (٢٣) ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باي أرض تموت إن الله عليم خبير وكذا رواه عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة بن وهب وزاد في آخره قال قلت له أنت سمعته من عبد الله قال نعم أكثر من خمسين مرة ورواه أيضا عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة به وهذا السنن أحسن على شرط السنن ولم يخرجوه (حديث أبي هريرة) قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحق عن جريز عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس إذا أتاه رجل يمشى فقال يا رسول الله ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الإحسان قال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسؤول عنها أعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أسرارها إذا ولدت الأمة ربها

المغيث يطلق على الصارخ وهو المستغيث فهو من الأضداد كما صرح به أهل اللغة ويكون مصدرا بمعنى الاعانة لأنه في الأصل بمعنى الصراخ وهو صوت مخصوص وكل منهما صحيح هنا قاله الشهاب (ولاهم يتقون) أي لا يخلصون ولا ينجون يقال أنقذه واستنقذه إذا خلاصه من مكره (الأرحم منا) استثناء مفرغ من أعم العلة أي لا صريح لهم ولا ينفذون لشيء من الأشياء الأرحم منا كذا قال الكسائي والزجاج وغيرهما وقيل هو استثناء منقطع أي لكن لرحمة منا (ومتاعا) أي غمعتهم بالحياة الدنيا (الحين) وهو الموت قاله قتادة وقال يحيى بن سلام إلى القيامة (وإذا قيل لهم) بيان لأعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان أعراضهم عن الآيات الأفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها (اتقوا ما بين أيديكم) من الآفات والنوازل فإنها محيطة بكم (وما خلفكم) منها قال قتادة أي اتقوا ما بين أيديكم من الوقائع فمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم في الآخرة وقال سعد بن جبيرة ومجاهد ما بين أيديكم ماضى من الذنوب وما خلفكم ما بقى منها وقيل ما بين أيديكم الدنيا وما خلفكم الآخرة قاله سفيان وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس وقيل ما بين أيديكم ما ظهر لركبكم وما خلفكم ما خفى عنكم وجواب إذا محذوف والتقدير إذا قيل لهم ذلك أعرضوا كما يدل عليه الأناجيتهم معرضين (لعلكم ترجون) أي رجاء أن ترجوا أو رجاء أن ترجوا (وما فاتهم من آية من آيات ربهم) ماهي النافية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد من الأولى مزيدة للتوكيد والثانية للتبويض والمعنى ما فاتهم من آية دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى صحة ما دعا إليه من التوحيد في حال من الأحوال (الكاونا عنهما معرضين) وظاهره يشمل الآيات التنزيلية والتكوينية والمراد بالأعراض عدم الالتفات إليها وترك النظر الصحيح فيها وهذه الآية متعلقة بقوله يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون إذا جاءتهم الرسل كذبوا وإذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها (وإذا قيل لهم) إشارة إلى أنهم أخلوا بجميع التكليفات لان جملتها ترجع إلى أمرين التعظيم بجانب الله والشنقة على خلق الله (أتفقوا مما رزقكم الله) أي تصدقوا على الفقراء مما أعطاكم الله وأنعم به عليكم من الأموال قال الحسن يعني اليهود أمر وابطاعا للفقراء وقال مقاتل إن المؤمنين قالوا الكفار قريش أتفقوا على المساكين مما زعمت أن الله من أموالكم

فذلك من أسرارها وإذا كان الحفاة العسرة رؤس الناس فذلك من أسرارها في حسن لا يعلمن إلا الله أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الآية ثم انصرف الرجل فقال رذوه على فأخذوا لردوه فإبراهيم قال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم ورواه البخاري أيضا في كتاب الإيمان ومسلم من طريق عن أبي حيان به وقد تكلمنا عليه في أول شرح البخاري وذكرنا ثم حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله وهو من أقراد مسلم (حديث ابن عباس) قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا كفيه على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الإسلام قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم الاسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وتشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال
 فاذا فعلت ذلك فقد أسلمت قال اذا فعلت ذلك فقد أسلمت قال يا رسول الله حدثني ما الايمان قال الايمان ان تؤمن بالله واليوم
 الآخر والملائكة والكتب والنبين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر كله
 خيره وشره قال فاذا فعلت ذلك فقد آمنت قال اذا فعلت ذلك فقد آمنت قال يا رسول الله حدثني ما الاحسان قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الاحسان ان تعمل لله كأنك (٢٤) تراه فان كنت لاتراه فانه يرالك قال يا رسول الله حدثني متى الساعة قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان
 الله خمس لا يعلمهن الا هو ان الله
 عنده علم الساعة وينزل الغيث
 ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس
 ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس
 باي أرض تموت الآية ولكن ان
 شئت حدثتك بما لم يهادون ذلك
 قال أرجل يا رسول الله حدثني قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
 رأيت الامة ولدت ربها أوربها
 ورأيت أصحاب البنان يطاولون
 في البنان ورأيت الحفصة الجياح
 العالة رؤس الناس فذلك من معالم
 الساعة وأشراتها قال يا رسول
 الله ومن أصحاب البنان الحفصة
 الجياح العالة قال (١) العرب حديث
 غريب ولم يخرجوه حديث رجل
 من بني عامر عن ربي بن حراش روى
 الامام احمد عن رجل من بني عامر
 انه استأذن على النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال أسلج فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم لخادمه اخرجي اليه فانه
 لا يحسن الاستئذان فقولى له فليقل
 السلام عليكم أدخل قال فسمعته
 يقول ذلك فقلت السلام عليكم
 أدخل فاذن لي فدخلت فقلت بم
 أين يتنابها لم آتكم الا بخير أيتنكم

من الحرب والانهام كافي قوله سبحانه وجه لوجه الله مما ذكر من الحرب والانهام نصيبا فكان
 جوابهم ما حكاه الله عنهم بقوله (قال الذين كفروا للذين آمنوا) استهزاء بهم وتهكما يقولهم
 (أطعم من لو يشاء الله أطعمه) أى من لو يشاء الله رزقه وقد كانوا ساءوا المسلمين يقولون ان
 الرزق هو الله وانه يغنى من يشاء ويقفرون من يشاء فكأنهم حاولوا بهذا القول الازام
 للمسلمين وقالوا نحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا غلط منهم ومكابرة
 ومجادلة بالباطل فان الله سبحانه أغنى بعض خلقه وأفقير بعضا ابتلاء للذي آمن من الفقر
 لا بخلا وأعطى الدينار للغنى لا استحقا فأوأمر الغنى أن يطعم الفقير وابتلاء به فيما فرض له
 من ماله من الصدقة ولا اعتراض لاحد في مشيئة الله وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق
 أمر الله وقولهم من لو يشاء الله أطعمه هو وان كان كلاما صحيحا في نفسه ولكنهم
 لما قصدوا به الانكار لقدرة الله وانكار جوارا لامر بالانفاق مع قدرة الله كان احتجاجهم
 من هذه الخبيثة باطلا (ان أنتم) في قوالكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا (الافى ضلال مبين)
 أى بين وهذا من تمام كلام الكفار والمعنى انكم أيها المسلمون في سؤال المال وأمرنا
 باطعام الفقراء اني ضلال في غاية الوضوح والظهور وقيل هو من كلام الله سبحانه جوابا
 على هذه المقالة التي قالها الكفار وقيل هو من قول أصحاب النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم لهم وقال التشبيري والماوردي ان الآية نزلت في قوم من الزنادقة وقد كان في كفار
 قريش وغيرهم من سائر العرب قوم يتزندقون فلا يؤمنون بالصانع فقالوا هذه المقالة
 استهزاء بالمسلمين ومناقضة لهم وحكي نحو هذا القرطبي عن ابن عباس ولهذا أظهر في مقام
 الانكار قيل كان العاصم بن وائل السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو
 أولى مني بك ويقول قدمه الله فأطعمه أنا (ويقولون متى هذا الوعد) الذي تعدونا به
 من البعث والعذاب والقيامة والمصير الى الجنة والنار وهذا رجوع للكلام مع الكفار
 من قريش المعترفين بوجود الله تعالى (ان كنتم صادقين) فيما تقولونه وتعدونا به قالوا ذلك
 استهزاء منهم وسخرية بالمؤمنين ومقصودهم انكار ذلك بالمرّة ونفي تحققه ومجد وقوعه
 فاجاب الله سبحانه عنهم بقوله (ما ينظرون) أى ما ينتظرون (الاصيحة واحدة) وهي نغمة
 اسرافيل في الصور وهذه النغمة هي الاولى وهي نغمة الصعق التي يموت بها من كان
 موجودا على وجه الارض وجعلوا منتظرين نظر الى قولهم متى تقع لان من قال متى يقع

أن تعبدوا الله وحده لا شريك له وأن تدعوا اللات والعزى وان تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات وأن تصوموا الشهر
 من السنة شهر او ان تتجوا البيت وان تأخذوا الزكاة من مال أغنياكم فتردوها على فقراءكم قال فقال فهل بقي من العلم شيء
 لاتعلمه قال قد علمني الله عز وجل خير او ان من العلم ما لا يعلمه الا الله عز وجل الجس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في
 الارحام الآية وهذا اسناد صحيح وقال ابن أبي نجيج عن مجاهد جاء رجل من أهل البادية فقال ان امرأتى حبلت ما تلد وبلادنا جدبة
 فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى أموت فانزل الله عز وجل ان الله عنده علم الساعة الى قوله هلم خير قال
 (١) قوله العرب وقوله بعد أسلج كذا بالنسخ التي بايد بناوحر اه

بجاهده وهي مفاتيح الغيب التي قال الله تعالى وعندده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو رواه ابن ابي حاتم وابن جرير وقال الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها انها قالت من حدثك انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وقوله تعالى وما تدرى نفس باي ارض تموت قال قتادة اشياء استأثر الله بهن فلا يبلغ علمهم ما تكلموا به ولا يتأخر سلا ان الله عنده علم الساعة فلا يدري احد من الناس متى تقوم الساعة في أي سنة أو في أي شهر أو ليل أو نهار وينزل الغيث فلا يعلم احد متى ينزل الغيث لسلا أو نهار أو يعلم ما في الارحام فلا يعلم احد ما في الارحام أذكر أم (٢٥) أي أجراً وأسود وما هو وما تدرى نفس ماذا

تكسب غداً أخيراً شر ولا تدرى يا ابن آدم متى تموت لعنك الميت غدا لعنك المصاب غدا وما تدرى نفس باي ارض تموت اي ليس احد من الناس يدري أين مضجعه من الارض أي بجرام برأسه سهل أو جبل وقد جاء في الحديث اذا أراد الله قبض عبد بارض جعل له اليها حاجة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير في مسند أسامة بن زيد حدثنا اسحق بن ابراهيم اخبرنا عبد الرزاق اخبرنا عمير عن ايوب عن ابي الميخ عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جعل الله ميتة عبد بارض الا جعل له فيها حاجة وقال عبد الله بن الامام احمد حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو داود الحفري عن سنان عن أبي اسحق عن مطر بن عكاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قضى الله ميتة عبد بارض جعل له اليها حاجة وهكذا رواه الترمذي في القدر من حديث سفيان الثوري به ثم قال حسن غريب ولا يعرف لمطر بن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا

الذي الفلاني يفهم من كلامه انه ينتظر وقوعه (تأخذهم وهم يخصمون) أي يختصمون في ذات بينهم في البيع والشراء ونحوه ما من أمور الدنيا ويتكلمون في الاسواق والمجالس وفي متصرفاتهم فتأتيهم الساعة أغفل ما كانوا عنها وقد صرح هذا في الاحاديث الصحيحة وهي معروفة في كتب السنة وقرئ يخصصون بسكون الخاء وتختيف الصاد من خصم يخصص والمعنى يخصص بعضهم بعضاً وقرئ باخفاء فتحة الخاء وتشديد الصاد وباطهار فتحة الخاء وتشديد الصاد وبكسر الخاء وتشديد الصاد والاصل في القراءات الثلاث يخصصون وقرأ أبي على الاصل والقراءات كلها ساجعية (فلا يستطيعون توصية) أي لا يستطيع بعضهم أن يوصي الى بعض عمله أو لا يستطيع أن يوصيه بالتوبة والاقلاع عن المعاصي بل يعوتون في أسواقهم ومواقعهم قال أبو هريرة تقوم الساعة والناس في أسواقهم يتبايعون ويذرعون الشباب ويحلبون اللقاح وفي حوائجهم فلا يستطيعون توصية الآية وعن الزبير بن العوام قال ان الساعة تقوم والرجل يذرع الثوب والرجل يحلب الناقة ثم قرأ الآية وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وهو يلط حوضه فلا يسقي فيه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقعمه ولا يطعمه ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها (ولا الى أهلهم يرجعون) أي الى منازلهم التي ما توأخروا حين عنها بل يعوتون حيث يسعون الصحيحة لان الساعة لا تغفلهم بشيء وقيل المعنى لا يرجعون الى أهلهم قولاً وهذا اخبار عما ينزل بهم عند النفخة الاولى ثم أخبر سبحانه عما ينزل بهم عند النفخة الثانية فقال (ونفخ في الصور) وهي النفخة التي يبعثون بها من قبورهم وما بين النفختين أربعون سنة أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوماً قال أربعين شهراً قالوا أربعين سنة قال أربعين عاماً ثم ينزل من السماء ماء فينتنون كما نبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الاعظام واحداً وهو محجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وعبر عن المستقبل بلفظ الماضي حيث قال ونفخ تنبها على تحقق وقوعه كما ذكره أهل البيان وجهه لولا هذه الآية من الاله والصور باسكان الواو وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل

(٤) فتح البيان ثامن) الحديث وقد رواه أبو داود في المراسيل فالله أعلم وقال الامام احمد حدثنا اسمعيل حدثنا ايوب عن ابي الميخ بن اسامة عن أبي عزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله قبض روح عبد بارض جعل له فيها أو قال بها حاجة وأبو عزة هذا هو بشار بن عبيد الله ويقال ابن عبد الهذلي وأخرجه الترمذي من حديث اسمعيل حدثنا عبيد الله بن أبي جريد عن أبي الميخ عن أبي عزة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله قبض عبد بارض جعل له اليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة الى علم خبير حديث آخر قال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا أحمد ابن ثابت الخنذري ومحمد بن يحيى القطعي قال حدثنا عمر بن علي حدثنا اسمعيل عن قيس عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذا أراد الله قبض عبد بارض جهل له اليها حاجة ثم قال البزار وهذا الحديث لانعلم أحدا يرفعه الا عمر بن علي المقدي
 وقال ابن أبي الدنيا حدثني سليمان بن أبي مسيخ قال انشدني محمد بن الحكم لا عشي همدان
 فما تزود مما كان يجمعه * سوى حنوط غداة البين مع خرق وغير نفعة أعواد تشب له * وقل ذلك من زاد لفظ
 لا تأسين على شيء فكل فتى * الى منيته سيار في غسق وكل من ظن أن الموت يخطئه * معلل باعالي من الحق
 بما يابسه تقدر منيته * إن لا يسير اليها طائعا يسقى (٢٦) أورده الحافظ ابن عساكر رحمه الله

في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن
 الحرث وهو أعشى همدان وكان
 الشعبي زوج أخته وهو من توج
 باخت الشعبي وقد كان من طلب العلم
 والتفقه ثم عدل الى صناعة الشعر
 فعرف به وقد روى ابن ماجه عن
 أحمد بن ثابت وعمر بن شبة كلاهما
 عن عمر بن عكرمة مرفوعا اذا كان
 أجل احدكم بارض أنت له اليها
 حاجة فاذا بلغ أقصى أثره قبضه الله
 عز وجل فتقول الارض يوم القيامة
 يارب هذا ما أودعني قال الطبراني
 حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا
 عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب
 عن أبي المليح عن اسامة ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال ما جعل
 الله منية عبد بارض الا جعل له
 اليها حاجة آخر تفسير سورة لقمان
 والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله
 ونعم الوكيل

(تفسير سورة الم السجدة وهي مكية)

روى البخاري في كتاب الجمعة حدثنا
 أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن
 ابراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز
 الاعرج عن أبي هريرة قال كان
 النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في

كما وردت بذلك السنة واطلاق هذا الاسم على القرن معروف في لغة العرب وقد مضى هذا
 مستوفى في سورة الانعام وقال قتادة الصور جمع صورة أي نفع في الصور الارواح (فاذا هم
 من الاجداث) أي القبور جمع جدث وهو القبر وقرئ الاجداف بالقاف وهي لغة واللغة
 الفصحى بالثاء المثلثة (الريهم ينسلون) أي يسرعون ويعدون ويخرجون منها أحياء
 بسرعة بطريق الجبر والقهر لا بطريق الاختيار فالنسل والنسلان الاسراع في السير
 يقال نسب الذئب ينسل كضرب بضر وب يقال ينسل بالضم أيضا وهو الاسراع في المشي
 (قالوا) عند بعضهم من القبور بالنفخة (يا ويلنا) نادوا ويلهم كأنهم قالوا له احضر فهذا
 أو ان حضورك وهو مصدر لا فعل له من لفظه بل من معناه وهو هلك وهو لاء القائلون هم
 الكفار قال ابن الأثير الوقف على ياولنا وقف حسن ثم يتدنى الكلام بقوله (من
 بعثنا من مرقدا) أي مغبنا ظنوا الاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول وما
 داخلهم من الفرع أنهم كانوا يما قرئ من بعثنا على الاستفهام وبكسر الميم على انها
 حرف جر وفي قراءة أبي من أهبننا من هب من نومه اذا انتبه وقيل أنهم يقولون ذلك اذا
 عابوا جهنم وقال أبو صالح اذا نفخ النفخة الاولى رفع العذاب عن أهل القبور وهجعوا
 هجعة الى النفخة الثانية وعن أبي بن كعب في الآية قال ينامون قبل البعث نومة وعن
 مجاهد أنهم يستريحون من العذاب قبيل النفخة الثانية ويذوقون طعم النوم انتهى فعليه
 يكون قولهم من مرقدا حقيقة لان المرقد حقيقة هو مكان النوم وقيل ان الله رفع عنهم
 العذاب بين النفختين فيمردون فاذا بعثوا في الثانية عابوا هوال القيامة ودعوا بالويل
 (هذا ما وعد الرحمن) جواب عليهم من جية الملائكة أو من جهة المؤمنين المتقين وقيل هو
 من كلام الكفرة يوجب به بعضهم على بعض قال بالاول الفراء وبالناني مجاهد وقال قتادة
 هي من قول الله سبحانه وما في ما وعد موصولة وعائد لها محذوف أي هذا الذي وعد
 الرحمن (وصدق) فيه (المرسلون) قد حق عليكم ووزن بكم ومنعوا لا الوعد والصدق
 محذوفان أي وعدكموه الرحمن وصدقكموه المرسلون والاصل وعدكم به وصدقكم فيه
 أو وعدناه الرحمن وصدقناه المرسلون على ان هذا من قول المؤمنين أو من قول الكفار
 أقروا حين لا ينفعهم الاقرار (ان) أي (ما كانت) تلك النفخة الثانية التي حكيت عنهم
 آتنا (الاصححة واحدة) صاحبها السراويل بنفخة في الصور (فاذا هم جميع ليدنا محضرون)

الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثوري وقال الامام اي
 أحمد حدثنا اسود بن عامر اخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى
 يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك تقرده أحمد
 (بسم الله الرحمن الرحيم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون اقتراء بل هو الحق من ربك لتندرقوا ما آتاهم من
 نذير من قبلك العليم بهتدون) قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تنزيل

الكتاب لا ريب فيه أى لا شك فيه ولا حرية أنه منزل من رب العالمين ثم قال تعالى يخبر عن المشركين أم يقولون افتراه أى خلقه من تلقاء نفسه بل هو الحق من ربك لتندرقوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتهدون أى يتبعون الحق (الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلات تذكرن يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره اثنى عشر سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم) يخبر تعالى انه الخالق للاشياء فخلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش (٢٧) وقد تقدم الكلام على ذلك ما لكم من دونه من ولى ولا شفيع أى بل هو المالك

لازمة الامور الخالق لكل شئ المدبر لكل شئ القاهر على كل شئ فلا ولى خلقه سواه ولا شفيع الا من بعد اذنه أفلات تذكرن يدبر الامر من العبادون غيره المتوكلون على من عداه تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو ونديد أو عديل لاله الا هو ولا رب سواه وقد أورد النسائي ههنا حديثنا فقال حدثنا ابراهيم بن يعقوب حدثني محمد بن الصباح حدثنا أبو عميرة الحداد حدثنا الاخضر بن عجلان عن أبي جريح المكي عن عطاء عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يدي فقال ان الله خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش فى اليوم السابع خلق التربة يوم السبت والحيال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة فى آخر ساعة من النهار بعد العصر وخلقته من آدم الارض أحرها وأسودها وطيبها وخبيثها من اجل ذلك جعل

أى فاذا هم مجموعون محضرون ليداسرعة للعساب والعتاب (فأى يوم لا تظلم نفس) من النفوس (شياً) مما تستحقه أى لا ينقص من ثواب عملها شيئاً من النقص ولا تظلم فيه بنوع من أنواع الظلم وهذا حكاية لما سيقال له حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقاً للحق وتقرير بعالمهم (ولا تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون) فى الدنيا أو الأبد كما كنتم تعملونه أى بدينه أو فى مقابلته ولما ذكر الله سبحانه حال الكافرين أتبعه بحكاية حال عباده الصالحين وجعله من جملة ما يقال للكفار يوماً من زيادة حسرتهم وتكسبهم للجزع عنهم وتبئما لما نزل بهم من البلاء وما شاهدوه من الشقاء فأذراً وأما أعداء الله لهم من العذاب وما أعده لأوليائه من أنواع العذاب بل بلغ ذلك من قلوبهم مبلغاً عظيماً وزاد فى ضيق صدورهم زيادة لا يقادر قدرها فقال (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) لما هم فيه من اللذات التى هى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر عن الاهتمام بأمر الكفار ومصيرهم الى النار وان كانوا من قربانهم والاولى عدم تخصيص الشغل بشئ معين والشغل هو الشأن الذى يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤنه لكونه أهم عنده من الكل اما لا يجابه كمال المسرعة والبهجة أو كمال المساءة والغم والمراد هنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للاذان بارتفاعه عن رتبة البيان وقال قتادة ومجاهد شغلهم ذلك اليوم بافتقاض العذارى وبه قال ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعن ابن عمر أن المؤمن كلما أراد زوجه وجدها عذراء وقد روى نحوه مرفوعاً وعن ابن عباس أيضاً قال فى ضرب الاوتار وقال أبو حاتم هذا لعله خطأ من المستمع وانما هو افتقاض الابكار على شط الانهار تحت الاشجار وقال وكيع شغلهم بالسماع وقال ابن كيسان بزيارة بعضهم بعضاً وقيل شغلهم كونهم ذلك اليوم فى ضيافة الله الجبار وقيل شغلهم عافية أهل النار على الاطلاق وعن أهل اليم فى النار لا يهتمهم أمرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص فى نعمهم والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذات التى تلهيهم عما عداها بالكتابة واما أن المراد به افتقاض الابكار أو السماع أو ضرب الاوتار والترار أو ضيافة الجبار كما روى كل واحد مناه عن واحد من أكبر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكره فقط بل بيان انه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلاً من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه قرئ شغل بضم السين وبضم الشين وسكون العين

الله من بنى آدم الطيب والخبيث هكذا ورد هذا الحديث اسناداً وقد أخرج مسلم والنسائي أيضاً من حديث حجاج بن محمد الاور عن ابن جريح عن اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو من هذا السياق وقد علمه البخارى فى كتاب التاريخ الكبير فقال وقال بعضهم أبو هريرة عن كعب الاحبار وهو أصح وكذا علمه غير واحد من الحفاظ والله أعلم وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه أى يتنزل أمره من أعلى السموات الى أقصى تخوم الارض السابعة كما قال تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن الآيات وترفع الاعمال الى ديارها

فوق السماء الدنيا ومسافة ما بينها وبين الارض مسيرة خمسمائة سنة وسمك السماء خمسمائة سنة وقال مجاهد وقتادة والضحاك النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام وعوده في مسيرة خمسمائة عام ولكنه يقطعها في طرفة عين ولهذا قال تعالى في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة أي المدير لهذه الامور الذي هو شهيد على اعمال عباده يرفع اليه جليلها وحقيقتها وصغيرها وكبيرها هو العزيز الذي قد عز كل شيء فتهزده وغلب ودان له العباد والرقاب الرحيم بعباده المؤمن فهو عزيز في رحمة رحيم في عزته (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) يقول تعالى محذرا انه الذي احسن خلق الاشياء وأتقنها وأحكمها وقال مالك عن زيد بن اسلم الذي احسن كل شيء خلقته قال احسن خلق كل شيء كأنه جعله من المقدم والمؤخر ثم لما ذكر تعالى خلق السموات والارض شرع في ذكر خلق الانسان فقال تعالى وبدأ خلق الانسان من طين يعني خلق أبا البشر آدم من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين أي يتناسلون كذلك من نطفة تتخرج من بين صلب الرجل وترايب المرأة ثم سواه يعني آدم لما خلق من تراب خلقه سوا مستقيما ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني العتول قليلا ما تشكرون أي بهذه القوى التي رزقكموها الله عز وجل فالسعيد من استعملها في طاعة ربه عز وجل (وقالوا اتدنا ضلنا في الارض أنالني خلق جديد بل هم بلقاهم بهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) يقول تعالى محذرا عن

وهما العتان كما قال الفراء وقرئ بفتحتين وبنح الشين وسكون الغين (فا كهون) وقرئ فا كهين و فكهون قال النراء هما العتان كالناره والفره والحاذر والحذر وقال الكسائي وأبو عبيدة النافا كاهة مثل تامر ولا بن والفكة المتفكة المنعم وقال قتادة الفكهون المحجبون وقال أبو زيد يقال رجل فكه اذا كان طيب النفس ضحوكا وقال مجاهد والضحاك كما قال قتادة وقال السدي كما قال الكسائي وقال ابن عباس فا كهون فرحون وقيل ناعمون متلذذون في النعمة من النكاهة وهي التمتع والتلذذ مأخوذين النافا كاهة وفسرها زاده بطيب العيش والنشاط (هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متسكنون) مستأنفة مسوقة لبيان كينية شغلهم وتفكهم وتنكهم لهم بما يزيدهم سرورا وجمعة من كون أزواجهم معهم على هذه الصفة من الانكاهة على الارائك تحت تلك الظلال والظلال جمع ظل وقرئ ظلل بضم الطاء جمع ظلة والظل هو الموضع الذي لا تقع عليه الشمس والظلة ما سترت عن الشمس وعلى القراءتين فالمراد الفرش والستور التي تظللهم كالخيام والحبال والارائك جمع أريكة كسفائر جمع سفينة والمراد بها السرر التي في الحجال قال أحمد بن يحيى نعلب الأريكة لان تكون الاسرير في قبعة وقال مقاتل ان المراد بالظلال أركان القصور وجملة (لهم فيها كاهة) مبينة لما يتمتعون به في الجنة من الماء كل والمشارب ونحوها ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من شيا الانس ومحافل القدس أي ولهم فيها كاهة كثيرة من كل نوع من أنواع النواكه (ولهم ما يدعون) ما هذه هي الموصولة والعائد محذوف أو موصوفة أو مصدرية ويدعون مضارع ادعى قال أبو عبيد دعون بتنون والعرب تقول ادع على ماشئت أي تمن وفلان في خير ما يدعي أي يقبى قال الزجاج هو من الدعاء أي ما يدعون به أهل الجنة يأتيهم من دعوت غلامى فيكون الافتعال بمعنى الفعل كلاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرجل قيل افتعل بمعنى تفاعل أي ما يتداعونه كقولهم ارتعوا وتراموا وقيل المعنى ان من ادعى منهم شيئا فهو له لان الله قد طبعهم على ان لا يدعى أحد منهم شيئا الا وهو يحسن ويجميل به ان يدعيه وقرئ يدعون بالتخفيف ومعناه وانح قال ابن الانباري والوقف على يدعون وقف حسن ثم يتدعى (سلام) على معنى لهم سلام وقيل ان سلام هو خبر ما أي مسلم خالص أو ذو سلامة وقال الزجاج سلام بدل من ما أي

المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا اتدنا ضلنا في الارض أي تمرقت أجسامنا وتفرقت في اجزاء الارض وذهبت أنالني خلق جديد أي أنالنا نعود بعد تلك الحال يستبعدون ذلك وهذا انما هو بعيد بالنسبة الى قدرهم العاجزة لا بالنسبة الى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم الذي انما امره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون ولهذا قال تعالى بل هم بلقاهم بهم كافرون ثم قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) يقول تعالى محذرا عن

المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا اتدنا ضلنا في الارض أي تمرقت أجسامنا وتفرقت في اجزاء الارض وذهبت أنالني خلق جديد أي أنالنا نعود بعد تلك الحال يستبعدون ذلك وهذا انما هو بعيد بالنسبة الى قدرهم العاجزة لا بالنسبة الى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم الذي انما امره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون ولهذا قال تعالى بل هم بلقاهم بهم كافرون ثم قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم الظاهر من هذه الآية ان ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر من حديث البراء المتقدم ذكره في سورة ابراهيم وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور وقاله قتادة

وغير واحد وله أعوان وهكذا ورد في الحديث ان أعوانه يتزعمون الارواح من سائر الجسد حتى اذا بلغت الحلقوم تناولها ملك الموت قال مجاهد حويت له الارض فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء ورواه زهير بن محمد عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه مرسلًا وقاله ابن عباس رضي الله عنهما وروى ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن ابي يحيى القري حدثنا عمر بن سمرة عن جعفر بن محمد قال سمعت ابي يقول نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند رأس رجل من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا ملك الموت ارفق بصاحبي فانه مؤمن فقال ملك الموت يا محمد (٢٩) طب نفسا وفر عينيا بكل فاني مؤمن رفيق

واعلم ان ما في الارض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر الا وانا تصفعهم في كل يوم خمس مرات حتى اني أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد لو اتى اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الا امر بقبضها قال جعفر بالمعنى انه انما تصفعهم عند واقبة الصلاة فاذا احضرهم عند الموت فان كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا اله الا الله محمد رسول الله في تلك الحال العظيمة وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسلم عن ابراهيم بن ميسرة قال سمعت مجاهدًا يقول ما على ظهر الارض من بيت شعر أو مدر الا وملك الموت يطوف به كل يوم مرتين وقال كعب الاحبار والله مامن بيت فيه احد من اهل الدنيا الا وملك الموت يطوف به كل يوم مرتين يقوم على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه احد أمر يتوفاه رواه ابن ابي حاتم وقوله تعالى ثم الى ربكم ترجعون اي يوم معادكم وقيامكم من قبوركم لجزائكم (ولو ترى اذ

ولهم ان يسلم الله عليهم وهذا من اهل الجنة والاولى ان يحمل قوله ولهم ما يتعون على العموم وهذا السلام يدخل تحته دخولا اوليا ولا وجه لقصره على نوع خاص وان كان أشرف أنواعه تحقيقا للمعنى العموم ورعاية لما يقتضيه النظم القرآني وقيل ان سلام مبتدأ وخبره الناصب لقولا اي سلام يقال لهم (قولا) وقيل التقدير سلام عليكم وقرئ سلاما على المصدرية أو على الحالية بمعنى خالصا والسلام اما من التهيئة أو من السلامة وقرئ يسلم كأنه قال يسلم لهم لا يتنازعون فيه واتصاب قول على انه مصدر لفعل محذوف اي قال الله لهم ذلك قولاً أو بقوله لهم قولاً (من رب رحيم) أي من جهة قيل يرسل الله سبحانه اليهم بالسلام وقال مقاتل ان الملائكة تدخل على اهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من رب رحيم وأخرج ابن ماجه وابن أبي الدنيا في صنعة الجنة والبرار وابن ابي حاتم والابري في الرواية وابن مردويه عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينا اهل الجنة في نعمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة وذلك قول الله سلام قولاً من رب رحيم قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحجب عنهم ويبقى نور وبركته عليهم في ديارهم قال ابن كثير في اسناده نظر وأخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس في الآية قال ان الله هو يسلم عليهم (وامتازوا اليوم أي المجرمون) هو على اضممار القول مقابل ما قيل للمؤمنين اي ويقال للمجرمين امتازوا أي اعتزلوا من مازيه عيظه يقال مزت الشيء من الشيء اذا عزله عنه ونحيته قال مقاتل معناه اعتزلوا اليوم يعني في الآخرة من الصالحين وقال السدي كونوا على حدة وقال الزجاج انشردوا عن المؤمنين وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة وقيل ان لكل كافر في النار بيتا فدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه أبدا لا يدين لا يرى ولا يرى فعلى هذا القول يمتاز به ضمهم عن بعض وقال قتادة عزلوا عن كل خير وقال الخليل يمتاز المجرمون بعضهم من بعض فيمتاز اليهود فرقة والنصارى فرقة والمجوس فرقة والصابئون فرقة وعبدة الاوثان فرقة وقال داود بن الجراح يمتاز المسلمون من المجرمين الا أصحاب الالهواء فانهم يكونون مع المجرمين ثم ويخفهم سبحانه وقرعهم بقوله (ألم أعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان) وهذا من جملة ما يقال

المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا وسعنا فارجعنا لعمل صالحا انما وقنون ولوشئنا لا بناكل نفس هذاها ولكن حق القول مني لا لان جهنم من الجنة والناس اجمعين فذوقوا عذابنا اليومكم هذا اناسيناكم وذوقوا عذابنا الخلد بما كنتم تعملون) يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة وقال لهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عز وجل حقيرين ذليلين ناكسوا رؤسهم اي من الحياء والخجل يقولون ربنا ابصرنا وسعنا اي نحن الان نسمع قولك ونطيع امرك كما قال تعالى اسمعهم وأبصر يوم باتوتنا وكذلك يعدون على انفسهم بالملامة اذا دخلوا النار بقولهم لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في اصحاب السعير وهكذا

هؤلاء يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا الى دار الدنيا فنعمل صالحا انما موقنون اى قد ايقنا وتحققنا فيها ان وعدك حق ولقائك حق وقد علم الرب تعالى منهم انه لو اعادهم الى دار الدنيا كانوا كما كانوا في الدنيا يكذبون بايات الله ويحالفون رسله كما قال تعالى ولوترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا تردونا لنتكذب بايات ربنا الاية وقال ههنا ولوشئنا الا يتناكل نفس ههنا كما قال تعالى ولوشاء ربك لا من في الارض كلهم جميعا ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من الصنفين فدراهم النار لا يحيد لهم عنها ولا يحميص (٣٠) لهم منها نعوذ بالله وكلما تاه التامة من ذلك فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا

اى يقال لاهل النار على سبيل التقرير والتوبيخ وذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له اذ علمتموه معاملته من هو ناس له انا نسينا كم اى سنعاملكم معاملتنا لانه تعالى لا ينسى شيئا ولا يضل عنه شئ بل من باب المقابلة كما قال تعالى فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون اى بسبب كفركم وتكذيبكم كما قال فى الاية الاخرى لا يدوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا لى قوله فلن يزيدكم العذابا (انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسجوا بحمدهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطوعا ومخارقة فانهم يتفقون فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة عين جزاء بما كانوا يعملون) يقول تعالى انما يؤمن باياتناى انما يصدق بهم الذين اذا ذكروا بها خروا وسجدا اى استوعوا لها واطاعوها قولاً وفعلاً وسجوا بحمدهم وهم لا يستكبرون اى عن اتباعها والاعتقاد لها كما يفيد له الجهل من الكفرة الفجرة قال الله تعالى ان الذين

لهم والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد هنا ما كفهم الله به على السنة الرسل من الاوامر والنواهي اى ألم أوصمكم وأبلغكم على السن رسلى أن لا تطيعوا الشيطان قال الزجاج المعنى ألم تقدم اليكم على لسان الرسل يا بنى آدم وقال مقاتل يعنى الذين أمروا بالاعتزال وقيل المراد بالعهده هنا الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهر آدم وقيل هو ما نصبه الله لهم وركزه فيهم من الدلائل العقلية التى فى سمواته وارضه وما أنزل عليهم من أدلة السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وانما عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتشديد عنها ولوقوعها فى مقابلة عبادة الله وجملة (انذلكم عدو مبين) تعليل لما قبلها من النهى عن طاعة الشيطان وقبول وسوخته (وأن اعبدون) أن فى الموضوعين هى المفسرة للعهد الذى فيه معنى القول ويجوز أن تكون مصدرة فيها اى ألم اعهد اليكم بان لا تعبدوا وبان اعبدوا فى أو ألم اعهد اليكم فى ترك عبادة الشيطان وفى عبادتى وتقديم النهى على الامر لما ان حق التحلية التقديم على التحلية كما فى كلمة التوحيد وليتصل بقوله (هذا) اى عبادة الله وتوحيده وأدين الاسلام (صراط مستقيم) بليغ فى الاستقامة ولا صراط أقوم منه ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان لبنى آدم فقال (واقعد أضل منكم جبلا كثيرا) اللام هى الموطئة للتسم والجمله مستأنفة لتشديد التقرير وتأكيد التوبيخ اى والله لقد أضل قرئى جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وبضم الجيم وسكون الباء وبضمتين مع تخفيف اللام وبضمتين مع تشديد اللام وقرئى بكسر الجيم واسكان الباء وتخفيف اللام قال الخاس وأبينها القراءة الاولى والدليل على ذلك أنهم قد قرؤا جميعا والجبلة الاولين بكسر الجيم والباء وتشديد اللام فيكون جبلا جمع جبلة واشتقاق الكل من جبل الله الخلق اى خلقهم ومعنى الاية ان الشيطان قد أعوى خلقا كثيرا كما قال مجاهد وقال قتادة جوعا كثيرة وقال الكلبي انما كثيرة قال النعلبي والقراآت كلها بمعنى الخلق وقرئى جبلا بالجرم والياء التحية قال الضحاك الجبل الواحد عشرة آلاف والكثير ما يحصىه الا الله عز وجل (ألم تكونوا تعقلون) الهمة للتوبيخ والتقرير والقاه للعطف على مقدر يقتضيه المقام كما تقدم فى نظائره اى أنت شاهدون آثار العقوبات فلم تكونوا تعلمون أو أفلم تكونوا تعلمون عداوة الشيطان لكم أو أفلم تكونوا تعلمون شيئا أصلا

لا يستكبرون اى عن اتباعها والاعتقاد لها كما يفيد له الجهل من الكفرة الفجرة قال الله تعالى ان الذين قرئى

يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ثم قال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعنى بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفرش الوطيئة قال مجاهد والحسن فى قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يعنى بذلك قيام الليل وعن أنس وعكرمة ومحمد بن المنكدر وأبى حازم وقتادة هو الصلاة بين العشاءين وعن أنس أيضا هو انظار صلا العتمة رواه ابن جرير باسناد جيد وقال الضحاك هو صلاة العشاء فى جماعة يدعون ربهم خوفا وطوعا أى خوفا من وبال عقابه

وطمعا في جزيل ثوابه وعمار قضاهم ينفقون فيجدهون بين فعل القربات اللازمة والمتعدية ومقدم هؤلاء وسيدهم وخرهم في الدنيا والآخرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الصبح ساطع يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع وقال الامام أحمد حدثنا روح وعثمان قال حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عجب ربنا من رجلين رجل (٣١) نار من وطائه وخطافه من بين جنبه وأهله

الى صلواته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزافي سبيل الله تعالى فانهم زموافع لم ما عليه من الفرار وماله في الرجوع فرجع حتى أهرى بدمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا الى عبدى رجوع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهرى بدمه وهكذا رواه ابوداود في الجهاد عن موسى بن اسمعيل عن حماد بن سلمة به نحوه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا عمر بن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا نبي الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف

قرئ الفعلان بالخطاب وبالغيبة (هذه جهنم التي كنتم توعدون) به في الدنيا على السنة الرسل والقائل لهم الملائكة وهو استئناف خطبوا به بعد تمام التوبيخ عندهم انهم على شفير جهنم ثم يقولون لهم (اصلوها) أمر تكبوت واهانة كقوله ذاق انك أنت العزيز الكريم أي قاسوا حرها وادخلوها (اليوم) وذر قوا أنواع العذاب فيها (ما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم بالله في الدنيا واطاعتكم للشيطان وعبادةكم للآوثان (اليوم نختم على أفواههم) قال المفسرون انهم يشكرون الشرك وتكذيب الرسل كما في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم ختما لا يقدرعون معه على الكلام وفي هذا التفات من الخطاب الى الغيبة للايدان بان أفعالهم القبيحة مستدعية لا اعتراض عن خطابهم ثم قال (وتكلمنا أيديهم وشهدنا أرجلهم عما كانوا يكسبون) أي تكلمت أيديهم عما كانوا يفعلونه وشهدت أرجلهم عليهم عما كانوا يعملون باختيارها بعد اقدار الله تعالى لها على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم وقرئ التكلمنا ولتشهد بلام كي قيل سبب الختم على أفواههم ليعرفهم اهل الموقف وقيل ختم على أفواههم لاجل ان يكون الاقرار من جوارحهم لان شهادة غير الناطق ابلغ في الحجية من شهادة الناطق فخروجه مخرج الاجحاز وقيل ليعلموا ان أعضاءهم التي كانت أعوانا لهم في معاصي الله صارت شهودا عليهم وجعل ما ينطق به الايدي كلاما واقرارا لانها كانت المباشرة لغالب المعاصي وجعل نطق الارجل شهادة لانها حاضرة عند كل معصية وكلام الفاعل اقرار وكلام الحاضر شهادة وهذا اعتبار الغالب والا فالرجل قد تكون مباشرة للمعصية كما تكون الايدي مباشرة لها وأخرج أحمد ومسلم والنسائي والبخاري وغيرهم عن أنس في الآية قال كان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضحك حتى بدت نواجذته قال أتدرون مما ضحكك قلنا لا يا رسول الله قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجزني من الظلم فيقول بل فيقول اني لأجيز على الاشهاد امنى فيقول كفى بينك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتين شهودا فتحتم على فيه وبقال لأركله انطق فينطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد التكن وصحفا فمنكن كنت أناضل وأخرج مسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد وأبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبق العبد ربه فيقول الله ألم أكرمك وأسودك وأزودك وأسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بل أي

الليل ثم قرأ تجافي جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزءا مما كانوا يعملون ثم قال ألا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه فقلت بل يا رسول الله فقال رأس الامر الاسلام وعموده وصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ثم قال ألا اخبرك بملك ذلك كله فقلت بل يا نبي الله فاخذ بلسانه ثم قال كف عليك هذا فقلت يا رسول الله وانالمواخذون بما تكلّم به فقال ثكلت أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه في سننهم من طرق عن معمر بن وهب قال الترمذي حسن صحيح ورواه ابن جرير من حديث شعبة عن الحكم قال سمعت عمرو بن النزال يحدث عن معاذ بن

جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام العبد من جوف الليل وتلا هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ورواه أيضاً من حديث الثوري عن منصور بن المعتمر عن الحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم يخوه ومن حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت والحكم عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ مرفوعاً يخوه ومن حديث حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن شهر عن معاذ أيضاً عن النبي صلى الله (٣٢) عليه وسلم في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من

الليل وروى ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا زيد ابن هرون حدثنا فطر بن خليفة عن حبيب بن أبي ثابت والحكم وحكيم بن جبير عن ميمون بن شبيب عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال ان شئت بأتك بابواب الخير الصوم جنة والصدقة تظنني الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية ثم قال حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي ابن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فتأدى بصوت يسمع الخلائق سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فيسأى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية فبقومون وهم قليل وقال البراز حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا الوليد بن عطاء بن الاعتر

رب فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول اني أنسالك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول مثل ذلك ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصلت وصمت وتصدقت وبني بخير ما استطاع فيقول لا أنبعث شاهداً عليك فيفكر في نفسه من الذي يشهد علي فيختم علي فيه ويقال لفلان انطق فتسقط نخذه ووجه وعظامه بعمله ما كان وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط عليه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي موسى نحوه (ولونشاء) أن نظمس (لطمسنا على أعينهم) أي أذهبنا أعينهم وجعلناها بحيث لا يبدا لها شق ولا جنن قال الكسائي طمس بطمس ويطمس والطميس والطموس عند أهل اللغة الذي ليس في عينه شق كما في قوله ولولشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم قال السدي والحسن المعنى تركناهم عما يترددون لا يبصرون طريق الهدى واختاره هذا ابن جرير قال ابن عباس في الآية أعيناهم وأصلناهم عن الهدى وقال عطاء ومقاتل وقتادة المعنى لونشاء لفقنا أعينهم وأعميناهم عن غيرهم وحوّلنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا رشدهم وراهدتوا وتبادروا الى طريق الآخرة (فاستبقوا الصراط) معطوف على لطمسنا أي تبادروا الى الطريق ليحوزوه ويخوضوا فيه والصراط منصوب بترغ الخافض أي فاستبقوا اليه وقرئ فاستبقوا على صيغة الامر أي فيقال لهم استبقوا وفي هذا تهديد لهم (فأني) أي فكيف (يبصرون) الطريق ويحسبون سلوكه ولأبصارهم ثم كرر التهديد لهم فقال (ولونشاء) لمسخناهم على مكانتهم) المسخ تهديد الخلق أي تغيير الصورة وابطال القوى الى حجر أو غيره من الجاد أو بهيمة والمكانة المكان أي لوشنا بدلنا خلقهم على المكان الذي هم فيه قيل والمكانة أخص من المكان كالمقامة والمقام قال الحسن أي لا قعدناهم وقيل لمسخناهم في المكان الذي فعلوا فيه المعصية وقيل المعنى لونشاء لاهلكناهم في مساكنهم قاله ابن عباس وقال يحيى بن سلام هذا كله يوم القيامة قرأ الجمهور على مكانتهم بالافراد وقرئ على مكاناتهم بالجمع (فاستطاعوا مضياً ولا يرجعون) أي لا يقدرون على ذهاب ولا يحيى قال الحسن فلا يستطيعون أن يعصوا وأمامهم ولا يرجعوا وراهم وكذلك الجاد لا يتقدم ولا يتأخر وقرئ مضياً يضم الميم ويفتحها وبكسرهما قيل والمعنى لا يستطيعون رجوعاً يقال مضى مضى مضياً اذا ذهب في الارض ورجع رجوعاً اذا عاد من

حدثنا عبد الحميد بن سليمان حدثني مصعب عن زيد بن اسلم عن ابيه قال قال بلال لما نزلت هذه الآية حيث

تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية كأنجلس في المجلس وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون بعد المغرب الى العشاء فنزلت هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع ثم قال لانعم روى زيد بن اسلم عن بلال سواه وليس له طريق عن بلال غير هذه الطريق وقوله تعالى فلا تعلم نفس الا تخفى لهم من قرعة عين الآية اي فلا يعلم احد عظمة ما تخفى الله لهم في الجنات من النعيم المقبوم واللذات التي لم يطلع على مثلها احد لما اخفوا اعمالهم كذلك اخفى الله لهم من الثواب جزاءه وفاقا فان الجزاء من

جنس العمل قال الحسن البصرى أخفى قوم عملا فآخى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر رواه بن أبى حاتم قال البخارى قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرآءة عين الآية حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة رآه أقروا أن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرآءة عين قال وحدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال الله مثله قبل لسفيان (٣٣) رواية قال فإى شئ ورواه مسلم والترمذى

من حديث سفيان بن عيينة به وقال الترمذى حسن صحيح ثم قال البخارى حدثنا اسحق بن نصر حدثنا أبو اسامة عن الاعمش حدثنا أبو صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا من بلمأط لهم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرآءة عين جزاء بما كانوا يعملون قال أبو يعقوب عن الاعمش عن أبي صالح قرأ أبو هريرة قرآءة عين انفرد به البخارى من هذا الوجه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر أخرجه فى الصحيحين من رواية عبد الرزاق قال ورواه الترمذى فى التفسير وابن جرير من حديث عبد الرحيم بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول

حيث جاء (ومن نعم من تكسبه فى الخلق) قرأ الجمهور تنكسه بفتح النون الاولى وسكون الثانية وضم الكاف مخففة وقرئ بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة والتنكيس جعل الشئ أعلاه أسفله والمعنى من نزل عمره فغير خلقه وجعله على عكس ما كان عليه وألا من القوة والطراوة قال الزجاج المعنى من أطلنا عمره نكسنا خلقه فصار بدل القوة الضعف وبدل الشباب الهرم ومثله هذه الآية قوله سبحانه ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شئ وقوله ثم ردناه أسفله سافلين (أفلا يعقلون) قرأ الجمهور بالتحية وقرئ بالفوقية على الخطاب أى أفلا يعلمون بعقولهم ان من قدر على ذلك قدر على البعث والنشور ولما قال كذا مكة ان القرآن شعر وان محمد اشاعر رد الله عليهم بقوله (وما علمناه الشعر) والمعنى نفي كون القرآن شعرا لان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبنى على خيالات وأوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل المنزه عن مآثله كلام البشر المشعرون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصول الى سعادة الدنيا والآخرة ثم نفي ان يكون النبي شاعرا فقال (وما ينبغى له) أى لا يصح له الشعر ولا يتأتى منه ولا يتسهل عليه لو طلبه وأراد ان يقوله بالطبع والسجية كما جعلناه أمثيا لا يهتدى الى الخط لتكون الحجة أثبت والشبهة ادحض بل كان صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد ان ينشد بيتا قد قاله شاعر متمثلا به كسر وزنه فانه لما أنشديت طرفه من العبد المشهور وهو قوله ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود قال ويأتيك من لم تزود بالاخبار وان شدمرة أخرى قول العباس بن مرداس السلبى أتجعل نهي ونهب العبيد * دبين عيينة والاقرع فقال بين الاقرع وعيينة وأنشدا أيضا * كفى بالاسلام والشيب ناهيا * فقال أبو بكر يارسول الله انما قال الشاعر * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * فقال أشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغى له وقد وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم كثير من مثل هذا قال الخليل كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كثير من الكلام ولكن لا يتأتى منه انتهى ووجه عدم تعليمه الشعر وعدم قدرته عليه التكميل للعبوة والدحض للشبهة كما جعله الله أمثيا لا يقرأ ولا يكتب وأما ما روى

(فتح البيان ثامن) الله صلى الله عليه وسلم عمله ثم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وقال حماد بن سلمة عن ثابت بن أبى رافع عن أبي هريرة رضى الله عنه قال حماد حسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به وروى الامام أحمد حدثنا هرون حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر أن أبا حازم حدثه قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه يقول شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال فى آخر حديثه فيها ما لا عين رأت ولا أذن

لسمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله يعملون وأخرجهم مسلم في صحيحه عن هرون بن معروف وهو روى عن ابن سعيد كلاهما عن ابن وهب به وقال ابن جرير حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا علي بن أسد حدثنا سلام ابن أبي مطيع عن قتادة عن عقبه بن عبد الغافر عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى عن ربه عز وجل قال أعددت له مبادئ الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لم يخرجوه وقال مسلم أيضا في صحيحه حدثنا ابن أبي عمير وغيره حدثنا سفيان بن مطرف بن طريف (٣٤) وعبد الملك بن سعيد سمعا الشعبي يخبر عن المغيرة بن شعبه قال سمعته على

المنبر يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت موسى عليه السلام ربه عز وجل ما أدنى أهل الجنة منزلة قال هو رجل يحيى بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول اي رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى ان يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فيقال في الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمته والملك ما اشبهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال رب فاعلاهم منزلة قال أولئك الذين غرست كرامتهم يدي وختمت عليهما فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخط رعى قلب بشر قال ومصادق من كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية ورواه الترمذي عن ابن أبي عمير وقال حسن صحيح قال ورواه بعضهم عن الشعبي عن المغيرة ولم يرفعه والمرفوع أصح قال ابن أبي حاتم حدثنا ابن منير المدائني حدثنا ابوبدر بن شجاع

عنه من قوله صلى الله عليه وآله وسلم

هل أنت الا أصبح دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

وقوله أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

ونحو ذلك من الاتفاق الوارد من غير قصد كما يأتي ذلك في بعض آيات القرآن وليس بشعر ولا مراد به الشعر بل اتفق ذلك اتفاقا كما يقع في كثير من كلام الناس فانهم قديت كلامون بما لو اعتبره معتبر لكان على وزن الشعر ولا يعدونه شعرا وذلك كقوله تعالى ان تناووا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله وجفان كالجواب وقد وردت اسيات على انه قد قال الاخفش ان قوله أنا النبي لا كذب ليس بشعر وقال الخليل في كتاب العين ان ما جاء من السجع على جزأين لا يكون شعرا قال ابن العربي والظاهر من حاله انه قال لا كذب برفع الباء من كذب وبخفضها من عبد المطلب قال النحاس قال بعضهم انما الرواية بالاعراب واذا كانت بالاعراب لم يكن شعرا لانه اذا فتح الباء من الاقول أو ضمها أو نونها وكسر الباء من الثاني خرج عن وزن الشعر وقيل ان الضمير في له عائد الى القرآن أي وما ينبغي للقرآن ان يكون شعرا أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم قال بلغني انه قيل لعائشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل بشي من الشعر قالت كان أبغض الحديث اليه غير انه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس فيجعل أوله آخره يقول ويأتيتك لم تزود وبالخبار فقال أبو بكر ليس هكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني والله ما أبشاعرو ولا ينبغي لي وهذا يريد ما نقلناه عن الخليل سابقا ان الشعر كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كثير من الكلام وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا استراخ الخبير يتمثل ببيت طرفة ويأتيتك بالخبار من لم تزود * وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل من الاشعار ويأتيتك الخ وأخرج البيهقي في سننه عن عائشة قالت ما جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت شعرا قط الا بيتا واحدا

تفاعل بما تهوى يكن فلقمنا * يقال لشيء كان الاتحقيق

قالت عائشة ولم يقل تحققتا لايه يعر به فيصير شعرا واسناده هكذا قال أخيرنا أبو عبد الله الحافظ يعني الحاكم حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال

ابن الوليد حدثنا يزيد بن خبيثة عن محمد بن بجمادة عن عباس بن عبد انوا احد قال بلغني ان الرجل من أهل الجنة النحوى

يمكث في مكانه سبعين سنة ثم يلمت فت فاذا هو بامرأة احسن مما كان فيه فنقول له قد آن لك ان يكون لنا منك نصيب فيقول من انت فنقول انامن المزيديمكث معها سبعين سنة ثم يلمت فت فاذا هو بامرأة احسن مما كان فيه فتقول له قد آن لك ان يكون لنا منك نصيب فيقول من انت فتقول انانا التي قال الله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قال تدخل عليهم الملائكة في مقدار كل يوم من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم الخيف من الله من جنات عدن ما ليس

في جناتهم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ويخبرون ان الله عنهم راض وروى ابن جرير حديثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن ابي اليمان القزاري أو غيره قال الجنة مائة درجة أولها درجة فضة وأرضها فضة ومساكنها فضة وترابها المسك والثانية ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وآبنتها ذهب وترابها المسك والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ ومساكنها اللؤلؤ وآبنتها اللؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم تلا هذه الآية فلا تعلم نفس ما أخفي لهم الآية (٣٥) وروى ابن جرير حديثنا يعقوب بن ابراهيم

حدثنا معتز بن سليمان عن الحكم ابن ابان عن القطر بن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح الامين قال نوبى بحسنة العبد وسبائة يتقص بعضها من بعض فان بقيت حسنة وسع الله في الجنة قال فدخلت على يزيد بن جندب مثل هذا الحديث قال فقلت فابن ذهب الحسنة قال أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا وتجاوز عن سيئاتهم الآية قلت قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قال العبد يعمل سر أسره الى الله لم يعلم به الناس فامر الله له يوم القيامة قرة عين (أمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستورن أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فإنا هم النار كلما أرادوا ان يخرجوا منها أعينهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنديقتهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر اهلهم يرجعون ومن أنظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها انا

التحوى الظريير حدثنا علي بن عمرو الانصاري حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكره وقد سئل المزي عن هذا الحديث فقال هو منكر ولم يعرف شيخ الحاكم ولا الضريير في اسناده قال البيضاوي والخازن قال العلماء ما كان يتزين له بيت شعر وان تمثل ببيت شعر جرى على لسانه الشريف مكسرا ولو كان ممن يقول الشعر لتطرفت التهمة عقلا في أن ما جاء به من عند نفسه ولهذا قال ويحق القول الخ كما يأتي لانه لم يبق الا العناد الموجب للهلاك وقال القرطبي اصابة الوزن منه صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الاحيان لا توجب أنه يعلم الشعر كقوله أنا النبي لا كذب الخ والمعمل عليه في الانفصال على تسليم ان هذا شعر ان التمثل بالبيت لا يوجب ان يكون فائدا عالم بالشعر ولان يسمى شاعرا باتفاق العلماء كما ان من خاط خطا على سبيل الاتفاق لا يكون خطا طبا قال الزجاج أى ما جعلناه شاعرا وهذا لا ينشئ شيئا من الشعر من غير قصد كونه شعرا قال النحاس وهذا أحسن ما قيل في هذا وقد قيل انما أخبر الله عز وجل انه ما علمه الشعر ومن لم يخبر انه لا ينشئ الشعر وقد قالوا كل من قال قولنا لا يقصد به الى شعر فليس بشاعر وانما وافق الشعر فيما يجرى على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرا وانما يعد منه ما يجرى على وزن الشعر مع القصد اليه ولما نفي ان يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو) أى ما القرآن (الاذكر) من الاذكار وموعظة من المواعظ يوعظ بها الانس والجن (وقرآن مبين) أى كتاب من كتب الله السماوية مشتغل على الاحكام الشرعية يقرأ في المحارب ويتلى في المتعبدات وينال تلاوته والعمل به فوز الدارين والدرجات فكلم بينه وبين الشعر الذى هو من همزات الشاطين واقل ويل الشعراء الكاذبين (لينذر) قرئ بالتحية والتوقية وعلى الاولى المراد القرآن وعلى الثانية المراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (من كان حيا) يعقل ما يخاطب به اى مؤمنا قلبه صحيح يقبل الحق ويأبى الباطل لان الكافر كالميت لا يتدبر ولا يتفكر (ويحق القول على الكافرين) اى ويجب كلمة العذاب على المصرين على الكفر الممتنعين من الايمان بالله وبرسوله وايرادهم في مقابلة من كان حيا فيه اشعار بأنهم خلصوا عن آتار الحياة التى هى المعرفة اموات في الحقيقة ثم ذكر سبحانه قدرته العظيمة وانعامه على عبده وبعده الكفار لنعمة فقال (أولم يروا) الهمزة لانكار والتعجب من حالهم والواو للعطف على مقدر

من الجرمين مستقيمون) يخبر تعالى عن عدله وكرمه انه لا يساوى في حكمه يوم القيامة من كان مؤمنا باه متبعار رسله عن كان فاسقا أى خارجا عن طاعة ربه مكذبا لرسله كما قال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار وقال تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة الآية ولهذا قال تعالى ههنا أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستورن أى عند الله يوم القيامة وقد ذكر عطاء بن يسار والسدي وغيرهما انها نزلت في علي بن

أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي صدقت قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضاها وهي الصالحات فلهم جنات المأوى أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية نزلاً أي ضيافة وكرامة بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا أي خرجوا عن الطاعة فأوأهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها كقوله كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها الآية قال الفضيل بن عياض والله إن الأيدي لموثقة وإن الأرجل لمقيدة وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تقمعهم وقيل (٣٦) لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون أي يقال لهم ذلك تقريهاً

وتوبخاً وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال ابن عباس يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتهما وما يحل باهلها مما يبئلي الله به عباده ليتوبوا اليه وروى مثله عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن وابراهيم التخفي والفضال وعلقمة وعطية ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزري وخصيف وقال ابن عباس في رواية عنه يعني به إقامة الحد وعليهم وقال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة يعني به عذاب القبر وقال النسائي أخبرنا عمرو بن علي أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن امرئيل عن أبي اسحق عن أبي الاحوص وأبي عبيدة عن عبد الله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال سنون أصابهم وقال عبد الله ابن الامام أحمد حدثني عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عمرو بن الحسن العرني عن يحيى بن الجزار عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب في

كافي نظائره والروية هي القلبية أي ولم يعلموا بالتفكير والاعتبار (أنا خلقنا لهم) أي لأجلهم وانتفاعهم (مما عملت أيدينا) أي مما أبدعناه وعملناه من غير واسطة ولا شركة واسناد العمل إلى الأيدي مبالغ في الاختصاص والتفرد بالخلق كما يقول الواحد منا علمته يبدى للدلالة على تفرد عمله وما معنى الذي وحذف العائد لطول الصلة ويجوز أن تكون مصدرية وتأتي بهذه الجملة بعد قوله خلقنا للإشارة إلى حصر الخلق لهذه النعم فيه تعالى واسعة قتاله بها فهو وكاية عرفية وقيل تشبيهية أي مما أولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وقوله (أنعاماً) منقول خلقنا وهي جمع نعم وهي البقر والغنم والأبل وإنما خصها بالذكر وإن كانت الأشياء كلها من خلق الله وإيجاده لأن النعم أكثر أموال العرب والنتع بها اعم وقد سبق تحقيق الكلام فيها ثم ذكر سبحانه المنافع المترتبة على خلق الانعام فقال (فهم لها مالكون) أي ضابطون قاهرون يتصرفون بها كيف شاؤوا ولو خلقتناها وحشية لنفرت عنهم ولم يقدروا على ضبطها والمراد أنها صارت في أملاكهم ومعودة في جلة أموالهم المنسوبة إليهم نسبة الملك وهذا الظاهر ليكون قوله (وذللناهم) تأسيساً للعمية على حيالها لا تتم لما قبلها أي جعلناهم مستخرجة لا تتنعم مما يريدون منها من منافعهم حتى الذبح ويقودها الصبي فتقتله ويزجرها فتزجر (فإنها ركوبهم) الفاء لتدريج احكام التذليل عليه أي فإنها ركوبهم الذي يركبونه كما يقال ناقة حلوب أي محلوبة يعني معظم منافعها الر كوب وعدم التعرض للعمل لكونه من تنمة الر كوب قرأ الجمهور ركوبهم بفتح الراء وقرئ بضمها على المصدر وقرأ أي وعائشة ركوبهم والركوب والركوبة واحد مثل الحلوب والحلوبة والحول والحولة وقال ابو عبيدة الركوبة تكون للواحدة والجماعة والركوب لا يكون إلا للجماعة ووزعم أبو حاتم أنه لا يجوز فنهار كوبهم بضم الراء لأنه مصدر والركوب ما يركب واجاز ذلك القراء كما يقال فنهار كلبهم ومنها شربهم (ومنها ما يكون) أي ما ياكلونه من لحمها ومن للتبعض وإنما غير الاسلوب هنا لأن الاكل يعم الانعام كلها بخلاف الركوب فهو خاص بالأبل منها (ولهم فيها) أي لهم في الانعام بتقسيمها (منافع) غير الركوب لها والاكل منها وهي ما ينتفعون به من أصوافها وأوبارها وأشعارها وما يتخذونه من الأدهان من شعومها وكذلك الحبل عليها والحراثة بها وجلودها ونسلها (و) لهم فيها (مشارب) مما يحصل من ألبانها جمع مشرب وهو موضع

هذه الآية ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قال القمرو والدخان قدمضيا والبطشة الشرب

واللزام ورواه مسلم من حديث شعبة بن موقوف فأنحوه وعند البخاري عن ابن مسعود فأنحوه وقال عبد الله بن مسعود أيضاً في رواية عنه العذاب الأدنى ما أصابهم من القتل والسبي يوم بدر وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدي وغيره لم يبق بيت بمكة الا دخله الحزن على قتل لهم أو أسير فاصبوا أو هزموا ومنهم من جمع له الامران وقوله تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها أي لأظلم ممن ذكر الله بآياته وبينها ووضعها ثم بعد ذلك تركها وبعدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها قال

قتادة اياكم والاعراض عن ذكر الله فان من اعرض عن ذكره فقد اعتزأ كبر العزة وأعوز أشد العوز وعظم من عظم الذنوب ولهذا قال تعالى متهدد المن فعل ذلك اناس الجرمين منتقمون أى سأتقم من فعل ذلك أشد الانتقام وروى ابن جرير حدثني عمران ابن بكار الكلابي حدثنا محمد بن المبارك حدثنا اسمعيل بن عباس حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عباد بن نسي عن جنادة بن أمية عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من فعلهن فقد أجرم من عقداوا في غير حق أو عتق والديه أو مشى مع ظالمين نصره فقد أجرم يقول الله تعالى اناس الجرمين (٣٧) منتقمون ورواه بن أبي حاتم من حديث

اسمعيل بن عياش به وهذا حديث غريب جدا (وقد أتينا موسى الكتاب فلا تكن في مريه من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم أممته يهدون باهرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله موسى عليه السلام انه آناه الكتاب وهو التوراة وقوله تعالى فلا تكن في مريه من لقائه قال قتادة يعنى به ليله الاسراء ثم روى عن ابى العالبيه الرياحي قال حدثني ابن عم نبيكم يعنى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ليله أسرى بنى موسى بن عمران رجلا آدم طوا واجعدنا كأنه من رجال شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوع الخلق الى الحجره والبياض سبط الراس ورايت مالكاً خازن النار والدجال في آيات أراهن الله اياه فلا تكن في مريه من لقائه انه قد رأى موسى ولقى موسى ليله أسرى به وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن ابى شيبة حدثنا

التبريد او الشراب والظاهر ان المراد به ضر وعها (افلا يشكرون) الله على هذه النعم ويوحده ونه ويحذونه بالعبادة ثم ذكر سبحانه جهلهم واعتزازهم ووضعهم كفران النعم موضع شكرها فقال (واخذوا من دون الله آلهة) من الاصنام ونحوها يعبدونها ولا قدرة لها على شئ ولم يحصل لهم منها فائدة ولا عا د عليهم من عبادتها عائدة (لعلهم ينصرون) أى رجاء ان ينصروا من جهتهم ان نزل بهم عذاب أو دهمهم أمر من الامور (لا يستطيعون نصرهم) مستأنفة لبيان بطلان ما رجوه منها وأملوه من نفعها وانعكاس تدبيرهم وجعلهم بالواو والنون جمع العقلاء بناء على زعم المشركين انهم ينفعون ويضرون ويعقلون (وهم لهم جند محضون) أى والى الكفار جند للاصنام يحضرونهم في الدنيا قال الحسن ينعون منهم ويدفعون عنهم وقال قتادة أى يغضبون لهم في الدنيا قال الزجاج ينتصرون للاصنام وهى لا تستطيع نصرهم وقيل المعنى يعبدون الآلهة ويقومون بها فهم لهم بمنزلة الجند هذه الاقوال على جعل ضميرهم للمشركين وضميرهم للآلهة وقيل وهم أى الآلهة لهم أى للمشركين جند معدون ومحضون معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل معناه وهذه الاصنام لهؤلاء الكفار جند الله عليهم في جهنم لانهم يلغونهم ويتركونهم وقيل المعنى ان الكفار يعتقدون ان الاصنام جند لهم يحضرون يوم القيامة لانهم تمسلى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فلا يجوز ان قولهم) الفاء لترتيب النهى على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به أطماعهم النارغة وانعكاس الامر عليهم بترتيب الشر على ما ترتبه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطر ويورث السلاوة والنهى وان توجه بحسب الظاهر الى قولهم لكن في الحقيقة متوجه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا القول هو ما يفيد قوله واخذوا من دون الله آلهة فانهم لا يبدان يقولوا هؤلاء آلهتنا وانها شر كاهن الله في المعبودية ونحو ذلك وهو نهى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن التأثر بذلك بطريق الكتابة على أبلغ وجهه وآكده وقيل انه نهى لهم عن الاسباب التي تحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان النهى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التأثر بما يصد منهم هو من باب لأرى نكدهنا فانه يراد به نهى من خاطبه عن الحضور لديه لانهى نفسه عن الرؤية وهذا يعيد الاول وأولى والكلام من باب التسلية كما ذكرنا ويجوز

الحسن بن علي الحلواني حدثنا روح بن عباد حدثنا سعيد بن ابى عمرو بن قتادة عن ابى العالبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وجعلناه هدى لبني اسرائيل قال جعل موسى هدى لبني اسرائيل وفي قوله فلا تكن في مريه من لقائه قال من لقاء موسى وقوله تعالى وجعلناه اى الكتاب الذى آتينا هدى لبني اسرائيل كما قال تعالى في سورة الاسراء وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا من دونى وكلا وقوله تعالى وجعلنا منهم أممته يهدون باهرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون اى لما كانوا صابرين على اوامر الله وترك زواجهم وتصديق رسله واتباعهم فيما جأؤهم به كان منهم أممته يهدون الى الحق

ناهر الله ويدعون الى الخسر وبأهرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم لما بدوا وحر فواوا ولوا لسبوا ذلك المقام وصارت قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فلا عمل صالح ولا اعتقاد صحيح ولهذا قال تعالى ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب قال قتادة وسفيان لمصابر واعن الدنيا وكذلك قال الحسن بن صالح قال سفيان هكذا كان هؤلاء ينبغي للرجل أن يكون له اماما يقتدى به حتى يتحاشى عن الدنيا قال وكيع قال سفيان لا بد للدين من العلم كالإبد للجسد من الخبز قال ابن بنت الشافعي قال قرأ أبي على عبي أو غمي على أبي سئل سفيان عن قول علي (٣٨) رضى الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ألم تسمع قوله وجعلناهم

أئمة يدون بأمرنا لمصابر وأقال لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤسا ولهذا قال تعالى ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنسوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الأمر الآية كما قال هنا ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أى من الاعتقادات والأعمال (اولهم يد لهم كم أهل كل من قبلهم من القرون يعيشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الأرض الجزر فنخرج به زرعاً كل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يسمعون) يقول تعالى اولم يهدلهم هؤلاء المكذبين بالرسل ما اهلك الله قبلهم من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ومخالفتهم إياهم فيما جاؤهم به من قويم السبل فلم يبق منهم باقية ولا عين ولا أثر هل يحسن منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ولهذا قال يعيشون في مساكنهم أى وهؤلاء المكذبون يعيشون في مساكن أولئك المكذبين فلا يرون فيها احد ممن كان يسكنها

ان يكون المراد بالقول المذكور هو قولهم انه ساحر وشاعر ومجنون (انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) تعليل لما تقدم من النهي فان علمه سبحانه بما ينظرون وما يضمرون مستلزم للمجازاة لهم بذلك وان جميع ما صدر منهم لا يعزب عنه سواء كان خافياً أو باديساً أو جهرًا مظهرًا أو مضمراً وتقديم السر على الجهر للدلالة على شمول علمه بجميع المعلومات وقرئ انا بالكسر وبالفتح على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن والشعر وفي كل كلام وكسرهما أبو خنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل كما تقدم (اولم ير الانسان) مستأنفة مسوقة لبيان اقامة الحجة على من أنكر البعث والتعجب من جهله فان مشاهدته خلقهم في أنفسهم على هذه الصفة من البداية الى النهاية مستلزمة للاعتراف بقدرة القادر الحكيم على ما هو دون ذلك من بعث الاجسام وردها كما كانت والانسان المذكور في الآية المراد به جنس الانسان كما في قوله أولاد كرا الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ولا وجهه لتخصيصه بانسان معين كما قيل انه عبد الله بن أبي وانه قيل له ذلك لما أنكر البعث وقال الحسن هو أمية بن خلف وقال سعيد بن جبيرة هو العاص بن وائل السهمي وقال قتادة ومجاهد هو أبي بن خلف الجمحي فان أحدهما لا مردان كان سببا للزول فعنى الآية خطاب الانسان من حيث هو لا انسان معين ويدخل من كان سببا للزول تحت جنس الانسان دخولاً أولياً (انا خلقناه من نطفة) قدرة خسية مذرة خارجة من الاحليل الذى هو قناة النجاسة والنطفة هى اليسير من الماء وقد تقدم تحقيق معناها (فأذا هو خصيم مبين) هذه الجملة معطوفة على الجملة المنقبة قبلها داخله معها فى حيز الانكار المفهوم من الاستنهام واذا هى الفجائية أى لم ير الانسان أنا خلقناه من أضعف الاشياء وأخسها وأمهنا ففناحاً خصوصتنا فى أمر قد قامت فيه عليه حجج الله وبراهينه وشهدت بصحته وتحققه مدد أظفرت به شهادة بينة والمعنى العجب من جهل هذا الخاصم مع مهانة أصله ودناءة أوله كيف يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته فى انكار البعث ولا يتفكر فى بدء خلقه وانه من نطفة قدرة وهو غاية المكابرة والخصيم الشديد الخصومة الكثير الجدال ومعنى المبين المظهر لما يقوله الموضح له بقوة عارضته وطلاقة لسانه قال ابن عباس جاء العاص بن وائل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعظم حائل فضبه بيده فقال يا محمد أيجي الله هذا بعد ما أرى قال نعم يعث الله هذا ثم يبعثك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم فنزلت

ويعمرها ذهبوا منها كأن لم يغمروا فيها كما قال فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وقال وكا من قرية أهل كلها الآيات وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيبد فلم يسروا فى الأرض الى قوله ولكن نعمى القلوب التى فى الصدور ولهذا قال ههنا ان فى ذلك لايات أى ان فى ذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل ونجاة من آمن بهم لايات وعبراً ومواعظ ودلائل متناظرة أفلا يسمعون أى اخبار من تقدم كيف كان أمرهم وقوله تعالى أولم يروا انا نسوق الماء الى الأرض الجزر بين تعالى لطفه بخلقهم واحسانه اليهم فى ارساله الماء امامن السماء أو من السبع وهو ما تحمله الانهار ويتجدد من الجبال الى الاراضى المحتاجة اليه فى أوقاته ولهذا قال تعالى الى الأرض الجزر وهى التى لا نبات فيها كما قال تعالى وانا الجبال عيون

ما عليها بعد اجزا أي يبسا لا تنبت شيئا وليس المراد من قوله الى الارض الجزر أرض مصر فقط بل هي بعض المقصود وان مثل
 بها كثير من المفسرين فليست المقصودة وحدها ولكنها مرادة قطعاً من هذه الآية فانها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من
 الماء ما لو نزل عليها مطر التهدمت أبنيتها فيسوق الله تعالى اليها النيل بما يحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة وفيه طين
 أحمر فيغشى أرض مصر وهي أرض سبخة مرملية محتاجة الى ذلك الماء وذلك الطين أيضا ينبت الزرع فيه فيستغلون كل سنة على
 ما جديد مطور في غير بلادهم وطين جديد من غير أرضهم فسبحان (٣٩) الحكيم الكريم المنان المحمود أبدا قال ابن

لهيعة عن قيس بن حجاج عن حماد بن
 قال لما فحمت مصر أتى أهلها عمرو
 ابن العاص حين دخل بؤنة من
 أشهر العجم فقتلوا أيها الاميران
 لئلا يهاذسنة لايجري الا بها قال
 وما ذاك قالوا اذا كانت ثلثة عشر ليلة
 خلت من هذا الشهر عمدنا الى جارية
 بكر بين أويها فأرضينا أويها
 وجعلنا عليها من الحلي والشباب
 أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا
 النيل فقال لهم عمرو ان هذا
 لا يكون في الاسلام ان الاسلام
 يهدم ما كان قبله فاقاموا بؤنة
 والنيل لايجري حتى هموا بالجلالة
 فكتب عمرو والى عمر بن الخطاب
 بذلك فكتب اليه عمر انك قد أصبت
 بالذي فعلت وقد بعثت اليك
 بطاقة داخل كاتبي هذا فالتها في
 النيل فلما قدم كتابه أخذ عمر البطاقة
 ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر
 أمر المؤمنين الى نيل أهل مصر
 أما بعد فانك ان كنت انما تجري من
 قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد
 القهار هو الذي يجريك فنسأل الله
 ان يجريك قال فالتى البطاقة في
 النيل فاصبحوا يوم السبت وقد

الآيات من آخريس أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة الخ أخرجه ابن جرير وابن المنذر
 وابن ابى حاتم في معجمه وعنه قال جاء عبد الله بن ابي في يده عظم حائل الى النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم وذ كرمثل ما تقدم قال ابن كثير وهذا منكر لان السورة مكية وابن ابي انما كان
 بالمدينة وعنه قال جاء ابي بن خلف الجعفي وذ كرمثل ما تقدم وعنه أيضا قال نزلت في ابي
 جهل وذ كرمثل ما تقدم (وضرب لنا مثلا) بفته العظم والجملة معطوفة على الجملة المنفية
 داخله في حيز الانكار المقهور من الاستفهام فهي تكميل للتعجب من حال الانسان
 وبيان جهوله بالحقائق واهماله للتفكير في نفسه فضلا عن التفكير في سائر مخلوقات الله
 ويجوز ان تكون جملة فاذا هو خصيم مبين معطوفة على خلقنا وهذه معطوفة عليها أي أورد
 في شأننا قصة عجيبة في نفس الامر كالمثل في الغرابة وهي انكاره احياء للعظام او قصة
 عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها أشد الانكار وهي احياء وناياها
 او جعل لنا مثلا ونظير من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم فالمثل
 على الاول هو انكار احيائه للعظام وعلى الثاني هو احياءه لها وأما على الثالث فلا فرق
 بين ان يكون المثل هو الانكار او المنكر (ونسى خلقته) اي خلقتنا اياه من المنى الدال
 على بطلان ما ضرب به من المثل وذهل عنه وترك ذكره على طريقة اللداد والمكارة فهو
 اغرب من احياء العظم (قال من يحيي العظام وهي رميم) بالية استئناف جوابا عن
 سؤال مقدر كأنه قيل ما هذا المثل الذي ضرب به فقيل قال من يحيي العظام وهي رميم وهذا
 الاستفهام لانكار لانه قاس قدرة الله على قدرة العبد فانكر ان الله يحيي العظام البالية
 حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر يقال رم العظم يرم رما اذا بلى فهو رميم ورمام وانما قال
 رميم ولم يقل رمية مع كونه خبر الموءنث لانه اسم الما بلى من العظام غير صفة كرامة
 والرفات وقيل لكونه معدول عن فاعله وكل معدول عن وجهه يكون مصر وفاقن اعرا به كما
 في قوله وما كانت أمك بغيا لانه مصر وف عن باغية كذا قال البغوي والقرطبي وقال
 بالاول صاحب الكشاف والاولى ان يقال انه فعل بمعنى فاعل من رم الشيء صا واسما
 بالغلبة او مفعول وهو يستوى فيه المذكور والمؤنث كما قيل في جريح يصبو رومن يشب
 الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها من قبل ان الحياة تتحلها
 تشبث بهذه الآية وهي عند الحنفية طاهرة وكذا الشعر والعصب لان الحياة لا تتحلها فلا

أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقد قطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم رواه الحافظ أبو القاسم اللالكاني
 الطبري في كتاب السنة له ولهذا قال تعالى أولم ير والانسوق الماء الى الارض الجزر فتخرج به زرعاً تات كل منه أنعامهم
 وأنفسهم أفلا يبصرون كما قال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه أفلا يصيبنا الماء صباً الآية ولهذا قال ههنا أفلا يبصرون وقال ابن
 أبي نجيب عن رجل عن ابن عباس في قوله الى الارض الجزر قال هي التي لا تمطر الا مطرا لا يغني عنها شياً الا ما بآتيها من السيول
 وعن ابن عباس ومجاهد هي أرض بالين وقال الحسن رحمه الله هي قري فيما بين الين والشام وقال عكرمة والضحاك وقتادة

والسندى وابن زيد الارض الجزل التي لانبات فيها وهى مغبرة قلت وهذا كقوله تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها الاتيين
(ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا وایمانهم ولا هم ينظرون فاعرض عنهم وانتظروناهم
منتظرون) يقول تعالى محسرا عن استعجال الكفار وقوع بأس الله بهم وحلول غضبه ونقمته عليهم استبعادا وتكديبا
وعنادا ويقولون متى هذا الفتح أى متى تنصر علينا يا محمد كما تزعم انك وقتما دل علينا وينتقم لك منا فى يكون هذا ما نزلك
أنت واصحابك المختلفين خائفين (٤٠) ذليلين قال الله تعالى قبل يوم الفتح اى اذا حل بكم بأس الله وسخطه

وغضبه فى الدنيا وفى الآخرة لا ينفع
الذين كفروا وایمانهم ولا هم
ينظرون كما قال تعالى فلما جاءتهم
رسولهم بالبينات فرحوا بما عندهم
من العلم الاتيين ومن زعم ان
المراد من هذا الفتح فتح مكة فقد
أبعد النجعة وأخطأ فأخسر فان يوم
الفتح قد قبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسلام الطلقاء وقد كانوا
قرييا من ألفين ولو كان المراد فتح
مكة لما قبل اسلامهم لقوله تعالى
قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا
ایمانهم ولا هم ينظرون واتما المراد
الفتح الذى هو القضاء والفصل
كقوله فافتح بيني وبينهم فتحا الآية
وكقوله قل يجمع بيننا وبينهم
بيننا بالحق الآية وقال تعالى
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد
وقال تعالى وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا وقال
تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
ثم قال تعالى فاعرض عنهم وانتظر
انهم منتظرون أى أعرض عن
هؤلاء المشركين وبلغ ما نزل اليك
من ربك كقوله تعالى اتبع ما أوحى
اليك من ربك لاله الا هو الآية

يؤثر فيها الموت والمراد باحياء العظام فى الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة فى
بدن حى حساس وقد استدلل ابو حنيفة وبعض اصحاب الشافعى بهذه الآية على ان العظام
مما تحل له الحياة وقال الشافعى لا تحلها الحياة وان المراد بقوله من يحيى العظام من يحيى
اصحاب العظام على تقدير مضاف محذوف ورد بان هذا التقدير خلاف الظاهر ثم أجاب
سبحانه عن الضارب لهذا المثل فقال (قل) اى على سبيل تنكيته وتذكيره بما نسبته من فطرته
الدالة على حقيقة الحال (يحييها الذى انشأها) اى ابتدأها وخلقها (اول مرة) من
غير شئ ومن قدر على النشأة الاولى قدر على النشأة الثانية (وهو بكل خلق عليم) لا تخفى
عليه خافية ولا يخرج عن علمه خارج كائنا ما كان اى يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية
خلقتها فيعلم اجزاء الانحصاص المتقدمة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها وطريق
تمييزها وضم بعضها الى بعض على النظم السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها
أواحداث مثلها وقال الكرخى يعلمه مجلا ومفصلا أى قبل خلقه وبعد خلقه والآية حجة
على من ينكر علمه سبحانه بالجزئيات ونظيره قوله سبحانه ان الله قد أحاط بكل شئ علما
(الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا) هذا رجوع منه سبحانه الى تقرير ما تقدم من
دفع استبعادهم قسبه سبحانه على وحدانيته ودل على قدرته على احياء الموات بما
يشاهدونه من اخرج النار المحرقة من العود الندى الرطب وذلك ان الشجر المعروف بالمرخ
والشجر المعروف بالعقار اذا قطع منهم اعودان مثل السواكين وضرب أحدهما على
الآخر اتدحت منهما النار وهما أخضران قيل المرخ هو الذكر والعقار هو الانثى
ويسمى الاول الزند والثانى الزندة تقول العرب فى كل شجر نار واستجد المرخ والعقار اى
استكثر منهما وذلك ان هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نار او قال الحكيم فى كل شجر نار
الا عنان لمصلحة اللق للشباب ولذلك اتخذ منه مطارق القصارين وبالجملة فن بدائع
خلقها انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانظما هابه فن قدر على
جمع الماء والنار فى الشجرة قدر على المعاتبة بين الموت والحياة فى البشر واجراء أحد
الضدين على الآخر بالتعقيب أسهل فى العقل من الجمع معا بالترتيب وقال الاخضر ولم
يقبل الخضرا اعتبارا باللفظ وقرى الخضرا اعتبارا بالمعنى وقد تقرر انه يجوز تدكير اسم
الجنس وتأنيده كما فى قوله نخل متعقر وقوله نخل خاوية فبنو تميم وتجديد كونه وأهل الخجاز

وانتظر فان الله سينجز لك ما وعدك وسينصرك على من خالفك انه لا يخلف الميعاد وقوله انهم منتظرون أى أنت يوثقونه
منتظروهم منتظرون ويترصدون بكم الدوائر يقولون شاعر تترصد به ريب المنون وسترى أنت عاقبة صبرك عليهم وعلى أداء
رسالة الله فى نصرتك وتأيدك وسيجدون نخب ما ينتظرونه فيك وفى اصحابك من وييل عقاب الله لهم وحلول عذابهم وحسبنا
الله ونعم الوكيل آخر تفسير سورة السجدة ولله الحمد والمنة
(تفسير سورة الاحزاب وهى مديسة) قال الامام أحمد حدثنا خلف بن هشام حدثنا جاد بن زيد عن عاصم بن بهدلة

عن زر قال قال لي أبي بن كعب كان يقرأ سورة الاحزاب وكان يعدها قال قلت ثلاثا وسبعين اية فقال قط لقد رايتها وانهم التعداد لسورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة اذ اذنا فارجوهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ورواه النسائي من وجد آخر عن عاصم وهو ابن أبي النجود وهو ابو بهدلة به وهذا السناد حسن وهو يقتضى انه قد كان فيها قرآن ثم نسخ لفظه وحكمه ايضا والله أعلم (بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليا حكيمًا واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان عبًا معلمون خبيرًا وتوكل على الله وكفى بالله (٤١) وكيلًا) هذا تنبيهه بالا على على الادنى فانه تعالى اذا كان يأمر عبده ورسوله

بهدافلان يأتي أمر من دونه بذلك بطريق الاول والاخرى وقد قال طلق بن حبيب التقوى ان يعمل بطاعة الله على نور من الله يرحو ثواب الله وان يترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله وقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين أى لا تسمع منهم ولا تستشرهم ان الله كان عليا حكيمًا اي فهو أحق ان تتبع أو امره وتطيعه فانه عليم بعواقب الامور حكيم في أقواله وافعاله ولهذا قال تعالى واتبع ما يوحى اليك من ربك أى من قرآن وسنة ان الله كان بما تعملون خبيرًا أى فلا تخفى عليه خافية وتوكل على الله أى فى جميع أمورك وحوالك وكفى بالله وكيلًا أى وكفى به وكيلًا لمن توكل عليه وأما ابى اليه وما جعل الله لرجل من قلوبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل ادعاءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو

يؤثرونه الا نادرا والموصول بدل من الموصول الاول (فاذا أنتم متهمون توقدون) أى تقدحون منه النار وتوقدون من ذلك الشجر الاخضر ثم ذكر سبحانه ما هو أعظم من الانسان خلقا فقال (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم) والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر كظايره ومعنى الآية ان من قدر على خلق السموات والارض وهما فى غاية العظم وكبر الاجزاء يقدر على إعادة خلق البشر الذى هو صغير الشكل ضعيف القوة كما قال سبحانه خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس قال الشهاب أى مثل هؤلاء الانامى الذين ماتوا والمرادهم وأمثالهم على سبيل التقديم والتأخير أو المرادهم على طريق الكناية فى نحو مثلك يفعل كذا قرأ الجمهور بقادر بصيغة اسم الفاعل وقرئ يقدر بصيغة الفعل المضارع ثم أجاب سبحانه عما أفاده الاستفهام من الانكار المتقريرى بقوله (بلى وهو الخلاق العليم) أى بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ فى الخلق والعلم على أكمل وجه وأتمه وقرئ وهو الخالق ثم ذكر سبحانه ما يدل على كمال قدرته وتيسير المبدأ والاعادة عليه فقال (انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون) أى انما شأنه سبحانه اذا تعلمت ارادته بشئ من الاشياء ان يقول له احدث فيحدث من غير توقف على شئ آخر أصلا وقد تقدم تفسير هذا فى سورة النحل وفى البقرة قرأ الجمهور فيكون بالرفع على الاستئناف وقرأ الكسائى بالنصب عطفًا على يقول ثم زسه سبحانه نفسه عن ان يوصف بغير القدرة فقال (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ) هذا اقترابه تعالى عما وصفتوه به وتجبب عما قالوا فى شأنه والملكوت فى كلام العرب انظربا الغنى فى الملك كالجبروت والرحوت كانه قال فسبحان من بيده ملكية الاشياء الكمية قال قتادة ملكوت كل شئ منافع كل شئ وقرئ ملكة بزنة شجرة وقرئ بملكة بزنة منفعة وملك والملكوت أبلغ من الجميع (واليه ترجعون) قرأ الجمهور بالرفع على الخطاب بمنيا للمنعول وقرئ بالتحسية على الغيبة بمنيا للمنعول أيضا وقرأ زيد بن على عن البناء للفاعل أى ترجعون اليه لالى غيره وتردون وتعاودون بعد الموت بلا قوت وذلك فى الدار الآخرة بعد البعث

(سورة الصافات هى مائة واثنان وثمانون آية وهى مكية)

(٦ فتح البيان ثامن) فآخوا انكم فى الدين ومو اليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورًا رحيمًا) يقول تعالى موطنًا قبل المقصود المعنوى أمر امره وفاحسبوا هو انه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان فى جوفه ولا تصير زوجته التى يظاها منها بقوله أنت على كظهر أمى أماله كذلك لا يصير الدعوى ولد للرجل اذا ابتناه فدعاها ابنه فقال ما جعل الله لرجل من قلوبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم كقوله عز وجل ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللاتي ولدنهم الآية وقوله تعالى وما جعل ادعاءكم أبناءكم هذا هو المقصود بالنفى فانما انزلت فى شأن زيد بن حارثة

فرضى الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له زيد بن محمد فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الالتحاق وهذه النسبة بقوله تعالى وما جعل أديعاءكم أبناءكم كما قال تعالى في أثناء السورة ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليماً وقال ههنا ذالككم قولكم بانواهمكم يعني تبنيكم لهم قول لا يقتضى أن يكون ابناً حقيقياً فإنه مخلوق من صلب رجل آخر فيمكن أن يكون له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان والله تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل (٤٢) قال سعيد بن جبيرة يقول الحق أى العدل وقال قتادة وهو يهدي السبيل

أى الصراط المستقيم وقد ذكر غير واحد أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له ذو القلبين وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعد قتل وأفسر فانزل الله تعالى هذه الآية رداً عليه هكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال له في هاهنا وعكرمة والحسن وقاتدة واختاره ابن جرير وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن قابوس يعني ابن أبي ظبيان قال ان أباه حدثه قال قلت لابن عباس أ رأيت قول الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عني بذلك قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بصلى فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترون له قلبين قلباً معكم وقلبا معهم فانزل الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وهو هكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن صاعد الحراني عن عبد بن حميد وعن أحمد بن يونس كلاهما عن زهير بن جوح بن معاوية به ثم قال وهذا حديث حسن وكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من

قال القرطبي في قول الجميع قال ابن عباس نزلت بكهة وعن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر نبالاً التخفيف ويؤمنا بالصافات أخرجه النسائي والبيهقي في سننه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ آيس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله أعطاه سؤاله أخرجه ابن أبي داود في فضائل القرآن وابن التجار في تاريخه وعنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يسأله لولاه حضره وت عند قدمهم عليه ان يقرأ عليهم شيئاً مما أنزل اليه قرأ والصافات صفا حتى بلغ رب المشارق والمغرب الحديث أخرجه أبو نعيم في الدلائل والسلفي في الطيوريات

(بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا) الواو للقسمة والمقسمة به الملائكة والمراد بالصافات التي تصف في السماء من الملائكة كصفوف الخلق في الدنيا قاله ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد وقاتدة وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قالوا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف أخرجه أبو داود وقيل انها تصف أجنحتهم في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله بما يريد وقال الحسن صفا كصفوفهم عند ربهم في صلاتهم وقيل المراد بالصافات هنا الطير كما في قوله أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات والأولى هو الأول والصف ترتيب الجمع على خط كما يصنف في الصلاة وقيل الصافات جماعة الناس المؤمنين إذا قاموا صفافاً في الصلاة وفي الجهاد ذكره القشيري (فالزاجرات زجرا) أى الفاعلات للزجر من الملائكة أما لانها تزجر السحاب كما قال انسدى وأما لانها تزجر عن المعاصي بالموعظ والنصائح وقال قتادة المراد بالزاجرات الزواجر من القرآن وهى كل ما ينهى ويذجر عن القبيح والأول أولى واتصاب صفا وزجرا على المصدرية لتأكيده ما قبلها ما قيل المراد بالزاجرات العلماء لانهم هم الذين يزجون أهل المعاصي عن المعاصي والزجرفى الأصل الدفع بقوة وهو هنا قوة التصويت ومنه زجرت الأبل والغنم إذا أفرزتها بصوتك (فالتاليات ذكرا) أى الملائكة التي تتلو القرآن كما قال ابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وابن جبيرة والانسدى وقيل المراد جبريل وحده فذكر بلفظ الجمع تعظيماً له مع أنه لا يخالو من أتباعه من الملائكة وقال قتادة المراد كل من تلاذكر الله وكتبه وقيل المراد

حديث زهير به وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه قال آيات

بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثل يقول ليس ابن رجل آخر أنت وكذا قال مجاهد وقاتدة وابن زيد انها نزلت في زيد ابن حارثة رضى الله عنه وهذا يوافق ما قدمناه من التفسير والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله عز وجل ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله هذا أمرنا سبحانه لما كان في ابتداء الاسلام من جواز ادعاء الأبناء الاجانب وهم الادعاء فأمر تبارك وتعالى برد نسبهم الى آبائهم في الحقيقة وان هذا هو العدل والقسط والبر قال البخاري رحمه الله حدثنا معلى بن أسد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن موسى

ابن عقبة قال حدثني سالم عن عبد الله بن عمر قال ان زيد بن حارثة رضی الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدعو له الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لا بآبائهم هو اقسط عند الله واخرجهم مسلم والترمذی والنسائی من طرق عن موسى بن عقبة به وقد كانوا يعاملونهم معاملة الابناء من كل وجه في الخلوقة بالجمادى وغير ذلك ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة رضی الله عنها يا رسول الله انا كنا ندعوا سائبا وان الله قد أنزل ما أنزل وأنه كان يدخل على واني أجد في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا فقال صلى الله عليه وسلم أرضعهم تحرمي عليه الحديث ولهذا ما نسخت هذا (٤٣) الحكم أباح تبارك وتعالى زوجة الدعوى

وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بن زيب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة رضی الله عنه وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنین حرج في أزواج أذعياهم اذا قضوا منهن وطرا وقال تبارك وتعالى في آية التحريم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم احتراما عن زوجة الدعوى فانه ليس من الصلب فاما ابن الولد من الرضاة فغزل منزلة ابن الصلب شرعا بقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيحين حرما من الرضاة ما يحرم من النسب فاما دعوة الغير ابتاعى سبيل التكریم والتعيب فليس مما نهى عنه في هذه الآية بدليل ما رواه الامام أحمد وأهل السنن الا الترمذی من حديث سفیان الثوري عن سلمة بن كهيل عن الحسن العري عن ابن عباس رضی الله عنهم قال قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلة بنى عبد المطلب على جرات لنا من جمع جعل يلطخ أخذنا ويقول أبنى لاترما والجزرة حتى تطلع الشمس قال أبو عبيدة وغيره أبنى تصغيرا بنى وهذا ظاهر

آيات القرآن ووصفها بالتلاوة وان كانت متلوقة كما في قوله ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل وقيل لان بعضها يتلو بعضها ويتبعه وذكر الماوردى ان التاليات هم الانبياء يتلون الذكر على أممهم وانتصاب ذكره على انه مفعول به ويجوز ان يكون مصدرا كما قبله قيل وهذه القافية في قوله فالزاجرات قالت التاليات ما لترتيب الصناعات أنفسها في الوجود اول وترتب موصوفاتهم في الفضل وفي السكلى نظر (ان الهكلم لواحد) جواب القسم أى أقسم الله بهذه الاقسام انه واحد ليس له شريك وأجاز الكسائى فتح ان الواقعة في جواب القسم وانما أقسم بهذه الاشياء للتنبيه على شرف ذواتها وكمال مراتبها والرد على عبدة الاصنام في قولهم وللتأ كيدما تقدم لاسما والقرآن أنزل بلغة العرب واثبات المطالب بالخلف واليمين طريقة ما لوقفة عندهم قال ابن الانبارى الوقف على لواحد وقف حسن ثم يتدنى (رب السموات والارض) على معنى هو ربهما وقيل غير ذلك والمعنى في الآية ان وجود هذه الخلوقات على هذا الشكل البديع من اوضح الدلائل على وجود الصانع وقدرته وانه رب ذلك كله أى خالقه ومالكه (وما بينهما) أى من الخلوقات والكائنات (ورب المشارق) أعاد الرب فيها لما فيها من غاية ظهور آثار الربوبية وتجدها كل يوم قبيل أراد مشارق السكواكب والظواهر انما مشارق الشمس قيل ان الله خلق للشمس كل يوم مشرقا ومغربا بعد ايام السنة تطلع كل يوم من واحد منها وتغرب في واحد كذا قال ابن الانبارى وابن عبد البر وأما قوله في سورة الرحمن رب المشرقين ورب المغربين فالمراد بالمشرقين أقصى مطلع تطلع منه الشمس في الايام الطوال وأقصى يوم في الايام القصار وكذلك في المغربين وأما ذكر المشرق والمغرب بالافراد فالمراد بهما الجهة التي تشرق منها الشمس والجهة التي تغرب فيها واقصر على المشارق اكتفاء على حدس رايبيل قميمكم الحرأى والمغرب للشمس ولم يعكس لان شروق الشمس سابق على غروبها وأيضا فالشروق أبلغ في النعمة وأكثرت نعمان الغروب فذكر المشرق تنبيها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذا الدققة استدل ابراهيم عليه السلام بالمشرق فقال ان الله يأتي بالشمس من المشرق قال الكرخى وجمع هنا المشرق وحذف مقابله وشناه في الرحمن وجمعه في اعمارح وأفرده في المزمع مع ذكر مقابله في الثلاثة لان القرآن نزل على المعهود من أساليب كلام العرب وفنونه ومنها الاجمال والتفصيل والذكر والحذف والتنبيه والجمع والافراد

الدلالة فان هذا في حجة الوداع سنة عشر وقوله ادعوهم لا بآبائهم في شأن زيد بن حارثة رضی الله عنه وقد قتل في يوم مؤتة سنة ثمان وأيضا في صحيح مسلم من حديث أبي عوانة الوداع بن عبد الله اليشكري عن الجعد أبي عثمان البصرى عن أنس بن مالك رضی الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى ورواه أبو داود والترمذى وقوله عز وجل فان لم تعملوا آباءهم فآخوانكم في الدين ومواليكم أمر تعالى برؤسب الادعيا الى آباءهم ان عرفوا فان لم يعرفوا فهم اخوانهم في الدين ومواليهم أى عوضا عما فاتهم من النسب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء وتبعتم ابنة حمزة رضی الله عنها

تنادى يا عم يا عم فأخذها على رضى الله عنه وقال لفاطمة رضى الله عنها ذاك ابنه عمك فأحلتها فاختصم فيها على وزيد وجعفر رضى الله عنهم في أمهم يكن لها فكل أدلى بحجة فقال على رضى الله عنه أنا أحق بها وهى ابنة عمى وقال زيد ابنة أخى وقال جعفر ابن أبى طالب ابنة عمى وخالتها حتى يعنى أسماء بنت عميس فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلى رضى الله عنه أنت منى وأنامنك وقال لجعفر رضى الله عنه أشبهت خلقى وخلقى وقال لزيد رضى الله عنه أنت أخونا ومولانا ففى هذا الحديث أحكام كثيرة من أحسنها (٤٤) أنه صلى الله عليه وسلم حكم بالحق وأرضى كلام من المتنازعين وقال لزيد رضى

الله عنه أنت أخونا ومولانا كما قال تعالى فأخوانكم فى الدين ومواليكم وقال ابن جرير حدثنى يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية عن ابن عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه قال قال أبو بكر رضى الله الله عنه قال الله عز وجل ادعوهم لا بأثمهم هو واقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم فى الدين ومواليكم فإنما من لا يعرف أبوه فإنا من أخوانكم فى الدين قال أبى والله انى لاطنه انه لو علم ان آباءه كان حاررا لا تسمى اليه وقد جاء فى الحديث (٣) من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم الاكثر وهذا تشديد وتهديد ووعيد كما يدعى التبرى من النسب المعلوم ولهذا قال عز وجل ادعوهم لا بأثمهم هو واقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فأخوانكم فى الدين ومواليكم ثم قال تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به اى اذا نسبتهم به ضمهم الى غير ابيه فى الحقيقة خطأ بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع فان الله تعالى قد وضع الحرج فى الخطا ورفع اثمكم كما ارشد اليه فى قوله تبارك وتعالى أمرا

باعتبارات مختلفة فأفردوا جل فى المزملة أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما وجمع وفصل فى المعارج أراد جميع مشارق السنة ومغربها وهى تزيد على سبعمائة وثنى وفصل فى الرحمن أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربها وجمع وحذف هنا أراد جميع مشارق السنة واقصر عليه دلالة على المحذوف كما امرت الاشارة اليه وخص ما هنا بالجمع موافقة للجموع اول السورة وبالخذف مناسبة للزينة اذ هى انما تكون غالبيا بالاضياء والنور وهما ينشآن من المشرق لامن المغرب وما فى الرحمن بالثنية موافقة للثنية فى مسجدان وفى قبأى الآهر بكذا وبكذا وبكذا المقابلين موافقة لسط صنانه تعالى وانعاماته ثم وما فى المعارج بالجمع موافقة للجمع قبله ويعدله وبكذا المقابلين موافقة لكثرة التأكيدي القسم وجوابه وما فى المزملة بالافراد موافقة لما قبله من افراد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما بعده من افراد ذكر الله تعالى وبكذا المقابلين موافقة للحصر فى قوله لا اله الا هو ولبسط أو امر الله تعالى لنيه صلى الله عليه وآله وسلم عمه ان زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب المراد بالسماء الدنيا التى تلى الارض من الدنو وهو القرب فهى أقرب السموات الى الارض قوا الجهورى باضافة زينة الى الكواكب والمعنى زينها بتزيين الكواكب أى مجسها وقرئ بتنوين زينة وخفض الكواكب على انها بديل من الزينة على ان المراد بالزينة الاسم لا المصدر والتقدير بعد طرح المبدل منه انا زيننا السماء بالكواكب فان الكواكب فى انفسها زينة عظيمة فانها فى اللبابة المظلمة فى أعين الناظرين لها كالجواهر المتلألئة على سطح أزرق وقرع اعاسم فى رواية أى بكر عنه بتنوين زينة ونصب الكواكب على ان الزينة مصدر وفاعله محذوف والتقدير بان الله زين الكواكب بكونها مضيئة حسنة فى انفسها أو تكون الكواكب منصوبة بانضمار اعنى أو بدلا من السماء بديل اشتمال وقيل المعنى بضوء الكواكب لان الضوء والنور من أحسن الصفات وأكملها ولولم تحصل هذه الكواكب فى السماء لكانت شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المناسبة والمختلفة فى الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل غير ذلك (وحفظا) أى حفظناها حفظا وقيل زينها بالكواكب للحفظ وقيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظنا (من كل شيطان مارد) أى عات متسرد خارج عن الطاعة يرمى بالكواكب والشهب كقوله انا زيننا السماء

عباده ان يقولوا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا واخطأنا وثبت فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا قال الله عز وجل قد فعلت وفى صحيح البخارى عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله اجران وان اجتهد فخطأ فله اجر وفى الحديث الآخر ان الله تعالى رفع عن امتى الخطأ والنسيان والا امر الذى يكرهون عليه وقال تبارك وتعالى ههنا وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيمائى وانما الاتم على من نعمد الباطل كما قال عز وجل لا يؤاخذكم الله بالغوفى ايمانكم الآية وفى الحديث المتقدم من ادعى الى غير (٣) قوله من ادعى الخ كذا فى النسخ التى بأيدىنا وحرر الرواية اه مصححه

أيه وهو يعلمه الاكفر وفي القرآن المنسوخ فان كفر ابيكم أن ترغبوا عن آباءكم قال الامام اجد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر
 عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم أنه قال ان الله تعالى بعث محمد صلى الله
 عليه وسلم بالحق وأنزل معه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا بعده ثم قال قد كان قرأ
 ولا ترغبوا عن آباءكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آباءكم وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطروني كما تطروا نبي بني
 مريم عليه الصلاة والسلام فاعاننا عبد الله فقولوا عبده ورسوله وربما قال (٤٥) معمر كما طرت النصارى ابن مريم ورواه

في الحديث الآخر ثلاث من
 الناس كثر الطعن في النسب
 والنبا حمة على الميت والاستسقاء
 بالنجوم (النبي أولى بالمؤمنين من
 أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو
 الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب
 الله من المؤمنين والمهاجرين الا
 أن تفضلوا الي أولياءكم معروف
 كان ذلك في الكتاب مسطورا) قد
 علم الله تعالى شفقة رسوله صلى
 الله عليه وسلم على أمته ونصحهم لهم
 فجعلنا أولى بهم من أنفسهم وحكمه
 فيهم أنه كان مقدما على اختيارهم
 لانفسهم كما قال تعالى فلا وربك
 لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
 بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما
 قضيت ويسلموا تسليما وفي الصحيح
 والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم
 حتى أكون أحب اليه من نفسه
 وماله وولده والناس أجمعين وفي
 الصحيح أيضا ان عمر رضي الله عنه
 قال يا رسول الله والله لانت أحب
 الي من كل شئ الا من نسي فقال
 صلى الله عليه وسلم لا يا عمر حتى
 أكون أحب اليك من نفسك
 فقال والله يا رسول الله لانت أحب

الذي يصيب وجهه لا يجرحوا للشياطين (لا يسمعون الى الملا الاعلى) مستأنفة لسان
 حالهم بعد حفظ السماء منهم وقال أبو حاتم أي لثلاث سمعوا ثم حذف ان فرفع الفعل وكذا
 قال الكلبى قال النسفي وفيه تعسف يجب صون القرآن عن مثله فان كل واحد من
 الحرفين غيرهم ودو على انفراده ولكن اجتماعهما تكبر والنزق بين سمعت فلانا يتحدث
 وسمعت اليه يتحدث وسمعت حديثه والى حديثه ان المعدي بنفسه يفيد الادراك
 والمعدي بالي يفيد الاصغاء مع الادراك انتهى والملا الاعلى أهل السماء الدنيا فما فوقها
 وسمى الشكل منهم أعلى باضائه الى ملا الارض لانهم سكان السماء والضمير في يسمعون
 للشياطين وقيل ان جملة لا يسمعون صفة لكل شيطان وقيل جواب عن سؤال مقدر
 كأنه قيل فما حالهم بعد حفظ السماء عنهم فقال لا يسمعون الى الملا الاعلى قرأ الجمهور
 يسكون السين وتخفيف الميم وقرئ بتشديد هما والاصل يسمعون فالاولى تدل على اتقاء
 سماعهم دون استماعهم والثانية تدل على اتقائهما وفي معنى الاولى قوله تعالى انهم عن
 السمع لم عزولون قال مجاهد كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون واختار الثانية أبو عبيدة
 قال لان العرب لا تكاد تقول سمعت اليه وتقول سمعت اليه وكان ابن عباس يقرأ مخففة
 وقال انهم كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون (ويقدفون من كل جانب دحورا) أي يرمون
 من كل جانب من جوانب السماء ونواحيها وجهاتها بالشهب اذا أرادوا الصعود لاستراق
 السمع والدحور الطرد تقول دحرت دحرا ودحورا طردته قرئ يقدفون مبيد للمفعول
 وللفاعل وهي غير مطابقة لما هو المراد من النظم القرآني وقيل دحورا أي مدحورين
 وقيل هو جمع داحر نحو قاعدو وقعدو فيكون حالا وقيل انه مصدر لم تدرك أي بدحرون
 دحورا وقال القراء ان المعنى يقدفون بما يدحرونهم أي بدحور ثم حذفت الباء فاتصبت
 بنزع الخافض قرأ الجمهور دحورا بضم الدال وقرئ بتخفيفها واحتذف هل كان هذا الرمي
 لهم بالشهب قبل المبعث أو بعده فقال بالاول طائفة وبالآخر آخرون وقالت طائفة
 بالجمع بين القولين ان الشياطين لم تكن ترمى قبل المبعث ربما يقطعها عن السمع ولكن
 كانت ترمى وقتا ولا ترمى وقتا آخر وترى من جانب ولا ترمى من جانب آخر ثم بعد المبعث
 رميت في كل وقت ومن كل جانب حتى صارت لا تقدر على استماع شئ (ولهم عذاب
 واصب) أي دائم لا ينقطع والمراد به العذاب في الآخرة غير العذاب الذي لهم في الدنيا من

الى من كل شئ حتى من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم الا نيا عمر ولهذا قال تعالى في هذه الآية النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
 وقال البخاري عندها حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنا ابي عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي
 هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي
 أولى بالمؤمنين من أنفسهم فاما مؤمن ترك ما لا يغيره عصبته من كانوا وان ترك ديناً أو ضياعاً ما فإني فانا مولاة تفرده البخاري
 ورواه أيضا في الاستقراض وابن جرير وابن أبي حاتم عن طريق فليح به مثله ورواه أحمد من حديث أبي حصين عن أبي صالح عن

ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله النبي اولي بالمؤمنين من انفسهم عز ابى سلمة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول انا اولي بكل مؤمن من نفسه فاما رجل مات وترك ديناً فالى ومن ترك مالا فهو لورثته ورواد ابو داود عن احمد بن حنبل به نحوه وقوله تعالى وازواجه امهاتهم اى فى الحرمة والاحترام والتوقير والاكرام والاعظام ولكن لا تجوز الخلوة بين ولا يتشر التحريم الى بناتهن واخواتهن بالاجماع وان سمى (٤٦) بعض العلماء بناتهن اخوات المؤمن كما هو منصوص الشافعي رضى الله عنه

فى المختصر وهو من باب اطلاق العبارة لاثبات الحكم وهل يقال معاوية وامثاله خال المؤمنين فيه قولان للعلماء رضى الله عنهم وانص الشافعي رضى الله عنه على انه يقال ذلك وهل يقال له صلى الله عليه وسلم اول المؤمنين يمدخل النساء فى جمع المذكور السالم تعليماً فيه قولان صح عن عائشة رضى الله عنها انها قالت لا يقال ذلك وهذا الصح الوجهين فى مذهب الشافعي رضى الله عنه وقدروى عن ابى بن كعب وابن عباس رضى الله عنهم انهم ما قرأوا النبى اولي بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وروى نحو هذا عن معاوية ومجاهد وعكرمة والحسن وهو احد الوجهين فى مذهب الشافعي رضى الله عنه حكاه البغوى وغيره واستأنسوا عليه بالحديث الذى رواه ابو داود رجه الله حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن ابى صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة

الرمي بالشهب وقال مقاتل يعنى دائماً الى النفخة الاولى والاول اولي وقد ذهب جمهور المفسرين الى ان الواصب الدام وقال السدى وأبو صالح والنكبي هو الموجه الذى يصل وجهه الى القلب مأخوذ من الوصب أو الوصوب وهو المرض وقيل هو الشديد (الامن خذف الخطفة) الاستثناء هو من قوله لا يسهون أو من قوله ويقدفون وقيل الاستثناء راجع الى غير الوحي لقوله انهم عن السمع لم عزولون بل يخطف الواحد منهم خطفة مما يتفاوض فيه الملائكة ويدور بينهم مما سيكون فى العالم قيل ان يعلمه أهل الارض والخطف الاختلاس مسارقة وأخذ الشيء بسرعة قرأ الجمهور خطف بفتح الخاء وكسر الطاء مخنفة وقرئ بكسرهما وتشديد الطاء وهى لغة تميم بن مر بن بكر بن وائل وقرئ بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة وقرأ ابن عباس بكسرهما مع تخفيف الطاء وقيل ان الاستثناء منقطع (فاتبعه) أى لحقه وتبعه (شهاب ناقب) أى نجم مضى أو مستوقد فيحرقه أو يقتله ويخجل دور بما لا يحرقه فيلحق الى اخوانه ما خطفه وليست الشهب التى ترجم بها هى من الكواكب الثوابت بل من غير الثوابت وأصل الثقب الاضائة قال الكسائى ثقت النار ثقب ثقباً اذا اذت وهذا الآية هى كقوله الامن استرق السمع فاتبعه شهاب ميم قال ابن عباس اذا رمى الشهاب لم يخطفى من ريمه وتلافاتبعه شهاب ناقب وقال لا يستلون بالشهاب ولا يموتون وانكتم تحرق وتنجل وتجرح غير قتل قال سليمان الجمل قالوا انديس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان تنصل منها شملة يرميها الشيطان والكواكب باقية بحالها وهذا كمثل القدس الذى يؤخذ من النار وهى على حالها ويعود الشيطان مرة أخرى مع انه يعلم انه يصاب ولا يصل الى مقصوده رجا نيل المطلوب وطعمه فى السلامة كراكب الجرفانه يشاهد الفرق احياناً لكن يعود الى ركوبه رجا السلامة ونيل المقصود (فاستفتهم) اى اسأل الكفار المنكرين للبعث (أهم أشد خلقاً) وأقوى اجساماً وأعظم أعضاء وأمتن بنية وأشق ايجاداً وأصعب خلقاً (أم من خلقنا) من السموات والارض والجبال والملائكة قال الزجاج المعنى فاسألهم سؤال تقرير أهم أحكام صنعة أم من خلقنا قائلهم عن قبلهم من الامم السالفة يريد انهم ليسوا باحكام خلقنا من غيرهم من الامم وقد أهلكهم بالكذب فما الذى يؤمنهم من العذاب قرئ أم من خلقنا بتشديد الميم وهى أم المتصلة عطفت من على هم وقرئ بتخفيفها وهو

والوالد أعلمكم فاذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه وكان يأمر بثلاثة اجزاء وهو وينهى عن الروث والرمة واخرجه النسائى وابن ماجه من حديث ابن عجلان والوجه الثانى انه لا يقال ذلك واحتجوا بقوله تعالى ما كان محمد ابنا احد من رجالكم وقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولي ببعض فى كتاب الله اى فى حكم الله من المؤمنين والمهاجرين اى القرابات اولي بالتوارث من المهاجرين والانصار وهذه ناسخة لما كان قبلها من التوارث بالخلف والمواخاة التى كانت بينهم كما قال ابن عباس وغيره كان المهاجرى يرث الانصارى دون قربانه وذوى رجه للاخوة التى آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكذا قال سعيد بن جبيرة وغير واحد من السلف والخلف وقد اورد فيه ابن ابي حاتم حديثا عن الزبير بن العوام فقال حدثنا ابي
 حدثنا جد بن ابي بكر المصعبى من ساكنى بغداد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن هشام بن عروة عن ابيه عن الزبير بن العوام رضى
 الله عنه قال انزل الله عز وجل فينا خاصة معشر قريش والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وذلك انامعشر قريش لما قدمنا
 المدينة قدمنا واولا أموال لنا فوجدنا الانصار نم الاخوان فواخذناهم ووارثناهم فأتى أبو بكر رضى الله عنه خارجة بن زيد وأتى
 عمر رضى الله عنه فلانا وأتى عثمان رضى الله عنه رجلا من بنى زريق بن سعد (٤٧) الزرقى ويقول بعض الناس غيره قال الزبير رضى
 الله عنه وواخت انا كعب بن مالك

(٣) بؤنته خرفا بتلغته فابتغته
 فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى
 فوالله يا بنى لومات يومئذ عن الدنيا
 ما ورثه غيرى حتى أنزل الله تعالى
 هذه الآية فينا معشر قريش
 والانصار خاصة فرجعنا الى
 موارثنا وقوله تعالى الآن تفعلوا
 الى اولياكم معروفا أى ذهب
 المراثى وبقي النصر والبر والصلوة
 والاحسان والوصية وقوله تعالى
 كان ذلك فى الكتاب مسطورا أى
 هذا الحكم وهو ان اولى الارحام
 بعضهم اولى ببعض حكم من الله
 متدرج مكتوب فى الكتاب الاول
 الذى لا يبدل ولا يغير قاله مجاهد
 وغير واحد وان كان تعالى قد شرع
 خلافه فى وقت لما فى ذلك من
 الحكمة البالغة وهو يعلم انه
 سينسخه الى ما هو جار فى قدره
 الازلى وقضائه القدرى الشرعى
 والله اعلم (واذا أخذنا من النبيين
 مشاقهم ومذقنا نوح وابراهيم
 وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا
 منهم ميثاقا غليظا يسأل الصادقين
 عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا

وهو استفهام بان فالهمزة للاستفهام أيضا ومن مبتدأ وخبره محذوف اى الذين خلقناهم
 أشد فهمه ما جعلنا من مستقلتان مستقلةتان وغلب من يعقل على غيره فلذلك أتى بمن قاله السمين
 وتكتب أم مفصولة من فى هذا الموضوع ثم ذكر خلق الانسان فقال (انا خلقناهم) اى
 فى ضمن خلق أبيهم آدم (من طين لازب) اى لاصق يقال لزب يلزب لزوبا والاصق من باب
 دخل وقال قتادة وابن زيد اللازب اللاصق وقال عكرمة اللازب اللزج وقال سعيد
 ابن جبيرة اللازب الجيد الذى يلاصق باليد وقال مجاهد هو اللازم والعرب تقول طين لازب
 ولازم تبدل الباء من الميم واللازم الثابت كما يقال صار الشئ ضربة لازب ومنه قول النابغة
 لا تحسبون الخير لا شربته * ولا تحسبون الشر شربته لازب
 وحكى الثراء عن العرب طين لاتب بمعنى لازم واللاتب انثابت قال الاصمعي واللاتب
 اللاصق مثل اللازب والمعنى فى الآية ان هؤلاء كف يستبعدون المعاد وهم مخلوقون من
 هذا الخلق الضعيف ولم يشكروا من هو مخلوق خلتا أقوى منهم وأعظم وأكمل وأتم وقيل
 ان اللازب هو المتين قاله مجاهد والضحاك قيل وقد قرئ لازم ولازب ولا أدرى من قرأ
 بذلك قال ابن عباس لازب ملتصق وقال اللزج الجيد وقال اللازب والحما والطين
 واحد كان أوله ترابا ثم صار جأ متماخا صار طينا لازبا خلق الله منه آدم وعن ابن مسعود
 اللازب الذى يلاصق بعضه الى بعض والآية تشهد عليهم بالضعف لان ما يصنع من الطين
 غير موصوف بالصلابة والقوة واحتجاج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب
 فمن أين استنكروا ان يخلقوا من تراب مثله حيث قالوا أنذا كآرأبا وهذا المعنى بعضه
 ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث والغرض من هذا السياق اثبات المعاد والرد عليهم
 فى دعوى استحالة ثم أضرب سبحانه عن الكلام السابق فقال (بل عجمت) يا عجم من
 قدرة الله سبحانه ومن تكذيبهم اى قرأ الجمهور بفتح التاء من عجمت على الخطاب للنسبى
 صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ بضمها وقال القراء قرأها الناس بنصب التاء ورفعها
 والرفع أحب الى لانها عن على وعبد الله وابن عباس قال والعجب ان أسند الى الله فليس
 معناه من الله كعناه من العباد قال الهروى قال بعض الأئمة معنى بل عجمت بل جازيتهم
 على عجبهم لان الله أخبر عنهم فى غير موضع بالتعجب من الخلق كما قال وعجبوا أن جاءهم منذر
 منهم وقالوا ان هذا الشئ عجب أب كان للناس عجباً ان أوحينا الى رجل منهم وقال على

ألم يا يقول تعالى مخبرا عن أولى العزم الخمسة وبقصة الانبياء انه أخذ عليهم العهد والميثاق فى إقامة دين الله تعالى وابلاغ
 رسالته والتعاون والتناصر والاتفاق كما قال تعالى واذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
 لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقر رنا قال فاشهدوا وانامعكم من الشاهدين فهذا
 العهد والميثاق أخذ عليهم بعد ارسالهم وكذلك هذا ونص من بينهم على هؤلاء الخمسة وهم أولو العزم وهو من باب عطف الخاص
 على العام وقد صرح بذلكهم أيضا فى هذه الآية وفى قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الذى أوحينا اليك وما وصىنا به
 (٣) قوله بؤنته خرفا بتلغته الخ هكذا فى الاصل وحرر الرواية ١

ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه قد كرا الطرفين والوسط الفاتح والخاتم ومن بينهما على الترتيب فهذه هي الوصية التي اخذ عليهم الميثاق بها كما قال تعالى واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم قدياً في هذه الآية بالخاتم لشرقه صلوات الله عليه ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة الدمشقي حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد بن بشير حدثني قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى واذا اخذنا من النبيين (٤٨) ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم كنت اول النبيين

في الخلق و آخرهم في المبعث قدياً في قلبهم سعيد بن بشير فيه ضعف وقد رواه سعيد بن ابي عمرو وبه عن قتادة مرسل وهو اشبه ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً والله اعلم وقال ابو بكر البزار حدثنا عمر بن علي حدثنا ابو اجد حدثنا حنيفة بن ابي حازم حدثنا عاذي بن ثابت عن ابي حازم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خيار ولد آدم خمسة نوح و ابراهيم وموسى وعيسى و محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم موقوف وحزرة فيه ضعف وقد قيل ان المراد بهذا الميثاق الذي اخذ منهم حين اخرجوا في صورة الذر من صلب آدم عليه الصلاة والسلام كما قال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب قال ورفع اباهم آدم فظفر اليهم بمعنى ذريته وان فيهم الغنى واقتير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك فقال انى احببت ان اشكر وأرى فيهم الانبياء مثل السرح عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والسوة وهو الذي يقول الله تعالى واذا اخذنا من

ابن سليمان معنى القراءتين واحد والتقدير قل يا محمد بل عجت لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخاطب بالقرآن قال النحاس وهذا قول حسن واخبار القول كثير وقيل ان معنى الاخبار من الله سبحانه عن نفسه بالعجب انه ظهر من امره وسخطه على من كفر به ما يقوم مقام العجب من المخلوقين قال الهروي ويتال معنى عجب ربكم أى رضى ربكم وأتاب فسماه عجباً وليس بعجب في الحقيقة فيكون معنى عجت هنا عظم فعلهم عندي وحكى النقاش ان معنى بل عجت بل أنكرت قال الحسن بن الفضل العجب من الله انكار الشئ وتعظيمه وهو لغة العرب وقيل معناه الانكار والذم وسئل الجنيب درجه الله عن هذه الآية فقال ان الله لا يعجب من شئ ولكن وافق رسوله ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم أى هو كما تقول وقيل معناه انه بالغ في كمال قدرته وكثرة مخلوقاته الى حيث عجب منها (و) هو لا الجهلهم (يستخرون) منها والوالوالعمال أى والحال انهم يستخرون اوللاستئناف والمعنى ويستخرون منك بسبب تعجبك أو بما تقول من اثبات المعاد (واذا ذكروا الايدى كرون) اى واذا وعظوا بعوذة من مواعظ الله أو مواعظ رسوله لا يعظون بها ولا ينتهون بما فيها قال سعيد بن المسيب أى اذا ذكرهم ما حل بالمكذبين ممن كان قبلهم أعرضوا عنه ولم يتدبروا (واذا رآوا آية) اى معجزة من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت شقاق القمر (يستخرون) أى يبالغون في السخرية قال قتادة يستخرون ويقولون انها سخريه يقال سخروا واستخروا بمعنى مثل قر واستخروا وعجب واستعجب والاول أولى لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى وقيل المعنى يستعدون السخري من غيرهم وقال مجاهد يستخرون (وقالوا ان هذا الاسخريمين) أى ما هذا الذى تأتى به الاسخري واضح ظاهر (أندامتنا وكثرت ابوابنا وعظمتنا) الاستفهام للانكار أى أتبعنا اذا امتنا فالعامل فى اذا هو ما دل عليه أئمتنا لمبعوثون وهو أئمتنا بعث لانس مبعوثون لتوسط ما يمنع من علفيه فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة فى الانكار واشعارا بان المبعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحالة أشد استنكاراً وهذا الانكار للمبعث منهم هو السبب الذى لاجله كذبوا الرسل وما نزل عليهم واستخروا بما جاؤا به من المعجزات وقد تقدم تفسير معنى هذه الآية فى مواضع (أواباونا الاولون) هو مبتدأ وخبره محذوف اى آباؤنا الاولون مبعوثون يعنون انهم أقدم فبعثهم

النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذا قول مجاهد أيضاً وقال ابن عباس الميثاق أبعد الغليظ العهد وقوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال مجاهد المبلغين المؤدين عن الرسل وقوله تعالى وأعد للكافرين أى من أمهم عذاباً لئلا يأتوا موحياً فحقن شهدان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحو الامم وأفصحو الهمم عن الحق المبين الواضح الجلى الذى لا يلبس فيه ولا شك ولا امتراء وان كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين والمارقين والقاسطين فاجابت به الرسل هو الحق ومن خالفهم فهو على الضلال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعم الله عليكم اذا جاءكم جنود فارسنا عليهم ربحوا وخنودا لم ترها

وكان الله بما عملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذراغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا
يقول تعالى مخبرا عن نعمته وفضله واحسانه الى عباده المؤمنين في صرفه اعداءهم وهزمه اياهم عام تألبوا عليهم وتحزبوا وذلك عام
الخذق وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة على الصحيح المشهور وقال موسى بن عقبة وغيره كان في سنة اربع وكان بسبب قدوم
الاحزاب ان نفر من اشرف يهود بني النضير الذين كانوا قد اجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى خيبر منهم سلام
ابن ابي الحقيق وسلام بن مشكم وكانه بن الربيع خرجوا الى مكة (٤٩) فاجتمعوا باشراف قريش وأبوهم على

حرب النبي صلى الله عليه وسلم
ووعدهوهم من أنفسهم النصر والاعانة

فاجابوهم الى ذلك ثم خرجوا الى
غطفان فدعوههم فاستجابوا لهم
ايفضاوخرجت قريش في احيائها
ومن تابعها وقادهم ابوسفيان
نخربن حرب وعلى غطفان عيينة
ابن حصن بن بدر والجميع قريش من
عشرة آلاف فلما سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمسيرهم أمر
المسلمين بخفر الخندق حول المدينة
مما يلي الشرق وذلك باشارة سلمان
الفارسي رضى الله عنه فعمل
المسلمون فيه واجتهدوا ونقل
معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
التراب وحفر وكان في حفر ذلك
آيات بينات ودلائل واضحات وجاء
المشركون فترلوا شرق المدينة
قريمان احدثوزات طائفة منهم
في اعالى أرض المدينة كما قال الله
تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن
اسفل منكم وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن معه من
المسلمين وهم نحو من ثلاثة آلاف
وقيل سبعمائة فاستدواظهورهم
الى سلع ووجوههم الى نحو العدو

أبعدوا بطل وقيل معطوف على ان واسمها وقيل على الضمير في سبعون لوقوع الفصل
بينه والهمزة لان تكرار اخلا على حرف العطف ولهذا قرأ الجمهور بفتح الواو وقرئ
بسكونها على ان أوهى العاطفة وليت الهمزة للاستفهام ثم أمر الله سبحانه رسوله بان
يجيب عنهم تبكيته لهم فقال (قل زعم) كلكم يبعثون (وأنهم داخرون) أى صاغرون
ذليلون والخطاب لهم ولا تأثم بطريق التغليب والجملة ل من فاعل ما دل عليه نعم قال
الواحدى والدخور أشد الصغار ثم ذكر سبحانه ان بعثهم بقبح جزوة واحدة فقال (فإنما) أى
اذا كان الامر كذلك فإنما (هى جزوة واحدة) أو لا تستعجبه فأنما هى جزوة واحدة
والضمير للقصه أو البعثة المفهومة مما قبلها أى ان قصة البعث والبعثة صحيحة واحدة من
اسرافيل بنفخه في الصور عند البعث وقال الحسن هى النفخة الثانية وسهيت الصحيحة
جزرة لان المقصود منها الزجر من قولك زجر الراعى الابل أو الغنم اذ اصاح عليها (فأذاهم)
أحياء بصراء (ينظرون) أى يصرون سوء أعمالهم أو ينتظرون ما يفعل الله بهم من
العذاب والاول أولى (وقالوا) أى قال أولئك المبعوثون لما علموا البعث الذى كانوا
يكذبون به في الدنيا (ياويلنا) دعوا بالويل على أنفسهم قال الزجاج الويل كنه يقولها
القاتل وقت الهلكة وقال الفران اأصله ياويل لنا ووى بمعنى الحزن كانه قال يا حزن لنا قال
النحاس ولو كان كما قال لكان من مفصلا وهو فى المصحف متصل ولا نعلم أحد يكتبه الا متصلا
والوقف هنا تام لان ما بعده كلام مستقل وبه لة (هذا يوم الدين) تعليل لدعائهم بالويل على
أنفسهم والدين الجزاء فكانهم قالوا وهذا اليوم الذى يجازى فيه باعمالنا من الكثير
والتكذيب للرسول فاجابتهم الملائكة بقولهم (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون)
ويجوز ان يكون هذا من قول بعضهم لبعض والفصل الحكم والقضاء لانه ينصل فيه بين
الحسن والسيء (أحشروا الذين ظلموا) هو أمر من الله سبحانه للملائكة بان يحشروا
المشركين (وأزواجهم) وهم أشباههم فى الشرك والتابعون لهم فى الكفر والمشايعة
لهم فى تكذيب الرسل كذا قال قتادة وأبو العالية وقال الحسن ومجاهد المراد بازواجهم
نسأوهم المشركات الموافقات لهم على الكفر والظلم وقال الضحاك أزواجهم قرناؤهم
من الشياطين يحشركل كافر مع شيطان وبه قال مقاتل قال ابن عباس تقول الملائكة
للزانية هذا القول أو خطاب من بعضهم لبعض يحشروا الظالم من مقامهم الى الموقف وقيل

(٧ فتح البيان ثامن) والخندق حنبر ليس فيه ماء بينهم وبينهم يحجب الحياة والرجال ان تصل اليهم وجعل النساء
والذرارى فى أطام المدينة وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرق المدينة ولهم عهد من النبي صلى الله عليه وسلم
وذمة وهم قريش من ثمانمائة مقاتل فذهب اليهم حبي بن أخطب النضري فلم يرل بهم حتى نقضوا العهد ومال الاحزاب على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعظم الخطب واشتد الامر وضاق الحال كما قال الله تبارك وتعالى هنالك أتى المؤمنون فزلازل الاشديدا
وسكنوا محاسن بن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قريمان شهر الا انهم لا يصلون اليهم ولم يقع بينهم قتال الا ان عمرو بن عبد

وذا العامرى وكان من الفرسان الشجعان المشهورين في الجاهلية ركب ومعه فوارس فاقتحموا الخندق وخلصوا الى ناحية المسلمين فنذب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل المسلمين اليه فيقال انه لم يبرز اليه احد فامر عبد ارضى الله عنه فخرج اليه فقبلا ولا ساعة ثم قتله على رضى الله عنه فكان علامة على النصر ثم ارسل الله عز وجل على الاحزاب ريحا شديدة الهبوب قوية حتى لم يبق لهم خيمة ولا شئ ولا تو قد لهم نار ولا يقر لهم قرار حتى ارتحلوا خائبين خاسرين كما قال الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعممة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارس لنا عليهم (٥٠) ريحا وجنودا قال مجاهد وهى الصبا ويؤيده الحديث الاخر نصرت بالاصبا

وأهلكت عاد بالبور وقال ابن جرير حدثني محمد بن المنفى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود عن عكرمة قال قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلق نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقات الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل قال فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا ور واه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن حفص بن غميان عن داود عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم اذ كره وقال ابن جرير أيضا حدثنا يونس حدثنا ابن وهب حدثني عبد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ما قال أرسلني خالى عثمان بن مظعون رضى الله عنه لعله الخندق في بردشديد وريح الى المدينة فقال اثمتا بطعام وولحاف قال فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لي وقال من أتيت من أصحابي فرهم يرجعوا قال فذهبت والريح تسفي كل شئ فجعلت لأتني أحدا الأمرته بالرجوع الى النسبي صلى الله عليه وسلم قال فما يلوى أحد منهم عنقه قال وكان معي ترس لى

من الموقف الى الخيم وعن عمر بن الخطاب قال أمنا لهم الذين هم مثلهم يعجب أصحاب الربا مع أصحاب الربا وأصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر وأزواج في الجنة وأزواج في النار وعن ابن عباس أيضا قال أشباههم وفي لفظ نظر أو هم أى من العصابة عبد الصنم مع عبدة الاصنام وعابد الكوكب مع عبدة الكواكب كقوله وكنتم أزواجا ثلاثا ولا مانع من حل الآية على الجميع (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام والشياطين ونحوها وهذا العموم المستفاد من ما الموصولة فانها عبارة عن المعبودين لاعتنا العابدين كاقيل مخصوص لان من طوائف الكفار من عبد المسيح ومنهم من عبد الملائكة فيخرجون بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وأولئك عندهم يعبدون ووجه حشر الاصنام مع كونها اجسادات لا تعقل هو زيادة التبيكيت لعابديها وتخييلهم واظهار انها لا تنفع ولا تضر وقيل الموصول عبارة عن المشركين خاصة حتى مه لتعديل الحكم بما في حيز صلتها فلا عموم ولا تخصيص (فاهدوهم الى صراط الخيم) أى عرفوا هؤلاء المشركين طريق النار وسوقوهم اليها يقال هديته الطريق وهديته اليها أى دللته عليها وفي هذاتهم بهم وقال ابن عباس وجهوهم ودلوهم الى طريق النار (وقفوههم) أى احبسوهم في الموقف يقال وقفت الدابة اقفنها ووقفنا فوقفت هي وقوفنا تعدى ولا يتعدى وهذا الحبس لهم يكون قبل السوق الى جهنم أى وقفوهم للعباب ثم سوقوهم الى النار بعد ذلك كان الملائكة سارعوا الى ما أمروا به من حشرهم الى الخيم فامروا بذلك (انهم مسئولون) لتعديل الجملة الاولى أى ذلك ليس للعنف عنهم ولا يستترجحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ايستلوا السكن لاعتنا عقائدهم وأعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الخيم بل عما ينطق به قوله الا تى ما لكم بطريق التهكم والتوبيخ قال الكلبي أى مسئولون عن أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم أى جميعها وقال الضحاك بين خطاياهم وقيل عن لاله الا الله وقيل عن ظلم العباد وقال ابن عباس احبسوهم انهم محبوبون وأخرج البخارى في تاريخه والدارمى والترمذى وابن جرير والحاكم وغيرهم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من داع دعا الى شئ الا كان موقوفا معه يوم القيامة لازمابه لا ينفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوهم انهم مسئولون وعن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تزول قدماء عيد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع

عن فكانت الريح تضرب به على وكان فيه حديد قال فضر به الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفى فانفذاها

الى الارض وقوله وجنود الم تر وهاهم الملائكة زلزلاتهم وألقت في قلوبهم الرعب والخوف فكان رئيس كل قبيلة يقول يا بنى فلان الى فيجتمعون اليه فيقول الجاء الجاء المألئى الله عز وجل في قلوبهم من الرعب وقال محمد بن اسحق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال قال نبي من أهل الكوفة لذيقة بن اليان رضى الله عنه يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتهم قال نعم يا بنى قال وكيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجاهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه عيشى على الارض

ولجئنا على أعناقنا قال قال حذيفة رضي الله عنه يا ابن أخي والله لو رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخذق وصلی رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشترط له النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع أدخله الله الجنة قال فما قام رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت اليها فقال مثلها فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت اليها فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله تعالى ان يكون رفيقي (٥١) في الجنة فما قام رجل من القوم من شدة الخوف

وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تتحدث شيئا حتى تأتينا قال فذهبت ودخلت في القوم والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ما نفضل لا تقر لهم قرارا ولا نارا ولا بناء فقام أبو سفيان فقال يا معشر قريش لينظر كل امرئ من جلسه قال حذيفة رضي الله عنه فاخذت بيد الرجل الذي الى جنبي فقلت من أنت فقال أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره واقمنا من هذه الريح ما تزون والله ما نطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى جله وهو معقول فجلس عليه ثم نشر به فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان لا يتحدث شيئا حتى تأتيني

عن عمره فيما افناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أفنتقه وعن جسمه فيما أبلاه وفي رواية عن شبايه فيما أبلاه أخرجه الترمذي (مالكم لا تناصرون) اي اي شيء لكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصر وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ حينئذ أشد وقعا وتأثرا وأصل تناصرون تتناصرون فطرح احدى التاءين تخفمنا وقيل الاشارة بقوله مالكم الى قول أبي جهل يوم بدر نحن جميع مستصر ثم أضرب سبحانه عما تقدم الى بيان الحالة التي هم عليها هناك فقال (بل هم اليوم مستسلمون) أي متفادون لعجزهم عن الحيلة قال قتادة مستسلمون خاضعون في عذاب الله وقال الاخفش ملقون بأيديهم يقال استسلم للشئ اذا انقاد له وخضع (وأقبل بعضهم) أي بعض الكفار (على بعض يتساءلون) أي يتلاومون ويتخاصمون قيل هم الاتباع والرؤساء يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة قال ابن عباس ذلك اذا بعثوا في النجسة الثانية وقال مجاهد هو قول الكفار للشياطين وقال قتادة هو قول الانس للجن والاول اولى لقوله (قالوا انكم تأتوننا) في الدنيا (عن اليمين) أي من جهة الحق والدين والطاعة وتصدوننا عنها قال الزجاج كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا ان الدين والحق ما ضلونا بناه واليمين عبارة عن الحق وهذا كقوله تعالى اخبارا عن ابليس ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيانهم قال الواحدى قال أهل المعاني ان الرؤساء كانوا قد حلفوا لهؤلاء الاتباع ان ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم فعنى تأتوننا عن اليمين أي من ناحية الايمان التي كنتم تحلفون بها فوثقنا بها قال والمفسرون على القول الاول وقيل المعنى تأتوننا عن اليمين التي نخبها ونشأل بها لتغررنا بذلك عن جهة النصيح والعرب تتناول بما جاء عن اليمين وتسميه السائح وقيل اليمين بمعنى القوة أي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر كافي قوله فراغ عليهم ضرب باليمين أي بالقوة وهذه الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وكذلك جملة (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) اي قال الرؤساء أو الشياطين لهؤلاء القائلين كنتم تأتوننا عن اليمين بل لم تكونوا مؤمنين ولم تمنعكم من الايمان والمعنى انكم لم تكونوا مؤمنين قط حتى ننقلكم عن الايمان الى الكفر بل كنتم من الاصل على الكفر فاقتم عليه اجابوا باجوبة خمسة الاول بل لم تكونوا الخ والثاني قوله (وما كان لنا عليكم من

لوشنت لقتلته بسهم قال حذيفة رضي الله عنه فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مر رجل فلما رأني أدخلني بين رجله وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد وانى لقيه فلما سلم أخبرته الخبر وسعت عطفان بما فعلت قريش فاستمر وارجعني الى بلادهم وقدر واه مسلم في صحبته من حديث الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه قال كنا عند حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فقال له رجل لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت فقال له حذيفة أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب في ليلة ذات برد شديد وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل يأتي

بخبر القوم يكون معي يوم القيامة فلم يجبه مناه أحد ثم الثانية ثم الثالثة ثم قال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة قم فأتنا بخبر من القوم فلم أجسد اذ دعاني باسمي ان أقوم فقال اتيتي بخبر القوم ولا تدعهم على قال فضيت كأنما مشى في حمام حتى أتيتهم فاذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهمي في كبد قوسي وأردت أن أرميه ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعهم على ولو رميته لاصبته قال فرجعت كأنما مشى في حمام فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبني (٥٢) من نضل هناة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نأماً حتى الصبح فلما ان

أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان ورواه يونس ابن بكير عن هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم قال ان رجلاً قال لحذيفة رضي الله عنه نشكوا الى الله سبحانه بكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انكم أدركتموه ولم تدركه ورأيتموه ولم تراه فقال حذيفة رضي الله عنه ونحن نشكوا الى الله ايمانكم به ولم تروه والله لا تدري يا ابن أخي لو أدركته كيف كنت تكون لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الخندق في ليلة باردة مطيرة ثم ذكر نحو ما تقدم مطولا وروى بلال بن يحيى العباسي عن حذيفة رضي الله عنه نحو ذلك أيضا وقد أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز بن أخي حذيفة قال ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جلساؤه أما والله لو شهدنا ذلك لكنا فاعلنا وفعلنا فقال حذيفة لا تمتدوا ذلك لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صاقون فعودوا أبو

سلطان) اي قوة وقدرة وتسلط بتهر وغلبة حتى ندخلكم في الكفر ونخرجكم من الايمان والثالث قوله (بل كنتم قومًا طاغين) أي متجاوزين الحد في الكفر والضلال والرابع قوله (حق علينا) أي وجب علينا وعليكم ولزمننا (قول ربنا) يعنون قوله تعالى لا ملأ جنة منكم ومن تبعوا منهم أجمعين (أنا جميعا) (لدا تقولون) العذاب الذي ورد به الوعيد قال الزجاج أي ان المضل والضال في النار الخامس (فأغويناكم) أي أضلناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما تكفون من الغي وزيينا لكم ما كنتم عليه من الكفر فاستجبتم لنا باختياركم واستجاب لكم الغي على الرشد (انا كنا غواين) فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك الدعوة لانا أردنا أن تكونوا امثالنا في الغواية ومعنى الآية أقدمنا على اغوائكم لانا كنا موصوفين في انفسنا بالغواية فافروا ههنا بانهم تسبوا لاغوائهم لكن لا بطريق القهر والغلبة ونفواع انفسهم فيما سبق أنهم قهروهم وغلبوهم فقالوا وما كان لنا عليكم من سلطان ثم اخبر الله سبحانه عن الاتباع والمتبعين بقوله (فانهم يومئذ يتساءلون ويتحاورون ويتخاضعون بما سبق في العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين في الغواية (انا كذلك نفعل يا مجرمين) اي باهل الاجرام وهم المشركون كما يفيد قوله سبحانه (انهم كانوا اذا قيل لهم) قولوا (لا اله الا الله يستكبرون) عن القبول واخرج ابن جرير وابن ابى حاتم وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بجهنم وحسابه على الله وأُنزل الله في كتابه وذكروا ما استكبروا فقال انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وهي لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فضية المدة وعن ابن عباس قال كانوا اذا لم يشرك بالله يستنكفون (ويقولون أئنا التاركوا آلهتنا لشاعر) أي لقول شاعر (مجنون) لا يعقل يعنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكفى الله سبحانه صدقه ورد عليهم بقوله (بل جاء الحق) يعني القرآن المشتمل على التوحيد والوعد والوعيد (وصدق المرسلين) أي

سفيان ومن معه من الاحزاب فوقفوا قريظة اليهود أسفل مناخفهم على ذراري بنا وما أتت علينا قط أشد ظلمة صدقهم ولا أشد ريحاً في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا أصبحه فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فاستأذنه أحد منهم الأذن له ويأذن لهم فيمتسللون ونحن ثلثمائة أو نحو ذلك اذا استقمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلارجلنا حتى أتى على وما على جنة من العدو ولا من البرد الا امرط لا امرأى ما يجاوز ركبتي قال فأتاني صلى الله عليه وسلم وانا جات على ركبتي فقال من هذا فقلت حذيفة قال حذيفة فتمت قصرت الارض فقلت بلى يا رسول

الله كراهية ان اقوم فقمتم فقال انه كائن في القوم خبر فأتني بخبر القوم قال وأنا من أشد الناس فزعاً وأشدهم قرأ قال فخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال فوالله ما خلق الله تعالى فزعاً ولا قرأ في جوفى الا خرج من جوفى فأتني بأحد فيه شيئاً قال فلما ولدت قال صلى الله عليه وسلم يا حذيفة لا تحدثن في القوم شيئاً حتى تأتيني قال فخرجت حتى اذ انوت من عسكر القوم نظرت في ضوء نارهم توقد فاذا رجل أدهم نخم يقول يسده على النار ويمسح خصرته ويقول الرحيل الرحيل ولم أكن أعرف (٥٢) أباسفيان قبل ذلك فانتزعت سمها من كتابتي

أبيض الريش فاضعه في كبد قوسي لارصه به في ضوء النار فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن فيهم شيئاً حتى تأتيني قال فامسكت ورددت سهمي الى كتابتي ثم اتي شجعت نفسي حتى دخلت العسكر فاذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون يا آل عامر الرحيل الرحيل لا تقام لكم واذا الريح في عسكرهم ماتجأ وزع عسكرهم شبرا فوالله اني لا سمع صوت الحجارة في حالهم ورشهم الريح تضربهم بهم ثم خرجت نحو النبي صلى الله عليه وسلم فلما انتصت في الطريق أوتحووا من ذلك اذا أنا بنحو من عشرين فارساً أو نحو ذلك معتمين فقالوا أخبر صاحبك ان الله تعالى كناه القوم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل في شمله يصلي فوالله ما عد أن رجعت راجعني القرو وجعلت اقرقف فأولماً الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهو يصلي فدفوت منه فاسبل على شمله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى فاخبرته خبر القوم وأخبرته اني تركتهم

صدقهم فيما جاؤا به من التوحيد والوعيد واثبات الدار الآخرة ولم يخالفهم ولا جاء بشئ لم تأت به الرسل قبله (انكم) بسبب شرككم وتكذيبكم (لذا نقوا العذاب الاليم) اي الشديدي وقبه التفات من الغيبة الى الخطاب لاظهار كمال الغضب عليهم قرأ الجمهور لذائقوا بحذف النون وخفض العذاب وقرئ بحذفها ونصب العذاب وأجاز سيبويه أيضاً والمقبى الصلاة بنصب الصلاة على هذا التوجيه وقد قرئ باثبات النون ونصب العذاب على الاصل ثم بين سبحانه ان ماذا قوم من العذاب ليس الاسباب أعمالهم فقال (وما تجزون الا جزاء ما) أو بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي ثم استثنى المؤمنين فقال (الاعباد الله المخلصين) قرأ أهل المدينة والكوفة بفتح اللام اي الذين أخلصهم الله لاطاعته وتوحيده وقرئ بكسر هاء أي الذين اخلصوا الله العبادة والتوحيد والاستثناء اما متصل على تقدير تعميم الخطاب في تجزون الجميع المكلفين أو منقطع أي لكن عباد الله المخلصين لا يذوقون العذاب (أو لئلا) المخلصون (لهم رزق) يرزقهم الله اياه (معلوم) في حسن منظره وطيبه ولذنه ورأحتهم وطعمه وعدم انقطاعه قال قتادة يعني الجنة وقيل معلوم الوقت وهو ان يعطوا منه بكرة وعشيا كما في قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وانفس اليه أسكن وقيل معلوم خصائصه من الدوام ونحس اللذة وقيل معلوم القدر الذي يستحقونه بأعمالهم من ثواب الله تعالى وقيل هو المذكور في قوله بعده (فوا كه) فانه بدل من رزق أو هو فوا كه وهذا هو الظاهر والفوا كه جمع فاكهه وهي الثمار ككهارطها وبأسها وخصص الفوا كه بالذ كر لان أرزاق أهل الجنة كلها فوا كه كذا قيل والاولى ان يقال ان تخصيصها بالذ كر لانها أطيب ماياً كالونه والذ ما نشتميه أنفسهم وقيل ان الفوا كه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها بغنى عن ذكر غيرها (وهم مكرمون) في حمل نصب على الحال اي ولهم من الله عز وجل اكرام عظيم برفع درجاتهم عنده وسماع كلامه واقائه في الجنة أو مكرمون في نيل ثواب يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الذي اقرئ مكرمون بتخفيف الراء وبتشديد يدها (في جنات النعيم على سرر متقابلين) قال عكرمة ومجاهد معنى التقابل انه لا ينظر بعضهم في قبا بعضهم تواصلوا وتحابوا وقيل انها تدور بهم الاسرة كيف شاءوا فلا يرى بعضهم قبا بعض قرأ الجمهور سرر بضم الراء وقرئ بنتجها وهي لغة بعض تميم قيل على سرر مكاله بالذرو والياقوت والزبرجد والسرير

يرتحلون وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارس لنا عليهم ريحاً و جنود الم ترها وكان الله بما تعملون بصيراً وأخرج أبو داود في سننه منه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى من حديث عكرمة بن عمار به وقوله تعالى اذ جاءكم من فوقكم أي الاحزاب ومن أسفل منكم تقدم عن حذيفة رضي الله عنه انهم شوقر نطة واذا غت الابصار وبلغت القلوب الحناجر أي من شدة الخوف والفرع وتظنون بالله الظنون قال ابن جرير بن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدائرة على المؤمنين وان الله سيفعل ذلك وقال محمد بن اسحق في قوله تعالى واذا غت الابصار وبلغت

القلوب الخناجر وتظنون بالله الظنون اظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد بعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر على ان يذهب الى الغائط وقال الحسن في قوله عز وجل وتظنون بالله الظنونا ظنون مختلفة ظن المنافقون ان محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستأصلون وأيقن المؤمنون ان ما وعده الله ورسوله حق وانه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الانصاري حدثنا أبو عامر سرح وحدثنا أبي حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا الزبير يعني (٥٤) ابن عبد الله مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن ربيع بن عبد الرحمن

ابن أبي سعيد عن أبيه عن أبي سعيد رضى الله عنه قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شئ نقول فقد بلغت القلوب الخناجر قال صلى الله عليه وسلم نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال فضرب وجوه أعدائه بالريح فهزمهم بالريح وكذا رواه الامام احمد بن حنبل عن أبي عامر العقدي (هنا لك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلازلا شديدا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدهنا الله ورسوله الاغرورا واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لان مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان يوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا) يقول تعالى محسرا عن ذلك الحال حين نزلت الاحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم انهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلازا شديدا فحينئذ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم

ما بين صنعاء الى الجابية وما بين عدن الى ايلة وقيل تدور باهل المنزل الواحد والله أعلم ذكره القرطبي ثم ذكر سبحانه صفة أخرى لهم فقال (يطاف عليهم بكأس) مستأنفة جواب سؤال مقدر وفي محل نصب على الحال والكأس عند أهل اللغة ما كان من الزجاج وهو اسم شامل لكل اناه فيه الشراب فان كان فارغا فليس بكأس وقد تسمى الخمر نفسها كأسا تسمية للشئ باسم محله قال الشاعر

وكأسا شربت على لذة * وأخرى تداويت منهاها

وقال الفصحاء والسدى كل كأس في القرآن فهي الخمر قال النحاس وحكي من يوثق به من أهل اللغة ان العرب تقول للشدح اذا كان فيه خمر كأسا فاذا لم يكن فيه خمر فهو قدح كما يقال للخوان اذا كان فيه طعام مأثمة فاذا لم يكن عليه طعام لم يقل له مأثمة (من معين) صفة لكأس قال الزجاج أى من خمر تجرى كما تجرى العيون على وجه الارض ظاهرة تراها العيون والمعين الماء الحار وقوله (يضاه لذة للشاربين) صفتان لكأس قال الزجاج أى ذات لذة فحذف المضاف ويجوز ان يكون الوصف بالمصدر لقصد المبالغة في كونها لذة ولا يحتاج الى تقدير المضاف قال الحسن خمر الخنة أشد بياضا من اللبن لذة لذية يقال شراب لذو لذة كما يقال نبات غض وغضيض واللذيد كل شئ مستطاب وقيل البياض هو التي لم تعتصرها الرجال ثم وصف هذه الكأس من الخمر بغير ما يتصف به خمر الدنيا فقال (لا فيها غول) أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع قال الفراء العرب تقول ليس فيها غيلة وغائله وغول سواء وقال أبو عبيدة الغول ان تغتال عقولهم وقال الواحدى الغول حقيقة الاهلاك يقال غاله غولا وغتاله أى أهلكه والغول كل ما غتالك أى أهلك ومنه الغول بالضم شئ توهمته العرب ولها فيه أشعار كالعنقاء (ولاهم عنها ينزفون) أى يسكرون يقال نزف الشارب فهو منزوف ونزيف اذا سكر رقرأ الجهور ينزفون مبنيا للمنعول وقرئ بضم الياء وكسر الزاى من أنزف الرجل اذا ذهب عقله من السكر فهو نزيف ومنزوف ومنزف يقال أحصد الزرع اذا آن حصاده واقطف السكر اذا حان قطافه قال الفراء من كسر الزاى فله معنيان يقال أنزف الرجل اذا فنيت خمره وأنزف اذا ذهب عقله من السكر وتحمل هذه القراءة على معنى لا يتبدشراهم لزيادة الفائدة قال النحاس والقراءة الاولى أبين وأصح فى المعنى

مرض ما وعدهنا الله ورسوله الاغرورا ما المناقق فنجم نفاقه والذي فى قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتفنن بما لان

يجده من الوسواس فى نفسه لضعف ايمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب يعنى المدينة كما جاء فى الصحيح أريت فى المنام دار هجر تكلم أرض بين حرتين فذهب وهلى انها هجر فاذا هى يثرب وفى لفظ المدينة فاما الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن مهدي حدثنا صالح بن عمر عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى لبلب عن البراء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى المدينة يثرب فليست تغفر الله تعالى انما هى طابته هى طابته

تفرد به الامام أحمد وفي اسناده ضعف والله أعلم ويقال انما كان أصل تسميتها يثرب برجل نزلها من العماليق يقال له يثرب بن عبدة ابن مهلايل بن عوص بن عملاق بن لاذبن آدم بن سام بن نوح قاله السهيلي قال ورى عن بعضهم انه قال ان لها في التوراة أحد عشر اسما المدينة وطاية وطيبية والجلبلة والخابرة والمجبة والمجوبة والقاصمة والمجبورة والعدرا والمرحومة وعن كعب الاحبار قال انما نجد في التوراة يقول الله تعالى للمدينة يا طيبة ويا طاية ويا مسكينة لا تبتي الكنوز ارفع اجارك على اجاجر القرى وقوله لا مقام لكم أي ههنا يعنون عند النبي صلى الله عليه وسلم في مقام (٥٥)

ومنازلكم ويستأذن فريق منهم النبي قال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما هم بنو حارثة قالوا بيوتنا تخاف عليها السرقة وكذا قال غير واحد وذكر ابن اسحق ان القاتل ذلك هو أو س بن قيطي يعنى اعترضوا في الرجوع الى منازلهم بانها عورة أي ليس دونها ما يحجبهم من العدو فهم يحشون عليها منهم قال الله تعالى وماهى بعورة أي ليس كما يزعمون ان يريدون الافرار اي هربا من الزحف (ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لا تؤها وما تلبسوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان عهد الله مسئولا قل ان ينفعكم القرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لاتتمعون الا قلنا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا) يخبر تعالى عن هؤلاء الذين يقولون ان بيوتنا عورة وماهى بعورة ان يريدون الافرار انهم لو دخل عليهم الاعداء من كل جانب من جوانب المدينة

لان معنى ينفون عند جهور المفسر من لا تذهب عقولهم فنفي الله سبحانه عن خسر الخسة الاقات التي تلتقي في الدنيا من خرها من الصداع والسكر وقال الزجاج وأبو على القارسي معنى لا ينفون بكسر الزاي لا يسكرون قال المهدي لا يكون معنى ينفون يسكرون لان قبله لا فيها غول أي لا تغتال عقولهم فيكون تكسيرا وهدا يقوى ما قاله قتادة ان الغول وجع البطن وكذا روى ابن أبي نجیح عن مجاهد وقال الحسن ان الغول الصداع وبه قال ابن عباس وقال ابن كيسان هو المغص فيكون معنى الاية لا يكون فيها نوع من أنواع الفساد المصاحبة لشرب الخمر في الدنيا من مغص أو وجع بطن أو صداع أو عريضة أو لغو أو تأنيب ولا هم يسكرون منها ويؤيده هذا ان أصل الغول الفساد الذي يلحق في خفاء يقال اغتاله اغتالا اذا أفسد عليه أمره في خفية ومنه الغول والغيلة القتل خفية وقرئ ينفون بفتح الياء وكسر الزاي وقرئ بفتح الياء وضم الزاي عن ابن عباس قال في الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فتزله الله خسر الخسة عنها فقال لا فيها غول أي لا تغول عقلهم من السكر ولا هم عنها ينفون قال لا يقيئون عنها كما يقى صاحب خسر الدنيا عنها وعنه قال هي الخمر ليس فيها وجع بطن قال في النهرد كرا ولا الرزق وهو ما تلذذه الاجسام وثانيا الا كرام وهو ما تلذذه النفوس ثم ذكر الخمر الذي هم فيه وهو جنات النعيم ثم أشرف الخمر وهو السرر ثم لذته التأنس بان بعضهم مقابل بعضا وهو أتم السرور وانسه ثم المشروب وانهم لا يتناولون ذلك بأنفسهم بل يطاق عليهم بالكؤوس ثم وصف ما يطاق عليهم به من الطيب واتناب المفاسد ثم ذكر تمام النعمة الجسمانية وختم بها كما بدأ بالذمة الجسمانية من الرزق وهي أبلغ المسلاذ وهي التأنس بالنساء فقال (وعندهم قاصرات الطرف) أي نساء حاسبات الاعين غاضات العيون قصرت طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم والقصر معناه الحبس وقيل القاصرات المحبوسات على أزواجهن والاولى لأنه قال قاصرات الطرف ولم يقل مقصورات (عين) أي عظام العيون جمع عيناء وهي الواسعة العين والذكر عين قال الزجاج معنى عين كبار العين حسانتها وقال مجاهد العين حسان العيون عظام المقلة وقيل نجل العيون بضم النون جمع نجلاء وهي التي اتسع شقها ساعة غير مفرطة وقال الحسن هن الشدييات بياض العين الشدييات سوادها والاولى (كأنهن بياض) جمع بياضة وهو معروف

وقطر من اقطارها ثم سئلوا الفتنة وهي الدخول في الكفر لئلا يفرحوا ولا يحافظون على الايمان ولا يستمكون به مع أدنى خوف وفزع هكذا فسره قتادة وعبد الرحمن بن زيد وابن جرير وهذا لهم في غاية الذم ثم قال تعانى يذكرهم بما كانوا عاهدوا الله من قبل هذا الخوف ان لا يولوا الادبار ولا يفرحوا من الزحف وكان عهد الله مسئولا أي وان الله تعالى سبأ لهم عن ذلك العهد لا بد من ذلك ثم أخبرهم ان فرارهم ذلك لا يؤخر آجالهم ولا يطول أعمارهم بل ربما كان ذلك سببا في تعجيل أخذهم غرة ولهذا قال تعالى واذا لاتتمعون الا قليلا أي بعد هربكم وفراركم قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ثم قال تعالى قل من ذا الذي

يعصمكم من الله أى يمنعكم ان أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجب دون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً أى ليس لهم ولا لغيرهم من دون الله مجير ولا منغيث (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون بالبأس الا قليلاً أشحمة عليكم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحمة على الخير أولئك لم يؤمنوا فاحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً) يخبر تعالى عن احاطة علمه بالمعوقين لغيرهم عن شهود الحرب والقائلين لاخوانهم اى اصحابهم وعشائريهم مع ذلك لا يأتون بالبأس الا قليلاً أشحمة عليكم اى بخلاء بالمودة والشفقة عليكم وقال السدى أشحمة عليكم اى فى الغنائم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت اى من شدة خوفه وجرعه وهكذا خوف هؤلاء الجناء من القتال فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أى فاذا كان الايمان تكلموا كلاماً يليغافصيحاً ما يادعوا لانفسهم المقامات العالية فى الشجاعة والجدوة وهم يكذبون فى ذلك وقال ابن عباس رضى الله عنهما سلقوكم أى استقبلوكم وقال قتادة ما عند الغنية فأشح قوم وأسوأهم مفاخرة أعطونا فأعطونا قد شهدنا معكم واما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحمة على الخير اى ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير فيهم كما قال فى امثالهم الشاعر

(مكنون) أى مصون مستور من كذنته اذا جعلته فى كن ببيض النعام تكنها النعامه بالريش من الريش والغبار فلو فيه أبيض فى صنفة وهو أحسن ألوان النساء عند العرب والا فأحسها عند العجم والروم الا ببيض المشرب بجمرة وقال سعيد بن جبير والسدى شبهه ببيض قبل ان يقشر وتسمه الايدى وبه قال ابن جرير قال المبرد وتقول العرب اذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة كأنه ببيض النعام المغطى بالريش وقيل المكنون المصون عن الكسر أى انهن عذارى وقيل المراد بالبيض اللؤلؤ كما فى قوله وجرور عين كأن مثل اللؤلؤ المكنون والاول أولى وانما قال مكنون ولم يقل مكنونات لانه وصف البيض باعتبار اللذذ وعن ابن عباس فى قوله كأنهن ببيض مكنون قال اللؤلؤ المكنون وعنه قال يابض البيضة ينزع عنها فوفها وغشاؤها (فأقبل بعضهم على بعض) يعنى أهل الجنة فى الجنة (يتساءلون) أى يسأل هذا ذلك وهذا هذا حل شربهم عن أحواهم التى كانت فى الدنيا وما جرى لهم وما عملوه وذلك من تمام نعيم الجنة والتقدير فيقبل بعضهم على بعض وانما عبر عنه بالماضى للتأكيد والدلالة على تحقق وقوعه قبل المعنى يشربون ويتجادون على الشراب كمداد الشراب قال الشاعر
فما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام
(قال قائل منهم) أى من أهل الجنة فى حال اقبال بعضهم على بعض بالحديث وسؤال بعضهم لبعض (انى كان لى قرين) أى صاحب ملازم لى فى الدنيا كافر بالبعث منكره قيل كان قرينه شيطاناً وقيل كان من الانس وقيل كاناً أخوين وقيل كانا شريكين أحدهما كافراً اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه يوذ وهما اللذان قص الله خبرهما فى سورة الكهف فى قوله واضرب لهم مثلاً رجلين واولاوى (يقول) لى (أنتك لمن المصدقين) بالبعث والجزاء وهذا الاسم تفهنا من القرين لتوحيج ذلك المؤمن وتبكيته بإيمانه وتصديقه بما وعد الله به من البعث وكان هذا القول منه فى الدنيا قرأ الجمهور مصدقين بتخفيف الصاد من التصديق اى لمن المصدقين بالبعث وقربى بتشديد ها ولا ادرى من قرأها ومعناها بعيد لانها من التصديق لا من التصديق ويمكن تأويلها بأنه انكر عليه التصديق بما له لطلب الثواب وعلل ذلك باستبعاد البعث ثم ذكر ما يدل على الاستبعاد للبعث عنده وفى زعمه فقال (انذامتنا وكاترا باوعظا ما تألمد ينون) اى لجزيون بأعمالنا

معايير جمع غيره وهو الجاروفى الحرب كأنهم النساء الحيض ولهذا قال تعالى أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله ومحاسبون اعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً اى سهل الينا عنده (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحراب يودوا لو أنهم يادون فى الاحزاب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلاً) وهذا ايضا من صفاتهم القبيحة فى الجبن والخوف يحسبون الاحزاب لم يذهبوا بل هم قريب منهم وان لهم عودة اليهم وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم يادون فى الاحزاب يسألون عن انبائكم اى ويودون اذا جاءت الاحزاب انهم لا يكونون حاضرين معكم فى المدينة بل فى البادية يسألون عن أخباركم وما كان من امركم مع

والاعيار جمع غيره وهو الجاروفى الحرب كأنهم النساء الحيض ولهذا قال تعالى أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله ومحاسبون اعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً اى سهل الينا عنده (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحراب يودوا لو أنهم يادون فى الاحزاب يسألون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلاً) وهذا ايضا من صفاتهم القبيحة فى الجبن والخوف يحسبون الاحزاب لم يذهبوا بل هم قريب منهم وان لهم عودة اليهم وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم يادون فى الاحزاب يسألون عن انبائكم اى ويودون اذا جاءت الاحزاب انهم لا يكونون حاضرين معكم فى المدينة بل فى البادية يسألون عن أخباركم وما كان من امركم مع

عدوكم ولو كانوا فيكم ما قالوا الا قليلا اي ولو كانوا بين اظهركم لما قالوا معكم الا قليلا لكثرة جبنهم وذلهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولم يرأى المؤمنون الا حزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره (٥٧) الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه

عليه دائما الى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقفوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الاحزاب لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ثم قال تعالى مخبرا عن عماده المؤمنين المسدقين وعود الله لهم وجعله العاقبة حاصله لهم في الدنيا والآخرة فقال تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يعنون قوله تعالى في سورة البقرة أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب ولهذا قال تعالى وصدق الله ورسوله وقوله تعالى وما زادهم

ومحاسبون بها بعد ان صرنا نرايا وعظاما وقيل معنى مدينون مسوسون يقال دانه اذا ساسه وقد اختلف القراء في هذه الاستنهامات الثلاثة فقرأ نافع الاولى والثانية بالاستنهام بهمزة والثالثة بكسر الالف من غير الاستنهام ووافقه الكسائي الا انه يستنهم الثالثة همزتين وابن عامر الاولى والثالثة بهمزتين والثانية بكسر الالف من غير استنهام والباقون بالاستنهم في جميعها ثم اختلفوا في كثير يستنهم بهمزة واحدة غير مطولة وبعده ساكنة خفيفة وابو عمرو مطولة وعاصم وجزء همزتين (قال هل انتم مطلعون) القائل هو المؤمن الذي في الجنة بعدما حكي لجلسائه فيها ما قاله له قرينه في الدنيا اي هل انتم يا اخواني مطلعون الى اهل النار لار يكذب ذلك القرين الذي قال لي تلك المقالة كيف منزلته في النار فيقول أهل الجنة أنت أعرف به منا قال ابن الاعرابي والاستنهم هو بمعنى الامر أي اطالعوا وقيل القائل هو الله سبحانه وقيل الملائكة والاولى أو قرأ الجمهور مطلعون بتشديد الطاء مفتوحة وفتح النون فاطلع ماضيا مبنيا للفاعل من الطلوع وقرأ ابن عباس ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو مطلعون بسكون الطاء وفتح النون فاطلع بقطع الهمزة مضمومة وكسر اللام ماضيا مبنيا للمفعول وقرئ مطلعون بخفيف الطاء وكسر النون فاطلع مبنيا للمفعول وأنكرها أبو حاتم وغيره قال النحاس هي لحن لانه لا يجوز الجمع بين النون والاضافة ولو كان مضافا لقال هل انتم مطلعون وان كان سيديويه والقراء قد حكوا مثله ولكنه شاذ خارج عن كلام العرب (فاطلع قرأه في سوا الجحيم) أي فاطلع ذلك المؤمن على النار الذي صار يحدث أصحابه في الجنة بما قال له قرينه في الدنيا قرأ في وسط الجحيم وقال الزجاج سواء كل شيء وسطه قال النحاس فاطلع فيه قولان أحدهما ان يكون فعلا مستقبلا أي فاطلع أي أنا والثاني ان يكون فعلا ماضيا أي المؤمن قال ابن مسعود في الآية اطلع ثم التفت الى أصحابه فقال لقد رأيت جاجم القوم تغلي قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر منها أهلها الى النار جمع كوة وهي الثقب في الحائط وهي بفتح الكاف وضمة هاء وفي الجمع وجهان كسرهما وضمهما لكن مع الكسر يصح المد والقصر ومع الضم يتعين القصر (قال) ذلك الذي من أهل الجنة لما اطلع على قرينه ورآه في النار (تالله ان كدت لتردين) أي لتهلكني بالاعواء وفيه معنى التعجب قال الكسائي الردى الهلاك قال المبرد لو قيل لتردين لتوقعني في النار

(فتح البيان ثامن) الايمان وتسليما دليل على زيادة الايمان وقوته بالنسبة الى الناس وأحوالهم كما قال جمهور الأئمة انه يزيد وينقص وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري والله الحمد والمنة ومعنى قوله جللت عظمته وما زادهم أي ذلك الحال والاضيق والشدة الايمان بالله وتسليما أي انقيادا لاوامره وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا يجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيفا) لما ذكر عز وجل عن المنافقين انهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله لا يولون الا ديار وصف المؤمنين بانهم

استمروا على العهد والميثاق وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من قتلوه ولا بد لوه قال البخاري حدثنا أبو اليان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال لما نسخنا المصحف فقدت آية من سورة الاحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها لم أجدها مع أحد الا مع خزيمه بن ثابت الانصاري رضي الله عنه الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المؤمنين (٥٨) رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه انفرد به البخاري دون مسلم وأخرجه أحمد في مسنده والترمذي والنسائي في التفسير من سننهم ما من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقال البخاري أيضا حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري حدثني أبي عن ثمامة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال نرى هذه الآية نزلت في انس بن النضر رضي الله عنه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية انفرد به البخاري من هذا الوجه ولكن له شواهد من طرق آخر قال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قال انس بن النضر رضي الله عنه سميت بل يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فشق عليه وقال اول مشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لئن أراي الله تعالى مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عز وجل ما صنع قال فهاب ان يقول غير هافش هدمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاستقبل سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال له انس رضي الله عنه

يا أبا عمرو والى ابن واهالريح الجنة انى اجده دون أحد قال فقال لهم حتى قتل رضي الله عنه قال فوجدني جسده الذى بضع وثمانون من ضربه وطعنه ورمية فقالت اخته عمتي الربيع ابنة النضر فاعرفت اخي الابنانه قال فنزلت هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون انها نزلت فيه وفي أصحابه رضي الله عنهم ورواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه النسائي أيضا وابن جرير من حديث جابر بن سلمة عن ثابت عن انس رضي الله عنه به نحوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا جندب عن

لكان جائزا قال مقاتل المعنى والله لقد كدت أن تغويني فانزل منزلة كالمعنى متقارب فمن أغوى انسا فانقاد أهلكه (ولو لانهمة ربي) أى رحمته وانعامه على بالاسلام وهدايتي الى الحق وعصمتي عن الضلال (الكنت) معك في النار (من المحضرين) قال الماوردي ولا يستعمل أحضر الا في الشر ولما تم كلامه مع ذلك القرين الذى هو في النار عاد الى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة فقال (أفما نحن بعيتين) الهمزة للاستفهام التقريرى وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على محذوف كما في نظائر أى أفما نحن محذون منعومون فما نحن بعيتين وقرأ زيد بن علي بماءتين قال ابن عباس فى الآية قول الله لاهل الجنة كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون قال هنيئا أى لا تتوتون فيها فمئذ ذلك قالوا أفما نحن بعيتين الى قوله الفوز العظيم وقيل هذا السؤال من أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت وقيل من قولهم توبخا للكفار لما كانوا ينكرونه من البعث وانه ليس الاموت فى الدنيا والاول اولى (الاموتنا الاولى) التى كانت فى الدنيا وقوله هذا كان على طريقة الابتهاج والسرور بما أنعم الله عليهم من نعيم الجنة الذى لا ينقطع وانهم محذون لا يموتون أبدا والاستثناء مفرغ وقيل منقطع بمعنى لكن (وما نحن بمعذبين) كما يعذب الكفار ثم قال مشبرا الى ما هم فيه من النعيم (ان هذا) الامر العظيم والنعيم المقيم والخلود الدائم الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) الذى لا يتاثر قدره ولا يمكن الاطاعة بوصفه (لمثل) أى لنيل مثل (هذا) العطاء والفضل العظيم (فليعمل العاملون) فان هذه هى التجارة الرابحة لا العمل للدنيا الزائلة وحظوظها المشوية بالآلام السريعة الانصرام فانها صفة طاهرة نعيمها منقطع وخيرها زائل وصاحبها عن قريب منها راحل وهذا من تمام كلامه وقيل ان هذا من قول الله سبحانه قاله ابن عباس وقيل من قول الملائكة والاول اولى وأخرج ابن مردويه عن البراء بن عازب قال كنت امشى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده فى يدي فرأيت جنازة فأسرع المشى حتى أتيت القبر ثم جئنا على ركبته فجعل يبكي حتى بل الثرى ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون واخرج ابن مردويه عن انس قال دخلت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على مريض يوجد بنفسه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون (أذلك) الذى ذكره من نعيم الجنة وهو مبتدأ وخبره (خير) و(نزلا) تمييز والنزل فى أصل اللغة الفضل والربيع فاستعير للحاصل من الشئ والرزق

الذى بضع وثمانون من ضربه وطعنه ورمية فقالت اخته عمتي الربيع ابنة النضر فاعرفت اخي الابنانه قال فنزلت هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون انها نزلت فيه وفي أصحابه رضي الله عنهم ورواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه النسائي أيضا وابن جرير من حديث جابر بن سلمة عن ثابت عن انس رضي الله عنه به نحوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا يزيد بن هرون حدثنا جندب عن

انس رضى الله عنه قال ان عمه يعنى انس بن النضر رضى الله عنه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال فاتله رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين لئن شهدنى الله عز وجل قتالاً للمشركين ليرين الله تعالى ما اصنع قال فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال اللهم انى أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعنى اصحابه وبراؤا الذي مما جابه هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فلقبه سعد يعنى ابن معاذ رضى الله عنه دون احد فقال انامعك قال سعد رضى الله عنه فلم استطع ان اصنع ما صنع فلما قتل قال فوجدي فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنته رمح وورمية سهم وكلوا يقولون فيه وفي اصحابه (٥٩) نزلت فنههم من قضى لمحبه ومنهم من ينتظر

واخرجه الترمذى فى التفسير عن عبد بن حميد والنسائى فيه أيضا عن اسحق بن ابراهيم كلاهما عن يزيد ابن هرون به وقال الترمذى حسن وقد رواه البخارى فى المغازى عن حسان بن حسان عن محمد بن طلحة عن مصرف عن حميد عن انس رضى الله عنه به ولم يذكر نزول الآية ورواه ابن جرير من حديث المعتمر بن سليمان عن حميد عن انس رضى الله عنه به وقال ابن ابي حاتم حدثنا احمد بن الفضل العسقلانى حدثنا سليمان بن ايوب بن سليمان حدثنا عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيد الله حدثنى ابي عن جدى عن موسى بن طلحة عن ابيه طلحة رضى الله عنه قال لما ان رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وعزى المسلمين بما أصابهم وأخبرهم بما لهم فيه من الاجر والذخر ثم قرأ هذه الآية من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنههم من قضى لمحبه الآية كلها فقام اليه رجل من المسلمين فقال يا رسول الله من هؤلاء فاقبلت

الذى يصلح ان ينزلوا معه وقيموا فيه والخيرية بالنسبة الى ما اختاره الكفار على غيره والمعنى قل يا محمد دل قومك على سبيل التوب بين التمسك والتكتم كذلك الرزق المعلوم الذى حاصله الاذة والسرور خير نزلا (أم شجرة الرقوم) أى التى حاصلها الالم والغم قال الزجاج المعنى أدلك خيرى باب الانزال التى يقون بها نزلا ام نزل اهل النار وهو الرقوم وهو ما يكره تناوله قال الواحدى وهو شئ ممر كرهه اهل النار على تناوله فهم يترقونه فهى على هذا مستقمة من الترقم وهو البلع على جهل كراهتها وتنتها واختلف فيها اهل هى من شجر الدنيا التى تعرفها العرب ام لعل قولين احدهما انها معروفة من شجر الدنيا فقال قطرب انها شجرة حمرة كريمة الرائحة تكون بهامة من اخذت الشجر وقال غيره بل هو كل نبات قاتل وقيل شجرة مسمومة متى مست جسد احد تورم فمات والاضافة من اضافة المسمى الى الاسم القول الثانى انها غير معروفة فى شجر الدنيا وقيل انه قال ابن الزبيرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم وهى بلسان بربر الزيدو الترو قيل هى بلغة اهل اليمن قال قتادة لما ذكر الله هذه الشجرة افتتن بها الطلبة فقالوا كيف تكون فى النار شجرة فانزل الله تعالى (انا جعلناها قسنة للظالمين) قال الزجاج اى حين افتتنوا بها وكذبوا بوجودها ولم يعلموا ان من يقدر على خلق حيوان وهو السمندل يعيش فى النار ويتلذذ بها يقدر على خاق الشجر فى النار وحفظه منها وقيل معنى جعلها قسنة لهم انها محنة لهم لكونهم يعذبون بها والمراد بالظالمين هنا الكفار وأهل المعاصى الموجبة للنار ثم بين سبحانه أوصاف هذه الشجرة رد اعلى منكرها فقال (انها شجرة تخرج) أى تنبت (فى أصل الجحيم) أى فى قعرها وأسفلها قال الحسن أصلها فى قعر جهنم وأغصانها ترفع الى دركاتها أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال مرأب وجهل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو جالس فلما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فلما سمع أبو جهل قال من توعده يا محمد قال انك قال من توعدهنى قال أوعدك بالعزير الكريم فقال أبو جهل أليس أنا العزير الكريم فانزل الله ان شجرة الرقوم طعام الاثيم الى قوله ذق انك أنت العزير الكريم فلما بلغ أبوجهل ما نزل فيه جمع اصحابه فأخرج اليهم زيدا وترا فقالا ترقوا من هذا فوالله ما يتوعدكم محمد الا بهذا فانزل الله انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم الآية وعنه قال لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت الى الارض لافسدت على الناس معايشهم ثم قال الله

وعلى ثوبان أخضران حضرميان فقال أيها السائل هذا منهم وكذا رواه ابن جرير من حديث سليمان بن ايوب الطلمى به وأخرجه الترمذى فى التفسير والمنقب أيضا وابن جرير من حديث يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى وعيسى ابني طلحة عن ابيهما رضى الله عنه به وقال حسن غريب لانعرفه الامن حديث يونس وقال ايضا حدثنا احمد بن عصام الانصارى حدثنا أبو عامر يعنى العقدي حدثنى اسحق يعنى ابن طلحة بن عبيد الله عن موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية رضى الله عنه فلما خرجت دعانى فقال الأضع عندك يا ابن أختى حديثنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

طلحة عن قضي نخبة ورواه ابن جرير حدثنا أبو بكر بن محمد ثنا عبد الحميد الجاني عن اسحق بن يحيى بن طلحة الطلحي عن موسى بن طلحة قال قام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة من قضي نخبة ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى ففهم من قضي نخبة يعني عهدهم منهم من ينتظر قال يومافيه القتال فيصدق في اللقاء وقال الحسن ففهم من قضي نخبة يعني موته على الصدق والوفاء ومنهم من ينتظر الموت على مثل ذلك ومنهم من لم يبدل تبديلا وكذا قال قتادة وابن زيد وقال بعضهم نخبة نذره وقوله تعالى وما (٦٠) بدلوا تبديلا أي وما غير واعهدهم وبدلوا الوفاء بالعذر بل استمروا على ما عاهدوا

الله علمه وما نتصوه ككفعل المنافقين الذين قالوا ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الا ديارا وقوله تعالى ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اي انما يجتبر عباده بالخوف والرزال ليعز الخبيث من الطيب فيظهر أمر هذا بالفعل وأمر هذا بالفعل مع انه تعالى يعلم الشيء قبل كونه ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فهم حتى يعملوا بما يعلمه منهم كما قال تعالى ولنه انونكم حتى تعلموا انما تعملون منكم والصابرين ونبلوا أخباركم فهذا علم بالشئ بعد كونه وان كان العلم السابق حاصله قبل وجوده وكذا قال تعالى ما كان الله لينذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولهذا قال تعالى ههنا ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي يصبرهم على ما عاهدوا الله عليه وقيامهم به ومحافظتهم عليه ويعذب المنافقين وهم الناقضون لعهد الله الخائفون

تعالى (طلعها) الطلع حقيقة اسم لثمر النخل أول بروزه فاطلاقه على غير هذه الشجرة مجاز بالاستعارة والمعنى ثمرها وما تحمله (كأنه) في تناعي قبحه وهوله وشناعة منظره (رؤس الشياطين) فشبه المحسوس بالمخيل وان كان غير مرئي للدلالة على انه غاية في القبح كما يقولون في تشبيهه من يستحقونه كأنه شيطان وفي تشبيهه من يستحقونه كأنه ملك كما في قوله تعالى ما هذا بشر ان هذا الا لك كريم قال الزجاج والفراء الشياطين حيات هاتلة لها رؤس وأطراف وهي من أفتح الحيات وأخبثها وأخفها جسمها وقيل ان رؤس الشياطين اسم لنبت قبيح معروف باليمن يقال له الاستن ويقال له الشيطان قال النحاس وليس ذلك معروفًا عند العرب وقيل هو شجر خشن منمن من منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وقيل هو شجر يقال له الصرم فعلى هذا قد خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة وقيل انه خاطبهم بما ألغوه من الاستعارات (فانهم لا يكون) لشدة جوعهم وألقهرهم على الأكل (منها) أي من الشجرة أو من طلعها والتأنيث لاكتساب الطلع التأنيث من اضافته الى الشجرة (فالتون منها البطون) وذلك انهم يكرهون على أكلها حتى تمتلئ بطونهم فهذا طعامهم وفا كهتم بدل رزق أهل الجنة (ثم ان لهم عليها) أي على الشجرة بعد الأكل منها (لشوبان من حميم) الشوب الخلط قال الفراء يقال شاب طعامه وشرا به اذا خلطه ما بشئ يشوبه اشوبا وشباية وقال ابن عباس شوبها من شوب بالحميم وهو الماء الحار فأخبر الله سبحانه أنه يشاب لهم طعامهم من تلك الشجرة بالماء الحار ليكون أقطع لعذابهم وأشنع لحالهم كما في قوله وسقوا ماء حميمًا مقطوعا معاهم قرأ الجمهور بفتح الشين وهو مصدر وقرأ شيبان النحوي بالضم قال الزجاج المقنوح مصدر والمضوم اسم بمعنى المشوب كالنقض بمعنى المنقوض (ثم ان مرجعهم) بعد شرب الحميم واكل الزقوم (لالى الحميم) وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج الحميم كما انهم يوردون الابل ثم يردون الى الحميم كما في قوله سبحانه بطوفون بيننا وبين حميم آن وهذا قول الاقل والجمهور على انه داخلها وانهم لا يخرجون أصلا وقيل ان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها قال أبو عبيدة ثم بعنى الواو وقرأ ابن مسعود ثم ان مقيلهم لالى الحميم وعنه قال لا يتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء ويتبدل هؤلاء أهل الجنة وأهل النار وقرأ ان مقيلهم

لا وأمره فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا ان شاء استمرهم على ما فعلوا حتى لالى

يلقوه به فعذبهم عليه وان شاء تاب عليهم بان أرسدهم الى التزوع عن النفاق الى الايمان والعمل الصالح بعد الفسوق ولما كانت رحمته ورأفته تبارك وتعالى بخلقه هي الغالبة لغضبه جل جلاله قال تعالى ان الله كان غفورا رحيمًا (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) يقول تعالى مخبرا عن الاحزاب لما اجلاهم عن المدينة بما أرسل عليهم من الرياح والجنود الالهية ولولا ان الله تعالى جعل رسوله رجسة للعالمين لكانت هذه الرياح عليهم أشد من الريح العقيم على عاد

ولكن قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فسلط عليهم هو افرق شعلهم كما كان سبب اجتماعهم من الهوى وهم اخلاط من قبائل شتى احزاب وآراء فناسب ان يرسل عليهم الهوا الذي فرق جماعتهم وردهم خائبين خاسرين بغضهم وحقه لم ينالوا خيرا لافي الدنيا كما كان في انفسهم من الظفر والمغشم ولا في الآخرة بما تحملوه من الاثم في مبارزة الرسول صلى الله عليه وسلم بالعداوة وهمهم بقتله واستئصال جيشه ومن هم بشئ واحد صدق همه بفعله فهو في الحقيقة كفاعله وقوله تبارك وتعالى وكفى الله المؤمنين القتال أي لم يحتاجوا الى منازلهم ومبارزتهم حتى يجلوهم عن بلادهم (٦١) بل كفى الله وحده ونصر عبده وأعز جنده

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فلا شئ بعده آخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي الصحيحين من حديث اسمعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم ووزلهم وفي قوله عز وجل وكفى الله المؤمنين القتال اشارة الى وضع الحرب بينهم وبين قريش وهكذا وقع بعدها لم يغزهم المشركون بل غزاهم المسلمون في بلادهم قال محمد بن اسحق لما انصرف اهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وليكنسكم تغزوكم فلم تغز قريش بعد ذلك وكان صلى الله عليه وسلم هو يغزوهم بعد ذلك حتى فتح الله تعالى مكة عليه وهذا الحديث الذي ذكره محمد بن اسحق حديث صحيح كما قال

لالي الحليم (انهم ألقوا) أي وجدوا (آبائهم صالحين) تعليل لاستحقاقهم ما تقدم ذكره أي صادفهم كذلك فأقتدوا بهم تقليدا واضلالة لالحجة أصلا قال أبو السعود أي بتقليد آبائهم في الدين من غير ان يكون لهم أولا بأبائهم شئ يتسك به أصلا (فهم على آثارهم يعرجون) أي من غير ان يدبروا انهم على الحق أو لامع ظهور كونهم على الباطل بادني تأمل والاهراع الاسراع الشديد وقال القراء الاسراع برعدة وقال أبو عبيدة يعرجون يستخونون من خلفهم يقال جاء فلان يعرج الى النار اذا استخنه البرد اليها وقال المنفلوط يعرجون من شدة الاسراع قال الزجاج هرع وأهرع اذا استعج وأزعج والمعنى يتبعون آباءهم في سرعة كانهم يعرجون الى اتباع آباءهم وذلك في الدنيا (ولقد ضل قبلهم) أي قبل هؤلاء المذكورين (اكثر الاولين) من الامم الماضية بالتقليد ورفض الدليل وترك النظر واشار التأويل (ولقد ارسلنا في هؤلاء الاولين رسلا أنذروهم العذاب وحذروهم عواقب التقليد وبنوا لهم الحق فلم ينجح ذلك فيهم وكذلك لا ينجح في مقلدة هذا الزمان فما أشبه البلية بالبارحة) فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) أي الذين أنذرتهم الرسل فانهم صاروا الى النار قال مقاتل يقول كان عاقبتهم العذاب يحذر كفر مكة والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أول كل من يتأتى منه التمكن من مشاهدة آثارهم ثم استثنى عباده المؤمنين فقال (الاعباد الله المخلصين) أي الامن أخلصهم الله بتوفيقهم الى الايمان والتوحيد واشار الدليل وترك التقليد وقرئ المخلصين بكسر اللام أي الذين أخلصوا الله طاعتهم ولم يشوبوا بشئ مما يغيرها * ولما ذكر سبحانه انه أرسل في الامم الماضية منذرين ذكر تفصيل بعض ما أجل فيه سابق فقال (ولقد نادانا نوح) اللام هي الموطئة للقسم والمراد ان نوحا دعا ربه على قومه لما عصوه فاجاب الله دعاءه وأهلك قومه بالطوفان فانداه هنا هوندا الدعاء الله والاستغاثة به كقول ربه لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقوله اني مغلوب فانتصر وحاصل ما يأتي من القصص سبع قصة نوح وقصة ابراهيم وقصة اسمعيل وقصة موسى وهارون وقصة الياس ولوط ويونس (فلنعم الجحيمون) له نحن أي دعانا فاجنبناه وأهلكنا قومه والواو للتعظيم (ويجنأه وأهله) المراد باهله أهل دينه وهم من آمن معه وكانوا ثمانين أزواجا وولده

الامام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان حدثني أبو اسحق قال سمعت سليمان بن صرد رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب الا ان تغزوهم ولا يغزونا وهكذا رواه البخاري في صحيحه من حديث الثوري واسرائيل عن أبي اسحق به وقوله تعالى وكان الله قويا عزيزا أي بحوله وقوته ردهم خائبين لم ينالوا خيرا وأعز الله الاسلام واهله وصدق وعده ونصر رسوله وعبده فله الحمد والمنة (وأرسل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وندف في قلوبهم الرعب فربما يقتلون وتأسرون فربقاوا وورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضان تطوخوا وكان الله على كل شئ قديرا) قد تقدم ان بني قريظة لما قدمت جنود الاحزاب ونزلوا على

المدينة نقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد وكان ذلك بسفارة حي بن أخطب النضري لعنه الله دخل حصنهم ولم يزل يسيدهم كعب بن أسد حتى نقض العهد وقال له فيما قال ويحك قد جئت بك بعز الدهر أتيتك بقريش وأحاطبها وغطفان وأتباعها ولا يزالون ههنا حتى يستأصلوا محمداً وأصحابه فقال له كعب بل والله أتيتني بذل الدهر ويحك يا حي انك مشؤم فدعنا منك فلم يزل يقتل في الذريرة والغارب حتى أجابه واشترط له حي ان ذهب الاحزاب ولم يكن من أمرهم شيء ان يدخل معهم في الحصن فيكون له أسوتهم فلما نقضت (٦٢) قريظة وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ساءه وشق عليه وعلى

المسلمين جدا فلما أيدته الله تعالى ونصره وكبت الاعداء وردهم خائبين باخسر صفقة ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مؤيدا منصورا ووضع الناس السلاح فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل من وعاء تلك المرابطة في بيت أم سلمة رضی الله عنها اذ تبدى له جبريل عليه الصلاة والسلام معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قטיפسة ديباج فقال أوضعت السلاح يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قال لكن الملائكة لم تضع أسلحتها وهذا الآن رجوعي من طلب التوهم ثم قال ان الله تبارك وتعالى يأمرك ان تنهض الى بنى قريظة وفي رواية فقال له عذرك من يقاتل أو وضعتم السلاح قال نعم قال لكالم تضع أسلحتنا بعد انهض الى هؤلاء قال صلى الله عليه وسلم أين قال بنى قريظة فان الله تعالى أمرني ان ازلزل عليهم فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوره وأمر الناس بالمسير الى بنى قريظة وكانت على أميال من

الثلاثة وزوجاتهم الثلاث (من الكرب العظيم) هو الغرق وقيل تكذيب قومه له وما يصدر اليه منهم من أنواع الاذى (وجعلنا ذريته هم الباقين) وحدهم دون غيرهم كما يشعر به ضمير الفصل وذلك لان الله أهلك الكفرة بدعائه ولم يبق منهم باقية ومن كان معه في السفينة من المؤمنين ماوا كما قيل ولم يبق الا اولاده قال سعيد بن المسيب كان ولد نوح ثلاثة والناس كلهم من ولد نوح فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب الهند والنوب والزنج والحبشة والقيط والبربر وغيرهم وياث أبو الصقالب والترك والخزروا بأجوج ومأجوج وغيرهم وقيل انه كان لمن مع نوح ذرية كما يدل عليه قوله ذرية من جلدنا مع نوح وقوله قتل يانوح اخطب بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سميتهم ثم عسهم منا عذاب أليم فيكون على هذا معنى الآية ذرية من معه دون ذرية من كفر فان الله أغرقهم فلم يبق لهم ذرية والاولى وأخرج الترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال حام وسام وياث وأخرج أحمد والترمذي وحسنه وأبو يعلى وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سام أبو العرب وحام أبو الحبش وياث أبو الروم والحديثان هما من سماع الحسن عن سمرة وفي سماعه منه مقال معروف وقد قيل انه لم يسمع منه الا حديث العصمة فقط وما عداه فهو بواسطة قال ابن عبد البر وقد روى عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثله وأخرج البزار وابن أبي حاتم والخطيب في تالي التلخيص عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولد نوح ثلاثة سام وحام وياث فولد سام العرب وفارس والروم والحبش يرفيم وولديا يث بأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان وهو من حديث اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عنه قلت في الآية دليل على ان الطوفان عم كل البلاد وشمل جميع العباد ولم يبق أحد من الناس سوى من كان معه في السفينة والفرس وسائر الجوس والكلدانيون أهل بابل والهند وأهل الصين وأصناف الامم المشركية ينكرون الطوفان وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعم عمران كله ولا أغرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان

ولا

المدينة وذلك بعد صلاة الظهر وقال صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد منكم العصر الا في بنى قريظة فسار الناس فادركتهم الصلاة في الطريق فصلى بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتجمل السير وقال آخرون لا تصلها الا في بنى قريظة فلم يعنف واحد من القرية وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضی الله عنه وأعطى الراية لعلي بن أبي طالب رضی الله عنه ثم نازلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خسا وعشرين ليلة فلما طال عليهم الحال نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس رضی الله عنهم لانهم كانوا اهلها واعتقدوا

انه يحسن اليهم في ذلك كما فعل عبد الله بن أبي اسلول في مواليه بنى قينة ع حين استطلقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فظن هؤلاء ان سعدا سيفعل فيهم كما فعل ابن ابي في اولئك ولم يعلموا ان سعد ارضى الله عنه كان قد اصابه سهم في اكله ايام الخندق فكوا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكله وانزله في قبة في المسجد ليعود من قريب وقال سعد رضى الله عنه فيما دعا به الهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فابقي لها وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجرها ولا تمتني حتى تقر عيني من بنى قريظة فاستجاب الله تعالى دعاه وقدر عليهم ان نزلوا على حكمه باختيارهم (٦٣) طلبا من تلقاؤهم فعد ذلك استدعاه

رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ليحكم فيهم فلما اقبل وهو راكبا على جمار قد وطأه عليه جعل الاوس يلودون به ويقولون يا سعد انهم مواليك فاحسن فيهم ويرفقون به عليهم ويتعطفون به وهو ساكت لا يرد عليهم فلما كثروا علمه قال رضى الله عنه لقد ان لسعد ان لا تأخذ في الله لومة لائم فعرفوا انه غير مستبقيهم فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الي سيدكم فقام اليه المسلمون فانزلوه اعظاما واكراما واحتراما له في محل ولايته ليكون انفذ لحكمه فيهم فلما جلس قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء وأشار اليهم قد نزلوا على حكمك فاحكم فيهم بما شئت فقال رضى الله عنه وحكمي نافذ عليهم قال صلى الله عليه وسلم نعم قال وعلى من في هذه الخيمة قال نعم قال وعلى من ههنا وأشار الى الخانبة الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض بوجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلاوا اكراما واعظاما فقال له

ولا يبلغ الى محال المشرق قالوا ووقع في زمان طهمورث وان أهل المغرب لما أنذر حكاهم بالطوفان اتخذوا المباني العظيمة كالمهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طهمورث الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة واحدى وثلاثين سنة أمر باختيار مواضع في مملكته صحيحة الهواء والتراب فوجد ذلك باصمهان فامر بتجديد العلوم ودفعها فيها في أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثمانمائة سن سنى الهجرية في حى من مدينة أصفهان من التسلال التي انشقت عن بيوت مملوئة أعدا لعدة كثيرة قدمنا من لحاء الشجر التي تلبس بها القسي وتسمى التور مكتوبة بكتابة لم يدركها هي ذكره المقرئ في الخطوط وقال بعض محققى الهندون سرى كشن الهندى قد أخبر قبل وفاته بسبعة أيام ان بلدة دوار كاستغرق عن قريب وأشار الى حصول الطوفان بارض الهند والحق ما دلت عليه هذه الآية وغيرهما من عموم الغرق للعمران وشمول الطوفان لجميع الارض ونوع الانسان ولا يلتفت الى قول من أنكروا وأوله أو خصه ببعض الامكنة دون بعضهما فانه اذا جاء نهر الله بطل نهر معتدل والله يعلم وانتم لا تعلمون (وتركنا عليه في الاخرين) يعنى في الذين يأتون بعده الى يوم القيامة من الامم وقال ابن عباس يقول يذكر بخير والمترون هذا هو قوله (سلام على نوح) أى تركنا هذا الكلام بعينه والسلام هو الشاء الحسن أى يشنون عليه شاء حسنا ويدعون له ويترجون عليه قال الزجاج تركنا عليه الذكر الجليل الى يوم القيامة وذلك الذكر هو قوله سلام على نوح قال الكسائى في ارتقاع سلام وجهان أحدهما وتركنا عليه في الاخرين يقال سلام والثانى ان يكون المعنى وأبقينا عليه وتم الكلام ثم ابتدأ فقال سلام على نوح أى سلامته من ان يذكر بسوءه في الاخرين قال المبرد أى تركنا عليه هذه الكلمة باقية يعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكى كقوله سورة انزلناها وقيل انه ضمن تركنا معنى قلنا قال الكسائى وفي قراءة ابن مسعود سلاما منصوب بتركنا أى تركنا عليه شاء حسنا وقيل المراد بالآخرين امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فى العالمين) أى سلام ثابت أو مستمرا ومستقر على نوح فى العالمين من الملائكة والجن والانس وهذا يدل على عدم اختصاص ذلك بامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما قيل (انا كذلك تجزى المحسنين) هذه الجملة تعليل لما قبلها من التكرمة لنوح باجابة دعائه وبقاء الشاء من الله عليه وبقائه ذريته أى انا كذلك تجزى من كان محسنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال رضى الله عنه انى أحكم ان تقتل مقاتلتهم وتبني ذريتهم وأموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرفعة وفي رواية لقد حكمت بحكم الملك ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحاديث فحدث في الارض وحي بهم مكتفين فضرب أعناقهم وكانوا بين السبع مائة الى الثمان مائة وسبى من لم يذب منهم مع النساء وأموالهم وهذا كله مقرر مفصل بأدلتها وحديثه وبسطه في كتاب السيرة الذى أفردها موجزا وبسيطا والله الحمد والمنة ولهذا قال تعالى وأنزل الذين ظاهروهم أى عاونوا الاحزاب وساعدوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب

يعني بني قريظة من اليهود من بعض أسباط بني اسرائيل كان قد نزل آباؤهم الحجاز فديما طمعا في اتباع النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فلما جاءهم ما عرفوا كثروا به فعلمهم لعنة الله وقوله تعالى من صياصيهم يعني حصونهم قال مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم ومنه سمي صياصي البقروهي قرونهم لانها أعلى شئ فيها وقذف في قلوبهم الرعب وهو الخوف لانهم كانوا مالوا المشركين على حرب النبي صلى الله عليه وسلم وليس من يعلم كمن لا يعلم وأخافوا المسلمين وراموا قتلهم ليعزوههم في الدنيا فانعكس عليهم الحال وانقلب اليهم (٦٤) القتال انشمر المشركون فننازوا بصفة المغبون فكبار اموال العزذلو أو ارادوا

استئصال المسلمين فاستؤصلوا وأضيف الى ذلك شقاوة الآخرة فصارت الجملة ان هذه هي الصفة الخاسرة ولهذا قال تعالى فريقتا تقتتلون وتأسرون فريقتا فالذين قتلوا هم المقاتلة والاسراء هم الاصاغر والنساء وقال الامام أحمد حدثنا هشيم بن بشير أخبرنا عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي قال عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم قريظة فشكوتني فامرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ينظروا هل أنبت بعد فنظروني فلم يجدوني أنبت فخلى عني وألحقني بالسبي وكذا رواه أهل السنن كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه النسائي أيضا من حديث ابن جريج عن ابن أبي نجیح عن مجاهد عن عطية بنحوه وقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم أي جعلها لكم من قتلكم لهم وأرضاً لم تطؤوها قيل خبير وقيل مكة ورواه مالك عن زيد بن أسلم وقيل فارس والروم وقال ابن جرير يجوز ان يكون الجميع مرادا وكان الله

في أقواله وأفعاله راسخا في الاحسان معروفه والكاف في كذلك نعت مصدر محذوف أي جزاء كذلك الجزاء (انه من عبادنا المؤمنين) هذا بيان لكونه من المحسنين وتعامل له بانه كان عبدا مؤمنا مخلصا لله وذلك اجلال لشأن الايمان وشرفه وترغيب في تحصيله والنيات عليه والازدياد منه كما قال في مدح ابراهيم وانه في الآخرة لمن الصالحين وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما ما لا يخفى فلا يقال كيف مدح الرسول بذلك مع ان مرتبتهم فوق مرتبة المؤمنين (ثم أغرقنا الآخرين) أي الكفرة الذين لم يؤمنوا بالله ولا صدقوا واطمعطوف على نجيبناه والترتيب حقيقي لان نجاتهم هم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقيين والشهاب فهم انه معطوف على قوله وجعلنا ذريته فجعل الترتيب اخباريا لان اغراق الآخرين كان قبل جعل ذريته باقيين ثم ذكر سبحانه قصة ابراهيم وبين انه ممن شايع نوحا فقال (وان من شيعته لابراهيم) أي من أهل دينه وعن شايعه وواقفه على الدعاء الى الله والى توحيدهِ والايمان به قال مجاهد وابن عباس أي على مناجاهه وسنته قال الاصمعي الشيعة الاعوان وهو مأخوذ من الشياع وهو الخطب الصغار التي تودع الجبار حتى تستوقد وكان بين نوح و ابراهيم ألفان وستمائة واربعون سنة وما كان بينهما الا بيان هود و صالح والذين قبل نوح ثلاثة ادريس وشيث و آدم فحمله من قبل ابراهيم من الانبياء ستة والمعنى كان من اتباعه في أصل الدين وان اختلفت فروع شرائعها أو كان بين شريعتيها اتفاق كلي أو أكثرى وان طال الزمان وقال القراء المعنى وان من شيعة محمد لابراهيم فالها على هذا في شيعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذا قال الكلبى ولا يخفى ما في هذا من الضعف والمخالفة للسياق (اذ جاء به بقلب سليم) أي مخلص من الشر والاشك أو من آفات القلوب وقيل هو الناصح لله في خلقه وقيل الذي يعلم ان الله حق وأن الساعة قائمة وان الله يبعث من في القبور ومعنى مجيئه الى ربه يحتمل وجهين أحدهما عند دعائه الى توحيدهِ وطاعته الثاني عند لقائه في النار وجاء استعارة تصريحية بعمية شبه اخلاص قلبه بمجيئه بهفنة كأنه جاء به تحفة من عنده في انه فاز بما يستجلب به رضاه والظرف في قوله اذ جاء منصوب بفعل محذوف أي اذكر وقيل بما في الشيعة من معنى المتابعة قال أبو حيان لا يجوز لان فيه الفاصل بين العامل والمعمول باجنبي وهو ابراهيم والاولى ان يقال ان لام الابتداء تنوع ما قبلها عن العمل فيما

على كل شئ قدير او قال الامام احمد حدثنا زيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال أخبرني بعدها عائشة رضی الله عنها قالت خرجت يوم الخندق أقفوا الناس فسمعت وثيد الارض ورائي فاذا انا بسعد بن معاذ رضی الله عنه ومع ابن أخيه الحرث بن أسوس يحمل مجننه قالت جلست الى الارض فترسعد رضی الله عنه وعليه درع من حديد قد خرجت منه أطرافه فانا أتخوف على أطراف سعد قالت وكان سعد رضی الله عنه من أعظم الناس وأطولهم قروا وهو يرتجز ويقول

ليث قليلا يشهد الهيجا بل * ما أحسن الموت اذا حان الاجل

قالت فقامت فاقحمت حديقة فاذا فيها نفر من المسلمين واذا فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم رجل عليه تسبغة له بعنى المغفر فقال عمر رضي الله عنه ما جاء بك عمرى والله انك لجزية وما يؤمنك ان يكون بلاء ان يكون تجوز قالت فما زال يلومنى حتى تمتت ان الارض انشقت لى ساعتئذ فدخلت فيها فرفع الرجل التسبغة عن وجهه فاذا هو طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال يا عمر ويحك انك قد اكرت منذ اليوم واين التجوزا والفرار الى الله تعالى قالت ويرمى سعدا رضي الله عنه رجل من قريش يقال له ابن العرقه بسهم له وقال له خذها وانابن العرقه فاصاب اكله فقطعه فدعا الله (٦٥) تعالى سعدا رضي الله عنه فقال اللهم لا تمتنى حتى تشرعيني من بنى قريظة قالت

وكانوا احفاناه ومواليه في الجاهلية قالت فرقا كله وبعث الله تعالى الرمح على المشركين وكفى في الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا فلحق ابوسفينان ومن معه بهامة ولحق عبيدة بن بدر ومن معه بنجد ورجعت بنوا قريظة فحصره نوافي صياصيمهم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمر بقبته من ادم فضربت على سعد رضي الله عنه في المسجد قالت لجاء جبريل عليه السلام وان على شايء لتقع الغبار فقال او قد وضعت السلاح لوالله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج الى بنى قريظة فقاتلهم قالت فلدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لائمة وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فزع على بنى تميم وهم جيران المسجد حوله فقال من مريمكم قالوا مريم بنت دحية الكلبي وكان دحية الكلبي يشبه لحيتته وسننه ووجهه جبريل عليه الصلاة والسلام فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما

بعدها (اذ) أى وقت اذ (قال لاييه) آزر (وقومه) من الكفار (ماذا) أى أى شئ (تعبدون) تعبدون الله دون الله (تريدون) انتصاب افكاعلى انه مفعول لاجله اى اتريدون آلهة من دون الله لا لافك وتقديم هذه المعمولات للفعل عليه للاهتمام وقيل انتصاب افكاعلى انه مفعول به لتريدون والالآهة بدل منه جعلها نفس الافك مبالغة وهذا أولى من الوجه الاول وقيل اتريدون آلهة آفكين اذوى افك قال المبرد الافك أسوأ الكذب وهو الذى لا يثبت ويضطرب ومنه ائتمنك بهم الارض (فما ظنكم برب العالمين) اذا القيمة وقد عبدتم غيره وما ترونه يصنع بكم وهو تحذير مثل قوله ما عرل ربك الكريم وقيل المعنى اى شئ توهمتموه وباللله حتى اشركتكم به غيره (فنظرت نظرة في النجوم) أى اليها (فقال اى سقيم) قال الواحدى قال المنسرون كانوا يتعاطون علم النجوم فعاملهم بذلك لنيل الشكر واعليه وذلك انه اراد ان يكايدهم فى أصنامهم لتلزمهم الحجج فى انه غير معبودة وكان لهم من الغديوم عبيد يخرجون اليه وأراد ان يتخلف عنهم فاعتل بالسقم وذلك انه لم كان فوه ان يخرج معهم الى عييدهم فنظر الى النجوم أى فى علمها وفى كتبها يرى انهم انهم مستدل بها على حاله فلما نظر اليها قال اى سقيم أى مشارف للسقم وقال الحسن انهم لما كانوا يخرج معهم تفكر فيما يعمل فالعنى عنى هذا انه نظر فيما نجم له من الرأى أى فيما طالع له منه فعلم ان كل شئ يسقم فقال اى سقيم قال الخليل والمبرد يقال للرجل اذا فكر فى الشئ يدبره نظرى النجوم وقيل كانت الساعة التى دعوه الى الخروج معهم فيها ساعة تعناده فيها الحى وقال الضحاك معنى اى سقيم ساعة سقم الموت لان من كتب عليه الموت يسقم فى الغالب ثم يموت وهذا تورية وتعريض كما قال للملك لما سأله عن سارة هى أختى بمعنى أخوة الدين وقال سعيد بن جبيرة اشار لهم الى مرض يسقم ويعدى وهو الطاعون وكانوا يهرون من ذلك قال ابن عباس سقيم أى مريض وقال أيضا مطعون ولهذا قال (فتولوا عنه مدبرين) أى تركوه وذهبوا مخافة العدوى (فراغ الى آلهتهم) يتال راغ وروغا وروغانا اذا مال ومنه طربق رائغ أى مائل وقال السدي ذهب اليهم وقال أبو مالك جاء اليهم وقال الكلبي أقبل عليهم والمعنى متقارب وكانت اثنين وسبعين صناما من حجر وخبث وذهب وفضة ونحاس وحديد ورمصاص وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر (فقال) ابراهيم للاصنام التى راغ اليها

(٩ فتح البيان ثامن) اشتد حصارهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروا ابابا بن عبد المنذر فاشار اليهم انه الذبح قالوا انزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلوا على حكم سعد بن معاذ فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فأتى به على حمار عليه اكاف من ليف قد جل عليه وحف به قومه فقالوا يا ابا عمر وحلفاؤك وواليك وأهل الكتاب ومن قد علمت قالت فلما يرجع اليهم شيئا ولا يلتفت اليهم حتى اذا نام من دورهم التفت الى قومه فقال قد انلى أن لا أبالى فى الله لومة لائم قالت قال ابو سعيد فلما طلع قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فانزلوه فقال عمر رضي الله عنه سيدنا الله قال انزلوه فانزلوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم قال سعد رضي الله عنه فاني احكم فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسي ذراريهم وتقسيم اموالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وحكم رسوله ثم دعا سعد رضي الله عنه فقال اللهم ان كنت ابقيت على نبيك من حرب قريش شيئا فابقني لها وان كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فابقضني اليك قال فان فجر كلمة وكان قد برأ منه الامثل الحرص ورجع الى قبته التي ضرب عليه رسول الله صلى (٦٦) الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما

وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما قالت فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء ابي بكر رضي الله عنه من بكاء عمر رضي الله عنه وانا في حجرتي وكانوا كما قال الله تعالى رجاء بينهم قال علقمة فقالت اى امه فكيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع قالت كانت عينه لا تدمع على احد ولو كانه كان اذا وجد قائما هو واخذ بلحيتة صلى الله عليه وسلم وقد اخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنهما من هذا ولكن اخصر منه وفيه دعا سعد رضي الله عنه (يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعنن وأسرحنن امرا حاجيلا وان كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجر عظيم) هذا امر من الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بان يخير نساءه بين ان يفارقهن فيذهبن الى غيره ممن يحصل لهن من عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين

استنزاهن وسخرية (الاتا كون) من الطعام الذي كانوا يصنعونه لها وخطبها كما يخاطب من يعقل لانهم انزلوها تلك المتزلة وكذا قوله (مالكم لا تنطقون) فانه خاطبهم خطاب من يعقل والاستفهام للتحكم بهم لانه قد علم انها اجسادات لا تنطق قيل انهم تركوا عند اصنامهم طعامهم للتبرك بها وليا كواه اذ ارجعوا من عيدهم وقيل تركوه للسندنة وقيل ان ابراهيم هو الذي قرب اليها الطعام مستنزاهها (فراغ عليهم ضربا باليمين) اى قال عليهم ضربهم ضربا مصدر مؤكدا فعل محذوف وهو مصدر لاغ لانه بمعنى ضرب قال الواحدى قال المفسرون يعنى بيده اليمنى يضربهم بها وقال السدى بالقوة والقدرة لان اليمين اقوى اليدين قال النراء وتعلب ضربا بالقوة واليمين القوة وقال الضحاك والربيع ابن انس المراد باليمين اليمين التي حللتها حين قال وتالله لا كبدت اصنامكم وقيل المراد باليمين هنا العدل كما في قوله ولو تقول علمنا بعض الاقويل لاخذنا منه باليمين اى بالعدل واليمين كناية عن العدل كما ان الشمال كناية عن الجور واولى هذه الاقوال اولهاها (فاقولوا اليه يزفون) اى اقبل اليه عبدة تلك الاصنام يسرعون لما علموا بما صنع بها فقالوا نحن نعبدها وانت تكسرها وانت تكسرها ويرفون في محل نصب على الحال حال من فاعل اقبلوا قرأ الجمهور بفتح الياء من زف الظالم يزف اذا عدا بسرعة وقرئ بضم الياء من اذف يزف اى دخل في الزفيف اوىح ملون غيرهم على الزفيف قال الاصمعي اذففت الابل اى حملتها على ان ترف وقيل هما الغتان يقال زف القوم وازفوا وزفت العروس وازففتها حكى ذلك عن الخليل قال النحاس زعم ابو حاتم انه لا يعرف هذه اللغة يعنى يزفون بضم الياء وقد عرفها جماعة من العلماء منهم الفراء وشبهها بقولهم اطردت الرجل اى صيرته الى ذلك وقال المبرد الزفيف الاسراع وقال الزجاج الزفيف اول عدا والنعام وقال قتادة والسدى معنى يزفون يشون وقال الضحاك يسعون وقال يحيى بن سلام يرعدون غضبا وقال مجاهد يخجلون اى يشون مشى الخيلاء وقيل يتسملون تسملابن المشى والعدو والاول تفسيره يسرعون وقال ابن عباس يزفون يخرجون وقرئ يزفون على البناء المحفوظ وقرئ على زنة يرمون وحكى الثعلبى عن الحسن ومجاهد وابن السميع انهم قرؤا ويرفون بالراء المهملة وهى ركض بين المشى والعدو ولما انكروا على ابراهيم ما فعله بالاصنام مذكر لهم الدليل الدال على فساد عبادتها و(قال) مبتكاهم ومنكرها

الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى في ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضي الله عنهن وأرضاهن الله عليهم ورسوله والدار الآخرة فجمع الله تعالى لهن بعد ذلك بين خير الدنيا وسعادة الآخرة قال البخاري حدثنا ابو اليمان اخبرنا شعيب عن الزهري قال اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن ان عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم اخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين امره الله تعالى ان يخير أزواجه قالت فبدأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى ذا كرلك امر افلا عليك ان لا تستجلى حتى تستأمرى ابويك وقد علم ان ابوى لم يك ونايا امرانى بفرقة قالت ثم قال ان الله تعالى قال يا ايها النبي قل

لازواجك الى تمام الايتين فقلت له ففي اي هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله تعالى ورسوله والدار الآخرة وكدارواهم معطاهن
 الليث حدثني يونس عن الزهري عن أبي سلمة عن عائشة رضی الله عنها فاذكره وزاد قالت ثم فعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
 مثل ما فعلت وقد حكى البخاري ان معمر الاضطرب فيه فتارة رواه عن الزهري عن أبي سلمة وتارة رواه عن الزهري عن عمروة عن
 عائشة رضی الله عنها وقال ابن جرير حدثنا احمد بن عبد الصبي حدثنا ابو عوانة عن عمر بن ابي سلمة عن ابيه قال قالت عائشة رضی
 الله عنها لما نزل الخيار قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اريد ان اذكر لك (٦٧) أمرا فلا تقضى فيه شيئا حتى تستأمرى ابويك

فالت قالت وما هو يا رسول الله قالت
 فرددها فقلت وما هو يا رسول الله
 قالت فرددها فقلت وما هو
 يا رسول الله قالت فقراصلى الله عليه
 وسلم عليها يا ايها النبي قل لازواجك
 ان كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها
 الى آخر الآية قالت فقلت بل تختار
 الله ورسوله والدار الآخرة قالت
 ففرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
 وحدثنا ابن وكيع حدثنا محمد
 ابن بشر عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة
 عن عائشة رضی الله عنها قالت لما
 نزلت آية التخيير بدأ بي رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة اني
 عارض عليك امرا فلا تنفاني فيه
 حتى تعرضيه على ابويك ابى بكر و
 رومان رضی الله عنهم ما فقلت
 يا رسول الله وما هو قال صلى الله عليه
 وسلم قال الله عز وجل يا ايها النبي
 قل لازواجك ان كنتم تردن الحياة
 الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن
 واسرحكن سرا حايلا وان كنتم
 تردن الله ورسوله والدار الآخرة
 فان الله أعدل للمعسنات ممنكن
 اجرا عظيما قالت فاني اريد الله
 ورسوله والدار الآخرة ولا اوامرني

عليهم (أتعبدون ما تحنون) أي أن تعبدون أصناما أنتم تتحنونها والنحت التجرو البري
 نحتة ينحته بالكسر نحتا أي برامه والنحانة البراية ووجه التوبيخ ظاهر وهو ان الخشب
 والخجر قبل النحت والاصلاح ما كان معبودا البتة فاذا نحتته وشكله على الوجه المخصوص
 لم يحدث فيه الا آثار تصرفه عن هيئته فلو صار معبودا لهم عند ذلك لزم ان الشيء الذي لم
 يكن معبودا اذا حصل فيه آثار صار معبودا وفساده واضح (والله خلقكم وما تعملون)
 أي وخلق الذي تصنعونه على العموم ويدخل فيها الاصنام التي تتحنونها دخولا اوليا
 ويكون معنى العمل هنا التصوير والنحت ونحوهما نحو عمل الصائغ السوارى صاغه
 ويربحه ما قبله أي أن تعبدون الذي تتحنون أو خلقكم وخلق عملكم وجعلها الاشعة تليلا
 على خلق أفعال العباد لله تعالى وهو الحق فان فعلهم كان بخلق الله فيهم فكان من عملهم
 المتوقف على فعلهم أي بذلك ويرجع على الاول بعدم الحذف ويجوز ان تكون
 ما استفهامية أي أي شيء تعملون ومعنى الاستفهام التوبيخ والتقريع ويجوز ان تكون
 نافية أي ان العمل في الحقيقة ليس لكم فانتم لا تعملون شيئا وقد طول صاحب الكشاف
 الكلام في رد قول من قال انها مصدرية ولكن بما لا طائل تحتها وجعلها موصولة أولى
 بالمقام وأوفق بسياق الكلام والجملة اما حالية أو مستأنفة (قالوا انواله بيانا فاقالعه في
 الحجيم) مستأنفة جواب سؤال مقدر كالجمل التي قبلها قالوا هذه المقالة لما عجزوا عن جواب
 ما أوردده عليهم من من الحجية الواضحة فتشاوروا فيما بينهم أن ينواله حائطان من حجارة ويملؤه
 حطبا ويضرموه ثم يلقوه فيه والحجيم النار الشديدة الاتقاد قال الزجاج وكل نار بعضها
 فوق بعض فهي حجيم واللام في حجيم عوض عن المضاف اليه أي في حجيم ذلك البنين ثم لما
 ألقوه فيها انجاه الله منها وجعلها عليه بردا ووسلا ما هو معنى قوله (فارادوا بكيدا) مكر
 وحيلة أي احتالوا الاهلاك (جعلناهم الاسفلين) أي المقهورين المغلوبين بابطال كيدهم
 وجعلهم برهاننا نرا على علوشانه لانها قامت له بذلك عايم-م الحجية التي لا يقدر ان على دفعها
 ولا يمكنهم جدها فان النار الشديدة الاتقاد العظيمة الاضطرام المتراكمة الجار اذا صارت
 بعد القاؤه فيها بردا ووسلا ما لم تؤثر فيه أقل تأثير كان ذلك من الحجية يمكن يفهمه كل من له
 عقل وصار المنكر له سافلا ساقط الحجية ظاهر التعصب واضح التعسف وسبجان من يجعل
 الحن لمن يدعو الى دينه منحاو يسوق اليهم الخير عما هم من صور الضير (ولما انقضت هذه

ذلك ابوي ابى بكر ورومان رضی الله عنهم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقرأ الحجر فقال ان عائشة رضی الله عنها قالت
 كذا وكذا فقلن ونحن نقول مثل ما قالت عائشة رضی الله عنهن كهن ورواه ابن ابي حاتم عن ابي سعيد الاشج عن ابي اسامة عن محمد
 ابن عمرو به قال ابن جرير وحدثنا سعيد بن يحيى الاموي حدثنا ابي عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر عن عمروة عن عائشة
 رضی الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل (١)
 الى نساء امرأتين يخبرهن فدخل على فقال
 سأذكر لك أمرا فلا تنجلي حتى تستشيري أبالك فقلت وما هو يا رسول الله قال اني امرت ان أخبركن وتلاعيا آية التخيير الى آخر الآيتين
 (١) يفاض بالاصل

قالت فقلت وما الذي تقول لا تعجلي حتى تستشيرى أباك فاني أختار الله ورسوله فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وعرض على نساءه فتتابعن كلهن فاخترن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن سنان البصرى حدثنا أبو صالح عبد الله ابن صالح حدثني الليث حدثني عقييل عن الزهري أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قالت عائشة رضى الله عنها أنزلت آية التخيير فبدأتني أول امرأة من نساءه فقال صلى الله عليه وسلم اني ذاكرك أمرا فلا عليك ان لا تعجلي حتى تستأمرى أبويك قالت قد علم

النبي قل لا زواجك الا يتين قالت عائشة رضى الله عنها فقلت أفي هذا استأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم خبر نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رضى الله عنهن وأخرج عبد الجباري ومسلم جميعا عن قتيبة عن الليث عن الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها مثله وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعدها علينا شيئا أخرجه من حديث الاعمش وقال الامام أحمد حدثنا ابو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا زكريا ابن اسحق عن ابي الزبير عن جابر رضى الله عنه قال اقبل ابو بكر رضى الله عنه يستأذن علي رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يبانه جلوس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فلم يؤذن له ثم اقبل عمر رضى الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لابي بكر وعمر رضى الله عنهما فدخلوا والنبي صلى الله عليه وسلم

الواقعة واسفر الصبح لذي عينين وظهرت حجة الله لابراهيم وقامت براهين نبوته وسطعت أنوار هجرته (قال اني ذاهب الى ربي) أي مهاجر من مولدي وبلد قومي الذين فعلوا ما فعلوا تعصبا للاصنام وكفرا بالله وتكذيبا لرسوله الى حيث امرني بالمهاجرة اليه أو الى حيث أتدكن من عبادته وهذه الآية أصل في الهجرة والعزلة وأول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام وذلك حين خلاصه الله من النار (سهيدين) فيما نويت الى المكان الذي أمرني بالذهاب اليه أو الى مقصدي وقيل ذاهب يعمل وعبادتي وقلبي ونبتي فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن والاول أظهر قيل ان الله سبحانه أمره بالمصير الى الشام وقد سبق بيان هذا في سورة الكهف مستوفى قال ابن عباس قال هذا حين هاجر قال مقاتل فلما قدم الارض المقدسة سأله ربه الولد فقال (رب هب لي) ولد اصالحا (من الصالحين) يعني علي طاعتك ويؤنسني في الغربة هكذا قال المفسرون وعلاو ذلك بأن الهبة قد غلب معناها في الولد فتحمل عند الاطلاق عليه واذا وردت مقيدة حملت على ما قدرت به كـه في قوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وعلى فرض انها لم تغلب في طلب الولد فتقوله (فبشرناه بغلام حلیم) يدل على انه ما أراد بقوله رب هب لي من الصالحين الا الولد والمعنى بشرناه به على لسان الملائكة الذين جاؤا له في صورة الاضياف ثم اتفقوا من قريته الى قرية لوط كما تقدم في هود وبأتي في الذاريات ومعنى حلیم أن يكون حلما عند كبره فكأنه بشر ببقاء ذلك الغلام حتى يكبر ويصير حلما لان الصغير لا يوصف بالحلم قال الزجاج هذه البشارة تدل على انه مبشر بان ذكروا نبي حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم (فلما بلغ معه السعي) في الكلام حذف كما تشعر به هذه الفاء الفصيحة والتقدير فوهبنا له الغلام فنسأ حتى صار الى السن التي يسعي فيها مع أبيه في أمور دينه وعياله على أعماله قال مجاهد أي لما شب وأدرك سبعه سعي ابراهيم قال ابن عباس شب حتى بلغ سبعه سعي ابيه في العمل وقال مقاتل لما مشى معه قال الفراء كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقال الحسن هو سعي العقل الذي تقوم به الحجية وقال ابن زيد هو السعي في العبادة وقيل هو الاحتملام (قال) ابراهيم لانه لما بلغ ذلك المبلغ (يا بني) بفتح الياء وكسر هاء سبعيتان (اني أرى في المنام أني أذبحك) أي أفعال الذبح أو أمر به فهما احتمالا ويشير الثاني قوله ان فعل ما تؤمر ويشير للاول قد صدقت الرؤيا والمعنى اني رأيت في المنام هذه الرؤيا

جالس وحوله نساؤه وهو صلى الله عليه وسلم ساكت فقال عمر رضى الله عنه لا يمكن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله لو رايت ابنة زيد امرأه أعرسأتني النفقة آتفا فوجأت عنقهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدا ناجذه وقال هن حوى يسألني النفقة فقام ابو بكر رضى الله عنه الى عائشة ليضربها وقام عمر رضى الله عنه الى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبي صلى الله عليه وسلم ماليس عنده ففهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نساؤه والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا المجلس ماليس عنده قال وانزل الله عز وجل الخيا ربنا بعائشة

قال

رضي الله عنها فقال اني اذ كرلت امرأ ما أحب ان تعجلي فيه حتى تستأمرى أبو ينيك قالت وما هو قال قتلا عليها ما أيها النبي قل
 لازواجك الآية قالت عائشة رضي الله عنها أفيدك أستأمر أبو يني بل اختار الله تعالى ورسوله واسألت ان لا تذكري امرأه من نسائك
 ما اخترت فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يعثنى معذفا ولكن يعثنى معلما يسر الانساأني امرأه ممنهن عما اخترت الا
 اخبرتها انفر دباخره مسلم دون البخاري فرواه هو والنسائي من حديث زكريا بن اسحق المكي به وقال عبد الله بن الامام
 أحمد حدثنا شريح بن يونس حدثنا علي بن هاشم بن البريد عن محمد بن (٦٩) عبيد بن علي بن أبي رافع عن عثمان بن علي

ابن الحسين عن أبيه عن علي رضي
 الله عنه قال ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خير نساء الدنيا
 والآخرة ولم يخبرهن الطلاق وهذا
 منقطع وقد روى عن الحسن وقتادة
 وغيرهما نحو ذلك وهو خلاف
 الظاهر من الآية فانه قال فتعالي
 أمتعن وأسر حكن سرا حجابا
 أي أعطيك حديقك وأطلق
 سرا حكن وقد اختلف العلماء في
 جواز تزويج غيره لهن لو طلقهن
 على قولين أحكمهما ان لم يوقع ليحصل
 المتزوج من السراح والله أعلم قال
 عكرمة وكان تحتها يومئذ تسع
 نسوة خمس من قرش عائشة
 وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة
 رضي الله عنهن وكانت تحتها صلى
 الله عليه وسلم صفية بنت حي
 النضرية وميمونة بنت الحارث
 الهلالية وزينب بنت جحش
 الاسديّة وجويرية بنت الحارث
 المصطاقية رضي الله عنهن
 وأرضاهن أجمعين (بانساء النبي
 من يات منكن بما حشمة مينة
 يضاعف لها العذاب ضعفين وكان
 ذلك على الله يسيرا ومن يفت

قال مقاتل رأى ابراهيم ذلك ثلاث ليال متتابعات قال قتادة رؤيا الانبياء حق اذا رآوا
 شيئا فعلوه وقد اختلف أهل العلم في الذبيح هل هو اسحق أو اسمعيل عليهما السلام قال
 القرطبي فقال أكثرهم الذبيح اسحق ومن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله
 وهو الصحيح عن ابن مسعود ورواه أيضا عن جابر وعلى وابن عمر وعمر بن الخطاب قال
 فهو لاسبعة من الصحابة قال ومن التابعين وغيرهم علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن
 جبيرة وكعب الاحبار وقتادة ومسرور وعكرمة والقاسم بن أبي برزة وعطاء ومقاتل وعبد
 الرحمن بن سابط والزهري والسدي وعبد الله بن أبي الهذيل ومالك بن أنس كلهم قالوا
 الذبيح اسحق وعليه أهل النكابين اليهود والنصارى واختاره غير واحد منهم النحاس
 وابن جرير الطبري وغيرهما قال وقال آخرون هو اسمعيل ومن قال بذلك أبو هريرة وأبو
 الطفيل عامر بن واثلة وروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس أيضا كاسمعي ومن التابعين
 سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب
 القرظي والكلبى وعلقمة وعن الابهى قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال
 يا أصمعي أين عزب عندك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وإنما كان اسمعيل بمكة قال ابن كثير
 في تفسيره وقد ذهب جماعة من أهل العلم الى ان الذبيح هو اسحق وحكى ذلك عن طائفة من
 السلف حتى يقال عن بعض الصحابة وليس في ذلك كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى الا
 عن أخبار أهل الكتاب وأخذ المسلمون غير حجة وكتاب الله شاهد ومرشد الى انه اسمعيل
 فانه ذكر البشارة بالسلام الحليم وذكر انه الذبيح وقال بعد ذلك وبشرناه باسحق نبيا من
 الصالحين انتهى واحتج القائلون بانه اسحق بان الله عز وجل قد أخبرهم عن ابراهيم حين
 فارق قومه وهاجر الى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط فقال اني ذاهب الى ربى
 سيهدين انه دعا فقال رب هبلى من الصالحين وقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من
 دون الله وهنأله اسحق ويعقوب ولان الله قال وقد ينأه بذي عظيم فذكر انه في الغلام
 الحليم الذي بشر به ابراهيم وانما بشر باسحق لانه قال وبشرناه باسحق وقال هتا بغلام
 حليم وذلك قيل أن يعرف هاجر وقبل ان يصير له اسمعيل وليس في القرآن انه بشر بولد الا
 اسحق قال الزجاج الله أعلم أيهما الذبيح انتهى وهذا مذهب ثالث وهو الوقف عن الحزم
 بأحد القولين وتفوقوا على ذلك الى الله تعالى وما استدل به الفريقان يمكن الجواب

منسكن لله ورسوله وتعمل صالحا لئن آتاهن من قبلنا لئن لم يكنن
 اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة واستقر أمرهن تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبرن بحكمهن وتخصبهن دون
 سائر النساء من يات منهن بما حشمة مينة قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو النشور وسوء الخلق وعلى كل تقدير فهو شرط
 والشرط لا يقتضى الوقوع كقوله تعالى ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك وكقوله عز وجل ولو
 أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون قل ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين الوارد الله أن يتخذ ولدا الا صطفى مما يشاء سبحانه

هو الله الواحد القهار لما كانت محلتهم رفعة ناسب ان يجعل الذنب لو وقع منهم مغاظا صيانة لجنابهم من وهجا من الرفيع ولهذا قال تعالى من يأت منكرا يضاعف له العذاب ضعفين قال مالك عن زيد بن أسلم يضاعف لها العذاب ضعفين قال في الدنيا والآخرة وعن ابن أبي نجيج عن مجاهد منله وكان ذلك على الله يسيرا أي سهلا هينا ثم ذكر عدله وفضله في قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله أي يطع الله ورسوله ويستجب نواها بجرها مرتين وأعدنا لها رزقا كريما أي في الجنة فأنتم في منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم في (٧٠) أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة

الى العرش (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقنن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله اغيبرن الله ليدهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) هذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم ونساء الأمة تبع لهن في ذلك فقال تعالى مخاطبة النساء النبي صلى الله عليه وسلم بانهن اذا اتقنن الله عز وجل كما أمرهن فانه لا يشبههن أحد من النساء ولا يلحقهن في الفضيلة والمنزلة ثم قال تعالى فلا تخضعن بالقول قال السدي وغيره يعنى بذلك تريق الكلام اذا خطب الرجال ولهذا قال تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض أي دغل وقلن قولا معروفا قال ابن زيد قولا حسنا جيلا معروفا في الخير ومعنى هذا انها تخاطب الاجانب بكلام ليس

عنه والمناقشة ومن جملة ما احتج به القائلون بانه اسمعيل ان الله وصفه بالصبر دون اسحق كما في قوله واسمعيل واليسع وهذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله سبحانه قال وبشرناه باسحق نبيا فكيف يأمره بذبحه وقد وعده ان يكون نبيا وأيضا فان الله قال فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فكيف يؤمر بذبح اسحق قبل انجاز الوعد في يعقوب وأيضا ورد في الاخبار تعليق قرن الكباش في الكعبة فدل على ان الذبيح اسمعيل ولو كان اسحق لكان الذبح واقعا بيت المقدس وكل هذا أيضا يحتمل المناقشة والمسئلة ليست من العقائد التي كلفنا معرفتها فلانستل عنها في القيامة فهي مما لا ينزع علمه ولا يضر جهله وزعم ابن عباس ان الذبيح اسمعيل وعنه قال المفدى اسمعيل وهو الاظهر وعنه قال فدى اسمعيل بكبشين أملحين أقرنين أعينين وعن ابن عمر قال اسمعيل ذبح عنه ابراهيم الكباش وعن الفرزدق الشاعر قال رأيت أبا هريرة يتحدث على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول ان الذي أمر بذبحه اسمعيل وعن العباس ابن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال نبي الله داود اربأ سمع الناس يقولون رب ابراهيم واسحق ويعقوب فاجعاني رابعا قال ان ابراهيم أتى في النار فصبر من أجل وان اسحق جادى بنفسه وان يعقوب غاب عنه يوسف وتلك بليته تلك أخرجه البزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه وفي اسناده الحسن بن دينار البصرى وهو مترك عن علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف وأخرج الدليل عن أبي سعيد الخدري مرفوعا نحوه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذبيح اسحق أخرجه الدارقطني في الافراد والدليل وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا مثله وعن ابن مسعود قال سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اكرم الناس قال يوسف ابن يعقوب بن اسحق ذبيح الله أخرجه الطبراني وابن مردويه وعن ابن مسعود موقوفا مثله وعن العباس مثله أخرجه البخاري في تاريخه وغيره وعن علي قال كبش أعين أيضا أقرن قدر بظبسمرة في أصل ثبير وعن ابن عباس قال فدى اسمعيل بكبشين أملحين أقرنين أعينين وبما سقناه من الاختلاف في الذبيح هل هو اسحق أو اسمعيل وما استدل به المختلفون في ذلك تعلم انه لم يكن في المقام ما يوجب القطع أو يتعين رجحانه تعينا ظاهرا

وقد فيه ترخيم أي لا تخاطب المرأة الاجانب كما تخاطب زوجها وقوله تعالى وقرن في بيوتكن أي الزمن بيوتكن وقد فلا تخرجن لغير حاجة ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرطه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماماء الله مساجد الله وليخرجن وهن تفلات وفي رواية ويوتهن خير لهن وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا أبو جراء الكلابي روى عن المسيب ثقة حدثنا ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه قال جئن النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى فما لنا عمل نذكر به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من تعدت أو كلة نحوها منكن في بيته فانها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى ثم قال لانعلم رواه عن ثابت الاروح بن المسيب وهو رجل من أهل البصرة مشهور وقال البراء أيضا حدثنا محمد بن المثني حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا همام عن قتادة عن مورق عن أبي الاحوص عن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة عورة فاذا خرجت استستر فيها الشيطان وأقرب ما يكون بروحها وهي في قعر بيتها ورواه الترمذي عن بزادر بن عمرو بن عاصم به نحوه وروى البراء بسنده المتقدم وأبو داود أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة المرأة (٧١) في محدها أفضل من صلاتها في بيتها

وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرها وهذا اسناد جيد وقوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال مجاهد كانت المرأة تخرج تمشى بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية وقال قتادة ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى بقول اذا خرجت من بيتك من بيتك وكانت لهن مشية وتكسر وتغني فنهى الله تعالى عن ذلك وقال مقاتل بن حيان ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى والتبرج انها تلتقي الخمار على رأسها ولا تشده في واري فلائدها وقرطها وعنقها ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج وقال ابن جرير حدثني ابن زهير حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا داود يعني ابن أبي الفرات حدثنا علي بن أحرع عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تلا هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال كانت فيما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وان بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل

وقدر حج كل قول طائفة من المحققين المنصفين كابن جرير فانه يرجح انه اسحق واسحق كنهه لم يستدل على ذلك الا ببعض ما سقناه ههنا وكان كثير فانه يرجح انه اسمعيل وجعل الادلة على ذلك أقوى وأصح وليس الامر كما ذكره فانها ان لم تكن دون أدلة القائلين بان الذبيح اسحق لم تكن فوقها ولأرجح منها ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك شيء وما روى عنه فهو امام موضوع أو ضعيف جدا ولم يبق الا مجرد استنباطات من القرآن كما أشيرنا الى ذلك فيما سبق وهي محتملة ولا تنوم حجة بحتمل فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح ومن الاستدلال بالمحتمل (فانظر ما ذكرنا في قرى بضم التاء القومية وكسر الراء والمنعولان محذوفان أي انظر ما ذكرنا في اياه من صبرك واحتمالك وقرى بفتح التاء والراء من الرأي وهو مضارع رأيت وقرى ترى بضم التاء وفتح الراء مبني للمفعول أي ماذا يخيل اليك ويسخ لحاظك قال الفراء في بيان معنى القراءة الاولى انظر ما ذكرنا في من صبرك وجزعك وقال الزجاج لم يقل هذا أحد غيره وانما قال العلماء ماذا تشع رأي ماتريك نفسك من الرأي وقال أبو عبيد انما يكون هذا من رؤية العين خاصة وكذا قال أبو حاتم وغلظهما اللعاس وقال هذا يكون من رؤية العين وغيرها ومعنى القراءة الثانية ظاهر واضح وانما شاوره ليعلم صبره لامر الله والافرو يا الانبياء وحى وامتثالها لازم لهم متحتم عليهم (قال يابوت افعال ما تؤمر) به مما أوحى اليك من ذبيح وما موصولة وقيل مصدرية على معنى افعال أمرك والمصدر مضاف الى المنعول وتسمية المأمور به أمر او الاول أولى (ستجدني ان شاء الله من الصابر بن) على ما بتلاني به من الذبيح والتعليق بمشينة الله سبحانه تبرك بهامنه (فلما أسلمنا) أي استسلمنا لامر الله وأطاعاه وانقاد له وخضعوا لله وقرأ الجهور أسلموا وقرأ على وابن مسعود وابن عباس فلما أسلمنا أي فوضا أمرهما الى أمر الله وروى عن ابن عباس انه قرأ استسلمنا قال قتادة أسلم أحدهما نفسه لله وأسلم الآخر اياه يقال سلم الامر لله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد اختلف في جواب لما ماذا هو فقبيل هو محذوف تقديره ظهر صبرهما أو أجز لنا لهما أجرهما أو فديناه بكبش هكذا قال البصريون وقال الكوفيون الجواب هو ناديه والواو زائدة مقعمة واعتض عليهم اللعاس بان الواو من حروف المعاني ولا يجوز أن تزداد وقال الاخفش الجواب وتله للبعين والواو زائدة وروى هذا أيضا عن الكوفيين ويرد عليه

صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس لعنه الله أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه منه فكان يخدمه فاتخذ ابليس شيئا من مثل الذي يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فأتوا بهم يسمعون اليه واتخذوا عيدا ليجتمعون اليه في السنة فيتبرج الرجال للنساء قال وينزل الرجل لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهن فزولوا معهن وظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقوله تعالى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله نهماهن اولاً

عن الشر ثم أمرهن بالخير من إقامة الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلى المخلوقين وأطعن الله
ورسوله وهذا من باب عطف العام على الخاص وقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
وهذا نص في دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في أهل البيت ههنا لان سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا
واحدا اما وحده على قول أومع غيره على الصحيح وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادى في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٧٢) نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وهكذا روى ابن أبي حاتم قال

حدثنا علي بن حرب الموصلي حدثنا
زيد بن الحباب حدثنا حسين بن
واقد عن زيد النخعي عن عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما في
قوله تعالى انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت قال
نزلت في نساء النبي صلى الله عليه
وسلم خاصة وقال عكرمة من شاء
باهلته انما نزلت في شأن نساء النبي
صلى الله عليه وسلم فان كان المراد
انهن كن سبب النزول دون غيرهن
فصحيح وان اريد انهن المراد فقط
دون غيرهن ففي هذا نظر فانه قد
وردت أحاديث تدل على ان المراد
أعم من ذلك الحديث الاول قال
الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا
جواد اخبرنا علي بن زيد عن أنس بن
مالك رضي الله عنه قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يمر باب
فاطمة رضي الله عنها سته اشهر اذا
خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة
يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم
تطهيرا ورواه الترمذي عن عبد
ابن حميد عن عفان به وقال حسن
غريب حديث آخر قال ابن جرير

حدثنا ابن وكيع حدثنا ابو نعيم حدثنا يونس عن ابي اسحق اخبرني ابوداود عن ابي الجراء قال رابطت المدينة هذه
سبعة اشهر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طلع الفجر جاء الى باب علي وفاطمة
رضي الله عنهما فقال الصلاة الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ابوداود الاعشى هو نافع
ابن الحرث كذاب حديث آخر وقال الامام احمد ايضا حدثنا محمد بن مصعب حدثنا الاوزاعي حدثنا شاذان بن عمار قال دخلت على
وائله بن الاسقع رضي الله عنه وعنده قوم فذكروا عليا رضي الله عنه فشموه فشمته معهم فلما قاموا قال لي شمت هذا الرجل قلت

اعتراض النحاس كما ورد على الاول (رتله للجبين) أي صرعه وأسقطه على شقه وقيل
هو الرمي بقوة وأصله من رماه على التزل وهو المكان المرتفع أو من التليل وهو العنق أي
رماه على عنقه ثم قيل لكل اسقاط وان لم يكن على تل ولا على عنق وفي القاموس تله تلامن
باب قتل فهو متلول وتليل صرعه وألقاه على عنقه وخسده يقال تلت الرجل اذا ألقته
والتل الصرع والدفع والمراد انه أفضجه على جبينه على الارض والجبين ما انكشف من
الجمجمة قاله السمين وفي المصباح الجبين ناحية الجمجمة من محاذاة النزعة الى الصدغ وهما
جبينان عن عين الجمجمة وشمالها قاله الازهرى وابن فارس وغيرهما فتكون الجمجمة بين
جبينين وجمعه جبن بضمتين مثل يريد ويرد أو جبنه مثل أسلحة وقيل المعنى كبه على
وجهه كيلا يرى منه ما يؤثر الرقة لقلبه واختلف في الموضوع الذي أراد ذبحه فيه فقيل هو
مكة في المقام وقيل في المخرب عنى عند الجمار وقيل على الصخرة التي بأصل جبل ثبير وقيل
بالشام (وناديه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي عزمتم على الايمان بما رأيت قال
المنسرون لما أفضجه للذبح فودي من الجبل يا ابراهيم الخ وجعله صدقة فاجرد العزم وان
ليذبحه لانه قد أتى بما أمكنه والمطلوب استسلامه ما لأمر الله وقد فعلا قال القرطبي
قال أهل السنة ان نفس الذبح لم يقع ولو وقع لم يتصور رفعه فكان هذا من باب النسخ قبل
الفعل لانه لو حصل الفراغ من امتثال الامر بالذبح ما تحقق النداء قال ومعنى صدقت
الرؤيا فعلت ما أمكنك ثم امتعت لما منعناك هذا أصبح ما قيل في هذا الباب وقالت طائفة
ليس هذا مما ينبغي بوجه لان معنى ذبحت الشيء قطعته وقد كان ابراهيم يأخذ السكين
فيترجمها على حلقه فتقلب كما قال مجاهد وقال بعضهم كان كلما قطع جزءا التأم وقالت
طائفة منهم السدي ضرب الله على عنقه صنعة نحاس فجعل ابراهيم يحز ولا يقطع شيئا
وهذا كله جائز في القدرة الالهية لكنه يقتصر الى نقل صحيح فانه امر لا يدرك بالنظر وانما
طريقه الخبر ولو كان قد جرى ذلك لبيته الله تعظيما لرتبة اسمعيل و ابراهيم وكان أولى
بالبيان من النداء وقال بعضهم ان ابراهيم ما أمر بالذبح الحقيقي الذي هو فري الاوداج
وانما ردم وانما رأى انه أفضجه للذبح فتوهم انه أمر بالذبح الحقيقي فلما أتى بما أمر به
من الانحجاج قيل له قد صدقت الرواية وهذا كله خارج عن المفهوم ولا يظن بالخليل
والذبح ان يفهم من هذا الامر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم وأيضا لو صححت

قد شتموه فشمته معهم قال الأخرى بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى قال آتيت فاطمة رضی الله عنها أسألها عن علي رضي الله عنه فقالت توجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست انتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وحسن وحسين رضي الله عنهم أخذ كل واحد منهم ما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة رضي الله عنهما وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا رضي الله عنهما كل واحد منهما على فخذه ثم أتاه وقال كساء ثم تلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٧٣) وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق

وقد رواه أبو جعفر بن جرير عن عبد الكريم عن ابن أبي عمير عن الوليد بن مسلم عن أبي عمر والأوزاعي بسنده نحوه زاد في آخره قال واثلة رضي الله عنه فقلت وانا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت من أهلي قال واثلة رضي الله عنه وأنت من أهلي قال واثلة رضي الله عنه وانهم من أرحبي ما أرتجبي ثم رواه أيضا عن عبد الأعلى بن زامل عن الفضل بن دكين عن عبد السلام بن حرب عن كثوم الخباري عن شداد بن أبي عمار قال اني جلست عند واثلة بن الاسقع رضي الله عنه اذ ذكر واثلة بن رضي الله عنه فشتموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموه اني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم فألقى صلى الله عليه وسلم عليهم كساء له ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت يا رسول الله وانا قال صلى الله عليه وسلم وأنت قال فوالله انهم الاوثق عمل عندي حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا

هذه الاشياء لما احتجج الى الفداء أخرج الطبراني عن ابن عباس قال لما أراد ابراهيم ان يذبح اسحق قال لا ييه اذ ابحتني فاعتزل لا اضطرب فيمنضخ عليك دمي فشدته فلما أخذ الشفرة وأراد ان يذبحه نودي من خلفه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وأخرج أحمد عنه مرفوعا مثله مع زيادة وأخرجه عنه موقوفا وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه من طريق مجاهد عنه قال فلما أسماها ما أمر به وتلد وضع وجهه الى الارض فقال لا تذبحني وأنت تنظر عسى ان ترجني فلا تجزع علي وان اجزع فانكص فأمتنع منذ ولكن اربط يدي الى رقبتى ثم ضع وجهي الى الارض فلما ادخل يده ليذبحه فلم تحل المدينة حتى نودي ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فامسك يده وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رؤيا الانبياء وحى اخرجهم ابن ابي حاتم واخرجه البخاري وغيره من قول عبيد بن عمير واستدل بهذه الآية (انا كذلك) أي كما جز ينالك (نجزي المحسنين) أي نجزيهم بامتثال الامر بالخلاص من الشدائد والسلامة من المحن فالجملته كالتعليل لما قبلها قال من انزل جزاه الله سبحانه باحسانه في طاعته العنوة عن ذبح ابنه (ان هدا هو البلاء المبين) الابتلاء والبلاء الاختبار والمعنى ان هذا هو الاختبار الظاهر حيث اختبره الله في طاعته بذب ابنه وقيل ان هدا هو النعمة الظاهرة حيث سلم الله ولده من الذبح وفداه بالكبش يقال ابلاه الله ابلاه وبلاء اذا أنعم عليه والاول وأولى وان كان الابتلاء يستعمل في الاختبار بالخير والشر ومنه ونبأكم بالشر والخير فتنة ولكن المناسب للمقام المعنى الاول قال أبو يزيد هذا في البلاء الذي نزل به في ان يذبح ولده قال وهذا من البلاء المكروه (وفديناه بذب عظيم) الذبح اسم المذبوح وجمعه مذبح كالطحن اسم للمطحون وبالفتح المصدر ومعنى عظيم عظيم القدر ولم يرد عظيم الجثة وانما عظيم قدره لانه فدى به الذبح اولانه متقبل قال الخماش العظيم في اللغة يكون للكبير وللشريف وأهل التنسيف على انه ههنا للشريف أي المتقبل قال الواحدي قال أكثر المفسرين ومنهم ابن عباس أنزل عليه كبش قدرعى في الجنة أربعين خريفا وقال الحسن ما فدى الاتبس من الأروى أهبط عليه من ثبير فذبحه ابراهيم فداه عن ابنه قال الزجاج قد قيل انه فدى بوعى والوعى التيس الجبلي ومعنى الآية جعلنا الذبح فداه له وخلصناه به من الذبح قال ابن عباس بكبش عظيم

(١٠ فتح البيان ثامن) عبد الله بن عمر حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عذابة بن أبي رباح حدثني من جمع أم سلمة رضي الله عنها نذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فأنته فاطمة رضي الله عنها بيرة فبها خريفة فدخلت عليه بها فقال صلى الله عليه وسلم لها ادعى زوجك وابنيك قالت فداء علي وحسن وحسين رضي الله عنهم فدخلوا عليه فجلسوا ويا كاون من تلك الخريفة وهو علي منامة له وكان تحتها صلى الله عليه وسلم كساء خيبرى قالت وانا في الحجر أصلى فأرسل الله عز وجل هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت رضي الله عنها فأخذ صلى الله عليه وسلم فضل الكساء فغطاهم به ثم

أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي
 البيت فقالت وأنا معكم يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أنك إلى خير أنك إلى خير في أسناده من لم يسم وهو شيخ عطاء وبقية
 رجلاه ثقات طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا سعيد بن زري عن محمد بن سيرين عن
 أبي هريرة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيرة لها قد صنعت فيها
 عصيدة فحملها على طبق فوضعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال أين ابن عمك وابناك فقالت رضي الله عنها (٧٤)

متقبل قيل قد بقي قرناه معلقتين على الكعبة إلى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال
 الشعبي رأيت قرني الكعبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد
 كان أول الاسلام وان رأس الكعبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد يبس انتهى ومن
 المعلوم المقرر ان كل ما هو من الجنة لا تؤثر فيه النار فلم يطبخ لحم الكعبش بل أكلته السباع
 والطيور تأمل قال أبو السعود لما ذبحه السيد ابراهيم قال جبريل الله أكبر الله أكبر الله
 أكبر فقال النبي لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله أكبر والله الحمد ففي هذا سنة
 انتهى عن ابن عباس ان رجلا قال لذبح نذبي نفسي فقال ابن عباس لقد كان لكم
 في رسول الله أسوة حسنة ثم تلا وفديناه بذبح عظيم فأمره بكعبش فذبحه وقد استشهد
 أبو حمزة بهذه الآية فبين نذربذبح ولده انه يلزمه ذبح شاة (وتركنا عليه في الاخرين)
 أي في الامم الاخرة التي تأتي بعده ولا وقف عليه لان قوله (سلام على ابراهيم) مفعول
 وتركوا والسلام الثناء الجميل وقال عكرمة سلام منا وقيل سلامة من الاتفات والكلام
 في هذا كالكلام في قوله سلام على نوح في العالمين وقد تقدم في هذه السورة بيان معناه
 (كذلك يبرئ المحسنين) أي مثل ذلك الجزاء العظيم تجزي من انقاد لامر الله ولم يقل انا
 كذلك هنا كما في غيره لانه قد سبق في هذه القصة فاستخف بتركها كمنها بذكره مرة عن
 ذكره ثانية (انه من عبادنا المؤمنين) أي الذين أعطوا العبودية حقها ورسخوا في الايمان
 بالله وتوحيده (وبشرنا بهاسحق نبيا من الصالحين) أي بشرنا ابراهيم بولده ويصير نبيا
 بعد ان يبلغ السن التي يتأهل فيها لذلك ونبيا منصوب على الحال وهي حال مقدرة وقال ابن
 عباس انما بشر نبيا حين فداه الله من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده قال
 الزجاج ان كان الذبح اسحق فيظهر كونهما مقدرة والاولى ان يقال ان من فسر الذبح
 باسمحق جعل البشارة هنا خاصة بنبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه ولا حاجة
 الى وجود المبشريه وقت البشارة فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط المقارنة
 للفعل وقوله من الصالحين كما يجوز ان يكون صفة لتبنيها يجوز ان يكون حال من الضمير
 المستتر فيه فتكون أحوالها متداخلة (وباركنا عليه) أي على ابراهيم (وعلى اسحق)
 بمرادفة نعم الله عليهم او قيل كثيرا ولولدهما وقيل ان الضمير في عليه يعود الى اسمعيل وهو
 بعيد وقيل المراد بالباركة هنا هي الثناء الحسن عليهم ما الى يوم القيامة وقيل أخرجهما من

في البيت فقال صلى الله عليه وسلم ادعهم فجاءت الى علي رضي الله عنه فقالت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وابناك قالت أم سلمة رضي الله عنها فلما رأهم مقبلين مدصلي الله عليه وسلم يده الى كساء كان على المنامة فمد يده وأجاسهم عليه ثم أخذ صلى الله عليه وسلم بأطراف الكساء الاربعة بشماله فوضعه فوق رؤسهم وأومأ يده اليمنى الى ربه فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الاعمش عن حكيم بن سعد قال ذكرنا على بن أبي طالب رضي الله عنه عندهم أم سلمة رضي الله عنها فقالت في بيتي نزلت انما يريد الله ليزهد عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت أم سلمة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتي فقال لا تأذني لاحد يخاف فاطمة رضي الله عنها فلم أستطع ان أجيبها عن أيها ثم جاء الحسن رضي الله عنه فلم أستطع ان

أجبهه عن جده صلى الله عليه وسلم وأمره رضي الله عنها ثم جاء علي رضي الله عنه فلم أستطع ان أجبه فاجتبعوا فجلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يا رسول الله وانما قلت فوالله ما أنعم وقال أنك إلى خير طريق أخرى قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن أبي المعدل عن عطية الطفاوى عن أبيه قال ان أم سلمة رضي الله عنها حدثت قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي يوما اذا قالت الخادم ان فاطمة وعليا رضي الله عنهما

صلبه

بالسدة قالت فقال صلى الله عليه وسلم لي قومي فتحنى عن أهل بيتي قالت ففقت فتحنيت في البيت قرياً فدخل على وفاطمة ومعهما الحسن والحسين رضي الله عنهم وهما صبيان صغيران فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق علياً رضي الله عنه باحدى يديه وفاطمة رضي الله عنها باليد الاخرى فقبل فاطمة وقبل علياً وأعدف عليهم خيصة سوداء وقال اللهم الملك لا اليا النار انا واهل بيتي قالت فقلت وانا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم وانت طريق اخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد عن أم سلمة (٧٥) رضي الله عنها قالت ان هذه الآية نزلت

في بيتي انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهرهم كما تطهروا قالت وانا جالسة على باب البيت فقلت يا رسول الله أأنت من أهل البيت فقال صلى الله عليه وسلم انك الى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم طريق اخرى رواه ابن جرير أيضاً عن أبي كريب عن وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضي الله عنها بخبره طريق اخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا خالد بن مخلد حدثني موسى بن يعقوب حدثني هشيم بن هشيم بن عتبة بن أبي وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرني ام سلمة رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع فاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم ثم ادخلهم تحت ثوبه ثم جار الى الله عز وجل ثم قال هؤلاء اهل بيتي قالت ام سلمة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله ادخلني معهم فقال صلى

صلبه ألف نبي أولهم يعقوب وآخرهم عيسى (ومن ذريته ما محسن وظالم لنفسه مبين) أي محسن في عمله بالايان والتوحيد وظالم لها بال كفر والمعاصي لما ذكر الله سبحانه البركة في الذرية بين ان كون الذرية من هذا العنصر الشريف واختد المبارك ليس بنافع لهم ولا يجبري أمر الخبث والطيب على العسوق والعنصر فقد يدل البر الفاجر والتاجر البر وهذا مما يهدم أمر الطبايع والعناصر بل انما يتفنون بأعمالهم لا بأبائهم فان اليهود والنصارى وان كانوا من ولد اسحق فقد صاروا الى ما صاروا اليه من الضلال المبين وان العرب وان كانوا من ولد اسمعيل فقد ما تواعى الشرك الا من أتقنه الله بالاسلام وفيه تشبيه على ان الظلم في أعقابهم لم يعد عليهم ما يعيب ولا تقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب على ما اجترحت يده لا على ما وجد من أصله وفرعه ولما فرغ سبحانه من ذكرا نجاء الذبيح من الذبيح وما من عليه بعد ذلك من النبوة ذكر ما من به على موسى وهرون فقال (واقدمنا على موسى وهرون) يعني بالنبوة وغيرهما من النعم العظيمة التي أنعم الله بها عليهم (ونحنناهما وقومهما) المراد بقومهما هم المؤمنون من بنى اسرائيل (من الكبر العظيم) هو ما كانوا فيه من استعباد فرعون اباهم وما كان يصيهم من جهته من البلاء وقيل هو الغرق الذي أهلك فرعون وقومه والاول اولى (ونصرناهم) جاء بضمير الجمع قال الفراء الضمير لموسى وهرون وقومهما لان قبله ونحنناهما وقومهما وقيل الضمير عائد على الاثنين موسى وهرون تعظيما لهما والاول اولى (فكانوا) بسبب نصرنا وتأيدنا (هم الغالين) على عدوهم من التبط بعد ان كانوا تحت أسرهم وقهرهم وهم تأكيداً وبدل أو فصل وهو الاظهر (وأبيناها الكتاب) أي التوراة (المستبين) البين الظاهر فيما أتى به من الحدود والاحكام يقال استبان كذا أي صار بينا (وهديناهما الصراط المستقيم) أي القيم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام فانه الطريق الموصلة الى الحق والصواب عتسلا وسعاً الى المطلوب وهو الجنة (وتركناهم في الاخرين سلام) منا (على موسى وهرون) أي أبقينا عليهم في الامم المتأخرة الشناء الجميل وقد قدمنا الكلام في السلام وكذلك تقدم في هذه السورة تفسير قوله (انا كذلك) أي كما جزيناها (تجزى الحسين انهم امن عبادنا المؤمنين) تعديلاً لاحسانهم بالايان واظهار الجلالة

الله عليه وسلم أنت من اهلى طريق اخرى رواها ابن جرير ايضا عن احمد بن محمد الطوسي عن عبد الرحمن بن صالح عن محمد بن سليمان الاصهاني عن يحيى بن عبيد المكي عن عطاء بن عمر بن ابى سلمة عن امه رضي الله عنها بخبر ذلك حديثاً آخر قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا محمد بن بشر عن زكريا بن مصعب بن شيبه عن صفية بنت شيبه قالت قالت عائشة رضي الله عنها خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله معه ثم جاء الحسين رضي الله عنه فأدخله معه ثم جاء فاطمة رضي الله عنها فأدخلها معه ثم جاء علي رضي الله عنه فأدخله معه ثم قال صلى الله عليه وسلم انما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيرا ورواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة عن محمد بن بشر به طريق اخرى قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا شرح بن يونس ابو الحرث حدثنا محمد بن يزيد عن العوام يعني ابن حوشب رضى الله عنه عن عمه قال دخلت مع ابي على عائشة رضى الله عنها فاسألتها عن علي رضى الله عنه فقالت رضى الله عنها تسألني عن رجل كان من احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تحته ابنته واحب الناس اليه لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضى الله عنهم فألقى عليهم ثوبا فقال اللهم (٧٦) هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فدثوت

منهم فقلت يا رسول الله وأنا من اهل بيتك فقال صلى الله عليه وسلم تكفي فانك علي خير حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن المنني حدثنا بكر بن يحيى عن زيان الغنزي حدثنا مبدل عن الاعمش عن عطية عن ابي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة اثم يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويظهركم تطهيرا قد تقدم ان فضيل بن مرزوق رواه عن عطية عن ابي سعيد عن ام سلمة رضى الله عنها كما تقدم وروى ابن ابي حاتم من حديث هرون بن سعد العجلي عن عطية عن ابي سعيد رضى الله عنه موقوفا والله سبحانه وتعالى اعلم حديث آخر قال ابن جرير حدثنا ابن المنني حدثنا ابو بكر الخنفي حدثنا بكير بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد رضى الله عنه قال قال سعد رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحي فأخذ عليا وابنيه وفاطمة رضى الله عنهم فأدخلهم

قدره واصالة أمره (وان الياس لمن المرسلين) قال المفسرون هو نبي من انبياء بني اسرائيل وقصته مشهورة مع قومه قيل وهو الياس بن ياسين من سبط هرون أخي موسى قال ابن اسحق وغيره كان الياس هو القيم بامر بني اسرائيل بعد يوشع وقال قتادة هو ادريس وقيل هو ابن عم اليسع والاول اولى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخضر هو الياس آخر جبه ابن مردويه قرئ الياس بهزة مـ سورة مقطوعة وبوصلها وهما سبعيتان وتوجههما انه اسم أعجمي تلاعبت به العرب فقطعوا همزته تارة ووصلوها أخرى وقرأ ابن مسعود والاعمش ويحيى بن وثاب وان ادريس لمن المرسلين وقرئ ايليس وقالوا فيه الياسين كما مر اقبل قيل في الألياس والخضر انهما حيان وقيل الياس وكل بالفيافي كما وكل الخضر بالبحار قال السيموطي في الاثنان قال وهب ان الياس عمر كما مر الخضر وأنه بقي الى آخر الدنيا اه وقال الحسن البصري قد هلكا ولا نقول كما يقول الناس انهما حيان وهو الراجح نظر في الأدلة والله أعلم وعلمه أتم وأحكم ثم اختلف في كون الخضر نبيا مرسلأ أو نبيا فقط أو هو من الاولياء وأما الياس فهو نبي مرسل باتفاق وذكر الثعلبي أنه كان الياس على صنعة موسى في الغضب والقوة نشأ نشأة حسنة يعبد الله جعله الله نبيار سولا وآتاه آيات وسخر له الجبال والاسود وغيرهما وتوهم قوم أن اليسع هو الياس وليس كذلك لان الله تعالى أفرد كل واحد بالذكر وقال وهب اليسع صاحب الياس وكان اقبل زكريا ويحيى وعيسى وقيل الياس هو ادريس وهذا غير صحيح لان ادريس جد نوح والياس من ذريته وقيل الياس هو الخضر وقيل لابل الخضر هو اليسع (اذ) نظر في لقوله لمن المرسلين أو متعلق بمحمدوف أي اذ زكريا محمد

اذ (قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله ثم انكر عليهم بقوله (أتدعون بعلا) هو اسم لصنم كانوا يعبدونه أي أتعبدون صنما وتطلبون الخير منه قال ثعلب اختلف الناس في قوله سبحانه بعلا فقالت طائفة البعل هنا الصنم وكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلم بالضللال والخدمة يحفظونه ويعلمونه الناس وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة اوجه فاعتنوا به وعظموه حتى أخذوه به بأربعمائة خادم وجعلوهم أم أبناءه وقالت طائفة البعل هناك ملك وقال اسحق امرأة كانوا يعبدونها قال الواحدى والمفسرون يقولون زبا وهو بلغة اليمن يقولون للسيد والرب البعل قال النحاس القولان صحيحان أي

تحت ثوبه ثم قال رب هؤلاء أهلي واهل بيتي حديث آخر وقال مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب وشجاع بن مخلد أتدعون جميعا عن ابن علية قال زهير حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثني ابن حبان حدثني يزيد بن حبان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلمة الى زيد بن أرقم رضى الله عنه فلما جلسنا اليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت حديثه وغزوت معه ووليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يزيد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعمى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما حدثتكم فاقبلوا وما لا

فلاتكفوا فيه ثم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطيباً بما يدعى حساً بين مكة والمدينة حمد الله تعالى واثني عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس فإني أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربى فأجيب وأنا نارك فيكم ثلثين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه ثم قال وأهل بيتى اذ كرم الله فى أهل بيتى اذ كرم الله فى أهل بيتى ثلاثاً فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نسأؤهم من أهل بيته قال نسأؤهم من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل على وآل عقيل (٧٧) وآل جعفر وآل عباس رضى الله عنهم

أتدعون صنفاً علمته ورباؤ كان موضعه يقال له بك فركب وصار بعلمه وهو من بلاد الشا (وتدرون أحسن الخالقين) أى وتركون عبادة أحسن من يقال له خالق باى معنى كان كما قاله الأمدى واتصاب الاسم الشريف فى قوله (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) على أنه بدل من أحسن هذا على قراءة حجة والكسائى والربيع بن خيثم وابن أبى اسحق وغيرهم فانهم قرؤا بصب الثلاثة الاسماء وقيل النصب على المدح وقيل على عطف البيان وحكى أبو عبيد أن النصب على الزمت قال النحاس وهو غلط وانما هو بدل ولا يجوز النعت لانه ليس بخليفة واختاره هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وغيرهم ما بالرفع قال أبو حاتم معنى هو الله ربكم قال النحاس وأولى ما قيل انه مبتدأ وخبر بغير ضمارة ولا حذف وحكى عن الاخفش ان الرفع أولى وأحسن قال ابن الانبارى من رفع أو نصب لم ينف على أحسن الخالقين على جهة التمام لان الله مترجم عن أحسن الخالقين على الوجهين جميعاً والمعنى انه خالقكم وخالق من قبلكم فهو الذى تحقق له العبادة (فكذبوه فانهم) بسبب تكذيبه (لمخضرون) فى العذاب أو فى النار وقد تقدم ان الاحضار المطلق مخصوص بالشمر (الاعباد الله المخلصين) أى من كان مؤمناً من قومه قرئ بكسر اللام وفتحها كما تقدم والمعنى على الكسر انهم أخلصوا لله وعلى الفتح ان الله استخلصهم من عباده والاستثناء متصل وفيه دلالة على ان قومه من لم يكذب به فلذلك استثنوا وقد تقدم نفسه فى قوله (وتركنا عليه فى الآخر من سلام على آل ياسين) قرأ نافع وابن عامر باضافة آل بمعنى آل ياسين وقرأ الباقون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة بياسين الاحسن فأنه قرأ الياسين بادخال آله التعريف على ياسين قيل المراد على هذه القراءة كلها الياس والمعنى وقع التسليم ولكنه اسم أعجمى والعرب تضرب فى هذه الاسماء الاعممية ويكثر تغييرهم لها قال ابن جنى العرب تتلاعب بالاسماء الاعممية تلاعباً فياسين والياس والياسين شئ واحد قال الاخفش العرب تسمى قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم فيقولون المهالبة على انهم هموا كل رجل منهم بالمهلب قال فعلى هذا انه سمي كل رجل منهم بالياسين قال الفراء ذهب بالياسين الى أن تجعله جمعاً فنجعل أصحابه داخلين معه فى اسمه قال أبو على الفارسى تقدير بالياسين الان الياثين للنسبة حذفنا كما حذفنا فى الأشعرين والاعممين ورجح الفراء وأبو عبيد قراءة الجمهور قالوا لانهم يقبل فى

قال كل هؤلاء حرم الصدقة بعده قال نعم ثم رواه عن محمد بن الزيان عن حسان بن ابراهيم عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حبان عن يزيد بن أرقم رضى الله عنه فذكر الحديث كتنو ما تقدم وفيه فقلت له من أهل بيته نسأؤهم قال لا ايم الله ان المرأة تكون مع الرجل المعصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى آيها وقومها أهل بيته أصله وعصبة الذين حرموا الصدقة بعده هكذا وقع فى هذه الرواية والاولى أولى والاخذ بها أخرى وهذه الثانية تحتمل ان أراد تفسير الاهل المذكورين فى الحديث الذى رواه انما المراد بهم آله الذين حرموا الصدقة وأنه ليس المراد بالاهل الأزواج فقط بل هم مع آله وهذا الاحتمال أرجح جمعاً بينهما وبين الرواية التى قبلها وجمعاً أيضاً بين القرآن والاحاديث المتقدمة ان حجت فان فى بعض أسانيدنا نظرنا والله تعالى أعلم ثم الذى لا يشك فيه من تدبر القرآن ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات فى قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت ويظهركم تطهيراً فان سياق الكلام معهن ولهذا قال تعالى بعد هذا كله واذا كن مايتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة أى واعلم بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم فى بيوتكن من الكتاب والسنة قاله قتادة وغير واحد واذا كن هذه النعمة التى خصصت بها امن بين الناس ان الوحي ينزل فى بيوتكن دون سائر الناس وعائشة بنت الصديق رضى الله عنها وأولاهن بهذه النعمة وأخطاهن بهذه الغنمة واخصهن من هذه الرحمة العميمة فانه لم ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فى فراش امرأة سواها كما نص على ذلك صلوات الله وسلامه عليه قال بعض العلماء رحمه الله لانه لم ينزل بغيره سواها ولم ينم معها رجل فى فراشها

سواء فناسب ان تخصص بهذه المزية وان تفرد بهذه المرتبة العلية ولكن اذا كان أزواجه من أهل بيته فقربته أحق بهذه التسمية كما تقدم في الحديث وأهل بيتي أحق وهذا يشبه ما ثبت في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال هو مسجدي هذا فهذا من هذا القبيل فان الآية آيات في مسجداً كما ورد في الأحاديث الأخر ولكن اذا كان ذلك أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بتسميته بذلك والله أعلم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد (٧٨) حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن ابن جميلة قال ان الحسن بن

علي رضي الله عنهما استخلف حين قتل علي رضي الله عنهما قال فيينا هو يرضى الله عنه ساجد قال فيزعون ان الطعنة وقعت في ورثة فرض منها أشهر ثم برأ فتعد على المنبر فقال بأهل العراق اتقوا الله فينا فاننا أمرناكم ورضيناكم وصنعناوكم ونحن أهل البيت الذي قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال فما زال يقولها حتى ما بقي أحد من أهل المسجد الا وناح بكاء وقال السدي عن أبي الدليم قال قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل من أهل الشام اما قرأت في الاحزاب انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال نعم لانهم قال نعم وقوله تعالى ان الله كان لطيفاً خبيراً اي بلطفه بكن بلغتن هذه المنزلة وبخبرته بكن وانكن أهل لذلك اعطاكن ذلك وخصكن بذلك قال ابن جرير رحمه الله

شيء من السور على آل فلان انما جاء بالاسم كذلك الياسين لانه انما هو بمعنى الياس أو بمعنى الياس واتباعه وقال الكوفي المراد بالياسين آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال الواحدى وهذا بعيد لان ما بعده من الكلام وما قبله لا يدل عليه قال ابن عباس نحن آل محمد آل ياسين وقيل آل القرآن لان ياسين من أسماء القرآن وفيه بعد بعيد وقد تقدم تفسير قوله (انا كذلك تجزى الحسنين) أى كاحزينا ببقاء سيرته الحسنة في الآخرين وتقدم أيضاً تفسير قوله (انه من عبادنا المؤمنين) مستوفى (وان لوطا من المرسلين) قد تقدم ذكر قصة لوط عليه السلام مستوفى (اذ نجيناها وأهلها أجمعين) الطرف متعلق بمحمدوف هو اذ كرو لا يصح تعلقه بالمرسلين لانه لم يرسل وقت نجاته (الاعجوزا في الغابرين) قد تقدم ان العابر يكون بمعنى الماضي ويكون بمعنى الباقي فالمعنى الاعجوزا في الباقي في العذاب أو الماضين الذين قد هلكوا (ثم دعونا الآخرين) أى أهل كذبهم بالعتوبة والمعنى ان في نجاته وأهلها جميعاً الاعجوزا تدعى الباقي من قومه الذين لم يؤمنوا به دلالة بيته على ثبوت كونه من المرسلين (وانكم لترون عليهم) خاطب بهذا العرب أو كفار مكة على الخصوص أى ترون على منازلتهم التي فيها آتانا العذاب (مصحين) أى داخلين في وقت الصباح وهو من أصبح التامة (وبالليل) المعنى ترون على منازلتهم في ذهابكم الى الشام ورجوعكم منه نارا اولملا والوقف عليه مطلق والباء للملابسة (أفلات تعقلون) ما تشاهدونه في ديارهم من آثار عتوبة الله النازلة بهم فان في ذلك عبرة للمعتبرين وموعظة للمتدبرين وانما ليحتم قصة لوط ويونس بالسلام كما ختم قصة من قبلهما لان الله تعالى قد سلم على جميع المرسلين في آخر السورة فاكتفى بذلك عن ذكر كل واحد منهم فرد بالسلام (وان يونس لمن المرسلين) يونس هو ذوالنون وهو ابن متى قال المفسرون وكان يونس قد ودع قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج عنهم وقصد البحر وركب السفينة فكان يذاهب الى البحر كالنار من مولاة فوصف بالاباق وهو معنى قوله (آذابى الى الفلك المشحون) أى المملوء وأصل الاباق الهرب من السيد لكن لما كان هربهم من قومه بغير انذره ووصف به فهو استعارة تصريحية أو مجاز مرسل من استعمال المقيدي المطلق وقال المبرد تأويل أبى تباة أى ذهب اليه ومن ذلك قولهم عبد أبى وقد اختلف أهل العلم

واذ كن نعمة الله عليكم بان جعلكن في بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله تعالى على ذلك واحمدنه هل ان الله كان لطيفاً خبيراً أى ذا لطف بكن اذ جعلكن في البيوت التي تتلى فيها آيات الله والحكمة وهي السنة خبيراً بكن اذا ختاركن لرسوله أزواجا وقال قتادة واذا كن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة قال عيسى بن علي بن ذلك رواه ابن جرير وقال عطية العوفي في قوله تعالى ان الله كان لطيفاً خبيراً يعنى لطيفاً باستخراجه خبيراً بموضعها رواه ابن أبي حاتم ثم قال واذا روى عن الربيع بن أنس عن قتادة (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين

والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجر عظيما) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن
حكيم حدثنا عبد الرحمن بن شيبه قال سمعت أم سلمة رضی الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول قلت للنبي صلى الله عليه
وسلم مالنا لا نذكر في القرآن كأيذ كرا الرجال قالت فليمرعني من هذه ذات يوم الاوندأوه على المنبر قالت وأنا أتأمرح شعري فلنفت
شعري ثم خرجت الى حجرتي حجرتي بيتي فجعلت معي عند الجريد (٧٩) فاذا هو يقول عند المنبر يا أيها الناس ان الله

تعالى يقول ان المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات الى آخر الآية
وهكذا رواه النسائي وابن جرير
من حديث عبد الواحد بن زياد به
منه طريق أخرى عنها قال النسائي
أيضا حدثنا محمد بن حاتم حدثنا
سويد بن أخضر بن عبد الله عن شريك
عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن
أم سلمة رضی الله عنها انها قالت
للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله
مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن
والنساء لا يذكرون فانزل الله تعالى
ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات وقدر رواه ابن جرير عن
أبي كريب عن أبي معاوية عن محمد
ابن عمرو عن ابن سلمة أن يحيى بن
عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن
أم سلمة رضی الله عنها قالت قلت
يا رسول الله أئذ كرا الرجال في كل
شيء ولانذ كرا فانزل الله تعالى ان
المسلمين والمسلمات الآية طريق
أخرى قال سفيان الثوري عن
ابن ابي نجيح عن مجاهد قال
قالت أم سلمة رضی الله عنها يا رسول
الله يذ كرا الرجال ولانذ كرا فانزل الله
تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية

هل كانت رسالته قبل التمام الحوت اياه أو بعده (فساهم فكان من المدحضين)
المساهمة أصلها المغالبة وهي الاقتراع وهو أن يخرج السهم على من غلب قال المبرد أي
فقارع أهل السفينة قال وأصله من السهام التي تجال والمعنى فصار من المغلوبين قال
يقال دحضت حجته وأدحضها الله وأصله من الزلق عن مقام الظفر قال ابن عباس اقترع
فكان من المقروعين وعنه قال بعث الله يونس الى أهل قريته فردوا عليه ما جاءهم به
فامتنعوا منه فمافعلوا ذلك أوحى الله اليه اني مرسل اليهم العذاب في يوم كذا وكذا
فاخرج من بين أظهرهم فاعلم قومه الذي وعد الله من عذابه اياهم فقتلوا ارمقوه فان
خرج من بين أظهرهم فهو والله كائن ما وعدكم فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعداب
في صبيحتها أدخل فرأه القوم خذروا واخرجوا من القرية الى برازن أرضهم وفرقوا
بين كل دابة وولدها ثم عجموا الى الله وأبوا واستتقوا فأتاهم الله وانتظر يونس الخبير
عن القرية وأهلها حتى مر به مار فقال ما فعل أهل القرية قال ان نبيهم لما خرج من
بين أظهرهم عرفوا انه قد صدقهم ما وعدهم من العذاب فخرجوا من القرية الى برازن
الارض ثم فرقوا بين كل ذات ولدها ثم عجموا الى الله وتابوا فقبل منهم وأخر عنهم
العذاب فقال يونس عند ذلك لأرجع اليهم كذبا أبدا ومضى على وجهه أخرجه ابن
جرير وابن أبي حاتم ومعنى هذه المساهمة ان يونس لما ركب السفينة احتبست فتعال
الملاحون ههنا عبد ابي من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيه آبق لا تجرى فاقترعوا
فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج نفسه في الماء وقد قدمنا الكلام على
قصته وماروى فيها في سورة يونس فلانكره (فالتقمه الحوت) يقال التمت اللقمة
والتقمها اذا بلعتها أي فالتقمه الحوت ومعنى (وهو ملهم) هو مستحق اللوم يقال رجل
ملهم اذا أتى بما يلام عليه وما المعلوم فهو الذي يلام سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا
وقيل الملهم المعيب يقال ألام الرجل اذا عمل شيئا صار به معيبا وقيل داخل في الملامة
وقال ابن عباس الملهم المسئى قال سعيد بن جبيرة لما سألهم ما جاء حوت الى السفينة
فاغراه ينتظر أمره حتى اذا أتى نفسه في الماء أخذ الحوت (فلولا أنه كان من المسبحين)
أي الذاكرين لله أو المصلين له أو من القائلين لا اله الا أنت الآية وقيل من العابدين وقال
ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وقال الحسن ما كانت له صلاة في بطن الحوت

حدث آخر قال ابن جرير حدثنا سنان بن مظاهر الضمري حدثنا أبو كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه
عن ابن عباس رضی الله عنهم ما قال قال النساء للنبي صلى الله عليه وسلم ما له يذ كرا المؤمنين ولا يذ كرا المؤمنات فانزل الله تعالى
ان المسلمين والمسلمات الآية وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبي صلى الله عليه وسلم
فقلن قد ذكرن الله تعالى في القرآن ولم نذكر بشي أمافينا ما يذ كرا فانزل الله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية فقوله تعالى ان
المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات دليل على ان الايمان غير الاسلام وهو أخص منه لقوله تعالى قالت الاعراب آمننا قل

لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولم يدخل الإيمان في قلوبكم وفي الصحيحين لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فيسلبه الإيمان ولا يلزم من ذلك كفره بإجماع المسلمين فدل على أنه أخص منه كما قررناه في أول شرح البخاري وقوله تعالى والقانتين والقانتات القنوت هو الطاعة في سكون أمن هو قانت آناء الليل ساجدا أو قائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقال تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون يا هريرم اقتنى لربك واسجد واركع مع الراكعين وقوموا لله قانتين فالاسلام بعده مرتبة يرتقي اليها وهو الايمان ثم القنوت ناشئ عنهما (٨٠) والصادقين والصادقات هذا في الاقوال فان الصدق خصلته محمودة

ولهذا كان بعض الصحابة رضي الله عنهم لم يجرب عليه كذبه لاني الجاهلية ولا في الاسلام وهو علامة على الايمان كما ان الكذب امارة على النفاق ومن صدق نجبا عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البروان البر يهدي الى الجنة واماكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا والاحاديث فيه كثيرة جدا والصابرين والصابرات هذه نتيجة الاثبات وهي الصبر على المصائب والعلم بان المقدر كاش لا محالة وتلقى ذلك بالصبر والثبات وانما الصبر عند الصدمة الاولى أى أصعبه في أول وهلة ثم ما بعده أسهل منه وهو صدق المحببة وثباتها والخاشعين والخاشعات أى السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع والخامل عليه الخوف من الله تعالى ومراتبه عبد الله

ولكنه قدم عملا صالحا فذكر الله تعالى له طاعته القديمة (اللبث في بطنه الى يوم يبعثون) أى اصاب بطن الحوت له قبر الى يوم البعث وقيل للبت في بطنه حيا واختلف المفسرون كم أقام في بطن الحوت فقال السدي والكبي ومقاتل بن سليمان أربعين يوما وقال الضحاك عشرين يوما وقال عطاء سبعين يوما وقال مقاتل بن حيان ثلاثة أيام وقيل ساعة واحدة وقيل التتمه نحى ولفظه عشية وفي هذه الآية ترغيب في ذكر الله وتنشيط للذاكرين له (فنبذناه بالعراء) النبذ الطرح والعراء قال ابن الاعرابي هو الصخر العراء وقال الاخفش القضاء وقال أبو عبيدة الواسع من الارض وقال القراء المكان الخالي وروى عن أبي عبيدة أيضا انه قال هو وجه الارض وقيل الارض الخالية عن الشجر والنبات وقيل بالساحل قاله ابن عباس والمعنى ان الله طرحه من بطن الحوت في الصخر العراء الواسع اتى لانبات فيها أو أمرنا الحوت بنبذها وانما أضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ لان أعمال العباد مخلوقة لله (وهو) عند القائه (سقيم) لما ناله في بطن الحوت من الضرر وقيل صار بطنه كبطن الطفل حين يولد وقيل كالفرخ الممعط أى المتشوف شعره وقيل كان قد بلى لحمه ورق عظمه ولم تبق له قوة وقد استشكل بعض المفسرين الجمع بين ما وقع هنا من قوله فنبذناه بالعراء وقوله في موضع آخر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فان هذه الآية تدل على انه لم ينبذ بالعراء وأجاب الخناس وغيره بان الله سبحانه أخبرهم ان النبذ بالعراء هو غير مذموم ولولا راحته عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم (وأبتسأ عليه شجرة) فوقعه تظلل عليه وقيل معنى عليه عندة وقيل معنى عليه له أى مظله (من يقطين) هو شجرة الدباء وقال المبرد اليقطين يقال لكل شجرة ليس لها ساق بل يمد على وجه الارض نحو الدباء والبطيخ والحنظل فان كان لها ساق تقبلها فيقال لها شجرة فقط وهذا قول الحسن ومقاتل وغيرهما وقال سعيد بن جبير هو كل شئ ينبت ثم يوت من عامه قال الجوهرى اليقطين ما لا ساق له من الشجر كشجر القرع ونحوه قال الزجاج اشتقاق اليقطين من يقطن بالمكان أى أقام به فهو يفعل وقيل هو اسم النجمي قال المنسر ون كان يستظل بظلمة من الشمس وقيض الله له أروية من الوحش تروح عليه بكرة وعشية فكان يشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره ثم أرسله الله بعد ذلك قال ابن عباس يقطين القرع وعليه الجهور وقائده ان

كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والمتصدقين والمتصدقات الصدقة هي الاحسان الى الناس المحاويج الضعفاء الذباب الذين لا كسب لهم ولا كاسب يعطون من فضول الاموال طاعة لله تعالى واحسانا الى خلقه وقد ثبت في الصحيحين سبعة يظلمهم الله في ظليوم لا ظل الاظله فذكر منهم ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وفي الحديث الآخروالصدقة تطفى الخيطنة كما يطفى الماء النار والاحاديث في الخث عليها كثيرة جدا له موضع بذاته والصابئين والصابئات في الحديث الذي رواه ابن ماجه والصوم زكاة البدن أى تزكيه وتطهره وتنقيه من الاخلاط الرديثة تطبعوا وشرا قال سعيد بن جبير من صام

رمضان وثلاثة أيام من كل شهر دخل في قوله تعالى والصائمين والصائمات ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه وجاءنا من أن يذكركم بعده والحافظين فروجهم والحافظات أي عن المحارم والمأثم الأعن المباح كما قال عز وجل والذين هم لفروجهم حافظون الأعلى أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون وقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (٨١) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام

ابن عبيد الله حدثنا محمد بن جابر عن علي بن الأقرع عن الأغر أبي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا يقظ الرجل امرأته من الليل فصليها ركعتين كانتا لك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقدر رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن الأغر أبي مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قلت يا رسول الله أي العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم الذي أكرم الله كثيرا قال قلت يا رسول الله ومن الغازی في سبيل الله تعالى قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويحتضب دمالكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن عن العلاء عن أبيه عن

الذباب لا يجمع عنده وأنه أسرع الأشجار نباتا واما تمداد وارتفعا قال ابن جزي وخص الله القرع لأنه يجمع برد الظل ولين المس وكبر الورق وان الذباب لا يقربه فان جسد يونس حين ألقى لم يكن يتحمل الذباب وقيل اليقطين شجرة التين وقيل الموز وقال سعيد بن جبیر اليقطين كل شيء يذهب على وجه الارض وعنه قال انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذته الحوت وهو معنى قوله (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) هم قومه الذين هرب منهم الى البحر وجرى له ماجرى بعدهر به كما قصه الله علينا في هذه السورة وهم أهل نينوى قال قتادة أرسل الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل ان يصيبه ما أصابه وأوفى قوله أو يزيدون قيل بمعنى الواو والمعنى يزيدون وقال القراء أو ههنا بمعنى بل وهو قول مقاتل والكلبي وأبي عبيدة وقال المبرد والزجاج والاختفأ أو ههنا على أصله والمعنى أو يزيدون في تقدير كم اذا راهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون فالشك انما دخل على حكاية قول المخلوقين وقرأ جعفر بن محمد دويزدون بدون ألف الشك قال السمين الشك بالنسبة الى المخاطبين والاجهاف بالنسبة الى ان الله أتهم أمرهم والاباحة بالنسبة الى الناظر وكذلك التخيير أي هو مخير بين أن يجزهم كذا او كذا وقد وقع الخلاف بين المفسرين هل هذا الارسال هو الذي كان قبل التقام الحوت له ونسكون الواو في وأرسلناه لجرد الجمع بين ما وقع له مع الحوت وبين ارساله الى قومه من غير اعتبار تقديم ما تقدم في السياق وتأخير ما تأخر أو هو ارسال له بعد ما وقع له من الحوت ما وقع على قولين وقد قدمنا الاشارة الى الاختلاف بين أهل العلم هل كان قد أرسل قبل أن يهرب من قومه الى البحر أو لم يرسل الا بعد ذلك والراجح انه كان رسولا قبل أن يذهب الى البحر كما يدل عليه ما قدمنا في سورة يونس وبقي مستمر على الرسالة وهذا الارسال المذكور هنا هو بعد تقدم نبوته ورسالته قال سعيد بن جبیر انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذته الحوت ثم نلافبذناه بالعراء الى قوله الى مائة ألف أو يزيدون وقد قدم ما يدل على ان رسالته كانت من قبل ذلك وليس في الآية ما يدل على ما ذكره كما قدمنا وقيل يجوز ان يكون ارساله الى قوم آخرين غير القوم الاولين وفيه بعد وأخرج الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله هذا قال يزيدون عشرين ألفا قال الترمذي غريب وكذا روى عن الكلبي ومقاتل وعن ابن عباس قال

(١١ فتح البيان ثامن) أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فأتى على جدان فقال هذا جدان سير واقدم سبق المفردون قالوا وما المفردون قال صلى الله عليه وسلم الذاكرون الله كثيرا ثم قال صلى الله عليه وسلم اغفر للمعلقين قالوا والمقصرين قال صلى الله عليه وسلم اغفر للمعلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن المنى حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة قال انه بلغني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عمل

آدمي عملاق أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل وقال معاذ رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من نعاطي الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ذكر الله عز وجل وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زياد بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا سأله فقال أي الجاهدين (٨٢) أعظم أجرا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله تعالى ذكر قال فاي

الصائين أكثر أجر قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله عز وجل ذكرنا ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله ذكر فقال أبو بكر عمر رضي الله عنهم اذهب اذا كرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل وسند ذكر ان شاء الله تعالى بقية الاحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا الآية وقوله تعالى اعد الله لهم مغفرة وأجر عظيما خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي ان الله تعالى قد أعد لهم أيها لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجر عظيما وهو الجنة (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل لا مبينا) قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه

يزيدون ثلاثين ألفا وروى عنه انهم يزيدون بضعة وثلاثين ألفا وكذا روى عن الحسن وروى عن ابن عباس انهم يزيدون بضعة وأربعين ألفا وقال سعد بن جبير سبعين ألفا ولا يتعلق بالخلاف في هذا كثير فائدة (فأمنوا فنعناهم الى حين) أي وقع منهم الايمان بعد ما شاهدوا أعلام نبوته فتمتعهم الله في الدنيا الى حين انقضاء آجالهم ومنتهى أعمارهم ولما كانت قريش وقبائل من العرب يزعمون ان الملائكة بنات الله أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم باستفتائهم على طريقة التقرير والتوبيخ فقال (فاستفتهم) أي استخبرهم يا محمد (أربك البنات ولهم البنون) أي كيف يجعلون لله على تقدير صدق ما زعموه من الكذب أدنى الجنسين وأوضعهما وهو الالاناث ولهم أعلما وأرفعهما وهم الذكور وهل هذا الا حيف في القسمة لتضعف عقولهم وسوء ادراكهم ومثله قوله ألكم الذكرو له الاثني تلك اذا قسمة ضيزى ثم زاد في توبيخهم وتقريرهم فقال (أم خلقنا الملائكة انا ما نهم شاهدون) فأنسب عن الكلام الاول الى ما هو أشد منه في التبكيت والتكلم بهم أي كيف جعلوهم انا ما نهم لم يحضروا عند خلقنا لهم وهذا كقولهم وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا ما نهم واولادهم فبين سبحانه ان مثل ذلك لا يعلم الا بالمشاهدة ولم يشهدوا ولا دل دليل على قولهم من السمع ولا هو مما يدرك بالعقل حتى ينسبوا ادراكه الى عقولهم ثم أخبر سبحانه عن كذبهم فقال (الانهم من افكهم يقولون ولدا لله وانهم لكاذبون) استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لا بطلان مذهبهم الفاسدين ان انه ليس مبناه الا الافك الصريح والافتراء القبيح من دون دليل ولا شبهة دليل فانه لم يلد ولم يولد قرأ الجهور وولد الله فعلا ماضيا مسندا الى الله وقرئ باضافة ولد الى الله على انه خبر مبتدأ محذوف أي يقولون الملائكة ولد الله والولد بمعنى مفعول يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ثم كرر سبحانه توبيخهم وتوبيخهم فقال (أصطفى البنات على البنين) قرأ الجهور بفتح الهمزة على انه الاستفهام الانكاري وقد حذف معها همزة الوصل استغناء بها عنها وقرئ بهمزة وصل ثبت ابتداء وتسقط درجاو يكون الاستفهام منويا فانه الفراء وحذف حرفه للعلم به من المقام أو على ان أصطفى وما بعد به بدل من الجلة المحكية بالقول وعلى تقدير عدم الاستفهام والبدل فقد حكى جماعة من المحققين منهم الفراء ان التوبيخ يكون بالاستفهام وبغير استفهام كما في قوله

وسلم انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الاسديّة رضي الله عنها أذهبتم نقطهم افتات است بناكته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فانكحيه قالت يا رسول الله أو امرني نفسي فيبينهما يتعد ثمان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمر الاية قالت قدرضيته لي يا رسول الله منكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت اذا الأعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسي وقال ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد

ابن حارثة رضى الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبنا وكانت امرأة فيها حدة فأرسل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان انها نزلت في زينب بنت جحش رضى الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه فامتعت ثم أجابت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضى الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء يعنى بعد صلح الحديبية فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت فزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه يعنى والله أعلم (٨٣) بعد فراقه زيد فسخطت هى وأخوها وقال

انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمر الى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال فذلك خاص وهذا اجمع وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ميمون بن عبد بن ثابت البناني عن أنس رضى الله عنه قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الأنصار الى أبيها فقال حتى أستأمر امها فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم اذا قال فانطلق الرجل الى امرأته فذكر ذلك لها فقالت لاها الله اذن ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الاجليبيبي وقد منعناها من فلان وفلان قال والجارية في سترها تسمع قال فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقالت الجارية أتريدون ان تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ان كان قدرضيه لكم فانكعوه قال فكانها جلست عن أبيها وقالت صدقت فذهب أبوها الى رسول الله

أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقيل هو على ضمير القول والاصطفاء أخذ صفوة الشيء (مالكم كيف تحكمون) جملتان استنفهاتان ليس لاحدهما تعلق بالآخرى من حيث الاعراب استفهمهم أو لاعما استقر لهم وثبت استفهام انكار وإنما استنفهم تعجب من هذا الحكم الذى حكموا به والمعنى أى شئ ثبت لكم كيف تحكمون الله بالبنات وهو القسم الذى تكبرهونه ولكم بالبنين وهو التسم الذى تحبونه (أفلا تذكرون) أى تذكرون والمعنى الاتعبرون وتفكرون فتذكرون بطلان قولكم (أم لكم سلطان مبين) أى حجة واضحة ظاهرة على هذا الذى تقولونه ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من مستند حسى أو عقلى وحيث اتفق كلاهما فلا بد من مستند نقلى وهو اخبار عن توبىح الى توبىح وانتقال من تفرغ الى تفرغ (فأتوا بكتابكم) أى فأتوا بحجتكم الواضحة على هذا وأتوا بالكتاب الذى ينطق لكم بالحجة ويشتمل عليها (ان كنتم صادقين فيما تقولونه) وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفتات للغيبة للايدان بانقطاعهم عن درجة الخطاب واقتضاء طاهلهم ان يعرض عنهم وتحكى جنائياتهم للاخرين قال أكثر المفسرين ان المراد بالجنة هنا الملائكة قيل لهم جنة لانهم لا يرون وقال مجاهد هم بطن من بطون الملائكة يقال لهم الجنة وقال أبو مالك انما قيل لهم الجنة لانهم خزان على الجنان والنسب الصهر قال قتادة والكلبي قالوا العنهم الله ان الله صاهر الجن فكانت الملائكة من أولادهم قالوا والقائل بهذه المقالة اليهود وقال مجاهد والسدى ومقاتل ان القائل بذلك كناية وخراعة قالوا ان الله خطب الى سادات الجن فزوجوه من سرورات بناتهم فالملائكة بنات الله من سرورات بنات الجن وقال الحسن أشركوا الشيطان فى عبادة الله فهو النسب الذى جعلوه وقال ابن عباس زعم أعداء الله انه تبارك وتعالى هو وابليس أخوان ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) أى علموا ان هؤلاء الكفار الذين قالوا هذا القول يحضرون النار ويعذبون فيها الكذبهم فى قولهم ذلك والمراد به المبالغة فى التكذيب ببيان ان الذين ادعى هؤلاء انهم تلك النسبة ويعلمون انهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم فى ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤبدا وقيل علمت الجنة انهم أنفسهم يحضرون للعساب والاولى لان الاحضار اذا أطلق

صلى الله عليه وسلم فقال ان كنت رضىته فقد رضىناه قال صلى الله عليه وسلم فانى قدرضيته قال فزوجها ثم فرغ أهل المدينة فركب جليبيب فوجدوه قد قتل وحوله ناس من المشركين قد قتلهم قال أنس رضى الله عنه فلقد رأيتها وانها من انفق بيت بالمدينة وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد يعنى ابن سامة عن ثابت عن كنانة بن نعيم العدوى عن أبي برزة الاسلمى قال ان جليبيبا كان امرأ يدخل على النساء يمرنهن ويلاعنهن فقلت لامرأتى لا تدخلن عليك جليبيبا فانه ان دخل عليك لا فعلن ولا تفعلن قالت وكانت الانصار اذا كان لاحد ايم لم يزوجها حتى يعلم هل النبي صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل

حكّم الله ورسوله بشئ فليس لاحد مخالفته ولا اختيار لاحدهما ولا رأى ولا قول كما قال تبارك وتعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلووا تسليما وفي الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه ما احبته به ولهذا شد في خلاف ذلك فقال ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا كقوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم (واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه (٨٥) فلما قضى زيد منها وطرا زوجنا بها الكيلا

يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم اذ اقضوا منهم نكاحا كان امر الله مفصلا) يقول تعالى مخبرا عن نبيه صلى الله عليه وسلم انه قال لمولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه وهو الذي انعم الله عليه أي بالاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وانعمت عليه أي بالعتق من الرق وكان سييدا كبيرا اشانا جليل القدر حبيبا الى النبي صلى الله عليه وسلم يقال له الحب ويقال لانه أسامة الحب بن الحب قالت عائشة رضى الله عنها ما بعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية الأمر عليهم ولو عاش بعده لاستخلفه رواه أحمد عن سعيد بن محمد الوراق ومحمد بن عبيد عن وائل بن داود عن عبد الله بن أبي عنها وقال البزار حدثنا خالد بن يوسف حدثنا أبو عوانة حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا أبو عوانة أخبرني عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال حدثني أسامة بن زيد رضى الله عنهم ما قال كنت في المسجد فأتاني العباس وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهم ما فقلا يا أسامة

اللام مع واو بعدها وروى عنهما انهما قرآ بضم اللام بدون الواو فأما مع الواو فعلى انه جمع سلامة بالواو وجلا على معنى من وحذفت نون الجمع للاضافة وأما بدون الواو فيجتمعا أن يكون جمعوا وانما حذفت الواو خطأ كما حذفت لفظا ويحتمل ان يكون مفردا وحقه على هذا كسر اللام قال النحاس وجماعة أهل التفسير يقولون انه لمن لانه لا يجوز هذا قاض المدينة والمعنى ان الكفار وما يعبدونه لا يقدرّون على اضلال أحد من عباد الله الا من هو من أهل النار وهم المصرون وانما يصبر على الكفر من سبق القضاء عليه بالشقاوة وانه من يصلى النار أى يدخلها ثم قال الملائكة مخبرين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما حكاها الله سبحانه عنهم (ومامنا) في الكلام حذف والتقدير ومامنا أحد أو ومامنا ملك (الاله مقام معلوم) في عبادة الله وقيل التتدبير ومامنا الا من له مقام معلوم مرجح البصر بين التقدير الاول ورجح الكوفيون الثاني قال الزجاج هذا قول الملائكة وفيه مضمحل والمعنى ومامنا ملك الاله مقام معلوم يعبد به فيه لا يتجاوز وقيل مقام معلوم في القرية والمشاهدة وقيل يعبد الله على مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا والاول وأولى وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين أى ومامنا الاله مقام معلوم في الجنة أو بين يدي الله في القيامة وفيه بعد ثم قالوا (وانا نحن الصافون) أى في مواقف الطاعة وحول العرش داعين للمؤمنين قال قتادة هم الملائكة صفوا أقدامهم وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الارض أو نحن الصافون له في الصلاة وهذا على القول الثاني انهم المؤمنون والاول أظهر (وانا نحن المسجون) أى المنزهون لله المقدمون له عما أضافه اليه المشركون وقيل المصلون وقيل المراد بقوله هم المسجون مجموع التسبيح باللسان وبالصلاة والمقصود ان هذه الصفات هي صفات الملائكة وليسوا كما وصفهم به الكفار من انهم من بنات الله وعن ابن عباس قال هذه الملائكة وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما في السماء موضع قدم الا عليه ملك ساجدا وقام وذلك قول الملائكة ومامنا الاله مقام معلوم وانا نحن الصافون أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه وغيرهم وعن العلامين سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يوما لصحابه أظت السماء وحق لها ان تظ ليس فيها موضع قدم الا عليه ملك راكع أو ساجد ثم قرأ وانا نحن الصافون وانا نحن المسجون أخرجه محمد بن نصر وابن عساكر وعن ابن

استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقلت على والعباس يستأذنان فقال صلى الله عليه وسلم أتدري ما حاجتكم قلت لا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم لكني أدري قال فأذن لهما قال لا يا رسول الله جئناك لتخبرنا أى أهلك أحب اليك قال صلى الله عليه وسلم أحب أهلي الى فاطمة بنت محمد قال لا يا رسول الله ما نسألك عن فاطمة قال صلى الله عليه وسلم فاسامة بن زيد بن حارثة الذي انعم الله عليه وانعمت عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوجها بانه عمته زينب بنت جحش الاسديّة رضى الله عنها وأما أميمة بنت عبد المطلب وأصدقها عشرة دنانير وستين درهما

ونجارا ولحفه ودرعا وخسين مدامن طعام وعشرة أمدا من تمر قاله مقاتل بن حيان فكثت عنده قريمان سنة أو فوقها ثم وقع بينهم ما جاز يد يشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أمسك عليك زوجك واتق الله قال الله تعالى وتختفي في نفسك ما الله مبديه وتختفي الناس والله أحق أن تخشاه ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفا لعم صحتها فلا نورد لها وقد روى الإمام أحمد ههنا أيضا من رواية جاد بن زيد عن ثابت عن أنس رضى الله (٨٦) عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضا وقد روى البخارى أيضا بعضه مختصرا فقال

حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا معلى بن منصور عن جاد بن زيد حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ان هذه الآية وتختفي في نفسك ما الله مبديه نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضى الله عنهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هشيم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألتني علي بن الحسين رضى الله عنهما ما يقول الحسن في قوله تعالى وتختفي في نفسك ما الله مبديه فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل ان يتزوجها فلما أتاه زيد رضى الله عنه ليشكوها اليه قال اتق الله وأمسك عليك زوجا فقال قد أخبرتك انى مزوجكها وتختفي في نفسك ما الله مبديه وهكذا روى عن السدى انه قال نحو ذلك وقال ابن جرير حدثني اسحق بن شاهين حدثني خالد بن داود عن عامر عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لو كنتم محمد صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى اليه من كتاب الله تعالى

مسعود قال ان من السموات اسماء ما فيها موضع شبر الا وعليه جبهة مملكت أو قدماء فأما أو ساجدا ثم قرأ وانالخن الصافون وانالخن المسجون وأخرج الترمذى وحسنه وابن جرير وابن مردويه عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انى أرى ما لاترون وأسمع ما لاتسمعون ان السماء أظت وحق لها ان تنط ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله قيل الا يطيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحنينها وقد ثبت في الصحيح وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر أصحابه بان يصفوكا تصف الملائكة عند ربهم فقالوا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يقيمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف قال القرطبي قال مقاتل هذه الآيات الثلاث نزلت ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند سدرة المنتهى فأتى جبريل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهنا تفارقنى فقال جبريل ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني هذا وأترل الله حكايته عن قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم الى آخرها (وان كانوا يقولون) ان محففة من الثقيلة وفيها نهير شان محذوف واللام هى الفارقة بينها وبين النافية أى وان الشأن كان كفار العرب ليقولون الخ وهذا رجوع الى الاخبار عن المشركين أى كانوا قبل المبعث المحمدي اذا عيروا بالجهل قالوا (لو أن عندنا ذكرا من الاولين) أى كتابا من كتبهم كالتوراة والانجيل (لكنا عباد الله المخلصين) أى لخالصنا العبادة ولم نكفر بذكر كفروا فجاءهم الذكرا الذى هو سيدنا الذى كروا الكتاب الذى هو معجز من بين الكتب (فيكفروا به) قال ابن عباس لما جاء المشركين من أهل مكة ذكرا الاولين وعلم الآخريين كفروا بالكتاب والفاء هى الفصيحة الدالة على محذوف مقدر فى الكلام قال الفراء تتديره فجاءهم محمد بالذكرا فكفروا به وهذا على طريق التعجب منهم ونظير ذلك قوله فى سورة فاطر وأفسهوا بالله جهداً يمانهم لئن جاءهم نذير ليكفرن به لئلا يهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا والمراد بالنذير الرسول وقد قيل هنا أن الذكرا هو الرسول (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم ومعينة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وفى هذا تهديد لهم شديد ولقد سبقنا كلمنا العبادنا المرسلين) مستأنفة مقررة للوعيد وتصديرها بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونها أى وبالله والمراد بالكلمة ما وعدهم الله به من النصر والغلبة والظفر على الكفار

لكتم وتختفي في نفسك ما الله مبديه وتختفي الناس والله أحق أن تخشاه وقوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها قال الوطر هو الحاجة والارب أى لما فرغ منها وفاقها زوجناكها وكان الذى ولي تزويجها منه الله عز وجل بمعنى أنه أوحى اليه ان يدخل عليها بلاولى ولا عقد ولا مهر ولا شهود من البشر قال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم اخبرنا النضر حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال لما انقضت عدت زينب رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذا كرها على فانطلق حتى أتاهوا وهى تحمى رجليها قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع ان أنظر اليها

وأقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليته اظهري ونكصت على عقبي وقلت يا زينب أبعثي رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤمر ربي عز وجل فقامت الى مسجد ها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه باغير اذن ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أطمعنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل صلى الله عليه وسلم يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقبلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك فأدري انا (٨٧) أخبرني ان القوم قد خرجوا وأخبر فانطلق

حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى السترين بي وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الآية فكلمها ورواه مسلم والنسائي من طرق عن سليمان بن المغيرة به وقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ان زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفرغ على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات وقد منا في سورة النور عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تناخرت زينب وعائشة رضي الله عنهما فقالت زينب رضي الله عنها أنا التي نزل تزويجي من السماء وقالت عائشة رضي الله عنها أنا التي نزل عذري من السماء فاعترف لها زينب رضي الله عنهما وقال ابن جرير حدثنا ابن جهم حدثنا جرير عن المغيرة عن الشعبي قال كانت زينب رضي الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادلي عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدلي بهن ان جدي وجدك واحد

قال مقاتل عنى بالكلمة قوله سبحانه كتب الله لا غلبن أنا ورسلي وقال الفراء سمعت كتماناً بالسعادة لهم والاولى تفسر هذه الكلمة بما هو مذكور هنا فانه قال (انهم لهم المنصورون) فهذه هي الكلمة المذكورة سابقا وهذا تفسير لها وانما سماها كلمة وهي كلمات لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة فهو مجاز من اطلاق الجزء على الكل (وان جندنا) المراد بجند الله حربه وهم الرسل وأتباعهم والجند الانصار والاعوان والجمع اجناد وجنود والواحد جندي فالياء للوحدة من روم ورومي وجند بفتحين بلدي باليمن قال الشيباني جاءنا على الجمع يعني قوله (انهم الغالبون) من أجل انه رأس آية وهذا الوعد لهم بالنصر والغلبة لا ينافيه انهم زمامهم في بعض المواطن وغلبة الكفار لهم فان الغالب في كل موطن هو انتصارهم على الاعداء وغلبتهم لهم فخرج الكلام فخرج الغالب على ان العاقبة المحودة لهم على كل حال وفي كل موطن كما قال سبحانه والعاقبة للمتقين والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة وعن ابن عباس ان لم ينصر وافي الدنيا نصر وافي العقبى والحاصل ان قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة فالعبرة للغالب ويعطى الاكثر حكم الكل ويلحق التليل بالعدم أو الغلبة باعتبار عاقبة الحال وملاحظة المال ثم أمر الله سبحانه رسوله بالاعراض عنهم والانغاض عما يصدر منهم من الجهالات والضلالات فقال (فقول عنهم حتى حين) أي أعرض عنهم الى مدة معلومة عند الله سبحانه وهي مدة الكف عن القتال قال السدي ومجاهد حتى تأمر لك بالقتال وقال قتادة الى الموت وقيل الى يوم بدر وقيل الى يوم فتح مكة قيل هذه الآية منسوخة بآية السيف والاولى وكن صلى الله عليه وآله وسلم أول الامر مأمورا بالتبليغ والانداز والصبر على أذى الكفار تأل يقال لهم ثم أمر بالجهاد في السنة الثانية من الهجرة قال ابن جرير رحمه الله وغزواته صلى الله عليه وآله وسلم سبع وعشرون غزوة قاتل في ثمان منها بنفسه بدروأحد والمصطلق والخندق وقرظة وخيبر وحنين والطائف انتهى (وأبصرهم) اذ انزل بهم العذاب بالقتل والاسر وما هبأ نالهم (فسوف يبصرون) ذلك عن قريب حين لا ينفعهم الابصار وسوف هنا للوعيد لا للتبعيد اذ ليس المقام مقامه كما تقول سوف أنتقم منك وأنت متي للانتقام قاله

واني أنك حينك الله عز وجل من السماء وان السفر جبريل عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذ اقضوا منهم وطرا أي انما يجنالك تزويجها وفعلا ذلك لتلايق حرج على المؤمنين في تزويج المطلقات الاعداء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة رضي الله عنه فكان يقال له زيد بن محمد فلما قطع الله تعالى هذه النسبة بقوله تعالى وما جعل أدعياءكم أبناءكم الى قوله تعالى ادعوهم لا بانهم هو أقسط عند الله ثم زاد ذلك بيانا وتأكيدا وقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش رضي الله عنهما المطلقة زيد بن حارثة رضي الله عنه ولهذا

قال تعالى في آية التعزيم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم يعجزون الابن الدعوى فان ذلك كان كثيرا فيهم وقوله تعالى وكان أمر الله مفعولا أى وكان هذا الامر الذى وقع قد قدره الله تعالى وحتمه وهو كائن لا محالة كانت زينب رضى الله عنها فى علم الله مستصبر من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا) يقول تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أى فيما أحل له وأمر به من تزويج زينب رضى الله عنها التى طلقها دعيه زيد بن حارثة رضى الله عنه وقوله (٨٨) تعالى سنة الله فى الذين خلوا من قبل أى هذا حكم الله تعالى فى الانبياء قبله

لم يكن اياهم هم بشئ وعليهم فى ذلك حرج وهذا رد على من توهم من المنافقين نقصا فى تزويج امرأته زيدم ولأولاده ودعيه الذى كان قد تنافه وكان أمر الله قدرا مقدورا أى وكان أمره الذى يقدره سبحانه لا محالة وواقعا لا محيد عنه ولا معدل فإشياء كان وما لم يشأ لم يكن (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما) يمدح تبارك وتعالى الذين يبلغون رسالات الله أى الى خلقه ويؤدونها بأماناتها ويخشونه أى يخافونه ولا يخافون أحدا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن ابلاغ رسالات الله تعالى وكفى بالله حسيبا أى وكفى بالله ناصرا ومعيضا وسيدا الناس فى هذا المقام بل وفى كل مقام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قام بآداء الرسالة وابلغها الى أهل المشارق والمغرب الى جميع أنواع بنى آدم وأظهر الله تعالى كلمته ودينه وشرعه على جميع

الكرخى ولذا عبر بالابصار عن قرب الامر كأنه حاضر قد أمه مشاهد له خصوصا اذا قيل ان الامر للنور وقيل يصرون العذاب يوم القيامة ثم هددهم سبحانه بقوله (أفبعذابنا يستجلبون) كانوا يقولون من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب (فأذا نزل بساحتهم) اذا نزل عذاب الله لهم بفنائهم والساحة فى اللغة فناء الدار الواسع الخالى من الابنية وجعها سوح قال الفراء نزل بهم ونزل بساحتهم سواء قال الزجاج وكان عذاب هؤلاء بالقتل قيل المراد به نزول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بساحتهم يوم فتح مكة شبه العذاب بجيش هجم عليهم فأناخ بفنائهم بعتة وهم فى ديارهم فى الضمير المستمر فى نزل استعارة بالكناية والنزول تخييل قرأ الجهور نزل مبنيا للفاعل وقرئ مبنيا للمفعول والجار والمجرور قائم مقام الفاعل (فساء صباح المنذرين) أى بس صباح الذين أنذروا بالعذاب والخصوص بالذم محذوف أى صباحهم وخص الصباح بالذم لان العذاب كان يأتيهم فيه وان وقع فى وقت آخر وفى التعبير بالمنذرين اقامة النظاير مقام المضمر واللام للجنس لا للعهد فان أفعال الذم والمدح تقتضى الشروع للابهايم والتفصيل فلا يجوز أن تقول بس الرجل هذا ونعم الرجل هذا اذا أردت رجلا بعينه أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس قال صحى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خيبر وقد خرجوا بالاساحى فلما نظروا اليه قالوا محمد والنبي فقال الله أكبر خربت خيبرانا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين الحديث ثم كر سبحانه ماسبق تأكيدا للوعيد بالعذاب وتسلية على تسليته فقال (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) - مذهب مفعول أبصر هنا وذكروا أولا اما دلالة الاول عليه فتركه هنا اختصارا أو قصد الى التعميم للايدان بان ما يبصره من أنواع عذابهم لا يحيط به الوصف وقيل هذه الجملة المراد بها أحوال القيامة والجملة الاولى المراد بها عذابهم فى الدنيا وعلى هذا فلا يكون من باب التاكيد بل من باب التأسيس ثم نزه سبحانه نفسه عن قبيح ما يصدرونهم فقال (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) العزة الغلبة والقوة المراد تنزيههم عن كل ما يصفونه مما لا يليق بجناب الشريف ورب العزة بدل من ربك وأضيف الرب الى العزة لاختصاصها بها كأنه قيل لذي العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه به وقيل المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه ويترب على القولين مسئله اليمين فعلى الاول يتعقدها اليمين لانها صفة من صفاته بخلاف الثانى فإنه

لا يعتقد الاديان والشرائع فإنه قد كان النبي قبله انما يعث الى قومه خاصة وأما هو صلى الله عليه وسلم فإنه بعث الى جميع الخلق عزمهم وعجمهم قلى اياهم الناس انى رسول الله اليكم جميعا ثم ورت مقام البلاغ عنه أمته من بعده فكان أعلى من قام بها بعده أصحابه رضى الله عنهم بلغوا عنه كما أمرهم به فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله فى ليله ونهاره وحضره وسفره وسره وعلايته فرضى الله عنهم وأرضاهم ثم ورثه كل خلف عن سلفهم الى زماننا هذا فنورهم يقتدى المهتدون وعلى من جههم بسلك الموفقون فنسأل الله الكريم المنان أن يجعلنا من خلفهم قال الامام أحمد حدثنا ابن غير أخبرنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن ابي يعقوب عن ابي سعيد

الحذري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقرن أحدكم نفسه ان يرى أمر الله فيه فقال ثم لا يقوله فيقول الله ما يمنعك ان تقول منه فيقول رب خشيت الناس فيقول فانا أحق أن يخشى ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن الثوري عن زيد بن عمرو بن مرة ورواه ابن ماجه عن أبي كريب عن عبد الله بن عمر وأبي معاوية كلاهما عن الأعمش به وقوله تعالى ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ثم ان يقال بعد هذا زيد بن محمد أى لم يكن أباه وان كان قد بناه فانه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولاد كرحى بلغ الحلم فانه صلى الله عليه وسلم ولده القاسم والطيب والظاهر من خديجة رضى (٨٩) الله عنها فاقوا صغار او ولده صلى الله

عليه وسلم ابراهيم من مارية القبطية فأت أيضا رضيعا وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات زينب ورقية وام كاثوم وفاطمة رضى الله عنهم أجمعين فأت في حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث وتأخرت فاطمة رضى الله عنها حتى أصيبت به صلى الله عليه وسلم ثم ماتت بعده لسته أشهر وقوله تعالى وليكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما كقوله عز وجل الله أعلم حيث يجعل رسالته فهذه الآية نص في انه لا نبى بعده واذا كان لا نبى بعده فلا رسول بالطريق الاولى والاحرى لان مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبى ولا يعكس وبذلك وردت الاحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال منلى في النبيين كمثل

لا ينعقد بها اليقين قاله السمين ثم ذكر ما يدل على تشريف رسوله وتشكرهم فقال (وسلام على المرسلين) أى الذين أرسلهم الى عباده وبلغوا رسالاته وهومن السلام الذى هو التحية وقيل معناه أمن لهم وسلامته من المكروه أخرج ابن سعد وابن مردويه عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمتم على المرسلين فسلموا على قائمها بآبائهم من المرسلين وعن أنس مر فوعانخوه باطول منه عند ابن مردويه وعمه الرسل بالسلام بعد ما خص البعض فى السورة لان فى تخصيص كل بالذ كرتطوبلا (والحمد لله رب العالمين) ارشاد لعباده الى حده على ارسال رسوله اليهم بشرين ومنذرين وعلهم لهم كيف يصنعون عند انعامه عليهم وما يتنون به عليه وقيل انه الحمد على هلاك المشركين ونصر الرسل عليهم والاولى انه حمد الله سبحانه على كل ما أنعم به على خلقه أجمعين كما يفيد حذف الحمد عليه فان حذفه مشعرا بالتحميم كما تقرر فى علم المعاني والحمد هو الثناء الجميل لقصد التعميم عن أى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا أراد ان يسلم من صلاته قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى وابن مردويه وأخرج الطبرانى عن ابن عباس قال كان يعرف انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة بقوله سبحان ربك الى آخرها وأخرج الخطيب نحوه من حديث أى سعيد وأخرج الطبرانى عن زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من قال دبر كل صلاة سبحان ربك الآيات ثلاث مرات فقد اكال بالميكال الاوفى من الاجر وأخرج حميد بن زنجويه فى ترغيبه عن علي بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه نحوه وعن علي رضى الله تعالى عنه من أحب أن يكال بالميكال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخرها ذكره النسقى والخازن قال النسقى اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون فى الله ونسبوه اليه مما هو منزله عنه وما عاناها المرسلون من جهتهم وما خولوه فى العاقبة من النصر عليهم فغتمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفت به المشركون والتسليم على المرسلين والحمد لله رب العالمين على ما قبض لهم من حسن العواقب (٣)

* (سورة ص آياتهم است وعمانون وقيل خمس وعمانون وقيل ثمان وعمانون آية) *

(١٢ فتح البيان ثامن) رجل بى دارا فاحسنها أو كملها وتركت في موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبيان ويحجون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة فانا فى النبيين موضع تلك اللبنة ورواه الترمذى عن بندار عن أى عامر العقدي به وقال حسن صحيح حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا المختار بن فلفل حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرسالة والتبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى قال فسق ذلك على الناس فقال ولكن المبشرات قالوا يا رسول الله وما المبشرات قال رؤيا بالرجل المسلم وهو حر من أجزاء النبوة وهكذا رواه الترمذى عن (٣) تمت التقييدات فى ٢٦ رمضان ذوالفقار

الحسن بن محمد الزعفراني عن عفان بن مسلم به وقال صحيح غريب من حديث المختار بن فلفل حديث آخر قال أبو داود الطيالسي حدثنا سليم بن حيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فاكلها وأحسنها الأموضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها الأموضع هذه لبنة فانا موضع اللبنة ختمت بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ورواه البخاري ومسلم والترمذي من طرق عن سليم بن حيان به وقال الترمذي صحيح غريب من هذا الوجه قال الامام أحمد (٩٠) حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا فآتمها اللبنة واحدة فحتمت انا فاتممت تلك اللبنة انفراد باخراجه مسلم من رواية الاعمش به حديث آخر قال أحمد حدثنا يونس ابن محمد حدثنا جاد بن زيد حدثنا عثمان بن عبيد الراصي قال سمعت أبا الطفيل رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبوة بعدى الا المبشرات قبل وما المبشرات يا رسول الله قال الرويا الحسنة أو قال الرويا الصالحة حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عمر بن همام ابن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتافا كملها وأحسنها وأجلها الأموضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان ويقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت أنا اللبنة أخرجه من حديث عبد الرزاق

أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقال ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فتميته فبعث اليه خباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل فغشى أبو جهل ان يجلس الى أبي طالب ويكون أرقى عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس فلم يجدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب اي ابن أخي ما بال قومك يشكونك يزعمون انك تشتم آلهتهم وتقول وتقول قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا عم اني اريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهممهم بالعرب وتؤدي اليهممهم بالعجم الجزية ففرز عوال كلمته واقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وايبك عشر اقالوا فغاهى قال لا اله الا الله فقاموا فزعين ينفضون شياهم وهم يقولون اجعل الآلهة الها واحد ان هذا الشيء عجيب فنزل فيهم ص والقرآن ذى الذكر الى قوله بل لما يذوقوا عذاب أخرجه الترمذي وصححه والنسائي وأحمد وابن أبي شيبه وعبد بن جيد والحكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن جرير وابن المنذر

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(ص) قرأ الجمهور صا بسكون الدال كسائر حروف التهجى في أوائل السور فانها ساكنة الا واخر على الوقف وقرئ بكسرهما من غير تنوين لالتقاء الساكنين وهذا أقرب وقيل وجه الكسر انه من صادى يصادى اذا عارض والمعنى صاد القرآن بعملك أى عارضه وقابله فاعمل به وهذا حكاية النحاس عن الحسن البصرى وقال انه فسر قراءة هذه بهذا وعنه ان المعنى اتله وتعرض لقراءة ته وقرئ صاد بفتح الدال والفتح لالتقاء الساكنين وقيل نصب على الاعراء وقيل معناه صاد محمد لقلب الخلق واسمها الها حتى آمنوا به ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو وروى عن ابن أبي اسحق أيضا انه قرأ صا دبا لكسر والتنوين تشبيها لهذا الحرف بما هو غير متمكن من الاصوات وقرئ صا دبا لضم من غير تنوين على البناء نحو مندو حيث كما قرئ بفتح ق ون وقد بسط السمين الكلام على توجيه الكل وقال الحنفى واى يجوز الساكن على الحكاية والفتح لمنع الصرف للعليسة والتأنيث باعتبار ان هذا الاسم علم على السورة والجرم التنوين نظرا الى كون السورة قرآنا ويقال لها سورة

داود

حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا قال مسلم حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وعلي بن حجر قالوا

حدثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختمت بي النبيون ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث اسمعيل بن جعفر وقال الترمذي حسن صحيح حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ابى صالح عن ابى سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

منلى ومثل الانبياء من قبل كمثل رجل في دار اقامتها الاموضع لبنة واحدة جفت انا فاقمت تلك اللبنة ورواه مسلم عن ابي بكر بن ابي شيبة وابي كريب كلاهما عن ابي معاوية به حديث آخر قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح حدثنا سعيد بن سويد الكلبي عن عبد الاعلى بن هلال السلمى عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لم يجدل في طيبته حديث آخر قال الزهري اخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لى اسماء انا محمد وانا (٩١) اجد وانا الماسح الذى يحو الله تعالى بى

الكفر وانا الحاسر الذى يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذى ليس بعده نبى اخر جاهى فى الصححين وقال الامام احمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله ابن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال انا النبي الامي ثلاثا ولا نبى بعدى اوتيت فواتح الكلم وجوامعها وخواتمها وعلمت كم خزنة النار وجملة العرش وتجوز بى وعرفت وعرفت امتى فاحموا واطيعوا مادمت فيكم فاذا ذهب بى فعليكم بكتاب الله تعالى احلوا حلاله وحرموا حرامه تفرد به الامام احمد ورواه الامام احمد ايضا عن يحيى بن اسحق عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الله بن شرح الخولاني عن ابي قيس مولى عم روين العاص عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم ما فذ كرمه سواء والا طاب في هذا كثيرة فمن رحمة الله تعالى بالعباد ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم ثم من نشر يفعله ختم الانبياء

داود وقد اختلف فى معنى ص فقال الضحاك معناه صدق الله وقال عطاء صدق محمد وقال سعيد بن جبير هو بحر يحيى الله به الموقى بين النفتين وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم الله وقال قتادة هو اسم من اسماء الله وعنه هو اسم من اسماء الرحمن وقال محمد هو فاتحة السورة وقال ابن عباس من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو مما استأثر الله بعلمه وهو علم عزاده به وهذا هو الحق كما قدمنا فى فاتحة سورة البقرة قيل وهو اسم للعرش مسرود اعلى غط التعديدا واسم للسورة وخبر مبتدأ محذوف او منصوب بانمارا ذكر او اقرا (والقرآن) هى واو القسم والاقسام بالقرآن فيه تبيسه على شرف قدره وعلو محله ومعنى (ذى الذكر) انه مشتق على الذكر الذى فيه بيان كل شئ وقال مقاتل معنى ذى الذكر ذى البيان وقال الضحاك وابن عباس ذى الشرف والعظمة كما فى قوله لقد اترلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أى شرفكم والشهرة وقيل ذى الموعظة وقيل فيه ذكرا يحتاج اليه فى أمر الدين وقيل فيه ذكرا اسماء الله تعالى وتعبده وقيل فيه ذكرا العقائد والشرائع والمواعيد وجواب القسم قوله ان ذلك لخلق قاله الزجاج والكسائى والكوفيون وقال الفراء لا نجد مستقيما لتأخره جدا عن قوله والقرآن ورجح هو وتعلب ان الجواب قوله كم أهلكم وقال الاخفش الجواب هو ان كل الاكذب الرسل وقيل هو صادلان معناه حق فهو جواب لقوله والقرآن كما تقول حقا والله واجب والله ذكرا ابن الانبارى وروى أيضا عن ثعلب والنراء وهو مبنى على ان جواب القسم يجوز تقدمه وهو ضعيف وقيل الجواب محذوف والتقدير لتبعن ونحو ذلك وقال الحوفى تقديره لقد جاءكم الحق ونحوه وقال الزمخشري انه لم يجز والحلى انك لمن المرسلين وقال ابن عطية تقديره ما الامر كما يزعم الكفار من تعدد الآلهة والقول بالحدف أولى وقيل ان قوله ص مقسم به وعلى هذا القول تكون الواو فى القرآن للعطف عليه ولما كان الاقسام بالقرآن الداعلى صدقه وانه حق وانه ليس بعمل للرب قال سبحانه (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) فأضرب عن ذلك وكأنته قال لا ريب فيه قطعاً ولم يكن عدم قبول المشركين له لرب فيه بل هم فى عزة عن قبول الحق أى تكبر ويحجروا شقاق أى امتناع عن قبول الحق يعنى ليس الحامل لهم عليه الدليل بل مجرد الحمية والخصام والتقليد والعزة عند العرب الغلبة والقهر يقال من عزيز أى من غلب أخذ السلب ومنه عزنى فى الخطاب أى غلبنى والشقاق مأخوذ من الشق

والمرسلين بهوا كمال الدين الحنيف له وقد أخبر الله تبارك وتعالى فى كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فى السنة المتواترة عنه انه لا نبى بعده ليعلموا ان كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تحرق وشعبد وأتى بانواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلمها محال وضلال عنسداً ولى الاباب كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يدا الاسود العنسى باليمن ومسيمة الكذاب باليامة من الاحوال الفاسدة والاقوال الباردة ما علم كل ذى اب وفهم وحجى انهما كاذبان ضالان لعنهما الله وكذلك كل مدع لذلك الى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها وهذا من تمام

لطف الله تعالى بخلقهم بضرورة الواقع لا بامر ولا ينهون عن منكر الاعلى سبيل الاتفاق اوليهم فيه من المقاصد الى غيره ويكون في غاية الاذث والنجور في اقوالهم وافعالهم كما قال تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثم الآتية وهذا بخلاف حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة فيما يقولونه ويقعولونه ويأمرون به وينهون عنه مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والادلة الواضحات والبراهين الباهرات فصلوات الله وسلامه عليهم دائماً مستمر امدامت الارض والسموات (يا أيها ٩٢) الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسجدوا بكرة وأصيلاً هو الذي يصلي

وهو الخلاف وانعداوة وقد تقدم بيانه والتسكير فيها للدلالة على شدتها وافتاقهما وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق والاول اولى ثم خوفهم سبحانه وهددهم بما فعله من قبلهم من الكفار فقال (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) يعني الأمم الخالية المهلكة بتكذيب الرسل أي كم اهلكنا الذين كانوا ممنع من هؤلاء وأشدد قوة وأكثر أموالكم هي الخبرة بالدالة على التسكير وهي في محل نصب بأهلكنا على انها مفعول به ومن قرن تميز ومن في من قبلهم هي لابتداء الغاية (فنادوا وولات حين مناص) النداء هنا هو نداء الاستغاثة منهم عند نزول العذاب بهم وليس حين مناص قال الحسن نادوا بالتوبة وليس حين التوبة ولا حين ينفع العمل والمناص مصدر ناص ينوص وهو الفوت والتأخر ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن وقال النخاعة هي الالتي بمعنى ليس زيدت عليها التاء كما في قولهم رب وربت وثمرت قال الفراء النوص التأخر وانشد قول امرئ القيس

أمن ذكرا ليلى اذ نأتك نوص * فتقصرعنها خطوة وتبوص

قال يقول ناص عن قرنه نوص نوصا ومناص أي فتروراغ قال الفراء ويقال ناص ينوص اذا تقدم وقيل المعنى انه قال بعضهم لبعض مناص أي عليكم بالفرار والهزيمة فلما اتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله وولات حين مناص قال سيبويه والخليل لات مشبهة بليس والاسم فيها ضمير أي ليس حينما حين مناص وقال الزجاج التقدير وليس أو انما قال ابن كيسان والقول قول سيبويه والوقف عليها عند الكسائي بالهاء وبه قال المبرد والخنس وقال الخنس انها اللاتائية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنبي الاحيان قال الكسائي والفراء والخليل وسيبويه والخنس والتاء تكتب منقطعة عن حين وكذلك هي في المصاحف وقال أبو عبيد تكتب متصلة بحين فيقال ولا تحين وقد يستغنى بحين عن المضاف اليه قال أبو عبيد لم تجد العرب تزيد هذه التاء الا في حين وأوان والآن قلت قد يزيدونها في غير ذلك أيضا وقال ابن عباس ليس بحين نزول ولا فرار وأخرج ابن أبي من طريق عكرمة عنه قال نادوا النداء حين لا ينفهمه وأنشد

تذكرت ليلى حين لات تذكر * وقد بنت منها والمناص بعيد

وعنه قال ليس هذا حين زوال وعنه قال لا حين فرار وقرأ الجمهور لوات بنتح التاء وقرئ

عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحمة تحييتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) يقول تعالى أمر اعباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصفوف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثني مولى ابن عباس عن أبي بصرية عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اقطاع الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ذكر الله عز وجل وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد ابن ابي عبيد عن زياد مولى ابن عباس عن ابي بصرية واهمه عبد الله ابن قيس البراعمي عن ابي الدرداء رضى الله عنه به قال الترمذي ورواه

بعضهم عنه فأرسله قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات في مسند بكسرها الامام احمد من حديث زياد بن ابي زياد مولى عبد الله بن عباس انه بلغه عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه قاله اعلم وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا روح بن فضالة عن ابي سعيد الحمصي قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول دعاء سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدع الله اعظم شكره وأتبع نصيحتك واكثر ذكره وأحفظ وصيتك ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى عن وكيع عن ابي فضالة الفرج بن فضالة عن ابي سعيد الحمصي عن ابي هريرة رضي الله عنه فذكر

مثله وهال غريب وهلد ارواه الامام احمد ايضا عن ابى النضر هشيم بن القاسم عن فرج بن فضالة عن ابى سعيد المري عن ابى هريرة
 رضى الله عنه فذكره وقال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال سمعت عبد الله بن
 بشر يقول جاء عرابيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما يا رسول الله أى الناس خير قال صلى الله عليه وسلم من طال
 عمره وحسن عمله وقال الآخر يا رسول الله ان شرائع الاسلام قد كثرت علينا فربى بأمر أن شئت به قال صلى الله عليه وسلم لا يزال
 لسانك رطبا بذكر الله تعالى وروى الترمذى وابن ماجه الفصل (٩٣) الثانى من حديث معاوية بن صالح به وقال

الترمذى حديث حسن غريب
 وقال الامام احمد حدثنا شريح
 حدثنا ابن وهب عن عمرو بن
 الحرث قال ان دراجا ابنا السمع
 حدثه عن ابى الهيثم عن ابى سعيد
 الخدرى رضى الله عنه قال ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 اكثر واذا كراته تعالى حتى يقولوا
 مجنون وقال الطبرانى حدثنا عبد
 الله بن احمد حدثنا عقبة بن مكرم
 العمى حدثنا سعيد بن سفيان
 الخدرى حدثنا الحسن بن أبى
 جعفر عن عقبة بن أبى شبيب الراسبي
 عن أبى الجوزاء عن ابن عباس
 رضى الله عنهما قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اذكروا الله ذكرا
 كثيرا (١) يقول
 المتأفقون يراون وقال الامام
 أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى
 هاشم حدثنا شاذان أبو طلحة الراسبي
 سمعت أبى الوازع جابر بن عمرو
 يحدث عن عبد الله بن عمرو رضى
 الله عنهما قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ما من قوم جلسوا
 مجلسا لم يذكر الله تعالى فيه
 الا رآه حسرة يوم القيامة وقال
 على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى

بكسر ها بكير ووجه لات حين مناص في محل نصب على الحال من ضمير نادوا (وعجبوا ان
 جاءهم منذر منهم) أى عجب الكفار الذين وصفهم الله سبحانه بنهم في عزة وشقاق ان جاءهم
 رسول من أنفسهم ينذرهم بالعذاب ان استمروا على الكفر وان وما في حيزها في محل نصب
 بنزع الخافض أى من أن جاءهم وهو كلام مستأنف مشتمل على ذي كرونوع بن أنواع
 كفرهم (وقال الكافرون هـ هذا ساحر كذاب) قالوا هذا القول لما شاهدوا ما جاء به من
 المعجزات الخارجة عن قدرة البشر أى هـ هذا المدعى للرسالة ساحر فيما يظهره من المعجزات
 كذاب فيما يدعيه من ان الله أرسله قيل ووضع الظاهر موضع المضمر لاظهار الغضب
 عليهم وان ما قاله لا يتجاسر على مثله الا المتوغلون في الكفر المزمع ان يكون في الغي اذ لا كفر
 أعظم من أن يسهو من صدقه الله كذابا ساحرا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الا يلبس
 ولا يتعجبوا من الشرك وهو باطل لجلج ثم أنكروا ما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم من
 التوحيد وما نفاه من الشركاء لله فقالوا (أجعل الآلهة) أى صيرها (الها واحدا)
 وقصرها على الله سبحانه (ان هـ الشئ عجب) أى الامر بالغ في العجب الى الغاية تعجبوا من
 هذا القصر والحصر وقالوا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ومنشؤه ان القوم ما كانوا
 أصحاب نظر واستدلال بل كانت أوهامهم تابعة لمعسوسات فلما وجدوا في الشاهد ان
 الفاعل الواحد لا تفي قدرته وعلمه بحفظ الخلائق قاسوا الغائب على الشاهد وان
 اسلافهم لكثرتهم وقوت عقولهم كانوا مطبقين على الشرك توهموا ان كونهم على هـ هذه
 الحال محال أن يكونوا مبطلين فيبدو يكون الانسان الواحد محقا فاعمرى لو كان التقايد
 حقا كانت هذه الشبهة لازمة قاله الكرخى قال الجوهري العجب الامر الذى يتعجب
 منه وكذلك العجب بالضم والعجب بالتحديد أكثر منه قرأ الجمهور عجب بالتحفيف وقرئ
 بتشديد الجيم قال مقاتل بالتحفيف لغة أزدشوية قبل والعجب بالتحفيف والتشديد
 يدل على انه قديم جاوز الحد في العجب كما يقال الطويل الذى فيه طول والطوال الذى قد
 تجاوز حد الطول وكلام الجوهري يفيد اختصاص المبالغة بعجب مشدد الجيم لا بالتحفف
 وقد قدمنا في صدر هذه السورة سبب نزول هذه الآيات (وانطلق الملائمة منهم) المراد بالملا
 الاشراف كما هو مقرر في غير موضع من تفسير الكتاب العزيز عن ابن عباس قال نزلت
 حين انطلق أشراف قريش الى أبى طالب فكلّموه في النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلين

الله عنهما في قوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا ان الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذرا لها في
 حال العذر غير الذكرفان الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحد في تركه الا بما عولوا على تركه فقال اذكروا الله قياما
 وقعودا وعلى جنو بكم بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفرو والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسرو والعلانية وعلى
 كل حال وقال عز وجل وسجوه بكرة وأصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته والاحاديث والآيات والآثار في الحث على
 ذكر الله تعالى كثيرة جدا وفي هذه الآية الكريمة الحث على الاكثار من ذلك وقد صنف الناس في الاذكار المتعلقة باناء الليل والنهار
 (١) بياض باصله

كالنساني والمعمري وغيرهما ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الازكار للشيخ محي الدين النووي رحمه الله وقوله تعالى وسبحوه بكرة وأصيلا أي عند الصباح والمساء كقوله عز وجل فسبحان الله حين تمشون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وقوله تعالى هو الذي صلى عليكم وملائكته هذا تهجيج الى الذكر أي انه سبحانه يذكركم فاذا كروه أنتم كقوله عز وجل كما أرسلنا فيكم رسولا منكم ينالوا عليكم آياتنا ويزكيتكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذا كروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وقال (٩٤) النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى من ذكركني في نفسه ذكركني في

نفسى ومن ذكركني في ملاذكرته في ملاخير منهنم والصلوة من الله تعالى مثاؤه على العبد عند الملائكة حكاية البخاري عن أبي العالية ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عنه وقال غيره الصلاة من الله عز وجل الرحمة وقد يقال لامنافاة بين القولين والله أعلم وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار كقوله تبارك وتعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيات الآية وقوله تعالى ليخرجكم من الظلمات الى النور أي بسبب رحمة بكم وثائه عليكم ودعاء ملائكته لكم ليخرجكم من ظلمات الجهل والضلال الى نور الهدى واليقين وكان بالمؤمنين رحمة أي في الدنيا

بعضهم لبعض (أن امشوا) أي امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه (واصبروا على آلهتكم) أي ابتغوا على عبادتها وقيل المعنى وانطلق الاشراف منهم فقالوا للعوام امشوا واصبروا على آلهتكم وأن هي المفسرة للقول المقدرا ولقوله وانطلق لانه مضمن معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية معمولة للمقدرا وللمذكور أي بأن امشوا وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها أي اجتمعوا أو أكثروا وهو بعيد جدا وخلاف ما يدل عليه الانطلاق والمعنى بحقيقةهما وخلاف ما تقدم في سبب النزول ووجه (ان هذا الشيء يراد) تعليل لما تقدمه من الامر بالصبر أي يريده محمد بننا وأهتنا ويود تمامه من غير صارف يلويه ولا عاطف يفتنه له بلو علينا ونكون له اتباعا فيحتمكم فينا بما يريد فيكون هذا الكلام خارجا عن مجاز التحذير منه والتنفير عنه وقيل ان هذا الامر يريده الله سبحانه وما أرادوه ويحكمهم بامضائه فهو كائن لا محالة ولا يتنعق به الا الصبر فاصبروا على عبادة آلهتكم وقيل المعنى ان دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه أو ان هذا الامر شيء من نواب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وأمر يراد بأهل الارض والاولى (ما سمعنا بهذا) الذي يقوله محمد بن التوحيد (في الملة الاخرة) وهي ملة النصرانية فانها آخر الممل قبل ملة الاسلام كذا قال محمد بن كعب القرظي وقتادة ومقاتل والكلبي والسدي وبه قال ابن عباس وقال مجاهد يعنون به ملة قريش أي التي أدركا عليها آباءنا وعن قتادة مثله وقال الحسن المعنى ما سمعنا ان هذا يكون في آخر الزمان وقيل ان المعنى ما سمعنا من اليهود والنصارى ان محمد رسول الله (ان هذا الاختلاق) أي ما هذا الا كذب اختلقه محمد واقتراه من تلقاء نفسه واقبله ثم استنكروا أن يخص الله رسوله بجزية النبوة دونهم فقالوا (ه أنزل عليه الذكر من بيننا) والاستفهام للانكار أي كيف يكون ذلك ونحن الرؤساء والاشراف قال الزجاج قالوا كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا ونحن أكبر سنا وأعظم شرفا منه وهذا مثل قولهم لو أنزل هذا القرآن على رجل من القريرتين عظيم فأنكر وأن يتفضل الله سبحانه على من يشاء من عباده بما شاء ولما ذكر استنكارهم لتزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دونهم بين السبب الذي لاجله تزكوا التصديق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به فقال (بل هم في شك من ذكرى)

والآخرة أما في الدنيا فإنه هداهم الى الحق الذي جهله غيرهم وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وهداهم من سواهم من الدعوة الى الكفر والبدعة وأساعدهم من الطعام وأما رحمة بهم في الآخرة فآمنتهم من القزع الاكبر وأمر ملائكته يتلقونهم بالبخارة بالنور بالجنة والنجاة من النار وما ذلك الا لمحبتهم لهم ورأفته بهم قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عدي عن جدي عن أنس رضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه رضي الله عنهم وصبي في الطريق فلما رأته أمه القوم خشيت على ولدها أن يوطأ فأقبلت تسمى وتقول ابني ابني وسعت فأخذته فقال القوم يا رسول الله ما كانت هذه لتلقى ابنتي النار قال فخنضهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا والله لا يلقي حبيبه في النار اسناده على شرط الصحيحين ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ولكن في صحيح الامام البخارى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأه من السبي قد أخذت صبيها فإلصقته الى صدرها وأرضعته فقال صلى الله عليه وسلم أترون هذه تلقى ولدها فى النار وهى تقدر على ذلك قالوا لا قال صلى الله عليه وسلم فوالله الله أرحم بعباده من هذه بولدها وقوله تعالى تحييتهم يوم يلقونه سلام الظاهر ان المراد والله أعلم تحييتهم أى من الله تعالى يوم يلقونه سلام أى يوم يسلم (٩٥) عليهم كما قال عز وجل سلام قولنا من رب

رحيم رزعم قتادة ان المراد انهم يحيمون بعضهم بعضا بالسلام يوم يلقون الله فى الدار الآخرة واختاره ابن جرير قلت وقد يستدل له بقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وأخذواهم أن الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى وأعد لهم أجرا كريما يعنى الجنة وما فيها من المآكل والمشرب والملابس والمسكن والمناجى والمناظر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وادعنا الى الله باذنه وسرا جامعا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكبلا) قال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا فليح بن سليمان حدثنا هلال بن على عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهم فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل والله انه لموصوف

أى من القرآن أو الوحي لا عراضهم عن النظر الموجه لصديقه واهمالهم للدلالة الدالة على انه حق منزل من عند الله (بل لما يذوقوا عذاب) أى بل السبب أنهم لم يذوقوا عذابى فأعزوا بطول المهلة ولو ذاقوا عذابى على ما هم عليه من الشرك والشك لصدقوا ما جئت به من القرآن ولم يشكوا فيه وذوقهم له متوقع فاذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا ونصديقهم لا ينزعهم حينئذ لانهم صدقوا مضطرين فقله بل لما يذوقوا اضراب عن الاضراب الاقل خلاف ما يفهم من الكشف من تعلقه بالكلامين قبله (أم) أى بلأ (عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أى مفاتيح نعم ربك وهى النبوة وما هو دونها من النعم حتى يعطوها من شأوا فما لهم ولانكار ما تفضل الله به على هذا النبي واختاره له واصطفاها لرسالته والمعنى ان النبوة عطية من الله تفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز الغالب القاهر الذى لا يغلب الوهاب المعطى بغير حساب الذى له أن يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم شرح ذلك فقال (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) أى بل لهم ملك هذه الاشياء حتى يعطوا من شأوا ويعنوا من شأوا ويعترضوا على اعطاء الله سبحانه ما شاء والمعنى انه ليس لهم مدخل فى أمر هذا العالم الجسمانى الذى هو جزاء يسير من خزائنه فنأين لهم أن يتصرفوا فيها وقوله (فليرتقوا فى الاسباب) جواب شرط محذوف أى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى الاسباب أى المعارج والمناجى والطرق التى توصلهم الى السماء والى العرش حتى يستروا عليه ويحكموا بما يريدون من عطاء ومنع ويديروا أمر العالم بما يشتهون أو فليصعدوا ولمنعوا الملائكة من نزولهم بالوحي على محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاسباب أبواب السموات التى تنزل الملائكة منها فآله مجاهد وقتادة قال الربيع بن أنس الاسباب أدق من الشعر وأشد من الحديد ولكن لا ترى وقال السدى فى الاسباب فى الفضل والدين وقيل فليعملوا فى أسباب القوة ان ظنوا انها مانعة وهو قول أبى عبيدة وقيل الاسباب الجمال أى ان وجدوا حبالا يصعدون فيها الى السماء فعملوا والاسباب عند أهل اللغة كل شئ يتوصل به الى المطلوب كأنما كان وفى هذا الكلام تهكم بهم وتعجيز لهم قال ابن عباس الاسباب السماء أى لانها أسباب الحوادث السفلية (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) هذا وعد من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر عليهم والظفر وجند

فى التوراة ببعض صفة فى القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرز اللامين فانت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا مخاب فى الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله فيفتحها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبنا غلما وقد رواه البخارى فى البيوع عن محمد بن سنان عن فليح بن سليمان عن هلال بن على به ورواه فى التفسير عن عبد الله قبيلى ابن رجا وقيل ابن صالح عن عبد العزيز بن أبى سلمة عن هلال بن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو به ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن عبد الله بن رجا عن عبد العزيز بن أبى سلمة الماحشون به وقال البخارى

في السبوع وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وقال وهب بن منبه ان الله تعالى أوحى الى نبي من أنبياء بني اسرائيل يقال له شعيا ان قم في قومك بني اسرائيل فاني منطلق لسانك بوحى وأبعث أميما من الأميين أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق لو يمر الى جنب سراج لم يظننه من سكينته ولو يمسي على القصب لم يسمع من تحت قدميه أبعته مبشرا ونذيرا لا يقول الخنى افتح به أعينا كلها وأذا ناصما وقلوبا غلقا أسدده لكل أمر جميل وأهبله كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبرشعارة والتقوى (٩٦) ضهيره والحكمة منطقته والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف

خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والهدى امامه والاسلام ملته وأجد اسمه أهدي به بعد الضلال وأعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخالة واعرف به بعد النكرة وأكثره بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأوقف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفه وأهواء متشتتة واستنقذ به فقاما من الناس عظيمة من الهلكة وأجعل أمته خيرامة أخرجت للناس بأمرين بالمعروف وينهون عن المنكر موحدتين مؤمنين مخلصين مصدقين لما جاءت به رسلى ألهمهم التسيب والتوحيد في البناء والتكبير والتوحيد في مساجدهم ومحالهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومشواهم يصلون لي قياما وقعودا ويقفون لي سبيل الله صفوفا وزخوفا ويمرحون من ديارهم ابتغاء مرضاتي ألوفا يظهرن الوجوه والاطراف ويشدون الثياب في الانصاف قربانهم دماؤهم وأناجيلهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار وأجعل في أهل بيته وذريته

مرتفع على أنه خير مبتدأ محذوف أي هم جند حقير يعني الكفار مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بهم ولا تظن أنهم يصلون الى شيء مما يضمرونه بك من الكيد وما في قوله ما هنالك هي صفة لجند لا فائدة التعظيم أو التحقير أي جند أي جند وقيل هي زائدة يقال هزمت الجيش كسرته وهزمت القربة اذا تكسرت وهذا الكلام متصل بما تقدم وهو قوله بل الذين كذروا في عزة وشقاق وهم جند من الاحزاب مهزومون فلا تحزن لعزتهم وشقاقهم فاني أسلب عزهم وأهزم جمعهم وقد وقع ذلك والله الجدي يوم بدر وفيما بعده من مواطن الله وهو اخبار بالغيب وقيل مشاربه الى نصرته الاسلام وقيل الى حفر الخندق يعني الى مكان ذلك قال الرازي والاصم عندى جملة على يوم فتح مكة لان المعنى انهم جند سيصرون مهزومين في الموضوع الذي ذكر وافية هذه الكلمات وذلك الموضوع هو مكة وماذا الا في يوم الفتح (كذبت قبلهم) استئناف مقرر لضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هو لا جند من جنسهم بما فعلوا من الكفر والتكذيب وفعل بهم من العقاب والعذاب (قوم نوح) أي كذبوا رسولهم نوحا وكذا يقدر فيما بعده وتأنيت قوم باعتبار المعنى وهو أنهم أمة ووطنه وجماعة (وعاد وفرعون ذوالاوتاد) قال المفسرون كانت له أوتاد يعذب بها الناس وذلك انه كان اذا غضب على أحد وتديده ورجليه ورأسه على الارض وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه وما أبرد هذا القول وقيل ذوالقوة والبطش وقيل المراد بالاوتاد الجموع والجنود الكثيرة يعني انهم كانوا يقوون أمره ويشدون سلطانه كما يقوى الاوتاد ما ضربت عليه فالكلام خارج مخرج الاستعارة على هذا قال ابن قتيبة العرب تقول هم في عز أو في ملك ثابت الاوتاد ويريدون ملكا دائما شديدا وأصل هذا ان البيت من بيوت الشعرا ما يثبت ويقوم بالاوتاد وقيل المراد بالاوتاد هنا البناء المحكم أي وفرعون ذوالابنية المحكمة قال الضحاك والبيان يسمى أوتادا والاوتاد جمع وتد وفيه لغات أفصحها فتح الواو وكسر التاء ويقال وتد بنقهما او وتد باغام التاء في الدال بوزن وج وودت وهي لغة أهل نجد قال الاصمعي ويقال وتد وتد مثل شغل شاعل (وغرد وقوم لوطوا بحجاب الأبيكة) أي الغيضة وهي الاشجار الملتهبة المجمععة وقد تقدم تفسيرها في سورة الشعراء ومعنى (أولئك الاحزاب) انهم الموصوفون بالقوة والكترة كقولهم فلان هو الرجل وقريش وان كانوا حزبا كما قال الله تعالى فيما تقدم جند ما هنالك

السابقين والصدقيين والشهداء والصالحين أمته من بعدهم يدون بالحق وبه يعدلون وأعز من نصرهم وأو يد من دعاهم مهزوم وأجعل دائرة السوء على من خالفهم أو بغى عليهم أو أراد أن ينتزع شيا مما في أيديهم أجعلهم ورثة لنتيهم والادعية التي بهم يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر وقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهدهم أختم بهم الخير الذي بدأته بأولهم ذلك فضلي وأتية من أشاء وأناذوا بفضل العظيم هكذا رواه ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه اليماي رحمه الله ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله القرشي عن شيبان النخعي أخبرني قتادة عن عكرمة عن ابن

عباس رضى الله عنهما قال لما زلت بآيها النبي انارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقد كان امر عليا ومعاذ رضى الله عنهما ان يسيرا الى اليمن فقال انطلقا مبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تهسرا انه قد انزل على آيها النبي انارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ورواه الطبراني عن محمد بن نصر بن حبيب البزاز البغدادي عن عبد الرحمن بن صالح الأزدي عن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي باسمه مثله وقال في آخره فانه قد انزل على آيها النبي انارسلناك شاهدا على أمتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا الى شهادة ان لا اله الا الله باذنه وسراجا منيرا بالقرآن فقوله تعالى شاهدا (٩٧) أى لله بالوحدانية وانه لا اله غيره وعلى الناس

بأعمالهم يوم القيامة وحننا بك على هؤلاء شهيدا كقوله لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقوله عز وجل ومبشرا ونذيرا أى بشيرا لله ومؤمنا يجزيه النواب ونذيرا للكافرين من وييل العقاب وقوله جلت عظمته وداعيا الى الله باذنه أى داعيا الخلق الى عبادة ربه عن أمره لك بذلك وسراجا منيرا أى وأمره لظاهر فيما جئت به من الحق كالتمس في اشراقها واضاعتها لا يجدها الامعاند وقوله جلا وعلا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم أى لا تطعهم وتسمع منهم فى الذى يقولونه ودع أذاهم أى اصغى وبجاوز عنهم وكل امرهم الى الله تعالى فان فيه كفاية لهم ولهذا قال جل جلاله وتوكل على الله وكفى بالله وكيفا (بآيها الذين آمنوا اذ انكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عتدة تعتدونها فنعوهن وسروروهن سراجا ميلا) هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة منها اطلاق النكاح على العقد

مهزوم من الاحزاب ولكن هؤلاء الذين قصهم الله علينا من الامم السالفة هم ثم منهم عددا وأقوى أبدا ووسع أموالا وأعمالا وقيل ان المعنى ان مشركي قريش من أولئك الاحزاب وهم هم ومنهم وجد التكذيب وهذه الجملة مستأنفة أو خبر والمبتدأ قوله وعاد كذا قال أبو البقاء وهو ضعيف بل الظاهر ان عاد وما بعده معطوفات على قوم نوح والاولى ان تكون هذه الجملة خبر المبتدأ محذوف أو بدلا من الامم المذكورة (ان كل) أى ما كل حزب من هذه الاحزاب (الا كذب الرسل) لان تكذيب الحزب لرسوله المرسل اليه تكذيب لجميع الرسل لان دعوتهم واحدة وهى التوحيد وهو من مقابلة الجمع بالجمع والمراد تكذيب كل حزب لرسوله والاستثناء منفرغ من أعم الاحوال أى ما كان أحد من الاحزاب فى جميع أحواله الا وقع منه تكذيب الرسل وفى تكرير التكذيب وايضا به بعد اسماءه والتنويع فى تكرير الجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه ثم قال (لحق عقاب) أى لحق عليهم عقابى بتكذيبهم ومعنى حق ثبت ووجب وان تأخر فكانه واقع بهم وكل ما هوأت قريب قرى عقاب باثبات الماء وحذفها مطابقة لرؤس الآى وفى الآية زجر وتخويف للسامعين (وما ينظر) أى ما ينتظر (هؤلاء) أى كفار مكة (الاصححة واحدة) وهى النفخة الكائنة عند قيام الساعة وقيل هى النفخة الثانية وعلى الاول المراد من عاصر فيها صلى الله عليه وآله وسلم من الكفار وعلى الثانى المراد كفار الامم المذكورة أى ليس بينهم وبين ما عد الله لهم من عذاب النار الا ان ينفخ فى الصور النفخة الثانية وقيل المراد بالاصححة عذاب يفتجأهم فى الدنيا وجملة (مالها من فواق) فى محل نصب صفة اصححة قال الزجاج فواق يفتح الفاء وضمها لغتان بمعنى واحد وهو الزمان الذى بين حلبتى الحالب ورضعتى الرضيع وهو مشتمق من الرجوع أيضا لانه يعود اللبن الى الضرع بين الحلبتين ويقال افاق من مرضه أى رجع الى الصحة ولهذا قال مجاهد ومقاتل ان الفواق الرجوع وقال قتادة مالها من مشنوبه وقال السدى مالها من افاقة وقيل مالها من مرتد قال الجوهري مالها من نظرة وراحة وافاقة وقال ابن عباس مالها من رجعة والفيحة اسم اللبن الذى يجتمع بين الحلبتين وجمعها فيق وفواق وأما فواقى فجمع الجمع قال الفراء والسدي وأبو

(١٣ فتح البيان ثامن) وحده وليس فى القرآن آية أصرح فى ذلك منها وقد اختلفوا فى النكاح هل هو حقيقة فى العقد وحده أو فى الوطء وفيه ما على ثلاثة أقوال واستعمال القرآن انما هو فى العقد والوطء بعده الا فى هذه الآية فانه استعمل فى العقد وحده لقوله تبارك وتعالى اذ انكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وفيه دلالة لا باحة طلاق المرأة قبل الدخول بها وقوله تعالى المؤمنات خرج مخرج الغالب اذ لا فرق فى الحكم بين المؤمنة والكافية فى ذلك بالاتفاق وقد استدل ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن المسيب والحسن البصرى بوعلى بن الحسين بن العابد بن جماعة من من السلف بهذه الآية على ان

الطلاق لا يقع الا اذا تقدمه نكاح لان الله تعالى قال اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فعبء النكاح بالطلاق فدل على انه لا يصح ولا يقع قبله وهذا مذهب الشافعي وأحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من السلف والخلف رجعهم الله تعالى وذهب مالك وأبو حنيفة رجعهما الله تعالى الى صحة الطلاق قبل النكاح فيما اذا قال ان تزوجت فلانة فهي طالق فعندهما متى تزوجها طلقت منه واختلفا فيما اذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق فقال مالك لا تطلق حتى يعين المرأة وقال أبو حنيفة رجع الله كل امرأة تزوجها بعدهذا الكلام تطلق منه فاما الجمهور (٩٨) فاحتجوا على عدم وقوع الطلاق بهذه الآية قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن

منصور المرزى حدثنا النضر بن شميل حدثنا يونس يعني ابن أبي اسحق قال سمعت آدم مولى خالد عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اذا قال كل امرأة أتزوجها فهي طالق قال ليس بشيء من أجل ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الا ترى ان الطلاق بعد النكاح وهكذا روى محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم ما قال قال الله تعالى اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن فلا طلاق قبل النكاح وقد ورد الحديث بذلك عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وقال

عبيدة وابن زيد والسدي الفواق بفتح الفاء الراحة والافاقه أى لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشى عليه وبالضم الانتظار ومعنى الآية ان تلك الصحيحة هي مبعاد عذابهم فاذا جاءت لم ترجع ولا ترد عنهم ولا تصرف منهم ولا تتوقف مقدار فواق ناقة وهي ما بين حلبتي الحالب لهما وهذا في المعنى كقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (و) لم اسمعوا ما وعدهم الله به من العذاب (قالوا) استهزاء وسخرية (ربنا) مجل لنا قننا قبل يوم الحساب) والقطف في اللغة النصيب من القطف وهو القطف وبهذا قال قتادة وسعيد بن جبيرة قال الفراء القطف في كلام العرب الحظ والنصيب ومنه قيل للصك قطف قال أبو عبيدة والكسائي القطف الكتاب بالجواز والجمع القطوط وأصله من قط الشيء أى قطعه ومنه قط القلم ومعنى الآية سؤالهم لربهم أن يجعل لهم نصيبهم وحظهم من العذاب وهو مثل قوله ويستجملونك بالعذاب وقال السدي سألوهم ان يجعل لهم منازلهم من الجنة ليعلموا حقيقة ما وعدون به وقال اسمعيل بن أبي خالد المعنى مجل لنا ارضاقنا وبه قال سعيد بن جبيرة والسدي وقال أبو العالمة والكلبي ومقاتل لما نزل قوله وأما من أوتي كتابه بشماله فالت قريش زعمت يا محمد انانوثي كتابنا بشمالنا فجعل لنا قننا قبل يوم الحساب قال ابن عباس سألو الله ان يجعل لهم وقال قننا نصيبنا من الجنة ثم أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يصبر على ما يسمعه من أقوالهم فقال (اصبر على ما يقولون) من أقوالهم الباطلة التي هذا القول المحكي عنهم من جعلتها ومن نفست أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم ومحمل اذاهم قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل محكمة وهو الصحيح ولمافرغ من ذكر قرون الضلالة وأثم الكفر والتكذيب وأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على ما يسمعه زاد في تسليته وتأسيته بذكر قصة داود وما بعدها فقال (واذ كرم عبدنا داود ذا الاید) أى اذ كرمته فانك تجتهد فيها ما تسلي به والاید القوة قاله ابن عباس ومنه رجل أيد أى قوى وتأيد الشيء تقوى والاید مفرد بوزن البیع وهو مصدر وليس جمع يد يقال آد الرجل يئيد أياديا وآد بالكسر اذا قوى واشتد فهو أيد مثل سيدوهين ومنه قولهم أيدك الله تأييدا والمراد ما كان فيه عليه السلام من القوة على العبادة قال الزجاج وكانت قوة داود على العبادة أتم قوة ومن قوته ما أخبرنا به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يصوم يوما ويفطر يوما

الترمذي هذا حديث حسن وهو أحسن شيء روى في هذا الباب وهكذا روى ابن ماجه عن علي والسور بن مخزومة وكان رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا طلاق قبل النكاح وقوله عز وجل فالكم عليهم من عدة تعتدونها هذا أمر بجمع عليه بين العلماء ان المرأة اذا طلقت قبل الدخول بها الاعدة عليها فتذهب فمتزوج في فورها من شامت ولا يستثنى من هذا الا المتوفى عنها زوجها فانها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا وان لم يكن دخل بها بالاجماع أيضا وقوله تعالى فتعوهن وسرهنهن سرا حبيلا المنعة ههنا أعمن أن يكون نصف الصداق المسمى أو المنعة الخاصة لم يكن قدسى لها قال الله تعالى

وان طلقتوهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم وقال عز وجل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعهوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد وأبي أسيد رضي الله عنهما قالان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أمية بنت شراحيل فلما أدخلت عليه صلى الله عليه وسلم بسط يده اليها فكأتمها كرهت ذلك فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها وثوبين رازقين قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان كان يسمى لها صدا فليس لها الا النصف (٩٩) وان لم يكن سمي لها صدا فأتمتها على قدر

عسره ويسره وهو السراح الجميل (يا أيها النبي انأحلبنا لك أزواجك اللاتي آتيت أزواجهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه قد أحل له من النساء أزواجه اللاتي أعطاهن مهورهن وهي الاجور ههنا كما قاله مجاهد وغير واحد وقد كان مهره لسانه اثنتي عشرة أوقية ونش وهو نصف أوقية فالجميع خمسة أدرهم الأم حبيبة بنت أبي سفيان فانه أم مهرها عنه النخاشي رحمه الله تعالى أربعة مائة دينار والاصفية بنت حبي فانه اصطفاها من سبي خيبر ثم أعنتها وجعل عنتها صداقها وكذلك جويرة بنت الحارث المصلقبية أذى عنها

وكان يصلي نصف الليل وكان لا يفر اذا لاقى العدو ووجهه (انه أواب) تعليل لكونه ذا الايد والابواب الرجوع عن كل ما يكرهه الله سبحانه الى ما يحبه ولا يستطيع ذلك الا من كان قويا في دينه وقيل معناه كما ذكره ابنه استغفر منه وتاب عنه وهذا داخل تحت المعنى الاول يقال آب يؤوب اذا رجع وقال ابن عباس الاواب المسبح بلغة الحبشة وأخرج الديلمي عن مجاهد قال سألت ابن عمر عن الاواب فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال هو الذي يذكركونه في الخلافة استغفر الله وعن ابن عباس قال الاواب الموقن (انا نخبرنا الجبال معه) استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين وكونه رجعا الى مرضاته تعالى وايثار مع على الامام أشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها اليه كتسخير الریح وغيره السلامان بل بطريق التبعية له والاقدماء به قبل كان تسخيرها انها تسير معه اذا أراد سيرها الى حيث يريد (يسجن) ولم يقل مسجات ليدل على حدوث التسبيح من الجبال شيئا وحالا بعد حال أي يقدر الله سبحانه وينزله عما لا يليق به ويسجن في محل نصب على الحال وفي هذا بيان ما أعطاه الله من البرهان والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه قال مقاتل كان داود اذا ذكر الله ذكرت الجبال معه وكان يفتقه تسبيح الجبال وقال مجاهد بن اسحق أوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال دوى حسن فهذا معنى تسبيح الجبال والاول أولى ومعنى يسجن يصلين ومعه متعلق بسخرنا (بالعشي) أي وقت صلاة العشاء (والاشراق) أي وقت صلاة الضحى وهو ان تشرق الشمس وينتهي ضوءها والمعنى كان داود يسبح اثر صلواته عند طلوع الشمس وغروبها وقال الكلبى أي غدوة وعشية يقال أشرفت الشمس اذا أضاعت وذلك وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها قال الزجاج شرفت الشمس اذا طلعت وأشرفت اذا أضاعت عن عطاء الحرساء عن ابن عباس قال لم ير في نفسه من صلاة الضحى حتى قرأت هذه الآية وعنه قال لقد أتى على زمان وما أدري وجه هذه الآية حتى رأيت الناس يصلون الضحى أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأخرج الطبراني في الاوسط وابن مردويه عنه قال كنت أمرهم بهذه الآية فما أدري ما هي حتى حدثتني أم هاني بنت أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها يوم الفتح فدعا بوضوءهم صلى الضحى ثم قال يا أم هاني هذه صلاة الاشراف

كأبتها الى ثابت بن قيس بن شماس وتزوجها رضي الله عنهن اجمعين وقوله تعالى وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك اي وأباح لك التسرى مما أخذت من المغنم وقد ملكت صفية وجويرة فأعتقهما وتزوجهما وملك ريمحانة بنت شعون النضرية ومارية القبطية ام ابنه ابراهيم عليه السلام وكانت من السراري رضي الله عنهما وقوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك الآية هذا عدل وسط بين الافراط والتفريط فان النصارى لا يتزوجون المرأة الا اذا كان الرجل بينه وبينها سبعة أجداد فصاعدوا واليهود يتزوج احداهم بنت أخيه وبنات أخيه فجاءت هذه الشريعة الكاملة الطاهرة بدم افراط النصارى فأباح

بنات العم والعمة وبنات الخال والخالة وحترم ما أفترم فيه اليهود من ابنة بنت الاخ والاخت وهذا شيع فظييع وانما قال وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك فوجدنا لفظ الذكر كثر فرفه وجمع الاناث لتقصهون كقوله عن اليمين والشمال يخرجهم من الظلمات الى النور وجعل الظلمات والنور وله تطاير كثيرة وقوله تعالى اللاتي هاجرن معك قال ابن ابي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عمار بن الحرث الرازي حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا اسرائيل بن السدي عن ابي صالح عن ام هانئ قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت (١٠٠) اليه فعذرتني ثم انزل الله تعالى انا اخلائنا لك ازواجك اللاتي آتيتن اجورهن وما

ملكك يمينك مما آفاه الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرت معك قالت فلم اكن اهل لم اكن ممن هاجر معه كنت من الطلقاء ورواه ابن جرير عن ابي كريب عن عبيد الله بن موسى به ثم رواه ابن ابي حاتم من حديث اسمعيل بن ابي خالد عن ابي صالح عنها بنحوه ورواه الترمذي في جامعه وهكذا قال ابو رزين وقادة ان المراد من هاجر معه الى المدينة وفي رواية عن قتادة اللاتي هاجرن معك أي أسلمن وقال الضحاك قرا ابن مسعود واللاتي هاجرن من معك وقوله تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي ان يستنكحها خالصة لك الآية أي ويجل للباياها النبي المرأة المؤمنة ان وهبت نفسها لك ان تزوجها بغير مهر ان شئت ذلك وهذه الآية توأى فيها شرطان كقوله تعالى اخبرنا عن نوح عليه السلام انه قال لقومه ولا يتبعكم فصحى ان اردت ان ائصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وكقول موسى

والاحاديث في صلاة الضحى كثيرة جدا فذكرها الشوكاني في شرحه للصنتقي (والطير محشورة) أي وسخرناه الطير حال كونها محشورة أي مجموعة اليه من كل ناحية تسبح الله معه قيل كانت تجتمع اليه الملائكة وقيل كانت تجتمعها الريح (كل له اواب) أي كل واحد من داود والجبالي والطير رجاع الى طاعة الله وامره والضمير في له راجع الى الله عز وجل وقيل الى داود أي لاجل تسبيح داود مسبح فوضع اواب موضع مسبح والاول اولى وقد قدمنا ان الاواب الكثير الرجوع الى الله سبحانه (وشددنا ملكه) أي قوياته وثبتناه بالانصر في المواطن على أعدائه والقاء العرب منه في قلوبهم وقيل بكثرة الجنود كان يبيت حول محرابه كل ليلة ستة أو ثلثة وثلاثون ألف رجل يحرسونه وكان أشد ملوك الارض سلطانا وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال استعدى رجل من بني اسرائيل عند داود على رجل من عظامهم فقال ان هذا غصبي يقر الى فسأل داود الرجل عن ذلك فجده فسأل الآخر البيعة فلم تكن له بيعة فقال له ما داود فوما حتى أنظر في امر كما فقاما من عنده فأتى داود في منامه فقيل له اقتل الرجل الذي استعدى فقال ان هذه رؤيا وليست بعمل حتى أتت فأتى الليلة الثانية في منامه فأمر ان يقتل الرجل فلم يفعل ثم أتى الليلة الثالثة فقيل له اقتل الرجل أو تأتيك العقوبة من الله فأرسل داود الى الرجل فقال ان الله أمرني ان أقولك قال فتتلى بغير بينة ولا تثبت قال نعم والله لا نفذن أمر الله فيك فتال الرجل لا نعجل على حتى أخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والدهذا فقتلته فبذلك اخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبتة في بني اسرائيل وشدد به ملكه فهو قول الله وشددنا ملكه (وآتيناه الحكمة) المراد بها النبوة والمعرفة بكل ما يحكم به وقال مقاتل النهيم والعلم وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل الاصابة في الامور وقيل كل كلام وافق الحق فهو الحكمة وقال مجاهد العدل وقال ابو العالية العلم بكتاب الله وقال شريح السنة ولا مانع من حل الآية على الكل (وفصل الخطاب) المراد به الفصل في القضاء وبه قال الحسن والكبي ومقاتل وحكى الواحدى عن الاكثر ان فصل الخطاب الشهود والايان لانها انما تقطع الخصومة بهذه وبه قال ابي ابن كعب وقال علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه البيعة على المدعى واليمين على من انكر وقيل الفصل بين الحق والباطل وقاله شريح والشعبى وقادة أيضا وقيل هو

عليه السلام يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال ههنا وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى الآية وقد قال الامام احمد حدثنا اسحق اخبرنا مالك عن ابي حازم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه امرأة فقالت يا رسول الله انى قدر هبت نفسي لك فقامت قياما طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله تزوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك من شئ تصدقها اياها فقال ما عندي الا ازاري هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعطيتهم الزارك جئت لا ازال الله شيا فقال لا اجد شيا فقال التمس ولو خاقا من حديد فالتمس فم يجد شيا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل معك من القرآن شيء قال نعم سورة كذا وسورة كذا السور يسميها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم زوجتكم بما معك من القرآن أخرجاه من حديث مالك وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا مرحوم سمعت ثابتاً يقول كنت مع أنس جالساً وعنده ابنة له فقال أنس جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبي الله هل لك في حاجة فقالت ابنته ما كان أفضل حياءها فقال هي خير منك رغبت في النبي ففرضت عليه نفسها انفردا بخراجه البخاري من حديث مرحوم بن عبد الغفار عن ثابت البناني عن أنس به وقال أحمد أيضاً حدثنا عبد الله بن بكير (١٠١) حدثنا سنان بن ربيعة عن الحضرمي

عن أنس بن مالك ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ابنتي كذا وكذا قد كرت من حسنها وجمالها فاثرتك بهم ا فقال قد قبلتم ا فلم تزل تدحها حتى ذكرت انها لم تصدع ولم تشك شيئاً قط فقال لا حاجة لي في ابنتك لم تخبروه وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا منصور بن أي مزاحم حدثنا ابن أبي الوضاح يعني محمد بن مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم وقال ابن وهب عن سعيد بن عبد الرحمن وابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه ان خولة بنت حكيم بن الاوقص من بني سليم كانت من اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية له عن سعيد بن عبد الرحمن عن هشام عن أبيه انك تحدث ان خولة بنت حكيم كانت وهبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة صالحة فيحتمل ان ام سليم هي خولة بنت حكيم أو هي امرأة اخرى وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن اسمعيل الاخشي حدثنا وكيع

الايجاز بجمل المعنى الكثير في اللفظ القليل وقيل بيان الكلام وقيل علم الحكم والتبصر بالقضاء والمعاني متقاربة وعن أبي موسى الأشعري قال أول من قال اما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب أخرجه ابن أبي حاتم والديلمي وعن الشعبي انه سمع زياد بن أبيه يقول فصل الخطاب الذي أوتيه داوداً اما بعد أخرجه سعيد بن منصور ولما مدحه الله سبحانه بما تقدم ذكره أورد في ذلك بك هذه القصة الواقعة له لما فيها من الاخبار العجيبة وقال (وهل أتاك نبال الخضم) ومعنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق الى استماع ما بعده لكونه أمراً غريباً كما تقول مخاطبك هل تعلم ما وقع اليوم ثم تذكر له ما وقع قاله مقاتل بعث الله الى داود ملكين جبريل ومكائيل لينبئهم على التوبة فأتياه وهو في محاربة قال الخناس ولا خلاف بين أهل التفسير أن المراد بالخضم هنا الملكان والخضم مصدر يتبع على الواحد والاثني والجماعة ومعنى قوله (اذن سوروا المحراب) أوتوه من أعلى سورة وزلوا اليه والسور الحائظ المرتفع وجاء بلفظ الجمع في تسور وجمع كونها اثنين نظراً الى ما يحتمل لفظ الخضم من الجمع والمحراب العرفة لانهم تسوروا عليه وهو فيها كذا قال يحيى ابن سلام وقال أبو عبيدة انه صدر المجلس ومنه محراب المسجد وقيل انهما كانا نسيين ولم يكونا ملكين والعامل في اذ النبأ أي هل أتاك الخبر الواقع في وقت تسورهم وبهذا قال ابن عظمة ومكي وأبو البقاء وقيل العامل فيه أتاك وقيل معمول للخضم وقيل معمول لمخدوف أي وهل أتاك نبأ تحاكم الخضم عن ابن عباس ان داود حدث نفسه اذا ابتلى انه يعتصم فقيل له انك ستبتلى وستعلم الذي تتبلى فيه فخذ حذرک فقيل له هذا اليوم الذي تتبلى فيه فأخذ الزبور ودخل المحراب وأغلق باب المحراب وأخذ الزبور في حجره وأقعد منصفاً يعني خادماً على الباب وقال لا تأذن لاحد على اليوم فيبها هو يقرأ الزبور اذا جاء طائر مذهب كما حسن ما يكون للطير فيه من كل لون فجعل يدور بين يديه فدنا منه فامكن ان يأخذه فتمنا وله بيده ليأخذه فاستوفز من خلفه فاطبق الزبور وقام اليه ليأخذه فطار فوقه على كوة المحراب فدنا منه ليأخذه فأفضى فوقه على خص فاشرف عليه لينظر أين وقع فاذا هو بامرأة عند بر كتمها تغتسل من الحيض فلما رأت ظله حركت رأسها فغطت جسدها أجمع بشعرها وكان زوجهما غار يابى سبيل الله فكاتب داود الى رأس الغرزة انظر أوريا فاجله في جملة التابوت وكان جملة التابوت اماناً بفتح عليهم واما ان يقتلوا فقدمه في جملة

حدثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وعمرو بن الحسام وعبد الله بن عبيدة قالوا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة امرأة من قريش خديجة وعائشة وحنصة وام حبيبة وسودة وام سلمة وثلاث بن بنى عامر بن صعصعة وامرأتين من بني هلال بن عامر ميمونة بنت الحارث وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وزينب ام المساكين وامرأة من بني أبي بكر بن كلاب من القرظات وهي التي اختارت الدنيا وامرأة من بني الجحون وهي التي استعادت منه وزينب بنت جحش الاسديّة والسبيتين صفية بنت حيي بن أخطب وجويرية بنت الحارث بن عمرو بن المصطلق الخزاعية وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن ابن عباس وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي قال هي ميمونة بنت الحارث فيه انقطاع هذا امر سل والمشهور ان زينب التي

كانت تدعى ام المساكين هي زينب بنت خزيمه الانصارية وقد ماتت عند النبي صلى الله عليه وسلم في حياته فآله أعلم والغرض من هذا ان اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم كثير كما قال البخاري حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال هشام بن عروة حدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كنت أعامر من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم وأقول أتهد المرأة نفسها فلما أنزل الله تعالى ترحي من تشاء منهز وتووى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عززت فلاحناح عليك قلت ما أرى ربك الا يسارع في هوالك وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين (١٠٢) حدثنا محمد بن منصور الجعفي حدثنا يونس بن بكير عن غبسة بن الازهر

عن سمك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن يونس بن بكير أي انه لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وان كان ذلك مباحا له ومخصوصا به لانه مردود الى مشيئته كما قال الله تعالى ان أراد النبي أن يستنكحها أي ان اختار ذلك وقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين قال عكرمة أي لا تحل الموهوبة لغيرك ولو أن امرأة وهبت نفسها لرجل تحل له حتى يعطيهاشيا وكذا قال مجاهد والشعبي وغيرهما أي انها اذا فوضت المرأة نفسها الى رجل فانه متى دخل بها وجب عليه لها مهر مثلها كما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق لما فوضت حكمها لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصدق مثلها لما توفي عنها زوجها والموت والدخول سواء في تقرير المهر وثبوت مهر المثل في المندوحة لغير النبي صلى الله عليه وسلم فاما هو عليه الصلاة والسلام فانه لا يجب عليه للمندوحة

التابوت فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود فاشترطت عليه ان ولدت غلاما ان يكون الخليفة من بعده وأشهدت عليه حسين بن ابي اسرائيل وكب عليه بذلك كتابا مشعرا بفتنته انه افتن حتى ولدت سليمان وشب فتسور عابه الملك الحارث وكان شأنهم ما ناقص الله في كتابه وخر داود ساجدا فغفر الله له وتاب عليه أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي حاتم وخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب قال ما أصاب داود ما أصابه بعد القدر الا من عجب عجب بنفسه وذلك انه قال يارب ما من ساعة من ليل ولا نهار الا واعبد من آل داود يعبدك يصلي لك أو يسبح أو يكبر وذكر أشياء فذكره الله فقال يا داود ان ذلك لم يكن الا بي فلو انا عوني ما قويت عليه وعزتي وجلالي لا كلنك الى نفسك يوما قال يارب فاخبرني به فأخبر به فأصابته الفتنة ذلك اليوم وأخرج أصل القصة الحكيم الترمذي في نوادر الاصول وابن جرير وابن أبي حاتم عن أنس مرفوعا بسناد ضعيف وأخرجه ابن جرير من وجه آخر عن ابن عباس مطولة وأخرجه جماعة عن جماعة من التابعين قال صاحب الكشاف بعد ذكر هذه القصة هذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أئمة المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء انتهى وقال القاضي عياض لا يجوز أن يلتفت الى ماسطره الاخباريون من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص عليه الله في قصة داود ووطن داود انما قتلته وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمر داود قال الرازي حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجه وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بما قل أن يظن بداود عليه السلام هذا وقال غيره ان الله أنشئ على داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم عاقل أن يقع بين مدح بن ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس لاستهجنه العقلاء ولقالوا أنت في مدح شخص كيف تجرى ذمه اثناء مدحك والله تعالى منزعه عن مثل هذا في كتابه القديم وروى سعيد بن المسيب والحارث الاعور عن علي بن أبي طالب أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين جلدة وهو حقا القربة على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من اهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب

شيء ولو دخل بها لان له أن يتزوج بغير صداق ولا شهود كما في قصة زينب بنت جحش رضي الله عنها ولهذا الله

قال قتادة في قوله خالصة لك من دون المؤمنين يقول ليس لامرأة تهب نفسها لرجل بغير ولي ولا مهر الا للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم قال ابى بن كعب ومجاهد والحسن وقاتدة وابن جرير في قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم أي من حصرهم في أربع نسوة حرائر وما شاؤن الاما واشترط الولي والمهر وانهم ود عليهم وهم الامه وقد رخصنا لك في ذلك فلم نوجب عليك شيئا منه لئلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (ترجي من تشاء منهز)

وتووى اليك من نشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتن كاهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليهما حلما قال الامام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تعبر النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألا ترحى المرأة أن تعرض نفسها بغير صداق فأزل الله عز وجل ترحى من نشاء منهن وتووى اليك من نشاء الآية قالت انى أرى ربك يسارع لك في هوالك وقد تقدم ان البخارى رواه من حديث أسامة عن هشام بن عروة وقد لهدا على ان المراد بقوله ترحى اى (١٠٣) تؤخر من نشاء منهن اى من الواهبات

وتووى اليك من نشاء اى من شئت قبلتها ومن شئت رددتها ومن رددتها أت فيها أيضا بالخيار بعد ذلك ان شئت عدت فيها فأويتها ولو لهذا قال ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قال عامر الشعبي في قوله تعالى ترحى من نشاء منهن الآية كن نساء وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فدخل بعضهن وأرجى بعضهن لم يشكن بعد منهن ام شريك وقال آخرون بل المراد بقوله ترحى من نشاء منهن الآية اى من أزواجك لا حرج عليك ان تترك القسم لهن فمقدم من شئت وتؤخر من شئت وتجماع من شئت وتترك من شئت هكذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقادة وابن زيد وعبد الرحمن بن زيد برأ سلم وغيرهم ومع هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لهن ولهذا ذهب طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم الى انه لم يكن القسم واجبا عليه صلى الله عليه وسلم واحتجوا بهذه الآية الكريمة وقال البخارى حدثنا حيان بن عمدة موسى حدثنا الله هو ابن المبارك أخبرنا عاصم الاحول عن معاذ عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد ان نزلت هذه الآية ترحى من نشاء منهن وتووى اليك من نشاء منهن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك فقلت لهما ما كنت تقولين فقالت كنت أقول ان كان ذلك الى قاتنى لا اريد ان يرسول الله ان أوتر عليك أحد ان هذا الحديث عهدا يدل على ان المراد من ذلك عدم وجود القسم وحديثها الاول يقتضى ان الآية تزات في الواهبات ومن ههنا اختار ابن جرير ان الآية عامة في الواهبات وفي النساء اللاتي عندهن مخبر فيهن ان شاء قسم وان شاء لم يقسم وهذا الذى اختاره حسن جيد قوى وفيه جمع بين الاحاديث ولهذا أهال تعالى ذلك أدنى ان تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتن

الله فما ينبغي ان يلتصق خلفها وأعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عن استرا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر سمعنى هذا الكلام احب الى مما طلعت عليه الشمس قال التميمي الذى يدل عليه المثل الذى ضرب به الله بقصته عليه السلام ليس الاطلبة الى زوج المرأة ان ينزل له عنها حسب وانما جاءت على طريق التسهيل والتعريض دون التصريح لكونها أبلغ في التويج من قبل ان التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أو وقع في نفسه وأسدتم كل من قلبه وأعظم أترافيه مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة انتهى قال أبو السعود وأما ما يذكر من انه عليه السلام تزوج امرأة أوربا فهو افك مبتدع مكروه ومكروه عجب الامماع وتنفرد عنه الطباع ويل من ابتدعه وانشاعه وتبليغ اخترعه واداعه وسبأى الكلام على ذنب داود عليه السلام فى آخره هذه القصة (اذ) بدل من الاولى وقيل هو مع مول لتسور واول قال القرطبي ان أحد الطرفين المذكورين معنى لما (دخلوا على داود ففرع منهم) لانهما أتياه ليلا في غير وقت دخول الخصوم ودخلوا عليه بغير اذنه ولم يدخلوا من الباب الذى يدخل منه الناس قال ابن الاعرابى وكان محراب داود من الامتناع بالارفة قبح لا يرتقى اليه آدمى بحيلة (قالوا لا تحق) جملة مستأنفة كأنه قيل فماذا قالوا والداود لما فرغ منهم (خصمان) أى نحن خصمان وجاء فيما سبق بلطف الجمع وهما بلطف التنسية لما ذكرنا من ان لفظ الخصم يحتمل المفرد والمثنى والجمع فالكل جائز قال الخليل هو كما تقول نحن فعلنا كذا اذا كنتم اثنين وقال الكسائى جمع لما كان خيرا فلما اتقضى الخبر وجاءت مخاطبة أخيرا الاثنان عن أنفسهما فافقا لخصمان وقوله (بغى بعضنا على بعض) هو على سبيل الترض والتقدير أو على سبيل التعريض لان من المعلوم ان الملكيين لا يبغيان ثم طلبا منه أن يحكم بينهم ما بالحق ونهايه عن الجور فقالا (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تتجرى حكمك يقال شط الرجل وأشط وأشطوا واططوا اذا جار فى حكمه وتجاوز الحد قال أبو عبيد شططت عليه وأشططت فيه أى جرت فهو مما اتفق فيه فعل وأفعل وقال الاخفش معناه لا تسرف وقيل لا تنرط وقيل لا تمل والمعنى متقارب والاصل فيه البعد من شطت الدار اذا بعدت قال أبو عمر والشططت مجاوزة القدر فى كل شئ (واهدنا الى سواء الصراط) أى وسطه ومحجته أى العدل والصواب والمعنى ارشدنا الى الحق واجلمنا عليه ثم لما أخبراه عن

انزل ان قال الضم
انما يدل على ذلك الذى
ضرب الله ليعلم الناس
الردع للمرأة
من لغير الزوجات الضم
هذان تأخرت عن ذلك
الامر ليعلموا غيب
غلبت كقول

كاهن أى اذا علم ان الله قد وضع عنك الحرج في القسم فان شئت قسمت وان شئت لم تقسم لاجناح عليك في أى ذلك فعلمت ثم مع هذا أنت تقسم لهن اختياراً منك لانه على سبيل الوجوب فرحن بذلك واستبشرن به وجلن جميلةً في ذلك واعتزفن بمتك عليهن في قسمك لهن وتسويتك بينهن وانصافك لهن وكذلك فيهن وقوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم أى من الميل الى بعضهن دون بعض مما لا يمكن دفعه كما قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا جاد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين (١٠٤) نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا فعلى فيما أملك فلا تلني فيما أملك ولا أملك

ورواه أهل السنن الأربعة من حديث جاد بن سلمة وزاد أبو داود بعد قوله فلا تلني فيما أملك ولا أملك يعنى القلب واسناده صحيح ورواه كلهم ثقات ولهذا عقب ذلك بقوله تعالى وكان الله علياً أى بضمائر السرائر حليماً أى يحكم ويغفر (لا يجعل لك النساء من بعد ولا ان تبدلهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيباً) ذكر غير واحد من العلماء كابن عباس ومجاهد والنخلك وقتادة وابن زيد وابن جرير وغيرهم ان هذه الآية نزات مجازاة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضاعهن على حسن صنعهن في اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة لما خبرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في الآية فلما اخترن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جزاؤهن ان الله تعالى قصره عليهن وحترم عليه أن يتزوج بغيرهن أو يستبدل بهن أزواجاً غيرهن ولو أعجبهم حسنهن الا الاماء والسراير فلا حرج عليه فيهن ثم انه تعالى رفع عنه الحرج في ذلك ونسخ حكم هذه الآية وأباح له الزواج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقراء عليهن قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء ورواه أيضاً من حديث ابن جريح عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ورواه الترمذي والنسائي في سننهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبه حدثني عمر بن أبي بكر حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الخزاعي عن أبي النصر مولى عمر بن عبيد الله عن عبد الله بن وهب بن زبيعة عن ام سلمة انها قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل

الخصوصة اجلا لشرعاً في تفصيلها وشرحها فقالا (ان هذا أخى له تسع وتسعون نجمة) المراد بالاخوة هنا اخوة الدين قاله ابن مسعود أو الصحبة أو الالفة أو اخوة الشركة والخلطة والنجمة هي الاثني من الضأن وقد يقال لبقر الوحش نجمة ويعبر بها عن المرأة لما هي عليه من السكون والعجز وضعف الجانب وقد يعنى عنها البقرة والحجر والناقاة لان الكل من كوب قال الواحدى النجمة البقرة الوحشية والعرب تكنى عن المرأة بها ونسبه النساء بالنعاج من البقر قرأ الجمهور تسع وتسعون بكسر التاء وقرئ بفتحها قال النحاس وهي لغة شاذة وانما عنيهم ذاد او دلانه كان له تسع وتسعون امرأة وعنى بقوله (ولى نجمة واحدة) أو يزوج المرأة التي أراد ان يتزوجها واد كما تقدم بيان ذلك (فقال أ كلفنيها) اي ضمها التي وانزل لي عنها حتى ا كلفها واصير بهن لالها قال ابن كيسان اجعلها كلفي ونصيبي قال ابن مسعود ما زاد او د على ان قال أ كلفنيها وعن ابن عباس قال ما زاد او د على ان قال تحول لي عنها وهذا يخالف ما سبق عنه (وعزني في الخطاب) أى غلبني يقال عزه بعزته اذا غلبه وفي المنزل من عز برأى من غلب أخذ السلب والاسم العزوة وهي القوة قال عطاء المعنى ان تكلم كان أفصح منى وان حارب كان أبطش منى لقوة ملكه فالغلبة كانت له على لضعفي في يده وان كان الحق معي وهذا كله تشبيل وقرئ وعازني أى غالبني من المعازة وهي المغالبة (قال لقد ظلمك بسؤال نجمتك الى نعاجه) أى بسؤاله نجمتك ليضمها الى نعاجه التسع والتسعين ان كان الامر على ما تقول واللام هي الموطئة للقسم وهي وما بعدها جواب القسم المقدر وجاء بالقسم في كلامه مبالغة في انكار ما سعه من طلب صاحب التسع والتسعين النجمة ان يضم اليه النجمة الواحدة التي مع صاحبه ولم يكن معه غيرها ويمكن انه انما قال بهذا بعد ان سمع الاعتراف من الآخر قال النحاس ويقال ان خطيئة داود هي قوله لقد ظلمك لانه قال ذلك قبل ان يتثبت (وان كثيراً من الخطايا) وهم الشركاء واحدهم خليط وهو المخالط في المال (ليبقى) اللام لام التوكيد وقعت في خبر ان أى يتعدى (بعضهم على بعض) ويظلمه غير مرار لقمه (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم يتعامون ذلك ولا يظلمون خليطاً ولا غيره والاستثناء متصل (وقليل ما هم) أى وقليل هم وما زائدة لتوكيد القلة والتعجب وقيل هي موصولة وهم مبتدأ وقليل خبره عن ابن عباس قال يقول قليل الذي هم فيه (وظن داود انما قتناه) قال أبو عمرو

ذلك ونسخ حكم هذه الآية وأباح له الزواج ولكن لم يقع منه بعد ذلك تزوج لتكون المنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم والقراء عليهن قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن عطاء عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء ورواه أيضاً من حديث ابن جريح عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ورواه الترمذي والنسائي في سننهما وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبه حدثني عمر بن أبي بكر حدثني المغيرة بن عبد الرحمن الخزاعي عن أبي النصر مولى عمر بن عبيد الله عن عبد الله بن وهب بن زبيعة عن ام سلمة انها قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل

الله أن يتزوج من النساء ما شاء الا ذات محرم وذلك قول الله تعالى ترجى من نساء منهن الآية فجعلت هذه نائمة التي بعدها في التلاوة كما تبقى عدة الوفاة في البقرة الاولى نائمة التي بعدها والله أعلم وقال آخرون بل معنى الآية لا يحل لك النساء من بعد أى من بعد ما ذكرنا لك من صفة النساء اللاتي أحللنا لك من نساءك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك وبنات العم والعمات والخال والخالوات والواهبه وما سوى ذلك من أصناف النساء فلا يحل لك هذا مروى عن أبي بن كعب ومجاهد في رواية عنه وعكرمة والضحاك في رواية وأبي رزين في رواية عنه وأبي صالح والحسن (١٠٥) وقادة في رواية والسدي وغيرهم قال ابن جرير

حدثنا يعقوب حدثنا ابن عدي عن داود بن أبي هند حدثني محمد بن أبي موسى عن زياد رجل من الأنصار قال قلت لابي بن كعب أ رأيت لو ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توفين أما كان له أن يتزوج فقال وما يمنة من ذلك قال قلت قول الله تعالى لا يحل لك النساء من بعد فقال إنما أحل الله له ضربا من النساء فقال تعالى يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك التي قولته تعالى ان وهبت نفسها للنبي ثم قيل له لا يحل لك النساء من بعد ورواه عبد الله بن أحمد من طرق عن داود به وروى الترمذي عن ابن عباس قال نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء الا ما كان من المؤمنات المهاجرات بقوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك فأحل الله قسياتكم المؤمنات وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وحرم كل ذات دين غير الاسلام ثم قال ومن يكفر بالايان فقد حبط عمله الآية وقال تعالى يا أيها النبي انا أحللنا لك

والنساء ظن بمعنى أيقن ومعنى فتناه بتلناه وقال ابن عباس اختبرناه والمعنى انه عند ان تخاصما اليه وقال ما قال علم عند ذلك انه المراد ان مقصودهما التعريض به وبصاحبه الذي اراد ان ينزل له عن امرأته قال الواحدى قال المفسرون فلما قضى بينهما داود نظرا أحدهما الى صاحبه فضحك فعند ذلك علم داود بما اراداه قرأ الجمهور فتناه بالتحفيف للتاء وتشديد النون وقرئ بالتشديد للتاء والنون وهي مبالغة في الفسنة وقرأ الضحاك أفنائه وقرئ فتناه بتخفيفيهما واسناد الفعل الى الملكين (فاستغفر ربه) لذنبه (وخررا كعا) أى ساجدا وعبء بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما مافيه انحناء وقيل خر ساجدا بعد ما كان راكعا قال ابن العربي لا خلاف بين العلماء ان المراد بالركوع هنا السجود فان السجود هو الميل والركوع هو الانحناء وأحدهما يدخل في الآخر ولكنه قد يختص كل واحد منهما ما به يقتضيه ثم جاء هذا على تسمية أحدهما بالآخر وقيل المعنى للسجود راكعا أى مصلبا وقيل بل كان ركوعهم سجودا وقيل بل كان سجودهم ركوعا (وأنا ب) أى رجع الى الله بالتوبة من ذنبه قال المفسرون سجدوا دار بعين يوم لا يرفع رأسه الا الحاجة أو لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا الى تمام أربعين لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة وقد اختلف المفسرون في ذنب داود الذي استغفر له وتاب عنه على أقوال الاول انه نظر الى امرأة الرجل الذي اراد ان تكون زوجته له كذا قال سعيد بن جبيرة وغيره قال الزجاج ولم يتعمد داود النظر الى المرأة لكنه عاود النظر اليها وصارت الاولى له والثانية عليه الثانية انه أرسل زوجته في جملة الغزاة الثالث انه نوى ان مات زوجته أن يتزوجها الرابع ان اوريا بن حنان كان خطب تلك المرأة فلما غاب خطيبها اودت وزوجت منه لجلالته فاعتم لذلك أوريا فغضب الله عليه حيث لم يتزوجها فخطبها الخامس انه لم يجز على قتل أوريا كما كان يجز على من هلك من الجند ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة السادس انه حكم لاحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر كما قدمنا وأقول الظاهر من الخصومة التي وقعت بين الملكين تعريضه لاداء عليه السلام انه طلب من زوج المرأة الواحدة ان ينزل له عنها ويضهها الى نساءه ولا ينافي هذا العصمة الكائنة للانبياء فقد نهبه الله على ذلك وعرض له بارسال ملائكة اليه ليتخاصموا في مثل قصته حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه فاستغفر

(١٤ فتح البيان ثامن) أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله تعالى خالصه لك من دون المؤمنات وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء وقال مجاهد لا يحل لك النساء من بعد أى من بعد ما سمى لك من مسلمة ولا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة وقال أبو صالح لا يحل لك النساء من بعد ولا أمران يتزوج اعراية ولا غريبة ويتزوج بعد من نساءهم وما شاء من بنات العم والعصمة والخال والخالوات ان شاء ثلاثا وقال عكرمة لا يحل لك النساء من بعد أى التي سمى الله واختار ابن جرير ربه الله ان الآية عامة فيمن ذكر من أصناف النساء وفي النساء اللواتي في عصمته وكن تسعا وهذا الذي قاله جدي ولعله مراد كثير من حكيمنا عنه من

السلف فان كثيرا منهم روى عنه هذا وهذا ولا منافاة والله أعلم ثم اورد ابن جرير على نفسه ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 طلق حفصة ثم راجعها وعزم على فراق سودة حتى وهبت يومها عائشة ثم اجاب بان هذا كان قبل نزول قوله تعالى لايجعل لك النساء
 من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج الآية وهذا الذي قاله من ان هذا كان قبل نزول الآية صحيح ولكن لا يحتاج الى ذلك فان
 الآية اتعدلت على انه لا يزوج بين عددا اللواتي في عصمته وانه لا يستبدل بهن غيرهن ولا يدل ذلك على انه لا يطلق واحدة منهن
 من غير استبدال قاله أعلم فأما قضية سودة (١٠٦) ففي الصحيح عن عائشة رضيت الله عنها وهي سبب نزول قوله تعالى وان

امرأة خافت من بعلها نشوزا أو
 اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا
 بينهما ما صلحا الآية وأما قضية
 حفصة فروى أبو داود والنسائي
 وابن ماجه وابن حبان في صحيحه
 من طرق عن يحيى بن زكريا بن أبي
 زائدة عن صالح بن صالح بن يحيى
 عن سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير
 عن ابن عباس عن عمر أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم طلق حفصة
 ثم راجعها وهذا السناد قوى وقال
 الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو كريب
 حدثنا يونس بن بكير عن الأعمش
 عن أبي صالح عن ابن عمر قال دخل
 عمر على حفصة وهي تبكي فقال
 ما يبكيك لعلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم طلقك ان كان طلقك
 مرة ثم راجعك من أجلي والله لئن
 كان طلقك مرة أخرى لأأكلك
 أبدا ورجاله على شرط الصحيحين
 وقوله تعالى ولا أن تبدل بهن من
 أزواج الآية فهنا عن الزيادة
 عليهن أو إطلاق واحدة منهن
 واستبدال غيرها بها الامام ملك
 يمينه وقدرى الحافظ أبو بكر
 البرازح حديثا مناسبا ذكره ههنا

وتاب عنه وقد قال تعالى وعصى آدم ربه فغوى وهو أبو البشر وأول الانبياء ووقع لغيره
 من الانبياء ما قصه الله علينا في كتابه وفي الآية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله وظن
 داود انما فتناه وقوله فاستغفر ربه وقوله وأتاب وقوله فغفرنا له ذلك والحواب عن هذا
 بان حسنات الابرايم تالمقرين ليس كما ينبغي والاولى ما ذكرناه ثم أخبر سبحانه انه
 قبل استغفاره وتوبته فقال (فغفرنا له ذلك) الذنب الذي استغفر منه قال عطاء
 الخراساني وغيره ان داود بقي ساجدا أربعين يوما حتى نبت الرعي حول وجهه وغمر رأسه
 قال ابن الانباري الوقف على قوله ذلك تام ثم ابتدأ الكلام بقوله (وان له عندنا الزني
 وحسن ما ب) والزاني القرية والكرامة بعد المغفرة لذنبه قال مجاهد الزني الذنوب من الله
 عز وجل يوم القيامة والمراد بحسن المآب حسن المرجع وهو الجنة وأخرج ابن مردويه
 عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر يوم القيامة فعظم شأنه
 وشده قال ويقول الرحمن عز وجل لداود عليه السلام مر بين يدي فيقول داود يارب
 أخاف ان تدحضني خطيئتي خذ بذنبي خذ بذنبي فبدأ بقدمه عز وجل فيمر قال فقلت الزني التي
 قال الله وان له عندنا الزني وحسن ما ب وأخرج أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي
 والنسائي وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس انه قال في السجود في ص ليست من
 عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسجد فيها وأخرج النسائي
 وابن مردويه بسند جيد عنه أيضا ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سجد في ص وقال
 سجدها داود توبة وسجدها شكري وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة ان النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم سجد في ص وعن أنس مثله مر فوعا أخرجه ابن مردويه وأخرج الدارمي
 وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي
 في سننه عن أبي سعيد قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر ص لما بلغ
 السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تها
 الناس للسجود فقال انما هي توبة ولكني رأيتكم تهاتم للسجود فنزل فسجد (ياد اودانا
 جعلناك خليفة في الارض) لما تم سبحانه قصة داود أردفها بيان تفويض أمر خلافة
 الارض اليه والجملة مقولة لقول مقدر معطوف على غفرنا أي وقلنا ياد اودانا
 استخلفناك على الارض أوجعلناك خليفة لمن قبلك من الانبياء لتأمر بالمعروف وتنهى

فقال حدثنا ابراهيم بن نصر حدثنا مالك بن اسمعيل حدثنا عبد السلام بن حرب عن اسحق بن عبد الله

عن
 القرشي عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضيت الله عنه قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل ياداني
 امرأتك وبادلك بامرأتى أي تنزل على امرأتك وأنزل لك عن امرأتى فأنزل الله تعالى ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك
 حسنهن قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغيران فقال له رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فأين الاستبدان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه الجبراء الى جنبك فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق قال يا عيننة ان الله قد حرم ذلك فلما ان
خرج قالت عائشة من هذا قال أحق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه ثم قال البراز اوصق بن عبد الله بن الحديث جد وانما
ذكرناه لانام حفظه الامن هذا الوجه وبيننا العلة فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير
ناظرين اناه وليكن اذا دعيت فادخلوا فاذا طعمتم فانتشر واولا مستأنسين الحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله
لا يستحي من الحق واذا سألوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم (١٠٧) أظهر رلقاوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان
تؤذوا رسول الله ولا أن تسكحوا

عن المنكر وتدبر أمر الناس وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه
لم تتغير قط (فاحكم بين الناس بالحق) أي بالعدل الذي هو حكم الله بين عباده لان الاحكام
اذا كانت مطابقة للشرعية الحققة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخيرات
واذا كانت الاحكام على وفق الالهوية وتحصيل مقاصد الانفس أفضى الى تخريب العالم
ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق وذلك يفضى الى هلاك ذلك الحاكم (ولا تتبع
الهوى) أي هوى النفس في الحكم بين العباد وفيه تنبيه لداود عليه السلام ان الذي
عرتب عليه ليس بعدل وان فيه شأبة من اتباع هوى النفس (فصلك عن سبيل الله)
بالنصب على انه جواب للنهي والفاعل هو الهوى ويجوز ان يكون الفاعل مجزوما بالعطف
على النهي وانما حرك لالتقاء الساكنين فعلى الوجه الاول يكون المنهى عنه الجمع بينهما
وعلى الثاني يكون النهي عن كل واحد منهما على حدة وسبيل الله هو طريق الحق
أوطريق الجنة وأدلاله التي نصبها على الحق تشريعا وتكوينا (ان الذين يضلون عن
سبيل الله لهم عذاب شديد) تعديل للنهي عن اتباع الهوى والوقوع في الضلال (بما نسوا
يوم الحساب) الباء للسببية ومعنى النسيان الترك قال الزجاج أي بتركهم العمل لذلك
اليوم صاروا بمنزلة الناسين وان كانوا ينظرون ويذكرون ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا
في الدنيا وقال عكرمة والسائي في الآية تقديم وتأخير والتقدير ولهم عذاب يوم الحساب
بما نسوا أي تركوا القضاء بالعدل والاول اولى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا) مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها من أمر البعث والحساب أي ما خلقنا هذه الاشياء
خلقنا باطلا خارجا عن الحكمة الباهرة بل خلقناها للدلالة على قدرتنا فاتصاب باطلا على
المصدرية أو على الحالية أو على انه مفعول لاجله والاشارة بقوله (ذلك) الى المنى قبله
وهو مبتدأ وخبره (ظن الذين كفروا) أي مظنونهم فانهم يظنون ان هذه الاشياء خلقت
لا لغرض ويقولون انه لا قيامة ولا بعث ولا حساب وذلك يستلزم أن يكون خلق هذه
المخلوقات باطلا (فويل للذين كفروا من النار) الفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على
ظنهم الباطل أي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم كما ان وضع الموصول
موضع ضميرهم للاشعار بعلية الصلة لاستحقاقهم الويل ثم وبخبرهم وبكتهم فقال (أم نجعل

أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم
كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا أو
تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما)
هذه آية الحجاب وفيها أحكام
وآداب شرعية وهي مما وافق
تنزيلها قول عمر بن الخطاب رضى
الله عنه كما ثبت ذلك في الصحيحين
عنه انه قال وافقت ربي عز وجل في
ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت
من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله
تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم
مصلى وقلت يا رسول الله ان نساءك
يدخل عليهن البر والفاجر فلو حجبتن
فأنزل الله آية الحجاب وقلت لا زواج
النبي صلى الله عليه وسلم لما تاملت ان
عليه في الغيرة عسى ربه ان طلقكن
ان يبده أزواجا خيرا منكن فترت
كذلك وفي رواية لمسلم ذكر أسارى
بدر وهي قضية رابعة وقد قال
البخاري حدثنا مسدد عن يحيى عن
جميد عن أنس بن مالك قال قال
عمر بن الخطاب يا رسول الله يدخل
عليك البر والفاجر فلما أمرت أمهات
المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب
وكان وقت نزولها في صبيحة عرس

رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينة بنت جحش التي تولى الله تزويجها بنفسه تعالى وكان ذلك في ذى القعدة من السنة الخامسة في
قول قتادة والواقدي وغيرهما وزعم أبو عبيدة معمر بن المنذر وخليفة بن خياط ان ذلك كان في سنة ثلاث فالتة أعلم قال البخاري
حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي حدثنا معمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجلز عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما تزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فاذا هو يبتلى بالقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك
قام فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر فخاف النبي صلى الله عليه وسلم ليس يدخل فاذا التوم جلوس ثم انهم قاموا فانطلقوا فحنت

فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا لاجاء حتى دخل قدهبت أدخل قال في الحجاب بيني وبينه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتهم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا الآية وقدرناه أيضا في موضع آخر ومسلم والنسائي من طرق عن معتمر بن سليمان به ثم رواه البخاري منقردابه من حديث أبي يوب عن أبي قلابه عن أنس رضي الله عنه نحوه ثم قال حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال بنى النبي صلى الله عليه وسلم بزينب (١٠٨) بنت جحش بنجيز ولحم فأرسلت على الطعام داعيا فيجيء قوم فبأكلون

ويخرجون ثم يجيء قوم فبأكلون ويخرجون فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقلت يا رسول الله ما أجد أحدا أدعوه قال ارفهوا طعامكم وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته قالت وعليك السلام ورحمة الله كيف وجدت أهلك يا رسول الله بارك الله لك فقري بحجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة ويقبلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا ثلاثة رهط في البيت يهدون وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة فما أدري أخبرته أم أخبر ان القوم خرجوا فرجع حتى اذا وضع رجله في أسكنة الباب داخله والاخرى خارجه أرخى الستر بيني وبينه وأزلت آية الحجاب انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب الستة سوى النسائي في اليوم والليله من حديث عبد الوارث ثم رواه عن اسحق هو ابن منصور

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض) قال مقاتل قال كفار قريش للمؤمنين انانعطي في الآخرة كما تعطون فترأت وأم هي المنقطة المقدرة بيل والهـمزة للاضراب الاتقالي عن تقدر برأمر البعث والحساب والجزاء بما مر من نبي خلق العالم خاليعا عن الحكم بالمصالح إلى تقديره وتحقيقه بما في الهـمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجهه وأكده أي بل انجعل الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله وعملوا بفرائضه كالكفرة المفسدين في اقطار الارض بالمعاصي قال ابن عباس في الآية الذين آمنوا على وجزوة وعبيدة بن الحرث والمفسدون في الارض عتبة وشيبة والوليد ثم أضرِب سبحانه اضرابا آخر وانتقل عن الاول الى ما هو أظهر استحالة منه فقال (أم ليجعل المتقين كالنجار) أي بل انجعل أتقيا المؤمنين كاشقياء الكافرين والمنافقين وحل التجار على المنهمكين في معاصي الله سبحانه من المسكين مما لا يساعده المقام وقيل المراد بالمتقين الصحابة ولا وجه للتخصيص بغير محصص والاعتبار بعنوم اللفظ لا بخصوص السبب ويجوز ان يراد به الذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما أدخل في انكار التسوية من الوصفين الاولين (كتاب) أي القرآن كتاب (أزلائه اليك) يا محمد (مبارك) أي كثير الخير والبركة (ليدبروا آياته) أي التي من جللتها هذه الآيات المعربة من اسرار التكوين والتشريع وهو متعلق بأزلائه وفي الآية دليل على ان الله سبحانه انما أنزل القرآن للتدبر والتفكير في معانيه لا مجرد التلاوة وبدون تدبر قال الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصيدان لاعلم لهم بتأويله - فنظوا حرره فوضعوا حدوده قرأ الجهور ليدبروا بالادغام وقرئ لتدبروا بالتاء الفوقية على الخطاب وهي قراءة علي رضي الله تعالى عنه والاصل لتدبروا (وليستذكروا والالباب) أي ليستظ أهل العقول والبصائر والالباب جمع لب وهو العقل (وهبنا لداود سليمان) أخبر سبحانه بان من جلته نعمه على داود انه وهب له سليمان ولدا ثم مدح سليمان فقال (نعم العبد) أي سليمان فالخصوص بالمدح محذوف وقيل ان المدح هنا بقوله نعم العبد هو لداود والاول وأولى وجملة (انه أو اب) تعليل لما قبلها من المدح والاب الرجاء الى الله بالتوبة كما تقدم بيانه (اذ عرض عليه بالعشي) أي اذ كر ما صدر عنه وقت ان عرض عليه (الصابغات الجياد)

عن عبد الله بن بكر السهمي عن حميد عن أنس بن مالك قال رجلا ان انفرد به من هذا الوجه وقد تقدم في قيل أفرد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو المطرف حدثنا جعفر بن سليمان عن الجعد أبي عثمان البشكري عن أنس بن مالك قال أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه فصنعت أم سليم حيسا ثم جعلته في نور فقالت اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرئه مني السلام وأخبره ان هذا مناله قليل قال أنس والناس يومئذ في جهد فحنت به فقلت يا رسول الله بعثت بهذا أم سليم اليك وهي تقرئك السلام وتقول أخبره ان هذا مناله قليل فنظر اليه ثم قال ضعه فوضعت في ناحية البيت ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلان فسمى رجلا كثيرا وقال ومن اقيمت من المسلمين فدعوت من

قال في ومن لقيت من المسلمين جنت والبيت والصفحة والحجرة ملا من الناس فقلت يا أبا عثمان كم كانوا فقال كانوا ثلثة عشرة
قال انس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم جئ به جنت به اليه فوضع يده عليه ودعا وقال ماشاء الله ثم قال ليتخلق عشرة
عشرة وليسوا اوليا كل كل انسان مما يليه فجعلوا يسمون ويا كلون حتى اكلوا كلهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعه
قال جنت فاخذت التور فظنرت فيه فما أدري اهو حين وضعت أ كترام حين اخذت قال وتختلف رجال يتحدثون في بيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي (١٠٩) دخل بها معهم مولية وجهها الى الخائط

فأطالوا الحديث فشقوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد
الناس حياء ولو أعلموا كان ذلك
عليهم عز يزاقم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسلم على حجره وعلى
نساته فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم
قد ثقلوا عليه ابتدروا الباب فخرجوا
وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى ارخى الستر ودخل البيت وأنا
في الحجرة فكشك رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بيته يسيرا وأنزل الله
عليه القرآن فخرج وهو يتلو هذه
الآية يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الآية قال انس فقراهن
على النساء نسختة قبل الناس فأنا
احدث الناس بين عهدا وقد رواه
مسلم والترمذي والنسائي جميعا عن
قضية عن جعفر بن سليمان به وقال
الترمذي حسن صحيح وعلقه
البخاري في كتاب النكاح فقال
وقال ابراهيم بن طهمان عن الجعد
أبي عثمان عن أنس فذكر نحوه
ورواه مسلم أيضا عن محمد بن رافع
عن عبد الرزاق عن معمر بن
الجعد وقد روى هذا الحديث
عبد الله بن المبارك عن شريك عن

وقيل هو متعلق بنم وهو مع كونه غير متصرف لا وجه لتقيده بذلك الوقت وقبل متعلق
باواب ولا وجه لتقيده كونه أوابا بذلك الوقت والعشى من الظهر أو العصر الى آخر النهار
والصافنات جمع صافن وقد اختلف أهل اللغة في معناه فقال القتيبي والفراء الصافن في
كلام العرب الواقف من الخيل أو غيرها وبه قال قتادة ومنه الحديث من أحب أن يتم له
الناس صفونا فليتبوا مقعده من النار اي يدعون القيام له وقال الزجاج هو الذي يقف على
احدى اليدين ويرفع الاخرى ويجعل على الارض طرف الحافر منها حتى كأنه يقوم على
ثلاث وهي الرجلان واحدى اليدين وقد يفعل ذلك باحدى رجله وهي علامة النراهة
وقال أبو عبيدة الصافن الذي يجمع يديه ويسويهما وأما الذي يقف على سنبكه فاسمه
المقيم والحياد جمع جواد يقال للفرس ذكر أو أنثى اذا كان شديد العدو وقيل انها
الطوال الاعناق ماخوذ من الجيد وهو العنق وقيل الذي يجود في الركض قيل كانت مائة
فرس وقيل كانت عشرين ألفا وقيل كانت عشرين فرسا وعن ابراهيم التيمي قال كانت
عشرين ألف فرس ذات أجنحة فقهرها وقيل انها خرجت له من البحر وكانت لها أجنحة
وعن أبي هريرة قال الصافنات الجياد خيل خلقت على ماشاء وعن مجاهد قال صفون
الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على أطراف الحافر والحياد السراع لانه يجود
بالركض وصفها بالصفون لانه لا يكون في الهجان وانما هو في العراب وقيل وصفها
بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت
ساكنة مطمئنة في مواقعها واذا جرت كانت سراعا خفا في جريها قيل ان سليمان
غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من
العمالقة (فقال) اعترافا بما صدر منه وندما عليه وتهيدا لما يعقبه من الامر بردها
وعقرها والتعقيب باعتبار آخر العرض الممتدون ابتداءه (انى أحبيت حب الخير عن
ذ كررى) اتصاب حب على انه مفعول أحبيت بعد تضمينه معنى آثرت قال الفراء يقول
آثرت حب الخير وكل من أحب شيئا فقد آثره وقيل اتصابه على المصدرية بخذف الزوائد
والناصب له أحبيت وقيل هو مصدر تشبهى أى حبا مثل حب الخير والاول أولى والمراد
بالخير هنا الخيل قاله الزجاج وقال الفراء والخير والخيال في كلام العرب واحدا وانما تعاقب
بين الراء واللام فتقول انهم ملت العين وانهمرت وختلت وخترت قال النحاس وفي

بيان بشر عن أنس نحوه ورواه البخاري والترمذي من طريقين آخرين عن بيان بن بشر أبي بشر الاحمسي الكوفي عن أنس
نحوه ورواه ابن أبي حاتم أيضا من حديث أبي نضرة العبدى عن أنس بن مالك بنحو ذلك ولم يخرجوه ورواه ابن جرير من حديث
عمرو بن سعيد وابن حديث الزهري عن أنس بنحو ذلك وقال الامام احمد حدثنا به زهناشم بن القاسم قال حدثنا سليمان بن
المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذا كرهنا على قال فانطلق زيد
حتى أتانا قال وهي تخمر عينها فلما رأيتها عظمت في صدرى وكرهنا الحديث كما قدمناه عند قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا

وزاد في آخره بعد قوله ووعظ القوم بما وعظوا به قال هاشم في حديثه لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الآية وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث جعفر بن سليمان به وقال ابن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب حدثني عمي عبد الله بن وهب حدثني يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعد أبيض وكان عمر يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج رسول الله (١١٠) صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الاعلى قد

عرفناك يا سودة حرصا ان ينزل الحجاب قالت فانزل الله الحجاب هكذا وقع في هذه الرواية والمشهور ان هذا كان بعد نزول الحجاب كما رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضيت الله عنها قالت خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لما جئتها وكانت امرأة جسمية لا تخفى على من يعرفها فراها عمر بن الخطاب فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت فانكذبت رابعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وانه لينعشى وفي يده عرق فدخلت فقلت يا رسول الله اني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله اليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه فقال انه قد اذن لكن ان تخرجن لما جئكن لفظ البخاري فقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي تحظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغير اذن كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الاسلام حتى غار الله لهذه الامة فأمرهم

الحديث الخليل معقود بنو اصحاب الخير فكانها سميت خيرا لهذا وقيل لما فيها من المنافع وعن معنى على أي آتت حب الخليل على ذكر ربي يعني صلاة العصور به قال علي بن عباس الخير المال وقيل أحببت بمعنى لزمت وقيل بمعنى قعدت من أحب البعير اذا سقط وبرك من الاعياء وقيل بمعنى أردت (حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس ولم يتقدم لها ذكر ولكن المقام يدل على ذلك قال الزجاج انما يجوز الاضمار اذا جرى ذكر الشيء أو دل به المذكور وقد جرى هنا الدليل وهو قوله بالعمى والتواري الاستتار عن الابصار والحجاب ما يحجبها عن الابصار قال قتادة وكعب الحجاب جبل أخضر محيط بالخلائق وهو جبل قاف وسعى الليل حجابا لانه يستمرافيه ويقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه وفيه بعد وبرودة وعن ابن مسعود قال توارت من وراءها بقوة خضراء فخرت السماء منها وعن ابن عباس قال كان سليمان لا يكلم اعظامه فلقد فاتته صلاة العصور ما استطاع أحد ان يكلمه وقيل الضمير للخيل أي حتى توارت في المسابقة عن العين والاول أولى وقوله (ردوها على) من تمام كلام سليمان أي أعيدوا عرضها على مرة أخرى قال الحسن ان سليمان لما شغله عرض الخيل حتى فاتته صلاة العصور غضب لله وقال ردوها على أي أعيدوها وقال ابن عباس ردوها أي الخيل وقيل الضمير يعود الى الشمس ويكون ذلك معجزته وانما أمر بارجاعها بعد مغيبها لاجل ان يصل العصور والاول أولى (فطفق مسح بالسوق والاعناق) الفاء هي الفصيحة التي تدل على محذوف في الكلام والتقدير هنا فردوها عليه قال أبو عبيدة طفق يفعل مثل ما زال يفعل وهو مثل ظل وبات وانصاب مسح على المصدرة بفعل مقدر أي مسح مسحها لان خبز طفق لا يكون الا فعلا مضارعا وقيل هو مصدر في موضع الحال والاول أولى والسوق جمع ساق والاعناق جمع عنق والمراد انه طفق يضرب أعناقها وسوقها بالسيف يقال مسح علاوته أي ضرب عنقه قال الفراء المسح هنا القاطع قال والمعنى انه أقبل يضرب سوقها وأعناقها لانها كانت سبب فوت صلاته وكذا قال أبو عبيدة قال الزجاج ولم يكن يفعل ذلك الا وقد أباحه الله وجزان يباح ذلك لسليمان ويحظر في هذا الوقت وقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية فقال قوم المراد بالمسح ما تقدم وقال آخرون منهم الزهري وقتادة ان المراد به المسح على سوقها وأعناقها لكشف الغبار عنها احبالها والقول الاول أولى بسياق

الكلام

بذلك وذلك من اكرامه تعالى هذه الامة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والدخول على النساء الحديث ثم استثنى من ذلك فقال تعالى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه قال مجاهد وقتادة وغيره ما أي غير متعينين نخبه واستواءه اي لا ترتقبوا الطعام اذا طبخ حتى اذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول فان هذا مما يكرهه الله ويذمه وهذا دليل على تجريم التطفيل وهو الذي تسميه العرب الضيفن وقد صنف الخطيب البغدادي في ذلك كتابا في ذم الطفيلين وذم من اخبارهم اشياء بطول ايرادها ثم قال تعالى ولكن اذا دعيتهم فادخلوا فاذا طعمتم فانظروا وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله

عنه ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعوا احدكم اخاه فليجب عرسا كان او غيره واصله في الصحيحين وفي الصحيح ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى ذراع لاجبت ولو اهدى الى كراع لقبلت فاذا فرغتم من الذي دعيت اليه خفضوا عن أهل المنزل وانتشروا في الارض ولهذا قال تعالى ولا مستأنين لحديث اى كما وقع لاولئك النفر الثلاثة الذين استرسل بهم الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ان ذالكم كان يؤذى النبي فيستحي منكم وقيل المراد ان دخولكم منزله بغير اذنه كان يشق عليه ويتأذى به ولكن كان يكره (١١١) ان ينهاهم عن ذلك من شدة حيايه عليه

السلام حتى أزل الله عليه النهي عن ذلك ولهذا قال تعالى والله لا يستحي من الحق اى ولهذا انها كم عن ذلك وزجركم عنه ثم قال تعالى واذا سألوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب اى وكانه يتكلم عن الدخول عليهن كذلك لا تنظروا اليهن بالكلمة ولو كان لاحدكم حاجة يريدتها ولها منهن فلا ينظر اليهن ولا يسألهن حاجة الا من وراء حجاب وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حاتم حدثنا ابن ابي عمر حدثنا سفيان عن مسعر عن موسى بن ابي كثير عن مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسا في قعب فرعر فدهاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال حس أو أوه لو أطاع فيكن ما رأيتكن عين فنزل الحجاب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن اى هذا الذى أمرتكم به وشرعته لكم من الحجاب أظهر وأطيب وقوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولأن تنكحوا أزواجهن بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما قال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين

الكلام فانه ذكر انه أثرها على ذكره حتى فاتته صلاة العصر ثم أمرهم بردها عليه لعاقب نفسه بافساد ما ألهمه عن ذلك وما صده عن عبادة ربه وشغله عن القيام بما فرضه الله عليه ولا يناسب هذا أن يكون الغرض من ردها عليه هو كشف الغبار عن سوقها وأعناقها بالمسح عليها بيده أو بشويه ولا تمسك لمن قال ان افساد المال لا يصدر عن نبي فان هذا مجرد استبعاد باعتبار ما هو المتقرر في شرعنا مع جواز أن يكون في شرع سليمان ان مثل هذا مباح على ان افساد المال المنهى عنه في شرعنا انما هو مجرد اضاغته بغير غرض صحيح وأما الغرض صحيح فقد جازمه في شرعنا كما وقع منه صلى الله عليه وآله وسلم من اكداء القدر والى طبخت من الغنمية قبل القسمة ولهذا نظائر كثيرة في الشريعة ومن ذلك ما وقع من الصحابة من احرأق طعام المحتكر قال ابن عباس مسحا عقر ابا السيف اى قطع سوقها وأعناقها بالسيف قال الرازي التفسير الحق المطابق لالفاظ القرآن ان تقول ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمان احتاج الى غزو مجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها واذكر انى لأحبال الاجل الدنيا ونصيب النفس وانما أحبالها امر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله عن ذكر ربي ثم انه أمر باعدادها واجرائها حتى توارت بالحجاب ثم أمر برد الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح والغرض من ذلك المسح أمور الاول تشر فيها الكون من أعظم الاعوان في دفع العدو الثاني انه أراد ان يظهر انه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان أعلم بأحوال الخيل وأمر اضاغته وبعيها من غيره فكان يمسح حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزم من ذلك المنكرات والمخظورات انتهى وما أبر هذا التفسير من الرازي وأبعده عن النظم القرآنى والحق ما ذكرناه فان اللغة تشهد بضره السوق والاعناق ولا وجه للدول عنه الى تأويل ركيك وتوجيه بعيد بناء على عصمة الانبياء عليهم السلام (واقصدنا سليمان) اى بتليانه واختبرناه بسلب ملكه قال الواحدى قال أكثر المفسرين تزوج سليمان امرأته من بنات الملوك فعبدت الصنم في داره ولم يعلم بذلك سليمان فامتحن بسبب عقلمته عن ذلك وقبل ان سبب الفتنه أنه تزوج سليمان امرأة يقال لها جرادة وكان يحبها حباشيدا فاختصم اليه فريقان أحدهما من أهل جرادة فاحب أن يكون القضاء لهم ثم قضى بينهم

حدثنا محمد بن ابي حماد حدثنا مهران عن سفيان عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله قال نزلت في رجل هم أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده قال رجل لسفيان أهى عائشة قال قد ذكرنا ذلك وكذا قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وذكر بسنده عن السدى ان الذى عزم على ذلك طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى نزل التنبيه على تحريم ذلك ولهذا أجمع العلماء قاطبة على ان من توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أزواجه انه يحرم على غيره تزوجها من بعده لانهن أزواجه في الدنيا والاخرة وامهات المؤمنين كما تقدم واختلفوا في دخولها ثم طلقها في

حياته هل يحل لغيره ان يتزوجها على قولين مأخذهما هل دخلت هذه في عموم قوله من بعده أم لا فأما من تزوجها ثم طلقها قبل أن يدخل بها فاعلم في حلها لغيره والحالة هذه نزاعا والله أعلم وقال ابن جرير حدثني محمد بن المنثري حدثنا عبد الوهاب حدثنا داود عن عامر بن أبي بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله انما ليست من نسائه انما لم يخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها الله منه بالردة التي ارتدت (١١٢) مع قومها قال فاطمأن أبو بكر رضي الله عنه وسكن وقد عظم الله

تبارك وتعالى ذلك وشدد فيه وتوعد عليه بقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما ثم قال تعالى ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما أي مهماتكنه ضمما تركم وتنظوي عليه سرانكم فان الله يعلمه فانه لا يخفى عليه خافية يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور (الاجتياح عليهم في آباءهم ولا أبناءهم ولا اخوانهم ولا أبناء اخوانهم ولا ماملكت أيمانهم واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا) لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الاجانب بين ان هؤلاء الاقارب لا يجب الاحتجاب منهم كما استثناهم في سورة النور عند قوله تعالى ولا يبدن زينتهن الالبعولتهن أو آباءهن أو ابناء بعولتهن أو ابناءهن أو اباؤهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو نسائهن أو ماملكت ايمانهن أو التابعين غير أولى الاربعة من الرجال أو اللطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وفيها زيادات على هذه وقد تقدم تفسيرها

بالحق وقيل السبب أنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضى بين أحد وقيل انه تزوج جرادة هذه وهي مشركة لانه عرض عليها الاسلام فقالت اقتلني ولا أسلم وقال كعب الاحبار انه لما ظلم الخليل بالقتل سلب ملكه وقال الحسن انه قارب بعض نساؤه في شيء من حيض أو غيره وقيل انه أمر أن لا يتزوج امرأة الا من بنى اسرا ثم يزوج امرأة من غيرهم وقيل ان سبب فتنته ما ثبت في الحديث الصحيح أنه قال لا طوفن الليلة على تسعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يقاتل في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله وقيل غير ذلك والمصبر الى الحديث متعين قال النسفي وأما ما روى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فن أباطيل اليهود انتهى أقول حديث الخاتم أخرجه النسائي وغيره وقواه السيوطي كما سأتي فكونه من أباطيل اليهود ليس على ما ينبغي ثم بين سبحانه ما عقبه به فقال (وأقينا على كرسيه جسدا) قال أكثر المفسرين هذا الجسد الذي ألقاه الله على كرسى سليمان هو شيطان اسمه صغور وكان متمردا عليه غير داخل في طاعته ألقى الله شبه سليمان عليه وما زال يجتال حتى ظفر بجناح سليمان وذلك عند دخول سليمان الكنيف لانه كان يلقبه اذا دخل الكنيف فإصه في صورة سليمان فاخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان فقعده على سر سليمان وأقام أربعين يوما على ملكه وسليمان هارب وكان ملكه مرتبعا على لبسه فاذا لبسه سخرت له الجن والانس والرياح وغيرها واذا نزعه زال عنه الملك قيل وكان خاتمه من الجنة نزل به آدم كما نزل بعصا موسى والحجر الاسود وبعود الجحور وباراق التين وقد نظم الخمسة بعضهم في قوله

وآدم معه انزل العود والعصا * لموسى من الآس النبات المكرم
وأوراق تين واليمين بركة * وختم سليمان النبي المعظم

لكن يشتر ذلك الى دليل يدل له من الاخبار المرفوعة الصحيحة وقال مجاهد ان شيطانا قال له سليمان كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله نساء سليمان فلم يقربهن وكان سليمان يستطعم فية ول تعرفوني أطمعوني فيكذبوه حتى أعطته امرأة يوما حوتا فشق بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع اليه ملكه وهو معنى قوله (ثم أناب) أي رجع الى ملكه بعد أربعين وقيل معنى أناب رجع الى الله بالتوبة من ذنبه وهذا هو الصواب قيل فتن سليمان بعد

والكلام عليها بما اغنى عن اعادته ههنا وقد سألت بعض الساف فقال لم لم يذكر العم والخال في هاتين الآيتين ما

فأجاب عكرمة والشعبي بأنهم لم يذكروا لانهم ما قد يصفان ذلك لئلا ينهوا قال ابن جرير حدثني محمد بن المنثري حدثنا حجاج بن منهال حدثنا جاد حدثنا داود عن الشعبي وعكرمة في قوله تعالى لا جناح عليهن في آباءهن الآية قلت ما شأن العم والخال لم يذكرا لانهما ينعتان الابناء ما وكرها ان تضع خمارها عند خالها ووعها وقوله تعالى ولا نسائهن يعني بذلك عدم الاحتجاب من النساء المؤمنات وقوله تعالى ولا ماملكت ايمانهم يعني به ارقاعهن من الذكور والانات كما تقدم التنبيه عليه وباراد الحديث فيه

قال سعيد بن المسيب انما يدعى به الاما فقط رواه ابن ابي حاتم وقوله تعالى واتقوا الله ان الله كان على كل شيء شهيدا اي واخشيتهم في الخلاوة والعلانية فانه شهيد على كل شيء لا يخفى عليه خافية فراقب الرقيب (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) قال الصاري قال ابوالعالية صلاة الله تعالى شأوه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء وقال ابن عباس يصلون يركون هكذا علقه البخاري عنهم وقد رواه ابو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كذلك وروى مثله عن الربيع أيضا وروى على بن أبي طلحة عن ابن (١١٣) عباس كما قاله سواهم واهما ابن أبي حاتم

وقال ابو عيسى الترمذي روى عن سنيان الثوري وغير واحد من اهل العلم قالوا صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار ثم قال ابن ابي حاتم حدثنا عمرو الاودي حدثنا وكيع عن الامش عن عمرو ابن مرة قال الامش اراه عن عطاء بن أبي رباح ان الله وملائكته يصلون على النبي قال صلواته تبارك وتعالى سبح قدوس سبقت رحمتي غضبي والمقصود من هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملا الاعلى بأنه ينزل عليه عند الملائكة المقربين وان الملائكة تصلي عليه ثم امر تعالى اهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من اهل العالمين العلوي والسفلي جميعا وقد قال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني ابي عن ابيه عن أشعث بن اسحق عن جعفر يعني ابن المغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ان بني اسرائيل قالوا لموسى عليه السلام هل يصلي ربك فناده ربه عز

ماملك عشرين سنة وملك بعد الفسنة عشرين سنة اخرج الحاكم وصححه والفرابي والحكيم الترمذي عن ابن عباس قال الشيطان الذي كان على كرسية يقضي بين الناس اربعين يوما وكان لسليمان امرأة يقال لها جردة وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة فقضى بينهم بالحق الا أنه ودأن الحق كان لأهلها فأوحى الله اليه ان سيصيبك بلاء فكان لا يدري آياته من السماء أم من الارض وأخرج التسائي وابن جرير وابن ابي حاتم بسند قال السيوطي قوی عن ابن عباس قال أراد سليمان ان يدخل الخلافة فاعطى جردة خاتمه وكانت جردة امرأته وكانت أحب نساءه اليه فغاب الشيطان في صورة سليمان فقال لها ها في خاتمي فأعطته فلما لبسه دانت له الانس والجن والشياطين فلما خرج سليمان من الخلافة قال ها في خاتمي قالت قد أعطيتك سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت لست سليمان فجعل لا يأتي أحدا يقول أنا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرونه بها فحجارة فلما رأى ذلك عرف انه من أمر الله وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله أن يرده على سليمان سلطانه ألقي في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان فارتدوا الى نساء سليمان فقالوا لهن تنكرن من أمر سليمان شيئا قلن نعم انه باتينا ونحن نحيض وما كان ياتنا مقبل ذلك فلما رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكذبوا كتب فيها سحر وكفر فدفتوها تحت كرسى سليمان ثم أناروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان فلم يزالوا يكفرون به وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في الجرف فتلقتة سمكة فأخذته وكان سليمان يعمل على شط البحر بالاجر فجاء رجل فاشترى سمكة فبها تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان فقال تحمل لي هذا السمك قال نعم بكم قال بسمكة من هذا السمك فحمل سليمان السمك ثم انطلق به الى منزله فلما انتهى الرجل الى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذها سليمان فشق بطنها فاذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه فلما لبسه دانت له الجن والانس والشياطين وعاد الى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان في طلبه وكان شيطان امريدا فجعلوا يطلبونه ولا يتدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاءوا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يشب في مكان من البيت الا انبسط معه الرصاص فأخذه وأوثقه وجأه الى سليمان فأمر به ففقر له تحت من رصاص ثم أدخله في

(١٥ فتح البيان ثامن) وجل يا موسى سألو هل يصلي ربك فقل نعم أنا أصلي وملائكتي على انبيائي ورسلي فانزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا ذكروا الله ذكرا كثيرا وسجدوا بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم الآية وفي الحديث ان الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وفي الحديث الآخر اللهم صل على آل أبي أوفى وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة جابر وقد سأله أن يصلي عليها وعلى زوجها صلى الله عليه وعلى زوجته وقد جانت الاحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بالصلاة عليه وكيفية الصلاة عليه ونحن نذكر منها ان شاء الله ما يتسر والله المستعان قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك جيد مجيد اللهم بارك على (١١٤) محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك جيد مجيد وقال الامام

اجد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم قال سمعت ابن أبي ليلى قال لقيتني كعب بن عجرة فقال ألا اهدي لك هدية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلنا يا رسول الله قد علمنا وأعرفنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك جيد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك جيد مجيد وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة في كتبهم من طرق متعددة عن الحكم وهو ابن عتيبة زاد البخاري وعبد الله ابن عيسى كلاهما عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى فذكرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا هشيم بن بشير عن يزيد بن أبي زياد حدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد

خوفه ثم شتمه بالبأس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله ولقد فتنا سليمان وألقيناه على كرسيه جسدا يعني الشيطان الذي كان ساطع عليه وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال صخر الجني تمثل على كرسيه على صورته (قال) سليمان (رب اغفر لي) ما صدر عني من الذنب الذي ابتليتني لأجله وطلب المغفرة دأب الانبياء والصالحاء هضموا النفس واطهاروا اللذول والخشوع وطلبوا الترتيق في المنامات ثم لما قدم التوبة والاستغفار جعلها وسيلة الى اجابة طلبته فقال (وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) قال أبو عبيدة معناه لا يكون لاحد من بعدي وقيل لا ينبغي لاحد أن يسلبه مني بعد هذه السلبه أو لا يصح لاحد من بعدي لعظمته وليس هذا من سؤال نبي الله سليمان عليه السلام للدينا وملكها والشرف بين أهلها بل المراد بسؤاله الملك أن يتمكن به من انفاذ حكم الله سبحانه والاخذ على يد المتمردين من عبادته من الجن والانس ولولم يكن من مقتضيات لهذا السؤال منه الامارة عند قعود الشيطان على كرسيه من الاحكام الشيطانية الجارية في عباد الله لكفى وجلة (انك أنت الوهاب) تعديل لما قبلها مما طلبه من مغفرة الله له وهبة الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده لا بالاخيرة فقط فان المغفرة أيضا من أحكام وصف الزهانية قطعاً قاله أبو السعود وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان عفتي تامن الجن جعلت ينزلت على البارحة ليقطع على صلاتي وان الله امكنني منه فلقدمت ان أربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبوا اقتنظوا اليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله حاسماً ثم أخذ كرسجانه اجابته له عوته واعطاه لمسلته فقال (فسخرنا له الريح) أي ذللنا هاله وجعلنا هاهما منقاداً لاهره ثم بين كيفية التسخير لها بقوله (تجري بأمره رخاء) أي لينة الهموب ليست بالعاصف مأخوذ من الرخاوة والمعنى انها ريح لينة لا تعزع ولا تعصف مع قوة هبوبها وسرعة جريها ولا ينافي هذا قوله في آية أخرى وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره لان المراد انها في قوة العاصفة ولا تعصف وقيل انها كانت تارة رخاء وتارة عاصفة على ما يريده سليمان وبشتميه وهذا أولى في الجمع بين الآيتين (حيث أصاب) قال الزجاج اجماع أهل اللغة والمفسرين على ان معنى حيث أصاب حيث أراد وحقيقته حيث قصد وقال الاصمعي

وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت

وعلى ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول وعلمنا معهم ورواه الترمذي بهذه الزيادة ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم اياه كما كان يعلمهم السور من القرآن وفيه السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته حديث آخر قال البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن ابن الهادي عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك

ورسولك كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم حدثنا ابراهيم بن حمزة حدثنا ابن ابي حازم والدرا وردي عن يزيد بن عيسى بن الهادي قال كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن الهادي حديث آخر قال الامام أحمد قرأت على عبد الرحمن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عمرو بن سليم انه قال أخبرني ابو جعيد الساعدي انه سمع قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على (١١٥) محمد وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم

انك حميد مجيد وقد اخرج به بقية الجماعة سوى الترمذي من حديث مالك به حديث آخر قال مسلم حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجرى اخبرني محمد بن عبد الله بن زيد الانصاري قال وعبد الله بن زيد هو الذي كان أرى النداء بالصلاة اخبره عن ابي مسعود الانصاري قال أنا نارسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادَةَ فقال له بشر بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك به وقال الترمذي حسن صحيح وروى

وابن الاعرابي العرب تقول أصاب الصواب وأخطأ الجواب وقيل معنى أصاب بلغة حير أراد وليس من لغة العرب وقيل هو بلسان هجر والاول أولى وهو مأخوذ من اصابة السهم للغرض (و) حزناله (الشياطين) وقوله (كل بناء وغواص) بدل من الشياطين أي كل بناء منهم وغواص منهم يبنون له ما يشاء من المباني ويعوضون في البحر فيخرجون له الدرمنه وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر (وأخرين مقرنين في الاصفاد) معطوف على كل داخل في حكم البدل وهم مرده الجن والشياطين سخره وال واحد هاصفد قال الزجاج هي السلاسل فكل ما شدته شدا وثيقا بالحديد وغيره فقد صدفه قال أبو عبيدة صدف الرجل فهو مصفود وصفدته فهو مصفد قال يحيى بن سلام ولم يكن يفعل ذلك الا بكناهم فاذا آمنوا أطلقهم ولم يسخرهم (هذا) أي ما تقدم من تسخير الريح والشياطين له أو من الملك والمال والبسطة وهو بتقدير القول أي وقلناه هذا (عطاؤنا) الذي أعطيناه من الملك العظيم الذي طلبته (فامن أو أمسك) أي فاعط من شئت وامنع من شئت قاله الحسن والضحاك وغيرهما وقال ابن عباس اعتق من الجن من شئت وامسك منهم من شئت (بغير حساب) لاحساب عليك في ذلك الاعطاء والامسالك واعطاؤنا لك بغير حساب لكثرة وعظمته وقال قتادة ان قوله هذا عطاؤنا اشارة الى ما أعطيه من قوة الجعاع وهذا الوجه لقصر الآية عليه لو قدرنا انه قد تقدم ذكره من جملة تلك المذكورات فكيف يدعى اختصاص الآية به مع عدم ذكره (وان له عندنا لثمن) أي قرينة في الآخرة (وحسن ما ب) اي حسن مرجع وهو الجنة (واذكر عبدنا أيوب) عطف بيان وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام حتى كأن قصتهما قصة واحدة (وأيوب) هو ابن عيص بن اسحق (اذ نادى ربه) بدل اشتمال من عبدنا (اني مسنى الشيطان) قرأ الجمهور بفتح الهمزة على انه حكاية لكلامه الذي نادى به ربه ولولم يحكم لقال انه مسه وقرئ بكسر هاء على اضممار القول وفي ذكر قصة أيوب ارشاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاقتداء به في الصبر على المكروه (ينصب) قرأ الجمهور بضم النون وسكون الصاد فقبل هو جمع نصب بفقهتين نحو أسد وأسد وقيل هو واغفة في النصب نحو رشد ورشد وقرئ بضمتين وبفتحيتين

الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في مستدرکهم حديث محمد بن اسحق عن محمد بن ابراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه عن أبي مسعود البدرى أنهم قالوا يا رسول الله أما السلام فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذ اذهن صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وكرهه ورواه الشافعي رحمه الله في مسنده عن أبي هريرة بمثله ومن ههنا ذهب الشافعي رحمه الله الى أنه يجب على المصلي ان يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير فان تركه لم تصح صلاته وقد نشر ع بعض المتأخرين من المالكية وغيرهم بشنع على الامام الشافعي في اشتراطه ذلك في

الصلاة ويزعم أنه قد تفرّد بذلك وحكى الاجماع على خلافه ابو جعفر الطبري والطحاوي والخطابي وغيرهم فيما نقله القاضي عياض عنهم وقد تعسف هذا القائل في رده على الشافعي وتكف في دعواه الاجماع في ذلك فانه قد رد وسنا وجوب ذلك والامر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة كما هو ظاهر الآية مفسر بهذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وابو مسعود البدرى وجابر بن عبد الله ومن التابعين الشعبي وابو جعفر الباقروم مقاتل بن حيان واليه ذهب الشافعي لاختلاف عنه في ذلك ولا يبين أصحابه أيضا واليه ذهب (١١٦) الامام أحمد أخيرا فيما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي به وبه قال اسحق

ابن راهويه والفقهاء الامام محمد بن ابراهيم المعروف بابن المواز المالكي رحمهم الله حتى ان بعض أئمة الخنابلة أوجب ان يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم ان يقولوا المسألوه وحتى ان بعض اصحابنا أوجب الصلاة على آله وعن حكاه البندنجي وسليم الرازي وصاحبه نصر بن ابراهيم المقدسي ونقله امام الحرمين وصاحبه الغزالي قولاً عن الشافعي والصحيح انه وجه على ان الجهور على خلافه وحكوا الاجماع على خلافه والقول بوجوده ظهور للحديث والله أعلم والغرض ان الشافعي رحمه الله لقوله بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ساف وخلف كما تقدم والله الحمد والمئة فلا اجماع على خلافه في هذه المسئلة لا قديما ولا حديثا والله أعلم وما يؤيد ذلك الحديث الآخر الذي رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهم من رواية حيوة بن شريح المصري عن أبي هانيء حميد بن هانيء عن عمرو

وبفتح وسكون وهذه القراءات كلها بمعنى واحد وانما اختلفت القراءات باختلاف اللغات وقال ابو عبيدة ان النصب بفتحة العين والاعياء وعلى بقیة القراءات الشر والبراء (وعذاب) أي ألم قال قتادة ومقاتل النصب في الجسد والعذاب في المال قال التماس وفيه بعد كذا قال والاولى تفسير النصب بالمعنى اللغوي وهو التعب والاعياء وتفسير العذاب بما يصدق عليه مسمى العذاب وهو الألم وكلاهما راجع الى البدن وقد أخرج أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وابن عساکر عن ابن عباس خبر اطويلا في قصة أيوب أوله ان الشيطان عرج الى السماء فقال يا رب سلطني على أيوب قال الله تعالى لقد سلطتك على ماله وولده ولم أسلطك على جسده الحديث بطوله وفيه نكارة شديدة فان الله سبحانه لا يمكن الشيطان من نبي من انبيائه ويساطه عليه هذا التسلط العظيم وأسند المس الى الشيطان مع ان الله سبحانه هو الذي مسه بذلك اما لكونه لما عمل بوسوسته عوقب على ذلك بذلك النصب والعذاب فقد قيل انه أعجب بكثرة ماله وقيل استغائه مظلوم فلم يغنه وقبل انه قال ذلك على طريقة الادب وقيل انه قال ذلك لان الشيطان وسوس الى اتباعه فرفضوه وأخرجوه من ديارهم وقيل المراد به ما كان يوسوسه الشيطان اليه حال مرضه وابتلائه من تحسين الجزع وعدم الصبر على المصيبة وقيل غير ذلك (اركض برجلك) أي قاله اركض كذا قال الكسائي والركض الدفع بالرجل يقال ركض الدابة اذا ضربها وقال المبرد الركض التحريك قال الاصمعي يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي لان الركض انما هو تحريك راكبا رجله ولا فعل لها في ذلك وحكى سيبويه ركضت الدابة فركضت مثل جبرت العظم جبر (هذه تغتسل بارود وشراب) هذا أيضا من مقول القول المقدر وفي الكلام حذف والتقدير فركض برجله فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل الخ وظاهر النظم الكريم ان الغتسال والشرب كانا من عين واحدة والغتسال هو الماء الذي يغتسل به والشراب الذي يشرب منه وقيل ان الغتسال هو المكان الذي يغتسل فيه قال قتادة هم اعينان بارض الشام في أرض يقال لها الجابية فاغتسل من احدهما فاذهب الله ظاهر دائه وشرب من الاخرى فاذهب الله باطن دائه وكذا قال الحسن وقال مقاتل نبعت عين جارية فاغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت عين اخرى فمضرب منها ماء عذبا باردا (ووهبنا له أهله) معطوف على مقدر كأنه قيل فاغتسل وشرب فكشف فذا عنه بذلك ما به من

ابن مالك ابى على الحسيني عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ضمر يدعو في صلواته لم يجد الله ولم يصل على النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له اولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتمجيد الله عز وجل والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليبدأ بعد بما شاء وكذا الحديث الذي رواه ابن ماجه من رواية عبد المهين بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل على النبي ولا صلاة لمن لم يحب الا نصارى ولكن عبد المهين هذا متروك وقد

زواه الطبراني من رواية أخيه ابي بن عباس ولكن في ذلك نظروا عما يعرف من رواية عبد المهين والله أعلم حديث آخر قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هرون اخبرنا السعدي عن ابي داود الاعشى عن بريدة قال قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على ابراهيم وآل ابراهيم انك جيد مجيد اودود الاعشى اسمه نضيع بن الحرث متروك حديث آخر موقوف رويان من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن هرون ويزيد بن الحباب ثلاثتهم عن نوح بن قيس حدثنا سلامة الكندي ان عليا (١١٧) رضى الله عنه كان يعلم الناس هذا الدعاء

اللهم داحي المدحوات وبارئ المسهوكات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة محنتك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والداغ الحيشات الا باطيل كما جعل فاضلمع بأمرك بطاعتك مستوفزاني مرضاتك غيرتك في قدم ولا وهن في عزم داعيا لوحيد حافظا العهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا القاباس آلاء الله تصل باهـ له اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وأبجح موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعينك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدتك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنتات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعاول اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم منواه لديك وزله وأتم له نوره واجزه من ابتعائك له قبول

ضر ووهبنا له أهـ له قيل أحياهم الله بعد ان أماتهم وقيل جمعهم بعد تفرقهم وقيل غيرهم مثلهم ثم زاده مثلهم معهم وهو معنى قوله (ومثلهم معهم) فكانوا أمثلي ما كانوا من قبل ابتلائه (رحمة منا وذكرى لأولي الالباب) أي وهبناهم له لاجل رحمتنا اياه وليتذكر بحاله أو لوالالباب فيصبروا على الشدائد كما صبر ويلجوا الى الله كما جأ به فعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وقد تقدم في سورة الانبياء تفسير هذه الآية مستوفى فلانعيده (وخذ معطوف على اركض أو على وهبنا أو التقدير وقتلنا خذ بيدك ضغتنا) هو عسكال التخل بشمار يخه وقيل هو قبضة من حشيش مختلط رطبها يابسها وقيل الحزمة الكبيرة من القصبان وأصل المادة تدل على جمع المختلطات قال الواحدى الضغ مل الكف من الشجر والحشيش والشمار يجمع عن ابن عباس قال الضغ هو الاسل وقال أيضا الضغ القبضة من المرعى الرطب وقال أيضا الحزمة (فأضرب به) أي بذلك الضغ (ولا تخمض) في عينك والخمض الاثم ويطلق على فعل ما خلف على تركه أو ترك ما خلف على فعله لانهما سببان فيه وكان أيوب قد خلف في مرضه أن يضرب امرأته مائة جلدة واختلف في سبب ذلك فقال سعيد بن المسيب انها جاتته بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز تخاف خيانتها خلف ليضربنها وقال يحيى بن سلام وغيره ان الشيطان أغواها ان تحمل أيوب على ان يذبح سخله تقر باليه فانه اذا فعل ذلك برئ خلف ليضربنها اذا عوفى مائة جلدة وقيل باعت ذوابتها برغيفين اذ لم تجدها بأو كان أيوب يتعلق بها اذا أراد القيام فلهذا خلف ليضربنها وأخرج أحمد في الزهد عن ابن عباس قال ان ابلدس قعد على الطريق وأخذ تايوتا يداوى الناس فقالت امرأته أيوب يا عبد الله ان ههنا مبتلى من امره كذا وكذا فهل لك ان تدوا به قال نعم بشرط ان انشيتيه ان يقول انت شقيتي لا اريد منه أجر غيره فأنت أيوب فذكرت له ذلك فقال ويحك ذلك الشيطان لله على ان شفاني الله ان أجلدك مائة جلدة فلما شفاه الله امره ان يأخذ ضغنا فيضرب بها به فأخذ عدقا فيه مائة شعراخ فضر بها به ضربة واحدة وأخرج أحمد والطبراني عن أبي امامة بن سهل بن حنيف قال حملت وليدة في بنى ساعدة من زنا فقيل لها ممن حملك قالت من فلان المقعد فمثل المقعد فقال صدقت فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال خذوا عسكولا فيه مائة شعراخ فاضر بوه ضربة واحدة وله طرق اخرى وقد اختلف العلماء هل هذا خاص

الشهادة مرضى الذالة ذامنطق عدل وخطة فصل ووجه وبرهان عظيم هذا مشهور من كلام علي رضى الله عنه وقد تكلم عليه ابن قتيبة في شكل الحديث وكذا أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوى في جزمه في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا ان في اسناده تطرا قال شيخنا الحافظ أبو الجراح المزى سلامة الكندي هذا ليس بعرف ولم يدرك عليا كذا قال وقد روى الحافظ أبو القاسم الطبراني هذا الاثر عن محمد بن علي الصائغ عن سعيد بن منصور حدثنا نوح بن قيس عن سلامة الكندي قال كان علي رضى الله عنه يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات وكرم موقوف حديث آخر قال ابن ماجه حدثنا زياد

ابن عبد الله حدثنا المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الاسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود ورضي الله عنه قال اذا صليت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قال فقالوا له علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابدئنا ما محمودنا بعبادته بالاولون والآخرين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك جيد مجيد وهذا وقوف

وقد روى اسمعيل القاضي عن عبد الله بن عمرو وأبو عمرو على الشك من الراوي ترى من هذا حديث آخر قال ابن جرير حدثنا أبو بكر بن حدثنا مالك بن اسمعيل حدثنا أبو اسرايل عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقال أنبأني من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فتلنا أو قالوا يا رسول الله علمنا السلام عليك فكف الصلاة عليك قال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد وارحم محمد وآل محمد كما رحمت آل ابراهيم انك جيد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك جيد مجيد فيستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي كما هو قول الجمهور وبعضه حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني ومحمد ولا ترحم معنا احد ا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حجرت واسعا وحكى القاضي عياض عن جمهور المالكية منعه

يا يوب او عام للناس كلهم وان من حلف خرج من بينه بمنى ذلك قال الشافعي اذا حلف لضرب بن فلان مائة جلدة او ضرب باولم يقل ضرب باء لم يدوم ينوب قلبه فيكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الآية حكاه ابن المنذر عنه وعن ابى ثور واصحاب الرأي وقال عطاء هو خاص يا يوب ورواه ابن القاسم عن مالك ثم اتى الله سبحانه على أيوب فقال (انا وجدناه) اي علمناه (صابرا) على البلاء الذي ابتليناه به فانه ابتلى بالداء العظيم في جسده وذهاب ماله وولده واهله فصبر وليس في شكواه الى الله اخلاصا بذلك فانه ليس جوعا كتمنى العاقبة وطلب الشفاء والشكاية المذمومة انما هي اذا كانت للمخلوقين قال ابن مسعود يا يوب رأس الصابرين يوم القيامة (نعم العبد) اي ايوب (انه آاب) اي رجاع الى الله تعالى بالاستغفار والتوبة (واد كرعبادنا ابراهيم واصحق ويعقوب) اي اذ كرسبهم على ما اصابهم تناس بهم قسرا لجمهور عبادنا بالجمع وقرئ بالافراد فعلى قراءة الجمهور يكون اسحق و ابراهيم ويعقوب عطف بيان وعلى القراءة الاخرى يكون ابراهيم عطف بيان وما بعده عطف على عبدنا على ابراهيم وقد يقال لما كان المراد بعبدنا الجنس جازا بدل الجماعة منه وقيل ان ابراهيم وما بعده بدل او النصب بانما راعى وعطف البيان أظهر وقراءة الجمهور ابيين وقد اختارها ابو حاتم و ابو عبيد (أولى الايدي والابصار) الايدي جمع اليد اما الجارحة فكفى بذلك عن الاعمال لان اكثر الاعمال انما يزل باليد وقيل جمع اليد التي بمعنى القوة والقدرة قال قتادة اعطوا قوة في العبادة ونصر في الدين قال الواحدى وبه قال مجاهد وسعيد بن جبيرة والمفسرون قال النحاس أم الابصار فتفق على انها البصائر في الدين والعلم واما الايدي فتختلف في تأويلها فاهل التفسير يقولون انها القوة في الدين وقوم يقولون الايدي جمع يدها النعمة اي هم اصحاب النعم الذين انعم الله عز وجل عليهم وقيل هم اصحاب النعم على الناس والاحسان اليهم لانهم قد احسنوا وقدسوا خيرا واختر هذا ابن جرير قرأ الجمهور الايدي باثبات الياء وقرئ بغير ياء فقبل معناها معنى الاولى وانما حذف الياء للدلالة كسرة الدال عليها وقيل الايدي القوة الا ان الزمخشري قال ونقصه بالايدي من التأييد فلو لم تكن انتهى وكأنه انما فلق عنده لعطف الابصار عليه فهو غير مناسب للايدي من التأييد وقد يقال انه لا يراد حقيقة الجوارح اذ كل احد كذلك انما المراد الكناية عن العمل الصالح والتفكير بصيرته فلم يلق حينئذ اذ لم ير حقيقة الابصار

قال وأجازة أبو محمد بن أبي زيد حديث آخر قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر أخبرنا شعبة عن عاصم بن وكاه عبيد الله قال سمعت عبد الله بن عاصم بن زبيدة يحدث عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى على فليقل عبد من ذلك أو لبيك ورواه ابن ماجه من حديث شعبة حديث آخر قال أبو عيسى الترمذى حدثنا بندار حدثنا محمد بن خالد بن عميرة حدثني موسى بن يعقوب الزمعي حدثني عبد الله بن كيسان ان عبد الله بن شداد أخبره عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة تفرد بروايته

الترمذي رحمه الله ثم قال هذا حديث حسن غريب حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن يعقوب بن يزيد بن طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أناني أت من ربي فقال لي ما من عبد يصلي عليك صلاة الاصلى الله عليه بمائة مرة فقال يا رسول الله الا تجعل نصف دعائي لك قال ان شئت قال الا تجعل ثلثي دعائي لك قال ان شئت قال الا تجعل دعائي لك كله قال اذن يكفيك الله هم الدنيا وهم الآخرة فقال شيخ كان بمكة يقال له منيع اسفيان عن أسنده قال لأدرى حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا سعد بن سلام العطار (١١٩) حدثنا سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد

ابن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في خوف الليل فيقول جاءت الراحفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه وقال أبي يا رسول الله اني أصلي من الليل أفأجعل لك ثلاث صلواتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشطر قال أفأجعل لك شطر صلواتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلثان قال أفأجعل لك صلواتي كلها قال اذن يغفر الله لك ذنوبك كله وقد رواه الترمذي نحوه فقال حدثنا هناد حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراحفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قال أبي قلت يا رسول الله اني أكره الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلواتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قلت فأنصت قال ما شئت فان زدت فهو خير لك

وكانه قيل أولى القوة والتفكير بالصيرة وقد انحاز نحو شري الى شئ من هذا قبل ذلك قاله السهين قال ابن عباس القوة في العبادة والابصار الفقه في الدين وعنه قال الايدي النعمة وقيل أولى الاعمال الجميلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال والابصار عن المعارف لانها أقوى مبادئها (انا أخلصناهم بخالصة ذكري الدار) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل قرأ الجمهور بخالصة بالتنوين وعدم الاضافة على انها مصدر بمعنى الاخلاص فيكون ذكري منصوبا به أو بمعنى الخلوص فيكون ذكري مرفوعا به أو يكون خالصة اسم فاعل على باب وذكري بدل منها أو بيان لها أو منصوبة بانها راعى أو مرفوعة على انها مبتدأ والدار مفعول به بذكري أو ظرف اما على الاتساع أو على اسقاط الخافض وعلى كل تقدير بخالصة صفة لموصوف محذوف والباء للسببية أي بسبب خالصة خالصة لا شوب فيها وقرى باضافة طالصة الى ذكري على ان الاضافة للبيان لان الخالصة قد تكون ذكري وغير ذكري كما في قوله شهاب قبس لان الشهاب يكون قبسا وغيره وعلى ان خالصة مصدر مضاف الى مفعوله والفاعل محذوف أي بان أخلصوا ذكري الدار وتناسوا عند ذكريها ذكري الدنيا أو مصدر بمعنى الخلوص مضاف الى فاعله قال مجاهد معنى الآية استصفيناهم بذكري الآخرة فأخلصناهم بذكريها وقال قتادة كانوا يدعون الى الآخرة والى الله وقال السدي أخلصوا بخوف الآخرة قال الواحدى فن قرأ بالتنوين في خالصة كان المعنى جعلناهم لنا خالصة بان خلصت لهم ذكري الدار والخالصة مصدر بمعنى الخلوص والذكري بمعنى اتذكري أخلص لهم تذكري الدار وهو انهم يذكرون التأهب لها ويترهبون في الدنيا وذلك من شأن الانبياء واما من أضاف فالمعنى أخلصناهم بان خلصت لهم ذكري الدار والخالصة مصدر مضاف الى الفاعل والذكري على هذا المعنى الذي قال ابن عباس اخلصوا بذكري الآخرة ان يعملوا لها وقيل ذكري الدار الثناء الجميل في الدنيا وهذا شئ قد أخلصهم به فليس يذكري غيرهم في الدنيا بمنزلة ما يذكريهم به بقوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا قاله النسفي وفيه بعد وقال ابن جزى معناه انا جعلناهم خالصين لنا وخصصناهم دون غيرهم وأما الباء على الاول فهي للتعليل وعلى الثاني هي لتعديدية الفعل انتهى (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) الاصطفاة الاختيار والاختيار جمع خير بالتشديد والتخفيف كما موات في جمع ميت مشددا

قلت فالثلثين قال ما شئت فان زدت فهو خير لك قلت أجعل لك صلواتي كلها قال اذن تكفي همك ويغفر لك ذنوبك ثم قال هذا حديث حسن وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جعلت لك صلواتي كلها عليك قال اذن يكفيك الله ما همك من دنالك وآخرتك حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا أبو سلمة منصور بن سلمة الخزازي ويونس هو ابن محمد قالوا لحدثنا لث عن يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الرحمن بن عوف قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته حتى دخل فخلع فسجد فأطال

السجود حتى خفت أو خشيت ان يكون الله قد توفاه أو قبضه قال فبغت انظر فرفع رأسه فقال مالك يا عبد الرحمن قال فذكرت ذلك له فقال ان جبريل عليه السلام قال لي ألا بشر لئن ان الله عز وجل يقول من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه طريق اخرى قال الامام احمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا سليمان بن بلال حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا فأطال السجود حتى ظننت ان الله قد قبض (١٢٠) نفسه فيها فدفنوت منه ثم جلست فرفع رأسه فقال من هذا قلت عبد

الرحمن قال ماشأناك قلت يا رسول الله سجدت سجدة خشيت ان الله قبض روحك فيم ا فقال ان جبريل أتاني فبشرتني ان الله عز وجل يقول لك من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله عز وجل شكرا ورواه اسمعيل ابن اسحق القاضي في كتابه عن يحيى ابن عبد الحميد عن الدراوردي عن عمرو بن عبد الواحد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف به ورواه من وجه آخر عن عبد الرحمن حديث آخر قال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الرحيم بن مجير بمصر حدثنا عمرو بن الربيع بن طارق حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عميد الله بن عمر عن الحكم بن عتيبة عن ابراهيم النخعي عن الاسود بن يزيد عن عمر ابن الخطاب رضی الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فلما بدأ أحدا يتبعه ففزع عمر فأتاه بمظهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا في مشربة فتبكي عنقه من خلفه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال أحسنت يا عمر حين وجدته ساجدا

وتخفنا والمعنى انهم عندنا من المختارين من أبناء جنسهم من الاخيار (واذا كرا اسمعيل) قيل وجهه ذكره مفرد بعد ذكر أبيه وأخيه وابن أخيه للاشعار بأنه عريق في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير هنا (واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبح (وذا الكفل) اختلف في نبوته ولقبه وهو ابن عم اليسع أو هو بشر بن أيوب بعثه الله بعد أيامه وسماه ذا الكفل وكان مقبيا بالشام حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة وقد تقدم ذكر اليسع والكلام فيه في الأنعام وقد تقدم ذكر ذى الكفل والكلام فيه في سورة الانبياء والمراد من ذكر هؤلاء أنهم من جملة من صبر من الانبياء وتحمل الشدايد في دين الله أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان يذكرهم ليسلك مسلكهم في الصبر (وكل) أى كل المتقدمين من داود الى هنا (من الاخيار) الذين اختارهم الله سبحانه لسببونه واصطفاهم من خلقه (هذا ذكر) اشارة الى ما تقدم من ذكر أوصافهم الناطقة بما سببهم أى هذا ذكر جليل في الدنيا وشرف يذكرون به أبدا جليل بها اذا تابان القصة قدمت وأخذ في أخرى (وان للمتقين) مع هذا الذكرا الجليل (الحسن مآب) في الآخرة والمآب المرجع وهذا شروع في بيان أجرهم الجزيل الاجل بعد بيان ذكرهم الجليل في العاجل وهو باب آخر من أبواب التنزيل والمعنى انهم يرجعون في الآخرة الى مغفرة الله ورضوانه ونعيم جنته ثم بين حسن المرجع فقال (جنات عدن) قرى بالنصب بدل الأوعطف بيان لحسن مآب وهو في الاصل الإقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام فيه وقيل هو اسم لقصر في الجنة وقرى برفع جنات على انها خبر مبتدأ محذوف أى هي جنات عدن (مفتحة لهم الابواب) حال من جنات والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل والابواب مر تفعلة باسم المفعول كقوله وفقت أبوابها والاطين الخال وصاحبها ضمير مقدر أى منها والآف واللام لقيامه مقام الضمير اذا الاصل أبوابها وقيل ارتفاع الابواب على البذل من الضمير في مفتحة العائد على جنات وبه قال أبو على الفارسي أى مفتحة هي الابواب قال الفراء المعنى مفتحة لهم أبوابها والعرب تجعل الآف واللام خلفا من الاضافة وقال الزجاج المعنى مفتحة لهم الابواب منها قال الحسن ان الابواب يقال لها انقضى فتفتح تغلق فتسفلق وقيل تفتح لهم الملائكة الابواب حال كونهم (متكئين

فيها) فتبكت عنى ان جبريل أتاني فقال من صلى عليك من امتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات فيها وقد اختار هذا الحديث الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين وقد رواه اسمعيل القاضي عن القعقبي عن سلمة ابن وردان عن أنس عن عمرو بن عوف ورواه أيضا عن يعقوب بن حميد عن أنس بن عياض عن سلمة بن وردان عن مالك بن أنس بن الحداد عن عمرو بن الخطاب بنحوه حديث آخر قال الامام احمد حدثنا أبو كامل حدثنا جابر بن سلمة عن ثابت بن سليمان مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يري في وجهه فقالوا يا رسول

الله أتاني السروفي وجهك فقال انه أتاني الملك فقال يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرة ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشر قال بلى ورواه النسائي من حديث جاد بن سلمته وقد رواه اسمعيل القاضي عن اسمعيل بن ابي اويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيد الله بن عمر عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة بنحوه طريق اخرى قال أجد حدثنا شرحبيل بن حدثننا أبو معشر عن ابي اسحق بن كعب بن عجرة عن ابي طلحة الانصاري قال اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم طاب النفس يرى في وجهه البشر قالوا (١٢١) يا رسول الله اصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر قال أجل

أتاني آت من ربي عز وجل فقال من صلى عليك من امتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحام عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها وهذا ايضا اسناد جيد ولم يخرجوه حديث آخر روى مسلم وابوداود والترمذي والنسائي من حديث اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه عليه عشرة قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي الباب عن عبد الرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة وعمار وابي طلحة وانس وابي بن كعب وقال الامام احمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا شرحبيل عن ابي اسحق بن كعب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلوا علي فانها زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في اعلى الجنة ولا ينالها الا الرجل وأرجوان اكون انا هو تفرد به احمد ورواه البزار من طريق مجاهد عن ابي هريرة بنحوه

فيها) أي في الجنات يدعون فيها بكهة كثيرة) أي بألوان متنوعة متكررة من الفواكه (وشراب) كثير خفيف كثير لالة الاول علمه والاقتصار على دعاء الفاكهة للايدان بان مطاعهم لمحض التنفك والتلذذ دون التغذي قيل الجملة مستأنفة لبيان حالهم فيها أو حال مما ذكر (وعندهم قاصرات الطرف) أي قاصرات طرفهن على أزواجهن وجاسبات العين لا ينظرن الى غيرهم وقد مضى بيانه في سورة الصافات (أتراب) أي متحدات في السن والشباب أو متساويات في الحسن والجمال وقال مجاهد المعنى انهن متواخيات لا يتباغضن ولا يتغابرن ولا يتحاسدن نبات ثلاث وثلاثين سنة وقيل لدات لهم أي متقاربات في الولادة لان التحاب بين الاقران أثبت أو بعضهم لبعض أو (١) نصف لا يجوز فيهن ولا صبوية قال الشهاب لدات جمع لدة كعدة أصلها ولد وهو كالتراب من يولد معك في وقت واحد كأنهم ما وقع على التراب في زمن واحد والاتراب جمع تراب واشتقاقه من التراب لانه يسمن في وقت واحد لا يحاد مولدهن والمعاني متقاربة (هذا ما توعدون ليوم الحساب) أي هذا الجزء الذي وعدتم به لاجل يوم الحساب فان الحساب علة للوصول الى الجزاء والمعنى في يوم الحساب قرأ الجمهور توعدون على الخطاب التفاتا وقرئ بالتخية على الخبر واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله وان للمتعقين فانه خبر (ان هذا) المذكور من النعم والكرامات والجنات وأوصافها (لرزقنا) الذي انعمنا به عليكم وأعطيناكموه (ماله من نفاذ) أي لا ينقطع ولا يفتنى أبدا ومثله قول عطاء غير مجذوذ فنع الجنة لا تنتقطع عن أهلها (هذا) اي الامر هذا أو هذا كما ذكرنا وهذا ذكر فيوقف علي هذا قال ابن الانباري وهذا وقف حسن قال ابن الاثير هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو خبر من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من الكلام الى كلام آخر أي خذ هذا كيت وكيت وفيه بحث اذ يانم حينئذ عطف الاخبار على الانشاء ولذا لم يذكر الزمخشري هذا التقدير ثم ذكر سبحانه ما لأهل الشرب بعد ان ذكر ما لأهل الخرف فقال (وان للطاغين) الذين طغوا على الله وكذبوا رساله (لشر ما ب) أي لشر منقلب يتقلبون اليه ثم بين ذلك فقال (جهنم) بدل أو عطف بيان (يصلونها) أي يصلون جهنم ويدخلونها (فبئس المهاد) أي بئس ما مهدوا لانفسهم وهو الفرائس مأخوذ من مهد الصبي أو المراد بالمهد الموضوع والمخصوص بالنم محذوف أي بئس المهادهي كافي قوله لهم من جهنم مهاده

(١٦ فتح البيان ثامن) فقال حدثنا محمد بن اسحق البكالي حدثنا عثمان بن سعيد حدثنا دريد بن علقمة عن ابي اسحق بن كعب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فانها زكاة لكم وسلوا الله لي الوسيلة من الجنة فسألناه أو أخبرنا فقال هي درجة في اعلى الجنة وهي لرجل وان ارجوان اكون ذلك الرجل في اسناده بعض من تكلم به حديث آخر قال الامام احمد حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن جريح الخولاني سمعت ابا قيس مولى عمرو بن العاص سمعت عبد الله بن عمر ويقول من صلى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقل عبد (١) النصف بالصبريك المبرأة بين الحدبة والمسننة اه صحاح اه منه ما ظله

من ذلك اوليكثير وسمعت عبد الله بن عمرو يقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً كالودع فقال يا محمد النبي الامي قاله ثلاث مرات ولا نبي بعدى اوتيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعها وعلت كم خزنة النار وجملة العرش ويجوزني وعوفيت وعوفيت امتي فاسمعوا واطيعوا مادمت فيكم فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله احووا حلاله وحرمو احرامه حديث آخر قال ابو داود الطيالسي حدثنا ابو سلمة الخراساني حدثنا ابو اسحق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فليصل علي ومن صلى علي مرة واحدة صلى الله (١٢٢) عليه عشر اورواه النسائي في اليوم والليله من حديث ابى داود الطيالسي

عن ابى سلمة وهو المغيرة بن سلمة الخراساني عن ابى اسحق عمرو بن عبيد الله السبيعي عن انس به حديث آخر عن انس قال الامام احمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا يونس بن عمرو عن يونس بن ابى اسحق عن يزيد بن ابى مرهم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات حديث آخر قال الامام احمد حدثنا عبد الملك بن عمرو وابو سعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمار بن غزيرة عن عبد الله بن علي بن الحسين عن ابيه عن علي بن الحسين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجبل من ذكرت عنده ثم لم يصل علي وقال ابو سعيد فلم يصل علي ورواه الترمذي من حديث سليمان بن بلال ثم قال هذا حديث حسن غريب صحيح ومن الرواة من جعله من مسند الحسين بن علي ومنهم من جعله من مسند علي نفسه حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا سجاج بن منهل حدثنا جاد بن سلمة عن معاذ بن بلال المغربي حدثنا

شبه الله سبحانه ما تحتم من نار جهنم بالمهاد (هذا فليذوقوه جيم وغساق) أي هذا جيم فوغساق فليذوقوه قاله الفراء والزجاج أي يقال لهم في ذلك اليوم هذه المقالة والجيم الماء الحار الذي قد انتهى حره والغساق ما سال من جلود أهل النار من القيج ومن الصديد من قولهم غسقت عينه اذا انصبت والغساقان الانصباب قال النحاس ويجوز ان يكون المعنى الامر هذا وارتفاع جيم وغساق على انه ما خبر ان لمبتدا محذوف أي هو جيم وغساق ويجوز ان يكون هذا في موضع نصب باضمار فعل يقصره ما بعده أي ليدوقوا هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون جيم من تفعاعلى الابتداء وخبره مقدر قبله أي منه جيم ومنه غساق وقيل الغساق ما قتل برده ومنه قيل لليل غاسق لانه أبر من النهار وقيل هو الزمهرير وقيل الغساق المنتن وقيل هو عين في جهنم يسيل اليها كل ذوب حية وعقرب وقال قتادة هو ما يسيل من فروج النساء الزواني ومن تن لحوم الكفرة وجلودهم وقال محمد بن كعب هو عصارة أهل النار وقال السدي الغساق الذي يسيل من دموع أهل النار يسقونه مع الجيم وكذا قال ابن زيد وقال مجاهد ومقاتل هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده وتفسير الغساق بالبارد أنسب بما تقتضيه لغة العرب وأنسب أيضاً بما قبله الجيم قرأ أهل المدينة وأهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين من غساق وقرئ بالتشديد وهما الغتان بمعنى واحد كما قال الاخفش وقيل معناهما مختلف فن خفف فهو اسم مثل عذاب وجواب وصواب ومن شدد قال هو اسم فاعل للمباغلة فهو ضرب اب وقتال وقال ابن عباس غساق الزمهرير وخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو ان دلو ان غساق يهرق في الدنيا لانتن أهل الدنيا قال الترمذي بعد اخراجه لانه عرفه الامن حديث رشدين بن سعد قلت ورشدين فيه مقال معروف (وآخر من شكله) قرأ الجمهور وآخر مفردا مذكرا وقرئ آخر بضم الهمزة على انه جمع وأنكر الاولى لقوله (أزواج) وأنكر عاصم والحدري الثانية وقال لو كانت آخر لقال من شكلها وارتفاع آخر على انه مبتدأ وخبره أزواج ويجوز ان يكون من شكله خبرا مقدما وأزواج مبتدأ مؤخر والجملة خبر آخر ويجوز ان يكون خبر آخر مقدر أي ولهم آخر ومن شكله أزواج جملة مستقلة ومعنى الآية على الاولى وعذاب آخر ومذوق

آخر

رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن ابى ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال ان الجبل الناس من ذكرت عنده فلم يصل علي حديث آخر مرسل قال اسمعيل وحدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير ابن حازم سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الجبل ان أذ كر عنده فلا يصلي علي حديث آخر قال الترمذي حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي حدثنا يعقوب بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد بن ابى سعيد المقبري عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان

ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انفس رجل أدرك أبواه الكبر فلم يدخله الجنة ثم قال حسن غريب قلت وقد رواه البخاري في الادب عن محمد بن عبيد الله حدثنا ابن أبي حازم عن كثير بن زيد عن الوليد بن رياح عن أبي هريرة مر فوعا بنحوه وروىناه من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال الترمذي وفي الباب عن جابر وأنس قلت وابن عباس وكعب بن عميرة وقد ذكرت طرق هذا الحديث في أول كتاب الصيام عند قوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما وهذا الحديث والذي قبله دليل على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره مذهب طائفة من (١٢٣) العلماء منهم الطحاوي والحلي ويتقوى

بالحديث الآخر الذي رواه ابن ماجه حدثنا جنادة بن المغلس حدثنا حماد بن زيد حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة جنادة ضعيف ولكن رواه اسمعيل القاضي من غير وجه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلاة على أخطأ طريق الجنة وهذا مرسل يتقوى بالذي قبله والله أعلم وذهب آخرون الى انه يجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة ثم لا يجب في بقية ذلك المجلس بل يجب نقله الترمذي عن بعضهم ويتأيد بالحديث الذي رواه الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة يوم القيامة فان شاء عبدتهم وان شاء غفر لهم تفرد به الترمذي من هذا الوجه ورواه الامام أحمد عن

آخر انواع آخر من شكل ذلك العذاب أو المذوق أو النوع الاول والشكل المثل وعلى الثانية ومذوقات آخر وأنواع آخر من شكل ذلك المذوق أو النوع المتقدم وافراد الضمير في شكله على تأويل المذكور أي من شكل المذكور ومعنى أزواج أجناس وأنواع وأشياء وحاصل معنى الآية ان لاهل النار حيا وعساقا وأنواعا من العذاب من مثل الجيم والغساق قال الواحدى قال المفسرون هو الزمهرير ولا يتم هذا الذي حكاه عن المفسرين الاعلى تقدير ان الزمهرير أنواع مختلفة وأجناس متفاوتة ليطابق معنى أزواج أو على تقدير ان لكل فرد من أهل النار زمهيرا وجملة (هذا فوج) حكاية لقول الملائكة هم خزنة النار وذلك ان القادة والرؤساء اذا دخلوا النار ودخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للقادة هذا فوج يعنون الاتباع (مقتحم معكم) أي داخل معكم الى النار بشدة والافتحام الالتقاء في الشيء بشدة فانهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع وقيل الافتحام ركوب الشدة والدخول فيها وفي المختار حقم في الامر مرى بنفسه فيه من غير روية وبابه خضع وأقم فرسه النهرفان تعم أي ادخله فدخل واقحم الفرس النهردخله وقوله (لامر حبايهم) من قول القادة والرؤساء لما قالت لهم الخزنة ذلك قالوا لامر حبايهم أي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعة والمعنى لا كرامة لهم وهذا اخبار من الله سبحانه بانقطاع المودة بين الكفار وان المودة التي كانت بينهم تصير عداوة وجملة لامر حبايهم دعائية لا تحل لهم من الاعراب وقال السمين في مر حباي ووجهان أظهرهما أنه مفعول بفعل مقدر أي لا أتيتهم مر حبا ولا سمعتم مر حبا والثاني انه منصوب على المصدر قال أبو البقاء أي لا رجيتكم داركم مر حبا بل ضيقا والجملة المنفية اما مستأنفة سيقف للدعاء عليهم بضيق المكان وقوله يمان للمدعو عليهم واما حالية وقد يعترض عليه بأنه دعاء والدعاء لا يقع حالاً والجواب انه على اضممار القول أي مقولاً في حقهم لامر حبايهم وقيل انها من تمام قول الخزنة والاول أولى كما يدل عليه جواب الاتباع الآتى (انهم صالوا النار) تعليل من جهة القائلين لامر حبايهم أي انهم صالوا النار كما صليناها ومستحقون لها كما استحققناها (قالوا بل أنتم لامر حبايهم) مستأنفة جواب سؤال مقدر أي قال الاتباع عند سماع ما قاله الرؤساء عليهم بل أنتم أحق بما قلتم لنا ثم عللوا ذلك بقولهم (أنتم قدموه لنا) أي العذاب أو الصلي لنا واقمونا فيه ودعوتونا اليه

بجح ويزيد بن هرون كلاهما عن ابن أبي ذئب عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مر فوعا مثله ثم قال الترمذي هذا حديث حسن وقد روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه وقد رواه اسمعيل القاضي من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي سعيد قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم يوم القيامة حسرة وان دخلوا الجنة لم ياربون من الثواب وحكى عن بعضهم انه انما يجب الصلاة عليه عليه السلام في العمر مرة واحدة امتثالاً لا امر الآية ثم هي مستقيمة في كل حال وهذا هو الذي نصره القاضي عياض بعدما حكي الاجماع على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه

يسلم في الجملة قال وقد حكى الطبري ان محمل الآية على الندب وادعى فيه الاجماع قال ولعله فيما زاد على المرة والواجب فيه مرة
 بالشهادة له بالنسبة وما زاد على ذلك فندوب ومغرب فيه من سنن الاسلام وشعار أهله قلت وهذا قول غريب فانه قد ورد الامر
 لصلاة عليه في أوقات كثيرة فنها واجب ومنها مستحب على ما بينته فنه بعد النداء للصلاة للحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا ابو
 عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير يقول انه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول انه سمع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم (١٢٤) مؤذنا فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلى الله عليه

بها عشر اثم سلوا الى الوسيلة فانها
 نزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من
 عباد الله وأرجوان أكون أنا هو
 فمن سال الى الوسيلة حلت عليه
 الشفاعة وأخرجه مسلم وأبو داود
 والترمذي والنسائي من حديث
 كعب بن علقمة طريق اخرى
 قال اسمعيل القاضي حدثنا محمد بن
 أبي بكر حدثنا عمرو بن علي عن أبي
 بكر الجشمي عن صفوان بن سليم
 عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من سال الله
 الى الوسيلة حقت عليه شفاعتي يوم
 القيامة حديث آخر قال اسمعيل
 القاضي حدثنا سليمان بن حرب
 حدثنا سعيد بن زيد عن ليث عن
 كعب هو كعب الاحبار عن أبي
 هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم صلوا على
 فان صلاتكم على زكاة لكم وسلوا
 الله الى الوسيلة قال فاما حدثنا واما
 سألناه قال الوسيلة أعلى درجة في
 الجنة لا يتأهلها الا الرجل وأرجوان
 أكون أنا ذلك الرجل ثم رواه عن
 محمد بن أبي بكر عن معتمر بن ليث
 وهو ابن أبي سلمة به وكذا الحديث

بما كنتم تقولون لنا من ان الحق ما أنتم عليه وان الانبياء غير صادقين فيما جاؤا به (قبس
 القرار) أي بنس المقرجهن لنا ولكم ثم حكى عن الاتباع أيضا أنهم أردفوا هذا القول
 بقول آخر وهو (قالوا ربنا من قدم لنا هذا) أي من دعانا اليه وسوغه لنا قال القراء المعنى
 من سوغ لنا هذا وسه وقيل معناه من قدم لنا هذا العذاب بدعائه ايانا الى الكفر (فزده
 عذابا بعضا في النار) أي عذابا بكفره وعذابا بدعائه ايانا فصار ذلك ضعفا ومثله قوله سبحانه
 ربنا هؤلاء أضلونا فأتتهم عذابا بعضا من النار وقوله ربنا أتتهم ضعفين من العذاب
 والضعف ان يزيد عليه مثله وقيل المراد بالضعف هنا الحيات والعقارب قال ابن مسعود
 أي أفاعي وحيات (وقالوا) أي كفار مكة كأبي جهل وامية بن خلف وأصحاب القليب
 وهم في النار (مالنا لا نرى رجلا كأنه قد هم من الاشرار) أي الاراذل الذين لا خير لهم
 ولا جدوى وقيل انما هوهم اشرار الانهم كانوا على خلاف دينهم قيل هو من قول
 الرؤساء وقيل من قول الطاغين المذكورين سابقا قال الكلبي يتظرون في النار فلا يرون
 من مكان يخافونهم من المؤمنين معهم فيها فعند ذلك قالوا هذا القول وقيل يعنون
 فقراء المؤمنين كعمار وحياب وصهيب وبلال وسالم وسلمان وقيل أرادوا أصحاب محمد
 صلى الله عليه وآله وسلم على العموم (أتخذناهم سخرى) في الدنيا فأخطأنا (أم زاغت عنهم
 الابصار) فلم نعلم مكانهم قاله مجاهد والانتكار المفهوم من الاستفهام متوجه الى كل واحد
 من الامرين قال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوه سخرى وازاغت عنهم ابصارهم
 قال القراء والاستفهام هنا بمعنى التوبيخ والتعجب قرئ بجذف همزة اتخذناهم في الوصل
 وعلى هذا يحتمل أن يكون الكلام خيرا محضا وتكون الجملة في محل نصب صفة ثانية
 لرجالا وان يكون المراد الاستفهام وحذف ادائه لدلالة ام عليها فتكون ام على الوجه
 الاول منقطعة بمعنى بل والهزمة أي بل ازاغت عنهم الابصار على معنى توبيخ انفسهم
 على الاستسخرار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدرار والتحقير وعلى الثاني
 أم هي المتصلة وقرئ بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل ولا محل للجملة حينئذ
 وفيه التوبيخ لانفسهم على الامرين جميعا لان ام على هذه القراءة هي للتسوية وقرئ
 سخرى باضم السين وبكسرهما قال أبو عبيدة من كسر جعله من الهز ومن ضم جعله من
 التسخر (ان ذلك) أي ما تقدم من حكاية حالهم (الحق) أي لواقع ثابت في الدار الآخرة

لا
 الآخر قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر بن سواد عن زياد بن نعيم عن
 ورفاه الحضرمي عن رويغ بن ثابت الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد
 المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي وهذا اسناد لا بأس به ولم يخرجوه أثر حسن آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا علي بن
 عبد الله حدثنا سفيان حدثني معمر بن ابن طاوس عن ابيه سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعتي محمد الكبرى وارفع درجته
 العلماء اعطه سؤله في الآخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى عليهما السلام اسناد جيد قوى صحيح ومن ذلك عند دخول المسجد

وانطرح منه للحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم حدثنا الباق بن ابي سليم عن عبد الله بن الحسن عن امه فاطمة بنت الحسين عن جدته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وقال اسمعيل القاضي حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا شافعيان بن عمرو والتميمي عن سليمان الضبي عن علي بن الحسين قال قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اذا مررت بالمساجد فصولوا علي (١٢٥) النبي صلى الله عليه وسلم واما الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في الصلاة فقد

لا يتخلف البتة (تخاصم أهل النار) خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون خبر ابراهيم وخبر وهذا على قراءة الجمهور ويرفع تخصص والمعنى ان ذلك الذي حكاه الله عنهم لحق لا بد أن يتكلموا به وهو تخصص أهل النار فيها واما قائلته الرؤساء للاتباع واما قائلته الاتباع لهم والجملة بيان لاسم الاشارة وفي الاجهات اولاً والتميين ثانياً من يدته تقريره قرأ ابن ابي عمير ب نصب تخصص على انه بدل من ذلك أو باضمار أعني وقرئ تخصص بصيغة الماضي فتكون جملة مستأنفة وانما سماه تخصصاً لان قول القادة للاتباع لامر حياهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لامر حيا بكم من باب الخصومة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول قولاً جامعاً بين التخييف والارشاد الى التوحيد فقال (قل انما أنا نذير) أي مخوف لكم من عذاب الله وعقابه لاساحر ولا شاعر كما ادعيتهم ومبشراً وانما اقتصر على الانذار لان كلامه معهم وهم انما يناسبهم الانذار (وما من الله) يستحق العبادة (الا الله الواحد) الذي لا شريك له (القهار) لكل شيء سواه (رب السموات والارض وما بينهما) من المخلوقات (العزيز) الذي لا يغالبه مغالب (الغفار) لمن أطاعه وقيل معنى العزيز المنيع الذي لا مثل له ومعنى الغفار السار الذي لا ذنوب خلقه ثم أمره الله سبحانه أن يبالغ في انذارهم وبين لهم عظم الامر وجلالته فقال (قل هو بأعظيم) أي ما أنذرتكم به من العقاب وما بينته لكم من التوحيد هو خير عظيم ونبأ جليل من شأنه العناية به والتعظيم له والاعتناء به أمر او اتقار وعدم الاستخفاف به ومثل هذه الآية قوله عم يتساءلون عن النبي العظيم وقال مجاهد وقتادة ومقاتل هو القرآن فانه بأعظيم لانه كلام الله قال الزجاج قل النبي الذي أمأ بتكم به عن الله بأعظيم يعني ما أنبأهم به من قصص الاولين وذلك دليل على صدقه ونبوته لانه لم يعلم ذلك الا بوحي من الله (أنتم عنه معرضون) صفة ثانية للنبا أو جملة مستأنفة وهذا ذوق بوجع لهم وقرع لكونهم اعرضوا عنه ولم يتفكروا فيه فيعلموا صدقه ويستدلوا به على ما أنكروه من البعث (ما كان في من علم بالمال الاعلى) استئناف مسوق لتقرير انه بأعظيم واراد من جهته تعالى بذ كذباً من أنبأه على التفصيل من غير سابق معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر أنبائه أيضاً كذلك وان الانبياء لا يعلمون الغيب أصلاً الا ما وحي اليهم من جهته سبحانه وتعالى والملا الاعلى هم

الاخرون من ذهب الى ذلك من العلماء مع الشافعي رحمه الله وأكرمه واما التشهد الاول فلا يجب فيه قولاً واحداً وهل تستحب على قولين للشافعي ومن ذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة فان السنة ان يقرأ في التكبير الاولى فاتحة الكتاب وفي الثانية ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وفي الثالثة يدعو للميت وفي الرابعة يقول اللهم لا تحزننا جرحه ولا تفقنا بعده قال الشافعي رحمه الله حدثنا مطرف بن مازن عن معمر عن الزهري أخبرني ابو امامة ابن سهل بن حنيف انه أخبره رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان السنة في الصلاة على الجنازة ان يكبر الامام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبير الاولى سرا في نفسه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويخاص الدعاء للجنازة وفي التكبيرات لا يقرأ في شيء منها ثم يسلم سرا في نفسه ورواه النسائي عن أبي امامة نفسه انه قال من السنة فذكره

وهذا من الصحابي في حكم المرفوع على الصحيح ورواه اسمعيل القاضي عن محمد بن المثني عن عبد الاعلى عن معمر عن الزهري عن أبي امامة بن سهل عن سعيد بن المسيب انه قال السنة في الصلاة على الجنازة فذكره وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عمر والشعبي ومن ذلك في صلاة العيد قال اسمعيل القاضي حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام الدستوائي حدثنا جاد بن أبي سليمان عن ابراهيم عن علقمة ان ابن مسعود وأباموسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة صلى العيد وما فقال لهم ان هذا العيد قد وفا فكيف التكبير فيسه قال عبد الله تبدأ فتكبر تكبيرة تفتح بها الصلاة وتكبر بل وتصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو

وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النسخ وفيه الصعقة فأكثر وأعلى من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد بلغت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والنووي في الاذكار حديث آخر قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا عمرو بن سواد المصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة (١٢٧) بن نسي عن أبي الدرداء قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم أكثر وا الصلاة على يوم الجمعة فإنه مشهود تشهد الملائكة وان أحدا لا يصلي علي الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء فنبى الله حتى يرزق هذا حديث غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع بين عبادة بن نسي وأبي الدرداء فإنه لم يذكره والله أعلم وقد روى البيهقي من حديث أبي امامة وابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في الامر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في اسنادهما ضعف والله أعلم وروى مرسل عن الحسن البصرى فقال اسمعيل القاضي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا جرير ابن حازم سمعت الحسن البصرى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأكل الارض جسدا من كلمة روح القدس مرسل حسن وقال الشافعي أخبرنا ابراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم الجمعة وليسلة الجمعة فأكثر وا

فقال (اذ قال ربك للملائكة) اذهبه بدل من اذ يحتمون لاشتمال ما في حين هذه علي الخصومة وقيل هي منصوبة باضمار اذ ذكر والاول اولي اذا كانت خصومة الملائكة في شأن من يستخلف في الارض واما اذا كانت في غير ذلك مما تقدم ذكره فالثاني اولي (انني خالق) اي فيما سأتى من الزمن (بشرى) اي جسماء من جنس البشر وهو آدم عليه السلام ماخوذ من مباشرة الارض اومن كونه بادي البشرية اي ظاهرا بالجلد ليس علي جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر وقوله (من طين) متعلق بمحذوف هو صفة لبشرى أو بخالق ومعنى (فاذا سويته) صورته علي صورة البشر وصارت أجزاءه مستوية واتمته (ونفخت) اي أجريت (فيه من روي) اي من الروح الذي املكه ولا يملكه غيره وقيل هو تنسيل ولا نفخ ولا منفوخ فيه والمراد جعله حيا بعد ان كان جادا الاحياء فيه وياتها ظاهر النظم الكريم فالاول اولي وقد مر الكلام عليه في سورة النساء والنفخ اجراء الروح الي تجويف جسم صالح لامساكها وازافة الروح اليه تشريف لا دم عليه السلام والروح جسم لطيف يجيابه الانسان بنفوسه فيه وبه قال جمهور المتكلمين قاله الكرخي وقال النووي في شرح مسلم انه الاصح عند أصحابنا وهو مشتبه بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال كثير منهم انها معرض وهي الحياة التي صار البدن بوجودها حيا وقال الفلاسفة وكثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل جوهر مجرد قائم بنفسه غير مختبر متعلق للبدن للتدبير والتعريك غير داخل فيه ولا خارج عنه ووافقهم علي ذلك الغزالي والراغب واحتج للاول بوصفها في الاخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ اه وقيل جوهر شريف قدسي يسرى في بدن الانسان سريان الضوء في الفضاء أو كسريان النار في الفحم ذكره الخازن وأقول علم الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه ولا يعلمه أحد من خلقه كائنا من كان والخوض في معرفته من فضول الاعمال ولغو الكلام وقد قال الله عز وجل قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا (ففعوا له ساجدين) هو أمر من وقع يقع والسجود هنا هو سجد التحية لاسجود العبادة وفيه دليل علي ان المأمور به ليس مجرد الاحياء كما قيل أي اسقطوا له ساجدين وقد مضى تحقيقه في سورة البقرة (فسجد الملائكة) في الكلام حذف تدل عليه الفاء والتقدير خلقه فسواه ونفخ فيه من روحه فسجد له الملائكة (كاهم) يفيد انهم سجدوا جميعا ولم

الصلاة علي هذا مرسل وهكذا يجب علي الخطيب أن يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة علي المنبر في الخطبتين ولا تصح الخطبتان الا بذلك لانها عبادة وذكر الله شرط فيها فوجب ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فيها كالاتان والصلاة هذا مذهب الشافعي وأحمد رجهما الله ومن ذلك انه يستحب الصلاة والسلام عليه عند زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قال أبو داود حدثنا ابن عوف هو محمد بن محمد حدثنا المقرئ حدثنا حموية عن أبي صخر جريد بن زياد عن زيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يصلي علي الارض الله علي روي حتى أرد عليه السلام فترديه أبو داود وصححه النووي في الاذكار

ثم قال أبو داود وحديثنا صحيح قال قرأت على عبد الله بن نافع أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قري عبدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حينما كنتم تفرد به أبو داود أيضا وقد رواه الإمام أحمد عن شريح عن عبد الله بن نافع وهو الصانع به وصححه النووي أيضا وقد روى من وجه آخر عن علي رضي الله عنه قال القاضي اسمعيل بن اسحق في كتابه فضل الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثنا اسمعيل بن أبي أويس حديثنا جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي (١٢٨) بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن آخر من أهل بيته عن علي بن الحسين بن

علي ان رجلا كان يأتي كل غداة فيزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه ويضع من ذلك ما اشتر عليه علي بن الحسين فقال له علي بن الحسين ما يجعلك على هذا قال أحب السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له علي بن الحسين هل لك ان أحدثك حديثنا عن ابي قال نعم فقال له علي بن الحسين أخبرني ابي عن جدي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قري عبدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا على وسلموا حينما كنتم قبلتني صلاتكم وسلامكم في اسنادهم رجل منهم لم يسم وقد روى من وجه آخر مرسل قال عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن بن علي قال رأى قوما عند القبر فنهاهم وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قري عبدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني فلعله رأيهم يسوان الادب برفع أصواتهم فوق الحاجة فنهاهم وقد روى انه رأى رجلا ينتاب القبر

يق منهم احد وقوله (أجمعون) يفيد أنهم اجتمعوا على السجود في وقت واحد فالاول لقصد الاحاطة والثاني لقصد الاجتماع قال في الكشاف فأفاد معا انهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك الاسجد أنهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات وقيل انه أكذبتا كيدين لله بالغة في التعميم وكان هذا السجود قبل دخول آدم الجنة أو بعده قولان (الابليس) الاستثناء متصل على تقدير انه كان متصفا بصفات الملائكة داخل في عدادهم فغلبوا عليه أو منقطع على ما هو الظاهر من عدم دخوله فيهم أي لكن ابليس (استكبر) أي انف من السجود جهلا منه بانه طاعة لله (و) كان استكباره استكبارا كبر فلذلك (كان من الكافرين) أي صار منهم لخالفته لامر الله واستكباره عن طاعته أو كان من الكافرين في علم الله سبحانه وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في سورة البقرة والاعراف ونجى اسرائيل والكهف وطه ثم ان الله سبحانه سأل عن سبب تركه للسجود الذي أمر به فقرأ يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وقرئ بالافراد أي ما صرفك وصدك عن السجود لما توليت خلقه من غير واسطة آب وأم وأصاف خلقه الى نفسه تكريرا له ونشر يفامع انه سبحانه خلق كل شيء كما أضاف الى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد قال مجاهد اليد هنا المعنى التأكيد والصله تجازا كقوله ويبي وجه ربك وقيل أراد باليد القدرة يقال ما لي بهذا الامر يدومالي به يدان أي قدرة وقيل التثنية في اليد للدلالة على انها ليست بمعنى القوة والقدرة بل للدلالة على انها صفتان من صفات ذاته سبحانه وهو الاولى وقيل التثنية لابرز كال الاعتناء بخلقهم عليه السلام المستدعي لاجلاله وتعظيمه قصدا الى تأكيد الانكار ونشيد التوبيخ وما في قوله لما خلقت هي المصدرية أو الموصولة وقرئ لما بالتشديد مع فتح اللام على انها ظرف بمعنى حين كما قال أبو علي الفارسي وعن عبد الله بن عمر قال خلق الله أربعة بيده العرش وجنة عدن والقلم وادم أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ في العظمة واليهوتي وعن عبد الله بن الحرث قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وأبو الشيخ في العظمة واليهوتي في الاسماء والصفات (استكبرت) قرئ بهمزة الاستفهام وهو استفهام توبيخ وتقدير فربما تكون أم في قوله (أم كنت) متصله أي أتركت السجود

فقال ياهذا ما انت ورجل بالاندلس منه الاسواء اى الجميع يبلغه صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الاستكبارك الدين وقال الطبراني في معجمه الكبير حديثنا احمد بن رشد المصري حديثنا سعيد بن ابي مرجم حديثنا محمد بن جعفر أخبرني حميد بن أبي زينب عن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا علي حينما كنتم فان صلاتكم تبلغني ثم قال الطبراني حديثنا العباس بن حمدان الاصبهاني حديثنا شعيب بن عبد الحميد الطعان أخبرنا يزيد بن هرون بن أبي شيبان عن الحكم بن عبد الله بن خطاب عن أم آئيس بنت الحسن بن علي عن أبيها قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم أرايت قول الله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال ان هذا من المكتوم ولولا انكم سألتموني عنه ما أخبرتكم ان الله وكل بي ملكين لاذ كر عند عبد مسلم فيصلي على الاقال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذيئك الملكين آمين ولا يصلي على أحد الا قال ذانك الملكان غفر الله لك ويقول الله وملائكته جوابا لذيئك الملكين آمين غريب جدا واسناده به ضعف شديد وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة (١٢٩) سياحين في الارض يبلغوني عن أمي السلام

وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان بن مهران الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب فاما الحديث الآخر من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى علي من بعدي بلغته في اسناده نظر تفرد به محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا قال أصحابنا ويستحب للمحرم اذا بى وفرغ من تليته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لما رواه الشافعي والدارقطني من رواية صالح بن محمد بن زائدة عن القاسم ابن محمد بن أبي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تليته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عليه وقال اسمعيل القاضي حدثنا عارم بن الفضل حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا زكريا عن الشعبي عن وهب بن الابدع قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم اتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا

لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستقر وقري بأف الوصل فتكون أم منقطعة والمعنى استكبرت عن السجود الذي أمرت به بل أكتت (من العالين) أى المستحقين للترفع عن طاعة أمر الله المتعالين عن ذلك وجله (قال أناخير منه) مستأنفة جواب سؤال مقدر ادعى العين لنفسه انه خير من آدم أى ولو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان أسجد له فكيف وأناخير منه وفي ضمن كلامه هذا ان سجود الفاضل للمفضول لا يحسن ثم علل ما ادعاه من كونه خيرا منه بقوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) وفي زعمه ان عنصر النار أشرف من عنصر الطين وأفضل منه لان الاجرام الفلكية أشرف من الاجرام العنصرية والنار أقرب العناصر من الفلك والارض أبعد هاهنا وأيضا النار لطيفة نورية والارض كسفة ظلمانية وهما خير منهما وذهب عنه ان النار اعماهى بمنزلة الخادم لعنصر الطين ان احتيج اليها استدعت كما يستدعى الخادم وان استغنى عنها طردت وأيضا فالطين يستولى على النار فيطفيها وأيضا هي لا توجد الا بأصله من عنصر الارض وان مآل النار الى الرماد الذى لا ينتقع به وبالطين أصل كل ما هو نام نبات كالانسان والشجرة ومعلوم ان الانسان والشجرة المثمرة خير من الرماد وأفضل وعلى كل حال فقد شرف آدم بشرف وكرم بكرامة لا وازيهاتى من شرف العناصر وذلك ان الله تعالى خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأمر بالسجود له والخواهر في أنفسهم امتجانسة وانما شرف بعارض من عوارضها (قال فخرج منها) مستأنفة كالتى قبلها أى فخرج من الجنة أو من زمرة الملائكة وقيل من الخلقة التى كنت عليها لانه كان يتفخر بخلقته فغير الله خلقته واسود بعدن ما كان أبيض وقبح عندما كان حسنا واطلم بعدما كان نورانيا وهذا يدل على أنه لم يكن كافرا حين كان بين الملائكة ولان الله تعالى لم يحك عنه الا الاستكبار عن السجود فهذا دليل على أنه صار كافرا حين لم يسجد ذكره الطيبي ثم علل أمره بالخروج بقوله (فانك رجيم) أى مرجوم بالسكوا كب مطرود من كل خير ملعون بترك أمره (وان عليك لعنتى الى يوم الدين) أى طردى لك عن الرحمة وابعادى لك منها الى يوم الجزاء فآخبر الله سبحانه وتعالى ان تلك اللعنة مستمرة دائمة عليه مادامت الدنيا ثم في الآخرة يلقي من أنواع عذاب الله وعقوبته ويخطه ما هو به حقيق وليس المراد ان اللعنة تزول عنه في الآخرة بل هو ملعون أبدا ولكن لما كان له في الآخرة ما ينسى عنده اللعنة وبذلك

(١٧ فتح البيان ثامن) سبع مرات تكبير ابن جد الله وشاء عليه وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وسئلته لنفسك وعلى المروية مثل ذلك اسناد جيد حسن قوى وقالوا ويستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ذكر الله عند الذبح واستأنسوا بقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قال بعض المفسرين يقول الله تعالى لا أذكر الاذكرت معي وخالقهم في ذلك الجهور وقالوا هذا موطن يفرديه ذكر الله تعالى كما عند الاكل والدخول والوقاع وغير ذلك مما لم ترد فيه السنة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حديث آخر قال اسمعيل القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمى حدثنا عمرو بن هرون عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي

هريرة بن ريسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا على أنبياء الله ورسوله فان الله بعثهم كما بعثني في اسناده ضعيفان وهما عمرو بن هرون وشيخه والله أعلم وقدرناه عبد الرزاق عن الثوري عن موسى بن عبيدة الزبيدي به ومن ذلك أنه يستحب الصلاة عليه عند طنين الأذن ان صح الخبر في ذلك على ان الامام ابا بكر محمد بن اسحق بن خزيمة قد رواه في صحيحه فقال حدثنا زياد بن يحيى حدثنا معمر بن محمد بن عبيد الله عن علي بن ابي رافع عن ابيه عن ابي رافع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا طنت اذن احدكم فليذ كرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرى بحجر (١٣٠) اسناده غريب وفي ثبوته نظر والله اعلم (مسئلة) وقد استحب اهل الكتابة ان

يكرر الكاتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما كتبه وقد ورد في الحديث من طريق كادج بن رجة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الصلاة جارية له مادام اسمي في ذلك الكتاب وليس هذا الحديث صحيح من وجوه كثيرة وقد روى من حديث ابي هريرة ولا يصح ايضا قال الحافظ ابو عبد الله الذهبي شيخنا حسبه موضوعا وقد روى نحو من ابي بكر وابن عباس ولا يصح من ذلك شي والله اعلم وقد ذكر الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأدب الراوي والسامع قال رايت بخط الامام احمد بن حنبل رحمه الله كثيرا ما يكتب اسم النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة قال وبلغني انه كان يصلي عليه لفظا (فصل) واما الصلاة على غير الانبياء فان كانت على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صلى على محمد وآله واذا واجسه وذريته فهذا جائز بالاجماع وان وقع النزاع فيما اذا

عند الوقوع فيه منها صارت كأنها لم تكن بجنب ما يكون فيه (قال رب فانظرني) مستأنفة كما تقدم فيما قبلها أي أمهلني وأخرني ولا تعاجلني (الي يوم يبعثون) يعني آدم وذريته للجزاء بعد فناءهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره (قال فانك من المنظرين) أي المهلين (الي يوم الوقت المعلوم) الذي قدره الله لقضاء الخلائق وهو عند النفخة الآخرة وقيل هو النفخة الأولى قيل انما طلب ابلدس الانتظار الي يوم البعث ليتخلص من الموت لانه اذا أنظـر الي يوم البعث لم يت قبل البعث وعند مجيء البعث لا يموت حينئذ يتخلص من الموت فاجيب بما يبطل مراده وينقض عليه مقصده وهو الانتظار الي يوم الوقت المعلوم وهو الذي يعلمه الله ولا يعلمه غيره فلما سمع اللعين انتظاره له الي ذلك الوقت (قال فبعزتك لا اغو بينهم أجمعين) فاقسم بعزة الله أنه يبضل بني آدم بتزيين الشهوات والمعاصي لهم وادخال الشبه عليهم حتى يصيروا غاوين جميعا ولا ينافسه قوله تعالى فيما اغويتني فان اغواه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكمه من أحكام قهره وسلطته فقال الاقسام بهم ما واحد ولعل اللعين أقسم بهم ما جعلا حكى تارة قسمه باحداهما وأخرى باخرى ثم لما علم ان كيد لا ينجح الا في أتباعه وأحزابه من أهل الكفر والمعاصي استثنى من لا يقدر على اضلاله ولا يجسد السبيل الي اغوائه فقال (الا عبادك منهم المخلصين) أي الذين أخلصتهم لطاعتك وعصمتهم متى وقد تقدم تفسير هذه الآيات في سورة الحجر وغيرها (قال فالحق والحق أقول) مستأنفة كالجل التي قبلها قرأ الجمهور بنصب الحق في الموضعين على أنه مقسم به حذف منه حرف القسم فانصب أوهما منصوبان على الاغراء أي الزموا الحق أو مصدران مؤكدا ان المصنون قوله (الاملان جهنم) وقرئ برفع الاول ونصب الثاني فرفع الاول على أنه مبتدأ وخبره بمقدر أي فالحق مني أو فالحق أنا وخبره لاملان وهو خبر مبتدأ محذوف وأما نصب الثاني فبالفعل المذكور بعده أي وأنا أقول الحق وأجاز القراء أبو عبيد ان يكون منصوبا بمعنى حقا لاملان جهنم واعترض عليهم ما بان ما بعد اللام مقطوع عما قبلها وروى عن القراء وسبويه أيضا ان المسنى فالحق ان أملا جهنم وروى عن ابن عباس ومجاهد أنهم قرأ برفعهما فرفع الاول على ما تقدم وورفع الثاني بالابتداء وخبره بالجملة المذكورة

افرد غير الانبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون يجوز ذلك واحتموا بقول الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ويقولوا اولئك عليهم صلوات من ربهم وبقوله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها وصل عليهم الآية وحدث عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فانما هي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى اخرجاه في الصبيحين ويحدث جابر ان امراته قالت يا رسول الله صل على وحي زوي فقال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال ليجوز غير ذلك من العلماء لا يجوز غير ذلك من الانبياء بالصلاة لان هذا قد صان شعرا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا

يقال **قال أبو بكر** صلى الله عليه أو قال على صلى الله عليه وإن كان المعنى صحيحاً كما يقال قال محمد عز وجل وإن كان عزيراً جليلاً
 لأن هذا من شعاره كذا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعار لآل أبي أوفى ولا لجانين
 وأمر أنه وهذا مسلك حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك لأن الصلاة على غير الأنبياء قد صار من شعار أهل الأهواء يصلون على من
 يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك والله أعلم ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم أو الكراهة الترتيبية أو خلاف
 الأولى على ثلاثة أقوال حكاه الشيخ أبو بكر النورى فى (١٣١) كتاب الأذكار ثم قال والصحيح الذى عليه

الأكثر وإنه مكروه كراهة تنزيه
 لأنه شعار أهل البدع وقد نهي عن
 شعارهم والمكروه هو ما ورد فيه
 نهي مقصود قال أصحابنا والمعتد فى
 ذلك أن الصلاة صارت مخصوصة فى
 لسان السلف بالأنبياء كما كان قولنا
 عز وجل مخصوص بالله تعالى فكما
 لا يقال محمد عز وجل وإن كان
 عزيراً جليلاً لا يقال أبو بكر أو على
 صلى الله عليه هذا لفظه بجره
 قال وأما السلام فقال الشيخ أبو
 محمد الجوينى من أصحابنا هو فى
 معنى الصلاة فلا يستعمل فى
 الغائب ولا يترد به غير الأنبياء فلا
 يقال على عليه السلام وسواء فى
 هذا الأحياء والأموات وأما
 الحاضر فيحاطب به فيقال سلام
 عليك وسلام عليكم والسلام
 عليك أو عليكم وهذا يجمع عليه
 انتهى ما ذكره قلت وقد غلب
 هذا فى عبارة كثير من النسخ
 للكتب ان يقرده على رضى الله عنه
 بان يقال عليه السلام من دون سائر
 الصحابة وأكرم الله وجهه وهذا
 وإن كان معناه صحيحاً لكن ينبغى
 أن يسوى بين الصحابة فى ذلك فإن

بعدهم والعائد محذوف وقرئ بخفضهما على تقدير حرف القسم قال الفراء كما يقول الله
 عز وجل لا تعلن كذا وغلطه أبو العباس ثعلب وقال لا يجوز الخفض بحذف مضمرة
 وقيل جله لاملأن جواب القسم على قراءة الجمهور وجله والحق أقول معترضة بين
 القسم وجوابه (مثل) أى من جنسك من الشياطين (ويمن تبعك منهم) أى من ذرية آدم
 فأطاعوك اذ دعوتهم الى الضلال والغواية و (أجمعين) تأكيد للمعطوف والمعطوف
 عليه وجوز الزمخشري أن يكون تأكيد للضمير فى منهم خاصة أى لاملأن جهنم من
 الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لاتفاوت فى ذلك بين ناس وناس ثم أمر الله سبحانه
 رسوله أن يخبرهم بأنه انما يريد بالدعوة الى الله امتثال أمره لا عرض الدنيا الزائل فقال
 (قل ما أسألكم عليه من أجر) الضمير فى عليه راجع الى تبليغ الوحي ولم يتقدم له ذكر
 ولكنه مفهوم من السياق وقيل هو عائد الى ما تقدم من قوله أنزل عليه الذكر من بينا
 وقيل الضمير راجع الى القرآن وقيل الى الدعاء الى الله على العموم فيشمل القرآن وغيره
 من الوحي ومن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ما أطلب منكم من جعل
 تعطونه عليه قال ابن عباس قل يا محمد ما أسألكم على ما دعوكم اليه من أجر عرض دنيا
 (وما أنا من المتكلفين) أى المتصنعين بما ليسوا من أهله حتى أتت النبوة وأتقول
 القرآن من تلقاء نفسي وأقول ما لأعلم أو أدعوكم الى غير ما أمرنى الله بالدعوة اليه
 والتكليف التصنع وفى البخارى ومسلم وغيرهما عن مسروق قال بينما رجل يحدث فى
 المسجد فقال فيما يقول يوم تأتى السماء بدخان مبين قال دخان يكون يوم القيامة يأخذ
 باسماع المنافقين وأبصارهم يأخذ المؤمنين كهيئة الزكام قال ففاحتى دخلنا على عبد الله
 وهو فى بيته وكان متكئاً فاستوى قاعده فقال يا أيها الناس من علم منكم علماً فليقل به
 ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم ان يقول العالم بما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى
 رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافئين وأخرج
 البخارى عن عمر قال نهي عن التكلف وأخرج الطبرانى والحاكم والبيهقى عن سلمان
 قال نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تكلف للضيف (ان هو الأذكر للعالمين) أى
 ما هذا القرآن أو الوحي أو ما أدعوكم اليه الأذكر من الله عز وجل للجن والانس العقلاء

هذا من باب التظيم والتكريم فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضى الله عنهم أجمعين قال اسمعيل القاضى حدثنا
 عبد الله بن عبد الواحد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثني عثمان بن حكيم بن عباد بن حنيف عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال
 لا تصلح الصلاة على أحد الا على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالغمزة وقال أيضاً حدثنا أبو بكر بن أبى
 شيبة حدثنا حسين بن على عن جعفر بن برقان قال كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله أبا عبد فان ناساً من الناس قد التمسوا الدنيا
 بعمل الآخرة وإن ناساً من القصاص قد أحدثوا فى الصلاة على خلفائهم وأمرتهم عبد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا

جاءه ككافي هذا فرهم أن تكون صلواتهم على النبيين ودعاؤهم للمسلمين عامة ويدعوا ما سوى ذلك أترحس قال اسمعيل القاضي
 حدثنا هاذن أسد حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن لهيعة حدثني خالد بن يزيد عن سعد بن أبي هلال عن نبيه بن وهب أن كعبا
 دخل على عائشة رضيت الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من خير يطلع الأزل سبعون الفاضل الملائكة
 حتى يحفون بالقبر يضربون باجنتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون الفاضل الليل وسبعون الفاضل النهار حتى إذا انشقت
 عنه الأرض خرج في سبعين الفاضل الملائكة (١٣٢) يزفونه * (فرع) * قال النووي إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع

بين الصلاة والتسليم فلا يقتصر
 على أحدهما فلا يقول صلى الله
 عليه فقط ولا عليه السلام فقط
 وهذا الذي قاله منتزح من هذه
 الآية الكريمة وهي قوله يا أيها
 الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
 تسليما فالاولى ان يقال صلى الله
 عليه وسلم تسليما (ان الذين يؤذون
 الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
 والآخرة واعدلهم عذابا مهينا
 والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
 بغير ما كتبوا فقد حتموا جهنم نارا
 وأنعامينا) يقول تعالى متهددا
 ومتوعدا من آذاه بخلافه أو امره
 وارتكاب زواجره واصراره على
 ذلك وايداء رسوله بعبادته
 عيادا بالله من ذلك قال عكرمة
 في قوله تعالى ان الذين يؤذون الله
 ورسوله نزلت في المصورين وفي
 الصحابين من حديث سفيان بن
 عيينة عن الزهري عن سعد بن
 المسيب عن ابي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب
 الدهر وانا الدهر ألقب امله ونهاره
 ومعنى هذا ان الجاهلية كانوا

دون الملائكة لان المراد بالذكر الموعظة والتخويف وتذكير العواقب وهذا انما يناسب
 المكلفين وهم الثقلان فقط تأمل (وتعلمن) أيها الكفار (بأه) أي ما تأباه من الوعد
 والوعيد وغيرهما وما أخبر به من الدعاء الى الله وتوحيده والترغيب الى الجنة والتعذير
 من النار (بعد حين) قال قتادة والزجاج والقراء بعد الموت وقال عكرمة وابن زيد يوم
 القيامة وقال الكلبي من بقي علم ذلك لما ظهر رأسه وعلا ومن مات علمه بعد الموت وقال
 السدي وذلك يوم بدر وقيل عند ظهور الاسلام وفشوه وكان الحسن يقول يا ابن آدم عند
 الموت يأتيك الخبر اليقين وفيه من التهديد ما لا يحصى

* (سورة الزمر) ويقال لها سورة العرف هي اثنتان وسبعون آية وقيل خمس
 وسبعون آية وهي مكية *

في قول الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وأخرج النحاس في ناسخه عن ابن عباس قال
 نزلت بمكة سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة عبادي الذين أسرفوا
 على أنفسهم الثلاث الآيات وقال آخرون الاسبع آيات من قوله قل يا عبادي الذين
 الى آخر السبع وأخرج النسائي عن عائشة قالت كان يصوم رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم حتى نقول ما يريدان يفتقر ويفطر حتى نقول ما يريدان يصوم وكان يقرأ في كل
 ليلة بنى اسرائيل والزمر وأخرجه الترمذي عنها بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم لا ينام حتى يقرأ الزمر وبنى اسرائيل

(بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب) ارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف هو
 اسم اشارة أي هذا تنزيل وقال أبو حيان ان المبتدأ المقدردلفظ هو ليعود على قوله
 ان هو الاذكر للعالمين كانه قيل وهذا الذي كرمه وقيل هو تنزيل الخ وقيل ارتفاعه
 على انه مبتدأ وخبره الجار والمجرور بعده أي تنزيل كائن من الله العزيز والى هذا
 ذهب الزجاج والنسائي وأجاز القراء والكسائي النصب على أنه مفعول به لتعمل مقدر
 أي أتبعوا وأقرأوا تنزيل الكتاب وقال القراء يجوز نصبه على الاعراء أي الزموا والكتاب
 هو القرآن (من الله العزيز الحكيم) صلة للتنزيل وأخبر به خبراً وخبر مبتدأ محذوف
 أو متعلق بمحذوف على أنه حال عمل فيه اسم الاشارة المقدر (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق)

يقولون يا خيبة الدهر فعل بنا كذا وكذا فيسندون افعال الله تعالى الى الدهر ويسبونه وانما القاعل لذلك هو الله عز وجل أي
 فنهى عن ذلك هكذا قرر الشافعي وابوعبيدة وغيرهما من العلماء رحمهم الله وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى يؤذون الله
 ورسوله نزلت في الذين طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم في تزويجه صفية بنت حيي بن أخطب والظاهر ان الآية عامة في كل من
 آذاه بشئ ومن آذاه فقد آذى الله كما ان من اطاعه فقد اطاع الله كما قال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا ابراهيم بن سعد عن عبدة
 ابن ابي ربيعة الخذاء التيمي عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن المغفل المزني قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الله في أصحابي

لاتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله
ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقد رواه الترمذى من حديث عبيدة بن أبى راطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن
المفضل به ثم قال وهذا حديث غريب لانعرفه الا من هذا الوجه وقوله تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا
أى ينسبون اليهم ما هم برأى منه لم يعملوه ولم يفعلوه فقد احتملوا بهتاناً وأثماً مينا وهداهو الهت بين ان يحكى أو ينقل عن
المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم ومن (١٣٣) اكثر من يدخل فى هذا الوعيد الكفرة بالله

ورسوله ثم الرافضة الذين يتنقصون
الصحابة ويعيبونهم بما قدر بهم
الله منه ويصفونهم بتقيض ما اخبر
الله عنهم فان الله عز وجل قد اخبره
انه قد رضى عن المهاجرين والانصار
ومدحهم وهؤلاء الجهلة الاغبياء
يسبونهم ويتنقصونهم ويذكرون
عنهم ما لم يكن ولا فعلوه ابدافهم فى
الحقيقة منكسو القلوب يذمون
المدوحين ويمدحون المذمومين
وقال ابو داود حدثنا القعنبي حدثنا
عبد العزيز يعنى ابن محمد عن العلاء
عن ابيه عن ابى هريرة انه قيل
يا رسول الله ما الغيبة قال ذكرك
اخاك بما يكره قيل افرأيت ان كان
فى اخى ما اقول قال ان كان فيه
ما تقول فقد اغتبت به وان لم يكن فيه
ما تقول فقد بهتته وهكذا رواه
الترمذى عن قتيبة عن الدراوردى
به ثم قال حسن صحيح وقد قال ابن
ابى حاتم حدثنا احمد بن سلمة حدثنا
ابو كريب حدثنا معاوية بن هشام
عن عمار بن انس عن ابن ابى مليكة
عن عائشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا صحابة اى الربا
ارى عند الله قالوا الله ورسوله أعلم

اى انزلناه بسبب الحق واثباته واطهاره أو متلبسين بالحق أو متلبسا اوبداعية الحق
واقضائه للانزال والمراد كل ما فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأواع
التكاليف قال مقاتل يقول لم تنزله باطلا غير شئ وهذا ليس بتكرار لان الاول كالعنوان
للكتاب والثانى لبيان ما فى الكتاب أو المراد بالثانى هو الاول واطهاره لتعظيمه ومزيد
الاعتناء بشأنه (فاعبد الله مخلصا له الدين) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى بمحضه
الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر والاخلاص ان يقصد العبد بوجه
الله سبحانه والدين العبادة والطاعة ورأسها توحيد الله وانه لا شريك له وفى الآيات دليل
على وجوب النية واخلاصها عن الشوائب لان الاخلاص من الامور القلبية التى
لا تكون الا باعمال القلب وقد جاءت السنة الصحيحة ان ملاك الامر فى الاقوال والافعال
النية كما فى حديث انما الاعمال بالنيات وحديث لا قول ولا عمل الا بالنية (ألا الله
الدين الخالص) مستأنفة مقررة لما قبلها من الامر بالاخلاص أى أن الدين الخالص
من شوائب الشرك وغيره هو لله وما سواه من الاديان فليس بدين الله الخالص الذى
أمر به قال قتادة الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وقد أخرج ابن مردويه عن يزيد
الرقاشى ان رجلا قال يا رسول الله انا اعطى اموالنا التماس الذك فهل لنا فى ذلك من اجر
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا قال يا رسول الله انا اعطى التماس الاجر والذكر
فهل لنا فى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله لا يقبل الا ما اخلص له ثم تلا
هذه الآية وقال الحسن الدين الاسلام ولما أمرت بعبادته على وجه
الاخلاص وان الدين الخالص له لا غيره بين بطلان الشرك الذى هو مخالف للاخلاص
وقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء) الموصول عبارة من المشركين ومحل الرفع على
الابتداء وخبره قوله ان الله يحكم بينهم وجملة (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) فى محل
نصب على الحال بتقدير القول والاستثناء مفرغ من أعم العلل والمعنى والذين لم يخلصوا
العبادة لله بل شاؤوها بعبادة غيره قائمين ما نعبدهم لشي من الاشياء الا ليقربونا الى الله
تقريباً فالزلفى اسم أقيم مقام المصدر والضمير فى نعبدهم راجع الى الاشياء التى كانوا
يعبدونها من الملائكة وعيسى والاصنام وهم المرادون بالاولياء والمراد بالزلفى الشفاعة
كما حكاه الواحدى عن المفسرين قال قتادة كانوا اذا قبل لهم من ربكم وخالفكم ومن

قال الربى الرباعند الله استحلال عرض امرئ مسلم ثم قرأوا الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وأثماً
مبيناً (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيقهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا
رحيماً) لم ينمته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرحفون فى المدينة لغير سنك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما
نشؤوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً سنة الله فى الذين خلا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً يقول تعالى أمر ارسوله صلى الله عليه وسلم
تسليماً ان يأمر النساء المؤمنات خاصة أزواجه وبناته لشرفهن بان يدنين عليهن من جلابيقهن لتمييزهن عن سمات نساء الجاهلية

وسمات الاماء والجلباب هو الرداء فوق الخمار قاله ابن مسعود وعبيدة والحسن البصرى وسعيد بن جبير وابراهيم التيمي وعطاء
 الخراساني وغير واحد وهو بمنزلة الازرار اليوم قال الجوهري الجلباب الملحقة قالت امرأة من هذيل ترى قتيلا لها
 تمشي النسور اليه وهي لاهية * مشى العذارى عليهم الجللاب قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس امر الله نساء المؤمنين
 اذا خرجن من بيوتهن في حاجة ان يعطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجللاب ويبيدين عينا واحدة وقال محمد بن سيرين سألت
 عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل يدين (١٣٤) عاين من جلابيهم فغطى وجهه ورأسه وأبرز عينه اليسرى وقال

عكرمة تغطي ثغرة نحرها بجلبابها
 تدينه عليها وقال ابن ابي حاتم حدثنا
 أبو عبد الله الطهراني فيما كتب
 الى حدثننا عبد الرزاق أخبرنا معمر
 عن ابن خثيم عن صفية بنت شيبة عن
 ام سلمة قالت لما نزلت هذه الآية
 يدين عليهم من جلابيهم خرج
 نساء الانصار كأن علي رؤوسهن
 الغراب من السمكة وعلين
 كسمة سوديلينها وقال ابن ابي
 حاتم حدثنا ابي حدثننا أبو صالح
 حدثني الليث حدثنا يونس بن يزيد
 قال وسألتها يعني الزهري هل على
 الوليدة خمار متزوجة أو غير
 متزوجة قال عاين الخمار ان كانت
 متزوجة وتنهى عن الجلباب لانه
 يكره لهن ان يتشبهن بالحرث
 المحصنات وقد قال الله تعالى يا ايها
 النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
 المؤمنين يدين عليهم من جلابيهم
 وروى عن سفيان الثوري انه قال
 لا بأس بالنظر الى زينة نساء أهل
 الذمة وانما نهى عن ذلك لخوف
 الفتنة لا لحرمتهن واستدل بقوله
 تعالى ونساء المؤمنين وقوله ذلك أدنى

خلق السموات والارض ومن أنزل من السماء ماء قالوا الله فيقال لهم ماعني عبادتكم
 للاصنام قالوا اليقربونا الى الله زلفى وبشفعه والنساء عنده قال الكلبي جواب هذا الكلام
 قوله في سورة الاحقاف فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة (ان الله يحكم
 بينهم) أى بين أهل الاديان يوم القيامة فيجازى كل بما يستحقه فيدخل المؤمنين الجنة
 والكافرين النار وقيل بين المخلصين للدين وبين الذين لم يخلصوا وحذف الاول دلالة
 الحلال عليه وقيل بين المتنازعين من الفريقين (فما هم فيه مختلفون) أى فى الذى
 اختلفوا فيه من الدين بالتوحيد والشرك فان كل طائفة تدعى أن الحق معها (ان الله
 لا يهدي) أى لا يرشد لدينه ولا يوفق للاهتداء الى الحق (من هو كاذب) فى زعمه ان
 الآلهة تقربه الى الله (كفار) أى كفر باخذها آلهة وجعلها شركاء لله لانه فاقد للبصيرة
 غير قابل للاهتداء لتغييره الفطرة بالتمرن فى الضلال والتماذى فى النقي والجملة تعيد لما
 ذكر من حكمه والكنار صيغة المبالغة تدل على ان كفر هؤلاء قد بلغ الى الغاية وقرأ
 الحسن والاعرج كذاب على صيغة المبالغة ككفار ورويت هذه عن أنس (لو أراد الله
 أن يتخذ ولد الاصطفي) هذامه مقرر سابق من ابطال قول المشركين بان الملائكة بنات الله
 لتضمنه استحالة الولد فى حقه سبحانه على الاطلاق فلو أراد أن يتخذ ولد الامتنع اتخاذ الولد
 حقيقة ولم يتأت ذلك الا بان يصطفي (بما يتخلق) أى يختار من جملة خلقه (ما يشاء) أن
 يصطفيه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له ولا يصح أن يكون المخلوق ولد الخالق لعدم
 المجانسة بينهما فلم يبق الا أن يصطفيه عبدا كما يفيد التعبير بالاصطفاء مكان اتخاذ فعنى
 الآية لو أراد أن يتخذ ولد الواقع منه شئ ليس هو من اتخاذ الولد بل انما هو من الاصطفاء
 لبعض مخلوقاته ولهذا نزه سبحانه نفسه عن اتخاذ الولد على الاطلاق فقال (سبحانه) أى
 تنزهه عن ذلك وجملة (هو الله الواحد) مبينة لتنزهه بحسب الصفات بعد تنزهه
 بحسب الذات أى هو المسبب لصفات الكمال المتوحد فى ذاته فلا مماثل له (القهار)
 لكل مخلوقاته ومن كان متصفا بهذه الصفات استحالة وجود الولد فى حقه لان الولد مماثل
 لوالده ولا مماثل له سبحانه ومثل هذه الآية قوله سبحانه لو اردنا أن نتخذ لها ولداً
 من لدنا والآية اشارة الى قياس استثنائى حذف صغراه وتيجته تقريرهما لانه لم

ان يعرفن فلا يؤذين أى اذا فعلن
 ذلك عرفن انهن حرائر لسن باماء ولا عواهر قال السدي فى قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء
 المؤمنين يدين عليهم من جلابيهم ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين قال كان ناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين
 يختلط الظلام الى طريق المدينة فيعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة فاذا كان الليل خرج النساء الى الطرق
 يقضين حاجتهن فكان أولئك الفساق يتبعون ذلك منهم فاذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرة فكفوا عنها واذا رأوا المرأة
 ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها وقال مجاهد يتجلبن فيعلم انهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق باذى ولا رية وقوله

تعالى وكان الله غفورا رحيما أي لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهم علم بذلك ثم قال تعالى متوعدا للمنافقين وهم الذين يظهرن الايمان ويطنون الكفر والذين في قلوبهم مرض قال عكرمة وغيره هم الزناة ههنا والمرحفون في المدينة يعني الذين يقولون جاء الاعداء وجاءت الحروب وهو كذب واقترا لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا الى الحق لتغير نيك بهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لنسلطنك عليهم وقال قتادة لخرسنتك بهم وقال السدي لنعذت بهم ثم لا يجاورونك فيها أي في المدينة الا قليلا ملعونين حال منهم في مدة اقامتهم في المدينة مدة قريية مطرودين مبعدين (١٣٥) أينما تقفوا أي وجدوا أخذوا الذلتهم وقتلهم وقتلوا تقتيلا ثم قال تعالى سنة الله

في الذين خلوا من قبل أي هذه سنته في المنافقين اذا تردوا على نفاقهم وكفرهم ولم يرجعوا عما هم فيه ان أهل الايمان يسלטون عليهم ويقهرونهم ولن تجد لسنة الله تبديلا أي وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تفسير (يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدرىك لعسل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعمنا الله وأطعمنا الرسولا وقالوا ربنا اننا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا) يقول تعالى مخبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه انه لا علم له بالساعة وان سأله الناس عن ذلك وأرشدته ان يرد عليها الى الله عز وجل كما قال الله تعالى في سورة الاعراف وهي مكية وهذه مدينة فاسترحالها في رد علمها الى الذي يتبعها لكن أخبره انها قريية بقوله وما يدرىك لعسل

يصطف أي لم يتخذ ولدا غير من قالوا في شأنه ان ابن الله وهذا النبي باعترافهم شامل لسائر الخلائق فلم يرد اتخاذ الولد تأمل ثم لماذا كرسجانه كونه منزها عن الولد بكونه الها واحدا قهارا ذكرا ما يدل على ذلك من صفاته فقال (خلق السموات والارض بالحق) أي لم يخلقهما باطلا غير شيء ومن كان هذا الخلق العظيم خلقه استحاله أن يكون له شريك أو صاحبة أو ولد ثم بين كيفية تصرفه في السموات والارض فقال (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) التكوير في اللغة طرح الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع اذا التقي بعضه على بعض ومنه كور العمامة يعني تكوير الليل على النهار تغشيته اياه حتى يذهب ضوءه ومعنى تكوير النهار على الليل تغشيته اياه حتى تذهب ظلمته وهو معنى قوله تعالى يغشى الليل النهار يطلمه حثيثا هكذا قال قتادة وغيره وقال الضحاك أي يلقى هذا على هذا وهذا على هذا وهو مقارب للقول الاول وقيل معنى الآية ان ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل وهو معنى قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل المعنى ان هذا يكر على هذا وهذا يكر على هذا كروا متتابعا قال الراغب تكوير الشيء ادارته وضم بعضه على بعض ككور العمامة اه وقيل التكوير اللف واللى وقال ابن عباس يكور يحمل والاشارة بهم هذا التكوير المذكور في الآية الى جريان الشمس في مطالعها وانتقاص الليل والنهار وازديادهما قال الرازي ان النور والظلمة عمكران عظيمان وفي كل يوم يغلب هذا ذلك وذلك هذا ثم ذكر تسخير السلطان النهار وسلطان الليل وهما الشمس والقمر فقال (وسخر الشمس والقمر) أي جعلهما منقادين لامرهم بالطولوع والغروب لمنافع العباد ثم بين كيفية هذا التسخير فقال (كل يجرى لاجل مسمى) أي يجرى في فلكه الى أن تنصرم الدنيا وذلك يوم القيامة وقد تقدم الكلام على الاجل المسمى بطريقهم ما مستوفى في سورتيس (الاهو العزيز الغفار) الاحرف تنبيه وتصدير الجملة بها الاظهار كمال الاعتناء بضمونها والمعنى تنبهوا أيها العباد فالله هو الغالب السائر لذنوب خلقه بالمغفرة ثم بين سبحانه نوعا آخر من قدرته وبتدبير صنيعته فقال (خلقكم من نفس واحدة) وهي نفس آدم (ثم جعل منها زوجها) جاء بهم للدلالة على ترتيب خلق حواء

الساعة تكون قريبا كما قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقال اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون وقال أي أمر الله فلا تستهملوه ثم قال ان الله لعن الكافرين أي أبعدهم من رحته وأعد لهم سعيرا أي في الدار الاخرة خالدين فيها أي ما كتبت مسقرين فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها لا يجدون وليا ولا نصيرا أي وليس لهم مغيب ولا معين يتقدمهم بما هم فيه ثم قال يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعمنا الله وأطعمنا الرسولا أي يسبحون في النار على وجوههم وتلوى وجوههم على جهنم يقولون وهم كذلك يقتولون كلوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول كما أخبر الله عنهم في حال

العرصات بقوله ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتاليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن
 الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا وقال تعالى رب عاود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهكذا أخبر عنهم في حالتهم
 هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول في الدنيا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكرهنا فاضلونا السبيلا وقال
 طابوس سادتنا يعني الاشراف وكبراءنا يعني العلماء رواه ابن أبي حاتم اى اتبعنا السادة وهم الامراء والكبراء من المشيخة وخالفنا
 الرسل واعتقدنا ان عندهم شيئا وانهم على (١٣٦) شئ فاذا هم ليسوا على شئ ربنا آتهم ضعفين من العذاب اى بكفرهم

على خلق آدم وتراخيها عنه لانها خلقت منه والعطف اما على مقدر وهو صفة لنفس قال
 الفراء والزجاج التقدير خلقكم من نفس خلقها واحدة ثم جعل منها زوجها ويجوز ان
 يكون العطف على معنى واحدة اى من نفس انفردت بالايجاد ثم جعل الخ والتعبير
 بالجعل دون الخلق مع العطف يتم للدلالة على ان خلق حواء من ضلع آدم أدخل في كونه
 آية باهرة دالة على كمال القدرة لان خلق آدم هو على عادة الله المستمرة في خلقه وخلقها على
 الصفة المذكورة لم يجز به عادة لكونه لم يخلق سبحانه اثنى من ضلع رجل غيره ها وقد تقدم
 تفسير هذه الآية مستوفى في سورة الاعراف ثم بين سبحانه نوعا آخر من قدرته الباهرة
 وافعاله الدالة على ما ذكر فقال (وأترل لكم من الانعام) عبر بالانزال لما يروى انه خلقها في
 الجنة ثم أترلها فيكون الانزال حقيقة كما قيل في قوله وأترلنا الحديد فيه بأس شديد فان آدم
 لما هبط الى الارض أنزل معه الحديد ويحتمل أن يكون مجازا لانها لم تنعش الا بالنبات
 والنبات انما يعيش بالماء والماء منزل من السماء كانت الانعام كأنها منزلة لان سبب سببها
 منزل وهذا يسمى التدريج ومنه قوله تعالى قد أنزلنا عليكم لباسا وقيل ان أنزل بمعنى
 أنشا وجعل أو بمعنى أعطى وقيل جعل الخلق انزالا لان انطلق انما يكون بأمر ينزل من
 السماء (ثمانية أرواح) هي مافي قوله من الابل اثنتين ومن البقر اثنتين ومن الضأن اثنتين
 ومن المعز اثنتين ويعني بالاثنتين في الاربعة المواضع الذكروا الاثنى والزوج مامعه آخر من
 جنسه من اوجه ويحصل منهما النسل فيطلق لفظ الزوج على المفرد اذا كان معه آخر من
 جنسه لا يتفك عنه ويحصل منهما النسل وكذا يطلق على الاثنى فهو مشترك والمراد هنا
 الاطلاق الاول وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الانعام ثم بين سبحانه نوعا آخر من
 قدرته البديعة فقال (يخلقكم في بطون امهاتكم) قرأ حزة بكسر الهمزة والميم وقرأ
 الكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم وقرأ الباقون بضم الهمزة وفتح الميم وانما قال في بطون
 امهاتكم مع ان الانسان والحيوان مشترك في هذا الخلق لتغليب من يعقل ولشرف
 الانسان على سائر الخلق (خلقنا) كأننا (من بعد خلق) الجلة استئنافا لبيان ما تضمنته
 من الاطوار المختلفة في خلقهم وخلقهم مصدر مرفوع كد للفعول المدكور ومن بعد خلق صفة
 قال قتادة والسدى نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم لحما وقال ابن زيد خلقكم خلقا في
 بطون امهاتكم من بعد خلقكم في ظهر آدم (في ظلمات ثلاث) هي ظلمة البطن وظلمة

واغوائهم ايانا والعنهم لعنا كبيرا
 قرأ بعض القراء بالياء الموحدة وقرأ
 آخرون بالياء المثلثة وهما قريبا
 المعنى كما في حديث عبد الله بن عمرو
 ان ابا بكر قال يا رسول الله علمنى
 دعاء أدعو به في صلاتى قال قل اللهم
 انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر
 الذنوب الا انت فاغفر لى مغفرة من
 عندك وارحمنى انك انت الغفور
 الرحيم أخرجاه في الصحيحين يروى
 كثيرا وكثيرا وكلاهما بمعنى صحيح
 واستحب بعضهم أن يجمع الدعوى
 بين اللغظين في دعائه وفي ذلك نظر
 بل الاولى أن يقول هذا تارة وهذا
 تارة كما ان القارئ مخير بين
 القراءتين اى تمهنا قرأ حسن وليس
 له الجمع بينهما والله أعلم وقال أبو
 القاسم الطبراني حدثنا محمد بن
 عثمان بن أبى شيبة حدثنا ضرار بن
 صرد حدثنا علي بن هشام عن عبيد
 الله بن أبى رافع عن أبىه في تسمية
 من شهد مع على رضى الله عنه
 الجراح بن عمرو بن عزمه وهو الذى
 كان يقول عند اللقاء يا معشر
 الانصار أتريدون ان تقولوا ربنا
 اذا قضينا ربنا انا اطعنا سادتنا
 وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم

ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان
 عند الله وجيها) قال البخارى عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف عن الحسن ومحمد
 وخلاس عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حيا وذللك قوله تعالى يا أيها الذين
 آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها هكذا ورد هذا الحديث ههنا مختصرا جدا وقد رواه
 في أحاديث الانبياء بهذا التسديد عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام كان رجلا حيا

ستر الايرى من جلده شئ استحياء منه فاذا من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر الامن عيب في جلده اما برص
واما آذرة واما آفة وان الله عز وجل أراد ان يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام فلا يؤا وحده فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ
أقبل الى ثيابه لما أخذها وان الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى الى ملا من بني
اسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عز وجل وبراءه مما يقولون وقام الحجر فأخذوه به فلبسه وطفق بالحجر ضربه بالعصاه فوالله
ان بالحجر لنديا من أثر ضربته ثلاثاً وأربعاً وخساً قال فذلك قوله تعالى يا أيها (١٤٧) الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى

فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله
وجيها وهذا سياق حسن مطول
وهذا الحديث من أفراد البخارى
دون مسلم وقال الامام احمد حدثنا
روح حدثنا عوف عن الحسن عن
النبي صلى الله عليه وسلم وخلاس
ومحمد عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية
يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان
عند الله وجيها قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلاً
حيماً استير الايكاديرى من جلده
شئ استحياء منه ثم ساق الحديث كما
رواه البخارى مطولاً ورواه عبد
في نفسه عن روح عن عوف به
ورواه ابن جرير من حديث الثورى
عن جابر الجعفي عن عامر الشعبي
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم بنحو هذا وهكذا رواه
من حديث سليمان بن مهران
الاعمش عن المنهال بن عمرو عن
سعيد بن جبير وعبد الله بن الحرث
عن ابن عباس في قوله لا تكونوا
كالذين آذوا موسى قال قال قومه
له انك آذرتنا فخرج ذات يوم يغتسل

الرحم وظلمة المشيمة قاله محاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وقال سعيد بن جبير ظلمة
المشيمة وظلمة الرحم وظلمة اللبيل وقال أبو عبيدة ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المرأة
وظلمة الرحم والرحم داخل البدن والمشيمة داخل الرحم قال ابن الاعراب يقال لما
يكون فيه الولد المشيمة والكيس والغلاف والجمع مشيم يمشف الهامه ومشام ويقال
لهامن غيره السلى والاشارة بقوله (ذلكم الله ربكم) اليه سبحانه باعتبار افعاله
السابقة والاسم الشريف خبره وربكم خبر آخر (له الملك) الحقيقي في الدنيا والآخرة
لاشركة لغيره فيه وهو خبر ثالث وقوله (لا اله الا هو) خبر رابع (فان تصرفون) أى
فكيف تصرفون عن عبادته وتقبلون عنها الى عبادة غيره أو تصرفون عن طريق
الحق بعد هذا البيان ولما ذكر سبحانه النعم التي أنعم بها على عبادته وبين لهم من بدع صنعه
وعجيب فعله ما يوجب على كل عاقل ان يؤمن به عقبه بقوله (ان تكفروا فان الله غنى عنكم)
أى غير محتاج اليكم والى ايمانكم ولا الى عبادتكم له فانه الغنى المطلق (و) مع كون كفر
الكافر لا يضره كما انه لا ينتفعه ايمان المؤمن فهو أيضاً (لا يرضى لعباده الكفر) أى
لا يرضى لاحد من عباده الكفر ولا يحبه ولا يأمر به ولا يفعل فعل الراضى بان يأذن فيه
ويقر عليه ويشيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بان ينهى عنه ويذم عليه
ويعاقب مرتكبه وان كان بارادته ان لا يخرج شئ عنها قال أبو السعود عدم رضاه بكفر
عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضره تعالى به انتهى ومثل هذه
الآية قوله ان تكفروا وأنتم ومن في الارض جميعاً فان الله لغنى جيد ومثلها ما ثبت في
صحیح مسلم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم
وجنكم كانوا على قلب فجر رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئاً وقد اختلف
المفسرون في هذه الآية هل هي على عمومها وان الكافر غير مرضى لله سبحانه على كل حال
كما هو الظاهر أو هي خاصة والمعنى لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وقد ذهب الى التخصيص
حبر الامة ابن عباس رضى الله تعالى عنه وتابعه على ذلك عكرمة والسدى وغيرهما ثم
اختلفوا فى الآية اختلافاً آخر فقال قوم انه يريد كفر الكافر ولا يرضاه وقال الآخرون
انه لا يريد ولا يرضاه والكلام في تحقيق مثل هذا يطول جداً وقد استدل القائلون
بتخصيص هذه الآية والمثبتون للارادة مع عدم الرضا بما ثبت في آيات كثيرة من الكتاب

(١٨ فتح البيان ثامن) فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشد بثيابه وخرج يتبعها عرياناً حتى انتهت
به مجالس بنى اسرائيل قال فرأوه ليس بأذى فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا وهكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهم
سواء وقال الحافظ أبو بكر البرقاني حدثنا روح بن حاتم وأجد بن المعلى الادبى قال حدثنا يحيى بن جاد حدثنا جاد بن سلمة عن على
ابن زيد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان موسى عليه السلام رجلاً حياً وانه أتى أحسبه قال الماء ليغتسل فوضع
ثيابه على صخرة وكان لا يكاد يتبدد وعورته فقال بنو اسرائيل ان موسى آذرا وبه آفة بعنونا انه لا يضع ثيابه فاحتلت الصخرة

ثبته حتى صارت بحذاء مجالس بني اسرائيل فنظروا الى موسى كما حسن الرجال او كما قال فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبد بن سليمان حدثنا عبد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم في قوله فبرأه الله مما قالوا قال صعد موسى وهرون الجبل فبات هرون عليه السلام فقال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذنت قتلته كان ائنا لنا منك واشد حياء فاذن من ذلك فامر الله الملائكة فحتمته فزوا به على مجالس بني اسرائيل فتكلمت (١٣٨) بموته فما عرف موضع قبره الا الرخم وان الله جعله أصم ابكم وهكذا رواه ابن

العزير انه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وما تشاؤون الا ان يشاء الله ونحو هذا مما يؤدي معناه كثيرا في الكتاب العزيز قال ابن عباس في قوله ان تكفروا الخ يعني الكفار الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم فيقولون لا اله الا الله ثم قال ولا يرضى لعباده الكفروهم عبادته الخ لخصون الذين قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فالزمهم شهادة ان لا اله الا الله وحيها اليهم اخرج ابن جرير فيكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض العباد وقال عكرمة لا يرضى لعباده المسلمين الكفر وعن قتادة قال والله ما رضى الله لعبدا صلاته ولا امره بها ولا دعاء اليها ولكن رضى لكم طاعته و امركم بها وانها لكم عن معصيته ثم لما ذكر سبحانه انه لا يرضى لعباده الكافرين ان يرضى لهم الشكر فقال (وان تشكروا يرضه لكم) أي يرضى لكم الشكر المدلول عليه بقوله وان تشكروا اي يبيكم عليه وانما رضى لهم سبحانه الشكر لانه سبب سعادتهم في الدنيا والاخرة كما قال سبحانه وان شكرتم لازيدنكم لالاتقاع به فمرى باسكان الهاء من يرضه وباشباع الضمة على الهاء واختلاس الباقون والقراءات كلها سبعة (ولا تزرزوروا جزى) أي لا تحمل نفس حاملة للوزن رجل نفس اخرى وهذا بيان لعدم سرية كذرا الكافر لغيره أصلا وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفي (ثم الى ربكم مرجعكم) يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم تعملون) من خير وشر وفيه تهديد شديد (انه علم بذات الصدور) أي بما ضميره الخائب وتستره فكيف بما تظنونه وتبديه وهذا تعليل بالتبسيه بالاعمال (واذا مس الانسان ضر) أي ضر كان في جسمه أو ماله أو أهله أو ولده من بلاء أو مرض أو فقر أو خوف أو شدة لان اللفظ مطلق فلامعنى لتقيده بالمس في الاعراض مجاز وجواب اذا قوله (دعارب منيبا اليه) أي راجعا اليه مستغيا فيه في دفع ما نزل به تار كما كان يدعو ويستغيث به من ميت أو حي أو صم أو غير ذلك في حال الرخاء لعله بانها بعزل عن القدرة على كشف ضره (ثم اذا خوله نعمة منة) أي أعطاه وملكه يقال خوله الشيء أي ملكه اياه ولا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطفية (نسى ما كان يدعو اليه من قبل) أي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه عنه من قبل أن يخوله ما خوله وقيل نسي الدعاء الذي كان يتضرع به وتركه أو نسي ربه الذي كان يدعو به يتضرع اليه ثم جاوزه ذلك الى الشرك بالله وهو

جرير عن علي بن موسى الطوسي عن عباد بن العوام به ثم قال وجائز أن يكون هذا هو المراد بالاذى وجائز أن يكون الاقل هو المراد فلا قول أولى من قول الله عز وجل (قلت) بمثل أن يكون الكل مرادا وأن يكون معه غيره والله أعلم قال الامام أحمد حدثنا ابي داود حدثنا ابي داود حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قسمه انقال رجل من الانصار ان هذ لقصمة ما أريد بها وجه الله قال فقات يا عدو الله أما لا أخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأجز وجهه ثم دل رجعة الله على موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصر أخرجه في الصحابين من حديث سليمان بن مهران الاعمش به طريق اخرى حدثنا حجاج سمعت اسرائيل ابن يونس عن الوليد بن ابي هشام مولى همدان عن زيد بن زائد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا يبلغني أحد من اصحابي

عن أحد شيئا فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مال قسمه قال فررت برجلين وأحدهما يقول لصاحبه والله ما أراد محمد بقسمته وجه الله ولا دار الاخرة قال فنبئت حتى سمعت ما قالوا ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انك قلت ان لا يبلغني أحد من اصحابي شيئا وانى مررت بفلان وفلان وهما يقولان كذا وكذا فاجز وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ثم قال دعنا منك لقد أودى موسى بأكثر من هذا فصر وقد رواه ابو داود في الادب عن محمد بن يحيى الذهلي عن محمد بن يونس القرطبي عن اسرائيل عن الوليد بن ابي هشام بن مختصرا

معنى

لا يبلغني أحد عن أحد شيئا أحب أني أخرج اليكم وأناسليم الصدر وكذا رواه الترمذي في المنة فب عن الدهلي سواء الأنة قال زيد بن زائدة ورواه أيضا عن محمد بن اسمعيل عن عبد الله بن محمد عن عبيد الله بن موسى وحسين بن محمد كلاهما عن اسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هشام به مختصرا أيضا فزاد في اسناده السدي ثم قال غريب من هذا الوجه وقوله تعالى وكان عند الله وجيها أي له وجاهة وجاه عند ربه عز وجل قال الحسن البصري كان مستجاب الدعوة عند الله وقال غيره من السافل يسأل الله شيئا إلا أعطاه ولكنه منع الرؤية لما يشاء الله عز وجل وقال بعضهم من (١٣٩) وجاهته العظيمة عند الله انه شفيع

في أخيه هرون أن يرسله الله معه فأجاب الله سؤاله فقال ووهبتاه من رحمتنا أخاه هرون نبيا (أي أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) يقول تعالى أمرنا عباده المؤمنين بتقواه وان يعبدوه عبادة من كانه يراه وان يقولوا قولنا سديدا أي مستقيما لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم انهم اذا فعلوا ذلك أتاهم عليه بان يصلح لهم أعمالهم أي يوفيقهم للأعمال الصالحة وان يغفر لهم الذنوب الماضية وما قد يقع منهم في المستقبل يلهمهم التوبة منها ثم قال تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وذلك انه يجاز من نار الجحيم ويصير الى النعيم المقيم قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا عمرو بن عوف حدثنا خالد عن ليث عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر فلما انصرف أو ما لي بنا سيده فجلسنا فقال ان الله تعالى أمرني أن أمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولنا سديدا

معنى قوله (وجعل الله أندادا) أي شركا من الاصنام أو غيرها يستغيث بها ويعبدها وقال السدي يعني أندادا من الرجال يعتمد عليهم في جميع اموره (ليضل عن سبيله) أي ليضل الناس عن طريق الله التي هي الاسلام والتوحيد قرأ الجمهور بضم الياء وقرئ بفتحها وهما سبعيتان واللام له مقبلة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يهد من كان متصفا بتلك الصفة فقال (قل تمتع بكفرك قليلا) أي تمتع قليلا وزمانا قليلا فتنازع الدنيا قليل قال الزجاج لفظه لنظ الامر ومعناه التهديد والوعيد وفيه اشعار بان الكفر نوع تشبه لاسناده واقناط للكافرين من التمتع في الآخرة ولذلك علله بقوله (انك من أصحاب النار) على سبيل الاستئناف للمبالغة أي مصيرك اليها عن قريب وانك ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام وهو تدليل لقلة التمتع وفيه من التهديد أمر عظيم قيل نزات في عتبة ابن ربيعة وقيل في أبي حذيفة الخزرجي وقيل هو عام في كل كافر وهو الاوفق بتواعد الشريعة ثم لما ذكر سبحانه صفات المشركين وتمسك بهم بغير الله عند اندفاع المكروهات عنهم ذكر صفات المؤمنين فقال (أمن هو قات) هذا الى آخره من تمام الكلام الماء ورثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى أن ذلك الكافر أحسن حالا مما لا آمن هو قات بطاعات الله في السراء والضراء في ساعات الليل مستقر على ذلك غير مقتصر على دعاء الله سبحانه عند نزول الضر به قرئ أمن بالتشديد والتخفيف فعلى القراءة الاولى ام داخله على من الموصولة وأدغم الميم في الميم وأم هي المتصلة ومعادلهما محذوف أي الكافر خير ام الذي هو قات وقيل هي المنقطعة مقدره بيل والهمزة أي بل أمن هو قات كالكافر وعلى الثانية الهمزة للاستفهام والاستفهام للتقرير ومقابله محذوف أي أمن هو قات كن كقرو قال الفراء ان الهمزة في هذه القراءة للنداء ومن منادى وهي عبارة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المأمور بقوله قل تمتع بكفرك قليلا والتقدير يا من هو قات قل كيت وكيت وقيل التقدير يا من هو قات انك من أصحاب الجنة ومن القائلين بان الهمزة للنداء القراء وضعف ذلك أبو حيان وقال هو أجني عما قبله وعما بعده وقد سبقه الى هذا التضعيف أبو علي الفارسي واعترض على هذه القراءة من أصلها أبو حاتم الأخفش ولا وجه لذلك فانها اذا ثبتت الرواية بطلت الدراية وقد اختلف في تفسير القات هنا فقبل المطيع وقيل الخاشع أو القاتم في صلته وقيل الداعي لربه قال النحاس أصل القنوت

ثم أي النساء فقال ان الله أمرني أن أمركن أن تتقين الله وتقلن قولنا سديدا وقال ابن ابى الدنيا في كتاب التقوى حدثنا محمد بن عباد بن موسى حدثنا عبد العزيز بن عمران الزهري حدثنا عيسى بن سبرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضی الله عنها قالت ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر الا سمعته يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولنا سديدا الآية غريب جدا وروى عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن محمد بن كعب عن ابن عباس موقوفا من سره أن يكون أكرم الناس فليثق الله قال عكرمة القول السديدا له الا الله وقال غيره السديد الصدق وقال مجاهد هو السداد وقال غيره هو الصواب والكل حق (انا عرضنا لامة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها واشتهن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا له ذنب الله المنافق

والمناقبات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً قال العوفي عن ابن عباس يعني
 بالامانة الطاعة عرضها عليهم قبل ان يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لا دم اتي قد عرضت الامانة على السموات والارض والحيال
 فلم يطقنها فهل انت تأخذ بمجاها قال يارب وما فيها قال ان احسنت جزيت وان اسأت عوقبت فأخذها آدم فطمعها فذلك قوله
 تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس الامانة القرائض عرضها الله على السموات والارض
 والحيال ان آدوها أثابهم وان ضيعوها (١٤٠) عذبهم فكم هو اذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظم الدين الله

أن لا ية قوموا بها ثم عرضها على آدم
 فقبلها بما فيها وهو قوله تعالى وحملها
 لانسان انه كان ظلوما جهولا يعني
 غترا بأمر الله وقال ابن جرير حدثنا
 ابن بشار حدثنا محمد بن جعفر
 حدثنا شعبة عن ابي بشر عن
 سعيد بن جبير عن ابن عباس انه
 قال في هذه الآية انا عرضنا
 الامانة على السموات والارض
 والحيال فأبىن ان يحملها قال
 عرضت على آدم فقال خذها بما
 فيها فان اطعت غفرت لك وان
 عصيت عذبتك قال قبلت فما
 كان الا مقدر ما بين العصر الى
 الليل من ذلك اليوم حتى أصاب
 الخطيئة وقد روى الضحاك عن
 ابن عباس قريبا من هذا وفيه نظر
 وانقطاع بين الضحاك وبينه والله
 أعلم وهكذا قال مجاهد وسعيد بن
 جبير والضحاك والحسن البصري
 وغير واحد ان الامانة هي القرائض
 وقال آخرون هي الطاعة وقال
 الاعمش عن ابي الضحى عن
 مسروق قال قال ابي بن كعب
 من الامانة ان المرأة اوتنت على
 فريحتها وقال قتادة الامانة الدين

الطاعة فكل ما قيل فيه فهو داخل في الطاعة (آناه الليل) جمع اتي بكسر الهمزة والقصر
 كمي وامعاء وقيل واحدها أنويقال مضى من الليل أيان وأنوان والمراد بآناه الليل ساعاته
 وأوقاته وقيل جوفه وقيل ما بين المغرب والعشاء وقيل أوله وأوسطه وآخره (ساجدا
 وقائما) منصوبان على الحال أي جامع بين السجود والقيام في الصلاة وقدم السجود على
 القيام لكونه ادخل في العبادة والآية دلت على ترجيح قيام الليل على النهار وأنه أفضل
 منه وذلك لان الليل أستر فيكون أبعده عن الرياء ولأن ظلمة الليل تجمع الهم وتمنع البصر
 عن النظر الى الأشياء. واذ صار القلب فارغا عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى
 المطلوب الاصل وهو الخشوع في الصلاة ومعرفة من يصلي له وقيل لان الليل وقت النوم
 ومظنة الراحة فيكون قيامه أشق على النفس فيكون الثواب فيه أكثر قال ابن عباس
 من أحب ان يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليدبره الله في ظلمة الليل ذكركه القرطبي
 (يحذر الآخرة) أي يحذر عذاب الآخرة قاله سعيد بن جبيرة ومقاتل (ويرجو رحمة ربه)
 فيجمع بين الرجاء والخوف وما اجتماع في قلب رجل الافاز قيل وفي الكلام حذف تقديره
 كمن لا يفعل شيأ من ذلك كما يدل عليه السياق قيل الرحمة هنا المغفرة وقيل الجنة وهذا
 يدل على ان جانب الرجاء أكمل وأولى ان ينسب الى الله تعالى وعن ابن عمر انه تلا هذه
 الآية وقال ذلك عثمان بن عفان وفي لفظ نزلت في عثمان بن عفان وعن ابن عباس قال
 نزلت في عمار بن ياسر وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس قال دخل رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجل وهو في الموت فقال كيف يجيدك قال أرجو الله
 وأخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا
 الموطن الا أعطاه الله الذي يرجو وأمنه الذي يخاف أخرجه من طريق سيار بن حاتم عن
 جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال الترمذي غريب وقدره بعضهم عن ثابت
 عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سلا ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يقول لهم قولوا آخر
 يتبين به الحق من الباطل فقال (قل هل يستوى الذين يعلمون) ان ما وعد الله به من البعث
 والثواب والعقاب حتى (والذين لا يعلمون) ذلك والذين يعلمون ما أنزل الله على رسوله
 والذين لا يعلمون ذلك والمراد العلماء والجهال ومعلوم عند كل من له عقل انه لا استواء بين
 العلم والجهل ولا بين العالم والجاهل قال الزجاج أي كما لا يستوى الذين يعلمون والذين

لا

والفرائض والحدود وقال بعضهم الغسل من الجنابة وقال مالك عن زيد بن أسلم قال الامانة ثلاثة

الصلوة والصوم والاعتسالم من الجنابة وكل هذه الاقوال لاتنافي بينها بل هي متفقة وراجعة الى انها التكليف وقبول
 الاوامر والنواهي بشرطها وهو انه ان قام بذلك التائب وان تركها عوقب فقبلها الانسان على ضعفه وجهده وله خالص الامن ويقف
 لله وبالله المستعان قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبد العزيز بن المغيرة البصري حدثنا جابر بن ابي عبد الله
 سمعت ابا معمر يعني عون بن معمر يحدث عن الحسن يعني البصري انه تلا هذه الآية انا عرضنا الامانة على السموات والارض
 والحيال قال عرضها على السبع الطبايق الطرائق التي زينت بالصور وجملة العرش العظيم فقيل لها هل تحملين الامانة وما فيها

قالت وما فيها قال قيل لها ان احسنت جزيت وان اسأت عوقبت قالت لا ثم عرضها على الارضين السبع المشدات التي شددت بالاتناد وذلك بالمهاد قال فقيل لها هل تحملين الامانة وما فيها قالت وما فيها قال قيل لها ان احسنت جزيت وان اسأت عوقبت قالت لا ثم عرضها على الجبال النسم الشواخ الصعاب الصلاب قال قيل لها هل تحملين الامانة وما فيها قالت وما فيها قال قيل لها ان احسنت جزيت وان اسأت عوقبت قالت لا وقال مقاتل بن حيان ان الله تعالى حين خلق خلقه جمع بين الانس والجن والسموات والارض والجبال فبدأ بالسموات فعرض عليهن الامانة (١٤١) وهي الطاعة فقال لهن اتحملن هذه الامانة

ولكن على الفضل والكرامة والشواب في الجنة فقلن يارب انا لانستطيع هذا الامر وليس بنا قوة ولذلك مطيعين ثم عرض الامانة على الارضين فقال لهن اتحملن هذه الامانة وتقبلنها مني واعطيني الفضل والكرامة فقلن لا صبر لنا على هذا يارب ولانطيق بالكلام سامعين مطيعين لانصصك في شئ امر تنابه ثم قرب آدم فقال له اتحمل هذه الامانة وترعاها حق رعايتها فقال عند ذلك ادم مالي عندك قال يا ادم ان احسنت واطعت ورعيت الامانة فلك عندى الكرامة والفضل وحسن الثواب في الجنة وان عصيت ولم ترعها حق رعايتها واسأت فاني معذبك ومعاقبك وانزلت النار قال رضيت يارب وتحملها فقال الله عز وجل عند ذلك قد جعلتها كها فذلك قوله تعالى وحملها الانسان رواه ابن ابي حاتم وعن مجاهد انه قال عرضها على السموات فقالت يارب حملتني الكواكب وسكان السماء وما ذكر وما اريدون اياي ولا احمل فريضة قال و عرضها على

لا يعلمون كذلك لا يستوى المطيع والعاصي وقيل المراد بالذين يعلمون هم العاملون بعلمهم فانهم المنتدعون به لان من لم يعمل بمنزلة من لم يعلم وقيل افتتح الله الاية بالعمل وختمها بالعلم لان العمل من بلب الجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصل للانسان ذلك على كماله وفضله (انما يتدبر رأوا الابواب) أى انما يتعظ بوعظ الله ويتدبر ويتفكر فيه أصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة وهم المؤمنون لا الكفار فانهم وان زعموا ان لهم عقولاً فهي كالعدم وهذه الجملة ليست من جملة الكلام المأمور به بل من جهة الله سبحانه بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم (قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) لما نفي سبحانه المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم وبين انه انما يتدبر رأوا الابواب امر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم يابن يأمر المؤمنين من عباده بالتبات على تقواه والايان به والمعنى يا ايها الذين صدقوا بتوحيد الله اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معاصيه وامتنال أو امره واخلاص الايمان له ونفى الشركاء عنه والمراد قل لهم قولى هذا بعينه ثم لما أمر الله سبحانه المؤمنين بالتقوى بين لهم ما في هذه التقوى من القوائد فقال (للذين احسنوا) أى عملوا الاعمال الحسنة (في هذه الدنيا) على وجه الاخلاص (حسنة) عظيمة وهي الجنة وقوله في هذه الدنيا متعلق باحسنوا وقيل بحسنة على انه بيان لما كانها فيكون المعنى للذين احسنوا في العمل حسنة في الدنيا بالصحة والعافية والظفر والغنية والاول اولى ثم لما كان بعض العباد قد تسمر عليه فعل الطاعات والاحسان في وطنه ارشده الله سبحانه من كان كذلك الى الهجرة فقال (وارض الله واسعة) وبلاده كثيرة فليهاجر الى حيث تمكنه طاعة الله والعمل بما أمر به والترك لما نهى عنه كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط أصلاً ومثل ذلك قوله سبحانه ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقدمضى الكلام في الهجرة مستوفى في سورة النساء وقيل المراد بالارض الواسعة هنا ارض الجنة رغبتهم في سمها واسعة نعيمها كما في قوله جنة عرضها السموات والارض والجنة قد تسمى ارضاً قال تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض تنبؤاً من الجنة حيث نشاء والاول اولى وقيل ارتحلوا من مكة وتحولوا الى بلاد آخر واقتدوا بالانبياء والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم

الارض فقالت يارب غيرت في الاشجار وأجريت في الانهار وسكان الارض وما ذكر وما اريدون اياي ولا احمل فريضة وقالت الجبال مثل ذلك قال الله تعالى وحملها الانسان انه كان طلبوا وجهه ولا في عاقبة أمره وهكذا قال ابن جرير وعن ابن اشوع انه قال لما عرض الله عليهم حمل الامانة نجيعين الى الله ثلاثة أيام ولياليهن وقلن ربنا لا طاقة لنا بالعمل ولا نريد الثواب ثم قال ابن ابي حاتم حدثنا هرون بن زيد بن ابي الزرقاء الموصلى حدثنا ابي حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن اسلم في هذه الاية اننا عرضنا الامانة على السموات والارض الاية قال الانسان بين اذنى عوانتي فقال الله عز وجل اني معيك اني معيك على عينيك بطبقتين فاذا انزلنا على ماء كره فاطمق ومعينك على لسانك بطبقتين فاذا انزلنا على ماء كره فاطمق ومعينك على فركك

لباس فلا تكشفه الى ما ذكره ثم روى عن أبي حازم نحو هذا وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب قال قال ابن زبدي
 قال الله تعالى ان اعرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية قال ان الله تعالى عرض علينا الامانة ان يفترض
 علينا الدين ويجعل لهن نوابا وعقبا ويستأمنن على الدين فقالن لا نحن مسخرات لامرك لانريد نوابا ولا عقبا قال وعرضها
 الله تبارك وتعالى على آدم فقال بين اذني وعاتقي قال ابن زيد فقال الله تعالى له اما اذا تحملت هذا فاسأ عنيك ا جعل لبعرك
 حجابا فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابا واجعل للسالك بابا وغلقا فاذا

(١٤٢)

خشيت فاغلق واجعل لفرجك
 لباسا فلا تكشفه الاعلى
 ما أحلت لك وقال ابن جرير حدثني
 سعيد بن عمرو السكوني حدثنا
 يونس حدثنا عيسى بن ابراهيم عن
 موسى بن أبي حبيب عن الحكم
 بن عمار يرضى الله عنه وكان من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ان الامانة والوفاء نزلا على ابن
 آدم مع الانبياء فأرسلوا به فتم رسول
 ومنهم نبي رسول ونزل القرآن وهو
 كلام الله وأنزلت العجبة والعريفة
 فعلموا من القرآن وعلموا من
 السنن بألنتهم ولم يدع الله تعالى
 شيئا من أمره مما يأتون وما يجتنبون
 وهي الحجج عليهم الا بينه لهم فليس
 أهل لسان الا وهم يعرفون الحسن
 والقبیح ثم الامانة أول شيء يرفع
 ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس
 ثم رفع الوفاء والعهد والدم وتبقى
 الكتب فعلم يعمل وجاهل يعرفها
 ويشكرها ولا يحملها حتى وصل
 الى والى أمتى ولا يهلك على الله الا
 ذلك ولا يغفل الا تارك فالخذرايها
 الناس واياكم والوسواس الخناس

وطاعة الى طاعتهم وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي وقيل من
 أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منه ثم لما بين سبحانه والمعصية اذا أحسنوا وكان لا بد في
 ذلك من الصبر على فعل الطاعة وعلى كف النفس عن الشهوات أشار الى فضيلة الصبر
 وعظيم مقدره فقال (انما في الصابرون) على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها
 من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير (أجرهم) في مقابلة صبرهم
 وما كابدوه من العسر (بغير حساب) أي بما لا يقدر على حصره حاصر ولا يستطيع
 حسابه حاسب وان كان معلوما محصى عند الله قال عطاء بما لا يهتدى اليه عقل ولا
 وصف وقال مقاتل أجرهم الجنة وأرزاقهم فيها بغير حساب وقيل قوله انما في
 الصابرون ترغيب في التقوى المأمور بها وايشار الصابرين على المتقين للايدان بأنهم
 حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما أشير اليه من استئثار التقوى لهما
 مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق الهجرة والحاصل ان
 الآية تدل على ان ثواب الصابرين وأجرهم لانها لا تترك كل شيء يدخل تحت الحساب
 فهو متناه وما كان لا يدخل تحت الحساب فهو غير متناه وهذه فضيلة عظيمة ومشوبة جليلة
 تقتضي من كل راعب في ثواب الله وطامع فيما عنده من الخير ان يتوفر على الصبر ويريم
 نفسه بزمامه ويقيد هاتقيه فان الجزع لا يرد قضاء قد نزل ولا يجب خيرا قد سلب ولا
 يدفع مكروها قد وقع واذ تصور العاقل هذا حتى تصوره وتعلقه حتى تعقله علم ان الصابرين
 ما نزل به قد فاز بهذا الاجر العظيم ونظيرهم هذا الخير لطير وغير الصابرين قد نزل به القضاء
 شاء أم أبي ومع ذلك فانه من الاجر ما لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه فضم الى مصيبته مصيبة
 أخرى ولم يظفر بغير الجزع وما أحسن قول من قال

أرى الصبر محمدا وعنه مذاهب * فكيف اذا ما لم يكن عنه مذهب
 هنالك يحق الصبر واجب * وما كان منه للضرورة واجب

قال علي بن أبي طالب كل مطيع يكال له كيبلا ويوزن له وزنا الا الصابرين فانه يحسب لهم
 حشيا وروى انه يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم
 الاجر حتى يتمي أهل العافية في الدنيا لو ان اجسادهم تفرض بالمقاريض لما يذهب به أهل
 البلاء من الفضل ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يجبرهم أو لا يجبرهم

فانما يلوكم أيكم أحسن عمل هذا حديث غريب جدا وله شواهد من وجوه أخر ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن خلف من
 العسقلاني حدثنا عبيد الله بن عبد الحميد الخنفي حدثنا أبو العوام القطان حدثنا قتادة وأبان بن أبي عمير عن خالد العصري عن
 أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) حسن من جاءه يوم القيامة مع ايمان دخل الجنة من حافظ على
 الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها وكان يقول وايم الله
 لا يفعل ذلك الا مؤمن وادى الامانة قالوا ايا بالدرء وما أداء الامانة قال رضي الله عنه الغسل من الجنابة فان الله تعالى لم يأمن
 (١) قوله حسن الخ كذا في الفسخ التي بأيدينا ولم يذكر الخس كلها هنا فقله اختصر الحديث اه معجمه

ابن آدم على شئ من دينه غيره وهكذا رواه أبو داود عن محمد بن عبد الرحمن العنبري عن أبي علي عبيد الله بن عبد الحميد الحنفي عن أبي العوام عمران بن داود القطان به وقال ابن جرير أيضاً حدثنا عيسى بن المنتصر أخبرنا اسحق عن شريك عن الأعشى عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها أو قال يكفر كل شئ إلا الأمانة يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له أدامتك فيقول أفي يارب وقد ذهبت الدنيا فيقال له أدامتك فيقول أفي يارب وقد ذهبت الدنيا فيقول أفي يارب وقد (١٤٣) ذهبت الدنيا فيقول ذهبوا به إلى أمه الهاوية

فيذهب به إلى الهاوية فهو فيها حتى ينتهي إلى قعرها فيجدها هناك كهيئتها فيجدها، فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت قدمه فهو في أثرها أبا الأبدان قال والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الوضوء والأمانة في الحديث وأشد ذلك الودائع فقلت السبأ فقلت ألامسح ما يقول أخوك عبد الله فقال صدق وقال شريك وحدثنا عياش العامري عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه ولم يذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شئ أسناده جيد ولم يخرجوه وما يتعلق بالأمانة الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعشى حدثنا زيد بن وهب عن حذيفة رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا ان الأمانة نزلت في حذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا

من التوحيد والاختصاص فقال (قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين) أي أعبده عبادة خاصة من الشرك والرياء وغير ذلك قال مقاتل ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يجعلك على الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى فتأخذهم فأنزل الله الآية وقد تقدم بيان معنى الآية في أول هذه السورة ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبرهم ثانياً بأنه مأمور بأن يكون أول من أطاع وانقاد وأسلم فقال (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) من هذه الأمة وكذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أول من خالف دين آبائه ودعا إلى التوحيد ومعنى الآية السبق بحسب الزمان فالمراد بالسبق السابق بحسب الدعوة فإن الأفضل ان من يدعو الغير إلى خلق كريم أن يدعو نفسه إليه أولاً ويتخاطب به حتى يؤثر في الغير كسنة الانبياء والصالحين لا الملوك والتجبرين واللام للتعليل أي وأمرت بما أمرت به لأجل أن أكون وقيل انها مزيدة للتوكيد والاول أولى ثم أمره ثالثاً أن يخبرهم بخوفه من العذاب على تقدير العصيان فقال (قل اني أخاف ان عصيت ربي) بترك اخلاص العبادة له وتوحيده والدعاء إلى ترك الشرك وتضليل أهله (عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة قال أكثر المفسرين المعنى اني أخاف ان عصيت ربي بإجابة المشركين إلى ما دعوني إليه من عبادة غير الله قال أبو حنيفة البجلي وابن المسيب هـ هذه الآية منسوخة بقوله لا يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفي هـ هذه الآية دليل على ان الامر للوجوب لان قبله انما أمرت أن أعبد الله فالمراد عصيان هذا الامر وفيه زجر الغير عن المعاصي لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خاتماً لحد من المعاصي فغيره أولى بذلك ثم أمره رابعاً أن يخبرهم بان امتثل الامر وانقاد وعبد الله وأخلص له الدين على أبلغ وجه وأكده اظهار اتصليه في الدين وحسب الامم انما هم النارغة وتهيد التهديد لهم فقال (قل الله أعبد) التقديم مشعر بالاختصاص أي لا أعبد غيره لاستقلاله والاعلى جهة الشركة ومعنى (مخلصاً له الدين) انه خالص لله غير مشوب بشرك ولا رياء ولا غيره وما وقد تقدم تحقيقه في أول السورة قال الرازي فان قيل ما معنى التكرير في قوله اني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصاً له ديني قلنا ليس هذا بتكرير

عن رفع الأمانة فقال بانام الرجل النومة فتمقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الجمل بكفه ردرجته على رجله تراه مستبها وليس فيه شئ قال ثم أخذ حصي فدرجته على رجله قال فيصيح الناس يتباعدون لا يكاد أحد يوردى الأمانة حتى يقال ان في بني فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه حبة خردل من ايمان ولقد أتى على زمان وما ابالي أيكم بايعت ان كان معي لما يريدني على دينه وان كان نصرانياً ويهودياً يريدني على تساعيه فاما اليوم فما كنت أبابع منكم الا فلاناً وقلاناً وأخرجه في الصحاح من حديث الاعشبه وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن الهيثم عن الحرث بن يزيد الحضرمي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرباع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق

حديث وحسن خلقه وعفة طعمه هكذا رواه الامام أحمد في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقد قال الطبراني في مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما حديثا يحيى بن أيوب العلاف المصري حديثا سعيد بن أبي مرزوق حديثا ابن لهيعة عن الحسن بن يزيد عن ابن جبير عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خلقه وعفة طعمه فزاد في الاسناد ابن جبير وجعله من مسند ابن عمر رضي الله عنهما وقد ورد النهي عن الحلف بالامانة قال عبد الله (١٤٤) بن المبارك في كتاب الزهد حديثا شريك عن أبي اسحق الشيباني بن خناس

ابن حكيم أو قال جبله بن حكيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت في كلامي لا و الامانة فجعل زياد يبكي ويبكي فظننت اني أتيت أمرا عظيما فقلت له أكن يكره هذا قال نعم كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالامانة أشد النهي وقد ورد في ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حديثا أحمد بن عبد الله بن يونس حديثا زهير حديثا الوليد بن ثعلبة الطائي عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالامانة فليس منا فترديه أبو داود ودرجه الله وقوله تعالى لعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات أي انما جعل ابن آدم الامانة وهي التكاليف لعذب الله المنافقين منهم والمنافقات وهم الذين يظهرون الايمان خوفا من أهله ويطنون الكفر متابعة لاهله والمشركين والمشركات وهم الذين ظاهروهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات أي ويرحم المؤمنين من الخلق بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته وكان الله غفوراً رحيماً

لان الاول اخبار بأنه مأمور من جهة الله بالايمان والعبادة والثاني اخبار بأنه أمر أن لا يعبد أحد غير الله (فاعبدوا ما شئتم) أن تعبدوه (من دونه) هذا الامر للتهديد والتقريع والتوبيخ كقوله اعملوا ما شئتم وفيه ايدان بأنهم لا يعبدون الله تعالى وقيل ان الامر على حقيقته وهو منسوخ بآية السيف والاول أولى (قل ان الخاسرين) الكاملين في الخسران هم (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) بتخليد الانفس في النار وعدم وصولهم الى الجوار المعذرة لهم في الجنة ولو آمنوا لان من دخل النار فقد خسر نفسه وأهله وأهلي جمع أهل وأصله أهليون وأهلين والمراد بأهلهم أهل الآخرة وقيل أزواجهم وخدمهم وقيل أهلهم في الدنيا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده قال الزجاج وهذا يعني به الكفار فانهم خسروا أنفسهم بالتخليد في النار وخسروا أهلهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة قال ابن عباس في الآية هم الكفار الذين خلدتهم للنار زالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة وعنه قال أهلهم من أهل الجنة كانوا أعدوا لهم لو أطاعوا الله فغيبوا عنهم (ألا ذلك هو الخسران المبين) مستأنفة لتأكيدها قبلها وتصديرها بحرف التثنية للاشعار بان هذا الخسران الذي حل بهم قد بلغ من العظم الى غاية ليس فوقها غاية وكذلك تعرف الخسران ووصفه بكونه سينا فانه يدل على انه الفرد الكامل من افراد الخسران وانه لا خسران يساويه ولا عقوبة تدانيه ثم بين سبحانه هذا الخسران الذي حل بهم والبلاء النازل عليهم بعد تهويله بطريق الابهام فقال (لهم من فوقهم ظلال من النار) الظلل عبارة عن أطباق النار أي لهم من فوقهم أطباق وسرادقات وقطع بكاء من النار لتب عليهم واطلاق الظل عليهم كهم والافوهي محرقة والظلة تقي من الحر (ومن تحتهم ظلال) أي أطباق من النار وفراس ومهاد وهي ما تحتهم ظللال لانهم اطلق اسم أحد الضدين على الآخر أو ان الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة القوائية في الايداء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة والمشابهة لأنها تظل من تحتهم أهل النار لان طبقات النار صارت في كل طبقة منها طائفة من طوائف الكفار ومثل هذه الآية قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم (ذلك) أي ما دم ذكره من

وصف

(تفسير سورة سبأ وهي مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له مافي السموات ومافي الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يهرج فيها وهو الرحيم الغفور) يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة لانه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة المالك لجميع ذلك الخالق في جميع ذلك كما قال تعالى وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون ولهذا قال تعالى ههنا الحمد لله الذي له مافي السموات ومافي الارض أي الجميع ما كره وعبيده وتحت

تصرفه وتظهر كما قال تعالى وان لنا الآخرة والاولى ثم قال عز وجل وله الحد في الآخرة فهو المعبود ابدا المحمود على طول المدى وقوله تعالى وهو الحكيم أي في أقواله وأفعاله وشريعته وقدره الخبير الذي لا يخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء وقال مالك عن الزهري خبير بخلقهم حكيم بأمره ولهذا قال عز وجل يعلم ما يليق في الارض وما يخرج منها أي يعلم عدد القطر النازل في اجزاء الارض والحب المذخور والسكان فيهما ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته وما ينزل من السماء أي من قطره ورزق وما يخرج فيها أي من الاعمال الصالحة وغير ذلك وهو الرحيم الغفور أي الرحيم بعباده (١٤٥) فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور عن ذنوب

التائبين اليه المتوكلين عليه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين الجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليهم من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد) هذه احدى الآيات الثلاث التي لارابع لهم مما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما انكره من انكره من اهل الكفر والعناد فأحدها في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى ويستتبونك أحق هو قسلى اى وربى انه لخلق وما أنتم بحجزين والثانية هذه وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم والثالثة في سورة التغابن وهي قوله تعالى زعم الذين كفروا أن لن يعنوا قلى بلى وربى

وصف عذابهم في النار وهو مبتدأ وخبره قوله (يحوق الله بعباده) المؤمنين أي يحذرهم بما يؤعبه الكفار من العذاب ليجفوه فيتقوه وهو معنى (بأعباد فانقون) أى اتقوا هذه المعاصي الموجبة لمثل هذا العذاب عنى الكفار ووجه تخصيص العباد بالمؤمنين ان الغلب في القرآن اطلاقاً لفظ العباد عليهم وقيل هو للكفار وأهل المعاصي وقيل هو عام للمؤمنين والكفار (والذين اجتنبوا الطاغوت) هو بناء على الغيبة في المصدر كالرحوت والعظومات وهو الاوثان والشيطان وقال مجاهد وابن زيد هو الشيطان وقال الضحاك والسدى هو الاوثان وقيل انه الكاهن وقيل هو اسم أعجمى مثل طالوت وجالوت وقيل انداسم عربى مشتق من الطغيان الا ان فيها قلباً بتقديم اللام على العين وفيها مبالغت وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان قال الاخفش الطاغوت جمع ويجوز أن يكون واحده مؤنثا والمعنى أعرضوا عن عبادته وخصوا عبادتهم بالله عز وجل وقوله (ان يعبدوها) في محل نصب على البدل من الطاغوت بدل اشغال كانه قال اجتنبوا عبادة الطاغوت وقد تقدم الكلام على تفسير الطاغوت مستوفى في سورة البقرة (وانابوا الى الله) معظوف على اجتنبوا والمعنى رجعوا اليه بالكفاية وأقبلوا الى عبادته معرضين عما سواه (لهم البشرى) بالثواب الجزيل وهو الجنة وهذه البشرى اما على السنة الرسل أو على السنة الملائكة عند حضور الموت أو عند البعث أو من الله تعالى لقوله تحميتهم يوم يلمتونه سلام ولا مانع أن يكون من الله ومن الملائكة فان فضل الله واسع وقيل لهم البشرى في الدنيا بالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند الوضوح في القبر وفي الآخرة عند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان (فبشر عباد) المراد بالعباد هنا العموم فيدخل الموصوفون بالاجتناب والابانة اليه دخولا أو اياها وقيل المراد بهم هم الموصوفون بالاجتناب الاوثان والابانة الى الله فالمقام للضمير وانما أتى به ظاهرا لوصفهم بما ذكر (الذين يستعجبون القول) الحق من كتاب الله وسنة رسوله (فيمتبعون أحسنه) أى يحكمه ويعملون به قال السدى يتبعون أحسن ما يؤمرون به فيعملون بما فيه وقيل هو الرجل يسمع الحسن والسيح

(١٩ فتح البيان ثامن)

وربى لتبعن ثم لتبئن بما علمتم وذلك على الله يسير فقوله تعالى قل بلى وربى لتأتينكم ثم وصفه بما يؤعبه كذا ذلك ويقرر فقوله تعالى عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين قال مجاهد وقتادة لا يعزب عنه لا يغيب عنه أى الجميع منذ ربح تحت علمه فلا يخفى عليه شيء فالعظام وان تالشت ونسرفت وتزقت فهو عالم أين ذهبت أو أين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فإنه بكل شيء عليهم ثم بين حكمته في إعادة الابدان وقيام الساعة بقوله تعالى الجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا ما جزين اى سعوا فى الصدق سبيل الله تعالى وتكذب رسوله أولئك لهم عذاب من رجز أليم أى لينم السعداء من

المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين كما قال عز وجل لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار وقوله تعالى ويرى الذين آمنوا وتوالتهم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها وهي ان المؤمنين بما أنزل على الرسل اذا شاهدوا اقسام الساعة ومجازاة الابرار والعقار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله تعالى في الدنيا رأوا وحيداً عن اليقين ويقولون يومئذ يا لقد جاءت رسل ربنا بالحق ويتال أيضاً هذا (١٤٦) ما وعد الرحمن وصدق المرسلون لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم

البعث ويرى الذين آمنوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويتبعون الى صراط العزيز الحميد العزيز هو المنيع الخائب الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد ظهر كل شيء وغلبه الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشعره وقدره وهو الخمود في ذلك كله جل وعلا (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل يبشركم اذا مرزقتم كل ممزق انكم اني خلق جديد أفترى على الله كذبا أم به جنه بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفتهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الأرض أوندق عليهم كسفنا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب) هذا اخبار من الله عز وجل عن استبعاد الكفرة المخذلين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره بذلك وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل يبشركم اذا مرزقتم كل ممزق اي تفرقت اجسادكم في الارض وذهبت فيها كل مذهب وتفرقت كل ممزق انكم اي بعد هذا الحال اني خلق جديد

فيتحدث بالحسن ويتكف عن القبيح فلا يتحدث بدو قيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يتبعون الرخص والعزائم فيتبعون العزائم ويتركون الرخص وقيل يأخذون بالعنوة وتركون العقوبة وعن ابن عمر قال كان سعيد بن زيد وأبو ذر وسلمان يتبعون في الجاهلية أحسن القول والكلام لاله الا الله قالوا بها أنزل الله على نبيه يتبعون القول فيتبعون أحسنه الآية ثم أتى الله سبحانه على هؤلاء المذكورين فقال (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب) أي هم الذين أوصلهم الى الحق وهم أصحاب العقول الصحيحة لانهم الذين اتبعوا بعقولهم ولم يتفجع من عداهم بعقولهم - وأخرج ابن مردويه عن أبي سعيد قال لما نزلت فبشر عبادي الذين الاله أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مناديا فتنادى من مات لا يشرك بالله شيئا أدخل الجنة فاستقبل عمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فرده فقال يا رسول الله خشيت أن يتكلم الناس فلا يعهوا لولا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو يعلم الناس قدر رحمة ربي لانكوا لولو يعلمون قدر سخري وعقابه لاستعصموا أعمالهم وهذا الحديث أصله في الصحيح من حديث أبي هريرة وفي الآية إشارة الى ايثار الاتباع وترك التبليغ لان الله قد أتى على المتبعين بكونهم مهديين وسماهم أولى الالباب ولم يثن على النقل ودل على أهله في موضع من القرآن الكريم بل ذمهم وذمهم في غير موضع كما تقدم مرارا ثم ذكر سبحانه من سبق له الشقاوة وحرم السعادة فقال (أفمن حق عليه كلمة العذاب) من هذه موصولة في محل رفع على الابتداء وخبرها محذوف أي كمن يخف أو أفانت مخلصه أو تتأسف عليه أو شرطية وجواب قوله (أفانت تنقذ من في النار) فالنساء فاء الجواب دخلت على جملة الجزاء وأعيدت الهمزة الانكارية لتأكيدهم على الانكار وقال سيديوه انه كرر الاستفهام لطول الكلام وقال النراء المعنى أفانت تنقذ من حق عليه كلمة العذاب والمراد بها قوله تعالى لا بليس لآملان جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله لمن تبعك منهم لآملان جهنم منكم أجمعين وقيل قوله هؤلاء في النار والآبالي ومعنى الآية التسليم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه كان حريصا على ايمان قومه فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء وحقت عليه كلمة الله لا يقدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يشقذ من النار بان يجعله مؤمنا قال عطاءيريد بالهلب وولده ومن تخلف من عشيرة

أي تعودون أحما ترزقون بعد ذلك وهو في هذا الاخبار لا يتخلوا أمرهم من قسمين اما أن يكون قد ندم الافتراء على النبي الله تعالى انه قد أوحى اليه ذلك وأنه لم يعمد انكس عليه كما يلبس على المعنوه والجنون ولهذا قالوا أفترى على الله كذبا ثم به جنه قال الله عز وجل راداع عليهم بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد أي ليس الامر كما زعموا ولا كما ذهبوا اليه بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق وهم الكذبة الجهلة الاغبياء في العذاب أي الكفرة المنضى بهم الى عذاب الله تعالى والضلال البعيد من الحق في الدنيا ثم قال تعالى منها لهم على قدرته في خلق السموات والارض فقال

تعالى أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض أي حيثما توجهوا وذهبوا فالسمااء مظلة عليهم والأرض تحتهم كما قال عز وجل والسماء بينناها بأيدينا والموسعون الأرض فرشناها فنعم الماهدون قال عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض قال انك ان نظرت عن يمينك أو عن شمالك أو من بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والأرض وقوله تعالى ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفان السماء أي لو شئنا لقلعنا بهم ذلك بظلمهم وقدرتنا عليهم ولكن نؤخر ذلك لعلنا نؤذونهم قال ان في ذلك (١٤٧) لآية لكل عبد منيب قال معمر عن قتادة

منيب نائب وقال سفيان عن قتادة المنيب المقبل الى الله تعالى أي ان في النظر الى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاع الى الله على قدرة الله على بعث الاجساد ووقوع المعاد لان من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها وهذه الارضين في انقضاها وأطوالها وأعراضها لبقادر على اعادة الاجسام ونشر الرميم من العظام كما قال تعالى أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وقال تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون (ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أقربي معه والطير وألنا الحديد أن اعمل ساجدات وقد ترى السرد والاعمال الصالحا اني بما تعملون بصير) يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتكبر والجنود ذوى العدد والعدد وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان اذا سبج به تسبج معه الجبال

النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الايمان وفي الآية مجاز بطلاق المسبب وازادة السبب وتنبه على ان المحركوم عليه بالعذاب بمنزلة الراجع في النار وان اجتهاده في دعائهم الى الايمان سعى في انقاذهم من النار وأصل الكلام أفأت تهدي من هو منغمس في الضلال فوضع النار موضع الضلال وضعا للمسبب موضع السبب لقوة أمره ثم عقب الجواز بما يناسب به من قوله تنقذ بدل تهدي فهو ترشيح ولما ذكر سبحانه فيما سبق ان لاهل الشقاوة ظلالا من فوقهم من النار ومن تحتهم ظلالا استدرك عنهم من كان من أهل السعادة فقال (لكن الذين اتقوا ربهم) وهم الذين خوطبوا بقوله يا عباد فاتقون ووصفوا بجماع عدد من الصنات الغاضلة وهم المخاطبون أيضا فيما سبق بقوله يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وقيل لكن ليست للاستدراك لانه لم يأت قبله نفي بل هو اضراب عن قصة الى قصة مخالفة للدولى (لهم غرف من فوقها غرف) أى منازل فى الجنة رفيعة فوقها منازل هي أرفع منها وذلك لان الجنة درجات بعضها فوق بعض وقوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله بذلك وعد الايخافه وانها (مبنية) بناء المنازل فى احكام أساسها وقوة بنائها وان كانت منازل الدنيا ليست بشئ بالنسبة اليها (تجرى من تحتها الانهار) أى من تحت تلك الغرف الفوقانية والتحتانية وفى ذلك كمال لهم جنتها وزيادة لرفقها وانتصاب (وعدهم الله) على المصداقية المأثرة كدلة لضمهون الجملة لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك وجلة (لا يخلف الله الميعاد) مقررة للوعداى لا يخلف الله ما وعده الغريقين من الخير والشر عن أى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أهل الجنة يترأون أهل الغرف من فوقهم كما يترأون الكوكب الدرى الغابرى فى الافق من المشرق أو المغرب اتفاضل ما بينهم فقالوا ليارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين متفق عليه ولما ذكر سبحانه الجنة ووصفها بوصف يوجب الرغبة والشوق اليها أتبعه بذكر الدنيا ووصفها بوصف يوجب الرغبة عنها والنقرة منها فذكر تمثيلا لى سرعة زوالها وقرب اضعلالها مع ما فى ذلك من ذكر نوع من أنواع قدرته الباهرة فوصفه بالبديع فقال (الم تر ان الله أنزل من السماء ماء) أى من السحاب مطرا (فسلكه) اى فادخله واسكنه (ينابيع) أى عيوننا ومسالك وجرارى

الراسيات الصم الشاخات وتقفله الطيور والسارحات والغايات والرائحات وتجاو بها أنواع اللغات وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبى موسى الأشعري رضى الله عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقرائه ثم قال صلى الله عليه وسلم لقد أوتى هذا زمرا من زمرا من آل داود وقال أبو عثمان النهدي ما سمعت صوت صبي ولا بر بط ولا وترأ حسن من صوت أبى موسى الأشعري رضى الله عنه ومعنى قوله تعالى أوتى أى سبى قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وزعم أبو ميسرة انه بمعنى سبى بلسان الحبشة وفى هذا نظير فان التأويب فى اللغة هو التجميع فأمرت الجبال والطيران أن ترجع مع باصواتها وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق

الزجاج في كتابه الجمل في باب النداء منه يا جبال أوبي معه أي سيري معه بالتهار كاهم والتأويب سير التهار كاهم والسمري سير الليل كله
وهذا الفظه وهو غريب جدا لم أراه غير ووان كان له مساعده من حيث اللفظ في اللغة لكنه بعيد في معنى الآية ههنا والصواب ان
المعنى في قوله تعالى أوبي معه أي رجعي مسجعة معه كما تقدم والله أعلم وقوله تعالى وأتاه الحديد قال الحسن البصري وقادة
والاعمش وغيرهم كان لا يحتاج أن يدخله نارا ولا يضره بمطر فقه بل كان يثله يده مثل الخيوط ولهذا قال تعالى أن عمل سابعات
وهي الدروع قال قتادة وهو أول من عملها (١٤٨) من الخلق وإنما كانت قبل ذلك صنائع وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي

ابن الحسين حدثنا ابن سماعة حدثنا
ابن شمرة عن ابن شوذب قال كان داود
عليه السلام يرفع في كل يوم درعا
فيبيعها بستة آلاف درهم ألفين له
ولأهله وأربعة آلاف درهم يطعم بها
بنى اسرائيل خبز الخوازي وقدر في
السرد هذا الرشاد من الله تعالى
انسه داود عليه السلام في تعلمه
صنعة الدروع قال مجاهد في
قوله تعالى وقدر في السرد لا تدق
المسار فيقاس في الحلقة ولا
تغلظه فيقصها واجعله بقدر
وقال الحكم بن عيينة لا تغلظه
فيقصم ولا تدقه فيقتل وهكذا
روى عن قتادة وغير واحد وقال
علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
السرد حلق الحديد وقال بعضهم
يقال درع مسرودة اذا كانت
مسهورة الحلق واستشبهه بقول
الشاعر

وعلي ماسرودتان مضاهما

داود أو صنع السوايق تبع
وقد ذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة
داود عليه الصلاة والسلام من
طريق اسحق بن بشر وفيه كلام
عن أبي الياس عن وهب بن منبه

وركايا (في الارض) كالعروق في الجسد والنيابيع جمع ينوع من نبع الماء ينبع
والينبوع عين الماء والامكنة التي ينبع منها الماء من خلال الارض وانفس الماء البخاري
والمعنى أدخل الماء النازل من السماء في الارض وجعله فيها عيونا جارية او جعله في ينابيع
اي في امكنة ينبع منها الماء فهو على الوجه الثاني منصوب بنزع الخافض قال مقاتل جعله
ركايا وعيونا في الارض وقال ابن عباس في الارض ماء الانزل من السماء ولكن عروق
في الارض تغيره فذلك قوله فبذلك ينابيع في الارض فمن سره ان يعود الملح عذبا فيلصقه
(ثم يخرج به) أي بذلك الماء من الارض وصيغة المضارع لاستحضار الصورة (زرعا مختلفا
ألوانه) من أصفر وأخضر وأبيض وأحمر ومن بر وشعير وغيرهما اذا كان المراد بالالوان
الاصناف وشمل لفظ الزرع جميع ما يستنبت حتى المقاث (ثم يجمع) أي يجف وييبس
يقال هاج النبات يهيج هيجا اذا تم جنافه ومان له أن يتشعر عن منبته قال الجوهري يقال
هاج النبات هياجا اذا يبس وأرض هياجية يبس بقلها أو اصفر وأهاجت الرياح النبات
أي يبسته قال المبرد قال الاصمعي يقال هاجت الارض تهيج اذا أدبر بنتها وولي قال
وكذلك هاج النبات (فتراه) بعد خضرته ونضارته وحسن رونقه (مصقرا) قد ذهبت
خضرته وزالت نضارته (ثم يجعله حطاما) أي متفتتا متسكرا من حطام العود اذا انتفت
من اليبس ويقال للذباة اذا أنت حطمة ويتعدى بالحركة فيقال حطمته حطما من باب
ضرب فالحطيم وحطمة بالتشديد وبالغثة قرأ الجمهور ثم يجمع له بالرفع عطفا على ما قبله
وقرى بالنصب بانهم اران ولا وجه لذلك (ان في ذلك) المذكور من الافعال الخمسة التي
أولها أنزل (لذكرى لاولي الاباب) أي لتذكري الالاهل العقول الصحيحة فانهم الذين
يتعلقون الاشياء على حقيقتهم في تفكرون ويعتبرون ويعلمون بان الحياة الدنيا حالها
كحال هذا الزرع في سرعة التصمر وقرب التقضي وذهاب جهتها وزوال رونقها
ونضارتها فاذا أنتخ لهم التفكير والاعتبار العلم بذلك لم يحصل منهم الاعتزاز به والميل اليها
وايثارها على دار النعيم الدائم والحياة المسخرة واللذة الخالصة ولم يبق معهم شك في ان الله
قادر على البعث والحشر لان من قدر على هذا قدر على ذلك وقيل هو مثل ضربه الله
للقرآن ولصدور من في الارض والمعنى أنزل من السماء قرآنا فسلك في قلوب المؤمنين ثم
يخرج به ديننا بعضه أفضل من بعض فأما المؤمن فيزداد ايمانا وبقينا وأما الذي في قلبه

ما مضى فانه ان داود عليه السلام كان يخرج متسكرا فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحد الاثنى مرض

عليه خيرا في عبادته وسيرته وعدله عليه السلام قال زهب حتى بعث الله تعالى ملكا في صورة رجل فلقمه داود عليه الصلاة والسلام
فسأله كما كان يسأل غيره فقال هو خير الناس لنفسه ولا أمته الا ان فيه خصلة لم تكن فيه كان كاملا قال ماهي قال يا كل
ويطعم عياله من مال المسلمين يعني بيت المال فعند ذلك نصب داود عليه السلام الى ربه عز وجل في الدعاء ان يعلمه عملا يديه يستغني
به ويغني به عياله فالان الله عز وجل له الحديد وعلمه صنعة الدروع فعمل الدرع وهو أول من عملها فقال الله تعالى أن عمل

سابعات وقد روي السريدي عن مسامير الخلق قال وكان يعمل الدرع فاذا ارتفع من عمله درع باعها فتمسك بثلثها واشترى بثلثها ما يكفيه وعياله وأمسك الثلث يتصدق به يوماً بيوم الى ان يعمل غيرها وقال ان الله تعالى أعطى داود شيأ لم يعطه غيره من حسن الصوت انه كان اذا قرأ الزبور يجتمع الوحش اليه حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفروا ما صنعت الشياطين المزامير والرباط والصنوج الاعلى أصناف صوته عليه السلام وكان شديد الاجتهاد وكان اذا افتتح الزبور بالقراءة كما ينفتح في المزامير وكان قد أعطى سبعين مزاراً في حلقه وقوله تعالى واعلموا الصالحات في الذي أعطاكم الله (١٤٩) تعالى من النعم اني بما تعملون بصيرى مراقب

مرض فانه يبيع كل يوم الزرع وهذا بالتغيير أشبه منه بالفسير ثم لما ذكر سبحانه ان في ذلك لذكراً لاولى الالباب ذكر شرح الصدر للاسلام لان الانتفاع الكامل لا يحصل الا به فقال (ان شرح الله صدره للاسلام) أي وسعه لقبول الحق وفتحته للاهداء الى سبيل الخير قال السدي وسع صدره للاسلام للفرح به وبالطمأنينة اليه وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع الروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشرحه مستعد لان شرح القلب والكلام في الهمة والناس كما تقدم في أفن حق ومن الخ مبتدأ وخبرها محذوف تقديره كن قسى قلبه وطبع الله عليه وخرج صدره فلم يمتدود على هذا الخبر المحذوف قوله فويل للقاسية تجلوهم والمعنى أفن وسع الله صدره للاسلام فقبله واهتدى بهديه (فهو) بسبب ذلك الشرح (على نور) أي على بيان وبصيرة وقين وهداية (من ربه) يفيض عليه كن قسى قلبه لسوء اختياره فصارت في ظلمات الضلالة وبلبات الجهالة قال قتادة النور كتاب الله به يؤخذ واليه ينتهي قال الزجاج تقدير الآية أفن شرح الله صدره كن طبع على قلبه فلم يمتد لقسوته قال ابن عباس من شرح الله صدره للاسلام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية قلنا يا نبي الله كيف انشرح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا فما علامة ذلك يا رسول الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وأخرج ابن مردويه عن محمد بن كعب القرظي مرفوعاً عن رسلا وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن ابن عمر أن رجلاً قال يا نبي الله أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم له استعداداً واذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع فقالوا ما آية ذلك يا نبي الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وأخرجه عن أبي جعفر عبد الله بن المسور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحوه وزاد فيه ثم قرأ أفن شرح الله صدره للاسلام (فويل للقاسية تجلوهم من ذكرك الله) قال القراء والزجاج أي عن ذكرك الله كما تقول اتخمت عن طعام أكلته ومن طعام أكلته والمعنى أنه غلظ قلبه وجفأ عن قبول ذكرك الله والقسوة جود وصلابة تحصل في القلب يقال قسى القلب اذا صلب وقلب قاس أي صلب لا يرق ولا يلين وقيل

لكم بصير باعمالكم وأقوالكم لا يخفى على من ذلك شئ (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسدا لعين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعلموا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام من تسخير الريح له تحمل بساطه غدوها شهر ورواحها شهر قال الحسن البصري كان يعدو على بساطه من دمشق فينزل باصطخر يتغذى بها ويذهب راحها من اصطخر فيبيت بكابل وبين دمشق واصطخر شهر كامل للمسرع وبين اصطخر وكابل شهر كامل للمسرع وقوله تعالى وأسدا له عين القطر قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد القطر الخماس قال قتادة وكانت باليمن في كل ما يصنع

الناس مما أخرج الله تعالى سليمان عليه السلام قال السدي وانما أسلمت له ثلاثة أيام وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه أي وسخر ناله الجن يعملون بين يديه باذن ربه أي القدور وتسخيرهم عشية ما يشاء من النباتات وغير ذلك ومن يزغ منهم عن أمرنا أي ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة نذقه من عذاب السعير وهو الحريق وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثاً غريباً فقال حدثنا أبي حدثنا صالح بن صالح عن أبي الزهراء عن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجن على ثلاثة أصناف صنفت لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنفت حيات وكلاب

وصنف يجلون ويفطنون رفعه عريب جدا وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن محمد بن بجير عن ابن أنعم أنه قال الجن ثلاثة أصناف صنف لهم الثواب وعالمهم العقاب وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض وصنف حيات وكلاب قال بكر بن مضر ولا أعلم إلا أنه قال حدثني أن الناس ثلاثة أصناف صنف يظلمهم الله بظلم عرشه يوم القيامة وصنف كالانعام بل هم أضل سبيلا وصنف في صور الناس على قلوب الشياطين وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا سلمة يعني ابن النضر عن (١٥٠) اسمعيل عن الحسن قال الجن ولدا ابليس والانسان ولدا آدم ومن هؤلاء

مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب ومن كان من هؤلاء وهو لا مؤمنا فهو ولي الله تعالى ومن كان من هؤلاء وهو لا كافرا فهو شيطان وقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل أما المحاريب فهي البناء الحزن وهو أشرف شيء في المسكن وهو صدره وقال مجاهد الخاريب بياض دون القصور وقال الضحاك هي المساجد وقال قتادة هي القصور والمساجد وقال ابن زيد هي المساكن وأما التماثيل فقال عطية العوفي والضحاك والسدي التماثيل الصور قال مجاهد وكانت من نحاس وقال قتادة من طين وزجاج وقوله تعالى وجنان كالجواب وقدور راسيات الجواب جمع جايبة وهي الحوض الذي يجبي فيه الماء كما قال الاعشى ميمون بن قيس

تروح على آل المخلق جنة

كجايبة الشيخ العراقي تفهيق وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما كالجواب أي كالجوبة من الارض وقال

المعنى من أجل ذكره الذي من حقدان تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب والمعنى انه اذا ذكر الله اشماز واوا لاولى واولى ويؤيده قراءة من قرأ عن ذكر الله أي اذا ذكر الله عندهم أو آياته ازدادت قلوبهم مساواة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيد الاقسوة وكدورة كحر الشمس يلين الشمع ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافر من الاقسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم الا تزغ منهم الرحمة وأخرج الترمذي وابن مردويه وابن شاهين في الترغيب في الذكر والبيهقي في الشعب عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وان أبعاد الناس من الله القلب القاسي والاشارة بقوله (أولئك) الى القاسية قلوبهم (في ضلال مبين) أي غواية ظاهرة واضحة ثم ذكر سبحانه بعض أوصاف كتابه العزيز فقال (الله نزل أحسن الحديث) يعني القرآن الذي فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وسماه حديثا لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدث به قومه ويخبرهم بما ينزل عليه منه وفيه بيان ان أحسن القول المذكور سابقا هو القرآن وفي ايقاع الاسم الشريف مبتدأ وبناء نزل عليه تفخيم ل شأن أحسن الحديث والوصف بـ هذا الوجهين أحدهما من جهة اللفظ لان القرآن من أفصح الكلام وأجزل له وأبلغه وأيسر هوم من جنس الشعرو لادن جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل في أسلوبه والثاني من جهة المعنى لانه كتاب منزله عن التناقض والاختلاف مشتمل على أخبار الماضين وقصص الاولين وعلى أخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وغير ذلك (كتابا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه (متشابهها) صفة لكتاب أي يشبهه بعضه ببعض من الحسن والاحكام وصحة المعاني وقوة المباني وبلوغه الى أعلى درجات البلاغة والدلالة على المنافع العامة ولقتادة يشبه بعضه بعضا في الآي والحروف وقيل يشبه كتب الله المنزلة على أنبيائه عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل الله نزل أحسن الحديث الآية (متشابهها) صفة أخرى لكتاب وهو جمع مثني أو مثني وانهم من التثنية بمعنى التكرير أي تثنى فيه القصص وتكرر فيه المواضع والاحكام وقيل تثنى في التلاوة فلا

العوفي عنه كالحياض وكذا قال مجاهد والضحاك وغيرهم والقدر الاسباب أي الثابتات قيل في أما كتبهم لا تتحرك ولا تتحول عن أما كتبها كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال عكرمة أنافيها منها وقوله تعالى اعلموا آل داود شكرا أي وقلنا لهم اعلموا شكرا على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا وشكرا ما صدر من غير الفعل أو انه مفعول له وعلى التقديرين فيه دلالة على ان الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنسبة كما قال الشاعر أفادتكم النعمان مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

قال أبو عبد الرحمن السلمي الصلاة تشكرو والصيام تشكرو وكل خير تعمله لله عز وجل تشكرو وأفضل الشكر الحمد ورواه ابن جرير وروى هو وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح وهو هذا يقال لمن هو متلبس بالفعل وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين يشكر الله تعالى قولاً وعلاً قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر يعني ابن سليمان عن ثابت البناني قال كان داود عليه السلام قد جراً على أهله وولده ونساءه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار الا وانا من آل داود قائم يصلي فغمرتهم

(١٥١)

عبادى الشكور وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وأحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا ينثر اذا لاقى وقد روى أبو عبد الله بن ماجه من حديث سعيد بن داود حدثنا يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر بن رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان يا بني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة وروى ابن أبي حاتم عن داود عليه الصلاة والسلام ههنا أثر غريباً مطولاً جداً وقال أيضاً حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى حدثنا أبو زيد فيص بن اسحق الرقي قال قال فضيل في قوله تعالى وقيل من عبادى داود شكراً قال داود يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك قال الا أن شكركنى حين علمت ان النعمة منى وقوله تعالى وقيل من عبادى الشكور اخباراً عن الواقع (فلما

بلى سامعه ولا ينام فآثره قرأ الجمهور مثنى بفتح الباء وقرئ بسكونها تخفيفاً واستنقالاتاً لتعريفها وعلى انها خبر مبتدأ محذوف أى هو مثنى قال ابن عباس القرآن كله مثنى وعنه قال القرآن يشبه بعضه بعضاً ويرد بعضه الى بعض وعنه قال كُتب الله مثنى ثنى فيه الامر مراراً وصف الواحد بالجمع لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هي جملة لا غير الأثر الثالث تقول القرآن أسباعاً وخماساً وسوراً وآيات فكذلك تقول أحكاماً وأقاصيصاً وواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عروق وعظام وأعصاب أو منصوب على التمييز من تشابهها كما تقول رأيت رجلاً حسناً شمائل والمعنى متشابهة مثنى قال الرازى في تبيين معنى مثنى ان أكثر الاشياء المذكورة فى القرآن متكررة زوجين زوجين مثل الذكر والنهى والعام والخاص والمجمل والمفصل وأحوال السموات والارض والجنة والنار والنور والظلمة واللوح والقلم والملائكة والشياطين والعرش والكرسى والوعد والوعيد والرجاء والخوف والمقصود من ذلك البيان ان كل شئ مأسوى الحق زوج وان الفرد الاحد الحق هو الله ولا يخفى ما فى كلامه ههنا من التكاثر والعدد عن مقصود التنزيل (تقشعرت منه جلود الذين يحشون ربه) أى تضطرب وتتحرك وتشتت صفة للكتاب أو حال منه لانه وان كان متكرراً فقط لا يخص بالصفة أو مستأنفة لبيان ما يحصل عندهم من التأسي به والاقشعرا التقبض يقال اقشعرا جاده اذا تقبض وتجمع من الخوف ووقف شعره ومنه القشعريرة والمعنى انها تأخذهم منه قشعريرة قال الزجاج اذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله وهي تعبير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد بالجلود القلوب والاولى اولى لذكرها فيما بعد قال الواحدى وههنا قول جميع المفسرين وقيل المعنى ان القرآن لما كان فى غاية الجزالة والبلاغة فكانوا اذا رأوا وعجزهم عن معارضته اقشعرت جلودهم منه اعظامه وله وجه من حسنه وبلاغته عن عبد الله بن الزبير قال قلت لجدتى أسماء كيف كان يصنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قرأوا القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعرت جلودهم قلت فان ناساهم اذ اسمعوا ذلك تأخذهم عليه غشية قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ثم تلى جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) عدت تلى بالى لتضمينه فعلا يتعدى بها كما تلى قبل سكنت واطمأنت الى ذكر الله

قضىنا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خربت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجن المسخرين له فى الاعمال الشاقة فانه مكث متوكفاً على عصاه وهى منسأته كما قال ابن عباس رضى الله عنهم ما وجدوا وحسن وقناة وغير واحد طويلاً فحوام سنة فلما أكلت اديان الارض وهى الارضة ضعفت وسقط الى الارض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بعد طويلاً بينت الجن والانسان أيضاً ان الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع غريب وفى صحته نظر قال ابن جرير

حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي الله سليمان عليه السلام اذا صلى رأى شجرة تاتيه بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شيء أنت فان كانت تغرس غرس وان كانت لدواء كتبت فيينا هو يصلي ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لاي شيء أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فحمتها عصا تنوكتا عليها حول اميتا والجن تعمل

(١٥٢)

فأكلتها الارضة فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين قال وكان ابن عباس يقرأها كذلك قال فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيا بالماء وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابراهيم بن طهمان به وفي رده غرابة ونكارة والاقرب أن يكون موقوفاً وعطاء بن أبي مسلم الخراساني له غرابات وفي بعض حديثه نكارة وقال السدي في حديث ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم قال كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحنث في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك رأى كثيراً فدخل فيه ومعه طعامه وشرا به فادخله في المرة التي توفي فيها فكان يده ذلك انه لم يكن يوم يصبح فيه الا ينبت الله بيت المقدس فيه شجرة فيأتيا فيسألها فيقول ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا

لينة غير منقبضة ومنعول ذكرا لله محذوف والتقدير الى ذكرا لله رحمة وثوابه وجنته وحذف للعلم به قال بعض العارفين اذا نظروا الى عالم الخلال طاشوا واذا لاح لهم عالم الجمال عاشوا قال قتادة هذا نعت اولياء الله نعمتهم بألمها تقشع جلودهم وتطمئن قلوبهم الى ذكرا لله ولم ينعمتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان وروى ان ابن عمر مر برجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر ان الخشي الله وما نسقط وعنه قال ان الشيطان يدخل في جوف أحدكم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجله ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق وذكرا الجنود وحدها أولاً ثم قرنت بها القلوب ثانياً لان محل الخشية القلب فكان ذكرا يتضمن ذكرا القلوب وقيل ان المسكاشنة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف لان الخير المطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب واذا حصل الخوف اقشع عنه الجلد واذا حصل الرجاء اطمان اليه القلب ولان الجلد (ذلك) الكتاب الموصوف بتلك الصفات (هدى الله يهدي به من يشاء) أن يهديه من عباده وقيل الاشارة الى ما وهبه الله لهؤلاء من خشية عذابه ورجائه ثوابه (ومن يضل الله) أي يجعل قلبه مضلماً فاسمياً غير قابل للعقوب (من هاد) يهديه الى الحق ويخلصه من الضلال قرأ الجمهور من هاد بغير ياء وقرئ بالياء ثم لما حكم على التماسية قلوبهم بحكمهم في الدنيا وهو الضلال حكم عليهم في الآخرة بحكمهم آخر وهو العذاب فقال (أفمن يتقى بوجهه) الاستغفار للانكار وقد تقدم الكلام فيه وفي هذه البناء الداخلة على من في قوله أفمن حق عليه الجزم من مبتدأ والخبر محذوف لدلالة المقام عليه والمعنى أفمن شأنه أن يتقى نفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه (سوء العذاب يوم القيامة) لكون يده قد صارت مغلولة الى عنقه من هو آمن لا يعتبره شيء من ذلك ولا يحتاج الى الاتقاء قال الزجاج المعنى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب كمن يدخل الجنة قال عطاء وابن زيد يرمي بمكتوف في النار فأول شيء تمس النار منه وجهه وقال ابن عباس ينطلق به الى النار مكتوفاً يرمي به فيها فأول ما عسى وجهه النار وقال مجاهد يجرع على وجهه في النار قال الاخفش المعنى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب أفضل أم من سعد مثل قوله تعالى أفمن

فان كانت لغرس غرسها وان كانت نبت دواء قالت نبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال

يلقى لها الخروبة فسألها ما اسمك قالت أنا الخروبة قال ولاي شيء نبتت قالت نبت لخراب هذا المسجد قال سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليخربه وأنا حتى أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائطه ثم دخل المحراب فقام بصلي متكئاً على عصاه فبات ولم يعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذي يريد ان يخلع يقول ألسنت جلدنا ان دخلت فخر جنت من ذلك

الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فروم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام في
 المحراب الاحترق فزولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر الى سليمان عليه السلام قد
 سقط ميتا فخرج فاجاب الناس ان سليمان قد مات ففتحو اعلمه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصابة سان الحبسة قد اكلتها
 الارضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصافا كالت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النصف ووجدوه قد مات منذ سنة
 وهي في قراءة ابن مسعود رضى الله عنه فكشوا يد نون له من بعد موته (١٥٣) حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك ان

الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم
 يطلعون على الغيب للعلموا بموت
 سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة
 يعملون له وذلك قول الله عز وجل
 ما دلهم على موته الا دابة الارض
 تأكل منسأته فلما خربت بينت الجن
 أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
 العذاب المهين يقول تين أمرهم
 للناس انهم كانوا يكذبونهم ثم ان
 الشياطين قالوا للارضة لو كنت
 تأكلين الطعام أتيناك بأطيب
 الطعام ولو كنت تشربين الشراب
 سقيناك أطيب الشراب ولو كنا
 سننقل اليك الماء والطين قال فهم
 ينقلون اليها ذلك حيث كانت قال
 ألم ترالى الطين الذى يكون فى
 جوف الخشب فهو ماتا ثم يابه
 الشياطين شكرها وهذا الاثر
 والله أعلم انما هو مما تلقى من علماء أهل
 الكتاب وهي وقف لا يصدق منه
 الا ما وافق الحق ولا يكذب منها الا
 ما خالف الحق والباقي لا يصدق ولا
 يكذب وقال ابن وهب وأصبغ بن
 الفرج عن عبد الرحمن عن زيد بن
 أسلم في قوله تبارك وتعالى ما دلهم
 على موته الا دابة الارض تأكل

يلقى فى النار خير أم من يأتي أمنا يوم القيامة ثم أخبر سبحانه عما يقوله الخنزيرة للكفار فقال
 (وقبل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون) وهو معطوف على يتقى أى ويقال لهم وجاء
 به صبغة الماضى للدلالة على التحقيق ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بأنظلم
 والاشعار بعله الامر في قوله ذوقوا قال عطاء أى جزاء ما كنتم تعملون ومثل هذه الآية
 قوله هذا ما كنتم تفعلون فذوقوا ما كنتم تكفرون وقد تقدم الكلام على معنى الذوق
 فى غير موضع ثم أخبر سبحانه عن حال من قبلهم من الكفار فقال (كذب الذين من قبلهم)
 أى من قبل الكفار المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى انهم كذبوا رسالهم
 (فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) أى من جهة لا يحتسبون ايمان العذاب منها
 وذلك عند أنهم وغفلت عن عقوبة الله لهم بتكذيبهم (فأذا فهم الله الخزى) أى الذال
 والهوان (فى الحياة الدنيا) بالمسخ والخسف والقتل والاسر والجلد وغير ذلك (وامذاب
 الاخرة أكبر) لكونه فى غاية الشدة مع دوامه (لو كانوا يعلمون) أى لو كانوا ممن يعلم
 الاشياء ويتفكرون فيها يعمل بمتضى عمله لا تمنوا أو ما كذبوا قال المبرد يقال لكل مانال
 الجارحة من شئ قد ذاقته اى وصل اليها كما تصل الخلاوة والمرارة الى الذائق لهم ما قال
 والخزى المكروه (ولقد) اللام موثقة للقسم (ضربنا للناس فى هذا القرآن) اى جعلنا
 واوجدنا ربنا (من كل مثل) قد قدمنا تحقيق المثل وكيفية ضرب به فى غير موضع ومعنى
 من كل مثل ما يحتاجون اليه فى امر دينهم وليس المراد ما هو اعم من ذلك فهو هنا كفاى
 قوله ما فرطنا فى الكتاب من شئ أى من شئ يحتاجون اليه فى امر دينهم وقيل المعنى
 ما ذكرنا من اهلاك الامم السالفة مثل لهؤلاء (اعلمهم يتذكرون) يتعظون فيعتبرون
 (قرأنا عبريا) حال مؤكدة من هذا وتسمى هذه حالا موثقة لان الحال فى الحقيقة هو
 عربيا وقرأنا موثقة له نحو جاءنى زيد رجلا كذا قال الاخفش ويجوز ان ينصب
 على المدح قال الزجاج عربيا من نصب على الحال وقرأنا مؤكدة (غير ذى عوج) أى
 لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه قال الضحاك أى غير مختلف قال النحاس أحسن ما قيل
 فى معناه قول الضحاك وقيل غير متضاد وقيل غير ذى لبس وقيل غير ذى لحن وقيل غير ذى
 شك كما قال الشاعر

(٢٠) فتح البيان ثامن) منسأته قال قال سليمان عليه السلام ملك الموت اذا أمرت بى فأعلمنى فاناه فقال يا سليمان قد أمرت بك
 قد بتيت لك سوية فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب فقام يصلى فاتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك
 الموت فقبض روحه وهو متكى على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون انه
 حى قال فبعث الله عز وجل دابة الارض قال والدابة تأكل العبيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فاكلتها حتى اذا اكلت جوف
 العصابة غفت ونقل عليها فخر ميتا فلما رأته ذلك الجن انهضوا وذهبوا قال فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل

منسأته قال أصبح بلغني عن غيره انها قامت سنة تأكل منها قبل ان يخروقدن كغير واحد من السلف نحو اسن هذا والله أعلم (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سبيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتي كل خط وأثل وشي من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور) كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم (١٥٤) وزرعوهم وثارهم وبعث الله تبارك وتعالى اليهم الرسل تأمرهم ان يأكلوا

من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ماشاء الله تعالى ثم أعرضوا عما امروا به فعموا بارسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ شذر مذرك سبأ في ان شاء الله تعالى تفصيله وبيانته قر يابوه الثقة قال الامام احمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن ابن وغللة قال سمعت ابن عباس يقول ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض قال صلى الله عليه وسلم بل هو رجل ولده عشرة فسكن اليمن منهم ستمة وبالشأم منهم أربعة فاما اليمانيون فمدح وكندة والازد والشعريون وأعمار وجيروا ما الشامية فلجمهم وجدام وعامله وعسان ورواه عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به وهذا اسناد حسن ولم يخرجوه وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب القصد والامم بعرفة أصول انساب العرب والعجم من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وغللة عن ابن عباس رضي الله عنهما فاذكر نحوه وقد

وقد أتاك بين غريدي عوج * من الاله وقول غير مكذوب

وقال ابن عباس غير مخلوق وقيل معناه صحيح مستقيم بينهم ولا يلتبس بخلافه من الباطل (علمهم يتقون) علة اخرى بعد العلة الاولى وهي لعلمهم يتدكرون أي لكي يتقوا الكفر والكذب وقيل علة لقوله لعلمهم يتدكرون فالاول سبب في الثاني ثم كرسبجانه مثلا من الامثال القرآنية للتذكير والايقاظ فقال (ضرب الله مثلا) أي تمثيل حالة عجيبة باخرى مثلها ثم بين المثل فقال (رجلا فيه شركاء متشاكسون) قال الكسائي نصب رجلا لانه تفسير للمثل وقيل منصوب بنزع الخافض أي ضرب الله مثلا لرجل وقيل ان رجلا هو المفعول الاول ومثلا هو المفعول الثاني وآخر المفعول الاول ليتصل بما هو من تمامه وقد تقدم تحقيق هذا في سورة يس وجملة فيه شركاء في محل نصب صفة لرجل والتشاكس التخالف وأصله سوء الخلق وعسر وهو سبب التخالف والتشاجر ويقال التشاكس بالخاء المعجمة قال الفراء أي مختلفون وقيل تشاكس عرن وقال المبرد مع عسر ون من شكس يشكس شكسا فهو وشكس مثل عسر يعسر عسرا فهو وعسر وشكس بكسر الكاف هو القياس قال الجوهري التشاكس الاختلاف قال ويقال رجل شكس بالتسكين أي صعب الخلق وهذا مثل من أشرك بالله وعبدا لهية كثيرة ثم قال (ورجلا سلما لرجل) أي خالصه وهذا مثل من يعبد الله وحده قرأ الجمهور ورسما بفتح السين واللام وقرئ بكسر السين وسكون اللام وقرأ ابن عباس ومجاهدوا بخدري وابن كثير ويعقوب سالما اسم فاعل من سلم له فهو سالم واختارها أبو عبيد قال لان السلم الخالص ضد المشترك والسلم ضد الحرب ولا موضع للحرب ههنا وأجيب عنه بان الحرف اذا كان له معنيان لم يحمل الاعلى أولاها فالسلم وان كان ضد الحرب فله معنى آخر بمعنى سالم من سلم له كذا اذا خلص له وأيضا يلزمه في سالم ما يلزم به لانه يقال شئ سالم أي لا عاهة به واختار أبو حاتم القراءة الاولى والحاصل ان قراءة الجمهور هي على الوصف بالمصدر للمبالغة وعلى حذف مضاف أي ذاسلم ومثلهما قراءة سعيد بن جبير ومن معه قال ابن عباس رجلا سلما أي ليس لاحد فيه شئ ثم جاء سبحانه بما يدل على التفاوت بين الرجلين فقال (هل يستويان مثلا) وهذا الاستفهام للانكار والاستبعاد والمعنى هل يستوي هذا الذي يخدم جماعة شركاءه اخلاقهم مختلفة ونياتهم متباينة يخدمه كل واحد منهم فيتعب

روي نحوه من وجه آخر وقال الامام احمد أيضا وعبد بن حميد حدثنا يزيد بن هرون حدثنا ابو حبان يحيى بن و ينصب أبي حبة الكلبي عن يحيى بن هرون عن عمرو بن فروة بن مسيك رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اقل بمقبل قومي مدبرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقاتل بمقبل قومك مدبرهم فلما رأيت دعائي فقال لا تقاتلهم حتى تدعوهم الى الاسلام فقلت يا رسول الله رأيت سبأا وادها وأوجبها أو ما هو قال صلى الله عليه وسلم لا بل هو رجل من العرب ولده عشرة قيسان ستة وتسام أربعة تيمان الازد والشعريون وجيروا كندة ومدح وأعمار الذين يقال لهم بجيلة وخدم

وتشام لحم وجدام وعامله وغسان وهذا أيضا اسناد حسن وان كان فيه أبو حباب الكلابي وقد تشكوا فيه لكن رواه ابن جرير عن أبي كريب عن العبقري عن اسباط بن نصر عن يحيى بن هاني المرادي عن عمه أو عن أبيه شك اسباط قال قدم فروة بن مسيك رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره طريق أخرى لهذا الحديث قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن توبة بن غير عن عبد العزيز بن يحيى انه أخبره قال كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بافر ببيعة فقال يوما ما اظن قوما بأرض الا وهم من أهلها فقال علي بن رباح كلاب قد حدثني فلان (١٥٥) ان فروة بن مسيك الغطفي رضي الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان سبأ قوم كان لهم عزى الجاهلية وانى أخشى ان يرتدوا عن الاسلام أفأقاتلهم فقال صلى الله عليه وسلم ما امرت فيهم بشئ بعد فأنزلت هذه الآية لقد كان لسبأ في مسكنهم آية الآيات فذال له رجل يا رسول الله ما سبأ قد كرم مثل الحديث الذي قبله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ ما هو بالدم أم رجل أم امرأة قال صلى الله عليه وسلم بل رجل ولله عشرة فسكن البين منهم ستة والشام أربعة اما البياضون فذبح وكندة والازد والشعريون والاعمار وجبر غمرا حلها واما الشام فلحم وجدام وغسان وعامله فسه غرابية من حيث ذكروا الآية بالمدينة والسورة مكية كلها والله سبحانه وتعالى أعلم طريق أخرى قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو اسامة حدثنا الحسن بن الحكم حدثنا أبو سيرة النخعي عن فروة بن مسيك الغطفي رضي الله عنه قال قال رجل يا رسول الله أخبرني عن سبأ ما هو أرض أم امرأة قال صلى

و ينصب مع كون كل واحد منهم غير راض بخدمته وهذا الذي يخدم واحد الا ينازعه غيره اذا أطاعه رضى عنه واذا عصاه عفا عنه فان بين هذين من الاختلاف الظاهر الواضح ما لا يقدر عاقل ان يتفوه باستواءهما لان أحدهما في أعلى المنازل والاخر في أدناها واتصاب مثلا على التميز المحول عن الفاعل لان الاصل هل يسوى مثلهما أى حالهما وصفتهما وأفراد التميز ولم يثنه لان الاصل في التميز الافراد لكونه مبينا للجنس وقال السمين وأفراد التميز لانه مقتصر عليه أولا في قوله ضرب الله مثلا وقرئ مثلين فطابق حالي الرجلين وجلة (الحمد لله) مقررة لما قبلها من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وللإيدان للموحدين بما في توحيدهم لله من النعمة العظيمة المستحقة لتخصيص الحمد به أى الحمد لله على عدم استواء هذين الرجلين وقيل الجملة اعتراضية فان قوله (بل أكثرهم لا يعلمون) اضراب اتقالي من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان ان أكثر الناس وهم المشركون فانهم لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره ووضوحه فيقعون في ورطة الشرك والضلال قال الواحدى والبعورى والمراد بالاكثر الكل والظاهر خلاف ما قاله فان المؤمنين بالله يعلمون ما في التوحيد من رفعة شأنه وعلم مكانه وان الشرك لا يمثاله بوجه من الوجوه ولا يساويه في وصف من الاوصاف ويعلمون ان الله سبحانه يستحق الحمد على هذه النعمة وان الحمد مختص به ثم أخبر سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان الموت يدركه ويدركهم لا محالة فقال (انك ميت وانهم ميتون) وذلك انهم كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموت فاخبران الموت يعمهم جميعا فلا معنى للتربص وشماتة القاني بالقاني وهذا تهمة بل ما يعقبه من الخصام يوم النيامة قرأ الجمهور ميت وميتون بالتشديد وقرئ مائت ومائتون وهم اقرأ عبد الله بن الزبير وقد استحسن هذه القراءة بعض المفسرين ليكون موته ودوتهم مستقبلا ولا وجه للاستحسان فان قراءة الجمهور تفيد هذا المعنى قال الفراء والكسائي المبت بالتشديد من لم يمت وسيموت والمبت بالتحفيف من قدمات وفارقته الروح قال الخليل أنشد أبو عمرو وتسالني تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرنا ان كنت تعقل فن كان ذاروح فذلك ميت * وما الميت الامن الى القبر يحمل وقال السمين ولا خلاف بين القراء في تشميل مثل هذا قال قتادة نعت الى النبي صلى الله

الله عليه وسلم ليس بارض ولا امرأة وليكنه رجل ولله عشرة من الولد فثان ستة وتشام أربعة فاما الذين تشاموا فلحم وجدام وعامله وغسان وأما الذين يامون فالكندة والشعريون والازد ومذحج وجبر وأعمار فقال رجل ما أعمار قال صلى الله عليه وسلم الذين منهم خشم أو يجيلة ورواه الترمذي في جامعه عن أبي كريب وعبد بن جريد قال حدثنا أبو اسامة فذكره أبسط من هذا ثم قال هذا حديث حسن غريب وقال أبو عمرو بن عبد البر حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن ثجدة الحوطي حدثنا ابن كثير هو عثمان بن كثير عن الليث بن سعد عن موسى بن علي بن يزيد بن حصين عن تميم الداري

رضي الله عنه قال ان رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبأ فذكر مثله فقوى هذا الحديث وحسن قال عليه
النسب منهم محمد بن ابي حنيفة اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وانما سمي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب وكان يقال له
الرائش لأنه أول من غنم في الغزوة فأعطى قومه فسمى الرأش والعرب تسمى المال ريشا وريشا وذا كروا انه بشر رسول الله صلى الله
عليه وسلم في زمانه المتقدم وقال في ذلك شعرا

سبأ بك بعدنا ملك عظيم * نبي لا يرخص في الحرام (١٥٦) ويملك بعده منهم ملوك * يدينوه القيا د بكل داي

ويملك بعدهم منا ملوك

يصير الملك فينا باقسام

ويملك بعد قحطان نبي

تقى محبت خير الانام

يسمى أحدا يا ليت أتى

اعمر بعد مبعثه بعام

فاعضده وأحبوه بنصري

بكل مدح وبكل رام

مئى يظهر فكونوا ناسريه

ومن يلقاه يبلغه سلاحي

ذكر ذلك الهمداني في كتاب

الا كليل واختلفوا في قحطان على

ثلاثة أقوال (أحدها) انه من سلالة

ارم بن سام بن نوح واختلفوا في

كيفية اتصال نسبه به على ثلاثة

طرائق والثاني انه من سلالة عابر

وهو هود عليه الصلاة والسلام

واختلفوا أيضا في كيفية اتصال

نسبه به على ثلاث طرائق أيضا

والثالث انه من سلالة اسمعيل بن

ابراهيم الخليل عليه ما الصلاة

والسلام واختلفوا في كيفية

اتصال نسبه به على ثلاث طرائق

أيضا وقد ذكر ذلك مستقصى

الامام الخافظ أبو عمر بن عبد البر

القرن رجة الله تعالى عليه في كتابه

عليه وآله وسلم نفسه ونعت اليهم أنفسهم ووجه هذا الاخبار الاعلام للحجابه بأنه يموت
فقد كان بعضهم يعتقد انه لا يموت مع كونه نوطمة وتهميد المابعده أخرج النسائي وغيره
عن ابن عمر قال لقد لبنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي اهل الكتابين
من قبلنا حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا (ثم انكم)
أيها الناس جميعا وممنكم وكافركم (يوم القيامة عنذر بكم تحتصمون) فيما بينكم من
المظالم قيل يعني الحق والمبطل وقيل تخاصمهم بالمجد وتحتج عليهم بانك قد بلغتهم وأندرتهم
وعم تخاصمونك أو يخاصم المؤمن الكافر والمظالم المظالم عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم قال من كان عنده مظلمة لآخره من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل
ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات
أخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه رواه البخاري وعنه قال ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم ولا متاع له فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتي قد شتم
هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا
من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه
ثم طرح في النار أخرجه مسلم وعن ابن عمر قال نزلت علينا هذه الآية وما ندري ما تفسيرها
حتى وقعت الفتنة فقلنا هذا الذي وعدنا ربنا ان تحتصم فيه أخرجه ابن جرير وأخرج
النسائي وغيره عنه قال لقد لبنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي
أهل الكتابين من قبلنا حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت
فينا وعن الزبير بن العوام قال لما نزلت انك نمت الى قوله تحتصمون قلت يا رسول الله
أيكسر علينا ما يكون بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم لكي نكرن عليكم ذلك حتى
يؤدى الى كل ذي حق حقه قال الزبير فوالله ان الامر لشديد أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح وعن أبي سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية كأن تقول ربنا واحد
ودينا واحد ونبينا واحد فهاهذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض
بالسيوف قلنا نعم هو هو هذا وعن ابراهيم لما نزلت هذه الآية قالوا كيف تحتصم ونحن
أخوان فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا بين سبجانة حال كل فريق من المختصمين

فقال

المسمى بالاباء على ذكراصول القبائل الرواة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم كان رجلا من العرب يعني

العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام من سلالة سام بن نوح وعلى القول الثالث كان من سلالة الخليل
عليه السلام وليس هذا بالمشهور وعندهم والله أعلم ولكن في صحيح البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقر من أسلم
ينتضلون فقال ارموا بني اسمعيل فان أبأكم كان راميا فأسلم قبيلة من الانصار والانصار وسها وخزرجهما من غسان من عرب اليمن
من سبأ نزلوا يثرب لما تفرقت سبأ في البلاد حين بعث الله عز وجل عليهم سبل العرم ونزلت طائفة منهم بالشام وانما قيل لهم غسان

بما نزلوا عليه قبل بالين وقيل انه قريب من المشلل كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

اما سألت فانا معشر نجيب * الازد نسبتنا والماء غسان ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ولده عشرتمن العرب أى كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع اليهم أصول القبائل من عرب اليمن لأنهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الابوان والثلاثة والاقبال والاكثر كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب الذب ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم قتيامن منهم ستة وتسام منهم أربعة أى بعدما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم منهم من أقام بيلادهم ومنهم من (١٥٧) نزع عنها الى غيرها وكان من أمر

السدانة كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع اليه أيضا سيول أمطارهم وأوديتهم فعمد ملو كههم الاقدام فبنوا بينهم سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على طافات ذينك الجبلين فغرسوا الاشجار واسدغوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن كما ذكره غير واحد من السلف منهم قتادة ان المرأة كانت تمشي تحت الاشجار وعلى رأسها كتيل أو زنبيل وهو الذي تخترق فيه الثمار فيساقط من الاشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج الى كلفة ولا قطاف لكثرة ونضجته واستوائه وكان هذا السد مجارب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاثة مراحل ويعرف بسد مأرب وذكر آخرون انه لم يكن يبلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الهوام وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحده ويعدوه كما قال تارك وتعالى لقد كان اسما في مسكنهم آية ثم فسرها بآية وله عز وجل جنتان عن يمين وشمال أى من ناحيتي الجبلين والبلدة بين

فقال (فن) أى لأحد (أظلم عن كذب على الله) فزعم ان له ولدا أو شريكا وصاحبة (وكذب بالصدق اذ جاءه) وهو ما جاءه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعاء الناس الى التوحيد وأمرهم بالقيام بفرائض الشرع ونهيهم عن محرّماته واخبارهم بالبعث والنشور وما أعد الله لهم طيبع والعاصى وقوله اذ جاءه طرف للكذب بالصدق أى كذب بالقرآن في وقت مجيئه أى فاجاه بالكذب لما سمعه من غير وقفة ولا اعمال روية بتميز بين حق وباطل كما يفعل أهل النضنة فيما يسمعون ثم استقهم سبحانه استنفها ما تقريرا فقال (أليس في جهنم مثوى للكافرين) أى أليس لهؤلاء المفتزين المكذبين بالصدق والمثوى المقام وهو مشقة من ثوى بالمكان اذا أقام به ثوى ثواء وثوى مثل مضى مضاء ومضيا وحكى أبو عبيدانه يتال أنثوى وأنكر ذلك الاصمعي وقال لا تعرف أنثوى ثم ذكر سبحانه فريق المؤمنين المصدقين فقال (والذي جاء بالصدق وصدق به) الموصول في موضع رفع بالابتداء وهو عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن تابعه وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي صدق به أبو بكر قاله علي بن أبي طالب وعن أبي هريرة مثله وقال مجاهد الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي صدق به علي بن أبي طالب قال السدي الذي جاء بالصدق جبريل والذي صدق به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال قتادة ومقاتل وابن زيد الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي صدق به المؤمنون وقال النخعي الذي جاء بالصدق وصدق به هم المؤمنون الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة وقيل ان ذلك عام في كل من دعا الى توحيد الله وأرشد الى مآثره لعباده واختاره هذا ابن جرير وهو الذي اختاره من هذه الاقوال ويؤيده قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ صدق به بالتخفيف أى صدق به الناس قال ابن عباس الذي جاء بالصدق يعنى بلا اله الا الله وصدق به يعنى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقرآن وصدق به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع والكل صحيح قالوا والوجه في العربية أن يكون جاء وصدق لفاعل واحد لان التغير يستدعى اضممار الذي وذا غير جائز واضمار الفاعل من غير تقدم الذكر وذا بعيد ولفظ الذي كما وقع في قراءة الجهور وان كان مقردا فعناها الجمع لانه يراد به الجنس كما

ذلك كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور أى غفور راكم ان استمر بهم على التوحيد وقوله تعالى فاعرضوا أى عن توحيد الله وعبادته وشكروه على ما أنعم به عليهم وعدلوا الى عبادة الشمس من دون الله كما قال الهدد لسليمان عليه الصلاة والسلام ويثبتك من سبابنا يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأتيت من كل شيء ولها عرش عظيم وجدتم اوقومها يسجدون للشهس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصددهم عن السبيل فهم لا يمتدون وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه بعث الله تعالى اليهم ثلاثة عشر نبيا وقال السدي أرسل الله عز وجل اليهم اثني عشر النبي والله أعلم وقوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل

العمرم قيسل المراد بالعمرم المياه وقيل الواذى وقيل الحرد وقيل الماء الغزير فيكون من باب اضافة الاسم الى صفته مثل مسجد الجامع وسعيد كرز حتى ذلك السهيلي وذ كرهوا احد منهم ابن عباس ووهب بن منبه وقتادة والضحاك ان الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بارسال العمرم عليهم بعث على السدداية من الارض يقال لها الحرد نقت قال وهب بن منبه وقد كانوا يجردون في كتبهم ان سبب خراب هذا السد هو الحرد فكانوا يرصدون عنده السنانير برهه من الزمان فلما جاء القدر غلبت القار السنانير وولجت الى السد فنقتبه فانهم ارعلهم وقال (١٥٨) قتادة وغيره الحرد هو الخلد نقت أسافله حتى اذا ضعف وهى وجاءت أيام

السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء في أسفل الوادى وخر مابين يديه من الابنية والشجار وغير ذلك ونضب الماء عن الاشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيمست وتحطمت وتبدلت تلك الاشجار المثرة الايقنة النظرة كما قال الله تبارك وتعالى وبداهاهم بجهنمهم جنتين ذواتى أكل حط قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراسانى والحسن وقتادة والسدى وهو الاراك وأكلة البربر وأثل قال العوفى عن ابن عباس هو الطرفاء وقال غيره هو شجر يشبه الطرفاء وقيل هو السمرو والله أعلم وقوله تعالى وشئ من سدر قليل لما كان أجود هذه الاشجار المبدل بها هو السدر قال وشئ من سدر قليل فهذا الذى صار أمر تبارك الجنتين اليه بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة والظلال العميقة والانهار الجارية تبدت الى شجر الاراك والطرفاء والسدرذى الشوك الكثير والتمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدوا لهم عنه الى

يفيده قوله (أو أولئك هم المتقون) أى المتصفون بالتقوى التى هى عنوان النجاة قال ابن عباس يعنى اتقوا الشرك ثم ذكر سبحانه ما هو له الصادقين المصدقين فى الآخرة فقال (لهم ما يشاؤون عند ربهم) أى لهم كل ما يشاؤون من رفع الدرجات ودفع المضرات وتكفير السيئات وجلب المنافع وفى هذا ترغيب عظيم وتشويق بالغ (ذلك) أى ما تقدم ذكره من جزائهم وهو مبتدأ وخبره (جزاء المحسنين) أى الذين أحسنوا فى أعمالهم وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك ثم بين سبحانه ما هو الغاية مما لهم عند ربهم فقال (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) فان ذلك هو أعظم ما يرجونه من دفع الضرر عنهم لان الله سبحانه اذا غفر لهم ما هو الأسوأ من أعمالهم غفر لهم ما دونه بطريقه الاولى واللام متعلقة يشاؤون أو بالمحسنين أو بمعدوف قرأ الجمهور اسوأ على أنه أفعل تفضيل وقيل ليست للتفضيل بل بمعنى سى الذى عملوا وهذا الاعتبار عم الاسوأ جميع معاصيهم وقرئ أسوأ بألف بين الهاء حمزة والواو بزنة أجمال جمع سوء ولما ذكر الله سبحانه ما يدل على دفع المضار عنهم ذكر ما يدل على جلب أعظم المنافع اليهم فقال (ويجزئهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون) اضافة الاحسن الى ما بعده ليست من اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشئ الى بعضه قصدا الى التوضيح من غير اعتبار تفضيل قال مقاتل يجزئهم بالمعنى من أعمالهم ولا يجزئهم بالمساوى وعم الاحسن جميع حسناتهم ولولا هذا التأويل لا اقتضى النظم انه يكفر عنهم أقيح لسيئات فقط ويجزئهم على أفضل الحسنات فقط (أليس الله بكاف عبده) قرأ الجمهور بالجمع فعلى الاولى المراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم والجنس ويدخل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخولا اوليا وعلى الثانية المراد الانبياء أو المؤمنون أو الجميع واختار أبو عبيد الاولى لقوله عقبه ويخوفونك والاستفهام للانكار لعدم كفايته سبحانه على أبلغ وجه كأنها مكان من الظهور لا يتيسر لاحد أن ينكره وقيل المراد بالعباد ما يعبد المسلم والكافر قال الجرجاني ان الله كاف عبده المؤمن وعبده الكافر هذا الثواب وهذا العقاب وقرئ بكافى عباده بالاضافة وكافى بصيغة المضارع وقوله (ويخوفونك) يجوز أن يكون فى محل نصب على

الباطل ولهذا قال تعالى ذلك جزئناهم بما كفروا وهل تجازى الا الكفور أى عقابناهم بكفرهم قال الحال مجاهد ولا يعاقب الا الكفور وقال الحسن البصرى صدق الله العظيم لا يعاقب بمنزل فعله الا الكفور وقال طائوس لا يناقش الا الكفور وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمر بن النحاس الرملى حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو الوليد عن هاشم بن صالح الثعلبى عن أبي خيرة وكان من أصحاب علي رضى الله عنه قال جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضيق فى المعيشة والتعسر فى اللذة قيل وما التعسر فى اللذة قال لا يصادف لذة حال الاجام من ينغصه اياها (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة

وقدرنا فيها السير سير وافيه اليالي وأياما آمنين فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك آيات لكل صبار شكور) يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهنيئ الرغيد والبلاد المرضية والا ماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وغارها بحيث ان مسافرهم لا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء بل حيث نزل وجد ماء وغرأو يتقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار ما يحتاجون اليه في سيرهم ولهذا قال تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قال وهب بن مسيب هي قرى بصنعاء (١٥٩) وكذا قال أبو مالك وقال مجاهد والحسن

وسعيد بن جبيرة ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنون انهم كانوا يسرون من اليمن الى الشام في قرى ظاهرة متواصلة (فقاله من هاد) يهديه الى الرشد ويخلصه من الضلالة (ومن يهدي الله فخاله من مضل) يخرجهم من الهداية ويوقعه في الضلالة (أليس الله بعزيز) أي غالب لكل شيء فأهمله (ذي انتقام) ينتقم من عاصيهم ويصيبه عليهم من عذابه وما ينزله بهم من سوط عقابه واطهار الاسم الجليل في موضع الاشارة لتحقيق مضمون الكلام وترتبية المهابة (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) ذكر سبحانه اعترافهم اذا سئلوا عن الخالق بانه الله سبحانه لوضوح البرهان على تنزيهه بالخلافة مع عبادتهم للاصنام والاونان واتخاذهم الآلهة من دون الله وفي هذا أعظم دليل على انهم كانوا في غفلة شديدة وجهالة عظيمة لانهم اذا علموا ان الخالق لهم ولما يعبدون من دون الله هو الله سبحانه فكيف استحسنت عقولهم عبادة غير خالق الكل وتشريك مخلوق مع الخالق في العبادة وقد كانوا يذكرون بحسن العقول وكال الادراك والفتنة التامة ولكنهم لما قلدوا اسلافهم واحسنوا الظن بهم هجروا ما يقتضيه العقل وعملوا بما هو محض الجهل ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يكتهم بعد هذا الاعتراف ويوبخهم فقال (قل أفرايتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) أي اخبروني عن آلهتكم هذه هل تقدر على كشف ما اراده الله بي من الضر والضره الشدة والبلاء (أو ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمة) عني بحيث لا تصل الى الرحمة النعمة والرخاء قرأ الجمهور كاشفات وممسكات في الموضعين بالاضافة وقرأها ما أبو عمرو بالتسوية واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة أبي عمرو لان كاشفات اسم فاعل في معنى الاستقبال وما كان كذلك فتسوية اجود وبها قرأ الحسن وعاصم قال مقاتل لما نزلت هذه الآية سألهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسكوا وقال غيره قالوا لا تدفع شيئا من قدر الله ولكننا نشفع فنزل (قل حسبى الله) في جميع أمورى في جلب النفع ودفع الضر (عليه يوكل

وسعيد بن جبيرة ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنون انهم كانوا يسرون من اليمن الى الشام في قرى ظاهرة متواصلة (فقاله من هاد) يهديه الى الرشد ويخلصه من الضلالة (ومن يهدي الله فخاله من مضل) يخرجهم من الهداية ويوقعه في الضلالة (أليس الله بعزيز) أي غالب لكل شيء فأهمله (ذي انتقام) ينتقم من عاصيهم ويصيبه عليهم من عذابه وما ينزله بهم من سوط عقابه واطهار الاسم الجليل في موضع الاشارة لتحقيق مضمون الكلام وترتبية المهابة (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) ذكر سبحانه اعترافهم اذا سئلوا عن الخالق بانه الله سبحانه لوضوح البرهان على تنزيهه بالخلافة مع عبادتهم للاصنام والاونان واتخاذهم الآلهة من دون الله وفي هذا أعظم دليل على انهم كانوا في غفلة شديدة وجهالة عظيمة لانهم اذا علموا ان الخالق لهم ولما يعبدون من دون الله هو الله سبحانه فكيف استحسنت عقولهم عبادة غير خالق الكل وتشريك مخلوق مع الخالق في العبادة وقد كانوا يذكرون بحسن العقول وكال الادراك والفتنة التامة ولكنهم لما قلدوا اسلافهم واحسنوا الظن بهم هجروا ما يقتضيه العقل وعملوا بما هو محض الجهل ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يكتهم بعد هذا الاعتراف ويوبخهم فقال (قل أفرايتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) أي اخبروني عن آلهتكم هذه هل تقدر على كشف ما اراده الله بي من الضر والضره الشدة والبلاء (أو ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمة) عني بحيث لا تصل الى الرحمة النعمة والرخاء قرأ الجمهور كاشفات وممسكات في الموضعين بالاضافة وقرأها ما أبو عمرو بالتسوية واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة أبي عمرو لان كاشفات اسم فاعل في معنى الاستقبال وما كان كذلك فتسوية اجود وبها قرأ الحسن وعاصم قال مقاتل لما نزلت هذه الآية سألهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسكوا وقال غيره قالوا لا تدفع شيئا من قدر الله ولكننا نشفع فنزل (قل حسبى الله) في جميع أمورى في جلب النفع ودفع الضر (عليه يوكل

وفومها وعدمها ووصلها مع انهم كانوا في عيش رغيد في من وسلاوى وما يشتهون من ماكل ومشرب ولا يس من تنفعة ولهذا قال لهم أنستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصر افا انكم مسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله وقال عز وجل وكم أهل كفا من قرية بطرط معيشتها وقال تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وقال تعالى في حق هؤلاء فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم أي بكفرهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق أي جعلناهم حديثا للناس وممرا يتحدثون به من خبرهم

وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والائتم والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد ههنا وههنا ولهذا تقول العرب في القوم إذا تفرقوا تفرقوا أيدي سبوا وأيدي سبوا وتفرقوا شذر مذر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبي يقول سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبا قال لقد كان لسباني مساكنتهم آية جنتان عن عيينة وشمال إلى قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فأخبروا الكهنة بشئ من أخبار السماء فكان فيهم رجل قد أظلم فلم يدر كيف يصنع لأنه

كان له مال كثير من عقار فقال لرجل من بنيه وهو أعزهم أخوالا يا بني إذا كان غدا وأمرتك بامر فلا تفعله فإذا انتهرت فانتهرني فإذا لطمتك فالطمني قال يا أبت لا تفعل ان هذا أمر عظيم وأمر شديد قال يا بني قد حدث أمر لا بد منه فلم ير له به حتى وانه على ذلك فلما أصبحوا واجتمع الناس قال يا بني افعل كذا وكذا فأبى فانتهره أبوه فأجابته فلم ير له ذلك بينهما حتى تناوله أبوه فطممه فوثب على أبيه فطممه فقال ابني يا طممني عني بالشفرة قالوا ما تصنع بالشفرة قال اذبحه قالوا تذبح ابنيك الطممه أو اصنع ما بابلك قال فابى قال فإرسلوا إلى أخواله فاعلموهم ذلك فجاء أخواله فقالوا خذنا ما بابلك فأبى إلا أن يذبحه قالوا فاقتموه حتى قبل أن تذبحه قال فإذا كان الحديث هكذا فإني لأرى أن أقيم ببلد يقال يدني وبين ابني فيه اشتروا مني دوري اشتروا مني أرضي فلم ير له حتى باع دوره وأرضيه وعقاره فلما صار الثمن في يده واحرزه قال أي قوم ان العذاب

(١٦٠)

المتوكلون) أي عليه لا على غيره يعتقد المعتدون ثم أمره الله سبحانه أن يهددهم ويتوعددهم فقال (قل يا قوم اعلموا على مكاتبتكم) أي على حالتكم التي أنتم عليها وتمكنتم منها والمكاتب بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعارهنا وحيث للزمان وهما للمكان (إني عامل) على حالي التي أنا عليها وتمكنت منها وحذف ذلك للعلم به مما قبله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) أي يهينه ويذله في الدنيا فيظهر عند ذلك أنه الميطل وخصمه المحق والمراد بهذا العذاب عذاب الدنيا وما حل بهم من القتل والأسر والقهر والذلة تم ذكر عذاب الآخرة فقال (ويجلب عليه عذاب مقيم) أي دائم مستمر في الدار الآخرة وهو عذاب النار وهو مجاز في الطرف أو في الاستناد وأصله مقيم فيه صاحبه ثم لم كان يعظم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اصرارهم على الكفر أخبرنا به لم يكف الأبا لبيان لابان يهدي من ضل فقال (انأ أنزلنا عليك الكتاب للناس) أي لأجلهم وليبان ما كانوا به فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم فهو للناس كافة لان رسالتك كذلك (بالحق) حال من التفاعل أو المنعول أي محققين أو متلبس بالحق (فن اهتدى) طريق الحق وسلوكها (فلم نفسه ومن ضل عنها فاقامها يضل عليها) أي على نفسه فضر ذلك عليه لا يتعدى إلى غيره (وما أنت عليهم بوكيل) أي مكلف بهدياتهم محطاب بها بل ليس عليك إلا البلاغ وقد فعلت وهذه الآيات منسوخة بآية السيف فقد أمر الله سبحانه رسوله بعد هذه ان يقاتلهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويعملوا بأحكام الاسلام ثم ذكر سبحانه نوعا من أنواع قدرته البالغة وصنعتة العجيبة فقال (الله يتوفى الانفس حين موتها) أي يقبض الارواح عند حضور آجالها ويخرجها من الابدان (و) يتوفى الانفس (التي لم تمت في منامها) أي لم يحضر أجلها في منامها وقد اختلف في هذا القول قيل يتبضعان التصرف مع بقاء الروح في الجسد وقال الفراء المعنى ويقبض التي لم تمت عند انقضاء أجلها قال وقد يكون توفيقها نومها فيكون التقدير على هذا أو التي لم تمت وقام نومها قال الزجاج لكل انسان نقصان أحدهما نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل والاخرى نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس قال القشيري في هذا بعد اذ المنهوم من الآية ان النفس المقبوضة في الحيا ينشئ واحد ولهذا قال (فيمسك التي

قد أظلمكم وزوال أمركم قد دنا فمن أراد منكم دارا جديدا وجلا شديدا وسفرا بعيدا فليلق بعمان ومن

أراد منكم الخمر والخمر والعصير وكلمة قال إبراهيم لم أحتفظها فليلق بيصرى ومن أراد الراسخات في الوحل المطعمات في المحل المعتمات في العجل فليلق بيثرب ذات الخيل فأطاعه قومه فخرج أهل عمان إلى عمان وخرجت غسان إلى بصري وخرجت الاوس والخزرج وبنو عثمان إلى يثرب ذات الخيل قال فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان هذا مكان صالح لا ينبغي به بدلافأ قاموا به فسهوا لذلك خراة لانهم انقضوا من أصحابهم واسقطت الاوس والخزرج حتى نزلوا المدينة وتوجه أهل عمان إلى عمان وتوجهت

قضى

غسان الى بصرى هذا أنزغريب عجيب وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبأ وكهانهم وقتل محمد بن اسحق بن يسار في أول السيرة ما كان من أمر عمرو بن عامر الذي كان أول من خرج من بلاد اليمن بسبب استشعاره برسالة العرم عليهم فقال وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثني به ابو زيد الانصاري انه رأى جردا يحفر في سدمأرب الذي كان يجس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاؤوا من ارضهم فعلم انه لا بقاء للسعد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن وكادقومه فامر أصغر ولده اذا اغتظله ولطمه ان يقوم اليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمر به فقال عمرو (١٦١) لا اقيم ببلد لطم وجهي فيها اصغر ولدي وعرض

أمواله فقال اشرف من اشرف اليمن اغتموا غضبه عمر وفاشتروا منه امواله وانتقل في ولده وولد ولده وقالت الاسد لا تتخلف عن عمرو ابن عامر فباعوا اموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين برتادون البلدان فخار بهم عك وكان حربهم سجالا في ذلك يقول عباس بن مرداس الاسلمي رضى الله عنه

وعك بن عدنان الذين تغلبوا

بغسان حتى طردوا كل مطرد وهذا البيت في قصته بدله قال ثم ارتحلوا عنهم ففترقوا في البلدان ففترق آل جندبة بن عمرو بن عامر الشام ونزلت الاوس والخزرج يثرب ونزلت خزاعة ثم اوزنت ازد السراة السراة ونزلت ازد عمان عمان ثم ارسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله عز وجل هذه الآيات وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو مما ذكر محمد بن اسحق الا انه قال فامر ابن أخيه مكبان ابنه الى قوله فباع ماله وارتحل باهله ففترقوا رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن جند

قضى عليها الموت) فلا يردّها الى البدن قرأ الجهور وقضى مبنيا للفاعل أى قضى الله عليها الموت وقرئ على البناء للمنعول واختار أبو عبيد وأبو حاتم الأولى لموافقته القوله الله يتوفى الانفس (ويرسل الأخرى) أى النائمة الى بدنهما عند اليقظة (الى أجل مسمى) وهو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وقد قال بمنى قول الزجاج ابن الانباري وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض أرواح الاموات اذا ماتوا وأرواح الاحياء اذا ناموا فتتعارف ماشاء الله ان تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى فيعيدها والأولى ان يقال ان توفى الانفس حال النوم بازالة الاحساس وحصول الآفة به في محمل الحس فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردّها الى الجسد الذي كانت فيه ويرسل الأخرى بان يعيدها احساسها قيل ومعنى توفى الانفس عند موتها هو على حذف مضاف أى عند موت أجسادها وعن ابن عباس قال نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فيتوفى الله النفس في منامه ويدع الروح في جوفه يتقلب ويعيش فان بدله أن يقبضه قبض الروح فمات وان أحرأجله رد النفس الى مكانها من جوفه أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وعنه قال تلتقى أرواح الاحياء وأرواح الاموات في المنام فيمتسكون بينهم ماشاء الله ثم يمسك الله أرواح الاموات ويرسل أرواح الاحياء الى أجسادها الى أجل مسمى لا يغلط بشئ منها أخرجه عبد بن حميد وغيره وعنه أيضا في الآية قال كل نفس لها سبب تحجرى فيه فاذا قضى عليه الموت نامت حتى تنقطع السبب والتي لم تمت في منامها تترك وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فانه يقبضه بدخله ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربى وضعت جنبي وباسمك أرفعه ان أمسكت نفسي فارجهوا وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وقد اختلف العقلاء في النفس والروح هل هما شئ واحد أو شيان والكلام في ذلك يطول جدا وهو معروف في الكتب الموضوعه لهذا الشأن والاظهر أنهم شئ واحد وهو الذي تدل عليه الا نار الصحاح (ان في ذلك) أى فيما تقدم من التوفى والامساك والارسال للنفوس (لايات) محجمة بديعة دالة على القدرة الباهرة ولكن ليس كون ذلك آيات يفهمه كل أحد بل (القوم يتفكرون) في ذلك ويتدبرونه ويستدلون به على توحيد الله وكمال قدرته فان في هذا التوفى والامساك والارسال موعظة

(٢١ فتح البيان ثامن) أخبرنا سلمة عن ابن اسحق قال يزعمون ان عمرو بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا فرأى في كهنته ان قومه سينزفون وياعدين أسفارهم فقال لهم انى قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذاهم بعيد وجل شديد ومزاد حديد فليلق بكاس أو كرود قال فكانت وادعيت بن عمرو ومن كان منكم ذاهم مدن وأمر دعن فليلق بارض شن فكانت عوف بن عمرو وهم الذين يقال لهم بارق ومن كان منكم يريد عيشا أبنا وحرما أبنا فليلق بالارزبن فكانت خزاعة ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلق يثرب ذات النخل وكانت الاوس والخزرج وهما هذان الحيان من الانصار ومن كان

منكم يريد خراوخيرا وذهبوا حريرا وملكوا تأميرا فليطلق بكوثى وبصرى فكانت غسان بنو جفنه ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق قال ابن اسحق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول انما قال هذه المقالة طريفة امرأه عمرو بن عامر وكانت كاهنة فماتت في كهانها ذلك فأنه علم أى ذلك كان وقال سعيد بن قتادة عن الشعبي اما غسان فلحقوا بعمان فزقهم الله كل ممزق بالشام واما الانصار فلحقوا بيبزب واما خزاعة فلحقوا بتهامة واما الازد فلحقوا بعمان فزقهم الله كل ممزق ورواه ابن جرير ثم قال محمد بن اسحق حدثني أبو عبيدة قال (١٦٢) قال الاعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة واسمه ميمون بن قيس

وفي ذلك المثل وتسى أسوة

ومأرب قفى عليها العرم

رحام بنته لهم حرم

إذا ما نأى ماؤهم لم يرم

فأروى الزروع وأعابها

على ساعة ماؤهم اذ قسم

فصاروا يادى ما يقدر

ن منه على شرب طفل فطم

وقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل

صبار شكور رأى ان في هذا الذى حل

بهم فلامن النعمة والعذاب وتبدل

النعمة وتحويل العافية تقوية

على ما ارتكب كعبه من الكفر

والا ثم لعبرة ودلالة لكل عبد

صبار على المصائب شكور على النعم

قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن

وعبد الرزاق المعنى قالوا اخبرنا

سفيان عن أبي اسحق عن العيزار بن

حريث عن عمر بن سعد عن أبيه هو

سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم عجبت من قضاء الله تعالى

للمؤمن ان أصابه خير جدر به

وشكروا ان أصابته مصيبة جدر به

وصبر بوجر المؤمن في كل شئ حتى

في اللقمة يرفعها الى فى امرأته وقد

للمتعطين وتذكرة للمتمذكرين (ام) هي المنقطة المقدرة بيل والهمزة أى بل (ال) المتخذة من

دون الله (آلهة) شفعاء) تشفع لهم عند الله (قل أو لو كانوا لا يعقلون شيئا) الهمزة للانكار

والتوبيخ والوالوال يعطف على محذوف مقدر أى ايشفعون ولو كانوا الخ وجواب لو محذوف

أى وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم والمعنى انهم غير مالكين لشيء من الاشياء وتدخل

الشفاعة في ذلك دخولا أوليا (ولا يعقلون) شيئا من الاشياء لانها جادات لا عقل لها

وجمعهم بالواو والتون للاعتقاد الكفار فيهم انهم يعقلون ثم امره سبحانه بان يخبرهم ان

الشفاعة لله وحده فقال (قل لله الشفاعة جميعا) فليس لاحد منها شئ الا أن تكون باذنه

لمن ارتضى كما في قوله من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى

واتصاب جميعا على الحال وانما كد الشفاعة بما يؤكده الاثنان فصاعد الا انها مصدر

يطلق على الواحد والاثنين والجماعة ثم وصفه بسبعة الملوك فقال (له ملك السموات

والارض) أى يملكها ويملك ما فيها وما يتصرف في ذلك كيف يشاء ويفعل ما يريد فهو

مالك الملك كله لا يملك احد أن يتكلم دون اذنه ورضاه (ثم اليه) لالاى غيره (ترجعون) بعد

البعث (واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) انتصاب وحده على

الحال عند نون وعلى المصدر عند الخليل وسيبويه والاشتمزاز في اللغة النفور قال أبو

عبيدة اشمازت نفرت وقال المبرد انقبضت وبالأول قال قتادة والثاني قال مجاهد والمعنى

مقارب وقال المورج أنكرت وقال أبو زيد انما زار الرجل ذعر من الفزع والمناسب

للمقام تفسير اشمازت بانقبضت وهو فى الاصل الازورار وكان المشركون اذا قبل لهم

لاله الا الله انقبضوا كما حكاه الله عنهم في قوله واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على

أدبارهم نفورا قال ابن عباس فى الآية اشمازت قست ونفرت قلوب هؤلاء الاربعة الذين

لا يؤمنون بالآخرة أبو جهل بن هشام والوليد بن عتبة وصفوان وأبى بن خلف (واذا ذكر

الذين من دونه) اللات والعزى وغيرهم امن الاصنام (اذا هم يستبشرون) أى يفرحون

بذلك ويتبشرون به والعامل فى اذا فى قوله واذا ذكر الله الفعل الذى بعدها وهو اشمازت

والعامل فى اذا فى قوله واذا ذكر الذين الخ الفعل العامل فى اذا الفجائية والتقدير فاجوا

الاستبشار وقت ذكر الذين من دونه وذلك لفرط افتنائهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بلغ فى

الامرين حتى بلغ الغاية فيما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة

رواه النسائي فى اليوم والليله من حديث أبى اسحق السيبى به وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد عن أبيه ولكن وجهه

له شاهد فى الصحاح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عجبا للمؤمن لا يقضى الله تعالى له قضاء الا كان خيرا له ان أصابته سراه

شكر فكان خيرا له وان أصابته ضرر أصبر فكان خيرا له وليس ذلك لاحد الا المؤمن قال عميد حدثنا يونس عن سفيان عن قتادة

ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور قال كان مطرف يقول نعم العبد الصبار الشكور الذى اذا أعطى شكروا اذا ابتلى صبر (ولقد

صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك

وربك على كل شيء محفيظ) لماذا كرتعالى قصة سبا وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمه اللهم من اتبع ابليس والهوى وخالف الرشاد والهدى فقال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هذه الآية كقوله تعالى أخبرنا عن ابليس حين امتنع من السجود لآتم عليه الصلاة والسلام ثم قال رأيتك هذا الذي كرت على لتأخرتني الى يوم القيامة لا تحسكن ذريته الا قليلا وقال ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيانهم وعن شمائلهم ولا تجدد أكثرهم شاكرين والآيات في هذا كثيرة وقال الحسن البصري لما هبط الله آدم (١٦٣) عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء

هبط ابليس فرحا بما أصاب منهما وقال اذا أصبت من الابوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ذلك ظنا من ابليس فانزل الله عز وجل ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين فقال عند ذلك ابليس لأفارق ابن آدم مادام فيه الروح أعده وأمنيه وأخذه فقال الله تعالى وعزتي لأعجب عنه التوبة مالم يغرب بالموت ولا يدعوني الا أحبته ولا يسألني الا أعطيته ولا يستغفرتني الا غفرت له رواه ابن أبي حاتم وقوله تبارك وتعالى وما كان عليهم من سلطان قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من حجة وقال الحسن البصري والله ما ضربهم بعصا ولا أكرههم على شيء وما كان الاغرور أو أماني دعاهم اليها فأجابوه وقوله عز وجل الان تعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك أي انما سلطناه عليهم لينظروا أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادته ربه عز وجل في الدنيا ممن هو منها في شك وقوله تعالى وربك على كل

وجهه والاشمئزاز أن يمتلئ غضبا وغما حتى يتقبض أديم وجهه ولما لم يقبل المتمردون من الكفار ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الدعاء الى الخير ومعه وعلى كفرهم أمره الله سبحانه أن يرد الأمر الى الله سبحانه ويأتجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحسروا في أمرهم وعجزوا في عنادهم وشدة شكيتهم فانه القادر على الاشياء العالم بالاحوال كما هاقال (قل اللهم) أصلها الله عوض عنها الميم لقربها من حروف العلة وشددت لتكون على حرفين كما عوض عنه ولذا لم يجمع بينهما فإيقال يا اللهم في فصيح الكلام وما سمع من قوله

اني اذا ما حدث أنا * أقول يا اللهم يا للهما

فضرورة قاله الكرخي (فأطرا السموات والارض) أي مبدعهما (عالم الغيب والشهادة) أي ما غاب وشوهد وهما منصوبان على التبداء (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) من الهدى والضلالة والمعنى تجازى المحسن باحسانه وتعاقب المسيء باسائه فانه بذلك يظهر من هو الحق ومن هو المبطل ويرتفع عنده خلاف المختلفين وتخاصم المتخاصمين وقيل هذه محاكمة من النبي للمشركين الى الله تعالى وعن ابن المسيب لا أعرف آية قرئت فدعى عندها الا حجب سواها وعن الربيع بن خيثم وكان قليل الكلام انه أخبر بقتل الحسين رضي الله عنه وقالوا الا ان يتكلم فإزاد أن قال آه وقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى انه قال على اثره قتل من كان صلى الله عليه وآله وسلم يجلسه في حجره ويضع فاه على فيه وأخرج مسلم وأبو داود والبيهقي في الاسماء والصفات عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام من الليل افتتح صلواته اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فأطرا السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق يا ذك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم لما حكى عن الكفار ما حكاها من الائمة تراز عند ذكر الله والاستبشار عند ذكر الاصنام ذكر ما يدل على شدة عذابهم وعظم عقوبتهم فقال (ولو ان للذين ظلموا في الارض جمعا) أي جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر (ومثله معه) أي منضم اليه (لا قد وانه) أي بالمدكور من الامرين أي لجلعوا فيه فدية لانفسهم (من سوء العذاب يوم القيامة) أي من سوء عذاب ذلك اليوم وقدمضي تفسير هذا في آل عمران

شيء حفيظ أي ومع حفظه ضل من ضل من اتبع ابليس وبجفظه وكلامه سلم من أسلم من المؤمنين اتباع الرسل (قل ادعوا الذي زعمتم من دون الله لايكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) بين تبارك وتعالى انه الاله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لا نظيره ولا شريك له بل هو المستقل بالامر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله اى من الآلهة التي عبدهم من دونه لايكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض كما قال تبارك وتعالى

والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطير وقوله تعالى وما لهم فيهم شركا أي لا يملكون شيئا مستقلا ولا على سبيل الشركة وماله منهم من ظهير أي وليس لله من هذه الأندامن ظهير يستظهر به في الأمور بل الخلق كلهم فقراء إليه عبيد لديه قال قتادة في قوله عز وجل وماله منهم من ظهير من عون يعينه بشئ ثم قال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أي لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترى أحد أن يشفع عنده تعالى في شئ إلا بعد أن ذنبه في الشفاعة كما قال عز وجل من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وقال جل وعلا وكم من ملك في السموات (١٦٤) لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وقال تعالى

ولا يشفعون إلا من ارتضى وهم من خشيته مشفقون ولهذا ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكبر شفيع عند الله تعالى أنه حين يقوم المقام المحمود يشفع في الخلق كلهم إن يأتي ربهم لفصل القضاء قال فأسجد لله تعالى فيدعي ما شاء الله أن يدعي ويفتح علي بحامد لا أحصي إلا أن ثم يقال يا محمدا رفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع الحديث بتمامه وقوله تعالى حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهذا أيضا مقام رفيع في العظمة وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي قاله ابن مسعود رضي الله عنه ومسروق وغيره ما فإذا فرغ عن قلوبهم أي زال النزاع عنها قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وأبوه عبد الرحمن السلمى والشعبى وأبراهيم النخعي والضحاك والحسن وقتادة في قوله عز وجل حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق يقول جلي عن قلوبهم

(وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أي ظهر لهم من فنون عقوبات الله وسخطه وشدة عذابه ما لم يكن في حسابهم ولا يحدثون به في نفوسهم وفي هذا وعيد لهم عظيم وتهديد بالغ غاية لا غاية وراءها وقال مجاهد عملوا الأعمال التي أحسنات فآذاهم سيئات وكذا قال السدي وقال سفيان الثوري ويل لأهل الريا ويل لأهل الريا ويل لأهل الريا هذه آياتهم وقصتهم وقال عكرمة بن عمار جزع محمد بن المنكدر عندما موته جزع أشد فاقبل له ما هذا الجزع قال أحاف آية من كتاب الله وبداهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانا أخذنى أن يدولى ما لم آكس أحتسب (وبداهم سيئات ما كسبوا) أي مساوى أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله ومانحتمل أن تكون مصدرية أي سيئات كسبهم وان تكون موصولة أي سيئات الذى كسبوه حين تعرض صحائف أعمالهم وكانت خافية عليهم أو عقاب ذلك (وحاق بهم) أي أحاط بهم ونزل بهم (ما كانوا يستهزون) من الإنذار الذى كان يذره بهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فأدامس الإنسان) المراد هنا بالإنسان الجنس باعتبار بعض أفرادها وقيل المراد به الكفار فقط والاول أولى ولا يمنع من حمله على الجنس خصوص سببه لان الاعتبار بعموم اللفظ وفاء بحق النظم القرآنى ووفاء بدلوله والمعنى ان شأن غالب نوع الإنسان انه اذا مسه (ضر) من مرض أو فقرا وغيرهما (دعانا) وتضرع الينا في رفعه ودفعه (ثم اذا خولنا نعمة منا) أي اعطيناه نعمة كأنتم من عندنا (قال انما اوتيته على علم) دنى بوجوه المكاسب أو على خير عندى أو على علم من الله بنضلى وقيل ان كان ذلك سعادة في المال أو عافية في النفس يقول انما حصل ذلك بجهدى واجتهادى وان كان صحة قال انما حصل ذلك بسبب العلاج القلانى وان حصل ما لا يقول حصل بكسى وهذا تناقض أيضا لانها لما كان عاجزا محتاجا أضاف الكل الى الله تعالى وفى حال السلامة والصحة قطعها عن الله تعالى وأسندته الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح وقال الحسن على علم علمنى الله اياه وقيل قد علمت أنى اذا أوتيت هذا فى الدنيا أن لى عند الله منزلة وجاء فى أوتيته بالضمير مذ كرامع كونه راجعا الى النعمة لانها بمعنى الانعام وقيل ان الضمير عائذ الى ما وهى موصولة والاول أولى (بل هى فتنة) هذا رد لما قاله أى ليس ذلك الذى أعطيتك لما ذكرت بل هو محنة لك واختبار لحالك أتشكر أم تكفر قال الفراء أت الشمير فى قوله هى لتأنيب الفتنة ولو قال بل هو فتنة لجاز وقيل تأنيب الضمير باعتبار

وقرأ بعض السلف وجاء مر فوعا إذا فرغ بالعين المعجمة ويرجع الى الاول فاذا كان كذلك سأل بعضهم بعضا ماذا لفظ

قال ربكم فيضرب بذلك حلة العرش للذين يلوونهم ثم الذين يلوونهم لمن تحتهم حتى ينتهى الخبر الى أهل السماء الدنيا ولهذا قال تعالى قالوا الحق أى أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان وهو العلى الكبير وقال آخرون بل معنى قوله تعالى حتى إذا فرغ عن قلوبهم يعنى المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة اذا استيقظوا كما كانوا فيه من الغلظة فى الدنيا ورجعت اليهم عقولهم يوم القيامة قالوا ماذا قال ربكم فقيل لهم الحق وأخبروا به بما كانوا عندهم لا هين فى الدنيا قال ابن أبى نجيع عن مجاهد حتى إذا فرغ عن قلوبهم كشف

عنها الغطاء يوم القيامة وقال الحسن حتى اذا فرغ عن قلوبهم يعني ما فيها من الشك والتكذيب وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم حتى اذا فرغ عن قلوبهم يعني ما فيها من الشك قال فرغ الشيطان عن قلوبهم وما ربههم واما انهم وما كان يضلهم قالوا اما اذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال وهذا في بني آدم هذا عند الموت اقر واحين لا يتنعهم الاقرار وقد اختار ابن جرير القول الاول ان الضمير عائد على الملائكة وهذا هو الحق الذي لامرته فيه لصحة الاحاديث فيه والاشارة ونفذ كرمها طرفا يبدل على غيره قال البخاري عند تفسيره هذه الآية الكريمة في صحيحه حدثنا (١٦٥) الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو وقال سمعت

عكرمة قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله تعالى الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فرغ عن قلوبهم قالوا اما اذا قال ربكم قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بيده خرفها ونشر بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقها الى من تحته ثم يلقها الاخر الى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر او الكاهن فر بعد اذ رك الشهاب قبل ان يلقىها ويرجا ألقاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء انفرادا باخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرزاق

لفظ الفتنة وتذكير الاول في قوله أو تيته باعتبار معناها وقال النحاس بل عطية قنسة (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان ذلك استدراج لهم من الله وامتحان لما عندهم من الشكر والكفر (قد قالها الذين من قبلهم) أي قال هذه الكلمة التي قالوها وهي قوله انما اوتيته على علم الذين من قبلهم فكارون وقومه فان قارون قال انما اوتيته على علم عندي وانما نسب اليهم قوله باعتبار رضاهم به (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما نافية أي لم يغن عنهم ما كسبوا من متاع الدنيا شيئا واستفهامية أي أي شيء اغنى عنهم ذلك (فاصابهم سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات كسبهم أو اصابهم سيئات هي جزاء كسبهم وسمى الجزاء سيئات لوقوعه في مقابلة سيئاتهم فيكون ذلك من باب الازدواج والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وفيه رمز الى أن جميع أعمالهم كذلك ثم أورد سبحانه الكفار في عصره فقال (والذين ظلموا من هؤلاء) الموجودين من الكفار (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) كما اصاب من قبلهم وقد اصابهم في الدنيا ما اصابهم من القتل والقتل والاسر والقهو والسين للأكيد (وما هم بحميين) أي بفاتنين على الله بل مرجعهم اليه يصنع بهم ما شاء من العقوبة (اولم يعلموا) الضمير للقاتلين انما اوتيته على علم فالعنى أقالوها ولم يعلموا أو اغفلوا ولم يعلموا (ان الله بسيط) أي يوسع (الرزق لمن يشاء) ان يوسع له وان كان لاحيله له ولا قوة امتحانا (ويقدر) أي يقبضه على من يشاء ان يقبضه ويضيقه عليه وان كان قويا شديدا لحيله ابتلاء وقيل يجعله على قدر قوت قال مقاتل وعظهم الله ليعتبروا في توجيهه وذلك حين مطر وابتدع سبع سنين فقال اولم يعلموا ان الله يوسع الرزق لمن يشاء ويقتدر على من يشاء فلا باس الا الله تعالى ويدل على ذلك ان انارى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد ذلك من حكمة وسبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهه فان انرى العاقل القادر في أشد الضيق والجاهل الضعيف في أعظم السعة (ان في ذلك) المذكور من التوسيع والتصديق (آيات) أي دلالات عظيمة وعلامات جلية (لنوم يؤمنون) بالله وانما خص المؤمنين لانهم المتفكرون بالآيات المتفكرون فيها ثم لما ذكر سبحانه ما ذكره من الوعيد عقبه بذكر سعة رحمة وعظيم معرفته وأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يبشرهم بذلك فقال

فالا حدثنا عمر أخبرنا الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهم ما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من أصحابه قال عبد الرزاق من الانصار فرمى بنجم فاستنار فقال صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون اذا كان مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول يولد عظيم ويموت عظيم قلت للزهري أكان يرمى به في الجاهلية قال نعم ولكن غلظت حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما لا يرمى به الموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمر اسبح حلة العرش ثم سبأ أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حلة العرش فيقول الذين

يلون جملة العرش لجملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر كل أهل سماه سما حتى ينتهي الخبر الى هذه السماء وتخطف الجن
السمع فيرمون فاجأوا به على وجهه فهو حرق ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون هكذا رواه الامام أحمد وقد أخرجه مسلم في صحيحه
من حديث صالح بن كيسان والاوزاعي ويونس ومعمل بن عميد الله أربعتهم عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله
عنهم ما عن رجل من الانصار به وقال يونس عن رجال من الانصار رضي الله عنهم وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث
الزيدي عن الزهري به ورواه الترمذي فيه (١٦٦) عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن الزهري

عن عميد الله بن عبد الله عن ابن
عباس رضي الله عنهم ما عن رجل
من الانصار رضي الله عنه والله
أعلم حديث آخر قال ابن أبي حاتم
حدثنا محمد بن عوف وأحمد بن
منصور بن سيار الرمادي والسياتي
لمحمد بن عوف قال حدثنا نعيم بن
جاد حدثنا الوليد هو ابن مسلم عن
عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن
عبد الله بن أبي زكريا عن رجاء بن
حيوة عن النواس بن سمعان رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا أراد الله تبارك
وتعالى أن يوحى بأمره تكلم بالوحي
فاذا تكلم أخذت السموات منه
رجفة أو قال رعدة شديدة من
خوف الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل
السموات صعقوا وخروا لله سجدا
فيكون أول من يرفع رأسه جبريل
عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله
من وحيه بما أراد فيصلى به جبريل
عليه الصلاة والسلام على الملائكة
كلها من سماء الى سماء يسأله
ملائكتهم ماذا قال ربنا يا جبريل
فيقول عليه السلام قال الحق
وهو العلي الكبير فيقولون كلهم

(قل يا عبادي) قرئ بآيات الباء وصلوا ووقفوا وبغير الباء وهما سبعتان (الذين أسرفوا)
أي أسرفوا (على أنفسهم) في الكفر والمعاصي واستكثروا منها (لاتقنطوا) بفتح القون
وبكسرهما أي لاتأسوا (من رحمة الله) أي من مغفرته وفي هذه الآية من أنواع المعاني
والبيان أشياء حسنة منها أقباله تعالى عليهم وندأوهم ومنها اضافتهم اليه اضافة تشريف
ومنها الالتفات من التكلم الى الغيبة في قوله من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لاجل
أسمائه الحسنى ومنها اعادة الظاهر بلفظه في قوله الآتي ان الله قاله السمين وقال عبد الله
 وغير هذه الآية أرجح آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارته فانه أول اضافة
العباد الى نفسه لقصد تشريفهم ومنزلة بشيرهم ثم وصفهم بالاسراف في المعاصي
والاستكثار من الذنوب ثم عقب ذلك بالتهني عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين
من الذنوب فالتهني عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الاولي وبفعوى الخطاب
قيل وهذه عامة في كل كافر يتوب ومؤمن عاص يتوب فتمه عوتوبته ذنبه والمراد منها
التسببه على انه لا ينبغي للعاصي ان يظن انه لا ملخص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو
قانع من رحمة الله تعالى اذ لا أحد من العصاة الا وانه متى تاب زال عقابه وصار من أهل
المغفرة والرحمة والحق ان الآية غير مقيدة بالتوبة بل هي على اطلاقها ولما تم اهم عن
القنوط أخبرهم بما يدفع ذلك ويرفعه ويجعل الرجاء مكان القنوط وجاء بما لا يبي بعد
شد ولا يتخالج القاب عند سماعه ظن فقال (ان الله يغفر الذنوب) فالالف واللام قد صيرت
الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق افراده فهو في قوة ان الله يغفر كل
ذنب كما انما كان الاما أنخرجه النص القرآني وهو الشرك ثم لم يكتف بما أخبر عباده به
من مغفرة كل ذنب بل أكد ذلك بقوله (جميعا) فيالها من بشارته تراخ لها قلوب المؤمنين
الحسين ظنهم برهم الصادقين في رجائه الخالعين لثياب القنوط الراضين لسوء الظن عن
لا يتعاطمه ذنب ولا يخجل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجهين اليه في طلب العفو
المتجئين به في مغفرة ذنوبهم وما أحسن ما عمل به سبحانه هذا الكلام قائلا (انه هو الغفور
الرحيم) أي كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بلغتهما واسعهما فأبرز الجملة مؤكدة بان
والفصل وباعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الآية السابقة فن أي هذا التفضل العظيم
والعطاء الحسيم وظن ان تقنين عبادة الله وتأديسهم من رحمة اولى بهم مما بشرهم الله به

مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله تعالى من السماء والارض وكذا رواه ابن جرير
وابن خزيمة عن زكريا بن أبان المصري عن نعيم بن حاد به وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد بن
مسلم رحمه الله وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن قيادة أنهم افسر هذه الآية بانتهاء
ايحاء الله تعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ولا شك ان هذا أولى ما دخل
في هذه الآية (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانأوا يا كمل على هدى أو في ضلال مبين قل لا تسألون عما أجرنا

ولا نستل عما تعملون قل يجمع بين نار بنام يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم قل اروني الذين ألحقتم به شركاء كلاب هو الله العزيز الحكيم يقول تعالى مقرر انفرده بالخلق والرزق وانفراده بالالهية أيضا فكما كانوا يعترفون بانهم لا يرزقهم من السموات والارض أي بما ينزل من المطر وينبت من الزرع الا الله فكذلك فليعلموا أنه لا اله غيره وقوله تعالى وانا اوابا كم لعلى هدى اوفى ضلال مبين هذا من باب اللف والنشر أي واحد من الفريقين مبطل والاخر محق لاسيلا الى ان تكونوا أنتم ونحن على الهدى اوعلى الضلال بل واحدنا مصيب ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه ١٦٧ من الشرك بالله تعالى وله هذا قال

وانا اوابا كم لعلى هدى اوفى ضلال مبين قال قتادة قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين والله ما نحن و اياكم على أمر واحد ان أحد الفريقين لمهتد وقال عكرمة وزيد بن أبي حريم معناها اننا نحن لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين وقوله تعالى قل لا تستأثرون عمارنا ولا نستل عما تعملون معناه التبري منهم أي لستم منا ولا نحن منكم بل ندعوكم الى الله تعالى والى توحيده وافراد العبادة له فان أجبتهم فأنتم منا ونحن منكم وان كذبتم فنحن براء منكم وأنتم براء منا كما قال تعالى فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وانا بريء مما تعملون وقال عز وجل قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما عبد لكم دينكم ولي دين وقوله تعالى قل يجمع بيننا أي يوم القيامة يجمع بين الخلاق في صعد واحد ثم يفتح بيننا بالحق أي يحكم بيننا بالعدل فيجزى كل عامل بعمله ان

فقد ركب أعظم الشطط وغلط أقبح الغلط فان التبشير وعدم التقييد هو الذي جاء به مواعيد الله في كتابه العزيز والمسلك الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صح عنه من قوله يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا واذا تقررتك هذا فاعلم ان الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء هو أن كل ذنب كما نأما كان ما عدا الشرك بالله مغفور لمن شاء الله ان يغفره على انه يمكن ان يقال ان اخباره لنا بانه يغفر الذنوب جميعا يدل على انه يشاء غفرانها جميعا وذلك يستلزم انه يشاء المغفرة لكل المذنبين من المسلمين فلم يبق بين الآيتين تعارض من هذه الخبيثة واما ما رزعه جماعة من المفسرين من تفسيد هذه الآية بالتوبة وانها لا تغفر الا الذنوب التائبين وزعموا أنهم قالوا ذلك للجمع بين الآيات فهو جمع بين الضب والنون وبين الملاح والحادى وعلى نفسها براشش تجنى ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة بالتوبة لم يكن لها كثير موقع فان التوبة من الشرك يغفر الله لها ما فعله من الشرك باجماع المسلمين ولذا قال ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلو كانت التوبة قيد في المغفرة لم يكن للتخصيص على الشرك فائدة وقد قال سبحانه وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال الواحدى المفسرون كلهم قالوا ان هذه الآية في قوم خافوا ان أسلموا ان لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك وقتل النفس ومعاداة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت هب انها في هؤلاء القوم فكأن ماذا فان الاعتبار بما اشتملت عليه من العموم لا بخصوص السبب كما هو متفق عليه بين أهل العلم ولو كانت الآيات القرآنية والا حاديث النبوية مقيدة بأسبابها غير متجاوزة لها لارتفعت كثرة التكليف عن الامة ان لم ترتفع كلها واللازم باطل بالاجماع فاللزوم منه له وفي السنة المطهرة من الاحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما في هذا الباب ما لو عرفه المطلع عليه حق معرفته وقدره حق قدره علم صحة ما ذكرناه وعرف حقيقة ما حرزناه قاله الشوكاني وعن ابن عمر قال كنا نقول ليس لمقتن توبة وما الله يقابل منه شيأ عرفوا الله وأمنوا به وصدقوا رسوله ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم وكانوا يقولونه لانفسهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة أنزل الله فيهم قل يا عبادي الذين أسرفوا الآيات قال ابن عمر فكتبتهما بيدي ثم بعثت بها الى هشام بن العاصي وعن أبي سعيد قال لما أسلم وحشى أنزل الله والذين

خبرنا خير وان شرافتم واستعملون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الابدية كما قال تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا باياتنا وولئك في العذاب محضرون ولهذا قال عز وجل وهو الفتح العليم أي الحاكم العادل العالم بحقائق الامور وقوله تبارك وتعالى قل اروني الذين ألحقتم به شركاء أي اروني هذه الالهة التي جعلتموها الله أندادا وصيرتموها عدلا كالأى ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عدل ولهذا قال تعالى بل هو الله أي الواحد الاحد الذي لا شريك له العزيز الحكيم أي ذو العزة الذي قد قهر بها كل شيء وغلبت كل شيء الحكيم في

افعاله واقواله وشعره وقدره تبارك وتعالى وقدس عما يقولون علوا كبيرا والله اعلم (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعادي يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) يقول تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا الى الا الى جميع الخلاق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا أى تبشر من اطاعتك بالجنة وتنذرون (١٦٨) عصاك بالنار ولكن اكثر الناس لا يعلمون كقوله عز وجل وما اكثر الناس

ولو حرصت بمؤمنين وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله قال محمد بن كعب فى قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس يعنى الى الناس عامة وقال قتادة فى هذه الآيه ارسن الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم الى العرب والعجم فاكرمهم على الله تبارك وتعالى اطوعهم لله عز وجل وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابو عبد الله الطهرانى حدثنا حفص عن عمر العدنى حدثنا الحكم يعنى ابن ابان عن عكرمة قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول ان الله تعالى فضل محمد صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء قالوا يا ابن عباس فىم فضله الله على الانبياء قال رضى الله عنه ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لبيين اهام وقال للنبي صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس فأرسله الله تعالى الى الجن والانس وهذا الذى قاله ابن عباس رضى الله عنهما قد ثبت فى الصحيحين رفعه عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق قال وحشى وأصحابه قد ارتكبنا هذا كله فأنزل الله قل يا عبادى الذين أسرفوا الآيه وأخرج البزارى فى الادب المفرد عن أبي هريرة قال خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رهط من أصحابه وهم يضحكون ويتحدثون فقال والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ثم أنصرف وأبكى القوم وأوحى الله اليه يا محمد لم تقنط عبادى فرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابشر واسدوا وقاربوا وعن عمر بن الخطاب انها نزلت فىمن أقتن وعن ابن عباس انها نزلت فى مشركى مكة لما قالوا ان الله لا يغفر لهم ما قد اقترفوه من الشرك وقتل النفس وغير ذلك وأخرج أحمد وابن جرير وابن ابى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن ثوبان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما أحب ان لى الدنيا وما فيها بهذه الآيه يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآيه فقال رجل ومن أشرك فسكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات وأخرج أحمد و أبو داود والترمذى وحسنه ابن المنذر والحاكم وغيرهم عن أسماء بنت يزيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يسأل انه هو الغفور الرحيم وعن ابن مسعود أنه مر على قاص يذكر الناس فقال يا ماذكر الناس لا تقنط الناس ثم قرأ يا عبادى الآيه وعن ابن سيرين قال قال على أى آيه أوسع فجعلوا يذكرون آيات من القرآن من يعمل سواها أو يظلم نفسه الآيه ونحوها فقال على ما فى القرآن أوسع من يا عبادى الآيه وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى الآيه قال قد دعا الله الى مغفرته من زعم ان المسيح بن الله ومن زعم ان عزيز بن الله ومن زعم ان الله فقير ومن زعم ان يد الله مغلولة ومن زعم ان الله ثالث ثلاثة يقول لهؤلاء أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ثم دعا الى توبته من هو أعظم قولا من هؤلاء من قال أنا ربكم الاعلى وقال ما علمت لكم من اله غيرى قال ابن عباس ومن آيس العباد من التوبة بعدهم اذا فقد سجد كتاب الله ولكن لا يقدر العبد ان يتوب حتى يتوب الله عليه وحديث ابى سعيد الخدرى فى رجل قتل تسعة وتسعين انسانا فى الصحيحين بطوله وكذا حديث رجل قال وذرتنى فى الريح فيها بطوله عن أبي هريرة وعنه فى سنن أبى داود حديث رجلين محتابين وعن أنس قال

أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى نصرت بالعرب مسيرة شهر وجعلت لى الارض مسجدا و طهورا سمعت

فأبى رجل من أمى ادر كنه الصلاة فلا صل واحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبي يعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة وفى الصحيح أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت الى الاسود والاجر قال مجاهد يعنى الجن والانس وقال غيره يعنى العرب والعجم والكل صحيح ثم قال عز وجل يخبر عن الكفار فى استبعادهم قيام الساعة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وهذه الآيه كقوله عز وجل يستعمل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق

الآية ثم قال تعالى قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اي لكم ميعاد مؤجل معدود محرر لا يزداد ولا ينقص فاذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وقال عز وجل وما يؤخره الا اجل معدود ويوم ياتي لا تكلم نفس الا باذن من شق وسعيد وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا والاولا انتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا والذين استضعفوا ان نحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين (١٦٩) وقال الذين استضعفوا والذين استكبروا بل

مكر الليل والنهار اذا تأمروا بشئ انكفروا بالله ونجعل له ائذا وأسرنا الندامة لمساراً والعذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون) يخبر تعالى عن تماري الكفار في طغيانهم وعنادهم واصرارهم على عدم الايمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد ولهذا قال تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه قال الله عز وجل متدد الهيم ومتوعداً ومخبراً عن مواقفهم الذليله بين يديه في حال تخاسمهم وتجاههم يرجع بعضهم الى بعض التول يقول الذين استضعفوا وهم الاتباع للذين استكبروا ومنهم وهم قادتهم وسادتهم لولا انتم لكنا مؤمنين أي لولا انتم تصدونا لكنا تبعنا الرسل وآمننا بما جاؤنا به فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا نحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم أي نحن ما فعلنا بكم أكثر من انادعوناكم فاتبعونا من غير دليل ولا برهان وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم انك ماد عوتني ورجوتني غفرت لك عن ما كان منك ولا ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لا اتيتك بقرابها مغفرة فأخرجهم الترمذي والعناني السحاب والقراب بضم القاف هو ما يقارب ملها (وانبيوا الى ربكم) أي ارجعوا اليه بالطاعة لما بشرهم سبحانه بأنه يغفر الذنوب جميعاً أمرهم بالرجوع اليه بفعل الطاعات واجتناب المعاصي وليس في هذا ما يدل على تقييد الآية الاولى بالتوبة لا بما بقية ولا تضمن ولا التزام بل غاية ما فيها انه بشرهم بتلك البشارة العظمى ثم دعاهم الى الخير وخوفهم من الشر على انه يمكن ان يقال ان هذه الجملة مستأنفة خطاباً للكفار الذين لم يسلموا بدليل قوله (وأسلوا له) جاء به التصدير الكفار وانذارهم بعد ترغيب المسلمين بالآية الاولى وتبشيرهم وهذا وان كان بعيداً ولكنه يمكن ان يقال به والمعنى على ما هو الظاهر ان الله جمع لعباده بين التبشير العظيم والأمر بالانابة اليه والأخلاص له والاستسلام لامره والخضوع لحكمه وقوله (من قبل أن يأتكم العذاب) أي عذاب الدنيا كما يفيدته النظم فليس في ذلك ما يدل على ما زعمه الزاعمون وتمسك به القائلون المقنطون والمجد لله رب العالمين (ثم لا تنصرون) أي لا تمنعون من العذاب ان لم تتوبوا قبل نزول العقاب (واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم) يعني القرآن يقول أحلوا حلاله وحرموا حرامه والقرآن كله حسن قال الحسن الترمذي وطاعته واجتنبوا معاصيه وقال السدي الاحسن ما أمر الله به في كتابه وقال ابن زيد يعني المحكمات وكلوا علم المتشابه الى عالمه وقيل الناسخ دون المنسوخ وقيل العنودون الاتقام بما يحق فيه الاتقام وقيل أحسن ما انزل اليكم من أخبار الامم الماضية ومثله قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل القرآن او المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص ولعله ما هو أنجي وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل أن يأتكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) أي من قبل أن يفتككم العذاب وأنتم غافلون عنه لا تشعرون به وقيل اراد أنهم يمتعون بغتة فيقعون في العذاب والاول أولى لان الذي يأتهم بغتة هو العذاب في الدنيا بالقتل والامر والخوف والنهر والجدب لا عذاب الآخرة ولا الموت لانه لم يسند الاتيان اليه (أن تقول نفس) قال البصريون

(٢٢ فتح البيان تامن) قالوا بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اي كنتم تمكرون بالليل والنهار وتفرون وتختبرون وتنجسون وتنجسون الى هدى وانما على شئ فاذا جميع ذلك باطل وكذب ومين قال قتادة وابن زيد بل مكر الليل والنهار يقول بل مكر بالليل والنهار وكذا قال مالك عن زيد بن اسلم مكركم بالليل والنهار اذا تأمروا بشئ انكفروا بالله ونجعل له ائذا أي نظروا وآهامة وقيموا المناشبه او اشياء من المحال فصلوا بها وأسر والندامة لمساراً والعذاب أي الجميع من السادة والاتباع كل ندم على ما ساف منه وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم هل

يزنون الاما كانوا يعملون أي انما يجازيكم باعمالكم كل بحسبه للتأديب بحسبهم وللاستيعاب بحسبهم قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون قال ابن أبي حاتم حدثنا ابى حدثنا فروة بن ابى المغراء حدثنا محمد بن سليمان بن الاصهاني عن ابى سنان ضرار بن صرد عن عبد الله بن ابى الهذيل عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جهنم لما سبق اليها أهلها تلقاهم لها بها ثم لفتهم ثم لفتهم فلم يسبق لحم الاستقط على العرقوب وحدثنا ابى حدثنا جند بن ابى الحوارى حدثنا الطيب ابى الحسن عن الحسن بن ابى يحيى الخشنى قال ما فى جهنم دار (١٧٠) ولا مغار ولا غل ولا قية - ولا سلسله الا اسم صاحبها عليها مكتوب قال

أى حذر أن تقول وقال الكوفيون أى لئلا تقول قال المبريد بادرا وخوف أن تقول أو حذر من أن تقول وقدره الزمخشري كراهة أن تقول وابن عطية وأنيب وامن أجل أن تقول وأبو البقاء والحوافى أنزناكم مخافة أن تقول قال الحلبي عقب نقل بعض هذه التقادير ولا حاجة الى اضمار هذا العامل مع وجود أنيبوا ونكر نفس لان المراد به بعض النفوس وهى النفس الكافرة المتميزة بالبعاج الشديد في الكفر أو بالاعذاب الاليم وقيل المراد به التكثير كما في قوله علمت نفس ما أحضرت أى نفوس كثيرة وهم الكفار والعصاة المؤمنون وقال الزجاج خوف أن تصير والى حال تقولون فيها (يا حسرتى) قرأ الجمهور يا حسرتا بالالف بدل من الياء المضاف اليها وقرأ ابن كثير يا حسرتا بهاء السكت وقفا وقرأ أبو جعفر يا حسرتى بالياء على الاصل والحسرة الندامة والاعتظام والحزن على ما فات (على ما فرطت) أى على تفريطى وتقصيرى فاصدرية (فى جنب الله) أى طاعته قاله الحسن والجنب والجانب كلاهما بمعنى جهة الشئ المحسوسة واطلاق الجنب على الطاعة مجاز بالاستعارة حيث شبهت بالجهة بجماع تعلق كل بصاحبه فالطاعة لها تعلق بالله كما ان الجهة لها تعلق بصاحبها وقال الضحالك في ذكر الله وبمعنى به القرآن والعمل به وقال أبو عبيدة فى ثواب الله وقيل فى حق الله أو فى أمر الله أو فى ذات الله وقال الفراء الجنب القرب والجوارى فى قرب الله وجواره ومنه قوله والناس بالجنب والمعنى على هذا القول على ما فرطت فى طلب جواره وقربه وهو الجنة به قال ابن الاعرابى وقال الزجاج أى فى الطريق الذى هو طريق الله من توحيده والاقرار بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى هذا فالجنب بمعنى الجانب أى قصر فى الجانب الذى يؤدى الى رضا الله يقال انا فى جنب فلان وفلان لى الجانب والجنب ثم قالوا فرطت فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه وهذا من باب الكناية قال ابن عباس فى الآية أخبر الله ما العباد قالون قبل أن يقولوا وعلمهم قبل ان يعلموا (وان كنت لمن الساخرين) أى وما كنت الامن المستهزئين بدين الله فى الدنيا وكتابيه ورسوله وبالؤمنين قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخروا منها وأهلها والجملة حالية أى فرطت وأنا ساخر (أو تقولون ان الله هدى لنا لى كنت من المتقين) أى لو ان الله أرسلنى الى دينه لى كنت من يتقى الشرك والمعاصى وهذا من جملة ما يمجته به المشركون من الحجج الزائفة ويتعللون به من العلال

فدنته أباسليمان يعنى الداراني رحمة الله عليه فبى ثم قال ويحك فكيف به لوجع هذا كله عليه فجعل القيد فى رجله والغل فى يديه والسلسله فى عنقه ثم أدخل النار وأدخل المغار اللهم سلم (وما أرسلنا فى قرينة من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثرا أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا اولادكم بائى تقر بكم عندنا لى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون والذين يسعون فى آياتنا معاجزين اولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) يقول تعالى مسليما لى صلى الله عليه وسلم وأمره بالاتباعى بين قبله من الرسل ومخبره بأنه ما بعث نبيا فى قرية الا كذبه مترفوها واتبعه ضعفا وهم كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام أنؤمن لك واتبعك

الارذلون ومازلنا اتبعن الا الذين هم أراذلنا بآدى الراى وقال الكبراء من قوم صالح للذين استضعفوا من آمن منهم الباطلة أتعملون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون وقال عز وجل وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وقال تعالى وكذلك جعلنا فى كل قرية بآة كبر مجرمها ليكروا فيها وقال جل وعلا واذ أوردنا نوحا لث قرية أمرنا مترفوها ففوتوا بها حتى علم بالباطل ففوتوا بها فغمرناهم بغمرناهم وأرسلنا نوحا فى قرية من نذير أى نبى أو رسول الا قال مترفوها وهم أولوا الزعمه والحشمة والثروة والراية قال قتادة هم

سبب برتهم وقادتهم ورويتهم في الشر انما ارسلتم به كافرين أي لانؤمن به ولا يتبعه قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا
هرون بن اسحق حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال كان رجلا من شريكان خرج أحدهما الى
الساحل وبنى الآخر فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى صاحبه يسأله ما فعل فكذب اليه انه لم يتبعه أحد من قريش انما
اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال داني عليه قال وكان يقرأ الكتب وبعض الكتب قال فأتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال الام تدعوه فقال ادعوا الى كذا وكذا قال أشهد (١٧١) انك رسول الله قال صلى الله عليه وسلم

وما علمت بذلك قال انه لم يبعث نبي
الاتبعه رذالة الناس ومساكينهم
قال فذرات هذه الآية وما أرسلنا
في قرية من نذير الا قال مترفوها انما
بما ارسلتم به كافرين الآية قال
فأرسل اليه النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل قد أنزل تصديق
ما قلت وهكذا قال هرقل لأبي
سفيان حين سأله عن تلك المسائل
قال فيها وسألتك عن اضعاف الناس
اتبعوا ما شر افهم فزعمت بل ضعافهم
وهم اتباع الرسل وقوله تبارك
وتعالى اخبارا عن المترفين المكذبين
وقالوا نحن أن أكثر أموالا واولادا
وما نحن بمعذبين أي افتخروا بكثرة
الاموال والاولاد واعتقدوا ان ذلك
دليل على محبة الله تعالى لهم
واعتسأ بهم وهم وانما كان ليعطيهم
هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة
وهيات لهم ذلك قال الله تعالى
أحسبون اننا نخدهم به من مال
ربنا نساوع لهم في الخيرات بل
لا يشعرون وقال تبارك وتعالى فلا
تعجبك أموالهم ولا اولادهم انما
يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا
وتذوق أنفسهم وهم كافرين وقال

الباطلة كما في قوله سبحانه قول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركوا ولا آباؤنا فهي كلمة حق
يريدون بها باطلا قال أبو المنصور هذا الكفر أعرف به دابة الله من المعتزلة وكذا أولئك
الكفرة الذين قالوا الاتباع هم لوهده انا الله لهدينا كم ولو لم يكن علم منا اختيار الضلالة
والغواية لخذلنا ولم يوفقنا والمعتزلة يقولون بل هداهم وأعوانهم التوفيق لكنهم لم يتدوا
ثم ذكر سبحانه مقالة أخرى مما قالوه فقال (أو تقول حين ترى العذاب) والتعبير
بأولدلالة على ان النفس لا تخلو عن هذه الاقوال تحسرت وتجبر وتعلم بالاطائل تحتها
فأول التنوع لما تقوله النفس في ذلك اليوم ويصح أن تكون مانعة خلقه فتجوز الجمع (لوان
لى كرامة) أى رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) المؤمنين بالله الموحدين له المحسنين في
أعمالهم ثم ذكر سبحانه جوابه على هذه النفس المتعينة المتعالة بغيره فقال (بلى) أى
فيقال له من قبل الله بلى الخ كانه قال ما هداني الله فيقال بلى (قد جاءتك آياتي) مرشدة
للك والمراد بالآيات هي الآيات التنزيلية وهو القرآن (فكذبت بها) وهو قوله انما ليست
من عند الله (واستكبرت) أى تكبرت عن الايمان بها (وكنت) مع ذلك التكذيب
والاستكبار (من الكافرين) بالله وجاء سبحانه بخطاب المذكر في قوله جاءتك وكذبت
واستكبرت وكنت لان النفس تطلق على المذكر والمؤنث قال المبردة قول العرب نفس
واحد أى انسان واحد والتذكير باعتبار كونها شخصا كافرأ قرأ الجمهور بفتح التاء في
هذه المواضع وقرئ بكسر هاءى جميعها وهى قراءة أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضى
الله تعالى عنه وبنته عائشة وأم سلمة ورويت عن ابن كثير (ويوم القيامة ترى الذين
كذبوا على الله) بان له شريكا وصاحبة وولدا (وجوههم مسودة) لما أحاط بهم من العذاب
ولما شاهدوه من غضب الله ونقمته والجملة في محل النصب على الحال قال الاخفش ترى
غير عامل في وجوههم مسودة انما هو مبتدأ وخبر والاولى ان ترى ان كانت من الرؤية
البصرية فجملة وجوههم مسودة حالية وان كانت قلبية فهى مفعول ثان ترى (الليس
في جهنم منوى للمتكبرين) الاستهنام لتقرير اسوداد وجوههم وتعليل له كانه قال لان
لهم في جهنم مقرا ومقاما والكبر هو بطر الحق وغمط الناس كما ثبت في الحديث الصحيح
(ويغبي الله الذين اتقوا) الشرك ومعاصي الله من جهنم متلبسين (بعضازتهم) أى بمكان

عز وجل ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا وهدت له تمهيدا ثم يطعم ان أزيد كانه كان لا يتاعنا عندما
سأرهبه صعودا وقد أخبر الله عز وجل عن صاحب تينك الجنتين انه كان ذاملا وغرو ولد ثم لم يعن عنه شيأ بل سلبه ذلك كله في الدنيا
قبل الآخرة ولهذا قال عز وجل ههنا قل ان ربى ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر أى يعطى المال لمن يحب ومن لا يحب فيفقرو من يشاء
ويغنى من يشاء وله الحكمة التامة البالغة والحجة القاطعة الدامغة ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم قال تعالى وما أموالكم ولا
أولادكم بالتي تقرنكم عندنا لى أى ليست هذه دليلا على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا كثير حدثنا

جعفر حدثنا يزيد بن الاصم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم
 وأموالكم ولكن انما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ورواه مسلم وابن ماجه من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به ولهذا
 قال الله تعالى الامن آمن وعمل صالحا أي انما يقربكم عندنا زني الايمان والعمل الصالح فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا أي
 تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها الى سبع مائة ضعف وهم في الغرفات آمنون أي في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس
 وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه قال (١٧٢) ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن ابى المغراء الكندي حدثنا القاسم

وعلى بن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي قال صلى الله عليه وسلم لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام والذين يسعون في آياتنا معاجزين أي يسعون في الصدق سبيل الله واتباع رسوله والتصديق بآياته فأولئك في العذاب محضرون أي جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها بحسبهم وقوله تعالى قل ان ربي ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له أي بحسب ماله في ذلك من الحكمة ييسر على هذامن المال كثيرا ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جدا وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره كما قال تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا أفقر مدقع وهذا أغنى موسع عليه فكذلك هم في الآخرة هكذا

فوزهم من الجنة بان يجعلوا فيه قرأ الجهور وبالافراد على انه مصدر ميمي والفوز الظفر بالخير والنجاة من الشر قال المبرد المفاضة مفعلة من الفوز وهو السعادة وان جمع فخر حسن كقولك السعادة والسعادات والمعنى يصيهم الله بفوزهم أي بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة وقرئ بمنازاتهم جمع مفازة وجمعها مع كونها مصدر الاختلاف الانواع وقيل ثم مضاف محذوف والتقدير بدو أي مفازاتهم وأباسبها والمفاضة المنجاة وقيل لاحاجة لذلك اذا المراد بالمفاضة الفلاح وجملة (لا يمسمهم سوء ولا هم يحزنون) مفسرة لمفازتهم كانه قيل ومافازتهم فقيل لا يمسمهم الخ أومنصوبة على الحال من الذين اتقوا وقيل الباء للسببية أي بسبب فوزهم مع انتفاء ساس السوء لهم وعدم وصول الحزن الى قلوبهم لانهم رضوا بنواب الله وأمنوا من عقابه (الله خالق كل شيء) من الاشياء الموجودة في الدنيا والآخرة كأنما كان من غير فرق بين شيء وشيء وفيه رد على المعتزلة والنسوية (وهو على كل شيء وكيل) أي الاشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها وتدبيرها من غير مشارك له (له مقاليد السموات والارض) جملة مستأنفة والمقاليد اواحد ما قبله ومقلاد أولا واواحد له من لفظه كاساطيرو يقال أيضا اقليدوا وأقاليدوا والكلمة أصلها فارسية على ما قيل انه جمع اقليد معربا كليلد والكلام من باب الكناية لان حافظ الخزان ومدبرها هو الذي يملك مفاتيحها فهو كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء مخزون في السموات أو في الارض والجل على الظاهر أولى وهي هنا مفاتيح الرزق والرحمة فاه مقاتل وقتادة وغيرهما قال ابن عباس أي مفاتيحها وقال الليث المقلاد الخزانة ومعنى الآية خزانة السموات والارض وبه قال الضحاك والسدي وقيل خزانة السموات المطر وخزانة الارض التبات وقيل هي عبارة عن قدرته سبحانه وحفظه لها والاول أولى قال الجوهري الاقليد المفتاح ثم قال والجمع المقاليد وقيل هي لاله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأسغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله وأخرج أبو يعلى ويوسف القاضي في سننه وأبو الحسن القطان وابن السني وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان قال سألت رسوا الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله له مقاليد السموات والارض فقال لي يا عثمان لقد سألتني عن مسئلة لم يسألني عنها أحد قبلك مقاليد السموات والارض لاله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وأسستغفر الله الذي لا اله الا هو

في الغرفات في اعلى الدرجات وهذا في الغمرات في اسفل الدرجات وأطيب الناس في الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم الاول قد أفلح من اسلم ورزق كفافا وقعه الله بما آناه رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقوله تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه أي مهما انفقتم من شيء فيما امركم به وابعه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث يقول الله تعالى انفق انفق عليك وفي الحديث ان ملكين يصحان كل يوم يقول احدهما اللهم أعط مسكنا فلما يقول الآخر اللهم أعط منقحا فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفق بلالا ولا تحش من ذي العرش اقلالا وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبي عن يزيد بن عبد العزيز الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حديفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض الموسر على ما في يده حذار الاتفاق ثم تلا هذه الآية وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا روح بن حاتم حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حديفة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض بعض الموسر على ما في يده حذار الاتفاق قال الله تعالى وما أنفقتم (١٧٣) من شيء فهو يخلفه وهو خير الرزقين

وفي الحديث شرار الناس يباعدون كل مضطر ألا إن بيع المضطرين حرام ألا إن بيع المضطرين حرام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله إن كان عندك معروف فعدبه على أخيك والأفلاتر دهلا كالألى هلاكة هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي أسناده ضعف وقال سفيان الثوري عن أبي يونس الحسن بن يزيد قال قال مجاهد لا يتأولن أحدكم هذه الآية وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه إذا كان عند أحدكم

الاول والآخرو الظاهر والباطن يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ثم ذكر فضل هذه الكلمات وله طرق عن عثمان وقيل غير ذلك والمعنى على هذا ان الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها أصابه (والذين كفروا بآيات الله) أى بالقرآن وسائر الآيات الدالة على الله سبحانه وتوحيده أولئك هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران لانهم صاروا بهم هذا الكفر الى النار متصل بقوله وينبئ الله الخ أى معطوف عليه وما بينهما اعتراض وان كان المعطوف جملة اسمية والمعطوف عليه جملة فعلية فهذا لا يمنع صحة العطف غايته انه حال عن حسنه (قل أفغير الله تأمرونى أن أعبد أمها الجاهلون) الاستفهام لانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر كظن تأمره والاصل أفأمرونى أى بعد مشاهدة الآيات الدالة على انفرادة وتوحيده أن أعبد غير الله قاله الكسائى وغيره وقيل أفأمرونى بعبادة غير الله أو أعبد غير الله امره الله سبحانه أن يقول هذا الكفار لما دعوه الى ما هم عليه من عبادة الأصنام وقالوا هو دين آباءك وعن ابن عباس ان قريش ادعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطوه ما لا فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء ويطون عقبه فقالوا له هذا لك يا محمد وتكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء قال حتى أنظر ما يأتينى من ربي فجاء بالوحي قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة وأنزل الله عليه قل أفغير الله تأمرونى الى قوله من الخاسرين (واقدم هذه اللام دالة على قسم مقدر رأى والله لقد) أوحى اليك والى الذين من قبلك من الرسل (لئن) جواب القسم وهذه اللام أيضا دالة على قسم مقدر رأى والله لئن (أشركت) يا محمد رضا (يجبطن عملك وتكونن من الخاسرين) وكل من هاتين اللامين واقعة فى جواب القسم الثانى والثانى وجوابه جواب الاول وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وهذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل لان الله سبحانه قد عصههم عن الشرك ووجه ايراده على هذا الوجه التحذير والانداز للعباد من الشرك لانه اذا كان موجبا لاجباط عمل الانبياء على الفرض والتقدير فهو محبط لعمل غيرهم من أمهم بطريق الاولى فيسئل وفى الكلام تقديم وتأخير والتقدير واقدم أوحى اليك لئن أشركت الخ وأوحى الى الذين من

ما يقبىه فليقمه فيه فان الرزق مقسوم (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء آياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون قال يوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا وتقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بهم تكذبون) يخبر تعالى انه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون انهم يعبدون الابدال التى هى على صورهم ليقربوهم الى الله زلفى فيقول للملائكة أهؤلاء آياكم كانوا يعبدون اى انتم امرتم هؤلاء بعبادتهم كما قال تعالى فى سورة الفرقان أنتم اضلتم عبادى هؤلاء هم ضلوا السبيل وكما يقول لعيسى عليه الصلاة والسلام أنت قلت للناس اتخذونى وأبى الهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق وهكذا تقول الملائكة سبحانه اى تعاليت وتقدست عن ان يكون معك اله انت ولينا من دونهم اى نحن عبدة ونبرأ اليك من هؤلاء بل كانوا يعبدون الجن يعنون الشياطين لانهم هم الذين زينوا لهم عبادة الاوثان وأضلواهم أكثرهم بهم مؤمنون كما قال تبارك وتعالى ان يدعون من دونه الا انا وانا نودعون الا شيطانا نمر يد العنه الله قال الله عز وجل قال يوم لا يملك

بعضكم لبعض نفعاً ولا ضرراً أي لا يقع لكم نفع من كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان التي ادخرتم عبادتها لشدة إيمانكم
 وركبكم اليوم لا يعلو عليكم نفعاً ولا ضرراً ونقول للذين ظلموا وهم المشركون ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون أي يقال لهم
 ذلك تقر بعاقوبتكم (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباءكم وقالوا ما هذا إلا افك
 منترى وقال الذين كفروا للعق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب
 الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم (١٧٤) فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير) يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون

منه العقوبة والأليم من العذاب
 لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته
 بينات يسعونها غصصة طريفة من
 لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
 قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم
 عما كان يعبد آباءكم يعنون أن
 دين آباؤهم هو الحق وإن ما جاءهم به
 الرسول عندهم باطل عليهم وعلى
 آباؤهم لعائن الله تعالى وقالوا
 ما هذا إلا افك منترى يعنون القرآن
 وقال الذين كفروا للعق لما جاءهم
 إن هذا إلا سحر مبين قال الله تعالى
 وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما
 أرسلنا اليهم قبلك من نذير أي ما أنزل
 الله على العرب من كتاب قبل القرآن
 وما أرسل اليهم نبيا قبل محمد صلى
 الله عليه وسلم وقد كانوا يودون ذلك
 ويقولون لوجاءنا نذيراً أو أنزل علينا
 كتاب لكننا أهدى من غيرنا فلما من
 الله عليهم بذلك كذبوه وبجدوه
 وعاندوه ثم قال تعالى وكذب الذين
 من قبلهم أي من الأمم وما بلغوا
 معشار ما آتيناهم قال ابن عباس
 رضي الله عنهما أي من القوة في
 الدنيا وكذا قال قتادة والسدي وابن
 زيد كما قال تعالى ولقد مكاهم فيما

قبلك كذلك قال مقاتل أي أوحى اليك وإلى الأنبياء قبلك بالتوحيد والتوحيد محذوف
 ثم قال لئن أشركت يا محمد ليجعلن عملك وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة
 وقيل أفراد الخطاب في لئن أشركت باعتبار كل واحد من الأنبياء كأنه قيل أوحى اليك
 وإلى كل واحد من الأنبياء هذا الكلام لئن أشركت وهذه الآية مقيدة بالموت على
 الشرك كما في الآية الأخرى ومن يرتدد منكم عن دينه فبئس ما كافر فأولئك حبطت
 أعمالهم وقيل هذا خاص بالأنبياء لأن الشرك منهم أعظم ذنباً من الشرك من غيرهم
 والاول أولى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتوحيده فقال (بل الله
 فاعبد) وفيه ما ذار على المشركين حيث أمر به بعبادة الأصنام ووجه الرد ما يفيد
 التقديم من القصر قال الزجاج لفظ اسم الله منصوب بأعبد قال ولا اختلاف في هذا بين
 البصريين والكوفيين وقال الفراء هو منصوب بأعبد فعل وعن الكسائي مثله والاول
 أولى قال الزجاج والنه في فاعبد للمجازاة وقال الاخفش زائدة قال عطاء ومقاتل معنى
 فاعبد وحده أن عبادة لا تصح إلا بتوحيده (وكن من الشاكرين) لانعامه عليك بما
 هداك اليه من التوحيد والدعاء إلى دينه واختصك به من الرسالة (وما قدروا الله حق
 قدره) أي ما عرفوه حق معرفته وقال المبرد أي ما عظموه وحق عظمته حين أشركوا به
 غيره من قولك فلان عظيم القدر وإنما وصفهم بهذا لانهم عبدوا غير الله وأمروا رسوله
 بأن يكون مثلهم في الشرك وقروا بالتشديد (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة)
 القبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفه فأخبر سبحانه عن عظيم قدرته بأن الارض
 كلها مع عظمته وكثافتها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكنهه كما يقولون
 هو في يد فلان وفي قبضته للشيء الذي يهون عليه التصرف فيه وإن لم يقبض عليه والمراد
 بالارض الارضون السبع يشهد لذلك قوله جميعاً وقوله الآتي والسموات لأن هذا
 التأكيدي لا يحمس من ادخاله الاعلى الجمع ولأن الموضوع موضع تعظيم فهو مقتض للمبالغة
 والمعنى الارضون جميعاً ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة وقدم الارض على السموات
 لما شرتهما ومعرفة بحقيقتها أخرج البصاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال جاء
 خبر من الاحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد اننا نجد أن الله يحمل
 السموات يوم القيامة على أصبع والشجر على أصبع والماء والترى على أصبع وسائر

إن مكأكم فيه وبعناهم بمعناوا بصاروا فاقدمه فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا أفئدهم من شيء إذ كانوا الخلق

يجعدون بآيات الله وحقبهم ما كانوا به يستهزؤون فلم يسيروا في الارض فيمنظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم
 واشد قوة أي وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده بل دمر الله عليهم كما كذبوا رسوله ولهذا قال فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير أي
 فكيف كان عقابي ونكالي وانتصاري لرسلي (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا ما باصباحكم من جنة
 إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الراعنين أنك مجنون وإنما أعظكم بواحدة

أى إمام أمركم بواحدة وهي ان تقوموا لله منى وفرادى ثم تتفكروا ما يصحبكم من جنه أى تقوموا قياما خالما لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فبإسأل بعضكم بعضا هل محمد من مجنون فينصح بعضكم بعضا ثم تتفكروا أى ينظر الرجل لنفسه فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه ان أشكل عليه ويتفكر فى ذلك ولهذا قال تعالى ان تقوموا لله منى وفرادى ثم تتفكروا ما يصحبكم من جنه هذا معنى ما ذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدى وقتادة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية فأما الحديث الذى رواه ابن أبى حاتم حدثنا ابى حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة (١٧٥) بن خالد حدثنا عثمان بن أبى الهاتكة

عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أعطيت ثلاثا لم يعطهن أحد من قبلى ولا خيرا حلت لى القنائم ولم تحل لى قبلى كانوا قبلى يجمعون غنائهم فيخرجونها ويعنت الى كل أحر وأسود وكان كل نبي يعث الى قومه خاصة وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا أتم بالصعيد وأصلى فيها حيث أدركتني الصلاة قال الله تعالى ان تقوموا لله منى وفرادا وأعنت بالرب مسيرة شهر بين يدي فهو حديث ضعيف الاسناد وتفسير الآية بالقيام فى الصلاة فى جماعة وفرادى بعيد وأعله مقم في الحديث من بعض الرواة فان أصله ثابت فى الصحاح وغيرها والله أعلم وقوله تعالى ان هو الا نذير لىكم بين يدي عذاب شديد قال البخارى عندها حدثنا على بن عبد الله حدثنا محمد بن حازم حدثنا الاعشى عن عمر بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصناديق يوم فقال

الحق على أصبع ثم هزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه تصدقا قول الخبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة وانما خص يوم القيامة بالذكر وان كانت قدرته عامة وشاملة لدار الدنيا أيضا لان دعاوى تمقطع فى ذلك اليوم كما قال والامر يومئذ لله وقال مالك يوم الدين ولذلك قال فى الحديث ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض (والسماوات مطويات بيمينه) ذكر اليمين للبالغسة فى كمال القدرة كما يطوى الواحد منا الشئ المقدر له طيه بيمينه والى ضد النشرو اليمين فى كلام العرب قد يكون بمعنى القدرة والملك قال الاخفش بيمينه يقول فى قدرته نحو قوله أوما لك أيمانكم أى ما كانت لىكم قدرة عليه وائس الملك لليمين دون الشمال وسائر الجسد ومنه قوله سبحانه لاخذنا منه باليمين أى بالقوة والقدرة وليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب وانما المراد بذلك النساء والذهب يقال قد انطوى عناما كافيها وجاءه باغيره وانطوى عنها وهو معنى المضى والذهب قال الخازن اليمين ليس عندنا بمعنى الخارحة وانما هى صفة جاء بها التوقيف فحين نطقها على ما جاءت ولا تكيفها وانتهى الى حيث انتهى بنا الكتاب والاختبار الماثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة قال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت منه انتهى ومعنى الآية ما عظموه حق تعظيمه والحال انه متصف بهذه الصفة الدالة على كمال القدرة والمقصود الاشارة الى ان المتولى لابقاء السموات والارض فى هذه الدار هو المتولى لتخريمها يوم القيامة وذلك يدل على قدرته التامة على الاجادة والاعدام وانتهى على الاطلاق فانه اذا حاول تخريب الارض يقبضها وينزلها وتخريب السموات يجب معها كالسجل المطوى أخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المنكبرون أين ملوك الارض أخرجه الشيخان وفى الباب أحاديث وآثار تقتضى حمل الآية على ظاهرها من دون تكلف لتأويل ولا تعسف بقال وقيل ثم نزه سبحانه نفسه فقال (سبحانه وتعالى عما

ياصباحا فاجمعت اليه قريش فقالوا مالك فقال أرايت لو أخبرتكم ان العدو يصحبكم أو يسبكم اما كنتم تصدقونى قالوا بلى قال صلى الله عليه وسلم فاني نذير لىكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك ألهذا جعنا فنزل الله عز وجل تبى اى لهب وتب وقد تقدم عند قوله تعالى وانذر عشيرتلك الاقربين وقال الامام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا شيبان بن المهاجر حدثنى عبد الله بن بريدة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوما فنادى ثلاث مرات فقال أيها الناس تدررون ما مثل ومثلكم قالوا الله تعالى ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم انما مثلى ومثلكم مثل قوم خافوا عذوبا أتيتهم فبعثوا رجلا

بتراى لهم هينما هو كذلك أبصر العدو قائلين درهم وخشى أن يدرکہ العدو قبل ان يندرقومه فاهوى بشوبه آيها الناس أو يتيم
 أيها الناس أو يتيم ثلاث مرات وبهذا الاسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة جميعا ان كادت لتسبقني
 تفرد به الامام احمد في مسنده (قل ما سألتكم من اجر فهو لکم ان اجرى الاعلى الله وهو على كل شى شهيد قل ان ربى يقذف
 بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فاعلم ان ضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحى الى ربى
 انه سمیع قريب) يقول تعالى أمر رسوله صلى الله (١٧٦) عليه وسلم ان يقول للمشركين ما سألتكم من اجر فهو لکم ای

لا اريد منكم جعلا ولا عطاء على
 اداء رساله الله عز وجل اليكم ونصحي
 اياكم وأمرکم بعبادة الله ان اجرى
 الاعلى الله ای انما اطلب ثواب ذلك
 من عند الله وهو على كل شى شهيد
 ای عالم بجميع الامور بما ناعلمه
 من اخبارى عنه بارساله اياى اليكم
 وما انتم عليه وقوله عز وجل قل
 ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب
 كقوله تعالى يلقى الروح من امره
 على من يشاء من عباده ای يرسل
 الملك الى من يشاء من عباده من
 اهل الارض وهو علام الغيوب فلا
 يخفى عليه خافية فى السموات ولا فى
 الارض وقوله تبارك وتعالى قل
 جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد
 ای جاء الحق من الله والشرع العظيم
 وذهب الباطل وزهق واضمحل
 كقوله تعالى بل نقذف بالحق على
 الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق
 ولهذا ما دخل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح
 ووجد تلك الاصنام منصوبة حول
 الكعبة جعل يطعن الصنم منها
 بسية قوسه ويقرأ أو قل جاء الحق
 وزهق الباطل ان الباطل كان

يشركون) به من المعبودات التي يجعلونها شركا له مع هذه القدرة العظيمة والحكمة
 الباهرة (ونفتح في الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض) هذه هى النفخة الاولى
 والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وقد تقدم غير مرة وقد قيل انه يكون معه
 جبريل لحديث أنى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان صاحب
 الصور يايدهم - ما أوفى أيديهم ما قرنان يلاحظان النظر حتى يؤمران أخرجه ابن ماجه وفى
 أبى داود عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الصور وقال عن عينه
 جبريل وعن يساره ميكائيل ذكره القرطبي ومعنى صعق زالت عقولهم فخرأ وغشيا عليهم
 وقيل ما نوا قال الواحدى قال المفسرون مات من الفزع وشدة الصوت أهل السموات
 والارض قرأ الجهور الصور بسكون الواو وقرئ يفتحها جمع صورة (الامن شاء الله)
 والاستثناء متصل والمستثنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل رضوان
 وجملة العرش وخزنة الجنة والحوار العين والنار وقيل البارئ تعالى وحده قاله الحسن وفيه
 نظر من حيث قوله من فى السموات ومن فى الارض فانه لا يتجزى فعلى - هذا يتعين ان يكون
 منتقعا وقيل الزبانية وقيل عقارب أهل النار وحياتهم أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن
 أبى هريرة قال قال رجل من اليهود بسوق المدينة الذى اصطفى موسى على البشر فرفع
 رجل من الانصار يده فلامه وقال أنقول هذا وفيما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال قال الله ونفتح فى الصور الى قوله
 ينظرون فأكون أول من يرفع رأسه فاذا ناعوسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى
 أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى قوله الا
 من شاء الله قال هم الشهداء المتقدون أسيا فمهم حول عرشه تلقاهم الملائكة يوم القيامة
 الحديث أخرجه أبو يعلى والدارقطنى فى الافراد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن
 مردويه والبيهقى فى البعث وأخرجه سعيد بن منصور وعبد بن حميد من قول أبى هريرة
 وعن أنس انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله الامن شاء الله فقال جبريل
 وميكائيل وملك الموت واسرافيل وجملة العرش أخرجه الفريابي وابن جرير وأبو نصر
 السجزي فى الابانة وابن مردويه وأخرج ابن المنذر عن جابر قال هو موسى لانه كان صعق
 قبل وههنا اشكال وأورده بعض السلف وهو أن نص القرآن يدل على ان هذا الاستثناء

زهو قائل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وحده عند هذه

الآية كلهم من حديث الثورى عن ابن ابى نجیح عن مجاهد عن ابى معمر عبد الله بن بصيرة عن ابن مسعود رضى الله عنه به ای لم
 يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة وزعم قتادة والسدى ان المراد بالباطل ههنا ابليس ای انه لا يخلق احدا ولا يعيده ولا يقدر
 على ذلك وهذا وان كان حقا ولكن ليس هو المراد ههنا والله اعلم وقوله تبارك وتعالى قل ان ضللت فاعلم ان ضل على نفسي وان
 اهتديت فبما يوحى الى ربى ای الخير كماه من عند الله وفيما انزل الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد

ومن ضل فأنما يضل من تلقاء نفسه كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما سئل عن تلك المسئلة في المنقوضة أقول فيها برأي فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمن ومن الشيطان والله ورسوله بريان منه وقوله تعالى انه سميع قريب اى سميع لا اقوال عباده قريب يجب دعوة الداعي اذا دعاه وقد روى النسائي ههنا حديث ابي موسى الذي في الصحيجين انكم لا تدعون أصم ولا غابا انما تدعون سميعا قريبا جيبا (ولوترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمننا به واتى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفر وابه من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين (١٧٧) ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا

في شك مرئيب) يقول تبارك وتعالى ولوترى يا محمد اذ فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة فلا فوت اى فلا مفتر لهم ولا وزر لهم ولا ملجأ وأخذوا من مكان قريب اى لم يمكنوا ان يتنعوا من الهرب بل أخذوا من أول وهلة قال الحسن البصرى حين خرجوا من قبورهم وقال مجاهد وعطية العوفى وقتادة من تحت أقدامهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك يعنى عذابهم في الدنيا وقال عبد الرحمن ابن زيد يعنى قتلهم يوم بدر والصحيح ان المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى وان كان ما ذكر متصل بذلك وحكى ابن جرير عن بعضهم قال ان المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بنى العباس رضى الله عنهم ثم أورد في ذلك حديثا موضوعا بالكوفة ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب منه وقالوا آمننا به اى يوم القيامة يقولون آمننا بالله وملائكته وكتبه ورسله كما قال تعالى ولوترى اذا همجرون ناكس رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا

بعد نفخة الصعق وهى النفخة الاولى التى مات فيها من بقى على وجه الارض والحديث المتقدم يدل على انها نفخة البعث وما قبل انه يحتمل ان موسى عن لم يمت من الانبياء باطل لصحة موته وقال القاضي عياض يحتمل أن تكون هذه صعقة فزع بعد التشرحين تنشق الارض والسموات فتوافق الآيات والاحاديث قال القرطبي ويرده ما مر في الحديث من أن خدم موسى بقائمة العرش فانه انما هو عند نفخة البعث وايضا تكون النفخات اربعا ولم يتفقه الثقات قال الشهاب فن جل الصعق على غشى يكون من نفخة بعد نفخة البعث للارهاب والارعاب فكلامه مردود بما عرفت ومن الغريب ان بعضهم جعلها بحديث ابي هريرة خمساً وقد سمي عن ابن زاذى الطنبور نفخة ولم نسمع عن زاذى الصور نفخة قال القرطبي والذي يزعم الاشكال ما قاله بعض مشايخنا ان الموت ليس بعدم محض بالنسبة الى الانبياء والشهداء فانهم موجودون احياء وان لم نرهم فاذا نفخت نفخة الصعق صعق كل من فى السموات والارض وصعق غير الانبياء موت وصعقتهم غشى فاذا كانت نفخة البعث حى من مات وأفاق من غشى علمه ولذا وقع فى الصحيجين فاكون أول من يفيق والاحاديث الواردة فى كينونة تفخ الصور كثيرة وقد ذكر سليمان الجلى فى هذا المقام عن ابن الوردى وغيره ما جاء فى صورة الصور وهينته وتعداد نفخاته ولا تعلق له بالتفسير (ثم تفخ فيه) نفخة (اخرى فاذا هم) يعنى الخلق كاهم (قيام) على أرجلهم (يتظرون) ما يقال لهم أو ينتظرون ذلك والاستثناء ملاحظ فى هذا ايضا لان من لم يمت كالخوارج فلا يقال له ذلك عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال أبو هريرة أبيت قالوا اربعون شهرا قال أبيت قالوا اربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله عز وجل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شئ الا يبلى الا اعظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة أخرجه الشيخان وذلك الآية على ان النفخة اثنتان الاولى للموت والثانية للبعث والجمهور على انها ثلاث الاولى للفزع كما قال ونفخ فى الصور ففزع والثانية للموت والثالثة للاعادة (واشرق الارض) الاشراق الاضاءة يقال أشرقت الشمس اذا أضاءت وشرقت اذا طلعت وأراد بالارض عرصات القيامة اى الارض الجديدة التى يوجد بها الله فى ذلك الوقت ليحشر الناس عليها وليس المراد بها ارض الدنيا (بنورجها) اى يعدل رجاها قاله

(٢٣ فتح البيان ثامن) نعمل صالحا انما موقنون ولهذا قال تعالى واتى لهم التناوش من مكان بعيد اى وكيف لهم تعاطى الايمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا الى الدار الآخرة وهى دار الجزاء لا دار الابتلاء فلو كانوا آمنوا فى الدنيا لكان ذلك نافعهم ولكن بعد مصيرهم الى الدار الآخرة لا سبيل لهم الى قبول الايمان كما لا سبيل الى حصول الشئ لمن يتناوله من بعيد قال مجاهد واتى لهم التناوش قال التناول لذلك وقال الزهرى التناوش تناولهم الايمان وهم فى الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا وقال الحسن البصرى لما انهم طلبوا الامر من حيث لا يتناول الايمان من مكان بعيد وقال ابن عباس رضى الله عنهما طلبوا

الرجعة الى الدنيا والتوبة مما هم فيه وليس يحين رجعة ولا توبة وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله وقوله تعالى وقد كفر اياه من قبل أي كيف يحصل لهم الايمان في الآخرة وقد كثروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال مالك عن زيد بن أسلم ويقذفون بالغيب قال بالظن قات كما قال تعالى رجبا بالغيب فتارة يقولون شاعروا تارة يقولون كاهن وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون الى غير ذلك من الاقوال الباطلة ويكذبون بالبعث والنشور والمعاد ويقولون ان نفلن الاظنا وما نحن بمستقينين قال قتادة ومجاهد (١٧٨) يرجون بالظن لا بعث ولاجنة ولا نار وقوله تعالى وحيل بينهم وبين

ما يشتهون قال الحسن البصري والضحاك وغيرهما يعني الايمان وقال السدي وحيل بينهم وبين ما يشتهون وهي التوبة وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله وقال مجاهد وحيل بينهم وبين ما يشتهون من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل وروى نحوه عن ابن عمر وابن عباس والربيع بن أنس رضي الله عنهم وهو قول البخاري وجماعة والصحيح انه لا منافاة بين انقولين فانه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما يطلبوه في الدنيا فاعتصموا منه وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا أثرًا غريبًا عجيبًا جدا فلنذكره بطوله فانه قال حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر ابن حجر الشامي حدثنا علي بن منصور الابباري عن الرقي بن قطامي عن سعيد بن طرفة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون الى آخر الآية قال كان رجل من بني اسرائيل فاتحنا ان فتح الله تعالى له مالا فبات فورثه ابن له تافه اى فاسد فكان يعمل في مال الله تعالى بعاصي الله تعالى عز

الحسن وغيره وقال الضحاك بحكمهم او المعنى ان الارض أضاعت وأنارت بما أقامه الله من العدل بين أهلها وما قضى به من الحق فيهم فانه عدل نور والظلم ظلمات وقيل ذلك حين يتجلى الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء بين خلقه فحاضرون في نوره كما لا يضارون في الشمس في يوم الصحو وقيل ان الله سبحانه يخاف نور ايوم القيامة يلبسه وجه الارض فتشرق بغير نور الشمس والقمر ولا مانع من الحمل على المعنى الحقيقي فان الله سبحانه هو نور السموات والارض قرأ الجمهور وأشرق مبتدأ للفاعل وقرئ على البناء للمفعول (ووضع الكتاب) قيل هو اللوح المحفوظ وقال قتادة يعني الكتب والصحف التي فيها أعمال بني آدم فأخذ به يومه وأخذ بشماله وكذا قال مقاتل وقيل هو من وضع المحاسب ككأن المحاسبة بين يديه أي وضع الكتاب للعساب (وبحسب النبين) الى الموقف فستلوا عما أجابتم به أمهمم (والشهداء) الذين يشهدون على الامم من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما في قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل المراد بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله قاله السدي وقيل هم الحفظة كما قال تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قاله ابن زيد قال ابن عباس النبيون الرسل والشهداء الذين يشهدون لهم بالبلاغ ليس فيهم طعان ولا لعان يشهدون بتبليغ الرسالة وتكذيب الامم اياهم ولما بين سبحانه أنه يوصل لكل ذي حق حقه عبر عن هذا المعنى بأربع عبارات أولاها قوله (وقضى بينهم بالحق) أي قضى بين العباد بالعدل والصدق والثانية (وهم لا يظلمون) أي والحال انهم لا يتقصون من ثوابهم ولا يزد على ما يستحقونه من عقابهم ختم الآية بنفي الظلم كما افصحها اثبات العدل والثالثة (ووفيت كل نفس ما عملت) من خير وشر أي جزاءه والرابعة (وهو أعلم بما يفعلون) في الدنيا لا يحتاج الى كاتب ولا حاسب ولا شاهد لانه عالم بمقادير أفعالهم وبكيفية أفعالهم فامتنع دخول الخطا عليه قاله الكرخي وقال القرطبي ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود الزامًا للعجة انتهى يعني انما وضع الكتاب وبحسب النبين والشهداء لتكميل الحجية وقطع المعذرة ثم ذكر سبحانه تفصيل ماذ كره من توفية كل نفس ما كسبت فقال (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا) أي سيق الكافرون سوفا عنيفا الى النار حال كونهم جماعات متفرقة بعضها يتلو بعضها قال أبو عبيدة والاحفش زمرا جماعات متفرقة بعضها شر بعضها

ووجل فلما رأى ذلك اخوان ابيه أنوا التي فعلوه ولا موه فضجرت التي فباع عقاره بصامت ثم رحل فأتى عينا واحدها فبجاجة فزج فيها ماله وابتى قصر ابيهما هو ذات يوم جالس اذ حلت عليه ربح بامراته من احسن الناس وجهها واطيبهم أرجاى ربحا فقاتل من انت يا عبد الله قتال انا امر ومن بني اسرائيل قالت فلنك هذا القصر وهذا المال فقال نعم قالت فهل لك من زوجة قال لا قالت فكيف ينسبك العيش ولاز وجه لك قال قد كان ذلك قال فهل لك من بعل قالت لا قال فهل لك الى ان تزوجك قالت انى امرأتمنك على مسيرة ميل فاذا كان غد فترودنا ديوم واثنتى وان رأيت في طريقك هو لا فلا يهولنك فلما كان من الغد ترودنا

يوم وانطلق فانتهي الى قصر فخرج عن راجحه فخرج اليه شاب من احسن الناس وجهها واطيبهم أرجاى رجا فقال من انت يا عبد الله فقال انا الاسرايلى قال فاجبتك قال دعنى صاحبة هذا القصر الى نفسها قال صدقت قال فهل رأيت فى الطريق هولاء قال نعم ولولائها اخبرتنى ان لا بأس على الهالتي الذى رأيت قال ما رأيت قال أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا انا بكبسة فالتحفة فاها ففزع فوثبت فاذا انا من ورائها واذا جراؤها ينجن فى بطنها فقال الشاب لست تدرى هذا هذا يكون فى آخر الزمان فاعد الغلام المشيخة فى مجلسهم وبسرهم حديثه قال ثم اقبلت حتى اذا (١٧٩) انفرج بي السبيل اذا انا بعائته عن حقل واذا

فيها جدى يصها فاذا اتى عليها وطن أندلم يترك شيئا فتح فاه يلمس الزيادة فتال لست تدرى هذا هذا يكون فى آخر الزمان ملك يجمع مع صامت الناس كلهم حتى اذا ظن اندلم يترك شيئا فتح فاه يلمس الزيادة قال ثم اقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا انا بئجى فاعبى غصن من شجرة منها ناضرة فارت قطعه فندتني شجرة أخرى يا عبد الله منى فخذ حتى نادى الشجر اجمع يا عبد الله منى فخذ فقال لست تدرى هذا هذا يكون فى آخر الزمان يقل الرجال ويكثر النساء حتى ان الرجل يلخبط المرأة فتدعوه العشر والعشرون الى أنفسهم قال ثم اقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل فاذا انا بئجى فاعبى غصن من الماء فكل انسان من الماء فاذا تصدعوا عنه صب فى جرتة فلم تعلق جرتة من الماء بشي قال لست تدرى هذا هذا يكون فى آخر الزمان الفاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم الى معاصى الله تعالى قال ثم اقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا انا بعائته واذا يقوم قد أخذوا بقوائمها واذا رجل

واحدتها زمره واشتقاقه من الزمر وهو الصوت اذا الجماعة لا تخلوعه غالباً (حتى) هي التي تحكى الجمل بعدها (اذا جاؤها ففت أبوابها) أى أبواب النار لا يدخلوها وهي سبعة أبواب وكانت قبل ذلك مغلقة وقد مضى بيان ذلك فى سورة الحجر (وقال لهم خزنتها) جمع خازن نحو سدنة وسادن (ألم يأتكم رسل منكم) أى من أنفسكم ومن جنسكم (يتلون عليكم آيات ربكم) التي أنزلها عليكم (ويذرونكم لئلا يؤذواكم هذا) أى يخوفونكم لقاء هذا اليوم الذي صرتم فيه والمراد به وقت الشدة لا يوم القيامة جميعه قال الزمخشري وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضاً فى أوقات الشدة قالوا اللهم هذا القول تقرىعا وتوبيخاً فاجابوا بالاعتراف ولم يقدروا على الجدل الذي كانوا يتعللون به فى الدنيا لاكتشاف الامر وظهوره ولهذا (قالوا بلى) أى قد أتتنا الرسل بآيات الله وأنذرونا بما سئلناه (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وهي لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين جى بما ظاهراً مقام المضمربليان سبب استحقاقهم العذاب وهو كفرهم فلما اعترفوا بهذا الاعتراف (قيل) لهم من قبل الملائكة الموكلين لعذابهم (ادخلوا أبواب جهنم) التي قد فتحت لكم لتدخلوها (خالد بن) أى مقدرين الخلود (فهم اقبس منوى المتكبرين) جهنم واللام فيه للجنس وجى بالظاهر لبيان سبب كفرهم الذي استحقوا به العذاب وقد تقدم تحقيق المنوى فى غير موضع ولما ذكر فيه تقدم حال الذين كفروا وسوقهم الى جهنم زمر اذ كرهنا حال المتقين وسوقهم الى الجنة فقال (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً) أى ساقتهم الملائكة سوق اعزاز وتثمين وتكريم والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يكرم من الوافدين على بعض الملوك والمراد بالسوق المتقدم طردهم الى العذاب بالهوان كما يفعل بالاسير اذا سبق الى الحبس أو القتل فستان ما بين السوقين وهذا من بدائع أنواع البديع وهو أن يأتي سبحانه وتعالى بكلمة فى حق الكفار فتسدل على هوانهم وعقابهم ويأتى بتلك الكلمة بعينها زهيدتها فى حق المؤمنين فتسدل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسبحان من أنزله بمعجز المبنى ممكن المعانى عذب الموارد والمثاني قبل الكلام على حذف مضاف أى سيقت مرا كهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين وقد سبق معنى الزمر أى جماعات اهل الصلاة على حدة وأهل الصوم كذلك الى غير ذلك (حتى اذا جاؤها ففت أبوابها) جواب اذا محذوف قال المبرد

قد أخذ بقرنيها واذا رجل قد أخذ بذنبها واذا راكب قدر كرها واذا رجل يحتبها فقال اما العنز في الدنيا والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها وأما الذي قد أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقاً وأما الذي أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه وأما الذي قد ركبها فقد تركها وأما الذي يلبسها فيخرج ذنبها قال ثم اقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا انا بئجى فاعبى غصن من الماء فكل انسان من الماء فاذا تصدعوا عنه صب فى جرتة فلم تعلق جرتة من الماء بشي قال لست تدرى هذا هذا يكون فى آخر الزمان الفاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم الى معاصى الله تعالى قال ثم اقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا انا بعائته واذا يقوم قد أخذوا بقوائمها واذا رجل

إذا انفرج جى السبيل اذا انا برجل مستقلق على قفاه قال يا عبد الله ادن منى نخذي يدى واقعدنى فوالله ما أعدت منذ خلقنى الله تعالى
 فاخذت بيده فقام بسعى حتى ما أراد فقال له الفتى هذا عمر الابد نفدوا وانا ملك الموت وانا المرأة التى أتيتك أمرنى الله تعالى بقبض
 روح الابد فى هذا المكان ثم أصيره الى نار جهنم قال ففیه نزلت هذه الآية وحيل بينهم وبين ما يشتهون الآية هذا أثر غريب وفى
 صحته نظر وتزليل الآية عليه وفى حقه معنى ان الكفار كما هم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا المغرور
 المقتون ذهب يطلب مراده فجاءه ملك الموت (١٨٠) فجاءه بغتة وحيل بينه وبين ما يشتهى وقوله تعالى كما فعل بأشياءهم من

قبل أى كما جرى للام الماضية
 المكذبة بالرسول لما جاءهم بأس
 الله ثم ان لو انوا لم يقبل منهم
 فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده
 وكذبنا بما كتبه مشركين فلم يك
 ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة
 الله التى قد دخلت فى عباده وخسر
 هنالك الكافرون وقوله تبارك
 وتعالى انهم كانوا فى شك مررب
 أى كانوا فى الدنيا فى شك وريبة
 فلهذا لم يقبل منهم الايمان عند
 معاناة العذاب قال قتادة اياكم
 والشك والريبة فان من مات على
 شك بعث عليه ومن مات على يقين
 بعث عليه آخر تفسير سورة سبأ
 والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

(تفسير سورة فاطر وهى مكية)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(المجد لله فاطر السموات والارض
 جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة
 مشئى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق
 ما يشاء ان الله على كل شئ قدير) قال
 سفيان الثورى عن ابراهيم بن
 مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس
 رضى الله عنهما قال كنت لأأدرى
 ما فاطر السموات والارض حتى

تقديره سعدوا وقتحت وقال الزجاج القول عندى ان الجواب محذوف على تقدير حتى
 اذا جاؤها و كانت هذه الاشياء التى ذكرت دخولها فالجواب دخلوها وحذف لان فى
 الكلام دليل عليه وقال الاخفش والكوفيون الجواب فحقت والواو زائدة وهو خطأ
 عند المصرين لان الواو من حروف المعانى فلا تزداد وقيل ان زيادة الواو دليل على ان
 الابواب فحقت لهم قبل ان يأوتوا الكرامتهم على الله والتقدير حتى اذا جاؤها وأبوابها
 مفتحة دليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحذفت الواو فى قصة أهل النار لانهم
 وقفوا على النار وقتحت بعد وقوفهم اذ لا لا وترو بما ذكر معناه الخناس منسوب الى بعض
 أهل العلم قال ولا أعلم أنه سبقه اليه أحد وعلى هذا القول تكون الواو والحال بتقدير
 قد أى جاؤها وقد فحقت لهم الابواب وقيل انها الواو الثمانية وذلك ان من عادة العرب انهم
 كانوا يقولون فى العدد خمسة ستة سبعة وثمانية وقد مضى القول فى هذا فى سورة براءة
 مستوفى وفى سورة الكهف أيضا وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى
 هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول زمرة يدخلون الجنة على صورة
 القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء أشد كوكب درى فى السماء اضاءة وأخرج
 الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى الجنة
 ثمانية ابواب منها باب يسمى باب الريان لا يدخلها الا الصائمون وقد ورد فى كون ابواب الجنة
 ثمانية أحاديث فى الصحيحين وغيرهما وكذا ما مشير ساكن الغرام الى روضات دار السلام
 هو أحسن ما جمع فى احوال الجنة فليرجع اليه ولا يعول عليه ثم أخبر سبحانه ان خزنة الجنة
 يسلمون على المؤمن فقال (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) أى سلامة لكم من كل آفة
 لا يعتبر بكم بعده مكروه (طيبتم) وطهرتم فى الدنيا فلم تتدنسوا بالشرك والمعاصى قال
 مجاهد طيبتم بطاعة الله وقيل بالعمل الصالح والمعنى واحد وقيل طاب لكم المقام وقيل
 طابت حالكم وحسنت وجعل دخول الجنة مسيبا عن الطيب والطهارة لانها دار الطيبين
 ومشوى الطاهرين قد طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب
 لها موصوف بصفتها قال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حسبوا على قنطرة بين الجنة
 والنار فقتل بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم حتى اذا هدبوا وطيبوا قال لهم
 رضوان وأصحابه سلام عليكم الآية وقد أخرج البخارى حديث القنطرة هذا فى جامعه

اتانى اعرابيان يحتمان فى بئر فقال احدهما لصاحبه انا فطرتهما اى بدأتهما وقال ابن عباس رضى الله عنهما من

أيضا فاطر السموات والارض وبقى السموات والارض وقال الضعفاء كل شئ فى القرآن فاطر السموات والارض فهو خالق
 السموات والارض وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أى بينه وبين انبيائه أولى أجنحة أى يطيرون بها ليلبعوا ما امر وابه سر يعا
 مشئى وثلاث ورباع أى منهم من له جناحان ومنهم من له اربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء فى الحديث
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الاسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كابين المشرق والمغرب

ولهذا قال جل وعلا يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير قال السدي يزيد في الاجنحة وخلقهم ما يشاء وقال الزهري وابن جرير في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء يعني حسن الصوت رواه عن السدي البخاري عن الزهري في الادب وابن ابي حاتم في تفسيره وقرئ في الشاذين يد في الخلق بالحاء المهملة والله أعلم ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا همس سل له من بعده وهو العزيز الحكيم يخبر تعالى انه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع قال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا مغيرة أخبرنا عامر عن وراد كاتب المغيرة بن شعبه (١٨١) قال ان معاوية كتب الى المغيرة بن شعبه

اكتب لي بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني المغيرة فكتبت اليه اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا انصرف من الصلاة لاله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدمنك الجسد وسمعته ينهي عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال وعن وأد البنات وعقوق الامهات ومنع وهات وأخرجه من طرق عن وراد بن وثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع رأسه من الركوع يقول سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السماء والارض وملء ما شئت من شيء بعد اللهم أهل الشفاء والمجد أحق ما قال العبد وكنا لك عبيد اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدمنك الجسد وهذه الآية كقوله تبارك وتعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخبر فلا

من حديث أبي سعيد الخدري وهو طويل جدا (فادخلوها) أي الجنة (خالدين) أي مقدرين الخلود (وقالوا) أي فعند ذلك قال أهل الجنة (الحمد لله الذي صدقنا وعده) بالبعث والثواب بالجنة في قوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا (واورثنا الارض) أي أرض الجنة فانه قتادة وأبو العالية كأنها صارت من غيرهم اليهم فلكوها وتصرفوا فيها وتصرف الوارث فيما يرثه في الكلام تجوز وقيل انهم ورثوا الارض التي كانت لاهل النار لو كانوا مؤمنين فانه أكثر المفسرين وقيل انها أرض الدنيا وفي الكلام تقديم وتأخير (تنبؤا من الجنة حيث نشاء) أي اتخذ فيها من المنازل ما نشاء حيث نشاء فلا يختاروا حدمسكان غيره وقيل يتخير كل واحد من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أين ينزل تكريما له وان كان لا يختار الا ما قسم له وأما بقية الامم فيدخلون بعد أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فينزلون فيما فضل عنهم وفي الكرخي الجنة نوعان الجنات الجسمانية وهي لا تحتل المشاركة والجنات الروحية وحصولها الواحد لا يمنع من حصوله لآخرين (فتم اجر العاملين) في الدنيا أي الجنة وهذا من تمام قول أهل الجنة وقيل هو من قول الله سبحانه (وترى) يا محمد (اللائكة حافين) أي محيطين ومحققين قائمين بجميع ما عليهم من الحقوق (من حول العرش) أي جوانبه التي يمكن الحفوف بها فيسمع لحقوفهم صوت التسبيح والتعجيل والتقدیس وادخال من يفهمهم انهم مع كثيرهم الى حد لا يحصىه الا الله لا يتلون حوله وهذا أولى من قول البيضاوي ان من مزيدة وبه قال الاخفش وأول ابتداء أي ابتداء حنوفهم من حول العرش الى حيث شاء الله والمعنى ان الرائي يراهم بهذه الصفة في ذلك اليوم والحافين جمع حاف قاله الاخفش وهو المحديق بالشئ من حفتت بالشئ اذا أحطت به وهو مأخوذ من الخفاف وهو الجانب وقال الفراء تبعه الزنجشري لا واحد له من لفظه اذ لا يقع لهم هذا الاسم الا جمعة (يسبحون بحمدهم) أي حال كونهم مسبحين لله متسلسلين بحمده أي يقولون سبحان الله وبحمده وقيل معنى يسبحون يصلون حول العرش شكر الربهم وهذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم وذلك يشعر بأن نوابجهم هو عين ذلك التسبيح وأنهم ان منتهى درجات العالين ولذاتهم الاستغراق في صفاته تعالى اللهم ارزقنا (وقضى بينهم) أي بين جميع العباد والخلائق (بالحق) أي بالعدل بادخال بعضهم الجنة وبعضهم النار وقيل بين النبيين

راد لفضله ولها نظائر كثيرة وقال الامام مالك رحمه الله عليه كان أبو هريرة رضى الله عنه اذا مطر ويا يقول مطرنا بنوء الترخ ثم يقرأ هذه الآية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا همس سل له من بعده وهو العزيز الحكيم ورواه ابن ابي حاتم عن يونس عن ابن وهب عنه (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون) ينبه تعالى على عباده ويرشدهم الى الاستدلال على توحيده في افراد العبادة كما انه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليقر بالعبادة ولا يشرك به غيره من الاصنام والانداد والوثان ولهذا قال تعالى لا اله الا هو فأنى تؤفكون أي فكيف تؤفكون

بعد هذا البيان ووضوح هذا البرهان وأنتم بعد هذا تعبدون الانداد والاثمان والله أعلم (وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
 والى الله ترجع الامور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
 عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) يقول تبارك وتعالى وان يكذبوك يا محمد هو لاء المشركون بالله ويخالفوك فيما
 جنتهم به من التوحيد فإل فممن سلف قبلك من الرسل أسوة فانهم كذلك جاؤا قلوبهم بالبينات وأمرهم بالتمسك بكذبهم
 وخالفهم والى الله ترجع الامور رأى (١٨٢) وسنجزهم على ذلك أو فر الجزاء ثم قال تعالى يا أيها الناس ان وعد الله حق أى

المعاد كائن لا بحالة فلا تغرنكم الحياة الدنيا أى العيشة الدنيئة بالنسبة الى ما أعد الله لآيائه وأتباع رسوله من الخير العظيم فلا تلهو عن ذلك الباقي به هذه الزهرة الفانية ولا يغرنكم بالله الغرور وهو الشيطان قاله ابن عباس رضى الله عنهم أى لا يفتنكم الشيطان ويصرفكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فانه غرار كذاب أفك وهذه الآية كالأية التي في آخر لقمان فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال مالك عن زيد بن أسلم هو الشيطان كما قال المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نسكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ثم بين تعالى عداوة ابليس لابن آدم فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا أى هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به انما يدعو حزبه ليكونوا من

الذين يحيى بهم مع الشهداء وبين أمهم وقيل بين الملائكة بأقامتهم في منازلهم على حسب درجاتهم - والاول اولى (وقيل الحمد لله رب العالمين) القائلون هم المؤمنون حمدوا الله على فضائه بينهم وبين اهل البار بالحق كما قال وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل القائلون هم الملائكة حمدوا الله تعالى على عدله في الحكم وقضائه بين عباده بالحق وبدأ سبحانه هذه الآية بالحمد وختمها بالحمد لانتبيه على تحميده في بداية كل أمر ونهايته والحمد الاول على صدق الوعد وايران الجنة وهذا على القضاء بالحق فلا تكرر فيه وروى من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ على المنبر آخر الزمر فتحرك المنبر مرتين

* (سورة غافر وهي سورة المؤمن وتسمى سورة الطول وهي خمس وعشرون آية) *

وقيل اثنتان وعشرون آية قاله القرطبي وهي مكينة في قول عطاء وجابر وعكرمة قال الحسن الا قوله وسبح بحمديك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة انه آيتين نزلتا بالمدينة وهما ان الذين يجادلون في آيات الله والتي بعدها وكذا نص عليه السيوطي في الاتقان وفي باب الاصول في اسباب النزول قال ابن عباس انزلت حم المؤمن بمكة وعن سمرة بن جندب قال نزلت الحواميم جميعا بمكة واخرج بحج - بن نصر وابن مردويه عن أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله اعطاني السبع الحواميم مكان التوراة واعطاني الرات الى الطواسين مكان الانجيل واعطاني ما بين الطواسين الى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأه نبي قبلي وقال ابن عباس ان لكل شئ لبابا وان لباب القرآن حم وقال ابن مسعود الحواميم ريباج القرآن وعنه قال اذا وقعت في آل حم وقعت في روصات دمثات أمانتي فيهن وعن سعد بن ابراهيم قال الحواميم تسمى العرائس رواه الدارمي في مسنده وقال الجوهري آل حم سور في القرآن فأما قول العامة الحواميم فليس من كلام العرب وبه قال الحريري في درة العواصم وقال ابو عبيدة الحواميم على غير قياس والاولى ان تجمع بذوات حم انتهى فتلخص من مجموع هذه الاخبار ان هذه السور السبع تسمى الحواميم وتسمى آل حم وتسمى ذوات حم فلها جوع ثلاثة خلافا لمن أنكر الاول منها وأخرج البيهقي في الشعب عن خليل بن

أصحاب السعير أى انما يقصد ان يضلكم حتى تدخلوا معه الى عذاب السعير فهذا هو العدو المبين نسأل مرة

الله القوى العزيز ان يجعل لنا أعداء الشيطان وان يرزقنا اتباع كتابه والافتقار بطريق رسوله انه على ما يشاء قد يروى بالاجابة جدير وهذه كقوله تعالى واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا والا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه فمقتصدونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير انهم زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون) لما

ذ كرتعالى ان اتباع ابليس مصيرهم الى السعير ذكر بعد ذلك ان الذين كفروا لهم عذاب شديد لانهم اطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن وان الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات لهم مغفرة أى لما كان منهم من ذنب وأجر كبير على ما عملوا من خير ثم قال تعالى افن زين له سوء عمله فرأه حسناً يعنى كالكفار والفجار يعملون أعمالا سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون انهم يتحسنون صنعاً أى ان كان هكذا قد أضله الله الك فيه حيلة لا حيلة لك فيه فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء أى بقدره كان ذلك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أى لا تأسف على ذلك فان الله حكيم في قدره (١٨٣)

لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالى ان الله عليم بما يصنعون وقال ابن ابي حاتم عنده هذه الآية حدثنا اى حدثنا محمد بن عوف الجمعى حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعى عن يحيى بن ابي عمر والشيبانى أو ربيعة عن عبد الله بن الديلى قال أتيت عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ارضى هو فى حائط بالطائف يقال له الرهط قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نور فبن أصابه من نوره يومئذ فنداهتدى من أخطأ منه ضل فلذلك أقول جنب القلم على ما علم الله عز وجل ثم قال حدثنا محمد بن عبدة القزوينى حدثنا حسان بن حسان البصرى حدثنا ابراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا ابراهيم القرشى عن سعد بن شريحيل عن زيد بن ابي اوفى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحمد لله الذى يهدى من الضلالة ويلبس الضلالة على من أحب وهذا أيضا حديث غريب جدا (واته الذى كان يريد العزة فله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير) كثير ما يستدل تعالى على العباد باحياؤه الارض بعد موتها كما فى أول الحج ينبه عباده ان يعتبروا بهذا على ذلك فان الارض تكون ميتة هامة لانبات فيها فاذا ارسل اليها السحاب تحمل الماء وأزله عليها اهترت وربت وأبنت من كل زوج بهيج كذلك

مرقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الحواميم سبع وأبواب النار سبع يحيى كل حم منها يقف على باب من هذه الابواب يقول اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بى ويقرائى (بسم الله الرحمن الرحيم حم) قرأ الجمهور بفتح الحاء مشبعا وقرئ بامالته اما لة محضة وبامالته بين بين وقرأ الجمهور بسكون الميم كسائر الحروف المقطعة وقرأ الزهرى بضمها على انها خبر مبتدأ مضمرة أو مبتدأ والخبر ما بعده وقرأ عيسى بن عمر الثقفى بفتحها وهى تخفى وجهين أحدهما انها منصوبة بنعل مقدر أى اقرأ حم وانما نعت من الصرف للعلمية والتأنيث أو للعلمية وشبه العجمة وذلك انه ليس فى الاوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الاجمية نحو فاعيل وهاميل والثانى انها حركة بناء تخفيفا كما بين وكف وقرأ ابن ابي اسحق وأبو السمالك بكسرهما الالتقاء الساكنين أو بتقدير القسم وقرأ الجمهور بوصل الحاء بالميم وقرأ أبو جهف بقطعها وقد اختلف فى معناه فاقيل هو اسم من اسماء الله قاله أبو امامة وقيل اسم من اسماء القرآن قاله قتادة وقال الضعالم والكسائى معناه قضى وجعل اذ يعنى حم اى وقع وقضى وقيل مقابيح خزائنه وقيل اسم الله الاعظم وقيل بد اسماء الله تعالى كحميد وحكيم وحنان وكالك ومجيد ومنان ومتكبر ومصور ومومن ومهيمن وقيل معناه حم امر الله اى قريب نصره لا ويا لله واتقائه من اعدائه وهذا كله تكلف لا موجب له وتعسف لا ملحق اليه والحق ان هذه الفاتحة لهذه السورة وأما الهامى المتشابه الذى استأثر الله بعلم معناه كما قدمنا تحقيقه فى فاتحة سورة البقرة واخرج الترمذى والحاكم وصححه وابدو وغيرهم عن المهلب بن ابي صفرة قال حدثنى من سمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول ليله الخندق ان أتيت الليلة فقولوا حم لا ينصرون وعن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انكم تلقون عدوكم فليكن شعاركم حم لا ينصرون اخرج النسائى والحاكم وابن ابي شيبه (تنزيل الكتاب) هو خبر لحم على تقدير أنه مبتدأ وخبر بابتدأ مضمرة أى هذا تنزيل وهو مبتدأ وخبره (من الله) قال الرازى المراد بالتنزيل المنزل والمعنى ان القرآن منزل من عند الله ليس بكذب عليه (العزير) المنيع بساطانه الغاب الصاهر فى ملكه (العلم) الكثير العلم بخلقه وما يقولونه ويفعلونه فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين (غافر الذنب) أى ذنب المؤمنين وعن

أرسل الرياح فتمسحنا بالسيوف فاسقناها الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير) كثير ما يستدل تعالى على العباد باحياؤه الارض بعد موتها كما فى أول الحج ينبه عباده ان يعتبروا بهذا على ذلك فان الارض تكون ميتة هامة لانبات فيها فاذا ارسل اليها السحاب تحمل الماء وأزله عليها اهترت وربت وأبنت من كل زوج بهيج كذلك

الاجساد اذا اراد الله تعالى بعثها ونشورها انزل من تحت العرش مطرا يمطر الارض جميعا ونبتت الاجساد في قبورها كما ثبتت الحبة في الارض ولهذا جاء في الصحيح كل ابن آدم يبلى الا عيب الذنب منه خلق ومنه يركب ولهذا قال تعالى كذلك النشور وتقدم في الحج حديث أبي رزين قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك في خلقه قال صلى الله عليه وسلم يا ابا رزين امام مررت بوادى قومك ممحلاهم مررت بهم ترخضوا فقلت بلى قال صلى الله عليه وسلم فكذلك يحيى الله الموتى وقوله تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا أى من كان يحب أن يكون عزيزا (١٨٤) في الدنيا والآخرة فليعلم طاعة الله تعالى فانه يحصل له مقصوده لان

الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعا كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيتبعون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقال عز وجل ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا وقال جل جلاله والله العزة لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون قال مجاهد من كان يريد العزة بعبادة الاوثان فان العزة لله جميعا وقال قتادة من كان يريد العزة فان العزة لله جميعا أى فليست عز بطاعة الله عز وجل وقيل من كان يريد العزة لمن هي فان العزة لله جميعا وحكاه ابن جرير وقوله تبارك وتعالى اليه يصعد الكلم الطيب يعنى الذكروا لادعاء والدعاء فانه غير واحد من السلف وقال ابن جرير حدثنا محمد بن اسمعيل الاجسى أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله السعوى عن عبد الله بن الخارق عن أبيه الخارق بن سليم قال قال لنا عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه اذا حدثنا كم يحدثنا كمن تصديق

ابن عمر قال سائر الذنب لمن يقول لا اله الا الله (وقابل التوب) أى توبة الراجعين أو عن يقول لا اله الا الله والتوب والثوب والأوب اخوات فى معنى الرجوع مصادر وقال الاخفش التوب جمع توبة كدوم ودومة وادخال الواو فى هذا الوصف لافادة الجمع للمذنب التائب بين قبول توبته ومحو حوبته قاله العمادى وأولغاير الوصفين اذ رجما توبتهم الاتحاد قاله البيضاوى (شديد العقاب) أى مشدده لمن لا يقول لا اله الا الله وأعلى المخالفين والكافرين وقيل قابل التوب لا وليا له وشديد العقاب لاعدائه وقيل قابل التوب من الشرك وشديدا لعقاب لمن لا يوجد (ذى الطول) أى ذى الفضل على العارفين أو الغنى عن كل العالمين وأصل الطول الانعام والفضل أى ذى الانعام على عباده والفضل عليهم وقال مجاهد وابن عباس ذى الغنى والسعة ومنه قوله ومن لم يستطع منكم طولا أى غنى وسعة وقال عكرمة ذى المن قال الجوهري والطول بالفتح المن يقال منه طال عليه ويطول عليه اذا امتن عليه وقال محمد بن كعب ذى التفضل قال الماوردى والفرق بين المن والتفضل ان المن عن ذنب والتفضل احسان غير مستحق والله سبحانه موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فاضافة المشتق منها للتعريف كالاخيرة وقال السهين فيها ثلاثة اوجه أحدها انها كلها صفات الجلالة الثانية ان الكل ابدال لان اضافتها غير محضة الثالثة ان غافرو قابل نعتان وشديد العقاب بدل انتهى ثم ذكر ما يدل على توحيد الله وانه الحقيق بالعبادة فقال (لا اله الا هو) استئناف أو حال لازمة وقال أبو البقاء صفة قال ابن عادل وهذا على ظاهره فاسد لان الجملة لا تكون صفة للمعارف ويمكن ان يريد أنه صفة لشديد العقاب لانه لم يتعرف عنده بالاضافة (اليه) الى غيره (المصير) أى مصير من يقول لا اله الا الله فيدخل الجنة ومصير من لا يقول لا اله الا الله فيدخل النار وذلك فى اليوم الآخر قال الكرخى حال من الجملة قبله أخرج أبو عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر وابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم المؤمن الى اليه المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ بها حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ بها حتى يصبح ثم ما ذكر الله سبحانه أن القرآن كتاب الله أنزله ليهدى به فى الدين ذكر أحوال من يجادل فيه لقصد ابطاله فقال (ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) أى ما يجاحصم فى دفع آيات الله

وتكذيبها ذلك من كتاب الله تعالى ان العبد المسلم اذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر تبارك الله أخذهن ملائكة ليعلمون تحت جناحه ثم يصعدهن الى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا والقائلن حتى يحيى بهن وجه الله عز وجل ثم قرأ عبد الله رضى الله عنه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وحدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن عمية أخبرنا سعيد بن الجري عن عبد الله بن شقيق قال قال كعب الاحبار ان سبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر لودى احوال العرش كسدى النحل يذكرن لصاحبهن والعمل الصالح فى الخزان وهذا اسناد صحيح الى كعب

الاحبار رحمة الله عليه وقد روى مر فوعا قال الامام احمد حدثنا ابن عمر حدثنا موسى يعني ابن ابي مسلم الطحان عن عون بن عبد الله عن ابيه اوعن اخيه عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يذكرون الله من جلال الله من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرون بصاحبهن الا يحب احدكم ان لا يزال له عند الله شيء يذكروه هكذا رواه ابن ماجه عن ابي بشر بن بكر بن خلف عن يحيى بن سعيد القطان عن موسى بن ابي مسلم الطحان عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابيه اوعن اخيه عن النعمان (١٨٥) بن بشير رضى الله عنه به وقوله تعالى

والعمل الصالح يرفعه قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما الكلام الطيب ذكر الله تعالى يصعبه الى الله عز وجل والعمل الصالح أداء القرية فمن ذكر الله تعالى في أداء فرائضه جعل عمله ذكر الله تعالى يصعبه الى الله عز وجل ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان اولى به وكذا قال مجاهد العمل الصالح يرفعه الكلام الطيب وكذا قال ابو العباس وعكرمة وابراهيم الخفي والضحاك والسدي والريعي بن ائس وشهر بن حوشب وغير واحد وقال اياس بن معاوية القاضى لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام وقال الحسن وقتادة لا يقبل قول الا بعمل وقوله تعالى والذين يذكرون السيئات قال مجاهد وسعيد ابن جبير وشهر بن حوشب هم المراءون باعمالهم يعني يذكرون بالناس يوهمون انهم في طاعة الله تعالى وهم بغضاء الى الله عز وجل يراءون باعمالهم ولا يذكرون الله الا قليلا وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هم المشركون والصحيح انها عامية

وتكذيبها بالظن فيها الا الكفار المراد الجدال بالباطل والقصد الى دحض الحق كما في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال لاستيضاح الحق وابطاح المتبس وحل المشكل وتكذيبها وكشف المعضل واستنباط المعاني ورد اهل الزنغ بها ورفع اللبس والبحث عن الراجح والمرجوح وعن المحكم والمنشابه ودفع ما يتعلق به المبطلون من متشابهات القرآن ورد هم بالجدال الى المحكم فهو من اعظم ما يتقرب به المتقربون وافضل ما يجاهد في سبيله المجاهدون وبذلك اخذ الله الميثاق على الذين اوتوا الكتاب فقال واذا اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تمسكونه وقال ان الذين يكتبون ما انزلنا من بينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك نلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال ولا يجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فتخلص ان الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل اما الاول فهو حرفة الانبياء عليهم السلام ومنه قوله تعالى حكايه عن قوم نوح قالوا قد جادلنا واما الثاني فهو مذموم وهو المراد به الآيات تجد اللهم في آيات الله هو قولهم مرة هذا سحر ومرة شعر ومرة هو قول الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر واشباه هذا قاله الكرخي واخرج عبد بن حميد وابوداود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان جدال في القرآن كفر وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المراء في القرآن كثر اخرجته ابوداود وغيره وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فاضع اصوات رجلين اختلفا في آية فخرج يعرف في وجهه الغضب فقال انما هالك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب اخرجته مسلم قال ابو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن هذه الآية وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ولما حكم سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر بنى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن ان يعتز بشيء من حظوظهم الدنيوية فقال (فلا يغركم قلوبهم في البلاد) أي فلا يغركم ما ينعلون من التجارة النافقة في البلاد كالثام واليمن وما يحصلونه من المكاسب والارباح وما يجتمعون منه من الاموال سالمين غانمين فانهم معاقبون عما قبل وان اهلها فانهم لا يهملون قال الزجاج لا يغركم سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وهذا تسليمه صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد لهم والفناء

(٢٤ فتح البيان ثامن) والمشركون داخلون بطريق الاولى ولهذا قال تعالى لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يورأى يفسد ويظلم ويظهر زيفهم عن قريب لا ترى البصائر والنهي فانهم ما أسرا حديرية الأبداء الله تعالى على صفحات وجهه وقلبات لسانه وما أسرا حديرية الاكساة الله تعالى رداءها ان خيرا خيرا وان شرا فشر فالمرابي لا يروج أمره ويستتر الاعلى غيبي أما المؤمنون المتفردون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية وقوله تبارك وتعالى والله خلقكم من تراب ثم من نطفة أي ابتداء خلقكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين

ثم جعلكم أزواجاً أي ذكراً أو أنثى لطفاً منه ورجة أن جعل لكم أزواجاً من جنسكم لتسكنوا إليها وقوله عز وجل وما تحمّل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه أي هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء بل ما تسقط من ورقة الأيعاب والأحبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وقد تقدم الكلام على قوله تعالى الله يعلم ما تحمّل كل أنثى وما تنقبض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال وقوله عز وجل وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب أي ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل بعلمه وهو عنده (١٨٦) في الكتاب الأول وما ينقص من عمره الضمير عائدة على الجنس

لا على العين لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره وإنما عاد الضمير على الجنس (١) قال ابن جرير وهذا كقولهم عندى ثوب ونصفه أي ونصف ثوب آخر وروى من طريق العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب أن ذلك على الله يسير يقول ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة الا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فأنما ينتهى الى الكتاب الذى قدرت لاي زاد عليه وليس احد قضيت له أنه قصير العمر والحياة يبلغ العمر ولكن ينتهى الى الكتاب الذى كتبته لذلك قوله تعالى ولا ينقص من عمره الا في كتاب أن ذلك على الله يسير يقول كل ذلك في كتاب عنده وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ولا ينقص من عمره الا في كتاب قال ما لفظت الأرحام من الأولاد من غير تمام وقال عبد الرحمن في تفسيرها ألا ترى الناس يعيش الإنسان مائة سنة وآخر

لترتيب النهى أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذى لاشئ أمقت منه عند الله ولا أحب لحسرة الدنيا والآخرة قرأ الجمهور ولا يغررك بفك الأندام وقرئ بالأدعام وهو جواب لشرط مقدر أى اذا تقرر عندك ان المجادلين في آيات الله كفار فلا يغررك الخ ثم بين حال من كان قبلهم وأن هؤلاء سلكوا سبيل أولئك في التكذيب فقال (كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة (قوم نوح والأحزاب من بعدهم) أى وكذبت الأحزاب الذين تحزبوا على الرسل من بعد قوم نوح كعاد وثمود وغيرهما (وهمت كل أمة) من تلك الأمم المكذبة (برسولهم) الذى أرسل اليهم (ليأخذوه) أى ليتمكنوا منه فيبسوه ويعذبوه ويصيبوا منه ما أرادوا وقال قتادة والسدى يقتلوه والخذقير دبعنى الأهلاك كقوله فاخذتهم فكيف كان نكبروا والعرب تسمى الأسير الأخذ والاختذ بمعنى الأسر (وجادلوا) أى خاصهم وارسولهم (بالباطل) من القول (أي حضوا) أى ليزيلوا (به الحق) ومنه مكان دحض أى مزلة ووزلة أقدام والباطل داحض لانيزلق ويزول فلا يستقر قال يحيى ابن سلام جادلوا الأنبياء بالشرك ليطلوا به الإيمان (فاخذتهم) أى فاخذت هؤلاء المجادلين بالباطل (فكيف كان عقاب) الذى عاقبتهم به وحذف ياء المتكلم اجترأ بالكسرة عنها وصلوا وقفف لانها رأس آية (وكذلك حقت كلمة ربك) أى وجبت وثبتت ولزمت يقال حق الشيء اذا لزم وثبت والمعنى وكما حقت على الأمم المكذبة لرسولهم كلمة العذاب حقت كلمة ربك أى وعيده (على الذين كفروا) بك وجادلوك بالباطل وتحزبوا عليك وهم وابعاء لم ينالوا كما يننى عنه اضافة اسم الرب الى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تبيته التى من جملتها نصرته على أعدائه ونعذيبهم قاله أبو السعود وقرأ الجمهور بكلمة التوحيد وقرئ كلمات بالجمع وجملة (أنهم أصحاب النار) للتعميل أى لاجل أنهم مستحقون للنار قال الاخفش أى لانهم أربابهم وقال المحلى بدل من كلمة أى بدل الكل والأشتمال على ارادة اللفظ أو المعنى ثم ذكر أحوال جملة العرش ومن حوله فقال (الذين يحملون العرش ومن حوله) الموصول مبتدأ وخبره قوله (يسبحون بحمدهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) والجملة مستأنفة مسوقة لتسليمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيان أن هذا الجنس من الملائكة

يموت حين يولد فهذا هذا وقال قتادة والذى ينقص من عمره فالذى يموت قبل ستين سنة وقال مجاهد وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب أى في بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل الهدأ عمر ولهذا عمر هو انقص من عمره فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ ما بلغ وقال بعضهم بل معناه وما يعمر من معمر أى ما يكتب من الاجل ولا ينقص من عمره وهو ذهابه قليلاً قليلاً الجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهراً بعد شهراً وجمعة بعد جمعة ويوم بعد يوم وساعة بعد ساعة الجميع مكتوب عند الله تعالى في كتابه نقله ابن جرير عن أبي مالك واليه ذهب السدى وعطاء الخراسانى واختار ابن جرير (١) قوله وإنما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير الخ كذا في النسخ وحرر العبار من أولها الى آخرها اه صححه

الأول وهو كما قال وقال النسائي عند تفسير هذه الآية الكريمة حدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان قال سمعت ابن زهوب يقول حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن يبسط له في رزقه وينسأله في أثره فليصل رحمه وقد رواه البخارى ومسلم وأبو داود ومن حديث يونس بن يزيد الأيلي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الوليد بن عبد الملك بن عبيد الله بن مرح حدثنا عثمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبي مسجعة بن ربعي عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال ذكرنا

(١٨٧)

الله تعالى لا يؤخر نفسا اذا جاء أجلها وانما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد في دعونه من بعده فيلحقه دعاؤه في قبره فذلك زيادة العمر وقوله عز وجل ان ذلك على الله يسير اي سهل عليه يسيرا به علمه بذلك وبفضله في جميع مخلوقاته فان علمه شامل للجميع لا يخفى عليه شيء منها (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحم اطريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلمكم تشكرون) يقول تعالى منها على قدرته العظيمة في خلقه الاشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة اليها في الاقاليم والامصار والعمران والبرارى والفقار وهي عذبة سائغ شرابها لمن اراد ذلك وهذا ملح أجاج اي مر وهو البحر الساكن الذى تسير فيه السفن البكار وانما تكون مالحة زعافرة ولهذا قال وهذا ملح أجاج اي مر ثم قال تعالى ومن كل تأكلون

الذين هم أعلى طبقاتهم وأولهم وجودا يصدون الى تسيبهم لله والايان به الاستغفار للذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا وفيه دليل على أن الاشتراك في الايمان يجب أن يكون ادعى شئ الى النصيحة والشفقة وان تبعادت الاجناس وشطت الاماكن والمراد بمن حول العرش هم الملائكة الذين يطوفون به مهلبين مكبرين وهم الكرويون وهو في محل رفع عطف على الذين الخ وهذا هو الظاهر وقيل يجوز أن يكون في محل نصب عطفا على العرش والاول أولى والمعنى ان الملائكة الذين يحملون العرش وكذلك الملائكة الذين هم حول العرش ينزهون الله تملسين بحمده على نعمه ويؤمنون بالله يصأثرهم ويستغفرون الله لعباده المؤمنين به وأخبر عنهم بالايان اظهار الفضله وتعظيم الالهة ومساوق الآية لذلك وهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة اُردفهم الله تعالى بأربعة آخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم أشرف الملائكة وأفضلهم لقرابهم من الله عز وجل وهم على صورة الاعداد والعرش فوق ظهورهم ذكره القشيري واخرجه الترمذى من حديث ابن عباس واستفيد منه ان حمل الملائكة للعرش على ظهورها وقد وردت في بيان مسافة اطلاقهم الى ركبهم وأرجلهم وأقدامهم وما بين شحمة أذنهم الى عاتقهم والفاط تسيبهم أخبار وآثار وكذا في صفة العرش وبعد ما بين السماء السابعة وبين العرش والمعقول عليه منها ما ورد في الصحيح ثم بين سبحانه كيفية استغفارهم للمؤمنين فقال كما يكفونهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) أى وسع رحمتك كل شئ وعلما كل شئ وتقدير الرحمة على العلم لانها المقصودة بالذات ههنا قاله البيضاوى وأبو السعود لان المقام مقام الاستغفار والافعال لم تقدم ذاتا (فاغفر للذين تابوا) أى أو قعوا التوبة عن الذنوب أو عن الشرك وان كان عليهم ذنوب (واتبعوا سبيلك) وهودين الاسلام (وقهم عذاب الجحيم) أى احفظهم منه واجعل بينهم وبينه وقاية بان تلتزمهم الاستقامة وتم نعمتك عليهم فانك وعدت من كان كذلك بذلك ولا يبدل القول لديك وان كان يجوز أن تفعل ما تشاء وان الخلق عبيدك (ربنا وأدخلهم جنات عدن) أى اقامة معطوف على قوله قهم ووسط الجملة الندائية لقصد المبالغة بالتكرير ووصف جنات عدن بانها هي (التي وعدتهم) اياها (و) ادخل (من صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم)

لحماطريا يعنى السمك وتستخرجون حلية تلبسونها كما قال عز وجل يخرج منها اللؤلؤ والمرجان فبأى الاعراب يكذب ان وقوله جل وعلا وترى الفلك فيه مواخر أى تخره ونشقه بجيزومها وهو مقدمها المسنم الذى يشبه جوجوا الطير وهو صدره وقال مجاهد تغر الرياح السفن ولا يختر الريح من السفن الالعظام وقوله جل وعلا لتبتغوا من فضله أى باسفاركم بالتجارة من قطر الى قطر واقليم الى اقليم ولعلمكم تشكرون أى تشكرون ربكم على نصحته لكم هذا الخلق العظيم وهو البحر تصرفون فيه كيف شئتم وتذهبون أين أردتم ولا يمنع عليكم شئ منه بل بقدرته قد سخركم مافى السموات ومافى الارض الجميع من فضله ورحمته (يولج الليل في

النهار ويولج النهار في الليل وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا يقبلكم مثل خير) وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم في تسخير الليل بظلامه والنهار بضيائه ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقارضان صيفا وشتاء وسخّر الشمس والقمر اى والنجوم السيارات والثوابت باقيات باضواءهن اجرام السموات الجميع يسبرون (١٨٨) بمقدار معين وعلى منهاج مقنن محررت تقدير امن عزيز علم الى أجل مسمى أى الى

يوم القيامة ذلكم الله ربكم أى الذى فعل هذا هو الرب العظيم الذى لا اله غيره والذين تدعون من دونه أى من الاصنام والانداد التى هى على صورة من تزعمون من الملائكة المقتر بين ما يملكون من قطمير قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء وعطية العوفى والحسن وقيادة وغيرهم القطمير هو اللذافة التى تكون على نواة التمر أى لا يملكون من السموات والارض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير ثم قال تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم يعنى الآلهة التى تدعونها من دون الله لتسمع دعاءكم لانها جاد لا أرواح فيها ولو سمعوا ما استجابوا لكم أى لا يقدر على شئ مما تطلبون منها ويوم القيامة يكفرون بشرككم أى يسبرون منكم كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكفروا بهم عزاء كلا

المراد بالصلاح هنا الايمان بالله والعمل بما شرعه الله فمن فعل ذلك فقد صلح لدخول الجنة ويجوز عطف ومن صلح على الضمير فى وعدتهم أى ووعدت من صلح والاولى عطفه على الضمير الاول فى وأدخلهم لان الدعاء لهم بالادخال عليه صريح وعلى الثانى ضمنى والمعنى ساو بينهم ليم سرورهم ثم قرأ الجمهور بفتح اللام من صلح وذرياتهم على الجمع وقرأ ابن أبى عمير بضم اللام وقرأ عيسى بن عمر على الافراد (انك أنت العزيز الحكيم) أى الغالب القاهر الكثير الحكمة الباهرة (وقهسم السينات) يقال وقاه بقيه وقاية أى حفظه والمعنى احفظهم عن العقوبات وأجزاء السينات على تقدير مضاف محذوف قال قتادة وقهم ما بسوءهم من العذاب وهذا دعاء يتناول عذاب الخيم وعذاب موقف القيامة والحساب والسؤال وقوله وقهم عذاب الخيم مقصور على ازالة عذاب النار فيكون تعميما بعد تخصيص أو الاول دعاء للاصول والثانى للفروع والضمير راجع للمعطوف وهو الآباء والازواج والذرية أفاده أبو السعود (ومن تق السينات يومئذ) أى يوم القيامة والتنوين عوض عن جملة غير موجودة فى الكلام بل متصيدة من السياق وتقديرها يوم اذ تدخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار المسببة عن السينات وهو يوم القيامة وقيل التقدير يوم اذ تؤخذها وجواب من (فقد رحته) من عذابك وادخلته جنتك (وذلك) أى ما تقدم من ادخالهم الجنة ووقايتهم السينات (هو الفوز العظيم) أى الظفر الذى لا يظفر من له والنجاة التى لا تساوىها نجاة حيث وجدوا باعمال منقطعة نعيما لا ينقطع وبأفعال حقيرة ملكالات العقول الى كنه جلالاته قال مطرف أنصح عبدا لله المؤمن الملائكة وأعش الخلق لهم هم الشياطين ثم لما ذكر سبحانه أصحاب النار وانها حقت عليهم كلمة العذاب ذكر أحوالهم بعد دخول النار فقال (ان الذين كفروا ينادون) قال الواحدي قال المفسرون انهم لما رأوا أعمالهم ونظروا فى كتابهم وادخلوا النار ومقتوا أنفسهم بسوء صنيعهم ناداهم حين عابوا عذاب الله مناد (لمقت الله) اياكم فى الدنيا (أ كبر من مقتكم أنفسكم) اليوم أو من مقت بعضكم بعضا اليوم قال الاخفش هذه اللام هى لام الابتداء وقعت بعد ينادون لان معناها يقال لهم والنداء قول قال الكبي يقول كل انسان من أهل النار لنفسه مقتك يا نفسى فتقول الملائكة لهم وهم فى النار لمقت الله اياكم اذ أنتم فى الدنيا أشد من مقتكم أنفسكم اليوم وقال الحسن يعطون كتابهم فاذا انظروا الى

سكفرون بعبادتهم ويكفرون عليهم ضدا وقوله تعالى ولا ينبتك مثل خير اى ولا يجربك بعواقب الامور سياتهم وما لها وما تصير اليه مثل خير بها قال قتادة يعنى نفسه تبارك وتعالى فانه أخبر بالواقع لا محالة (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قري انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فأتنايتكى لنفسه والى الله المصير) يخبر تعالى بغناؤه عما سواه وبإفطار الخلق فأتها اليه وتذللها بين يديه فقال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله أى هم محتاجون

الغنى في جميع الحركات والسكات وهو تعالى الغنى عنهم بالذات ولهذا قال عز وجل والله هو الغنى الحميد أى هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له وهو الحميد في جميع ما يفعل ويقله ويقدره ويشعره وقوله تعالى ان يشاء يذهبكم ويأت بخلق جديد أى لو شاء لذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع ولهذا قال تعالى وما ذلك على الله بعزيز وقوله تعالى ولا تزروا زينة زور أخرى أى يوم القيامة وان تدع مثقلة الى حملها أى وان تدع نفس مثقلة باوزارها الى أن تساعد على حمل ما عليها من الازوا و بعضه لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربي أى وان كان قريبا اليها حتى (١٨٩) ولو كان أباهاً وابنها كل مشغول بنفسه وحاله قال عكرمة في قوله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها الآية قال هو

سبباً لهم مقتوا أنفسهم فنادون لمقت الله اياكم في الدنيا (اذ تدعون الى الايمان) فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم ادعائتم النار والظرف منصوب بمقدر محذوف دل عليه المذكور أى بمقتة تعالى اياكم وقت دعائكم وقيل هو اذ كروا وقيل بالمقت المذكور وأولاً والمقت أشد البغض والمراد به هنا لازمه وهو الغضب عليهم وتعذيبهم قاله أبو السعود وقال الكرخي المراد منه هنا أشد الانكار والزجر (فتكفرون) أى فتصرون على الكفر اتباعاً لانفسكم الأمانة ومسارة الى هواها واقتداءً باخلائكم المضلين وتقليد الاسلاف فيكم المتقدمين واستحباباً لآرائهم ثم أخبر سبحانه عما يقولون في النار فقال (قالوا ربنا أمتنا اثنتان وأحببتنا اثنتان) نعمتان لمصدر محذوف أى أمتنا امانتين اثنتين وأحببتنا احياء تين اثنتين والمراد بالامانتين انهم كانوا ناطقاً بالحياتة لها في أصلاب آباءهم ثم أماتهم بعد أن صاروا احياء في الدنيا والمراد بالاحياء تين انه أحياهم الحياة الاولى في الدنيا ثم أحياهم عند البعث ومثل هذه الآية قوله وكنتم أمواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم قاله ابن مسعود أى كانوا أمواتاً في صلب آباءهم ثم أخرجهم فاحياهم ثم أماتهم ثم يحييهم بعد الموت وقيل معنى الآية انهم أميتوا في الدنيا عند انقضاء آجالهم ثم أحياهم الله في قبورهم للسؤال ثم أميتوا ثم أحياهم الله في الآخرة ووجه هذا القول ان الموت سلب الحياة ولا حياة للظنفة ووجه القول الاول ان الموت قد يطلق على عدم الحياة من الاصل وقد ذهب الى التنسیر الاول جهور السلف وقال ابن زيد المراد بالآية انه خلقهم في ظهر آدم واستخرجهم وأحياهم وأخذ عليهم المشاق ثم أماتهم ثم أحياهم في الدنيا ثم أماتهم وقال ابن عباس قال كنتم تراباً قبل أن يخلقكم فهذه ميتة ثم أحياكم خلقكم فهذه حياة ثم يميتكم فترجعون الى القبور فهذه ميتة أخرى ثم يحييكم يوم القيامة فهذه حياة أخرى فهما موتتان وحياتان كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فاحياكم الآية ثم ذكر سبحانه اعترافهم بعد أن صاروا في النار بما كذبوا به في الدنيا فقال كما علمهم (فاعترفنا بذنوبنا) التي أسلفناها في الدنيا من تكذيب الرسل والاشراك بالله وترك توحيد فاعترفوا حيث لا ينفعهم الاعتراف ويندموا حيث لا ينفعهم الندم والمعنى لما رأوا الامامة والاحياء قد تكبروا عليهم علواً أن الله قادر على الاعادة كما هو قادر على الانشاء فاعترفوا وقد جعلوا اعترافهم هذا مقدمة لقولهم (فهل الى خروج) لتاعن النار

الجارية تتعلق بجواره يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم كان يعلق بابه دوني وان الكافر ليتعلق بالمومن يوم القيامة فيقول له يا مؤمن ان لي عندك يدا قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت اليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده الى منزل دون منزله وهو في النار وان الولد لا يتعلق بولده يوم القيامة فيقول يا بنى أى والدك لك فينبئ خيرا فيقول له يا بنى اني قد احتجت الى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى فيقول له ولده يا أبت ما يسر ما طلبت ولكني أتخوف مثل ما تتخوف فلا أستطيع ان أعطيك شياً ثم يتعاقب بن وجته فيقول يا فلانة أوابها هذه أى زوج كنت لك فتنتي خيراً فيقول لها اني أطلب اليك حسنة واحدة تهينها لي لعل أنجو بها مما ترى قال فتقول ما يسر ما طلبت ولكني لأطيق أن أعطيك شياً اني أتخوف مثل الذي تتخوف يقول الله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها

الآية ويقول تبارك وتعالى لا يجزي والدع ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ويقول تعالى يوم ينظر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه رواه ابن أبي حاتم رحمه الله عن أنى عبد الله الظهري عن حفص بن عمر عن الحكم ابن أبان عن عكرمة به ثم قال تبارك وتعالى انما تنذرت الذين يحشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة أى انما تعظ بما جنت به أولو البصائر والنهي الخائفون من ربهم الفاعلون ما أمرهم به ومن تركي فاعلموا انهم كلفوا انفسهم أى ومن عمل صالحاً فلنأبى الله ان يعوده نفعه على نفسه والى الله المصير أى واليه المرجع والمآب وهو سر يع الحساب وسيجزي كل عامل بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر (وما

يستوى الاعى والبصر ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما
 أنت بسمع من في القبور ان أنت الانذير انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذيرا وان يكذبوك فقد كذب الذين
 من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) يقول تعالى كما لا تستوى هذه
 الاشياء المتباينة المختلفة كالأعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق بون كثير وكما لا تستوى الظلمات والنور ولا الظل والحرور
 كذلك لا تستوى الاحياء ولا الاموات وهذا (١٩٠) مثل ضرب به الله تعالى للمؤمنين وهم الاحياء والكافرين وهم الاموات

كقوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقال عز وجل مثل النريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا فالؤمن بصير سميع في نور يشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشى لا خروج له منها بل هو يتيه في غيبه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى ينفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم وظل من يحوم لا بارد ولا كرم وقوله تعالى ان الله يسمع من يشاء أي يهديهم إلى سماع الحق وقبولها والافتقار إليها وما أنت بسمع من في القبور أي كما لا ينتفع الاموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة إليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لاجل ذلك فهم ولا يستطيع هدايتهم ان أنت الانذير أي انما عليك البلاغ والانذار والله

ورجوع لنا إلى الدنيا لنطيع ربنا (من سبيل) أي من طريق لتتخلص منها أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل إليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس وانما يقولون ذلك تحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك ومثل هذا قولهم الذي حكاه الله عنهم فهل إلى مر من سبيل وقوله فارجعنا عمل صالحا وقوله ياليتنا نرذلنا نكذب بآيات ربنا الآية ثم أجاب الله سبحانه عن قولهم هذا بقوله (ذلكم) مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلكم أو مبتدأ أخبره محذوف أي ذلكم العذاب الذي أنتم فيه (بأنه) أي بسبب انه (إذا دعى الله) في الدنيا (وحده) دون غيره (كفرتم به) وتركتم توحيد (وان يشرك به) غيره من الاصنام وغيرها (تؤمنوا) بالاشراك وتصدقوا به وتجيئوا الداعي اليه فين سبحانه لهم السبب الباعث على عدم اجابتهم إلى الخروج من النار وهو ما كانوا فيه من اشراك غيره في العبادة التي رأسها الدعاء وترك توحيد الله (فالحكم لله) وحده دون غيره وهو الذي حكم عليكم بالنار وعدم الخروج منها فتعذبه لكم عدل نافذ (العلي) المتعالي سلطانه عن أن يكون له مماثل في ذاته وصفاته فلا يراد قضاؤه (الكبير) الذي كبر عن أن يكون له مثل أو صاحبة أو ولد أو شريك فلا يحسد جزاؤه وقيل كان الحرورية أخذوا قولهم لاحكم الله من هذا وقار قادة لما خرج أهل حرورية قال على من هؤلاء قيل المحكمون أي يقولون لاحكم الله فقال على كلمة حق أريد بها الباطل (هو الذي يريكم آياته) أي دلائل توحيد وعلامات قدرته من الريح والسحاب والرعد والبرق ونحوها (وينزل لكم من السماء رزقا) يعني مطرا فانه سبب الارزاق جمع سبحانه بين اظهار الآيات وانزال الارزاق لان اظهار الآيات قوام الاديان وبالارزاق قوام الابدان وهذه الآيات هي التكوينية التي جعلها الله سبحانه في سمواته وأرضه وما فيها وما بينهما قرأ الجمهور ينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجديد الاراءة والتزليل واستمرارهما (وما يتذكر الامن ينيب) أي ما يتعظ بتلك الآيات الباهرة فيستدل بها على التوحيد وصدق الوعد والوعيد الامن يرجع إلى طاعة الله بما يستفيدة من النظر في آيات الله وتوب من الشرك ويرجع اليه في جميع أمورهم فان المعاند لا يتذكر ولا يتعظ ثم لما ذكر سبحانه ما نصبه من الأدلة على التوحيد أمر عباده بعبادته واخلص الدين له فقال (فادعوا الله مخلصين له الدين) أي إذا كان الأمر كما

يضل من يشاء ويهدي من يشاء انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا أي بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين ذكر
 وان من أمة الا خلا فيها نذير أي وما من أمة خلقت من بني آدم الا وقد بعث الله تعالى اليهم النذير وأراح عنهم العليل كما قال تعالى انما أنت منذر ولكل قوم هاد وكما قال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فتمهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة الآية والآيات في هذا كثيرة وقوله تبارك وتعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وهي المعجزات الباهرات والأدلة القاطعات وبالزبر وهي الكتب وبالكتاب المنير أي الواضح البين ثم أخذت الذين كفروا

أى ومع هذا كله كذب أو أنك رسلكم فيما جاؤهم به فأخذتهم أى بالعقاب والنكال فكيف كان نكبر أى فكيف رأيت كان انكارى عليهم عظيما شديدا بليغا والله أعلم (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمرا مختلفا ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلفا ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور) يقول تعالى منها على كمال قدرته فى خلقه الاشياء المتنوعة المختلفة من الشئ الواحد وهو الماء الذى ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض (١٩١) الى غير ذلك من الزان الثمار كما هو المشاهد من

تنوع ألوانها وطعمها وروائحها كما قال تعالى فى الآية الأخرى وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغيره صنوان يسقى بماء واحد وتفضل بعضهم على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وقوله تبارك وتعالى ومن الجبال جدد بيض وحمرا مختلفا ألوانها أى وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان كما هو المشاهد أيضا من بيض وحمرا وفى بعضها طرائق وهى الجدد جمع جده مختلفة الألوان أيضا قال ابن عباس رضى الله عنهما الجدد الطرائق وكذلك قال أبو مالك والحسن وقتادة والسدى ومنها غرايب سود قال عكرمة الغرايب الجبال الطوال السود وكذا قال أبو مالك وعطاء الخراسانى وقتادة وقال ابن جرير والعرب اذا وصفوا الاسود بكثرة السواد قالوا أسود غريب ولهذا قال بعض المفسرين فى هذه الآية هذا من المقدم والمؤخر فى قوله تعالى وغرايب سود أى سود غريب وفيما قاله نظر وقوله تعالى ومن

ذكر من اختصاص التذكير بنى بنى فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التى أمركم بها (ولو كره الكافرون) ذلك فلا تفتوا الى كراهتهم ودعوهم يعوتوا بغيبهم ويملكون بحسرتهم (رفيع الدرجات) مرفوع على انه خبر آخر عن المبتدأ المقدم أى هو الذى يريك آياته وهو رفيع الدرجات وكذلك (ذوالعرش) خبر ثالث ويجوز أن يكون رفيع مبتدأ وخبره ذوالعرش ويجوز أن يكونا خبرين لمبتدأ المحذوف ورفيع صفة مشبهة والمبنى رفيع الصفات عظيمها أو رفيع درجات ملائكة أى معارجهم أو رفيع درجات أنبيائه وأوليائه فى الجنة وقال الكلبى وسعيد بن جبيرة رفيع السموات السبع وعلى هذا الوجه يكون رفيع بمعنى رافع وقيل هو المرتفع بعظمته فى صفات جلاله وكماله ووجدانته المستغنى عن كل ما سواه وكل الخلق فقراء اليه ومعنى ذوالعرش مالكه وخالقه والمتصرف فيه خلقه مظافا للملائكة وجعله فوق سمواته وذلك يقتضى علو شأنه وعظم سلطانه ومن كان كذلك فهو الذى تحقق له العبادة ويجب له الاخلاص وجملة (يلقى الروح) فى محل رفع على انها خبر آخر للمبتدأ المتقدم أو لما قدر أى ينزل الوحي وسعى الوحي روحا لان الناس يحيون به من موت الكفر كما تحيا الابدان بالارواح ومثل هذه الآية قوله تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وقيل الروح جبريل كفى قوله نزل به الروح الامين على قلبك وقوله نزل به الروح القدس من ربك بالحق وقوله (من أمره) متعلق بيلقى ومن لا يتدأ الغاية ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف على انه حال من الروح والمعنى من أجل أمره أو بأمره أو من قضائه (على من يشاء عن عباده) وهم الانبياء (ليندر يوم التلاق) قرأ الجمهور ببناء للفاعل ونصب اليوم والفاعل هو الله سبحانه أو الرسول أو من يشاء والمنذره محذوف أى لينذر العذاب يوم التلاق وقرئ لتندر بالفوقية على ان الفاعل ضمير المخاطب وهو الرسول أو ضمير يرجع الى الروح لانه يجوز تأنيها وقرئ على البناء للمفعول ورفع يوم على النيابة والتلاق محذوف الياء وانباتها وقتنا ووه لا وتوجه ذلك ذكره القاسمى فى شرح الشاطبية فليراجع والمعنى يوم يلقى أهل السموات والأرض فى المحشر ووه قال قتادة وقال أبو العالىة ومقاتل يوم يلقى العابدون والمعبدون وقيل الظالم والمظلم وقيل يلقى الخلق والخالق وقيل الأولون والآخرون وقيل جزاء الاعمال والعمالون قال ابن عباس يوم التلاق يوم القيامة يلقى

الناس والدواب والانعام مختلفا ألوانه كذلك أى كذلك الحيوانات من الناس والدواب وهو كل مادب على القوائم والانعام من باب عطف الخاص على العام كذلك هى مختلفة أيضا فالناس منهم بر ورجوش وطماطم فى غاية السواد وصقالبة وروم فى غاية البياض والعرب بين ذلك والهنود دون ذلك ولهذا قال تعالى فى الآية الأخرى واختلاف ألوانكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين وكذلك الدواب والانعام مختلفة الألوان حتى فى الجنس الواحد بل النوع الواحد من مختلف الألوان بل الحيوان الواحد يلوّن بلون أبلق فيه من هذا اللون وهذا اللون فتبارك الله أحسن الخالقين وقد قال الحافظ أبو بكر البرزاني مسنده

حدثنا الفضل بن سهل حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا زياد بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا بصغ ربك قال صلى الله عليه وسلم نعم صبغاً لا ينقص أحر وأصفر وأبيض وروى من سلامه موقوفاً والله أعلم ولهذا قال تعالى بعد هذا انما يخشى الله من عباده العلماء أي انما يخشاه حتى خشية العلماء العارفون به لانه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفة السكال المنعوت بالاسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به اكمل كانت الخشية (١٩٢) له أعظم وأكثر قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى

ففيه آدم وآخر ولده وعنه قال هو يوم الأرفة ونحو هذا من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذر عباده منه (يوم هم بارزون) أي خارجون من قبورهم لا يستترهم شيء من جبل أو مكة أو بناء لكون الأرض يومئذ قاعاً صافها ولا تياب عليهم وإنما هم عراة ككشوفون كما في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلاً وهو يدل من يوم التلاق بدل كل من كل ويوم ظرف مستقبل كما مضاف الى الجملة الاسمية على طريقة الاخفش وحر كة يوم حركة اعراب على المشهور وقيل حركة بناء كما ذهب اليه الكوفيون ويكتب هنا وفي الذاريات منفصلاً وهو الاصل أقاده السمين ونحوه في شرح الجزرية لشيخ الاسلام لانهم مرفوع بالابتداء فالمناسب القطع وما عداها نحو يومهم الذي يوعدون وحتى يلاقوا يومهم موصول لانهم فيهما محجور فالمناسب الوصل وجملة (لا يخفى على الله منهم شيء) مستأنفة مبنية لبروزهم أي لا يخفى عليه سبحانه شيء من ذواتهم وأحوالهم وأعمالهم التي عملوها في الدنيا أو حال من ضمير بارزون أو خبر ثان للمبتدأ وقوله (من) خبر مقدم وقوله (الملائك اليوم) مبتدأ مؤخر والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر كانه قيل فماذا يقال عند بروز الخلائق في ذلك اليوم فقيل يقال لمن الملك اليوم قال المفسرون اذا هلك كل من في السموات والأرض فيقول الرب تبارك وتعالى هذا القول فلا يجيبه أحد فيجب تعالى نفسه فقول (لله الواحد القهار) خبر مبتدأ محذوف قال الحسن هو السائل وهو المحجوب حين لا أحد يجيبه فيجب نفسه وقيل انه سبحانه يأمر متادياً بنادي بذلك فيقول أهل المحشر مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار قال النحاس وهذا أصح ما قيل فيه وقيل الاول ظاهر جدا وقيل انه يجيب المنادى بهذا الجواب أهل الجنة دون أهل النار أقاده الزمخشري وقيل هو حكاية ما ينطق به لسان الحال في ذلك اليوم لا تقطع دعاوى المبطلين كما في قوله وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تلك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله وقال القرطبي وذلك عند فناء الخلق وقيل يقوله تعالى بين المنفختين ويجيب نفسه بعد أربعين سنة (اليوم تجزي كل نفس بما كسبت) هذا من تمام الجواب على القول بان المحجوب هو الله سبحانه وأما على القول بان المحجوب هم العباد كاهم أو بعضهم فهو مستأنف لبيان ما يقوله الله سبحانه بعد جوابهم أي اليوم تجزي كل نفس بما عملت في الدنيا من خير وشر (لا ظلم اليوم) على أحد منهم من ثوابه أو يزيد في

انما يخشى الله من عباده العلماء قال الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير وقال ابن لهيعة عن ابن ابي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئاً وأحل - لاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن انه ملاقيه ومحاسب بعمله وقال سعيد بن جبير الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل وقال الحسن البصري العالم من خشى الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب الله به وزهد فيما حنط الله فيه ثم تلا الحسن انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية وقال أحمد بن صالح المصري عن ابن وهب عن مالك قال ان العلم ليس بكثرة الرواية وإنما العلم نور يجعله الله في القلب قال أحمد بن صالح المصري معناه ان الخشية لا تدرك بكثرة الرواية وإنما العلم الذي فرض الله عز وجل ان يتبع فأنما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ومن

عقابه

بعدهم من أئمة المسلمين فهذا لا يدرك الابار واية ويكون تأويل قوله تعالى نور بين يديه فهم العلم ومعرفة

معانيه وقال سفيان الثوري عن أبي حبان التيمي عن رجل قال كان يقال العلماء ثلاثة عالم بالله عالم بامر الله وعالم بالله ليس بعالم بامر الله وعالم بامر الله ليس بعالم بالله وبامر الله الذي يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والقرائض والعالم بالله ليس بعالم بامر الله الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود والقرائض ولا يخشى الله عز وجل (ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا عداً لا ينة يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم

ويزيدهم من فضله انه غفور رشكور) بخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه يؤمنون بهو ويعملون بما فيه من اقام الصلاة والافتقار ممارزتهم الله تعالى في الاوقات المشروعة لئلا ينهار امر او علانية يرجون تجارة لن تبور رأى يرجون ثوابا عند الله ولا بد من حصوله كما قدمنا في اول التفسير عند فضائل القرآن انه يقول لصاحبه ان كل تاجر من وراء تجارته وانا لك اليوم من وراء كل تجارة ولهذا قال تعالى ليوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله أى ليوفهم ثواب ما فعلوه وبضاعته لهم زيادات لم تحظر لهم انه غفور أى لذنوبهم شكورا للقليل من أعمالهم قال قتادة كان طرف رجه (١٩٣) الله اذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء

قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا سالم بن غيلان قال انه سمع دراجا بالسبع يحدث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذا رضى عن العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعملها وأذا سخط على العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعملها غريب جدا (والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده خبير بصير) يقول تعالى والذى أوحينا اليك يا محمد من الكتاب وهو القرآن هو الحق مصدقا لما بين يديه أى من الكتب المتقدمة يصدقها كما شهدت هى له بالتنويه وأنه منزل من رب العالمين ان الله بعباده خبير بصير أى هو خير بهم بصير بمن يستحق ما يفضله به على من سواه ولهذا فضل الانبياء والرسل على جميع البشر وفضل النبيين بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وجعل منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فوق جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

عقابه (ان الله سريع الحساب) أى سريع حسابه لانه سبحانه لا يحتاج الى تفكير في ذلك كما يحتاج غيره لا حاطة علمه بكل شئ فلا يعزب عنه مثقال ذرة قبيح يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لانه تعالى لا يشغله حساب عن حساب يحاسب الخلق في وقت واحد الحديث ورد بذلك وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود قال يجمع الله الخلق كلهم يوم القيامة بصعيد واحد بارض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يصب الله فيها قط فأول ما يتكلم أن ينادى مناد لمن الملك اليوم الى قوله للحساب أخرجه عبد بن حميد قال ما يبداه من الخصومات الدماء وقال ابن عباس ينادى مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعها الاحياء والاموات وينزل الله الى السماء الدنيا فيقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الآية وأخرج ابن أبى الدنيا في البعث والديلى عن أبى سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثله ثم أمر الله سبحانه رسوله بانذار عباده فقال (وأندرهم يوم الآزفة) أى يوم القيامة سميت بذلك لقرنها يقال أزف فلان أو الرحيل أى قرب بأزف أزفا من باب تعب وأزفادنا وقرب ومنه قوله تعالى أزفت الآزفة أى قربت الساعة وندت القيامة وقيل ان يوم الآزفة هو يوم حضور الموت والاول أولى قال الزجاج وقيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس أمرها وما هو كائن فهو قريب (اذا القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول عن مواضعها وترتفع عن أماكنها من الخوف حتى تصير الى الخبيرة وتلصق بجلوقهم فلا تعود فيستر بحوا بالنفس ولا تخرج فيستر بحوا بالموت كتفوله وبلغت القلوب الحناجر وهى جمع خبجور كحلقوم وزنا ومعنى أوجع خبجورة وهى الخلقوم و (كاظمين) بمعنى مغتمومين مكرومين وتمتلين نعم قال الزجاج المعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر فى حال كظمهم قال قتادة وقعت قلوبهم فى الحناجر من المخافة فهى لا تخرج ولا تعود فى أماكنها وقيل هو اخبار عن نهاية الجزع وانما قال كاظمين باعتبار أهل القلوب لان المعنى اذ قلوب الناس لدى حناجرهم فيكون حالهم وقيل حال من القلوب وجمع الحال منها جمع العقلاء لانه أسند اليها ما يسند الى العقلاء فجمعت جمعه ثم بين سبحانه انه لا ينفع الكافرين فى ذلك اليوم أحد فقال (مال الظالمين من حميم) أى قريب ومحج يتبعهم وجمي كقريب الذى تهتم لأمره (ولاشيخ يطاع) فى شفاعته لهم قال الكرخى حقيقة الاطاعة لا تمنى هنا لان المطاع يكون فوق المطيع رتبة

(٢٥) فتح البيان ثامن) (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير) يقول تعالى ثم جعلنا القانتين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الامة ثم قسمهم الى ثلاثة أنواع فقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه وهو المفرط فى فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات ومنهم مقتصد وهو المؤدى للواجبات التارك للسرعات وقد تترك بعض المستحبات ويقبل بعض المكروهات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله وهو الناعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض

المباحات قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا قال هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورتبهم الله تعالى كل كتاب أنزله فقطالمهم بغفرله ومقتصد هم بحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبد الرحمن بن معاوية اللبني قال حدثنا أبو الطاهر بن السرح حدثنا موسى بن عبد الرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذات يوم شفاعة لأهل الكبائر من أمي قال ابن (١٩٤) عباس رضي الله عنهما السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد

يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الاعراف يدخلون الجنة شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وكذا روى عن غير واحد من السلف ان الظالم لنفسه من هذه الامة من المصطفين على ما فيه من عوج وتقصير وقال آخرون بل الظالم لنفسه ليس من هذه الامة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن ابن عباس رضي الله عنهما فنهى ظالم لنفسه قال هو الكافر وكذا روى عنه عكرمة وبه قال عكرمة أيضا فيما رواه ابن جريج وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى فنهى ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة وقال مالك عن زيد بن أسلم والحسن وقتادة هو المنافق ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتادة وهذه الاقسام الثلاثة كالاقسام الثلاثة المذكورة في أول سورة الواقعة وآخرها والصحيح ان الظالم لنفسه من هذه الامة وهذا الاختيار ابن جريج هو ظاهر الآية وكما جاء به

فقتضاه ان الشافع يكون فوق المشفوع عنده وهذا محال هنا لان الله تعالى لا شيء فوقه فحينئذ هو مجاز ومعناه ولا شفيع يشفع أي يؤذن له في الشفاعة أو تقبل شفاعته وقال الحلي لا مفهوم للوصف اذ لا شفيع لهم أصلاً أي لا مطاع ولا غيره ثم وصف سبحانه شمول علمه بكل شيء وان كان في غاية الخفاء فقال (يعلم خائفة الاعين) وهي مسارقة النظر الى ما لا يحل له النظر اليه والخائفة مصدر كالعافية والكاذبة أي يعلم خيانة الاعين والجملة خبر آخر لقوله هو الذي يريكم أو خبر رابع عن المبتدأ الذي أخبر برفيع وما بعده عنه والاول هو الظاهر وقيل غير ذلك قال المؤرج فيه تقديم وتأخير أي يعلم الاعين الخائفة وقيل الاضافة على معنى من أي الخائفة من الاعين قال قتادة خائفة الاعين الهمز بالعين فيما لا يجب الله وقال الضحاك هو قول الانسان مارأيت وقد رأيت ورايت وما رأيت وقال السدي انه المراد بالعين وقال سفيان هي النظرة بعد النظرة وبه قال القراء والاول أولى وبه قال مجاهد قال ابن عباس في الآية الرجل يكون في القوم فتمتر بهم المرأة فيريهم انه بغض بصره عنها واذا نظروا واذا نظروا واذا نظروا واذا نظروا وقدا طلع الله من قلبه انه ود أن ينظر الى عورتها أخرجه سعد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأخرج الطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب عنه في الآية قال اذا نظروا بهار يد الخيانة أم لا وما تخفى الصدور قال اذا قدر عليها بزني بها أم لا ألا أخبركم بالتي تليها والله يقضي بالحق قادر على ان يجزي بالحسنة الحسنة وبالسبئية السبئية وأخرج أبو داود والنسائي وابن مردويه عن سعد قال لما كان يوم فتح مكة آمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس الأربعة نفر و امرأتين وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح فاقتبأ عند عثمان ابن عفان فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس الى البيعة جاء به فقال يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثا ناكل ذلك يأتي بيعة ثم بايعه ثم أقبل على أصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رأيت كفت يدي عن بيعته فيقتله فقالوا ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هل آؤمات الينا بعينك فقال انه لا ينبغي لني أن تكون له خائفة الاعين (وما تخفى الصدور) أي القلوب من الضمائر وتستره وتكنه وتضمه من معاصي الله أو من أمانة وخيانة أو النظرة الاولى أو هل بزني بها لو خلا

الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق يشد بعضها بعضا ونحن ان شاء الله تعالى نورد منها ما يسر الحديث الاول بها قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد بن العيزار انه سمع رجلا من ثقف يحدث عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فنهى ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هو لا كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي اسناده من لم يسم وقد رواه ابن جريج وابن أبي حاتم من حديث شعبة به نحوه ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي في انهم من هذه

الامة وانهم من أهل الجنة وان كان بينهم فرق في المنازل في الجنة الحديث الثاني قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن اسحق بن يونس بن عياض الليثي أبو ضمرة عن موسى بن عقبه عن علي بن عبد الله الأزدي عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ففهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاما الذين سبقوا فاولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فاولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فاولئك الذين يحسبون في طول المحشر ثم هم الذين (١٩٥) تلافاهم الله برحمة فهم الذين يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا

اغفور لشكوا راذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يسئنا بها نصب ولا يسئنا فيها نعوب طريق أخرى قال ابن ابي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم بن الحسين بن حنص حدثنا سفيان عن الاعشى عن رجل عن أبي ثابت عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ففهم ظالم لنفسه قال فاما الظالم لنفسه فيجس حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري عن الاعشى قال ذكر أبو ثابت انه دخل المسجد فجلس الى جنب أبي الدرداء رضى الله عنه فقال اللهم آتس وحشتي وارحم غم عرتي ويسر لي حيلتي صالحا فقال أبو الدرداء رضى الله عنه ائن كنت صادقا لانا أسعديه منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته منه ذكر هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ففهم ظالم

بها أولا (والله يقضى بالحق) فيجازى كل أحد بما يستحقه من خير وشر (والذين يدعون من دونه) أي يعبدونهم من دون الله قرأ الجهور بالتحمية يعنى الظالمين وقرئ بالفوقية على الخطاب لهم وهم اسبعيتان (لا يقضون بشئ) لانهم لا يعلمون شيا ولا يقدرون على شئ فكيف يكونون شركاء لله وهذا تم كتمهم لان ما لا يوصف بالقدره كالجماد لا يقال فيه يقضى أولا يقضى (ان الله هو السميع البصير) فلا يخفى عليه من المسوعات والمبصرات خافية تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ولتضاهه بالحق ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويصير ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دونه وانها لا تسمع ولا تبصر ولما خوفهم سبحانه بأحوال الآخرة ارفده ببيان تخوفهم بها حوال الدنيا فقال (أولم يسيرا وافي الارض فينظروا كيف كان عاقبه الذين كانوا من قبلهم) لان العاقل من اعتبر بحال غيره أي أغنوا ولم يسيرا وافي الارض فيعتبر وامن قبلهم من الامم المكذبة لرسولهم كعاد وعودوا ضربهم أو العاقبة بمعنى الصفة أو بمعنى المال أرشدهم الله سبحانه الى الاعتبار بغيرهم فان الذين مضوا من الكفار (كانوا هم أشد منهم قوة) أي من هؤلاء الحاضرين من الكفار وهؤلاء الذين كانوا من قبلهم بين حال هؤلاء وأولئك وفي قراءة منكم أي التفات من الغيبة الى الخطاب وقع ضمير الفصل هنا بين معرفة ونكرة مع انه لا يقع الا بين معرفتين ليكون النكرة هنا مشابهة للمعرفة من حيث انتاع دخول آل عليها لان أفعال التقضيل المقرون عن لا تدخل عليه آل (وآثارا في الارض) بما عروا فيها من الحصون المتينة والمصانع الحصينة والتصور المشيدة وبما لهم من العدد والعدة (فاخذهم الله بذنوبهم) أي عاقبهم وأهلكهم بسبب ذنوبهم وتكذيبهم رسولهم (وما كان لهم من الله من واق) أي دافع يدفع عنهم العذاب ويقتهم وقد مر تنسير هذه الآية في مواضع (ذلك) أي ما تقدم من الاخذ (بانهم) أي بسبب انهم (كانت تأتيمهم رسولهم بالبينات) أي بالحجج الواضحة والمعجزات الظاهرة (فكفروا) بما جاؤهم به (فاخذهم الله انه قوي) يفعل كل ما يريد لا يجزئه شئ (شديد العقاب) لمن عصاه ولم يرجع اليه ثم ذكر سبحانه قصة موسى ليعتبروا فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي متلبسا بها وهي التسع التي تقدم ذكرها في غير موضع (وسلطان مبين) أي حجة بيينة واضحة وهي

لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فاما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن وذلك قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحديث الثالث قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود أخبرنا سهل بن عبد ربه الرازي حدثنا عمرو بن قيس عن أبي اسبلى عن أخيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهم ففهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة الحديث الرابع قال ابن ابي حاتم

حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
 أمي ثلاثة أثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يحصبون
 ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا اله الا الله وحده يقول الله تعالى صدقوا لا اله الا أنا أدخلوهم الجنة
 بقولهم لا اله الا الله وحده واجلوا خطاياهم على أهل النار وحى التي قال الله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالهم
 وتصدقها في التي فيها ذكر الملائكة قال (١٩٦) الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فجعلهم ثلاثة افواج

وهم أصناف كلهم فمنهم ظالم لنفسه
 فهذا الذي يحصب ويكشف غريب
 جدا أثن عن ابن مسعود رضي الله
 عنه قال ابن جرير حدثني ابن جريد
 حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن
 قيس عن عبد الله بن عيسى رضي
 الله عنه عن يزيد بن الحرث عن
 شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود
 رضي الله عنه قال ان هذه الامة
 ثلاثة أثلاث يوم القيامة ثلث
 يدخلون الجنة بغير حساب وثلث
 يحاسبون حسابا يسيرا وثلث
 يجيئون بذنوب عظام حتى يقول
 الله عز وجل ما هؤلاء وهو أعلم
 تبارك وتعالى فتقول الملائكة
 هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام الا أنهم لم
 يشركوا بلذ شياً فيقول الرب عز
 وجل أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي
 وتلا عبد الله رضي الله عنه هذه
 الآية ثم أورثنا الكتاب الذين
 اصطفينا من عبادنا الآية أثر
 آخر قال أبو داود الطيالسي عن
 الصلت بن دينار بن الأشعث عن
 عتبة بن صهبان الهنائي قال سألت
 عائشة رضي الله عنها عن قول الله
 تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا
 من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية

التوراة وقيل المراد به اما الآيات نفسها والعطف لتغير العنواين واما بعضهم أي
 المشهور منها كاليد والعصا أو أفردت بالذ كرمع اندراجها تحت الآيات اعتنائها (ألى
 فرعون وهامان وقارون) خصهم بالذ كران مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم
 لانهم رؤساء المكذبين بموسى ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الاموال
 والكنوز (فقالوا ساحر كذاب) فيما جاءهم به والقائل فرعون وقومه وأما قارون فلم
 يقل ذلك ففي الكلام تغليب وكذا يقال في قوله قالوا اقتلوا وقال الخطيب كان هذا قول
 قارون وان لم يقله بالنقل فانه طبع على الكثرة فلهذا آخرا (فلما جاءهم) موسى (بالحق
 من عندنا) وهي معجزاته الظاهرة الواضحة (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه) قال
 قتادة هذا قتل غير القتل الاول لان فرعون قد كان أمسك وكف عن قتل الولدان وقت
 ولادة موسى فلما بعث الله موسى وأحسن بانه قد وقع ما وقع أعاد القتل على بني اسرائيل
 غظا وحنقا فكان يأمر بقتل الذكور وترك الاناث ومثل هذا قول فرعون سمقتل
 أبناءهم ونسختي نساءهم والمعنى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أو لازعمانه انه يصدهم
 بذلك عن مظاهرتهم ظنانهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على
 يده فشنغلهم الله عن ذلك بما أنزل عليهم من أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم
 والطوفان الى أن خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى (واستحيوا) أي استبقوا
 (نساءهم) للخدمة (وما كيد الكافرين الا في ضلال) أي في خسران وضياع ووبال لانه
 يذهب باطلا ولا يغني عنهم شيئا ويحقيق بهم ما يريد الله عز وجل وان الناس لا يمتنعون من
 الايمان وان فعل بهم مثل هذا بل ينفذ عليهم لا محالة التقدر المقدر والقضاء المحتم واللام
 امالا العهد والاطهار في موضع الاضمار لانهم بالكثرة والاشعار بعبدة الحكم أو للجنس وهم
 داخلون فيه دخولا أوبيا والجملة اعتراض بجيء في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل
 للمسارعة الى بيان بطلان ما ظهره واضمحلالا بالامارة (وقال فرعون ذروني أقتل موسى)
 أي اتركوني أن أقتله والظاهر من حال اللعين انه قد استيقن انه سي وان ما جاء به حتى ولكن
 كان يخاف انهم بقتله ان يعاجل بالهلاك وانما قال ذلك تمويها وايها ما انهم هم المانعون
 له من قتله ولولا انهم لقتله مع ما منعه الاماني نفسه من الفرع الهائل وقوله (وليدع ربه)

فتمت الى بيان هؤلاء في الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم وأما الظالم لنفسه فقليل ومن ملككم قال جعلت
 نفسهم رضي الله عنهم وهذا من مرضى الله عنهم من باب الهضم والنواضع والافهي من أكبر السابقين بالخيرات لان فضلها على
 النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله
 تبارك وتعالى فمنهم ظالم لنفسه قال هي لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرننا وسابقنا أهل الجهاد واهل أبي حاتم وقال عوف

الاعرابي حدثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل حدثنا كعب الاحبار رجة الله عليه قال ان الظالم لنفسه من هذه الامة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ألم تر ان الله تعالى قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفصل الكبير جنات عدن يدخلونها الى قوله عز وجل والذين كفروا لهم نار جهنم قال هؤلاء اهل النار رواه ابن جرير من طريق عن عوف به ثم قال حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن عليه اخبرنا حميد عن اسحق بن عبد الله بن الحرث عن ابيه قال ان ابن عباس رضى الله عنهما سأل كعبا عن (١٩٧) قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله باذن الله قال

تجدد منه واظهار له دم المبالاة ولكنه اخوف الناس منه وفي منعه من قتله وجود ذكرها الخطيب أى ليدع الذى يزعم انه ارسله اليه ليقبضه من القتل ان قدر على ذلك أى لايهم ولنكنم ذلك فانه لا ربه حقيقة بل انار بكم الاعلى ثم ذكر العلة التى لاجلها اراد ان يقتله فقال (انى اخف) ان لم اقتله (ان يتدل دينكم) الذى انتم عليه من عبادة غير الله ويدخلكم في دينه الذى هو عبادة الله وحده (أو ان يظهر في الارض الفساد) أى يوقع بين الناس الخلاف والفتنه جعل اليعنين ظهورا مدعا اليه موسى وانتشاره في الارض واهتداء الناس اليه فساد اوليس الفساد الاما هو عليه هو ومن تابعه والمعنى انه لا بد من وقوع أحد الامرين أو وقوع الامرين جميعا (وقال موسى انى عدت ربى وربكم من كل متكبيرا ليؤمن بيوم الحساب) لما هدده فرعون بالقتل لم يأت في دفع شدة اللعين الابان استعاذ بالله عز وجل من كل تعظيم عن الايمان بالله غير مؤمن بالبعث والنشور واعتمد عليه فلا جرم صانه الله عن كل بلية ويدخل فرعون في هذا العموم دخولا اوليا ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعبادة التساوة والجلالة على الله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه) قال الحسن ومقاتل والسدى كان قبطيا وهو ابن عم فرعون وهو الذى نجح مع موسى وهو المراد بقوله وهو الجاهل من أقصى المدينة يسبحي وقيل كان من بنى اسرائيل ولم يكن من آل فرعون وهو خلاف ما فى الآية وقد جعل لذلك بأن فى الآية تدعى او تأخيرا والتقدير وقال رجل من بنى اسرائيل يكتم ايمانه من آل فرعون قال القشيري ومن جعله اسرائيليا فقيه بعد لانه يقال كتمه امر كذا ولا يقال كتمه كتمه كما قال سبحانه ولا يكتمون الله حديثا وايضا ما كان فرعون يحتمل من بنى اسرائيل مثل هذا القول وقد اختلف فى اسم هذا الرجل فقيل حبيب وقيل شمعون وهو الاصح كما فى مبهامات القرآن وقيل حزقيل وبه قال ابن عباس واكثر العلماء وقال وهب كان اسمه جبريل وقيل غير ذلك قال ابن عباس لم يكن فى آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذى اندر موسى الذى قال ان الملايئمة يترون بك ليقتهولك قال ابن المنذر اخبرت انه حزقيل وعن ابي اسحق قال اسمه حبيب قرأ الجمهور رجل بضم الجيم وقرئ بسكونها وهى لغة تميم وتجدد والاولى هى النصيحة وقرئ بكسر الجيم (أتقتلون

من عبادنا الى قوله باذن الله قال تماسست منا كهم م ورب كعب ثم اعطوا الفضل باعمالهم ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم ابن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن ابي اسحق السبعي فى هذه الآية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية قال ابو اسحق اما ما سمعت من ذى ستين سنة فكلمهم ناج ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه قال انما امة مرحومة الظالم مغنور له والمقتصد فى الجنان عند الله والسابق بالخيرات فى الدرجات عند الله ورواه الثوري عن اسمعيل بن سميع عن رجل عن محمد بن الحنفية رضى الله عنه بنحوه وقال ابو الجارود سألت محمد بن علي بن يعنى الباقر رضى الله عنهم عن قول الله تعالى فمنهم ظالم لنفسه فقال هو الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهذا ما تيسر من ايراد الاحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام واذا تقررت هذا فان الآية عامة فى جميع الاقسام الثلاثة فى هذه الامة فالعلماء اغبط

الناس بهذه النعمة وأولى الناس بهذه الرحمة فانهم كما قال الامام احمد رجه الله حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عاصم بن رجا بن حيوة عن قيس بن كثير قال قدم رجل من أهل المدينة الى ابى الدرداء رضى الله عنه وهو يمشى فقال ما أقدمك أى أخى قال حديث بلغنى انك تحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما قدمت لتجارة قال لا قال ما قدمت لافى طلب هذا الحديث قال نعم قال رضى الله عنه فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيها عملا سلك الله تعالى به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا الطالب العلم وانه ليستغفر للعالم من فى السموات والارض حتى

الذي تان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم وان العلماء هم ورثة الانبياء وان الانبياء هم يورثوا دينارا ولادهم ما وناموا ورثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر واخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن ابي الدرداء رضي الله عنه وقد ذكرنا طرقه واختلاف الروايات فيه في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة وقد تقدم في اول سورة طه حديث ثعلبة بن الحكم رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء اني لم اضع علي وحكمتي فيكم (١٩٨) الا وانا اريد ان اغفر لكم على ما كان منكم

ولأبالي (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور رشكور الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يسئنا فيها نصب ولا يسئنا فيها القوب) يخبر تعالى ان ما يرى هؤلاء المصطفين من عباده الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة جنات عدن أي جنات الإقامة يدخلونها يوم معادهم وقدمهم على الله عز وجل يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تبلغ الخلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء ولباسهم فيها حرير ولهذا كان محظورا عليهم في الدنيا فأباحه الله تعالى لهم في الآخرة وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وقال هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن سواد السرحي أخبرنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن

رجلا) الاستفهام للاسكار (ان يقول) أي لان يقول أو كراهة ان يقول وقال الزمخشري أي وقت ان يقول ورد ذلك لنص النخاعة على خلافه وقال الامام تاج الدين من مكتوم أجاز ابن جني ذلك والاول أولى (ربي الله) وهو ربكم أيضا لربه وحده وهو إشارة الى التوحيد وهذا انكار منه عظيم كانه قيل أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة من غير روية وتأمل في أمره واطلاع على سبب يوجب قتله وما لكم علة في ارتكابه الا كلمة الحق وهو قوله ربي الله (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي والحال ان قد جاءكم بالمعجزات الواضحات والدلالات الظاهرات على نبوته وصحة رسالته والمعنى انه لم يحضر لتصحیح قوله بيئته واحدة ولكن بينات من عنده من نسبت اليه الربوبية وهو استدراج لهم الى الاعتراف به أخرج البخاري وغيره من طريق عروة قال قيل لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرنا بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يبنارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بفناء الكعبة اذا قبل عقبته بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكب كعبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وأخرج البرزاري وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن علي ابن أبي طالب انه قال يأبى الناس أخبروني من أشجع الناس قالوا أنت قال أما اني ما بارزت أحدا الا انتصفت منه ولكن أخبروني عن أشجع الناس قالوا لا نعلم فن قال أبو بكر رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخذته قريش فهذا يجنبه وهذا يتلته وهم يقولون أنت الذي جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الأبو بكر يضرب هذا بي هذا ويتل هذا وهو يقول ويل لكم أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ثم رفع بردة كانت عليه فبكي حتى اخضت لحيته ثم قال أشدكم أمؤمن آل فرعون خیر أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبون فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذلك رجل يكتم إيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه ثم تظف الرجل المؤمن لهم في الدفع عن موسى واحتج عليهم بطريق التقسيم فقال (وانيك كاذبا فعليه كذبه) أي ضرر كذبه (وانيك صادقا فبصحبكم بعض الذي يعدكم) هذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شق التردد كونه كاذبا وانما خوفهم به اقتصارا على ما هو

عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان أبا امامة رضي الله عنه حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم وذكر حلي أهل الجنة فقال مسورون بالذهب والفضة مكللة بالدر وعليهم كالليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كإح الملوكة شباب جردهم مكملون وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو الخوف من المحذور وأزاحه عنا وأراحنا كما كانت خوفه ونحو ذلك من هموم الدنيا والآخرة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لاله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لاله الا الله ينفضون

أظهر

التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن رواه ابن أبي حاتم من حديثه وقال الطبراني حدثنا جعفر بن محمد
 الفرابي حدثنا موسى بن يحيى المرزوي حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي عن عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر رضي الله عنهما
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لاله الا الله وحشة في الموت ولا في القبور ولا في التشور وكأني أنظر اليهم عند
 الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور قال ابن عباس رضي الله عنهما
 وغيره غفر لهم الكثير من السيئات وشكر لهم اليسير من الحسنات (١٩٩) الذي أحلنا دار المقامة من فضله يقولون

الذي أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام
 من فضله ومنه ورجته لم تكن
 أعمالنا تساوي ذلك كما ثبت في
 الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال لا يدخل أحد منكم عمله
 الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله
 قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله تعالى
 بوجهه منه وفضل لا يسنا فيها نصب
 ولا يسنا فيها الغوب أي لا يسنا فيها
 عناء ولا اعياء والنصب والغوب كل
 منهما يستعمل في التعب وكان
 المراد بنفي هذا وهذا عنهم انهم
 لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم
 والله أعلم فمن ذلك انهم كانوا يذبحون
 أنفسهم في العبادة في الدنيا فسقط
 عنهم التكليف بدخولها وصاروا
 في راحة دائمة مستمرة قال الله
 تبارك وتعالى كما واصلوا ههنا
 بما أسلفتم في الايام الخالية (والذين
 كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
 فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها
 كذلك تجزي كل كفور وهم
 يصطرخون فيها ربنا أخرجنا من عمل
 صالحنا الذي كنا نعمل أولم نعمركم
 ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير
 فنوقوا بما لا تظلمون من نصير) لما

أظهر احتمالاً عندهم ولم يكن قوله هذا لشد منه فانه كان مؤمناً كما وصفه الله ولا يشك
 المؤمن والمعنى اذ لم يصيبكم كله فلا أقل من ان يصيبكم بعضه لاسيما ان تعرضتم له بسوء
 وقال أبو عبيدة وأبو الهيثم بعض هنا بمعنى كل أي يصيبكم كل الذي يعدكم والبعض قد
 يستعمل في لغة العرب بمعنى الكل قال النسفي وتفسر البعض بالكل مزيف انتهى نعم
 ولا ضرورة للبحر الى حمل ما في الآية على ذلك لانه أراد التنزل معهم وايها مهم انه لا يعتد
 صحة نبوته كما يفيد قوله بكتيم ايانه قال أهل المعاني وهذا على المظاهرة في الخجاج كانه قال
 لهم أقل ما يكون في صدقه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم فكأن
 الحاصل بالبعض هو الحاصل بالكل وقال اللبث بعض ههنا صلة تريد يصيبكم الذي يعدكم
 وقيل يصيبكم هذا العذاب الذي يقوله في الدنيا وهو بعض ما يتوعدكم به من العذاب
 وقيل انه وعدهم بالثواب والعقاب فاذا كفروا أصابهم العذاب وهو بعض ما وعدهم به
 وحذفت النون من يكن في الموضعين تخفيفاً للكثرة الاستعمال كما قال سيبويه (ان الله
 لا يهدي من هو مسرف كذاب) هذا من تمام كلام الرجل المؤمن وهو احتجاج آخر
 ذو وجهين أحدهما انه لو كان موسى مسرفاً كذا ما لعاداه الله الى البيئات ولأيده
 بالمعجزات وثانيها انه اذا كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله والمسرف
 المقيم على المعاصي المستكثر منها والكذاب المفتري (يا قوم لكم الملك اليوم) ذكرهم ذلك
 الرجل المؤمن ما هم فيه من الملك ليشكروا الله ولا يتنادوا في كفرهم ومعنى (ظاهرين)
 الظهور على الناس والغلبة لهم والاستعلاء عليهم (في الارض) أي أرض مصر (فن
 ينصرون من بأس الله ان جاءنا) أي من يمنعان من عذابه ويحول بيننا وبينه عند مجيئه وفي
 هذا تحذير منه لهم من نعمة الله بهم وانزال عذابه عليهم وانما نسب ما يسرهم من الملك
 والظهور في الارض لهم خاصة وتظم نفسه في سلكهم فيما هم من محبي بأس الله تطيبها
 لقلوبهم وايداناً بأنه مناصح ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرددهم لياتروا بنصحه فلما
 سمع فرعون ما قاله هذا الرجل من النصح الصحيح جاءه رغبة يوهبهم بها قومته انه لهم من
 النصيحة والرعاية بجان مكين وانه لا يسلبهم الامساك كما يكون فيه جلب النفع لهم ودفع
 الضرر عنهم ولهذا (قال فرعون ما أرى لكم الا ما أرى) أي ما أشير عليكم الا بما أرى لنفسى
 قاله ابن زيد وهذا تفسير بالآل المعنى والتفسير المطابق لجوهر اللفظ ما قال الضحالك

ذكر تبارك وتعالى حال السعداء شرع في بيان ما للاشقياء فقال والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا كما قال تعالى
 لا يموت فيها ولا يحيى وثبت في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون
 وقال عز وجل ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ما كنتم فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ولكن لا يسيل الى ذلك
 قال الله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كما قال عز وجل ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم
 وهم فيه مبلسون وقال جل وعلا كلما خبت زردناهم سعيراً فذوقوا ان زردكم الاعذاب ثم قال تعالى كذلك تجزي كل كفور

أى هذا جزاء من كفر به وكذب الحق وقوله جات عظمتهم وهم بصطر خون فيها أى ينادون فيها يجارون الى الله عز وجل بأصواتهم ربنا أخرجهما من صالحا غير الذى كان يعمل أى يسألون الرجعة الى الدنيا ليعملوا غير عملهم الاول وقد علم الرب جل جلاله انه لو ردّهم الى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وانهم الكاذبون فلهذا لا يجيبهم الى سؤالهم كما قال تعالى مخبر عنهم في قواهم فهل الى همر من سبيل ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشركن به تؤمنوا أى لا يجيبكم الى ذلك لانكم كنتم كذلك ولو ردّتم لعدتم الى ما نهيتهم عنه ولذا قال ههنا أولم نعمركم (٢٠٠) ما يتذكر فيه من تذكروا بما كنتم النذير أى أو ما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم

من ينتفع بالحق لا تنتعم به في مدة
٤- ركم وقد اختلف المفسرون
في مقدار العمر المراد ههنا فروى
عن علي بن الحسين بن العابد بن
رضي الله عنهما انه قال مقدار سبع
عشرة سنة وقال قتادة اعلموا ان طول
العمر حجة فتموت ذب الله ان تغتر
بطول العمر قد نزلت هذه الآية
أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وان فيهم لابن عثمان عشرة سنة وكذا
قال أبو غالب الشيباني وقال عبد الله
ابن المبارك عن معمر بن رزجل
عن وهب بن منبه في قوله تعالى أولم
نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قال
عشرين سنة وقال هشيم عن
منصور بن زاذان عن الحسن بن
توله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه
من تذكر قال أربعين سنة وقال
هشيم أيضا عن مجاهد عن الشعبي
عن مسروق انه كان يقول اذا بلغ
أحدكم أربعين سنة فلما أخذ حذره
من الله عز وجل فهذه رواية عن
ابن عباس رضي الله عنهما فيما قال
ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى
حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبد الله
ابن عثمان بن خيثم عن مجاهد

ما علمكم الا ما علم من الصواب وهو قتل موسى والرؤية هنا هي القلبية الاعتقادية
لا البصرية العينية فتعدى لفعولين ثانيهما الامأرى (وما أهدىكم الا سيلا الرشاد) أى
ما أهدىكم ولا أدعوكم بهذا الرأى الا الى طريق الحق والهدى قرأ الجمهور بتخفيف
الشين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه بتشديد هاء على انها صيغة مبالغة كضراب قال
النخاس هي الحن ولا وجه لذلك ثم كر ذلك الرجل المؤمن تذكروا ما يتذكر فيه من تذكروا
ما نزل عن قبلهم فقال الله كما كانه (وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم
الاحزاب) أى مثل يوم عذاب الامم الماضية الذين تحزبوا على انبيائهم وأفرد اليوم لان
جمع الاحزاب قد أغنى عن جمعه والاحزاب لم ينزل بها العذاب في يوم واحد بل نزل بها في
الدنيا في أيام مختلفة فتمت نسبة ثم فسر الاحزاب فقال (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود الذين
من بعدهم) أى مثل حالهم في العذاب أو مثل عاداتهم في الإقامة على التكذيب أو مثل
جزاء كانوا عليه من الكفر والتكذيب (وما الله يريد ظلما للعباد) أى لا يعذبهم ولا
يعاقبهم بغير ذنب ولا يترك الظالم منهم بغير انتقام أو لا ين يدعى قدر ما يستحقون من
العذاب أو لا يهلكهم الا بعد اقامة الحجج عليهم ونفى الارادة للظلم يستلزم نفي الظلم بجموعى
الخطاب وتفسير المعتزلة بانه لا يريد لهم ان يظلموا بعيد لان أهل اللغة قالوا اذا قال الرجل
لا تخرا لا يريد ظلمالك معناه لا يريد ان أظلم ثم زاد الرجل المؤمن في الوعظ والتذكير فقال
(ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد) قرأ الجمهور بتخفيف الدال وحذف الياء والاصل
التنادى وهو التفاعل من التداء يقال تنادى القوم أى نادى بعضهم بعضا وقرئوا بآيات
الياء على الاصل وقرأ ابن عباس والضحاك وعكرمة بتشديد الدال قال بعض أهل اللغة
هو الحن لانه من ندى ندى اذا مر على وجهه هاربا قال النخاس وهذا غلط والقراءة حسنة
على معنى التنادى قال الضحاك في معناه انهم اذا سمعوا ابن فرجهن ندوا هرا بافلا يأتون
قطرا من أقطار الارض الا وجدوا صنفوا من الملائكة فيرجعون الى المسكن الذى كانوا
فيه فذلك قوله يوم التناد وعلى قراءة الجمهور المعنى يوم ينادى بعضهم بعضا أو ينادى
أهل النار أهل الجنة وأهل الجنة أهل النار ويوم ينادى فيه كل أناس بامامهم ولا مانع
من الحمل على جميع هذه المعانى وهو ما حكي الله تعالى في سورة الاعراف ونادى أصحاب
الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف وقيل

قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول العذر الذى اعذر الله تعالى لابن آدم أولم نعمركم ما يتذكر فيه من ينادى

تذكر أربعين سنة هكذا رواه من هذا الوجه عن ابن عباس رضي الله عنهما به وهذا القول هو اختيار ابن جرير ثم رواه من
طريق الثوري وعبد الله بن ادريس كلاهما عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال العمر
الذى اعذر الله فيه لابن آدم في قوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ستون سنة فهذه الرواية أصح عن ابن عباس رضي الله عنهما
وهي الصحيحة في نفس الامر أيضا لما ثبت في ذلك من الحديث كما سـنورده لا كما زعمه ابن جرير من ان الحديث لم يصح في ذلك

لان في اسناده من يجب التثبت في امره وقد روى اصبح بن نباتة عن علي رضي الله عنه انه قال العمر الذي عمرهم الله به في قوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكرون سنة وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حنيفة حدثنا ابي فديك حدثني ابراهيم بن الفضل الخزومي عن ابن ابي حسين المكي انه حدثه عن عطاء هو ابن ابي رياح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة قيل أين أناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكروا جاءكم النذير وكذا رواه ابن جرير عن علي بن شعيب عن اسمعيل بن ابي فديك (٢٠١) به وكذا رواه الطبراني من طريق ابن ابي

فديك به وهذا الحديث فيه نظر لحال ابراهيم بن الفضل والله اعلم حديث آخر قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن رجل من بني غنار عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقد أعذرت الله تعالى الى عبد احياء حتى بلغ ستين أو سبعين سنة لقد أعذرت الله تعالى اليه لقد أعذرت الله تعالى اليه وهكذا رواه الامام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه حدثنا عبد السلام بن مطهر عن عمر بن علي عن معمر بن محمد الغناري عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعذرت الله عز وجل الى امرئ آخر عمره حتى بلغ ستين سنة ثم قال البخاري تابعه أبو حازم وابن عجلان عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فأما أبو حازم فقال ابن جرير حدثنا أبو صالح النزارى حدثنا محمد بن سوار أخبرنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عبد القادر أي الاسكندر حدثنا أبو حازم عن سعيد المقبري عن ابي

ينادي مناد الا ان فلانا سعد فلا يسعد بعدها ابدا وينادي حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلدوا بلاموت ويا أهل النار خلدوا بلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم أقرؤا كتابيه وينادي الكافر يا ليتني لم أوت كتابيه (يوم تولون مدبرين) أي منصرفين عن الموقف الى النار أو فارين عنها غير معجزين قال قتادة ومقاتل المعنى الى النار بعد الحساب (ما لكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذاب الله ويتعصم منه (ومن يضلل الله فإله من هاد) يهديه الى طريق الرشاد قرئ هاديا ثبات الباء وحذفها في الوقف وبجذفها في الوصل مع حذفها خطأ (ولقد جاءكم يوسف) هذا من تمام وعظم مؤمن آل فرعون ذكرهم قديم عتوهم على الانبياء وقيل ان هذا من قول موسى عليه السلام والاول اولى (من قبل) أي قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب في قول عمر الى زمن موسى قاله المحلى أي عاش واستمر يوسف بن يعقوب الى زمن موسى الكليم قال سليمان الجلي وهذا القول لم يقله غيره (١) من المفسرين وانما غاية ما وجد بعد التفتيش ما نقله الشهاب بقوله وفي بعض التواريخ ان وفاة يوسف قبل مولد موسى بأربع وستين سنة قال القاري والصحيح ان العممر هو فرعون موسى أدرك يوسف وعاش الى ان أرسل اليه موسى وعمر أربع مائة سنة وأربعين سنة انتهى وقال السيوطي في التكميل وعاش يوسف بن يعقوب مائة وعشرين سنة وبين يوسف وموسى أربع مائة سنة انتهى وقيل هو فرعون آخر (بالينات) أي انه جاءهم بالمعجزات الظاهرات والايات الواضحات من قبل يحيى موسى اليهم أي جاء الى آباءكم فجعل الجحى الى الآباء مجيئا الى الابناء وقال ابن جرير المراد بالينات رؤيا يوسف وقيل المراد بها قوله أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وقيل المراد بيوسف يوسف بن افراتيم بن يوسف بن يعقوب وكان أقام فيهم أي في القبط ثياعشرين سنة وحكي النقاش عن الضحاك ان الله بعث اليهم رسولا من الجن يقال له يوسف قال الشوكاني رحمه الله والاول اولى (فأزلتم) أي مازال اسلافكم (في شك مما جاءكم به) من البينات ولم تؤمنوا به (حتى اذا هلك) يوسف (قلتم) أي قال اسلافكم (ان يبعث الله من بعده رسولا) فكفروا به في حياته وكفروا به بعد من الرسل بعد موته وظنوا ان الله لا يجدد عليهم الحجة وانما قالوا ذلك على سبيل التشميى والتمنى من غير حجة ولا برهان ليكون لهم أساس في تكذيب الرسل الذين يأتون بعده وهذا ليس اقرارا منهم برسالاته بل

(٢٦ فتح البيان ثامن) هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله تعالى ستين سنة فقد أعذرت الله في العمر وقد رواه الامام احمد والنسائي في الرقاق جميعا عن قتيبة عن يعقوب بن عبد الرحمن به ورواه البراز قال حدثنا هشام بن يونس حدثنا عبد العزيز بن ابي حازم عن ابيه عن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العمر الذي اعذرت الله تعالى فيه الى ابن آدم ستون سنة يعني اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكروا واما متابعة ابن عجلان فقال ابن ابي حاتم حدثنا (١) فيه أن الناقل لهذا القول جماعة سوى الجلال المحلى كالحازن والنسفي وابي السعود كما يظهر عند المراجعة الى تفاسير هؤلاء فتقوله لم يقله غيره من المفسرين فيه نظر ظاهر اه منه

أبو السفر يحيى بن محمد بن عبد الملك بن قرعة بسامر^{٢٠٢} حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا محمد بن عثمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتت عليه ستون سنة فقد أعتذر الله عز وجل اليه في العمر وكذا رواه الإمام أحمد عن أبي عبد الرحمن هو المقرئ به ورواه أحمد أيضاً عن خلف عن أبي معشر عن أبي سعيد المقبري طريق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ابن جرير حدثني أحمد بن الفرخ أبو عتبة الحمصي حدثنا بقية بن الوليد حدثنا المطرف بن مازن الكوفي حدثني معمر بن (٢٠٢) راشد قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الغناري يقول سمعت أبا هريرة رضي

الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعتذر الله عز وجل في العمر إلى صاحب الستين سنة والسبعين فقد صبح هذا الحديث من هذه الطرق فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبد الله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت وقول ابن جرير أن في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره لا يلتفت اليه مع تصحيح البخاري والله أعلم وذكر بعضهم أن العسر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين ثم يشرع بعده في النقص والهرم كما قال الشاعر

إذا بلغ الفتي ستين عاماً

فقد ذهب المسرة والفتاء
ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله تعالى إلى عباده به ويزيح به عنهم العلل كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة كما ورد بذلك الحديث قال الحسن بن عرفه فرجه الله حدثنا عبد الرحمن بن محمد الخاربي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

هو ضم منهم إلى الشك في رسالته والتكذيب برسالة من بعده أفاده الخطيب والغازن (كذلك) الضلال الواضح (يضل الله من هو مسرف) في معاصي الله مستكثر منها أو مشرك (مرتاب) في دين الله شاك في وحدانيته ووعده ووعدته وقوله (الذين يجادلون في آيات الله) بدل من الجمع باعتبار معناه وافراد الضمير باعتبار اللفظ أو بيان لها أو صفة أو في محل نصب بانحصار أعيان أو خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين أو مبتدأ وخبره يطبع والاول أولى قال ابن جرير في الذين يجادلون به وقد قيل هذا من كلام الرجل المؤمن أيضاً وقيل أنه ابتداء كلام من الله سبحانه (بغير سلطان) أي بغير حجة واضحة وبرهان ساطع (أناهم) صفة لسلمان (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) يحتمل أن يراد به التعجب والاستعظام وإن يراد به الذم كتمس وقاعل كبر ضمير يعود إلى الجدال المفهوم من يجادلون قال المحلى كبر خبر المبتدأ انتهى وهذا أولى وأحسن الأعراب العشرة التي ذكرها السمين واليه نجا أبو حيان (كذلك) الطبع المحكم البليغ (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) مستأنف قرأ الجمهور بإضافة قلب إلى المتكبر واختارها أبو حاتم وأبو عبيد وفي الكلام حذف والتقدير كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر حذف كل الثانية لدلالة الأولى عليها والمعنى أنه سبحانه يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين وقرئ بتبوين قلب على أن متكبراً صفة له فيكون القلب مراد به الجملة لأن القلب هو محل التكبر وسائر الأعضاء تتبع له في ذلك وهما سبع مائة وقرأ ابن مسعود على قلب كل متكبر وتقديره عند المخشري على كل ذي قلب متكبر قال الشيخ ولا ضرورة تدعو إلى اعتبار الحذف قلت بل ثم ضرورة إلى ذلك وهي توافق إقرأتين ثم لما سمع فرعون هذا رجع إلى تكبره وتجبره معرضاً عن المواعظة فأقرع قبورها (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً أي قصرًا مشيداً كما تقدم بيان تفسيره في سورة القصص وقيل صرحاً أي بناءً ظاهرًا لا يخفى على الناظرين وإن بعد ومنه يقال صرح الشيء إذا ظهر وفي المصباح الصرح بيت واحد بين مفرد أطول وأخصم وفي السمين الصرح القصر أو حصن الدار أو بلاط يتخذ من زجاج وأصله من التصريح وهو الكشف (لعل أبلغ الأسباب) أي الطريق من السماء إلى السماء قال قتادة والزهرى والسدى والاختش هي الأبواب أي أبوابها الموصلة

عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعاً اليها في كتاب الزهد عن الحسن بن عرفته ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهذا عجيب من الترمذي فإنه قد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا من وجه آخر وطريق أخرى عن أبي هريرة حيث قال حدثنا سليمان بن عمرو عن محمد بن ربيعة عن كامل بن أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقد رواه الترمذي في كتاب الزهد أيضاً عن إبراهيم بن سعيد الجوهري عن محمد بن ربيعة عنه ثم قال هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد روى من غير وجه عنه هذا نصه بجموده في

الموضعين والله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو موسى الانصاري حدثنا ابن أبي فديك حدثني ابراهيم بن الفضل مولى بني مخزوم عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معتزك المنيا ما بين الستين الى السبعين وبه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل امتي أبناء سبعين اسناده ضعيف حديث آخر في معنى ذلك قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا ابراهيم بن هاني حدثنا ابراهيم بن مهدي عن عثمان بن مطر عن أبي مالك عن ربيعي عن حذيفة رضي الله عنه انه قال يا رسول الله أنبتنا بأعمار أمتك قال صلى الله عليه وسلم ما بين الخمسين الى (٢٠٣) الستين قالوا يا رسول الله فأبناء السبعين قال

صلى الله عليه وسلم قل من يبلغها من أمي رحم الله أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين ثم قال البزار لا يروى بهذا اللفظ الا بهذا الاسناد وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوي وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثا وستين سنة وقيل ستين وقيل خسا وستين سنة والمشهور الاول والله أعلم وقوله تعالى وجاءكم النذير روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وأبي جعفر الباقر رضي الله عنه وقاتدة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا يعني الشيب وقال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن زيد هذا النذير من النذر الاول وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه انه قال احتج عليهم بالعمرو والرسول وهذا اختيار ابن جرير وهو الاظهر لقوله تعالى ونادوا يا مالكا ليقتض عيننا ربك قال انكم ما كنتم لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للفق كارهون أي لقد بينا لكم الحق على السنة الرسل فأيتهم وخالفتم وقال تعالى وما كنا معذبين

الها (أسباب السموات) بيان للأسباب لان الشيء اذا أبهم ثم فسر كان أوقع في النفوس وأخفم للشان أو يدل منها وانشد الاخفش عند تفسير الآية بيت زهير

ومن هاب أسباب المنيا ينلته * ولورام أسباب السماء بسلم

وقيل أسباب السموات الامور التي يستسند بها وكل ما أدرك الى شيء فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فأطلع الى الله موسى) أي انظر اليه وأطلع على حاله قرأ الأعرج السلمي وعيسى ابن عمر وحفص بالنصب على جواب الامر في قوله ابن لي وهذا رأى البصريين أو على جواب الترجي كما قال أبو عبيد وغيره وهذا رأى الكوفيين قال النحاس معنى النصب خلاف معنى الرفع لان معنى النصب متى بلغت الأسباب طلعت وقرأ الجمهور بالرفع عطف على أبلغ فهو على هذا داخل في حيز الترجي ومعناه لعلي أبلغ وعللي أطلع بعد ذلك وقيل غير ذلك وفي هذا دليل على ان فرعون كان بمكان من الجهل عظيم وغيره من فهم حقائق الاشياء سافله جدا (واني لأظنه) أي موسى كاذبا في ادعائه بان له الها غيري مستويا على العرش فوق السموات أو فيما يدعيه من الرسالة قيل قال فرعون ذلك تمويهها وتليسا ويخليط على قومه والافه يعرف ويعتقد حقيقة الاله وانه ليس في جهة العلو ولكنه أراد التلبس على قومه توصلوا بقائهم على الكفر فكانه يقول لو كان الله موسى موجودا لكان له محل ومجده اما الارض واما السماء ولم تره في الارض فيسفي أن يكون في السماء والسماء لا يتوصل اليها الا بسلم قاله الحفناوي (وكذلك) التزيين (زين لفرعون سوء عمله) من الشرك والتكذيب فتسدى في الغي واستمر على الطغيان والمزيم هو الشيطان (وصد عن السبيل) أي سبيل الرشاد والهدى قرأ الجمهور وصد بفتح الصاد والدال أي صد فرعون الناس عن السبيل وقرأ الكوفيون وصد بضم الصاد مبنيا للمفعول واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم وعل وجد الاختيار لها منهم ما كونها مطابقة لما أجعوا عليه في زين من البناء للمفعول والقراءتان سبعيتان وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة صد بكسر الصاد وضم الدال منونا وقرأ ابن أبي اسحق وعبد الرحمن بن أبي بكر بفتح الصاد وضم الدال منونا وكل من هذين القراءتين على أنه مصدر معطوف على سوء عمله أي زين له الشيطان سوء العمل والصد (وما كيد فرعون) في ابطال آيات موسى (الافى تباب) أي خسار وهلاك قال ابن عباس تباب الخسران ومنه ثبت يد أبي لهب ثم ان ذلك

حتى نبعث رسولا وقال تبارك وتعالى لكما أتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير وقوله تعالى فذوقوا العذاب النار جزاء على مخالفتكم للانبياء في مدة أعماركم فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والاعلال (ان الله عالم غيب السموات والارض انه علم بذات الصدور هو الذي جعلكم خلائف في الارض فن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا ميقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) يجزى تعالى بعلمه غيب السموات والارض وانه يعلم ما تكنه السرائر وما تنطوي عليه الضمائر

وسيجازى كل عامل بعمله ثم قال عز وجل هو الذي جعلكم خلائف في الارض أى يخلف قوم لاخرين قبلهم وجبل لجبل قبلهم كما قال تعالى ويجعلكم خلفاء الارض فمن كفر فعليه كفره أى فاعما يعو د وبال ذلك على نفسه دون غيره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتاى كلما استروا على كفرهم أى بعضهم الله تعالى وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين فانهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وزاد أجره وأحبه خالقه وبارئته رب العالمين (قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من (٢٠٤) دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أم

آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغروا ان الله يسلك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أى من الاصنام والانداد أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أى ليس لهم شئ من ذلك ما يملكون من قطمير وقوله أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه أى أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولونه من الشرك والكفر ليس الامر كذلك بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغروا أى بل انما اتعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيمهم التي تنموها لانفسهم وهي غرور باطل وزور ثم اخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والارض عن أمره وما جعل فيها من القوة المساسكة له ما قال ان الله يسلك السموات والارض ان تزولا أى أن يضطربا عن أما كنهما كما قال عز وجل ويسلك السماء ان

الرجل المؤمن أعاد التذكير والتحذير كما حكى الله عنه بقوله (وقال الذى آمن يا قوم اتبعون) باثبات الياع وحذفها في الوصل والوقف والقراءة ثمان سبعينان وهذا بالنظر للفظ وأما في الرسم فهي محذوفة لا غير لانها من آت الزوائد أى اقتدوا بى في الدين واعملوا به صيحتى (أهدكم سبيل الرشاد) أى طريق الهدى والصواب وهو الجنة وهو ضد النقي وفيه تعريض شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل النقي وقيل هذا من قول موسى والاولى (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) يتمتع بها أباما ثم تقطع وتزول لان التنوين للتقليل فالاخلاص لها أصل الشر ومنبج القنن ورأس كل بلاء وآفة (وان الآخرة هى دار القرار) أى الاستمرار والثبات فلا انتقال ولا تحوّل عنها الكون بها دائماً لا تقطع ومستقرة لا تزول والباقي خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهابا فانها والآخرة خزف باقيا كانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف الدنيا خرف فان والآخرة ذهب باق قال ابن عباس الدنيا جعة من جع الآخرة سبعة آلاف سنة وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الحياة الدنيا متاع وليس من متاعها شئ أفضل من المرأة الصالحة التي اذا نظرت اليها سرتك واذا غابت عنها حفظتك في نفسها ومالهها (من عمل سيئة) من كلام الرجل المؤمن والمعنى من عمل في دار الدنيا معصية من المعاصي كائنه ما كانت (فلا يحزى الا سئلهما) ولا يعذب الا بقدرها والظاهر شمول الآية لكل ما يطلق عليه اسم السيئة وقيل هى خاصة بالشرك والوجه لذلك (ومن عمل) عملا (صالحا) قيل هو لاله الا الله (من ذكر وأنتى وهو مؤمن) أى مع كونه مؤمنا جاءت به رسله (فأولئك) الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح (يدخلون الجنة) بفتح الباء وضم الخاء وبالعكس سبعينان (يرزقون فيها) رزقا واسعا (بغير حساب) أى بغير تقدير ومحاسبة قال مقاتل يقول لا تبعه عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير ثم كرر ذلك الرجل المؤمن دعاهم الى الله وصرح بايمانه ولم يسالك المسالك المتقدمة من ايمانه لهم انه منهم وانه انما تصدى لتذكيرهم كراهة أن يصيبهم بعض ما توعددهم به موسى كما يقوله الرجل المحب لقومه من التحذير عن الوقوع فيما يخاف عليهم الوقوع فيه فقال (و) ترك العطف في النداء الثانى لانه تفصيل لاجمال الاول وهنا عطف لانه ليس بتلك المثابة

تقع على الارض الا باذنه وقال تعالى ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ولئن زالتا ان أمسكهما من -- لانه

احد من بعده أى لا يقدر على دوامهما وابقائهما الا هو وهو مع ذلك حلیم غفورا أى يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل ويستأخرين ويغفر ولهذا قال تعالى انه كان حلما غفورا وقد أورد ابن أبى حاتم ههنا حديثا غريبا بل منكر افعال حسد ثعالب بن الحسين بن الجعيد حدثنا اسحق بن ابراهيم حدثني هشام بن يوسف عن أمية بن سهل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى عن موسى عليه الصلاة

والسلام على المنبر قال وقع في نفس موسى عليه الصلاة والسلام هل ينام الله عز وجل فلا يصل الله تعالى اليه ملكا فآرقه ثلاثا
 وأعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يدها تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احدهما على الاخرى
 حتى نام نومة فاصطنقت يدها فانكسرت القارورتان قال ضرب الله تعالى له مثلالا ان الله عز وجل لو كان ينام لم تستك السماء
 والارض والنظائر ان هذا الحديث ليس بعرفوع بل من الاسرائيليات المنكرة فان موسى عليه الصلاة والسلام أجل من ان يجوز
 على الله سبحانه وتعالى النوم وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنه (٢٠٥) الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى
 السموات وما فى الارض وثبت فى

الصحيحين عن اى موسى الاشعري
 رضى الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
 لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض
 التسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل
 قبل النهار وعمل النهار قبل الليل
 حجاب النور والنار لو كشفه
 لا حرقت سموات وجهه ما انتهى
 اليه بصره من خلقه وقد قال ابو
 جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا
 عبد الرحمن حدثنا سفيان عن
 الاعمش عن ابي وائل قال جاء رجل
 الى عبد الله هو ابن مسعود رضى
 الله عنه فقال من اين جئت قال من
 الشام قال من تيمت قال لتيمت
 كعبا قال ما حدثك قال حدثني ان
 السموات تدور على منكب ملك
 قال أفصدته أو كذبت قال
 ما صدته ولا كذبت قال لوددت
 انك اقتديت من رحلتك اليه
 براحتك ورحلتها كذب كعب ان
 الله تعالى يقول ان الله يمسك
 السموات والارض ان تزولا وان
 زلتا ان امسكهما من احد من
 بعده وهذا اسناد صحيح الى كعب

لانه كلام مبين للدول والشانى فحسن ايراد الواو العاطفة فيه ونحوه قال الزمخشري
 (يا قوم مالى) تكرير النداء لزيادة التنبيه لهم والابقاظ عن سنة الغفلة وفيه انهم قوموه وانه
 من آل فرعون والمعنى أخبروني عنكم كيف هذه الحال (أدعوكم الى النجاة) من النار
 ودخول الجنة بالايان بالله واجابة رساله (وتدعونى الى النار) بما تريدونه منى من الشرك
 وقيل المعنى ما ليكم أدعوكم كما تقول مالى أراك حزينا أى مالك ثم فسر الدعوتين فقيل
 (تدعونى لا كفر بالله وأشركه به ما ليس لى به علم) أى ما لا علم لى بكونه شرى بك الله والمراد
 بنى العلم نفى المعلوم بدل من تدعونى الاولى على جهة البيان لها وأتى بجملة فعلية لتدل
 على ان دعوتهم باطلة لا ثبوت لها وفى قوله (وأنا أدعوكم) بجملة اسمية لتدل على ثبوت
 دعوته وثبوتيتها (الى العزيز) الغالب على أمره وفى انتقامه ممن كفر (الغفار) لذنب من
 آمن به وتاب (الجرم) قد تقدم تفسير هذا فى سورة هود وجرم فعل ماض بمعنى حق ولا
 الداخلة عليه لنفى ما ادعوه وورد ما عموه وفاعل هذا الفعل هو قوله (انما تدعونى اليه)
 أى حق ووجب بطلان دعوته وما معنى الذى فكان حقه ان تسكت مفضولة من النون
 كما هو القاء عدة لكتنهاره فى المصحف الامام موصولة بالنون كما أشار له ابن الجزرى
 (ليس له دعوة) قال الزجاج معناها ليس له استجابة دعوة تنفع وقيل ليس له دعوة توجب له
 الاولوية (فى الدنيا وفى الآخرة) وقال الكلبي ليس له شفاعة (وان مردنا الى الله) أى
 مرجعنا ومصيرنا اليه بالموت أو لا وبالبعث آخر افيجازى كل أحد بما يستحقه من خير وشر
 (وان المسرفين) أى المستكثرين من معاصى الله قال قتادة واب سيرين يعنى المشركين
 وقال مجاهد والشعبي هم السفهاء السفاكون للدماء بغير حقها وبه قال ابن مسعود وقال
 عكرمة الجبارون المتكبرون وقيل هم الذين تعدوا حدود الله والمعنى حق ان المسرفين
 (هم أصحاب النار) أى أهل جهنم والمبلغ ذلك المؤمن فى باب النصيحة الى هذا الكلام ختم
 كلامه بخاتمة لطيفة فقال (فستذكرون ما أقول لكم) اذا نزل بكم العذاب وتعلمون أنى قد
 بالغت فى نصيحتكم وتذكركم وهو كلام مجمل مبهم وفى هذا الابهام والاجمال من التخويف
 والتهديد ما لا ينبغي (وأفوض أمرى الى الله) مستأنف أى أتوكل عليه وأسلم امرى اليه
 قيل انه قال هذا لما اردوا الايقاع به قال مقاتل هرب هذا المؤمن الى الجبل فطلبوه فلم

والى ابن مسعود رضى الله عنه ثم رواه ابن جرير عن ابن جرير عن مغيرة عن ابراهيم
 بالشام فذكر نحوه وقد رأيت فى مصنف للفقهاء يحيى بن ابراهيم بن زين الطليطلى سماه سير النقباء وأورد هذا الأثر عن محمد بن
 عيسى بن الطباع عن وكيع عن الاعمش به ثم قال واخبرنا رومان يعنى عبد الملك بن الحسين عن ابن وهب عن مالك انه قال
 السماء لا تدور واحتج بهذه الآية ومحدث ان بالمغرب بالالتوبة لا يزال مفتوحا حتى تطلع الشمس منه قلت وهذا الحديث
 فى الصحيح والله سبحانه وتعالى اعلم (واقسموا بالله جهدا بينهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدي من احدى الامم فلما جاءهم

بديري ما ردهم الانورا استكرافي الارض ومكر السبي ولا يحيق المكر السبي الالباهله فهل ينظرون الاسنة الاولين فلن تجد لسنة
الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) يخبر تعالى عن قريش والعرب انهم اقسوا بالله جهداً يمانهم قبل ارسال الرسول اليهم لئن
جاءهم نذير ايكونن اهدى من احدى الامم أى من جميع الامم الذين ارسل اليهم الرسل فانه الضحالك وغيره كقوله تعالى ان تقولوا انما
انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين وتقولوا لو انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من
ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب (٢٠٦) بآيات الله وصدف عنها وكقوله تعالى وان كانوا يقولون لو ان عندنا ذكرا

من الاولين لكان عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون قال الله
تعالى فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى
الله عليه وسلم بما انزل معه من
الكتاب العظيم وهو القرآن المبين
ما زادهم الانفورا أى ما زادوا والا
كذرا الى كفرهم ثم بين ذلك بقوله
استكرافي الارض أى استكبروا
عن اتباع آيات الله ومكر السبي أى
ومكر وبالناس فى صدهم اياهم
عن سبيل الله ولا يحيق المكر السبي
الالباهله أى وما يعود وبال ذلك الا
عليهم انفسهم دون غيرهم قال ابن
أبي حاتم ذكره على بن الحسين حدثنا
ابن ابي عمير حدثنا سفيان عن ابي
زكريا الكوفي عن رجل حدثه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ايالك ومكر السبي فانه لا يحيق المكر
السبي الالباهله ولهم من الله طالب
وقال محمد بن كعب القرظي ثلاث
من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر
أو بغي أو نكث وتصديقها في كتاب
الله تعالى ولا يحيق المكر السبي
الالباهله وقوله عز وجل فهل
ينظرون الاسنة الاولين يعنى
عتوبة الله لهم على تكذيبهم رسوله

يقدر واعليه وقيل القائل هو موسى والاول اولى (ان الله بصير بالعباد) يعلم المحق من
المبطل (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى ما ارادوا به من المكر السبي وما هو ابه من الحاق
أنواع العذاب بن خانهم قال قتادة نجاه الله مع بنى اسرائيل من الغرق (وحاق بال
فرعون) أى أحاط بهم ونزل عليهم (سوء العذاب) قال الكسائي يقال حاق يحيق حيقا
وحيموقا اذا نزل ولزم قال الكلبي غرقوا فى البحر ودخلوا النار والمراد بال آل فرعون
فرعون وقومه وترك التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره لكونه اولى بذلك منهم أو
المراد بال آل فرعون فرعون نفسه والاول اولى لانهم قد عذبوا فى الدنيا جميعا بالغرق
وسيعذبون فى الآخرة بالنار ثم بين سبحانه ما أجده من سوء العذاب فقال (النار يعرضون)
أى تعرض أرواحهم من حين موتهم الى قيام الساعة (عليها غدوا وعشيا) أى صباحا
ومساء فارتفع النار على انهابل من سوء العذاب وقيل على انها خبز مبتدأ محذوف
أو مبتدأ وخبره يعرضون والاول اولى ورجحه الزجاج وعلى الوجهين الاخيرين تكون
الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر وقرئ بالنصب على تقدير فعل يفسره يعرضون من
حيث المعنى أى يصلون النار يعرضون عليها أى وعلى الاختصاص وأجاز الفراء الخفض
على البدل من العذاب وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان أحدكم اذا مات عرض عليه منتهى بالغدوة والعشى ان كان
من أهل الجنة فى أهل الجنة وان كان من أهل النار فى أهل النار يقال له هذام مقعدك
حين يعثلك الله اليه يوم القيامة زاد ابن مردويه ثم قرأ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
وعرضهم عليها الحراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به اى فى
هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك اما ان يعذبوا بجنس آخر أو بنفس عنهم ويجوز
ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام واحتج بعض اهل العلم على اثبات عذاب القبر
بهذه الآية اعادنا الله تعالى منه عنه وكرمه وبه قال مجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب كلهم
قال القرطبي ان ارواحهم فى جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك
عرضها انتهى وقد حققنا ذلك فى كتابنا تمار التنكى فى شرح آيات التثبيت بالفارسية
فليعلم ثم ذهب الجمهور الى ان هذا العرض هو فى البرزخ وقيل هو فى الآخرة قال الفراء
ويكون فى الآخرة تقديم وتأخير اى ادخلوا آل فرعون أشد العذاب النار يعرضون

ومحذوف عنهم أمره ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه غير ولا يتبدل بل هى جارية كذلك فى كل مكذب ولن يجد
لسنة الله تحويلا أى واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد والله أعلم (أولم يسروا فى
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليجهز من شئ فى السموات والارض انه كان
عليه اقديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما تركنا على ظهورها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم فان الله كان
بعباده بصيرا) يقول تعالى فلي يا محمد لهؤلاء المكذبين بما حجتهم به من الرسالة يسروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين

كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها خلت منهم منازلهم وسلبوا ما كانوا فيه من النعيم بعد كمال القوة وكثرة العدد والعدد وكثرة الأموال والاولاد فغنى ذلك شأوا لادفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك لأنه تعالى لا يعجزون شيئا إذا أراد كونه في السموات والارض انه كان عليهما قديرا أي علمهم بجميع الكائنات قديرا على مجموعها ثم قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أي لو أخذهم بجميع ذنوبهم لاهلك جميع أهل السموات والارض وما يمكن كونه من دواب وأرزاق قال ابن ابي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن حدثنا (٢٠٧) سفیان النوري عن أبي اسحق عن أبي

الاحوص عن عبد الله قال كاد يجعل ان يعذب في حجره بذنب ابن آدم ثم قرأ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال سعيد بن جبيرة والسدى في قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة أي لما سقاهاهم المطر فماتت جميع الدواب ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى أي ولكن ينظرهم الى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويوفي كل عام بعمله فيجازي بالثواب أهل الطاعة وبالعقاب أهل المعصية ولهذا قال تبارك وتعالى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعبادهم بصيرا

آخر تفسير سورة فاطر والله الحمد والمنة * (تفسير سورة يس وهي مكية) * قال أبو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة وسفيان بن وكيع حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن هرون أبي محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من

عليها غدوا وعشيا ولا ملجئ الى هذا التكلف فان قوله (ويوم تقوم الساعة) الخ يدل دلالة واضحة على ان ذلك العرض هو في البرزخ (ادخلوا) اي يقال للملائكة ادخلوا (آل فرعون أشد العذاب) هو عذاب النار فانه أشد مما كانوا فيه وقيل أنواع من العذاب بعضها أشد من بعض غير التي كانوا يعذبون بها منذ أغرقوا قرأ حزة والكسائي ونافع وحفص ادخلوا بقطع الهمة وكسر الحاء وهو على تقدير القول كاذ كرو قرأ الباقر ادخلوا بمرزة وصل من دخل يدخل أمر الآل فرعون بالدخول بتقدير حرف النداء أي ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب عن ابن سعد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما أحسن محسن مسلم أو كافر إلا أتاه الله قلنا يا رسول الله ما أتاه الكافر قال المال والولد والصحة وأشبه ذلك قلنا وما أتاه في الآخرة قال عذابا دون العذاب وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادخلوا آل فرعون أشد العذاب اخرج البزار وابن ابي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان (واذيتجاجون في النار) اي اذ كراهم وقت نخاصهم في النار ثم بين سبحانه هذا التخاصم فقال (فيقول الضعفاء للذين استكبروا) عن الاتقياء لادلائب انبياء والاتباع لهم وهم رؤساء الكفر (انا كذالكم تبعا) فتكبرتم على الناس بنا والتبعية جمع تابع كخدم وخدام ومصدر واقع موقع اسم الفاعل أي تابعين واذوى تبعية قال البصريون التبعية يكون واحدا ويكون جمعا وقال الكوفيون هو جمع لا واحدا (فهل أنتم تغنون عن انصيا من النار) أي هل تدفعون عن انصيا من النار أو تحملونه معنا وجله (قال الذين استكبروا انا كل فيها) مستأنفة جواب سؤال مقدر قرأ الجمهور كل بالرفع على الابتداء وخبره فيها والجملة خبران قاله الاخفش وقرأ ابن السمين وعيسى بن عمر كلا بالنصب قال الكسائي والفراء على التأكيدي لاسم ان بمعنى كلنا وتوحيده عوض عن المضاف اليه وقيل على الحال ويرجحه ابن مالك والمعنى انا نحن وأنتم جميعا في جهنم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لا نغني عن أنفسنا (ان الله قد حكم بين العباد) أي قضى بينهم بان فريقا في الجنة وفريقا في السعير فلا يغني أحد عن أحد شيئا فعند ذلك يحصل اليأس للاتباع من المتبوعين فيرجعون كلهم الى خزنة جهنم يسألونهم كما قال (وقال الذين في النار) من الامم الكافرة مستكبرهم وضع فيهم جميعا (خزنة جهنم) جمع خازن وهم القوام بتعذيب أهل النار وانما يقل خزنتها لان في ذكركم جهنم تهويلا وتفظيعا وأما بيان

حديث حميد بن عبد الرحمن وهرون أبو محمد شيخ مجهول وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا يصح لضعف اسناده وعن أبي هريرة رضي الله عنه منظور فيه أما حديث الصديق رضي الله عنه فرواه الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الاصول وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن الفضل حدثنا زيد هو ابن الحباب حدثنا حميد بن المكي مولى آل عاتمة عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبه وقلب القرآن يس ثم قال لا تعلم رواه الا يزيد عن حميد وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا اسحق بن أبي اسرائيل حدثنا حجاج بن محمد عن

دشام بن زياد عن الحسن قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس في ليلة أصبح مغفور له ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفور له اسناده جيد وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن اسحق بن ابراهيم مولى ثقيف حدثنا الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني حدثنا أبي حدثنا زياد بن خزيمة حدثنا محمد بن بجادة عن الحسن عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ يس في ليلة ابتغاه وجهه الله عز وجل غفر له وقد قال الامام أحمد حدثنا عمار حدثنا معتمر (٢٠٨) عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البقرة سنم القرآن وزرته نزل مع كل آية منها عثمان ملكا واستخرجت الله لاله الا هو الحى اليوم من تحت العرش فوصلت بها او فوصلت بسورة البقرة ويس قاب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة الا غفر له وقرؤها على موتاكم وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن عبد الاعلى عن معتمر بن سليمان به ثم قال الامام أحمد حدثنا عمار حدثنا ابن المبارك حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان وليس بالتهدي عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤها على موتاكم يعنى يس وراه ابو داود والنسائي في اليوم والليله وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به الا ان في رواية النسائي عن أبي عثمان عن معقل بن يسار رضي الله عنه ولهذا قال بعض العلماء من خصائص هذه السورة انها لا تقرأ عند أمر عسير الا يسره الله تعالى وكان قراءتها عند الميت لتنزله

محلهم فيها فان جهنم هي آبعد النار قمر امن قولهم بترجهنم بعسدة القعر وفيها أعتى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين لعذاب أولئك أجوب دعوة زيادة قهرهم من الله فلهذا تعدمهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (ادعوا ربكم بخفض عنيا وما من العذاب) أي شأ منه مقدر يوم من ايام الدنيا لانه ليس في الآخرة ليل ولا نهار (قالوا أولئك قاتلناكم رسلكم بالبينات) مستأنفة جواب سؤال مقدر والاستنهام للتقريع والتوبيخ (قالوا بلى) أي اتونا بما افكذبناهم ولم تؤمن بهم ولا بما جاؤا به من الحجج الواضحة فلما اعترفوا (قالوا) أي قال لهم الملائكة الذين هم خزنة جهنم تكلم بهم (فادعوا) أي اذا كان الامر كذلك فادعوا أنتم فاننا لاندعوا لمن كفر بالله وكذب رسوله بعد مجيئهم بالحجج الواضحة ثم أخبروهم بان دعاءهم لا يفيد شيئا فقالوا (ومادعاه الكافرين الا في ضلال) أي في ضياع وبطلان وخسار وتبار وانعدام وفيه اقنات لهم عن الاجابة وقيل هو من قول الله تعالى اخبار النبيه وهو أنسب بما بعده وعليه جرى المحلى والشهاب (اننا لننصر رسلكم والذين آمنوا) مستأنفة من جهة الله سبحانه أي تجعلهم الغالبين لاعدائهم القاهرين لهم والموصول في محل نصب عطف على رسلكم أي لننصر رسلكم والذين آمنوا معهم (في الحياة الدنيا) بما عودهم الله من الانتقام منهم بالقتل والسلب والاسر وقيل بالعاقبة والقهر وقيل بالجنة وقيل بالانتقام لهم من الاعداء بالاستئصال وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين امتحانان الله عز وجل والعاقبة لهم كما نصريحي بن زكريا لما قتل فانه قتل به سبعين ألفا وكان نصر الحسين بن علي الشهيد فانه قتل به سبعين ألفا أيضا أخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن أبي الدنيا والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا بالنصر رسلكم والذين آمنوا وأخرج ابن مردويه من حديث أبي هريرة مثله (ويوم يقوم الاشهد) هو يوم القيامة قال زيد بن أسلم الا شهداهم الملائكة والنبيون والمؤمنون وقال مجاهد والسدي الا شهداهم الملائكة يشهدون للانبياء بالبلاغ وعلى الامم بالكذب وقيل الحنظلة يشهدون على بني آدم بما عملوا من الاعمال وكذا الجوارح تشهد عليهم بما فعلوا قال الزجاج الا شهد جمع شاهد مثل صاحب واحجاب قال النحاس ليس باب فاعل ان يجمع على افعال ولا يقاس عليه ولكن ما جاء

الرحمة والبركة وليسهل عليه خروج الروح والله تعالى أعلم قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا أبو المغيرة حدثنا

صفوان قال كان المشيخة يقولون اذا قرئت يعنى يس عند الميت خفف الله عنه بها وقال البزار حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا ابراهيم ابن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ددت ان في قلب كل انسان من أمتى

يعنى يس

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يس) والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذروا ما أنذرت آباؤهم فهم غافلون لقد حق

القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) * قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ما وعكرمه والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة أن يس بمعنى يا انسان وقال سعيد بن جبير هو كذلك في لغة الحبشة وقال مالك عن زيد بن أسلم هو اسم من أسماء الله تعالى والقرآن الحكيم أى المحكم الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انك أى يا محمد لمن المرسلين على صراط مستقيم أى على منهج ودين قويم وشرع مستقيم تنزيل العزيز الرحيم أى هذا الصراط والمنهج والدين الذى جئت به تنزيل من رب العزة الرحيم بعباده (٢٠٩) المؤمنين كما قال تعالى وانك لتهدى الى صراط

مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ألا الى الله تصير الامور وقوله تعالى لتندرقوا ما تدرأنا وهم فهم غافلون يعنى بهم العرب فانه ما اتاهم من نذير من قبله وذكركم وهدهم لا ينق من عذابهم كما ان ذكربعض الافراد لا ينق العموم وقد تقدم ذكر الآيات والاحاديث المتواترة فى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وقوله تعالى لقد حق القول على أكثرهم قال ابن جرير لقد وجب العذاب على أكثرهم باذن الله تعالى قد حتم عليهم فى أم الكتاب انهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسله (اناجعلنا فى أعناقهم أعلا لافهى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أذنتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما نذرن من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بغيره وأجر كريم انانحن نضحي الموقى ونكتب ما قدموا وآثارهم

منه مسموعا أدى على ما سمع فهو على هذا جمع شهيد مثل شريف واشراف ومعنى نصرهم يوم القيامة ان الله يجازيهم بأعمالهم فيدخلهم الجنة ويكرمهم بكراماته ويجازى الكفار بأعمالهم فيلعنهم ويدخلهم النار وهو معنى قوله (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) قرأ نافع والكوفيون بالتحسية وقرأ الجمهور تنفع بالنوقية والكل جائز فى اللغة وانما لم تنفعهم المعذرة لانها معذرة باطلة وتعلد داخضة وشبهة زائفة (ولهم اللعنة) أى البعد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) أى النار (ولقد آتينا موسى الهدى) هذا من جملة ما قصه الله سبحانه قريمان نصره لرسله أى آتيناها التوراة والنبوة كفى قوله سبحانه انما انزلنا التوراة فيها هدى ونور قال مقاتل الهدى من الضلالة يعنى التوراة (وأورثنا بنى اسرائيل) أى بعدما كانوا فيه من الذل (الكتاب) أى التوراة والمعنى ان الله سبحانه لما انزل التوراة على موسى بقيت بعده فيهم وتواروا بها خلفا عن سلف وقيل المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة على أنبياء بنى اسرائيل بعد موت موسى (هدى وذكري) أى لاجلهم اوهاديا ومد كراومر شدا (لاولى الابواب) أى لاهل العقول السليمة ثم امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر على الاذى فقال (فاصبر) أى اصبر على اذى المشركين كما صبر من قبلك من الرسل قال الكلبي فمسخت آية القتال آية الصبر (ان وعد الله) الذى وعده رسوله به (حق) لا خلف فيه ولا شك فى وقوعه كفى قوله انما نصر رسلنا وقوله واقد سمقت كئتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جنودنا لهم الغالبون ثم امره الله سبحانه بالاستغفار لذنبه فقال (واستغفر لذنبك) قيل المراد ذنب امتك فهو على حذف مضاف وقيل المراد الصغائر عندهم بجوزها على الانبياء وقيل هو مجرد تعمله صلى الله عليه وآله وسلم بالاستغفار لزيادة الثواب وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (وسبح بحمديك بالعشى والابكار) أى دم على تنزيهه الله متلبسا بحمده وقيل المراد الصلوات الخمس والعشى هو من بعد الزوال وفيه اربع صلوات والابكار من الفجر الى الزوال وفيه صلاة واحدة وقيل المراد صل فى الوقتين صلاة العصر وصلاة الفجر قاله الحسن وقتادة وقيل هما صلواتان ركعتان غدوة وركعتان عشية وذلك قبل ان تفرض الصلوات الخمس (ان الذين يجادلون) عام فى كل مجالد وان نزل فى مشرك مكة قاله ابو السعود (فى آيات الله) أى القرآن (بغير سلطان اتاهم) أى بغير حجة ظاهرة واضحة جاءتهم

(٢٧ فتح البيان ثامن) وكل شىء أحصيناه فى امام ميين) يقول تعالى اناجعلنا هؤلاء المحتموم عليهم بالشقاء نسبتهم الى الوصول الى الهدى كنسبة من جعل فى عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمعا وهذا قال تعالى فهم مقصون والمقمع هو الرفع رأسه كما قالت أم زرع فى كلامها واشرب فانقمح أى اشرب فاروى وارفع رأسى تهنيئا وترويا واكتفى بذكر الغل فى العنتى عن ذكر البدين وان كانتا هرادين كما قال الشاعر

فما أدري اذا ما عمت أرضا * أريد الخيرا بها يلىنى
أنت خير الذى أنا بئغيه * ام الشر الذى لا ياتلىنى

فاكتفى بذكر الخبر عن ذكر الشرح لمآذل الكلام والسياق عليه وهكذا هذا لما كان الغل انما يعرف فيما جاع اليدين مع العنق اكتفى
 بذكر العنق عن اليدين قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الأذقان فهم
 مقمقون قال هو كقوله عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعني بذلك ان أيديهم موقوفة الى أعناقهم لا يستطيعون ان
 يسطروها بخير وقال مجاهد فهم مقمقون قال رافعي رؤسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم فهم مغلولون عن كل خير وقوله تعالى
 وجعلنا من بين أيديهم سدا قال مجاهد عن (٢١٠) الحق ومن خلفهم سدا قال مجاهد عن الحق فهم يتردون وقال

من جهة الله سبحانه تقييد المجادلة بذلك مع استهاله اثباته للايدان بان المتكلم في أمر
 الدين لا بد من استناده الى سلطان معين (ان في صدورهم الاكبر) أي ما في قلوبهم الاتكبر
 عن الحق يحملهم على تكذيبك (ماهم بالغيه) صفة لكبر قال الزجاج بالغى ارادتهم
 فيه فجعله على حذف المضاف وقال غيره بالغى كبرهم وقال ابن قتيبة كبر أي تكبر على
 محمد صلى الله عليه وآله وسلم وطمع ان يلعغو وماهم بالغي ذلك وقيل المراد بالكبر
 الامر الكبير أي يظلمون النبوة ويظلمون أمرا كبيرا يصلون به اليك من القتل
 ونحوه ولا يلعغون ذلك وقال مجاهد معناه في صدورهم عظمة ماهم بالغيه والمراد
 بهذه الآية المشركون وقيل اليهود عن أبي العالية قال ان اليهود اتوا النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم فتالوا ان الدجال يكون منافي آخر الزمان ويكون من أمره فعضموا
 أمره وقالوا يصنع كذا ويصنع كذا فأنزل الله هذه الآية قال لا يبلغ الذي يقول فاستعد
 بالله فامر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال لخلق السموات والارض أكبر من خلق
 الدجال أخرجه عبد بن جبر وابن أبي حاتم قال السيوطي بسند صحيح وعن كعب
 الاحبار قال هم اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من امر الدجال وقال مجاهد الاكبر أي
 عظمة قريش ثم امره الله سبحانه بان يستعذب الله من شرورهم فتال (فاستعذب الله)
 أي فالتجبي اليه من شره - موكبهم وبغيهم - علمك (انه هو السميع) لا قوالهم
 (البصير) بأفعالهم لا تخفى عليه من ذلك خافية ثم بين سبحانه عظيم قدرته فقال (خلق
 السموات والارض) ابتداء من غير سابق مادة (أكبر من خلق الناس) أي أعظم في
 النفوس وأجل في الصدور وأعظم اجرامها واستقر اهرامها من غير عمد وحرمان الأفلاك
 بالكواكب من غير سبب وأشق بحسب عادة الناس في محاولة الأفعال من ان علاج
 الشيء الكبير اشق من علاج الصغير وان كان بالنسبة الى الله لا تفاوت بين الصغير
 والكبير فكيف ينكرون البعث واحياء ما هو دونه من كل وجه كما في قوله أو ليس
 الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم قال أبو العالية المعنى لخلق
 السموات والارض أعظم من خلق الدجال حين عظمت اليهود وقال يحيى بن سلام هو
 احتجاج على منكري البعث أي هما أكبر من إعادة خلق الناس (وليكن أكثر الناس)
 أي كفار مكة (لا يعلمون) بعظم قدرة الله وانه لا يعجزه شيء فهم كالأعمى ومن يعلمه كالصير

قتادة في الضلالات وقوله تعالى
 فاعشيناهم أي أعشينا أبصارهم
 عن الحق فهم لا يبصرون أي
 لا يتفقهون بخير ولا يهتدون اليه
 قال ابن جرير وروى عن ابن
 عباس رضي الله عنهما انه كان يقرأ
 فاعشيناهم بالعين المهملة من
 العشا وهو دا في العين وقال عبد
 الرحمن بن زيد بن اسلم جعل الله
 تعالى هذا السد بينهم وبين الاسلام
 والايان فهم لا يتخلصون اليه وقرأ
 ان الذين حقت عليهم كلمة ربك
 لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى
 يروا العذاب الاليم ثم قال من منعه
 الله تعالى لا يستطيع وقال
 عكرمة قال أبوجهل لئن رأيت
 محمد الا فعلت ولا فعلت فانزلت انا
 جعلنا في أعناقهم اغلالا الى قوله
 فهم لا يبصرون قال فكانوا يقولون
 هذا محمد فيقول أين هو أين هو
 لا يبصره رواه ابن جرير وقال محمد
 ابن اسحق حدثني يزيد بن زياد عن
 محمد بن كعب قال قال أبوجهل
 وهم جلوس ان محمدا يزعم انكم
 ان تابعوه كنتم ملوكا فاذا متم
 بعثتم بعد موتكم وكانت لكم

جنان خير من جنان الاردن وانكم ان خالفتموه كان لكم من ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تهذون وقد
 بها وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وفي يده حفنة من تراب وقد أخذ الله تعالى على أعينهم فدونه فجعل يذرها
 على رؤسهم ويقرأيس والقرآن الحكيم حتى انتهى الى قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاعشيناهم فهم
 لا يبصرون وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته وباؤا رصدا على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار فقال
 ما لكم قالوا انتظر محمدا قال قد خرج عليكم فابقي منكم من رجل الاوضع على رأسه ترابا ثم ذهب لحاجته فجعل كل رجل منهم

ينفض ماعلى رأسه من التراب قال وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال أنا أقول ذلك ان لهم منى للذبح وانى
لاخذهم وقوله تبارك وتعالى وسواء عليهم أذنتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون أى قد ختم الله عليهم بالضلالة فما يفيد فهم الانذار
ولا يثرون به وقد تقدم نظيرها فى اول سورة البقرة وكما قال تبارك وتعالى ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل
آية حتى يروا العذاب الاليم انما تنذروا من اتبع الذ كراى انما يتنفع بانذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكرو وهو القرآن العظيم
وخشى الرحمن بالغيب أى حيث لا يراه أحد الا الله تبارك (٢١١) وتعالى يعلم ان الله مطلع عليه وعالم بما يفعل

وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة فى ذكر الدجال وصفته وانذار الرسل منه لامتهم
وخروجه فى آخر الزمان وما يقع منه ومن يتبعه من اليهود كما حققناه فى صحيح الكرامة فى
آثار القيامة وليس هدام موضع ذكرها وبسطها واليه ذهب جميع أهل السنة والمحدثين
والفقهاء خلافا لمن أنكروه وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا
للجبانى وموافقه فى انه صحيح الوجود ولكن الاشياء التى يأتى هازعوا انها مخاريف
وخيلات لاحقائق لها والاختبار الصحيحة المتواترة تدفعه وترده ردا شديدا ثم لما ذكر
سجانه الجدل بالباطل ذكرنا لاالباطل والحق وانهما لا يستويان فقال (وما يستوى
الاعمى والبصير) أى الذى يجادل بالباطل والذى يجادل بالحق أو العاقل والمستبصر
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى ولا يستوى المحسن بالاعيان والعمل الصالح
(ولا المسىء) بالكفر والمعاصى وزيادة للتأكيد والتقابل يحى على ثلاث طرق احداها
ان يجاور المناسبات ما يناسبه كهذه الآية والثانية ان يتاخر المتقابلان كقوله تعالى مثل
الفریقین كالاعمى والاصم والبصير والسميع والثالثة ان يقدم مقابل الاول ويؤخر
مقابل الآخر كقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك
تفنن فى البلاغة وقدم الاعمى فى نبي التساوى لجميته بعد صفة الذم فى قوله ولكن أكثر
الناس لا يعلمون (قليل ما يتدكرون) بالتحسنة على الغيبة لان قبلها وبعدها على الغيبة
لاعلى الخطاب واختارها أبو عبيد وأبو حاتم والنوقية على الخطاب بطريقة الالتفات
وقادته فى مقام التوبيخ اظهار العنف الشديد والانكار البليغ أفاده الكرخى (ان
الساعة لا تيسر لارىب فيها) أى لا شك فى مجيئها وحصوها وقيامها الوضوح شواهدا
واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولانه لا بد من جزاء لا يكون خلق الخلق للنعمة خاصة
(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بتلك ولا يصدقونه لتسورأفهامهم وضعف عقولهم
عن ادراك الحق والمراد بأكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث ثم لما بين سبحانه ان
قيام الساعة حق وليس مجرد تاب فيها ولا شبهة فى مجيئها أرشد عباده الى ما هو الوسيلة الى
السعادة فى دار الخلود فأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحكى عنه ما أمره بالبلاغه
وهو (وقال ربكم ادعوا إلى أستجب لكم) قال أكثر المنسرين المعنى وحدوني واعبدوني

وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة فى ذكر الدجال وصفته وانذار الرسل منه لامتهم
وخروجه فى آخر الزمان وما يقع منه ومن يتبعه من اليهود كما حققناه فى صحيح الكرامة فى
آثار القيامة وليس هدام موضع ذكرها وبسطها واليه ذهب جميع أهل السنة والمحدثين
والفقهاء خلافا لمن أنكروه وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا
للجبانى وموافقه فى انه صحيح الوجود ولكن الاشياء التى يأتى هازعوا انها مخاريف
وخيلات لاحقائق لها والاختبار الصحيحة المتواترة تدفعه وترده ردا شديدا ثم لما ذكر
سجانه الجدل بالباطل ذكرنا لاالباطل والحق وانهما لا يستويان فقال (وما يستوى
الاعمى والبصير) أى الذى يجادل بالباطل والذى يجادل بالحق أو العاقل والمستبصر
(والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى ولا يستوى المحسن بالاعيان والعمل الصالح
(ولا المسىء) بالكفر والمعاصى وزيادة للتأكيد والتقابل يحى على ثلاث طرق احداها
ان يجاور المناسبات ما يناسبه كهذه الآية والثانية ان يتاخر المتقابلان كقوله تعالى مثل
الفریقین كالاعمى والاصم والبصير والسميع والثالثة ان يقدم مقابل الاول ويؤخر
مقابل الآخر كقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وكل ذلك
تفنن فى البلاغة وقدم الاعمى فى نبي التساوى لجميته بعد صفة الذم فى قوله ولكن أكثر
الناس لا يعلمون (قليل ما يتدكرون) بالتحسنة على الغيبة لان قبلها وبعدها على الغيبة
لاعلى الخطاب واختارها أبو عبيد وأبو حاتم والنوقية على الخطاب بطريقة الالتفات
وقادته فى مقام التوبيخ اظهار العنف الشديد والانكار البليغ أفاده الكرخى (ان
الساعة لا تيسر لارىب فيها) أى لا شك فى مجيئها وحصوها وقيامها الوضوح شواهدا
واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولانه لا بد من جزاء لا يكون خلق الخلق للنعمة خاصة
(ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) بتلك ولا يصدقونه لتسورأفهامهم وضعف عقولهم
عن ادراك الحق والمراد بأكثر الناس الكفار الذين ينكرون البعث ثم لما بين سبحانه ان
قيام الساعة حق وليس مجرد تاب فيها ولا شبهة فى مجيئها أرشد عباده الى ما هو الوسيلة الى
السعادة فى دار الخلود فأمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحكى عنه ما أمره بالبلاغه
وهو (وقال ربكم ادعوا إلى أستجب لكم) قال أكثر المنسرين المعنى وحدوني واعبدوني

رواية شعبة عن عون بن ابى جحيفة عن المنذر بن جرير عن ابيه جرير بن عبد الله البجلي رضى الله عنه وفيه قصة مجتأبى الفار
المضربين رواه ابن أبى حاتم عن ابيه عن يحيى بن سليمان الجعفي عن أبى الحيام يحيى بن يعلى عن عبد الملك بن عمير عن جرير بن عبد
الله رضى الله عنه فذكر الحديث بطوله ثم تلا هذه الآية ونكتب ما قدموا وآثارهم وقد رواه مسلم من رواية أبى عوانة عن عبد
الملك بن عمير بن المنذر بن جرير عن ابيه فذكره وهكذا الحديث الآخر الذى فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث من علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده

الآية الكريمة عن محمد بن الوزير ثم قال حسن غريب من حديث الثوري ورواه ابن جرير عن سليمان بن عمر بن خالد الرقي عن ابن المبارك عن سفیان الثوري عن طريقه وهو ابن شهاب أبو سفیان السعدي عن أبي نصرته به وقد روى من غير طريق الثوري فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن سعيد الجري عن أبي نصرته عن أبي سعيد رضي الله عنه قال ان بن سلمة شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فاقاموا في مكانهم وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا الجري (٢١٣) عن أبي نصرته عن أبي سعيد رضي الله

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكلمات مكينة فالتة أعلم الحديث الثالث قال ابن جرير حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا أبو أجد الزبيري حدثنا اسرائيل عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم ما قال كانت منازل الانصار متباعدة من المسجد وأرادوا ان يتقوا الى المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فقالوا ان ثبت مكاننا هكذا رواه ليس فيه شيء مرفوع ورواه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي هريرة عن محمد بن يوسف القريابي عن اسرائيل عن سمالك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم ما قال كانت الانصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا ان يتقوا الى المسجد فنزلت ونكتب ما قدموا وآثارهم فثبتوا في منازلهم الحديث الرابع قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن

وقال حسن صحيح والخاري في الادب وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الخلية والبيهقي في الشعب وأحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وسعيد بن منصور والطبراني ثم ذكر سبحانه بعض ما أنعم به على عباده فقال (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) من الحركات في طلب الكسب لكونه جعله مظلماً بارداً مناسباً للراحة الظاهرة به بالسكون والنوم الذي هو الموت الاضغر والراحة الحقيقية بالعبادة التي هي الحياة الدائمة (والنهار مبصر) أي مضيئاً لتبصر وافية حوائجكم وتنصرفوا في طلب معاشكم وهو من الاسناد المجازي أي مبصر فيه لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار (ان الله لا يفضل على الناس) يتفضل عليهم بنعمه التي لا تحصى ولم يقل لمفضل أو لمفضل لان المراد تكبير النضل وأن يجعل فضلاً لا يوازيه فضل وذلك انما يكون بالاضافة (ولكن أ كثر الناس لا يشكرون) النعم ولا يعترفون بها المالحودهم لها ولا كفرهم بها كما هو شأن الكفار ولا عفا لهم للنظر واهم لهم لما يجب من شكر النعم وعدم الجاهلون ولم يقل ولكن أكثرهم حتى لا يتكرر ذكر الناس لان في هذا التكرير تخصيص النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كنسوله ان الانسان لكفور وبقوله ان الانسان لظالم كقار (ذلكم) أي الفاعل الخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو) بين سبحانه في هذا كمال قدرته المقتضية لتوحيده (فاني توفكون) أي فكيف تتقبلون عن عبادته وتنصرفون عن توحيده وتصرفون عن الايمان مع قيام البرهان (كذلك يوفئك الذين كانوا يات الله يمجدون) أي مثل ذلك الاوف يوفئك الجاحدون لا يات الله المنكرون لتوحيده ثم ذكر لهم سبحانه نوعاً آخر من نعمه التي أنعم بها عليهم مع ما في ذلك من الدلالة على كمال قدرته وتفرد بالالهية فقال (الله الذي جعل لكم الارض قراراً) أي موضع قرار مع كونها في غاية الثقل والامسك لها سوى قدرة الله وفيها تحيون وفيها تتوتون (والسما بناء) أي سقفاً قائماً ثابتاً مع كونها أفلاكاً دائرة بنجوم طول الزمان سائرة ينشأ عنها الليل والنهار والاطلام والاضاءة ثم بين بعض نعمه المتعلقة بانفس العباد فقال (وصوركم فأحسن صوركم) أي خلقكم في أحسن صورة لم يخلق حيواناً أحسن منكم وقيل لم يخلقكم

عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال توفي رجل بالمدينة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا سيده ما في غير مولده فقال رجل من الناس ولم يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا توفي في غير مولده قيس له من مولده الى منقطع أثره في الجنة ورواه النسائي عن يونس بن عبد الاعلى وابن ماجه عن حرملة كلاًهما عن ابن وهب عن حي بن عبد الله به وقال ابن جرير حدثنا ابن جرير حدثنا أبو عبيد حدثنا الحسين بن علي بن ثابت قال مشيت مع أنس رضي الله عنه فأسرعت المشي فأخذ بيدي فمشينا ويدي فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشي فقال يا أنس أما شعرت ان الأثر تكتب وهذا القول لا تنافي

بينه وبين الاول بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الاولى والاخرى فانه اذا كانت هذه الاثار مكتوب فلان تم كتب تلك التي فيها قدوة بهم من خير او شر بطريق الاولى والله أعلم وقوله تعالى وكل شئ احصيناه في امامين أى وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ والامام المدين ههنا هو ام الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وكذا في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم أى بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم ما علموه من خير او شر كما قال عز وجل ووضع الكتاب وحي بالنبئين والشهداء وقال تعالى (٢١٤) ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا وينا ما هذا

الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عداها حاضر او لا يظلم ربك احداً (واضرب لهم مثلاً اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم برسالتنا فقلوا ما انا الا بشر مثمننا وما ننزل الرحمن من شئ ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم المرسلون وما علمنا الا البلاغ المبين) يقول تعالى واضرب يا محمد لقومك الذين كذبوك مثلاً اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الاحبار وهب بن منبه انها مدينة انطاكية وكان بها ملك يقال له انطيوخس بن انطيوخس بن انطيوخس وكان يعبد الاصنام فبعث الله تعالى اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصديق وشلوم فكذبهم وهكذا روى عن بريدة بن الحصيب وعكرمة وقتادة والزهرى انها انطاكية وقد استشكل بعض الأئمة كونها انطاكية عباساً نذكره بعد تمام القصة ان شاء الله تعالى وقوله تعالى

منكوسين كالبهايم قيل خلق ابن آدم قائماً معتدياً كل ويتناول بيده وغيره يتناول بفيه وقال الزجاج خلقتمكم أحسن الحيوان كله قرأ الجمهور صوركم بضم الصاد وقرأ الأعمش وأبو رزين بكسرها قال الجوهري والصور بكسر الصاد لغة في الصور بضمها (ورزقكم من الطيبات) أى المسئذات من الماء كل والمشرب من غير رزق الاواب (ذليكم) المنعوت بهذه النعوت الجليلة (الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) أى كثر خيره وبركته (هو الحى لا اله الا هو) أى الباقى الذى لا ينفى المتفرد بالالهية وهذا التركيب يفيده الحصر وفيه اشارة الى العلم التام والقدرة التامة الكاملة (فادعوه) أى اعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة والعبادة من الشرك (الحمد لله رب العالمين) قال الفراء هو خبر وفيه اشارة الى امر أى اجدوه عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل اثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وعلى هذا هو من كلام المأمورين بالعبادة ويجوز أن يكون من كلامه تعالى على انه استثنى الحمد لله رب العالمين ثم أمر الله سبحانه رسوله ان يخبر المشركين بان الله نهى عن عبادة غيره وأمره بالتوحيد فقال (قل) لهم ردا عليهم فيما طابوه منكم وهو عبادة آلهم (انى نهيت) نهياً عاماً بآراءه العقلية ونهياً خاصاً بأدلة النقول (أنا عبد الذى تدعون) أى تعبدون (من دون الله) وهى الاصنام ثم بين وجه النهى فقال (لما جاء فى البينات من ربي) وهى الأدلة العقلية والنقلية فانها توجب التوحيد (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) أى أسلم له بالانقياد والخضوع والأخلاص ثم أورد فى هذا بذك دليل من الأدلة الدالة على التوحيد فقال (هو الذى خلقكم) أى خلق أبائكم الاول وهو آدم وخلقته (من تراب) يستلزم خلق ذريته منه (ثم من نطفة ثم من علقة) قد تقدم تفسير هذا فى غير موضع (ثم يخرجكم طفلاً) أى أطفالاً وأفرده لكونه اسم جنس أو على معنى ثم يخرج كل واحد منكم طفلاً (ثم لتبلغوا أشدكم) وهى الحالة التى تجتمع فيها القوة والعقل من الثلاثين سنة الى الاربعين وقد سبق بيان الأشد مستوفى فى الانعام والتقدير لكبر واشياً فسياً ثم لتبلغوا غاية الكمال (ثم يقيكم) لتكفونوا شيوخاً بضم الشين وبكسر هاء سبعين وقرى شيوخاً على الافراد كقوله طفلاً والشيوخ من جاوز اربعين سنة يعنى ان مراتب الانسان بعد خروجه من بطن أمه

ثلاث

اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما أى بادروهما بالتكذيب فعززنا بثالث أى قويتناهما وشددنا أزرهما

برسول ثالث قال ابن جرير عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبلى قال كان اسم الرسولين الاولين شعيبون وخبثا واسم الثالث بولص والقرية انطاكية فقالوا أى لاهل تلك القرية انا اليكم مرسلون أى من ربكم الذى خلقكم يأمركم بعبادته وحده لا شريك له قاله أبو العالية وزعم قتادة بن دعامة انهم كانوا رسل المسيح عليه السلام الى اهل انطاكية قالوا ما انتم الا بشر مثمننا أى فكيف أوحى اليكم وانتم بشر ونحن بشر فلم لأوحى الينا منكم ولو كنتم رسلاً لكنتم ملائكة وهذه شبهة كثيرة من الامم المكذبة كما أخبر

الله تعالى عنهم في قوله عز وجل ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشرهم - ودوتنا أي استجمعوا من ذلك وانكروه وقوله تعالى قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاقوا بسلطان مبين وقوله تعالى حكاية عنهم في قوله جل وعلا ولئن أطمعتم بشر امثلكم انكم اذنا خسرون وقوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا ولهذا قال هؤلاء ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لم نرسلون أي أجابتهم رسلهم الثلاثة فائلين الله يعلم انارسله اليكم ولو كانا كاذبة عليه (٢١٥) لا نتقم منا أشد الاتقام ولكنه سيعزنا

وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار كقوله تعالى قل كفى بالله بدي وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون وما علمنا الا البلاغ المبين يقولون انما علمنا ان نبلغكم ما أرسلنا به اليكم فاذا أطمعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والاخرى وان لم تجيبوا فستعلمون غيب ذلك والله أعلم (قالوا اننا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لرجنكم رليس منكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أين ذكرتم بيل أنتم قوم مسرفون) فعند ذلك قال لهم أهل القرية انا تطيرنا بكم اي لم نزل على وجوهكم خيرا في عيشنا وقال قتادة يقولون ان أصابنا شر فاعما هو من أجلكم وقال مجاهد يقولون لم يدخل مثلكم الى قرية الا عذب أهلها لئن لم تنتهوا لرجنكم قال قتادة بالحجارة وقال مجاهد بالشم وليس منكم منا عذاب أليم أي عقوبة شديدة فقالت لهم رسلهم طائركم معكم أي مردود عليكم كقوله في قوم فرعون

ثلاث الطغولية وهي حالة الغم والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيوخية (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل الاشد ومن قبل الشيوخية (ولتبلغوا) جميعا (أجلا مسمى) أي وقت الموت أو يوم القيامة واللام هي لام التعليل أو العاقبة (ولعلمكم تعقلون) أي لكي تعقلوا وتحيدركم وقدرته البالغة في خلقكم على هذه الاطوار المختلفة الى الاجل المذكور (هو الذي يحيي ويميت) أي يقدر على الاحياء والاماتة (فاذا قضى أمرا) من الامور التي يريد اها (فانما يقول له كن فيكون) من غير توقف على شيء من الاشياء أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتيب المكونات على تكوينة من غير أن يكون هناك أمر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه وتعالى قاله أبو السعود وقد تقدم تحقيق معناه في البقرة وفيما بعدها (ألم ترالى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون) تعجب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتهميهم لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله الخ بيان لا يتناءجد الهيم على مبني فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرر فيه أي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها واتفاء الصوارف عنها بالكلية وقيام الادلة الدالة على صحتها وانها في أنفسها موجبة للتوحيد قاله أبو السعود وقال النسفي ذكر الجدال في هذه السورة في ثلاثة مواضع بخازان يكون في ثلاثة أقوام أو ثلاثة أصنام وللتأكيدها انتهى قال ابراهيم المشركون بدليل قوله الا أنى الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا قال القرطبي وقال أكثر المفسرين نزلت في القدرية قال ابن سيرين ان لم تكن هذه الآية نزلت في القدرية فلا أدري فيمن نزلت ويجاب عن هذا بان الله سبحانه قد وصف هؤلاء بصفة تدل على غير ما قالوه فقال (الذين كذبوا بالكتاب) وهذا وصف لا يصح أن يطلق على فرقة من فرق الاسلام والمراد بالكتاب اما القرآن أو جنس الكتب المنزلة من عند الله والموصول اما في محل جر على انه نعت للموصول الاول أو بدل منه ويجوز ان يكون في محل نصب على

فاذا جاتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطروا بموسى ومن معه الا اعطائهم عند الله وقال قوم صالح اطيرنا بك وعن معث قال طائركم عند الله وقال قتادة ووهب بن منبه أي أعمالكم معكم وقال عز وجل وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عند الله قل كل من عند الله فالهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا وقوله تعالى له أين ذكرتم بيل أنتم قوم مسرفون أي من أجل اناذرناكم وأمرناكم بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له فلبقونا بهذا الكلام ونوعدنا وتمددتونا بل أنتم قوم مسرفون وقال قتادة أي ان ذكرناكم بالله تطيرتم منا بل أنتم قوم مسرفون (وجاء من أقصى المدينة

رجل يسمى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجر او هم مهتدون ومالى لا عبد الذى فطرنى واليه ترجعون اتخذ من دونه آلهة ان يردنى الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون انى اذا انى ضلال مبين انى آمنتم بربكم فاسمعون قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب الاحبار ووهب بن منبه ان اهل القرية هوما يقتل رسلكم فجاهم رجل من اقصى المدينة يسمى اى لينصرهم من قومه قالوا وهو حبيب وكان يعمل الجريز وهو الحبال وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة يتصدق (٢١٦) بنصف كسبه مستقيم الفطرة وقال ابن اسحق عن رجل سماه عن الحكيم

عن مقسم أو عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه وقال الثوري عن عاصم الاحول عن ابي مجلز كان اسمه حبيب بن سري وقال شيب ابن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب النجار فقتله قومه وقال السدي كان قصارا وقال عمر بن الحكيم كان اسكافا وقال قتادة كان يتعبد في غار هناك قال يا قوم اتبعوا المرسلين يحض قومه على اتباع الرسل الذين اتوهم اتبعوا من لا يسألكم أجر اى على ابلاغ الرسالة وهم مهتدون فيما يدعونكم اليه من عبادة الله وحده لا شريك له ومالى لا عبد الذى فطرنى اى وما يعنى من اخلاص العبادة للذى خلقنى وحده لا شريك له واليه ترجعون اى يوم المعاد فيجازيكم على اعمالكم ان خيرا غير وان شرا فشر اتخذ من دونه آلهة استفهام انكار وتوبيخ وتقريع ان يردنى الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا

الذم وبما أرسلنا به رسلكم معطوف على قوله بالكتاب ويراد به ما يوحى الى الرسل من غير كتاب ان كانت اللام في الكتاب للجنس أو سائر الكتب ان كان المراد بالكتاب القرآن (فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم ووبال كفرهم وفي هذا وعيد شديد والظرف في قوله (اذا الاغلال في أعناقهم) متعلق يعلمون اى فسوف يعلمون وقت كون الاغلال في أعناقهم أو اذ كرلهم وقت الاغلال ايخافوا وينزجروا (والسلاسل) جمع سلسله معروفة قال الراغب تسلسل الشئ اضطرب كأنه تصور منه تسلسل متردد فتدرد لفظه تنبيه على تردد معناه وماء سلسل متردد في مقوره معطوف على الاغلال والتقدير اذا الاغلال والسلاسل في أعناقهم ويجوز ان يرتفع السلاسل على انه مبتدأ وخبره محذوف لدلالة في أعناقهم عليه ويجوز ان يكون خبره (يسحبون في الحميم) بحذف العائد اى يسحبون بها في الحميم وهذا على قراءة الجمهور برفع السلاسل وقرئ نصبها وقرأوا يسحبون بفتح الياء مبنيا للفاعل فتكون السلاسل مفعولا مقوما وقرئ بجر السلاسل قال الفراء وهذه القراءة محمولة على المعنى اذا المعنى أعناقهم في الاغلال والسلاسل وقال الزجاج المعنى على هذه القراءة وفي السلاسل يسحبون واعترضه ابن الانبارى بان ذلك لا يجوز في العربية والسحب الجرب عنف والسحاب من ذلك لان الرياح بحره وألانه يجبر الماء والحميم هو المناهى في الحر وقيل الصيد وقيل جهنم وقيل الماء الحار الذى يكسب الوجه سوادا والاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام نارا وقد تقدم تفسيره قال ابن عباس يسحبون في الحميم فينسلخ كل شئ عليهم من جلد ولحم وعرق حتى يصير في عقبه حتى ان لحمه قدر طوله وطوله ستون ذراعا ثم يكسى جلدا آخر ثم يسحب في الحميم (ثم في النار يسحبون) يقال سحرت التنور اى أوقدته وسحرت به ملائكة بالوقود ومنه البحر المسحور اى المملوء بالمعنى توقد بهم النار وتلاهم والمراد انهم يعذبون بألوان العذاب وينقلون من باب الى باب قال مجاهد ومقاتل توقد بهم النار فصاروا وقودها عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا الاغلال الى قوله يسحبون فقال لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى جمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسله لتسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل ان يبلغ أصلها أو قال قعرها أخرجه أحد الترمذى وحسنه والحاكم وصححه

وابن

ينقذون اى هذه الآلهة التى تعبدونها من دونه لا يمكن ان يكون من الامر شيئا فان الله تعالى لو أرادنى

بسوء فلا كاشف له الا هو وهذه الاصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه ولا ينقذوننى مما أنا فيه انى اذا انى ضلال مبين اى ان اتخذتها آلهة من دون الله وقوله تعالى انى آمنتم بربكم فاسمعون قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما وكعب ووهب يقول لقومه انى آمنتم بربكم الذى كفرتم به فاسمعون اى فاسمعوا قولى ويحتمل ان يكون خطابه للرسل بقوله انى آمنتم بربكم اى الذى أرسلكم فاسمعون اى فاشهدولى بذلك عنده وقد حكاها ابن جرير فقال وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسمعوا

قولى لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى انى آمنتم بربكم واتبعتمكم وهذا القول الذى حكام عن هؤلاء أظهر فى المعنى والله أعلم قال ابن اسحق فىما بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهم ما وكعب ووهب رضى الله عنهم فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبوا رجل واحد فقتلوه ولم يكن له أحد ينص عنه وقال قتادة جعلوا رجونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون فى الزواله حتى أتقصوه وهو يقول كذلك فقتلوه رحمة الله (قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كذبت لى ان كانت الاصيحة (٢١٧) واحدة فاذا هم خامدون) قال محمد بن اسحق

عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضى الله عنه انهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج نصبه من دبره وقال الله له ادخل الجنة فدخلها فهو رزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحرزها ونصها وقال مجاهد قيل لحبيب النجار ادخل الجنة وذلك انه قتل فوجبت له فلما رأى الثواب قال ياليت قومى يعلمون قال قتادة لاتلقى المؤمن الا ناصحاً لتلقاه غاشياً لما عاين ما عاين من كرامة الله تعالى قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين معنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه وقال ابن عباس نصح قومه فى حياته بقوله يا قوم اتبعوا المرسلين وبعدهما فى قوله ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين رواه ابن أبى حاتم وقال سنن الثورى عن عاصم الاحول عن أبى مجاز بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين بإيمانى بربى وتصديق المرسلين ومقصوده أنهم لو اطلعوا على ما حصل لى من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك الى

وابن مردويه واليهى فى البعث والنشور (ثم قيل لهم) أى يقال لهم وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (أين ما كنتم تتركون) من دون الله هذا توبيخ وتوبيخ لهم أى أين الشركاء الذين كنتم تعبدونهم من دون الله وهى الاصنام وغيرها وترسم أى من منسوخة من ما كما أشار اليه ابن الجزرى (قالوا ضلوا عنا) أى يقولون ذهبوا وغابوا وقد ناههم فلانهم ثم أضربوا عن ذلك وانتقلوا الى الاخبار بعد رمهم وانه لا وجود لهم فقالوا (بل لم تكن ندعوا من قبل شيئاً) أى لم تكن نعبد شيئاً قالوا هذالماتين لهم ما كانوا فيه من الضلالة والجهالة وانهم كانوا يعبدون ما لا يبصر ولا يسمع ولا يضرب ولا ينفع وليس هذا انكاراً منهم لوجود الاصنام التى كانوا يعبدونها بل اعتراف منهم بان عبادتهم اياها كانت باطلة كقولك حسبته شيئاً لم يكن كذلك وقال المحلى أنسكروا عبادتهم اياها انتهى وهذا المعنى بعيد فى مقام الحساب والعرض على رب العالمين (كذلك) الضلال الفظيع (يضل الله الكافرين) حيث عبدوا هذه الاصنام التى أوصلتهم الى النار (ذلكم) أى ذلك الضلال المدلول عليه بالنقل أو العذاب (بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق) أى تظهرون فى الدنيا من الفرح بمعاصى الله والسرور بما الفة رسله وكتبه وقيل بما كنتم تفرحون به من المال والاتباع والصحة وقيل من انكار البعث والعذاب وقيل المراد بالفرح هنا البطر والتكبر (وبما كنتم تفرحون) المراد بالمرح الزيادة فى البطر وقال مجاهد وغيره تبطرون وتأثرون وقال الضحاك الفرح السرور والمرح العداون وقال مقاتل المرح البطر والخيلاء وقيل المرح أشد من الفرح (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم حال كونكم (خالدين فيها) أى مقدرين الخلود فيها (فبئس مثوى) أى مأوى (المتكبرين) عن قبول الحق جهنم وكان الظاهر ان يقال مدخل وعبر عنه بالثوى لكون دخولهم بطريق الخلود قاله أبو السعود وقال السمين لم يقل مدخل لان الدخول لا يدوم وانما يدوم الثواء فلذلك خصه بالذم وان كان الدخول أيضاً مذموماً ثم أمر الله سبحانه رسوله على الله عليه وآله وسلم بالصبر تسلمة له فقال (فاصبرن وعد الله) أى وعده بالانتقام منهم (حق) كائن لى المحالة ما فى الدنيا وفى الآخرة ولهذا قال (فاما ترى لك بعض الذى نعدهم) من العذاب فى الدنيا بالقتل والاسر

(٢٨ فتح البيان ثامن) اتباع الرسل فرجه الله ورضى عنه فلقد كان حربى على هداية قومه قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا ابن جابر هو محمد عن عبد الملك يعنى ابن عمير قال قال عروة بن مسعود الثقفى رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم ابغضنى الى قومى ادعوه الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى أخاف ان يقتلوك فقال لو وجدونى ناعماً ما يقتطونى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فاذهب الى اللات والعزى فقال لا أصبحنك عداً بما يسوءك فغضبت ثقيل فقال يا معشر ثقيف ان اللات لالات وان العزى لاعزى اسلموا واسلموا يا معشر الاحلاف ان العزى لاعزى وان اللات لالات

اسلموا تسلموا قال ذلك ثلاث مرات فرما رجل فأصاب أكلة فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا مثله كمثل صاحب يس قال يا ليت قومي يعلمون بما غفرت لي ربي وجعلني من المكرمين وقال محمد بن ابي اسحق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم انه حدث عن كعب الاحبار انه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم اخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلا الكذاب قطعه بالامامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول له انشهد ان محمد رسول الله فيقول نعم ثم يقول انشهد اني رسول الله فيقول لا اسمع فيقول له مسيلا عنه الله (٢١٨) اسمع هذا ولا تسمع ذلك فيقول نعم فجعل يقطعه معضوا معضوا كلما

سأله لم يزد على ذلك حتى مات في يديه فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب وكان والله صاحب يس اسمه حبيب وقوله تبارك وتعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كانوا ينظرون انه انقم من قومه بعد قتلهم اياه غضبانه تبارك وتعالى عليهم لانهم كذبوا رساله وقتلوا وليه ويزكروا عز وجل انه ما أنزل عليهم وما احتاج في اهلا كه اياهم الى انزال جن من الملائكة عليهم بل الامر كان ايسر من ذلك قاله ابن مسعود في رواه ابن اسحق عن بعض اصحابه انه قال في قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كانوا ينظرون أي ما كانوا ينظرون بالجموع الامر كان ايسر علينا من ذلك ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خادون قال فاهلك الله تعالى ذلك الملك وأهل انطاكية فبادوا عن وجه الارض فلم يبق منهم باقية وقيل وما كانوا ينظرون أي وما كانوا ينظرون الملائكة على الامم اذا اهل كاهم بل نبعث عليهم عذابا يدمرهم وقيل المعنى في قوله تعالى وما أنزلنا على قومه

والقهر وما زائدة عند المبرد والزجاج والاصل نزل ولحقت بالفعل نون التأكيدي (أو توفينك) معطوف على نرينك أي قبل انزال العذاب بهم (فالياسر جعون) يوم القيامة فنعد بهم أشد العذاب (واقعد أرسنا رسلا) وأنبياء (من قبلك) الى أهمهم (منهم من قصصنا عليك) أي أنبياءناك بأخبارهم في القرآن وملكهم من قومهم وهم خمسة وعشرون (ومنهم من لم نقصص عليك) فيه خبر ولا وصلنا اليك علم ما كان بينه وبين قومه وعن علي بن أبي طالب في الآية قال بعث الله عبدا حبشا يافهو ممن لم يقصص على محمد صلى الله عليه وسلم عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله كم عدة الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثمانية وخمسة عشر جمعا غفيرا أخرجه أحمد وعبر عنه في الكشف بقيل (وما كان) أي ماصح وما استقام (لرسول) منهم (ان يأتي بآية) أي معجزة العلى نبوته (الاباذن الله) لان قبل نفسه فان المعجزات عطايا قسها الله تعالى بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القس ليس اهم اختيار في ايتار بعضها والاستبداد بآيات المقترح بها لانهم عبيد مر يوبون (فاذا جاء أمر الله) أي الوقت المعين لعذابهم في الدنيا وفي الآخرة (قضى بالحق) فيما بين الرسل ومكذبيها فيخني الله بقضائه الحق عباده المحققين (وخسر هنالك) أي في ذات الوقت (المبطلون) الذين يتبعون الباطل ويعملون به وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك ختمه بقوله المبطلون وختم السورة بقوله الكافرون لان الاول متصل بقوله قضى بالحق ونقيض الحق هو الباطل والثاني متصل بايمان غير نافع ونقيض الايمان الكفر فاده الكفر الخ ثم امتن الله سبحانه على عباده بنوع من أنواع نعمه التي لا تحصى فقال (الله الذي جعل لكم والانعام) أي خلقها لاجلكم قال الزجاج الانعام هنا الابل خاصة وقيل الأزواج الثمانية والاول هو الظاهر لانها هي التي توجد فيها المنافع الآتية كلها وقوله (لتركبوا منها) تفصيل لهذا الاجال ومن للتبعيض وكذلك في قوله (ومنها ما يكون) أو لابتداء الغاية في الموضعين ومعناها ابتداء الركوب وابتداء الاكل والاول أولى والمعنى لتركبوا بعضها وتاكلوها بعضها (وليسكن فيها منافع) أخر غير الركوب والاكل من الوبر والصوف والشعر والزيد والسمن والخبز والدر والنسل وغير ذلك (وتلبغوا عليها حاجة في صدوركم) قال مجاهد

من بعده من جند من السماء أي من رسالة أخرى اليهم فاهل مجاهد وقتادة قال قتادة فلا والله ما عاتب الله ومقاتل

قومه بعد قتله ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خادون قال ابن جرير والاول أصح لان الرسالة لا تبغى جند اقال المقسرون بعث الله تعالى اليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فأخذ بعضا في باب بلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خادون عن آخرهم لم يبق فيهم روح تتردد في جسدهم وقد تقدم عن كثير من السلف ان هذه القرية هي انطاكية وان هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما نص عليه قتادة وغيره وهو الذي لم يذ كر عن واحد من متأخري المنسرين غيره

وفي ذلك نظر من وجوه أحدها ان ظاهر القصة يدل على ان هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لامن جهة المسيح عليه السلام كما قال تعالى اذ أرسلنا اليهم اثني عشر نبيا فكذبوهم فاعزنا بنات فقالوا انا اليكم مرسلون الى ان قالوا ربنا يعلم انا اليكم مرسلون وما علينا الا البلاغ المبين ولو كان هؤلاء من الخواريين لقالوا عبارة يناسب انهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا اليهم ان اتمم الابرار مثلنا الثاني ان أهل انطاكية آمنوا برسل المسيح اليهم وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا كانت عند النصارى احدى المدائن الاربعه اللاتي فيهن بتاركة وهن القدس (٢١٩) لانها بلد المسيح وانطاكية لانها أول بلدة

ومقاتل وتمادت تحت حمل أنقل لكم من بلد الى بلد وقد تقدم بيان هذا مسطور في سورة النحل (وعليها وعلى القليل تحملون) أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر وقيل المراد بالحمل على الانعام هنا حمل الودان والنساء في الهوادج وهو السر في فصله عن الركوب وفي الجمع بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفن البر وتظهر هذه الآية قوله تعالى في سورة النحل والانعام خلقتها لكم فيها ذرف ومنافع الآية لكن هذه اجمع منها (ويريكم آياته) أي دلالاته الدالة على كمال قدرته ووحدايته (فاي) آية من آيات الله تشكرون فانها كلها من الظهور وعدم الخفاء بحيث لا ينكرها منكر ولا يجحد بها جاحد وفيه تفرع يعبر عنهم وتوبيخ عظيم وتذكير أي أشهر من تأنيسه فلذلك لم يقل فآية آيات الله لان التفرقة بين المذكور والمؤث في الاسماء الجلمدة نحو حمار وحماره غريب وهي في أي أعرب لاجلها ونصب أي بتسكرون وانما قدم على العامل فيه لان مصدر الكلام ثم ارشدهم سبحانه الى الاعتبار والتفكير في آيات الله فقال (أفلم يسيروا في الارض) أي في اطرافها ونواحيها (فينظروا) بابصارهم وبصائرهم (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم التي عصت الله وكذبت رسلها فان الآثار الموجودة في ديارهم تدل على ما نزل بهم من العقوبة وما صاروا اليه من سوء العاقبة ثم بين سبحانه ان تلك الامم كانوا فوق هؤلاء في الكثرة والقوة فقال (كانوا اكثر منهم عددا) واشد قوة أي أقوى منهم أجسادا وأوسع منهم أموالا (وأظير منهم آثارا في الارض) بالعمائر والمصانع والحصون والحصار والحرث (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يجوز ان تكون ما لاولى نافية واستفهامية منصوبة بأغنى والثانية منصوبة بآية او مصدرية مرفوعة بآية لم يغن عنهم أو أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالحجج الواضحات والمعجزات الظاهرات (فرفحوا بجمعهم من العلم) أي أظهر الكفار النرجح اعندهم ما يدعون انه من العلم من الشبه الداحضة والدعاوى الزائفة والقنون الناسدة والعلوم الكاسدة وسماه علماتهم كجابهم أو على ما يعتقدونه وقال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم ان نعذب ولن نبعث وقيل المراد من العلم علم احوال الدنيا لا الدين كما في قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا قال النبي أو علم الفلاسفة والدهر بين فانهم كانوا اذاسموا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع عيسى وقيل له لوهاجرت اليه فقل لمن قوم

آمنت بالمسيح عن آخر أهلها والاسكندرية لان فيها اصططحو واعلى اتخاذ البتاركة والمطارنة والاسقافة والقساوسة والشمامسة والراهبين ثم رومية لانها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأطده ولما ابنتي القسطنطينية نقلوا البتاركة من رومية اليها كما ذكره غير واحد ممن ذكرنا تاريخهم كسعد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين فاذا تقرر ان انطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية ذكرا لله تعالى انهم كذبوا رسله وانه أهلكهم ببيعة واحدة أخذتهم والله أعلم الثالث ان قصة انطاكية مع الخواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة وتذكر أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه وغير واحد من السلف ان الله تبارك وتعالى بعد انزال التوراة لم يهلك آمة من الامم عن آخرهم بعد ما يبغى عليهم بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ذكروه عند قوله تبارك وتعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى فعلى هذا يتعين ان أهل هذه القرية المذكورين في القرآن قرية أخرى غير انطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا وتكون انطاكية ان كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة فان هذه لم يعرف انها أهلكت لاني الملة النصرانية ولا قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن اسحق التستري حدثنا الحسين بن أبي السرى العسقلاني حدثنا حسين الأشقر حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السبق ثلاثة فالسابق الى موسى عليه الصلاة والسلام يوشع بن نون والسابق الى عيسى عليه

أهل هذه القرية المذكورين في القرآن قرية أخرى غير انطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا وتكون انطاكية ان كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة فان هذه لم يعرف انها أهلكت لاني الملة النصرانية ولا قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن اسحق التستري حدثنا الحسين بن أبي السرى العسقلاني حدثنا حسين الأشقر حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السبق ثلاثة فالسابق الى موسى عليه الصلاة والسلام يوشع بن نون والسابق الى عيسى عليه

الصلاة والسلام صاحب بس والسابق الى محمد صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضی الله عنه فإنه حديث منكر لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر وهو شيعي متر وك والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون) قال علي بن طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى يا حسرة على العباد أي يا ويل العباد وقال قتادة يا حسرة على العباد أي يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيعت من أمر الله وقرطت في جنب الله (٢٢٠) وفي بعض القراءات يا حسرة العباد على أنفسهم ومعنى هذا يا حسرتهم

وندامتهم يوم القيامة اذا عاينوا العذاب كيف كذبوا رسول الله وخالفوا أمر الله فانهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن أي يكذبونه ويستهزؤن به ويحسدون ما أرسل به من الحق ثم قال تعالى ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون أي ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسول كيف لم يكن لهم الى هذه الدنيا كرة ولا رجعة ولم يكن الامر كما زعم كثير من جهلتهم وفجرتهم من قولهم ان هي الاحياتنا الديناعوت ونجحي وهم القاتلون بالدور من الدهرية وهم الذين يعتقدون جهلا منهم أنهم يعودون الى الدنيا كما كانوا فيها فرد الله تبارك وتعالى عليهم ما باطلهم فقال تبارك وتعالى ألم يروا لكم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وقوله عز وجل وان كل لما جميع لدينا محضرون أي وان جميع الامم الماضية والآتية ستحضر العذاب

مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا أو المراد فرحو بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين انتهى وقيل الذين فرحو بما عندهم من العلم هم الرسل وذلك أنهم لما كذبهم قومه أعلمهم الله بأنه مهلك الكافرين ومنجي المؤمنين ففرحو بذلك (وح قبهما ما كانوا يستهزؤن أي أحاط بهم جزاء استهزائهم (فلما رأوا بأسنا) أي عاينوا عذابنا النازل بهم في الدنيا (قالوا آمنا بالله وحده وكذبنا بما كنا به مشركين) وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها (فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا) أي عندهم عاينة عذاب لان ذلك الايمان ليس بالايمان النافع لصاحبه فإنه انما يندفع الايمان الاختياري لا الايمان الاضطراري والفاآت من قوله فما اغنى الى هنا أربع الأولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم أي ان عاقبتهم اخلاف وضد ما كانوا يؤمنونه منها وهو نفعها فلم يترتب عليها بل ترتب عدمه كقولك وعظمت فلم يتعظف والثانية تشير لتفصيل ما بهم من أجل من عدم الاعناء والثالثة للمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبله او اقعاعقبه لان مضمون قوله فلما جاءتهم الخ أنهم كفروا فأكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والارابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري (سنة الله التي دخلت) أي مضت (في عباده) المعنى ان الله سبحانه سن هذه السنة في الامم كلها انه لا يتقنعهم الايمان اذا رأوا العذاب وقدمضى بيان هذا مستوفى في سورة النساء وسورة التوبة واتصاف سنة على انها مصدر مؤكد ان فعل محذوف بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة وقيل منصوب على التحذير أي احذر ويا أهل مكة سنة الله في الامم الماضية والاولى (وقد خسرها تلك الكافرون) أي وقت رؤيتهم بأس الله ومعانيبتهم لعذابه على انه اسم مكان قد استعبر للزمان كما ساق آذنا قاله أبو السعود وقال السمين لا يحتاج لهذا بل يصح ابقاؤه على أصله قال الزجاج الكافر خاسر في كل وقت ولكنه يتبين لهم خسرتهم اذا رأوا العذاب

* (سورة حم السجدة وتسمى سورة فصلت وسورة المصاحح وهي أربع وخمسون آية) * وقيل ثلاث وخمسون قال القرطبي وهي مكية في قول الجميع قال ابن عباس انها نزلت

بمكة وشرها ومعنى هذه كقوله جل وعلا وان كل لما باليه وفيهم ربك أعمالهم وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف فمنهم من قرأ وان كل لما بالتخفيف فعنده ان اللاتبات ومنهم من شدد لما وجعل ان نافية ولما بمعنى الاعتقديره وما كل الا جميع لدينا محضرون ومعنى القراءتين واحد والله سبحانه وتعالى أعلم (وآية لهم الارض الميتة احييناها واخرجنا منها حبا فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وجزنا فيها من العيون لبا كلوا من ثمرة وما علمت أيديهم أقلابا يشكرون سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) يقول تبارك وتعالى وآية لهم أي دلالة لهم على وجود الصانع

وقدرته التامة واحياءه الموتى الارض الميتة أى اذا كانت ميتة هامة لاشئ فيهما من النبات فاذا أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربت وأبنتت من كل زوج بهيج ولهذا قال تعالى أحييناها وأخرجنا منها احباقنه يا كون أى جعلناه رزقا لهم ولا نعامهم وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون أى جعلنا فيها أنهارا سارحة في أمكنة يحتملون اليها ليا كلوا من ثمره لما امتن على خلقه بإيجاد الرزوع لهم عطف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها وقوله جل وعلا وما علمت أيديهم أى وما ذلك كله الا من رحمة الله تعالى بهم لا بسعيهم ولا كدهم ولا بجولهم وقوتهم قاله ابن عباس رضى (٢٢١) الله عنهم اوقادوا ولهذا قال تعالى أفلا

يشكرون أى فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من النعم التي لا تعد ولا تحصى واختار ابن جرير بل جزم به ولم يحك غيره الا احتمالا ان ما في قوله تعالى وما علمت أيديهم بمعنى الذي تقديره ليا كلوا من ثمره وما علمته أيديهم أى غرسوه ونصبوه وهي كذلك في قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ليا كلوا من ثمره وما علمته أيديهم أفلا يشكرون ثم قال تبارك وتعالى سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض أى من زروع وغما ونبات ومن أنفسهم فجعلهم ذكرا وانثى ومما لا يعلمون أى من مخلوقات شتى لا يعرفونها كما قال جات عظمته ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) يقول تعالى ومن الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة خلق

بمكة وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل وابن عساکر عن جابر بن عبد الله قال اجتمع قريش يوم ما فقالوا انظر وأعلمكم بالسحر والكهانة والنه عرفيات هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فإيكامه ولينظر ماذا يريد عليه فقوالوا ما نعلم أحد غير عتبة بن ربيعة ففتالوا انت يا أبا الوليد فأنابه فقال يا محمد أنت خير أم عبد الله أنت خير أم عبد المطلب فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وان كنت تزعم انك خير منهم فتمسكهم حتى نسمع قولك أما والله مارأيتنا سخلة قط أشأم على قومك منك فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم من ان في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا والله ما تنتظر الا مثل صيحة الجبلى ان يقوم بعضنا الى بعض بالسيف يارب ان كان اتعابك الحاجة فجعلنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا وان كان اتعابك الباء فاختراى نساء قريش شئت فلن تزوجنك عشرا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرغت قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كذب فصلت آياته حتى بلغ فان أعرضوا نقل أنذرتم صاعقة مثل صاعقة عاد وعود فقال عتبة بن حسان بك ما عندك غير هذا قال لا فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك قال ما تركت شيئا أرى انكم تكلمون به الا كلمته قالوا فهل أجابك قال والذى نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير انه أنذرتم صاعقة مثل صاعقة عاد وعود قالوا وبك يكلمك الرجل بالعربية وما تدري ما قال قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذلك الصاعقة وأخرج أبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عمر قال لما قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عتبة بن ربيعة حم أى أصحابه فقال يا قوم أطيعوني في هذا اليوم واعصوني بعده فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما سمعت أذننى قط كلاما مثله وما دريت ما أورد عليه وفي هذا الباب روايات تدل على اجتماع قريش وارسالهم عتبة بن ربيعة وتلاوته صلى الله عليه وآله وسلم أول هذه السورة عليه

(بسم الله الرحمن الرحيم) قد تقدم الكلام على اعراجه ومعناه في السورة التي قبل هذه السورة فلان عيده والله أعلم بمراده به وكذلك تقدم الكلام على معنى قوله الليل والنهار هذا نظلامه وهذا بضائه وجعلها ما به اقاب ان يبي هذا فيذهب هذا ويذهب هذا في يبي هذا كما قال تعالى يغشى الليل النهار بطابه حينئذ ولهذا قال عز وجل ههنا وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أى نصرمه منه فيذهب في قبيل الليل ولهذا قال تبارك وتعالى فاذا هم مظلمون كما جاء في الحديث اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم هذا هو انظارهم من الآية وزعم قتادة انها كقوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقد ضعف ابن جرير قول قتادة ههنا وقال اعناه معنى الايلاج الاخذ من هذا في هذا وليس ههنا ادى في هذا الآية وهذه الذى قاله ابن جرير حق وقوله جل جلاله والشمس

تجربى مستقرها لذلك تقدير العزيز العليم في معنى قوله مستقرها قولان أحدهما ان المراد مستقرها المكاني وهو تحت العرش مما يلي الارض من ذلك الجانب وهي أيضا كانت فهي تحت العرش هي وجميع مخلوقات لانه مستقرها وليس بكثرة كما يزعمه كثير من آرياب الهية وانما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رؤس الناس فالشمس اذا كانت في قبة القنات وقت الظهيرة تكون أقرب ما يكون الى العرش فاذا استدارت في فلكها الرابع الى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ما يكون من العرش فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع (٢٢٢) كما جاءت بذلك الاحاديث قال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا الاعمش

عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أتدرى أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تبارك وتعالى والشمس تجري لمستقر لها قال صلى الله عليه وسلم مستقرها تحت العرش هكذا اوردته ههنا وقد أخرج في أما كن متعددة ورواه بقية الجماعة الابن ماجه من طرق عن الاعمش به وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد حين غربت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر أتدرى أين

(تنزيل من الرحمن الرحيم) واعرابه وانما خص هذين الوصفين بالذكر لان الخلق في هذا العالم كالمريض المحتاجين والقرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المريض من الادوية وعلى ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان أعظم النفع من الله على هذا العالم انزال القرآن الناشئ عن رحمته ولفظه بخلقه (كتاب فصلت) أي بينت وميزت باعتبار اللفظ والمعنى أو جعلت (آياته) أساليب وتفصيل مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ وعجائب أحوال النبات والحيوان والانسان وتهديب الاخلاق ورياضة النفس وتواريخ الماضين وصفات التنزيه والتقديس وشرح غرائب الملكوت والملك والجملة فن أنصف علم انه ليس في بدء الخلق ونهايته كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل ما في القرآن فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين قال قتادة فصلت بيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته وقال الحسن بالوعد والوعيد وقال سفيان بالثواب والعقاب ولا مانع من الحمل على الكل وقرئ فصلت بالتخفيف أي فرقت بين الحق والباطل والجملة في محل رفع صفة للكتاب واتصاب (قرأ ناعرييا) على الاختصاص أو على المدح قاله الاخفش أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرأنا من صفته كيت وكيت أو على الحال أي فصلت آياته حال كونه قرأنا وقيل على المصدرية أي يقرؤه قرأنا وقيل بمعنى قول ثاب انصلت وقيل على اسم الفاعل بدل عليه ففصلت أي فصلناه قرأنا عرييا (القوم يعلمون) معانيه ويفهمونها وهم أهل اللسان العربي وانما خصوا بالذكر لانهم يفهمونها بلا واسطة لكون القرآن بلغتهم وغيرهم لا يفهمها الا بواسطة طمهم قال الضحاك أي يعلمون ان القرآن منزل من عند الله وقال مجاهد أي يعلمون انه اله واحد في التوراة والانجيل واللام متعلقة بمحذوف صفة أخرى لقرأنا ومتعلقة بنصلت والاول أولى وكذلك (بشيرا ونذيرا) صفتان آخران لقرآن أو حالان من كتاب والمعنى بشير الاولياء الله ونذير الاعدائه وقرنا بالرفع على انها صفة لكتاب أو خبر عن محذوف (فأعرض أكثرهم) أي الكفار عما شتمل عليه من النذارة (فهم لا يسمعون) سمعا لا يتفعلون به لاعراضهم عنه (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه) الاكنة جمع كان وهو الغطاء أي في أعظمة مثل الكنانة التي فيها السهام فهي لا تنفذ ما تقول من التوحيد ولا يوصل اليها

تذهب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد بيريدي ربها عز وجل فتستأذن قولك في الرجوع فيؤذن لها وكانها قد قيل لها الرجعي من حيث جئت فترجع الى مطلعها وذلك مستقرها ثم قرأ والشمس تجري مستقر لها وقال سفيان الثوري عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذرحين غربت الشمس أتدرى أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها وورشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها الرجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها

فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي اسحق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال في قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها قال ان الشمس تطلع فتردها ذنوب بني آدم حتى اذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى اذا كان يوم غربت فسلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها فنقول ان المسير بعيد وان لا يؤذن لي لا يبلغ فنجس ماشاء الله ان تجبس ثم يقال لها اطلعي من حيث غربت قال ان فن يومئذ اني يوم القيامة لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت (٢٢٣) في ايمانها خيرا وقيل المراد بسجودها

هو انهاء سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو اوجها ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض والقول الثاني ان المراد بسجودها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة يظل سيرها وتسكن حركتها وتكثروا ينتهي هذا العالم الى غايته وهذا هو مستقرها الزماني قال قتادة لمستهقر لها اي لوقتها ولاجل لانه دونه وقيل المراد انها لاتزال تنتقل في مطالعها الضيضة الى مدة لاتزيد عليها ثم تنتقل في مطالع الشتاء الى مدة لاتزيد عليها يروي هذا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقرأ ابن مسعود وبن عباس رضي الله عنهما والشمس تجري لامستهقر لها اي لاقرارها ولا سكون بل هي سائرة بلا ونهارا لانفترا ولا تنقف كما قال تبارك وتعالى وسبحوا لكم الشمس والقمر ودائبين أي لا يفتران ولا يقنآن الى يوم القيامة ذلك تقدير العزيز أي الذي لا يخالف ولا يمانع العليم بجموع الحركات والسكنات وقد قدر ذلك ووقته على منوال الاختلاف فيه ولا تعا كس كما قال عز وجل

قولك قال مجاهد الكان للقباب كالجنة للنبل وقد تقدم بيان هذا في البقرة (وفي آذاننا وقر) أي صمهم يمنع من استماع قولك وأصل الوقر النقل قرئ بكسر الواو وقرئ بفتح الواو والقاف (ومن يبنوا بينك حجاب) أي ستروا من لابتداء الغاية والمعنى ان الحجاب ابتدئ منا وابتدئ منك فالمسافة المتوسطة بين جهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو قيل يبنوا بينك حجاب ولم نأت لنظرة من لكان المعنى ان الحجاب حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة بما بين المفرد فلذلك جيء بهن وهذه تشبيلات لسبوقلوبهم عن ادراك الحق وتقبله واعتقاده كأنها في غلغلة وأغطية تمنع من نفوذ فيها ومحج اسماعهم له كأن بها دعما عنه ولتباع المذهبين والدينين وامتناع المواصله بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما هو عليه حجابا ستر او حجابا مني عما من جبل أو نخوة فلا تلاقى ولا ترائى (فاجمل) أي استر على دينك وهو التوحيد (انما عاملون) أي مستترون على ديننا وهو الاشرار وقال السكبي اعلم في هلاك كافانا عاملون في هلاكك وقال مقاتل اعلم لالهك الذي أرسلك فانا نعمل لالهتنا التي نعبدها وقيل فاعمل لآخرتك فانا عاملون لديننا أو فاعمل في ابطال أمرنا فانا نعمل في ابطال أمرك ثم أمره الله سبحانه ان يجيب عن قولهم هذا فقال (قل انما أنا بشر منكم يوحى الى انما اليكم اله واحد) أي انما أنا كواحد منكم لولا الوحي ولم أكن من جنس مغاير لركم حتى تكون قلوبكم في أكنة مما أدعوكم اليه وفي آذانكم وقر ومن بيني وبينكم حجاب ولم أدعكم الى ما يخالف العقل وانما أدعوكم الى التوحيد قرأ الجمهور يوحى مبني بالفعول وقرأ الاعشى والنخعي مبني للفاعل أي يوحى الله الي قيل ومعنى الآية اني لا أقدر على ان أجلكم على الايمان قسر افاني بشر منكم ولا امتياز لي عسكم الا اني أوحى الى التوحيد والامر بفعلي البلاغ وحده فان قبلتم رشدتم وان أبيتم هلكتم وقيل المعنى اني لست بملك لا يرى وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصرت بالوحي نبيا ووجب عليكم اتباعي وقال الحسن في معنى الآية ان الله سبحانه علم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يتواضع (فاستقبوا اليه) عداه بالي لتضمنه معنى توجهوا والمعنى وجهوا استقامتكم اليه بالطاعة ولا تملوا عن سبيله (واستغفروه) لما

فالق الاصبح وجعل الليل سكا والشمس والقمر حسبنا ذلك تقدير العزيز العليم وهكذا ختم آية حم السجدة بقوله تعالى ذلك تقدير العزيز العليم ثم قال جلا وعلا والقمر قدرناه منازل أي جعلناه يسيرا آخر يستدل به على مضي الشهر وكان الشمس يعرف بها الليل والنهار كما قال عز وجل يسألونك عن الاهل قل هي مواقيت للناس والحج وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب الآية وقال تبارك وتعالى وجعلنا الليل والنهار آياتين فتعلمون الآية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا فجعل الشمس لها ضوء يخصها والقمر

له نور يخصه وفاوت بين سيرهذه وهذا فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد وليكن تنتقل في مطالعها ومغاربها أصينا
 وشتاء يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ثم يطول الليل ويقصر النهار وجعل سلطانها بالنهار فهي كوكب نهاري وأما القمر
 فقدره منازل بطلع في أول ليلة من الشهر ضللا قليل النور ثم يزداد نورا في الليلة الثانية ويرتفع منزله ثم كلما ارتفع ازداد ضياءه وان
 كان مقبسا من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم
 قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو أصل . (٢٢٤) العذق وقال مجاهد العرجون القديم أي العذق اليابس يعني ابن

عباس رضي الله عنهما أصل
 العنقود من الرطب اذا عتق ويابس
 وانحى وكذا قال غيرهما ثم بعد هذا
 بيديه الله تعالى جديد في أول
 الشهر الآخر والعرب تسمى كل
 ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار
 القمر فيسمون الثلاث الأول غرر
 واللواتي بعدها نذل واللواتي بعدها
 تسع لان آخره في التاسعة واللواتي
 بعدها عشر لان أولهن العاشرة
 واللواتي بعدها البض لان ضوء
 القمر فيهن إلى آخرهن واللواتي
 بعدهن درع جمع درعا لان أولهن
 أسودتان آخر القمر في أولهن منه والشاة
 الدرعا وهي التي رأسها أسود وبعدهن
 ثلاث ظلم ثم ثلاث خنادس وثلاث
 دراري وثلاث محاق لان محق القمر
 أو الشهر فيهن وكان أبو عبيدة رضي
 الله عنه ينكر التسع والعشر كما
 قال في كتاب غريب المصنف وقوله
 تبارك وتعالى لا الشمس ينبغي لها أن
 تدرك القمر قال مجاهد لكل منهما
 حد لا يعده ولا يقصر دونه اذا جاء
 سلطان هذا ذهب هذا واذا ذهب
 سلطان هذا جاء سلطان هذا وقال
 عبدالرزاق أخبرنا عمر عن الحسن

فشرط منكم من الذنوب والشرك وما أنتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم حدد
 المشركين وتوعدهم فقال (وويل للمشركين) ثم وصفهم بقوله (الذين لا يؤتون الزكاة)
 أي عندهم ولا يخرجونها إلى الفقراء وقال الحسن وقتادة لا يقرون بوجودها وقال
 الضحاك ومقاتل لا يتصدقون ولا يتفنون في الطاعة وقيل معنى الآية لا يشهدون ان
 لا اله الا الله لانهم لا يتصدقون ولا يتفنون في الطاعة وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم
 وكان يقال الزكاة قنطرة للاسلام فن قطعها نجحوا ومن تحالف عنها هلك وقال الفراء كان
 المشركون يتفقون النفاق ويسبقون الحج ويضعونهم فخر وما ذلك على من آمن بمحمد
 صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت فيهم هذه الآية وانما جعل منع الزكاة مقرونا بالكفر
 بالآخرة لان أحب الشيء إلى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك
 أقوى دليل على استقامته وثباته وصدق نيته ونضوح طويته وما خدع المؤمنة قلوبهم
 الا بلطمة من الدنيا فقرت عصميتهم ولانت شكيتهم وما ارتدت بنوحه فيفقد رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم الامنع الزكاة فتعصبت لهم الحروب وجوهدها وفيه بعث
 للمؤمنين على أداء الزكاة وتحذير شديدين منعها حيث جعل المنع من أوصاف
 المشركين وقرن بالكفر بالآخرة (وهم بالآخرة هم كافرون) معطوف على لا يؤتون
 الزكاة داخل معه في حيز الصلة أي منكرون للآخرة جاحدون لها والمجى بضمير الفصل
 لقصد الحصر (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع
 عنهم يقال مننت الحبل اذا قطعته وقيل الممنون المنقوص قاله ابن عباس وقطرب قال
 الجوهري المن القطع ويقال النقص ومنه قوله تعالى لهم أجر غير ممنون وقيل غير
 محسوب وقيل معنى الآية لا عين عليهم بلانه انما عين بالفضل فأما الأجر فحق أدائه وقال
 السدي نزلت في المرضى والزمنى والهري اذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الأجر مثل
 ما كانوا يعملون في الصحة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يوجههم
 ويقرعهم فقال (قل أنكم) قرأ الجهور بهمزتين الثانية بين وبين قرئ بهمزة بعدها ياء
 خفيفة وان واللام مالتا كيد الانكار وقدمت الهمزة لاقضائهما الصدارة وانما للاشعار
 بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج إلى التأكيد (لتكفرون

في قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر قال ذلك لبله الهلال وروى ابن أبي حاتم ههنا عن

عبدالله بن المبارك انه قال ان للريح جناح وان القمر يأوى إلى غلاف من الماء وقال الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح
 لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا وقال عكرمة في قوله عز وجل لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر يعني ان لكل منهما
 سلطانا فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل وقوله تعالى ولا الليل سابق النهار يقول لا ينبغي اذا كان الليل ان يكون له من آخر حتى
 يكون النهار فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل وقال الضحاك لا يذهب الليل من ههنا حتى يجي النهار من ههنا

وأوما بيده إلى المشرق وقال مجاهد ولا الليل سابق النهار يطلبان حثيثين يسبح أحدهما من الآخر والمعنى في هذا أنه لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلامهله ولا تراخ لانهم ماسخزان دأبين يتطالبان طلبا حثيثا وقوله تبارك وتعالى وكل في فلك يسبحون يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في فلك بين السماء والارض رواه ابن أبي حاتم وهو غريب جدا بل منكر قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف (٢٢٥) في فلكة كنفلكة المغزل وقال مجاهد

الفلك كحديدة الرحي أو كنفلكة المغزل لا يدور المغزل إلا به ولا تدور الابة (وآية لهم اننا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نعرقهم فلا صريح لهم ولا هم يتقذون الا رحمة منا ومتاعا إلى حين) يقول تبارك وتعالى دلالة لهم أيضا على قدرته تبارك وتعالى تسخيره البحر ليحمل السفن في ذلك بل أوله سفينة نوح عليه الصلاة والسلام التي أنجاه الله تعالى فيها من معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الارض من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام غيرهم ولهذا قال عز وجل وآية لهم اننا حملنا ذريتهم أي آباءهم في الفلك المشحون أي في السفينة المملوءة من الامتعة والحيوانات التي أمره الله تبارك وتعالى ان يحمل فيها من كل زوجين اثنين قال ابن عباس رضي الله عنهما المشحون الموقر وكذا قال سعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وقال الضحاك وقتادة وابن زيد وهي سفينة نوح عليه الصلاة والسلام وقوله جل

بالذي خلق الارض في يومين والمعنى لتكفرون عن شأنه هذا الشأن العظيم وقدرته هذه القدرة الباهرة قبل اليومان هما يوم الاحد ويوم الاثنين وقبل خلقهن في نوبتين كل نوبة أسرع مما يكون في يوم وقيل المراد مدة دار يومين لان اليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجود الارض والسماء ذكرهما تعليلا لانه ولو أراد ان يخلقهما في لحظة لفعل (وتجعل لهن أندا) أي أضدادا وشركاء والجملة معطوفة على تكفرون داخله تحت الاستفهام ذكر عنهم شيئين منكرين أحدهما الكفر بالله والثاني اثبات الشركاء (ذلك) المتصف بما ذكر (رب العالمين) جمع عالم وهو ما سوى الله وجمع لاخلاف أنواعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء ومن جملة العالمين ما يجعلونها أندا لله فكيف يجعلون بعض مخلوقاته شركاء له في عبادته (وجعل فيهما راسي) أي جبلا لأتوب معطوف على خلق وقيل مستأنفة لوقوع الفصل بينهما بالاجنبي والاول أولى لان الجملة الفاصلة هي مقررة لمضمون ما قبلها فكانت بمنزلة التأكيد ومعنى (من فوقها) انها مرتفعة عليها لانها من أجزاء الارض وانما خالفها باعتبار الارتفاع فكانت من هذه الحثية كالمنارة لها وانما اختار راسها فوق الارض لتكون منافع الجبال ظاهرة لطالبيها وليس صغر ان الارض والجبال انقال على انقال كلهما مفتقرة الى عسك وهو الله العزيز المتعال القادر المختار (وتبارك فيها) أي جعلها مباركة كثيرة الخير بما خلق فيها من المنافع للعباد قال السدي أثبت فيها شجرها (وقدر فيها أوقاتها) قال الحسن وعكرمة والضحاك قدر فيها أرزاق أهلها وما يصلح لمعايشهم من التجارات والشجار والمنافع جعل في كل بلدة ما يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد وقيل قدر البر لاهل قطر من الارض والتمر لاهل قطر آخر وكذلك سائر الاقوات قبل ان الزرع أكثر الحرف بركة لان الله وضع الاقوات في الارض وقال ابن عباس أي شق الانهار وغرس الاشجار ووضع الجبال وأجرى البحار وجعل في هذه ما ليس في هذه وفي هذه ما ليس في هذه وقال قتادة ومجاهد خلق فيها أنهارها وأشجارها ودوابها (في) تمة (أربعة أيام) أي في يوم الثلاثاء والاربعاء باليومين المتقدمين قاله الزجاج وغيره قال ابن انباري ومناله قول القائل خرجت من البصرة الى بغداد في عشرة أيام والى الكوفة في خمسة عشر يوما أي في تمة خمسة عشر يوما فيكون المعنى ان حصول جميع ما تقدم من خلق الارض وما بعدها في

(٢٩ فتح البيان ثامن) وعلا وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني بذلك الاصل فانها سفن البري يحملون عليها ويركبونها وكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة في رواية وعبد الله بن شداد وغيرهم وقال السدي في رواية هي الانعام وقال ابن جرير حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تدرون ما قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قلنا لا قال هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على مثلها وكذا قال أبو مالك والضحاك وقتادة وأبو صالح والسدي أيضا المراد بقوله تبارك وتعالى وخلقنا

لهم من مثله ما يرجون أي السفن ويقوى هذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا إنما طغى الماء حملناكم في الخازية لتجملها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية وقوله عز وجل وإن نشأ نغرقهم يعني الذين في السفن فلا صريح يخبرهم أي فلا مغيث لهم مما هم فيه ولا هم ينقذون أي مما أصابهم الارجحة منا وهذا الاستثناء منقطع تقديره ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر ونسلمكم إلى أجل مسمى ولهذا قال تعالى ومتاعا إلى حين أي إلى وقت معلوم عند الله عز وجل (وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحون وما تأتينا من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها ٢٢٦) معرضين وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين

آمنا أن نطمع من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا في ضلال مبين) يقول تعالى مخبرا عن عمادى المشركين في غيرهم وضلالهم وعدم أكثراتهم بذنوبهم التي أسلفوها وما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم قال مجاهد من الذنوب وقال غيره بالعكس لعلكم ترحون أي لعل الله ياتقائكم ذلك يرجحكم ويؤمنكم من عذابه وتقدير الكلام انهم لا يجيبون إلى ذلك بل يعرضون عنه واكتفى عن ذلك بقوله تعالى وما تأتينا من آية من آيات ربهم أي على التوحيد وصدق الرسل الا كانوا معرضين أي لا يتاملونها ولا يقبلونها ولا ينتفعون بها وقوله عز وجل وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله أي وإذا أمروا بالانفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمجاهدين من المسلمين قال الذين كفروا والذين آمنوا أي عن الذين آمنوا من الفقراء أي قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالانفاق محاجين لهم فيما مروهم به أنطمع من لو يشاء الله أطعمه أي هؤلاء الذين آمنوا بالانفاق عليهم لوشاء

أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ولولا هذا التقدير لكانت الايام ثمانية يومان في الاول وهو قوله خلق الارض في يومين ويومان في الاخير وهو قوله الا في قضاة من سبع سموات في يومين وأربعة في الوسط وقال أبو البقاء ولعل زيادة مدة الارض على مدة السماء جريا على ما يعارف من ان بناء السقف أخف من بناء البيت وقيل للتشبيه على ان الارض هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين وكثرة المنافع وقيل لما فيها من الاستلاء بالمعاصي والمجاهدات والمجادلات والمعالمات عن ابن عباس ان اليهود أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأته عن خلق السموات والارض فقال خلق الله الارض في يومين الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيه من منافع يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعاء الشجر والحجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة أيام فقال تعالى قل أن أنصركم لتكفرون إلى قوله للسائلين يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه فخلق من أول ساعة من هذه الثلاث الآجال حين يموت من مات وفي الثانية ألقى فيها من كل شيء مما ينتفع به وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش فألوا قد أصبت لواتممت قالوا ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون أخرجه ابن جرير والنحاس في ناسخه وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات ولكن في حديث مسلم عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدي فقال خلق الله التراب في يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق فيما بين العصر إلى الليل وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس أيضا قال ان الله خلق يوم اقسامه الاحد ثم خلق ثانيا فاسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فاسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فاسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فاسماه الخميس وذكريخوما تقدم وأخرج أبو الشيخ عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله فرغ من خلقه في ستة أيام وذكريخوما تقدم وانتصاب (سواء) على انه مصدر مؤكده فعل محذوف هو

الله لا غناهم ولا طعمهم من رزقه فنحن نوافق مشيئة الله تعالى فيهم ان أنتم الا في ضلال مبين أي في أمركم لتأبذلك صفة قال ابن جرير ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكافرين ناظر والمؤمنين وردوا عليهم فقال لهم ان أنتم الا في ضلال مبين وفي هذا نظر والله أعلم) ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الاصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون) يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم متى هذا الوعد يستعمل بها الذين لا يؤمنون بها قال الله عز وجل ما ينظرون الاصيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون أي ما ينظرون الاصيحة واحدة وهذه والله أعلم نغمة الفرع

ينفخ في الصور نفخة الفزع والناس في أسواقهم ومعابشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم فينبأهم كذلك إذا أمر الله عز وجل اسرافيل فنفخ في الصور نفخة يطولها ويثقلها فلا يبقى أحد على وجه الأرض الأضنى ليتها ورفعت ليتها وهي صفحة العنق يسمع الصوت من قبل السماء ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم ولهذا قال تعالى فلا يستطيعون توصية أي على ما يملكونه الأمر أهم من ذلك والى أهلهم يرجعون وقد وردت ههنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ثم يكون بعدها نفخة الصعق التي تموت بها الأحياء كلهم ما عدا الحى القيوم ثم بعد ذلك (٢٢٧) نفخة البعث (ونفخ في الصور فاذا هم

من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الاصححة واحدة فاذا هم جميع ليدحضرون فالدم لا تطلم نفس شيئاً ولا تجزون الا ما كنتم تعملون) هذه هي النفخة الثالثة وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الاجداث والقبور ولهذا قال تعالى فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون والنسلان هو المشى السريع كما قال تعالى يوم يخرجون من الاجداث سرعاً كما كنتم الى نصب يوفضون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا انهم لا يعثون منها بل ما عاينوا كذبوا به في محشرهم قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وهذا لا يلقى عذابهم في قبورهم لانه بالنسبة الى ما بعده في الشدة كارتقاد قال أبي بن كعب رضى الله عنه ومجاهد والحسن وقاتدة ينامون نومة قبل البعث قال قتادة وذلك بين الفصحتين فلذلك يقولون من بعثنا من مرقدنا فاذا قالوا ذلك

صفة للايام أي استوت الاربعة سواء بمعنى استواء ويجوز ان يكون منتصبا على الحال من الارض أو من الضمائر الراجعة اليها قرأ الجهم ورب نصب سواء وقرأ زيد بن علي والحسن وغيرهما بخفضه على انه صفة للايام وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف قال الحسن المعنى في اربعة ايام مستوية تاملة لا تزيد ولا تنقص وقوله (للسائلين) متعلق بسواء أي مستويان للسائلين أو محذوف كأنه قيل هذا الحصر للسائلين في كيوم خلقت الارض وما فيها أو متعلق بقدرى قدر فيها اقواتها لاجل الطالبين المحتاجين اليها قال الفراء في الكلام تقديم وتأخير والمعنى وقدر فيها اقواتها سواء للمحتاجين في اربعة ايام واختار هذا ابن جرير ثم لما ذكر سبحانه خلق الارض وما فيها ذكر كيفية خلقه للسموات فقال (ثم استوى الى السماء) أي عمد وقصد نحوها قصداً سواء وتعلقت ارادته بخلقها قال الرازي هو من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجهها بالالتفات معه الى عمل آخر وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونظيره قولهم استقام اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة الى خالق السموات بعد خلق الارض وما فيها قال الحسن المعنى سعد امره الى السماء ويفهم من هذه الآية ان خالق السماء كان بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس وقوله والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق السماء والجواب ان الخلق ليس عبارة عن اليجاد والتكوين فقط بل هو عبارة عن التقدير ايضا فالمعنى قضى ان يحدث الارض في يومين بعد احداث السماء وعلى هذا يقول الاشكال وقال الشوكاني بعد ذلك الاستشكال ان لم يثبت للتراخي الزماني بل للتراخي الربوبي فيندفع الاشكال من أصله وعلى تقدير أنها التراخي الزماني فالجمع ممكن بان الارض خلقها متقدماً على خلق السماء ودحوها بمعنى بسطها هو أمر زائد على مجرد خلقها فهي متقدمة خلقاً متأخرة دحوا وهذا ظاهر انتهى ولعله يأتي عند تفسيرنا لقوله والارض بعد ذلك دحاها زيادة ايضاح للمقام ان شاء الله تعالى وقد تقدم هذا الجمع في سورة البقرة ولكن خلق ما في الارض لا يكون الا بعد دحوها فالاشكال باق وعلى هذا لا يتنص عن الاشكال الابداعي كفي ثم أو ان بعد بمعنى قبل أو بمعنى مع (وهي دخان) هو ما ارتفع من لهب النار ويستعار لما يرى من بخار الارض قال المفسرون هذا الدخان هو بخار الماء وقياس جمعه في القلة أو دخنة وفي الكثرة دخيان وهي من باب التشبيه الصوري لان

أجابهم المؤمنون قاله غير واحد من السلف هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقال الحسن انما يجيبهم بذلك الملائكة ولا منافاة اذا جمع ممكن والله سبحانه وتعالى أعلم وقال عبد الرحمن بن زيد الجميع من قول الكفار يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون نقله ابن جرير وابتدأ الاول وهو أصح وذلك كتوله تبارك وتعالى في الصافات وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كتبته تكذبون وقال الله عز وجل ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين آمنوا والعلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون وقوله تعالى

ان كانت الاصححة واحدة فاذا هم جميع لديهم محضرون كقوله عز وجل فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة وقال جللت عظمتها
وما أمر الساعة الا كلم البصر او هو اقرب وقال جل جلاله يوم يدعوكم فتستجيون بحمده وتظنون ان ابنتم الا قليلا اى انما
نأمرهم امرا واحدا فاذا الجميع محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا اى من عملها ولا تجزون الاما كنتم تعملون (ان اصحاب الجنة
اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم) يخبر
تعالى عن أهل الجنة انهم يوم القيامة (٢٢٨) اذا ارتحلوا من العرصات فنزلوا في روضات الجنات انهم في شغل عن غيرهم عاهم

فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم
قال الحسن البصرى واسماعيل بن
أبي خالد في شغل عفافه أهل النار
من العذاب وقال مجاهد في شغل
فاكهون اى في نعيم محبوبون اى
به وكذا قال قتادة وقال ابن عباس
رضى الله عنهم ما فاكهون اى
فرحون قال عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه وابن عباس وسعيد
ابن المسيب وعكرمة والحسن
وقتادة والاعمش وسليمان التيمي
والاوزاعي في قوله تبارك وتعالى
ان اصحاب الجنة اليوم في شغل
فاكهون قالوا شغلهم اقتضاض
الابكار وقال ابن عباس رضى الله
عنهما في رواية عنه في شغل
فاكهون اى بسماع الاوتار وقال
ابو حاتم لعله غلط من المستمع وانما
هو اقتضاض الابكار وقوله عز
وجل هم وازواجهم قال مجاهد
وحلائهم في ظلال اى في ظلال
الاشجار على الارائك متكونون
قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة
ومحمد بن كعب والحسن وقتادة
والسدى وخفيف الراكهي
السرى تحت الجبال قلت نظيره

صورتها صورة للدخان في رأى العين وخص سبحانه الاستواء الى السماء مع كون
الخطاب المترتب على ذلك متوجها اليها والى الارض كما ينبيهه قوله (فقال لها ولا ارض
اتتيا طوعا أو كرها) استغناء بما تقدم من ذكر تقديرها وتقدير ما فيها ومعنى اتتيا فعلا
ما أمر كما به وجيئا به كما يقال اتت ما هو الاحسن اى افعله وقيل المعنى اتتيا على ما ينبغي
ان تأتيا عليه من الشكل والوصف اتتيا بارض مدحوة قرارا ومهاد الاهلك واتتيا باسماء
مقبية سقاها لهم قال الواحدى قال المفسرون ان الله سبحانه قال اى أنت يا سماء فاطلعي
شمسك وقرق ونجومك وأما أنت يا ارض فشققي انهارك وأخرجي عمارك ونباتك قاله
ابن عباس قرأ الجمهور اتتيا امر من الاتيان وقرئ اتتيا قالتا اتتيا بالمد فيه ما هو من
المواتات وهى الموافقة اى لتوافق كل منكما الاخرى لما يليق بها واليه ذهب الرازى
والزنجشمرى اومون الاتتيا وهو الاعطاء قاله ابن عباس فوزنه على الاول فاعلا كقائلا
وعلى الثانى افعلا كما وطوعا وكرها مصدران في موضع الحال اى طاعتين أو
مكرهتين وقرئ كرها بالضم قال الزجاج اطيعا طاعة أو تبركها ن كرها قيل ومعنى هذا
الامر لهما ما التسخير والحصول والوقوع اى كونا فكتا كما قال تعالى انما امرنا لنثنى
اذا أردناه أن نقوله كن فيكون فالكلام من باب التثنية لتأثير قدرته واستحالة
امتناعه ما أمر من باب الاستعارة التخييلية (فالتا اتتيا طاعتين) اى اتتيا أمرنا منك متقادين
وجمعهما جمع من يعقل لخطابهم ما بما يحتاج به العقلاء وجمع الامر لهما في الاخبار عنه
لا يدل على جمعه في الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا قال القرطبي قال أكثر أهل
العلم ان الله سبحانه خلق فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد سبحانه وقيل هو تمثيل لظهور
الطاعة منهما ما وتأثير القدرة الربانية فيهما والاول اولى قال أبو نصر السكسكى فنطق من
الارض موضع الكعبة ونطق من السماء بجبالها فوضع الله فيه حرمة (فقضاهن سبع
سموات) تفسيرا وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لانه فعل مرتب
على تكوينيهما اى خلقهن خلقا باعيا وأتقن امرهن حسيما فتقضى الحكمة وأتمهن
وفرغ منهن والضمير اماراجع الى السماء على المعنى لانها سبع سموات أو مبهمة مفسر
بسبع سموات وانصاب بسبع على التفسير اوعلى البدل من الضمير وقيل على انه مفعول
ثان لقضاهن لانه مضمين معنى صيرهن وقيل على الحال اى قضاهن حال كونهن

في الدنيا هذه التخت تحت البسائخ والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله عز وجل لهم فيها فاكهة اى من جميع
معدودات
أنواعها ولهم ما يدعون اى مهمالطبا ووجدوا من جميع اصناف الملاذ قال ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن عوف الجصى حدثنا عثمان
ابن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى حدثني كريب انه سمع أسامة بن زيد
رضى الله عنهم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل الجنة فان الجنة لا تخطر لها هوى ورب الكعبة نور كلها ايتلا لا
وريحانها تمز وقصير مشيد ونهر مطرد وغرة نضيجة وزوجه حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في ابدى دار سلامة وفاكهة خضرة

وخيرة ونعمة ومجدة عالية بهيمة قالوا نعم يا رسول الله نحن المشعرون لها قال صلى الله عليه وسلم قولوا ان شاء الله فقال القوم ان شاء الله وكذا رواه ابن ماجه في كتاب الزهد من سننه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به وقوله تعالى سلام قول من رب رحيم قال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى سلام قول من رب رحيم فان الله تعالى نفسه سلام على اهل الجنة وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما كقوله تعالى تحييتهم يوم يلقونه سلام وقدروى ابن ابي حاتم ههنا حديثا وفي اسناده نظر فاته قال حدثنا موسى بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن ابى الشوارب حدثنا (٢٢٩) أبو عاصم العبادانى حدثنا الفضل الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع عليهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله تعالى سلام قول من رب رحيم قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم ورواه ابن ماجه في كتاب السنة من سننه عن محمد بن عبد الملك بن ابى الشوارب به وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الاعلى اخبرنا ابن وهب حدثنا حمرله عن سليمان بن حميد قال سمعت محمد بن كعب القرظى يحدث عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال اذا فرغ الله تعالى من اهل الجنة والنار اقبل في ظلال من الغمام والملائكة قال فيسلم على اهل الجنة فيردون عليه السلام قال القرظى وهذا في كتاب الله تعالى سلام قول من رب رحيم فيقول الله عز وجل سلوني فيقولون ماذا نسالك اى رب قال بلى سلوني

معدودات بسبع ويكون قضى بمعنى صنع وقيل على التمييز (في يومين) الخميس والجمعة وفرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم قال المخلى ولذلك لم يقل هنا سواه ووافق ما هنا آيات خلق السموات والارض في ستة ايام والمعنى انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلنك ونشمس لكان المقدار مقدرا بيومين والمشهور ان الايام الستة بقدر ايام الدنيا وقيل بقدر ستة آلاف سنة حكاه القرطبي قال مجاهد ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون (واوحى في كل سماء امرها) قال قتادة والسدى اى خلق فيها شمسها وقرها ونجومها وافلاكها وما فيها من الملائكة والبجاء والبرد والتلج وقيل المعنى اوحى فيها ما اراده وما امر به والايحاء قد يكون بمعنى الامر كما في قوله بان ربك اوحى لها وقوله واذا وحيت الى الخواريين اى امرتهم وهو امر تكوين قال ابن عباس ولله على كل سماء بيت منج اليه ونظوفه بالملائكة بجذاه الكعبة والذى في السماء الدنيا هو البيت المعمور وزينا السماء الدنيا) اى التى تلى الارض (بمصايح) اى بكواكب مضيئة متلائة عليها كتلاؤالمصايح وفيه التفات الى نون العظمة لابرار مزيد العناية بالتزيين المذكور (وحفظا) اى وحفظنا ما حفظا وخلقنا المصايح زينة وحفظا والاول اولى قال ابو حيان فى الوجه الثانى هو تكلف وعدول عن السهل البين والمراد بالحفظ حفظها من الشياطين الذين يسترقون السمع (ذلك) اى ما وقع وتقدم ذكره (تقدير العزيز العليم) اى البليغ القدرة الكثير العلم (فان اعرضوا) عن التدبر والتفكير فى هذه الخلقات وعن الايمان بعده هذا البيان وفيه التفات من خطابهم بقوله ائتكم الى الغيبة لتعلمهم الاعراض فاعرض عن خطابهم وهو تناسب حسن (فقل اذرتكم) اى خوفكم وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الانذار النبى عن تحقق المنذر به (صاعقة مثل صاعقه عاد وعود) اى عذابا مثل عذابهم والمراد بالصاعقة العذاب المهلك من كل شئ قال المبرد الصاعقة المرأة المهلكة لاي شئ كان والصاعقة فى الاصل هى الصيحة التى يحصل بها الهلاك او قطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد والمراد بها مناطق العذاب لكن بالنظر الى الصاعقة الاولى واما الثانية فالمراد بها حقيقة ما قرأ الجمهور صاعقة بالالف فى الموضعين وقرئ صعقة فيها ما وقد تقدم بيان معنى الصاعقة والصعقة فى البقرة (اذ جاتهم) اى الى عاد وعود وانما خص هاتين القبيلتين لان قريشا كانوا يبرون على بلادهم (الرسول)

قالوا نسالك اى رب رضاك قال رضائى احدكم دار كرامتى قالوا ياربنا الذى نسالك فوعزت لك وارتفاع مكانك لو قسمت علينا رزق الثقلين لا طعمناهم ولا سقيناهم ولا لبسناهم ولا خدمناهم لا يتقصنا ذلك شأ قال تعالى ان لدى من يريدا قال فيفعل ذلك بهم فى درجهم حتى يستوى فى مجلسه قال ثم تأت بهم التحف من الله عز وجل تحمله اليهم الملائكة ثم ذكر نحوه وهذا خبر غريب أورده ابن جرير من طرق والله اعلم (وامتازوا اليوم اياها المجرمون ألم عهد اليكم يا آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم واقد اضل منكم جبلا كثيرا فلم تكونوا تعقلون) يقول تعالى مخبرا عما يقول

التي حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا بمعنى تميزون عن المؤمنين في موقفهم كقوله تعالى ويوم نحشهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم قزينا بينهم وقال عز وجل ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يومئذ يصدعون أي يصيرون صاعين فرقتين أحشر والذين ظلموا وأزواجههم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقوله تعالى ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان أنه لكم عدو مبين هذا تقر بع من الله تعالى للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين وعصوا الرحمن وهو الذي (٢٣٠) خلقهم ورزقهم ولهذا قال تعالى وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم أي قد

أمرتكم في دار الدنيا بعضيان الشيطان وأمرتكم بعبادتي وهذا هو الصراط المستقيم فسلكتهم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به ولهذا قال عز وجل واقتدوا بصل منكم جبلا كثيرا يقال جبلا بكسر الجيم وتشديدا للام ويقال جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام ومنهم من يسكن الباء والمراد بذلك الخلق الكثير قاله مجاهد وقتادة والسدي وسفيان بن عيينة وقوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون أي أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له وعدولكم إلى اتباع الشيطان قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحارثي عن اسمعيل بن رافع عن حدثه عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جهنم فيخرج منها عتق ساطع مظلم يقول ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان أنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد

أي هود وصالح ومن قبلهما وكان هود وصالح بين نوح وإبراهيم وإيسر بينهم ما غيرهما من الرسل وإن الذين تقدموا عليهم ما من الرسل أربعة نوح وإدريس وشيث وأدم (من بين أيديهم ومن خلفهم) أي أتوهم من كل جانب وعملا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا الأعراض وعن الحسن أنذر وهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة والظرف متعلق بانذرتكم أو بالصاعقة لأنها بمعنى العذاب أو حال من صاعقة عاد وهذا أولى من الوجهين الأولين لأن الأنداليم يقع وقت مجيء الرسل فلا يصح أن يكون ظرفه وكذلك الصاعقة لا يصح أن يكون الوقت ظرفا لها ومن في الموضوعين متعلقة بجاءتهم أي من جميع جوانبهم أو من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى على الكفار أو من جهة المستقبل بالتحذير عما سيقبضهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تزييل مجيء كلامهم ودعوتهم إلى الحق منزلة مجيء أنفسهم فكان الرسل قد جاؤهم وخطبوا بهم بقولهم (الاعتبدوا بالله) أي بان لا تعبدوا على أنهم صدريه أو تفسيرية أو محففة من الثقيلة واسمها خبر شأن مذوف ثم ذكر سبحانه ما أجابوا به الرسل فقال (قالوا) أي عادوهم ونحو خطابين لهود وصالح (لوشاعر بنا لا نزل) أي لا نزل علينا (بلا مسكة) ولم يرسل إلينا بشرا من جنسنا ثم صرحوا بالكفر ولم يتلعموا فقالوا (فأجابا بأسر سلمته به كافر) أي كافرون بما تزرعونه من أن الله أرسلكم إلينا لأنكم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فكيف اختصكم برسالتنا دوننا وقد تقدم دفع هذه الشبهة بالدحض التي جاؤاها في غير موضع وفيه تغليب المخاطب على الغائب فغلبوا هود وصالحا على من قبلهما من الرسل فكأنهم قالوا فإنا كافرون بكما ومن دعوتونا إلى الإيمان به من قبلكما من الرسل ولما ذكر عاد وثمود اجالا ذكرا ما يخص بكل طائفتين الطائفتين تنصيلا فقال (فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق) أي بغير استحقاق ذلك الذي وقع منهم من التكبر والتعجب ثم ذكر سبحانه بعض مآثر عنهم من الأقوال الدالة على الاستكبار فقال (وقالوا من أشد منا قوة) وكانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وقوة شديدة فأعتروا بأجسامهم حين تهددهم هود وبالعباد ومراهم هذا القول اسم قادرين على دفع ما نزل بهم من العذاب وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل بيده ويجعلها حيت يشاء فرد الله عليهم بقوله (أو لم يروا أن الله الذي

أفضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون وامتازوا اليوم أي بالجرمون خلقهم فيتميز الناس ويجشون وهي التي يقول الله عز وجل وترى كل أمة جاثية على أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم عما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا بأيديهم وتشهد بأرجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فإني يبصرون ولو نشاء لمسه فخنناهم على مكانتهم فاستطاعوا مضيا ولا يرجعون) يقال للكفرة من بني آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقرعوا وتوبخنا هذه جهنم التي كنتم توعدون أي هذه التي

حذر تكلم الرسل فكذبوه هم اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون كما قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسح هذا أم انتم لا تبصرون وقوله تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا بأيديهم وتشهد بأرجلهم بما كانوا يكسبون هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجتموه في الدنيا ويحلفون ما فعلوه فيختم الله على أفواههم ويستنطق جوارحهم بما عملت قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو شيبة ابراهيم بن عبد الله بن أبي شيبة حدثنا من باب بن الحرث التميمي حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا سفيان عن عبيد المكتب عن الفضل بن عمرو عن الشعبي (٢٣١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال

كأعذ النبي صلى الله عليه وسلم أن يحك حتى بدت نواجذته ثم قال صلى الله عليه وسلم أتدرؤن مما فضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال صلى الله عليه وسلم من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجزني من الظلم فيقول بلى فيقول لأجزني على الأشاهد امدان نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتمين شهودا فيختم علي فيه ويقال لاركانه انطى قنطق بعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لك وبحقا فعسكن كنت أناضل وقد رواه مسلم والنسائي كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن سفيان هو الثوري به ثم قال النسائي لأعلم أحد اروي هذا الحديث عن سفيان غير الأشجعي وهو حديث غريب والله تعالى أعلم كذا قال وقد تقدم من رواية أبي عامر عن عبد الملك بن عمرو الاسدي وهو العقدي عن سفيان وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن

خلقهم هو أشد منهم قوة الاستنهاهم للاستتار عليهم والتوبيخ أي أولم يعلموا بان الله أشد منهم قدرة وأوسع منهم قوة فهو قادر على ان ينزل بهم من أنواع عقابه ما شاء يقول ~~كن فيكون~~ وقال خلقهم ولم يقل خلق السموات والارض لان هذا أبلغ في تكذيبهم في ادعاء انفرادهم بالقوة فانهم حيث كانوا مخلوقين فبالضرورة ان حالتهم أشد قوة منهم (وكأنوا بآياتنا) أي بعجزات الرسل التي خصهم الله بها وجعلها ادليلا على نبوتهم أو بآياتنا التي أنزلناها على رسلنا أو بآياتنا التكوينية التي نصبناها لهم وجعلناها حجة عليهم أو بجميع ذلك (يتجدون) ثم ذكر الله سبحانه ما أنزل عليهم من عذابه فقال (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) الصرصرا ریح الشديدة الصوت من الصرته وهي الصيحة قال أبو عبيدة معنى صرصر شديدة عاصفة وقال الفراء هي الباردة تحرق كما تحرق النار وقال عكرمة وسعيد بن جبير وقتادة هي الباردة وقال مجاهد هي الشديدة السموم والاولى تفسيرها بالبرد لان الصر في كلام العرب البرد قال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو البرد ومن صرصر الباب زمن الصرته وهي الصيحة ومنه وأقبل امرأته في صرة ثم بين سبحانه وقت نزول ذلك العذاب عليهم فقال (في أيام نحسات) أي نكدات مشؤمات ذوات نحوس عليهم قال مجاهد وقتادة كن آخر شوال من يوم الاربعاء الى يوم الاربعاء وذلك سبع ليال وعمانية أيام حسوماقيل وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وقيل نحسات باردات حكاية الثعلبي وقيل متتابعات وقيل شداد وقيل ذوات غبار وتراب نائر لا يكاد يصرفه قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ونحسات باسكان الحاء على انه جمع نحس وقرأ الباقون بكسرها واختار أبو حاتم الاولي لقوله في يوم نحس مستورا واختار أبو عبيد الثانية (لنديقهم) أي لكي نديقهم (عذاب الخزي في الحياة الدنيا) والخزي هو النذل والهوان بسبب ذلك الاستيثار وهو في الاصل صفة العذب وانما وصف به العذاب على الاستناد الحجازي للمبالغة فهو من اضافة الموصوف الى صفة أي العذاب الخزي ولهذا جاء (ولعذاب الاخرة اخزى) أي أشد اهانة وذلا فلولم يكن من اضافة الموصوف الى صفة لم يأت بلغظ أخزى الذي يقتضى المشاركة (وهم لا ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب النازل بهم ولا يدفعه عنهم دافع ثم ذكر حال الطائفة الاخرى فقال (وأما عود فهديناهم) أي بينا لهم سبيلا للحياة ودللناهم على طريق الحق بإرسال الرسل اليهم ونصب الدلالات لهم من

جز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم تدعون مفدما على أفواهكم بالفساد فأول ما يسئل عن أحدكم فخذ وكفاه رواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به وقال سفيان بن عيينة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث القيامة الطويل قال فيه ثم يأتي الثالث فيقول ما أنت فيقول أنا عبدك آمنك بك وبنيك وبكبابك وصحت ووصلت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع قال فيقال له الانبعث عليك شاهدا قال فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه فيختم على فيه ويقال لتعذبه انطى قال فتسطق فخذ وجهه وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك اليعذر من نفسه

وذلك الذي يستخط الله تعالى عليه وزواه مسلم وأبو داود من حديث سفیان بن عیینة به بطوله ثم قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدسنا
 حدثنا هشام بن عمار حدثنا اسمعيل بن عياش حدثنا ضميم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبه بن عامر رضى الله عنه أنه سمع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول عظم من الانسان يتكلم يوم يحتم على الأفواه نخذه من الرجل اليسرى ورواه ابن جرير عن
 محمد بن عوف عن عبد الله بن المبارك عن اسمعيل بن عياش به مثله وقد جرد اسناده الامام أحمد رحمه الله فقال حدثنا الحكم بن
 نافع حدثنا اسمعيل بن عياش عن ضميم (٢٣٢) بن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عن حدثه عن عقبه بن عامر رضى

الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول عظم من الانسان يتكلم يوم يحتم على الأفواه نخذه من الرجل الشمال وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا يونس بن عبيد عن جدي بن هلال قال قال أبو بردة قال أبو موسى هو الاشعري رضى الله عنه يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أى رب عملت عملت قال فيغفر الله تعالى له ذنوبه ويستتر منها قال فما على الارض خليفة يرى من تلك الذنوب شيأ وتبدو حسنة فود أن الناس كلهم يرونها ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجعد ويقول أى رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك ما لم أعلم فيقول له الملك أما علمت كذافي يوم كذافي مكان كذا فيقول لا وعزتك أى رب ما علمته فاذا فعل ذلك حتم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الاشعري رضى الله عنه فاني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى ثم تلا اليوم نخستم على افواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وقوله تبارك وتعالى ولونشاء

مخلوقات الله وانزال الآيات التشرية فانهما توجب على كل عاقل أن يؤمن بالله وصدق رساله قال القراء معنى الآية دللناهم على مذهب الخير بارسال الرسل قال الشيخ أبو منصور يحتل ما ذكر من الهداية التبيين وخلق الاهتداء فيهم فصاروا مهتدين ثم كفروا بعد ذلك وعقروا الناقة لان الهدى المضاف الى الخالق يكون بمعنى البيان والتوفيق وخلق فعل الاهتداء فأما الهدى المضاف الى الخلق فيكون بمعنى البيان لا غير وقال صاحب الكشاف فيه فان قلت أليس معنى قولك هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة قلت للدلالة على أنه مكتمهم فإزاح عنهم ولم يبق لهم عذر فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها اه وانما فعل بهذا لانه لا يتكلم من أن يفسره بخلق الاهتداء لانه يخالف مذهبه الفاسد قرأ الجمهور نود بالرفع ومنع الصرف وقرئ بالرفع والصرف وقرئ بالنصب والمنع فاما الرفع فعلى الابتداء وهو النصح وأما النصب فعلى الاشتغال وأما الصرف فعلى تفسير الاسم بالاب أو الحى وأما المنع فعلى تأويله بالقبيلة (فاستحبوا العمى على الهدى) أى اختاروا الكفر على الايمان قال أبو العالية اختاروا العمى على البيان وقال السدى اختاروا المعصية على الطاعة (فاخذتهم صاعقة العذاب الهون) قد تقدم أن الصاعقة اسم للشيء المهلك لاى شئ كان والهون الهوان والاهانة فكأنه قال أصابهم مهلك العذاب ذى الهوان أو الاهانة ويقال عذاب هون أى مهين كقوله ما لبثوا فى العذاب المهين (بما كانوا يكسبون) الباء للسببية أى بسبب الذى كانوا يكسبونه أو بسبب كسبهم وهو شركهم وتكذيبهم صالحا (ونحننا الذين آمنوا وكنا ننتهون) وهم صالح ومن معه من المؤمنين فان الله سبحانه من ذلك العذاب وكنا أربعة آلاف ثم لما ذكر سبحانه ما عقبهم به فى الدنيا ذكر ما عقبهم به فى الآخرة فقال (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) وصفهم بكونهم أعداء الله مبالغة فى ذمهم وقيل المراد بهم الكفار مطلقا الاولين والآخرين أى اذ كل فريق من المعاندين لك حال الكفار يوم القيامة لعلمهم بارتدعوا وينتجروا ومعنى حشرهم الى النار سوقهم اليها أو الى موقف الحساب لانه يتبين عنده فريق الجنة وفريق النار قرأ الجمهور يحشر بالتخية مضمومة ورفع أعداء على التياية

وقرأ افواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وقوله تبارك وتعالى ولونشاء
 لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فاني يصرون قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيرها يقول ولو نشاء لاضلناهم عن الهدى فكيف يتم دون وقال مرة أعينناهم وقال الحسن البصرى لو شاء الله لطمس على أعينهم فجعلهم عميا يرددون وقال السدى يقول ولونشاء أعيننا بأبصارهم وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والسدى فاستبقوا الصراط يعنى الطريق وقال ابن زيد يعنى بالصراط ههنا الحق فاني يصرون وقد طمسنا على أعينهم وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهم ما فاني يصرون لا يصرون الحق وقوله عز وجل ولونشاء لم نخنناهم على مكانتهم قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهم

اهلكناهم وقال السدي يعني لغيرنا خلقهم وقال ابو صالح الجعفي جارة وقال الحسن البصري وقتاده لا تقدمهم على ارجلهم ولهذا قال تبارك وتعالى فما استطاعوا مضياً الى امام ولا يرجعون الى وراة بل يلزمون حالوا واحدا لا يتقدمون ولا يتأخرون (ومن زعمه تنكسه في الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الاذ كرو قرآن مبين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) يخبر تعالى عن ابن آدم انه كلما طال عمره رد الى الضعف بعد القوة والمجز بعد النشاط كما قال تبارك وتعالى الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً (٢٣٣) وشبهة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

وقال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر ا كيدا يعلم من بعد علم شيئاً والمراد من هذا والله أعلم الاخبار عن هذه الدار بانها اذا زوال وانتقال لادار دوام واستقرار ولهذا قال عز وجل أفلا يعقلون أي يتفكرون بقوله في ابتداء خلقهم ثم صبروهم الى الس الشبية ثم الى الشيخوخة ليعلموا انهم خلقوا لدار أخرى لازوال لها ولا انتقال منها ولا يحسد عنها وهي الدار الآخرة وقوله تبارك وتعالى وما جعلناهم شعراً وما ينبغي له يقول عز وجل نخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه ما علمه الشعر وما ينبغي له أي ما هو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا يتنضمه جبلته ولهذا ورد انه صلى الله عليه وسلم كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم بل ان أشده زحفه أولم يقه وقال أبو زرعة الرازي حدثنا اسمعيل بن مجاهد عن أبيه عن الشعبي انه قال ما ولد عبد المطلب ذكراً ولا أنثى الا يقول الشعر الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره ابن عساکر في ترجمة عتبة بن أبي اهب الذي أكله الاسد

وقرأ نافع بالنون ونصب أعداء (فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم ابتلا حقوا ويجمعوا كذا قال قتادة والسدي وغيرهما وبه قال ابن عباس أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم ثم توألهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار وأصله من وزعته أي كنفته وقد سبق تحقيق معناها في سورة النمل مستوفى وعن ابن عباس قال يدعون وقيل يساقون (حتى اذا ما جاؤوها) أي النار التي حشروا اليها وصاروا يحضرتها أو موقف الحساب وما مزيدة لا تؤكد (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) في الدنيا من المعاصي وفي كيفية هذه الشهادة ثلاثة أقوال أولها ان الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه ثانياً انه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني ثالثها ان يظهر في تلك الاعضاء أحوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال العالم يشهد بتغيرات أحواله على حدوثه وقال الكرخي ينطقها الله تعالى كأنطاق اللسان فتشهد وليس نطقها بأعرب من نطق اللسان عقلاً وايضاً ان البنية ليست شرطاً للحياة والعلم والقدرة فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من اجزاء هذه الاعضاء قال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت أسلهم من علمهم بالشرك والمراد بالجلود هي جلودهم المعروفة في قول أكثر المفسرين وقيل المراد بها الجوارح مطلقاً فالعطف من قبيل عطف العام على الخاص وقال السدي وعبيد الله بن أبي جعفر والفراء أراد بالجلود الفروج وهو من باب الكنايات كما قال تعالى لا تواعدوهن سرأ أراد النكاح وقال تعالى أوجاه أحد منكم من العائط والمراد قضاء الحاجة وفي الحديث أول ما يتكلم من الآدمي فخذوه وكفه وعلى هذا التقدير تكون الآية وعبيد الله بن أبي جعفر والفراء مقدمة الزنا انما تحصل بالتخذ والاول أولى ووجه تخصيص الثلاثة بالشهادة دون غيرها مع ان الحواس خمسة وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس وآلة اللمس هي الجلد ما ذكره الرازي ان الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لان ادراك الذوق انما يتأتى بان تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يتأتى حتى تصير جلدة الانف مماسة لجرم المشموم فكانا ناداخين في حس اللمس انتهى واذا عرفت من كلامه هذا وجه تخصيص الثلاثة بالذ كعرفت منه وجه تخصيص الجلود بالسؤال كما قال (وقالوا

(٢٠ فتح البيان ثامن) بالزرقاء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جابر بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن هو البصري قال اذا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء ناعماً فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كنى الشيب والاسلام للمرء ناعماً قال أبو بكر وأمر رضي الله عنهما أن شهد أنك رسول الله يقول تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له وهكذا روى البيهقي في الدلائل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن مرداس السلمى رضي الله عنه أنت القائل يا جعل نهي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقال انما هو بين عيينة والاقرع فقال صلى الله عليه وسلم الكيل سواء

يعنى في المعنى صلوات الله وسلامه عليه والله أعلم وقد ذكر السهيلي في الروض الانفعال هذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه صلى الله عليه وسلم في هذا البيت مناسبة أغرب فيها حاصلها شرف الاقرع بن حابس على عيينة بن بدر القرظي لانه ارتد أيام الصديق رضی الله عنه بخلاف ذلك والله أعلم وهكذا روى الاموى في مغازيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يشي بين القتلى يوم بدر وهو يقول تناقوا هاما فتقول الصديق رضی الله عنه متمم البيت من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعز وأظلم (٢٣٤) وهذا البعض شعراء العرب في قصيدته وهو في الحماسة وقال

الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن الشعبي عن عائشة رضی الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استراب الخبر قتل فيه بيت طرفه

ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة

من طريق ابراهيم بن مهاجر عن

الشعبي عنها ورواه الترمذي

والنسائي أيضا من حديث المقدم

ابن شريح بن هني عن أبيه عن

عائشة رضی الله عنها كذلك ثم

قال الترمذي هذا حديث حسن

صحيح وقال الخافض أبو بكر البزار

حدثنا يوسف بن موسى حدثنا

اسامة عن زائدة عن سمك عن

عكرمة عن ابن عباس رضی الله

عنه ما قال كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يمثّل من الأشعار

ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ثم قال ورواه عن زائدة عن سمك

عن عطية عن عائشة رضی الله

عنها وهذا في شعر طرفه بن العبد

فمهلقته المشهورة وهذا المذكور

عجزت منه أوله

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

* ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة

رضی الله عنها كان أبغض الحديث اليه غيره

صلى الله عليه وسلم كان يمثّل بيت أخي بن قيس فيجعل أوله وآخره وأوله فقال

ابو بكر رضی الله عنه ليس هذا هكذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لى رواه ابن

(١) القدماء ما يوضع في فم الابريق ليصني به ما فيه والندام بالفتح والتشديد مثله يقال قدمت على فيه بالندام فدم اذا غطيت اه صحاح

الجلودهم) لانها قد اشتمت على ثلاث حواس فكان تأتي المعصية من جهتها اكثر وما على قول من قال بالفروج فوجه تخديصها بالسؤال ظاهر لان ما يشهد به الفرج من لزنا اعظم قبحا واجلب الخزي والعقوبة قيل والمراد بالجلود هنا المعنى الاعم فليس في سوء الهم ترك سؤال السمع والبصر بل هما داخلان في الجلود بالمعنى الذى علمته (لم تشهدتم علمينا) سؤال يؤيخ وتجب من هذا الامر الغريب لكونه اليست مما ينطق وليكونها كانت في الدنيا مساعدا لهم على المعاصي فكيف تشهد الان عليهم فلذلك استعزبوا شهادتها وخطبوا بصيغة خطاب العقلاء لصدور ما يصدر من العقلاء عنها وهو الشهادة (قالوا) مجيبين لهم معتذرين (أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) مما ينطق من مخلوقاته فشهدنا عليكم بما علمتم من القبائح وقيل المعنى ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله والاولى والمعنى ان نطقنا ليس بيجب من قدرة الله الذى قدر على انطق كل حيوان (وهو حلسكم أول مرة والمه ترجعون) قيل هذا من تمام كلام الجلود وقيل انه من كلام الملائكة وقيل مستأنف من كلام الله والمعنى ان من قدر على خلقكم وانشأكم ابتداء قدر على اعادتكم ورجعكم اليه وجعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاوره بعد البعث والرجوع لما ان المراد بالرجوع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمله ويسم ما يترتب عليه من العذاب المترقب عند المخاطبة فغلب المتوقع على الواقع (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) هذا تقريع لهم وتوبيخ من جهة الله سبحانه وأمن كلام الجلود أى ما كنتم تستخفون عند الاعمال القبيحة وارتمكاب النواحيش بالحيطان والحب حذر من شهادة الجوارح عليكم بل كنتم جا حدين بالبعث والجزاء أصلا وهو قول أكثر العلماء ولما كان الانسان لا يقدر على ان يستغنى من حوارجه عند مباشرة المعصية كان معنى الاستخفاء هنا ترك المعصية وقيل معنى الاستتار الاتقاء أى ما كنتم تتقون في الدنيا ان تشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة ومعنى ان تشهدوا لجل ان تشهدوا ومخافة أن تشهدوا وقيل ان الاستتار من معنى الظن أى وما كنتم تظنون ان تشهدوا وهو بعيد وأخرج عبد الرزاق وأحمد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في البعث عن معاوية ابن حيدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحشرون ههنا وماؤمأ يده الى الشام مشاة وربكأنا وعلى وجوهكم وتعرضون على الله وعلى أفواهكم القدماء (١) وأول ما يعرب

عن

* بتانا ولم تضرب له وقت موعده

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قيل لعائشة رضی الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمثّل بشي من الشعر قالت رضی الله عنها كان أبغض الحديث اليه غيره صلى الله عليه وسلم كان يمثّل بيت أخي بن قيس فيجعل أوله وآخره وأوله فقال ابو بكر رضی الله عنه ليس هذا هكذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لى رواه ابن

(١) القدماء ما يوضع في فم الابريق ليصني به ما فيه والندام بالفتح والتشديد مثله يقال قدمت على فيه بالندام فدم اذا غطيت اه صحاح

أبي حاتم وابن جرير وهذا النظم وقال عمر بن قنادة بلغني أن عائشة رضي الله عنها سألت هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بشئ من الشعر فقالت رضي الله عنها لا أبيت طرفه

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل صلى الله عليه وسلم يقول من لم تزود بالأخبار فقال أبو بكر ليس هذا هكذا فقال صلى الله عليه وسلم اني لست بشاعر ولا ينبغي لي
وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو (٢٣٥) حفص عمر بن أحمد بن نعيم وكيل المتقي ببغداد

حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال
التحوي الضري حدثنا علي بن عمرو
الانصاري حدثنا سفيان بن عيينة
عن الزهري عن عروة عن عائشة
رضي الله عنها قالت ما جمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيت شعرة قط
الا بتوا واحدا

تفأل بعائته ويكن فلعلها

يقال لشيء كان الاتحقيقا
سأت شيخنا الحافظ ابا الحاج
المزي عن هذا الحديث فقال هو
منكر ولم يعرف شيخ الحاكم ولا
الضري و ثبت في الصحيح انه صلى
الله عليه وسلم تمثل يوم حفر
الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة
رضي الله عنه لكن تبعنا لقول
أصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا
يرتجزون وهم يحفرون فيقولون
لاهم لولا أنت ما هتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكتة علينا
وثبت الأقدام ان لا قيما
ان الألى قد بغوا علينا
إذا أرادوا فتنة أيينا
ويرفع صلى الله عليه وسلم صوته
بقوله أيينا ويدها وقدرى هذا

عن أحدكم فخذوه وكنه وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كنتم تستترون الخ
وأخرج الصاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فخاف
ثلاثة نفر قرشي وثقفيان أو ثقفوي وقرشيمان كثير لحم بطونهم قليل فقه فلم يهيم فتكلموا
بكلام لم أسمعهم فقال أحدهم أترون ان الله يجمع كلامنا هذا فقال الآخر ان لنا انا اذا
رفعنا أصواتنا سمعنا وانا اذا لم نرفعها لم يسمعنا فقال الآخر ان سمع منه شيئا سمعنا كله قال
فذكرت ذلك للابن أبي حاتم رضي الله عليه وآله وسلم فانزل الله وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم
سمعكم الى قوله من الخاسرين (ولكن ظننتم) عند استناركم من الناس مع عدم استناركم
من أعضائكم ان الله لا يعلم كثيرا منكم (تعملون) من المعاصي فاجترأتم على فعلها قبل
كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكن يعلم ما نظهر دون ما نسر قال قنادة
الظن هنا بمعنى العلم وقيل اريد بالظن معنى مجازي يعنى معناه الختبي وما هو فوقه من العلم
(وداركم) أى ما ذكر من ظننكم مبتدأ (ظننكم) بدل منه (الذي ظننتم بركم) نعت
والظن (أرداكم) أى أهلككم وطرحكم فى النار وقيل ظننكم الخبر والموصول بدل أو
بيان وأرداكم حال وقد مقدره أو غير مقدره أى ذلكم ظننكم مردا اياكم (فأصبحتم من
الخاسرين) أى الكاملين فى الخسران قال المحققون انظن قسيمان أحدهما حسن والاخر
قبيح فالحسن ان يظن بالله عز وجل الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وآله وسلم
حكاية عن الله عز وجل أنا عند ظن عبدى بى وأخرج أحمد وأبو داود والطحاوى وعبد
ابن حميد ومسلم وأبو داود وابن ماجه وابن حبان وابن مردويه عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لا يؤمن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فان قوما قد أرداهم
سوء ظنهم بالله فقال الله وذلكم ظننكم الآية والظن القبيح ان يظن أنه تعالى يعزب عن
علمه بعض هذه الافعال وقال قنادة انظن نوعان مردوم مخ الفاتحي قوله اني ظننت أى ملاق
حسابيه وقوله الذين يظنون أنهم ملا قور بهم والمردى هو قوله وذلكم ظننكم الذى
ظننتم بركم اردا ثم أخبر عن حالهم فقال (فان يصبروا) على النار (فالتار شوى لهم) أى
محل استقرارهم واقامتهم لا خلاص ولا خروج لهم منها صبروا وأول يصبروا على كل حال
وقيل المعنى فان يصبروا فى الدنيا على اعمال أهل النار فالتار شوى لهم (وان يستعجبوا
فما هم من المعتبين) يقال أعتبني فلان أى ارضاني بهداسخاطه اياى واستعجبته طلبت

بزحاف فى الصحيحين أيضا وكذلك ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدمها فى نحر العدو

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

لكن قالوا هذا وقع اتنا فامن غير قصه دلوزن شعربل جرى على اللسان من غير قصه له وكذلك ما ثبت فى الصحيحين عن جندب
ابن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى (١) غار فكبت اصبعه فقال صلى الله عليه وسلم
هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت (١) قوله فى غار كذا فى النسخ وحرر لفظ الحديث اه

وسأقي عند قوله تعالى الا اللهم انشاد

ان تعفر اللهم تعفرهما * وأنى عبدك ما ألتما

وكل هذا لا ينافي كون صلى الله عليه وسلم معلم شهرا ولا ينبغي له فان الله تعالى انما عمله القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ولا كهانة ولا مفتعل ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال وقد كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأتي صناعة الشعر طبعا وشعرنا كما رواه أبو داود قال حدثنا عبد الله بن عمرو حدثنا عبد الله بن يزيد (٢٣٦) حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا شرحبيل بن يزيد المعافري عن عبد

الرحمن بن رافع الفتوحى قال سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أبالي ما أوتيت ان أنا شربت ترياقا او تعلقت تيمة أو قلت الشعر من قبل نفسى تفرد به أبو داود وقال الامام احمد رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الاسود بن شيبان عن ابي نوفل قال سألت عائشة رضى الله عنها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأغ عنده الشعر فقالت قد كان أبغض الحديث اليه وقال عن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك وقال ابو داود حدثنا ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن يمتلى جوف أحدكم فيخاخر له من ان يمتلى شعرا انفرد به من هذا الوجه واسناده على شرط الشيخين ولم يخبره وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا قزعة بن سويد

منه ان يرضى والمعنى انهم ان يسألوا ان يرجعهم الى ما يحبون لم يرجع لانهم لا يستمعون ذلك قال الخليل تقول استعقبته فاعتبني اى استرضيته فارضاني ومعنى الآية ان يطمئنا الرضالم يقع الرضا عنهم بل لا بد لهم من النار قرأ الجهور يستعقبوا بفتح التميمية وكسر التاء التوقية الثانية ميمنا للفاعل ومن المعتبين بفتح الفوقية اسم منقول وقرئ يستعقبوا ميمنا للمفعول وقرئ من المعتبين اسم فاعل اى انهم ان قال لهم الله وردتهم الى الدينام يعملوا بطاعته كما في قوله سبحانه ولوردوا العاد والمنهواعنه (وقيضنا) أصل التقييض التيسير والتهيئة أى هيأنا لهم اى لكفار قريش وغيرهم (قرناء) من الشياطين منزلة الاخلاء لهم جمع قريين بمعنى نظير كقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قريين وقال الزجاج مينا لهم قرناء حتى أضلوهم وقيل سلطنا عليهم قرناء وقيل قدرنا والمعانى متقاربة أى يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القبيض على البيض والقبيض قشر البيض الاعلى وقيل ان الله قبيض لهم قرناء في النار والاولى ان ذلك في الدنيا لقوله (فزيئوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) فان المعنى زيئوا لهم ما بين أيديهم من أمور الدنيا وشهواتها وحواسنها على الوقوع في معاصي الله بانهم ما كهم فيها وزينوا لهم ما خلفهم من أمور الآخرة فقالوا لا بعث ولا حساب ولا الجنة ولا نار وقال الزجاج ما بين أيديهم ما عملوه وما خلفهم ما عزموا على أن يعملوه وروى عنه أيضا انه قال ما بين أيديهم من أمر الآخرة وما خلفهم من أمر الدنيا بان الدينان الدين القديمة ولا صنائع الاطبايع والافلاك (وحق عليهم القول) اى وجب وثبت عليهم العذاب وتحقق مقتضاه وهو قوله سبحانه لا ملأن جهنم منذ ومن تبعك منهم اجمعين (في امم) اى كائنين في جملة امم وقيل في بمعنى مع اى مع امم من الامم الكافرة ولا حاجة الى بدل حرف من حرف مع امكان بقاءه على بابه والمعنى الامم التى (قد دخلت) ومضت (من قبلهم من الجن والانس) على الكفر (انهم كانوا خاسرين) لتعليل لاستحقاقهم العذاب قاله الكرخي (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) أى قال بعضهم لبعض لا تسمعوه لاتصتوا له وقيل المعنى لاتطيعوا يقال سمعت لك اى اطعتك (والغوا فيه) اى عارضوه بالغوا بالباطل أو ارفعوا اصواتكم ليتشوش القارئ له وقال مجاهد الغوا فيه بالذكاء والتصديقه والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغوا وقال الضحاك اكثر الكلام ليضتط عليه ما يقول وقال ابو العالية تعوا فيه وعيروه

الباهلي عن عاصم بن مخلد عن ابي الاشعث الضنعاني ح وحدثنا الاشيب فقال عن ابي عاصم عن ابي قرأ الاشعث عن شداد بن اوس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة لم تقبل له صلاة تلك الليلة وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخبره أحد من أصحاب الكتب السنة والمراد بذلك نظمه لا انشاده والله أعلم على ان الشعر فيه ماهو مشروع وهو هجاء المشركين الذى كان يتعاطاه شعراء الاسلام كحسان بن ثابت رضى الله عنه وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وامثالهم واضرابهم رضى الله عنهم اجمعين ومنه ما فيه حكم وواعظ واداب كما يوجد

في شعر جماعة من الجاهلية ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه وقد أُنشد بعض الصحابة رضي الله عنهم النبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت يقول صلى الله عليه وسلم عقب كل بيت هيبه يعني يستطعمه فيزيده من ذلك وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب وبريدة بن الحبص وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من البيان سحر أو ان من الشعر حكاية وهذا قول وما علمناه الشعر يعني محمد صلى الله عليه وسلم ما علمه الله الشعر وما ينبغي له أي وما يصلح له أن هو إلا ذكر وقرآن مبين أي ما هذا الذي (٢٣٧) علمناه إلا ذكر وقرآن مبين أي بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره ولهذا قال

قرأ الجهور الغوا بفتح الغين من لغا إذا تكلم بالله وهو ما لا فائدة فيه أو من لغى بالفتح يلغى بالفتح أيضا كما حكاه الأخص وكان قياسه الضم كغزايغزو ولكنه فتح لاجل حرف الحلق أو من لغا بكذا إذا رمى به فتسكون في معنى الباء أي إرموا به وقرئ بضم الغين من لغا بالفتح يلغو كدعا يدعو وفي الحديث فقد لغوت وهذا موافق لقراءة غير الجهور وقد تقدم الكلام في اللغوي - ورواية البقرة (لعلكم تغلبون) أي لكي تغلبوا فيسكنوا عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته فكان المشركون يطردون الناس عنه ويقولون لا تسمعوا هذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون و— ان إذا أخفى قراءته لم يسمع من يجب أن يسمع القرآن فانزل الله ولا تجهر به لئلا تتخافت بها أخرجه ابن أبي حاتم ثم توعدهم سبحانه على ذلك فقال (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) هذا وعيد لجميع الكفار ويدخل فيهم الذين السياق معهم دخولا وأوليا (ولنجزيهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي ولنجزينهم في الآخرة جزاء أفعالهم التي عملوها في الدنيا قال مقاتل وهو الشرك وقيل المعنى أنه يجازيهم بما ساءوا أعمالهم لا بما حسنها كما يقع منهم من صلة الأرحام وكرام الضيف لأن ذلك باطل لأجره مع كفرهم وفي هذا تعريض لمن لا يكون عند كلام الله المجيد خاضعا حاشعا متفكرا متدبرا وتهديدا وعيد لمن يصدر عنه عند سماعه ما يشوش على القارئ ويحط عليه القراءة فنظر إلى عظمة القرآن وتأمل في هذا التغليظ والتشديد وشهد لمن عظمه وأجل قدره وألقى إليه السمع وهو شهيد بالقوز العظيم والاجر الكبير (ذلك) أي العذاب الشديد وأسوأ الجزاء (جزاء أعداء الله النار) بدل أو عطف بيان للجزاء الخبر به عن ذلك أو خبر مبتدأ مضمرة أو مبتدأ خبره (لهم فيها دار الخلد) أي دار الإقامة المستمرة التي لا انقطاع لها ولا انتقال عنها (جزاء بما كانوا ياتينا بسجودن) أي يجزون جزاء بسبب سجودهم بآيات الله قال مقاتل يعني القرآن يسجدون أنه من عند الله ولي هذا يكون التعبير عن اللغو بالجود لكونه سبيله إقامة للسبب مقام المسبب (وقال الذين كفروا ربنا أرونا الذين أضلانا من الجن والإنس) قالوا هذاهم في النار ذكره بلفظ الماضي تنبيه على تحقق وقوعه والمراد أنهم طلبوا من الله سبحانه أن يرهم من أضلهم من فريق

جلى لمن تأمله وتدبره ولهذا قال تعالى لنذير من كان حيا أي لنذير هذا القرآن المبين كل حتى على وجه الأرض كقوله لا نذركم به ومن بلغ وقال جل وعلا ومن يكفر بعد من الأحراب فالتارم وعده وإنما يتنفع بنذارته من هو حى القلب مستتيرا بالصيرة كما قال قتادة حتى التفت حتى البصر وقال الضحاك يعني عاقلا ويحقق القول على الكافرين أي هو راحة للمؤمنين وحجة على الكافرين (أولم يروا أننا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعماء فقيم لها ما تكون وذلك ماها لهم فتماركوهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم فهم لها ما يكون قتادة مطبقون أي جعلهم يفتخرونها وهي ذليلة لهم لا تمتنع منهم بل لوجاء صغير إلى بعير لا تأخه ولو شاء لا أقامه وساقه وذلك لئلا ينقل منقاد معه وكذلك كان القطار مائة بعير أو أكثر لئلا يجمع يسير الصغير وقوله تعالى فتماركوهم ومنها يأكلون أي منها ما يركبون في الاستفراغ ويحملون عليه الأثقال إلى سائر الجهات والاقطار ومنها ما يأكلون إذا شاءوا ونحوها واجتروا ولهم فيها منافع أي من أصوافها وأوبارها وواشها وأناومها إلى حين ومشارب أي من ألبانها وأبوالها ما يتداولون ونحو ذلك أفلا يشكرون أي أفلا يوجدون خالق ذلك ومخضره ولا يشركون به غيره (واتخذوا من دون الله آلهة لهم نصر ون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم إننا نعلم ما يسرون وما يعلنون) يقول تعالى منكرا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله يتبعون بذلك إن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقرهم إلى الله زلفى قال الله تعالى لا يستطيعون نصرهم أي لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدحر بل لا تقدر على الاستنصار لأنفسها

ولا الاستقام من أرادها بسوء لانها جاد لا تسمع ولا تعقل وقوله تبارك وتعالى وهم لهم جند محضرون قال مجاهد يعني عند الحساب يريد أن هذه الاصنام محشورة بمجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدل عليهم في اقامة الجنة عليهم وقال قتادة لا يستطيعون نصرهم يعني الآلهة وهم لهم جند محضرون والمشركون بغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم شر انما هي أصنام وهكذا قال الحسن البصري وهذا القول حسن وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم أي (٢٣٨) تكذيبهم لك وكفرهم بالله اننا نعلم ما يسرون وما يعلنون أي نحن نعلم

جميع ما هم فيه وسزيمهم وصنهم ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم جليل ولا ولا حقيرا ولا صغيرا ولا كبيرا بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديما وحديثا (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبذر وضرب لنامثلا ونسئ خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحياها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون) قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقيادة جاء ابي بن خلف اعننه الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم رميم وهو يفتنه ويدروه في الهواء وهو يقول يا محمد أترع ان الله يبعث هذا قال صلى الله عليه وسلم نعم يبعثك الله تعالى ثم يبعثك ثم يبشرك الى النار ونزلت هذه الآيات من آخر يس أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة الى آخره وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن ابي بشر عن سعيد بن

الجن والانس من الرؤساء الذين كانوا ينون لهم الكفر ومن الشياطين الذين كانوا يسوتون لهم ويحذونهم على المماص لان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يسوس في صدور الناس من الجنة والناس قال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه هو ابن آدم الذي قتل أخاه وابليس أي لانهم ماسنا المعصية لبني آدم قرأ الجمهور رأونا بكسر الراء وقرئ يسكنونها وهم الغتان بمعنى واحد وقال الخليل اذا قلت أرى ثوبك بالكسر فمعناه بصريه وبالسكون أعظمه (تجعلها تحت أقدامنا) في النار أي ندوسها باقدامنا لنشتي منهما وليكونا وقاية بيننا وبينها فتخف عنا حرارتها نوع خضفة و (ليكونا من الاسفلين) فيها مكانا وليكونا من الاذنين المهانين وقيل ليكونا شدا باننا قال الزجاج ليكونا في الدرك الاسفل وعن هودوتنا ثم لما ذكره عقاب الكافرين وما اعده لهم ذكر حسن حال المؤمنين وما انعم به عليهم فقال (ان الذين قالوا ربنا الله) وحده لا شريك له (ثم استقاموا) اي داموا وثبتوا على التوحيد ولم يلقفتوا الى اله غير الله وشم للتراخي في الزمان من حيث ان الاستقامة امر يمتد زمانه افاده ابو السعود وقال الخطيب ثم تراخي الرتبة في الفضيلة فان الثبات على التوحيد وصحاحته الى الممات في علو رتبته أمر لا يرام الا بتوفيق ذي الجلال والاكرام قال جماعة من الصحابة والتابعين معنى الاستقامة اخلاص العمل لله تعالى وقال قتادة وابن زيد ثم استقاموا على طاعة الله وقال الحسن استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى ماتوا وقال الثوري عم لموا على وفاق ما قالوا وقال الربيع أعرضوا عما سوى الله وقال الفضيل بن عياض زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية عن أنس قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية قال قد قالها ناس من الناس ثم كفروا كثيرهم فن قالها حين يوت فهو ممن استقام عليها أخرجه الترمذي والنسائي والبخاري وأبو يعلى وغيرهم وقال أبو بكر الصديق الاستقامة ان لا يشركوا بالله شيا وعنه قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان قال أبو حيان قال ابن عباس نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق وعن بعض الصحابة قال ثم استقاموا على فرائض الله وعن عمر بن الخطاب قال استقاموا بطاعة الله وبرو غواروغان الثعلب وأخرج أحمد وعبد بن جيد

الداري جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العاصي بن وائل اخذ عظم من البطحاء فنتقه بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيجي الله هذا بعد ما أرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم يبعثك الله ثم يبعثك ثم يبشرك في جهنم قال ونزلت الآيات من آخر يس ورواه ابن جرير عن يعقوب بن ابراهيم عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر ابن عباس رضي الله عنهما وروى من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء عبد الله بن أبي بظم ففته وذ كرتحو فماتة قدم وهذا منكر لان السورة مكية وعبد الله بن ابي ابن سلول انما كان بالمدينة وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت

في ابي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيه ما هي عامة في كل من أنكر البعث والالف واللام في قوله تعالى أولم ير الانسان الجنس
 يتم كل منكر للبعث انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين أي أولم يستدل من أنكر البعث بالسبد على الاعادة فان الله ابتداء
 خلق الانسان من سلاله من ماء مهين خلقه من شيء حقير ضعيف مهين كما قال عز وجل ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار
 مكين الى قدر معلوم وقال تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج أي من نطفة من أخلاط متفرقة فالذي خلقه من هذه النطفة
 الضعيفة أليس بقادر على اعادته بعد موته كما قال الامام أحمد في (٢٣٩) مسنده حدثنا أبو المغيرة حدثنا جرير حدثني

عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن
 نفير عن بشر بن جحاش قال ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق
 يوماً في كفه فوضع عليها مبعه ثم
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال الله تعالى يا بني آدم انجذبني
 وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا
 سويتك وعدلت منك مشيت بين
 برديك والارض منك وتبدل جمعت
 ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت
 أتصدق وأني أو ان الصدقة ورواه
 ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة
 عن يزيد بن هرون عن جرير بن
 عثمان به ولهذا قال تعالى وضرب
 لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي
 العظام وهي رميم أي استبعد اعادة
 الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي
 خلقت السموات والارض للجساد
 والعظام الرمية ونسى نفسه وان
 الله تعالى خلقه من العدم الى
 الوجود فعلم من نفسه ما هو اعظم
 مما استبعده وانكره وبجده ولهذا
 قال عز وجل قل يحييها الذي أنشأها
 أول مرة وهو بكل خلق عليم أي
 يعلم العظام في سائر أقطار الارض
 وارجائها أين ذهبت وأين تفرقت

والدارمي والبخاري في تاريخه ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن
 سفيان بن عيينة الله التقي ان رجلا قال يا رسول الله مرني بما رمي في الاسلام لأسأل عنه
 أحد بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما أتق فأمأ الى لسانه قال الترمذي حسن
 صحيح (تنزل عليهم الملائكة) من عند الله سبحانه بالبشرى التي يريدونها من جلب نفع
 او دفع ضرر ورفع حزن قال ابن زيد ومجاهد تنزل عليهم عند الموت وقال مقاتل وقتادة
 اذا قاموا من قبورهم للبعث وقال وكيع البصري في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر
 وعند البعث قال البيضاوي اوفى حياتهم فيما يعرض لهم من الاحوال تأتهم بما يشرح
 صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن (ان لا تخافوا ولا تحزنوا) ان هي الخففة أو المنسرة
 او الناصبة ولا على الوجهين الاولين ناهية وعلى الثالث نافية والمعنى لا تخافون مما
 تقهون عليه من امور الآخرة ولا تحزنوا على ما فاتكم من امور الدنيا من اهل وولد
 ومال قال مجاهد لا تخافوا الموت ولا تحزنوا على اولادكم فان الله خلقكم عليهم وقال
 عطاء لا تخافوا رثوبكم فانه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم والظاهر
 عدم تخصيص تنزل الملائكة عليهم بوقت معين وعدم تقييد ذنوب الخوف والحزن بحالة
 مخصوصة كما يشعر به حذف المتعلق في الجميع والخوف غم يلحق النفس لتوقع مكروه في
 المستقبل والحزن غم يلحقها لقوات نفع في الماضي (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون)
 به على أسنة الرسل في الدنيا فكنتم واصلون اليها مستقرين بها خالدون في نعمها ثم
 بشرهم سبحانه بما هو اعظم من ذلك كله فقال (نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا رمي في
 الآخرة) أي نحن المتولون لحفظكم ومعونتكم في امور الدنيا وامور الآخرة ومن كان
 الله وليه فاز بكل مطلب ونجى من كل مخافة وقيل ان هذا من قول الملائكة قال
 مجاهد يقولون لهم نحن قرناؤكم الذين كأمهم في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قالوا
 لا تفارقكم حتى تدخلوا الجنة وقال السدي نحن الحفظة لاجمالكم في الدنيا وأنصاركم
 واحباؤكم وأولياؤكم في الآخرة وقيل انهم يشفعون لهم في الآخرة ويتلقونهم
 بالكرامة وقال النسفي رحمه الله كان الشياطين قرناء العصاة والكافرين فكذلك الملائكة
 أولياء المتقين واحباؤهم في الدارين (ولكنم فيها ما تشتهي أنفسكم) من صنوف

وتزوت قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي قال قال عقبه بن عمر ولخديفة رضي الله عنهما
 ألا تحذرن ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعته صلى الله عليه وسلم يقول ان رجلا حضره الموت فلما أيس من
 الحياة أوصى اهله اذا نامت فاجعوا الى حطبا كثيرا جرح لا ثم اوقدوا فيه نارا حتى اذا اكلت الحصى وخلعت الى عظمي فامتكشت
 فخذوها فدقوها فذروها في اليم فنهالوا جمعها الله تعالى اليه ثم قال لم فعلت ذلك قال من خشية فغفر الله عز وجل له فقال عقبه
 ابن عمرو وأما سمعت صلى الله عليه وسلم يقول ذلك وكان ماشيا وقد أخرجاه في الصحاح من حديث عبد الملك بن عمر بالفاظ كثيرة منها

انه امر بنيه أن يجرقوه ثم يصبقوه ثم يذروا نصفه في البر ونصفه في البحر في يوم رايح أي كثر الهوا ففعلوا ذلك فامر الله تعالى البحر بجمع ما فيه وأمر البر بجمع ما فيه ثم قال له كر فاذا هور - ل فأتى فقال له ما جئت على ما صنعت قال مخافتك وأنت أعلم فإفاه ان غفرله وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرا نضرا فاتمروا به ثم أعاده الى ان صار حطبيا يساوي قوته النار كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يتعنه شيء قال قتادة في قوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر (٢٤٠) نارا فاذا أنتم منه توقدون يقول الذي أخرج هذه النار من هذا

الشجر قادر على ان يعينه وقيل المراد بذلك شجر المرخ والعفاري نبت في أرض الحجاز فبأن من أراد قدح نارا وليس معه زاد فبأخذ منه عودين أخضرين ويقدهما أحدهما بالا تحرق فتولد النار من بينهما كما كلز نادسواه روى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي المثل لكل شجر نار واستجد المرخ والعفاري وقال الحكيم في كل شجر نار الا العناب (أو ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) يقول تعالى منها على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والنواب والارضين السبع وما فيها من جبال ورمال وبحار وقنار وما بين ذلك ومرشد الى الاستدلال على إعادة الاجساد بخلق هذه الاشياء العظيمة كقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقال عز وجل ههنا أوليس الذي خلق

الكرامات والذات وأنواع النعم (ولكم فيها ما تدعون) أي تقنون ان تعال من الدعاء بمعنى الطلب وقد تقدم بيان معنى هذا في قوله ولهم ما يدعون مستوفى والنرق بين الجملتين ان الاولى باعتبار شهور أنفسهم والثانية باعتبار ما يطلبونه أعم من أن يكون مما تشبهه أنفسهم ولا اذلا يلزم ان يكون كل مطلوب مشتهى كالفوائد العلمية وان كان الاول أعم أيضا من وجه بحسب حال الدنيا فالمرضى لا يريد ما يشتهيه ويضر مرضه الا ان يقال التمني اعم من الارادة وقال الرازي الاقرب عندى ان قوله ولكم فيها ما تشتهى انفسكم اشارة الى الجنة الروحانية المذكورة في قوله دعواهم فيها سبحانه اللهم الآية واتصاب (نزلا من غفور رحيم) على الحال من الموصول او من عايناه أو من فاعل تدعون او هو مصدر مؤكدا فاعل محذوف أي انزلا وانزلا والنزل ما يعتدلهم حال نزولهم من الرزق والضايفة قال النسفي هو رزق التزبل وهو الضيف وقد تقدم بحقه في سورة آل عمران قال أهل المعاني كل هذه الاشياء المذكورة في هذه الآية تجارية تجرى النزول والكرامات اذا اعطى هذا النزول فباعتداله بما بعده من اللطاف والكرامة (ومن أحسن قولنا من دعا الى الله) أي الى توحيد وطاعته قال الحسن هو المؤمن أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاز الله فيه من طاعته (وعمل صالحا) في اجابته (وقال اني من المسلمين) لربي وليس الغرض من هذا القول فقط بل يضم اليه اعتقاد القلب فيه تعقد بقلبه دين الاسلام مع التلذذ أي قال ذلك ابتهاجا بالاسلام وفرحاً به واتخاذ الدين مؤذنا له وتناخرا به قال ابن سيرين والسددي وابن زيد هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروى هذا أيضا عن الحسن وقال عكرمة وقيس بن أبي حازم ومجاهد نزلات في المؤذنين قالت عائشة الداعي الى الله المؤذن والعمل الصالح ركعتان فيما بين الاذان والاقامة وعن عائشة قالت ما أرى هذه الآية نزلات الا في المؤذنين ويجب ان هذا بان الآية مكسبة والاذان انما شرع بالمدينة والاولى حل الآية على العموم كما يقتضيه اللفظ ويدخل فيها من كان سببا لنزوله دخولا أوليا في كل من جمع بين دعاء العباد الى ما شرع الله وعمل عملا صالحا هو تأدية ما فرضه الله عليه مع اجتناب ما حرمه عليه وكان من المسلمين ديننا لا من غيرهم فلا شيء أحسن منه ولا أوضح من طريقته ولا أكثر نوابا من عمله قيل ولله دعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء الى الله بالمعجزات وبالحنج والبراهير والسيف وهذه المرتبة لم تتفق اغير الانبياء

السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم أي مثل البشر فيعدهم كما بدأهم قاله ابن جرير وهذه الآية الكريمة كقوله عز وجل أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلاتهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير وقال تبارك وتعالى ههنا بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون أي انما أمر بالشيء أمره واحدا لا يحتاج الى تكرار وتأكد

اذما أمر الله أمر افانما * يقول له قوله كن فيكون

المرتبة

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن نمير حدثنا موسى بن المصعب عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا عبدي كلكم مذنب الامن عاقبت فاستغفروني اغفر لكم وكلكم فقيه الامن اغتبت اني جواد ماجد و جاداً فعل ما شاء عطائي كلام وعذابي كلام اذا أردت شيئاً فأتأقلاً قول له كن فيكون وقوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون أي تنزيهه وتقديسه وتبرئته من سوء الخلق القيوم الذي بيده مقاليد السموات والارض واليه يرجع الامر كله وله الخلق والامر واليه ترجع العباد يوم المعاد (٢٤١) فيجازي كل عمل بعمله وهو العادل المنعم

المتنزل ومعنى قوله سبحانه وتعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء كقوله عز وجل قل من بيده ملكوت كل شيء وكقوله تعالى تبارك الذي بيده الملك فالملك والملكوت واحد في المعنى كرحمة ورحموت ورهبة ورهبوت وجبر وجبروت ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الاجسام والملكوت هو عالم الارواح والصحيح الاول وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم قال الامام أحمد حدثنا نعيم بن النعمان حدثنا جاد عن عبد الملك بن عمر حدثني ابن عم لحذيفة عن حذيفة وهو ابن اليمان رضي الله عنه قال قلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقرأ السبع الطوال في سبع ركعات وكان صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده ثم قال الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة وكان ركوعه مثل قيامه وسجوده مثل ركوعه فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاي وقد روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث

المرتبة الثانية دعوة العلماء الى الله بالحج والبراهين فقط والعلماء قسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء باحكام الله المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله بالسيف والسنان فهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم أيضا دعاء الى الله والى طاعته ثم بين سبحانه الفرق بين محاسن الاعمال ومساوئها فقال (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) أي لا تستوى الحسنة التي يرضي بها الله وينيب عليها ولا السيئة التي يكرهها الله ويعاقب عليها ولا وجه لتخصيص الحسنة بنوع من أنواع الطاعات وتخصيص السيئة بنوع من أنواع المعاصي فان اللفظ أوسع من ذلك وقيل الحسنة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الحسنة المداراة والسيئة الغلظة وقيل الحسنة العفو والسيئة الانتصار وقيل الحسنة العلم والسيئة الفحش وقيل غير ذلك قال الفراء لا في ولا السيئة زائدة والجملة مستأنفة سبقت لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثري بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة الاساءة بهم بالاِحسان (ادفع باتي هي احسن) استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أي ادفع السيئة اذا جاءتك من المسيء باحسن مما يمكن دفعها به من الحسنات ومنه مقابلة الاساءة بالاِحسان والذنب بالعفو والغضب بالصبر والاعضاء عن الهفوات والاحتمال للمكروهات قال ابن عباس امر المسلمين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كانه ولي حميم وقال ابن عباس القه بالسلم وقال مجاهد وعطاء بناتي هي أحسن يعني بالسلام اذا نلت من عباديه وقيل بالمصاحفة عند التلاقي والمعنى ان الحسنة والسيئة متفاوستان في أنفسهما بخلاف الحسنة التي هي أحسن من أختها اذا اعتزمتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك كالو اساءة اليك رجل اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن ان تحسن اليه مكان اساءة اليك مثل أن يذمك فتمدحه أو يقتل ولدك فتفتدي ولدهم يدعدو ووضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنة هان عليه الدفع عبادونها (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) هذه هي النافذة الحاصلة من الدفع التي هي أحسن والمعنى انك اذا فعلت ذلك الدفع صار العدو كالصديق والبعيد

(٣١ فتح البيان ثامن) شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة مولى الانصار عن رجل من بني عبدس عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل وكان يقول الله أكبر ثلاثا ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحو ما من قيامه وكان يقول في ركوعه سبحان ربّي العظيم ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحو ما من قيامه يقول ربّي الحمد ثم سجد فكان سجوده نحو ما من سجوده وكان يقول في سجوده سبحان ربّي الاعلى ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فيا بين السجدين نحو ما من سجوده وكان يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فضلي أربع ركعات فقرأ فيهن بالبقرة وآل عمران

والنساء والمائدة والانعام شك شعبة هذا لفظ أبي داود وقال النسائي أبو حنيفة عندنا طلبة بن يزيد وهذا الرجل يشبهه أن يكون صلة كذا قال والاشبه أن يكون ابن عم حذيفة كما تقدم في رواية الامام احمد والله أعلم وأما رواية صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه فانها في صحيح مسلم ولكن ليس فيها ذكر الملكوت والخبوت والكبرياء والعظمة وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال قت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرا سورة (٢٤٢) البقرة لا يتربا بآية ترجمة الاوقف وسأل ولا يعربا بآية عذاب الاوقف وتعود

قال ثم ركع بقدر قيامه يتول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرا بال عمران ثم قرأ سورة سورة ورواه الترمذي في الشمائل والنسائي من حديث معاوية بن صالح به آخر تفسير سورة يس والله الحمد والمنة

* تفسير سورة الصافات وهي مكية *

قال النسائي أخبرنا ابي يعقوب بن مسعود حدثنا خالد بن عيسى بن الحارث عن ابن أبي ذئب قال أخبرنا الحارث بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات تنفرد به النسائي

* (بسم الله الرحمن الرحيم) (والصافات صفا فالزجرات زجرا فالتاليات ذكر ان الهكهم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق) قال سفيان الثوري عن الاعشى عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله

عندك كالقريب منك وقال مقاتل زنا في أبي سفيان بن حرب كان معاديا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فصار له وليا بالمصاهرة التي وقعت بينه وبينه ثم أسلم فصار وليا في الاسلام جميعا بالمصاهرة وقيل غير ذلك والاولى حل الآية على العموم (وما يلقاها) قال الزجاج أى ما يلقي هذه النحلة وهذه الحالة وهي دفع السيئة بالحسنة (الالذين صبروا) على كظم الغيظ واحتمال المسكروه وتجنوع الشدائد وترك الانتقام وقال أنس الرجل يشتمه أخوه فيقول ان كنت صادقا غفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) في الثواب والخير أو من الخلق الحسن وكال نسب وهذا أنسب وقال قتادة الحظ العظيم الجنة أى ما يلقاها الا من وجبت له الجنة وقيل الضمير في يلقاها عائد الى الجنة وقيل راجعة الى كلمة التوحيد قرأ الجمهور يلقاها من التلقية وقرئ تلاقها من الملاقات ثم أمر سبحانه بالاستعاذة من الشيطان فقال (واما ينزعك من الشيطان نزع) النزغ شبيه الخس يشبهه الوسوسة لانها تبعث على الشر وجعل النزغ نازعا على سبيل المجاز العقلي كقولهم جدد له أو أريد وما ينزعك نازغ وصف الشيطان بالمصدا ولسويه والمعنى وان صرفك الشيطان عن شئ مما شرعه الله لك وعن الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على حملك ولا تطعه وجملة (انه هو السميع العليم) تعدل لما قبلها أى السميع لكل ما يسمع ومنه استعاذتك والعليم بكل ما يعلم ومنه فعلك وأحوالك ومن كان كذلك فهو بعيد من استعاذته وقال هنا بزيادة هو وآل وفي الاعراف بدونهم ما لان ما هنا متصل بمؤ كذبا لتكرار وبالخصر فناسب التأكيده بما ذكر وما في الاعراف خلى عن ذلك فخرى على القياس من كون المسند اليه معرفة والمسند نكرة أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سليمان بن صرد قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاشتد غضب أحدهما فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم انى لاعم كلمة لو قال يا اذهب عنه الغضب أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال الرجل أمجنون ترى فتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وما ينزعك من الشيطان نزع) فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم شرع سبحانه في بيان بعض آياته البديعة الداعية الى كمال قدرته وقوة تصرفه للاستدلال بها على توحيده فقال (ومن آياته الليل والنهار) في تعاقبها على حد معلوم وتناوبها على قدره قسوم (والشمس والقمر) في اختصاصهما بسير مقدر

عنه أنه قال والصافات صفا وهي الملائكة فالزجرات زجرا هي الملائكة فالتاليات ذكر اهي الملائكة وكذا ونور

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومسروق وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والسدي وقتادة والربيع بن أنس قال قتادة الملائكة صفوف في السماء وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الاشجعي عن ربه عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعل لنا زجرا مطهورا اذا لم نجد الماء وقد روى مسلم أيضا وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الاعشى عن

المسيب بن رافع عن تميم بن طرفقة عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تضفون كما نصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف نصف الملائكة عند ربهم قال صلى الله عليه وسلم يتون الصنوف المتقدمة وبتراصون في الصف وقال السدي وغيره معنى قوله تعالى فالزاجرات زجرا أنهار تزر السحاب وقال الربيع بن أنس فالزاجرات زجرا ما زجر الله تعالى عنه في القرآن وكذا روى مالك عن زيد بن أسلم فالتاليات ذكرا قال السدي الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله الى الناس وهذه الآية كقوله تعالى فالملقيات ذكرا عزذرا أو نذرا وقوله عز وجل (٢٤٣) ان الهكملوا حدرب السموات والارض

هذا هو المقسم عاميه انه تعالى لاله الا هو رب السموات والارض وما بينهما ما أى من الخلقات ورب المشارق أى هو الملك المتصرف في الخلق يتخيره بما فيه من كوابن ثوابت وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب واكتفى بذلك المشارق عن المغارب لدلائلها عليه وقد صرح بذلك في قوله عز وجل فلا أقسم رب المشارق والمغارب اننا لقادرون وقال تعالى في الآية الاخرى رب المشرقين ورب المغربين يعنى في الشتاء والصيف للشمس والقمر (انازيتا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطى الخطفة فآبى عنها شهاب ثاقب) يخبر تعالى انه زين السماء الدنيا للناظرين اليها من أهل الارض بزينة الكواكب قرى بالاضافة وبالبدل وكلاهما بمعنى واحد فالكواكب السيارة والثوابت يتقرب ضوءها جرم السماء الشفاف فتضىء لاهل

ونور مقر هذا رد على قوم عبدوا الشمس والقمر وانما تعرض للاربعه مع انهم لم يعبدوا الليل والنهار للايدان بكل سقوط الشمس والقمر عن رتبة السجودية الهما بتنظيمهما في الخلق في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهذا هو السر في نظم الكل في سلك آياته ثم لما بين ان ذلك من آياته نهاهم عن عبادة الشمس والقمر وأمرهم أن يسجدوا لله عز وجل فقال (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهم ما مخلوقان من مخلوقاته وان كثرت منافعها فلا يصح ان يكونا شرعيين له في ربهيته (واسجدوا لله الذي خلقن) أى هذه الاربعه المذكورة لان جمع ما لا يعقل حكمه حكم جمع الاناث أو الايات أو الشمس والقمر لان الاثنين جمع عند جماعة من الأئمة قال السمين وانما عبر عن الاربع بضمير الاناث مع ان فيها ثلاثة مذكرة والعادة تغليب المذكر على المؤنث لانه لما قال ومن آياته فنظم الاربعه في سلك الايات صار لكل واحد منها آية فعبدها بضمير الاناث في قوله خلقهن (ان كنتم اياه تعبدون) قيل كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصائين في عبادتهم الكواكب ويرغمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فهو وعن ذلك فهذا رجه تخصيص ذكر السجود بالهني عنه وقيل وجه تخصيصه انه أقصى مراتب العبادة وهذه الآية من آيات السجود بالخلاف وانما اختلفوا في موضع السجدة فقيل موضعها عند قوله ان كنتم اياه تعبدون لانه متصل بالامر وقيل عند قوله وهم لا يسأمون لانه تمام الكلام وعن ابن عباس انه كان يسجد بآخر الآيتين من حم السجدة وكان ابن مسعود يسجد بالاولى منهم ما وعن ابن عمر انه كان يسجد بالاولى ويسجد بالآية الاخيرة (فان استكبروا قال الذين عند ربك يسجدون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) أى ان استكبر هؤلاء عن الامتثال فدعهم وشأنهم فان لله عبادا يعبدونه كالملائكة يدعون التسبيح لله سبحانه بالليل والنهار أو يصلون له وهم لا يموتون ولا يفترقون يعنى ان الله لا يعدم عابدا أبدا بل من خلقه من يعبد على الدوام والعنصرية عندي مكانة وتشريف وفي الحديث أنا عند ظن عبدى بى وأنا عند المنكسرة قلوبهم (ومن آياته) الدالة على قدرته ووجدانته (أنك) الخطاب لكل من يصلح له أو لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ترى الارض) أى بعضها بحجاسة البصر وبعضها بعين البصيرة قديسا على ما أبصرت (خاشعة) يابسة لانبات فيها متطامنة وهى أنسب بالفظ خاشعة والخاشعة اليابسة الجذبة الجامدة وقيل العبراء

الارض كما قال تبارك وتعالى ولقد زيننا السماء الدنيا بصايج وجعلنا نهار جو مالا يشياطين وأعدنا لهم عذاب السعير وقال عز وجل ولقد جعلنا في السماء بر وجوارز ينالها الناظرين وحفظنا ما من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فأقنعه شهاب مبيد فقوله جل وعلا ههنا وحفظنا تقديره وحفظنا ما حفظنا من كل شيطان مارد يعنى المتد العاقى اذا أراد أن يسترق السمع أن شهاب ثاقب فأحرقه ولهذا قال جل جلاله لا يسمعون الى الملا الاعلى أى لثلاثيها الى الملا الاعلى وهى السموات ومن فيها من الملائكة اذا تكلموا بما يحويه الله تعالى بما يقوله من شرعه وقدره كما تقدم بيان ذلك في الاحاديث التي أوردناها عند قوله تبارك وتعالى

حتى اذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ولهذا قال تعالى ويقدفون أي يربون من كل جانب أي من كل جهة يقصدون السماء منها دحورا أي رجاء يدحرون به يربحون ويعنون من الوصول الى ذلك ويرجون ولهم عذاب واصب أي في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجه مستمر كما قال جلت عظمته وأعدنا لهم عذاب السعير وقوله تبارك وتعالى الامن خذف الخطفة اي الامن اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكامة بسمة هامن السماء فيلقبها الى الذي تحته ويلقبها الآخر الى الذي تحته فربما أدركه الشهاب (٢٤٤) قبل ان يلقبها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل ان يأتيه الشهاب

فيحرقه فيذهب بها الآخر الى الكامن كما تقدم في الحديث ولهذا قال الامن خطف الخطفة فأبعده شهاب ثاقب أي مستنير قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان للشياطين مقاعد في السماء قال فكانوا يستمعون الوحي قال وكانت النجوم لا تجرى وكانت الشياطين لا ترمى قال فاذا سمعوا الوحي نزلوا الى الارض فزادوا في الكامة تسعا قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان اذا قعد مقعده جاءه شهاب فلم يحطه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك الى ابليس لعنه الله فقال ما هو الا امن أمر حدث قال فبث جنوده فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة قال وكيع يعني بطن نخلة قال فرجعوا الى ابليس فأخبروه فقال هذا الذي حدث وسألتني ان شاء الله تعالى الاحاديث الواردة مع الآثار في هذا المعنى عند قوله تعالى اخبارا عن الجن

التي لا تثبت قال الازهرى اذا دبست الارض ولم تطرق قيل قد خشعت والخشوع التذلل والتقصير فاستعير خال الارض اذا كانت خفية لانهات فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو كما قال (فاذا أنزلنا عليها الماء أي ماء المطر أو غيره اهتزت) تحركت بالنبات حركة عظيمة كثيرة سريرة فكان كمن يعالج ذلك بنفسه يقال اهتز الانسان اذا تحرك (وربت) انتفخت وعلت قبل أن تثبت قاله مجاهد وغيره أي تصدعت عن النبات بعد موتها وعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير وتقديره ربت واهتزت وقيل الاهتزاز والربو قد يكونان قبل خروج النبات من الارض وقد يكونان بعده ومعنى الربواعة الارتفاع كما يقال للموضع المرتفع ربوة رابية فالنبات يتحرك للبروز ثم يزداد في جسمه بالكبرطولا وعرضا وقد تقدم نفسه بهذه الاية متوفى في سورة الحج وقيل اهتزت استتبشرت بالمطر ربت انتفخت بالنبات وقيل تشققت فارتفع ترايبها وخروج منها النبات وسما في الجو معظم الوجوهها وتشعبت عروقها وغلظت سوقها فصارت تنعسلو كما على ما كانت فيه من السهولة وترخفت بذلك النبات كأنها بمنزلة الختان في زيه لما كانت قبل ذلك كالدليل وقرأ أبو جعفر وخالد ربات (ان الذي أحياها المحيي الموقى) بالبعث والنشور (انه على كل شيء قدير) لا يعجزه شيء كأنما كان (ان الذين يلدون في آياتنا) أي يميلون عن الحق والاستقامة في آياتنا بالطعن والتعريف والتأويل الباطل واللغو فيها والاحاد الميل والعدول ومنه اللعد في القبر لانه أميل الى ناحية منه يقال لحد في دين الله أي مال عنه وعدل ويقال لحد وهو لغة فيه وقد تقدم تفسير الاحاد ويقال لحد الحافر وحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير لحد الارض اذا كانت ملحودة فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة قال مجاهد معنى الآية يميلون عن الايمان بالقرآن وقال أيضا يميلون عند تلاوة القرآن بالمكابر والتصدية واللغو والغناء وقال قتادة يكذبون في آياتنا وقال السدي يعاندون ويشاقون وقال ابن زيد يشركون والمعاني متقاربة وقال ابن عباس في الآية هو أن يضع الكلام في غير موضعه (لا يخفون علينا) بل نحن نعلمهم فنجازهم بما يعملون قيل نزلت في أبي جهل ثم بين كنيته الجزاء والتفاوت بين المؤمن والكافر فقال (أفمن يلقى في النار خيرا من يأتي آمنا يوم القيامة) الاستفهام للتقرير والغرض منه التنبيه على أن

انهم قالوا وانما لنا السماء فوجدناها ملأت حرسا شديدا وشهبا وانما كنا نعد منها ما عدل للمع من المحدثين انهم قالوا ان السماء فوجدناها ملأت حرسا شديدا وشهبا وانما كنا نعد منها ما عدل للمع من المحدثين يستمع الا ان يجده شهابا رصدا وانما ندرى أشرا ريد عن في الارض أم أراد بهم ربهم رشا (فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انما خلقناهم من طين لازب بل عجبوا وسخروا واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الاسحريين انما متنا وكنا ربا وعظما انما لم نعوثون أو بانوا الا اولون قل نعم وأنتم اخرون فانما هي زجرة واحدة فاذا هم يتظنون) يقول تعالى فسل هؤلاء المنكرين للبعث أي أشد خلقا هم أم السموات والارض وما بينهما من الملائكة والشياطين والجن والوحوش العظيمة وقرأ ابن

مسعود رضى الله عنه أم من عددنا فانهم يقولون ان هذه المخلوقات اشد خلقا منهم وماذا كان الامر كذلك فلم ينكروا البعث وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا كما قال عز وجل خلقت السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ثم بين انهم خلقوا من شئ ضعيف فقال انا خلقناهم من طين لازب قال مجاهد وسعيد بن جبيرة والضحاك هو الجمد الذي يلتزق بعضه ببعض وقال ابن عباس رضى الله عنه ما وعكرمة هو اللزج الجمد وقال قتادة هو الذي يلزق باليسد وقوله عز وجل بل عجبناهم وبضروب من آياتنا عجبناهم من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث (٢٤٥) وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من

الامر المحجب وهو إعادة الاجسام بعد فناءها وهم بخلاف أمرنا من شدة تكذيبهم يحضرون مما تقول لهم من ذلك قال قتادة عجب محمد صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بنى آدم واذا رأوا آية أى دلالة واضحة على ذلك يستخفرون قال مجاهد وقتادة يستهزئون وقالوا ان هذا الاسحريين أى ان هذا الذى جئت به الاسحريين أننا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أو أننا من الأولون يستبعدون ذلك ويكذبون به قل نعم وأنتم داخرون أى قل لهم يا محمد نعم تبعثون يوم القيامة بعد ماتصبرون ترابا وعظاما وأنتم داخرون أى حقيرون تحت القدرة العظيمة كما قال تبارك وتعالى وكل أتوه داخرين وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ثم قال جلت عظمتها فانها شجرة واحدة فاذا هم ينظرون أى فانها هو أمر واحد من الله عز وجل يدعوهم دعوة واحدة ان يخرجوا من الارض فاذا هم قيام بين يديه ينظرون الى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم (وقالوا يا ويلنا هذا

المخدين فى الآيات يلقون فى الغاروان المؤمنين بما يأتون آمنين يوم القيامة وظاهر الآية العموم اعتبارا بعموم اللفظ بالخصوص السبب فهو تمثيل للكافر والمؤمن وقيل المراد عن يلقى فى النار أبو جهل ومن يأتى آمنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل حزة وقيل عمر بن الخطاب وقيل أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي وقال ابن عباس أبو جهل بن هشام ومن يأتى آمنا يوم القيامة أبو بكر الصديق وعن بشير بن عمير قال نزلت فى أبى جهل وعمر بن ياسر وعن عكرمة مثله وكان الظاهر أن أم من يدخل الجنة وعدل عنه للتصريح بأمتهم وانتفاء الخوف عنهم قاله الكرخي وترسم أم منفصلة من من اتبعا للمصنف الامام (اعملوا) هذا أمر تهديد أى اعلموا من أعمالكم التى تليقكم فى النار (ما شئتم) فهو مجاز يكتم على كل ما تعملون قال الزجاج لفظ الامر ومعناه الوعيد وقال ابن عباس هذا لأهل بدر خاصة (انهما تعملون بصير) لا تخفى عليه منه خافية فيجازيكم عليه (ان الذين كفروا بالذکر لما جاءهم) الجملة مستأنفة مقررة لما قبلها وخبر ان محذوف أى ان الذين كفروا بالقرآن لما جاءهم يجازون بكفرهم أو هالكون أو يعذبون وقيل هو قوله ينادون من مكان بعيد وهذابعدوا ربحه أبو عمرو بن العلاء وذکر السمين فى خبر ان أعراب ووجوه الا نطول بذکرها (وانه) أى القرآن الذى كانوا يلحدون فيه (لكتاب عزيز) عن ان يعارض أو يطعن فيه الطاعنون منيضع عن كل عيب محمى بحماية الله وقيل عديم نظيره وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل أعزه الله بمعنى منعه أى تمتنع عن قبول الابطال والتحرير ثم وصفه بأنه حق لا سبيل للباطل اليه بوجه من الوجوه فقال (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قال الزجاج معناه انه محفوظ من أن يتقص منه فأتية الباطل من بين يديه أو يزد فيه فأتية الباطل من خلفه وبه قال قتادة والسدى ومعنى الباطل على هذا الزيادة والنقصان وقال مقاتل لا يأتية التكذيب من الكتب التى قبله ولا يجيى من بعده كتاب فيبطله وبه قال الكلبي وسعيد بن جبيرة وقيل الباطل هو الشيطان أى لا يستطيع أن يزيد فيه ولا ينقص منه وقيل لا يزد فيه ولا ينقص منه لامن جبريل ولا من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل لا يأتية التبديل والتناقض بوجه من الوجوه وقيل لا يأتية الباطل عما أخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر وقيل ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجادل به سبب لامن جهة من الجهات حتى يصل اليه

يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقتنوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون) يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيامة انهم يرجعون على أنفسهم باللامنة ويعترفون بأنهم كانوا الظالمين لانفسهم فى الدار الدنيا فاذا عاينوا أهوال القيامة ندما كل الندم حيث لا ينفعهم الندم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين فنقول لهم الملائكة والمؤمنون هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون وهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ ويأمر الله تعالى الملائكة أن تغير الكفار من المؤمنين فى الموقف فى محشرهم ومنشرهم ولهذا

قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال النعمان بن بشير رضی الله عنه یعنی بأزواجهم أشباههم وأمثالهم وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبیر وعكرمة ومجاهد والسدي وأبو صالح وأبو العالية وزيد بن أسلم وقال سفیان الثوري عن سماك عن النعمان ابن بشير عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال اخوانهم وقال شريك عن سماك عن النعمان قال سمعت عمر يقول احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال أشباههم قال يحيى أصحاب الزنا مع أصحاب الرباع أصحاب الربا وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر وقال (٢٤٦) خفيف عن مقسم عن ابن عباس رضی الله عنهم ما أزواجهم نساءهم وهذا غريب والمعروف عنه الاول

كاروا مجاهد وسعيد بن جبیر عنه أزواجهم قرناءهم وما كانوا يعبدون من دون الله أى من الاصنام والانداد تحشروهم فى أما كنهم وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم أى ارشدوهم الى طريق جهنم وهذا كقوله تعالى وتحشروهم يوم القيامة على وجوههم غما وبكا وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا وقوله تعالى وقضوهم انهم مسئولون أى قضوهم حتى يسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التى صدرت عنهم فى الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس یعنی احبسوهم انهم محاسبون وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا الثفيلي حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت لينا يحدث عن بشير عن أنس بن مالك رضی الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايمادع دعالى شىء كان موقفا معه الى يوم القيامة لا يغادره ولا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقضوهم انهم مسئولون ورواه الترمذى من حديث لينا ابن أبى سليم ورواه ابن جرير عن يعقوب بن ابراهيم عن معتمر بن لينا عن رجل عن أنس بن مالك رضی الله عنه قال سمعت عثمان بن زائدة يقول ان أول ما يسئل عنه الرجل جلساؤه ثم يقال لهم على سبيل التقرير والتوبيخ مالكم لا تناصرون أى كما زعمت انكم جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون أى متقادون لامر الله تعالى لا يخالفونه ولا يحيدون عنه والله أعلم (وأقبل بعضهم على بعض يتسألون قالوا انكم كنتم تألوتنا عن اليقين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين حق علينا قول ربنا انالذاتقون فأغوريناكم انا كناؤين فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون انا كذلك نفعل

والمعنى كل ما فيه حق وصدق ليس فيه ما لا يطابق الواقع والعموم أولى (تنزيل من حكيم حميد) خبر متبادر محذوف أو صفة أخرى لذات ثم سلب سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يتأثر له من أذية الكفار فقال (ما يقال لك) من هؤلاء الكفار من وصفك بالسحر والكذب والجنون (ال) مثل (ما قد قيل للرسول من قبلك) فان قومهم كانوا يقولون لهم مثل ما يقول لك هؤلاء وقيل المعنى ما يقال لك من التوحيد واخلص العبادة لله الا ما قد قيل للرسول من قبلك فان الشرائع كلها منفتحة على ذلك وقيل هو استفهام أى أى شىء يقال لك (ان ربك لذو مغفرة) لمن يستحق مغفرته من الموحدين الذين تابعوا وتابعوا من قبلك من الانبياء (وذو عقاب أليم) لان الكفار المكذبين المعادين لرسول الله وقيل لذو مغفرة للانبياء وذو عقاب لاعدائهم (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) أى لو جعلناه هذا القرآن الذى تقرأه على الناس بغير لغة العرب ولا حجة فيه لآبى حنيفة رحمه الله فى جواز الصلاة اذا قرأ بالفارسية كما زعمه النسعى وغيره لان التركيب خارج مخرج الفرض والتقدير دون الوقوع والتحقيق (لقالوا لو افصلت آياته) أى يفت بالغتافنا عراب لان فهم لغة العجم والاستفهام فى قوله (أأعجمى وعربى) لانكار وهو من جملة قول المشركين أى لقالوا كلام أعجمى ورسول عربى والاعجمى الذى لا ينصح سواه كان من العرب أو من العجم والباء للمبالغة فى الوصف كما جرى وليس النسب فيه حقيقيا وقال الرازى فى لوائه هى كما كرسى ويجئى و فرقى بينهما الشيخ والاعجم ضد الفصح وهو الذى لا بين كلامه ويقال للحيوان غير الناطق أعجم وقيل المراد هلا فوات آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب قال ابن عباس يقول لو جعلنا القرآن أعجميا ولسانك يا محمد عربى لقالوا أعجمى وعربى تأتينا به مختلفا ومختلفا هلا فوات آياته فكان القرآن مثل اللسان يقول فن فعل لئلا يقولوا فكانت حجة عليهم قرأ أبو بكر وحزرة والكسائى الأعجمى بهم مرتين مختلفتين وقرئ به مرة واحدة وقرئ بتسهيل الثانية بين بين ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يحيمهم فقال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) أى يهدون به الى الحق ويستشفون به من كل شر وشبهة ومن الاسقام والآلام قال الشهاب رد عليهم بأنه ناداهم شاف لما فى صدورهم كافى فى دفع الشبهة فلذا ورد بلسانهم محجزا بينا فى نفسه بينا لغيره (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) أى صمم عن سماعه وفهم معانيه

ولهذا يعقوب بن ابراهيم عن معتمر بن لينا عن رجل عن أنس بن مالك رضی الله عنه مرفوعا وقال عبد الله بن المبارك وسمعت عثمان بن زائدة يقول ان أول ما يسئل عنه الرجل جلساؤه ثم يقال لهم على سبيل التقرير والتوبيخ مالكم لا تناصرون أى كما زعمت انكم جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون أى متقادون لامر الله تعالى لا يخالفونه ولا يحيدون عنه والله أعلم (وأقبل بعضهم على بعض يتسألون قالوا انكم كنتم تألوتنا عن اليقين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين حق علينا قول ربنا انالذاتقون فأغوريناكم انا كناؤين فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون انا كذلك نفعل

بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون انما اتواكموا آلهتنا الشاعرجنون بل جاء باحق وصدق المرسلين
 يذكر تعالى ان الكفار يتلاومون في عرصات القيامة كما يتخاصمون في دركات النار فيقول الضعفاء الذين استكبروا انا كنا لكم
 تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيما ان الله قد حكم بين العباد وقال تعالى ولوترى اذ الظالمون
 موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا الذين استكبروا والولا انتم لتكلمون من قال الذين
 استكبروا والذين استضعفوا ان نحن صددناكم عن الهدى بعداذ (٢٤٧) جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا

للذين استكبروا بل مكر الابل
 والنهار اذا تأمرونا ان نكفر بالله
 ونجعل له اعداوا وائسروا الندامة
 لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال
 في اعناق الذين كفروا هل يجزون
 الا ما كانوا يعملون وهكذا قالوا
 لهم ههنا انكم كنتم قاتلينا
 الذين قال الضحالك عن ابن عباس
 يقولون كنتم تقهرونا وبالقدرة
 عليكم علينا لانا كنا ذلاء وكنتم اعزاء
 وقال مجاهد يعنى عن الحق
 والكفار تقولوا للشياطين وقال
 قتادة قالت الانس للجن انكم كنتم
 تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير
 فتنهونا عنه وتبطنوا عنه وقال
 السدي تأتوننا من قبل الحق وتزبوا
 لنا الباطل وتصدونا عن الحق
 وقال الحسن في قوله تعالى انكم
 كنتم تأتوننا عن اليمين أى والله
 يأتيه عند كل خير يريد في صلته عنه
 وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا
 وبين الخير ورددتمونا عن الاسلام
 والايمان والعمل بالخير الذي امرنا
 به وقال يزيد الرسك من قبل لا اله
 الا الله وقال خصيف يعنون من
 قبل ميامنهم وقال عكرمة انكم

ولهذا توصوا باللغو فيه والموصول مبتدأ خبره في آذانهم وقرأ والموصول الثاني عطف
 على الاول ووقر عطف على هدى عند من جوزا العطف على معمولى عاملين مختلفين
 والتقدير هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر في آذانهم (وهو عليهم عمى) وذلك
 لتصامهم عن سماعه وتعاميمهم بما ربه من الآيات قال قتادة عموا عن القرآن وصموا
 عنه وقال السدي عميت قلوبهم عنه والمعنى وهم عليه ذومعى ووصف بالمصدرة للمبالغة
 وقيل المعنى والوقر عليهم عمى أى ظلمة وشبهة قرأ الجهور عمى بفتح الميم منونة على انه مصدر
 وقرأ ابن عباس وعبد الله بن الزبير وعمر بن العاص وابن عمر بكسر الميم منونة على انه
 اسم منقوص على انه ووصف به مجازا وقرئ بكسر الميم وفتح الياء على انه فعل ماض واختار
 أبو عبيدة القراءة الاولى (أولئك أى الذين لا يؤمنون ينادون من مكان بعيد) مثل
 حالهم باعتبار عدم فهمهم للقرآن بحال من ينادى من مسافة بعيدة لا يسمع من يناديه منها
 قال الفراء تقول للرجل الذى لا يفهم كلامك أنت تنادى من مكان بعيد ففهمه استعارة
 تمثيلية وقال الضحالك ينادون يوم القيامة بأقبح أسماءهم من مكان بعيد وقال مجاهد من
 مكان بعيد من قلوبهم (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) كلام مستأنف يتضمن
 تسليمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يحصل له من الاعتصام بكفر قومه
 وطعنهم في القرآن فأخبره ان هذه عادة قديمة في أمم الرسل غير محتمة بقومك فانهم
 يختلفون في الكتب المنزلة اليهم والمراد بالكتاب التوراة وضمير فيه راجع اليه وقيل يرجع
 الى موسى والاول اولى يعنى قال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل كما اختلف قومك
 في كتابك فصدق به ومكذب (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عن المكذبين
 بالقرآن من أمتك وامها لهم كفى قوله ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى (لنقض بينهم)
 بتجليل العذاب لمن كذب منهم قال قتادة أى سبق لهم من الله حين وأجل هم بالغوه وانهم
 لن يثيبك منه مريب) أى من كتاب المنزل عليك وهو القرآن ومعنى الشك المريب الموقع
 في الريبة والشديد الريبة وقيل ان المراد اليهود وانهم في شك من التوراة مريب والاول
 اولى (من عمل صالحا فلنفسه) أى من أطاع الله وآمن برسوله ولم يكذبهم فتواب ذلك
 راجع اليه ونفعه خاص به (ومن أساء فعليها) أى عقاب اساءته عليه لا على غيره (ومار يك
 بظلام للعبيد) فلا يعذب أحد الا بذنبه ولا يقع منه الظلم لاحد كفى قوله سبحانه ان الله

كنتم تأتوننا عن اليمين قال من حيث تأمنكم وقوله تعالى قالوا بل لم تكونوا مؤمنين نقول القادة من الجن والانس للاتباع
 ما الامر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرة للايمان فابله لتلك الكفرة والعصيان وما كان لنا عليكم من سلطان اى من حجة على صحة
 مادعونكم اليه بل كنتم قوما طاغين أى بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذى جاء تسكهم به الانبياء
 وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاؤكم به فخالفتموهم فخفق علينا قول ربنا انالذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين يقول الكبراء
 للمستضعفين حقت علينا كلمة الله انامن الاشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة فأغويناكم أى دعوناكم الى الضلالة انا كنا غاوين

أى فدعوناكم الى ما نحن فيه فاستجبتم لنا قال الله تبارك وتعالى فانهم يومئذ في العذاب مشتركون أى الجميع في النار كل بحسبه
 انا كذلك نفعل بالنجارين انهم كانوا أى في الدار الدنيا اذ اقبل لهم لاله الا الله يستكبرون أى يستكبرون ان يقولوها كما يقولها
 المؤمنون قال ابن ابي حاتم حدثنا عبد الله بن ابي حاتم عن ابن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن مسافر يعنى عبد الرحمن بن خالد عن
 ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت أن أقاتل الناس
 حتى يقولوا لا اله الا الله فن قال لا اله الا (٢٤٨) الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل

وأرسل الله تعالى في كتابه وذكركوما
 استكبروا فقال تعالى انهم كانوا اذا
 قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
 وقال ابن ابي حاتم أيضا حدثنا ابي
 حدثنا أبو سامة موسى بن اسمعيل
 حدثنا حجاج عن سعيد الجري
 عن ابي العلاء قال يؤتى باليهود يوم
 القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون
 فيقولون الله وعزير فيقال لهم
 خذوا ذات الشمال ثم يؤتى بالنصارى
 فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون
 نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا
 ذات الشمال ثم يؤتى بالمشركين
 فيقال لهم لا اله الا الله فيستكبرون
 ثم يقال لهم لا اله الا الله فيستكبرون
 ثم يقال لهم لا اله الا الله فيستكبرون
 فيقال لهم خذوا ذات الشمال
 قال أبو نصره فينطلقون أسرع
 من الطير قال أبو العلاء ثم يؤتى
 بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون
 فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال
 لهم هل تعرفونه اذ ارايتوه فيقولون
 نعم فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم
 تروه فيقولون نعم انه لا عدل له
 قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى
 وتقدس وينجي الله المؤمنين

لا يظلم الناس شيئا وظلام صبيغة نسب كتمار وبقال وخبار لا صبيغة مبالغه وهذا التقرير
 أحسن من غيره وقال الكرخي ليس بنى ظلم أشار به الى ان ظلام ليس على بابه وقد تقدم
 الكلام على معنى هذه الآية في سورة آل عمران عند قوله وان الله ليس بظلام للعبيد وفي
 سورة الانفال أيضا ثم أخبر سبحانه ان علم القيامة ووقت قيامها لا يعلمه غيره فقال (اليه
 يرد علم الساعة) أى علم سؤال الساعة أى السؤال عنها أى علم جواب هذا السؤال فإذا
 وقع السؤال عنها وجب على المسئول ان يرد علمها اليه لا الى غيره وأخذ الحصر من تقديم
 المعمول وقد روى ان المشركين قالوا يا محمد ان كنت نبيا فخيرنا متى تقوم الساعة فنزلت هذه
 الآية (وما تخرج من ثمرات من أكلها) ما نافية ومن الاولى للاستغراق والثانية لابتداء
 الغاية وقيل ما موصولة في محل جر عطفا على الساعة أى علم الساعة وعلم التي تخرج
 والاول أولى والا كالم جمع كم بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة ويطلق على كل ظرف للمال أو
 غيره قال أبو عبيدة كالمها أو عيتها وهي ما كانت فيه الثمرة واحدها كم وكذا قال الراغب
 الكم ما يغطى اليد من القميص وما يغطى الثمرة وجعله كالم وهذا يدل على ان الكم بضم
 الكاف لانه جعله مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف في كم القميص انه بالضم
 ويمكن أن يقال ان فى الكم الذى هو وعاء الثمرتين قرأ الجمهور من ثمره بالانفراد على ارادة
 الجنس وقرئ بالجمع للاختلاف فى أنواع الثمار قال قتادة من أكلها حين تطلع (وما
 تحمل من أنثى) جلا في بطنها (ولا تضع) ذلك الحمل (الابله) أى علم الله سبحانه والاستثناء
 منفرد من أعم الاحوال أى ما يحدث شئ من خروج ثمره ولا حمل ولا وضع واضح
 فى حال من الاحوال ملابس الشئ من الاشياء الا كما نعلم الله فاليه يرد علم الساعة كما يرد
 اليه علم هذه الامور الحادثة وفيه دليل على ان أصحاب الكسف والكهان وأهل النجوم
 لا يمكنهم القطع والخزم فى شئ مما يقولونه البتة وانما غاية ادعاء ظن ضعيف أو وهم خفيف
 قد لا يصيب وعلم الله هو العلم اليقين المقطوع به الذى لا يشركه فيه أحد (ويوم يناديهم)
 أى ينادى الله سبحانه المشركين وذلك يوم القيامة فيقول لهم (أين شركائى) الذين كنتم
 تزعمون انهم شركائى فى الدنيا من الاصنام وغيرها فادعواهم الآن فليشفعوا لكم
 أو يدفعوا عنكم العذاب وهذا على طريقة التكميم والتفريع لهم وأضافهم الى
 نفسه على زعمهم الباطل والعامل فى يوم محذوف أى اذ كر (قالوا) أى يقولون فالماضى

ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون أى أن نحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا

الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى تكذبا لهم وورد عليهم بل جاء بالحق يعنى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم جاء بالحق فى جميع شريعة الله تعالى له من الاخبار والطلب وصدق المرسلين أى صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات
 الحميدة والمناهج السديدة وأخبر عن الله تعالى فى شرعه وأمره كما أخبروا ما يقال للثا الا ما قد قبل للرسول من قبل الآيه
 (انكم لذا تقولوا العذاب الايم وما يجزون الا ما كنتم تعملون الاعباد الله المخلصين أو لئلا لهم رزق معلوم فواكدهم مكرمون

بمعنى

في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين يضاء لذة للشاربين لافها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كآهن يبيض مكنون) يقول تعالى مخاطبا للناس انكم لذات العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى والعصران الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال تعالى وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم نجى الذين اتقوا ونذر (٢٤٩) الظالمين فيها جثيا وقال تعالى كل نفس بما

كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ولهذا قال جل وعلا ههنا الاعباد الله المخلصين اى ليسوا يذوقون العذاب الاليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سياتهم ان كان لهم سيئات ويحجزون الحسنات بعشر امثالها الى سبع مائة ضعف الى اضعاف كثيرة الى ما يشاء الله تعالى من التضعيف وقوله جل وعلا اولئك لهم رزق معلوم قال قتادة والسدى يعنى الجنة ثم فسره بقوله تعالى فواكه اى متنوعة وهم مكرمون اى يخدمون ويرفهنون وينعمون في جنات النعيم على سرر متقابلين قال مجاهد لا ينظر بعضهم الى قنفا بعض وقال ابن ابي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا ابراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا ابراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن ابي اوفى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلا هذه الآية على سرر متقابلين ينظر بعضهم الى بعض حديث غريب وقوله

بمعنى المضارع (اذ ذلك) اى اعلمناك قاله ابن عباس يقال اذن يؤذن اذا علم اى اعلمناك وقيل اخبرناك قال النسفي وهو الاظهر اذ الله تعالى كان عالما بذلك واعلام العالم محال انما الاخبار للعالم بالشيء يتحقق بما علم به الا ان يكون المعنى انك علمت من قلوبنا الا اننا لانشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم اعلومه انتهى (مامان من شهيد) يشهد بان لك شريكا وذلك انهم لما عاينوا القيامة تبرؤا من الشرك كما تبرأت منهم تلك الاصنام التي كانوا يعبدونها وقيل ان القائل بهذا هي المعبودات التي كانوا يعبدونها اى مامان من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين والاول اولى (رضل عنهم) اى غاب وزال وبطل في الآخرة (ما كانوا يدعون من قبل) في الدنيا من الاصنام وشيوخها (وظنوا ما لهم من محيص) اى ايقنوا وعلموا انه لا مهرب لهم من العذاب يقال حاصل يحصص حصصا اذا هرب وقيل الظن على معناه الحقيقي لانه بقي لهم في تلك الحال ظن ورجاء والاول اولى ثم ذكر سبحانه بعض احوال الانسان فقال (لا يسام الانسان من دعاء الخير) اى لا يمل من دعاء الخير لنفسه وجلبه اله ولا يزال يسأل ربه المال والخير هنا المال والحجة والسلطان والرفعة قال السدى والانسان هنا يراد به الكافر وقيل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية بن خلف والاولى حمل الآية على العموم باعتبار الغالب فلا ينافيه خروج خالص العباد وقرأ ابن مسعود من دعاء المال (وان مسه الشر) اى البلاء والشدة والفقرو المرض (فيؤس) من روح الله (قنوط) من رحمة والياس من صفة القلب وهو قطع الرجاء والقنوط اظهار اثاره على ظاهر البدن وصنيع المحلى يقتضى ترادفهما وبه قال بعضهم فالجمع بينهما التأكيد وقيل يؤس من اجابة دعائه قنوط بسوء الظن بربه وقيل يؤس من زوال ما به من المكروه قنوط بما يحصل له من ظن دوامه وهما صيغتا ما بالغة تدلان على انه شديد اليأس عظيم القنوط ويبلغ فيه من طريقتين من طريق بناء فاعول كما اشرنا ومن طريق التكرير مع ما في القنوط من ظهور اثر اليأس لان القنوط ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذا صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون (ولئن) لام قسم (اذقاه رحمة منان بعد ضراء مسته) اى ولئن آتينا خيرا وعافية وغنى من بعد شدة ومرض وفقير (ليقوان) جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم

(٣٢ فتح البيان ثامن) تعالى يطاف عليهم بكأس من معين يضاء لذة للشاربين لافها غول ولا هم عنها ينزفون كما قال عز وجل في الآية الاخرى يطوف عليهم ولدان مخلدون با كواب وباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهاها بالعقل جله فقال تعالى ههنا يطاف عليهم بكأس من معين اى بنجر من انجر ارجارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن اسلم خمر جارية يضاء اى لونها مشرق حسن بهى لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الردي من حمرة وسواد واصفرار وكدورة الى غير ذلك مما

ينقر الطبع السليم وقوله عز وجل لذة الشاربين أي طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الریح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك وقوله تعالى لا فيها غول يعني لا تؤثر فيهم غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما يفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة ما تبتها وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس وروى هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدي لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر

فازال الكأس نغفانا وتذهب بالآثر الاول (٢٥٠)

وقال سعيد بن جبيرة لا مكروه فيها ولا أذى والصحيح

قول مجاهد انه وجع البطن وقوله تعالى ولا هم عنها ينزفون قال مجاهد لا تذهب عقولهم. وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن وعطاء بن أبي مسلم الخراساني والسدي وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس في الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة فزهرها عن هذه الخصال كما ذكر في سورة الصافات وقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف أي عفيفات لا يتظرن إلى غير أزواجهن كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقتادة والسدي وغيرهم وقوله تبارك وتعالى عين أي حسان الأعين وقيل ضخام الأعين وهو يرجع إلى الأول وهي الخلاء العينية فوصف عيونهن بالحسن والعفة كقول زليخا في يوسف عليه الصلاة والسلام حين جملته وأخرجته على تلك النسوة فأعظمته وأكبرته وظنن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره قالت فذلكن الذي لتنتي فيه ولقد ارودته عن نفسه

مسده (هذا إلى) أي هذا شيء أستحقه على الله لرضاه بعمله فظن ان تلك النعمة التي صار فيها وصلت إليه باستحقاقها ولم يعلم ان الله يبني عباده بالخير والنشر ليمتحن له الشاكر من الجاحد والصابر من الجزع قال مجاهد معناه هذا يعمل وأنا محقوق به أو هذا إلى دائما لا يزول (وما أظن الساعة قائمة) أي ما أظنها تقوم كما يخبرنا بها الأنبياء وألست على يقين من البعث وهذا خاص بالكافرين والمنافقين فيكون المراد بالإنسان المذكور في صدر الآية الجنس باعتبار غالب أفراده لان لباس من رحمة الله والقنوط من خيره والشك في البعث لا يكون إلا من الكافرين أو المترزلين في الدين المتظهرين بالاسلام المبطنين للكفر (ولئن) لام قسم (رجعت إلى ربي) على تقدير صدق ما يخبرنا به الأنبياء من قيام الساعة وحصول البعث والنشور (ان لي عنده الحسن) جواب القسم لسبقه لشرط أي للعائلة الحسن من النعمة والكرامة فظن انه استحق خير الدنيا بما فيه من الخير واستحق خير الآخرة بذلك الذي اعتقده في نفسه وأثبتته لها وهو اعتقاد باطل وظن فاسد وقد تضمن الكلام مبالغات حيث أكد بالقسم وان وتقديم الظرفين والعدول إلى صيغة التفضيل اذا حسنى تأنيت الاحسن (فلنبتن الذين كفرنا بعملا) أي لنخبرنهم بيوم القيامة وهذا جواب لقول الكافر ولئن رجعت إلى آخره أي ليس الامر كما يزعم وانما العقاب الشديد كما قال (ولنديقنهم من عذاب غليظ) بسبب ذنوبهم واللام هذه والتي قبلها هي الموطئة للقسم (واذا أنعمنا على الانسان) أي على هذا الجنس من حيث هو باعتبار غالب أفراده (أعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) أي ترفع عن الانقياد للعقوبات وتكبر وتجبر وثني عطفه متجبرا كناية عن الاعراض وقيل انحرف عنه أو ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب هنا مجاز عن النفس ونأى بمعنى بعد يقال نأيت وتنايت أي بعدت وتباعدت والمنسأى الموضع البعيد وقرئ نأى بالالف قبل الهمزة (واذا مسه الشر) أي البلاء والجهد والفقر والمرض (فذو) أي فهو ذو (دعاء عريض) أي كثير والعرب تستعمل العرض والطول في الكثرة مجازا يقال أطال فلان في الكلام وأعرض في الدعاء اذا أكثر فهو مستعار ماله عرض متسع للاشعار بكثرة فان العريض يكون ذا أجزاء كثيرة والاستعارة تخيلية شبه الدعاء بأمر يوصف بالامتداد ثم أثبت له العرض قاله الكرخي

فاستعصم أي هو مع هذا الجمال عفيف نقي نقي وهكذا الخور العين خيرات حسان ولهذا قال عز وجل والطول وعندهم قاصرات الطرف عين وقوله جل جلاله كأنهن يبض مكنون وصفهن بترافق الابدان بأحسن الألوان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ما كأنهن يبض مكنون يقول اللؤلؤ المكنون وينشده ههنا بيت أبي دهيل الشاعر وهو قوله في قصيدة له

وهي زهراء مثل لؤلؤة السعير غواص ميزت من جوهر مكنون

وقال الحسن كأنهن بيض مكنون يعني محصون لم تمسه الايدي وقال السدي البيض في عشه مكنون وقال سعيد بن جبير كأنهن بيض مكنون يعني بطن البيض وقال عطاء الخراساني هو السحاح الذي يكون بين قشرة العلياء ولباب البيضة وقال السدي كأنهن بيض مكنون يقول بياض البيض حين ينزع قشره واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العلياء عسجها جناح الطير والعش وتناها الايدي بخلاف داخلها والله أعلم وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصدفي الدمياطي عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام عن (٢٥١) الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت

قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل حور عين قال العين ضخم العينون شفر الحوراء مثل جناح النسرة قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل كأنهن بيض مكنون قال رقتهم من كركرة الجلدة التي رأسها في داخل البيضة التي تلي القشر وهي الفرق وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان النهدي حدثنا عبد السلام بن جندب عن ابيث عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا حزنوا وانا شفيعهم اذا حسبوا والحمد لله يومئذ يدي وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجل ولا نفر يطوف على آف خادم كأنهن البيض المكنون أو اللؤلؤ المكنون والله تعالى أعلم بالصواب (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل من هم انى كان لى قرين يقول أئنث لمن المصدقين أئنثنا وكثرتا وعظما أئنث المدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه فى سواء

والطول أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فخطه أطول فافاده أبو السعود والمعنى انه اذا مسه الشتر تضرع الى الله واستغاث به ان يكشف عنه ما نزل به واستكثر من ذلك فذكره في الشدة ونسبه في الرخاء واستغاث به عند نزول النعمة وتركه عند حصول النعمة وهذا صنيع الكافرين ومن كان غير ثابت القدم من المسلمين قال الشهاب فان قلت كونه يدعود عا طوبى لاعر يضاني وصفه قبله ذبا بأنه يؤس قنوط لان الدعاء فرغ الطمع والرجاء وقد اعتبر في القنوط ظهوراً أثر اليأس فظهور ما يدل على الرجاء بأباه قلت يمكن دفع المناقاة بجملة على عدم اتحاد الاوقات والاحوال انتهى أو جعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حتى عنه اليأس والقنوط وأشأن الكل فى بعض الاوقات ذكره أبو السعود ثم رجع سبحانه الى مخاطبة الكفار ومحاقتهم فقال (قل أرايتم أى أخبروني عن حالتكم العجيبة واستعمال أرايتم بمعنى الاخبار مجازاً ووجه المجازة لما كان العلم بالشيء سبباً للاخبار عنه أو الابصار به طريقاً الى الاحاطة به علماً والى صحة الاخبار عنه استعملت الصيغة التى اطلب العلم أو اطلب الابصار فى طلب الخبر لا اشتراكهما فى الطلب ففيه مجازان استعمال رأى التى بمعنى علم أو أبصر فى الاخبار واستعمال الهدزة التى هى لطلب الرؤية فى طلب الاخبار قاله الشهاب (ان كان) القرآن (من عند الله) كما قلت (ثم كفرتم به) أى كذبتم به ولم تقبلوه ولا علمتم بما فيه (من أفضل ممن هو فى شقاق) خلاف (بعيد) عن الحق أى لأحد أفضل منكم لفرط شقاوتكم وشدة عداوتكم ولا يصل أى شئ أفضل منكم فوضع من هو فى شقاق موضع الضمير لبيان حالهم فى المشاققة وانها السبب الاعظم فى ضلالهم (سرتهم آياتنا) أى دلالات صدق القرآن وعلامات كونه من عند الله (فى الآفاق) جمع أفق بضم الهمزة والفاء كذا قال أهل اللغة كأعناق وعنق وهو الناحية ونقل الراغب انه يقال أفق بفتحهما كجبل وأجبال والمعنى سرتهم آياتنا فى النواحي على ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحوادث الآتية وآثار التوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه حارق للعادة وقال القرطبي أى علامات وحدانيتها وقدرتنا فى الآفاق بمعنى خراب منازل الامم الماضية وربوع القرون الخالية (وفى أنفسهم) قال ابن زيد فى الآفاق آيات السماء

الجحيم قال تالله ان كدت لتردن ولو لولا نعمه ربى لكنت من المحضرين أفانحن يممين الاموتتنا الاولى وما نحن بعبدين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون) يخبر تعالى عن أهل الجنة انه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أى عن احوالهم وكيف كانوا فى الدنيا وماذا كانوا يفعلون فيها وذلك من حديثهم على شرايبهم واجتماعهم فى تنادهم ومعاشرتهم فى مجالسهم وهم جالوس على السرر والخدم بين أيديهم يسعون ويحبون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قائل منهم انى كان لى قرين قال مجاهد يعنى شيطاناً وقال العوفي عن ابن عباس رضى

الله عنهم ما هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس رضي الله عنهم فان الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ويكون من الانس فيقول كلاما تسمعه الاذنان وكلاهما يتعاونان قال الله تعالى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وكل منهم ما يوسوس كما قال الله عز وجل من شر الوساوس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ولهذا قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أنك لى المصدقين أى أنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يعنى يقول ذلك على وجهه (٢٥٢) التعجب والتكذيب والاستبعاد والكفر والعناد أثناء تناوكا

ترايا وعظما أئنا لمدينون قال مجاهد والسدى لمخاسبون وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد ابن كعب القرظى لمجزينون بأعمالنا وكلاهما صحيح قال تعالى هل أنتم مطعون أى مشرفون يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة فاطلع فرآه في سواء الجحيم قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعد بن جبير وخليد العصرى وقادة والسدى وعطاء الخراسانى يعنى في وسط الجحيم وقال الحسن البصرى في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد وقال قتادة ذكركنا انه اطلع فرأى جماجم القوم تغلى وذكركنا ان كعب الاحبار قال في الجنة كوى اذا أراد أحد من أهلها ان ينظر الى عذوبة في النار اطلع فيها فازداد شكرا قال تالله ان كدت لتردين يقول المؤمن مخاطبا للكافر والله ان كدت لتهلكنى لو أظعتك ولولا نعمة ربى لكدت من المحضرين أى ولولا فضل الله على كذبت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت محضر معن في العذاب ولكنه تنفضل على ورحنى فهدانى للإيمان وأرشدنى

وفي أنفسهم حوادث الارض وقال مجاهد في الافاق فتح القرى التي يسر الله فتحها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية المغرب خصوصا من الفتح التي لم تيسر مثلها الا احد من خلفاء الارض قبلهم أو من الظهور على الجبارة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم ونسليط ضعفائهم على اقويائهم واجرائهم على أيديهم أمورا خارجة عن العهود خارقة للعادة وفي أنفسهم فتح مكة ورحم هذا ابن جرير واختاره المنهال بن عمرو والسدى وقال قتادة والضالك في الافاق وقائع الله في الامم وفي أنفسهم في يوم بدر وقال عطاء في الافاق يعنى أقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والعدو والبرق والصواعق والنبات والاشجار والجبال والبحار وغير ذلك وفي أنفسهم من اطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى في سبيل الغائط والبول فان الرجل يأكل ويشرب من مكان واحد ويتميز ذلك خارجا من مكانين وحتى في عينية اللتين ينظر بهما من الارض الى السماء مسيرة خمسمائة عام وفي أذنيه اللتين يذوق بهما بين الاصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله تعالى فيه فان قيل قوله سببهم الخ يقتضى انه الى الان ما اطلعهم على تلك الآيات وسيطلعهم عليها بعد ذلك مع ان الآيات المذكورة قد اطلعوا عليها وهي منهم نصب العين والجواب ان المراد على هذا سببهم أسرار آيات الخ فالآيات وان اطلعوا عليها بالفعل لكن سرها وحكمتها لم يطلعوا عليها قاله الكرخى وعن ابن جرير في الآية قال أمسك المطر عن الارض كلها وفي أنفسهم قال البلايا التي تكون في أجسامهم وقال ابن عباس كانوا يسافرون فيرون آثارا عاد ووثق يقولون والله لقد صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما أراهم في أنفسهم قال الامراض وقيل في كونهم نطفة الى غير ذلك من انتقال أحوالهم كما تقدم في سورة المؤمنين بيانه (حتى يتبين لهم آند الحق) الضمير راجع الى القرآن وقيل الى الاسلام الذي جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الى ما يريهم الله ويفعل من ذلك وقيل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه الرسول الحق من عند الله والاولى وقد حرف الوجودية هذه الآية الكريمة بحملها على اتحاد الخلق والخالق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) الجملة مستأنفة لتوبيخهم وتقريعهم على ترددهم في شأن

القرآن

الى توحيدهم وما كالتهمى لولا ان هدانا الله وقوله تعالى أفنا نحن عبيد الاموات

الاولى وما نحن بعبدين هذا من كلام المؤمن مغبطا نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والاقامة في دار الكرامة بلاموت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل ان هذا الهوان والظلم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهري حدثنا حنيفة بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تبارك وتعالى لاهل الجنة كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله عز وجل هنيئا أى لا يموتون فيها فعندنا قالوا أفنا نحن عبيد الاموات

الاولى وما نحن بمعدين وقال الحسن البصرى علما وان كل نعيم فان الموت يقطعه فتعالوا انما نحن بميسر الاموتنا الاولى وما نحن بمعدين قيل لا قالوا ان هذا هو النور العظيم وقوله جل جلاله لئلا يظلم احدكم الا ظم لنفسه ولا يظلم احدكم الا ظم لنفسه ولا يظلم احدكم الا ظم لنفسه ولا يظلم احدكم الا ظم لنفسه وقال ابن جرير هو من كلام الله تعالى ومعناه لئلا يظلم احدكم الا ظم لنفسه ولا يظلم احدكم الا ظم لنفسه ولا يظلم احدكم الا ظم لنفسه ولا يظلم احدكم الا ظم لنفسه ذكر واقصة رجلين كانا شريكين في بنى اسرا بل تدخل في ضمن عموم هذه الآية الكريمة قال ابو جعفر ابن جرير حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن السهمي حدثنا عتاب بن بشير عن خفيف عن فرات بن (٢٥٣) ثعلبة النهراي في قوله انى كان لى قرين

قال ان رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانمائة آلف دينار وكان احدهما له حرفة والاخر ليس له حرفة فقال الذى له حرفة للاخر ليس عندك حرفة ما اراى الا مفارقك ومفارقة ففاسمه وفارقه ثم ان الرجل اشترى دارا بالآلف دينار كانت ملك مات فدعا صاحبه فاراه فقال كيف ترى هذه الدار اتبعها بالآلف دينار قال ما احسنها فلما خرج قال اللهم ان احبى هذا فادناك هذه الدار بالآلف دينار وانى اسألك دارا من دور الجنة فتصدق بالآلف دينار ثم مكث ما شاء الله تعالى ان يمكث ثم انه تزوج بامرأة بالآلف دينار فدعاها ووضع له طعاما فلما اتاه قال انى تزوجت هذه المرأة بالآلف دينار قال ما احسن هذا فلما انصرف قال يارب ان صاحبي تزوج امرأة بالآلف دينار وانى اسألك امرأة من الحور العين فتصدق بالآلف دينار ثم انه مكث ما شاء الله تعالى ان يمكث ثم اشترى بستانين بالآلف دينار فدعاها بآراء فقال انى اتبع هذين البستانين بالآلف دينار فقال ما احسن هذا فلما خرج قال يارب ان صاحبي قد

القرآن وعنادهم المحوج الى ايراد الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والمعنى اولم بغتهم ولم يكفهم عن الآيات الموعودة المبنية لحقيقة القرآن انه سبحانه شهيده على جميع الاشياء وقيل المعنى اولم يكف بربك يا محمد انه شاهد على اعمال الكفار والباة زائدة وهذا هو الراجح وقيل اولم يكف بربك شاهد على ان القرآن منزل من عنده والشهيد بمعنى العالم وهو معنى الشهادة التى هى الحضور قال الزجاج ومعنى الكناية ههنا ان الله عز وجل قد بين لهم ما فيه كناية في الدلالة والمعنى اولم يكف بربك انه على كل شى شهيد شاهد للاشياء لا يغيب عنه شى ما (الانهم في مرتبة من لقاء ربهم) أى فى شك من البعث والحساب والثواب والعقاب (الان الله تعالى بكل شى محيط) أحاط علمه بجميع المعلومات وأحاطت قدرته بجميع المتدورات يقال أحاط يحيط أحاطة وحيطه وفى هذا وعبد شديد لان من أحاط بكل شى لا يخفى عليه شى جازى الحسن باحسانه والمسى باسائه

* (سورة الشورى وتسمى سورة حم عسق وسورة شورى من غير آلف ولا م وسورة حم سق (١) وهى ثلاث وخمسون آية)*

وهى مكية كلها قاله ابن عباس وابن الزبير وكذا قال الحسن وعكرمة وعطاء وجرير وروى عن ابن عباس وقتادة انها مكية الأربع آيات منها نزلت بالمدينة قل لا أسألكم عليه أجر الا المودة فى القربى الى آخرها وقد اخرج ابن جرير وابن ابى حاتم ونعيم بن حماد والخطيب عن اربعة من المتقدمين فى بيان معنى حم عسق وهو حديث لا يصح ولا يثبت وسأظنه الامن الموضوعات المكذوبات والحامل لوضعه عليه ما يقع لكثير من الناس من عداوة الدول والحظ من شأنهم والازراء عليهم وكذا ما اخرجهم ابو يعلى وابن عساکر عن ابى معاوية قال السبوطى بسند ضعيف وقلت بل بسند موضوع ومتن مكذوب وقد قال ابن كثير فى الحديث الاول انه غريب بعبى منكر وفى الثانى انه غريب من الاول وعندى انها موضوعان مكذوبان

(بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق) قد تقدم الكلام فى اسئال هذه النواحي قال عبد المؤمن سألت الحسن (٢) بن الفضل لم قطع حم من عسق ولم يقطع كهي بعض فقال لانها بين سوراً ولها حم فخرت بحرى نظارها قبلها وبعدها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولانها

اشترى بستانين بالآلف دينار وأنا سألك بستانين فى الجنة فتصدق بالآلف دينار ثم ان المالك انما هاهنا وفاهما ثم انطلق بهذا المتصدق فادخله دار اتجبه واذا بامرأة تطلع بضى ما تحتها من حسنها ثم ادخله بستانين وشيا الله به علم ففان عند ذلك ما شبه هذا رجل كان من امره كذا وكذا قال فانه ذاك هذا المنزل والبستانان والمرأة قال فانه كان لى صاحب يقول انك لمن المصدقين قيل له فانه فى الخيم قال هل انتم مطلعون فاطلع فراه فى سواء الخيم فقال عند ذلك تالله ان كدت لتردين ولو لانه ربي ليكنت من المحضرين الآيات قال ابن جرير وهذا يتقوى قراءة من قرأ انك لمن المصدقين بالتشديد وقال ابن ابي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمر بن (١) قوله حم سق كذا بالاصل وانظر وحرر (٢) وفى نسخة حسين بن الفضل ٥١ منه

عبد الرحمن البار أخبرنا أبو حفص قال سألت اسمعيل السدي عن هذه الآية قال قال فاعلم منهم اني كان لي قرين يقول أنتك لمن
 المسدقين قال فقال لي ما ذكرك هذا قلت قد رأته أنفاً فحيت أن أسألك عنه فقال أما فاحفظ كان شريكاً في بني اسرائيل
 أحدهما مؤمن والآخر كافر فاقترا على ستة آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار فكلما شاء الله تعالى ان يمكثا ثم
 التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به شيئاً تجرت به في شيء فقال له المؤمن لا فاصتعت انت فقال اشترت به ارضاً
 وتخلوا وغارا وأنها رأيا بألف دينار قال فقال (٢٥٤) له المؤمن او فعلت قال نعم قال فرجع المؤمن حتى اذا كان الليل صلى ماشاء

الله تعالى أن يصلي فلما انصرف اخذ
 الف دينار فوضعهما بين يديه ثم قال
 اللهم ان فلانا يعني شريكه الكافر
 اشترى ارضاً وتخلوا وغارا وانها رأيا
 بألف دينار ثم يموت غداً ويتركها
 اللهم اني اشترت منك بهذه الاف
 دينار ارضاً وتخلوا وغارا وانها رأيا
 الجنة قال ثم أصبح فقسمها في
 المساكين قال ثم يمكثا ماشاء الله
 تعالى ان يمكثا ثم التقيا فقال الكافر
 للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت
 به في شيء تجرت به في شيء قال لا قال
 فما صنعت أنت قال كان ضيعتي قد
 اشتمت على مؤنتها فاشترت رقيقاً
 بألف دينار يقومون لي فيها ويعملون
 لي فيها فقال له المؤمن ان فعلت
 قال نعم قال فرجع المؤمن حتى
 اذا كان الليل صلى ماشاء الله
 تعالى ان يصلي فلما انصرف اخذ
 ألف دينار فوضعهما بين يديه ثم قال
 اللهم ان فلانا يعني شريكه الكافر
 اشترى رقيقاً من رقيق الدنيا بألف
 دينار يموت غداً فيتركهم أو يموتون
 فيموت كونه اللهم وانى اشترى منك
 بهذه الاف الدينار رقيقاً في الجنة
 قال ثم أصبح فقسمها في المساكين
 قال ثم يمكثا ماشاء الله تعالى ان يمكثا

عدنا آيتين وعدت اخواتهما مثل كهيعصر والمر والمصر آية واحدة وقيل ان الحروف
 المجهة كلها في المعنى واحد من حيث انها أس البیان وقاعدة الكلام ذكره الجرجاني
 وقيل لان اهل التأويل لم يختلفوا في كهيعصر واخواتها انها حروف التهجي لا غير
 واختلفوا في حم فقيل معناها حم أي قضى ما هو كائن ففصلوا بين ما يقدر فيه فعل وبين
 ما لا يقدر وقيل ان ح حم لهموم مجده ومع علمه وس سناؤه وق قدرته أقسم الله بها
 وقيل هما اسمان للسورة وقيل اسم واحد لها وقيل غير ذلك ما هو متكاف ومعتسف لم
 يدل عليه دليل ولا جاءت به حجة ولا شبهة وقد ذكرنا قبل هذا ما روي في ذلك مما لا اصل له
 والحق ما قدمناه لك في فاتحة سورة البقرة (كذلك) كلام مستأنف غير متعلق بما قبله أي
 مثل ذلك الايجاء الذي أوحى الى سائر الرسل من كتب الله المنزل عليهم المشتملة على الدعوة
 الى التوحيد والنبوة والبعث وهذا هو وجه المشابهة (يوحى اليك) يا محمد في هذه السورة
 وقيل ان حم عسق أوحيت الى من قبل من الانبياء فتكون الاشارة بقوله كذلك اليها
 والاولى (والى الذين من قبلك) أي الى الرسل (الله) كانه قيل من يوحى فقال الله
 (العزيز) في ملكه الغالب بتعريفه (الحكيم) يصنعه المصيب في قوله وفعله (له ما في السموات
 وما في الارض) ذكر سبحانه لنفسه هذا الوصف وهو ملك جميع ما فيها ما دلالاته على كمال
 قدرته ونوره وتصرفه في جميع مخلوقاته (وهو العلي) ذاته وشأنه على خلقه (العظيم) الكبير
 مكانه وبرهانه (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) قرأ الجمهور وتكاد بالفوقية وكذلك
 تتفطرن قرؤه بالفوقية مع تشديد الطاء وقرأ اذع والكسائي وابن وثاب يكاد يتفطرن
 بالتحسية فيهما وقرأ ابو عمرو والمفضل وأبو بكر وأبو عبيد يتفطرن بالنون من الانفطار كقوله
 تعالى اذ السماء انفطرت والتفطر الشفق قال الضحاك والسدي يتفطرن يتشفقن من
 عظمة الله وجلاله وقيل المعنى يكاد يكل واحدة نها يتفطر فوق التي تليها من قول
 المشركين اتخذ الله ولداً وقيل معنى من فوقهن من فوق الارضين والاولى وقيل
 يتشفقن لكثرة ما على السموات من الملائكة وقيل يكدن يتفطرن من علوشان الله
 وعظمته ويدل مجيئه بعد قوله العلي العظيم ومن لا بداء الغاية أي يتبدى التفطرن من
 جهة النوق وقال الاخفش الصغير ان الضمير يعود الى جماعات الكفار أي من فوقهم
 وهو يعبد جداد وجه تخصيص جهة النوق انها أقرب الى الآيات العظيمة والمصنوعات

ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به في شيء تجرت به في شيء قال لا فاصتعت أنت قال
 الباهرة كان امرى كله قد تم الاشياء واحداً فلانة قد مات عنها زوجها فاصدقتها ألف دينار فباعها وتبها ومنه ما بها فقال له المؤمن ان فعلت
 قال نعم قال فرجع المؤمن حتى اذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى ان يصلي فلما انصرف اخذ الاف الدينار الباقية فوضعهما بين يديه
 وقال اللهم ان فلانا يعني شريكه الكافر تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار فموت غداً فيتركها أو تزوت غداً فتركة اللهم وانى
 أخطب اليك بهذه الاف الدينار حورا عينها في الجنة قال ثم أصبح فقسمها بين المساكين قال فبقي المؤمن ليس عنده شيء قال

فلبس قيصا من قطن وكسا من صوف ثم أخذ مر الجعل على رقبته يعمل الشيء ويحفر الشيء بقونه قال جاءه رجل فقال يا عبد الله أتوأجرني نفسك مشاهرة شهر اشهر تقوم على دوابك تغلفها وتكس سرقينها قال أفعل قال فواجره نفسه مشاهرة شهرها بشهر يقوم على دوابه قال وكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر الى دوابه فاذا رأى منها دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له سرت شعير هذه البارحة قال فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال لا تمشي شر يبي الكافر فلا عملن في أرضه فلبط معني هذه الكسرة يوم ما يوم ويكسوفى هذين النوبين اذا بلبا قال فانطلق (٢٥٥) يريده فانهى الى باب وهو مسم فاذا قصر

مشيد في السماء واذا حوله البوابون فقال لهم استأذنوا لي على صاحب هذا القصر فانكم اذا فعلتم سره ذلك فقالوا له انطلق ان كنت صادق فافتم في ناحية فاذا أصبحت فتمرض له قال فانطلق المؤمن فالتقى نصف كسائه تحته ونصفه فوقه ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فتمرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصاحفه ثم قال له ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت قال بل قال وهذه حالي وهذه حالك قال بنى قال أخبرني ما صنعت في مالك قال لا تسألني عنه قال فما جاء بك قال جئت أعمل في أرضك هذه فتمرض معني هذه الكسرة يوم ما يوم ويكسوفى هذين النوبين اذا بلبا قال لا ولكن أصنع لك ما هو خير من هذا ولكن لا ترى مني خيرا حتى تخبرني ما صنعت في مالك قال أقرضته قال من قال الملى الوفي قال من قال الله ربى قال وهو وصاحفه فانترع يده من يده ثم قال أتيتك من المصدقين أنذا متنا وكاترا باوعظا ما أتيتك من قال السدى محاسبون قال فانطلق الكافر وتركه قال فلما رآه المؤمن وليس يلوى عليه رجع

الباهرة وعلى طريق المسالفة كأن كلمة الكفار مع كونها جاءت من جهة التخت أثرت في جهة الفوق فتأثيرها في جهة التخت بالاولى (والملائكة يسبحون بحمدهم) كلام مستأنف أى ينزهونه عمال باليقين ولا يجوز عليه متلبسين بحمده وقيل ان التسبيح موضوع موضع التعجب أى يتعجبون من جرة المشركين على الله وقيل المعنى يصلون بأمر ربهم قاله السدى (ويستغفرون) أى يشفعون (لمن في الارض) من عباد الله المؤمنين كما في قوله ويستغفرون للذين آمنوا أو يطلبون هدايتهم وقيل الاستغفار منهم بمعنى السعي فيما يستدعى المغفرة لهم وتأخير عقوبتهم طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق فتكون الآية عامة كما هو ظاهر اللفظ غير خاصة بالمؤمنين وان كانوا اذلين فيما دخولا اوليا واليه ذهب البيضاوى بل ولو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع لهم الحيوان بل الجهاد قال الضحاك لمن في الارض من المؤمنين وقال السدى يابنه في سورة المؤمنين ويستغفرون للذين آمنوا وعلى هذا يكون المراد بالملائكة هنا جله العرش وقيل جميع الملائكة وهو الظاهر من قول الكلبي وقيل هو منسوخ بقوله ويستغفرون للذين آمنوا وقال المهدوى والصحيح انه ليس بمنسوخ لانه خبر وهو خاص بالمؤمنين وقال أبو الحسن بن الحصار ان جله العرش مخصوصون بالاستغفار للمؤمنين والله ملائكة آخر يستغفرون لمن في الارض قال الماوردى وفي استغفارهم لهم قولان أحدهما من الذنوب والخطايا وهو ظاهر قول مقاتل والثانى انه طلب الرزق لهم والسعة عليهم قاله الكلبي وهو الاظهر لان من في الارض بعم الكافر وغيره وعلى قول مقاتل لا يدخل الكافر وقال مطرف وجدنا أن أصبح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا غش عباد الله لعباد الله الشياطين (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) أى كثير المغفرة والرحمة لاهل طاعته وأولياؤه أو لجميع عباده فان تأخير عقوبة الكفار والعصاة نوع من أنواع مغفرته ورحمته (والذين اتخذوا من دونه أولياء) أى أصناما يعبدونها وجعلوا له شركاء وأنادا (الله حفيظ عليهم) أى يحفظ أعمالهم لا يغيب عنه منها شئ ليجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) أى لم يؤمركم بهم حتى تؤاخذهم ولا وكل اليك هدايتهم وانما عليك البلاغ وقيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف (وكذلك الايحاء البديع المبين المنهم) (أو حينئذ اليك) أى أنزلنا عليك (قرأ ناعربيا) بلسان قومك لاليس فيه عليك ولا على قومك كما أرسلنا كل

وتركه يعيش المؤمن في شدة من الزمان ويعيش الكافر في رخا من الزمان قال فاذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فاذا هو بارض ونخل وثمار وانها رقيق قول لمن هذا فيقال هذا لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملى ان أناب بمثل هذا قال ثم يمر فاذا هو برقيق لا تحصي عدتهم فيقول لمن هذا فيقال هؤلاء لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملى ان أناب بمثل هذا قال ثم يمر فاذا هو برقيقه من ياقوته جمرات محبوبة فيها حورا عينا فيقول لمن هذه فيقال هذه لك فيقول يا سبحان الله أو بلغ من فضل عملى ان أناب بمثل هذا قال ثم يمر كرام المؤمن شريكه الكافر فيقول انى كان لى قرين يقول أتيتك من المصدقين أنذا متنا وكاترا با

وعطاما أئنا المدنون قال فالجنة عالية والنارهاوية قال فبإيه الله تعالى شر بيك في وسط الجحيم من بين أهل النار فإذا رآه المؤمن عرفه فيقول تالله ان كنت لتردين ولولا نعمه ربى لكنت من المحضرين أفما نحن بعيتين الاموتنا الاولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون بمثل ما قدم عليه قال فيسند كرام المؤمن ما تر عليه في الدنيا من الشدة لا يذكريهم صر عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت (أذلك خير من لا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلوعها كأن رؤس الشياطين فانهم (٢٥٦) لا تكون منها فخالون منها البطون ثم ان لهم عليها شويبا من جيم ثم

ان مر جمعهم لالى الجحيم انهم ألنوا آباءهم ضالين فهم على آثامهم يهرعون) يقول الله تعالى أهدنا الذى ذكره من نعم الجنة وما فيها من ما كل ومشارب وما كسح وغير ذلك من الملاذخ خريصة وعطاء أم شجرة الزقوم أى التى فى جهنم وقد مثل ان يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم من انها شجرة تتدفق وعوا الى جميع محال جهنم كما ان شجرة طوبى ما من دار فى الجنة الا وفيها منها عصف وقد يحتل ان يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين يعنى الزيتون ويؤيد ذلك قوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لا تكون من شجر من زقوم وقوله عز وجل انا جعلناها فتنة للظالمين قال قتادة ذكرت شجرة الزقوم فاقمت بها أهل الضلالة وقالوا صاحبكم ينبتكم ان فى النار شجرة والنار تأكل الشجر فأنزل الله تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم غذيت من النار ومنها خلقت وقال مجاهد انا جعلناها فتنة للظالمين

رسول بلسان قومه (تندرام القرى) أى مكة والمراد أهلها (ومن حولها) من الناس والمنعول الثانى محذوف أى تندرهم العذاب (وتندريوم الجمع) أى يوم الجمع وهو يوم القيامة لانه مجمع الخلائق وقيل المراد جمع الارواح بالاجساد وقيل جمع الظالم والمظلوم وقيل جمع العامل والعمل (لا ريب فيه) أى لا شك فيه والجملة معترضة مقررة لما قبلها أو حال من يوم الجمع (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) قرأ الجمهور بر رفع فريق فى الموضعين اما على انه مبتدأ وخبره الجار الجور وساغ الابتداء بالكسرة لان المقام مقام تفصيل أو على ان الخبر مقدر قبله أى منهم فريق فى الجنة ومنهم فريق فى السعير أو انه خبر مبتدأ محذوف وهو خبر عائد الى الجنوعين المدلول عليهم بكرا لجمع أى هم فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقرئ فريقا بالنصب فى الموضعين على الحال من جملة محذوفة أى افترقوا حال كونهم كذلك وأجاز الفراء والكسائى النصب على تقدير لتندريوم بقا وقد أخرج الترمذى وصححه وأحمد والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى يده كتاب فقال أتدرون ما هذا ان الكتابان قلنا لا الا ان تجزينا يا رسول الله قال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة واسماء آباءهم وقبايلهم ثم أجعل على شملها هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل النار واسماء آباءهم وقبايلهم ثم أجعل على آخرهم فلا يراذفهم ولا ينقص منهم أبدا فقال أصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان أمر قد فرغ منه فقال سدودا وقار بوا فان صاحب الجنة يختتم له بعمل أهل الجنة وان عمل أهل النار يختتم له بعمل أهل النار وان عمل أى عمل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه فقبضهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق فى الجنة وفريق فى السعير قال الترمذى بعد اخر اجبه هذا حديث حسن صحيح غريب وروى ابن جرير طر فامنه عن ابن عمرو موقوفا عليه قال ابن جرير وهو هذا الموقف أشبه بالصواب قلت بل المرفوع أشبه بالصواب فقد رفته النقة ورفعه زيادة ثابتة من وجه صحيح ويقوى الرفع ما أخرجه ابن مردويه عن البراء قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفى يده كتاب ينظر فيه قالوا انظروا اليه كيف وهو أى لا يقرأ قال فعلمها (١) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة واسماء قبائلهم لا يراذفهم

قال أبو جهل لعنه الله انما الزقوم التمر والزيد أثره قلت ومعنى الآية انما اخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارا ولا لتبريه الناس من يصدق منهم من يكذب كقوله تبارك وتعالى وما جعلنا الرؤيا التى أرى نالك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونحو فهم فايز يدهم الاطعيا نا كبيرا وقوله تعالى انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم أى أصل منبتها فى قرار النار طلعها كأنه رؤس الشياطين تبشيع لها وتكرها لذكراها قال وهب بن منبه شعورا للشياطين فأنعمت الى السماء وانما شجرها برؤس الشياطين وان لم تكن معروفة عند المخاطبين لانه قد استقر فى النفوس ان الشياطين قبيحة المنظر وقيل المراد بذلك ضرب من الحياة رؤسها (١) اى المقالة وهى المذكورة فى ضمن قالوا اه منه

آن هكذا اتلاقادة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوي وقال السدي في قراءة عبد الله رضي الله عنه ثم ان مقيلهم لالى الجحيم وكان عبد الله رضي الله عنه يقول والذي نفسي بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقروا وأحسن مقيلاروروى الثوري عن مسيرة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه قال لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء قال سفيان أراه ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خيرا مستقروا وأحسن مقيلاروروى الثوري عن مسيرة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه ثم ان مقيلهم لالى (٢٥٨) الجحيم قلت على هذا التفسير تكون ثم عاطفة بخبر على خبر وقوله تعالى

وذكره المحلى وقال من الدين وغيره والغير كالحصومات في الدنيا والاول أولى اذ لا يلزم ان تكون بينهم وبين الكفرة ولا يقال في مثلها الحكم الى الله افاده الشهاب وقال مقاتل ان أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن وآمن به بعضهم فنزلت هذه الآية والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ويمكن ان يقال ان معنى حكمه الى الله انه مردود الى كتابه فانه قد اشتمل على الحكم بين عباده فيما يختلِفون فيه فتمكون الآية عامة في كل اختلاف يتعلق بأمر الدين انه مردود الى كتاب الله ومثله قوله وان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول وقد حكم سبحانه بالدين هو الاسلام وان القرآن حق وان المؤمنين في الجنة والكافرين في النار ولكن لما كان الكفار لا يدعون لكون ذلك حقا الا في الدار الآخرة وعندهم الله بذلك يوم القيامة وقيل تحا كوافيه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان حكمه حكم الله ولا تؤثر احكامه غيره على حكمه (ذلكم) مبتدأ أي الحكيم العظيم الشأن بهذا الحكم (الله) خبر أول (رب) خبر ثان (عليه توكلت) خبر ثالث أي اعتمدت عليه في جميع أمورى لاعلى غيره وفوضته في كل شؤنى (وإليه) لاى غيره (أنيب) أي ارجع في كل شئ يعرض لي وهذا خبر رابع (فاطر السموات والارض) الفاطر الخالق المبدع وقد تقدم تحقيقه وهذا خبر خامس وأبستدأ وخبره ما بعده وأنعت لربى لان الاضافة محضة ويكون عامه توكلت وإليه أنيب معترضا بين الصفة والموصوف وقرأ زيد بن علي قاطر بالجر على انه نعت للاسم الشريف في قوله الى الله وما بينهما اعتراض أو بدل من الهاء في عليه وإليه وأجاز الكسائي النصب على النداء وأجاز غيره على المدح (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) خبر سادس أي خلق لكم من جنسكم نساء أو المراد حوى لكونها خلقت من ضلع آدم وقال مجاهد نساء الانعام (ومن الانعام أزواجا) أي خلق لها من جنسها اناثا وخلق لكم من الانعام أصنافا من الذكور والاناث وهي الثمانية التي ذكرها في الانعام (يذروكم فيه) أي ييشكم من الذرة وهو البث أو يخلقكم ويشكم والضم يرف يذروكم للمخاطبين والانعام الا انه غلب عليه العقلاء قال الزمخشري وهي من الاحكام ذات العلتين قال الشيخ وهو اصطلاح غريب والمعنى ان الخطاب يقلب على الغيبة اذا اجتمعوا وضمير فيه راجع الى الجعل المدلول عليه بالفعل أو للمخلوق وقيل راجع الى ما ذكر من التدبير وقال القراء والزجاج وابن كيسان معنى

انهم ألّفوا آباءهم ضالين أي انما جازيناهم بذلك لانهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان ولهذا قال فهم على آثارهم يهرعون قال مجاهد شبهه بالهرولة وقال سعيد بن جبير يستهون (ولقد صل قبلهم أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم من نذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الاعباد الله المخلصين) يخبر تعالى عن الامم الماضين ان أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى وذكّر تعالى انه أرسل فيهم من نذرين يذرون بأس الله ويحذرونهم سطوته وتقمته بمن كفر به وعبد غيره وانهم تمادوا على مخالفة رسالهم وتكذيبهم فأهانت المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظنرهم ولهذا قال تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الاعباد الله المخلصين (ولقد نادانا نوح فلنعم نجيبون ونجيناها وأهلها من الكرب العظيم وجعلنا ذريتهم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبدانا

المؤمنين ثم أعزقنا الآخرين) لما ذكر تعالى عن أكثر الاولين انهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفسلا فذكر نوحا عليه الصلاة والسلام وما اتى من قومه من التكذيب وانهم لم يؤمن منهم الا القليل مع طول المدة لبث فيهم أتم سنة الانجسين عاما فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم وكلما دعاهم اذادوا وفرقة فدعا ربه انى مغلوب فانتصر فغضب الله تعالى لغضبه عليهم ولهذا قال عز وجل ولقد نادانا نوح فلنعم نجيبون أي فلنعم الجيبون له ونجيناها وأهلها من الكرب العظيم وهو التكذيب والاذى وجعلنا ذريتهم الباقين قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يقول لم تبق الاذرية نوح عليه

يذروكم

السلام وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تبارك وتعالى وجعلنا ذرية نوح عليه السلام وقدرى الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد بن بشر عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وجعلنا ذرية نوح عليه وسلم قال سام وأبوتهم وقال الامام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد بن قتادة عن الحسن عن سمرة رضى الله عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال سام أبو العرب رحام أبو الحبش ويافت أبو الروم ورواه الترمذى عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد وهو الحافظ (٢٥٩) أبو عمر بن عبد البر وقدرى عن عمران بن

حصين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله والمراد بالروم ههناهم الروم الاول وهم اليونان المنتسبون الى رومي بن ليث بن يونان بن يافت بن نوح عليه السلام ثم روى من حديث اسمعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال ولد نوح عليه السلام ثلاثة سام ويافت وحام وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم وولد يافت الترك والعمانية وياجوج وماجوج وولد حام القبط والسودان والبربر وروى عن وهب بن منبه نحو هذا والله اعلم وقوله تبارك وتعالى وتركنا عليه في الاخرين قال ابن عباس رضى الله عنهما يذخر وقال مجاهد يعنى لسان صدق للانبياء كلهم وقال قتادة والسدى ابقى الله عليه الثناء الحسن في الاخرين قال الغضائى السلام والثناء الحسن وقوله تعالى سلام على نوح في العالمين مفسر لما ابقى عليه من الذكرا الجميل والثناء الحسن انه يسلم عليه في جميع الطوائف

يذروكم فيه يكثر كم به أى يكثر كم يجعلكم أروا وبالان ذلك سبب النسل وقال ابن قتيبة يذروكم فيه أى فى الزوج وقيل فى البطن وقيل فى الرحم (ليس كمنله شئ) خبر سابع والمراد بذكر المثل هنا المبالغة فى النبي بطريق الكتابة فانه اذا نفي عن ناسبه كان نفيه عنه أولى كقولهم من مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود وقيل ان الكاف زائدة للتوكيد لانه تعالى لا مثل له وهو المشهور عند العرب وقيل ان مثل زائدة فانه نعتل وغيره كما فى قوله فان آمنوا عمل ما آمنتم به أى بما آمنتم به وهذا ليس بجيد بل الاول أولى فان الكتابة باب مسلول للعرب ومهيج ما ألوف لهم قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلى لا يقال له هذا أى أنا لا يقال لى وقيل المراد بالمثل الصفة وذلك ان المثل بمعنى المثل والمثل الصفة كقوله مثل الجنة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شئ من الصفات التى لغيره وهو مجمل سهل قال الراغب المثل أعم الالفاظ الموضوعه للشابهة وذلك ان النذر يقال لما يشارك فى الجوهر فقط والشبهه يقال فيما يشارك فى الكيفية فقط والمساوى يقال فيما يشارك فى الكمية فقط والشكل يقال فيما يشارك فى القدر والمساحة فقط والمثل فى جميع ذلك ولهذا الما أراد الله نفي الشبهه من كل وجه خصه بالذكرا قال تعالى ليس كمنله شئ وقال أبو البقاء مرجح لزيادة الكاف انهم ألوم تكن زائدة لا تفضى ذلك الى الخيال اذ يكون المعنى ان له مثلا وليس مثل له مثل وفى ذلك تناقض لانه اذا كان له مثل فله مثل وهو هو مع ان اثبات المثل لله سبحانه محال وهذا تقرير حسن ولكنه يتدفع ما أورده بما ذكرناه من كون الكلام خارجا عن جرج الكتابة ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين فى الصفات على طريقة بيضاء واضحة ويزداد بصيرة اذا تأمل معنى قوله (وهو السميع البصير) فان هذا الاثبات بعد ذلك النبي للمائل قد اشتغل على برد اليقين وشفاء الصدور واثلاج القلوب فاقدرا يطالب الحق قدره هذه الحجة النيرة والبرهان القوى فان لا تحطم بها كثير من البدع وتمش بها رؤسا من الضلالة وترغم بها أناف طوائف من القاصرين المتكلمين والمتكلمين المتأولين ولا سيما اذا سمعت اليه قول الله سبحانه ولا يحيطون به علما فانك حينئذ قد أخذت بطريق حيل ما يسمونه علم الكلام وعلم اصول الدين

ودع عندك ما يحج في حجراته * ولكن حديث ما حديث الرواحل

والامم انا كذلك تجزى المحسنين أى هكذا تجزى من أحسن من العباد فى طاعة الله تعالى تجعل له لسان صدق يدكر به بعده بحسب مرتبته فى ذلك ثم قال تعالى انه من عبادنا المؤمنين أى المصدقين الموحدين الموقنين ثم غرقتنا الاخرين أى أهلكتهم فلم يبق منهم عين تطرف ولا ذكر ولا عين ولا أثر ولا يعرفون الابهة الصفة القبيحة (وان من شيعة لبراهيم اذ جاءه بقلب سليم اذ قال لا يبيه وقومه ماذا تعبدون أنفك آللهة دون الله تريدون فأنظركم رب العالمين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما وان من شيعة لبراهيم يقول من أهل دينه وقال مجاهد على منهاجه وسنته اذ جاءه به بقلب سليم قال ابن عباس رضى الله عنهما

يعني شهادة ان لا اله الا الله وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابو سعيد الاشج حدثنا ابواسامة عن عوف قلت لمحمد بن سيرين ما القلب السليم قال يعلم ان الله حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور وقال الحسن سليم من الشرك وقال عروة لا يكون لعانا وقوله تعالى اذ قال لايه وقومه ماذا تعبدون انكركم عليهم عبادة الاصنام والانداد ولهذا قال عز وجل انفسك اهلته دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين قال قتادة يعني ما ظنكم انه فاعل بكم اذا اقيتوه وقد عبدتم معه غيره (فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم (٢٦٠) فقال انا ما يكون ما لكم لا تنطقون فراغ عليه ضربا باليمين فاقبلوا

اليه يرفون قال انه بعدون ما نتحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنو له بنا فاقولهم في الخيم فاردوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين انما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد اذ هبوا الى عيدهم فانه كان قد اذف نروجهم الى عيدهم فاحب ان يختلي بالآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلا ما هو حق في نفس الامر فهموا منه انه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه فتولوا عنه مدبرين قال قتادة والعرب تقول لمن ينكر نظري النجوم يعني قتادة انه نظر الى السماء متفكرا فيما يليهم به فقال اني سقيم اى ضعيف فاما الحديث الذي رواه ابن جرير ههنا حدثنا ابوكريب حدثنا ابواسامة حدثني هشام عن محمد بن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله تعالى قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة هي اختي فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق

وهو السمع الخ خبر ثامن وقوله (له مقاليد السموات والارض) خبر تاسع جمع مقلاد أو متقلدا أو اقلد وهو المفتاح جمع على خلاف القياس اى مفاتيحها وأخر انهم ما والمراد المطر والنبات وغيرهما كالجواهر المستخرجة من الارض قال النحاس والذي يملك المفاتيح يملك الخزائن وقد تقدم تحقيقه في سورة الزمر ثم لما ذكر سبحانه ان يده مقاليدهما ذكر بعده البسط والقبض فقال (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) خبر عاشر اى يوسع لمن يشاء كالروم والفرس ويضيقه على من يشاء كالعرب (انه بكل شئ) من الاشياء (علم) فلا تخفى عليه خافية وأحاطة علمه بكل شئ يندرج محتمها علمه بطاعة المطيع ومعصية العاصي فهو يجازى كلابا يستحقه من خير وشر (شرح عليكم) اى بين وأوضح وسن وأظهر طريقا وانحوا وهو خبر حادى عشر (من الدين) اى ديننا ظابقت على صحته الانبياء والخطاب لامة محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ما وصى به نوحا) من التوحيد ودين الاسلام وأصول الشرائع التي لم يختلف فيها الرسل وتوافقت عليها الكتب وانما خص نوحا لانه أول الانبياء أصحاب الشرائع والمعنى قد وصينا وانا بك يا محمد دينا واحدا وقد ثبت في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في حديث الشناعة المشهور الكبير ولكن اتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض وهذا صحيح لا اشكال فيه كما ان آدم أول رسول نبى بعثه الله الى الان آدم لم يكن معه الاثوة ولم تفرض له انراض ولا شرعت له الحرام وانما كان شرعه تنبها على بعض الامور واقتصارا على ضرورات المعاش وأخذ ابو طائف الحياة والبقاء واستمر الى نوح فبعثه الله بتجريم الامهات والبنات والاخوان ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات ولم يزل ذلك يتأكد بالرسول ويتناصر بالانبياء عليهم السلام واداب بعدوا حدوشر بعة اثر شر بعة حتى ختمها بخير الملل ما تناه على لسان أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (والذى أوحينا اليك) من القرآن وشرائع الاسلام والبراءة من الشرك والتعبير عنه عند نسبتبه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالذى هو أصل الموصولات لتفخيم شأنه من تلك الخبيثة وخص ما شرعه لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالايحاء مع كون ما قبله وما بعده مذكورا بالتوصية للتصريح برسالته القامع لانكار الكفرة وفيه التفات من الغيبة الى التسكام بنون العظمة لكمال الاعتناء بالايحاء اليه وهو السر في تقدمه على ما بعده مع تقدمه

ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يدم فاعله حاشا وكلا وليا وانما أطلق الكذب على هذا يجوز وانما هو من المعارض في الكلام لمقصد شرعى دينى كما جاء في الحديث ان في المعارض لمن دوحه عن الكذب وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابن ابي عمر حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن ابي نضرة عن ابي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام الثلاث التي قال ما منها كلمة الا ما حل بها عن دين الله تعالى فقال اني سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقال للملك حين اراد امراته هي اختي قال سفيان في قوله اني سقيم يعني طعين وكانوا يفرون من

عليه

المطعون فأراد أن يخلو بهم وألهتهم وكذا قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهم في قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال انى سقيم فقالوا له وهو في بيت آلهتهم اخرج فقال انى مطعون فتركوه مخافة الطاعون وقال قتادة عن سعيد بن المسيب رأى نجماً طالع فقال انى سقيم كابدني الله وعن دينه فقال انى سقيم وقال آخرون فقال انى سقيم بالنسبة الى ما يستقبل يعنى مرض الموت وقيل أراد انى سقيم أى مريض القلب من عبادتكم الاوثان من دون الله تعالى وقال الحسن البصرى خرج قوم ابراهيم الى عيدهم فأرادوه الى الخرج فاضطجع على ظهره وقال انى سقيم وجعل يتطرى (٢٦١) السماء فلما خرجوا أقبل الى آلهتهم فكسرها

رواه ابن أبي حاتم ولهذا قال تعالى فتولوا عنه مدبرين أى الى عيدهم فراغ الى آلهتهم أى ذهب اليها بعد ما خرجوا في سرعة واختفاء فقال ألا تأكلون وذلك انهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاماً فربما لتبرك لهم فيه قال السدى دخل ابراهيم عليه السلام الى بيت الآلهة فآذاهم في هو عظيم وإذا مستقبل باب البهو صم عظيم الى جنبه أصغر منه بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو وآذاهم قد جعلوا طعاماً ووضعوه بين أيدي الآلهة وقالوا إذا كان حين نرجع وقد بركت الآلهة في طعامنا كأنه فلما نظر ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ما بين أيديهم من الطعام قال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون وقوله تعالى فراغ عليهم ضرباً باليمين قال الفرما معناه مال عليهم ضرباً باليمين وقال قتادة والجوهري فأقبل عليهم ضرباً باليمين وانما ضربهم باليمين لانها أشد وأنتكى ولهذا ذكرهم جداً الا كبير الهم لعلهم اليه يرجعون كما

عليه زماناً وتقديم توصية نوح للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً وتوجيه الخطاب اليه صلى الله عليه وآله وسلم بطريق التلوين للتشريف والتسنية على انه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) مما تطابقت عليه الشرائع وانما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكرا لانهم أكبر الانبياء وأصحاب الشرائع المعظمة والاتباع الكثيرة وأولو العزم وليل قلوب الكفرة اليهم لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفردهم اليهودى موسى والنصارى فى عيسى وكل من هؤلاء المذكورين له شرع جديد ومن عداهم من الرسل انما كان يعث بتبليغ شرع من قبله فشيث وادريس بعثا بتبليغ شرع آدم ومن بين نوح و ابراهيم وهما هود وصالح بعثا بتبليغ شرع نوح ومن بين ابراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع ابراهيم وكذا من بين موسى وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى فليست أمم ثم بين ما وصى به هؤلاء فقال (ان أقموا الدين) أى توحيد الله والايمان به وطاعة رسله وقبول شرائعه والمراد باقامته تعديل أركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمير له وقال السدى أى اعلموا به وقيل المراد سايراً ما يكون المرء باقامته سلباً ولم تدر به الشرائع فانها اختلته قال تعالى ولكل جعلنا منكم شرعة ومنها جا قال مجاهد لم يعث الله نياقظ الاوصاء باقامة الصلاة واتباع الزكاة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذى شرع لهم وقال قتادة يعنى تحليل الحلال وتحريم الحرام قال القرطبي الاصول التى لا تختلف فيها الشرائع هى التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب الى الله بصالح العمل والصدق والوفاء بالعهود وأداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذية للخلق كيفما تصورت والاعتداء على الحيوان كمنما داروا اقتحام الدنات وما يعود بخرم المروآت فهذا كله مشروع ديناً واحداً واوله واحدة لم تختلف على السنة الانبياء وان اختلفت اعداؤهم وذلك قوله تعالى ان أقموا الدين الخ ثم لما أمرهم سبحانه باقامة الدين ثم نهاهم عن الاختلاف فيه فقال (ولا تتفرقوا فيه) أى لا تختلفوا فى التوحيد والايمان بالله وطاعة رسوله وقبول شرائعه فان هذه الامور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافق فيها الاديان فلا ينبغى الخلاف فى مثلها وليس هذان من فروع المسائل التى تختلف فيها الادلة وتتعارض فيها الامارات وقباين فيها الافهام فانها من مطارح الاجتهاد ومواطن الخلاف قال

تقدم فى سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك وقوله تعالى ههنا فاقبلوا اليه يزفون وهذه القصة ههنا مختصرة وفى سورة الانبياء مبسوطه فانهم لما رجعوا ما عرفوا من أول ودله من فعل ذلك حتى كشفوا واستعملوا ففرقوا ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذى فعل ذلك فلما جاز العاتبوه أخذنى نأنيبهم وعيهم فقال أتعبدون ما تعبدون أى أتعبدون من دون الله من الاصنام ما أنتم تعبدونها وتجعلونها ايديكم والله خلقكم وما تعملون يحتمل ان تكون ما مصدرية فيكون تدير الكلام خلقكم وعملكم ويحتمل ان تكون بمعنى الذى تديره والله خلقكم والذى تعملونه وكلا القولين متلازم

والاول اظهر لما رواه البخارى في كتاب افعال العباد عن علي بن المديني عن مروان بن معاوية عن ابي مالك عن ربيعي بن حراس عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعا قال ان الله تعالى يصنع كل صانع وصنعتة وقرأ بعضهم والله خلتكم وماتعملون فعند ذلك لما قامت عليهم الحجّة عدلوا الى اخذته بالسيد القهرفرقالوا النبوا له نبيا قال القوه في الخيم وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونجاه الله من النار واطهره عليهم وأعلى حجتهم ونصرها ولهذا قال تعالى وأرادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين (وقال اني ذاهب الى ربّي سيهدين رب هب لي (٢٦٢) من الصالحين فبشرناه بسلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في

المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما أسلموا وله للبعين وناذياته ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وقد ينه بذبج عظيم وتركا عليه في الآخري سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركا عليه وعلى اسحق ومن ذريته ما محسن وظالم لنفسه مبين) يقول تعالى مخبرا عن خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من ايمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال اني ذاهب الى ربّي سيهدين رب هب لي من الصالحين يعني اولاداً مطيعين يكونون عوضاً من قومه وعشيرته الذين فارقهم قال الله تعالى فبشرناه بسلام حليم وهذا الغلام هو اسمعيل عليه السلام فانه أول ولد بشر به ابراهيم عليه السلام وهو أكبر من اسحق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل

الترطبي في الآية أي اجعلوه دائماً قائماً مستمراً محفوظاً مستقراً من غير خلاف فيه ولا اضطراب في الخلق من وفي بذلك ومنهم من نكث ومن نكث فانما ينكث على نفسه واختلفت الشرائع وراء هذه في أحكامه حسبما أراد الله مما اقتضت المصلحة وأوجبت الحكمة وضعه في الازمنة على الامم والله أعلم قال قتادة في الآية ألا تعلمون ان الفرقة هلكة وأن الجماعة ثقة وقال علي الجماعة رحمة والفرقة عذاب ثم ذكر سبحانه ان ما شرعه من الدين شق على المشركين فقال (كبر) أي عظم وشق (على المشركين ما تدعوهم اليه) من التوحيد ورفض الاوثان قال قتادة اشتد عليهم شهادة ان لا اله الا الله وحده وضاق بهم البليس وخنوده فأبى الله الا أن ينصرها ويعلمها ويظهرها ويظفرها على من ناواها والاولى التعميم للدلالة السياق ولا يمنع تخصيص المشركين بالذكر كما لا يخفى ثم خص أولياءه فقال (الله يحبني اليه) استئناف واراد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة والاجتباء الاختيار والمعنى يختار التوحيد والدخول في دينه اقتعال من الجبائية وهي الجمع على طريق الاصطفاء واجتباء الله العبد تخصيصه اياه بنبيض الهي لتحصل له أنواع النعم بلا سعي منه (من يشاء) من عباده قال قتادة يخلص لنفسه من يشاء (ويهدى اليه من ينيب) أي يوفق لدينه ويستخلص لعبادته من يرجع الى طاعته ويقبل الى عبادته ثم لما ذكر سبحانه ما شرعه لهم من اقامة الدين وعدم التفرق فيه ذكر ما وقع من التفرق والاختلاف فقال (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم) أي ما تفرقوا الا عن علم بان الفرقة ضلالة متوعدة عليها أو العلم بعيش الرسول أو أسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها وفعلوا ذلك التفرق قيل المراد قرش وهم الذين تفرقوا من بعد ما جاءهم العلم وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلب بغيا منهم عليه وقد كانوا يقولون ما حكاه الله عنهم بقوله وأقمه وابان الله جهداً عما هم ائتم جاءهم نذير الآية ويقولوا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل المراد اعم الانبياء المتقدمين وانهم سبهم فيما بينهم اختلفوا الماطال بهم المدى فآمن قوم وكفروا قوم وقيل اليهود والنصارى خاصة كافي قوله وما تفرق الذين أو توأوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة (بغيا بينهم) أي بغيا من بعضهم على بعض طلباً للرياسة فليس تفرقهم تقصوف في البيان والحجج ولكن للسبغ والظلم والاشتغال بالدنيا والجاه والحمية (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي تأخير العقوبة (الى

في كتابهم ان اسمعيل عليه السلام ولد لابراهيم عليه السلام ست وعشرون سنة وولد اسحق وعبر ابراهيم عليه الصلاة أجل والسلام تسع وتسعون سنة وعندهم ان الله تبارك وتعالى أمر ابراهيم ان يذبح ابنه وحيد وفي نسخة أخرى بكره فأحموها هتنا كذبوا به تانا اسحق ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم وانما أحموها اسحق لانه أبوهم واسمعيل أبوا القرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فان اسمعيل كان ذهب به وبأمه الى مكة وهو توابل وتحريف باطل فانه لا يقال وحيدك الا لمن ليس له غيره وأيضا فان أول ولده بعزه ما ليس لمن بعده من الاولاد فالأمر بذبجه أبلغ في الابتلاء والاختبار وقد ذهب

جماعته من أهل العلم إلى أن الذبيح هو الحق وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أيضا وليس في ذلك كتاب ولا سنة وما أطن ذلك تلقى الاعن أخبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلمان غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى انه اسمعيل فإنه ذكر البشارة بعلم حليم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ولما بشرت الملائكة ابراهيم باسحق قالوا انا نبشرك بعلم عليم وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب أى يولد له فى حماهما وولد يسمى يعقوب فيكون من ذرية عتبة ونسل وقد قدمنا هناك (٢٦٣) انه لا يجوز بعده هذا ان يؤمر بذبحه وهو صغير لان الله تعالى قد وعدهما بأنه

سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعده هذا ان يؤمر بذبحه صغيرا واسمعيل وصفه هنا بالحليم لانه مناسب لهذا المقام وقوله تعالى فلما بلغ معه السعي أى كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويعشى معه وقد كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب فى كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاذفاران وينظر فى أمرهما وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سر يعا إلى هناك والله أعلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراسانى وزيد بن أسلم وغيرهم فلما بلغ معه السعي يعنى شب وارتمج وأطاق ما يفعله أبوه من السعي والعمل فلما بلغ معه السعي قال يابني انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال عبيد بن عمير روى الانبياء وحى ثم تلا هذه الآية قال يابني انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو عبد الملك الكيريرى حدثنا سفيان

أجل مسمى) وهو يوم القيامة كفى قوله والساعة موعدهم وقيل إلى الاجل الذى قضاه الله لعذابهم فى الدنيا بالقتل والاسر والذل والقهر (لقضى بينهم) أى لوقع القضاء بينهم بانزال العقوبة بهم - م - مجلة وقيل بقضى بين من آمن منهم - م - ومن كفر بنزل العذاب بالكافرين ونجاة المؤمنين (وان الذين أوتوا الكتاب) أى التوراة والانجيل وهم اليهود والنصارى الذين كانوا فى عهده صلى الله عليه وآله وسلم (من بعدهم) أى من بعد من قبلهم من اليهود والنصارى المختلفين فى الحق وقال مجاهد معنى من بعدهم من قبل مشركى مكة وهم اليهود والنصارى وقيل المراد كفار المشركين من العرب الذين أوتوا القرآن من بعدما ورث أهل الكتاب كتابهم ومعندهم بأنهم (لقى شكنته) أى من القرآن أو من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى كلا الوجهين فالشك هنا ليس على معناه المشهور ومن اعتدال النقيضين وتساويهما فى الذهن بل المراد به ما هو أعم أى مطلق التردد وقال القرطبي لقي شكنته من الذى أوصى به الانبياء (مرتب) موقع فى الرية وهى قلق النفس واضطرابها ولذلك لم يؤمنوا (فلذلك) أى فلاجل ما ذكر من التثريب والشك أو الكتاب أو العلم الذى أوتيته أو فلاجل انه شرع من الدين ما شرع (فادع) إلى الله وإلى توحيدهِ وإلى الاتفاق والاتلاف على الملة الخفيفة القوية والاتباع لما أوتيته وعلى هذا اللام فى موضع انى افادة الصلوة والتعليل قال القراء والزجاج المعنى فالى ذلك فادع كما تقول دعوت إلى فلان ولفلان وذلك إشارة إلى ما وصى به الانبياء من التوحيد وقيل فى الكلام تقديم وتأخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فلذلك فادع (واستقم) على ما دعوت اليه فسر الراغب الاستقامة بلزوم المنهج المستقيم فلا حاجة إلى تأويلها بالدوام على الاستقامة قال قتادة استقم على أمر الله وقال سفيان استقم على القرآن وقال الضحاك استقم على تليغ الرسالة (كأمرت) بذلك من جهة الله تعالى (ولا تتبع أهواءهم) الباطلة وتعصباتهم الزائغة فى ترك التوحيد ولا تنظر إلى خلاف من خالفك فى دين الله (وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) أى بجميع الكتب التى أنزلها الله على رسوله كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى أصول الدين وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض لهم (وأمرت لأعدل بينكم) فى أحكام الله اذ ترفعتم إلى ولا أحيف عليكم بزيادة على ما شرعه الله أو بنقصان منه وأبلغ

ابن عيينة عن اسراييل بن يونس عن مالك عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا الانبياء فى المنام وحى ليس هو فى شئ من الكتب الستة من هذا الوجه وإنما علم انه بذلك ليكون أهون عليه ولا يختبر صبره وجلده وعزمه فى صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه قال يابن أبت افعل ما تؤمر أى امض لما أمرك الله من ذبحى سبحانه ان شاء الله من الصابرين أى سأصبر وأحسب ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد وللهذا قال الله تعالى واذكرى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا قال الله تعالى فلما أسلمنا

وتله للجبين أي قلماتهم داود كراته تعالى ابراهيم على الذبح والولد شهادة الموت وقيل اسما بمعنى استسما وانقاد ابراهيم امثله
 أمر الله تعالى واسماعيل طاعة الله ولا يبه قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن اسحق وغيرهم ومعنى تله الجبين أي صرعه على
 وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير
 والضحاك وقتادة وتله الجبين أكله على وجهه وقال الامام أحمد حدثنا شريح ويونس قال حدثنا جاز بن سلمة عن أبي عاصم الغنوي
 عن أبي الطميلة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما أمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض

(٢٦٤)

له الشيطان عند السعي فسابقه
 فسابقه ابراهيم عليه الصلاة
 والسلام ثم ذهب به جبريل عليه
 الصلاة والسلام الى جرة العقبة
 فعرض له الشيطان فرماه بسبع
 حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند
 الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات
 ثم تله للجبين وعلى اسمعيل عليه
 الصلاة والسلام قبض أبيض فقال
 له يا أبت انه ليس لي ثوب تكفني فيه
 غيره فاخذه حتى تكفني فيه
 فعالجه ليخلصه فنودي من خلانه
 أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
 فانتقت ابراهيم فاذا بك بش أبيض
 أقرن أعين قال ابن عباس لقد
 رأيتنا نتبع ذلك الضرب من الكباش
 وذ كرهشام الحديث في المناسك
 بطوله ثم رواه أحمد بطوله عن
 يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء
 ابن السائب عن سعيد بن جبير عن
 ابن عباس رضي الله عنهما فذ كره
 الا أنه قال اسحق فعن ابن عباس رضي
 الله عنهما في تسمية الذبيح روايتان
 والاظهر عن اسمعيل لما سأل بيانه
 ان شاء الله تعالى وقال محمد بن
 اسحق عن الحسن بن دينار عن

اليكم ما أمرني الله بتبليغه كما هو واللام لام كي أي أمرت بذلك الذي أمرت به لكي أعدل
 بينكم وقيل هي زائدة والمعنى أمرت أن أعدل وقيل بمعنى الباء وأن المصدرية مقدره
 أي بأن أعدل والاول أولى قال أبو العالبيه أمرت لأسوي بينكم في الدين فأوفى بكل
 كتاب وبكل رسول والظاهر أن الآية عامة في كل شيء والمعنى أمرت لأعدل بينكم في كل
 شيء (الله ربنا وربكم) أي الهنا والهكم وخالقنا وخالقكم (لنا أعمالنا) أي ثوابها وعقابها
 خاص بنا (والكم أعمالكم) أي ثوابها وعقابها خاص بكم فكل يجازى بعمله (لا حجة) أي
 لا خصومة (بيننا وبينكم) لان الحق قد ظهر ووضح ولم يبق للعجاجة مجال وليس في الآية
 الا ما يدل على المتاركة في المقاوله والحاجة لا مطلقا حتى تكون منسوخة وانما عبر عن
 أباطيلهم بالحجة مجازة لهم على زعمهم الباطل قال ابن عباس ومجاهد الخطاب لليهود
 وقيل للكفار على العموم (الله يجمع بيننا) في المحشر لنفصل القضاء (واليه المصير)
 أي المرجع يوم القيامة فيجازى كل بعمله وهذا منسوخ بآية السيف وقيل ليست
 بمنسوخة لان البراهين قد ظهرت والحج قد قامت فلم يبق الا العناد وبعد العناد لا حجة ولا
 جدال (والذين يجاحون في الله) أي يجاحون في دين الله (من بعدما استجيب) أي
 استجاب الناس (له) أي لدين الله ودخلوا فيه وقيل الضمير راجع الى الله وقيل الى محمد
 صلى الله عليه وآله وسلم لم المعلوم من السياق الدال عليه الفعل والاول أولى قال مجاهد
 من بعدما أسلم الناس قال وهؤلاء قوم توهموا ان الجاهلية تعود وقال قتادة هم
 اليهود والنصارى ومجاحتهم قولهم نينا قبل نبيكم وكنا قبل كتابكم وكانوا يرون لانفسهم
 الفضيلة بأنهم أهل كتاب وانهم أولاد الانبياء وكان المشركون يقولون أي الفريقين خير
 مقاماً وأحسن ندياً فنزلت هذه الآية وقال ابن عباس هم أهل الكتاب كانوا يجادلون
 المسلمين ويصدونهم عن الهدى من بعدما استجابوا لله وقال هم قوم من أهل الضلالة
 وكانوا يتربصون بان تأتيهم الجاهلية وعن عكرمة قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح
 قال المشركون لمن بين أظهرهم من المؤمنين قد دخل الناس في دين الله أفواجا فخرجوا
 من بين أظهرنا فنزلت هذه الآية والموصول مبتدأ وخبره الجمله بعده وهي (حجتهم داخضة
 عند ربهم) أي لا ثبات لها كالشيء الذي يزول عن موضعه يقال دحضت حجته دحوضا
 بطلت وبابه خضع والادحاض الازلاق ومكان دحض أي زلق ودحضت رجلاه أي زلقت

قتادة عن حفص بن اياس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى وفيه ذبح عظيم
 قال خرج عليه كبش من الجنة قدرى قبل ذلك أربعين خريفاً فأرسل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه واتبع الكبش فأخرجه
 الى الجرة الاولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها فجاء الى الجرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه
 عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذها فألقى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد
 كان أول الاسلام وان رأس الكبش لم يعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعني يبس وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن

وبابه

الزهرى اخبرنا القاسم قال اجتمع أبو هريرة رضي الله عنه وكعب جعل أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم
 وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة وانى قد
 خبات دعوتى شفاعتى لامتى يوم القيامة فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فدنا منى وأبى
 أوفداه أبى وأبى أفلا أخبرك عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه لما أرى ذبح ابنه اسحق قال الشيطان ان لم أقتن هؤلاء عنده هذه
 لم أقتنهم أبدا فخرج ابراهيم عليه الصلاة والسلام بانه ليذبحه فذهب (٢٦٥) الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب
 ابراهيم بانك قالت غدا به لبعض
 حاجته قال فانه لم يغد به لحاجة
 انما ذهب به ليذبحه قالت ولم يذبحه
 قال زعم ان ربه أمره بذلك قالت
 فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب
 الشيطان فى أثرهما فقال للغلام
 أين يذهب بك أبوك قال لبعض
 حاجته قال فانه لا يذهب بك لحاجة
 ولكنه يذهب بك ليذبحك قال ولم
 يذبحنى قال يزعم ان ربه أمره بذلك
 قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره
 بذلك لفعلن قال فيئس منه فتركه
 ولحق ابراهيم عليه الصلاة
 والسلام فقال ابن غدوت بانك قال
 لحاجة قال فانك لم تغد به لحاجة
 قال وانما غدوت به لتذبحه قال
 ولم أذبحه قال تزعم ان ربك أمرك
 بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى
 أمرنى بذلك لافعلن قال فتركه
 ويئس ان يطاع وقد رواه ابن جرير
 عن يونس عن ابن وهب عن يونس
 ابن يزيد عن ابن شهاب قال ان عمرو
 ابن أبى سفيان بن سعيد بن حازم
 الثقفى أخبره ان كعبا قال لابي
 هريرة فذكره بطوله وقال فى آخره
 واوحى الله تعالى الى اسحق انى

وبابه قطع وسماها حجة وان كانت شبهة تزعهم انها حجة (وعليهم غضب) عظيم من الله
 لجادلهم بالباطل (ولهم عذاب شديد) فى الآخرة (الله الذى أنزل الكتاب) المراد به الجنس
 فيشمل جميع الكتب المنزلة على الرسل وقيل المراد به القرآن خاصة (بالحق) متعلق
 بمذوق أى متبسا بالحق وهو الصدق (والميزان) أى العدل كذا قال أكثر المفسرين
 قالوا وسعى العدل ميزانان الميزان آلة الأنتاف والتسوية بين الخلق فالميزان متجاوز به
 عنه استعماله للسبب فى المسبب وقيل الميزان ما بين فى الكتب المنزلة مما يجب على كل
 انسان أن يعمل به وقيل هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقال قتادة
 الميزان العدل فيما أمر به ونهى عنه وانزال العدل هو الامر والتكليف به وقيل انه الميزان
 على نفسه أنزله الله من السماء فى زمن نوح عليه السلام وعلم العباد الوزن به لئلا يكون
 بينهم ظلم وتباخس كفى قوله لعداؤنا رسلة بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان
 ليقوم الناس بالقسط وقيل هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقضى بينكم بكتاب الله
 وقال مجاهد هو الذى يوزن به (وما يدريك لعل الساعة قريب) أى أى شئ يجعلك داريا بها
 عالم بوقت العلهانى قريب أو قريب مجيئها أو ذات قرب أو اتيانها قريب وقال قريب
 ولم يقل قريبة لان تأنيها غير حقيقى قال الزجاج المعنى اعمل البعث أو اعمل محيى الساعة
 قريب وقال السكسنى قريب نعت به المؤنث والمذ كركفى قوله ان رجسة الله
 قريب من المحسنين وقال الكرخى ولا يقال ان قريب يستوى فيه المؤنث والمذ كركلان
 فعلا هتا معنى فاعل ولا يستوى فيه ما ذكره والاستفهام انكارى أى لاسبب يوصلك للعلم
 بقربها الا الوحى الذى ينزل عليك قبل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الساعة وعنده
 قوم من المشركين فقالوا متى تقوم تكذبا لها أنزل الله هذه الآية ويديل على هذا قوله
 (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال استهزاء منهم بها وتكذبا بمجيئها فلا يشفقون
 منها (والذين آمنوا وشفقون منها) أى خائفون وجلون من مجيئها أى فلا يستعجلونها فى
 الآية احتباك حيث ذكر الاستعجال أو لا وحذف الاشفاق وذ كرا الاشفاق ثانيا وحذف
 الاستعجال قال مقاتل لانهم لا يدرون ما يجمعون عليه وقال الزجاج لانهم يعلمون انهم
 محاسبون ومجزون (ويعلمون أنها الحق) أى انها آتية لا ريب فيها وكائسة لا محالة ومثل
 هذا قوله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم ووجهه انهم الى ربه راجعون ثم بين ضلال

(٣٤ فتح البيان ثامن) اعطيتك دعوة استجيب لك فيها قال اسحق اللهم انى أدعوك ان تستجيب لى ايمان عبد ليقبك
 من الاولين والآخرين لا يشرك بك شيا فأدخله الجنة وقال ابن ابى حاتم حدثنا ابى حاتم محمد بن الوزير الدمشقى حدثنا الوليد بن
 مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن ابيه عن عطاء بن يسار عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك
 وتعالى خير نبي بين ان يغفر له صفامتى وبين ان يجيب شفاعتى فاخترت شفاعتى ورجوت ان تكون أعم لامتى ولولا الذى سبقتنى
 اليه العبد الصالح لتجملت فيما دعوتى ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذى قيل له يا اسحق سل تعط فقال أما والذى نفسى بيده

لا تجعلها قبل نزغات الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئاً فاعف عنه وادخله الجنة هذا حديث غريب منكر وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث وأخشى ان يكون في الحديث زيادة مدرجة وهي قوله ان الله تعالى لما فرج عن اسحق الى آخره والله أعلم فهذا ان كان محفوظاً فلا شبهة ان السياق انما هو عن اسمعيل وانما حرقه فوه باسحق حسدا منهم كما تقدم والا فالمناسك والذبايح انما محلها بنى من أرض مكة حيث كان اسمعيل لا اسحق فانه انما كان ببلاذ كنعان من أرض الشام وقوله تعالى ونادى نياه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا أى قد حصل (٢٦٦) المقصود من رؤياك بانجابك ولدك الذبح وذكر السدى وغيره انه

أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيئاً بل حال بينها وبينه صنعة من نحاس ونودى ابراهيم عليه الصلاة والسلام عند ذلك قد صدقت الرؤيا وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين أى هكذا انصرف عن اطاعتنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً كقولنا تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شئ قدراً وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الاصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافاً لثلاثة من المعتزلة والدلالة من هذه ظاهرة لان الله تعالى شرع لابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخ عنه وصرفه الى الفداء وانما كان المقصود من شرعه أولاً اثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك واهذا قال تعالى ان هذا هو البلاء المبين أى الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع الى ذلك مستسلماً

الممارين فيها فقال (ألا ان الذين يمارون في الساعة) أى يخاصمون فيها خاصة شك وريبة من المماراة وهي الخاصة والمجادلة أو من المريبة وهي الشك والريبة (اننى ضلال بعيد) عن الحق لانهم لم يتفكروا في الموجبات للايمان بهامن الدلائل التى هى مشاهدة لهم منصوبه لأعيانهم مفهومة لعقولهم ولوتفكروا والعلوان الذى خلقهم ابتداء قادر على الاعادة وقد ددل الكتاب والسنة على وقوعها والعقول تشهد على انه لا بد من دار جزاء والبعث أشبه الغائبات بالحسوسات فن لم يمتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء الى ما وراءه (الله لطيف بعباده) أى كثير اللطف بهم بالغ الرأفة لهم قال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعاً بمعاصيهم قال بكرمة بآر بهم وقال السدى رفيق بهم وقيل حتى بهم وقال القرطبي لطيف بهم في العرض والمحاسبة وقيل في اصال المنافع وصرف البلاء وقيل لطف بالغواض علمه وعظمه عن الجرائم حله وقيل اللطيف من ينشر المناقب ويستر المثالب أو يعفو عن يهقوا ويعطى العبد فوق الكفاية ويكنه الطاعة دون الطاقة وقال الجنيب دلطف بأولياؤه فعرفوه ولولطف بأعدائه ما حقدوه وقال جعفر الصادق يلطف بهم في الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقك من الطيبات الثمانى انه لم يدفع اليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن الفضل لطيف بهم في القرآن وتفصيله وتفسيره وقيل اللطيف الذى لا يخاف الاعدله ولا يرجى الافضله وقيل هو الذى يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذى لا يعاجل من عاصه ولا ينجيب من رجاه وقيل هو الذى لا يرد سائله ولا يؤيس آمله وقيل هو الذى يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذى أوقد للعلماء من الكتاب والسنة سراجاً وجعل لهم الصراط المستقيم والدين القيم منها جاً وأنزل لهم من سخائب بره ومنه ولطفه وكرمه واحسانه ماءً نجياً وقيل غير ذلك وحاصل المعنى انه يجبرى لطفه على عباده فى كل أمر وهم ومن جملة ذلك الرزق الذى يهبشون به فى الدنيا وهو معنى قوله (برزق من يشاء) منهم كيف يشاء فيوسع على هذا ويضيق على هذا وفى تفضيل قوم بالمال حكمة ليجتاح البعض الى البعض كما قال ليجتذب بعضهم بعضاً خنيا وكان هذا لطفنا بالعباد ليتمتعن الغنى بالفقير والنقير بالغنى وقيل ما يشاء من أنواع الرزق فهو وان كان رزق كل ذى روح لكنك فاقوت بين المرزوقين فى الرزق قوله وكثرة وجنسا ونوعا لحكمة يعلمها هو (وهو القوى) العظيم القوة الباهر القدرة (العزير) الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه

لا أمر الله تعالى منقاد الطاعة ولهذا قال تعالى وابراهيم الذى وفى وقوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن علي بن ابي طالب عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال كبش قدر عافى الجنة أربعين خريفاً وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو حنيفة بن يوسف بن يعقوب الصقار حدثنا داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال الصخرة التى بمنى باصل ثبيرى الصخرة التى ذبح عليها

ابراهيم فداء اسحق ابنه هبط عليه من شير كيش أعين أقرن له نغاه فذبحه وهو الكيش الذي قرب ابن آدم فقبل منه فكان مخزونا حتى فدى به اسحق وروى أيضا عن سعيد بن جبيرة انه قال كان الكيش يربح في الجنة حتى يشق عنه شير وكان عليه عهدن أحمر وعن الحسن البصرى انه قال اسم كيش ابراهيم عليه الصلاة والسلام جريرو وقال ابن جرير قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام وقال مجاهد ذبحه يعني عند المحر وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كان أفتى الذي جعل عليه ان يخر نفسه فأمره بمائة من الابل ثم قال بعد ذلك لو كنت أفتيته بكيش لاجراءه ان يذبح (٢٦٧) كبش فان الله تعالى قال في كتابه وفديناه

بذبح عظيم والصحيح الذي عليه الاكثرون انه يفتى بكيش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال رعل وقال محمد بن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن انه كان يقول ما فدى اسمعيل عليه السلام الا بتيس من الأروى أهبط عليه من شير وقد قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت أخبرني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة رضى الله عنه وقالت من انما سألت عثمان لم دعاك النبي صلى الله عليه وسلم قال قال صلى الله عليه وسلم انى كنت رأيت قرنى الكيش حين دخلت البيت فنسيت ان أمرتك ان تخمرهما فخرهما فانه لا ينبغي أن يكون في البيت شئ يشغل المصلى قال سفيان لم يزل قرنا الكيش معلقة في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستدل على انه اسمعيل عليه الصلاة والسلام فان

شئ (من كان يريد حث الآخرة نزله في حرته) الحث في اللغة الكسب يقال هو يحث لعياله ويحثر أى يكتسب ومنه سمي الرجل حارثا ومعنى أصل الحث الحث القاء البذر في الارض فأطلق على ثمرات الاعمال وفوائدها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلل الحاصلة من البذر المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذر والمعنى من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الآخرة يضاعف الله له تلك الحسنة بعشرة أمثالها الى سبع مائة ضعف وقيل معناها يزيد في توفيقه واعاثة وتسهيل سبل الخير له (ومن كان يريد حث الدنيا) أى من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الدنيا وهو متاعها وما يريزق الله به عباده منها موثرا لها على الآخرة (توفيقها) ما قضت به مشيئتنا وقسم له في قضائنا ولو تهاون به ولم يطلبه لاتاه قال قتادة المعنى تقديره ما قسم له كما قال مجملنا فيها ما نشاء وقال أيضا ان الله يعطى على نية الآخرة ما شاء من أمر الدنيا ولا يعطى على نية الدنيا الا الدنيا قال القشيري والظاهر ان الآية في الكافرو وهو يتخصيص بغير مخصوص ثم بين سبحانه ان هذا الذي يريد عمله الدنيا لانصيب له في الآخرة فقال (وماله في الآخرة من نصيب) لانه لم يعمل للآخرة فلا نصيب له فيها وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الاسراء وقال ابن عباس في الآية حث الآخرة عيش الآخرة وقال من بوثر دنياه على آخرة لم يجعل الله له نصيبا في الآخرة الا النار ولم يزد بذلك من الدنيا شيئا الا رزقا فرغ منه وقسم له وأخرج أحمد والحاكم وصححه وابن مردويه وابن حبان عن أبي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بشر هذه الامة بالسنة والرفعة والنصر والتكين في الارض ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يريد حث الآخرة الآية ثم قال يقول الله ابن آدم تفرغ لعبادتي مملأ صدرك غنى وأسدفقرك وان لا تفعل ملاء صدرك شغلا ولم أسدفقرك وعن علي قال الحث حثان فحث الدنيا المال والبنون وحث الآخرة الباقيات الصالحات وما بين سبحانه القائلون في أمر الدنيا والآخرة أردفه ببيان ماهو الذنب العظيم الموجب للنار فقال (أم لهم شركاء) أم منقطعة وتقديره بل لهم شركاء وقيل هي المعادلة لالف الاستفهام وفي الكلام اضمارة تقديره أي يقبلون ما شرع الله من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين) وقيل أم بمعنى بل التي

قريشا توارثوا قرنى الكيش الذي فدى به ابراهيم عليه الصلاة والسلام خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل الى ان بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ولم والله أعلم * (فصل) * في ذكر الآثار الواردة عن السلف في أن الذبيح من هو ذكر من قال هو اسحق عليه الصلاة والسلام قال حرة الزيات عن أبي ميسرة رجه الله قال قال يوسف عليه الصلاة والسلام للملاك في وجهه ترغيب ان تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب بنى الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وقال الثوري عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل ان يوسف عليه السلام قال للملاك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال قال موسى

عليه الصلاة والسلام يارب يقولون باله ابراهيم واسحق ويعقوب فيم قالوا ذلك قال ان ابراهيم لم يعدل في شيء قط الا اختلني عليه
وان اسحق جادى بالذبح وهو بغية ذلك اجدوان يعقوب كلما زده بسلامه اذنى حسن ظن وقال ربيعة عن ابي اسحق عن ابي
الاحوص قال اقتض رجل عند ابن مسعود رضى الله عنه فقال ان افلان بن فلان بن الاشياخ الكرام فقال عبد الله بن مسعود رضى
الله عنه ذلك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وهذا صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه وكذا روى عكرمة
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه اسحق (٢٦٨) وعن ابيه العباس وعلى بن ابي طالب مثل ذلك وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير

ومجاهد والسجعي وعبيد بن عمير وابو
ميسرة وزيد بن اسلم وعبد الله بن
شقيق والزهرى والقاسم بن ابي
برزة ومكحول وعثمان بن ابي حنبل
والسدى والحسن وقتادة وابو
الهديل وابن سابط وهذا اختيار
ابن جرير وتقدم روايته عن كعب
الاحبار انه اسحق وهكذا روى ابن
اسحق عن عبد الله بن ابي بكر عن
الزهرى عن ابي سفيان عن العلاء
ابن حارثة عن ابي هريرة رضى الله
عنه عن كعب الاحبار انه قال هو
اسحق وهذه الاقوال والله اعلم
كأها ما خردت عن كعب الاحبار
فانه لما أسلم في الدولة العمرية جعل
يحدث عمر رضى الله عنه عن كعب
قدما فربما سمع له عمر رضى الله عنه
فترخص الناس في استماع ما عنده
وتناولوا ما عنده عنه غمها وسميها
وليس لهذه الامة والله اعلم حاجة
الى حرف واحد مما عنده وقد حكى
البيهقي هذا القول بانه اسحق عن
عمر وعلى وابن مسعود والعباس
رضى الله عنهم ومن التابعين عن
كعب الاحبار وسعيد بن جبير
وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء

ومقاتل والزهرى والسدى قال هو احدى الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا الذي
به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا زيد بن خباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن
جدعان عن الحسن بن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره
قال هو اسحق في اسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصرى متروك وعلى بن زيد بن جدعان منكر الحديث وقدره ابن ابي
اسحق عن ابيه عن مسلم بن ابراهيم عن جد ابن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ثم قال قدره مبارك بن فضالة عن الحسن

للاقتال والهزيمة التي للتوبيخ والتقريع وضمير شرعوا عائد الى الشركاء وضمير لهم الى
الكفار وقيل العكس والاول اولى (مامم يأذن به الله) من الشرك والمماصى والشرايع
المضلة وانكار البعث والعمل للدين والآية بعمومها تشمل كل شيء لم يأمر به الله سبحانه
أو رسوله فيدخل فيه التقليد لانه مما لم يأذن به الله بل ذمه في كتابه في غير موضع ولم يأذن به
رسوله ولا امام من أئمة الدين ولا أحد من سلف الامة وساداتها وقادتها بل نهى عنه
المجتهدون الاربعة ومن كان بعدهم من أهل الحق برك الایمان واتباع السنة المطهرة
وانما أحدثه من أحدث من الجهال والعوام بعد القرون المشهود لها بالخير فرحم الله امرأ
سمع الحق فاتبعه وسمع الباطل فتركه وأدغمه بالله التوفيق (ولولا كلمة الفصل) وهي
تأخير عذابهم حيث قال بل الساعة معوعدهم (لقد قضى بينهم) في الدنيا فعوجلوا بالعقوبة
والضمير في بينهم راجع الى المؤمنين والمشركون والى المشركين وشركائهم (وان الظالمين)
أى المشركين الكافرين والمكذبين (لهم عذاب أليم) مؤلم في الدنيا والآخرة قرأ الجمهور
بكسر ان على الاستئناف وقرئ بفتحها عطف على كلمة النصل (ترى الظالمين) خطاب
لكل من تنأى منه الرؤية (مشفقين) أى خائفين وجلين (مما كسبوا) من السيئات وذلك
الخوف والوجل يوم التمامة (وهو) الضمير راجع الى ما كسبوا بتقدير مضاف قاله
الزجاج أى جزاء ما كسبوا (واقع بهم) نازل عليهم لا محالة أشفقوا ولم يشفقوا والجملة
حالية وماذا كراته سبحانه حال الظالمين ذكر حال المؤمنين فقال (والذين آمنوا وعملوا
الصالحات) مبتدأ وخبره (في روضات الجنات) جمع روضة قال أبو حيان اللغة الكثرة
تسكين الواو ولغة هذيل فتحها والروضة الموضع التزه الكثر الخضرة وقدمضى بيان هذا
في سورة الروم وروضة الجنة أطيب مساكنها كما انها في الدنيا أحسن أماكنها وفيه تنبيه
على ان عصاة المسلمين من أهل الجنة لانه خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم في
روضات الجنات وهي البتاع الشريفة من الجنة والبتاع التي دون تلك الاوصاف لا بد
وان تكون مخصوصة بمن كان دون الذين آمنوا وعملوا الصالحات (لهم ما يشاؤون عند
ربهم) من صنوف النعم وأنواع المستلذات وعند ظرف يشاؤون أو للاستهتار العامل في
لهم والعندية مجاز أو حقيقة (ذلك) أى ما ذكره للمؤمنين (هو النصل الكبير) أى الذى
لا يوصف ولا يتم تدى العقول الى كنه صفة ومعرفة حقيقة لان الحق اذا قال كبير فن ذا

عن الاحفص بن العباس رضى الله عنه قوله وهذا الشبه واضح والله أعلم ذكر الابرار الواردة بانه اسمعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهم انه اسحق عليه الصلاة والسلام وقال سعيد بن جبيرة وعامر الشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهم ما هو اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثني يونس اخبرنا ابن وهب اخبرني عمر بن قيس عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس انه قال المقتدى اسمعيل عليه السلام وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود (٢٦٩) وقال اسراييل عن ثور عن مجاهد عن ابن

عمر رضى الله عنهما قال الذبيح اسمعيل وقال ابن ابي نجيب عن مجاهد هو اسمعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال الشعبي هو اسمعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكباش في الكعبة وقال محمد بن اسحق عن الحسن بن دينار وعمر بن عبيد عن الحسن البصرى انه كان لا يشك في ذلك ان الذى امر بنجيه من ابني ابراهيم اسمعيل عليه السلام قال ابن اسحق وسمعت محمد بن كعب القرظى وهو يقول ان الذى امر الله تعالى ابراهيم بنجيه من ابنه اسمعيل وانا نجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك ان الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم قال تعالى وبشرناه باسحق نبيامن الصالحين ويقول الله تعالى فبشرناهما باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول ابن ابي نعيم فلم يكن ليأمره بذبح اسحق وله من الله تعالى الموعود ما وعده وما الذى امره بنجيه الا اسمعيل قال ابن اسحق سمعته يقول ذلك كثيرا

الذى يقره (ذلك) أى الفضل الكبير (الذى يشتر الله به عباده) قرئ يشر محققنا ونقلا وهما سبعيتان ثم وصف العباد بقوله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فهؤلاء الجماعة بين الايمان والعمل بما أمر الله به وترك ما نهى عنه هم المبشرون بتلك النبوة ثم لما ذكر سبحانه ما أخبر به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الاحكام الشريفة التي اشتمل عليها كتابه أمره بان يخبرهم بأنه لا يطلب منهم بسبب هذا التبليغ ثوابا منهم فقال (قل لأسألكم عليه أجرا) أى قل يا محمد لا أطلب منكم الآن ولا في مستقبل الزمان على تبليغ الرسالة ببشارة أو نذارة أو جعلا ولا نفعا وان قل والخطاب ام القريش وللانصار لانهم أخواله وألجيب العرب لانهم أقاربه في الجملة (الالمودة) العظيمة الواسعة (في القربى) أى مظروفة فيها بحيث تكون القربى موضعا للمودة وظرفا لها لا يخرج شئ من محبتكم عنها والاستثناء متصل أى الا ان تودوني لقرباى بينكم أو تودوا أهل قرايتى ويجوز ان يكون منقطعا قال الزجاج المودة استثناء ليس من الاول أى الا ان تودوني لقرباى فتحفظونى والخطاب لقريش وهذا قول عكرمة ومجاهد وأبي مالك والشعبي فيكون المعنى على الانقطاع لأسألكم أجرا قاطوا لكن أسألكم المودة في القربى التي بيني وبينكم ارقبوني فيها ولا تعجلوا الى ودعوني والناس وبه قال قتادة ومقاتل والسدى والضحاك وابن زيد وغيرهم وهو الثابت عن ابن عباس كما سأتى وقال سعيد بن جبيرة وغيرهم آل محمد وسياق ما استدبل به القائلون بهذا وقال الحسن وغيره معنى الآية الا التودد الى الله عز وجل والتقرب بطاعته وقال الحسين بن الفضل ورواه ابن جرير عن الضحاك ان هذه الآية منسوخة قال البغوي وهذا قول غير مرضى لان مودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكف الاذى عنه ومودة أقاربه والتقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين أقول في الآية ثلاثة اقوال الاول ان القربى بمعنى القرابة أى الرحم والثاني بمعنى الاقارب والثالث بمعنى القرب والتقرب والزلفى وسياق ما يتضح به الصواب ويظهر به معنى الآية عن ابن عباس انه سئل عن قوله المودة في القربى قال سعيد بن جبيرة قري آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال ابن عباس سئلت ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من الترابية وعنه قال قال لهم

وقال ابن اسحق عن بريدة بن سفيان بن بردة الاسلمى عن محمد بن كعب القرظى انه حدثهم انه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو خليفة اذا كان معه بالشام فقال له عمران هذا الشئ مما كنت أنظر فيه وانى لأراه كما قلت ثم ارسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى اناسا من علماءهم فسأله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب واخبرنا عن عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أى ابني ابراهيم امره بنجيه فقال اسمعيل والله يا امير المؤمنين وان يهود لتعلم بذلك وليكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون اباكم الذى كان من أمر الله فيه والفضل الذى ذكر الله تعالى منه لاصبر لما أمر به فهم يحسدون

ذلك وينعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطهرا لله عز وجل وقال عبد الله ابن الامام
 أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي عن الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق فقال اسمعيل ذكره في كتاب الزهد وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي
 يقول الصحيح ان الذبيح اسمعيل عليه الصلاة والسلام قال وروى عن علي بن عمر وأبي هريرة وأبي الطاهر وسعيد بن المسيب
 وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضی الله عنهم أنهم قالوا
 الذبيح اسمعيل وقال الغوي في تفسيره واليه (٢٧٠) ذهب عبد الله بن عمرو وسعيد بن المسيب والسدي والحسن البصري

ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد
 ابن كعب القرظي والكلبى وهو
 رواية عن ابن عباس وحكاها أيضا
 عن أبي عمرو بن العلاء وقد روى
 ابن جرير في ذلك حديثا غريبا
 فقال حدثني محمد بن عمار الرازي
 حدثنا اسمعيل بن عبيد بن أبي كريمة
 حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي
 عن عبيد الله بن محمد العتيبي من
 ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه
 حدثني عبد الله بن سعيد عن
 الصنابحي قال كان عند معاوية بن
 أبي سفيان فذكروا الذبيح اسمعيل
 أو اسحق فقال علي الخليل سقطتم كما
 عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقام رجل فقال يا رسول الله عد
 علي عما فاء الله عليك يا ابن الذبيحين
 فضحك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقيل له يا أمير المؤمنين وما
 الذبيحان فقال ان عبد المطب لما
 أمر بحفر زمزم نذر الله ان سهل الله
 له أمرها عليه لينذجن أحد ولده قال
 فخرج سهمهم على عبد الله فغناه
 أخواله وقالوا أفدناك بمائة من
 الابل ففداه بمائة من الابل
 والثاني اسمعيل وهذا حديث

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأسألكم عليه أجزا الا ان تودوني في نفسي لقرباتي
 وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم وعن الشعبي قال أكثر الناس عابنا في هذه الآية
 قل لأسألكم عليه أجزا الامودة في التبري في كتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فقال
 ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان واسط السب في قريش ليس بطن من بطونهم
 الا وله فيه قرابة فقال الله قل الخ ان تودوني لقرباتي منكم وتحفظوني بها وعن ابن عباس
 قال كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرابة من جميع قريش فلما كذبوه
 وأبو ان يابعوه قال يا قوم اذا أبيت من ان تبايعوني فاحفظوا قرباتي فيكم ولا يكون غيركم
 من العرب أو لا يحفظوني ونصرتي منكم وعنه قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا وكأنهم
 نفر وا فقال العباس لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 فانهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار لم تكونوا أدلة فاعزكم الله قالوا بلى يا رسول الله
 قال أفلا تحبسون قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون لم يخرجك قومك فأوسناك
 ألم يكذبوك فصداقناك ألم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول حتى جنوا على الركب
 وقالوا اموالنا وما في ايدينا لله ورسوله فترت هذه الآية وفي اسناده يزيد بن أبي زياد
 وهو ضعيف والاولى ان الآية مكتبة لامدينة وقد أشرنا فيما سبق ان هذه الآية مدنية
 وهذا متسكهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية
 تحذوني في أهل بيتي وتودوهم في أخرجهم الديلي وأبو نعيم وعنه قال لما نزلت هذه
 الآية قالوا يا رسول الله من قرابته هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة
 وولداهم أخرجهم ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه قال السيموطي بسند
 ضعيف وعنه قال نزلت هذه الآية بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم فأ نزل الله قل لهم يا محمد لأسألكم عليه أي على ما دعوكم اليه أجزا عرضا
 من الدنيا الامودة في القربى الا الحفظ في قراتي فيكم فلما هاجر الى المدينة أحب أن يلحقه
 باخوته من الانبياء فقال قل ما سألتكم من أجزا فرفه ولسكم ان أجرى الاعلى الله يعني ثوابه
 وكما قال هود وصالح وشعيب لم يستنوا أجزا كما استثنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرده
 عليهم وهي منسوخة وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قل لأسألكم على

غريب جدا وقد رواه الاموي في مغازيه حدثنا بعض اصحابنا أخبرنا اسمعيل بن عبيد بن أبي كريمة ما أتيتكم
 حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرظي حدثنا عبيد الله بن محمد العتيبي من ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا
 الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضی الله عنه فتذاكرنا اسمعيل أو اسحق وذكره كذا كتبه عن نسخة مغلوطة وانما
 قول ابن جرير في اختياره ان الذبيح اسمعيل على قوله تعالى بفرسناه بغلام حلیم فجعل هذه البشارة هي البشارة باسمعيل في قوله
 تعالى وبشره بغلام عليم وأجاب عن البشارة يعقوب بأنه قد كان بلغ معه السعي أي العمل ومن الممكن انه قد كان ولده أو اولاد

مع يعقوب أيضا قال وأما القرنان اللذان كانا معلمين بالكعبة فن الجائز انهما نقلنا من بلاد كنعان قال وقد تقدم ان من الناس من ذهب الى انه ذبح اسحق هناك هذا ما اعتمد عليه في تفسيره وليس ما ذهب اليه بذهب ولا لازم بل هو بعيد جدا والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على انه اسمعيل ثبت وأصح وأقوى والله اعلم وقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين لما تقدمت البشارة بالذبيح وهو اسمعيل عطف يذكّر البشارة باخيه اسحق وقد ذكر في سورتي هود والجر وقوله تعالى نبيا حال مقدرة أي سيصير منه نبي صالح وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه (٢٧١) عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس

رضي الله عنهما الذي اسحق قال وقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر بن نبوتة قال وقوله تعالى وهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته وحدثننا ابن عبد الله بني حدثننا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ما في هذه الآية وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال انما بشر به نبيا من الصالحين قال انما بشر به نبيا حين فداه الله عز وجل من الذبيح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده وقال ابن ابي حاتم حدثننا ابني حدثننا ابو نعيم حدثننا سفيان الثوري عن داود عن عكرمة عن ابن عباس وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر به حين ولد وحين نبي وقال سعيد ابن أبي عسرة عن قتادة في قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بعد ما كان من امره لما جاد الله تعالى بنفسه وقال الله عز وجل وباركنا عليه وعلى اسحق وقوله تعالى وباركنا عليه وعلى

ما اتيتكم به من البينات والهدى اجرا الا ان تودوا الله وان تقربوا اليه بطاعته هذا حاصل ما روى عن حبر الامة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسيره هذه الآية والمعنى الاول هو الذي صح عنه ورواه عنه الجمع الجهم من تلامذته فن بعدهم ولا ينافيه ما روى عنه من النسخ فلا مانع من أن يكون قد نزل القرآن في مكة بان يوده كنفار قريش لما بينه وبين قريش من القربى ويحفظونه بها ثم ينسخ ذلك ويذهب هذا الاستثناء من أصله كما يدل عليه ما ذكرنا مما يدل على انه لم يسأل على التبليغ أجزاعا على الاطلاق ولا يقوى ما روى من جعلها على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على معارضته ما صح عن ابن عباس من تلك الطرق الكثيرة وقد أغنى الله آل محمد عن هذا بما لهم من الفضائل الجليلة والمزايا الجليلة وقد بينا ذلك عند تفسيرنا بقوله انما يريد الله ليجعلكم الراسخين أهل البيت ولا يقوى هذا على المعارضة فكذلك لا يقوى ما روى عنه ان المراد بالموذبة أن يودوا الله وأن يتقربوا اليه بطاعته ولكنه يشهد من عضده هذا انه تفسير مرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ومن يقترف) أي يكسب وأصل القرف الكسب يقال فلان يقرف لعماله من باب ضرب أي يكسب والاقتراف الاكتساب مأخوذ من قولهم رجل قرفه اذا كان محتالا (حسنة) أي طاعة (نزله فيها) أي في هذه الحسنه أو في الجنة (حسنا) بضاعفة ثوابها قال مقاتل المعنى من يكسب حسنة واحدة نزله فيها حسنا نضاعفها بالواحدة عشر اضعافا عددا وقيل المراد بهذه الحسنه هي المودة في القربى والحل على العموم أولى ويدخل تحته المودة في القربى دخولا أو بالذكريها عقيب ذكر المودة في القربى وقال ابن عباس انها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال السدي انها نزلت في أي بكر ومودته فيهم والظاهر العموم (ان الله لغفور شكور) أي كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للطيعين قال قتادة غفور للذنوب شكور للحسنات وقال السدي غفور للذنوب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم شكور للقليل فيضاعفه (أم) منقطعة أي بل (يقولون افترى) أي اخلق (على الله كذبا) بدعوى النبوة ونسبة القرآن الى الله تعالى والانكار للتوبيخ ثم اجاب سبحانه عن قولهم هذا فقال (فان يشاء الله يختم على قلبك) أي لو افترى على الله الكذب لشاء عدم صدوره منه وختم على قلبه بحيث لا يخطر بباله شيئا مما كذب فيه كما تزعمون قال قتادة يختم على قلبك فينبئك القرآن اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه ميين كقوله تعالى قبل يا نوح اهبط بسلام بسلام من ابراهيم عليك وعلى امم ممن معك وامم سمعتهم ثم يشعهم مناعذاب أليم (واقدمنا على موسى وهرون ونجيناها وقومها من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين وأتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين) يذكّر تعالى ما أنعم به على موسى وهرون من النبوة والنجاة بن آمن معهم ان قهر فرعون وقومه وما كان يعتد في حقهم من الاساءة العظيمة من قتل الابناء واستحياء النساء واستعمالهم في أخس الاشياء ثم بعد هذا كله

نصرهم عليهم وأقرأ عينهم منهم فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموا لهم وما كانوا جوعوه طول حياتهم ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وقال جل جلاله ههنا وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم اى فى الاقوال والافعال وتركاعهم ما فى الآخريين اى ابقينا لهما من بعدهما ذكرا جليلا وشاهنا حسنا ثم فسره بقوله تعالى سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهم امنوا بعبادنا المؤمنين (وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه (٢٧٢) ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم

فاخبرهم انه لو اقترى عليه لنعلم به ما اخبرهم به فى هذه الآية وقال مجاهد ومقاتل ان يشا يربط على قلبك بالصبر على أذنبهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم وقيل الخطاب له والمراد الكفار اى ان يشا يحتم على قلوب الكفار ان يعاجلهم بالعقوبة ذكرا القشيري وقيل المعنى لو حدثت لك نفسك ان فنترى على الله كذبا تطبع على قلبك فانه لا يجترئ على الكذب الا من كان مطبوعا على قلبه والاول اولى والمقصود من هذا الكلام المبالغة فى تقرير الاستبعاد (ومعنى الله الباطل) استئناف مقدر لما قبله من نفي الافتراء غير داخل فى جزاء الشرط قال ابن الانباري يحتم على قلبك تام وما بعده مستأنف وقال الكسائي فيه تقديم وتأخير اى والله مع الباطل وقال الزجاج ويعو الله الباطل احتجاج على من أنكر ما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم اى لو كان ما أتى به باطلا لمجاه كما جرت به عادته فى المنكرين وسقطت الواو من يعوفى بعض المصاحف كما حكاه الكسائي (ويحق الحق) اى الاسلام فيمينه (بكلماته) اى بما أنزله من القرآن وقد فعل الله تعالى ذلك فجعل باطلهم وأعلى كلمة الاسلام (انه عليهم بذات الصدور) اى عالم بما فى قلوب العباد (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) المذنبين اى يقبل توبتهم اليه مما عملوا من المعاصي واقترعوا من السيئات والتوبة الندم على العصية والقلع عنها والعزم على عدم المعاودة لها وهذه ثلاث شروط فيما بينه وبين الله تعالى فاذا حصلت هذه الشروط صحمت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح واما فيما يتعلق بحق آدمي فشرطها اربعة هذه الثلاثة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها وقيل يقبل التوبة عن اديانته وأهل طاعته والاول اولى فان التوبة مقبولة من جميع العباد مسلمهم وكافرهم اذا كانت صحيحة صادرة عن خلوص نية وعزيمة صحيحة والاحاديث فى ذلك كثيرة وحكمها كثيرة فى الصحيحين وغيرهما (ويعفون عن السيئات) على العموم لمن تاب عن سيئته ويعفون ليشاء بلا توبة ايضا اذا كان مادون الشرك (ويعلم ما تفعلون) من خير وشر فيجازي كلا بما يستحقه قرأ جزء وغيره تفعلون بالقومية على الخطاب وقرئ بالتحسية على الخبر وهما سبعتان واختار الثانية أبو عبيد وأبو حاتم لان هذا الفعل وقع بين خبرين (ويستحيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى يعطيهم ما طلبوه منه يقال أجاب واستجاب بمعنى وقيل المعنى تقبل عبادة المخلصين وقيل التقدير يستحيب لهم فحذف اللام كما حذف فى قوله واذا كآلوا لهم اى كآلواهم وقيل ان الموصول

ورب آياتكم الاولين فكذبوه فاتهم لمحضرون الاعداد لله المخلصين وتركاعهم فى الآخريين سلام على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) قال قتادة ومحمد بن اسحق يقال الياس هو ادريس وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا أبو نعيم حدثنا اسرائيل عن ابي اسحق عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال الياس هو ادريس وكذا قال الضحاك وقال وهب بن منبه هو الياس بن نسي بن فصاح بن العيزار بن هرون بن عمران بعثه الله تعالى فى بنى اسرائيل بعد حزقيل ليهما السلام وكانوا قد عبدوا صنما يقال له بعل فدعاهم الى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ما سواه وكان ادم آمن به ملكهم ثم ارتدوا واستمروا على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فخبس عنهم القطر ثلاث سنين ثم سألوه ان يكشف ذلك عنهم ووعدوه الايمان به انهم أصابهم المطر فدعا الله تعالى لهم فجاءهم الغيث فاستمروا على آخبت ما كانوا عليه من الكفر فسأل الله

ان يقبضه اليه وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليهم ما الصلوة والسلام فأمر الياس ان يذهب الى مكان كذا وكذا فجهما جاءه فليركبه فجاءته فرس من نار فركب وألبسه الله تعالى النور وكساه الريح وكان يطير مع الملائكة ملكا انسيا سماويا أرضيا هكذا حكاه وهب عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته اذ قال لقومه ألا تتقون اى ألا تخافون الله عز وجل فى عبادتكم غيره أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى بعلا يعنى ربا قال عكرمة وقتادة وهى لغة أهل اليمن وفى رواية عن قتادة قال هى لغة ازد شنوءة وقال ابن اسحق أخبرني بعض

اهل العلم انهم كانوا يعبدون امرأه اسمها بعل وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه هو اسم صنم كان يعبداه اهل مدينة يقال له بعلبك غربي دمشق وقال الضحاك هو صنم كانوا يعبدونه وقوله تعالى أتدعون بعلماى أتعبدون صنما وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الاولين اى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له قال الله تعالى فكذبوه فانهم لمحضرون اى للعذاب يوم الحساب الاعباد لله الخالصين اى الموحدون منهم وهذا استثناء منقطع من مثبت وقوله تعالى وتركنا عليه فى الاخرين اى ثناء جيل سلام على الياسين كما يقال فى اسمعيل اسمعين وهى (٢٧٣) لغته بنى اسدوا تشد بعض بنى تميم فى ضرب صاده

يقول رب السوق لما جينا

هذا ورب البيت اسرايتنا

ويقال ميكال ومكائيل وميكائيل و ابراهيم و ابراهيم واسرائيل واسرائيل وطور سيناء وطور سينين وهو موضع واحد وكل هذا سائح وقرأ آخرون سلام على آل ياسين وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وقال آخرون سلام على آل ياسين يعنى آل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين قد تقدم تفسيره والله أعلم (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناها وأهلها أجمعين الاعوزا فى الغابر ين ثم دمرنا الاخرين وانكم لترون عليهم مصحين وبالليل أفلا تعقلون) يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام انه بعثه الى قومه فكذبوه فحجابه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله الامر انه فانها هلكت مع من هلك من قومها فان الله تعالى اهلكهم بانواع من العقوبات وجعل محلهم من الارض بحيرة منتنة قيحة المنظر والظم والريح وجعلها بسيميل

فى محل رفع اى يحسبون ربهم اذ ادعاهم كقوله استجبوا لله وللرسول اذ ادعاهم واستظهره السفاقي قال المراد المعنى يستدعى الذين آمنوا الاجابة هكذا حقيقة معنى استنعمل فالذين فى موضع رفع والاول اولى (ويزيدهم) على ما طلبوه (من فضله) او على ما يستحقونه من الثواب تفضلا منه وقيل يشفعهم فى اخوانهم (والكافرون لهم عذاب شديد) هذا للكافرين مقابل الما ذكره للمؤمنين فيما قبله (ولو بسط الله الرزق لعباده) جميعهم اى لو وسع الله لهم رزقهم (لبغوا) اى لعصوا وطفخوا جميعهم (فى الارض) وبطروا النعمة وتكبروا وطلبوا ما ليس لهم طلبه لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون وفرعون عبرة وقيل المعنى لو جعلهم سواء فى الرزق لما انقاد بعضهم لبعض ولتعطلت الصنائع والاول اولى والظاهر عموم انواع الرزق وقيل هو المطر خاصة وذكر وافي كون بسط الرزق موجبا للطغيان وجوها لان طول بذرها وأصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتجرى كية او كيفية وفى القرطبي بغيمهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومر كبا بعد مر كب ومملىسا بعد مملىس (ولكن ينزل) بالتشديد وضده سبعيتان (بقدرا ما يشاء) اى ينزل من الرزق لعباده بتقدير على حسب مشيئته وما تقتضيه حكمته البالغة (انه بعباده) اى بأحوالهم (خبير بصير) بما يصلحهم من توسيع الرزق وتضييقه فيقدر لكل احد منهم ما يصلحه ويكفيه عن الفساد البغى فى الارض ويقدر لهم ما تقتضيه حكمته فينفق ويغنى ويمنع ويعطى ويبسط ويقبض ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم اهلكوا وما ترى من البسط على من يغنى ومن البغى بدون البسط فهو قليل ولا شك ان البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب عن أبي هانئ الخولاني قال سمعت عمرو بن خريتم وغيره يقولون انما انزلت هذه الآية فى أصحاب الصفة وذلك انهم قالوا ان لنا فقتلوا الدنيا قال السبيوطى سنده صحيح وعن علي مثله (وهو الذى ينزل) بالتشديد والتخفيف سبعيتان (الغيث) اى المطر الذى هو ارفع انواع الرزق وأعمها فاندنو أكثرها منفعة ومصالحة (من بعد ما قنطوا) اى أيسوا عن ذلك فيعرفون بهذا الانزال للمطر بعد القنوط فقد ارتجته لهم ويشكرون له ما يجب الشكر عليه والعام على فتح النون وقرئ بكسرها وهى لغته وعليها قرئ لا تقنطوا بفتح النون فى المتواتر ولم يقرأ بالكسر فى الماضى الا اذا اومأ صدىرة أى من بعد قنوطهم (ويذكر رجته) أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شئ من السهل والجبل

(٢٥ فتح البيان ثامن) مقيم بمرها المسافرون ليللا ونهارا ولهذا قال تعالى وانكم لترون عليهم مصحين وبالليل أفلا تعقلون اى أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون ان للكافرين أمثالها (وان يونس لمن المرسلين اذ بقى الى الفلك المشحون فسناهم فكان من المدحضين فالتهمه الطوت وهو لهم فلولا انه كان من المسبحين للبت فى بطنه الى يوم يعثون فنبذناه بالعر او هو سقيم وأنبأ عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف ويزيدون فآمنوا فتمنعناهم الى حين) فقد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام فى سورة الانبياء وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما ينبغى لعبدان يقول أنا خير من يونس بن متى

ونسبه الى أمه وفي رواية الى أبيه وقوله تعالى اذا نطق الى الفلك المشحون قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الموقر اى المملوء
 بالامعة فساهم اى فارع فكان من المدحفين اى المغلوبين وذلك ان السفينة بلغت بهم الامواج من كل جانب وانسرفوا على
 الفرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقي في البحر تخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه الصلاة
 والسلام ثلاث مرات وهم يظنون به أن يلقي من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك وأمر الله تعالى حوتان البحر
 الاخضر ان يشق البحار وان يلتقم يونس عليه (٢٧٤) السلام فلا يشم له الحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى يونس

عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت
 وذهب به فطاف به البحار كلها ولما
 استقر يونس في بطن الحوت حسب
 انه قدمات ثم حرك رأسه ورجليه
 واطرافه فاذا هو حي فقام فصلى في
 بطن الحوت وكان من جملة دعائه يارب
 اتخذت لك مسجد اى موضع لم
 يبلغه أحد من الناس واختلفوا
 في مقدار ما لبث في بطن الحوت
 فقيل ثلاثة أيام قاله قتادة وقيل
 سبعة قاله جعفر الصادق رضى الله
 عنه وقيل أربعين يوما قاله أبو
 مالك وقال مجاهد عن الشعبي
 التقمه ضحى ولفظه عشية والله
 تعالى أعلم بمقدار ذلك وفي شعر أمية
 ابن أبى الصلت

وأنت بفضل منك نجيت يونس
 وقد بات في أضغاث حوت لياليا
 وقوله تعالى فلولا انه كان من
 المسجحين للبت في بطنه الى يوم
 يعثون قيل لولا ما تقدم له من
 العمل في الرخاء قاله الضحاك بن
 قيس وأبو العالية وهب بن منبه
 وقتادة وغير واحد واختاره ابن
 جرير وقد ورد في الحديث الذى
 سنورده ان شاء الله تعالى ما يدل

والنبات والحيوان وما يحصل به من الخصب وأرجته الواسعة المنتظمة لما ذكرنا تنظما
 أوليا والمراد بالرحمة المطرفذ كالمطر باسمين الغيث لانه يغيث من الشدة والرحمة لانه
 راقفة واحسان (وهو الولي) للصالحين من عباده بالاحسان اليهم وجلب المنافع لهم ودفع
 الشرور عنهم (الحمد) المستحق للحمد منهم على انعامه خصوصا وعموما ثم ذكر سبحانه
 بعض آياته الدالة على كمال قدرته الموجبة لتوحيده وصدق ما وعده من المبعث فقال
 (ومن آياته خلق السموات والارض) أى خلقهما على هذه الكيفية المحيية والصنعة
 الغريبة الدالة على وجود صانع حكيم قادر وفيه اشارة الى ما قرر في الكلام من المسالك
 الاربعة فى الاستدلال على وجود الصانع تعالى وهى حدوث الجواهر وامكانها وحدث
 الاعراض القائمة بها وامكانها أيضا وفيه اشارة أيضا الى ان خلق السموات والارض من
 اضافة الصفة للموصوف أى السموات المخلوقة والارض المخلوقة (وما بث فيها من دابة)
 يجوز عطفه على خلقه بتقدير مضاف ويجوز عطفه على السموات وقدمه القاضى على
 الاول والدابة اسم لكل مادب قال الفراء أراد ما بث في الارض دون السماء كقوله يخرج
 منها اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب وقال أبو يعلى الفارسي تقديره وما
 بث في أحدهما حذف المضاف قال مجاهد يدخل في هذا الملائكة والناس وقد قال
 تعالى ويخلق ما لا تعلمون قال الكرخي وما جوزه الرخصى من أن يكون للملائكة
 شى مع الطيران فيوصفون بالديب كما يوصف بالانامى أو يخلق الله تعالى فى السموات
 حيوانات تعيش فيها شى الانامى على الارض بعيد من الافهام لكونه على خلاف
 العرف العام ولان الشى انما يكون آية اذا كان معلوما ظاهرا مكشوفاً ومن ثم أهمل
 القاضى ذكره (وهو على جمعهم) أى حشرهم يوم القيامة فى الضمير تغليب العاقل على
 غيره لانه راجع الى الدابة ولولاه لكان يقال على جمعها (اذا) أى فى وقت (يشاء) تقدير
 وانظرف متعلق بجمعهم لا بتقدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته قال أبو البقاء لان
 ذلك يؤدى الى ان يصير المعنى وهو على جمعهم قد ير اذا يشاء فتعلق القدرة بالمشيئة وهو
 محال قال شهاب الدين والنسبى ولا ادرى ما وجه كونه محالا على مذهب أهل السنة فان
 كان يقول بقول المعتزلة وهوان القدرة تتعلق بالمشيئة كلامه ولكنه مذهب
 ردى لا يجوز اعتقاده (وما أصابكم من مصيبة) من المصائب كانه ما كانت (فبما) أى

على ذلك ان صح الخبر وفي حديث ابن عباس تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة وقال ابن عباس بسبب

رضى الله عنهم اوسعيد بن جبيرة والضحاك وعطاء بن السائب والسدى والحسن وقتادة فلولا انه كان من المسجحين يعنى المصلين
 وصرح بعضهم بانه كان من المصلين قبل ذلك وقال بعضهم كان من المصلين فى جوف الحوت وقيل المراد فلولا انه كان من المسجحين
 هو قوله عز وجل فتنادى فى الظلمات أن لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجيبنا له ونجيناها من الغم وكذلك نجي المؤمنين
 قاله سعيد بن جبيرة وغيره وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله ابن أخى بن وهب حدثنا عمى حدثنا أبو صخران زيد الرقاشى حدثه

انه سمع آس بن مالك رضى الله عنه ولا أعلم الا ان أنس ارفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدله ان يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت فقال اللهم لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاقبلت الدعوة تحن بالعرش قالت الملائكة يا رب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى أما تعرفون ذلك قالوا يا رب ومن هو قال عز وجل عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبلا ودعوة مستجابة قالوا يا رب أو لا تحرم ما كان يصنع فى الرخاء فتختبئ به من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء (٢٧٥) ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به

زاد ابن أبى حاتم قال أبو صخر حميد ابن زياد فاخبرنى ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث انه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول طرح بالعراء وأبنت الله عز وجل عليه اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة قال شجرة الدباء قال أبو هريرة رضى الله عنه وهما الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الارض أو قال هشاش الارض قال فتفتش عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى تبت وقال أمية ابن أبى الصلت فى ذلك بيتا من شعره وهو

فأبنت يقطينا عليه برجة

من الله لولا الله ألقى ضاحيا

وقد تقدم حديث أبى هريرة رضى الله عنه مسند امر فوعا فى تنسير سورة الانبياء ولهذا قال تعالى فنبذناه أى ألقيناه بالعراء قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره وهى الارض التى ليس بها تبت ولا بناء قيل على جانب دجلة وقيل بارض اليمن فآله أعلم وهو سقيم أى ضعيف البدن قال ابن عباس رضى الله عنهما ما كهيمته الفرخ ليس

بسبب ما (كسبت أيديكم) من المعاصى وما هى الشرطية ولذا دخلت الفاء فى جوابها على قراءة الجمهور ولا يجوز حذفها عند سيبويه وجوز الاخفش وبعض البغداديين الحذف كما فى قوله وان أطعموهم انكم لمشركون وبه قال أبو البقاء وقيل هى الموصولة فيكون الحذف والاثبات جائزين والاول أولى قال الزجاج اثبات الفاء أجود لان الفاء مجازات جواب الشرط ومن حذف الفاء فعلى ان ما فى معنى الذى والمعنى الذى أصابكم وقع بما كسبت أيديكم وعبر باليدى لان أكثر الافعال تزاوّل بها وتعالج وتحصل فالحسن المصيبة هنا الحدود وعلى المعاصى والاولى الحمل على العموم كما يشهد وقوع النكرة فى سياق النفي ودخول من الاستغراقية عليها قال الضحاك ما تعلم الرجل القرآن ثم نسيه الا يذنب ثم قرأ هذه الآية وقال أى مصيبة أعظم من نسيان القرآن قلت ولحق بالقرآن نسيان السنة المطهرة وترك العمل بها وإيثار الرأى عما بها أيضا عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال الأخرى كرم بأفضل آية فى كتاب الله حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما أصابكم من مصيبة الا آية وسأفسرها لك يا على ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فيما كسبت أيديكم والله أكرم من أن ينسى عليكم العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوئه أخرجه أحمد وابن راهويه وابن منيع وعبد بن حميد والحكيم الترمذى وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والخاصكسبم قيل المراد بهم هذه المصائب الاحول المكروهة نحو الأوجاع والاستقام والعطش والبلاء والغرق والصواعق وغير ذلك من الذنوب والمعاصى وتبلغ هذه الآية من يقول بالتساخ وقال لولم يكن للاطنبال حلة كانوا عليهم اقبل هذه الخالة لما تالموا والحق ان الآية مخصوصة بالمكافئين بالسباق (و) هو (يعفون كثير) أى من المعاصى التى يفعلها العباد فلا يعاقب عليهم أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة فعنى الآية أنه يكفر عن العبد بما يصيبه من المصائب ويعفون كثير من الذنوب وقد اثبت بالدلة الصحيحة ان جميع ما يصاب به الانسان فى الدنيا يؤجر عليه أو يكفر عنه من ذنوبه وقيل هذه آية مختصة بالكافرين على معنى ان ما يصابون به بسبب ذنوبهم من غير ان يكون ذلك مكفرا عنهم لذنب ولا حصلا لثواب ويترك عقوبتهم عن كثير من ذنوبهم فلا يعاجلهم فى الدنيا بل يعاملهم الى الدار الآخرة والاولى حمل الآية على العموم والعفو

عليه ريش وقال السدى كهيمته الصبي حين يولد وهو المنفوس وقاله ابن عباس رضى الله عنهما وابن زيد أيضا وأبتسأ عليه شجرة من يقطين قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ووهب بن منبه وهلال بن يساف وعبد الله ابن طاوس والسدى وقتادة والضحاك وعطاء الخراسانى وغير واحد قالوا كلهم اليقطين هو القرع قال هشيم عن القاسم بن أبى أيوب قال عن سعيد بن جبير وكل شجرة لاساق لها فهى من اليقطين وفى رواية عنه كل شجرة تم لك من عامها فهى من اليقطين وذكر بعضهم فى القرع فوالد منها سرة تانته وتظليل ورقه لكبره ونعمته وأنه لا يقر بها الذباب وجودة نغسبه ثمه وأنه يؤكل

نشأ ومطبوخا بلية وقشره أيضا وقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء ويتبعه من نواحي العجفة وقوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ما كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام الا بعد ما نبذته الحوت رواه ابن جرير حدثني الحرث حدثنا أبو هلال عن شهر بن حوشب عن مجاهد رسل اليهم قبل ان يلتقمه الحوت قلت ولا مانع ان يكون الذين أرسل اليهم أو لأمر بالعود اليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم وأمنوا به وحكى البغوي انه ارسل الى مائة (٢٧٦) اخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة ألف أو يزيدون وقوله تعالى

أوزيدون قال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية عنه بل يزيدون وكانوا مائة وثلاثين ألفا وعنه مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفا وعنه مائة ألف وبضعة وأربعين ألفا والله أعلم وقال سعيد بن جبير يزيدون سبعين ألفا وقال مكحول كانوا مائة ألف وعشرة آلاف رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهير بن جبير يحدثني عن أبي بن كعب رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا ورواه الترمذي عن علي بن حجر عن الوليد بن مسلم عن زهير عن رجل عن ابي العالية عن أبي بن كعب به وقال غريب ورواه ابن أبي حاتم من حديث زهير به قال ابن جرير وكان بهض اهل العربية من اهل البصرة يقول في ذلك معناه الى المائة الاف او كانوا يزيدون عندهم يقول كذلك كانوا عندهم ولهذا سلك

يصدق على تأخير العتوبة كما يصدق على محو الذنب ورفع الخطابه وقال الواحدى وهذه أرجى آية في كتاب الله لانه جعل ذنوب المؤمنين صنفين صنف كفره عنهم بالمصائب وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كرم لا يرجع في عفوه فهذه سنة الله مع المؤمنين واما الكافر فانه لا يبجل له في الدنيا عقوبة ذنبه حتى يوافيه يوم القيامة وعن أبي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تصيب عمدا نكبة فاقوتها أو دونها الا بذنوب وما يعفو الله عنه أكثر وقرا وأما أصابكم الآية أخرجه الترمذي وعبد بن جريد وعن عمران بن حصين انه دخل عليه بعض اصحابه وكان قد ابتلى في جسده فقال انالبتئس لك لما ترى فيك قال فلا تبتئس لما ترى فان ما ترى بذنوب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية الى آخرها وعن معاوية بن أبي سفيان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذي الا كفر الله به عنه من سيئاته اخرجه احمد وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما عثرة قدم ولا اختلاج عرق ولا خدش عود الا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر أخرجه ابن مردويه (وما أنتم عجيزين في الارض) أي بفاتين ما قضاه عليهم هر با في الارض ولا في السماء لو كانوا فيها بل ما قضاه عليهم من المصائب واقع عليهم نازل بهم (وما لكم من دون الله من ولي) بواليكم فيمنع عنكم ما قضاه الله (ولا نصير) ينصركم من عذاب الله في الدنيا ولا في الآخرة ثم ذكر سبحانه آية أخرى من آياته العظيمة الدالة على توحده وصدقه ما وعد به فقال (ومن آياته الجوار) بجذف الياء من الخط لانها من يا آت الزوائد وبإثباتها وحذفها في اللفظ في كل من الوصل والوقف قرأت سبعية وهي السنن واحداثها جارية أي سائرة (في البحر كالاعلام) أي الجبال جمع علم وهو الخيل قال الخليل كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم وقال مجاهد الاعلام القصور ورواه عن ابي بصير (ان يشأ) قرأ الجهور وبالهمز وقرئ بلا همز (يسكن الريح) قرأ الجهور بالافراد وقرئ بالجمع والمعنى يسكن الريح التي تجرى بها السفن (فيظللن) أي السفن الجوارى العائمة على فتح اللام التي هي عين الفعل وهو القياس لان الماضي بكسر ها وقرئ بكسرها وهو شاذ وقال الزمخشري من ظل يظل ويظل نحوضل يضل ويضل قال الشيخ وليس كما ذكر لان يضل يفتح العين من ضللت بكسرها في الماضي ويضل بالكسر من ضللت بالفتح وكلاهما مقبوس يعني ان كلا منهما له اصل يرجع اليه بخلاف ظل فان

ابن جرير ههنا ما سلكه عند قوله تعالى ثم قسمت قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او شقوقها وقوله تعالى اذا فريق ماضيه منهم يخشون الناس كخشية الله او شذخشية وقوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى ان المراد ليس انقص من ذلك بل ازيد وقوله تعالى فآمنوا اي فآمن هؤلاء القوم الذين ارسل اليهم يونس عليه السلام جميعهم فمناهم الى حين اتى الى وقت آجالهم كقوله جات عظمتهم فلولا كانت قرية آمنت فنزعنا ايمانها الاقوام يونس لما آمنوا كشفنا عنهم مآذبا لخزي في الحياة الدنيا وتمتعناهم الى حين (فاستفتهم أربك البسات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة انا انما هو شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولدا لله وانهم لكاذبون

أصطفى البنات على البنين ما ليكم كيف تحكمون أفلات تذكرون أم ليكم سلطان ميين فأنا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الاعباد الله المخلصين يقول تعالى منكرا على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أى من الذكور أى يودون لانفسهم الجيد واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم أى يسوءه ذلك ولا يختار لنفسه الا البنين يقول عز وجل فكيف نسبوا الى الله تعالى القسم الذى لا يختارونه لانفسهم ولهذا قال تعالى فاستفتهم أى سألهم على سبيل الانكار (٢٧٧) عليهم أربك البنات ولهم البنون

كقوله عز وجل ألكم الذكروه الانثى تلك اذا قسمه ضيزى وقوله تبارك وتعالى أم خلقنا الملائكة انا ما واهم شاهدون أى كيف حكموا على الملائكة أنهم انا ما شاهدوا خلقهم كقوله جل وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن انا ما أشهدوا خلقهم سكت كتب شهادتهم ويستلون أى يستلون عن ذلك يوم القيامة وقوله جلت عظمته ألا انهم من افكهم أى من كذبهم ليقولون ولد الله أى صدر منه الولد وانهم لكاذبون فذكر الله تعالى عنهم فى الملائكة ثلاثة أقوال فى غاية الكفر والكذب فأول جعلهم بنات الله فجعلوا لله ولدا تعالى وتقدس وجعلوا ذلك الولد انثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف فى التخلد فى نار جهنم ثم قال تعالى منكرا عليهم أصطفى البنات على البنين أى أى نبي يجعله على ان يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل أفأصفاكم بكم بالبنين واتخذ من الملائكة انا ما انكم لتقولون قولا عظيما ولهذا قال تبارك وتعالى

ماضيه مكسورا العين فقط وظل هنا بمعنى صار لان المعنى ليس على وقت الظلول وهو النهار فقط أفاده السمين (رواكد) أى سوا كن ثوابت وقوا يقال ركذ الماء ركذوا سكن وكذلك ركذت الرياح وركذت السفينة وكل ثابت فى مكان فهو راكذ وركذ الميزان استوى وركذ القوم هددوا والمراد المواضع التى يركذ فيها الانسان وغيره (على ظهره) أى ظهر البحر ولا تجرى قال ابن عباس يتحرك ولا يجرى فى البحر (ان فى ذلك) الذى ذكر من أمر السفينة (الآيات) دلالات عظيمة (لكل صبار شكور) أى لكل من كان كثير الصبر على البلى كثير الشكر على النعماء قبل الايمان نصفان نصف صبر عن المعاصى ونصف شكر وهو الايمان بالواجبات وقال قطرب الصبار الشكور الذى اذا أعطى شكروا اذا ابتلى صبر قال عون بن عبد الله فكلم من منع عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر (أبو يهقهن) أى يهلكهن بالغرق قاله ابن عباس والمراد أهلن يقال أو بقة أى أهلكه (عما كسوا) من الذنوب وقيل عما شركوا والاول أولى فانه يهلك فى البحر المشرك وغير المشرك (ويغف عن كثير) من أهلها بالتجاوز عن ذنوبهم فينجيهم من الغرق قرأ الجمهور يعرف بالجزم عطفا على جواب الشرط قال القشيري وفى هذه القراءة اشكال لان المعنى ان يشأ يسكن الرياح فتبقى تلك السفن رواه كد أو يهلكها بنوب أهلها فلا يحسن عطف ويغف على هذا لانه يصير المعنى ان يشأ يغف وليس المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن الغفوة من غير شرط المشيئة فهو ان عطف على المجزوم من حيث اللفظ لامن حيث المعنى وقد قرأ قوم يعرف بالرفع وهى جيدة فى المعنى قال أبو حيان وما قاله ليس بجيد اذ لم يفهم مدلول التركيب والمعنى الا انه تعالى ان يشأ أهلك ناسا وأنجي ناسا على طريق العفو عنهم وقرئ بالنصب بانهم ان بعد الواو (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا) قرأ الجمهور بنصب يعلم قال الزجاج على الصرف والمعنى الصرف صرف العطف على اللفظ الى العطف على المعنى قال وذلك انه لما لم يحسن عطف ويعلم مجزوما على ما قبله اذ يكون المعنى ان يشأ يعلم عدل الى العطف على مصدر الفعل الذى قبله ولا يتأتى ذلك الا بانهم ان يكون مع الفعل فى تأويل اسم وكما قال الزجاج قال المبرد وأبو على القارى واعترض على هذا الوجه بما لا طائل تحته وقيل النصب على

مالكم كيف تحكمون أى مالكم عقول تدبرون بما تقولونه أفلات تذكرون أم ليكم سلطان ميين أى حجة على ما تقولونه فأنا بكتابكم ان كنتم صادقين أى ها تو ابرها ناعلى ذلك يكون مستندا الى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى انه اتخذ ما تقولونه فانما تقولونه لا يكن استنادا الى عقل بل لا يجوز العقل بالكلية وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال مجاهد قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضى الله عنه فن أمهاتهن قالوا بنات سروات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ولهذا قال تبارك وتعالى ولقد علمت الجنة أى الذين نسبوا اليهم ذلك انهم لمحضرون أى ان الذين قالوا ذلك لمحضرون فى العذاب يوم الحساب

لكذبهم في ذلك واقترائهم وقولهم الباطل بلا علم وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال زعم أعداء الله انه تبارك وتعالى هو والبليس اخوان تعالى الله ذلك علوا كبيرا حكاه ابن جرير وقوله جلت عظمته سبحانه الله عايصون أي تعالى وتقدس وتزده عن ان يكون له ولد وعيا يصفه به الظالمون المخدون علوا كبيرا وقوله تعالى الاعباد الله المخلصين استثناء منقطع وهو من مثبت الا ان يكون الضمير في قوله تعالى عايصون عائدا الى الناس جميعهم ثم استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل على كل

(٢٧٨)

نبي ومرسل وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى انهم

المحضرون الاعباد الله المخلصين وفي هذا الذي قاله نظر والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفتاوتين الا من هو صالح الخيم وما منا الا له مقام معلوم وانالحن الصافون وانالحن المسجون وان كانوا يقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكاعباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعملون) يقول تعالى مخاطبا للمشركين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفتاوتين الا من هو صالح الخيم أي انما يتقاد لبقا لتكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة الا من هو أفضل منكم ممن ذرى للانار لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فهذا الضرب من الناس هو الذي يتقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى انكم لبي قول مختلف يؤفك عنه من أفك أي انما يضل بهن هو ما أفوك ومبطل ثم قال تبارك وتعالى منزها للملائكة مما نسبوا اليهم من الكفر بهم والكذب عليهم انهم

العطف على تعميل محذوف والتقدير لينتم منهم ويعلم واعترضه الحنفواي بأنه ترتيب على الشرط اهلاك قوم ونجاة قوم فلا يحسن تقدير لينتم منهم وقرأ نافع وابن عامر برفع يعلم على الاستئناف أي على انه جملته اسمية أو فعلية فعلى كونها فعلية يكون الموصول فاعلا وعلى كونها اسمية يكون مفعولا والفاعل ضمير مستتر يعود على مبتدأ مقدر رأى وهو يعلم الذين وهي قراءة ظاهرة واضحة اللفظ وقرئ بالجزم عطف على المجرم قوله على معنى وان يشأ يجمع بين الاهلاك والنجاة والتحذير ومعنى قوله (مالهم من تحييص) مالهم من فرار ولا مهرب من العذاب قاله قطرب وقال السدي مالهم من لجأ وهو مأخوذ من قولهم حاص به البعير حيصه اذا رمى به وسنه قولهم فلان يحييص عن الحق أي يميل عنه ثم لما ذكر سبحانه دلائل التوحيد ذكر التفسير عن الدنيا فقال (قيا وتييم من شئ اقتاع الحياة الدنيا) أي ما أعطيتم أيها الناس من الغنى والسعة في الرزق وأثاث الدنيا فانما هو متاع قليل يتمتع بها في أيام قليلة تنقضي وتذهب وتزول

انما الدنيا فناء * ليس للدنيا ثبوت

انما الدنيا كبيت * نسجته العنكبوت

ثم رغبتهم في ثواب الآخرة وما عند الله من النعيم المقيم فقال (وما عند الله) من ثواب الطاعات والجزاء عليهم بالجنات هو (خير) من متاع الدنيا (وأبقي) لانه دائم لا ينقطع ومتاع الدنيا ينقطع بسرعة ثم بين سبحانه لمن هذا فقال (للذين آمنوا) أي صدقوا وعلموا على ما يوجبهم الايمان (وعلى ربهم) لا على غير (يتوكلون) أي يفوضون اليه أمورهم ويعتمدون عليه في كل شؤنهم قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين تصدق بجميع ماله وولاه الناس (والذين يجنون بكأثر الاتم والنواحش) الموصول في محل جر معطوف على الذين آمنوا أو يدل منه أو في محل نصب على اضمار أعني الاول وأولى والمراد الكأثر من الذنوب وقد قدمنا تحقيقها في سورة النساء قرأ الجمهور بكأثر بالجمع وقرئ كبير بالافراد وهو ينبغي مدفاد بكأثر لان الاضافة للجنس كاللام والرسم ككريم يحتمل القراءتين والنواحش هي من الكأثر ولكنها مع وصف كونها فاحشة كأنها فوقها وذلك كالقتل والزنا ونحو ذلك وقال مقاتل النواحش موجبات الحدود وقال السدي هي الزنا فعطفها من عطف الخاص على العام والبعض على الكل اذ الكأثر قد لا توجد الحد كالغيبسة

والنميمة

بنات الله وما منا الا له مقام معلوم أي له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادة لا يتجاوزها ولا

ينعده وقال ابن عساكر في ترجمته محمد بن خالد بسنده الى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الجلساء أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع قدم الا عليه ملك راعع أو ساجد ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وما منا الا له مقام معلوم وانالحن الصافون وانالحن المسجون وقال الضحكي في تفسيره وما منا الا له مقام معلوم قال كان مسروق يروي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من السماء الدنيا موضع الا عليه

ملك ساجد أوقام فذلك قوله تعالى ومامننا الا له مقام معلوم وقال الامام الاعمش عن أبي اسحق عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ان في السموات لسماء ما فيها موضع شبر الا عليه جهة ملك أو قدامه ثم قرأ عبد الله رضى الله عنه ومامننا الا له مقام معلوم وكذا قال سعيد بن جبير وقال قتادة كانوا يصليون الرجال والنساء جميعا حتى نزلت ومامننا الا له مقام معلوم فتقدم الرجال وتأخر النساء وانا نحن الصافون أى نقف صفوفنا في الطاعة كما تقدم عند قوله تبارك وتعالى والصفات صفا قال ابن جرير عن الوليد بن عبد الله بن أبي معيث قال كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت وانا (٢٧٩) نحن الصافون فصفا وقال أبو نضرة

كان عمر رضى الله عنه اذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال أقيموا صفوفكم استقيموا قياما يريد الله تعالى بكم هدى الملائكة ثم يقول وانا نحن الصافون تأخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض مسجدا وترتباطهوا الحديث وانا نحن المسبحون أى نسطف فسبح الرب ونعجده وتقده وتنزهه عن النقائص فنحن عباده فقراء اليه خاضعون لديه وقال ابن عباس رضى الله عنهما وبجاهد ومامننا الا له مقام معلوم الملائكة وانا نحن الصافون الملائكة وانا نحن المسبحون الملائكة فسبح الله عز وجل وقال قتادة وانا نحن المسبحون يعنى المصلون يثبتون بمكانهم من العبادة كما قال تبارك وتعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول

والنيمة (واذا ما غضبوا هم يغفرون) أى يتجاوزون عن الذنب الذى أغضبهم ويكظمون الغيظ ويحلمون على من ظلمهم وخص الغضب بالغفران لان استيلاءه على طبع الانسان وعلمته عليه شديدة فلا يغفره عند سورة الغضب الا من شرح الله صدره وخصه بمزيد الحلم ولهذا أثنى الله سبحانه عليهم بقوله فى آل عمران والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنفنا يعنون عن ظالمهم فبدأ بـ كرههم وصنفنا يتصرون من ظالمهم وهم الذين سبأى ذكركم (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة) أى أجابوه الى مادعاهم اليه وأقاموا ما أوجبه عليهم من فريضة الصلاة قال ابن زيد هم الانصار بالمدينة استجابوا الى الايمان بالرسول حين أنفذ اليهم اثني عشر نقيباً منهم قبل الهجرة وأقاموا الصلاة لمواقيتهم بشر وطها وهيأتها قاله القرطبي ونحوه فى البيضاوى (وأمرهم شورى بينهم) أى يتشاورون فيما بينهم ولا يعجلون ولا يتندرون بالرأى والشورى مصدر شاورته مثل البشرى والقربنى قال الخليل هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وورد النقباء اليهم حين اجتمع رأيهم فى دار أبى أيوب على الايمان به والنصرة له وقيل المراد تشاورهم فى كل أمر يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم على بعض برأى قال ابن العربي الشورى ألفة للجماعة وسبيل للعقول وسبب الى انصواب وماتشاور قوم قط الاهدوا فخذ الله تعالى المشاورة فى الامور مدح القوم الذين كانوا يتشاورون ذلك وما أحسن ما قاله بشار بن برد

إذا باغ الرأى المشورة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافى قوة لا تقوادم

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشاور أصحابه فى أموره وأمره الله سبحانه بذلك فقال وشاورهم فى الامر وذلك فى الآراء كثير ولم يكن يشاورهم فى الاحكام لانها منزلة من عند الله على جميع الاقسام من الفرض والتدب والمكروه والمباح والحرام فأما الصحابة بعده صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا يتشاورون فى الاحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينص عليها وتشاوروا فى أهل الردة فاستقر رأى أبى بكر على القتال وشاوره رضى الله عنه الهرمزان حين وفد عليه مسلماً وقد قدمنا فى آل عمران كلاما فى الشورى (ومما رزقناهم

وهم بأمره يعمرهون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفقون الا لمن ارتضى وهم من خشية مشفقون ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقوله جل وعلا وان كانوا يقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين أى قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم بالحمد لو كان عندهم من يذكروهم بأمر الله وما كان من أمر القرون الاولى ويأتهم بكتاب الله كما قال جل جلاله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليركضوا اليه كأنهم سائمة ياتون الشجرة وقال تعالى انهم انفقوا وقال تعالى ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو اننا نزل علينا الكتاب لكنا

أهدى منهم فقد جاء كم بينة من ربهم وهدى ورحمة فن أظلم من كذب بآيات الله وصدف عنها سخرى الذين يصدفون عن آياتنا
 سوء العذاب بما كانوا يصدفون ولهذا قال تعالى ههنا فكفروا به فسوف يعلمون وعيدا كيد و تهديد شديد على كفرهم برهم عز
 وجل وتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولقد سبقت كلمتنا العبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول
 عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفعدا بنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين
 وأبصر فسوف يبصرون) يقول تبارك (٢٨٠) وتعالى ولقد سبقت كلمتنا العبادنا المرسلين أى تقدم في الكتاب الاول ان

العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا
 والآخرة كما قال تعالى كتب الله
 لا علمن أنا ورسول ان الله قوى عزيز
 وقال عز وجل ان الله نصر رسالنا
 والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم
 يقوم الاشهد ولهذا قال جل جلاله
 ولقد سبقت كلمتنا العبادنا المرسلين
 انهم لهم المنصورون أى في الدنيا
 والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم
 على قومهم من كفرهم وخالفهم
 كيف أهلك الله الكافرين ونجى
 عباده المؤمنين وان جندنا لهم
 الغالبون أى تكون لهم العاقبة
 وقوله جل وعلا فتول عنهم حتى
 حين أى اصبر على أذا هم لك وانتظر
 الى وقت مؤجل فانا سنجعل لك
 العاقبة والنصرة والظفر ولهذا
 قال بعضهم نأ ذلك الى يوم بدر وما
 بعدها أيضا في معناها وقوله
 جلت عظمة ته وأبصرهم فسوف
 يبصرون أى انظرهم وارقب
 ماذا يحل بهم من العذاب والنكال
 بما خلفتك وتكذبتك ولهذا قال
 تعالى على وجه التهديد والوعيد
 فسوف يبصرون ثم قال عز وجل
 أفعدا بنا يستعجلون أى هم انما

ينتقون) في سبيل الخير ويتصدقون به على المحاورىج ثم ذكر سبحانه الطائفة التى تقتصر
 من ظلمها فقال (والذين اذا أصابهم البغي) أى بغي من بغي عليهم بغير الحق (هم ينتصرون)
 أى ينتقمون من ظالمهم من غير تعذر كرسبحانه هؤلاء المنتصرين في معرض المدح كما ذكر
 المغفرة عند الغضب في معرض المدح لان التذلل لمن بغي ليس من صفات من جعل الله له
 العزة حيث قال والله العزة لرسوله وللمؤمنين فالانتصار عند البغي فضيلة كما ان العفو عند
 الغضب فضيلة قال ابن العربي ذكرا الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن
 الجرم في موضع آخر في معرض المدح فاحتمل أن يكون أحدهما رافعا للآخر أو يكون
 ذلك راجعا الى حالتين احدهما أن يكون الباغى معلما بان العجز مؤذيا للصغير والكبير
 فيكون الانتقام منه أفضل الثانية ان يقع ذلك من لم يعرف بالزلة ويسأل المغفرة فانهفو
 ههنا أفضل وهكذا كرايك الطبرى في أحكامه وقال النخعي كانوا يكبرون ان يذلوا
 أنفسهم فيجترئ عليهم السفهاء والفساق لكن هذا الانتصار مشروط بالانتصار على
 ما جعله الله وعدم مجاوزته كما بينه سبحانه عقبه ذاب قوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها)
 فبين سبحانه ان العدل في الانتصار هو الاقتصار على المساواة وظاهر هذا العموم وقال
 مقاتل والشافعي وأبو حنيفة وسفيان ان هذا خاص بالجرح ينتقم من الجرح بالقصاص
 دون غيره وقال مجاهد والسدي هو جواب التبعيض اذا قال شخص أنزل الله يقول
 أنزل الله من غير أن يعتدى واذا انتصر فقد استوفى ظلامته وبرئ الاول من حقه وبقي
 عليه اثم الابتداء والاثم لحق الله تعالى وتسمية الجزاء سيئة اما لكونها اسوء من وقعت
 عليه أو على طريق المشاكلة لتشابهها في الصورة أخرج النسائي وابن ماجه وابن
 مردويه عن عائشة قالت دخلت على زينب وعندي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 فأقبلت على فسبنتني فردعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تنته فقال لي سبيهم فسيبتها
 حتى جف ريقها في فها ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتهلل سرورا وأخرج
 أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن مردويه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم المستبمان ما قال من شيء فعلى المبادئ حتى يعتدى المظلوم ثم قرأ أو جزاء
 سيئة سيئة مثلها (فن عفا) الناء للتفرع أى اذا كان الواجب في الجزاء رعاية الممانته من
 غير زيادة وهى عشرة جدا فالاولى العفو والاصلاح اذا كان قابلا للاصلاح فلا يرده

يستعجلون العذاب اتكذبهم وكفرهم بك فان الله تعالى يغضب عليهم بذلك ويجعل لهم العقوبة ومع
 هذا أيضا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة قال الله تبارك وتعالى فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين
 أى فاذا نزل العذاب جعلتهم فبئس ذلك اليوم يومهم باهلا كهوم ودمارهم وقال السدي فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين
 صباح المنذرين أى فبئس ما يتصحبون أى بئس الصباح صباحهم ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث اسمعيل بن علية عن عبد
 العزيز بن صهيب عن أنس رضى الله عنه قال صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا فما خرجوا بنفوسهم ومساحيمهم ورأوا الجيش

يخالف

رجعوا وهم يقولون محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خبيرانا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ورواه البخاري من حديث مالك عن حميد بن أنس رضي الله عنه وقال الامام أحمد حدثنا يوحى حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنه قال لما صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خبير وقد أخذوا مساحيقهم وغدوا إلى حروثهم وأرضهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم تكصوا ومدبرين فتسألني الله صلى الله عليه وسلم انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين لم يخرجوه من هذا الوجه وهو (٢٨١) صحيح على شرط الشيخين وقوله تعالى ونزل عنهم

حتى حين وأبصر فسوف يبصرون تأكد لما تقدم من الامر بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة ويقدمها ويبرها عما يقول الظالمون المكذبون المعتدون وتعالى وتنزهه وتقدس عن قواهم علوا كبيرا ولهذا قال تبارك وتعالى سبحانه ربك رب العزة أي ذى العزة التي لا تزام عما يصفون أي عن قول هؤلاء المعتدين المنتهزين وسلام على المرسلين أي سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه في ربهم وصحته وحقيقته والحمد لله رب العالمين أي له الحمد في الاولى والآخرة في كل حال ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم اثبات الكمال كما ان الحمد يدل على اثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما في هذا الموضع وفي مواضع كثيرة من القرآن ولهذا قال تبارك وتعالى سبحانه ربك رب العزة عما

يخالف قولهم الخلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم والمعنى من عقابن ظلمه (واصلح) بالنعو بينه وبين ظلمه (فأجره على الله) أي يأجره على ذلك لا بحاله وأبهم الاجر تعظيما لشأنه وتثنيها على جلالته قال مقاتل فكان العنوم من الاعمال الصالحة وقد بينا هذا في سورة آل عمران والمقصود من الآية التحريض على العفو وقد عرفت التوفيق بينه وبين الانتصار أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادي ألا يقم من كان له على الله أجر فلا يقوم الا من عفا في الدنيا وذلك قوله فن عفا الآية وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ينادي مناد من كان له أجر على الله فليدخل الجنة مرتين فيقوم من عفا عن أخيه قال الله تعالى فن عفا الآية ثم ذكر سبحانه خروج الظلمة عن محمته التي هي سبب القوز والتجاة فقال (انه لا يجب للظالمين) يعني من يبدأ بالظلم قالة مقاتل وبه قال سعيد بن جبير وقيل لا يجب من يتعدى في الاقتصاص ويجاوز الحد فيه لان المجاوزة ظلم (ولن انتصر بعد ظلمه) مصدر مضاف الى المفعول أي بعد ان ظلمه الظالم واللام هي لام الابتداء وقال الحوفي وابن عطية هي لام القسم وليس يجيد بل الاولى أولى ومن هي الشرطية وجوابه (فأولئك ما عليهم من سبيل) بمواخذة وعقوبة لانهم فعلوا ما هو جاز لهم وقيل من موصولة والاول أولى وفي القرطبي الآية دليل على ان له ان يستوفي ذلك بنفسه وهذا ينقسم ثلاثة أقسام وذكرها في حاشية الجمل لان طول بسطها فتحلها كتب الفقه دون التفاسير ولما نفي سبحانه السبيل على من انتصر بعد ظلمه بين من عليه السبيل فقال (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) أي يتعدون عليهم ابتداء كذا قال الاكثر وقال ابن جريج أي يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم (ويجوزون في الارض) أي يعملون في النفوس والاموال (بغير الحق) كذا قال الاكثر فبده لان البغي قديكون مصعوباً بحق كالاتصار المقترن بالتعدى فيه وقال مقاتل بغيرهم عملهم بالمعاصي وقيل يتكبرون ويتجبرون وقال أبو مالك هو ما يرجوه أهل مكة ان يكون بمكة غير الاسلام ديناً (أولئك) أي الذين يظلمون الناس (الهم) بهذا السبب (عذاب أليم) شديد الالم ثم رغب سبحانه في الصبر والعفو فقال (ولن صبر وعففر) كرره امة ما بالصبر وترغبنا فيه والصبر هنا هو الاصلاح المتقدم فاعيد هنا وعبر عنه بالصبر لانه من شأن أولى العزم وشارة الى ان العفو

(٣٦ فتح البيان ثامن) يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمت على فسلموا على المرسلين فأنما أنا رسول من المرسلين هكذا رواه ابن جريروا بن أبي حاتم من حديث سعيد عنه كذلك وقد أسنده ابن أبي حاتم رحمه الله فقال حدثنا علي بن الحسين بن الخنيد حدثنا أبو بكر الاعين ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة فالاحد ثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمت على فسلموا على المرسلين وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا

نوح حدثنا أبو هريرة عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يسلم قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثم يسلم اسناده ضعيف وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا شيبان بن يوسف عن أبي اسحق عن الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال بالمكال الا وافي من الاجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد ان يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وروى من وجه آخر متصل (٢٨٢) موقوف على علي رضي الله عنه قال أبو محمد البغوي في تفسيره أخبرنا

أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أخبرنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني ابن منجويه حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا جدان حدثنا ابراهيم بن سهلويه حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الاصمغين بن بناة عن علي رضي الله عنه قال من أحب ان يكال بالمكال الا وافي من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وروى الطبراني من طريق عبد الله بن صخر بن أنس عن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات فقد اكال بالجرىب الا وافي من الاجر وقد وردت أحاديث في كثرة المجلس سبحانك اللهم ويحمدك لا اله الا أنت استغفرك وأتوب اليك وقد أفردت لها جراً أعلى حدتها في كتب ههنا ان شاء الله تعالى آخر تفسير سورة والصفات والله أعلم

المجود ما نشأ عن التحمل لاعتن العجز والمعنى ومن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه لوجه الله ولم ينتصر وهذا فيمن ظلمه مسلم ويحكي ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظمه ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلمها والله وفهمها اذا ضيعها الجاهلون وبالجملة العفو مندوب اليه ثم قد يعكس في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوباً اليه كما تقدم وذلك اذا احتج الى كثرة زيادة البغي وقطع مادة الاذى (ان ذلك) الصبر والمغفرة منه وحذف الراجع لانه مفهوم كحذف من قولهم السمن منوان بدرهم (ان عزم الامور) قال مقاتل أي من الامور التي أمر الله بها وندب اليها أو مما ينبغى ان يوجبه العاقل على نفسه ولا يترخص في تركه قال أبو سعيد القرشي الصبر على المكاره من علامات الاتبهاة فمن صبر على مكرهه يصيبه ولم يجزع أورثه الله تعالى حال الرضا وهو أجل الاحوال ومن جزع من المصيبات وشكا وكلمه الله تعالى الى نفسه ثم لم تنفعه شكواه وقال الزجاج الصابر يؤتى بصبره ثوابا فالرغبة في الثواب أتم عزمها قال ابن زيد ان هذا كله منسوخ بالجهاد وانها خاص بالمشركين وقال قتادة انه عام وهو ظاهر النظم القرآني وقال هنا بلام التوكيد وفي لقمان بدوئها ان الصبر على مكرهه حدث بظلمه ولد أشد من الصبر على مكرهه حدث بلا ظلم كوت ولد كما ان العزم على الاول أكد منه على الثاني وما هنا من القبيل الاول فكان أنسب بالتوكيد وما في لقمان من القبيل الثاني فكان أنسب بعدمه افاده الكرخي (ومن يضل الله) اي يخذه (فقاله من ولي من بعده) أي فباله من احد يلي هدايته ويصبره وظاهر الآية العموم وقيل هي خاصة بمن أعرض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يعمل بما دعا به اليه من الايمان بالله والعمل بما شرعه الله والمودة في القربى أي فمن أضله الله عن هذه الاشياء فلا يهديه هاد قاله القرطبي والاول أولى (وترى) الخطاب في الموضوعين لكل من تتأق منه الرؤية والرؤية فيهما بصرية وبالجملة الواقعة بعد كل منهما حالية (الظالمين) أي المشركين المكذبين بالبعث (لمساراً والعذاب) أي حين نظروا النار وقيل نظر واما أعدده الله لهم عند الموت واختير لفظ الماضي للتحقيق (يقولون هل الى مرد من سبيل) أي هل الى الرجعة الى الدين من طريق (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين من الذل) أي ساكنين متواضعين من أجله (ينظرون) اليها (من طرف خفي) أي ذليل قاله

ابن

* (تفسير سورة ص وهي مكية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم ص والقرآن ذي الذ كربل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناس) اما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله تعالى والقرآن ذي الذ كرى والقرآن المشتمل على ما فيه ذكرا للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد قال الضحاك في قوله تعالى ذي الذ كرى فقد أنزلنا اليكم كتابا فيسهذ كرى كم أي تذ كبرى وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبيرة واسم عيل بن

أبي خالد بن عيينة وأبو حصين وأبو صالح والسدي الذي ذكر في الشرف أي ذي الشأن والمكانة ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والاعتذار والانذار واختلّفوا في جواب هذا القسم فقال بعضهم هو قوله تعالى إن كل الأكاذب الرسل فحق عقاب وقيل قوله تعالى إن ذلك لحق تخاصم أهل النار حكاها ابن جرير وهذا الثاني فيه بعد كبير وضعفه ابن جرير وقال قتادة جوابه بل الذين كفروا في عزة وشقاق واختاره ابن جرير ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه قال جوابه ص جعلها بمعنى صدق حق والقرآن ذي الذكر وقيل جوابه (٢٨٣) ما تضمنه سياق السورة بكملها والله أعلم وقوله

تبارك وتعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق أي إن في هذا القرآن لذكر لمن يتذكر وعبر لمن يعتبر وانما لم ينفع به الكافرون لانهم في عزة أي استكباره وحمية وشقاق أي ومخالفة له ومعاودة ومفارقة ثم خوفهم ما هلك به الامم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء فقال تعالى كم أهلكنا من قبلهم من قرن أي من امة مكذبة فنادوا أي حين جاءهم المذاب استغاثوا وجرأوا الى الله تعالى وليس ذلك مجدعهم شيئا كما قال عز وجل فلما أحسوا بأنا اذاهم منها يركضون أي يهربون لارتكضوا وارجعوا الى ما ترفتم فيه ومساكنكم لعليكم تسئلون قال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي اسحق عن التميمي قال سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى فنادوا وولات حين مناص قال ليس بحين تزولوا وولات وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس بحين مغاث وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن

ابن عباس ومن هي لا ابتداء الغاية أي يتبدى نظرهم الى النار ويجوز أن تكون تبعية وقال يونس من بمعنى الباء أي ينظرون بطرف ضعيف من الذل والخوف وبه قال الاخفش والطرف الخفي الذي يخفى نظره كالصبور ينظر الى السيف لما لحقهم من الذل والخوف والوجل قال مجاهد وانما ينظرون بقلوبهم لانهم يحشرون عميا وعين القلب طرف خفي وقال قتادة وسعيد بن جبيرة والسدي والقرظي ومحمد بن كعب يسارقون النظر الى النار من شدة الخوف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) أي ان الكافرين في الخسران هم هؤلاء الذين جمعوا بين خسران الانفس والاهلين بتخليد هم في النار (يوم القيامة) اما ظرف لخسران وقاله في الدنيا وألقال فالقول في القيامة ويكون التعبير عنه بالماضي للدلالة على تحقق وقوعه قاله أبو السعود واما خسراهم لانفسهم فليكونهم صاروا في النار معذبين بها واما خسراهم لاهليهم فلانهم ان كانوا معهم في النار فلا ينفعون بهم وان كانوا في الجنة فقد حبل بينهم وبينهم وقيل خسرا الاهل انهم لو آمنوا لكان لهم في الجنة أهل من الحور العين (ألان الظالمين في عذاب مقيم) هذا من تمام كلام المؤمنين أو من كلام الله سبحانه أي هم في عذاب دائم لا ينقطع (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) أي لم يكن لهم أعوان يدفعون عنهم العذاب وأنصار ينصرونهم في ذلك الموطن من دون الله بل هو المتصرف سبحانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن (ومن يضلل الله فإنا لا نجد له سبيلا) أي من طريقه يسلكها الى النجاة ثم أمر سبحانه عباده بالاستجابة وحذرهم فقال (استجبوا للربكم) أي استجبوا دعوتهم اليكم الى الايمان به وبكتبه ورسوله (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) أي لا يقدر أحد على رده ودفعه على معنى من قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد ولا يرده الله بعد ان حكم به على عباده ووعدهم به والمراد بيوم القيامة أو يوم الموت (مالككم من ملجأ يومئذ) تلجؤون اليه (ومالككم من نكير) أي انكار يعنى بل تعترفون بذنوبكم لانها مدونة في صحائفكم وتشهد بكم عليكم جوارحكم وقال مجاهد مالككم من ناصر ينصركم وقيل النكير يعنى المنكر كالأليم يعنى المؤلم أي لا تجدون يومئذ منكر الما ينزل بكم من العذاب حكاها ابن أبي حاتم وقاله الكلبي وغيره والاول أول قال الزجاج معناه انهم

ابن عباس نادوا النداء حين لا ينفعهم وانشد * تذكري لي لآت حين تذكر * وقال محمد بن كعب في قوله تعالى فنادوا وولات حين مناص يقول نادوا بالتوحيد حين توت الدنيا عنهم واستنصروا للتوبة حين توت الدنيا عنهم وقال قتادة لما رأوا العذاب أرادوا التوبة عن حين النداء وقال مجاهد فنادوا وولات حين مناص ليس بحين فرار ولا اجابة وقد روى نحو هذا عن عكرمة وسعيد بن جبيرة وأبي مالك والاضمالي وزيد بن اسلم والحسن وقتادة وعن مالك عن زيد بن اسلم وولات حين مناص ولانها في غير حين النداء وهذه الكلمة وهي لآت هي لآتني زيدت معها التاء كما تزداد في قولون ثم في قولون ثم وربي في قولون ربت وهي مفصولة والوقف عليها ومنهم من

حكى عن المحقق الامام فيما ذكره ابن جرير انها متصلة بيمين ولا تخين مناص والمشهور الاول ثم قرأ الجمهور بنصب حين تقديره
وليس الحين حين مناص ومنهم من جوز النصب بها وانشد

تذكر حب ايلي لات حيننا * واضحى الشيب قد قطع القرينا
طلبوا صلحنا ولات اوان * فاجبنا ان ايس حين بقاء
ولات ساعة مندم * بخفض الساعة

ومنهم من جوز الجربها وانشد
وانشد بعضهم ايضا

واهل اللغة يقولون النوص التآخر
والبوص التقدم ولهذا قال تبارك
وتعالى ولات حين مناص اي ليس
الحين حين فرار ولا ذهاب والله
سبحانه وتعالى الموفق للصواب
(وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال
الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل
الالهة الهاواحد ان هذا الشيء
عجاب وانطلق الملا منهم ان امشوا
واصبروا على آلهتكم ان هذا الشيء
يراد ما معناه في الملة الاخرة
ان هذا الاختلاق انزل عليه
الذكر من بيننا بل هم في شك من
ذكرى بل لما يذوقوا عذاب ام
عندهم خرافة رجمة ربك العزيز
الوهاب ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما ما فليرتقوا في
الاسباب جندها هنالك مهزوم من
الاحزاب) يقول تعالى مخبر عن
المشركين في تعجبهم من بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا
كما قال عز وجل اكان للناس عجا
ان اوحينا الى رجل منهم ان اذر
الناس وبشر الذين آمنوا ان اهتم
قدم صدق عند ربهم قال الكافرون
ان هذا لساحر مبين وقال جل

لا يقدر ون ان ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها (فان اعرضوا عما ارسنا لك عليهم
حفيظا) اي حافظا تحفظ اعمالهم الصادرة عنهم حتى تحاسبهم عليها ولا موكلابهم رقيباً
عليهم لتفهرهم على امتثال ما ارسنا لك به (ان) اي ما (عليك الا البلاغ) لما امرت
بإبلاغه وليس عليك غير ذلك وهذا منسوخ بآية السيف لانه قبل الامر بالجهاد (وانا
اذ اذقنا الانسان نار جهنم) اي اذ اذ اعطيناهم نار جهنم وصحة رغنى (فرح بها) بطرا ونعم الدنيا
وان كانت عظيمة الانها بالنسبة الى سعادة الاخرة كالقطرة بالنسبة الى البحر فلهذا سمي
الانعام اذ اذاعة والمراد بالانسان الجنس ولهذا قال (وان تصبهم سيئة) اي بلاه وشدة
ومرض وفقر (عما قدمت ايديهم) من الذنوب وعبر بالايدي لان اكثر الافعال تزاول بها
(فان الانسان كفور) اي كثير الكفر بما انعم به عليه من نعمه غير شكور له عليها وهذا
باعتبار غالب جنس الانسان ولم يقل فانه كفور بل وضع الظاهر موضع المنعمر ليسجل على
ان هذا الجنس موسوم بكفر ان النعم كما قال ان الانسان لظالم كفار والمعنى انه يذكر البلاء
وينسى النعم ويغيبها ثم ذكر سبحانه سعة ملكه ونفاذ تصرفه فقال (الله ملك السموات
والارض) اي له التصرف فيما يريد لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع والملك بالضم
الاستيلاء على الشيء والتمكين من التصرف فيه وفي المصباح والملك على الناس امرهم
ملكاً من باب ضرب اذ اولى السلطنة فهو ملك والاسم الملك بضم الميم (يخلق ما يشاء) من
الخلق (يهب لمن يشاء اناثا) بدل مفصل من مجمل اي لاذ كور معهن فانه مجاهد والحسن
والضحاك وابو مالك وابو عبيدة وقال ابن عباس يريد لوطا وشعبا لانهم لم يكن لهما الا
البنات (ويهب لمن يشاء الذكور) اي لاناث معهم يريد ابراهيم لانه لم يكن له الا الذكور قاله
ابن عباس قيل وتعرف الذكور بالالف واللام للدلالة على شرفهم على الاناث ويمكن ان يقال
ان التقديم للاناث قد عارض ذلك فلا دلالة في الآية على المقابلة بل هي مسوقة لمعنى
آخر وقد دل على شرف الذكور قوله سبحانه الرجال قوامون على النساء بما فضل الله وغير
ذلك من الأدلة الدالة على شرف الذكور على الاناث وقيل تقديم الاناث لكثرتهن من
بالنسبة الى الذكور وقيل لتطيب قلوب آياتهن وقيل لغير ذلك مما الحاجة الى التطويل
بذكره اخرج ابن مردويه وابن عساكر عن وانث بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم قال من بركة المرأة ان تبتكارها بالانث لان الله قال يهب لمن يشاء اناثا الخ (أوتروا جهم

وعلاهنوا وعجبوا ان جاءهم منذر منهم اي بشر مثلهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب اجعل الالهة
الهاواحد اي ازرع ان المعبود واحد لا اله الا هو انكر المشركون ذلك فجهم الله تعالى وتعجبوا من ترك المشرك بالله فانهم
كانوا قد تلقوا عن آباءهم عبادة الاوثان واشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى خلع ذلك من قلوبهم وافراد
الالهة بالوحدانية اعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا اجعل الالهة الهاواحد ان هذا الشيء عجاب وانطلق الملا منهم سادتهم وقادتهم
ورؤسأؤهم وكبرأؤهم فالتين امشوا اي استمروا على دينكم واصبروا على آلهتكم ولا تستعجبوا المساعدهم اليه محمد من التوحيد

وقوله تعالى ان هذا الشئ يراد قال ابن جرير ان هذا الذي يدعوننا اليه محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد شئ يرديه الشرف عليكم والاستعلاء وان يكون له منكم اتباع واسنانا يجيبه اليه ذكرب نزول هذه الآيات الكريعات قال السدي ان ناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن رائل والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يعوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصه فنما منه فليتكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه الذي يعبده فاننا نحاف ان يموت هذا الشيخ فيكون منا اليه شئ فغير نابه العرب يقولون تركوه (٢٨٥) حتى اذا مات عنه تناولوه فبعثوا رجلا منهم

يقال له المطاب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومه وسراهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فاننا نصفتنا من ابن أخيك فروه فليتكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه قال فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراهم وقد سألوك ان تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك قال صلى الله عليه وسلم يا عم أفلا تدعوهم الى ما هو خير لهم قال والى ما تدعوهم قال صلى الله عليه وسلم ادعوهم ان يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب وتليكون بها العجم فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ماهي وأبيك لتعطينكها وعشر أمثالها قال صلى الله عليه وسلم تقولون لا اله الا الله فنفرنا وقالوا سلنا غيرها قال صلى الله عليه وسلم لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها فقاموا من عنده غضابا وقالوا والله انشمتك والهك الذي امرك به هذا وانطلق المساء منهم ان امشوا

ذكرنا وانانا اي يقرب بين الاناث والذكور ويجمع لهم ازواجا فيهم ما جيعا لبعض خلقه يريد محمد صلى الله عليه وآله وسلم فانه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابراهيم ومن البنات اربع زينب ورقية وام كاشوم وفاطمة قاله ابن عباس قال مجاهد هو ان تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية وقال محمد بن الحنفية هو ان تلد ثورا غلاما وجارية وقال القتيبي التزوج جميع هنا هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب زوجت ابلي اذا جمعت بين الصغار والبنات وعنى الآية اوضح من ان يختلف في مثله فانه سبحانه اخبر انه يهب لبعض خلقه انانا ويهب لبعض خلقه مذكورا ويجمع لبعض بين الذكور والاناث (ويجعل من يشاء عتقا) لا يولد له ذكورا ولا أنثى والعقيم الذي لا يولد له يريد يحيى وعيسى قاله ابن عباس وقال أكثر المفسرين هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام في كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوير الاشياء كيف يشاء فلا معنى للتخصيص يقال رجل عقيم وامرأة عقيمة والمرأة تعقم عقما وأصله القطع ويقال نساء عتقهم وعقما وعقام (انه عليم قدير) أي بليغ العلم عظيم القدرة (وما كان لبشر) أي ماصح الفرد من افراد البشر (أن يكلمه الله) بوجه من الوجوه (الاوحيا) بأن يوحى اليه فيلهمه في المنام ويقذف في قلبه ذلك قال مجاهد نثفت في قلبه فيكون الهامان منه كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم في ذبح ولده والوحى الاشارة والرسالة والكتابة وكل ما ألقىته الى غيرك ليعلم وحى كيف كان قاله ابن فارس وهو مصدر وحى اليه يحيى من باب وعى وأوحى اليه بالالف مثله ثم غلب استعمال الوحى فيما يلحق الى الانبياء من عند الله تعالى ولغة القرآن الناشئة أوحى بالالف (أومن وراء حجاب) كما كلم موسى يريد ان كلامه يسمع من حيث لا يرى وهو تمثيل بحال الملك المحتجب الذي يكلم خواصه من وراء حجاب قال ابن عباس في الآية الا ان يعث ملكا يوحى اليه من عنده ويلهمه فيذف في قلبه أو يكلمه من وراء حجاب وقيل المراد به ان السامع محبوب عن الرؤية في الدنيا (أو يرسل رسولا) أي ملكا (فيوحى) ذلك الملك الى الرسول من البشر (بآية) أي بأمر الله وتيسيره (ما يشاء) ان يوحى اليه قال الزجاج المعنى ان كلام الله للبشر اما ان يكون بالهام يلبهمهم او يكلمهم من وراء حجاب كما كلم موسى أو رسالة ملك اليهم وتقدير الكلام ما كان لبشر أن يكلمه الله الا ان يوحى وحيا أو يكلمه من وراء حجاب أو يرسل رسولا ومن

واصبر واعلى آلهتكم ان هذا الشئ يراد ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد فلما خرجوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه الى قول لا اله الا الله فابى وقال بل على دين الاشياخ ونزلت انك لاتهدى من أحببت وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو بكر يرب وابن وكيع قال حدثنا أبو اسامة حدثنا الامش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال لما عرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فنهيت فبعث اليه بخاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل قال فخشى أبو جهل لعنه الله

ان جلس الى جنب أبي طالب ان يكون أرق له عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب ما حارب
 معه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك يزعمون انك تشتم آلهم وتقول وتقول قالوا كثروا
 عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عم اني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى
 إليهم بها النجم الجزية فنزعوا الكلمة ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشر افقالوا وما هي وقال أبو طالب وأي كلمة هي
 يا ابن أخي قال صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله (٢٨٦) فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون اجعل الآلهة الها واحدا

ان هذا الشيء عجيب قال ونزلت من
 هذا الموضع الى قوله بل لما يذوقوا
 عذاب لفظ أبي كريب وهكذا رواه
 أحمد والنسائي من حديث محمد بن
 عبد الله بن غير كلاهما عن أبي
 اسامة عن الأعمش عن عباد غير
 منسوب به نحوه ورواه الترمذي
 والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير
 أيضا كلهم في تفاسيرهم من حديث
 سفيان الثوري عن الأعمش عن
 يحيى بن عمار الكوفي عن سعيد
 ابن جبير عن ابن عباس رضى الله
 عنهم ما قد ذكر نحوه وقال الترمذي
 حسن وقولهم ما سمعنا بهذا في الملة
 الآخرة أى ما سمعنا بهذا الذى
 يدعوننا اليه محمد من التوحيد في
 الملة الآخرة قال مجاهد وقتادة
 وابوزيد يعنون دين قريش وقال
 غيرهم يعنون النصرانية قاله
 محمد بن كعب والسدى وقال العوفي
 عن ابن عباس رضى الله عنهم ما
 سمعنا بهذا في الملة الآخرة يعنى
 النصرانية قالوا لو كان هذا القرآن
 حقا اخبرتنا به النصارى ان هذا
 الاختلاق قال مجاهد وقتادة
 كذب وقال ابن عباس تخصص

قرأ يرسل رفعا أراد وهو يرسل فهو ابتداء واستئناف انتهى وقرأ الجمهور بنصب يرسل
 وبنصب فيموجى على تقدير ان وتكون ان وما دخلت عليه معطوفين على وحياء وحياتي
 محل الحال والتقدير الاموحيا وأمر سلا ولا يصح عطف أو يرسل على ان يكلمه لانه
 بصير التقدير وما كان لبشر أن يرسل الله رسولا وهو فاسد لفظا ومعنى وقد قيل في
 توجيه قراءة الجمهور غير هذا مما لا يخلو عن ضعف وقرئ بالرفع وكذلك فيموجى باسمكان
 الياء على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير أو وهو يرسل كما قال الزجاج وغيره ووجهه
 (انه على حكيم) تعاميل لما قبلها أى متعال عن صفات المقص حكيم فى كل أحكامه قال
 المفسرون سبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الاتكلم الله
 وتنتظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى فنزلت (وكذلك) أى كالوحي الذى أوحينا الى
 الانبياء قبلك (أوحينا اليك وروحنا من أمرنا) المراد به القرآن قاله ابن عباس وقيل النبوة
 قال مقاتل يعنى الوحي بأمرنا ومعناه القرآن لانه يهتدى به فنهى حياة من موت الكفر
 وقيل من تبعضية لان الموحى اليه لا ينحصر فى القرآن وقيل المراد به الرحمة وقيل جبريل
 ثم ذكر سبحانه صفة رسوله قبل أن يوحى اليه فقال (ما كنت تدري ما الكتاب) أى أى
 شئ هو لانه صلى الله عليه وآله وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وذلك أدخل فى الإعجاز وأدل
 على صحة نبوته ومعنى (ولا الايمان) انه كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يعرف تفاصيل
 الشرائع ومعالمها ولا يهتدى الى معانيها كالملات والصوم والزكاة والختان وإيقاع
 البلاق والغسل من الجنابة وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصبر وهذاهو الحق وخص
 الايمان لانه رأسها وأساسها وقيل أراد بالايان هنا الصلاة قاله جماعة من أهل العلم
 منهم امام الأئمة محمد بن اسحق بن خزيمة واثبت بقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم
 يعنى الصلاة فسمها ايمانا وذهب جماعة الى ان الله لم يبعث نبيا الا وقد كان مؤمنا به
 وقالوا معنى الآية ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى
 الايمان وقيل كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلا وفي المهدي وقال الحسين بن الفضل انه
 على حذف المضاف أى ولأهل الايمان وقيل المراد بالايان دين الاسلام وقيل الايمان
 هنا عبارة عن الاقرار بكل ما كلف الله به العباد وقال الكواشى ويجوز أن يراد بالايان
 نفس الكتاب وهو القرآن وعطف عليه لاختلاف انظيما أى ما كنت تعرف القرآن وما

وقولهم أنزل عليه الذكرمين يتنا يعنى انهم يستبعدون تخصيصه بانزال القرآن عليه من بينهم كلهم
 كما قالوا فى الآية الأخرى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال الله تعالى أهم يقسمون رجعة بل نحن قسمنا بينهم
 معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ولهذا الما قالوا هذا الذى دل على جهلهم وقلة عقلهم فى استبعادهم انزال
 القرآن على الرسول من بينهم قال الله تعالى بل لما يذوقوا عذاب أى انما يقولون هذا لانهم ما ذاقوا الى حين قولهم ذلك عذاب
 الله تعالى ونقمته سيعلمون غيب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون الى نار جهنم دعا ثم قال تعالى مينا انه المتصرف فى ملكه الفعالم

فيه

لما يشاء الذي يعطى من يشاء ما يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدى من يشاء ويضل من يشاء وينزل الروح من أمره على
 يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله وان العباد لا يملكون شيئا من الامر وليس اليهم من التصرف في
 الملك ولا من تقال ذرة ولا يملكون من قطمير ولهذا قال تعالى منكر عليهم أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أى العزيز
 الذى لا يرام جنبه الوهاب الذى يعطى ما يريد لمن يريد وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون
 الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل (٢٨٧) ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم

ملكاً عظيماً فمنهم من آمن به ومنهم
 من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً وقوله
 تعالى قل لو أنتم تعلمون خزائن
 رحمة ربى اذلاً أمسكتكم خشية
 الاتفاق وكان الانسان قتورا وذلك
 بعد الحكاية عن الكفار انهم
 أنكروا بعثة الرسول البشرى
 صلى الله عليه وسلم وكما أخبر عز
 وجل عن قوم صالح عليه السلام
 حين قالوا ألقى الذكر عليه من بيننا
 بل هو كذاب أشرس يعلمون غدا من
 الكذاب الاشر وقوله تعالى أم
 لهم ملك السموات والارض وما
 بينهما فليدققوا فى الاسباب أى ان
 كان لهم ذلك فليصعدوا فى الاسباب
 قال ابن عباس رضى الله عنهما
 ومجاهد وسعيد بن جبير وقنادة
 وغيرهم يعنى طرق السماء وقال
 الضحاک رحمه الله تعالى فليصعدوا
 الى السماء السابعة ثم قال عز وجل
 جند ما هالك مهزوم من الاحزاب
 أى هؤلاء الجند المكذبون الذين هم
 فى عزه وشقاق سيهزمون ويغلبون
 ويكتبون كما كتبت الذين من قبلهم
 من الاحزاب المكذبين وهذه
 الآية كقوله جل عظمته أم

فيه من الاحكام ويدل على هذا التأويل توحيد الضمير فى جعلناه وقيل المراد بالايان
 الكلمة التى بهادعوة الايمان والتوحيد وهى لاله الا الله محمد رسول الله والايان بهذا
 التفسير انما علمه بالوحى لا بالعقل فآله الكرخى وعن على قال قيل لمحمد صلى الله عليه وآله
 وسلم هل عبت وثنا قط قال لا قالوا فهل شربت خمر اقط قال لا وما زلت أعرف ان الذى هم
 عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان وبذلك نزل القرآن وما كنت تدري
 ما الكتاب ولا الايمان (ولكن جعلناه نورا) أى جعلنا الروح الذى أوحينا اليك ضياء
 ودليلا على التوحيد والايان (تهدى به) المراد به الهداية الموصلة بتدليل قوله (من نشاء)
 هدايته (من عبدنا) ونرشده الى الدين الحق (وانك لتهدى) أى كل مكلف فالهداية
 فيه أعم من التى قبلها فقرأ الجهور لتهدى على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول
 وقرئ بضم التاء وكسر الدال من أهدى وفى قراءة أبى وانك لتدعو (الى صراط مستقيم)
 قال قتادة والسدى ومقاتل وانك لتدعو الى الاسلام فهو الصراط المستقيم ثم بين
 الصراط المستقيم بقوله (صراط الله) يدل من الاول بدل المعرفة من النكرة وفى هذه
 الاضافة للصراط الى الاسم الشريف من التعظيم له والتفخيم لشأنه ما لا يخفى (الذى له ما فى
 السموات وما فى الارض) ملكا وخلقنا وعبيدا والمعنى انه المالك لذلك والمتصرف فيه
 (ألا الى الله تصير) أى ترجع (الامور) يوم القيامة الى غيره أى جميع أمه وخالقات
 يارتفع الوسائط والتعلقات وعلى هذا المضارع على ظاهره وقيل المراد بهذا المضارع
 الديمومة كقولك زيد يعطى ويعنع أى من شأنه ذلك وليس المراد حقيقة المستقبل لان
 الامور منوطة به تعالى كل وقت وفيه وعيد بالبعث المستترم للسجاسة ووعد بتعظيم الجنات
 في شيب الحسن ويعاقب المسيئ قال مهبل بن ابي الجعد احترق مصحف ولم يبق منه الا قوله
 ألا الى الله تصير الامور وغرق مصحف فأتى كماله الا قوله ذلك والله أعلم ذكره القرطبي

* سورة الزخرف وهى تسع وتسعون آية *

قال القرطبي هى مكية بالاجماع وبه قال ابن عباس قال مقاتل الا قوله واسأل من أرسلنا
 من قبلك من رسلنا يعنى فأنها نزلت بالمدينة
 (بسم الله الرحمن الرحيم حم) الكلام ههنا كالكلام الذى قدمناه والله أعلم بمراده

يتولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر (كذبت قبلهم
 قوم نوح وعاد وفرعون ذوالاوتاد وعود قوم لوط وأصحاب الايكة أو تلك الاحزاب ان كل الاكذب الرسل فحق عقاب وما ينظر
 هؤلاء الاصيحة واحدة ما لهم من فواق وقالوا ربنا عمل لنا فقلنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون) يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء
 القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمة فى مخالفة الرسل وتكذيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد
 تقدمت قصصهم مبسوطه فى أماكن متعددة وقوله تعالى أولئك الاحزاب أى كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالا وأولادا

فدفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك ولهذا قال عز وجل ان كل الاكذب الرسل خلق عقاب فجعل الله
 اهلاكم هم هوتكذبهم بالرسل فليحذر الخاطبون من ذلك أشد الحذر وقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فوق
 قال مالك عن زيد بن أسلم أي ليس لها من فوق أي ما ينظرون الا الائمة ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أي فقد اقتربت وندت
 وأزفت وهذه الصيحة هي نفخة الفزع الذي يأمر الله تعالى اسرافيل ان يطولها فلما بقي أحد من أهل السموات والارض الافزع
 الا من استثنى الله عز وجل وقوله جل (٢٨٨) جلالة وقالوا ربنا عمل لنا قنابل يوم الحساب هذا النكار من الله تعالى

على المشركين في دعائهم على
 أنفسهم بتجليل العذاب فان القط
 هو الكتاب وقيل هو الحظ والنصيب
 قال ابن عباس رضى الله عنهما
 ومجاهد والضحاك والحسن وغير
 واحد سألوا تعجيل العذاب زاد قتادة
 كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
 من عندك فامطر علينا حجارة من
 السماء أو آتتنا بعذاب أليم وقيل
 سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة ان
 كانت موجودة ليلقوا ذلك في
 الدنيا وانما خرج هذا منهم مخرج
 الاستبعاد والتكذيب وقال ابن
 جرير تعجيل ما يستحقونه من الخير
 والشر في الدنيا وهذا الذي قاله جيد
 وعلمه يدور كلام الضحاك واسمعيل
 ابن أبي خالد والله أعلم ولما كان هذا
 الكلام منهم على وجه الاستهزاء
 والاستبعاد قال الله تعالى لرسوله
 صلى الله عليه وسلم أمره بالصب
 على أذاهم ومبشره على صبره
 بالعاقبة والنصر والظفر (واذكر
 عبدنا داود ذا الاید انه أتوا
 انا سحرنا الجبال معه يسبحن
 بالعشى والاشراق والطير محشورة
 كل له أبواب وشدنا ملكه وآتناه

به (والكتاب المبين) أقسم بالقرآن الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان
 محتاج اليه الامه من الشر بعبارة وقيل المبين الواضح للمتدبرين وهو من الايمان الحسنة
 البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاده بما فيها من
 الدلالة على المقسم عليه وجواب القسم (انا جعلناه قرآنا عربيا) وهذا عندهم من البلاغة
 وهو كون القسم والمقسم عليه من واحد ان أراد بالكتاب القرآن وان أراد به جنس
 الكتب المنزلة لم يكن من ذلك والضمير في جعلناه على الاول يعود على الكتاب وعلى الثاني
 يعود على القرآن وان لم يصرح بذكره والجعل هنا تصيير ولا يلتفت لخطا الرخصى في
 تجوزيه أن يكون بمعنى خلقناه قاله السمين والمعنى سميناه وصبرناه ووصفناه ولذلك تعدى
 الى مفعولين وقال السدي أي أنزلناه قرآنا وقال مجاهد قلناه وقال سفيان الثوري بيناه
 وكذا قال الزجاج أي أنزل بلسان العرب لان كل نبي أنزل كتابه بلسان قومه وقال مقاتل
 لان لسان أهل الجنة عربي (لعلكم تعقلون) أي لكي تفهموه وتعتقلوا معانيه وتحيطوا
 بما فيه قال ابن زيد لعلكم تتفكرون (وانه) أي وان القرآن (في أم الكتاب لدينا) أي
 عندنا (لعلى حكيم) أخبر عن منزلته وشرفه وفضله أي ان كذبتم به يا أهل مكة فانه عندنا
 شريف رفيع القدر محكم النظم في أعلى طبقات البلاغة ودرجات الفصاحة لا يوجد فيه
 اختلاف ولا تناقض والجملة عطف على الجملة المقسم بها داخل تحت معنى القسم أو
 مستأننة مقررة لما قبلها قال الزجاج أم الكتاب أصل الكتاب وأصل كل شيء أمه والقرآن
 مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ قال ابن جرير
 المراد بقوله وان الخ أعمال الخلق من ايمان وكفر وطاعة ومعصية عن ابن عباس قال ان
 أول ما خلق الله من شيء القلم وأمره ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيامة عنده ثم قرأ هذه
 الآية وأخرج ابن مردويه نحوه عن أنس مرفوعا (أفنضرب عنكم الذكر صغيا) يقال
 ضربت عنه واضربت عنه اذا تركته وأمسكت عنه كذا قال الفراء والزجاج وغيرهما
 وانتصاب صغيا على المصدرية وعلى الحال أي صاخين والصنم مصدرو قولهم صغعت
 عنه اذا عرضت عنه وذلك انك توليه صنم وجهك وعنقك والمراد بالذکر هنا القرآن
 والاستفهام لانكاره والتوبيخ قال الكسائي المعنى أفنضرب عنكم الذكر طافلا تعظون
 ولا تؤمرون وقال مجاهد وأبوصالح والسدي أفنضرب عنكم العذاب ولانه أفيكم على

اسرافكم

الحكمة وفصل الخطاب) يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام انه كان ذا أيد

والايدى القوة في العلم والعمل قال ابن عباس رضى الله عنهما والاسدي وابن زيد الايدى القوة وقرأ ابن زيد والسماء بيننا بايد
 وانا لموسعون وقال مجاهد الايدى التوفيق والطاعة وقال قتادة أعطى داود عليه الصلاة والسلام قوة في العبادة وفقه في
 الاسلام وقد ذكرنا انه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انه قال أحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود وأحب الصيام الى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف

الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفتر إذا لاقى وانه كان أقواباً وهو الرجاء الى الله عز وجل في جميع أموره وشؤنه وقوله تعالى أنا بجزرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق أى انه تعالى بجزر الجبال تسبح معه عند اشراق الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل يا جبال أقربي معه والطير وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه إذا مر به الطير وهو ساجد في الهواء فسمعه وهو يتريم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه ويحسبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعاله قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن (٢٨٩) مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير

عن ابن عباس رضى الله عنهما انه بلغه ان أم هانئ رضى الله عنها ذكرت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضى الله عنهما فاذا ظننت ان لهذه الساعة صلاة يقول الله عز وجل يسبحن بالعشي والاشراق ثم رواه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي المنوكل عن أيوب بن صفوان عن مولا عبد الله بن الحرث بن نوفل ان ابن عباس رضى الله عنهما كان لا يصلى الضحى قال فادخلته على أم هانئ رضى الله عنها فقالت أخبرني هذا ما أخبرني فقال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح في بيتي ثم أمر جماعة صب في قفصه ثم أمر بشوب فأخذ بيدي وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلسهن سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس رضى الله عنهما وهو يقول لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى الا الآن يسبحن بالعشي والاشراق وكنت أقول أين صلاة الاشراق وكان بعد يقول صلاة

اسرافكم وكفركم وقال قتادة المعنى أفنهلكم ولا تأمركم ولا تنهاكم وروى عنه انه قال المعنى أفنمسلك عن انزال القرآن من قبل انكم لا تؤمنون به وقيل الذر التذكير كأنه قال انترك تذكيركم (ان كنتم قوم مسرفين) قرئ ان بالكسر على انها الشريطة والجزء محذوف لدلالة ما قبله عليه وبفتحها على التعليل أى لان كنتم قوماً منكمين في الاسراف مصرين علمه مفرطين في الجهالة المجاوزين الحد في الضلالة قال ابن عباس في الآية أحببت أن تصفح عنكم ولم تفعلوا ما أمرت به ثم سلى سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وكنتم أرسلنا من نبي في الاولين) كم هي الخبرة التي معناها التكثير والمعنى ما أكثر ما أرسلنا من الانبياء في الامم السابقة (وما يأتهم من نبي الا كانوا يستهزئون) كاستهزاء قومك بك (فاهلكنا) قوما (أشد منهم) أى من هؤلاء القوم (بطشا) أى قوة تميز أحوال أى باطشين والاول أحسن والبطش شدة الاخذ (ومضى مثل الاولين) أى سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها ان تسير مسير المثل لشهرتها وقال قتادة عقوبتهم وقيل صفتهم في الاهلاك والمثل الوصف والخبر وفي هذا وعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهديد شديد لهم لانه يتضمن ان الاولين اهلكوا بالكذب الرسل وهؤلاء ان استمروا على تكذيبك والكفر بما جئت به هلكوا مثلهم (ولئن) لام قسم (سألتم) أى هؤلاء الكفار من قومك (من خلق السموات والارض) أى هذه الاجرام العلية والسفلية ليقول ان خلقهن العزيز العليم جواب القسم لاجواب الشرط وهذا على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر منهما وحذف منه فون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين وكررا الفعل للتوكيد اذ لوجاء العزيز بغير خلقهن لكان كافياً والمعنى أقروا بان الله خالقهن ولم يشكروا ذلك وهذا أسوأ حالهم وأشد لعقوبتهم لانهم عبدوا بعض مخلوقات الله وجعلوا شريكاً له بل عبدوا الى ما لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر من المخلوقات وهي الاصنام فجعلوا شريكاً لله ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظم نعمته على عباده وكمال قدرته في مخلوقاته فقال (الذي جعل لكم الارض مهداً) أى فرأى اكلهم للصبى ولو شاء لجعلها منلة لا يثبت فيها شئ كما ترون من بعض الجبال ولو شاء لجعلها متحركة فلا يمكن

(٢٧ فتح البيان ثامن) الاشراق ولهذا قال عز وجل والطير محشورة أى محبوسة في الهواء كل له أقواب أى مطيع يسبح تبعاله قال سعيد بن جبيرة وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد كل له أقواب أى مطيع وقوله تعالى وشهدنا ما لم يكن أى جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج اليه الملوك قال ابن أبي نجيب عن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطاناً وقال السدي كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف وقال بعض السلف بلغني انه كان يحرسه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفاً لا تدور عليهم النوبة الى مثلها من العام القابل وقال غيره اربعون ألفاً مشتملون بالسلاح وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم من رواية علي بن أبي حمزة عن

عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان نقرين بن بن اسرائيل استعدى أحدهما على الآخر الى داود عليه الصلاة والسلام انه اغتصبه بقرا فانكر الآخر ولم يكن للمدعي بينة فارجا أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام في المنام بقتل المدعي فلما كان النهار طلب ما أمر بقتل المدعي فقال يا بني الله سلام قتلني وقد اغتصبني هذا بقري فقال له ان الله تعالى أمرني بقتلك فانما قتلتك للحمالة فقال والله يا بني الله ان الله لم يأمرك بقتلي لاجل هذا الذي ادعت عليه واني لصادق فيما ادعت ولكني كنت قد اغتلت اباه وقتلته ولم يشعر (٢٩٠) بذلك أحد فأمر به داود عليه السلام فقتل قال ابن عباس رضي الله

عنهما فاشتدت هيبته في بن اسرائيل وهو الذي يقول الله عز وجل وشددنا ملكه وقوله جل وعلا وآتيناها الحكمة قال مجاهد يعني الفهم والعقل والظنونة وقال مرة الحكمة العدل وقال مرة الصواب وقال قتادة كذب الله واتباع ما فيه وقال السدي الحكمة النبوة وقوله جل جلاله وفصل الخطاب قال شريح القاضي والشعبي فصل الخطاب الشهود والأيمان وقال قتادة شاهدان على المدعي أو عين المدعي عليه هو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل أو قال المؤمنون والصالحون وهو قضاء هذه الأمة الى يوم القيامة وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمي وقال مجاهد والسدي هو اصابة القضاء وفهم ذلك وقال مجاهد أيضا هو الفصل في الكلام وفي الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة النخعي حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن بلال بن

الانتفاع بها في الزراعة والابنية فالانتفاع بها انما يحصل لكونها مسطحة فارة ساكنة وقد تقدم بيانه قرأ الجهور مهذا وقرأ الكوفيون مهذا وهذا كلام مبتدأ غير متصل بما قبله ولو كان متصلا بما قبله من جملة مقول الكفار لقالوا الذي جعل لنا الأرض مهادا (وجعل لكم فيها سبلا) أي طرقا تسلكونها الى حيث تريدون ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك وقيل معايش تعيشون بها (لعلكم تهتدون) يسلكونها الى مقاصدكم ومنها فكم في اسفاركم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بقدر الحاجة وحسب ما تقتضيه المصلحة ولم ينزل عليكم منه فوق حاجتكم حتى يهلك زراعتكم ويهدم منازلكم ويهلككم بالعرق ولا دونها حتى تحتاجوا الى الزيادة وعلى حسب ما تقتضيه مشيئته في أرزاق عبادته بالتوسيع تارة والتقتير أخرى (فأنشأنا به بلدة مينا) أي أحيينا بذلك الماء بلدة مقفرة من النبات وفيه التينات قرأ الجهور ميتا بالتخفيف وقرئ بالتشديد (كذلك) أي مثل ذلك الأحياء للأرض باخراج نباتها بعد أن كانت لآبات بها (تخرجون) أي تبعثون من قبوركم أحياء فان من قدر على هذا قدر على ذلك وقد مضى بيان هذا في آل عمران والاعراف قرأ الجهور تخرجون مبنيا للمفعول وقرئ مبنيا للفاعل (والذي خلق الأزواج كلها) أي الضروب والانواع كالحلوى والحامض والابيض والاسود قال سعيد بن جبيرة الاصناف كلها وقال الحسن الأزواج الشتاء والضيف والليل والنهار والسموات والارض والجنة والنار وقيل أزواج الحيوان من ذكر وأنثى وقيل أزواج النبات كقوله وانبتنا فيه امن كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم وقيل ما يتقلب فيه الانسان من خير وشر وإيمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى وصحة وسقم وهذا القول يعم الاقوال ويجمعها بعمومه وقيل الاول أولى قال بعض المحققين كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق والتحت والربيع والخريف واليهين واليسار والقدم والخلف والمائى والمستقبل والذوات والصفات وكونها أزواجا يدل على انها ممكنة الوجود محدثة مسبوقة بالعدم فاما الحق تعالى فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد (وجعل لكم من الفلك السفن) (والانعام ما تركبون) أي ما تركبون في البحر والبر وأريد بالانعام هنا ما يركب من الحيوان وهو الابل والحميل والبغال والحمير وقرينة هذا قوله في سورة النحل والحميل والبغال والحمير ليركبوها فحينئذ في الانعام هنا تغليب

أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال أول من قال أما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب وكذا قال الشعبي فصل الخطاب أما بعد (وهل أنالك نبأ الخضم اذ تسوروا الخراب اذ دخلوا على داود ففرغ منهم قالوا لا نتخف خصمان بغي بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخى له تسع وتسعون نجمة ولى نجمة واحدة فقال أكلتنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نجمة الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليسبغ بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقيل ما هم وطن داود انما اقتناه فاستغفر ربه وخزرا كعوا وأب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزي وحسن ما ب)

قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذة من الاسماء العلية ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هذا حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيدوان كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وان ردت عليها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً وقوله تعالى ففرغ منهم إنما كان ذلك لأنه كان في صحرا به وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به بسألانه عن (٢٩١) شأنهما وقوله عز وجل وعزني في الخطاب أي

غلبني يقال عزى إذا قهر وغلب وقوله تعالى وظن داود أنما آتاه رضى الله عنه ما أي اختبرناه وقوله تعالى وخزنا كما أي ساجدا وأتاب ويحتمل أنه ركع أو لا ثم سجد بعد ذلك وقد ذكرناه استتراً ساجدا أربعين صباحاً فغفرنا له ذلك أي ما كان منه مما يقال فيه ان حسنات الارباب سيئات المقتر بين وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود على قولين الجديد من مذهب الشافعي رضى الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر والدليل على ذلك ما رواه الامام أحمد حديث قال حدثنا سمعيل هو ابن عليته عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه ما أنه قال في السجدة في صليت من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح وقال النسائي أيضا عند

إذا الانعام هي الابل والبقر والغنم وقال الشوكاني المراد بالانعام ههنا الابل خاصة وقيل الابل والبقر والاولى انتهى (انستوا) اللام لام العلة وهو الظاهر وللصيرورة وجوز ابن عطية ان تكون لام الامر وفيه بعد لقله دخولها على أمر الخطاب (على ظهوره) الضمير راجع إلى ما قاله أبو عبيد وقال القراءه اضاف الظهور إلى واحد لان المراد به الجنس فصار الواحد في معنى الجمع بمنزلة الجنس فلذلك ذكر وجع الظهور لان المراد ظهور هذا الجنس والاستواء الاستعلاء أي لتستعلوا على ظهور ما تر كيون من الفلك والانعام (ثم تذكر وانعمه ربكم) أي التي أنعم بها عليكم من تسخير ذلك المركب في البحر والبر (إذا استتويت عليه) أي على ما تر كيون ففيه مرعاة لفظ ما أيضا قال متامل والكافي هو ان تقول الحمد لله الذي رزقني هذا وحملي عليه (وتقولوا) أي بألسنتكم جمع بين القلب واللسان (سبحان الذي سخرننا هذا) وقرأ علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه سبحان من سخرننا هذا وقال قتادة قد علمكم كيف تقولون إذا ركبتكم والمعنى ذلل لنا هذا المركب الذي ركبناه سفينة كان أودابه قاله الخطيب وصرح غيره بأنه خاص بالدابة وأما السفينة فيمقول فيه باسم الله مجربها ومرضها ويؤيده (وما كآله مفرنين) فان الامتناع والتعاضى والتوحش لولا تسخير الله وإذلاله انما يتأتى في الدواب وأما السفن فهي من عمل ابن آدم فليس لها امتناع بقوتها كامتناع الدابة قال ابن عباس والكافي مفرنين مطبقين يقال أقرن هذا البعير إذا أطاقه وقال الاخفش وأبو عبيدة مفرنين ضابطين يقال فلان مفرن لفلان أي ضابطه وقيل مماثلين له في القوة من قولهم هو قرن فلان اذا كان مثله في القوة (وانا إلى ربنا المنقلبون) أي راجعون اليه وهذا عام ما يقال عند ركوب الدابة أو السفينة وفيه إشارة إلى الرد عليه في انكار البعث أخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا سافر ركب راحلته ثم كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخرننا هذا وما كآله مفرنين وانا إلى ربنا المنقلبون روى أن قوما ركبوا وقالوا سبحان الذي سخرننا هذا الخ وفيهم رجل على ناقه لا تتحرك هز الا فقال انى قرن له هذه فسقط لو ثبتها وانذقت عنقه وينبغي أن لا يكون ركوب العاقل للتنزه والتلذذ بل للاعتبار ويتأمل عنده انه هالك لا محالة ومنقلب إلى الله غير منقلب من قضائه قال القرطبي علمنا سبحانه وتعالى

تفسير هذه الآية أخبرني ابراهيم بن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجد هادا وسجد عليه الصلاة والسلام توبة ونسجد هاشكرا ففرد برأيه النسائي ورجال اسناده كلهم ثقات وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو اسحق المدرسي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفى حدثنا زاهر بن أبي طاهر الشحامى أخبرنا أبو سعيد الخبزي روى أخبرنا الحاکم أبو احمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن

أبي زيد قال قال لي ابن جرير يحيى بن الحسن حدثني جدك عبد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رأيت فيما يرى النائم كأنني أصلى خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة اللهم اكتب لي بها عندك أجرا واجعلها لي عندك ذخرا وضع بها عني وزرا واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود قال ابن عباس رضي الله عنهما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعتة يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة رواه الترمذي (٢٩٢) عن قتيبة وابن ماجه عن أبي بكر بن خالد كلاهما عن محمد بن

يزيد بن خنيس نحوه وقال الترمذي غريب لانعرفه الا من هذا الوجه وقال البخاري عند نفسه - يراها أيضا حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهد عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس رضي الله عنهما من أين سجدة فقال أو ما نقرأ ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر بتبكيكم صلى الله عليه وسلم ان يقتدى به فسجد هادواود عليه الصلاة والسلام فسجد هادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزني انه أخبره ان ابا عبيد الخدرى رضى الله عنه رأى رؤيا انه يكتب ص فلما بلغ الى الآية التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء يحضرته انقلب ساجدا قال فقصصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد تفرد به أحمد وقال ابو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو

ما تقول اذا ركبت الدواب وعرفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما تقول اذا ركبت السفن فكلم من راكب دابة عثرت به أو شمت أو تقمعت أو طاح عن ظهرها فهل لك وكلم من راكب سفينة انكسرت به فغرق فلما كان الركوب مباشرة أمر مخوف واتصالا بسبب من أسباب التلف أمر أن لا ينسى عند اتصاله بموته ولا يدع ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا لقضاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه وقال ابن العربي ليس بواجب ذكره باللسان بل يستحب وانما الواجب اعتقاد القلب والاول وأولى والجمع أفضل ثم رجع سبحانه الى ذكر الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال (وجعلوا لله) أى بعد ذلك الاعتراف كما قاله القاضي وأومعه كذا في الكشاف والجملة حالية والجعل تصير قولى أى حكموا أو ابتوا له أو بمعنى هو واعتقدوا (من عباده جزأ) أى ولد او سماه جزأ دلالة على استحالة على الواحد في ذاته لان المركب لا يكون واحدا الذات قال قتادة جزأ أى عد لا يعنى ما عبد من دون الله وقال الزجاج والمبرد الجزء هنا النبات والجزء عند أهل العربية النبات يقال قدأ جزأت المرأة اذا ولدت النبات وقد جعل صاحب الكشاف تفسير الجزء بالنبات من بدع التفسير وصرح بأنه مكذوب على العرب ويحجب عنه بأنه قد رواه الزجاج والمبرد هو ما اما اللغة العربية وحافظها ومن اليها المنتهى في معرفتها ويؤيد تنسیر الجزء بالنبات ما سمي أى من قوله أم اتخذهم ما يخلق نبات وقوله واذا بشرهم عاصرب للرحن مثلا وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناانا وقيل المراد بالجزء هنا الملائكة فانهم جعلواهم اولاد الله سبحانه قاله مجاهد والحسن قال الازهرى ومعنى الآية انهم جعلوا الله من عباده نصيبا على معنى انهم جعلوا نصيب الله من الولدان (ان الانسان) القائل ما تقدم (لكنور ميمين) أى ظاهر الكفران مبالغ فيه قيل المراد بالانسان هنا الكافر فانه الذى يجعل نعم الله عليه سجودا بينا ثم أنكر عليهم هذا فقال (أم اتخذهم ما يخلق نبات) هذا استفهام تقرير وتوبيخ وأم هي هى المنقطعة بمعنى همزة الانكار وقدره بعضهم ييل الى اللاتقال وبعضهم هم ما وكل صحيح لان فيها مذاهب ثلاثة كما نقله أبو حيان والمعنى أن تقولون اتخذربكم لنفسه النبات (وأصفاكم) أخلصكم وخصكم (بالبنين) فجعل لنفسه المنضول من الصنفين ولكم الفاضل عنهم ما يقال أصفيت به وأصفيتة الودأ أخلصته ومثل هذه الآية

ابن الحرث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدرى رضى الله

قوله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ص فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشرف الناس للسجود فقال صلى الله عليه وسلم انما هى نوبة نبي ولكني رأيتكم تشرفتم فنزل وسجد تفرد به أبو داود واستناده على شرط الصحيح وقوله تعالى وان له عندنا الزنى وحسن ما تب أى وان له يوم القيامة لقربة يقر به الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية في الجنة لمبوته وعدله التام في ذلك كما جاء في الصحيح المقسطون على منابر من نور عن ميم

الرجن وكتايبه بين الذين يقسطون في أهلهم وماولوا وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عظمة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحب الناس عند الله تعالى يوم القيامة وأقربهم منه مجلد الامام عادل وان أبغض الناس عند الله عز وجل يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جابر ورواه الترمذي من حديث فضيل وهو ابن مزيق الا عن عظمة به وقال لا نعرفه من فروع الامن هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار في (٢٩٣) قوله تعالى وان له عندنا لثقي وحسن ما تب قال

يقام دا ود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تجدني به في الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته فيقول الله عز وجل اني أردته عليك اليوم قال فيرفع داود عليه الصلاة والسلام بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذه وصية من الله عز وجل لولاة الامور ان يحكموا بين الناس بالحق المتزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلو اعن سبيل الله وقد توعده تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناهى يوم الحساب بالوعيد الاكيد والعذاب الشديد قال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا هرمان بن جناح حدثني ابراهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب ان الوليد بن عبد الملك قال له ان يحاسب الخليفة

قوله ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قدمت فيزي وهذه الجملة معطوفة على اتخذنا ذلك معها تحت الانكار ثم زاد في تقريرهم وتو بيحهم فقال (واذا بشر أحدكم) استئناف أو حال (بما ضرب للرجن مثلا) أي بما جعله للرجن سبحانه من كونه جعل لنفسه البنات والاتفات الى الغيبة للايدان بان قبايحهم اقتضت أن يعرض عنهم وتحكي لغيرهم ليشجب منها والمثل بمعنى الشبه أي المشابهة لا بمعنى الصفة الغريبة العجيبة والمعنى اذا بشر أحدكم بانها اولدت له بنت اعتم لذلك وظهر عليه أثره وهو معنى قوله (ظل) أي صار (وجهه مسودا) بسبب حدوث الانثى له حيث لم يكن الحادث له ذكرا مكافئا (وهو كظيم) أي والحال انه شديد الحزن كثير الكرب مملوء منه قال قتادة حزين وقال عكرمة مكروب وقيل ساكت ثم زاد في تو بيحهم وتقريرهم فقال (أومن ينشأ في الحلية) النشوء التربية والحلية الزينة ومن عبارة عن الانثى أي يجعلون الله الانثى التي تترى في الزينة لنقصها اذ لو كملت في نفسها ما تكملت بالزينة قرأ الجمهور ينشأ بفتح الياء واسكان النون وقرأ ابن عباس والضحاك وحنص بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين واختار القراءة الاولى أبو حاتم واختار الثانية أبو عبيد وقال الهروي الفعل على القراءة الاولى لازم وعلى الثانية متعد والمعنى يربي ويكبر في الحلية (وهو في الخصام غير مبین) أي عاجز عن أن يقوم بامر نفسه واذا خوص لا يقدر على اقامة حجته وتقريره وقرود دفع ما يجادل به خصمه لنقصان عقله وضعف رأيه وازدادة غير لا تمنع عمل ما بعدها في الجار المتقدم عليها لانها بمعنى النفي قال المبرد تقدير الآية ويجعلون له من نبت في الزينة واذا احتاج الى مجازاة الخصوم ومجازاة الرجال كان غير مبین ليس عنده بيان ولا يأتى ببرهان وفيه انه جعل النشأة في الزينة من المعايير فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويتزين بلباس التقوى قال قتادة قلنا تكلم امرأة بجحبتها الاتكامة بالخجة عليها وقال ابن زيد والضحاك الذي ينشأ في الحلية أصناف منهم التي صاغوها من ذهب وفضة قال ابن عباس في الآية هو النساء فرق بين زينة الرجال ونقصهم من الميراث وبالشمادة وأمرهن بالقعدة وسماهن الخواف (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) الجعل هنا بمعنى القول والحكم على الشيء كما تقول جعلت زيدا أفضل الناس أي قلت بذلك وحكمت له به أي سهوهم وحكموا وقالوا انهم اناث وجعوا في كفرهم ثلاث كفرات وذلك انهم نسبوا الى الله

فانك قد قرأت الكتاب الاول وقرأت القرآن وفقهت فقلت يا أمير المؤمنين أقول قال في امان قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله وأود ود عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله الآية قال عكرمة لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا وقال السدي لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعهوا اليوم الحساب وهذا القول أمشي على ظاهر الآية والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين

كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار كآفة
 أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثاً وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحده ثم
 يحبه معهم يوم الجمع فينيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تبارك وتعالى وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن
 الذين كفروا أي الذين لا يرون بعثاً ولا معاداً وإنما يعتدنون هذه الدار فقط فويل للذين كفروا من النار أي ويل لهم يوم معادهم
 ونشورهم من النار المعتدة لهم ثم بين تعالى (٢٩٤) أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين

فقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار أي لا تفعل ذلك ولا يستوون عند الله وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الارشاد يدل العقول السليمة والقطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فانرى الظالم الباغى يزاد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ويرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم بشئ ذرة من انصاف هذا من هذا واذالم يقع هذا في هذه الدار فتعين ان هنالك دارا اخرى لهذا الجزاء والموازنة ولما كان القرآن يرشد الى المقاصد الصحيحة ولما أخذ العقلية الصريحة قال تعالى كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب أي ذوو العقول وهي الألباب جمع اب وهو العقل قال الحسن البصري والله ما تدبره بحفظه وفيه مواضع حسوده حتى أن أحدهم ليقول قرأت القرآن كما ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل رواه ابن أبي حاتم (وهو بن داود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشي الصافات جريح

الولد ونسبوا إليه أخس النوعين وجعلوا ملائكته المكرمين انا نأفاهم تصفواهم قرأ الجمهور عباداً بالجمع وبها قرأ ابن عباس وقرأ الباقر عن عبد بن سنان ساكنة واختار الاول أبو عبد الله لان الأسناد فيها أعلى ولان الله انما كذبهم في قولهم انهم ينات الله فاخبرهم بانهم عباده قال النسفي وهو الزم في الجراح مع أهل العناد لتضاد بين العبودية والولاد انتهى ويؤيد هذه القراءة قوله بل عباد مكرمون واختار أبو حاتم الثانية قال وتصدق هذه القراءة قوله ان الذين عند ربك عن سعيد بن جبيرة قال كنت أقرأ هذا الحرف الذين هم عند الرحمن انا نأفاهم فسألت ابن عباس فقال عباد الرحمن قلت فانها في مصحفي قال فاجهاوا كتبها عباد الرحمن ثم ونجهم وقرعهم فقال (أشهدوا خلقهم) أي أحضر واخلى الله اياهم فهو من الشهادة التي هي الحضور وفي هذا تكريمهم وتجهيل لهم قرأ الجمهور (ستكتب شهادتهم) بضم الفوقية وبناء الفعل للمفعول ورفع شهادتهم وقرئ بالنون وبناء الفعل للفاعل ونصب شهادتهم وقرئ شهادتهم بالجمع والمعنى سنكتب هذه الشهادة التي شهدوا بها في ديوان أعمالهم ليجازيهم على ذلك قال البقاعي يجوز ان يكون في السين استعطاف الى التوبة قبل كتابة ما قالوا ولا علم لهم به (ويستلون) عنها يوم القيامة في الآخرة وهو ذا وعيد قال سليمان الجمل وهذا يدل على ان القول بغير دليل منكروان التقليد حرام ليجب الذم العظيم انتهى (وقالوا لولاء الرحمن ما عبدناهم) هذا في آخر من فنون كفرهم بالله جاوبه للاستهزاء والسخرية ومعناه لولاء الرحمن في زعمكم عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم هذه الملائكة فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على امتناع النهي عنها أو على حسنهما وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض المذات على بعض الأمور كان أو منهيها حسناً كان أو غيره وبالجملة هذا كلام حق يراد به باطل وقدمى بيانه في الانعام وتعلقت المعتزلة بنظرها هذه الآية في ان الله ليسأ الكافر وانما شاء الايمان فان الكفار ادعوا أن الله شاء منهم الكفر وما شاء منهم ترك عبادة الاصنام فرد الله عليهم قولهم واعة ادهم وبين جهلهم بقوله (مالهم بذلك) أي بما قالوه من ان الله لو شاء عدم عبادتهم للملائكة ما عبدوههم (من علم) بل تكلموا بذلك جهلاً وأرادوا بما صورته صورة الحق باطلاً وزعموا أنه لذاشاء فقد رضى وقيل الاشارة بذلك الى قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن انا نأفاهم فتأذنه مقاتل والسكبي وقال مجاهد وابن

جريح
 في خلق ولا عمل رواه ابن أبي حاتم (وهو بن داود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشي الصافات جريح
 الحيايد فقال اني أحببت حب الخمر عن ذكربي حتى توارت بالجبابرة وهاعلى قطنق مسجماً بالسوق والاعناق) يقول تعالى سبحانه انه وهب لداود سليمان أي نبيا كما قال عز وجل وورث سليمان داود أي في النبوة والافقد كان له بنون غيره فانه قد كان عنده مائة امرأة حرائر وقوله تعالى نعم العبد انه أواب شاء على سليمان بانه كثير الطاعة والعبادة والانابة الى الله عز وجل قال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بني ما أحسن قال سكينه

الله والايان قال فما أقيم قال كفر به - دايان قال فما أح - لي قال روح الله بين عباده قال فما أبرد قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فانت نبي وقوله تبارك وتعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافات الجياد أي اذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال ملكته وساطانه الخيل الصافات قال مجاهد وهى التى تقف على ثلاث وطرف حافر الاربعة والجياد السراع وكذا قال غير واحد من السلف وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشر حدثنا مؤمل حدثنا سليمان عن أبيه سعيد بن مسروق عن ابراهيم التيمي في قوله عز وجل اذ (٢٩٥) عرض عليه بالعشى الصافات الجياد قال كانت

عشرين فرسا ذات أجنحة كذا رواه ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن ابراهيم التيمي قال كانت الخيل التى شغل سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فعقرها وهذا أشبه والله أعلم وقال أبو داود حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن أبي هريرة أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني عمارة بن غزيرة أن محمد بن ابراهيم حدثه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضيت الله عنها قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وأخبرني وفيهم استر فنهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن نبات اعائشة رضيت الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا يا عائشة قالت رضيت الله عنها بناتي ورأى بينهن فرسالة جناح من رفاع فقال صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى أرى وسطهن قالت رضيت الله عنها فرس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى علمه قالت رضيت الله عنها جناح قال رسول الله صلى

جرير أي ما لهم بعبادة الاوثان من علم ثم بين انتفاء علمهم بقوله (انهم لا يخبرون) أي ما هم الا يكذبون فيما قالوا ويتمعلون تبعلا باطلا قال هنا يخبرون وفي الجائسة يظنون لان هذا كذب فناسبه الخرص وما هناك صدق مخلوط بالكذب فناسبه الظن (أم آتيناهم كتابا من قبله) أم هي المنقطعة بمعنى همزة الاستنفاء فهم الانكارى أي أعطيتهم كتابا من قبل القرآن بما ادعوه بان يعبدوا غير الله وقيل ان الضمير في من قبله يعود الى ادعائهم أي أم آتيناهم كتابا من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعون والاول أولى أو أم معادلة لقوله أشهدوا فتكون متصلة والمعنى احضروا أم آتيناهم كتابا الخ والاول أروح وأولى كما أفاده الشهاب (فهم به مستسكون) يأخذون بما فيه ويحجبون به ويجعلونه لهم دليلا ثم بين سبحانه انه لا حجة بأيديهم ولا شبهة ولكنهم اتبعوا آباءهم في الضلالة فقال (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) أي على طريقتة ومذهب قال أبو عبيد هي الطريقة والدين وبه قال ابن عباس وقتادة وغيره قال الجوهرى والامة الطريقة والدين يقال فلان لامة له ولا تخله أي لادينه وقال الفراء وقطر بن علي قبله وقال الاخفش على استقامة قرأ الجهور امة بالضم وقرئ بكسر ها قال الجوهرى والامة بالكسر النعمة والامة أيضا لغة في الامة (وانا) ماشون (على آثارهم مهتدون) بهم وكانوا يعبدون غير الله اعترفوا بانها لا مستند لهم من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث السمع والبيان سوى تقليد آباءهم قال الخازن جعلوا أنفسهم مهتدين باتباع آباءهم وتقليد هم من غير حجة انتهى وعبارة أبي السعود لم يأثروا بحجة عقلية ولا تقليد بل اعترفوا بانها لا مستند لهم سوى تقليد آباءهم الجهلة مثلهم انتهى وقال هنا مهتدون وفيما بعده مقتدون لان الاول وقع في محاجتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وادعائهم ان آباءهم كانوا مهتدين وانهم مهتدون كما تأتهم فناسبه مهتدون والثاني وقع حكاية عن قوم ادعوا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء فناسبه مقتدون أفاده الكرخي ثم أخبر سبحانه ان غير هؤلاء من الكفار قد سبقهم الى هذه المقالة وقال بها فقال (وكذلك) أي الامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد وقوله (ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) استئناف مبنى لذلك دل على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم أيضا مستند غير قاله أبو السعود والمترفون الاغنياء والرؤساء والمنعمون

الله عليه وسلم فرس له جناح قالت رضيت الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة قالت رضيت الله عنها فضحك صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه وقوله تبارك وتعالى فقال انى أحيت حب الخير عن ذكرك حتى توارت بالجبابرة غير واحد من السلف والمفسرين انه اشغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به انه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه من ذلك عن جابر رضيت الله عنه قال جاء عمر رضيت الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول

يارسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها قال فقمنا الى بطعان فتوضأني الله صلى الله عليه وسلم للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب ويحفل انه كان سائغا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال والخيل تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء ان هذا كان مشروعا ففسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب الى ذلك في حال المسابقة والمضايقة حتى لا تمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر وهو منقول عن (٢٩٦) كحول والاوزاعي وغيرهما والاول اقرب لانه قال بعد ردوها على فطفتن

مهما بالسيق والاعناق قال الحسن البصري قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك ثم أمر بها فهقرت وكذا قال قتادة وقال السدي ضرب أعناقها وعراقبها بالسيف وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يسبح أعراف الخيل وعراقبها حبائلها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لانه لم يكن يعذب حيوانا بالعرقبة وبهالك ما لمن ماله بلا سبب سوى انه اشتغل عن صلواته بالنظر اليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجع به ابن جرير فيه نظر لانه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما اذا كان غضبا لله تعالى بسبب انه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها الله تعالى عوقبه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الریح التي تجرى بامره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أمر عو خير من الخيل قال الامام أحمد حدثنا اسمعيل حدثنا سليمان ابن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران

جمع مترف اسم مفعول ترف كفرح تنعم وأترفته النعمة أطعته قال الكرخي هذا نسبية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال قديم وان من تقدمهم أيضا لم يكن لهم مستند منظور اليه وتخصيص المترفين للاشعار بان التسنم هو الذي أوجب البطر وصرّفهم عن النظر الى التقليد انتهى والامة هي من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم أي تصد ومقتدون أي متبعون قاله قتادة قال النسفي وهذه تسمية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبيان ان تقليد الآباء اقدم انتهى قال الرازي في نفسه يره لولم يكن في كتاب الله الا هذه الآيات لكانت في ابطال القول بالتقليد وذلك لانه تعالى بين ان هؤلاء الكفار لم يتسكروا في اثبات ما ذهبوا اليه لا بطريق عقلي ولا بدليل نقل ثم بين انهم انما ذهبوا اليه بمجرد تقليد الآباء والاسلاف وانما ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتهجين وذلك يدل على ان القول بالتقليد باطل ومما يدل عليه أيضا من حيث العقل ان التقليد أمر مشترك فيه بين المبطل وبين الحق وذلك لانه كما حصل لهذه الطائفة قوم من المقلدة فكذلك حصل لاضدادهم أقوام من المقلدة ولو كان التقليد طريقا الى الحق لوجب كون الشيء ونقيضه حقا ومعالم ان ذلك باطل وانما تعالى بين ان الداعي الى التول بالتقليد والحاصل عليه انما هو حجب التسنم في طبقات الدنيا وحجب الكسل والبطالة وبعض تحمل مشاق النظر والاستدلال لقوله الا قال مترفوها والمترفون هم الذين أترفتم النعمة أي ابترتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهي ويغضون تسنم المشاق في طلب الحق انتهى أقول وقد احتج جماعة من النشأة وأهل النظر على من أجاز التقليد بحجج نظرية عقلية منها ما ذكره ابن القيم وأما وردده هنا قال يقال لمن حكمم بالتقليد هل لك من حجة فيما حكمت به فان قال نعم بطل التقليد لان الحجة أوجب ذلك عنده لا التقليد وان قال حكمت به بغير حجة قيل له فلم أرتق الدماء وأبجت الفروج وأتلقت الاموال وقد حرم الله ذلك الابحجة قال الله عز وجل هل عندكم من سلطان بهذا أي من حجة بهذا فاذا قال انا أعلم اني قد أصبت وان لم أعرف الحجة لاني قد اذنت كثير من العلماء وهو لا يقول الابحجة خفيت على قيل له اذا جاز تقليد معلم لانه لا يقول الابحجة خفيت عليك فنقل معلم معلمك أولى لانه لا يقول الابحجة خفيت على معلمك كما لم يقل معلمك الابحجة خفيت عليك فان قال نعم ترك تقليد معلمه الى تقليد معلم معلمه وكذلك من هو أعلى

السفر نحو البيت قالوا أينما على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعل يعلمني مما علمه الله عز وجل وقال انك لاتدع شيئا اتقاء الله تعالى الا أعطاك الله عز وجل خيرا منه (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا الزلزال وحسن مأب) يقول تعالى ولقد فتنا سليمان أي اختبرنا ما بان سلبنا الملك وألقينا على كرسيه جسدا قال ابن عباس رضي الله

عنهما ومجاهد وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا ثم آتت آياتي رجعت الى ملكه وسلطانه واجتمعت قال ابن جرير وكان اسم ذلك الشيطان صخرًا قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقيل أصف قاله مجاهد وقيل صرد قاله مجاهد أيضا وقيل حقيق قاله السدي وقد ذكروا هذه القصة مبسوطه ومختصرة وقد قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقيل له انبه ولا يسمع فيه صوت حديد قال فطاب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له ان شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت في البحر عين برد هاني (٢٩٧) كل سبعة أيام مرة فنزع ماؤها وجعل فيها خمر فجاء يوم ورده فاذا هو بالبحر فقال انك

حتى ينتهي الامر الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان أبي ذلك نقض قوله وقيل له كيف يجوز تقليد من هو أصغر وأقل علما ولا يجوز تقليد من هو أكبر وأكبر علما وهذا تناقض فان قال لان معلي وان كان أصغر فقد جمع علم من هو فوقه الى علمه فهو أبصر بما أخذ وأعلم بما ترك قيل له وكذلك من تعلم من معلمك فقد جمع علم معلمك وعلم من فوقه الى علمه فليزمه تقليده وترك تقليد معلمك وكذلك أنت أولى ان تقلد نفسك من معلمك لانك جمعت علم معلمك وعلم من هو فوقه الى علمك فان قلده قوله جعل الأصغر ومن يحدث من صغار العلماء أولى بالتقليد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك صاحب عنده يلزمه تقليد التابع والتابع من دونه في قياس قوله والاعلى للادنى أبدا وكفى بقول يؤل الى هذا تناقضا وفسادا قال أبو عمرو وقال أهل العلم والنظر حد العلم التبيين وادراك المعلوم على ما هو به فن بان له الشيء فقد علمه قالوا والمتقلد لا علم له لم يختلفوا في ذلك ومن ههنا والله أعلم قال البخاري

عرف العامون فضلا بالعلم* ثم وقال الجهال بالتقليد وأرى الناس مجمعين على فضلك* من بين سيدومسود

وقال أبو عبد الله بن خوارزمنداد البصري المالكي التقليد دمعناه في الشرع الرجوع الى قول لأحجة لقائله وذلك ممنوع منه في الشريعة والاتباع ما ثبت عليه حجة وقال في موضع آخر من كتابه كل من اتبع قوله من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب ذلك فانت مقلده والتقليد في دين الله غير صحيح وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فانت متبعه والاتباع في الدين مستوعف والتقليد ممنوع انتهى قال ابن حارث هذا والله الدين الكامل والعقل الراجح لا كنى يأتي بالهذيان ويريد أن ينزل قوله من القلوب منزلة القرآن انتهى ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد عليهم فقال (قال اولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) أي أتبعون آباءكم وتقلدوهم ولو جنتكم بدين أهدى من دين آباءكم قال الزجاج المعنى قل لهم أتبعون ما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وان جنتكم بأهدى منه قرأ الجمهور قل وقرئ قال وهو حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم أي قال كل منذر من أولئك المنذرين لامته وقيل ان كلا القراءتين حكاية لما جرى بين المنذرين وقومهم

لشرب طيب الا انك تصيبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال ثم رجعت حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاناها فقال انك لشرب طيب الا انك تصيبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفه فـ نزل قال وكان ملكه في خاتمه فأتى به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال انقاد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمع فيه صوت حديد قال فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدأر حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى الى بيضه فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمان عليه الصلاة والسلام اذا أراد أن يدخل الحلاء والحمام لم يدخل بالحمام فانطلق يوما الى الحمام وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند مقارفة فارق فيه بعض نساؤه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وأتى على

(٣٨ فتح البيان ثامن) الشيطان شبه سليمان قال جلاء فقع على كرسيه وسريره وسط على ملك سليمان كله غير نساؤه قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء وكان فيهم رجل يشبهه وبه يعمر بن الخطاب رضي الله عنه في القوة فقال والله لاجرئنه قال فقال يا بني الله وهو لا يرى الا انه نبي الله أحدنا نصيبه الجنة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمد حتى تطلع الشمس أرى عليه بأسا قال لا فيبئنا هو كذلك أربعين ليلة اذ وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله حتى ولا طيرا الا يجده حتى انتهى اليهم وألقينا على كرسيه جسدا قال هو الشيطان صخر وقال السدي ولقد فتنا سليمان أي ابتلينا سليمان وألقينا

علي كرسية جسدا قال شيطاننا جلس على كرسية اربعين يوما قال كان سليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة
منهن يقال لها جراحة وهي آثر نسائه وامنهن عنده وكان اذا اجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحد امن النام غيرها
فأعطاهما يوما خاتمه ودخل الخلاء فخرج الشيطان في صورته فقال ها اتي الخاتم فاعطته فخاض حتى جلس على مجلس سليمان عليه
الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد فساءلها ان ته طيه خاتمه فقالت ألم تأخذته قبل قال لا وخرج كأنه نائم ومكث الشيطان
يحكم بين الناس اربعين يوما قال فانكر الناس (٢٩٨) أحكامه فاجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فخاوا حتى دخلوا على

أى قال كل منذر من أولئك المنذرين لامة المقلدين كأنه قال لكل نبى قل بدليل قوله
(قالوا انما أرسلتم به كافرون) قال الشوكاني وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان
التقليد وقبحه فان هؤلاء المقلدة في الاسلام انما يعملون بقول اسلافهم ويتبعون آثارهم
ويقتدون بهم فاذا رام الداعى الى الحق أن يخرجهم من ضلالة أو يدفعهم عن بدعة قد
تمسكوا بها وروها عن اسلافهم بغير دليل نير ولا حجة واضحة بل مجرد قيل وقال لشبهة
داحضة وحجة زائفة ومقالة باطلة قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل اننا وجدنا آباءنا
على أمة وانما على آثارهم مقتدون أو بما يلاق معناه معنى ذلك فان قال لهم الداعى الى
الحق قد جمعنا الملة الاسلامية وشملنا هذا الدين المحمدي ولم يتعبنا الله ولا تعبكم ولا
آباءكم من قبلكم الا بكتاب الذي أنزله على رسوله وبما صح عن رسوله صلى الله عليه وآله
فانه المبين لكتاب الله الموضح لمعانيه الفارق بين محكمه ومتشابهه فتعالوا نرد ما تنازعنا فيه
الى كتاب الله وسنة رسوله كما أمرنا الله بذلك في كتابه بقوله فان تنازعتم في شئ فردوه الى
الله والرسول فان الرذالهم ما هدى لنا اولئك من الرد الى ما قاله اسلافكم ودرج عليه
آباؤكم نفر وانفروا وحش ورموا الداعى لهم الى ذلك بكل حجر ومدركا منهم لم يسمعوا قول
الله سبحانه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا
وأطعنا ولا قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فان قال لهم القائل هذا العالم الذي تقتدون به وتتبعون
أقواله هو مثلكم في كونه متعبدا بكتاب الله وسنة رسوله مطلوب بامنه ما هو مطلوب منكم
واذا عمل برأيه عند عدم وجدانه للدليل فذلك رخصة لا يلحق ان يتبعه غيره عليها ولا
يجوز له العمل بها وقد وجد الدليل الذي لم يجدهوها أنا وأجد كونه في كتاب الله وفيما صح
من سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك أهدي لكم مما وجدتم عليه آباءكم قالوا
لا نعمل بهذا ولا نسمع لك ولا طاعة ووجدوا في صدورهم أعظم الخرج من حكم الكتاب
والسنة ولم يملوا ذلك ولا أدعوا له وقد وهب لهم الشيطان عصا يتوكلون عليها عند أن
يستمعوا من يدعوهم الى الكتاب والسنة وهي انهم يقولون ان اماننا الذي قلناه واقتدينا
به أعلم منك بكتاب الله وسنة رسوله وذلك لان اذانهم قد تصورت من يقتدون به تصورا
عظيما بسبب تقدم العصر وكثرة الاتباع وما عملوا ان هذا منقوض عليهم مدفوع به في

نسائه فقالوا له انما قد أنكرنا هذا
فان كان سليمان فقد ذهب عنده
وأنا نكرنا أحكامه قال فبكي النساء
عند ذلك قال فاقبلوا عيشون حتى
أتوه فأخذ قوا به ثم نشروا يقرؤن
التوراة قال فطار من بين أيديهم
حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم
طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم
منه في البحر فاشتهه حوت من
حيتان البحر قال وأقبل سليمان عليه
الصلاة والسلام في حاله التي كان
فيها حتى انتهى الى صيادين
صيادين البحر وهو جائع وقد اشتد
جوعه فسألهم من صيدهم وقال
اني أنا سليمان فقام اليه بعضهم
قصر به بعضا فشجبه جعل يغسل
دمه وهو على شاطئ البحر فلام
الصيدون صاحبهم الذي ضرب به
فقالوا بس ما صنعت حيث ضربته
قال انه زعم انه سليمان قال فأعطوه
سمكتين مما قد كان عندهم ولم يشغله
ما كان به من الضرب حتى قام الى
شاطئ البحر فشق بطونهما فجعل
يغسل فوجد خاتمه في بطن أحدهما
فأخذته فلبسه فرد الله عليه بهاه

وملكه جفاته الطرح حتى حامت عليه فعرف القوم انه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام النوم يعتذرون وجوههم

مما صنعوا فقال ما أحدكم على عذركم ولا الوهمكم على ما كان منكم كان هذا الامر لابنهم قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل الى
الشيطان فبني به فامر به فجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقتل عليه بقتل عليه بجماعته ثم أمر به فألقى في البحر فهو
فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حقيق قال وسخر الله له الريح ولم تمكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله وهب لي ملكا لا ينبغي
لأحد من بعدي انك أنت الوهاب وقال ابن أبي يحيى عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى والقينا على كرسية جسدا قال شيطاننا يقال له

أصفت فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذته أصفت في البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ما نكه وقد أصفت على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وانكرته قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطم فيقول أتعرفوني أتعرفوني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأته يوماً حوتاً ففتح بطنه فوجد خاتمته في بطنه فرجع إليه ما نكه وقد أصفت فدخل البحر فأرى هذه كاهن من الأسرا بليديات ومن أنكرها ما قال له ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي (٢٩٩) شيبه وعلى بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا

الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وأتينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام ان يدخل الخلاه فاعطى الجراد خاتمته وكانت الجراد امرأته وكانت أحب نساءه اليه فخاف الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي خاتمي فاعطته إياه لما البسه دانت له الانس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاه قال لها هاتي خاتمي قالت قد أعطيتها سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت سليمان فجعل لا يأتي أحدا يقول له أنا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك سليمان عرف انه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى ان يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلبه لوب الناس انكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا الى نساء سليمان فقالوا له من تنكرن من سليمان شيا فلن نعم انه يا تينا ونحن حيز وما كان يا تينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان انه قد ظن له ظن ان أمره قد انقطع فكتبوا كتباً فيها سحر وكسرت فدفنوها تحت كرسى سليمان ثم ناروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يروا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فقلبتة سمكة فأخذته وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالاجر فاجتمع فاشترى سمكة فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لي هذا السمك فقال نعم قال بكم قال بسمكة من هذا السمك قال حمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به الى منزله فلما انتهى الرجل الى بابها أعطاه تلك السمكة التي

وجوههم فانه لو قبل لهم ان في التابعين من هو أعظم قدرا وأقدم عصرا من صاحبكم فان كان لتقدم العصر وجلالة القدر منزبه توجب الاقتداء فعمالوا حتى أريكم من هو أقدم عصرا وأجل قدرا فان أبيت ذلك ففي الصحابة رضي الله عنهم من هو أعظم قدرا من صاحبكم علما وفضلا وجلالة قدر فان أبيت ذلك فهذا أنا دللكم على من هو أعظم قدرا وأجل خطرا وأكثر اتباعا وأقدم عصرا وهو محمد بن عبد الله نبينا ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم ورسول الله النبي واليكم فعمالوا فهذه سنته موجودة في دقات الاسلام ودواوينه التي تلقتم جميع هذه الامة قرن بقرن وعصر بعصر وهذا كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل وموجد الكل بين أظهرنا موجود في كل بيت ويد كل مسلم لم يلحقه تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تصريف ونحن وأنتم ممن يفهم ألفاظه ويتعقل معانيه فعمالوا الناخذ الحق من معدنه وشرب صفو الماء من مسبعه فهو مما وجدتم عليه آباءكم قالوا لا سمع ولا طاعة اما بلسان القائل أو بلسان الخال فتدبر هذا وأمله ان بقي فيك بقية من انصاف وشعبية من خير ومنعة من حياء وحصة من دين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد أوضحت هذا غاية الايضاح في كتابي الذي سميته أدب الطالب ومنتهى الأرب انتهى وقد أودعته الحافظ ابن القيم في اعلام الموقعين عن رب العالمين فأرجع اليهما ان رمت أن تجلي عند ظلمات التعصب وتتشعك لسحاب التقليد (فانتقمنا منهم) وذلك الانتقام ما أوقعه الله بقوم نوح وعاد وثمود بما استحقوه على اصرارهم على التقليد (فانظر كيف كان عاقبة الكاذبين) للانباء من تلك الامم فان آثارهم موجودة ولا تنكث بتكذيب قومك ثم لما بين في الآية المتقدمة ان ليس لاولئك الكفار ادع يدعوهم الى تلك الاقاويل الباطلة الاتقليد الآباء والاسلاف وبين انه طريق باطل ومنهج فاسد وان الرجوع الى الدليل أولى من الاعتماد على التقليد أورد فيه هذه الآية (راذ قال ابراهيم) الذي هو أعظم آباءهم ومخطط فخرهم والمجمع على محبته وحقيقة دينه منهم ومن غيرهم (لا يبه) أي واذا كرههم وقت قوله لا يبه من غير أن يقلده كما قلدهم أنت آباءكم (وقومهم) أي الذين قلدهم وآباءهم وعبدوا الاصنام (ان يبرأ مما تعبدون) تبرأ مما هم عليه وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكك في الاستدلال والبراهين صدقت به للمبالغة وهو يستعمل للواحد والمتن والمجموع والمذكور والمؤنث وقال الجوهري وتبرأ من كذا

رأى الشيطان انه قد ظن له ظن ان أمره قد انقطع فكتبوا كتباً فيها سحر وكسرت فدفنوها تحت كرسى سليمان ثم ناروها وقرؤها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يروا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فقلبتة سمكة فأخذته وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالاجر فاجتمع فاشترى سمكة فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لي هذا السمك فقال نعم قال بكم قال بسمكة من هذا السمك قال حمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به الى منزله فلما انتهى الرجل الى بابها أعطاه تلك السمكة التي

في بطنها الخاتم فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فاذا الخاتم في جوفها فأخذته فابسه قال فلما لبسه دانت له الجن والانس والشياطين وعاد الى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجيزة من جزائر البحر فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه وكان شيطانا مريدا فجعلوا يطلونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما غافا وافسوا عليه بنينا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت الا انحط معه من الرصاص قال فأخذوه فاقوه وقاتلوه الى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فمقر له تحت من رصاص ثم أدخل في جوفه ثم شد (٣٠٠) بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله تبارك وتعالى ولقد قتنا

سليمان وألقنا على كرسيه جسدا ثم اناب قال يعنى الشيطان الذى كان سلط عليه اسناده الى ابن عباس رضى الله عنهما قوى ولكن الظاهر انه انما تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما ان صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر انهم يكذبون عليه وله هذا كان في هذا السباق منكرات من أشدها ذكر النساء فان المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصهن الله عز وجل منه تشرى بقا وتكرى بالنبيه عليه السلام وقد رويت هذه القصة طويلة عن جماعة من السلف رضى الله عنهم كسعيد ابن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص من أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وقال يحيى بن عروبة الشيبانى وجد سليمان حاقه بعسقلان فشى في جرنه الى بيت المقدس فواضعا لله عز وجل رواه ابن أبي حاتم وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الاحبار في صفة

وأنا منه براء وخلاء لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر في الاصل وبه قال الكسائى والمبرد والزجاج ثم استثنى خالفه من البراءة فقال (الا الذى فطرني) أى خلقني والاستثناء منقطع أى لكن الذى فطرني أو متصل من عموم ما لانهم كانوا يعبدون الله والاصنام أو الاصفه بمعنى غير وما نكرته موصوفة قاله الزمخشري (فانه سيدى) أى سيدى ليدنيه ويوفقى اطاعته ويثبتنى على الحق واخباره بانه سيدى جزئنا لثقتنا بالله سبحانه وقوة يقينه والاوجه ان السنين للتأكد دون التسوية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها كلمة باقية في عقبه) الضمير في جعلها عائد الى قوله الا الذى فطرني وهى معنى التوحيد كانه قال وجعل كلمة التوحيد باقية في عقب ابراهيم وهم ذرية فلا يزال فيهم من يوحد الله وفاعل جعلها ابراهيم وذلك حيث وصاهم بالتوحيد وأمرهم أن يدينوا به كما في قوله ووصى بها ابراهيم بنبيه ويعقوب الآتية وقيل الفاعل هو الله عز وجل أى وجعل الله سبحانه كلمة التوحيد باقية في عقب ابراهيم والعقب من بعد قال مجاهد وقتادة الكلمة لاله الا الله لا يزال من عقبه من يعبد الله الى يوم القيامة ويوحده ويدعو الى توحيديه وقال بكرمته هى الاسلام قال ابن زيد الكلمة هى قوله أسلمت لرب العالمين قال ابن عباس كلمة باقية لاله الا الله وعقب ابراهيم ولده (اعلمهم يرجعون) تعليل للجعل أى جعلها باقية رجاء أن يرجع اليها من يشرك منهم بدعاء من يوحد وقيل الضمير في اعلمهم يرجع الى أهل مكة أى لعل أهلها يرجعون الى دينك الذى هو دين ابراهيم وقيل فى الكلام تقديم وتأخير والتقدير فانه سيدى اعلمهم يرجعون وجعلها الخ قال السدى اعلمهم يتوبون فيرجعون عما هم عليه الى عبادة الله قال الرازى فى تفسيره والمقصود من هذه الآية ذكر وجه آخر يدل على فساد القول بالتقليد وتقريره من وجهين الاول انه تعالى حكى عن ابراهيم عليه السلام انه تبرأ عن دين آباءه بناء على الدليل فنقول اما أن يكون تقليد الآباء فى الايمان محرما أو جائزا فان كان محرما فقد بطل القول بالتقليد وان كان جائزا فاعلم ان أشرف آباء العرب هو ابراهيم عليه السلام وذلك لانه ليس لهم غير ولا شرف الا بانهم من أولاده واذا كان كذلك فتقليد هذا الاب الذى هو أشرف الآباء أولى من تقليد سائر الآباء واذا ثبت ان تقليده أولى من تقليد غيره فنقول انه ترك دين الآباء وحكم بأن اتباع الدليل أولى من متابعة الآباء واذا كان كذلك وجب تقليده فى ترك تقليد الآباء وجب

تقليده
سليمان عليه الصلاة والسلام جزأ عجيبا فقال حدثنا ابى حدثنا ابى صالح كاتب الليث أخبرني أبو اسحق المصرى تقليده
عن كعب الاحبار انه لما فرغ من حديث ارم ذات العمد قال له معاوية يا أباسحق أخبرني عن كرسى سليمان بن داود عليهم الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أى شئ هو فقال كان كرسى سليمان من أتياب القيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ وقد جعل له درجه منها منصف بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكرسى خفف من جانبيه بالخل فخل من ذهب شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ وجعل على رؤس الخلل التى عن يمين الكرسى طواويس من ذهب ثم جعل على رؤس الخلل التى على يسار

الكبرى نسورا من ذهب مقابلة الطواويس وجعل على بين الدرجة الاولى شجرتي صنوبر من ذهب عن يسارها أسدان من ذهب وعلى رؤس الاسدين عمودان من زبرجد وجعل من جانبي الكبرى شجرتي كرم من ذهب قد أظلتا الكبرى وجعل عنقيدهما دراوايقا قوتا أحر ثم جعل فوق درج الكبرى أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكاً وعنبراً فاذا أرا سليمان عليه السلام ان يصعد على كرسيه استدار الاسدان ساعة ثم يقعان فينضحان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسى سليمان عليه الصلاة والسلام ثم يوضع منبران من ذهب واحد خلفه والاخر لرئيس (٣٠١) أخبار بني اسرائيل ذلك الزمان ثم يوضع

أمام كرسيه سبعون منبراً من ذهب يقعد عليها سبعون فاضياً من بني اسرائيل وعلماهم وأهل الشرف منهم والطول ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبراً من ذهب ليس عليها أحد فاذا أراد ان يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسى كله بما فيه وما عليه وييسر الاسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه الايسر ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثانية فييسر الاسد يده اليسرى وينشر النسر جناحه الايمن فاذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسى أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فاذا وضعه على رأسه استدار الكرسى بجافيه كما تدور الرحا المسرعة فقال معاوية رضي الله عنه وما الذي يدبره أنا يا اسحق قال تين من ذهب ذلك الكرسى عليه وهو عظيم بما عمله صخر الجني فاذا أحست بدورانه تلك الاسود والنسور والطواويس التي

تقليده في ترجيح الدليل على التقليد واذا ثبت هذا فنقول فقد ظهر ان القول بوجود التقليد يوجب المنع من التقليد وما أفضى ثبوته الى نقله كان باطلاً فوجب ان يكون القول بالتقليد باطلاً فهذا طريق دقيق في ابطال التقليد وهو المراد من هذه الآية الوجه الثاني في بيان ان ترك التقليد والرجم الى متابعة الدليل أولى في الدنيا والدين انه تعالى بين ان ابراهيم عليه السلام لم يعدل عن طريقه آية الى متابعة الدليل لاجرم جعل الله دينه ومذهبه باقياً في يوم القيامة وأما اديان آباءه فقد اندرست وبطلت فثبت ان الرجوع الى متابعة الدليل يبيح محمود الاثر الى قيام الساعة وان التقليد والاصرار ينقطع أثره ولا يبقى منه في الدنيا خبر ولا أثر فنبت من هذين الوجهين ان متابعة الدليل وترك التقليد أولى فهذا بيان المقصود الاصل من هذه الآية انتهى ثم ذكر سبحانه نعمته على قريش ومن وافقهم من الكفار المعاصرين لهم فقال (بل تمتعت هؤلاء) أى أهل مكة عقب ابراهيم (وآباءهم) أضرب سبحانه عن الكلام الاول الى ذكر ما تمتعهم به من الانفس والاهل والاموال والمدنى الاعمار وأنواع النعم وسلامة الابدان من البلايا والنقم وما تمتع به آباءهم ولم يعاجلهم بالعقوبة فاعتروا بالمهلة وأكبوا على الشهوات وشغلوا بالنعم عن كلمة التوحيد وبطروا وعادوا على الباطل (حتى جاءهم الحق) يعنى القرآن (ورسول مبين) يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم طاهر الرسالة واضهها ومبين لهم ما يحتاجون اليه من أمر الدين فلم يجيبوه ولم يعملوا بما أنزل عليه وفي هذه الغاية خفاء بينه في الكشاف وشروحه وهو ان ما ذكر ليس غاية للتمتع اذ لا مناسبة بين ما مع ان مخالفة ما بعد ما لم يقبلها غير مرعى فيها والجواب ان المراد بالتمتع ما هو سببه من استعمالهم به عن شكر المنعم فكانه قال اشتغلوا به حتى جاءهم الحق ورسول مبين وهو غاية في نفس الامر لانه مما ينههم ويذمهم لكنهم لم يطيعوا عكسوا وافهو كقوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة أفاده الشهاب ثم بين سبحانه ما صنعوه عند مجيء الحق فقال (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانابه كافرون) أى جاحدون فسموا القرآن سحراً وبخده واستحققوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووجه النظم انهم لم يعولوا على تقليد الآباء والاسلاف لم يتفكروا في الدليل واعتروا بطول الاموال وامتناع الله اياهم بتعمير الدنيا فاعرضوا عن الحق والغرض بهذا الكلام توبيخ المقلد المسمى (وقالوا) متحكمين بالباطل

في أسفل الكرسى درن الى اعلاه فاذا وقف وقفن كاهن من كاهنات رؤسهن على رأس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينضعن جميعاً ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود وعليهما الصلاة والسلام ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده فيقرأها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس وذكراً تمام الخبر وهو غريب جداً قال الرب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدى انك أنت الإلهاب قال بعضهم معناه لا ينبغي لاحد من بعدى أى لا يصلح لاحد ان يسلمني بعدى كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسيه لانه يجبر على من بعده من الناس والصحيح انه سأل من الله تعالى ملكاً

لا يكون لاحد من بعدهم من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الاحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحق بن ابراهيم اخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفرية من الجن تفلت على البارحة أو كلة نحوها لقطع على الصلاة فامكنتني الله تبارك وتعالى منسه وأردت ان أربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى تصبوا وتظنر والله كلكم فذرت قول أخى سليمان عليه الصلاة (٣٠٢) والسلام رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى قال روح فرده

خاسنا وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به وقال مسلم فى صحيحه حدثنا محمد بن مسلمة المرادى حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية ابن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن ابي ادريس الخولاني عن ابي الدرداء رضى الله عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فسمعناه يقول أعوذ بالله منك ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليحرقني ووجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت آخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يعذب به صبيان أهل المدينة وقال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا مرة بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلى فذهبت أمر بين يديه فردني

(لولا) هلا (نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أى رجل عظيم من احدى القريتين كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما والمراد به مكة والطائف قاله ابن عباس وبالرجلين الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف كذا قال قتادة وغيره وقال مجاهد وغيره عتبة بن ربيعة من مكة وعمر بن عبد المطلب الثقفي من الطائف وقال ابن عباس عمر بن مسعود وخيار قرشي وقال أيضا العظيم الوليد بن المغيرة القرشي وحبيب بن عمير الثقفي وعنه قال يعنون أشرف من محمد الوليد بن المغيرة من أهل مكة ومسعود الثقفي من أهل الطائف وقيل غير ذلك وظاهر النظم ان المراد بـ رجل من احدى القريتين عظيم الجاه واسع المال مسودى قوله والمعنى انه لو كان قرآنا نزل على رجل من عظماء القريتين فهو لألامساكين قالوا من نصب رسالة الله من نصب شريف فلا يلقى الا بـ رجل شريف وقد صدقوا فى ذلك الا أنهم ضموا اليه مقدمة فاسدة وهى ان الرجل الشريف عندهم هو الذى يكون كثير المال والجاه ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ليس كذلك فأجاب الله سبحانه عنهم بقوله (اهم يقسمون رحمت ربك) يعنى النبوة او ما هو اعلم منها والاستفهام للانكار المستقل بالتجليل والتعجب من تحكهم فى اختيار من يصلح للنبوة وترسم هذه التاء مجرورة اتباعا لرسم المحذف الامام كما قص عليه ابن الجزرى ثم بين انه سبحانه هو الذى قسم بينهم ما يعيشون به من أمور الدنيا فقال (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) أى نحن أو قعنا هذا التناوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا اما لكاه هذا ملوكا وهذا اتوايا وهذا ضعيفا ولم نقوض ذلك اليهم وليس لاحد من العباد ان يتحكم فى شئ بل الحكم لله وحده واذ كان الله سبحانه هو الذى قسم بينهم رزاقهم فكيف لا يقنعون بقسمته فى امر النبوة وتنفويضا الى من يشاء من خلقه قال مقاتل يقول بايديهم من نتائج الرسالة فيضونها حيث شاؤوا قرأ الجمهور وعيشتهم بالافراد وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن محيصة معايشهم بالجمع (و) يعنى (رفعنا بعضهم فوق بعض درجات) انه فاضل بينهم فجعل بعضهم أفضل من بعض فى الدنيا بالرزق والرياسة والقوة والحريية والعقل والعلم ثم ذكر العلة لرفع درجات بعضهم على بعض فقال (ليخذ بعضهم بعضا خزيرا) أى ليستخدم بعضهم بعضا فيخدم الغنى الفقير والرئيس المرؤس والقوى الضعيف والحر العبد والعاقل من دونه فى العقل والعالم الجاهل وهذا فى غالب أحوال أهل الدنيا اوبه تتم مصالحتهم

ويُنظَّم

صلى الله عليه وسلم قام يصلى صلاة الصبح

ثم قال حدثني أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلى صلاة الصبح وهو خلقه فقرأ فاتحة القراءت عليه الصلاة فلما فرغ من صلاته قال لورايموتى وابليس فاهويت بيدي فمالت أخنقه حتى وجدت بردا على بين اصبعي هاتين الابهام والى تليها اولو لادعوة أخى سليمان لا يصح مر بوطا بسارية من سوارى المسجد يتلاعب بصبيان المدينة فن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل وقد روى أبو داود عنه من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل عن أحمد بن أبي شريح عن أبي أحمد الزبيرى به وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد

الفرزاري حدثنا الاوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد بن عبد الله الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم وهو في حائطه بالطائف يقال له الرهط وهو محاصر فتي من قريش يزني ويشرب الخمر فقلت بلغني عنك حديث انه من شرب شربة من الخمر لم يقبل الله عز وجل له توبة أربعين صباحا وان الشقي من شقي في بطن أمه وانه من أتى بيت المقدس لا ينزهه الا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه فلما سمع الفتى ذكرا الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم ما اتى لأحد الا حدان يقول على ما لم أقل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شرب من (٣٠٣) الخمر شربة لم تقبل له صلاة أربعين صباحا

فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال فان عاد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبيل يوم القيامة قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم أتى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان سليمان عليه السلام سأل الله تعالى ثلاثا فاعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة سألته حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وسألته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فاعطاه اياه وسألته لا يريد الا الصلاة في هذا المسجد يخرج من طينته كيوم ولدته أمه ففتح نرجوان يكون الله عز وجل قد أعطانا اياها وقد روى هذا الفصل الاخير من هذا الحديث التسائي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن

وينتظم معاشهم ويصل كل واحد منهم الى مطلوبه فان كل صناعة دنياوية يحسنها قوم دون آخرين فجعل البعض محتاجا الى البعض لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا ويحتاج هذا الى هذا ويصنع هذا لهذا ويعطى هذا لهذا اذ قال السدي وابن زيد سختر باخولا وخرما يسخر الاغنياء الفقراء فيكون بعضهم سيدا لبعضهم بعض وقال قتادة والضحاك ليلك بعضهم بعضا وقيل هو من السخرة التي بمعنى الاستئراء قال الاخفش سخرت به وسخرت منه رضحت به وضحكت منه وهزأت به وهزأت منه وهذا وان كان مطابقا للمعنى اللغوي ولكنه بعيد من معنى القرآن ومناف لما هو متصود السياق وعلى هذا القول تكون اللام الصورية والعاقبة للعلة والسيبية (ورجة ربك) يعني بالرحمة ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة وقيل هي النسوة لان المرادة بالرحمة المتقدمة في قوله أهم يقسهون رحمت ربك ولا مانع من أن يراد كل ما يطاق عليه اسم الرحمة اما مشيولاً وابدلاً (خير مما يجمعون) أي مما يجمعونه من الاموال وسائر متاع الدنيا لان الدنيا على شرف الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الابدين ثم بين سبحانه حقارة الدنيا عنده فقال (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي لولا أن يجمعوا على الكفر ميلوا الى الدنيا وخر فيها أو يرغبوا فيه اذ اراوا الكفار في سعة وتنعم (بل جعلنا من يكفر بالرحن لبيوتهم سققنا من فضة) جمع الضمير في بيوتهم وأفرده في يكفر باعتبار معنى من ولفظها وليوتهم بدل اشتمال من الموصول واللام للاختصاص والسقف جمع سقف قرأ الجهور بضم السين والقاف كرهن ورهن قال أبو عبيدة ولا ثالث لهما وقال الفراء هو جمع سقيف نحو كتيب وكتب ورغيف ورغف وقيل هو جمع سقوف فيكون جمعاً للجمع وقرئ بفتح السين واسكان القاف على الافراد ومعناه الجمع لكونه الجنس قال الحسن معنى الآية لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا وتركهم الآخرة لا عطناهم في الدنيا ما وصفناه لهوان الدنيا عندها وقال بهذا أكثر المفسرين وقال ابن زيد لولا ان يكون الناس أمة واحدة في طلب الدنيا واختيارهم لها على الآخرة وقال الكسائي المعنى لولا ان يكون في الكفار غنى وفقير وفي المسلمين مثل ذلك لا عطينا الكفار من الدنيا لها وانها (ومعارج) كالدرج من فضة جمع معراج بفتح الميم وكسرها وسميت المصاعد من الدرج المعارج لان المشى عليها مثل مشى الأعرج ومعراج جمع معراج والمعراج السلم وهي لغة بعض تميم

عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلا لا ثلاثا واذكره وقد روى من حديث رافع بن عمر رضى الله عنه باسناد وسياق غريبين وقال الطبراني حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن أبي عملة عن أبي الزاهرية عن رافع بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لي يتنا في الارض فبني داود بيتا لنفسه قبل البيت الذي أمر به فاوحى الله اليه يا داود نصبت بيتك قبل بيتي قال يارب هكذا قضيت من ملك استأثر ثم أخذني بناء

المسجد فلما تم السور سقط ثلثه فشق كذلك الى الله عز وجل فقال يا داود انك لاتصلح ان تبني لي بيتا قال ولم يارب قال لما جرى على يدك من الدماء قال يارب أو ما كان ذلك في هوالك ومحبتك قال بلى ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه فأوحى الله اليه لاتحزن فاني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان فلما مات داود أخذ سليمان في بناءه ولما تم قرب القرابين وذبح الذبايح وجمع بنو اسرائيل فأوحى الله اليه قد أرى سرورك بيننا بيتي فسلي أعطك قال أسألك ثلاث خصال حكما صادف حكمك ولمك لا ينبغي لاحد من بعدى ومن أتى هذا البيت لا يريد (٣٠٤) الا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم اما انتان فقد أعطيتهما وأنا أرحو ان يكون قد أعطى الثالثة وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد البغلي حدثنا اياس بن سلمة بن الاكوع عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الاستفتح سبحانه الله ربى العلى الاعلى الوهاب وقد قال أبو عبيد سعد ثعلبي بن ثابت عن جعفر بن برقان عن صالح بن سمار قال لما مات نبي الله داود عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى الى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام ان سلني حاجتك قال أسألك ان تجعل لي قريبا يخشاك كما كان قلب أبي وان يجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي فقال الله عز وجل أرسلت الى عبدى وسألته حاجته فكانت حاجته ان أجعل قلبه يخشاني وان أجعل قلبه يحبني لا ينبغي له ما سكا لا ينبغي لاحد من بعده قال الله جلت عظمته فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والتي بعدها قال فاعطاه ما اعطاه وفي الآخرة لا حساب عليه هكذا

وهذا الكتاب جمع مفتوح ومفاتيح جمع مفتاح قال الاخفش ان شئت جعلت الواحدة معراج ومعراج مثل مر فاومر فاو المعنى جعلنا لهم معارج من فضة (عليها) أى على المعارج (يظهرون) يرتقون ويعدون يقال ظهرت على البيت أى علوت سطحه (وليسوتهم ابوابا وسررا) أى وجعلنا ليسوتهم ابوابا من فضة وسررا من فضة وتكرر لفظ ليسوت لزيادة التقرير (عليها) أى على السرر وهو جمع سرير وقيل جمع أسرة فيكون جمعا للجمع (يتكثرون) الاتكاه والتوكؤ التحامل على الشئ ومنه أتوكأ عليها واتكأ على الشئ فهو متكئ والموضع متكأ (وزخرفا) أى وجعلنا لهم زخرفا ليجعلوه في السقف والمعارج والابواب والسررا يكون بعض كل منها من فضة وبعضه من ذهب لانه أبلغ في الزينة وقيل النصب بنزع الخافض أى أبو اباوسررا من فضة ومن ذهب فلما حذف الخافض اتصب والزخرف الذهب وقيل الزينة أعم من ان يكون ذهباً أو غيره قال ابن زيد هو ما يتخذ الناس في منازلهم من الامتعة والاثاث وقال الحسن النقوش وأصله الزينة يقال زخرفت الدار زينةا وزخرف فلان أى تزين قال ابن عباس في الآية يقول لولا ان نفعل الناس كلهم كذا لاجعلنا ليسوت الكفار سقفا من فضة ومعارج من فضة وهى درج عليها يصعدون الى الغرف وسرر فضة وزخرفا وهو الذهب وأخرج الترمذى وصححه وابن ماجه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو كانت الدنيا ترزق عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وعن المسور بن شداد قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السخلة المبتة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هو أنها ألقوها يا رسول الله قال فان الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها أخرجه الترمذى وحسنه وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا أحب الله عبدا احب الله من الدنيا كما ينزل أحدكم يحمي سقيم الماء أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر أخرجه مسلم قال البقاعي ولا يبعد أن يكون ما صار اليه الفسقة والجباة من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادئ الفسقة بان يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لاتقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال لان من يبقى اذ ذلك على الحق في

أورده أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام في تاريخه وروى عن بعض السلف انه قال غاية

بلغنى عن داود عليه الصلاة والسلام انه قال الهى كن سليمان كما كنت لى فأوحى الله عز وجل اليه ان قل سليمان ان يكون لى كما كنت لى أن كن له كما كنت لك وقوله تبارك وتعالى فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب قال الحسن البصرى رحمه الله لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضبا لله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر وقوله جل وعلا حيث أصاب أى حيث أراد من البلاد وقوله جل جلاله والشياطين كل بناء وغواص أى منهم

غاية القصد بحيث انه لا عدد له في جانب الكفرة لان كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وان
خرج مخرج الشرط فكيف ملك الملوك سبحانه ثم أخبر سبحانه ان جميع ذلك انما يتبع
به في الدنيا فقال (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) قرأ الجمهور لما بالتخفيف وقرئ
بالتشديد فعلى الاولى ان هي الخنففة من الثقبلة وعلى الثانية هي النافية ولما معنى الأى
ما كل ذلك الاما يتبع به في الدنيا وقرئ بكسر اللام من لما على ان اللام للعلة وما موصولة
والعائد محذوف أى الذى هو متاع (والآخرة) أى الجنة (عند ربك للمتقين) أى لمن اتقى
الشرك والمعاصى وآمن بالله وحده وعمل بطاعته وترك الدنيا وآثر الآخرة فانها الباقية التى
لا تفسى ونعيمها الدائم الذى لا ينقطع (ومن يعش) يقال عشوت الى النار قصدتها
وعشوت عنها أى أعرضت عنها كما تقول عدلت الى فلان وعدلت عنه أى ملت اليه
وملت عنه كذا قال الفراء والزجاج وأبو الهيثم والزهري وقال الخليل العشو النظر
الضعيف وقال أبو عبيدة والخنس ان معنى ومن يعش ومن تظلم عينه وهو نحو قول
الخليل وهذا على قراءة الجمهور ومن يعش يضم الشين من عشا يعشو وقرئ بفتح الشين
يقال عشى الرجل يعشى عشا اذا عمى وقال الجوهري العشا مقصور مصدر الاعشى
وهو الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار والمرأة عسوى وقرئ يعشو بالواو على ان من
موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض ويتعمى ويتجاهل ويتعافل
(عن ذكر الرحمن) ولم يخف عقابه ولم يرد ثوابه وقيل يول ظهره عن القرآن (تقيض له
شيطانا) قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالتحسية مبنيا للفاعل وقرأ ابن عباس بالتحسية مبنيا
للمفعول ورفع شيطان على النيابة والمعنى نسب له جزاء على كفره شيطانا (فهوله قرين)
أى ملازم له في الدنيا يمنعه من الحلال ويعتنه على الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره
بالمعصية ولا يفارقه وقيل فى الآخرة اذا قام من قبره قاله سعيد الجريري وقيل فيهما قال
القشيري وهو الصحيح وهو ملازم للشيطان لا يفارقه بل يتبعه فى جميع اموره ويطيعه فى
كل ما يوسوس به اليه وقال الزجاج معنى الآية ان من أعرض عن القرآن وما فيه من الحكم
الى الأباطيل المضلن يعاقبه الله بشيطان يقضه له حتى يضلّه ويلزمه قرين فلا يمتدى
بجأزاة له حين آثر الباطل على الحق البين أخرج ابن أبى حاتم عن محمد بن عثمان الخزومي
ان قرين شاقات قمضوا لكل رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يأخذه
فقوضوا لابي بكر طلحة بن عبيد الله فاتاه وهو فى القوم فقال أبو بكر الام تدعونى قال
أدعوك الى عبادة اللات والعزى قال أبو بكر وما اللات قال اولاد الله قال وما العزى قال
بنات الله قال أبو بكر فى أمهم فسكت طلحة فلم يجبه فقال لاصحابه أجيئو الرجل فسكت
القوم فقال طلحة قم يا أبا بكر أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فانزل الله هذه
الآية وثبت فى صحيح مسلم وغيره ان مع كل مسلم قرين من الجن (وانهم) أى وان الشياطين
الذين يقضهم الله لكل أحد من يشع عن ذكر الرحمن كما هو معنى من (ليصدوهم عن
السبيل) أى يحولون بينهم وبين سبيل الحق ويمنعونهم منه ويوسوسون لهم انهم على
الهدى حتى يظنوا صدق ما يوسوسون به وهو معنى قوله (ويحسبون انهم) أى يحسب

من هو مستعمل فى الابنية الهائلة
من محاريب وتماثيل وجفان
كالجواب وقد ورر اسباب الى غير
ذلك من الاعمال الشاقة التى لا يقدر
عليها البشر وطائفة غواصون فى
البحار يستخرجون ما فيها من
اللاآت والجواهر والاشياء النادرة
التى لا توجد الا فيها وآخرين مقرنين
فى الاصفاد أى موثوقون فى الاغلال
والا بكال بمن قد ترد وعصى وامتنع
من العمل وأبى أو قد أساء فى صنيعه

الكفار أن الشياطين مهتدون) فمطيعونهم أو بحسب الكفار بسبب تلك الوسوسة انهم في أنفسهم مهتدون وصيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله (حتى اذا جاءنا) فان حتى وان كانت ابتدائية داخلية على الجملة الشرطية لكنهما تقتضي حتماً أن تكون غايبة لا مرمية كما مر مراراً قاله أبو السعود قرأ الجمهور بالتثنية اي الكافر والشيطان المقارن له وقرئ بالافراد اي الكفار وكل واحد منهما (قال) الكافر مخاطباً للشيطان (يا ليت) كان في الدنيا (بيني وبينك بعد المشرقين) أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب المشرق على المغرب قال مقاتل تنبى الكافر أن ينه ما بعد مشرق أطول يوم في السنة من مشرق أقصر يوم في السنة والاول وأولى وبه قال الفراء (فبئس القرين) أي أنت أيما الشيطان (وان ينفعكم اليوم) هذا حكاية لما سيقال لهم يوم القيامة (اذ ظلمتم) اي لاجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا وقيل ان اذبل من اليوم لانه تبين ذلك في اليوم انهم ظلموا أنفسهم في الدنيا (انكم في العذاب مشتركون) قرأ الجمهور بفتح ان على انها وما بعدها في محل رفع على الفاعلية اي ان ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب قال المفسرون لا يخفف عنهم بسبب الاشتراك شيء من العذاب لان لكل أحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر منه وقيل انها للتعليل لنفي النفع أي ان ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فانتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويقوى هذا المعنى قراءة ان بالكسر ثم ذكر سبحانه انها لا تنفع الدعوة والوعظ من سبقت له الشقاوة فقال (أفأنت تسع الصم أو تهدي العمى) الهزلة لانكار التعجب اي ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك ان كفرنا وفيه تسليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخباره بانه لا يقدر على ذلك الا الله عز وجل (ومن كان في ضلال مبين) عطف على العمى للتغاير العنواني والافالمصداق واحد أي انك لا تهدي من كان كذلك ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار بمنزلة الصم الذين لا يعقلون ما حثت به وبمنزلة العمى الذين لا يصرون لافراطهم في الضلالة وتمكنهم من الجهالة (فاما نذنبك) بالموت قبل أن تنزل بهم العذاب وقيل المعنى نخرجك من مكة (فانما منهم من ستمون) اما في الدنيا وفي الآخرة قال علي كرم الله وجهه ذهب الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وبقيت نغمته في عدوه (أوزيريتك الذي وعدناهم) من العذاب قبل موتك (فانا عليكم مقتدون) متى شئنا عذبناهم قال كثير من المفسرين قد أراه الله ذلك يوم بدر وبه قال ابن عباس وقال الحسن وقتادة هي في أهل الاسلام يريد ما كان بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفتن وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتنة شديدة فأكرم الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وذهب به فلم يره في أمته شياً من ذلك والاول أولى (فاستمسك بالذي أوحى اليك) من القرآن وان كذب به من كذب (انك على صراط مستقيم) أي طريق واضح لتعليل للاستمسك اول الامر به (وانه) أي وان القرآن (لذكر لك ولقومك) أي شرفك ولقريش اذ نزل عليك وأنت منهم بلغتك ولغتهم ومثله قوله لقد أنزلنا اليكم كتابه ذكركم وقيل بيان

واعتدى وقوله عز وجل هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب أي هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألنا فاعط من شئت وأحرم من شئت لاحساب عليك أي مهما فعلت فهو جائز لك أحكم بما شئت فهو صواب وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خير بين ان يكون عبد رسول الله وهو الذي يفعل ما يؤمر به وانما هو

لأنه لا تمتك فبما لكم حاجة وقيل نذكرة تذكرون بها أمر الدين وتعملون به وعن علي
 وابن عباس قالاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه على القبائل بمكة
 ويعددهم الظهور فإذا قالوا لمن الملك بعدك أمسك فلم يجبهم بشئ لأنه لا يؤمر في ذلك بشئ
 حتى نزات وأنه لذكر لك ولقومك فكان إذا سئل بعد قال لقريش فلا يجيبوه حتى قبلته
 الانصار على ذلك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال هذا
 الامر في قريش ما بقي منهم اثنان أخرجه الشيخان وعن معاوية قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم أحد الا أ كبه الله تعالى
 على وجهه ما أقاموا الدين أخرجه البخاري (وسوف تسألون) عما جعله الله لكم من
 الشرف كذا قال الزجاج والكلبي وغيرهما وقيل يسألون عما يلزمهم من القيام بما فيه
 والعمل به وعن تعظيمهم له وشكرهم لهذه النعمة يوم القيامة (واسأل من أرسلنا من قبلك
 من رسلنا أ جعلنا من دون الرحمن) أي غيره (آلهة يعبدون) قال الزهري وسعيد بن جبير
 وابن زيدان جبريل قال ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أسرى به فالمراد سؤال
 الانبياء في ذلك الوقت عند ملاقاته لهم وبه قال جماعة من السلف وقال المبرد والزجاج
 وجماعة من العلماء ان المعنى واسأل أمم من قد أرسلنا وبه قال ابن عباس ومجاهد والسدي
 والضحاك وقناة وعطاء والحسن وقناة ايقاع السؤال على الرسل مع ان المراد أممهم
 التنبيه على ان المسؤول عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما تقوله علماءهم من تلقاء
 أنفسهم وعلى الاول هي مكية وعلى الثاني مدينة ومعنى الآية على القولين سؤالهم هل
 أذن الله بعبادة الاوثان في ملته من الملل وهل سوغ ذلك لاحد منهم والمقصود تقرير
 مشركي قريش بان ما هم عليه لم يأت في شريعة من الشرائع وقيل ليس المراد بسؤال
 الرسل حقيقة السؤال ولكنه مجاز عن النظر في أديانهم والتعص عن مللهم هل جاءت
 عبادة الاوثان قط في ملته من ملل الانبياء ~~كناه~~ فصاروا نظر انظره في كتاب الله المجز
 المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بانهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه
 الآية في نفسها كافية لا حاجة الى غيرها ولما علم الله سبحانه نبيه بأنه منتقم له من عدوه
 وذكر اتفاق الانبياء على التوحيد أتبعه بذكر قصة موسى وفرعون وبيان ما نزل بفرعون
 وقومه من العقوبة فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) التسع التي تقدم بيانها (الى فرعون
 وملائته) أي القبط (فقال انى رسول رب العالمين) أرسلنى اليكم ما أجابوه به عند قوله هذا
 محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه
 وابرار الآيات (اذا هم منها يضحكون) استهزاء ونخرية وجواب لما هو اذا الفجائية لان
 التقدير فاجأوا وقت ضحكهم (وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها) أى كل واحدة
 من آيات موسى أكبر مما قبلها وأعظم قدرا مع كون التي قبلها عظيمة في نفسها وقيل
 المراد بهذا الكلام انهم وصفوا بالكبر ولا يكذبون يتفاوتن فيه وعليه كلام الناس
 هما اخوان كل واحد منهما أكبر من الآخر وقيل المعنى ان الاولى تقتضى علما والثانية

فاسم يقسم بين الناس كما أمره الله
 تعالى به وبين ان يكون نبيسا ملكا
 يعطى من يشاء وينع من يشاء بلا
 حساب ولا جناح اختار المنزلة
 الاولى بعدما استشار جبريل عليه
 الصلاة والسلام فقال له تواضع
 فاختر المنزلة الاولى لانها أرفع قدرا
 عند الله عز وجل وأعلى منزلة في
 المعاد وان كانت المنزلة الثانية
 وهى السبوة مع الملك عظيمة أيضا في
 الدنيا والاخرة ولهذا الماد كرتبارك

تقتضى علماً فاذا ضمت الثانية الى الاولى ازيد الوضوح ومعنى الاخوة بين الآيات انها
متشابهة متناسبة في دلالتها على صحة نبوة موسى كما يقال هذه صاحبة هذه اي هما
قرينتان في المعنى وقيل المعنى ان كل واحدة من الآيات اذا انفردت ظن الظان انها أكبر
من سائر الآيات (وأخذناهم) بسبب تكذيبهم بتلك الآيات (بالعذاب) أي بالسنين
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس كما قال تعالى ولقد أخذنا آل
فرعون بالسنين الآية ثم بين سبحانه ان العلة في أخذه لهم بالعذاب هو رجوعهم فذال
(لعلهم يرجعون) أي لكي يرجعوا عن الكفر الى الايمان ولما عاينوا ما جاءهم به من
الآيات البينات والدلالات الواضحات ظنوا ان ذلك من قبيل السحر (وقالوا يا أيه
الساحر) وكانوا يسمون العلماء سحرة ويوقرون السحرة ويعظمونهم ولم يكن السحر صنعة
ذم عندهم قال الزجاج خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر أو نادوه بذلك في
تلك الحال اشد شكيمتهم وفرط حاققتهم والظهار ان النداء كان باسمه العلم كما في الاعراف
في قوله قالوا يا موسى (ادع لنا ربك بما عهد عندك) لکن حکى الله سبحانه هنا كلامهم
لا يعبرتمهم بل على وفق ما أضمرة فلو بهم من اعتقادهم انه ساحر لاقتضاء مقام التسلية
ذلك فان قريشاً سموه ساحراً وهو ما أتى به سحراً أفاده الكرخي والمعنى ادع الله بما
أخبرت من عهدك اننا اذا آمننا كشف عنا العذاب الذي نزل بنا (اننا المهتدون) أي
فمن مهتدون فيما يسـتقبل من الزمان ومؤمنون بما جئت به (فلما كشفنا عنهم
العذاب) في الكلام حذف والتقدير فدعا موسى ربه فكشف عنهم العذاب فلما كشف
عنهم العذاب (اذاهم يشكثون) فاجأوا نكثهم للعهد الذي جعلوه على أنفسهم من
الاهتداء والنكث النقض وكانوا يتقصونه في كل مرة من مرات العذاب (ونادى
فرعون) افتخاراً (في قومه) قيل لما رأى تلك الآيات خاف ميل القوم الى موسى فجمعهم
ونادى بصوته فيما بينهم أو أمر منادياً نادى بقوله (قال يا قوم أليس لي ملك مصر)
لا ينازعني فيه أحد ولا يخالفني فيه مخالف (وهذه الانهار تجري من تحتي) اي والحال
ان الانهار تجري من تحت قصرى والمراد انهار النيل وقال قتادة المعنى تجري بين يدي
وفي بسايتي قال الحسن تجري بأمرى أي تجري تحت أمرى وقال الضحالة اراد بالانهار
القواد والرؤساء والخبابة وانهم يسرون تحت لوائه وقيل اراد بالانهار الاموال والاول
أولى (أفلا تبصرون) ذلك ونستدلون به على قوة ملكي وعظم قدرى وضعف موسى عن
مقاومتي وعن الرشيد انه لما قرأها قال لاولينها أخس عبيدى فولاها الخصب وكان
خادمه على وضوئه وعن عبدالله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها قال أهى القرية
انتي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر والله ليهى اقل عندي من ان أدخلها
فثنى عنانه (ام أنا خير) أم هي المنقطعة المقدرة بيل التي للضراب دون الهمزة التي
للانكار اي بل أنا خير قال ابو عبيدة أم معنى بل والمعنى قال فرعون لقوميه بل أنا
خير وقال القراء ان شئت جعلتها من الاستفهام الذي جعل بام لاتصاله بكلام قبله

وتعالى ما أعطى سليمان عليه
الصلاة والسلام في الدين اية تعالى
على انه ذو حظ عظيم عند الله يوم
القيامة أيضاً فقال تعالى وان له عندنا
لزناجى وحسن ما تب أى في الدار
الآخرة (واذكر عبدنا أيوب اذ
نادى ربه أي موسى الشيطان
بُنصب وعذاب اركض بربك هذا
مغسل بارد وشراب ووهبنا له أهله
ومثلهم معهم رجة منا واذ كرى
لاولى الالباب وخذي يدك ضعفاً

وقيل هي زائدة وحكى ابو زيد عن العرب انهم يجمعون ام زائدة والمعنى اناخير من هذا
وقال الاخفش في الكلام حذف والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون ثم اتى بدأ فقال
اناخير وروى عن الخليل وسيبويه نحو قول الاخفش ويؤيد هذا ان عيسى الثقفي
ويعقوب الحضرمي وقف على ام على تقدير ام تبصرون فحذف لدلالة الاول عليه وعلى
هذا فتكون ام متصلة لامنقطعة والاول اول وحكى القراء ان بعض القراء قرأ اما
اناخير اى األت خيرا (من هذا الذى هو مهين) اى ضعيف حقير يمتن في نفسه لاعتزله
لانه يتعاطى اموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة يجرى بها نهرا وينفذ بها امرا (ولا يكاد
يبين) الكلام لما في لسانه من العقدة وقد تقدم بيانه في سورة طه قال ابن عباس في الآية
كانت بموسى للغة في لسانه واللتغة بالضم ان تصير الراء غينا او لا ما والسين ناء وقد لئغ من
باب طرب فهو اللئغ وقيل المعنى لا يكاد يبين حجته اى تدل على صدقه فيما يدعى ولم يدب
انه لا قدر له على الكلام والاول اولي (قلوا لاقى عليه) من عنده رساله الذى يدعى انه
الملك بالحقيقة (اسورة) جمع سوار ورجل اقراص وقرأ الجهم وراسور جمع اسورة وقال
ابو عمرو بن العلاء واحد الاساور والاساور اسوار وهى لغة فى سوار وقرأ ابى
اساور وابن مسعود اساور قال مجاهد كانوا اذا سؤد وارجلا سؤروه بسوارين
وطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته ارادوا بالقاء الاسورة عليه القاء مقابليد الملك اليه
اى فهلا حلى باسورة (من ذهب) ان كان عظيما مقدما سيدا (أو جاء معه الملائكة
مقترنين) اى هلا جاء معه الملائكة متتابعين متقارنين ان كان صادقا يعينونه على امره
ويشهدون له بالنسوة ويمشون معه فاوهم اللعين قومه ان الرسل لا بد ان يكونوا على هيئة
الجبارة ومخوفين بالملائكة (فاستخف قومه) اى جملهم على خفة الجهل والسفه بقوله
وكيده واستغزهم بالقول واستزلهم وعمل فيهم كلامه وقيل طلب منهم الخفة فى الطاعة
وهى الاسراع قال ابن الاعرابى المعنى فاستجهل قومه فاطاعوه خفة اهلهم وقلة
عقولهم يقال استخفه الفرح اى ازجمه واستخفه اى جمه ومنه ولا يستخفك الذين
لا يوقنون وقد استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه وعزروه وقيل استخف قومه اى
وجدتهم خفاف العقول فصيغة الاستفعال للوجدان وفى نسبه الى القوم تجوز
(فاطاعوه) فيما امرهم به وقبلوا قوله وكذبوا موسى (انهم كانوا قوما فاسقين) اى
خارجين عن طاعة الله (فلما استغفونا) اى اغضبونا قاله المفسرون والاسف الغضب وقيل
اشد الغضب وقيل السخط وقيل المعنى اغضبوا رسلا قال ابن عباس فلما اخطونا
واغضبونا اى بالافراط فى الفساد والعصيان (انتم منا منهم) ثم بين العذاب الذى وقع به
الانتقام فقال (فاغرقتناهم اجمعين) فى البحر وانما اهلكوا بالغرق ليكون هلاكهم بما
تعزروا به وهو الماء فى قوله وهذه الانهار تجري من تحتي ففيه اشارة الى ان من تعزربشئ
دون الله اهلكه الله وقد استضعف العين موسى وعابه بالفقر والضعف فسلطه الله تعالى
عليه اشارة الى انه ما استضعف احد شيئا الا غلبه افاده القشيري اخرج احمد والطبرانى
والبيهقى فى الشعب وابن ابي حاتم عن عقبه بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فاضرب به ولا تخنث انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اتراب) يذكر
تبارك وتعالى عبده ورسوله ايوب
عليه الصلاة والسلام وما كان
ابتلاء تعالى به من الضر فى جسده
وماله وولده حتى لم يبق من جسده
مغرز ابرة سليمان سوى قلبه ولم يبق
له من الدنيا شئ يستعين به على
مرضه وما هو فيه غير ان زوجته
حفظت وده لايمانها بالله تعالى
ورسوله فكانت تخدم الناس بالاجرة

قال اذا رأيت الله يعطى العبد ما شاء وهو مقيم على معاصيه فاعلم ان ذلك استدرج منه له
 وقرأ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وعن طاوس بن شهاب قال كنت عند
 عبد الله فذكر عنده موت الفجأة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر فلما آسفونا
 انتقمنا منهم (جعلناهم سلفاً) أى قدوة ان عمل بعملهم من الكفار في استحقاق العذاب
 لاجل الاعتبار بهم قرأ الجمهور سلفاً بفتح السين واللام جمع سالف كخدم وخدام ورسد
 وراصد وحرس وحارس يقال سالف يسلف اذا تقدم ومضى قال الفراء والزجاج جعلناهم
 متقدمين سابقين ليتعظ بهم الآخرون اللاحقون وقرئ سلفاً بضم السين واللام قال
 الفراء هو جمع سليف نحو سرور وسرير وقال أبو حاتم هو جمع سلف نحو خشب وخشب
 وقرئ بضم السين وفتح اللام جمع سلفة وهم الفرقة المتقدمة نحو غرف وغرفة كذا قال
 النضر بن شميل وقال ابن عباس سلفاً أهواء مختلفة (ومثلاً لآخرين) أى عبرة وموعظة
 لمن يأتي بعدهم أو قصة عجيبه تجرى مجرى الامثال وتسير سير الاقوال ولما قال سبحانه
 واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون تعلق
 المشركون بامر عيسى وقالوا ما يريد محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا ان تتخذها كما
 اتخذ النصارى عيسى بن مريم فانزل الله (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) كذا قال تامة
 ومجاهد وقال الواحدى أكثر المفسرين على ان هذه الآية نزلت في مجادلة ابن الزبيرى
 مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
 جهنم قال ابن الزبيرى (١) خصمك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح
 واليهود عزيروا بنو مليح المسائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن
 وآلهتنا معهم ففرحوا به وضحكوا وارتفعت أصواتهم فانزل الله ان الذين سبقتمنا
 الحسنى أولئك عنها مبعدون ونزلت هذه الآية المذكورة هنا وقدمضى هذا في سورة
 الانبياء ولا يخفى ان ما قاله ابن الزبيرى مندفع من أصله وباطل برمته فان الله سبحانه
 قال انكم وما تعبدون ولم يقل ومن تعبدون حتى يدخل في ذلك العقلاء كالمنجوع وعزير
 والملائكة قال الشهاب ابن الزبيرى هو عبد الله الصامى المشهور وهذه القصة على تقدير
 صحتها كانت قبل اسلامه (اذا قومك) يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (منه) أى من ذلك
 المثل المضروب (يصدون) أى يضحون ويضحون فرجاء ذلك المنسل المضروب والمراد
 بقومه هنا كفار قريش اذ ظنوا انه ألزم وأختم النبي صلى الله عليه وآله وسلم به وهو انما
 سكت انتظار اللوحى قرأ الجمهور يصدون بكسر الصاد وقرئ بضمها وهم اسبغيتان قال
 الكسائى والفراء والزجاج والاحفش هما الغتان ومعناها ما يضحون قال الجوهري صد
 يصد صدداً أى ضح و قيل انه بالضم الاعراض وبالكسر من الضحيج قاله قطرب قال
 أبو عبيد لو كانت من الصدود عن الحق يقال اذا قومك عنه يصدون عن ابن عباس ان
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لقريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير
 قالوا أليست تزعم ان عيسى كان نبياً وعبد من عباد الله صالحاً وقدمت به النصارى فان
 كنت صادقا فانه كما آلهتهم فانزل الله ولما ضرب ابن مريم مثلاً الآية قلت وما يصدون قال

وتطعمه وتخدمه نحو ما من ثمانى
 عشرة سنة وقد كان قبل ذلك فى مال
 جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا
 فسأب جميع ذلك حتى آل به الحال
 ان ألقى على منزلة من مزابل
 البلدة هذه المدة بكالها ورفضه
 القريب والبعد سوى زوجته
 رضى الله عنها فانها كانت لا تفارقه
 صباحاً ومساءً الا بسبب خدمة
 الناس ثم تعود اليه قريبا فلما طال
 المطال واشتد الحال وانتهى القدر

(١) بكسر الزاى المهجئة وفتح الباء
 الموحدة وسكون العين والراء المهملة
 والالف المقصورة معناه سبى الخلق
 اه منه

يضحون (وقالوا آللهتناخير) عندك (أم هو) أي المسيح قال السدي وابن زيدناصموه
 وقالوا ان كان كل من عبد غير الله في النار فحقن نرضى أن تكون آللهتنا مع عيسى وعزير
 والملائكة وقال قتادة يعنون محمد صلى الله عليه وآله وسلم أي آللهتنا خير أم محمد
 صلى الله عليه وآله وسلم ويقوى هذا قراءة ابن مسعود آللهتنا خير أم هذا (ماضربوه لك
 الاجدلا) أي ماضربوه بالك هذا المثل في عيسى الاليجادلوك لا لطلب الحق حتى يرجعوا له
 عند ظهوره وبيانه على ان جدلا منتصب على العلة او مجادلين على انه مصدر في موضع
 الحال وقرئ جدالا (بل هم قوم خصمون) أي شديدا وخصومة كثيرة واللدد عظيمو
 الجدل وأخرج سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حنبل والترمذي وصححه وابن ماجه وابن
 جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي
 امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الأوثان
 الجدل ثم تلا هذه الآية وقد ورد في ذم الجدل بالباطل أحاديث كثيرة ثم بين سبحانه ان
 عيسى ليس يربب وانما هو عبد من عباده اختصه بنبوته فقال (ان هو الا عبدنا نعمنا عليه)
 بما أكرمناه به من النبوة وانعمنا عليه برفعة المنزلة والذكور (وجعلناه مثلا لبني
 اسرائيل) أي آية وعبرة لهم يعرفون به قدرة الله سبحانه فانه كان من غير آب وكان يحيي
 الموت ويرئى الاكهم والابرص وكل من مرض باذن الله فمن أين يدخل في قوله انكم وما
 تعبدون أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال ان المشركين أنوار رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم فقالوا أرايت من يعبد من دون الله أين هم قال في النار قالوا الشمس والقمر
 قال والشمس والقمر قالوا فعيسى بن مريم قال قال الله ان هو الا عبدنا نعمنا عليه
 وجعلناه مثلا لبني اسرائيل (ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلقون) الخطاب
 لقريش أي لو نشاء لاهلكناهم وجعلنا بدل لكم في الارض ملائكة مكرمين يعمر ونها
 ويعبدون وتفاهذاتهم يدوتخويف لقريش قال السمين في من هذه أقوال أحدها انها
 بمعنى بدل أي جعلنا بدل لكم ومنه قوله تعالى أرضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة أي بدلها
 والثاني وهو المشهور انها ابتدائية وتأويل الآية عليه لولادنا منكم يا رجال ملائكة
 في الارض يخلفونكم كما تخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى دون ذكر ذكره الزمخشري
 والثالث انها تعيضية قال أبو البقاء وقيل المعنى لحولنا بعضكم ملائكة وقال ابن
 عطية جعلنا بدلنا منكم ومقصود الآية ان لو نشاء لاسكننا الملائكة الارض وليس في
 اسكاننا اياهم السما مشرف حتى يعبدوا (وانه لعلم للساعة) قال مجاهد والضحاك والسدي
 وقاتدة ان المراد المسيح وان خروجه أي نزوله مما يعلم به قيام الساعة أي قربه الكونه شرطا
 من أشراطها لان الله سبحانه ينزله من السماء قبيل قيام الساعة كما ان خروج الدجال من
 اعلام الساعة وقال الحسن وسعيد بن جبیر المراد القرآن لانه يدل على قرب مجي الساعة
 وبه يعلم وقتها وأحوالها وأحوالها وقيل المعنى ان حدوث المسيح من غير آب واحياه للموتى
 دليل على صحة البعث وقيل الضمير لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أولى قال ابن
 عباس أي خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وأخرجه الحاكم وابن

وتم الاجل المقدر تضرع الى
 رب العالمين واله المرسلين فقال
 انى مسنى الضر وانى أرحم
 الراحمين وفي هذه الآية الكريمة
 قال رب انى مسنى الشيطان ينصب
 وعذاب قيل ينصب فى بدنى وعذاب
 فى مالى وولدى فعند ذلك استجاب
 له أرحم الراحمين وأمره ان يقوم
 من مقامه وان يركض الارض
 برجله ففعل فانبع الله تعالى عننا
 وأمره ان يغتسل منها فاذهبت

مر دويه عنه مرفوعا وعن أبي هريرة نحوه أخرجه عبد بن حميد قرأ الجمهور لعلم بصيغة
المصدر جعل المسيح علما الساعة مبالغة لما يحصل من العلم بحصولها عند نزوله وقرأ جماعة
من الصحابة بفتح العين واللام أى خروجه علم من أعلامها بشرط من شرطها وقرئ
للعلم بالامين مع فتح العين واللام أى للعلم الالهي الذى يعرف بها قيام الساعة (فلا تمتن بها)
أى فلا تشكركن في وقوعها ولا تسكدين بها فانها كائنة لا محالة (واتبعون) قرأ الجمهور
بجذف الياء وصلوا ووقفا وقرئ بأثبتها وصلوا ووقفا وقرئ بجذفها في الوصل دون الوقف
أى اتبعونى فيما أمركم به من التوحيد وبطلان الشرك وفرائض الله التى فرضها عليكم
(هذا) أى الذى أمركم به وأدعوكم اليه (صراط مستقيم) أى طريق قيم موصل الى الحق
(ولا يصدنكم الشيطان) أى لا تغتروا بوساوسه وشبهه التى يوقعها في قلوبكم فيتمتعكم
ذلك من اتبعها ومن الايمان بالساعة فان الذى دعوتكم اليه هو دين الله الذى اتفق
عليه رسوله وكتبه ثم علل نهيهم عن ان يصدهم الشيطان ببيان عداوته لهم فقال (انه لكم
عدو مبين) أى مظهر لعداوته لكم غير متحاش عن ذلك ولا يستكتمه كما يدل على ذلك
ما وقع بينه وبين آدم وما ألزم به نفسه من اغواء جميع بنى آدم الالعباد الله المخلصين (ولما
جاء عيسى) الى بنى اسرائيل (بالبينات) أى بالمعجزات الواضحة والشرائع النبوية قال
قتادة البينات ههنا الانجيل (قال قد جئتمكم بالحقمة) أى النبوة وقيل الانجيل وقيل
ما يرغب في الجميل ويكف عن القبيح (و) جئتمكم (لابين لكم بعض الذى تختلفون فيه)
من أحكام التوراة ولم يترك العاطف ليعلق بما قبله ليؤذن بالاهتمام بالعله حتى جعلت
كانها كلام برأسه والبعض هو امر الدين قال قتادة يعنى اختلاف الفرق الذين تعزبوا في
امر عيسى قال الزجاج الذى جاء به عيسى في الانجيل اغناهو بعض الذى اختلفوا فيه
فبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه وقيل ان بنى اسرائيل اختلفوا بعد موت
موسى في أشياء من أمر دينهم وقال ابو عبيدة ان بعض ههنا يعنى كل كفاي قوله يصبكم
بعض الذى بعدكم وقال مقاتل هو كقوله ولا حل لكم بعض الذى حرم عليكم يعنى
ما أحل في الانجيل مما كان محرما في التوراة كالحل للابن والشحم من كل حيوان وصيد
السمك يوم السبت ثم امرهم بالتقوى والطاعة فقال (فاتقوا الله) أى اتقوا معاصيه
(واطيعون) فيما أمركم به من التوحيد والشرائع وبالغ عنه (ان الله هو ربى وربكم
فاعبدوه) هذا بيان لما امرهم بان يطيعوه فيه (هذا) أى عبادة الله وحده والعمل
بشرائعه (صراط مستقيم) وهذا تمام كلام عيسى عليه السلام واستئناف من الله يدل
على ما هو المقضى للطاعة في ذلك (فاختلف الاحزاب من بينهم) قال مجاهد والسدى
الاحزاب هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقال الكلبي ومقاتل هم فرق النصارى
اختلفوا في امر عيسى قال قتادة المعنى انهم اختلفوا فيما بينهم وقيل اختلفوا من بين
من بعث اليهم من اليهود والنصارى والاحزاب هى الفرق المتحزبة قبيل هم يعقوبية
والنسطورية والملكانية والشهونية وهذا مبنى على انه بعث لجميع بنى اسرائيل فحزبوا في

جميع ما كان فيه بدنه من الاذى ثم
أمره فضرب الارض في مكان آخر
فاتبع له عيننا اخرى وأمره أن يشرب
نهما فاذهبت جميع ما كان في باطنه من
السوء وتكاملت العاقبة ظاهرا
وباطنا ولهذا قال تبارك وتعالى اركض
برجلك هذا مغمسل بارد وشراب
قال ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا
حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا
ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن
عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس

وقيل المراد بالاحزاب الذين تحزبوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذبوه وهم المرادون بقوله هل ينظرون الا الساعة والاول اولى (فويل للذين ظلموا) من هؤلاء المختلفين وهم الذين أشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه وقالوا في عيسى ما كفروا به (من عذاب يوم أليم) أى أليم عذابه وهو يوم القيامة (هل ينظرون) أى هل يتقربون وينتظرون هؤلاء الاحزاب أو الكفار (الا الساعة أن تأتيهم بغتة) أى فجأة (وهم لا يشعرون) أى لا يفتنون بذلك لاشتغالهم بامر دنياهم وانكارهم لها كقوله تأخذهم وهم يخصمون (الاخلاء) فى الدنيا أى المتحابون فيها (يومئذ) أى يوم تأتيهم الساعة (بعضهم لبعض عدو) أى يعادى بعضهم بعضا لانهم اذ انقطع بينهم العلائق واشتغل كل واحد منهم بنفسه ووجدوا تلك الامور التى كانوا فيها اخلاء أسبابا للهداب فصاروا أعداء ثم استثنى المتقين فقال (الا المتقين) فانهم اخلاء فى الدنيا والاخرة لانهم وجدوا تلك الخلة التى كانت بينهم من أسباب الخير والثواب فبقيت خلتهم على حالها عن علي بن أبى طالب فى الآية قال خليلان مؤمنان و خليلان كافرين توفى أحد المؤمنين بمشرب الجنة فذكر خليله فقال اللهم ان خليلي فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاى عن الشر وينبئني انى ملائكتك اللهم لاتضله بعدى حتى ترضيه ما أريته وترضى عنه كما رضيت عنى فيقال له اذهب فلوترى علمه عندى لضحكك كثيرا ولبيكيت قليلا ثم يموت الآخر فيجمع بين ارواحهما فيقال لئلين كل واحد منهما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الاخ ونعم صاحب ونعم خليل واذا مات أحد الكافرين بشر باناء فزيد خليله فيقول اللهم ان خليلي فلانا كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويأمرني بالشر وينهاى عن الخير وينبئني انى غير ملائكتك اللهم فلا تمده بعدى حتى ترضيه مثل ما أريته وتسخط عليه كما سخطت على قبيوت الآخر فيجمع بين ارواحهما فيقال لئلين كل واحد منهما على صاحبه فيقول كل لصاحبه بدس الاخ وبدس صاحب وبدس خليل أخرجه عبد الرزاق وعبد ابن حميد وجميد بن زنجويه فى ترغيبه وابن جرير والبيهقى وابن مردويه وابن أبى حاتم (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) أى يقال لهؤلاء المتقين المتحابين فى الله بهذه المقالة تشرى فإلهم وتطيب القلوبهم فيذهب عند ذلك خوفهم ويرتفع حزنهم (الذين آمنوا باياتنا وكانوا مسلمين) لله منقادين له مخلصين فى أمر الدين (ادخلوا الجنة) أى يقال لهم ذلك قال مقاتل اذا وقع الخوف يوم القيامة نادى مناديا عبدا لا خوف عليكم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق رؤسهم فيقال للذين آمنوا باياتنا وكانوا مسلمين فيمنكس أهل الاوتان رؤسهم غير المسلمين (أنتم وأزواجكم) المراد بهن النساء وهم المؤمنات وقيل قرناؤهم من المؤمنين وقيل زوجاتهم من الحور العين (تجبرون) تكبرون أو تنعمون أو تفرحون أو تسرون أو تنجبون أو تزدنون بالسمع والاولى تفسير ذلك بالفرح والسرور الناشئين عن الكرامة والنعمة ناداهم باربعه أمور الاول نفي الخوف والثانى نفي الحزن والثالث الامر بدخول الجنة والرابع البشارة بالسرور (يطاف عليهم بصحاف من ذهب)

ابن مالك رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين كانا من أخص اخوانه به كانا يعبدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك قال منذ ثمانى عشرة سنة لم يرجه الله

جمع صحفة وهي القصعة الواسعة العريضة قال الكسائي أعظم القصاع الجنة ثم القصعة
وهي تسبع عشرة ثم الصحفة وهي تسبع الخسة ثم الميكة وهي تسبع الرجلين أو
الثلاثة والمعنى ان لهم في الجنة أطعمة يطاف عليهم بها في صحاف الذهب (وأ كواب) أى
ولهم فيها أشربة يطاف عليهم بها في الاكواب وهي جمع كواب قال الجوهري الكوب كوز
لاعروة له والجمع أكواب قال قتادة الكوب المدور والقصر العنق القصر العروة والابريق
المستطيل العنق الطويل العروة وقال الاخفش الاكواب الابر يق التي لاخر اطيم
لها وقال قطرب هي الابر يق التي ليست لها عسرى والعروة ما يمسك منه ويسمى أذنا
قال ابن عباس الاكواب الجرار من النضة (وفيها) أى في الجنة (ما تشتميه الانفس) أى
أنفس أهل الجنة من فنون الاطعمة والاشربة والاشياء المعقولة والسموعة والمموسسة
وتحويها ما تطلبه النفس وتمناه كائن ما كان جزاء لهم عما نعوأ أنفسهم من الشهوات
في الدنيا قرأ الجمهور تشتمى وفي مصحف عبد الله بن مسعود تشتميه باثبات الضمير العائد الى
الموصول (وتلد الأعين) من كل المستلذات التي يستلذها ويطلب مشاهدتها وأعلهاها
النظر الى وجهه الكريم جزاء ما تحمله من مشاق الاشتياق تقول لذ الشيء؛ ولذلك اذا
ولذا اذا وجد ملذذا أو التذبه وهذا حصر لانواع النعم لانها امام شتميات في القلوب
أو مستلذات في العيون عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله هل في الجنة
خيل فاني أحب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسان باقوتة جزاء
فمطير بك في أى الجنة شئت الافعلت وسأله آخر فقال يارسول الله هل في الجنة من ابل فاني
أحب الابل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك ما شئت
نفسك ولذت عينك أخرجه الترمذى (وأنتم فيها خالدون) لامتوتون ولا يخرجون منها
(وتلك الجنة التي أورتهموها) أى يقال لهم يوم القيامة هذه المقالة اى صارت اليكم كما بصير
الميراث الى الوارث (بما كنتم تعملون) في الدين من الاعمال الصالحة وتلك مبتدأ والجنة
صفتها والموصول مع صلته صفة للجنة والخبر بما كنتم الخ وقيل الخبر الموصول مع صلته
والاول اولى وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب للتشريف والمخاطب كل واحد من أهل
الجنة فلذلك أفرد الكاف ولم يقل وتلكم الذي هو مقتضى أورتهموها اي انا بان كل واحد
مقضود بذاته أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم قال ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله من
النار والمؤمن يرث الكافر منزله في الجنة وذلك قوله وتلك الجنة التي أورتهموها (لكم فيها)
سوى الطعام والشراب (فا كهة كثيرة) أى كثيرة الانواع والاصناف والفا كهة معروفة
وهي التمار كها رطبها ويا بسها (منها ما يكون) وكل ما يؤكل يخلف بدله ومن تبعية
أوابدية وقدم الحار لاجل الفاصلة ثم شرع سبحانه في الوعيد بعد ذكر الوعد كما هو أدب
القرآن الكريم فقال (ان المجرمين) أى أهل الاجرام الكفرية كما يدل عليه ايرادهم في
مقابلة المؤمنين الذين لهم ما ذكره الله سبحانه قبيل هذا (في عذاب جهنم خالدون)

تعالى فيكشف ما به فلما راح اليه لم
يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال
أوب عليه الصلاة والسلام لأدرى
ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم انى
كنت أمر عالى الرجلين يتنازعان
فيذكر ان الله تعالى فأرجع الى بيتي
فأكفر عنهما كراهية ان يذكر الله
تعالى الا في حق قال وكان يخرج
الى حاجته فاذا قضاهما أمسكت
امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان

لا يتقطع عنهم العذاب أبداً (لا يستر عنهم) أي لا يخفف عنهم ذلك العذاب بجملة حالته وكذلك (وهم فيه ملبسون) أي أبسون من النجاسة وقيل ساكتون سكوت يأس وقد مضى تحقيق معناه في الانعام ولا يشكل على هذا قوله الآتي ونادوا الخ لان تلك أزمته متطاولة وأحقاب ممتدة فختلف بهم الاحوال فيسكتون تارة لغلبة اليأس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويشد عليهم العذاب تارة فيستغيثون وقرأ عبد الله هم فيها أي في النار لادلالة العذاب عليها (وما ظلمناهم) أي ما عذبناهم بغير ذنب ولا بزيادة على ما يستحقونه (ولكن كانوا الظالمين) لانفسهم بما فعلوا من الذنوب قرأ الجهور والظالمين بالنصب على انه خبر سكان والضمير ضمير فصل وقرئ الظالمون بالرفع على ان الضمير مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر كان (ونادوا يا مالك) أي نادى المجرمون هذا النداء والاثيان بالماضي على حد آتى أمر الله ومالك هو خازن النار قرأ الجهور بغير الترخيم وقرئ يا مال بالترخيم قيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ يا مال فقال ما أشغل أهل النار عن الترخيم (ليقض علينا ربك) بالموت من قضى عليه اذا مات قال تعالى فوكره موسى فقضى عليه وتوسلوا بمالك خازن النار الى الله سبحانه ليسأله لهم ان يقضى عليهم بالموت ليستريحوا من العذاب وقال البيضاوي هو لا ينافي ابلاصهم فانه جوار رحمة الموت من فرط الشدة (قال انكم ما كثون) أي مقبوضون في العذاب هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك قيل سكت عن اجابتهم أربعين سنة قاله الخازن والسنة ثلثمائة وستون يوماً واليوم كالف سنة مما تعدون قاله القرطبي وقيل ثمانين سنة وقيل مائة سنة وقال ابن عباس يمكث عنهم ألف سنة ثم أجابهم بهذا الجواب (لقد جئناكم بالحق) يحتمل أن يكون هذا من كلام الله سبحانه أو من كلام مالك والاول أظهر والمعنى اننا أرسلنا اليكم الرسل وأنزلنا عليهم الكتب فدعوكم فلم تقبلوا ولم تصدقوا وهو معنى قوله (ولكن أكثركم للعق كارهون) أي لا تقبلونه وتتفرون منه لان مع الباطل الدعوة ومع الحق التعب قيل معنى أكثركم كلكم وقيل أراد الرؤساء والقادة ومن عداهم اتباع لهم والمراد بالحق كل ما أمر الله به على السن رسله وأنزله في كتبه وقيل هو خاص بالقرآن (أم أبرموا أمراً فانا مبرمون) كلام مستأنف ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأم هي المنقطعة التي بمعنى بل والهزمة أي بل أبرموا أمراً وفي ذلك انتقال من توبيخ أهل النار وحكاية حالهم الى حكاية ما يقع من هؤلاء الابرام الاتقان والاحكام يقال أبرمت الشيء أحكمته وأتقنته وأبرم الحبل اذا أحكم قتله والمعنى بل أحكموا كيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانا محكمون لهم كيدا قاله مجاهد وقتادة وابن زيد ومثل هذا قوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وقيل المعنى أم قضاوا أمراً فانا قاضون عليهم أمرنا بالعذاب قاله الكلبي (أم يحسبون أنالانسمع سرهم ونجواهم) أي بل أيحسبون أنالانسمع ما يسرون في أنفسهم أو ما يتكادون به سر في مكان خال وما يتناجون به فيما بينهم (بلى) نسمع ذلك ونعلم به (ورسلنا اليهم يكتبون) أي الحفظة عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم

ذات يوم ابطأ عليهم فأوحى الله تبارك وتعالى الى أيوب عليه الصلاة والسلام أن اركض برجلك هذا معتسل بارد وشرب فاستبطنه فالتفتت تنظرفاً قبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت اي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى فوالله على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منذ اذ كان صبيحاً قال فاني أنا

من قول أو فعل عن يحيى بن معاذ قال من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من امارات النفاق أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال ينسأ ثلاثة بين الكعبة واستارها قمر شيان وثقني أو ثقيان وقرشي فقال واحد منهم أترون ان الله يسمع كلامنا فقال واحد اذا جهرتم يسمع واذا أسررت لم يسمع فنزلت هذه الآية ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقول للكفار قولاً يلزمهم به الخجة ويقطع ما يوردونه من الشبهة فقال (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك بيهان صحيحاً وان كان له ولد في قولكم وعلى زعمكم (فأنا أول العابدين) أي أول من عبد الله وحده لان من عبد الله وحده فقد دفع ان يكون له ولد قاله ابن قتيبة وقال الحسن والسدي ان المعنى ما كان للرحمن ولدو يكون قوله فأنا أول العابدين ابتداء كلام قال ابن عباس في الآية يقول ان يكن للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي الشاهدين وعن زيد بن أسلم قال هذا معروف من كلام العرب ان كان هذا الامر قط أي ما كان وعن قتادة نحوه وقيل المعنى قل يا محمد ان ثبت لله ولد فأنا أول من يعبد هذا الولد الذي تزعمون ثبوته ولكنه يستحيل ان يكون له ولد وفيه نفي للولد على ابلغ وجه وأتم عبارة وأحسن أسلوب وهذا هو الظاهر من النظم القرآني لان هذا الكلام وارد على سبيل الفرض والمراد نفي الولد وذلك انه علق العبادة بكنوثة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالاً مثلها ومن هذا القبيل قوله تعالى وانأواياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين ومثل هذا قول الرجل لمن يناظره ان ثبت ما تقول به بالديمل فأنا أول من يعتقده ويقول به فتكون ان في ان كان شرطية ويرجح هذا ابن جرير وغيره وقيل معنى العابدين الاتقين من العبادة وهو تكلف للملجئ اليه ولكنه قرئ العبد من غير ألف من عبد يعبد عبد ابان البحر يك اذا نف وغضب فهو عبد واسم العبد مثل الائمة وعلل الحامل على هذه القراءة الشاذة البعيدة لمن قرأها هو استبعاد معنى فأنا أول العابدين وليس يستبعد ولا مستنكر وقد حكى الجوهري عن أبي عمرو في قوله فأنا أول العابدين انه من الالف أو الغضب وحكاها الماوردي عن الكسائي والقتبي وبه قال الفراء وكذا قال ابن الأعرابي ان معنى العابدين الغضاب الاتقين وقال أبو عبيدة معنائه الجاحدين وحكى عبدني حتى أي جحدني ولا شك ان عبدواً عبد بمعنى أنف أو غضب ثابت في لغة العرب وكفي بنقل هؤلاء الائمة حجة ولكن جعل ما في القرآن من هذا من التكلف الذي للملجئ اليه ومن التعسف الواضح وقد رد ابن عرفة ما قالوه فقال انما يقال عبيد عبيد وهو عبد وقل ما يقال عابد والقرآن لا يأتي بالتقليل من اللغة ولا الشاذ قرأ الجمهور وللبالافراد وقرئ بضم الواو وسكون اللام (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أي تنزهه باله وتقديسه عما يقولون من الكذب بان له ولداو يفترون عليه سبحانه ما لا يليق بجنتابه وهذا ان كان من كلام الله سبحانه فقد نزه نفسه الكريمة عما قالوه وان كان من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي أمره بان يقوله فقد أمره بان يضم الى ما حكاها عنهم

هو قال وكان له اندران اندر للقمع واندر للشعر فبعث الله تعالى سبحانه فيهما كانت احدهما على اندر القمع أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في اندر الشعر حتى فاض هذا لفظ ابن جرير رحمه الله وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه

برعهم الباطل تنزيهه وتقديسه (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) أى اترك الكفار حيث لم يهتدوا بما هديتهم به ولا أجابوك فيما دعوتهم اليه يخوضوا فى باطلهم ويلهووا فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم القيامة وقيل العذاب فى الدنيا وقيل يوم الموت وهو الاظهر فان خوضهم وابعثهم انما ينتهى بيوم الموت قيل وهذا منسوخ بآية السيف وقيل هو غير منسوخ وانما أخرج مخرج التهديد وفيه دليل على ان ما يقولونه من باب الجهل والخوض واللعب قرأ الجمهور يلاقوا وقرئ يلقوا (وهو الذى فى السماء وفى الارض الله) الجار والمجرور فى الموضوعين متعلق بالانه بمعنى معبود أو مستحق للعبادة والمعنى وهو الذى معبود فى السماء ومعبود فى الارض أو مستحق للعبادة فى السماء والعبادة فى الارض وبما تقر من ان المراد باله معبود اندفع ما قيل هذا يقتضى تعدد الالهة لان النكرة اذا أعيدت نكرة تعددت كقولك أنت طالق وطالق وابطاح الاندفاع ان الاله هنا بمعنى المعبود وهو تعالى معبود فيهما والمغايرة انما هي بين معبوديته فى السماء ومعبوديته فى الارض لان المعبودية من الامور الاضافية فكفى التغاير فيما من أحد الطرفين فاذا كان العابد فى السماء غير العابد فى الارض صدق ان معبوديته فى السماء غير معبوديته فى الارض مع ان المعبود واحد وفيه دلالة على اختصاصه باستحقاق الالهية فان التقدير يدل على الاختصاص أفاده الكرخى قال أبو على الفارسي والى فى الموضوعين مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف أى هو الذى فى السماء هو الذى فى الارض هو الله وحسن حذفه لطول الكلام قال والمعنى على الاخبار بالالهية لا على الكون فيهما قال قتادة يعبد فى السماء والارض وقيل فى بمعنى على أى هو القادر على السماء والارض كما فى قوله ولا صلبنكم فى جذوع النخل وقرأ عمرو على وابن مسعود وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله على تضمين العلم معنى المشتق فيستعلق به الجار والمجرور من هذه الخينية (وهو الحكيم العليم) أى البليغ الحكمة الكثير العلم (وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما) تبارك تفاعل من البركة وهى كثرة الخيرات والمراد بما بينهما الهوا وما فيه من الحيوانات (وعنده علم الساعة) أى علم الوقت الذى يكون فيه قيامها (واليه ترجعون) فيجازى كل أحد بما يستحقه من خير وشروفيه وعيد شديد قرأ الجمهور بالفوقية على سبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب وقرئ بالتخمية (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) أى لا يملك من يدعونهم دون الله من الاصنام ونحوها الشفاعة عند الله كما يزعمون انهم يشفعون لهم قرأ الجمهور يدعون بالتخمية وقرئ بالفوقية (الامن شهد بالحق) أى التوحيد (وهم يعلمون) أى هم على علم وبصيرة بما شهدوا به والاستنناء متصل والمعنى الامن شهد بالحق وهم المسيح وعزير والملائكة فانهم يملكون الشفاعة لمن يستحقها وقيل هو منقطع والمعنى لكن من شهد بالحق يشفع فيه هؤلاء وقيل المستثنى منه محذوف أى لا يملكون الشفاعة فى أحد الا فى من شهد بالحق قال سعيد بن جبيرة وغيره معنى الآية انه لا يملك هؤلاء الشفاعة الا لمن

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عربا ناختر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحشوفى نوبه فزاداه عز وجل بأيوب ألم أكن أغنيك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يارب ولكن لا غناني عن بركتك انقر دباخر اجه البخارى من حديث عبد الرزاق به ولهذا قال تبارك وتعالى ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكري

شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة وقال فتادة لا يشفعون لعابديها بل يشفعون لمن شهد
 بالوحدانية وقيل مدار الاتصال في هذا الاستثناء على جعل الذين يدعون عامالكل
 ما يعبد من دون الله ومدار الانقطاع على جعله خاصا بالانصام (واثن سألهم) اللام هي
 الموطئة للقسم والمعنى اثن سألته هؤلاء المشركين العابدين للاصنام (من خلقهم ليقولن
 الله) جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة أي أقروا واعترفوا بان خلقهم
 الله ولا يقدرن على الإنكار ولا يستطيعون الجحود لظهور الامر ووجه الالته (فأني
 يؤفكون) أي فكيف يتقبلون عن عبادة الله الى عبادة غيره وينصرفون عنهم هذا
 الاعتراف فان المعترف بان الله خلقه اذا عمد الى صنم أو حيوان وعبد معه الله أو عبده
 وحده فقد عبد بعض مخلوقات الله وفي هذا من الجهل ما لا يقادر قدره يقال فوكه يا فوكه
 افكا اذا قلبه وصرفه عن الشيء وقيل المعنى ولئن سألت المسيح وعزير او الملائكة من
 خلقهم ليقولن الله فأني يؤفك هؤلاء الكفار في اتخاذهم لهم آلهة وقيل المعنى ولئن
 سألت العابدين والمعبودين جميعا (وقيله) قرأ الجمهور بالنصب عطف على محل الساعة كأنه
 قيل انه يعلم الساعة ويعلم قبيله أو عطف على سرهم ونحوهم أي يعلم سرهم ونحوهم ويعلم
 قبيله أو عطف على مفعول يكتبون المحذوف أي يكتبون ذلك ويكتبون قبيله أو عطف على
 مفعول يعلمون المحذوف أي يعلمون ذلك ويعلمون قبيله أو هو مصدر أي قال قبيله أو منصوب
 باضمار فعل أي الله يعلم قبل رسوله أو هو معطوف على محل بالحق أي شهد بالحق وقبيله
 أو منصوب على حذف حرف القسم ومن الجوزين للاول المبرد وابن الانباري وللثاني انقراء
 والاختش والنصب على المصدرية أيضا الفراء والاختش وقرئ قبيله بالجر عطف على لفظ
 الساعة أي وعنده علم الساعة وعلم قبيله والقول والقال والقال كها مصادره بمعنى
 واحدا جاءت على هذه الاوزان وقال أبو عبيدة يقال قلت قولاً وقولاً وقيل الأوعلى ان
 الواو والقسم وقرأ فتادة ومجاهد والحسن وأبو قتادة والاعرج وابن هرير ومسلم بن
 جندب قبيله بالرفع عطف على علم أي وعنده علم الساعة وعنده قبيله أو على الابتداء وخبره
 الجملة المذكورة بعده وأخبره محذوف تقديره وقيله كيت وكيت أو وقيله مسموع والضمير
 في وقيله راجع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فتادة هذا نبيكم بشكركم وقوموا الى رب
 وقيل عائد الى المسيح وعلى الوجهين فالمعنى انه قال فتادة هذا نبيكم (بارب ان هؤلاء) الذين
 أرسلتني اليهم (قوم لا يؤمنون) ثم لما نادى ربهم بهذا أجابه بقوله (فاصفح عنهم) أي
 أعرض عن دعوتهم (وقل سلام) أي أمرى تسليم منكم ومشاركة لكم وقال الفراء ان
 سلام من فروع باضمار عليكم قال عطاءيريد مداواة حتى ينزل حكمي ومعناه المشاركة
 كقوله سلام عليكم لا ينبغي الجاهلين فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار كما
 قيل وقال فتادة أمره بالصفح عنهم ثم أمره بقتالهم فصار الصفع منسوخا بالسيف وقيل
 هي محكية لم تنسخ (فسوف يعلمون) قرأ الجمهور بالتشبيح وقرئ بالفوقية وفيه تهديد
 شديد لهم وعبدة عظيم من الله عز وجل وتسليته صلى الله عليه وآله وسلم

لاولى الالباب قال الحسن وقتادة
 أحياهم الله تعالى له باعبانهم وزادهم
 مثلهم معهم وقوله عز وجل رحمة
 من أي به على صبره وثباته واثابته
 وتواضعه واستكناته وذكري لاولى
 الالباب أي لذوي العقول ليعلموا
 ان عاقبة الصبر الفرج والمخرج
 والراحة وقوله جلت عظمته
 وخديداً ضغنا فاضرب به ولا
 تحنت وذلك ان أبواب عليه الصلاة
 والسلام كان قد غضب على زوجته

* (سورة الدخان هي ست أو سبع أو تسع وخسون آية) *

قال القرطبي هي مكية بالاتفاق الا قوله انا كاشفو العذاب قليلا وبه قال ابن عباس وابن الزبير وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبح يسب مغفوره سبعون ألف ملك أخرجه البيهقي في الشعب ورفعته الثعلبي أيضا والترمذي وقال غريب لا يعرفه الا من هذا الوجه وعمرو بن أبي خنم ضعيف قال البخاري منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له أخرجه البيهقي وابن مردويه ومحمد بن نصر والترمذي وقال غريب لا يعرفه الا من هذا الوجه وهشام بن مقدم يضعف والحسن لم يسمع من أبي هريرة كذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد ويشهد له طرق أخرى منها ما أخرجه الدارمي ومحمد بن نصر عن أبي رافع قال من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوج من الحور العين وأخرج ابن مردويه عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم من قرأ سورة حم الدخان في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة قال الشهاب في سورة الواقعة ولم يذكر البيضاوي في فضائل السور حديثا غير موضوع من أول القرآن الى هنا غير ما هنا وما مر في سورة يس والدخان

ووجد عليها في أمر فعلته قيل
باعت ضفيرة بها بخبز فاطمته آياه
فلامها على ذلك وحلف ان شفاه
الله تعالى لاضر بها مائة جلد
وقيل لغير ذلك من الاسباب فلما
شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان
جزاؤها مع هذه الخدمة التامة
والرحمة والشفقة والاحسان ان
تقابل بالضرر فافتاه الله عز وجل
ان يأخذ دضغنا وهو الشمر اخ فيه

(بسم الله الرحمن الرحيم) قد تقدم قبل هذه السورة الكلام على هذا والله أعلم بمراده به
(والكتاب) الواو والقسم والكتاب القرآن (المبين) أي المشتمل على بيان ما للناس حاجة اليه
في دينهم وديناهم (انا أنزلناه) جواب القسم وقد أنكر بعض النحاة ان تكون هذه الجملة
جواب القسم لانها صفة للمقسم به ولا تكون صفة المقسم به جواب القسم وقال الجواب
انا كما منذرين واختاره ابن عطية وقال أيضا وجملة انا أنزلناه اعتراض متضمن لتفخيم
الكتاب ورجح الاول بالسبق وبكونه من البدائع وبسلامته من الفك الملازم لما اختاره
ابن عطية وقيل ان قوله انا كذا الخ جواب ثان أو جملة مستأنفة مقررة للانزال وفي
حكم العلة له كانه قال انا أنزلناه لان من شأننا الانذار والضمير في أنزلناه راجع الى الكتاب
وهو القرآن واقتصر على ذلك البيضاوي وتبعه الجلال المحلى وعلي هذا فقد أقسم بالقرآن
انه أنزل القرآن وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يتبول الرجل اذا
أراد تعظيم الرجل له اليه حاجة أو تسفيع بك اليك وأقسم بحقتك عليك وجاء في الحديث
أعوذ برضالك من سخطك وبعقولك من عقوبتك وبك منك لأحصى ثناء عليك وقيل
المراد بالكتاب سائر الكتب المنزلة والضمير راجع الى القرآن على معنى انه سبحانه أقسم
بسائر الكتب المنزلة انه أنزل القرآن والاول أولى واستدلوا بهذه الآية على حدوث
القرآن بوجوه لا دلالة لها عاينها (في ليلة مباركة) أي ليلة القدر كما في قوله انا أنزلناه في ليلة
القدر ولها أربعة أسماء هي وليلة البراءة وليلة الصلح وليلة الرحمة قال عكرمة وطائفة
الليلة المباركة هن ليلة النصف من شعبان وقال النووي في باب صوم التطوع من شرح
مسلم انه خطأ والصواب وبه قال العلماء انها ليلة القدر وقيل بينها وبين ليلة القدر

أربعون ليلة والجمهور وأكثر المفسرين على الاول وليلة القدر في أكثر الاقوال في شهر رمضان وقال قتادة أنزل القرآن كله في ليلة القدر من أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ الى بيت العزة في سماء الدنيا ثم أنزل الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في الليالي والايام في ثلاث وعشرين سنة في أنواع الوقائع حالاً لا وقد تقدم تحقيق الكلام في هذا في سورة البقرة عند قوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وذكر سليمان الجبل أدلة القولين وبسط فيها الانطوول بذكرها هنا وقال مقاتل كان ينزل من اللوح المحفوظ كل ليلة قدر من الوحي على مقدار ما ينزل به جبريل في السنة الى مثلها من العام وقيل ابتداء نزوله في ليلة القدر ووصف الله سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة لتنزل القرآن فيها وهو مشتمل على مصالح الدين والدنيا ولا يكونها تنزل فيها الملائكة والروح كما سيأتي في سورة القدر ان شاء الله تعالى قال ابن عباس أنزل القرآن في ليلة القدر ونزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنحو ما لجواب الناس وقيل المباركة الكثيرة الخير لما ينزل فيها من الخير والبركة ويستجاب من الدعاء ولولم يوجد فيها الانزال للقرآن وحده لكانت ببركة (انا كما منذرين) أي مخوفين عقابنا مستأنف وأجواب ثان بغير عاطف ومن جملة تبركتها ما ذكره الله سبحانه ههنا بقوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي يفصل ويبين من قولهم فرقت الشيء أفرقه فرقا والامر الحكيم المبرم الذي لا يحصل فيه تغيير ولا يتنقض وذلك ان الله سبحانه يكتب فيها ما يكون في السنة من حياة وموت وبسط وقبض وخير وشر ورزق وأجل ونصر وهزيمة وخصب وخط وغير ذلك من أقسام الحوادث وحزنياتها في أوقاتها وأما كتبها وبين ذلك للملائكة من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل فيجدونه سواء فيزدادون بذلك إيماناً كما قال مجاهد وقتادة والحسن وغيرهم وقيل معنى حكيم أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صاحب الامر على الحقيقة ووصف به الامر مجازاً وهذه الجملة امام فقه اخرى لليلة وما يثبتها ما اعتراض او مستأنف لتقرير ما قبلها قرأ الجمهور بفرق بضم الياء وفتح الراء مخففاً وقرئ بفتح الياء وضم الراء ونصب كل امر ورفع حكيم على انه الفاعل والحق ما ذهب اليه الجمهور من ان هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر لاليلة النصف من شعبان لان الله سبحانه اجملها هنا وبينها في سورة البقرة بقوله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وبقوله في سورة القدر انا أنزلناه في ليلة القدر فلم يبق بعد هذا البيان الواضح ما يوجب الخلاف ولا ما يقتضي الاشتباه قال ابن عباس في الآية يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق وموت وحياة ومطر حتى يكتب الحاج بحج فلان ويحج فلان وقال ابن عمر أمر السنة الى السنة الا الشقاوة والسعادة فانه في كتاب الله لا يبدل ولا يغير اخرج ابن ابي حاتم وخرج عبد بن حميد وغيره عنه انه قال انك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموق في تلك الليلة يفرق امر الدنيا الى مثلها من قابل من موت او حياة وورزق كل امر الدنيا يفرق تلك الليلة الى مثلها وخرج ابن زنجويه والديلمي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل ليسكح ويولد

مائة قضيب فيضرب بها ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره وهذا من الفرج والخروج لمن اتقى الله تعالى واتاب اليه ولهذا قال جل وعلا انا وجدناه صابراً نعم العبد انه اواب انى الله تعالى عليه ومدحه بانه نعم العبد انه اواب اى رجاع منيب ولهذا قال جل جلاله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله

له وقد خرج اسمه في الموق وأخرجه ابن أبي الدنيا وابن جرير عن عثمان بن محمد وهذا
 مرسل لا تقوم به الحجة ولا يعارض بمثله صريح القرآن وما روى في هذا فهو امام مرسل
 او غير صحيح وقد اورد ذلك صاحب الدر المنثور واورد ما ورد في فضل ليلة النصف من
 شعبان وذلك لا يستلزم انها المراد بقوله في ليلة مباركة وانتصاب قوله (امر امن عندنا)
 يفرق اي يفرق فرقا لان امر اجمعين فرقا قاله الزجاج والفراء والمعنى انا امر بيان ذلك
 ونسخه من اللوح المحفوظ فهو على هذا منتصب على المصدريه مثل قولك بضرب ضربا
 قال المبرد امر في موضع المصدر والتقدير انزلناه انزالا وقال الاخفش انتصابه على الحال
 أي امرين وقيل على الاختصاص اعني بهذا الامر امر احصاه من عندنا وفيه تفخيم
 لشأن القرآن وتعظيم له وقد ذكر بعض اهل العلم في انتصاب امر اثنى عشر وجهها
 اظهرها ما ذكرناه وقرأ زيد بن علي بالرفع اي هو امر (انا كأم سليلين) الرسل محمد او من
 قبله قال الرازي المعنى انا فعلت ذلك الانذار لاجل انا كأم سليلين للانبيا ومثله قال ابن
 الخطيب وانتصاب (رحمة) على العلة اي انزلناه للرحمة قاله الزجاج وقال المبرد انها
 منتصبة على انها مفعول لمسيلين اي انا كأم سليلين رحمة وقيل هي مصدر في موضع الحال
 اي راجين قاله الاخفش وقيل انها مصدر منصوب بفعل مقدر أي رحمتنا رحمة وقيل انها
 حال من ضمير سيلين أي ذوى رحمة وقرأ الحسن بالرفع أي هي رحمة ورأفة بالمرسل اليهم
 (من ربك) متعلق بالرحمة وأصنفه لحدوف وفيه التفات من التكلم الى الغيبة ولو جرى على
 منوال ما تقدم لقال من ربنا والمعنى رأفة معنى بخلق ونعمة عليهم بما بعث اليهم من الرسل
 (انه هو السميع) لمن دعاه (العليم) بكل شيء ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على عظيم قدرته
 الباهرة فقال (رب السموات والارض وما بينهما) قرأ الجمهور بالرفع على انه عطف بيان
 على السميع العليم أو على انه مبتدأ وخبره قوله الاتي لاله الا هو وعلى انه خبر لمبتدأ
 محذوف أي هو رب وقرأ الكوفيون بالجر على انه بدل من ربك أو بيان له أو نعت (ان كنتم
 موقنين) بانه رب السموات والارض وما بينهما وقد قرأوا بذلك كما حكاها الله عنهم في غير
 موضع فايقيموا بان محمد رسوله (لا اله الا هو) مستأنفة مقرر لما قبلها وخبر رب السموات
 كما مر وكذلك جملة (يحيى ويميت) فانها مستأنفة مقرر لما قبلها (ربكم ورب آباءكم
 الاولين) قرأ الجمهور بالرفع على الاستئناف بتقدير مبتدأ أي هو ربكم أو على انه بدل من
 رب السموات أو بيان أو نعت له وقرأ الكسائي في رواية الشيرازي عنه وغيره بالجر ووجه
 الجر ما ذكرناه في قراءة من قرأ بالجر في رب السموات وقرأ الانطاكي بالنصب على المدح
 (بل هم في شك يلعبون) اضرب عن كونهم موقنين الى كونهم في شك من التوحيد
 والبعث وفي اقرارهم بان الله خالقهم وخالق سائر الخلق وانما يقولونه تقليدا لآبائهم
 من غير علم وان ذلك منهم على طريقة اللعب والهز في دينهم بما يعين لهم من غير حجة ومحل
 يلعبون الرفع على انه خبر ثان والنصب على الحال (فارتقب) الفاء لترتيب ما بعده على
 ما قبلها لان كونهم في شك واجب يقتضى ذلك والمعنى فانظر لهم يا محمد (يوم تأتي السماء
 بدخان مبين) وقيل المعنى احتفظ قولهم هذا التشهد عليهم يوم تأتي السماء الخ وقد اختلف

بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء
 قدرا واستدل كثير من الفقهاء
 به - هذه الآية الكريمة على مسائل
 في الايمان وغيرها وقد أخذوها
 بمقتضاها والله أعلم بالصواب (واذكر
 عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب
 أولى الايدي والابصار انا اخلصناهم
 بخالص الذكري والدار وانهم عندنا لمن
 المصطفين الاخيار واذا كرامهم
 واليسع وذالك الكفل وكل من الاخيار
 هذا ذكر) يقول تبارك وتعالى

في هذا الدخان المذكور في الآية متى يأتي فقبل انه من اشراط الساعة وانه يمكث في الارض أربعين يوماً وقد ثبت في الصحيح انه من جملة العشر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة وقيل انه أمر قدمضي وهو ما أصاب قريش بعد دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى كان الرجل يرى بين السماء والارض دخاناً وهذا ثابت في الصحيحين وغيرهما وبه قال الفراء والزجاج وقيل انه يوم فتح مكة وقال ابن قتيبة فيه وجهان والال انه في سنة التقط يعظم بيس الارض بسبب انقطاع المطر ويرتفع الغبار الكثير ويظلم الهواء وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا أمر ارتفع له دخان وله هذا يقال للسنة المجذبة الغبراء الثاني ان العرب يسمون الشيء الغالب بالدخان والسبب فيه ان الانسان اذا اشتد خوفه أو وضعفه ظلمت عيناه ويرى الدنيا كالملحوة من الدخان أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود ان قريشاً لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابطأوا عن الاسلام قال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم قط وجهه حتى أكلوا العظام جعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيشة الدخان من الجوع فأنزل الله هذه الآية فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقيل يا رسول الله استسقى الله المطر فاستسقى لهم فسقوا فأنزل الله انا كاشفوا العذاب قليلاً انكم عائدون فلأصابهم الرفاهية عادوا الى حالهم فأنزل الله يوم نبطش البطشة الكبرى انما تنتقمون فانتقم الله منهم يوم بدر فقد مضى البطشة والدخان واللزام وقد روى عن ابن مسعود نحو هذا من غير وجه وروى نحوه عن جماعة من التابعين كقاتل ومجاهد وعن أبي مليكة قال دخلت على ابن عباس فقال لم أنتم هذه الليلة فقلت لم قال طلع الكوكب خشيت ان يطرق الدخان قال ابن كثير وهذا سند صحيح وكذا صححه السيوطي ولكن ليس فيه انه سبب نزول الآية وقد عرفنا انه لا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان الذي كان يترأى لقريش من الجوع وبين كون الدخان من آيات الساعة وعلاماتها واشراطها فقد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف بذلك وليس فيها انه سبب نزول الآية فلا حاجة بنا الى التويل بل ذكرها الواجب التمسك بما ثبت في الصحيحين وغيرهما ان دخان قريش عند الجهد والجوع هو سبب النزول وبهذا تعرف ان دفاع ترجم من ربح انه الدخان الذي من اشراط الساعة كان كثيراً في نفسه وغيره وغيره وهكذا يندفع قول من قال انه الدخان المكنان يوم فتح مكة متمسكاً بما أخرجه ابن سعد عن أبي هريرة قال كان يوم فتح مكة دخان وهو قول الله فارتقب الخ فان هذا اليعارض ما في الصحيحين على تقدير صحة اسناده مع احتمال أن يكون أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ظن من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح انه المراد بالآية ولهذا لم يصرح بانه سبب نزولها (بغشى الناس) صفة ثانية للدخان اي يشملهم ويحيط بهم (هذه عذاب أليم) أي يقولون هذا أو قائلين ذلك ويقول الله لهم ذلك (ربنا اكشف عنا العذاب انما مؤمنون) أي يقولون ذلك وقد روى انهم أنوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا ان كشف الله عنا العذاب أسلنا والمراد بالعذاب الجوع الذي كان يسببه ما يرونه من الدخان أو يقولونه اذا رأوا الدخان الذي هو من آيات الساعة أو اذا رأوه

مخبراً عن فضائل عباد المرسلين وأبيائه العابدين واذ كرعبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والابصار يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ما أولى الأيدي يقول أولى القوة والابصار يقول الفقيه في الدين وقال مجاهد أولى الأيدي يعني القوة في طاعة الله

يوم فتح مكة على اختلاف الاقوال والراجح منها انه الدخان الذي كانوا يتخيلونه بما نزل بهم من
الجوع وشدة الجهد ولا ينافي ترجيح هذا ما ورد ان الدخان من آيات الساعة فان ذلك دخان
آخر ولا ينافيه أيضا ما قيل انه الذي كان يوم فتح مكة فانه دخان آخر على فرض صحة وقوعه
(إني لهم الذكري) أي كيف يتذكرون ويتعظون بما نزل بهم (و) الحال انه قد جاءهم رسول
مبين بين لهم كل شيء يحتاجون اليه من أمر الدنيا والدين (ثم يقولوا عنه) أي أعرضوا
عن ذلك الرسول الذي جاءهم ولم يكتفوا بمجرد الاعراض عنه بل جاوزه (وقالوا لم
يحنون) أي قالوا في حقه تارة انما يعلمه القرآن بشر ونارة أخرى انه مجنون أو قال بعضهم
هذا وبعضهم ذلك فكيف يتذكرون هؤلاء وانى لهم الذكري ثم لم يدعوا الله بان يكشف
عنهم العذاب وانما اذا كشفه عنهم آمنوا بأب الله سبحانه عليهم بقوله (انا كشفوا العذاب
قليلا) أي انا انكشفه عنهم كشيئا قليلا أو زمانا قليلا وهذا جواب بطريق الالتفات لمزيد
التهديد والتوبيخ وما بينهما اعتراض أي الى يوم يدروا الى ما بقي من أعمارهم ثم أخبر سبحانه
عنهم انهم لا ينجون عما كانوا عليه من الشرك ولا يفنون بما وعدوا به من الايمان فقال
(انكم عائدون) الى ما كنتم عليه من الشرك وقد كان الامر هكذا فان الله سبحانه لما
كشف عنهم العذاب رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعناد وقيل المعنى انكم
عائدون اليها بالبعث والنشور والاول أولى (يوم يطش البطحة الكبرى انما تتقون)
قرأ الجمهور ببطش بفتح النون وكسر الطاء أي يطش بهم وقري بضم الطاء وهي
لغة وقري بضم النون وكسر الطاء والظرف منصوب باضمار اذ كر وقيل بدل من يوم
تأتي السماء وقيل هو متعلق بمتقون وقيل يبادل عليه منتقمون وهو منتقم
والبطحة الكبرى هي يوم يدرفه الاكثر والمعنى انهم لما عادوا الى التكذيب والكفر
بعد دفع العذاب عنهم انتقم الله منهم بوقعة بدر وقال الحسن وعكرمة المراد بها عذاب النار
يوم القيامة واختر هذا الزجاج والاول أولى وعن ابن عباس انه قال قال ابن مسعود
البطحة الكبرى يوم يدروا نأقول هي يوم القيامة قال ابن كثير وهذا اسناد صحيح وقال
ابن الخطيب هذا القول أصح لان يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي بوصف بهذا الوصف
العظيم وان الانتقام التام انما يحصل يوم القيامة لقوله تعالى اليوم تجزي كل نفس بما
كسبت وقال ابن كثير قبل هذا فسر ذلك ابن مسعود بيوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق
ابن مسعود على تفسيره الدخان بما تقدم وروى أيضا عن ابن عباس من رواية العوفي عنه
وعن أبي بن كعب وجماعة وهو محتمل والظاهر ان ذلك يوم القيامة وان كان يوم بدر يوم
بطشة كبرى أيضا انتهى قال الشوكاني بل الظاهر انه يوم بدر وان كان يوم القيامة
بطشة كبر من كل بطشة فان السياق مع قريش فنفسه بالبطشة الخاصة لهم أولى من
تفسيره بالبطشة التي تكون يوم القيامة لكل عاص من الانس والجن انتهى (ولقد كنا)
وقري قنابا لتشد يد على المبالغة أو التكميل لكثر متعلقه أي ابتلينا (قبلهم) أي قبل
هؤلاء العرب ليكون ماضى من خبرهم عبرة لهم (قوم فرعون) معه ومعنى القسمة ههنا ان
الله سبحانه أرسل اليهم رسلا وأمرهم بما شرع لهم فكذبوهم أو وسع عليهم الارزاق فظفوا

تعالى والابصار يعنى البصر في
الحق وقال قتادة والسدى اعطوا
قوة في العبادة وبصر في الدين
وقوله تبارك وتعالى انا اخلصناهم
بخاصة ذكري الدار قال مجاهد أي
جعلناهم يعملون للاخرة ليس لهم
هم غيرها وكذا قال السدى ذكروهم
للاخرة وعملهم لها وقال مالك بن
ديناز ع الله تعالى من قلوبهم
حب الدنيا وذكروها وأخلصهم بحب
الآخرة وذكروها وكذا قال عطاء

وبغوا قال الزجاج بلوناهم أى امتحنناهم وفعلناهم فعل الممتحن والمعنى عاملناهم بمعناه
 المختبر يبعث الرسل اليهم والتمكين فى الارض (وجاءهم رسول كريم) على الله كريم فى قومه
 أى كريم فى نفسه حسب نسيب لان الله لم يبعث نبيا الا من سرة قومه وكرامهم وقال
 مقاتل حسن الخلق بالتجاوز والصفح وقال الفراء كريم على ربه اذا خصه بالنبوة واسماع
 الكلام قال ابن عباس هو موسى (أن أدوا) ان هذه هى المنسرة لتقدم ما هو معنى القول
 أو مخففة من الثقيلة والمعنى الشان والحديث أدوا (الى عباد الله) أو مصدرية أى
 بان أدوا والمعنى أنه طلب منهم ان يسلموا اليه بنى اسرائيل الذين كان فرعون استعبدهم
 فادأوهم استعارة بمعنى اطلاقهم وارسالهم معه قال مجاهد المعنى أرسلاوهم عباد الله
 وأطلقوهم من العذاب فعباد الله على هذا مفعول به كقوله فى سورة طه فارسل معنابنى
 اسرائيل ولا تعذبهم وقيل المعنى أدوا الى عباد الله ما وجب عليكم من حقوق الله فيكون
 منصوبا على انه منادى مضاف وقيل أدوا الى سمعكم حتى أبلغكم رسالة ربي وقال ابن
 عباس اتبعونى الى ما أدعوكم اليه من الحق (انى لكم رسول) من الله اليكم (أمين)
 على الرسالة غيرتهم وهذا تعليل للامر (وأن لاتعوا على الله) أى لاتتجروا ولا تتكبروا
 عليه بترفعكم عن طاعته ومتابعة رسله واهانة وحيه وهذا واضح وقيل لاتتبعوا على الله
 وقيل لاتفتروا عليه قاله ابن عباس والاول وأولى والفرق بين البغى والافتراء ان البغى
 بالفعل والافتراء بالقول وقال ابن عباس أيضا لاتعنا وقال ابن جريح لاتعظموا وقال
 يحيى بن سلام لاتستكبروا وان الفرق بينهما ان التعظيم تطاول المقدر والاستكبار ترفع
 المحتقر أفاده الماوردى وجملة (انى آتاكم) تعليل لما قبلها من النهى قرأ الجمهور بكسر همزة
 انى وقرئ بالفتح بتقدير اللام (بسلطان مبين) أى بحجة بينة واضحة يعترف بصحتها كل عاقل
 ولا سبيل الى انكارها وقال قتادة وابن عباس بعدز بين والاول وأولى وبه قال يحيى بن سلام
 (وانى عدت برى وربكم) من (أن ترجون) استعاذ بالله سبحانه لما توعدوه بالقتل قال
 قتادة ترجونى بالجحارة وبه قال ابن عباس وقيل تشتمونى كذا قال ابن عباس أيضا وقيل
 تقتلونى (وان لم تؤمنوا لى) أى ان لم تصدقونى وتقرؤا بنبوتى ولم تؤمنوا بالله لاجل
 برهانى فاللام فى لى لام الاجل وقيل أى وان لم تؤمنوا بى كقوله فآمن له لو طأ أى به
 (فاعتزلون) أى فاتركونى ولا تتعرضوا لى بأذى قال مقاتل دعونى كما قال الاعلى ولالى
 وقيل كونوا بعزل عنى وأنا بعزل منكم الى ان يحكم الله بيننا وقيل خلوا سبيلى قاله ابن
 عباس والمعنى متقارب ثم سالم يصمدقوه ولم يجيبوا دعوته رجع الى ربه بالدعاء كما حكى الله
 عنه بقوله (فدعاه ان هو لا يقرئ بقرمون) أى كانوا قرأ الجمهور بفتح الهمزة على اضمار
 حرف الجر أى دعاه بان هو لا يقرئ بكسرها على انما التول وفى الكلام حذف أى
 لكفر وافدعاه وبه وسماه دعاه مع انه لم يذكر الا مجرد كونهم مجرمين لانهم قد استحقوا بذلك
 الدعاء عليهم وقيل كان دعاه الله محمل لهم ما يستحقونه باجر امهم وقيل هو قوله ربنا
 لاتجعلنا قسمة للقوم الظالمين والاول وأولى (فاسر بعبادى ايل) أجب الله سبحانه دعاه فأمره
 أن يسرى بنى اسرائيل ليلا يقال سرى وأسرى لغمان جيدان قرأ الجمهور فأسر بالقطع

انخراسانى وقال سعيد بن جبير
 يعنى بالدار الجنة يقول أخلصناها
 لهم يذكرهم لها وقال فى رواية أخرى
 ذكرى الدار عقى الدار وقال قتادة
 كانوا يذكرون الناس الدار الاخرة
 والعمل لها وقال ابن زيد جعل لهم
 خاصة أفضل شئ فى الدار الاخرة
 وقوله تعالى وانهم عندنا لمن
 المصطفين الاخير رأى بن المختارين
 المجتبيين الاخير فهم اخيار مختارون
 وقوله تعالى واذا كراسعيل واليسع

من أسرى وقرأ أهل الحجاز بالوصل من سرى وهما سبعيتان والجملة بتقدير القول أى فقال
الله لموسى أسر بعبادى ليل (انكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وجنوده وقد تقدم فى غير
موضع خروج فرعون بعدهم (واترك البحر رهوا) أى سا كما يقال رهاير رهور رهوا اذا
سكن لا يتحرك قال الجوهري يقال افعل ذلك رهوا أى سا كما على هيتك وعيش راه أى
سا كن ورها البحر سكن وقال الهروي وغيره وهو المعروف فى اللغة والمعنى اترك البحر سا كما
على صفته بعد ان ضربته بعصاك ولا تأمره ان يرجع كما كان ليدخله آل فرعون بعدك
وبعد بنى اسرائيل فينطبق عليهم فيغرقون وقال أبو عبيدة رها بين رجله يرهور رهوا أى
فتح قال ومنه قوله واترك البحر رهوا والمعنى اتركه منفرجا كما كان بعد دخولكم فيه وكذا
قال أبو عبيدويه قال مجاهد وغيره قال ابن عرفة وهما يرجعان الى معنى واحد وان اختلف
لفظاهما لان البحر اذا سكن جريه انفرج قال الهروي ويجوز ان يكون رهوا نعتا لموسى
أى سر سا كما على هيتك وقال كعب والحسن رهوا طريقا وقال الضحاك والربيع
سهلا وقال عكرمة يدسا كقوله فاضرب لهم طريقا فى البحر يسا وعلى كل تقدير
فالمعنى اتركه ذارها وأترك رهوا على المبالغة فى الوصف بالمصدر وقال ابن عباس رهوا
سمتا وعنه قال كهيتك وامضه وعنه أيضا قال الرهوان يترك كما كان (انهم) أى ان
فرعون وجنده بعد خروجهم (جند مغرقون) أى متمكنون فى هذا الوصف وان كان لهم
وصف القوة والتجمع الذى شأنه النجدة الموجبة للعاقبة فى الامور أخبر سبحانه موسى بذلك
ليسكن قلبه ويطمئن جاشه قرأ الجمهور بكسر الهمزة على الاستئناف لقصد الاخبار بذلك
وقرى بالفتح على تقدير لانهم (كم تركوا) كم هى الخبرة المفيدة لكثير وقد مضى الكلام
فى معنى الآية فى سورة الشعراء والتقدير فاغرقواوكم مفعول به أى تركوا أمورا كثيرة
وقد بينها بقوله (من جنات) أى بساتين (وعيون) تجرى (وزروع ومقام كريم) قرأ
الجمهور ومقام بفتح الميم على انه اسم مكان للقيام وقرى بضمها اسم مكان الإقامة قال ابن
عباس ومقام كريم المنابر وعن جابر مثله وقيل هو ما كان لهم من المنازل الحسنة
والمجالس الشريفة والمخافل المزينة (ونعمة كانوا فيها فاكهين) النعمة بالفتح التنعم
ونضارة العيش ولذا ذنه يقال نعمه الله وناعمه فتنعم وبالكسر المنمة وما أتم به عليك
وفلان واسع النعمة أى واسع المال ذكر معنى هذا الجوهري وقال المحلى نعمة أى متعة
أى أمورية يتعمون وينتعمون بها كالملاسل والراكب قرأ الجمهور فاكهين بالالف وقرى
بغير ألف والمعنى على الاولى مستعمين طيبة أنفسهم وعلى الثانية أشمرين بطرين قال
الجوهري فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه أيضا
الاشر البطر قال وفا كهين أى ناعمين وقال الثعلبي هم الغتان كالحاذر والحذر والقاره
والنهر وقيل ان الفاكه هو المستمتع بأنواع اللذة كما تتمتع الرجل بأنواع الفاكه (كذلك)
أى الامر كذلك يجوز ان تكون فى محل نصب والاشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا
أى مثل ذلك الساب سلبناهم اياها وقيل مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها وقيل مثل
ذلك الاهلاك أهل كاهم فعلى الوجه الاول يكون قوله (وأورثناها) معطوفا على تركوا

وذا الكفل وكل من الاخبار قد
تقدم الكلام على قصصهم
وأخبارهم مستقصاة فى سورة
الانبيا عليهم الصلاة والسلام
بما أثنى عن اعادته ههنا وقوله عز
وجل هذا ذكراى هذا فضل لمن
فيه ذكر لمن يتذكر وقال السدى
يعنى القرآن العظيم (وان للمتقين
لحسن ما بجنات عدن مقصدة
لهم الابواب متكئين فيها يدعون
فيها بما كرهت كنية وشراب

وعلى الوجوه الآخرة يكون معطوفا على الفعل المقدر (قوما آخرين) المراد بهم بنو
 اسرائيل فان الله سبحانه ملكهم مصر بعد أن كانوا فيها مستعبدين فصاروا لها وارثين أى
 انهم اؤمضت اليهم كما يصل الميراث الى الوارث ومثل هذا قوله وأورثنا القوم الذين كانوا
 يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وهذا قول الحسن وقيل انهم لم يرجعوا الى مصر
 والقوم الآخرون غير بنى اسرائيل وهو قول ضعيف جدا قاله الكرخي (فيا بكت عليهم
 السماء والارض) هـ ذى بيان لعدم الاكتران بهم لا كهم والاعتداد بوجودهم كقولك
 بكت عليهم السماء وكسفت لهم لكهم الشمس في تقيض ذلك فالبكاء مجاز مرسل ومع
 ذلك لا بد من جعل الآية استعارة بالسكابة والمعنى انه لم يصب بفقدهم وهلا كهم احد
 من أهل السماء ولا من أهل الارض وكانت العرب تقول عند موت السيد منهم بكت
 له السماء والارض أى عمت مصيبته وقال الحسن في الكلام مضاف مذوف أى فما
 كى عليهم أهل السماء والارض من الملائكة والناس وقال الزنجشردى كره هذا على
 سبيل السخرية بهم يعنى انهم كانوا يستعظمون أنفسهم ويعتقدون انهم لو ماتوا البكت
 عليهم السماء والارض ولم يكونوا بهذا الخدبل كانوا دون ذلك فذ كره ذاتهم كهم وقال
 مجاهد ان السماء والارض تبيكان على المؤمن أربعين صباحا وقيل تبكى على المؤمن
 مواضع صلاته ومصادعه وعلى هذا انه بكاء كالمعروف من بكاء الحيوان وفي معنى
 الآية وجهان والثانى أظهر وأوفق بالحديث ونظم القرآن قال السدى لما قتل الحسين
 رضى الله عنه بكت عليه السماء وبكواها حترها وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم ما من عبد الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات
 فقداه وبكاه عليه وتلاه هذه الآية فبا بكت الخوذ كراهم لم يكونوا يبعون على الارض عملا
 صالحا تبكى عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من علمهم كلام صالح فيفقدهم
 فيبكي عليهم أخرجه الترمذى وابن أبى الدنيا وأبو يعلى وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو
 نعيم في الحلية والخطيب وأخرج ابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الشعب
 نحوه من قول ابن عباس وعنه قال يقال الارض تبكى على المؤمن أربعين صباحا وعن
 شرح بن عبيد الحضرمي مر سلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الاسلام
 بدأ غريبا وسعود غريبا كما بدأ الا لا غربة على مؤمن مامات مؤمن في غربة غابت عنه فيها
 بوا كيه الابكت عليه السماء والارض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه
 الآية ثم قال امها لا تبكى على كافر أخرجه ابن جرير وابن ابى الدنيا وعن علي رضى الله
 تعالى عنه ان المؤمن اذا مات بكى عليه مصلاه ومصعد عمله من السماء ثم تلا هذه الآية
 (وما كانوا منظرين) أى مؤخرين للتوبة ومهلين الى وقت آخر بل عوجوا بالعقوبة
 لفرط كفرهم وشدة عنادهم (ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين) أىخلصناهم
 باهلال عدوهم مما كانوا فيه من الاستعباد وقتل الابناء واستحياء النساء وتكليفهم
 للأعمال الشاقة (من فرعون) بدل من العذاب اما على حذف مضاف أى من عذابه واما
 على المبالغة كأنه نفس العذاب فابدل منه او على انه حال من العذاب أى صادر من فرعون

وعندهم قاصرات الطرف اتراب
 هذا ما توعدون ليوم الحساب
 ان هذا الرزقا ما له من نفاذ) يخبر
 تعالى عن عبادة المؤمنين السعداء
 ان لهم في الدار الآخرة لحسن
 ما أب وهو المرجع والمنقلب ثم
 فسره بقوله تعالى جنات عدن
 أى جنات اقامة مفتحة لهم
 الابواب والائف واللام ههنا بمعنى
 الاضافة كأنه يقول مفتحة لهم
 أبوابها أى اذا جاؤها ففتحت لهم

وقرأ ابن عباس من فرعون بفتح الميم على الاستفهام التحقيري كما يقال لمن افتخر بحسبه
 اونسبه من أنت والاولى أولى ثم بين سبحانه فقال (انه كان عالياً) في التكبر والتجبر
 (من المسرفين) في الكفر بالله وارتكاب معاصيه كما في قوله ان فرعون علا في الارض
 ومن اسرافه انه كان على حقارته وخسته ادعى الالهية ولما بين سبحانه كيفية دفعه
 للضرع بنى اسرائيل بين ما كرمهم به فقال (ولقد اخترناهم) اي مؤمنى بنى اسرائيل
 (على) اي مع (علم) مناجالهم وهي كونهم احقاء بان يختاروا او كونهم يزيغون
 وتحصل منهم الفطرات في بعض الاحوال (على العالمين) اي على عالمي زمانهم على علم منه
 سبحانه باستحقاقهم لذلك وليس المراد انه اختارهم على جميع العالمين بدليل قوله في هذه
 الامة كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل على كل العالمين لكثرة الانبياء فيهم وهذا
 خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه ابن عيسى والزنجشري وغيرهما والاولى أولى وقيل يرجع
 هذا الاختيار الى تخصيصهم من الفرق وايرانهم الارض بعد فرعون (وا تيناهم من
 الآيات) اي معجزات موسى (ما فيه بلاميين) اي اختيار ظاهر وامتحان واضح لنظر
 كيف يعملون وقال قتادة الآيات انجاء وهم من الفرق وقلق البحر لهم وتظليل الغمام
 عليهم وانزال المن والسلوى لهم وقال ابن زيد الآيات هي الشر الذي كفهم عنه والخير
 الذي أمرهم به وقال الحسن وقتادة السلاء المير النعمة الظاهرة كما في قوله وليسلي
 المؤمنين منسبه بلا حسنا ونبلوكم بالشر والخير فتنة (ان هؤلاء) اي كفار قريش لان
 الكلام فيهم وقصة فرعون مسوقة للدلالة على استوائهم في الاصرار على الكفر (ليقولون
 ان هي الامموتنا الاولى) التي غوتها في الدنيا ولا حيا بعد ها ولا بعث وهو معنى قوله (وسا
 نحن بمشمرين) اي بمبعوثين يقال أنشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم وليس في الكلام
 قصدا الى اثبات موتة أخرى بل المراد ما العاقبة ونهاية الامر الامموتة الاولى المزيلة
 للحياة الدنيوية قال الرازي وابن الخطيب المعنى انه لا ياتينا من الاحوال الشديدة الا
 الموتة الاولى وهذا الكلام يدل على انه لا تأتيم الحياة الثانية البتة فلا حاجة الى التكلف
 الذي ذكره الزنجشري في هذا المقام ثم أوردوا على من وعدهم بالبعث ما ظنوه دليلاً وهو
 حجة واحدة فقالوا (فأنا بآياتنا) اي ارجعوهم بعد موتهم الى الدنيا قال القراء والخطاب
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده كقوله رب ارجعوني والاولى انه خطاب له
 صلى الله عليه وآله وسلم ولا تبعه من المسلمين (ان كنتم صادقين) فيما قولونه وتجبرونابه
 من البعث ثم رد الله سبحانه عليهم بقوله (أهم خير) في القوة والمنعة (أم قوم تبع) الجبري
 الذي دار في الدنيا مجيوشه وغلب أهلها وقهرهم وحير الخيرة وبني سمرقند وقيل هدمها
 وكان مؤمناً وكان قومه كافرين وكان من ملوك اليمن يسمى تبعاً لكثرة اتباعه وقيل كل
 واحد من ملوك اليمن يسمى تبعاً لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما سمي في الاسلام خليفة
 وفيه وعيد شديد وقيل المراد بقوم تبع جميع اتباعه لا واحد بعينه وكان تبع هذا
 يعبد النار فأسلم ودعا قومه وهم جبر الى الاسلام فكذبوه وعن ابن عباس عن النبي صلى
 الله عليه وآله وسلم قال لا تسبوا تبعاً فانه قد أسلم واما اليهبي والحاكم وصححه وابن المبارك

أبوها قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد
 ابن أيوب الهباري حدثنا عبد الله
 ابن عمير حدثنا عبد الله بن مسلم يعني
 ابن هرم عن ابن سابط عن عبد الله
 ابن عمر رضي الله عنهم ما قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في
 الجنة قصر يقال له عدن حوله
 البروج والمروج خمسة آلاف باب
 عند كل باب خمسة آلاف حبرة
 لا يدخله الا يسكنه الانبي أو
 صديق أو شهيد او امام عدل وقد ورد

وعبد بن جيمد وابن أبي الدنيا وعن سهل بن سعد الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر نحوه أخرجه أحمد والطبراني وابن ماجه وابن مردويه وروى نحوه هذا عن غيره من الصحابة والتابعين قال الرياشي كان أبو كرب أسعد الجعفي من التبابعة ممن آمن بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يبعث بسبع مائة سنة واليه تنسب الانصار وهو أول من كسى البيت بعدما أراد عزوه وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها ثم انصرف عنها لما أخبر انهم مهاجروا نبي اسمه أحد وقال شعرا أو دعه عند أهلها وكانوا يتوارثونه كبراعن كابر الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدفنوه اليه وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه والمراد بقوله (والذين من قبلهم) عاد وعود ونحوهم من الامم الكافرة (أهل كتابهم) مستأنفة لبيان حالهم وعاقبة أمرهم (انهم كانوا مجرمين) أي كافرين من منكرين للبعث تعليل لاهلاكهم يعني ان الله سبحانه قد أهلكهم بسبب كونهم مجرمين فاهلاكهم هو دونهم بسبب كونه مجرما مع ضعفه وقصور قدرته بالاولى (وما خلقتنا السموات والارض وما بينهما) أي ما بين جنسي السماء والارض (الاعين) أي بغير غرض صحيح قال مقاتل لم تخلقهما معا بشين غير شئ وقال الكلبي لاهين وقيل غافلين قرأ الجمهور ما بينهما وقرئ وما بينهما لان السموات والارض جمع (ما خلقتناهما) وما بينهما (الابالحق) أي بالامر الحق والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال وقال الكلبي اللعق وكذا قال الحسن وقيل الالاقامة الحق واطهاره وقيل بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وقيل بالجد ضد اللعب (ولكن أكثرهم لا يعلمون) لقلته نظيرهم ان الامر كذلك وهم المشركون وفيه تهجيل عظيم لمنكري البعث والحشر وتوكيد لان انكارهم يؤدي الى انطال الكائنات بأسرها ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وفي هذه الآية دليل على صحة الحشر ووقوعه ووجه الدلالة انه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثا لانه تعالى خلق نوع الانسان وخلق ما ينتظم به أسباب معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المقروش وما فيهما وما بينهما من عجائب المصنوعات وبدائع الاحوال ثم كلفهم بالايمان والطاعة فاقتضى ذلك ان يتميز المطيع من العاصي بان يكون المطيع متعلق فضله واحسانه والعاصي متعلق عدله وعقابه وذلك لا يكون في الدنيا القصر زمانها وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بانواع الآفات والمحن فلا بد من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت فظهر به ما ذكرناه من اوجه اتصال الآية بما قبلها وهو انه لما حكى مقالة منكري البعث والجزاء وهدهدهم ببيان ما آل المجرمين الذين مضوا ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزاء فقال وما خلقتنا الخ (ان يوم الفصل) أي يوم القيامة الذي يفصل فيه الحق عن الباطل والاضافة على معنى في والظاهر انها بمعنى اللام (مبقاتهم) أي الوقت المجهول يتميز المحسن من المسيء والحق من المبطل (أجمعين) لا يخرج عنهم أحد من ذلك وقد اتفق القراء على رفع مبقاتهم على انه خبران واسمها يوم الفصل وأجاز الكسائي والقراء نصبه على انه اسمها ويوم الفصل خبرها ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) بدل من يوم الفصل أو منتصب بفعل

في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة وقوله عز وجل متكئين فيما قيل متربعين على سرر تحت الخيال يدعون فيها بما كرهت كثرة أي مهم ما طلبوا وجدوا وأحضر كما أرادوا وشرب أي من أي أنواعه شأوا أتمهم به الخدام بأكواب وأباريق وكأ من من معين وعندهم قاصرات الطرف أي عن غير أزواجهن فلا يلتفتن الى غير يعولتن أتراب أي مساويات في

يدل عليه الفصل أى يفصل بينهم يوم لا يغنى والمعنى أنه لا يتبع قريب قريباً ولا يدفع عنه شيئاً ويطلق المولى على الولي وهو القريب والناصر وفي المختار المولى المعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار والخليف أى لا يدفع ابن عم عن ابن عمه ولا صديق عن صديقه شيئاً ومولى الأول مرفوع بالفاعلية والثاني مجرور بعن واعرابهما اعراب المقصور كقفي وعصا ورجى والمراد بالمولى الثاني الكافر وبالأول المؤمن أى لا يغنى مولى مؤمن عن مولى كافر شيئاً فهذه الآية نظير قوله تعالى واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً الآية (ولا هم ينصرون) الضمير يرجع الى المولى وان كان مفرداً في اللفظ لانه في المعنى يجمع لانه نكرة في سياق النفي وهو من صيغ العموم أى ولا هم ينعون من عذاب الله والجملة تؤكد لما قبلها فالعنى لا ينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما في الدنيا علفة من قرابة أو صداقة أو غيرهما كما أشاره القرطبي (الامن رحم الله) قال الكسائي الاستثناء منقطع أى لكن من رحم الله وكذا قال الفراء وقيل هو متصل والمعنى لا يغنى قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون في بعضهم أو مرفوع على البدلية من مولى الأول ويغنى عنى يتنفع قاله الخوفي أو مرفوع المحل أيضاً على البدلية من واوينصرون أى لا يمنع من عذاب الله الا من رحمة الله ذكره السمين (انه هو العزيز الرحيم) أى الغالب الذي لا ينصر من أراد عذابه الرحيم بعباده المؤمنين ثم لما وصف اليوم ذكر بعده وعيد الكفار فقال (ان شجرت الزقوم طعام الاثيم) هي الشجرة التي خلقها الله في جهنم على صورة شجر الدنيا وسماها الشجرة للمعونة والزقوم غيرها وهو كل طعام ثقيل فاذا جاء أهل النار التجوا اليها فأكلوا منها وقد مضى الكلام على شجرة الزقوم في سورة الصافات وشجرت ترسم بالتاء الجرورة ووقف عليها بالتاء أبو عمرو وابن كثير والكسائي ووقف الباقر بالتاء على الرسم قاله الخطيب وفي القرطبي كل ماني كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف عليه بالتاء الاحرفا واحدا في سورة الدخان ان شجرت الزقوم انتهى أى فيجوز الوقوف عليها بالتاء والتاء وفي الشاموس كلام مبسوط على الزقوم والزقوم فليرجع اليه والاثيم الكثير الاثم قال في الصحاح اثم الرجل بالكسر انما اذا وقع في الاثم فهو اثم وأثيم وأثوم فعنى طعام الاثيم طعام ذى الاثم قيل هو أبو جهل ولا وجه للتخصيص (كلهل) وهو درى الزيت وعكر القطران وقيل هو الحساس المذاب وقيل كل ما يذوب في النار من ذهب أو فضة وكل منطبع سواء كان من صفراً أو حديداً أو رصاص وقيل الصديد والقح (بغلي في البطون كغلي الحميم) قرأ الجهور تغلي بالتاء على ان الفاعل ضمير يعود على الشجرة والجملة خبر ماث أو حال أو خبر مبتدأ محذوف أى تغلي غلياً مثل غلي الحميم وهو الماء الشديد الحرارة وقرئ بالتخمية على ان الفاعل ضمير يعود الى الطعام وهو في معنى الشجرة ولا يصح عوده الى المول لانه متشبه به وانما بغلي ما يشبه بالهل (خذوه) أى يقال للامثلة الذين هم خزنة النار خذوه أى الاثيم (فاعتوه) العتل القود بالعنف يقال عتله بعته اذا جره

في السن والعمر هذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد ابن جبير ومحمد بن كعب والسدي هذا ما توعدون ليوم الحساب أى هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة هي التي وعدها العبادة المتقين التي يصيرون اليها بعد تنويرهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار ثم أخبر ببارئ وتعالى عن الجنة انه لا فراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء فقال تعالى ان هذا الرزقنا ماله من نفاد كقوله عز وجل ما عندكم يتعد وما

وذهب به الى مكروه وقيل العتل ان تأخذ بتلايب الرجل ومجامعه فقبحه قرأ الجمهور
 فاعتلوه بكسر التاء وقرئ بضمها وهما لقتان وقرأه تان سبعيتان (الى سواء الجحيم) أى
 الى وسطه ومعظمه كقوله قرأه فى سواء الجحيم (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم) من
 هى التبعية أى صبوا فوق رأسه بعض هذا النوع واطافة العذاب الى الجحيم للبيان أى
 عذاب هو الجحيم وهو الماء الحار كما تقدم أو من اضافة الصفة للموصوف أو المسبب للسبب
 فالمصوب هو الجحيم لاعدابه وصب العذاب استعارة كقوله أفرغ علينا صبرا فقد شبه
 العذاب بالمائع ثم خيل له بالصب (ذق) الأمر للاهانة به أى قولوا له تكبروا وقرئ يعاوتو أيضا
 ذق العذاب (انك) قرأ الجمهور بكسر الهمزة وقرأ الكسائي بفتحها وروى ذلك عن علي
 أى لانك (انت العزيز الكريم) قيل ان ابا جهل كان يزعم انه أعزاهل الوادى واكرمهم
 فيقولون له ذق العذاب ايها المتعززا المتكرم على زعمك وفيما كنت تقول قال القراء أى
 لهذا القول الذى قلته فى الدنيا عن ابن عباس فى الآية قال يقول لست بعزير ولا كريم
 أخرج الاموى فى مغازبه عن عكرمة قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابا جهل
 فقال ان الله أمرنى ان أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى قال فنزع يده من يده
 وقال ما تستطيع لى أنت ولا صاحبك من شىء لقد علمت انى أمتنع أهل بطحاء وأنا العزيز
 الكريم فقتله الله يوم بدر وأذله وغيره بكلمته وأزل ذق انك أنت العزيز الكريم (ان هذا)
 العذاب أو هذا الأمر (ما كنتم به تترون) اى تشكون فيه حين كنتم فى الدنيا والجمع
 باعتبار جنس الأثم ثم ذكر سبحانه مستقر المتقين فقال (ان المتقين) الذين اتقوا الكفر
 والمعاصى (فى مقام) قرأ الجمهور مقام بفتح الميم وهو موضع القيام وقرئ بضمها وهو
 موضع الإقامة قاله الكسائي وغيره وهما سبعيتان وقال الجوهري قد يكون كل واحد
 منهما معنى الإقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى
 وقع مستعملا فى معنى العموم ثم وصف المقام بقوله (أمين) بأمن فيه صاحبه من جميع
 المخاوف قال النسبى هو من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان
 استعارة لان المكان الخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره انتهى وأصل
 الامن طمأنينة النفس وزوال الخوف والامن والامان والامانة فى الاصل مصادر
 ويستعمل الامان تارة اسما للحالة التى عليها الانسان فى الامن وتارة لما يؤمن عليه
 الانسان كقوله وتحنونوا أماناتكم أى ما اتتمت عليه (فى جنات وعبور) بدل من مقام
 أمين جى به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذه من الماء كل والمشارب أو بيان
 له أو خبر ثان (يلبسون من سندس واستبرق) خبر ثان أو ثالث أو حال من الضمير المستكن
 فى الجار والنجور والسندس مارق من الديباج وفى المصباح الديباج ثوب سدهاء ولجته
 ابريسم ويقال انه معرب انتهى والاستبرق ما غلظ منه وهو ثوب استبر واللفظ اذا
 عرب خرج من ان يكون بجميالا بمعنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره
 عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب فساغ ان يقع فى القرآن العربى وقد تقدم تفسيره

عند الله باقى وكقوله جل وعلا عطاء
 غير مجد وذو كقوله تعالى لهم أجر
 غير ممنون أى غير مقطوع وكقوله
 عز وجل أكلها دائم وظلها تلك
 عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين
 النار والآيات فى هذا كثيرة جدا
 (هذا وان للطاغين لشرما تب جهنم
 يصلونها فيبئس المهادهذا فلينذوقوه
 جحيم وغساق وآخر من شكله أزواج
 هذا فوج مقصم معكم لامر حبا
 بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم
 لامر حبا بكم أنتم قدمتموه لنا فيبئس
 القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا

في سورة الكهف (متقابلين) أي في مجالسهم ينظر بعضهم إلى بعض وهو أتم للانسان فلا
 يرد ما قيل من ان الجلوس على هذه الصفة موحش لان قليل الثواب اذا اطلع على حال
 كثير الثواب يتنصص لان أحوال الآخرة بخلاف أحوال الدنيا وقال المحلى لا ينظر
 بعضهم إلى قضا بعض لدوران الاسرة بهم (كذلك) أي نفعل بالمتقين فعلا كذلك أو الامر
 كذلك (وزوجناهم) أي أكرمناهم بان زوجناهم (بجورعين) الجور جمع حوراء وهي
 البيضاء والعين جمع عيناء وهي الواسعة العين وقال مجاهد انما سميت الحوراء حوراء لانه
 يحار الطرف في حسنها وقيل هو من حور العين وهو شدة بياض العين في شدة سوادها
 كذا قال أبو عبيدة وقال الاصمعي ما أدري ما الحور في العين قال أبو عمرو والحوران
 تسود العين كلها مثل عين الطباء والبقر قال وليس في بني آدم حور وانما قيل للنساء
 حور لانهن شبهن بالطباء والبقر وقيل المراد بقوله وزوجناهم قرانهم وليس من عقد
 التزويج لانه لا يقال زوجته باسرة وقال أبو عبيدة وجعلناهم أزواجاً لهم كإزوج البعل
 بالبعل أي جعلناهم اثنين اثنين وكذا قال الاخفش واختلف أيهما أفضل في الجنة النساء
 الأدميات أم الحور ذكرا بن المبارك ان نساء الأدميات من دخل منهن الجنة فضلن على
 الحور العين بما عملن في الدنيا وروى مرقوعان الأدميات أفضل من الحور العين
 بسبعين ألف ضعف وقيل ان الحور العين أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام فأبدله
 زوجا خيرا من زوجته والله أعلم (يدعون فيها) أي في الجنة (بكل فاكهة) أي يأمرون
 باحضار ما يشتهون من الفواكه حال كونهم (آمنين) من الخنم والاسقام والآلام قال
 قتادة آمنين من الموت والوصب والشيطان وقيل من اتقطع ما هم فيه من النعيم
 (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) أي لا يموتون فيها أبدا الا الموتة التي ذاقوها في
 الدنيا والاستثناء منقطع أي لكن الموتة كذا قال الزجاج والقراء وغيرهما ومثل هذه
 الآية قوله ولا تنسكوا ما نسكج آبائكم من النساء الا ما قد سلف وقيل ان الاعمى بعد
 واختاره الطبري كقولك ما كت رجل اليوم الا رجلا عندك أي بعد رجل عندك وآباه
 الجهور لان محي الاعمى بعد لم يثبت وقيل هي بمعنى سوى أي سوى الموتة الاولى نقله
 الطبري وضعفه قال ابن عطية وليس تضعيفه بصحيح بل كونها بمعنى سوى مستقيم
 منتسق قال ابن قتيبة انما استثنى الموتة الاولى وهي في الدنيا لان السعداء حين يموتون
 يصيرون بلطف الله وقدرته إلى أسباب من الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم
 من الجنة ويفتح لهم أبوابها فاذا ماتوا في الدنيا فكانهم ما أتوا في الجنة لاتصالهم بأسبابها
 ومشاهدتهم اياها فيكون الاستثناء على هذا متصلا قال الرمحشري فان قلت كيف
 استثنيت الموتة الاولى المذكورة قبل دخول الجنة من الموت المنقذ ذوقه فيها قلت أريدان
 يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة
 الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالحال كانه قيل ان كانت الموتة
 الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها في الجنة انتهى قلت وهذا عند علماء

فزده هذا بضعفا في التاروقا لوالماننا
 لا نرى رجلا كأن عددهم من الاسرار
 أخذناهم سخريا أم زاعت عنهم
 الابصار ان ذلك الحق تخصم أهل
 النار) لماذا كرتبارك ونعالى ما ك
 السعداء ثنى بذكر حال الاشقياء
 ومرجعهم وما بهم في دار معادهم
 وحسابهم فقل عز وجل هذا وان
 للطاغين وهم الخارجون عن طاعة
 الله عز وجل الخالفون لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم لشر ما آبى

البيان يسمى نبي النبي بذليله (ورفاهم عذاب الجحيم) قرأ الجمهور ورفاهم بالتخفيف وقرئ
 بالتشديد على المبالغة (فضلا من ربك) اى لاجل الفضل منه أو اعطاهم ذلك عطاء فضلا
 منه (ذلك) الذى تقدم ذكره من صرف العذاب ودخول الجنة (هو الفوز العظيم)
 الذى لا فوز بعده المتناهي فى العظم لانه خلاص عن الكاره وظفر بالمطالب ثم لما بين سبحانه
 الدلائل وذكرا الوعد والوعيد قال (فانما يسرناه بلسانك) اى انما انزلنا القرآن بلغتك
 كى يفهمه قومك فيسذكروا ويعتبروا ويعملوا بما فيه أو سهلناه بلغتك عليك وعلى من
 يقرؤه وهذا فذللكة للسورة واجمال لما فيها من التفصيل (اعلمهم بتدكرون) اى يتعظون
 فيؤمنون لكنهم لا يؤمنون (فارتقب) اى فاتتظر ما وعدناك من النصر عليهم واهلاكهم
 على يدك (انهم مرتقبون) اى فانهم منتظرون ما ينزل بك من موت أو غيره وقيل انظر
 أن يحكم الله بينك وبينهم فانهم منتظرون بك نواب الدهر والعنى متقارب قال المحلى وهذا
 قيل الامر يجهد اى فهو منسوخ وليس يصحح لان رفع الاباحة الاصلية ليس نسخنا
 انما النسخ رفع حكم ثبت فى الشرع بحكم آخر

* (سورة الجاثية وتسمى الشريعة قاله الخازن هي ست اوسبع وثلاثون آية) *

وهي مكية كلها فى قول الحسن وجابر وعكرمة وقال ابن عباس وقناة الا آية منها وهى
 قوله قل للذين آمنوا الى ايام الله فانها نزلت بالمدينة فى عمر بن الخطاب ذكره الماوردى
 وقال المهدي والنحاس انها نزلت فى عمر شته رجل من المشركين عمكة قبل الهجرة فاراد ان
 يبسط به فانزل الله قل للذين آمنوا الا آية ثم نسخت بآية القتال فالسورة كلها مكية على
 هذا من غير استثناء

(بسم الله الرحمن الرحيم حم) قد تقدم الكلام على هذا فى فاتحة سورة غافر وما بعدها
 والله أعلم بمراده به (تنزيل الكتاب) اى القرآن مبتدأ (من الله) خبره (العزيز) فى ملكه
 (الحكيم) فى صنعه ثم أخبر سبحانه بما يدل على قدرته الباهرة فقال (ان فى السموات
 والارض) اى فى خاتهما (الآيات) دلالة على قدرة الله ووحده انيته (للمؤمنين) قال
 الزجاج ويدل على ان المعنى فى خلقهما قوله (وفى خلقكم) أنفسكم على أطوار مختلفة
 قال مقاتل من تراب ثم من نطفة الى أن يصير انسانا وحاصل ما ذكره من الدلائل ستة
 على ثلاث فواصل الاولى للمؤمنين الثانية يوقنون الثالثة يعقلون ووجه التخيير بين ان
 المصنف من نفسه اذا نظر فى السموات والارض وانه لا بد له من صانع آمن واذا نظر
 فى خلق نفسه ونحوها ازداد ايمانا بما يقين واذا نظر فى سائر الحوادث عقل واستحكمت علمه
 (و) فى خاتق (ما يبت) اى ما يفرقه وينشره (من دابة آيات) وللنخلة فى هذا الموضع كلام
 طويل فى رفع آيات ونصها والبحث فى مسئلة العطف على معمولى عاملين مختلفين وجميع
 الجوزين له وجوابات المانع من مقرر فى علم النجوم بسوط فى مطولانه (لقوم يوقنون)
 يعنى انه لا اله الا هو (واختلاف الليل والنهار) اى فى تعاقبها أو تقاربهما فى الطول

لسوء منقلب ومرجع ثم فسره
 بقوله جل وعلا جهنم يصلون اى
 يدخلونها فنعمرهم من جميع
 جوانبهم فيئس المهادهذا فلينذوقوه
 جميع وغساق أما الجحيم فهو الحار
 الذى قد انتهى حره وأما الغساق
 فهو ضده وهو البارد الذى لا يستطاع
 من شدة برده المولم ولهذا قال عز
 وجل وآخ من شكلة أزواج اى
 وأشباه من هذا القبيل الذى وضده

والقصر والظلام والظلمة وذاهبهما ومجيئهما (وما أنزل الله من السماء من رزق) معطوف على اختلاف الرزق المطر - ولانه سبب لكل ما رزق الله العباد به (فأحيى به الأرض بعد موتها) أحياء الأرض اخراج نباتها وموتها اخلوها عن النبات ويسبها (وتصريف الرياح) في مهامها أى أنها تهب نارة من جهة وتارة من أخرى وتارة تكون حارة وتارة تكون باردة وتارة ناعمة وتارة ضارة والرياح أربعة بحسب جهات الأفق (آيات لقوم يعقلون) مراد الله سبحانه في كتابه ويفهمون الدليل فيؤمنون (قل آيات الله تتلوها عليك) أى هذه الآيات المذكورة هي حجج الله وبراهينه (بالحق) أى محققين أو متلبسة بالحق أو الباء للسببية فتعلق بنفس الفعل (فبأى حديث بعد الله وآياته) أى حججه قيل أن المقصود فبأى حديث بعد آيات الله وذكر الاسم الشريف ليس الاقصود تعظيم الآيات فيكون من باب أعجبني زيد وكرمه وقيل المراد بعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل أحسن الحديث وهو المراد بالآيات والعطف مجرد التغاير العنوانى (يؤمنون) قرأ الجمهور بالفوقية وقرئ بالتخفية والمعنى يؤمنون بأى حديث وانما قدم عليه لان الاستفهام له صدر الكلام (ويل) واد في جهنم أو كلمة عذاب (لكل أفاك أثيم) أى لكل كذاب كثير الأثم من تكب لم يوجب ثم وصف هذا الأفاك بصفة أخرى فقال (يسمع آيات الله) أى القرآن (تتلى عليه ثم بصر) على كفره ويقم على ما كان عليه حال كونه (مستكبرا) أى متماديا على كفره متمكبرا عن الإيمان ومتمعظما في نفسه عن الانقياد للحق والاصرار ما أخذ من اصرار الجار على العاتية وهو ان ينحى عليها صارا أذنيه ثم التراخي الرتبى عند العقل أى اصراره على الكفر بعد ما قررت له الأدلة المذكورة وسمعهما مستبعد في العقول قال مقاتل اذا سمع من آيات القرآن شيئا اتخذها هزوا وجملة (كان لم يسمعها) في محل نصب على الحال أو مستأنفة وان هي المنخفضة من الثقلية واسمها ضمير شأن محذوف (فبشره بعدذاب اليم) هذا من باب التهمكم أى فبشر على اصراره واستكباره وعدم استماعه الى الآيات بعدذاب شديد الام قيل نزلت في النصر بن الحرث وما كان يشترى من أحاديث الجحيم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله (واذا علم من آياتنا شيئا) قرأ الجمهور بفتح العين وكسر اللام مخففة على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول والمعنى انه اذا وصل اليه وبلغه شيء وعلم انه من آيات الله (اتخذها) أى الآيات (هزوا) وقيل الضمير في اتخذها عائده الى شيء لانه عبارة عن الآيات والاول أولى (أولئك) أى كل أفاك متصف بتلك الصفات (لهم عذاب مهين) بسبب ما فعلوا من الاصرار والاستكبار عن سماع آيات الله واتخاذها هزوا والعذاب المهين هو المشتمل على الاذلال والفضيحة (من ورائهم) أى من وراء ما هم فيه من التعزير الدنيا والتكبر عن الحق (جهنم) فانهم قدامهم لانهم متوجهون اليه او عبر عن القدام بالورا كقوله من ورائه جهنم والورا مستعمل بمعنى الامام كما يستعمل بمعنى الخلف وهو مشترك بين المعنيين فيستعمل في الشيء وضده كالجنون يستعمل في الأبيض

يعاقبون بها قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن دلوا من غساقق هراق في الدنيا لانتن أهل الدنيا ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث عن دراج به ثم قال لانعرفه الامن حديث رشدين كذا قال وقد تقدم من غير حديثه ورواه ابن جرير

والاسود على سبيل الاشتراك وقيل جعلها باعتبار اعراضهم عنها كأنهم اخذتهم وقيل
 الورا اسم للجهة التي يواربها الشخص من خلف أو قدام (ولا يغني) أي لا يدفع (عنهم
 ما كسبوا) من أموالهم وأولادهم (شيأ) من عذاب الله ولا ينفعهم بوجه من وجوه النفع
 (ولا) يغني عنهم (ما اتخذوا من دون الله أولياء) من الاصنام وما في الموضعين امام صدرية
 أو موصولة وزيادة لافي الجملة الثانية للتأكيد (ولهم عذاب عظيم) في جهنم التي هي من
 ورائهم (هذا) أي القرآن (هدى) للمهتدين به (والذين كفروا بايات ربهم) القرآنية
 (لهم عذاب من رجز أليم) الرجز أشد العذاب قرأ الجمهور أليم بالجر صفة للرجز وقرئ
 بالرفع صفة لعذاب (الله الذي سخر لكم البحر) أي جعله على صفة تمكنون به من
 الركوب عليه بان جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلله كالأخشاب ولا يمنع الغوص
 فيه (لجري الفلك فيه بامرهم) أي بأذنه واقداره لكم (وليتنبغوا من فضله) بالتجارة تارة
 والغوص للدر والمعالجة للصيد وغير ذلك (واعلمكم تشكرون) أي ولي تشكروا النعم
 التي تحصل لكم بسبب هذا التسخير للبحر (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض
 جميعا منه) أي سخر لعباده جميع ما خلقه في سمواته وأرضه مما يتعلق به مصالحهم ويقوم
 به معاشهم وعمد انصرهم من مخلوقات السموات الشمس والقمر والنجوم النيرات والمطر
 والسحاب والرياح وجميع ما حال من ما في السموات أو تاركه وقوله منه متعلق بمحذوف
 هو صفة لجمعها أي كأنسانه أو متعلق بسخر أو حال من ما في السموات أو خبر لمبتدأ محذوف
 والمعنى ان كل ذلك رحمة منه لعباده وقال ابن عباس جميعا منه أي منه النور والشمس
 والقمر وكل شيء هو من الله وعن طاوس قال جاء رجل الى عبد الله بن عمرو بن العاص
 فسأله مم خلق الخلق قال من الماء والنور والظلمة والهواء والتراب قال فم خلق هؤلاء
 قال لا أدري ثم أتى الرجل عبد الله بن الزبير فسأله فقال مثل قول عبد الله بن عمرو فأتى ابن
 عباس فسأله مم خلق الخلق فقال من الماء والنور والظلمة والريح والتراب قال فم خلق
 هؤلاء فقرا ابن عباس وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال الرجل
 ما كان ليأتي بهذا الا رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ان في ذلك)
 المذكور من التسخير (آيات لقوم يتفكرون) خص المتفكرين لانه لا ينفع بها الا من
 تفكر فيهما فانه ينتقل من التفكير الى الاستدلال بها على التوحيد (قل للذين آمنوا يغفروا)
 أي قل لهم اغفروا ويغفروا أي يغفروا ويصنعوا قاله علي بن عيسى واختاره ابن العربي
 وقيل التندير قل لهم ليغفروا والمعنى قل لهم ليتجاوزوا (للذين لا يرجون ايام الله) أي
 عن الذين لا يرجون وقائع الله باعدائه أي لا يتوقعونها ومعنى الرجاء هنا الخوف وقيل
 هو على معناه الحقيقي والمعنى لا يرجون ثوابه في الاوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين
 والاولى والايام يعبر بها عن الوقائع كما تقدم في تفسير قوله ونذكرهم بايام الله قال
 مقاتل لا يخشون مثل عذاب الله للامم الحالية وذلك انهم لا يؤمنون به فلا يخافون عقابه
 وقيل المعنى لا ياملون نصر الله لا وليانه وايقاعه بأعدائه وقيل لا يخافون البعث قبل

عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن
 وهب عن عمرو بن الحرث به وقال
 كعب الاحبار غساق عين في جهنم
 يسيل اليها حمة كل ذات حمة من
 حبة وعقرب وغير ذلك فيستنقع
 فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة
 واحدة فيخرج وقد سقط جلده ووجهه
 عن العظام ويتعلق جلده ووجهه
 في كعبيه وعقبه ويجر لجه كاه كما
 يجبر الرجل ثوبه رواه ابن أبي حاتم
 وقال الحسن البصري في قوله تعالى
 وآخر من شكله أزواج ألوان من

والآية منسوخة بآية السيف والاقرب أن يقال انه محمول على ترك المنازعة وعلى
التجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات المؤذبة وعن ابن عباس في الآية قال كان نبي الله
صلى الله عليه وآله وسلم يعرض عن المشركين اذا آذوه وكانوا يستهزؤن به ويكذبونه
فأمره الله ان يقاتل المشركين كافة فكان هذا من المنسوخ والاولى القول بعدم النسخ
(ليجزي) الله (قوما) قرئ بالتعمية وقرئ بالنون أى ليجزى نحن والجملة لتعليل الامر
بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون أمر وبالْمَغْفِرَةَ ليجزى بهم الله يوم القيامة (بما كانوا
يكسبون) في الدنيا من الاعمال الحسنه التي من جلتها الصبر على آذيه الكفار والاعضاء
عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل المعنى ليجزى الكفار بما عملوا من السيئات
كانه قال لا تكافؤهم أنهم لنكافئهم ثم نحن قيل المراد بالقوم كلاهما فيكون التنكير
للتعظيم أو التحقير أو التنويع والاولى ثم ذكر المؤمنين واعمالهم والمشركين
واعمالهم فقال (من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها) اي ان عمل كل طائفة من
احسان واساءة لعامله لا يتجاوز الى غيره وفيه ترغيب وترهيب والجملة مستأنفة لبيان
كيفية الجزاء (ثم الى ربكم ترجعون) اي تصيرون فيجازى كلاب عمله ان كان خيرا خيرا وان
كان شرا شرا (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة) المراد بالكتاب التوراة
كذافي الكشف وتبعه القاضي ولعل الاول ان يحمل الكتاب على الجنس حتى يشمل
الانجيل والزبور ايضا لكن جمهور المفسرين على تفسيره هنا بالتوراة لانه ذكر بعدها
الحكم ونحوه وما ذكر لاحكم فيه اذ الزبور ادعية وسناجة والانجيل احكامه قليلة جدا
وعيسى مأمور بالعمل بالتوراة والمراد بالحكم الفهم والفقته الذي يكون بهما الحكم بين
الناس وفصل خصوصياتهم وبالنبوة من بعثه الله من الانبياء فيهم (ورزقناهم من الطيبات)
اي المستلذات التي أحلها الله لهم ومن ذلك المن والسلوى وهذه نعم دينوية وما قبله من
الكتاب والنبوة نعم دينية (وفضلناهم على العالمين) من اهل زمانهم حيث آتيناهم مالم
نؤت من عداهم من كثرة الانبياء فيهم وخلق البحر وغرق العدو ونحوها وقد تقدم بيان
هذا في سورة الدخان قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا
أحب اليه منهم (وآتيناهم بينات من الامر) أي شرائع واضحات في الحلال والحرام
أو معجزات ظاهرات وقيل العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشواهد نبوته
وتعيين مهاجرة (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم) أي فاقوع الاختلاف بينهم في
ذلك الامر الا بعد مجي العلم اليهم ببيانه وايضاح معناه فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف
موجباً للثبوت وقيل المراد بالعلم يوشع بن نون فانه آمن به بعضهم وكفر بعضهم وقيل نبوة
محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاختلقوا فيها حسدا و(بغيا بينهم) قيل بغيا من بعضهم على
بعض بطلب الرياسة (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر
الدين فيجازى المحسن باحسانه والمسي باسائه (ثم جعلناك على شريعة من الامر)
ثم الاستئناف والشريعة في اللغة المذهب والملة والمنهاج ويقال لشرعة الماء وهي مورد

العذاب وقال غيره كازمهير
والسوم وشرب الخمر وأكل
الزقوم والصعود والهوى الى
غير ذلك من الاشياء المختلفة
المتضادة والجميع مما يعذبون به
ويهانون بسببه وقوله عز وجل هذا
فوج مقصم معكم لامر خباياهم
انهم صالوا النار هذا الخبر من الله
تعالى عن قيل أهل النار بعضهم
لبعض كما قال تعالى كلما دخلت أمة
لغت أختها يعني بدل السلام

شاربه شريعة والجمع شرائع فاستعير ذلك للدين لان العباد يردون ما تجيبه نفوسهم ومنه
 الشارح لانه طريق الى المقصد فالمراد بالشريعة هنا ما شرعه الله لعباده من الدين أى
 جعلنا ذلك بما يحمد على منهاج واضح من امر الدين يوصلنا الى الحق وقال ابن عباس على
 هدى من أمر دينه قال قيادة الشريعة الامر والنهى والحدود والفرائض المبنية لانها
 طريق الى الحق وقال الكلبي السنة لانه يستن بطريقه من قبله من الانبياء وقال ابن
 زيد الدين لانه طريق الى النجاة وقال ابن العربي الامر يرد في اللغة بمعنىين احدهما معنى
 الشأن كقوله واتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد والثاني ما يقابله النهى وكلاهما
 يصح ان يكون مرادها وتقديره ثم جعلناك على طريقته من الدين وهى ملة الاسلام
 كما قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا خلاف ان الله تعالى لم يغير
 بين الشرائع في التوحيد والمكارم والمصالح وانما خالف بينهما في القروع حسب ما علمه
 سبحانه وتعالى (فاتبعها) أى فاعمل بأحكامها فى أمتك (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)
 توحيد الله وشرائعه لعباده وهم كفار قریش ومن وافقهم ثم علل النهى عن اتباع أهوائهم
 فقال (انهم لن يغفوا عذتك من الله شيئا) أى لا يدفون عنك شيئا مما اراده الله بك ان
 اتبعت أهواءهم (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) أى انصار ينصر بعضهم بعضا لان
 الجنسية عدل الانضمام قال ابن زيدان المنافقين اولياء اليهود (والله ولى المتقين) أى
 ناصرهم والمراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصى والاشارة بقوله (هدا) الى القرآن
 أو الى اتباع الشريعة (بصائر للناس) أى براهين ودلائل لهم فيما يحتاجون اليه من أحكام
 الدين وبيانات تبصرهم وجه الفلاح ومعالم يتبصرون بها فى الاحكام والحدود جعل ذلك
 بمنزلة البصائر فى القلوب ليتوصل بكل واحد منها الى محصيل العرفان واليقين وجمع الخبر
 باعتبار ما فى المتبدا من تعدد الآيات والبراهين وقرئ هذه بصائر أى هذه الآيات لان
 القرآن معناها (وهدى) أى رشد وطريق يؤدى الى الجنة لمن عمل به (ورجوة) من الله
 فى الآخرة (لقوم يوقنون) أى من شأنهم الايقان وعدم الشك والتزلزل بالشبهة
 (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) أم هى المنقطعة المقدره بيل والهمزة وما فيها من
 معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثانى والهـمزة لانكار الحسبان بطريق
 انكار الواقع واستباحه والتوبيخ عليه والاجترار الاكساب ومنه الجوارح وقد تقدم
 فى المائدة والجملة مستأنفة سميت لبيان تبين حالى المسيئين والمحسنين اثريين حالى
 الظالمين والمتقين وهو معنى قوله (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى نسوى
 بينهم مع اجترارهم السيئات وبين أهل الحسنات قيل نزلت فى قوم من المشركين وقيل
 المسيئون عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة والمحسنون على وحيزة وعبيدة بن الحرث
 حين برزوا اليهم يوم بدر فقتلوهم والعموم أولى (سواء محياهم ومماتهم) فى دار الدنيا وفى
 الآخرة كلالا يستونون فى شئ منهما فان حال أهل السعادة فيها مغير حال أهل السقاوة
 فهو لا فى عز الايمان والطاعة وشر فهمما فى الحيا وفى رجوة الله تعالى ورضوانه فى المعات

يتلاعنون ويتكادون ويكفر بعضهم
 يبغض فتقول الطائفة التى تدخل
 قبل الاخرى اذا أقبلت التى بعدها
 مع الخزنة من الزبانية هذافوج
 مقتحم أى داخل معكم لامر حبا
 بهم انهم صالوا النار أى لانهم من
 أهل جهنم قالوا بل أنتم لامر حبا
 بكم أى فيقول لهم الداخلون بل
 أنتم لامر حبا بكم أنتم قدمتموه لنا
 أى أنتم دعوتونا الى ما أفضى بنا
 الى هذا المسير فبئس القرارأى

وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهو انهما في الحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في الممات
 وشستان بينهما وقيل المراد انكاران يستووا في الممات كما استووا في الحياة قرأ الجمهور
 سواء بالرفع على انه خبر مقدم والمبتدأ محياهم ومماتهم والمعنى انكار حساباتهم ان محياهم
 ومماتهم سواء وقرئ بالنصب على انه حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور وفي قوله
 كالذين آمنوا أو على انه مفعول ثان لحسب واختار قراءة النصب أبو عبيد وقال معناه
 نجعلهم سواء وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على معنى سواء في محياهم ومماتهم ولماسقط
 الخافض ان نصب (سواء ما يحكمون) أي ساء حكمهم هذا الذي حكموا به وقال مجاهد في
 الآية المؤمن في الدنيا والآخرة مؤمن والكافر في الدنيا والآخرة كافر وقال مسروق
 قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ولقد رأيت به قام ذات ليلة حتى أصبح
 أو قرب ان يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويكبي أم حسب الذين اجترحوا
 السيئات الآية وعن الفضيل انه بلغها فجعل يردد ها ويكبي ويقول يا فضيل ليت شعري
 من أي الفريقين أنت (وخلق الله السموات والارض بالحق) المقتضى للعدل بين العباد
 وهذا كالليل لما قبل من نبي الاستواء ومحل بالحق النصب على الحال من الفاعل أو
 المفعول أو البناء للسببية (ولتجزى كل نفس بما كسبت) أي خلق الله اياهما ليدل بهما على
 قدرته ولتجزى أو اللام للصبر ورواه ابن عطية أي صار الامر من حيث اهتدى بها قوم
 وضل بها قوم آخرون (وهم) أي النفوس المدلول عليها بكل نفس (لا يظنون) بنقص ثواب
 أو زيادة عقاب وتسمية ذلك ظلاما لأنه ليس كذلك على ما عرف من قاعة أهل السنة لبيان
 غاية تنزهه سبحانه تعالى عما ذكر بتزويله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه أو سبحانه
 ظلماتنا الى صدوره منا كما في الابلامة والاختبار ثم يجب سبحانه من حال الكفار فقال
 (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) قال الحسن وقتادة ذلك الكافر اتخذ دينه ما بهواه فلا
 بهوى شيئا الا ركبته وقال عكرمة يعبد ما بهواه أو يستحسنه فاذا استحسن شيئا وهواه
 اتخذها قال سعيد بن جبير كان أحدهم يعبد الحجر فاذا رأى ما هو أحسن منه رعى به
 وعبد الآخر وقال ابن عباس ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان
 والمعنى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما يدعوه اليه فكانه يعبد كما يعبد الرجل الهه
 (وأضله الله على علم) قد علمه قال ابن عباس يقول أضله في سابق علمه تعالى وقيل المعنى أضله
 عن الثواب على علم منه بأنه لا يستحقه وقال مقاتل على علم منه انه ضال لانه يعلم ان الضم
 لا ينفع ولا يضر قال الزجاج على سبق في علمه انه ضال قبل أن يخلق له وقال الكرخي أضله
 وهو عالم بالحق وهذا أشد تشبيها عليه (وحتم) أي طبع (على سمعه) حتى لا يسمع الوعظ
 (وطبع على قلبه) حتى لا يفقه الهدى ولا يعقله (وجعل على بصره غشاوة) أي ظلمة
 وغشاوة حتى لا يبصر الرشد قرأ الجمهور غشاوة بالانف مع كسر الغين وقرئ بغير أنف مع فتح
 الغين وقرأ ابن مسعود والاعمش كقراءة الجمهور مع فتح الغين وهي لغرفة وقرئ
 يضمها وهي لغة عكل (فمن يهديهم بعد الله) أي بعد اضلال الله له أي لا يهتدى (أفلا

فبئس المنزل والمستقر والمصير قالوا
 ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا
 في النار كما قال عز وجل قالت أخرجهم
 لا ولا هم ربنا هؤلاء أضلونا فآثمهم
 عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف
 ولكن لا تعلمون أي لكل منكم
 عذاب بحسبه وقالوا ما لنا نلنا نرى
 رجلا كأنه عددهم من الاشرار
 اتخذناهم خيرا أم زاعجت عنهم
 الابصار هذا اخبار عن المكلف
 في النار أنهم يفتقدون رجلا كانوا

تذكرون) تذكرا اعتبار حتى تعلموا حقيقة الحال قال الواحدى ليس يبقى للقدرية مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياه عن الهدى حتى أخبرانه ختم على سمعه وقلبه وبصره ثم بين سبحانه بعض جهالاتهم وضلالاتهم فقال (وقالوا) أى منكرو البعث (ماهى الاحياء فى الدنيا) أى ما الحياة الا الحياة التى نحن فيها (نموت ونحيا) أى بصيغتنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نموت فنحن ونحيا فيها اولادنا وقيل تكون نطفاميتة ثم نصير أحياء وقيل فى الآية تقديم وتأخير أى نحيا ونموت وكذا قرأ ابن مسعود وعلى كل تقدير فإرادهم بهذه المقالة انكار البعث وتكذيب الآخرة وقيل هذا من كلام من يقول بالتناسخ أى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى موات فيصيا به (وما يهلكنا الا الدهر) أى مرور الليالى والايام والدهر فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وفى القاموس دهرهم أمر كسخت نزل بهم مكروه فهم مدهور بهم ومدهورون وقرئ الا دهرهم عز قال مجاهد يعنى السنين والايام انتهى كأنوا يزعمون ان مرورها هو المؤثر فى هلاك النفس وينكرون ملك الموت وقبض الارواح باذن الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان ألا ترى ان أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان وقال قتادة الا العمر والمعنى واحد وقال قطرب المعنى وما يهلكنا الا الموت وقال عكرمة وما يهلكنا الا الله عن أى هريرة قال كان أهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذى يحيننا ويميتنا فيسبون الدهر فقال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر يسدى الأمر أقلب الليل والنهار وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديثه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم الحديث وفى الموطأ عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وقد استدل بهذا الحديث من قال ان الدهر من أسماء الله تعالى ومرادهم بهذا الحصر انكار ان يكون الموت بواسطة ملك الموت وازافة الحوادث الى الدهر والزمان وان المؤثر فى هلاك النفس هو مرور الايام والليالى (وما لهم بذلك) أى بنسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال (من علم) ثم بين كون ذلك صادرا منهم لاعن علم فقال (انهم الا يظنون) أى ما هم الا قوم غاية ما عندهم الظن فما يتكلمون الابيه ولا يستندون الا اليه (واداتلى عليهم آياتنا بينات) أى اذا تليت آيات القرآن على المشركين حال كونها واضحات ظاهرة المعنى والدلالة على البعث أو مبيّنات لما يخالف معتقدتهم قاله الكرخي (ما كان يحتمهم الا ان قالوا اننا احياء) ان كنتم صادقين) اننا نبعث بعد الموت أى ما كان لهم حجة ولا تمسك ولا متشبث يتعلقون ويعارضون به الا هذا القول الباطل الذى ليس من الحجّة فى شئ وانما سماه حجة مع انه ليس بحجة لانهم ادلوا به كما يدل الحجج بحجته وساقوه مساقها فسمى حجة على سبيل التمسك اولانه فى حسابهم وتقديرهم حجة ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد عليهم فقال (قل الله يحييكم فى الدنيا ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يجمعكم الى) أى فى (يوم القيامة) بالبعث

يعتقدون انهم على الضلالة وهم المؤمنون فى زعمهم قالوا ما لنا لانراهم معنا فى النار قال مجاهد هذا قول أبى جهل يقول ما لى لأرى بلا ولا عمارا وصهيبا وفلانا وفلانا وهذا ضرب مثل والافضل الكفار هذا حالهم يعتقدون ان المؤمنين يدخلون النار فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا ما لنا لانرى رجالا كنا نعدّهم من الاشرار أخذناهم سخريا أى فى الدار الدنيا أم زاعت

والنشور (لأريب فيسه) أي في جمعكم لأن من قدر على ابتداء الخلق قدر على اعادته وفي
 هذا رد لقولهم وما يهلكنا إلا الدهر (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) بذلك لاعراضهم عن
 التفكير بالدلائل فلماذا حصل معهم الشك في البعث وجاءوا في دفعه بما هو أو هن من بيت
 العنكبوت ولو نظر واحد النظر لخصه الواعى العلم اليقين وان دفع عنهم الريب وأراحوا
 أنفسهم من ورطة الشك والخيرة ثم لما ذكر سبحانه ما احتج به المشركون وما أجاب به عليهم
 ذكر اختصاصه بالملك فقال (ولله ملك السموات والارض) أي هو المتصرف فيهما وحده
 كما أراد لا يشاركه أحد من عباده وهو شامل للأحياء والاماتة المذكورين قبله وللجمع
 والبعث وللمخاطبين وغيرهم ثم توعد أهل الباطل فقال (ويوم تقوم الساعة يومئذ
 ينحسر المبطلون) أي المكذبون الكافرون المتعلقة بالباطل يظهر في ذلك اليوم
 خسرا أنهم لانهم يصيرون الى النار والعامل في يوم هو يحسرو يومئذ بدل منه والتسوين
 عوض عن المضاعف اليه المدلول عليه بما أضيف اليه المبدل منه فيكون التقدير ويوم
 تقوم الساعة يوم تقوم الساعة فيكون بدلان كيدبا والاولى أن يكون العامل في يوم هو
 ملك أي والله ملك يوم تقوم الساعة ويكون يومئذ معمولا ليحسر والجملة مستأنفة من
 حيث اللفظ وان كان لها تعلق بما قبلها من حيث المعنى أفاده السمين وقال التفتازاني
 وهذا بالتأكيده أشبهه وأنى يتأتى ان هذا مقصود بالنسبة دون الاول وقال الحنفناوى اليوم
 في البديل معنى الوقت والمعنى وقت ان تقوم الساعة وتحشر الموتى فيه وهو جزء من يوم
 تقوم الساعة فانه يوم متسع مبسوهم من النفخة الاولى فهو بدل البعض والعائد مقدر ولما
 كان خسرا انهم وقت حشرهم كان هو المقصود بالنسبة (وترى كل أمة) الخطاب لكل
 من يصلح له أو للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والامة الملة والرؤية بصرية او علمية وفيه بعد
 ومعنى قوله (جائية) مستوفزة والمستوفز الذي لا يصيب الارض منه الا ركبتاه وأطراف
 أنامه قال الضحاك وذلك عند الحساب وقيل معنى جائية مجتمعة قاله ابن عباس وقال
 الفراء المعنى وترى أهل كل دين مجتمعين وقال عكرمة متميزة عن غيرها وقال مؤرج
 معناه باهجة فريش خاضعة وقال الحسن بركة على الركب والجثو الجلوس على الركب
 تقول جثنا يجثو ويجثى جثوا وجثيا اذا جلس على ركبتيه والاولى أولى ولا ينافية ورود
 هذا اللفظ معنى آخر في لسان العرب وقد ورد اطلاق الجثوة على الجماعة من كل شىء في لغة
 العرب وعن عبد الله بن باباه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأتى أراكم
 بالكوم دون جهنم جاثين ثم قرأ سفيدان هذه الآية أخرجه البيهقي في البعث وعبد الله بن
 احمد في زوائد الزهد وابن أبي حاتم وسعيد بن منصور وعن ابن عمر في الآية قال كل أمة مع
 نبيها حتى يجي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كوم قد علا الخلاق فذلك المقام
 المحمود وظاهر الآية ان هذه الصفة تكون لكل أمة من الامم من غير فرق بين أهل الاديان
 المتبعين للرسول وغيرهم من أهل الشرك وقال يحيى بن سلام هو خاص بالكفار والاول
 أولى ويؤيده قوله (كل أمة تدعى الى كتابها) وقوله فيما سأتى فاما الذين آمنوا الخ ومعنى

عنهم الابصار يسألون أنفسهم
 بالمحال يقولون أو اعلمهم معنا في
 جهنم ولكن لم يقع بصرا عليهم
 فعند ذلك يعرفون أنهم في الدرجات
 العاليات وهو قوله عز وجل ونادى
 أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد
 وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
 ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن
 مؤذن بينهم ان لعنة الله على
 الظالمين الى قوله ادخلوا الجنة

الى كتابها الى الكتاب المتزل عليها وقيل الى صحيفة أعمالها وقيل الى حسابها وقيل اللوح
المحفوظ والاول اولى قرأ الجمهور وكل أمة بالرفع على الابتداء وخبره تدعى وقرئ بالنصب
على البدل من كل أمة (اليوم) أي يقال لهم اليوم (تجزون ما كنتم تعملون) من خير
وشر (هذا كتابنا) لامتياز بين هذا وقوله كتابنا لانه كتابهم بمعنى انه مشتمل على أعمالهم
وكتاب الله بمعنى انه هو الذي أمر الملائكة بكتبه واليه أشار في التقرير قاله الكرخي
(ينطق عليكم) بما علمتم (بالحق) بلا زيادة ونقصان وهذا من تمام ما يقال لهم والقائل
بهذا هم الملائكة وقيل هو من قول الله سبحانه أي يشهد عليهم وهو استعارة يقال نطق
الكتاب بكذا أي بين وقيل انهم يقرؤنه فيذكرهم ما عملوا فكانت نطق عليهم دليله قوله
تعالى ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا حصاها قال ابن
عباس هو أم الكتاب فيه أعمال بني آدم وقيل هو ديوان الحفظة ومحل ينطق النصب على
الحال أو الرفع على انه خبر آخر لاسم الإشارة وجعله (انا) كان استنسخ ما كنتم تعملون
تعليل للنطق بالحق أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم أي بكتبتها وتبيينها عليكم وليس
المراد بالنسخ ابطال شيء واقامة آخر مقامه اذ ورد أن الملك اذا صنع بها العمل يؤمر بالمقابلة
على ما في اللوح قال الواحدى وأكثر المنسرين على ان هذا الاستنساخ من اللوح
المحفوظ فان الملائكة تكتب منه كل عام ما يكون من أعمال بني آدم فيجدون ذلك موافقا
لما يعملونه قالوا لان الاستنساخ لا يكون الا من أصل وقيل ان الملائكة تكتب كل يوم
ما يعمله العبد فاذا رجعوا الى مكانهم نسجوا منه الحسنات والسيئات وتركوا المباحات
وقيل ان الملائكة اذا رفعت أعمال العباد الى الله سبحانه أمر عز وجل ان يثبت عنده
منها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط منها ما لا ثواب فيه ولا عقاب وقال ابن عباس الملائكة
يستنسخون أعمال بني آدم فقام رجل فقال يا ابن عباس ما كثرى هذا تكتبه الملائكة
في كل يوم وليلة فقال انكم لستم قومًا عربا هل يستنسخ الشيء الا من كتاب وعن علي بن
أبي طالب ان الله ملائكة ينزلون كل يوم بشيء يكتبون فيه أعمال بني آدم وعن ابن عمر
فحوما روى عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا في الآية قال يستنسخ الحفظة من أم
الكتاب ما يعمل بنو آدم فانما يعمل الانسان ما استنسخ الملك من أم الكتاب وأخرج نحوه
الماكم عنه وصححه وأخرج الطبراني عنه أيضا في الآية قال ان الله وكل ملائكة يستنسخون
من ذلك العام في رمضان ليلة القدر ما يكون في الارض من حدث الى مثلها من السنة
المقبلة فيستعرضون به حفظة الله على العباد عشية كل خيس فيجدون ما رفع الحفظة
موافقا لما في كتابهم ذلك ليس فيه زيادة ولا نقصان (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيسدخ لهم ربهم في رحمتهم) التي من جلتها الجنة قاله البيضاوى وهذا تنصيص للحال
القرينتين فالؤمنون يدخلهم الله برحمته الجنة وفسر المحلى كل من مشى الرحمة بنفس
الجنة وهو أظهر (ذلك) الادخال في رحمة (هو الفوز الميم) أي الظاهر الواضح لخلو ص
عن الاكدار والشوائب التي تخالطه (وأما الذين كفروا) فيقال لهم (أفلم تكن آياتي)

لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون
وقوله تعالى ان ذلك لخلق تخاصم
أهل النار أي ان هذا الذي أخبرناك
به يا محمد من تخاصم أهل النار
بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض
خلق لامرية فيه ولا شك (قل انما أنا
منذرو وما من اله الا الله الواحد القهار
رب السموات والارض وما بينهما
العزیز الغفار قل هو بأعظيم أنتم عنه

أى القرآن (تلى عليكم) الاستفهام للتوبيخ لان الرسل قد أتتهم وتلى عليهم آيات الله
 فكذبوا ولم يعملوا به (فاستكبرتم) أى تكبرتم عن قبولها وعن الايمان بها (وكنتم قوما
 مجرمين) أى من أهل الأجرام وهى الآثام والاجرام الاكتساب يقال فلان جرعة أهله
 اذا كان كاسهم فالجرم من كسب الآثام بفعل المعاصى (و) كنتم (اذاقيل) لكم أى ما
 الكفار (ان وعد الله حق) أى وعده بالبعث والحساب والجزاء ويجميع ما وعده من
 الامور المستقبله واقع لاحتماله والعامه على كسر الهمزة لانها محكية بالقول وقرئ بفتحها
 وذلك مخرج على لغة سليم يجرون القول مجرى الظن مطلقا قاله السمين (والساعة) قرأ
 الجهور بالرفع على الابتداء أو العطف على موضع اسم ان وقرئ بالنصب على اسم ان
 أى القيامة (لاريب فيها) أى فى وقوعها (قلتم) استغرابا واستبعادا وانكارا لها
 (ماندرى ما الساعة) أى أى شئ هو (ان نطن الاظنا) أى نخدس حدسا وتوهم توهمها قال
 المبرد تقديره ان نحن الاظن ظنا وقيل التقدير ان نطن الا انكم تظنون ظنا وقيل
 ان نطن مضمين معنى نعتقد أى مانعتقد الاظنا لعلمنا وقيل ان ظننا له صفة مقدره أى
 الاظنا يننا وقيل ان الظن يكون معنى العلم والشك فكانهم قالوا مالنا اعتقاد الا الشك
 واعل ذلك قول بعضهم تحير واين ماسمعوا من آياتهم وما تلى عليهم فى أمر الساعة (وما نحن
 بمستيقنين) أى لم يكن لنا يقين بذلك ولم يكن معنا الا مجرد الظن ان الساعة آتية (وبداهم
 سيات ما علموا) أى ظهر لهم سيات أعمالهم على الصورة التى هى عليهم أى جزاؤها
 (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أحاط بهم ونزل عليهم جزاء أعمالهم بدخولهم النار (وقيل
 اليوم نساكم كما نسيتم لنا يومكم هذا) أى نتركم فى النار كما نتركم العمل لهذا اليوم
 والنسيان أريد به الترك مجازا ما بعلاقة السببية أو تشبيهه فى عدم المبالاة وأضاف اللقاء
 الى اليوم توسعا لانه أضاف الى الشئ ما هو واقع فيه ككر الليل (وما أواكم النار) أى
 مسكنكم ومستقركم الذى تأوون اليه (وما لكم من ناصرين) ينصرونكم فيمنعون
 عنكم العذاب (ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا) أى ذلك العذاب العظيم بسبب
 انكم اتخذتم القرآن هزوا ولعبا (وعزتكم الحياة الدنيا) أى خدعتكم بزخارفها
 وأباطيلها فظنتم انه لا دار غير ها ولا بعث ولا نشور (فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار
 قرأ الجهور بضم الياء وفتح الراء مبني للمفعول وقرئ بفتح الياء وضم الراء مبني للفاعل
 وهما سبعيتان والاتفات من الخطاب الى الغيبة لتحقيرهم وللإيدان باسقاطهم عن رتبة
 الخطاب (ولا هم يستعجبون) أى لا يسترضون ولا يطلب منهم الرجوع الى طاعة الله لانه
 يوم لا تقبل فيه توبة ولا تنفع فيه معذرة (فلله الحمد) أى الوصف بالجميل على وفاء وعده
 فى المكذبين (رب السموات ورب الارض رب العالمين) أى خالق ما ذكر لا يستحق الحمد
 سواه والعالم ماسوى الله وجميع لاختلاف أنواعه قرأ الجهور رب فى المواضع الثلاثة بالجر
 على السفة للاسم الشريف أو البيان أو البدل وقرئ بالرفع فى الثلاثة على تقدير مبتدأ
 أى هورب السموات الخ (وله الكبرياء فى السموات والارض) أى الجلال والعظمة

معرضون ما كان لى من علم بالمالا
 الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى
 الأسماء انذار مبين) يقول تعالى
 أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن
 يقول للكفار بالله المشركين به
 المكذبين لرسوله انما أنا منذر
 لست كالتزعمون وما من اله الا الله
 الواحد القهار اى هو وحده قد قهر
 كل شئ وغلبه رب السموات
 والارض وما بينهما ما أى هو مالك
 جميع ذلك ومتصرف فيه العزيز

والسلطان وخص السموات والأرض لظهوراً نار ذلك فيهما وهو القهر والتصرف
لأنفسها لأنها صفة ذاتية للرب تعالى واطهارهما في موضع الاضمار لتفخيم شأن
الكبرياء (وهو العزيز الحكيم) أي العزيز في سلطانه فلا يغالبه مغالب والحكيم في كل
أفعاله وأقواله وجميع أفضيته عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
الله تبارك وتعالى الكبرياء رداً والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقىته في
النار أخرجه ابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود وابن ماجه والبيهقي

* (سورة الاحقاف هي أربع أو خمس وثلاثون آية) *

وهذا الاختلاف مبني على ان حم آية أولها هي مكية قال القرطبي في قول جميعهم قال
ابن عباس وابن الزبير ذات جمكة وقال المحلى الاقل رأيتم ان كان من عند الله الآية
والاقاصبر كما صبر أولو العزم والاووصينا الانسان بوالديه الثلاث يعني آخرها قوله
الأساطير الاولين وعن ابن مسعود قال اقرأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
سورة الاحقاف وقرأها آخر خلف قراءته فتلت من أقرأ كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت والله لقد اقرأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير ذاتنا رسولا الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ألم تقرني كذا وكذا قال بلى وقال الآخر ألم
تقرني كذا وكذا قال بلى فمعه وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي قرأ كل
واحد منكما مع قائمها لك من كان قبلكم بالاختلاف والاحقاف وادباين كانت
عاقبه منازل عاد وقيل جمع حقف وهو التل من الرمل

* (بسم الله الرحمن الرحيم) * الله أعلم بمراده به وقد تقدم الكلام على هذا
مستوفى وبيان ما هو الحق من ان فواتح السور من المتشابه الذي يجب ان يوكل علمه الى من
أنزله (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما) من
المخوقات بأسرها (الابالحق) ليدل على قدرتنا ووجدانيتنا هو استثناء مفرغ من أعم
الاحوال أي الخلقا متملبسا بالحق الذي تقتضيه المشيئة الالهية (واجل) أي بتقدير
أجل (مسمى) وهذا الاجل هو يوم القيامة فأنها تنتهي فيه السموات والأرض وما بينهما
وتبدل الأرض غير الأرض والسموات وقيل المراد به هوانتها أجل كل فرد من افراد
المخلوقات والاول أولى وهذا اشارة الى قيام الساعة وانقضاء مدة الدنيا وان الله لم يخلق
خلقه باطلا وعيبا الغير شيء بل خلقه للشواب والعقاب (والذين كفروا عما انذروا) وخوفوا
به في القرآن من البعث والحساب والجزاء والعذاب (معرضون) والجله في محل نصب على
الحال أي والحال انهم مولون غير مستعدين له ولا مؤمنين به (قل رأيتم) أخبروني
(ماتدعون) وتعبدون (من دون الله) من الاصنام وغيرها (أروني) يحتمل ان يكون
تأ كيد القول قل رأيتم أي أخبروني أروني والمفعول الثاني لا رأيتم قوله (ماذا) أي أي
شيء (خلقوا من الأرض) ويحتمل ان لا يكون تأ كيدا بل يكون هذيانا من باب التنازع لان
أ رأيتم يطلب مفعولا ثانيا أو أروني كذلك (أم لهم شرك في السموات) أم منقطعة مقدرة

الغفار أي غفار مع عظمته وعزته
قل هو بأعظيم أي خبر عظيم وشأن
بليغ وهو ارسال الله تعالى اباي
البحر ثم أتت عنده معرضون أي
غانلون قال مجاهد وشريح القاضي
والسدى في قوله عز وجل قل هو بأ
عظيم يعني القرآن وقوله تعالى
ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ
يختصمون أي لولا الوحي من أين
كنت أدري باختلاف الملا الاعلى
يعني في شأن آدم عليه الصلاة

ببل والهمزة والمعنى بل ألهم شركة مع الله فيها والاستفهام للتوبيخ والتقريع وتخصيص
 الشرك بالسموات دون ان يعمر بالارض أيضا احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد
 الحوادث السفلية (يتوفى بكتاب) بمنزل هذامن جملة المقول والامر بتسكيت لهم
 واطهار لعجزهم وقصورهم عن الايمان بذلك واسارة الى نفي الدليل المنقول بعد الاشارة الى
 نفي الدليل المعقول (من قبل هذا) أي القرآن فانه قد صرح ببطلان الشرك وان الله
 واحد لا شريك له وان الساعة حق لا ريب فيها فهل للمشركين كتاب يخالف هذا الكتاب
 أو حجة تنافي هذه الحجة (أو اثاره من علم) قال في الصحاح أي بقية منه وكذا الاثره بالتحريك
 قال ابن قتيبة أي بقية من علم الاولين وقال الفراء والمبرد يعني ما يؤثر عن كتب الاولين
 قال الواحدي وهو معنى قول المنسرين قال عطاء أوشى تأثر ونه عن نبي كان قبل محمد
 صلى الله عليه وآله وسلم قال مقاتل أو رواية من علم عن الانبياء وقال الزجاج أو اشارة أي
 علامة والاثارة مصدر كالسماحة والشجاعة وأصل الكلمة من الاثر وهي الرواية يقال
 أثرت الحديث أثره أو اثاره واثرا اذا ذكرته عن غيرك قرأ الجمهور اثاره على المصدر
 كالسماحة والغواية وقرأ ابن عباس وزيد بن علي وغيرهما بفتح الهمزة والشاء أثره من غير
 ألف وقرئ أثره بضم الهمزة وسكون الاء قال ابن عباس أو اثاره من علم أي خط أخرجه
 أحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم قال سفيان لا أعلم الا عن النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم يعني ان هذا الحديث مرفوع لا موقوف على ابن عباس وعن أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان نبي من الانبياء يحط فن صادف مثل خطه علم
 أخرجه عبد بن حميد وابن مردويه ومعنى هذام ثابت في الصحيح ولاهل العلم فيه تفاسير
 مختلفة ومن أين لنا ان هذام الخطوط الرملية موافقة لذلك الخط وأين السند الصحيح الى
 ذلك النبي أو الى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ان هذا الخط هو على صورة كذا فليس
 ما يفعله أهل الرمل الاجهالات وضلالات وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم أو اثاره من علم قال حسن الخط أخرجه ابن مردويه وعن ابن عباس قال خط كان
 تخطه العرب في الارض وعنه قال بينة من العلم (ان كنتم صادقين) في دعواكم التي
 تدعونها وهي قولكم ان الله شريكا أو ان الله أمركم بعبادة الاوثان ولم يأتوا بشئ من
 ذلك فتبين بطلان قولهم لقيام البرهان العقلي والنقلي على خلافه (ومن اضل ممن يدعو من
 دون الله من لا يستجيب له) أي لا احد اضل منه ولا اجهل فانه دعاهم لا يسمع فكيف
 يطمع في الاجابة فضلا عن جلب نفع أو دفع ضرر فتبين بهذا انه أجهل الجاهلين وأضل
 الضالين والاستفهام للتوبيخ والتقريع (الي يوم القيامة) غاية لعدم الاستجابة والمراد
 بها التأييد كقوله تعالى وان عليك لعنتي الي يوم الدين قاله الشهاب وقال في الاتصاف
 في هذه الغاية نكتة وهي انه تعالى جعل عدم الاستجابة مغيا بيوم القيامة فاشعرت
 الغاية بانتفاء الاستجابة في يوم القيامة على وجه أبلغ وأتم وأوضح وضوحاً لحقه بالبين
 الذي لا يتعرض لذكره اذ هناك تجدد العداوة والمباينة بينها وبين عابديها (وهم عن

والسلام وامتناع إبليس من
 السجود له ومحاجته به في تفضيله
 عليه فأما الحديث الذي رواه الامام
 أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد
 مولى بني هاشم حدثنا جهضم
 اليماني عن يحيى بن أبي كثير عن
 زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن
 عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن
 يخامر عن معاذ رضي الله عنه قال
 احتبس علينا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ذات غداة عن صلاة

دعاهم عافلون) الضمير الاول للاصنام والثاني لها بديها والمعنى الاصنام التي يدعونها
عافلون عن ذلك لا يسمعون ولا يعقلون لكونهم جادات فالغفلة تجاز عن عدم الفهم فيهم
والجمع في الضميرين باعتبار معنى من وأجرى على الاصنام ما هو للعقل لاعتقاد المشركين
فيها انها تعقل (واذا حشر الناس) العابدون للاصنام (كانوا) اي كان الاصنام لهم
أي لعابديهم (أعداء) تبرا بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا وقد قيل ان الله يخلق
الحيمة في الاصنام فتكذبهم وقيل المراد انها تكذبهم وتعاددهم بلسان الحال لا بلسان
المقال وأما الملائكة والمسج وعزير والشياطين فانهم يتبرون من عبدهم يوم القيامة كافي
قوله تعالى تبرا نالذما كانوا ايانا يعبدون (وكانوا بعبادتهم - كافرين) أي كان
المعبودون بعبادة المشركين اياهم جاحدين مكذبين وقيل الضمير في كانوا للعابدين كافي
قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاول اولى (واذا أتى عليهم آياتنا) اي آيات القرآن - حال
كونها (بينات) واضحات المعاني ظاهرات الدلالات (قال الذين كفروا للحق) أي لاجله
وقضائه وهو عبارة عن الآيات كما قاله القاضي كالكشاف واليه أشار في التقرير
ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق
وعليهم - بم الكفر والانهمالك في الضلالة كما يؤخذ ذلك من تقريره وايضا حده انه هنا أقام
ظاهرين مقام مضميرين اذ الاصل قالوا لها اي للآيات ولكنه أبرزهما ظاهرين لاجل
الوصفين المذكورين فاده الكرخي (لساجدهم) أي وقت أن جاءهم قالوا من غير نظر
وتأمل (هذا سحر مبين) أي ظاهر السحرية بين البطلان (أم يقولون افتراه) أم هي
المنقطعة المقدرة بسبل والهزيمة أي بل أي يقولون والاستفهام للانكار والتعجب من
صنيعهم وبل للانتقال عن تسميتهم الآيات سحر الى قولهم ان رسول الله افتري ما جاء به
والظاهر ان الافتراء على الله اشنع من السحر لا يحتاج الى البيان وان كان كلاهما كثيرا
وفي ذلك من التوبيخ والتقرير مع ما لا يخفى ثم أمره الله سبحانه ان يجيب عنهم فقال (قل
ان افتريته) على سبيل الفرض والتقدير كأن دعون (فلا تعلمون لي من الله شيئا) أي فلا
تقدرون على ان تردوا عن عقاب الله فكيف أفترى على الله لاجلكم وأنتم لا تقدررون
على دفع عقابه عنى (هو اعلم بما تفيضون فيه) أي تخوضون فيه من التكذيب
والافاضة في الشئ الخوض والاندفاع فيه يقال أفاضوا في الحديث أي اندفعوا فيه
وأفاض البعير اذا دفع جرتبه من كرشه والمعنى الله أعلم بما تقولون في القرآن وتخوضون
فيه من التكذيب والقول بانه سحر وكهانة (كفى به شهيدا بيني وبينكم) فانه يشهد لي
بان القرآن من عنده وانى قد بلغتكم و يشهد عليكم بالتكذيب والخطود وفي هذا وعيد
شديد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) لمن تاب وأمن وصدق بالقرآن وعمل بما فيه أي
كثير الرجة والمغفرة بليغهما وفيه اشعار بحلم الله عنهم مع عظيم جرمهم (قل ما كنت
بدعا من الرسل) البدع من كل شئ المبدأ أي ما أنا بأول رسول كذا قال ابن عباس يعني قد
بعث الله قبلي كثيرا من الرسل وقيل البدع بمعنى البدع كالحلف والخفيف والبدع مالم

الصبح حتى كذنا تراهى قرن الشمس
نخرج صلى الله عليه وسلم سر يعا
فتؤب بالصلاة فصلى ويجوز في صلته
فلم سلم قال صلى الله عليه وسلم كما
أتم ثم أقبل اليها فقال انى وقت من
الليل فصلت ما قدر لي فنعنت
في صلاتي حتى استمطت فاذا أنا
بربي عز وجل فى أحسن صورة
فقال يا محمد أتدرى فيم يختصم الملا
الاعلى قلت لا أدري يا رب اعادها
ثلاثا فأرأته وضع كفه بين كفتي حتى

ير له مثل من الابتداء وهو الاختراع وشيء بدع بالكسراى مبتدع وفلان بدع في هذا الامر أى بديع كذا قال الاخفش وقرئ بدعا بفتح الدال مصدر ا على تقدير حذف مضاف أى ما كنت ذا بدع قاله أبو البقاء وقرئ بفتح الباء وكسر الدال على الوصف كحذر (وما أدري ما يفعل بي) فيما يستقبل من الزمان هل أبقي في مكة أو أخرج منها وهل أموت أو أقتل كما فعل بالانبياء قبل قرئ يفعل مبنيا للمفعول وللفاعل وما استنهامة كما جرى عليه المحنى أو موصولة كما قال الزمخشري (ولا) أدري ما يفعل (بكم) يعنى هل تعجل لكم العقوبة كالذين قبلكم أم تهلون وهذا الغما هو في الدنيا وما في الآخرة فقد علم انه وأمته في الجنة وان الكافرين في النار وقيل ان المعنى ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة وانها المنزلة قدح المشركون وقالوا كيف تتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا فنزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والاولى قال ابن عباس رضى الله عنه فأنزل الله تعالى بعد هذا يغفر لك الله الخ وقوله ليس دخل المؤمنين والمؤمنات جنات الآية فاعلم الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما يفعل به وبالمؤمنين جميعا وأرغم الله أنف الكفار وأخرج ابوداود في ناصحة ان هذه الآية منسوخة بقوله ليغفر لك الله وقد ثبت في صحيح البخارى وغيره من حديث أم العلاء قالت لما مات عثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنه قلت رحمتك الله يا أبا السائب ثم ادنى عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يدريك ان الله أكرمهم ا ما هو فقد جاءه اليقين من ربه وانى لا رجوه الخير وما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم قالت أم العلاء فوالله لأزكى بعده أحدا (ان أتبع الامايوحى الى) قرأ الجهور ومينيا للمفعول أى ما أتبع القرآن ولا ابتدع من عندى شيئا والمعنى قصر افعاله صلى الله عليه وآله وسلم على الوسى لا قصر اتباعه على الوسى (وما أنا الا نذير مبين) أى أنذركم عقاب الله واخوفكم عذابه على وجه الايضاح (قل أرأيتم) أى أخبروني ماذا حالكم (ان كان) ما يوحى الى من القرآن (من عند الله) وقيل المراد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ان كان مرسل من عند الله في الحقيقة (و) الحال انكم قد (كفرتم به وشهدوا شاهدكم من بنى اسرائيل) العالمين بما أنزل الله في التوراة (على مثله فآمن) أى على مثل القرآن من المعانى الموجودة في التوراة المطابقة له من اثبات التوحيد والبعث والنشور وغير ذلك وهذه المثلية هي باعتبار نطابق المعانى وان اختلفت الالفاظ قال الجرجاني مثل صلة والمعنى وشهدوا شاهد عليه انه من عند الله وكذا قال الواحدى فآمن الشاهد بالقرآن لما تبين له انه من كلام الله ومن جنس ما ينزله على رسله وهذا الشاهد من بنى اسرائيل هو عبد الله بن سلام كما قال الحسن ومجاهد وقتادة وعكرمة وغيرهم وفي هذا نظر فان السورة مكية بالاجماع وعبد الله بن سلام كان اسلامه بعد الهجرة فيكون المراد بالشاهد رجلا من أهل الكتاب قد آمن بالقرآن في مكة وصدقه واختار هذا ابن جرير والراجح انه عبد الله ابن سلام وان هذه الآية مقدمة لامكية وروى عن مسروق ان المراد بالرجل موسى عليه

وجدت برداً نام له بين صدرى فقطبي
 لى كل شئ وعرفت فقال يا محمد قد
 يتحصم المسلا الاعلى قلت فى
 الكنتارات قال وما الكفارات
 قلت فقيل الاقدام الى الجماعات
 والجلوس فى المساجد بعد الصلوات
 واسباغ الوضوء عند الكرميات
 قال وما للدرجات قلت اطعام الطعام
 ولين الكلام والصلوة والناس ينام

السلام وشهادته ما في التوراة من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرج البخاري
 ومسلم وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 يقول لأحد عشي على وجه الأرض انه من أهل الجنة الا عبد الله بن سلام وفيه نزلات
 وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله وأخرج الترمذي وابن جرير وابن مردويه
 عن عبد الله بن سلام قال نزل في آيات من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد من بني اسرائيل
 ونزل في قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وعن ابن عباس قال هو
 عبد الله بن سلام وقدرى نحو هذا عن جماعة من التابعين وفيه دليل على أن هذه الآية
 مدنية فيخصص بها عموم قولهم ان سورة الاحقاف كلها مكية واية ذكر الكواشي
 وكونه اخبارا قبل الوقوع خلاف الظاهر ولذا قيل لم يذهب أحد الى أن الآية مكية اذا
 فسر الشاهد بابن سلام وفيه بحث لان قوله وشهد شاهد معطوف على الشرط الذي بصير
 به الماضي مستقبلا فلا ضرر في شهادة الشاهد بعد نزولها وادعاء أنه لم يقل به أحد من
 السلف مع ذكره في شروح الكشاف لا وجه له الا أن يراد من السلف المقسرون قاله
 الشهاب (واستكبرتم) أي آمن الشاهد واستكبرتم أنتم عن الايمان وقد اختلف في
 جواب الشرط ما هو فقال الزجاج محذوف تقديره أتؤمنون وقيل تقديره فقد ظلمتم
 لدلالة ان الله لا يهدي الخ عليه وقيل تقديره فنأضل منكم وقيل قوله فآمن واستكبرتم
 وقال أبو علي الفارسي تقديره أتؤمنون عقوبة الله وقيل التقدير أستم ظالمين (ان الله
 لا يهدي القوم الظالمين) فخرهم الله سبحانه الهداية بظلمهم لانفسهم بالكفر بعد قيام
 الحجية الظاهرة على وجوب الايمان ومن فقد هداية الله لضل عن عوف بن مالك الأشجعي
 قال انطلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود يوم عيدهم
 فكروا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود أروني اثني
 عشر رجلا منكم يشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله يحيط الله عن كل يهودي
 تحت أديم السماء الغضب الذي عليه فسكنوا فجاابهم منهم أحد ثم رد عليهم فلم يجبه أحد
 ثلاثا فقال أيتم فوالله لانا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفي آمنتم أو كذبتم ثم انصرف وأنا
 معه حتى كدنا أن نخرج فاذا رجل من خلفه فقال كما أنت يا محمد فا قبل فقال ذلك الرجل
 أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود فقالوا والله ما نعلم فينا رجلا أعلم بكتاب الله ولا أفضه
 منك ولا من أباك ولا من جدك فقال فاني أشهد بالله أنه النبي الذي تجذونه توباني
 التوراة والانجيل قالوا كذبت ثم ردوا عليه وقالوا شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
 وسلم كذبتم لن يقبل منكم قولكم فخرنا ونحن ثلاثه رسول الله وأنا وابن سلام فانزل
 الله قل أرايتم ان كان من عند الله الى قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين أخرجه أبو يعلى
 وابن جرير والطبراني والحاكم وصححه وصححه السيوطي ثم ذكر الله سبحانه نوعا آخر من
 آقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به فقال (وقال الذين كفروا) أي
 كفار مكة (للذين آمنوا) أي لاجلهم وفي حقهم وقيل هي لام التبليغ (لو كان)
 ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن والنبوة (خيرا ما سبقونا اليه) فان معالي

قال سل قلت اللهم اني أسألك فعل
 الخبرات وترك المنكرات وحب
 المساكين وان تغفر لي وترحمني واذا
 أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون
 وأسألك حبيك وحب من يحبك
 وحب عمل يقربني الى حبيك وقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم انها
 حق فادرسوها وتعلموها فهو حديث
 المنام المشهور ومن جعله يقظة

الامور لانتهاها أي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعمنا منهم انهم
 المستحقون للسبق الى كل مكرمة وان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية وزل عنهم انها
 منوطة بكالات نفسانية ومالكات روحانية مبناهما الاعراض عن زخارف الدنيا الدينية
 والاقبال على الآخرة الكلية وان من فاز بها فقد حازها بجدافها ومن حرمة افعالها منها
 من خلاق ولم يعلموا ان الله سبحانه يختص برحسته من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء
 ويصطفى لدينه من يشاء عن قتادة قال قال ناس من المشركين نحن أعز ونحن ونحن فلو
 كان خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان فترأت هذه الآية وعن عون بن أي شداد قال
 كانت لعمر بن الخطاب آمة أسلت قبله يقال لها زينة وكان عمر يضربها على الاسلام وكان
 كفار قرشي يتولون لو كان خيرا ما سبقتنا اليه زينة فانزل الله في شأنهم اهده الآية وعن
 أسمة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بنو غفار وأسلم كانوا الكثيرين من
 الناس فتسبوا يقولون لو كان خيرا ما جعلهم الله أول الناس فيه (وادلهم بتدوايه) أي بالقرآن
 وقيل لعمر صلى الله عليه وآله وسلم وقيل بالايان (فسيقولون) غير مكتفين بنفي خيريته
 (هذا اذك قديم) جاوزوا نفي خيرة القرآن الى دعوى انه كذب قديم كما قالوا اساطير
 الاولين (ومن قبله كتاب موسى) قرأ الجهور بكسر الميم من من على انها حرف ج وهي
 مع مجرورها خبر مقدم وكتاب موسى مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب على الحال أو
 مستأنفة والكلام مسوق لرد قولهم هذا اذك قديم فان كونه قد تقدم القرآن كتاب موسى
 وهو التوراة وتوافق في أصول الشرائع يدل على انه حق ويقتضى بطلان قولهم وقرئ
 بفتح الميم على انها موصولة ونصب كتاب أي وآتيان من قبله كتاب موسى (اماما) أي يقتدى
 به في الدين (ورجة) من الله ان آمن به وهما منتصبان على الحال فانه الزجاج وغيره وقال
 الاخفش على القطع وقال أبو عبيدة أي جعلناه اماما ورجة (وهذا كتاب مصدق) يعني
 القرآن فانه مصدق لكتاب موسى الذي هو امام ورجة وغيره من كتب الله وقيل مصدق
 للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واتصاب (لسان اعربيا) على الحال الموطئة وصاحبها الضمير
 في مصدق العائد الى كتاب الله وجوز أبو البقاء أن يكون مفعولا لمصدق والاول أولى
 وقيل على حذف مضاف أي ذالسان عربي وهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل بلسان
 على اسقاط حرف الجر وهو ضعيف (لينذر الذين ظلموا) أي لينذر الكتاب أو لينذر الله
 وقيل الرسول والاول أولى قرأ الجهور بالتحسية وقرئ لتندربا الفوقية على ان فاعله النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم (وبشرى) في محل نصب عطفا على محل لتندربا لانه مفعول به قاله
 الزمخشري وتبعه أبو البقاء وتقديره للانداز والبشرى وقيل منصوب على المصدرية
 لفعل محذوف أي وبشرى بشرى وقال الزجاج الاجود أن يكون في محل رفع أي وهو
 بشرى وقيل انه معطوف على مصدق فهو في محل رفع وقوله (للمحسنين) متعلق
 ببشرى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة
 لعلم والاستقامة على الشريعة التي هي منتهى العلم وتم للدلالة على آخر رتبة العمل

فقد غلط وهو في السنن من طرق
 وهذا الحديث بعينه قد رواه
 الترمذي من حديث جهضم بن
 عبد الله اليمامي به وقال حسن
 صحيح وليس هذا الاختصاص هو
 الاختصاص المذكور في القرآن فان
 هذا قد فسر وأما الاختصاص الذي
 في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو
 قوله تعالى (ان قال ربك للملائكة

وتوقف اعتباره على التوحيد وقد تقدم تفسير هذا في سورة البقرة (فلا خوف عليهم) أي من حقوق مكروه في الآخرة والفاة زائدة في خبر الموصول لما فيه من معنى الشرط ولم تمنع من ذلك لمقام معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل وكان (ولا هم يحزنون) على فوات محبوب في الدنيا وان ذلك دائم مستمر (أولئك) الموصوفون بما ذكر (أصحاب الجنة) التي هي دار المؤمنين حال كونهم (خالدين فيها) وفي هذه الآية من الترهيب أمر عظيم فان نفى الخوف والحزن على الدوام والاستقرار في الجنة على الأبد مما لا تطلب الانفس سواء ولا تتشوق الأرواح إلى ما عداه (جزاء كما كانوا يعملون) أي يحزنون جزاء بسبب أعمالهم التي عملوها من الطاعات لله وترك معاصيه في الدنيا ولما كان رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما كما ورد به الحديث حدث الله تعالى عليه بقوله (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) قرأ الجمهور بضم الحاء وسكون السين وقرئ بفتحهما وقرئ أحسانا وقد تقدم في سورة العنكبوت ووصينا الإنسان بوالديه حسنا من غير اختلاف بين القراء وقد تقدم في سورة الانعام وسورة بني اسرائيل وبأولادهم أحسانا فاعل هذا هو وجه اختلاف القراء هنا وعلى جميعها افتتحة على المصدرية أي وصيناها أن يحسن اليها حسنا أو أحسانا وقيل يتضمن وصينا معنى الزمننا وقيل على أنه مفعول له والحسن خلاف القبح والاحسان خلاف الاساءة والتوصية الأمر (حمله أمه كرها ووضعته كرها) تعليل للتوصية المذكورة واقتصر في التعليل على الام لان حقهما أعظم ولذلك كان لهما ثلثا البر قاله الخطيب قرأ الجمهور كرها بضم الكاف في الموضعين وقرئ بفتحها قال الكسائي وهما الغتان بمعنى واحد قال أبو حاتم الكره بالفتح لا يحسن لانه الغضب والغلبة واختار أبو عبيد الفتح وقال لان لفظ الكره في القرآن كله بالفتح الا التي في سورة البقرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم وقيل ان الكره بالضم ما جعل الانسان على نفسه وبالفتح ما جعل على غيره وانما ذكر سبحانه جل الام ووضعها تارة كره ووضعته ذات كره ثم بين سبحانه مدة حمله وفضاله وصى الله به والمعنى انها حملته ذات كره ووضعته ذات كره ثم بين سبحانه مدة حمله وفضاله فقال (وحمله وفضاله ثلاثون شهرا) أي عدته ما هذه المدة من عند ابتداء حمله الى أن يفصل من الرضاع أي يفطم عنه وقد استدلت بهذه الآية على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع سنتان أي مدة الرضاع الكامل في قوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فذكر سبحانه في هذه الآية أقل مدة الحمل وأكبر مدة الرضاع وفي هذه الآية إشارة الى أن حق الام كدم من حق الاب لانها حملته بمشقة ووضعته بمشقة وأرضعته هذه المدة بتعب ونصب ولم يشاركها الاب في شيء من ذلك قرأ الجمهور فضاله بالالف وقرئ فضله بفتح الفاء وسكون الصاد والفصل والنصال بمعنى كالنظم والقطام والقطاف والقطاف عن نافع بن جبيرة بن عباس أن أخبره قال اني لصاحب المرأة التي أتى بها عمر وضعت لسته أشهر فأنكر الناس ذلك فقلت لعمر لم تظلم قال كيف قلت اقرأ وحمله وفضاله ثلاثون شهرا والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين كم الحول قال بسنة قلت كم السنة

اني خالق بشر من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم

قال اثنا عشر شهرا قلت فأربعة وعشرون شهرا حولان كاملان ويؤخر الله من الحمل
 ماشاء ويقدم ماشاء فاستراح عمر الى قولي وعنه انه كان يقول اذا ولدت المرأة لتسعة أشهر
 كفاها من الرضاع أحد وعشرون شهرا واذا ولدت لسبعة أشهر كفاها من الرضاع ثلاثة
 وعشرون شهرا واذا وضعت لسته أشهر فحولان كاملان لان الله يقول وحمله وفصاله
 ثلاثون شهرا (حتى اذا بلغ اشده) أي بلغ استحكام قوته وعقله وغاية شبابه واستوائه وهو
 جمع لا واحد له من لفظه وكان سيبويه يقول واحد: شدة وبلوغ الاشدان يكتمل ويستوفي
 السن التي تستحكم فيها قوته ولبه وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وقدمضى
 تحقيق الاشد مستوفي ولا بد من تقدير جملته تكون حتى غاية لها أي عاش واستمرت حياته
 وقيل بلغ عمره ثمانى عشرة سنة وقيل الاشد الحلم قاله الشعبي وابن زيد وقال الحسن
 وهو بلوغ الاربعين والاول اولى لقوله (وبلغ اربعين سنة) فان هذا يفيد ان بلوغ الاربعين
 هوشى وورا بلوغ الاشد قال المنسرون لم يعث الله نبيا قط الا بعد اربعين سنة الا بى
 الخالة (قال رب أوزعنى) أي ألهمنى ورغبى ووفقى قال الجوهرى استوزعت الله
 فأوزعنى أي استلهمته فألهمنى (أن أشكر نعمتك التي أنعمت على) أي ألهمنى شكر
 ما أنعمت على من الهداية (وعلى والدي) من التحن على منهما حين ربياني صغيرا وقيل
 أنعمت على بالصحة والعافية وعلى والدي بالغبى والثروة (وأن أعمل) عملا صالحا (ترضاه) منى
 (وأصلح لى فى ذريتي) أي اجعل ذريتي صالحين راسخين فى الصلاح متمكنين منه وعدى بنى
 لتضمنه معنى اللطف أو هو نزل منزلة اللازم ثم عدى ليفيد سران الصلاح فيهم والا
 فالاصلاح متعدد كما فى قوله تعالى وأصلحنا له زوجه وفى هذه الآية دليل على انه ينبغي لمن
 بلغ عمره اربعين سنة ان يستكثر من هذه الدعوات (انى تبت اليك) من ذنوبى (وانى من
 المسلمين) أي المسلمون لك المنقادين لطاعتك المخلصين لتوحيدك (أولئك) اشارة الى
 الانسان المذكور والجمع لانه يراد به الجنس (الذين تقبل عنهم احسن ما عملوا) من أعمال
 الخير فى الدنيا والمراد بالاحسن الحسن كقوله واتبعوا احسن ما أنزل اليكم فالقبول ليس
 قاصرا على أفضل عبادتهم وأحسنها بل يعنى كل طاعاتهم فاضلها ومفضولها والقبول هو
 الرضا بالعمل والالاباة عليه وقيل ان اسم التفضيل على معناه ويراد به ما يناب العبد عليه
 من الاعمال لا ما لا يناب عليه كالمباح فانه حسن وليس بأحسن (وتجاوز عن سيئاتهم)
 فلان عاقبتهم عليها اقرا الجمهور يتقبل ويتجاوز على بناء الفعلين للمفعول وقرئ بالنون
 فيهما على اسنادهما الى الله سبحانه والتجاوز الغفران وأصله من جرت الشئ اذا لم تقف
 عليه (فى اصحاب الجنة) أي انهم كاندون فى عدادهم منتظمون فى سلكهم فالجار والمجرور
 فى محل نصب على الحال كقولك أكرمى الامير فى أصحابه أي كائناتى جلتهم وقيل ان
 فى بمعنى مع أي مع اصحاب الجنة وقيل انها خبر مبتدأ محذوف أي هم فى اصحاب الجنة
 (وعد الصدق) مصدر مؤ كد مضمون الجملة السابقة لان قوله أولئك الذين تقبل عنهم فى
 معنى الوعد بالقبول والتجاوز ويجوز ان يكون مصدر الفعل محذوف أي ووعدهم الله

وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال
 رب فانظرنى الى يوم يعثون قال
 فانك من المنظرين الى يوم الوقت
 المعلوم قال فبعضنك لا غوينهم
 أجمعين الاعبادك منهم المخلصين
 قال فالحق والحق اقول لاملائك
 جهنم منك وعن تبعك منهم اجمعين
 هذه القصة ذكرها الله تبارك
 وتعالى فى سورة البقرة وفى اول سورة

وعد الصدق (الذي كانوا يعدون) به على ألسن الرسل في الدنيا عن ابن عباس قال أنزلت
 هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فاستجاب الله له فأسلم والده جميعا
 واخوانه وولده كلهم ونزلت فيه أيضا فأمن أعطي واتقى إلى آخر السورة وقال النبي
 قيل نزلت في أبي بكر الصديق وفي آية أي تخافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه
 فيهم فإنه آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن عثمان وثلاثين سنة ودعا لهما وهو ابن
 أربعين سنة ولم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو والده وبنيه
 وبناؤه غير أبي بكر رضي الله تعالى عنه ولما ذكر سبحانه من شكر نعمة الله سبحانه عليه
 وعلى والده ذكر من قال لهما قولاً يدل على التضجر منهم ما عند دعوتهم إلى الإيمان
 فقال (والذي قال لوالديه أف لك) الموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولهذا
 أخبر عنه بالجمع وفي كلمة تصدر عن قائلها عند تضجره من شيء يرد عليه قرئ أف بكسر
 الفاء مع التنوين وقرئ بفتحها من غير تنوين وقرئ بكسرهما من غير تنوين فالقراءات
 ثلاث سبعة والهمزة في الكل مضمومة وقد مضى بيان الكلام على هذا في سورة بني
 إسرائيل واللام في لك البيان المؤقف له كما في قوله هيت لك وقد أخرج البخاري عن
 يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان فخطب فجعل
 يذكر يزيد بن معاوية عليه ما عليه لكي يبايع له بعد أبيه فقال عبد الرحمن بن أبي بكر شياً
 فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدر وأعليه فقال مروان ان هذا أنزل فيه والذي قال
 لوالديه أف لك فقالت عائشة ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري وعن
 محمد بن زياد قال لما بايع معاوية لابنه قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى
 عنهم فقال عبد الرحمن سنة هرقل وقيصر فقال مروان هذا الذي قال الله فيه والذي قال
 لوالديه أف لك الآية فبلغ ذلك عائشة فقالت كذب مروان والله ما هو به ولو شئت ان
 أسمي الذي نزلت فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن أبامروان
 ومروان في صلبه فمروان من لعنه الله أخرجه النسائي وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم
 وصححه وعن ابن عباس في الآية قال هذا ابن لابي بكر ونحوه عن السدي ولا يصح
 هذا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى أوائل الذين حق عليهم القول في أمم والصحيح انه ليس
 المراد من الآية شخصاً معيناً بل المراد كل شخص كان موصوفاً بهذه الصفة وهو كل من
 دعاه أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث فأبى وأتكر وقيل نزلت في كل كافر عاق
 لوالديه (أتعدانني) نونين مخفضتين وفتح ياء أهل المدينة ومكة وأسكنهم الباقون وقرئ
 بإدغام إحدى النونين في الأخرى وقرئ بفتح النون الأولى فرار من نونين
 مكسورين (أن أخرج) قرأ الجمهور مبنياً للمفعول وقرئ مبنياً للفاعل والمعنى أتعدانني
 ان أبعث بعد الموت وهذا هو الموعود به (وقد خلت القرون من قبلي) أي والحال ان قد
 مضت القرون فما أتوا ولم يعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) له توپطلبان منه التوفيق
 إلى الإيمان واستغاثت يعدي بنفسه تارة وبالباخرة يقال استغاث الله واستغاث به

الاعراف وفي سورة الحجر وسبحان
 والكهف وههنا وهي ان الله سبحانه
 وتعالى اعلم الملائكة قبل خلق آدم
 عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق
 بشر من صلصال من جامسنتون
 وتقدم اليهم بالامر متى فرغ من
 خلقه وتوحيته فليسجدوا له اكراما
 واعظاما واحتراما وامثال الامر
 الله عز وجل فامتثل الملائكة

وقال الرازي معناه يستغيثان بالله من كفره فلما حذف الجار وصل الفعل وقيل
 الاستغاثه الدعاء فلا حاجة الى الباء وزعم ابن مالك انه يتعدى بنفسه فقط وعاب قول
 النحاة مستغاث به قلت لكنه لم يرد في القرآن الا معتديا بنفسه اذ تستغيثون ربكم
 فاستغاثه الذي من شيعته وان يستغيثوا يغاثوا قال الفراء يقال اجاب الله دعاءه
 وغواثه (ويك) اي يقولان له ويك وليس المراد به الدعاء عليه بل الخث له على الايمان
 ولهذا قاله (آمن) بالبعث واعترف وصدق (ان وعد الله حق) قرأ الجمهور بكسر الهمزة على
 الاستثناف والتعليل وقرئ بفتحها أي آمن بان وعد الله حق لا خلف فيه وهو من جملة
 مقولها ما (فيقول) عند ذلك مكذب لما قاله (ما هذا) الذي تقولانه من البعث (الأساطير
 الأولين) أي احاديثهم وابطالهم التي بسطرونها في الكتب من غير ان تكون لها حقيقة
 (اولئك) القائلون هذه المقالات هم (الذين حق عليهم القول) اي وجب عليهم العذاب
 بقوله سبحانه لا بليس لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين كما يفيد قوله (في امم
 قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وجملة (انهم كانوا احاسرين) تعليل لما قبلها وهذا
 يدفع كون سبب النزول عبد الرحمن بن ابي بكر وانه الذي قال لوالديه ما قال فانه من افاضل
 المؤمنين وليس ممن حقت عليه كلمة العذاب (ولكل) اي لكل فريق من الفريقين
 المؤمنين والكافرين والابرار والفجار من الجن والانس (درجات مما عملوا) أي مراتب
 عند الله يوم القيامة بأعمالهم قال ابن زيد درجات أهل النار تذهب سفلا ودرجات أهل
 الجنة تذهب علوا ومراتب أهل النار يقال لها درجات الكاف كما في الحديث لا درجات
 والجواب ان ذلك على جهة التغليب والمراد المراتب مطلقا (وليوفيمهم اعمالهم) أي جزاء
 أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات
 والعقاب درجات قرأ الجمهور بالنون وقرئ بالضم والاختار أبو عبيد الاولي وأبو حاتم
 الثانية (وهم لا يظلمون) أي لا يزداد مسيء ولا ينقص محسن بل يوفي كل فريق ما يستحقه من
 خير وشر والجملة طالبة مؤكدة أو مستأنفة مقررة لما قبلها (ويوم يعرض الذين كفروا على
 النار) أي اذ كرلهم يا محمد يوم ينكشف الغطاء فينظرون الى النار ويقربون منها وقيل
 معنى يعرضون يعذبون من قولهم عرضه على السيف وعرض الشخص على النار أشد في
 اهائه من عرض النار عليه اذ عرضه عليهم فيمده انه كالخطب المخلوق للاحتراق وقيل في
 الكلام قلب والمعنى تعرض النار عليهم (أذهبتم طبيباتكم في حياتكم الدنيا) أي يقال لهم
 ذلك قرأ الجمهور أذهبتم بهمزة واحدة وقرئ بهمزتين محقتين ومعنى الاستفهام
 التقريع والتوبيخ قال الفراء والزجاج العرب توبخ بالاستفهام وبغيره فالتوبيخ كائن
 على القرائتين قال السكبي المراد بالطيبات اللذات وما كانوا فيه من المعاش والمعنى
 ان كل ما قدر لكم من اللذات والطيبات فقد ذهبتم به وأخذتموه وتمتعتم به فلم يبق لكم بعد
 استيفاء حظكم منها شيء وقيل المعنى أفنيتم شبابكم في الكفر والمعاصي قال ابن حجر
 الطيبات الشباب والقوة مأخوذة من قولهم ذهب أطيباه أي شبابه وقوته قال الماوردي

كلهم ذلك سوى ابليس ولم يكن منهم
 جنسا كان من الجن فخانه طبعه
 وجملته أحوج مما كان اليه فاستكف
 عن السجود لا دم وخاصم ربه عز
 وجل فيه وادعى انه خير من آدم فانه
 مخلوق من نار وادم خلق من طين
 والنار خير من الطين في زعمه وقد
 أخطأ في ذلك وخالف امر الله تعالى
 وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل

ووجدت الضحالك قاله أيضا قلت القول الاول أظهر والثاني فيه بعد (واستمعتم بها) أي
 بالطيبات والمعنى انهم اتبعوا الشهوات واللذات التي في معاصي الله سبحانه ولم يبالوا بالذنب
 تكذيبا منهم لما جاءت به الرسل من الوعد بالحساب والعقاب والثواب (فاليوم تجزون
 عذاب الهون) أي العذاب الذي فيه ذلكم ونزى عليكم قال مجاهد وقتادة الهون
 الهوان بلغة قريش (بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق) أي بسبب تكبركم عن
 عبادة الله والايان به وتوحيدِه (وبما كنتم تفسقون) أي تخرجون عن طاعة الله
 وتعملون بمعاصيه فجعل السبب في عذابهم أمرين التكبر عن اتباع الحق والعمل بمعاصي
 الله سبحانه وهذا شأن الكفرة فانهم جمعوا بينهما قيل لما وضح الله تعالى الكافرين بالتمتع
 بالطيبات أثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه والصالحون من بعدهم اجتناب
 اللذات في الدنيا رجا ثواب الآخرة وفي الباب أخبار وآثار تدل على ذم التمتع (واذكر
 يا محمد لقومك (أخعاد) هو هود بن عبد الله بن رياح كان أخاهم في النسب لافي الدين (اذأندر
 قومه) أي وقت انذاره اياهم (بالاحقاف) هي ديار عا د جمع حقف وهو الرمل العظيم
 المستطيل المعوج قاله الخليل وغيره وكانوا قهروا أهل الارض بقوتهم والمعنى ان الله
 سبحانه أمره ان يذكر لقومه قصتهم ليتعظوا ويخافوا ويعتبروا بها وقيل أمره ان يذكر
 في نفسه قصتهم مع هود ليقصدى به ويهون عليه تكذيب قومه له قال عطاء الاحقاف
 رمال بلاد الشحر والشحر قريش من عدن وفي القاموس الشحر كنع فتح القوم وساحل
 البحرين عمان وعدن وقال مقاتل هي بالين في حضرموت وقال ابن زيد هي رمال
 مبسوطة مستطيلة مشرفة على البحر كهيئة الجبال ولم تبلغ أن تكون جبالا وقيل
 الاحقاف ما استدار من الرمل وقال ابن عباس الاحقاف جبل بالشام وقيل واديين
 عمان ومهرة واليه تنسب الابل المهرية وقيل كانوا من قبيلة ارم (وقد خلت النذر من
 بين يديه ومن خلفه) أي وقد مضت الرسل من قبله ومن بعده كذا قال الفراء وغيره والمعنى
 أعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيعثون بعده كلهم منذرون فحو انذاره فالذين
 قبله أربعة آدم وشيث وادريس ونوح والذين بعده كصالح و ابراهيم واسماعيل واسحق وكذا
 سائر انبياء بنى اسرائيل (أن) أي بان قال (لا تعبدوا الا الله) وحده (اني أخاف عليكم)
 تلعيل لما قبله (عذاب يوم عظيم) أي هائل بسبب شرككم قاله القاضي وفيه اشارة الى أن
 عظيم مجاز عن هائل لانه يلزم العظم (قالوا) أي جوابا لانذاره (أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا)
 أي لتصرفنا عن عبادتها وقيل لتزيلنا وقيل لتمنعنا والمعنى مقارب (فأتيناها تعذنا)
 من عذاب يوم عظيم (ان كنت من الصادقين) في وعدك لنا به (قال انما العلم) بوقت مجيئه
 (عند الله) لا عندى ولا مدخل لي فيه فاستعجل به (وأبلغكم) أي وأما انافنا وظيفتى
 التبليغ (ما ارسلت به) اليكم من ربكم من الانذار والاعدار الا الايتان بالعذاب اذ ليس
 من مقدورى بل هو من مقدورات الله تعالى (ولكنى أراكم قوما تتجهلون) حيث بقيتم
 مصرين على كفركم ولم تهتدوا بما جئتمكم به بل اقترحتم على ما ليس من وظائف الرسل

وارغم انفه وطرده عن باب رحمة
 ومحل انسه وحضرة قدسه وسماه
 ايليم اعلامه بانه قد ابلس من
 الرحمة وانزله من السماء مذموما
 مدحورا الى الارض فسأل الله النظرة
 الى يوم البعث فانظره الخليم الذى
 لا يجمل على من عصاه فلما أمن
 الهلاك الى يوم القيمة تترد وطغى وقال
 فبعزتك لأغوينهم اجمعين الاعبادك

(فلما رأوه) الضمير يرجع الى ما في قوله بما تعدنا وقال المبرد والزجاج يعود الى غير مذكور
 وبينه قوله (عارضاً) فيعود الى السحاب أي فلما رأوا السحاب عارضاً فعارضاً نصب على
 التكرير بمعنى التفسير ويسمى السحاب عارضاً لانه يبدو في عرض السماء قال ابن عباس
 العارض السحاب وبه قال الجوهري وزاد يعترض في الافق ومنه قوله هذا عارض
 مطرنا واتصاب عارضاً على الحال أو التمييز (مستقبل أو ديتهم) أي متوجها نحوها سائرا
 اليها قال المفسرون كانت عاد قد حبس عنهم المطر أي ما فساق الله اليهم سحابة سوداء
 فخرجت عليهم من وادلهم يقال له المعتب فلما رأوه مستقبلاً أو ديتهم استبشروا و (قالوا)
 هذا عارض مطرنا) أي غيم فيه مطر وقوله مستقبل أو ديتهم صفة عارض لان اضافته
 لفظية لا معنوية فصح وصف النكرة به وهكذا مطرنا فلما قالوا ذلك أوجب عليهم هود
 أو القائل هو الله (بل هو ما استجلمت به) من العذاب حيث قلتم فالتباج ما تعدنا (ريح فيها
 عذاب أليم) الريح التي عذبوا بها نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه (تدمر كل شئ بأمر
 ربها) صفة ثانية لريح أي تهلك كل شئ مرت به من نفوس عاد وأموالها والتدمير الاهلاك
 وكذا الدمار وقرئ يدمر بالتحية مفتوحة وسكون الدال وضم الميم ورفع كل على
 الناعلية من دمر دماراً ومعنى بأمر ربها ان ذلك بقضائه وقدره اخرج البخاري ومسلم
 وغيرهما عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستجماً ماضحاً
 حتى أرى منه لهواته انما كان يتسم وكان اذا رأى غيماً أو رجحاً عرف ذلك في وجهه قلت
 يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا ان يكون فيه المطر وأراك اذا رأيت غيماً عرفته
 في وجهك الكراهية قال يا عائشة وما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح
 وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض مطرنا وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وابن
 ماجه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا عصفت الريح قال
 اللهم اني اسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها
 وشر ما أرسلت به فاذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا مطرت سرتي
 عنه فسأله فقال لأدري لعله كما قال قوم عاد هذا عارض مطرنا (فأصبوا الايري الا
 مساكنهم) بعد خراب أموالهم وذهاب أنفسهم قرأ الجمهور بالنون والياء على الخطاب لمجد
 صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يصلح للرؤية ونصب مساكنهم وقرئ بالتحية مبني
 للمفعول ورفع مساكنهم قال سيبويه معناه لا يرى اشخاصهم الا مساكنهم وقال
 الكسائي والزجاج معناها لا يرى شئ الا مساكنهم فهي محمولة على المعنى كما تقول ما قام
 الاهدأ أي ما قام أحد الاهدأ وفي الكلام حذف والتقدير فجاءتهم الريح فدمرتهم
 فأصبوا الخ قال ابن عباس في الآية أول ما عرفوا انه عذاب رأوا ما كان خارجاً من
 رحالهم ومواسيهم يطير بين السماء والارض مثل الريش دخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم
 فجاءت الريح ففتحت أبوابهم ومالت عليهم بالرميل فكانوا تحت الرميل سبع ليال وثمانية
 أيام حسوا لهم أين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرميل وطرحتهم في البحر فهو قوله

منهم المخلصين كما قال عز وجل أرأيتك
 هذا الذي كرمت على لئن أخرتني الى
 يوم القيامة لأحسبن ذريته الا
 قليلاً وهو لاهم المستنون في الآية
 الاخرى وهي قوله تعالى ان عبادي
 ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك
 وكيلاً وقوله تبارك وتعالى قال
 فالحق والحق أقول لا ملأن جهنم
 منك ومن تبعك منهم أجمعين قرأ
 ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق
 الاول وفسره مجاهد بأن معناه انا

فأصبحوا الآية وعنه قال ما أرسل الله على عاد من الريح الا قدر خاتمي هذا (كذلك)
الجزء (نجزي القوم المجرمين) قد تقدم تفسير هذه القصة في سورة الاعراف (ولقد مكناهم
فيما ان مكناكم فيه) قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذي وان بمنزلة ما النافية وتقديره
ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من كثرة المال وطول العمر وقوة الابدان وقيل ان
زائدة أى ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وبه قال القتيبي والاول أولى لأنه أبلغ في التوبيخ
لكنه اقربش وأمثالهم قال ابن عباس يقول لم تكفكم وعنه قال عاد مكنا في الارض
أفضل مما مكنت فيه هذه الامة وكانوا أشد قوة وأكثر أموالاً وأطول أعماراً (وجعلنا
لهم سمعاً وابصاراً وقلوباً) اي انهم اعرضوا عن قبول الحجية والتذكرة مع ما اعطاهم الله من
الحواس وآلات الفهم التي به تدرك الأدلة ولهذا قال (فأغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا أفئدتهم من شيء) اي فأنعمهم ما أعطاهم الله من ذلك حيث لم يتصلوا به الى التوحيد
واعتماد صحة الوجود والوعيد ووجد السمع لانه لا يدرك به الا الصوت وما يتبعه بخلاف
البصر حيث يدرك به اشياء كثيرة بعضها بالذات وبعضها بالواسطة والنفوس ادراك كل
شيء قاله الكرخي وقد قدمنا من الكلام على افراد السمع وجمع البصر ما يغني عن الاعادة
ومن في من شيء زائدة والتقدير فما أغنى عنهم شيأ من الاغناء ولا نفعهم بوجه من وجوه
الرفع (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) اي لانهم كانوا جا حدين (وحاق بهم ما كانوا به
يستترزون) اي احاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستنزاه حيث قالوا فانتنا
بما تعدنا (ولقد أهلناكم ما حولكم من القرى) الخطاب لاهل مكة والمراد بالقرى قرى قوم
ثمود وهي الجرو وسدوم قرى قوم لوط بالشام ونحوهما مما كان مجاورا للبلاد الحجاز وكانت
اخبارهم متواترة عندهم (وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) اي بينا الحجج ونوعناها لكي
يرجعوا عن كفرهم فلم يرجعوا ثم ذكر سبحانه انه لم ينصرهم من عذاب الله ناصر فقال
(فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أي فهلا نصرهم آلهتهم التي تقربوا
به ابن عمهم الى الله لتشفع لهم حيث قالوا هوؤلا شفعاؤنا عند الله ومنعتمهم من الهلاك
الواقع بهم قال الكسائي القربان كل ما يتقرب به الى الله من طاعة ونسيكة والجمع قرابين
كالرهبان والراهبين وأحد ممنعوا على اتخذوا ضمير محذوف راجع الى الموصول والشأن
آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا منه عولا نانيا وآلهة بدلامنه لفساد المعنى وقيل
يصح ذلك ولا يفسد المعنى ورجحه ابن عطية وأبو البقاء وأبو حيان وأنكر ان يكون في المعنى
فساد على هذا الوجه (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عن نصرهم ولم يحضروا عند الحاجة اليهم
بالكلية وقيل بل هلكوا وقيل الضمير في ضلوا راجع الى الكفار أي تركوا الاصنام
وتبرؤا منها والاول أولى (وذلك افكهم) أي ذلك الضلال والضياع أثر افكهم الذي هو
اتخاذهم اياها آلهة وزعمهم انها تقربهم الى الله قرأ الجهور افكهم بكسر الهمزة وسكون
الفاء مصدر افك يأفك بأفك افكأى كذبهم وقرئ افك بفتح الهمزة والفاء والكاف على أنه
فعل أي ذلك القول صرفهم عن التوحيد وقرئ بفتح الهمزة وتشديد الفاء أي صيرهم

الحق والحق أقول وفي روايته عنه
الحق منى وأقول الحق وقرأ آخرون
بصهم ما قال السدي هو قسم أقسم
الله به قلت وهذه الآية كقوله تعالى
ولكن حق القول منى لا مسلان
جهنم من الجنة والناس أجمعين
وكقوله عز وجل قال اذهب فن
تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء
موفورا (قل ما أسألكم عليه من
أجر وما أنا من المتكلمين ان هو
الاذ كر للعالمين ولتعلم نباء بعد

آفكين قال أبو حاتم يعني قلوبهم عما كانوا عليه من النعيم وقرئ بالمد وكسر الفاء بمعنى
 صار فهم (وما كانوا يفوتون) معطوف على أفكهم أي وأثر افتراءهم أو أثر الذي كانوا
 يفوتونه والمعنى وذلك أفكهم أي كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقر بهم إلى الله وتشنع
 لهم وما كانوا يكذبون انها آلهة ولما بين سبحانه ان في الانس من آمن وفيهم من كفر بين
 أيضا ان في الجن كذلك فقال (واذ صرفنا اليك نفر من الجن) أي اذ كراذوب جهنما اليك
 نفر منهم وبعثناهم اليك وأقبلنا بهم فحولك والنبردون العشرة (يستمعون القرآن) صفة
 ثانية لمنبرأ وحال لان النكرة قد تخصصت بالصفة الاولى عن ابن مسعود قال هبطوا يعني
 الجن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ القرآن يظن نخلة فلما سمعوه قالوا
 أنه متواتر قالوا صه و كانوا تسعة أجدهم زوبعة فأ نزل الله واذ صرفنا الي قوله ضلال
 مبين وعن الزبير قال اذ صرفنا اليك نفر من الجن بنخلة ورسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم يصلي العشاء الآخرة كادوا يكونون عليه لبادوا كانوا تسعة نفر من أهل
 نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رسلا إلى قومهم وعنه قال أتوه بيظن
 نخلة وعنه قال صرفت الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرتين وكانوا الشراف
 الجن بنصيبين وهي قرية من اليمن وجننها أشرف الجن وسادتهم وأخرج البخاري ومسلم
 وغيرهما عن مسروق قال سألت ابن مسعود من آذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجن
 ليلة استمعوا القرآن قال آذنتهم الشجرة وأخرج أحمد ومسلم والترمذي عن علقمة قال
 قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منكم أحد ليلة الجن قال
 ما صحبه منا أحد ولكننا فقدناه ذات ليلة فقلنا اغتيل استظير ما فعل قال فمئنا بشر ليلة
 بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح اذا نحن به يبجي من قبل حرا عفا خبرناه فقال انه أتاني
 داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وأخرج
 أحمد عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الجن وقد روى نحو هذا من
 طرق والجمع بين الروايات بالجل على قصتين وقعتا منه صلى الله عليه وآله وسلم مع الجن
 حضر احدهما ابن مسعود ولم يحضر في الاخرى وقد وردت احاديث كثيرة ان الجن
 بعد هذا وفدت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة بعد مرة وأخذوا عنه الشرائع
 وذكروا سليمان الجمل في سبب هذه الواقعة قولين من الخطيب والخازن لاجابة بنا الى
 ذكرهما فانهما ليسا من التفسير في شيء (فلما حضره) أي حضره القرآن عند تلاوته
 وقبل حضره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويكون في الكلام التناهي من الخطاب الى
 الغيبة والاولى (قالوا أنصتوا) أي اسكتوا أو امر بعضهم بعضا لاجل ان يسمعوا (فلما
 قضى) قرأ الجمهور مبني للمفعول أي فرغ من تلاوته وقرئ مبني للفاعل أي فرغ النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم من تلاوته والاولى تؤيد ان الضمير في حضره للقرآن والثانية
 تؤيد أنه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (ولوا إلى قومهم منذرين) أي انصرفوا قاصدين
 إلى من وراءهم من قومهم منذرين لهم عن مخالفة القرآن ومخذرين لهم واتصاب

حين) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء
 المشركين ما أسألكم على هذا
 البلاغ وهذا النصيح أجزأ عنونه
 من عرض الحياة الدنيا وما أتامن
 المتكلمين أي وما أزيد على ما أرسلني
 الله تعالى به ولا ابتغي زيادة عليه
 بل ما أمرت به أديته لأزيد عليه
 ولا أنقص منه وإنما ابتغي بذلك
 وجه الله عز وجل والدار الآخرة
 قال سفيان الثوري عن الأعمش
 ومنه ورع عن أبي الضحى عن مسروق

مذرين على الخصال المقدره أى مقدرين الانذار وهذا يدل على انهم آمنوا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا يهودا وقد أسلموا والخن لهم ملل مثل الانس فقيمهم اليهود والنصارى والجنوس وعبدة الاصنام وفي مسلمهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع قاله الخازن (قالوا يا قومنا) فى الكلام حذف والتقدير فوصلوا الى قومهم فقالوا يا قومنا (اناس معنا كتابا) أى قرآنا (أزول من بعد موسى مصداق الما بين يديه) أى لما قبله من الكتب المنزلة كالنوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وغيرها (يهدى الى الحق) أى الى الدين الحق أى العقائد الصحيحة (والى طريق مستقيم) أى الى طريق الله القويم أى الشرائع الشرعية والاحكام الدينية قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الجن والانس قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (يا قومنا أجيبيوا داعى الله وآمنوا به) يعنون محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو القرآن (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) أى بعضها وهو ما عدا حق العباد لانه لا يغفر الا برضا أصحابه وقيل ان من هنا ابتداء الغاية والمعنى انه يقع ابتداء الغفران من الذنوب ثم ينتهى الى غفران ترك ما هو الاولى وقيل هى زائد والاولى (ويجركم من عذاب أليم) وهو عذاب النار وفى هذه الآية دليل على ان حكم الجن حكم الانس فى الثواب والعقاب والتعبد بالامر والنواهي وقال الحسن ليس لمؤمنى الجن ثواب غير نجاتهم من النار وبه قال أبو حنيفة والاولى وبه قال مالك والشافعى وابن أبى ليلى وعلى القول الثانى فقال القائلون به انهم بعد نجاتهم من النار يقال لهم كونوا ترابا كما يقال للبهائم والاولى أرجح وقد قال الله تعالى فى مخاطبة الجن والانس ولن خاف مقام ربه خنتان فبأى آلام يكذبان فاستن الله سبحانه على الثقلين بان جعل جزاء محسنهم الجنة ولا ينفى هذا الاقتصار ههنا على ذكر اجازتهم من عذاب أليم ومما يؤيد هذا ان الله سبحانه قد جازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فكيف لا يجازى محسنهم بالجنة وهو مقام فضل ومما يؤيد هذا أيضا ما فى القرآن الكريم فى غير موضع ان جزاء المؤمنين الجنة وجزاء من عمل الصالحات الجنة وجزاء من قال لا اله الا الله الجنة وغير ذلك مما هو كثير فى الكتاب والسنة وقد اختلف أهل العلم هل أرسل الله الى الجن رسولا منهم أم لا وظاهر الآيات القرآنية ان الرسل من الانس كما فى قوله وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لما كوا الطعام ويمشون فى الأسواق وقال سبحانه فى ابراهيم الخليل وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب فكل نبي بعثه الله بعد ابراهيم فهو من ذريته وأما قوله سبحانه فى سورة الانعام يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم فقبل المراد من مجموع الجنسين ما صدق عليه أحدهما وهم الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أى من أحدهما (ومن) شرطية (لا يجب داعى الله فليس يعجز عن الارض) أى لا يفوت الله ولا يسبقه ولا يقدر على الهرب منه لانه وان هرب كل مهرب فهو فى الارض لا سبيل له الى الخروج منها وفى هذا ترهيب شديد (وليس له من دونه ولياء) أى أنصار يبعثونه من عذاب الله بين سبحانه بعد استحالة نجاته بنفسه استحالة نجاته بواسطة غيره (أو تلك) أى من لا يجب داعى الله (فى)

قال أئنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم ان يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيكم صلى الله عليه وسلم قل ما سألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين أخرجاه من حديث الاعمش به وقوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين يعنى القرآن ذكر لجميع المكلفين من الانس والجن قاله

ضلال مبين) أي ظاهر واضح وهذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن قد اجتمع ههنا همزان مضمومتان من كلمتين وليس لهما نظير في القرآن غير هذا ثم ذكر سبحانه دليلا على البعث فقال (أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض) الرؤية هنا هي القلبية التي بمعنى العلم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر أي ألم يتذكروا ولم يعلموا أن الذي خلق هذه الاجرام العظام من السموات والأرض ابتداء (ولم يعي) مجزوم بحذف الالف قرأ الجهور بسكون العين وفتح الياء مضارع عي وقرئ بكسر العين وسكون الياء (بجأقهن) أي لم يتعب ولم ينصب ولم يعجز عن ذلك ولا ضعف عنه يقال عي بالامر وعي ان لم يتم بدل وجهه قال الشهاب عدم العي تجاوز عن عدم الانقطاع والنقص يعني ان قدرته واجبة لا تنتقص ولا تنقطع بالاجداد ابد الاباد (بقادر على أن يحيي الموتى) قال أبو عبيدة والخنس الباعز ائدة لثو وكيد كما في قوله وكفى بالله شهيدا قال الكسائي والنراء والزجاج العرب تدخل الباء مع الجحد والاستفهام فتقول ما أظنك بقائم والجارو والمجرو وفي محل رفع على انهم ما خبر لأن وقرأ جاعة يقدر على صيغة المضارع واختار أبو عبيد الاولي وأبو حاتم الثانية (بلى انه على كل شيء قدير) لا يعجزه شيء تعليل لما أفادته بلى من تعليل الخاص بالعام ولما أنبت البعث ذكر بعض ما يحصل في يومه من الاحوال فقال (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي يقال ذلك اليوم للذين كفروا (أليس هدا بالحق) وهذه الجملة هي المحكية بالقول والاشارة بهذا الى ما هو مشاهد لهم يوم عرضهم على النار وفي الاكتفاء بمجرد الاشارة من التحويل للمشار اليه والتخيم لشأنه ما لا يحق كآته أمر لا يمكن التعبير عنه بالمنظ يدل عليه (قالوا بلى وربنا) اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف وأككوا هذا الاعتراف بالقسم لان المشاهدة هي حق اليقين الذي لا يمكن بحده ولا انكاره ولا أنهم يظلمون في الخلاص بالاعتراف بحقيقة ما هم فيه (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بسبب كفركم بهذ في الدنيا واتكاركم له وفي هذا الامر لهم بذوق العذاب توبيخ بالغ وتمسكهم عظيم ولما قرر سبحانه الدلة على النسوة والتوحيد والمعاد أمر رسوله بالصبر فقال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) الصبر الوثوق بحكم الله والثبات من غير بث ولا استكراه قاله القشيري والفناء جواب شرط محذوف أي اذا عرفت ذلك وقامت عليه البراهين ولم ينجح في الكافر من فاصبر كما صبر ابراهيم وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم فانك منهم قال مجاهد أولو العزم من الرسل خمسة نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم أصحاب الشرائع وبه قال ابن عباس وقال أبو العالسة هم نوح وهود و ابراهيم فأمر الله رسوله ان يكون رابعهم وقال السدي هم ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل نوح وهود و صالح وشعيب ولوط وموسى وقال ابن جريج ان منهم اسمعيل ويعقوب وأيوب وليس منهم يونس وقال الشعبي والسكبي هم الذين أمروا بالقتال فأظهر والمكاشفة وجاهدوا الكفرة وقيل هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الانعام وهم ثمانية عشر ابراهيم واسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون و زكريا ويحيى وعيسى واسمعيل والياس واليسع ويونس ولوط واختار

ابن عباس رضي الله عنهما وروى ابن أبي حاتم عن ابيه عن ابي غسان مالك بن اسمعيل حد ثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سهيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى للعالمين قال الحسن والانس وهذه الآية كقوله تعالى لا تدرك به ومن بلغ وكقوله عز وجل ومن يكفر به من الاحزاب فان نار موعده وقوله تعالي وتعلن نبأه أي

هذا الحسين بن الفضل لقوله بعد ذلك كرههم أولئك الذين هدى الله فبهم اهداهم اقتده وقيل
 ان الرسل كلهم أولو عزم ولم يبعث الله عز وجل نبيا الا كان ذا عزم وحزم ورأى وكال عقل
 وقيل هم اثنا عشر نبيا أرسلوا الى بني اسرائيل وقال الحسن هم أربعة ابراهيم وموسى
 وداود وعيسى وعن ابن عباس قال هم الذين أمروا بالقتال حتى ضوا على ذلك نوح وهود
 وصالح وموسى وداود وسليمان وعن جابر بن عبد الله قال بلغني ان أولي العزم من الرسل
 كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر وعن عائشة قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صائما
 ثم طوى ثم ظل صائما ثم طوى ثم ظل صائما قال يا عائشة ان الدنيا لا تبغى لمحمد ولا آل محمد
 يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن
 محبوبها ثم لم يرض مني الا ان يكفني ما كفهم فقال اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل واني
 والله لا اصبرن كما صبروا وجهدي ولا قوة الا بالله أخرجه ابن أبي حاتم والدليل قيل هذه
 الآية منذ وختة بآية السيف وقيل محكمة قال القرطبي والأظهر أنها منسوخة لأن
 السورة مكسبة وذكروا ما قال ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم
 أحد فأمره الله ان يصبر على ما أصابه كما صبر أولو العزم تسهلا عليه وتميئا له (ولا تستعجل
 لهم) أي لا تستعجل العذاب يا محمد للكفار فإنه نازل بهم لاحتالة وان تأخر واللام للتعليل
 ولما أمره سبحانه بالصبر ونهاه عن استعجال العذاب لقومه رجاء ان يؤمنوا قال (كانهم
 يوم يرون ما يوعدون) من العذاب في الآخرة اطوله (لم يلبثوا الا ساعة من نهار) أي
 الا قدر ساعة من ساعات الايام لما يشاهدونه من الهول العظيم والبلاء المقيم (بلاغ) قرأ
 الجمهور بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هذا الذي وعظمتهم به بلاغ أو تلك الساعة
 بلاغ أو هذا القرآن بلاغ أو هو مبتدأ واخبار لهم الواقع بعد قوله ولا تستعجل لهم أي لهم
 بلاغ وقرئ بالنصب على المصدر أي بلغ بلاغا وقرئ بلغ بصيغة الامر وبلغ بصيغة الماضي
 (فهل يهلك الا القوم الفاسقون) قرأ الجمهور يهلك على البناء للمفعول وقرئ على البناء
 للفاعل وقرئ بالنون ونصب القوم والمعنى انه لا يهلك بعد الله الا القوم
 الخارجون عن الطاعة الواقعون في معاصي الله قال قتادة لا يهلك على
 الله الا هالك مشرك قيل وهذه الآية أقوى آية في الرجاء وقال
 الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله تعالى وفضله الا
 القوم الفاسقون وهذا تطميع في
 سعة فضل الله سبحانه
 وتعالى

خبره وصدقه بعد حين أي عن قريب
 قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة
 يعني يوم القيامة ولا منافاة بين
 القولين فان مات فقد دخل في
 حكم القيامة وقال قتادة في قوله
 تعالى ولتعلم نباءه بعد حين قال
 يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبير
 اليقين آخر تفسير سورة ص والله
 الجد والمنة والله سبحانه وتعالى اعلم

* (تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع أوله سورة محمد صلى الله عليه وسلم) *

(ولما برزغت شمس هذا التفسير البهيج وتضوع في الآفاق عرفه الأريج وطار صيته في البلدان وتمتع بمسامرة لطائفه كل قاص ودان نشط لتقرينه حضرة العلامة الأريب المصقع الأديب من لا يجاديه في مجال الأدب مجارى جناب الأمل السيد محمد بن حسين بن محسن الهميني الأنصاري فقال)

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

حمد اللئيمان افتتح كتابه الكريم بسم الله الرحمن الرحيم وشكر اللئيمان أنزل في تيمانه العظيم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ونصلي ونسلم على نبيك الهادي الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحبه المقتنين نهجه القويم ونسألك اللهم أن تفيض علينا ناسا ييب نعمتك وان تدخلنا بفضلك فسيح جنتك (وبعد) فان علم التفسير أجل العلوم مقدارا وأعلاها مانارا وأوسعها مجرا وأغزرها قطرا وأقدمها ذكرا وأعزها ذخرا واني بحمد الله قد وفقت على تفسير ووحيد زمانه وفريد وقته وأوانه العلامة الامام والسيد السند الهمام رافع ألوية الاسلام الجامع لجل العلوم منشورها والمنظوم علامه المعقول فهامة المنقول أبو المحاسن والمكارم نخبة سادات بني هاشم الجناب العالي من لم تسمع بمنه العصر الخوالي امير الملك وصاحب الجاه مولانا ابو الطيب السيد صديق الحسن خان والجاه لابرح شمل الاحباب بوجوده مجموعا وحكمه مطاعا نافذا مسموعا وجنابه العالي من طوارق الحدثان ممنوعا

مدى الدهر مخصوصا بجزور رفعة * وارغام أعداء وتحقيق آمال

فألقيته روضة كالت السحاب رباها بلائى القطر وتوشحت أعطاف قدود غصونها بقلائد الزهر وتأرجت بأريج ريحانها وصقلت يد الشمال صحيفة عذارها أبهج منظرا وأرق أثرا على بلوغ الغاية القصوى تألفت القلوب وأقرت العقول السليمة بأعجازه للنظر ا فانه منحة علام الغيوب قدمته اليه البلغاء أعناقها مستسلمين لا يجاز بلاغته ثمانين من جيامعانيه المشرقة في دوحه فصاحته فله هو من جنة علم قطفوها دانية لا يسمع فيها الاغية ومجرة فهم أضاءت فيها شمس التحقيق وأشرقت فيها كواكب التدقيق وحصن مشيد لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم جيد قد سل صوارم الحج القطعية على أقوال الملحدين ورمى بسهمه شياطين المبطلين خفض هام كل معاند بذلك السيف المسلول وأشهر فضيحه بين أرباب المنقول والمعقول فتسكب خوفا ان يقطع الزحام حين رام المناضلة ذلك الفاضل الهمام وقيل له وهو خائف وجل ما هكذا يسعد تورد الابل فلعمري ان هذا هو التأليف الذي يقتر به العالمون ولئله هذا فليعمل العاملون فيه من دقائق العلوم شواردها ومن لطائف الفهوم قلائدها حوى من التفصيل ما لم يحوه كتاب وفتح للطالب الى أقصى المطالب كل باب وتناسق فيه جزيل المعاني مع لطيف الالفاظ تناسق العقد المنظوم حتى صار عمدة يندرج على منواله أرباب المنثور والمنظوم وسار شهرته مسير الشمس في الآفاق وترعت

بالثناء عليه السنة الفضلاء كأنها الجمائم وهو في جيدها الاطواق وأيد قول من قال ان لكل علم رجال ولكل ميدان أبطال وانه ليس كل من صنف أجاد ولا كل من قال وفي بالمراد

ان السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات الخلب السبع
باهي به الاوائل في الفضيلة الدهر فتعلى من نكت البديع برد العجز على الصدر ونادي
سان حال منسيه ومشيد أساسه ومعليه قائلا

واني وان كنت الاخير زمانه * لات بما لم تستطعه الاوائل
نغزى الله مؤلفه عن المسلمين خير افانه قلدا جيادهم قلاندا انعم ونصر الدين بما أحكمه
من محكم هذا التفسير الذي على تزييف مقالة الخصم حكيم هذا واني وان أطلقت لسان
البراعة ونظمت في أجياد الطروس قلاندا البراعة فأنا معترف بأني عن ارتقاء مدارج
الغناء اني قصور وان ثوانت من جنات المدائح أعلى قصور كيف وهو علامة وقته الذي
انفقد الاجماع على انه الرئيس المقدم واذا راية مجسد رفعت فهو الملتقى لها وليس ثم من
يتقدم الجائر لأعلى شرفي العلم والنسب من غير العجم والعرب واسطة عقد الجبار
والموالي كوكب سماء دولة بهم نال التي ما زال نورها متعالى وقبحها متوالى وشرفها بين
الدول على والسعد خادم والبشر قادم الآخذ من كل فن بأوفرنصيب الراى للمعالي
بكل سهم مصيب من زان منصب الرياسة بحسن سيرته وطرز حله الزمان بجميل سيرته
وخالص طويته وصافى سجيته

ولو أنى أنفقت عمرى في الشنا * عليه لما وفيت جانب حقه

المشار اليه أعلاه حماه الله ورعاه وأبقاه ساميا ذرى المجد مخدوم العز والسعد رافلا
في حمل الجبور واردا مواردا السرور ولا زالت أيامه مشرقة السنى وبابه كعبته المرام
والمنى ما ترنم بمدحه مادح وصدح بشكره صادح وبعد ما مجز القلم عن المدح أراد أن
يجول في ميدان القريض الفسيح ففرض بآيات آيات جارية فوق خيل عرييات
تبوس أقدام مفسر الآيات البينات مطلعها الاول وأخرها الذى عليه المعول

فتح البيان الذى أبدى لنا فيه * فرأنا نظمت كالدر من فيه
لله جسدك كم أبديت من نكت * قلاندا الدر والعقبان تحكيه
قد ارتضاك اله الخلق منجعا * يا كعبة العلم ته تها على تيهه
يا حادى العيش اما جرت نأديه * فأقرأ عليه سلاما من عبيديه
وسل ظلال الغضى عنه فتم له * مشوى بها فهجير الهجر يلجيه
وحى أقار ذلك الحى عن دنف * يئسه الليل فكرا ثم يحنيه
وانح الحى يا جالك الله ملتمسا * فك القلوب الاسارى عند أهليه
سقى الحيا عز أقوام صوارمهم * عن منة الغيث عام الجذب تغنيه
وحقكم ان رضيت فى ضنى جسدى * بحبكم لوجوتى فى تقانيه
الله يا ساكنى به نال نفس شج * على الطلول أسألها ما فيه

بالثناء عليه السنة الفضلاء كأنهم الحماة وهو في جيدها الاطواق وأيد قول من قال ان لكل علم رجال ولكل ميدان أبطال وانه ليس كل من صنف أجاد ولا كل من قال وفي بالمراد

ان السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات الخلب السبع باهي به الاوائل في الفضيلة الدهر فتعلى من نكت البديع برقا العجز على الصدر ونادي سان حال منشيه ومشيده أساسه ومعليه قاتلا

وانى وان كنت الاخير زمانه * لات بما لم تستطعه الاوائل نقرى الله مؤلفه عن المسلمين خيرا فانه قلدا جيادهم قلائد النعم ونصر الدين بما أحكمه من محكم هذا التفسير الذى على تزييف مقالة الخصم حكم هذا وانى وان أطلقت لسان البراعة ونظمت في أجياد الطروس قلائد البراعة فأنام اعترف بأنى عن ارتقاء مدارج الثناء انى قصور وان تتوات من جنات المدائح أعلى قصور كيف وهو علامة وقته الذى انعقد الاجماع على انه الرئيس المقدم واذا راية مجد رفعت فهو والمتلى لها وليس ثم من يتقدم الحائز لأعلى شرف العلم والنسب من غير العجم والعرب واسطة عقد الجبار والموالى كوكب سماء دولة تيم نبال انى ما زال نورها متعالى وقبحها متوالى وشرفها بين الدول عالى والسعد خادم والبشر قادم الاخذ من كل فن بأوفر نصيب الراعى للمعالي بكل سهم مصيب من زان منصب الرياسة بحسن سيرته وطرز حله الزمان بجميل سيرته وخالص طويته وصافى سجيته

ولو انى أنفقت عمرى في الثنا * عليه لما وفيت جانب حقه المشار اليه أعلاه حماء الله ورعاه وأبقاه ساميا ذرى المجد مخدوم العز والسعد رافلا في حلال الحبور واردا موارد السرور ولا زالت أيامه مشرقة السنى وبابه كعبة المرام والمنى ما ترنم بمدحه مادح وصدح بشكره صادح وبعدهما عجز القلم عن المدح أراد أن يجول في ميدان التبريض الفسيح فقرض بآيات آيات جارية فوق خيل عربيات تبوس أقدام مفسر الآيات البيئات مطلعها الاول وأخبرها الذى عليه المعول

فتح البيان الذى أبدى لتأفيمه * فرأنا نطمت كالدر من فيه
 لله جدد كم أبديت من نكت * قلائد الدر والعقمان تحكيه
 قد ارتضاك اله الخلق متعجبا * يا كعبة العلم ته تها على تيه
 يا حدى العيش اما جرت ناديه * فاقرا عليه سلاما من عبديه
 وسل ظلال الغضى عنه فتم له * مشوى بها فهبير الهجر يلجيه
 وحى أقار ذلك الحى عن دنف * يئته الليل فكرا ثم يحويه
 وانح الهى يا جالك الله ملتمسا * فك القلوب الاسارى عند أهليه
 سقى الحياء عز أقوام صوارمهم * عن منة الغيث عام الجذب تغنيه
 وحقكم ان رضيتم فى ضنى جسدى * بحبكم لوجودى فى تقانيه
 الله يا ساكنى به قال نفس شج * على الطلول أسالها ما آفيه

والآل والصحب ما ناحت مطوقة * على غصون أراك البان تشجيه
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
 قاله بلسانه وحرره بيمنانه أسير ذنوبه ورهين عيوبه الحقير النقيير
 الى رحمة ربه العزيز الباري محمد بن حسين بن محسن
 اليمنى الانصارى عفا الله
 عنه أمين

